

# الْبَيْدَاءُ وَالْبَهَاءُ

الحوادث زمن الفترة - السيرة النبوية  
السيرة النبوية

من السنة ٢هـ - إلى ٩هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧١ - ٧٧٤هـ

محققه وقرّحه أماريّه وعلمه عليه

أ.م.م. محمد سعيد الصاغري محمد عبد القادر الفزناوي

راجعه

الشيخ عبد القادر الفزناوي      الدكتور بشارة عواد

الجزء الثالث - الجزء الرابع

دار البزك

دمشق - بيروت



الموضوع: تاريخ  
العنوان: البداية و النهاية 20/1  
التأليف: الإمام ابن كثير  
التحقيق: مجموعة من العلماء

الورق: كريم  
ألوان الطباعة: لوانان  
عدد الصفحات: 10128  
القياس: 24×17  
التجليد: فني - لوحة  
الوزن: 15215 غ

التنفيذ الطباعي:  
مطبعة ايبكس - بيروت  
التجليد:  
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

ISBN: 978-9953-520-84-1



9 789953 520841

الطبعة الثانية  
1431 هـ - 2010 م

## حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع  
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي  
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق  
إلا بإذن خطي من



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب : 311

حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

طالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت - لبنان - ص.ب : 113/6318

برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

تلفاكس: 01 817857 - جوال: 03 204459

www.ibn-katheer.com

info@ibn-katheer.com



# الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

الحوادث زمن الفترة - السيرة النبوية

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

مَقَقَّةُ وَفَرَجُ أَمَارِيَّةٍ وَعَلَّ عَلَيْهِ

مأمون محمد سعيد الصاغري

رَاجَعُهُ

الدكتور بسار حواري معروف

الشيخ عبد القادر اللزاوي

الجزء الثالث

دار ابن كثير

دمشق - بيروت





تنبيه : الرموز المستخدمة في حواشي هذا الجزء هي : ( ط ) هي  
النسخة المطبوعة من طبعة القاهرة . ( ب ) هي نسخة برلين . ( ح ) هي  
نسخة المكتبة الأحمدية بحلب .



ذكر شيء مما وقع من الحوادث<sup>(١)</sup> في زمن الفترة

## فمن ذلك بنیان الكعبة

وقد قيل : إن أول من بناه آدم ، وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابنُ لهيعة وهو ضعيف<sup>(٢)</sup> ، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام . كما تقدم<sup>(٣)</sup>

وكذلك رواه سَمَاك بن حرب عن خالد بن عَزْرَةَ عن علي بن أبي طالب قال : ثم تهدّم فبنته العمالقة ، ثم تهدّم فبنته جُرْهم ، ثم تهدّم فبنته قريش<sup>(٤)</sup> .

قلت : سيأتي بناء قريش له ، وذلك قبل المبعث بخمس سنين ، وقيل بخمس عشرة سنة . وقال الزهري : كان رسول الله ﷺ قد بلغ الحلم . وسيأتي ذلك كله في موضعه إن شاء الله ، وبه الثقة .

## ذكر كعب بن لؤي

روى أبو نعيم من طريق محمد بن الحسن بن زبالة ، عن محمد بن طلحة التيمي ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي سلمة ، قال : كان كعب بن لؤي يجمع قومه يوم الجمعة - وكانت قريش تسميه العَرُوبَةَ<sup>(٥)</sup> - فيخطبهم فيقول : أما بعد ، فاسمعوا وتعلموا ، وافهموا واعلموا ، ليل ساج ، ونهار ضاح<sup>(٦)</sup> ، والأرض مهّاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ، والأنثى والذكر ، والزوج إلى بلى ما يهيج<sup>(٧)</sup> . فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أضهاركم ، وثمّروا أموالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت نُشِر ؟ الدارُ أمامكم ، والظنُّ غيرُ ما تقولون ، حرّمكم زَيْنُوه وعظّموه ، وتمسكوا به ، فسيأتي له نبأ عظيم ؛ وسيخرجُ منه نبي كريم ، ثم يقول : [ من الطويل ]

نهارٌ وليلٌ كلّ يوم بحادثٍ سواءً علينا ليلها ونهارها

(١) في ط : شيء من الحوادث .

(٢) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي ، قاضي مصر ، كان يدلّس عن الضعفاء . توفي سنة ( ١٧٤ هـ ) . المجروحين ( ١١ / ١٤ ) .

(٣) عند ذكر قصة بناء البيت العتيق في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) وهذا سنده ضعيف أيضاً فإن خالد بن عرعة مجهول الحال . وانظر « مختصر تاريخ دمشق » لابن عساكر ( ٢٣ / ١٨ ) .

(٥) في دلائل النبوة لأبي نعيم : وكانت قريش تسمي يوم الجمعة عَرُوبَة . وكذلك في القاموس المحيط .

(٦) ليل ساج : يروح ويحيى ، ونهار ضاح : ظاهر مضيء .

(٧) في ط : والروح وما يهيج إلى بلى . وفي دلائل النبوة : والزوج إلى بلى صائرين . ويهيج : يثور .



يؤوبان بالحدّاث حتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها  
على غفلة يأتي النبيّ محمدٌ فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها<sup>(١)</sup>

ثم يقول : والله لو كنتُ فيها ذا سمعٍ وبصرٍ ، ويدٍ ورجلٍ ، لتنصّبتُ<sup>(٢)</sup> فيها تنصّبَ الجمل ، ولأزقلتُ فيها إرقالَ الفحل<sup>(٣)</sup> . ثم يقول : [ من السيط ]

يا ليتني شاهداً نجواء دعوته حينَ العشيرة تبغي الحقَّ خذلانا<sup>(٤)</sup>

قال : وكان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله ﷺ خمسمئة عام وستون سنة<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

### ذكر تجديد حفر زمزم

على يدي عبد المطلب بن هاشم ، التي<sup>(٦)</sup> كان قد درس رسمها بعد طم جُزهم لها إلى زمانه . قال محمد بن إسحاق : ثم إن عبد المطلب بينما هو نائم في الحجر [ إذ أتى فأمر بحفر زمزم ]<sup>(٧)</sup> . وكان أول ما ابتدأ به عبد المطلب من حفرها ، كما حدّثني يزيد بن أبي حبيب المصري ، عن مرثد بن عبد الله اليزني<sup>(٨)</sup> ، عن عبد الله بن زُرَيْرٍ<sup>(٩)</sup> الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يُحدّث حديث زمزم<sup>(١٠)</sup> حين أمر عبد المطلب بحفرها قال : قال عبد المطلب : إني لنائم في الحجر ، إذ أتاني آتٍ فقال لي : احفر طيبة<sup>(١١)</sup> . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي

(١) في ط : صدوق .

(٢) تنصّب : قام رافعاً رأسه .

(٣) في ط : ولأرقلت بها إرقال العجل . والإرقال : الإسراع .

(٤) في دلائل النبوة : فحواء .

(٥) دلائل النبوة ( ١٠٦ / ١ - ١٠٧ ) ، وإسناده تالف فإن ابن زباله ، كذاب ، كما في « التقريب » .

(٦) في ب : الذي .

(٧) سقطت من ط .

(٨) في ط : المزني . وهو تحريف . واليزني : نسبة إلى ذي يزن بطن من حمير . واشتهر بهذه النسبة مرثد بن عبد الله اليزني ، وهو مصري ، توفي سنة تسعين للهجرة . اللباب ( ٤١١ / ٣ ) .

(٩) في أ ، و ط : رزين وهو سهو . وأثبت ما في ب ، والسيرة . وعبد الله بن زُرَيْرٍ الغافقي المصري محدث ثقة ، رُمي بالتشيع . توفي سنة ثمانين للهجرة ، أو بعدها . تقريب التهذيب ( ٤١٥ / ١ ) .

(١٠) في ب : حفر زمزم .

(١١) سميت زمزم ( طيبة ) لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . الروض الأنف ( ١٦٧ / ١ ) .



فنمت ، فجاءني<sup>(١)</sup> فقال : احفر بَرَّة . قال : قلت : وما بَرَّة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ ، فجاءني فقال : احفر المَضْنُونَةَ<sup>(٢)</sup> . قال : قلت : وما المَضْنُونَةُ ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمُّ<sup>(٣)</sup> ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفَرث والدم ، عند نُقْرة الغراب الأعصم<sup>(٤)</sup> ، عند قرية النمل . قال : فلما بيّن لي شأنها ، ودلّ على موضعها ، وعَرَفَ أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فحفر ، فلما بدا لعبد المطلب الطي<sup>(٥)</sup> كَبُرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته . فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها . فقال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعْطِيْتُهُ من بينكم . قالوا له : فأنصفنا ، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَنْ شِئْتُمْ أَحَاكِمُكُمْ إليه . قالوا : كاهنة بني سعد بن هُذَيْم . قال : نَعَمْ . وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفرٌ من بني أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفرٌ ، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا ببعضها نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا مَنْ معهم ، فأبوا عليهم وقالوا : إنا بمفازة ، وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . [ فقال عبد المطلب : إني أرى أن يحفر كلُّ رجلٍ منكم حفرة لنفسه بما لكم ]<sup>(٦)</sup> الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً ، فضيعة رجلٍ واحدٍ أيسر من ضيعة ركبٍ جميعاً<sup>(٧)</sup> . فقالوا : نَعَمَّا أمرت به . فحفر كلُّ رجلٍ<sup>(٨)</sup> لنفسه حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً . ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه إن إلقاءنا بأيدينا<sup>(٩)</sup> هكذا للموت لا نضرب في الأرض ، لا نبتغي لأنفسنا لَعَجْزُ ، فعسى أن يرزقنا ماءٌ ببعض البلاد ، ارتحلوا<sup>(١٠)</sup> فارتحلوا ، حتى إذا بَعَثَ عبدُ المطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عينُ ماء عذبٍ ، فكَبُرَ عبد المطلب ، وكَبُرَ أصحابه ، ثم نزل فشرب

- (١) في ب : رجعت فنمت في مضجعي فجاءني . وقيل لزمزم ( برة ) : لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار . ( الروض الأنف ) .
- (٢) سميت زمزم ( المَضْنُونَةُ ) لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين . ( الروض الأنف ) .
- (٣) لا تنزف : لا يفرغ ماؤها ، ولا يلحق قعرها . ولا تذم : لا توجد قليلة الماء .
- (٤) الأعصم من الغراب : الذي في جناحيه بياض . الروض الأنف ( ١٦٩ / ١ ) ، ففيه تفسير مطول لهذا الخبر .
- (٥) في ط : الطمي . وهو تحريف . والطي : الحجارة التي تبنى على جوانب البئر .
- (٦) سقطت من ب . وفي أ : بكم .
- (٧) كذا في أ . والسيرة . وفي ب ، وط : جميعه .
- (٨) في ب : كل منهم .
- (٩) في ط : لأصحابه ألقينا بأيدينا .
- (١٠) زيادة من ب ، والسيرة .

وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملؤوا أسقيتهم ، ثم دعا قبائل قريش وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال ، فقال : هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله . فجاؤوا ، فشربوا واستقوا كلهم ، ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا ، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سَقَاكَ هذا الماء بهذه الفلاة هو<sup>(١)</sup> الذي سَقَاكَ زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً ، فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلّوا بينه وبين زمزم<sup>(٢)</sup> .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم . قال ابن إسحاق : وقد سمعت مَنْ يُحدّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم : [ من الرجز ]

ثُمَّ ادْعُ بِالماءِ الرَّوْىَ غَيْرِ الكَذِبِ يسقي حَجِيجَ الله في كل مَبَرٍّ<sup>(٣)</sup>  
ليس يُخَافُ منه شيء ما عَمَرُ<sup>(٤)</sup>

قال : فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش ، فقال : تعلّموا أني قد أمرت أن أحفر زمزم ؟ قالوا : فهل يُبَيِّن لك أين هي ؟ قال : لا ! قالوا : فارجع إلى مَضْجَعِكَ الذي رأيت فيه ما رأيت ، فإن يك حقاً من الله يبين لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك فرجع ، فنام<sup>(٥)</sup> . فأُتي فقليل له :

احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لن تندم . وهي تراثٌ من أبيك الأعظم . لا تنزف أبداً ولا تُذَم . تسقي الحَجِيجَ الأعظم . مثل نعام حافل لم يُقَسَم . ينذر فيها ناذراً لِمُنْعَم . تكون ميراثاً وعقداً مُحْكَم . ليست لبعض ما قد تعلم . وهي بين الفَرثِ والدم<sup>(٦)</sup> .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن عبد المطلب حين قيل له ذلك قال : وأين هي ؟ قيل له : عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غداً . فالله أعلم أين ذلك كان . قال : فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره ، زاد الأموي : ومولاه أصرم<sup>(٧)</sup> ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنيين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحّر عندهما ، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش وقالت<sup>(٨)</sup> والله لا نتركك تحفر بين وثنيينا هذين<sup>(٩)</sup> اللذين ننحر عندهما . فقال عبد المطلب لابنه

(١) في ب ، والسيرة : لهو .

(٢) السيرة ( ١ / ١٤٣ - ١٤٥ ) .

(٣) ماء رَوَى ، ورواء : كثير .

(٤) ما عَمَر : أي ما بقي .

(٥) في ط : ونام .

(٦) السيرة ( ١ / ١٤٥ ) .

(٧) من ب وط . والأموي هو يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي الحنفي ، المتوفى سنة ( ١٩١ هـ ) . وله كتاب في مغازي رسول الله . كشف الظنون ( ٢ / ١٧٤٧ ) .

(٨) في ب : فقالوا ، وكذلك في السيرة .

(٩) زيادة من ب توافق نص السيرة .



الحارث : دُذُّ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرتُ به . فلما عرفوا أنه غير نازع<sup>(١)</sup> خلّوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطّي ، فكَبَّرَ ، وعرف أنه قد صُدِّق . فلما تمادى به<sup>(٢)</sup> الحفر وجد فيها غزالين من ذهب اللذين<sup>(٣)</sup> كانت جرهم قد دفنتهما ، ووجد فيها أسياًفاً قَلَعِيَّةً وأدرعاً . فقالت له قريش : يا عبدَ المطلب لنا معك في هذا شِرْكٌ وحق . قال : لا ، ولكن هَلُمَّ إلى أمر نَصَفِ بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا : وكيف نصنع ؟ قال : أجعلُ للكعبة قدحين ، ولي قدحين ، ولكم قدحين ، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له . قالوا : أنصفت . فجعلَ للكعبة قدحين أصفرين ، وله أسودين ، ولهم أبيضين ، ثم أعطوا القداح للذي يضرب عند هُبَل ، وهُبَل أكبر أصنامهم ، ولهذا قال أبو سفيان يوم أحد : أعلُ هُبَل . يعني هذا الصنم . وقام عبد المطلب يدعو الله<sup>(٤)</sup>

وذكر يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق أن عبد المطلب جعل يقول : [ من الرجز ]

لا هُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ      ربي فَأَنْتَ الْمُبْدِئُ الْمَعِيدُ<sup>(٥)</sup>  
وممسك الراسيةِ الجلمودِ      مِنْ عِنْدِكَ الطَّارِفُ والتَّليدُ  
إِنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ كَمَا تَرِيدُ      لِمَوْضِعِ الْحِلْيَةِ وَالْحَدِيدِ  
فَبَيَّنَ الْيَوْمَ لِمَا تَرِيدُ      إِنِّي نَذَرْتُ الْعَاهِدَ الْمَعْهُودِ  
اجعله رَبِّ لي فلا أعود

<sup>(٦)</sup> قال : وضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قريش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حلية للكعبة فيما يزعمون . ثم إن عبد المطلب أقام سِقَاية زمزم للحجاج .

وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كان فيها بئار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب ، ثم عدّها

(١) نزع عن الأمر نزوعاً : كف وانتهى .

(٢) زيادة من ب ، ط ، والسيرة . وفي السيرة : عرفوا أنه قد صدق .

(٣) في ط : غزالتين . . اللتين .

(٤) السيرة ( ١ / ١٤٥ - ١٤٦ ) . والنص القادم ليس في السيرة ، لأنه من رواية يونس ، وإنما هذب ابن هشام رواية

البكائي عن ابن إسحاق .

(٥) في ط : اللهم . . . أنت .

(٦) تتمّة خبر ابن إسحاق .

ابن إسحاق<sup>(١)</sup> ، وسمّاها ، وذكر أماكنها من مكة ، وحافريها ، إلى أن قال : فعُتّ زمزم على البئار كلّها ، وانصرف الناس كلّهم<sup>(٢)</sup> إليها ، لمكانها من المسجد الحرام ، وفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم ، وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلّها وعلى سائر العرب .

وقد ثبت في صحيح مسلم<sup>(٣)</sup> في حديث إسلام أبي ذرّ أن رسول الله ﷺ قال في زمزم : « إِنَّهَا لَطَعَامٌ طُعِمَ ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدّثنا عبد الله بن الوليد ، حدّثنا عبد الله بن المؤمّل ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ماءُ زمزم لما شُرِبَ منه » .

وقد رواه ابن ماجه<sup>(٥)</sup> من حديث عبد الله بن المؤمّل ، وقد تكلموا فيه ، ولفظُه : « ماء زمزم لما شرب له » .

ورواه سويد بن سعيد ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد الرحمن بن أبي الموالي ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « ماء زمزم لما شُرِبَ له » . ولكن سويد بن سعيد ضعيف . والمحفوظ عن ابن المبارك عن عبد الله بن المؤمّل كما تقدم<sup>(٦)</sup> .

وقد رواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً : « ماء زمزم لما شُرِبَ له » . وفيه نظر<sup>(٧)</sup> . والله أعلم .

وهكذا روى ابن ماجه<sup>(٨)</sup> أيضاً والحاكم<sup>(٩)</sup> عن ابن عباس أنه قال لرجل : إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة ، واذكر اسم الله ، وتنفس ثلاثاً ، وتصلّع منها<sup>(١٠)</sup> ، فإذا فرغت فاحمد الله فإن رسول الله ﷺ قال : « إن آية ما بيننا وبين المنافقين لا يتصلّعون من ماء زمزم » .

وقد ذكّر عن عبد المطلب أنه قال : اللهم إني لا أحلّها لمغتسل ، وهي لشارب حلّ وبِلّ . وقد ذكره

(١) السيرة ( ١٤٧/١ - ١٥٠ ) .

(٢) ليست في ب ، ولا في السيرة .

(٣) صحيح مسلم رقم ( ٢٤٧٣ ) ، في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر ، من حديث طويل .

(٤) المسند ( ٣٧٢/٣ ) .

(٥) سنن ابن ماجه رقم ( ٣٠٦٢ ) ، في المناسك ، باب الشرب من زمزم . وكذلك رواه أحمد ( ٣٥٧/٣ ) وهو حديث حسن . وأورد الحديث ابن حبان ، عن ابن المؤمّل ، في المجروحين ( ٢٨/٢ ) ، وقال : لم يتابع عليه .

(٦) وهو حديث حسن .

(٧) المستدرک ( ٤٧٣/١ ) وهو حديث حسن .

(٨) سنن ابن ماجه رقم ( ٣٠٦١ ) في المناسك ، باب الشرب من زمزم وإسناده ضعيف لضعف تابعيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .

(٩) المستدرک ( ٣٧٢/١ ) وقد سقط منه تابعيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر .

(١٠) تصلّع منها : أي أكثر من الشرب حتى يمتلئ جنبك وأضلاعك .



بعض الفقهاء عن العباس بن عبد المطلب ، والصحيح أنه عن عبد المطلب نفسه ، فإنه هو الذي جدد حفر زمزم كما قدمنا والله أعلم . وقد قال الأموي في « مغازيه » : حدثنا أبو عبيد ، أخبرني يحيى بن سعيد عن عبد الرحمن بن حزملة ، سمعت سعيد بن المسيب يحدث أن عبد المطلب بن هاشم حين احتفر زمزم . قال : لا أحلّها لمغتسل وهي لشارب حلّ وبِلّ . وذلك أنه جعل لها حوضين : حوضاً للشرب ، وحوضاً للوضوء . فعند ذلك قال : لا أحلّها لمغتسل لينزّه المسجد عن أن يُغتسل فيه .

قال أبو عبيد : قال الأصمعي : قوله : ( وبِلّ ) إتباع قال أبو عبيد<sup>(١)</sup> : والإتباع لا يكون بواو العطف ، وإنما هو كما قال معتمر بن سليمان إن ( بل ) بلغة حمير مُباح<sup>(٢)</sup> ، ثم قال أبو عبيد : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن عاصم بن أبي النجود ، أنه سمع زراً ، أنه سمع العباس يقول : لا أحلّها لمغتسل وهي لشارب حلّ وبِلّ . وحدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن علقمة أنه سمع ابن عباس يقول ذلك ، وهذا صحيح إليهما ، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبد المطلب عند حفره لها ، فلا ينافي ما تقدم ، والله أعلم .

وقد كانت السقاية إلى عبد المطلب أيام حياته ، ثمّ صارت إلى ابنه أبي طالب مدة ، ثمّ اتفق أنه أُمْلِق في بعض السنين ، فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف إلى الموسم الآخر ، وصرفها أبو طالب في الحجيج في عامه فيما يتعلق بالسقاية<sup>(٣)</sup> ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك . فقال له العباس : بشرط إن لم تُعطني تترك السقاية لي أكفّكها . فقال : نعم . فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطي العباس ، فترك له السقاية ، فصارت إليه ، ثمّ من بعده صارت إلى عبد الله ولده ، ثمّ إلى علي بن عبد الله بن عباس ، ثمّ إلى داود بن علي ، ثمّ إلى سليمان بن علي ، ثمّ إلى عيسى بن علي ، ثمّ أخذها المنصور واستتاب عليها مولاه أبا رزين . ذكره الأموي .

\*\*\*

### ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده<sup>(٤)</sup>

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش ما لقي

- 
- (١) ليست في ب .  
 (٢) في اللسان ( بلل ) : قال الأصمعي : كنت أرى أن ( بلا ) إتباع لحل ، حتى زعم المعتمر بن سليمان أن ( بلا ) : مباح في لغة حمير . النهاية في غريب الحديث ( ١٥٤ / ١ ) .  
 (٣) في ب : الحجيج عامه ذلك فيما يتعلق بالفداء .  
 (٤) سقط من ط : ذكر وأحد من العنوان .

عند<sup>(١)</sup> حفر زمزم : لئن وُلِدَ له عشرةٌ نفرٍ ثمَّ بلغوا معه حتى يمنعوه لَيُنَحَرْنَ<sup>(٢)</sup> أحدهم لله عند الكعبة . فلما تكامل بنوه عشرة ، وعَرَفَ أنهم سيمنعونه ، وهم : الحارث ، والزبير ، وحَجَل ، وضرار ، والمقرم ، وأبو لَهَب ، والعباس ، وحمزة ، وأبو طالب ، وعبد الله<sup>(٣)</sup> ، جمعهم ثمَّ أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله عزَّ وجلَّ بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم قِدْحاً ، ثمَّ يكتبُ فيه اسمَه ، ثمَّ ائتوني . ففعلوا ثمَّ أتوه ، فدخل بهم على هُبَلٍ في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة ، وكان عند هُبَلٍ قِدَاحٌ سبعة ، وهي الأزلام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل عليهم أمر من عَقْلٍ أو نَسَبٍ أو أمرٍ من الأمور جاؤوا فاستقسموا بها ، فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امثلوه<sup>(٤)</sup>

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقدرح عند هُبَلٍ خرج القدرح على ابنه عبد الله ، وكان أصغرَ ولده وأحبَّهم إليه ، فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله ، وأخذ الشفرة ، ثمَّ أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه . فقالت له قريش وبنوه أخوة عبد الله : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِرَ فيه ، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل يجيء بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا<sup>(٥)</sup> .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق أن العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه ، فيقال : إنه شجَّ وجهه شجاً لم يزل في وجهه إلى أن مات .

ثمَّ أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز فإن بها عَرَافَةً لها تابعٌ فيسألها عن ذلك ، ثمَّ أنت على رأس أمرِك إن أمرتك بذبحه فاذبحه ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه مخرج قبلته . فانطلقوا حتى أتوا المدينة ، فوجدوا العَرَافَةَ وهي سَجَاح<sup>(٦)</sup> - فيما ذكره يونس بن بكير عن ابن إسحاق - بخير ، فركبوا حتى جاؤوها فسألوها ، وقصَّ عليها عبدُ المطلب خبرَه وخبرَ ابنه ، فقالت لهم : ارجعوا عني اليومَ حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها . فلما خرجوا قام عبد المطلب يدعو الله ، ثمَّ غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدِّيَةُ فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثمَّ قرَّبوا صاحبكم وقرَّبوا عشرًا من الإبل ، ثمَّ اضربوا عليها وعليه بالقدرح ، فإن خرجت على

(١) كذا في ب ، وط . وهو موافق للسيرة . وفي أ : حين .

(٢) في ط : ليذبحن .

(٣) لم يذكر ابن إسحاق أسماء العشرة .

(٤) السيرة ( ١٥١/١ - ١٥٢ ) .

(٥) السيرة ( ١٥٣/١ ) .

(٦) وفي الروض الأنف ( ١٧٧/١ ) : عن عبد الغني أن اسمها : قُطبة .



صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم . فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، ثمَّ ضربوا فخرج القِدَح على عبد الله ، فزادوا عشرًا . فلم يزلوا يزيدون عشرًا عشرًا ويخرج القِدَحُ على عبد الله حتى بلغت الإبل مئة . ثمَّ ضربوا فخرج القِدَح على الإبل . فقالت عند ذلك قریش لعبد المطلب ، وهو قائم عند هُبَل يدعو الله : قد انتهى ، رضي ربُّك يا عبد المطلب . فعندها<sup>(١)</sup> زعموا أنه قال : لا ، حتى أضرب عليها بالقِداح ثلاثَ مرات ، فضربوا ثلاثاً ويقع القِدَح فيها على الإبل ، فَنُحِرَتْ ثم تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسان ولا يُمنَع . قال ابن هشام : ويُقال : ولا سَبْع<sup>(٢)</sup>

ويقال<sup>(٣)</sup> : إنه لما بلغت الإبل مئة خرج على عبد الله أيضاً ، فزادوا مئة أخرى حتى بلغت مئتين ، فخرج<sup>(٤)</sup> القِدَح على عبد الله ، فزادوا مئة أخرى فصارت الإبل ثلاثمئة ، ثم ضربوا فخرج القِدَح على الإبل ، فنحروها عند ذلك عبد المطلب . والصحيح الأول . والله أعلم .

وقد رَوَى ابن جرير ، عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزُّهري ، عن قبيصة بن ذؤيب أن ابن عباس سأله امرأة أنها نذرت ذبح ولدها عند الكعبة ، فأمرها بذبح مئة من الإبل ، وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب . وسألت عبدَ الله بن عمر فلم يفتها بشيء بل توقّف . فبلغ ذلك مروان بن الحكم ، وهو أمير المدينة فقال : إنهما لم يُصيبا الفتيا ، ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ، ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمرها بذبح الإبل . وأخذ الناس بقول مروان في ذلك<sup>(٥)</sup> . والله أعلم .

\*\*\*

### ذكر تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزُّهريّة

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزّى بن قُصي ، وهي أم قتال أخت ورقّة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصي وهي عند الكعبة ، فنظرت إلى وجهه فقالت : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لك مثل

(١) قوله : فعندها ليس في ب . ولا السيرة .

(٢) السيرة ( ١٥٤ / ١ - ١٥٥ ) .

(٣) في ب ، وط : وقد روي .

(٤) في ب : فزيدت الإبل حتى بلغت مئتين فضربوا فخرج .

(٥) في ط : بذلك . تاريخ الطبري ( ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ) .

الإبل التي نُحرت عنك وَقَعَ عليَّ الآن . قال : أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً<sup>(١)</sup> وشرفاً ، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ سيدة نساء قومها ، فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكُهَا مكانه<sup>(٢)</sup> ، فوقع عليها فحملت منه برسول الله ﷺ ، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عَرَضَتْ عليه ما عَرَضَتْ ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليَّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ<sup>(٣)</sup> بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك<sup>(٤)</sup> حاجة . وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر واتبع الكتب - أنه كائن في هذه الأمة نبي<sup>(٥)</sup> ، فطمعت أن يكون منها ، فجعله الله تعالى في أشرف عنصر وأكرم محتد وأطيب أصل ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [ الأنفال : ١٢٤ ] .

وسنذكر المولد مفصلاً .

ومما قالت أم قتال بنت نوفل من الشعر تتأسف على ما فاتها من الأمر الذي رامته ، وذلك فيما رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق رحمه الله : [ من الوافر ]

عليك بآل زهرة حيث كانوا      وآمنة التي حملت غلاما  
نرى المهدى حين نزا عليها      ونوراً قد تقدّمه أماما

[ إلى أن قالت ]<sup>(٦)</sup> : [ من الوافر ]

فكلُّ الخلق يرجوه جميعاً      يسودُّ الناس مهتدياً إماما  
براه الله من نور صفاه      فأذهب نوره عنا الظلاما  
وذلك صنّع ربك إذ حباه      إذا ما سار يوماً أو أقاما  
فيهدي أهل مكة بعد كفرٍ      ويفرض بعد ذلكم الصياما

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي : حدّثنا علي بن حرب ، حدّثنا محمد بن عمار القرشي ، حدّثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدّثنا ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مرّ به على كاهنة من أهل تَبَالَة مُتَهَوِّدة قد قرأت الكتب ،

(١) كذا في ب ، وهو موافق لنص السيرة . وفي أ : سناء . وفي ط : سناً .

(٢) أُمْلِكُ المرأة ، بالبناء للمجهول : تزوجها .

(٣) كذا في ب ، وط ، والسيرة . وفي أ : تعرضين .

(٤) في ب : اليوم حاجة . وكذلك في السيرة .

(٥) السيرة ( ١٥٦ / ١ - ١٥٧ ) . ودلائل النبوة لأبي نعيم ( ١٦٢ / ١ - ١٦٧ ) .

(٦) قوله : إلى أن قالت . زيادة من ب ، ط .

يقال لها : فاطمة بنت مُرّ الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله ، فقالت : يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مئة من الإبل ؟ فقال عبد الله : [ من الرجز ]

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَاَسْتَبَيْنَهُ  
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ<sup>(١)</sup>

ثم مضى مع أبيه ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً . ثم إن نفسه دعت إلى ما دعت إليه الكاهنة ، فأتاها . فقالت : ما صنعتَ بعدي ؟ فأخبرها . فقالت : والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنني رأيتُ في وجهك نوراً ، فأردتُ أن يكون فيّ . وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد . ثم أنشأت فاطمة تقول : [ من الكامل ]

إِنِّي رَأَيْتُ مَخِيلَةً لَمَعَتْ فَلَمَّأَتْهَا نُوراً يُضِيءُ لَهُ  
وَرَجَوْتُهَا فَخِيراً أَبِوَهُ بِهِ  
لِلَّهِ مَا زَهْرِيَّةٌ سَلَبْتُ ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتُ وَمَا تَدْرِي<sup>(٢)</sup>  
فَتَلَأَلَتْ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ<sup>(٣)</sup>  
مَا حَوْلَهُ كِإِضَاءَةِ الْبَدْرِ<sup>(٤)</sup>  
مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي<sup>(٥)</sup>  
ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتُ وَمَا تَدْرِي<sup>(٦)</sup>

وقالت فاطمة أيضاً : [ من الطويل ]

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرْتُ مِنْ أَخِيكُمُ أَمِينَةٌ إِذْ لِلْبَاهِ يَغْتَرِكُ  
كَمَا غَادَرَ الْمَصْبَاحُ عِنْدَ خُمُودِهِ فَتَائِلٌ قَدْ مِثَّتْ لَهُ بِدِهَانٍ<sup>(٧)</sup>  
وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ بِحَزْمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِي  
فَأَجْمَلُ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ سِيكْفِيكَه جَدَانِ يَعْتَلْجَانِ<sup>(٨)</sup>  
وَمَا يَدُ مَقْفَعَلَةٍ وَإِذَا يَدُ مَقْفَعَلَةٍ سِيكْفِيكَه إِمَّا يَدُ مَقْفَعَلَةٍ  
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا حَوَتْ حَوَتْ مِنْهُ فَخِرًا مَا لَذَلِكَ ثَانٍ<sup>(٩)</sup>

وروى الإمام أبو نعيم الحافظ في كتاب « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن

(١) قوله : يحمي الكريم عرضه ودينه . زيادة من ط والروض الأنف .

(٢) المَخِيلَةُ : السحابة تخالها ماطرة . الحَنَاتِم : السحاب السود .

(٣) لَمَّأَتْهَا : أبصرتها . وفي دلائل النبوة : فلما أتتها .

(٤) أورد الخبر كذلك أبو نعيم في دلائل النبوة ( ١٦٤ / ١ - ١٦٦ ) . وهو في الروض الأنف ( ١٨٠ / ١ ) .

(٥) مِثَّتْ : خُلِطَتْ .

(٦) الْجَد : الحظ .

(٧) فِي ط : مَقْفَلَةٌ . وَمَقْفَعَلَةٌ : مَتَشَنِّجَةٌ مَنَقِبُضَةٌ .

(٨) دلائل النبوة لأبي نعيم ( ١٦٦ / ١ ) .



عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عَوْن<sup>(١)</sup> ، عن المسور بن مخرمة ، عن ابن عباس قال : إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء ، فنزل على حَبْرٍ من اليهود ، قال : فقال لي رجلٌ من أهل الديور ، يعني أهل الكتاب : يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك ؟ قال : نعم إذا لم<sup>(٢)</sup> يكن عورة . قال : ففتح إحدى مَنْخَرَيَّ فنظر فيه ، ثم نظر في الآخر فقال : أشهدُ أن في إحدى يديك مُلكاً ، وفي الأخرى نُبُوَّةٌ ، وإنا نجد ذلك في بني زُهرة ، فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري . قال : هل لك من شاعة ؟ قلت : وما الشاعة ؟ قال : زوجة . قلت : أمّا اليوم فلا . قال : فإذا رجعت فتزوج فيهم . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت حمزة وصفية ، ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب ، فولدت رسول الله ﷺ فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة : فَلَجَ ، أي : فاز وغلب عبد الله على أبيه عبد المطلب<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

(١) هو مولى المسور بن مخرمة . وفي ط : ابن عون . وهو خطأ .

(٢) في ب : فقلت نعم ما لم يكن .

(٣) دلائل النبوة ( ١ / ١٦١ - ١٦٢ ) .

## كتاب سيرة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾<sup>(١)</sup> . ولما سأل هِرَقْلُ ملكُ الروم لأبي سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام قال : كيف نَسَبُهُ فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نَسَب . قال : كذلك الرُّسُلُ تُبْعَثُ في أنساب قومها . يعني في أكرمها أحساباً وأكثرها قبيلة صلواتُ الله عليهم أجمعين .

فهو سيّد ولدِ آدم ، وفخرُهم في الدنيا والآخرة ، أبو القاسم ، وأبو إبراهيم ، محمد ، وأحمد ، والماحي الذي يُمَحِّي به الكفر ، والعاقِبُ الذي ما بعده نبيّ ، والحاشرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قدميه<sup>(٢)</sup> ، والمُقَفِّي<sup>(٣)</sup> ، ونبيُّ الرحمة ، ونبيُّ التوبة ، ونبيُّ المَلَحَمَةِ ، وخاتم النبيين ، والفتاح ، وطه ، ويس ، وعبد الله .

قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : وزاد بعضُ العلماء فقال : سماه الله في القرآن رسولاً ، نبياً ، أميّاً<sup>(٥)</sup> ، شاهداً ، مُبَشِّراً ، نذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ورؤُوفاً رحيماً ، [ ونذيراً مبيناً ] ، ومُذَكِّراً . وجعله رحمةً ونعمةً وهادياً ، [ وسَمَّاهُ عبداً ] .

وسنورد الأحاديث المروية في أسمائه عليه [ الصلاة و ]<sup>(٦)</sup> السلام في بابِ نَعْقِدُهُ بعد فراغ السيرة ؛ فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في ذلك ، اعتنى بجمعها الحافظان الكبيران : البيهقي ، وأبو القاسم بن عساكر . وأفرد الناسُ في ذلك مصنفات<sup>(٧)</sup> حتى رام بعضهم أن يجمع له عليه الصلاة والسلام ألف اسم . وأما الفقيه الكبير أبو بكر بن العربي المالكي شارحُ الترمذي بكتابه الذي سمَّاه الأَحْوَذِي<sup>(٨)</sup> ، فإنه ذكر من ذلك أربعة وستين<sup>(٩)</sup> اسماً . والله أعلم .

- 
- (١) سورة الأنعام الآية (١٢٤) ، في الأصل « رسالاته » وقرأ ابن كثير وحفص بالتوحيد : رسالته ، وبالجمع قراءة الباقيين . الكشف (٤٤٩/١ ، ٤٥٠) .
  - (٢) معناه : على عهده وزمنه ، أي ليس بعده نبي إلى يوم القيامة والحشر ؛ وقيل : يُحْشَرُ الناسُ أمامي وقُدَّامي ؛ أي يجتمعون إليَّ يوم القيامة . مشارق الأنوار (٢١٣/١) واللسان (حشر) .
  - (٣) المقفِّي : المولِّي الذاهب ، فكأن المعنى أنه آخر الأنبياء ، المتَّبَع لهم ، فإذا قَفِيَ فلا نبي بعده . اللسان (قفي) .
  - (٤) في دلائل النبوة (١٦٠/١) وما يأتي بين معقوفين منه .
  - (٥) في (ح ، ط) : أمينا ، والمثبت من الدلائل .
  - (٦) ما بين معقوفين ليس في ح وهو في ط وهكذا في سائر هذا الجزء كلما ذكر عليه الصلاة والسلام .
  - (٧) في ط : مؤلفات .
  - (٨) واسمه الكامل « عارضة الأحوذِي في شرح سنن الترمذي » .
  - (٩) كذا ، والذي قاله ابن العربي في عارضة الأحوذِي (٢٨١/١٠) هو : سبعة وستون اسماً . ذكرها وعدَّها وأحصاها .

وهو ابن عبد الله ، وكان أصغر<sup>(١)</sup> أبيه عبد المطلب ، وهو الذبيح الثاني المُفَدَّى بمئة من الإبل كما تقدّم<sup>(٢)</sup> .  
قال الزُّهْرِيُّ<sup>(٣)</sup> : وكان أجملَ رجالِ قريش .

وهو أخو الحارث ، والزُّبَيْر ، وحمزة ، وضرار ، وأبي طالب - واسمه عبد مناف - وأبي لهب - واسمه عبد العُزَّى - والمُقَوِّم - واسمه عبد الكعبة - وقيل : هما اثنان ، وحَجَل - واسمه المغيرة - والعَيْدَاق وهو كبير الجود - واسمه نوفل - ويقال : إنه حَجَل . فهؤلاء أعمامه عليه الصلاة والسلام .  
وعماته ستُّ وهنّ : أَرْوَى ، وأميمة ، وبَرّة ، وصَفِيّة ، وعاتِكة ، وأمُّ حكيم - وهي البيضاء - .  
وستكلم على كلّ منهم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

كلُّهم أولادُ عبد المطلب - واسمه شَيْبَة - يقال : لشَيْبَة كانت في رأسه ، ويقال له : شَيْبَة الحَمْد لجوده . وإنما قيل له : عبد المطلب ، لأنَّ أباه هاشماً لما مرَّ بالمدينة في تجارته إلى الشام ، نزل على عمرو بن زيد بن لَيْد بن حَرَام بن خِدَاش بن خِنْدِف بن عَدِيّ بن النَجَّار<sup>(٤)</sup> الحَزْرَجِي النَجَّاري ، وكان سيّد قومه ، فأعجبته ابنته سَلْمَى ، فخطبها إلى أبيها فزوَّجها منه ، واشترط عليه مقامها عنده ؛ وقيل : بل اشترط عليه أن لا تلد إلا عنده بالمدينة ، فلمّا رجع من الشام بنى بها وأخذها معه إلى مكة ، فلما خرج في تجارة أخذها معه وهي حُبلى فتركها بالمدينة ودخل الشام فمات بغزّة ، ووضعت سَلْمَى ولدها فسَمَّته شَيْبَة ؛ فأقام عند أخواله بني عديّ بن النجّار سبع سنين ، ثم جاء عمُّه المطلب<sup>(٥)</sup> بن عبد مناف ، فأخذه خُفْيَة من أمه ، فذهب به إلى مكة . فلما رآه الناس ورأوه على الراحلة قالوا : من هذا معك ؟ فقال : عديّ ثم جاؤوا فهنّؤوه به ، وجعلوا يقولون له : عبد المطلب لذلك ؛ فغلب عليه ، وساد في قريش سيادة عظيمة ، وذهب بشرفهم ورياستهم . فكان جماعُ أمرهم عليه ، وكانت إليه السَّقَايَة والرَّفَادَة بعد المطلب ، وهو الذي جدّد حفر زَمْزَم بعدما كانت مَطْمُومَة من عهد جُرْهُم ، وهو أوّل من حلّى الكعبة بذهب في أبوابها من تينك الغزالين<sup>(٦)</sup> اللتين من ذهب ، وجدهما في زمزم مع تلك الأسياف القلعية<sup>(٧)</sup> .

(١) فوقه في (ح) إحالة ، وفي الهامش : وَلَد ، وفوقها (خ) إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وهي رواية ط .

(٢) ص ١١ - ١٣ من هذا الجزء .

(٣) قول الزهري في دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (١/ ٨٧) .

(٤) كذا في ح ، ط ونسبه في الجمهرة لابن الكلبي (ص ٩٦) وجمهرة ابن حزم (ص ١٤) هكذا : عمرو بن زيد بن ليد بن خِدَاش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

(٥) في ح : عبد المطلب ، وشطب كلمة عبد بخط ضعيف ، وجاء محذوفاً في ط وهو الصواب .

(٦) في ح : تلك الغزالين والمثبت من ط .

(٧) « القلعية » : نسبة إلى القلعة ، بفتح القاف واللام ، وهي موضع بالبادية تنسب إليه السيوف ، اللسان ( قلع ) .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وعبد المطلب أخو أسد ، ونَضْلَةٌ<sup>(٢)</sup> ، وأبي صَيْفِي ، وَحَيَّة ، وخالدة ، وَرُقَيْة ، والشَّفاء ، وضعيفة .

كلُّهم أولاد هاشم ، واسمه عمرو ، وإنما سُمي هاشماً لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سِنِي المَحَل ، كما قال مطرود بن كعب الخُزاعي في قصيدته ، وقيل للزُّبَيْرِي والد عبد الله : [ من الكامل ]

عَمَرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ      وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتَتُونَ عِجَافُ  
سُنْتُ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا      سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ<sup>(٣)</sup>

وذلك لأنه أول من سَنَّ رِحْلَتِي الشِّتَاءِ والصيف ، وكان أكبر ولد أبيه .

وحكى ابنُ جرير<sup>(٤)</sup> أنه كان تَوَّامَ أخيه عبد شمس ، وأنَّ هاشماً خرج ورجله ملتصقةُ برأس عبد شمس ، فما تَخَلَّصَتْ حتى سال بينهما دم ، فتفاءل<sup>(٥)</sup> الناس بذلك أن يكون بين أولادهما حروب ، فكانت وقعة بني العباس مع بني أمية بن عبد شمس سنة ثنتين<sup>(٦)</sup> وثلاثين ومائة من الهجرة .

وشقيقهم الثالث المطلب ، وكان المطلب أصغر ولد أبيه ، وأمُّهم عاتكة بنت مُرَّة<sup>(٧)</sup> بن هلال .

ورابعهم نوفل ، من أم أخرى ، وهي واقدة بنت عمرو المازنيَّة . وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم ، وصارت إليهم الرياسة ، وكان يقال لهم : المُجِيرُونَ ؛ وذلك لأنهم أخذوا لقومهم قريش الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارات إلى بلادهم ، فكان هاشم قد أخذ أماناً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر ملك الحبشة ، وأخذ لهم نوفل من الأكاسرة ، وأخذ لهم المطلبُ أماناً من ملوك حمير . ولهم يقول الشاعر : [ من الكامل ]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ المَحْوُولُ رَحْلَهُ      أَلَّا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافٍ<sup>(٨)</sup>

- (١) السيرة النبوية (١/١٠٧) بخلاف في اللفظ .
- (٢) في ح ، ط : فضلة ، تصحيف ، والمثبت من الاشتقاق (ص ٦٩) .
- (٣) البيتان في سيرة ابن هشام (١/١٣٦) وتاريخ الطبري (٢/٢٥١ ، ٢٥٢) وأمالِي المرتضى (٢/٦٩) وجمهرة الكلبي ، وفي حاشيته (ص ٩٢ ، ٩٣) مصادر أخرى في تخريجه ، وفي البيت الأول إقواء .
- (٤) تاريخ الطبري (٢/٢٥٢) .
- (٥) قد تقرأ في ح : فقال وكذا هي في ط وهو تصحيف ، ولإزالة اللبس كتبها الناسخ في الهامش بشكل واضح تحت كلمة بيان . ولفظ الطبري في تاريخه : فَتُطَيَّرُ من ذلك ، فقل تكون بينهما دماء . والفأل يكون فيما يحسن وما يسوء اللسان (فأل) .
- (٦) كتب فوقها في (ح) : ثلاث ، وهو ما أثبت في ط : وَذِكْرُ من قتل من بني أمية ، ساقه ابن الأثير في الكامل (٥/٤٢٩ ، ٤٣٠) في حوادث سنة ١٣٢ هـ .
- (٧) في الاشتقاق (ص ٣٧) : عاتكة بنت مُرَّة إحدى بني سُلَيْم .
- (٨) الشاعر هو مطرود بن كعب الخزاعي كما تقدم في البيتين السابقين ، وهو من أبيات يبكي فيها عبد المطلب وبني =



وكان إلى هاشم السقاية والرّفاة<sup>(١)</sup> بعد أبيه ، وإليه وإلى أخيه المطلب نسبُ ذوي القُرْبى ، وقد كانوا شيئاً واحداً في حالتي الجاهلية والإسلام لم يفترقوا ، ودخلوا معهم في الشَّعب ، وانخذل عنهم بنو عبد شمس ونوفل ، ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا عُقُوبَةً شَرًّا عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ

ولا يُعرف بنو أب تباينوا في الوفاة مثلهم ؛ فإنَّ هاشماً مات بغزاة من أرض الشام ، وعبد شمس مات بمكة ، ونوفل مات بسلامان<sup>(٣)</sup> من أرض العراق ، ومات المطلب - وكان يقال له : القمر لحُسْنِه - بِرِيْمَان من طريق اليمن . فهؤلاء الأخوة الأربعة المشاهير وهم هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ، والمطلب . ولهم أخ خامس ليس بمشهور ، وهو أبو عمرو واسمه عبد<sup>(٤)</sup> ، وأصل اسمه عبد قُصَيٍّ ، فقال الناس عبد بن قُصَيٍّ ، دَرَج<sup>(٥)</sup> ولا عقب له . قاله الزُّبير بن بَكَّار وغيره .

وأخوات ستّ ، وهنّ : ثُمَاضِر ، وَحِيّة ، وَرَيْطَة ، وَقِلَابَة ، وَأُمُ الْأَخْثَم ، وَأُمُ سَفِيَان .

كلُّ هؤلاء أولاد عبد مناف ، ومناف اسم صنم ، وأصل اسم عبد مناف : المغيرة . وكان قد رأس في زمن والده ، وذهب به الشرفُ كلَّ مذهب - وهو أخو عبد الدار الذي كان أكبر ولد أبيه ، وإليه أوصى بالمناصب كما تقدّم . وعبد العُزَّى ، وَعَبْد ، وَبَرّة ، وَتَخْمُر ، وأُمُّهم كلهم حُبَيّ بنت حُلَيْل بن حُبَشِيّة<sup>(٦)</sup> بن سُلُول بن كعب بن عمرو الخُزَاعِي ، وأبوها آخر ملوك خزاعة ، وولادة البيت منهم . وكلُّهم أولاد قُصَيٍّ واسمه زيد .

وإنما سُمِّي بذلك ، لأن أمه تزوجت بعد أبيه بربيعه بن حَرَام بن عُذْرَة<sup>(٧)</sup> ، فسافر بها إلى بلاده وابنتها صغير ، فسمي قصياً لذلك . ثم عاد إلى مكة وهو كبير .

= عبد مناف . انظر سيرة ابن هشام (١/١٧٨) والروض الأنف (١/٢٠٣) وفيهما : هلا نزلت بإبدال الهمزة هاءً ، وهو جائز كما في الجنى (ص ٥٠٩) .

(١) في ح : الوفاة ، وهو تصحيف ، والمثبت من ط . والرّفاة شيء ، كانت قريش تترافده في الجاهلية ، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، فيشترون به للحاج الجُزُر والطعام والزبيب للبيد ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج . وأما السّقاية فهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء . اللسان ( رقد ، سقي ) .

(٢) البيت في ديوانه (ص ٨) والقصيدة بتمامها فيه (ص ٢ - ١٢) وفي سيرة ابن هشام (١/٢٧٢ - ٢٨٠) .

(٣) سلامان : ماء لبني شيبان على طريق مكة إلى العراق . معجم ما استعجم (٣/٧٤٥) .

(٤) في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/٩٤) عُبيد .

(٥) درج فلان : مات وما ترك نسلًا . الأساس ( درج ) .

(٦) في ح ، ط : جبشي تصحيف والمثبت من الإكمال (٢/٤١٢) .

(٧) كذا في الأصول ، نسبته إلى جده ، ولعل الصواب من عذرة ، واسم أبي حرام : ضِنّة بن عبد كبير بن عذرة كما في

الإكمال (٢/٤١٢) .

ولمَّ شَعَثَ قريش ، وجمعها من متفرقات البلاد ، وأزاح يدَ خُرَاعَة عن البيت ، وأجلاهم عن مكة ورجع الحق إلى نصابه ، وصار رئيسَ قريش على الإطلاق ، وكانت إليه الرِّفَادَة<sup>(١)</sup> والسَّقَاية - وهو سَنَها - والسَّدانة والحِجَابَة واللواء ، وداره دار الندوة كما تقدم بسط ذلك كلّه<sup>(٢)</sup> - ولهذا قال الشاعر<sup>(٣)</sup> : [من الطويل]

قُصِيَّ ، لَعَمْرِي كان يُدعى مُجَمَّعاً به جَمَعَ الله القبائلَ من فِهْرٍ

وهو أخو زُهْرَة ، كلاهما ابن كلاب أخِي تَيْم ، وَيَقْظَة أبي مخزوم ، وثلاثتهم أبناء مُرَّة أخِي عدي وهُصَيْص ، وهم أبناء كعب ، وهو الذي كان يخطب قومه كلَّ جمعة ، ويبشِّرهم بمبعث رسول الله ﷺ . ويُشَدُّ في ذلك أشعاراً كما قدَّمنا<sup>(٤)</sup> ، وهو أخو عامر وسَامَة وخُزَيْمة وسعد والحارث وعوف ، سبعتهم أبناء لُؤَيٍّ أخِي تَيْم الأَدْرَم ، وهما أبناء غالب أخِي الحارث ومحارب ، ثلاثتهم أبناء فِهْر ، وهو أخو الحارث ، وكلاهما ابن مالك ، وهو أخو الصَّلْت ، وَيَخْلُد ، وهم بنو النَّضْر الذي إليه جماع قريش على الصحيح ، كما قدَّمنا الدليل عليه ، وهو أخو مالك ومِلْكَان وعبد مناة وغيرهم ، كلُّهم أولاد كِنَانَة أخِي أسد وأسَدَة والهَوْن أولاد خُزَيْمة ، وهو أخو هُذَيْل ، وهما ابنا مُذْرِكَة ، واسمه عمرو وأخو طابخة ، واسمه عامر ، وقَمْعَة ، ثلاثتهم أبناء إلياس ، وأخو إلياس هو عَيْلان والد قيس كلِّها ، وهما ولدا مُضَر أخِي ربِيعَة . ويقال لهما : الصريحان من ولد إسماعيل ، وأخواهما أنمار وإياد تِيَامَنَة<sup>(٥)</sup> ، أربعتهم أبناء نزار أخِي قضاة - في قول طائفة ممن ذهب إلى أن قضاة حجازية عدنانية - وقد تقدَّم بيانه<sup>(٦)</sup> ، كلاهما أبناء مَعَدَّ بن عدنان .

وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء ، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب ، ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾<sup>(٧)</sup> : لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسبٌ يتصل بهم . وصدق ابن عباس رضي الله عنه فيما قال وأزِيدُ فيما<sup>(٨)</sup> قال ؛ وذلك أن جميع قبائل العرب العدنانية تنتهي إليه بالأبواء ، وكثير منهم بالأُمّهات أيضاً ،

(١) في ح : الوفادة : وهو تصحيف من الناسخ ، وتقدمت في الصفحة السابقة .

(٢) في (٢/ ٢١٠) من (ط) في الفصل الأخير منه تحت عنوان خبر قصي بن كلاب وما كان من أمره .

(٣) هو حذافة بن غانم كما في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٨٧ ، ٨٨) وساقه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٥٠) مع بيت آخر ونسبهما إلى حذافة بن غانم بن عامر القرشي ، وساقه أيضاً في أبيات (١/ ٦٦) لمحقق جمهرة الكلبي حاشية على الأبيات .

(٤) في (٢/ ٢٤٤) من (ط) تحت عنوان ذكر كعب بن لؤي .

(٥) « تيامنا » : أخذنا ناحية اليمن . اللسان (يمن) .

(٦) في (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) من (ط) تحت عنوان ذكر أخبار العرب .

(٧) سورة الشورى الآية (٢٣) وقول ابن عباس في تفسير القرطبي (١٦/ ٢١) .

(٨) في ط : مما وفي ح : كما ، والمثبت من هامشها ، حيث ذكرت تحت كلمة : أصل ، إشارة إلى الأصل المقروء على نسخة المؤلف .

كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره في أمّهاته وأمّهات آبائه وأمّهاتهم ما يطول ذكره . وقد حرّره ابنُ إسحاق<sup>(١)</sup> رحمه الله والحافظُ ابن عساكر<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكرنا في ترجمة عدنان نسبه وما قيل فيه ، وأنه من ولد إسماعيل لا محالة ؛ وإن اختلف في كم بينهما أباً ؟ على أقوال قد بسطناها فيما تقدم<sup>(٣)</sup> والله أعلم .

وقد ذكرنا بقية النسب من عدنان إلى آدم ، وأوردنا قصيدة أبي العباس الناشيء المتضمنة ذلك<sup>(٤)</sup> ، كل ذلك في أخبار عرب الحجاز والله الحمد .

وقد تكلم الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في أول تاريخه على ذلك كلاماً مبسوطاً جيداً محرّراً نافعاً .

وقد ورد في حديث انتسابه عليه السلام إلى عدنان ، وهو على المنبر ، ولكن الله أعلم بصحته كما قال الحافظ أبو بكر البيهقي<sup>(٥)</sup> : أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر<sup>(٦)</sup> بن حفص المقرئ - ببغداد - حدثنا أبو عيسى بكار بن أحمد بن بكار ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى بن سعيد - إملاء - سنة ست وتسعين ومئتين ، حدثنا أبو جعفر محمد بن أبان القلانسي ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي ، حدثنا مالك بن أنس ، عن الزُّهري ، عن أنس ، وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام . قالوا : بلغ النبي ﷺ أنَّ رجلاً من كِنْدَةَ يزعمون أنهم منه وأنه منهم ، فقال : « إنما كان يقول ذلك العباسُ وأبو سفيان بن حَرْبٍ فيأمننا بذلك<sup>(٧)</sup> » ، وإنَّا لن ننتفي من آبائنا ، نحن بنو النَّضْرِ بن كِنانة .

قال : وخطب النبي ﷺ فقال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْرِ بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نِزَار ؛ وما افترق الناسُ فِرقتين إلا جعلني الله في خيرهما<sup>(٨)</sup> » فأُخرجت من بين أبوي ، فلم يُصنني شيءٌ من عُهر الجاهلية ، وأُخرجت من نكاح ولم أُخرج من سفاح من لَدُنْ آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ؛ فأنا خيركم نفساً ، وخيركم أباً » .

(١) سيرة ابن هشام (١/١) وما بعدها .

(٢) في تاريخه الكبير ( السيرة النبوية - القسم الأول ص ٣٦ وما بعدها ) .

(٣) الجزء الثاني (ص ١٩٥) من نسخة (ط) .

(٤) الجزء الثاني (ص ٢٣٩ - ٢٧٦) من نسخة (ط) .

(٥) في دلائل النبوة (١/١٧٤) .

(٦) في ح : عمرو ، وفي الدلائل : محمد ، وكلاهما تصحيف ، والصواب من تاريخ بغداد (١١/٣٢٩) والإكمال (٢٨٩/٣) وغاية النهاية (١/٥٢١) .

(٧) عبارة البيهقي في الدلائل : « . . . وأبو سفيان بن حرب ، إذا قدما المدينة ليأمننا بذلك »

(٨) في ح ، ط : خيرهما ، والمثبت من الدلائل .

وهذا حديث غريب جداً من حديث مالك ، تفرد به القُدّامي وهو ضعيف<sup>(١)</sup> . ولكن سندكر له شواهد من وجوه أخر .

فمن ذلك قوله : « خرجت من نكاح لا من سفاح » . قال عبد الرزاق<sup>(٢)</sup> : أخبرنا ابن عُيَيْنَةَ عن جعفر بن محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨] قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قال : وقال رسول الله ﷺ : « إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » وهذا مرسلٌ جيد .

وهكذا رواه البيهقي<sup>(٣)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصَّغاني<sup>(٤)</sup> ، عن يحيى بن أبي بُكَيْر ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَنِي مِنَ النِّكَاحِ ، وَلَمْ يُخْرِجْنِي مِنَ السَّفَاحِ » .

وقد رواه ابن عدي<sup>(٥)</sup> موصولاً فقال : حدَّثنا أحمد بن حفص ، حدَّثنا محمد بن أبي عُمر العَدَنِي المكي<sup>(٦)</sup> ، حدَّثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال : أشهدُ على أبي حدَّثني عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي بن أبي طالب ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي ، وَلَمْ يُضْنِبْنِي مِنْ سَفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ » .

هذا غريبٌ من هذا الوجه ولا يكادُ يصح<sup>(٧)</sup> .

وقال هُشَيْم : حدَّثنا المديني عن أبي الحويرث ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ولدني من نكاح أهل الجاهلية شيء ، ما ولدني إلا نكاحُ كُتُبِ الإسلام » .

(١) ذكره ابن حبان في المجروحين (٣٩/٢ ، ٤٠) .

(٢) قول عبد الرزاق في تفسير الطبري (٧٦/١١) . ( طبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م ) ويبدو أن هذا الحديث مروي في التفسير لعبد الرزاق . وروي بنحوه في المصنف ٣٠٣/٧ (١٣٢٧٣) كتاب الطلاق باب الدعوة ، عن ابن جريج عن جعفر به ، أن رسول الله ﷺ قال : « أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح » .

(٣) لم أجده في الدلائل .

(٤) في ح ، ط : الصنعاني وهو تصحيف ، والمثبت من اللباب (٢٢٩/٢ ، ٢٤٣) وترجمته في سير أعلام النبلاء (٥٩٢/١٢) .

(٥) لم أجد الحديث في الكامل لابن عدي ، وإنما أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠٢/٣) من طريق ابن عدي .

(٦) في ح : محمد بن أبي عمر العدوي المالكي . وفي ط : محمد بن أبي عمرو العدني المكي ، والمثبت من الكامل لابن عدي والإكمال (٤٠٣/٦) والأنساب للسمعاني (٤٠٨/٨) ولسان الميزان (١٠٣/٥) وأبو عمر جدّه واسم أبيه يحيى ، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩٦/١٢) وتهذيب التهذيب (٥١٨/٩) .

(٧) أحمد بن حفص منكر الحديث (الكامل ٢٠٢/١ - ٢٠٣) ، ومحمد بن جعفر متكلمٌ فيه (الكامل ٢٢٣٢/٦ ، والميزان ٥٠٠/٣) ، وهو مرسل أيضاً ، فكلّام المصنف صحيح .



وهذا أيضاً غريب ، أورده الحافظ ابن عساكر<sup>(١)</sup> ، ثم أسنده من حديث أبي هريرة ، وفي إسناده ضعف والله أعلم .

وقال محمد بن سعد<sup>(٢)</sup> : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن عمه الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ولدت من نكاح غير سفاح »<sup>(٣)</sup>

ثم أورد ابن عساكر<sup>(٤)</sup> من حديث أبي عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴾ [ الشعراء : ٢١٩ ] . قال : من نبي إلى نبي ، حتى أخرجت نبياً . ورواه عن عطاء .

وقال محمد بن سعد<sup>(٥)</sup> : أخبرنا هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : كتبت للنبي ﷺ خمسمئة أم ، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية .

وثبت في صحيح البخاري<sup>(٦)</sup> من حديث عمرو بن أبي عمرو ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « بُعِثْتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بُعِثْتُ<sup>(٧)</sup> من القرن الذي كنت فيه » .

وفي صحيح مسلم<sup>(٨)</sup> من حديث الأوزاعي ، عن شدّاد أبي عمار ، عن وائلة بن الأسقع ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشاً ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٩)</sup> : حدثنا أبو نعيم عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس ، فصعد المنبر فقال : « مَنْ أَنَا ؟ » قالوا : أنت رسول الله . قال : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ

(١) في تاريخه ( السيرة النبوية - القسم الأول ) ( ص ٢٠٢ ) .

(٢) في الطبقات ( ١ / ٦١ ) ، وإسناده ضعيف جداً ، فإن الواقدي متروك الحديث .

(٣) يمكن أن يكون هذا الحديث بهذه الشواهد التي ذكرها المؤلف ، من حديث علي ، وابن عباس وأبي هريرة ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، حسناً لغيره .

(٤) في تاريخه ( السيرة النبوية - القسم الأول ) ( ص ٢٠٢ ) وفي إسناده ضعف .

(٥) في الطبقات ( ١ / ٦٠ ) ، وإسناده تالف فيه هشام الكلبي وأبوه وهما تالفان .

(٦) فتح الباري ( ٣٥٥٧ ) المناقب باب صفة النبي ﷺ .

(٧) لفظ البخاري : كنت .

(٨) هكذا نسبه إلى مسلم بهذا اللفظ ، وهو وهم ظاهر ، فهذا لفظ أحمد ( ١٠٧ / ٤ ) والترمذي ( ٣٦٠٥ ) وهو عندهما من رواية محمد بن مصعب القرقيساني عن الأوزاعي ، وهو ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، ولم يتابع في هذه الزيادة ، فهي ضعيفة ، والحديث صحيح دون هذه الزيادة . وقد رواه مسلم بدونها رقم ( ٢٢٧٦ ) والترمذي ( ٣٦٠٦ ) وأوله عندهما ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . . . ) .

(٩) في مسنده ( ١ / ٢١٠ ) برقم ( ١٧٨٨ ) .

الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ خَلْقِهِ ، وجعلهم فرقتين<sup>(١)</sup> فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً<sup>(٢)</sup>

صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً إلى يوم الدين .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا عبيد الله بن موسى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، إِنَّ قريشاً إذا التقوا ، لَقِيَ بعضهم بعضاً بالبشاشة ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها . فغضب رسول الله ﷺ عند ذلك غضباً شديداً ثم قال : « والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يُحبَّكم الله ولرسوله » فقلت : يا رسول الله ، إِنَّ قريشاً جلسوا فتذكروا أحسابهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كَبُوة من الأرض<sup>(٤)</sup> . فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله يوم خَلَقَ الْخَلْقَ جعلني في خيرهم ، ثم لما فرَّقهم جعلني في خير [ الفريقين ] ، ثم حين جعل القبائل جعلني في خير [هم قبيلة] ، ثم حين جعل البيوت جعلني في خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً » .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> عن ابن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث ، عن [ عبد المطلب بن ] ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبي ﷺ ، فذكره بنحو ما تقدّم ولم يذكر العباس .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنِي يحيى بن عبد الحميد ، حَدَّثَنَا قيس بن عبد الله<sup>(٧)</sup> ، عن الأعمش عن عَباية بن ربِيعي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الله قسم الخلق قسمين ، فجعلني في خيرهما قسماً ، فذلك قوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ... وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ [ الواقعة : ٢٧ و ٤١ ] فأنا من أصحاب اليمين ، وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها ثلثاً ، فذلك قوله :

(١) في ( ح ) فريقين : والمثبت من ط والمسند .

(٢) وأخرجه الترمذي (٣٥٣٢ و ٣٦٠٨) : عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري عن سفيان ، وقال : هذا حديث حسن . قلنا : يزيد بن أبي زياد ضعيف وكان يضطرب فيه وكذلك اقتصر الترمذي على تحسينه .

(٣) في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٩٥ ، ٤٩٧) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) قال شمر : قوله في كبوة . لم نسمع فيها من علمائنا شيئاً ، ولكننا سمعنا الكبا والكبة ، وهو الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت : وقال ابن الأثير : فإن صحت الرواية بها فوجهه أن تطلق الكبوة ، وهي المرة الواحدة من الكسح ، على الكساحة والكناسة . اللسان ( كبو ) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١٦٨٥) كتاب الفضائل باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ ، وما يأتي بين معقوفين منه . وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٦١١) المناقب باب ما جاء في فضل النبي ﷺ بنحوه عن يوسف بن موسى القطان البغدادي عن عبيد الله بن موسى . وقال : هذا حديث حسن . أقول : وفي إسناده ضعف .

(٦) في المعرفة والتاريخ (١/ ٤٩٨) .

(٧) كذا في ح ، ط : ولم أجد لقيس هذا رواية عن الأعمش ، واكتفى الفسوي بذكر اسمه ، وذكر المحقق في الحاشية أنه قيس بن الربيع ، وهو الصواب الذي نص عليه المزي في ترجمة يحيى بن عبد الحميد الحماني من تهذيب الكمال (٣١/ ٤٢٠) .

﴿ فَأَصْحَبُ آلِ مَيْمَنَةٍ ﴾ [ الواقعة : ٨ ] ﴿ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴾ [ الواقعة : ١٠ ] فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني في خيرها قبيلة ، فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ؛ ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، وذلك قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [ الأحزاب : ٣٣ ] . فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب . وهذا الحديث فيه غرابة ونكارة<sup>(١)</sup> .

وروى الحاكم والبيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث محمد بن ذكوان - خال ولد حماد بن زيد - عن عمرو بن دينار ، عن ابن عمر قال : إنا لنعوذُ بِفَنَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : هَذِهِ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَثَلُ مُحَمَّدٍ فِي بَنِي هَاشِمٍ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ فِي وَسْطِ النَّتَنِ . فَانْطَلَقَتِ الْمَرْأَةُ فَأَخْبَرَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ : « مَا بَالُ أَقْوَالٍ تَبْلُغُنِي عَنْ أَقْوَامٍ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ سَبْعًا ، فَاخْتَارَ الْعُلِيَّا مِنْهَا فَأَسْكَنَهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ ، ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ ، وَاخْتَارَ مِنَ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ ، وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ ، وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا ، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ؟ فَأَنَا مِنْ خِيَارٍ إِلَى خِيَارٍ ، فَمَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَحَبَّبِي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ » . وهذا أيضاً حديثٌ غريب .

وثبت في الصحيح<sup>(٣)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ » .

وروى الحاكم والبيهقي<sup>(٤)</sup> أيضاً من حديث موسى بن عبيدة ، حدثنا عمرو بن عبد الله بن نوفل ، عن الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ وَأَبِي سَلْمَةَ<sup>(٥)</sup> ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ لِي جَبْرِيلُ : قَلْبَتِ الْأَرْضُ مِنْ مِشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَقَلْبَتِ الْأَرْضُ مِشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا فَلَمْ أَجِدْ بَنِي أَبِ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » .

قال الحافظُ البيهقي<sup>(٦)</sup> : وهذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا يُحتَجُّ به<sup>(٧)</sup> ،

- 
- (١) إسناده تالف قيس بن عبد الله لا نعرفه ، وإن كان محرفاً عن قيس بن الربيع - وهو الأرجح - فهو ضعيف كما هو مبين في تحرير التقريب (٣/١٨٦) ، وعباية بن ربيعي شيعي ضعيف (الميزان ٢/٣٨٧) ومن المحتمل أن الأعمش أخذه عن موسى بن طريف (وهو كذاب كما في الميزان ٤/٢٠٨) عن عباية ، فدلسه .
- (٢) الحاكم في المستدرک (٤/٧٣) والبيهقي في دلائل النبوة (١/١٧١) . أقول : وإسناده ضعيف .
- (٣) مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
- (٤) في دلائل النبوة (١/١٧٦) والطبراني في « الأوسط » رقم (٦٢٨٥) وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي .
- (٥) في الدلائل : عن أبي سلمة فقط .
- (٦) في الدلائل (١/١٧٦) .
- (٧) في المطبوع من الدلائل : « يصح به » وهو تحريف .

فبعضها يؤكدُ بعضاً ، ومعنى جميعها يرجعُ إلى حديثِ واثلة بن الأسقع<sup>(١)</sup> ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا المعنى يقول أبو طالب يمتدح النبي ﷺ : [ من الطويل ]

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ      فَعَبْدُ مَنْافٍ سِرُّهَا وَصِمِيمُهَا<sup>(٢)</sup>  
 فَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عِبْدِ مَنْافِهَا      ففِي هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا  
 وَإِنْ فَخَرْتُ يوماً فَإِنَّ مُحَمَّدًا      هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا  
 تَدَاعَتْ قَرِيشٌ غُثُّهَا وَسَمِينُهَا      عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا  
 وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقَرُّ ظُلَامَةً      إِذَا مَا ثَنَوْا صُغَرَ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا  
 وَنَحْمِي حِمَاها كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ      وَنَضْرِبُ عَنْ أَحْجَارِهَا مِنْ يَرُومِهَا  
 بِنَا انْتَعَشَ الْعُودُ الدَّوِيُّ وَإِنَّمَا      بِأَكْنَانِنَا تَنْدَى وَتَنْمَى أَرْوَمُهَا<sup>(٣)</sup>

وقال أبو السُّكَيْنِ<sup>(٤)</sup> زكريا بن يحيى الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور : حَدَّثَنِي عُمُّ أَبِي زَخْرُ بنِ حِصْنٍ - عَنْ جَدِّهِ حُمَيْدِ بْنِ مُنْهَبٍ قَالَ : قَالَ جَدِّي خُرَيْمُ بْنُ أَوْسٍ : هَاجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ مَنْصَرَفُهُ مِنْ تَبُوكَ ، فَأَسْلَمْتُ ، فَسَمِعْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِّحَكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهَ فَاكٌ » . فَأَنْشَأَ يَقُولُ<sup>(٥)</sup> : [ من المنسرح ]

مَنْ قَبْلَهَا طُبَّتْ فِي الظَّلَالِ وَفِي      مُسْتَوْدِعٍ ، حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ<sup>(٦)</sup>  
 ثُمَّ هَبَطَتِ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ      أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقٌ  
 بَلْ نُظْفَةُ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ      أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ

- (١) في الدلائل بعد هذا : « وأبي هريرة » ، وهي زيادة مهمة .
- (٢) سر الحسب : أوسطه ، يقال : فلان في سر قومه ، أي في أفضلهم . اللسان ( سر ) .
- (٣) قوله : الدَّوِيُّ ، من ذَوِي يَدَوَى - وهي لغة - ذَبَلٌ وضعف . وهو في ( ح ، ط ) « الذواء » ، والمثبت من الديوان . الأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل . اللسان ( أرم ) . والأبيات في ديوان شيخ الأباطح ص ٢٥ وسيرة ابن هشام (٢٦٩/١) . وإلى جانب البيت الأخير في القصيدة في ح ما نصه بلغ ، أي بلغ مقابلة .
- (٤) في ( ط ) : أبو السكَن تصحيف ، والمثبت من ح ، وحاشية الإكمال (٣١٥/٢) رقم (٢) نقلاً عن عبد الغني .
- (٥) الأبيات في تاريخ ابن عساكر ، السيرة النبوية ، القسم الأول (ص ٢٠٩) والأسماء المبهمة للخطيب (ص ٢٤٩) ومجمع الزوائد (٢١٧/٨ و ٢١٨) وأورد ابن منظور أربعة منها في اللسان : ( صلب ، خصف ، أفق ، نطق ، ظلل ، همن ) . وعزيت الأربعة الأولى منها إلى حسان بن ثابت كما سيأتي ، وهي في ديوانه (٤٩٨/١) تحقيق وليد عرفات ط لندن ١٩٧١م) وأوردها القاضي عياض في الشفاء (١/١٦٧ ، ١٦٨ وزاد :
- يَا بَرْدَ نَارِ الْخَلِيلِ يَا سَبِيًّا      لِعِصْمَةِ النَّارِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
- ورويت الأبيات بتمامها مع زيادات مشروحة في شرح المواهب (٩٨/٣ - ١٠٠) .
- (٦) أي في الجنة حيث خصف آدم وحواء - عليهما السلام - عليهما من ورق الجنة . أي يلزقان بعضه على بعض ليسترابه عورتها ، أي يطابقان بعض الورق على بعض . اللسان ( خصف ) .



تُنْقَلُ من صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ<sup>(١)</sup>  
 حَتَّى احْتَوَى بَيْتُكَ الْمُهَيَّمُنُ مِنْ خِنْدَفٍ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ أَلْ أَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفُقُ<sup>(٣)</sup>  
 فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي أَلْ نُورٍ وَسُبُلَ الرِّشَادِ نَخْتَرِقُ<sup>(٤)</sup>

وقد رُوي هذا الشعر لحسان بن ثابت ؛ فروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر<sup>(٥)</sup> من طريق أبي الحسن بن أبي الحديد ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا عبد السلام بن أحمد بن محمد<sup>(٦)</sup> القرشي ، حدثنا أبو حَـصِين محمد بن إسماعيل بن محمد التميمي ، حدثنا محمد بن عبد الله الزاهد الخراساني ، حدثني إسحاق بن إبراهيم بن يَّان<sup>(٧)</sup> ، حدثنا سلام بن سليمان أبو العباس المكفوف المدائني ، حدثنا ورقاء بن عمر ، عن ابن أبي نَجِيج ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس قال : سألتُ رسول الله ﷺ فقلت : فداك أبي وأمي ، أين كنتَ وأدم في الجنة ؟ قال : فتبسَّمتُ حتى بدتُ نواجذه ثم قال : « كنت في صُلبه ورُكِبَ بي السفينة في صُلب أبي - نوح - وقُذِفَ بي في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتقِ أبوايَ على سفاح قط ، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحَسِيبَةِ إلى الأرحام الطاهرة ، صفتي مهدي ، لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي ، وبالإسلام عهدي ، ونشر في التوراة والإنجيل ذكري ، وبَيَّنَ كُلُّ نَبِيٍّ صفتي ، تشرق الأرضُ بنوري ، والغمامُ لوجهي وعلمني كتابه - ورُوي :

(١) أراد بالصَالِبِ الصُّلْبَ . والطَبَقُ : القرن ، أراد : إذا مَضَى قرن ظهر قرن . اللسان ( صلب ، طبق ) . والصالب : بفتح اللام ، كذا ضبط في اللسان ضبط قلم ، وفي القاموس وشرحه بكسرها ضبط قلم أيضاً وذكر محقق التاج أن الكسر ضبط التكملة أيضاً .

(٢) « النُّطُق » : جمع نطاق ، وهي أوساط الجبال العالية ، وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض ، أي نواح وأوساط منها ، شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس ؛ ضربه مثلاً له في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته ، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال ، وأراد ببيته شرفه . والمهيمن نعته ؛ أي حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف . اللسان ( نطق ، همن ) . وخندف هي ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهي امرأة الياس بن مضر ، خرجت تسرع ، فقال لها إلياس : أين تخندفين ؟ فسميت خندف ، والخندفة ضرب من المشي . جمهرة ابن الكلبي (ص ٧٥ ، ٧٦) .

(٣) أنت الأفق ذهاباً إلى الناحية ؛ وضاءت لغة في أضاءت . اللسان ( أفق ) .

(٤) رواية ابن عساكر : تخترق . وسكَّن الباء من « سبل » ليستقيم الوزن ، وحقها الضم . وهذا من الضرائر الشعرية الضرائر (ص ١٧١) .

(٥) في تاريخ ابن عساكر - السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٦) في ط : عبد السلام بن محمد بن أحمد ، والمثبت من ( ح ) وتاريخ ابن عساكر .

(٧) في ط : سنان وهو خطأ ، وفي تاريخ ابن عساكر : بُنان ، وكذا في الإكمال (١/ ٣٦٤) وذكر محققه في الحاشية : وقيل ابن بيان ، بفتح الموحدة تليها مثناة تحت مفتوحة مخففة . كما في التوضيح . وهو ما جاء في أصلنا ( ح ) .

في صحابه<sup>(١)</sup> - وشقَّ لي اسماً من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد<sup>(٢)</sup> ، ووعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر ، وأن يجعلني أول شافعٍ وأول مُشفّع ، ثم أخرجني من خير قرنٍ لأمتي ، وهم الحمّادون ، يأمرّون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . قال ابن عباس : فقال حسان بن ثابت في النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> : | من المنسرح |

من قَبَلَهَا طِبَّتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي      مُتَوَدِّعَ يَوْمٍ يُخَصِّفُ الْوَرَقَ<sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ سَكُنْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ      أَنْتَ وَلَا نُطْفَةٌ وَلَا عَلَقٌ  
مُطَهَّرٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ      أَلْجَمَ نَسْراً وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ  
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ<sup>(٥)</sup> إِلَى رَحِمٍ      إِذَا مَضَى طَبَقٌ بَدَا طَبَقٌ

فقال النبي ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ حَسَّانَ » فقال عليّ بن أبي طالب : وَجِبْتَ الْجَنَّةَ لِحَسَّانٍ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ . ثم قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث غريب جداً - قلت : بل منكر جداً<sup>(٦)</sup> - والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضي الله عنه . ثم أوردها من حديث أبي السُّكَيْنِ زكريا بن يحيى الطائي كما تقدم . قلت : ومن الناس من يزعم أنها للعباس بن مُرْدَاسِ السُّلَمِيِّ . فالله أعلم .

تنبيه : قال القاضي عياض في كتابه « الشفا »<sup>(٧)</sup> : وأما أحمد الذي أتى في الكتب ، وبشّرت به الأنبياء ، فمَنَعَ اللَّهُ بِحُكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ ، وَلَا يُدْعَى بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ ، حَتَّى لَا يَدْخُلَ لَيْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٍّ ؛ وَكَذَلِكَ مُحَمَّدٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَا غَيْرِهِمْ ، إِلَى أَنْ شَاعَ قُبَيْلُ<sup>(٨)</sup> وجوده [ ﷺ ] وميلاده ، أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ؛ فَسَمَّى قَوْمٌ قَلِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ ، رَجَاءً أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ هُوَ [ وَ ] ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [ الأنعام ١٢٤ ] وهم : محمد بن أُحَيْحَةَ بن الجُلَاحِ

(١) يعني : وعلمني كتابه في صحابه ، ورواية ابن عساكر : ورواني في صحابه ، وفي ( ط ) : وعلمني كتابه وزادني [ شرفاً ] في سمائه .

(٢) زادت ( ط ) : وأحمد ، وليست هذه الزيادة في ( ح ) ولا في تاريخ ابن عساكر .

(٣) انظر تخريج الأبيات ( ص ٢٧ ) الحاشية (٤) من هذا الجزء .

(٤) كذا رواية البيت في ( ح ) وتاريخ ابن عساكر . وقد أصابه زحاف الخَبَلِ في أوله بحذف « من » .

(٥) في ( ح ) : صلبة ، وفي تاريخ ابن عساكر ، صلب ، والمثبت من اللسان والرواية التي في الصفحة السابقة .

(٦) أثبت في هامش ( ح ) بخط مغاير تحت كلمة فائدة ما يأتي : ذكر ابن عراق في « تنزيه الشريعة » أن ابن عساكر كثيراً ما يقتصر في وصف الحديث بالنعارة ، وهو عنده موضوع ، يعرف ذلك بمراجعة كتابه . انتهى .

قلت : هو علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق الكتاني المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتابه « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة » .

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ( ١ / ٢٢٩ ، ٢٣٠ ) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٨) في ح ، ط : قبل ، والمثبت من الشفا .

الأوسي ، ومحمد بن مَسْلَمَةَ<sup>(١)</sup> الأنصاري ، ومحمد بن البراء البكري<sup>(٢)</sup> ، ومحمد بن سفيان بن مُجَاشِع ، ومحمد بن حُمُرَان الجُعْفِي ، ومحمد بن خُزَاعِي السُّلَمِي لا سابع لهم . ويقال : إنَّ أول من سُمِّي محمداً : محمد بن سفيان بن مجاشع ؛ واليَمَنُ تقول : بل محمد بن اليُحْمَد من الأزد . ثم إنَّ الله حمى كلَّ من تسمَّى به أن يدَّعي النبوة أو يدَّعيها له أحد ، أو يظهر عليه سببُ يشكُّك أحداً في أمره ، حتى تحقَّقت السَّمَتَانِ<sup>(٣)</sup> له ﷺ [ و ] لم يَنَارَعْ فيهما .

هذا لفظه .

### باب مولد رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً

ولد صلوات الله عليه وسلامه يوم الاثنين . لما رواه مسلم في صحيحه<sup>(٤)</sup> من حديث غِيلَان بن جَرِير سمع عبد الله بن معبد الزَّمَانِي ، عن أبي قتادة ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله ! ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، وأنزل عليَّ فيه » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدَّثنا موسى بن داود ، حدَّثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَش الصَّنَعَانِي ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، واستُنْبِئ يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . تفرَّد به أحمد .

ورواه ابن عُفَيْر وابن بُكَيْر<sup>(٦)</sup> عن ابن لهيعة ، وزاد : نزلت سورة المائدة يوم الاثنين : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [ المائدة : ٣ ] .

وهكذا رواه بعضهم عن موسى بن داود به ، وزاد أيضاً : وكانت وقعة بدر يوم الاثنين . وممن قال هذا يزيد بن أبي حبيب<sup>(٧)</sup> ، وهذا منكر جداً .

(١) في ح ، ط : سلمة ، والمثبت من الشفا وسيرة ابن هشام (١/٦٨٦) .

(٢) في ح ، ط : الكندي ، تحريف ، والمثبت من الشفا ، والإصابة (٣/٥٠٩) .

(٣) في ط : الشيمتان والمثبت من ح والشفا .

(٤) صحيح مسلم (١٩٧) الصيام باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر .

(٥) في مسنده ٢٧٧/١ رقم (٢٥٠٦) ، وإسناده ضعيف بطوله لضعف ابن لهيعة وعند مسلم عن أبي قتادة رقم (١١٦٢)

(١٩٨) أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين فقال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل عليَّ » وعن عائشة عند البخاري

رقم (١٣٨٧) وفيه أن أبا بكر قال لها : في أي يوم توفي رسول الله ؟ قالت : يوم الاثنين .

(٦) في ( ح ) : رواه ابن عفرا وأبو بكر ، وفي ط : ورواه عمرو بن عفير ، والمثبت هو الصواب إن شاء الله ، ورواية

كل من سعيد بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير في تاريخ ابن عساكر السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٥٤) .

(٧) في ط : يزيد بن حبيب سقط منه لفظ أبي ، والمثبت من ح وهو يزيد بن سويد الأزدي أبو رجاء توفي سنة ١٢٨ هـ

ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦/٣١) .

قال ابن عساكر<sup>(١)</sup> والمحفوظ أن بدرأ ونزول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة : ٣] يوم الجمعة .  
وصدق ابن عساكر .

وروى عبيد الله بن عمر عن كُريب ، عن ابن عباس : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين<sup>(٢)</sup> .  
وهكذا روي من غير هذا الوجه عن ابن عباس أنه ولد يوم الاثنين . وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد ﷺ يوم الاثنين .

وأبعد بل أخطأ من قال : ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلّت من ربيع الأول . نقله الحافظ ابن دحية<sup>(٣)</sup> فيما قرأه من كتاب « إعلام الوري بأعلام الهدى » لبعض الشيعة . ثم شرع ابن دحية في تضعيفه ، وهو جدير بالتضعيف ، إذ هو خلاف النص . ثم الجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول ، فقليل : لليلتين خلّتا منه . قاله ابن عبد البرّ في « الاستيعاب »<sup>(٤)</sup> ، ورواه الواقدي<sup>(٥)</sup> عن أبي معشر نجيج بن عبد الرحمن المدني .

وقيل : لثمان خلّون منه حكاة الحميدي<sup>(٦)</sup> عن ابن حزم . ورواه مالك ، وعُقَيْل ، ويونس بن يزيد ، وغيرهم ، عن الزُّهري عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعَم ، ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صحّحوه ، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي ، ورّجّحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه « التنوير في مولد البشير النذير » .

وقيل : لعشر خلّون منه . نقله ابن دحية في كتابه . ورواه ابن عساكر<sup>(٧)</sup> عن أبي جعفر الباقر ، ورواه مجالد عن الشعبي كما مر .

وقيل : لثنتي عشرة خلّت منه ، نصّ عليه ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> ؛ ورواه ابن أبي شيبه في « مصنفه »<sup>(٩)</sup> عن

- (١) في تاريخه ( السيرة النبوية - القسم الأول ) ص ٥٦ .
- (٢) أخرجه ابن عساكر السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٥٥) .
- (٣) هو عمر بن الحسن أبو الخطاب بن دحية الأندلسي الكلبي ، توفي سنة ٦٣٣ هـ ، وكتابه الذي نقل منه المصنّف هو التنوير في مولد البشير النذير كما سيأتي ، أو التنوير في مولد السراج المنير كما سيأتي في ترجمته (١٣/ ١٤٤ ، ١٤٥) من هذا الكتاب نسخة (ط) .
- (٤) الاستيعاب (٣٠ / ١) بتحقيق البجاوي .
- (٥) قول الواقدي هذا في طبقات ابن سعد (١ / ١٠٠) .
- (٦) هو محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي المتوفى ٤٨٨ هـ والغالب على الظن أن قوله هذا في كتابه بلغة المستعجل نسخة منه في أنقرة . تاريخ بروكلمان (١٠٣ / ١٠٦) وأعلام الزركلي (٦ / ٣٢٧ ، ٣٢٨) وكشف الظنون (١ / ٢٥٢) ومقدمة جذوة المقتبس (ص ٩) و(١٢ / ١٥٣) من هذا الكتاب (ط) .
- (٧) في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٦٢) .
- (٨) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١ / ١٥٨) .
- (٩) لم أجد هذا الحديث في مصنف ابن أبي شيبه ، وقد ذكر الهندي في كتر العمال (١٢ / ٤٤٤ ، ٤٤٥) أحاديث بنحوه =

عَقَّان عن سعيد بن مِيناء عن جابر وابن عباس أنهما قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل ، يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم .

وقيل : لسبع عشرة خلت منه كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة .

وقيل : لثمان بَقِين منه ، نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع ابن الحافظ أبي محمد بن حزم ، عن أبيه . والصحيح عن ابن حزم الأول أنه لثمان مَضِين منه كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت .

والقول الثاني : أنه ولد في رمضان ، نقله ابن عبد البر عن الزُّبَيْر بن بَكَّار ، وهو قولٌ غريبٌ جداً ، وكان مستنده أنه عليه الصلاة والسلام أُوحى إليه في رمضان بلا خلاف ، وذلك على رأس أربعين سنةً من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وهذا فيه نظر والله أعلم .

وقد روى خَيْثَمَة بن سليمان الحافظ عن خلف بن محمد - كُرْدُوس الواسطي - عن المعلّى بن عبد الرحمن ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول ، وأنزلت عليه النبوة يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول ، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول .

وهذا غريب جداً ، رواه ابن عساكر<sup>(١)</sup> .

قال الزبير بن بَكَّار : حملت به أمُّه في أيام التشريق ، في شَعْب أبي طالب ، عند الجُمرة الوسطى ، وولد بمكة بالدار المعروفة بمحمد بن يوسف - أخي الحَجَّاج بن يوسف - لثنتي عشرة خلت من شهر رمضان .

ورواه الحافظ ابن عساكر<sup>(٢)</sup> من طريق محمد بن عثمان بن عقبة بن مكرم ، عن المسيّب بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه قال : حُمِل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحَرَّم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، سنة ثلاثٍ وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وذكر غيره أنَّ الحَيزُران - وهي أمُّ هارون الرشيد - لما حَجَّتْ أمرت ببناء هذه الدار مسجداً . فهو يعرف<sup>(٣)</sup> بها اليوم .

وذكر السُّهيلي<sup>(٤)</sup> أنَّ مولده عليه الصلاة والسلام ، كان في العشرين من نَيْسان ، وهذا أعدل الأزمان

=  
(١) ورمز فيها إلى ابن عساكر ، ولم يرمز في أي منها إلى ابن أبي شيبة . وأورده المؤلف في (١٠٩/٣) وقال : فيه انقطاع .  
(٢) في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٥٥) وتماه : وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول .

(٣) في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٥٤) .

(٤) في ح : وتعرف بها اليوم .

(٤) قول السهيلي في الروض الأنف (١/ ١٨٤) بلفظ مختلف .



والفصول ، وذلك لسنة ثنتين وثمانين وثمانمئة لذي القرنين ، فيما ذكر أصحاب الزَّيْج . وزعموا أن الطَّالِعَ كان لعشرين درجةً من الجَدِّي ، وكان المُشْتَرِي وَزَحَلَ مقترنين في ثلاث دَرَج من العقرب وهي دَرَجَةٌ وَسَطُ السماء . وكان موافقاً من البروج الحَمَل ، وكان ذلك عند طلوع القمر أوَّلَ الليل .

نقله كلُّه ابنُ دَحِيَّة والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل .

وهذا هو المشهور عن الجمهور . قال إبراهيمُ بن المنذر الحِزَامِي : وهو الذي لا يشكُّ فيه أحدٌ من علمائنا أنه عليه الصلاة والسلام وُلد عام الفيل ، وبُعِثَ على رأس أربعين سنةً من الفيل .

وقد رواه البيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث أبي إسحاق السَّبَّيعي ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس قال : ولد رسولُ الله ﷺ عام الفيل .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنِي المطلب بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمَةَ ، عن أبيه ، عن جدِّه قيس بن مَخْرَمَةَ ، قال : ولدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عام الفيل ، كنا لِدَيْنِ<sup>(٤)</sup> .

قال : وسأل عثمانُ رضي الله عنه قَبَاتَ بن أَشِيمَ أَخا بني يَعمَرَ بن لَيْث : أنت أكبرُ ، أم رسولُ الله ﷺ ؟ فقال : رسولُ الله ﷺ أكبرُ مِنِّي وأنا أقدمُ منه في الميلاد ، ورأيتُ خِثْيَ الفيلِ أخضرَ مُحِيلاً<sup>(٥)</sup> . ورواه الترمذي<sup>(٦)</sup> والحاكم<sup>(٧)</sup> من حديث محمد بن إسحاق به .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وكان رسول الله ﷺ عام عُكَاظِ ابنَ عشرين سنة .

وقال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : كان الفِجَارُ بعد الفيل بعشرين سنة ، وكان بناءُ الكعبة بعد الفِجَارِ بخمس عشرة سنة ، والمَبْعَثُ بعد بنائها بخمس سنين . وقال محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم : كانت عُكَاظُ بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، وبناء الكعبة بعد عُكَاظِ بعشر سنين ، والمبعث بعد بنائها بخمس عشرة سنة . وروى الحافظ

(١) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١٥٨/١) بلفظ مختلف .

(٢) في الدلائل (٧٥/١) .

(٣) قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١٥٩/١) .

(٤) لفظ ابن إسحاق : فنحن لِدَان ، وفي رواية لابن عساكر ص ٦٠ : لدتان ، واللدة : التزب ، وهو الذي يولد معك في وقت واحد . تقول : هما لدان ، وهم لدات ، ولدون : انظر اللسان والتاج ( ولد ، لدي ) .

(٥) « خِثْيُ الفيل » : يعني روثه . و« محيل » : متغير . اللسان ( خثي ، حول ) .

(٦) في جامعه (٣٦١٩) في المناقب باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ وقال : حسن غريب .

(٧) المستدرك (٦٠٣/٢ و ٤٥٦/٣) .

(٨) قول ابن إسحاق في المستدرك (٦٠٣/٢) وسيرة ابن هشام (١٨٦/١) .

(٩) سيرة ابن هشام (١٨٦/١) .

البيهقي<sup>(١)</sup> من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المدني ، حدثنا الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث قال : سمعتُ عبد الملك بن مروان يقول لِقَبَاتِ بْنِ أَشِيمِ الْكِتَانِي ثُمَّ اللَّيْثِي : يَا قَبَاتُ ، أَنْتَ أَكْبَرُ ، أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْنُ ؛ وَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ ، وَوَقَفْتُ بِي أُمِّي عَلَى رَوْثِ الْفِيلِ مُحِيلًا أَعْقَلَهُ . وَتُبِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٢)</sup> : [ حدثنا أحمد بن الخليل ] حدثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، حدثنا نعيم - يعني ابن مَيْسَرَةَ - عن بعضهم عن سُويد بن غَفَلَةَ قَالَ : أَنَا لِدَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَدْتُ عَامَ الْفِيلِ .

قال البيهقي<sup>(٣)</sup> : وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سُويد بن غَفَلَةَ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَنَتَيْنِ .

قال يعقوب<sup>(٤)</sup> : وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَنْذَرِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ النَّوْفَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ : وَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفِيلِ ، وَكَانَتْ بَعْدَهُ عُكَاظُ بِخَمْسَةِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبُنِيَ الْبَيْتُ عَلَى رَأْسِ خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ ، وَتَبَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ الْفِيلِ .

والمقصود أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَدَ عَامَ الْفِيلِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ ، فَقِيلَ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ ، وَقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقِيلَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا - وَهُوَ أَشْهُرُ - وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ ، كَانَ قَدُومُ الْفِيلِ لِلنَّصَفِ مِنَ الْمُحَرَّمِ ، وَمَوْلِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ بِخَمْسٍ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً ، وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ عَامُ الْفِيلِ قَبْلَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرٍ سَنِينَ . قَالَه ابْنُ أَبَزَى . وَقِيلَ بِثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، رَوَاهُ شُعَيْبُ بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ كَمَا تَقَدَّمَ . وَقِيلَ بَعْدَ الْفِيلِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً ، قَالَه مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَاخْتَارَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ .

وقال أبو زكريا العجلاني : بَعْدَ الْفِيلِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا . رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ<sup>(٥)</sup> . وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ مَا قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ خِيَّاطٍ<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنِي شُعَيْبُ بْنُ حَيَّانَ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْفِيلِ بِخَمْسَةِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَمَنْكَرٌ وَضَعِيفٌ أَيْضًا<sup>(٧)</sup>

قال خَلِيفَةُ بْنُ خِيَّاطٍ<sup>(٨)</sup> : وَالْمَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَ عَامَ الْفِيلِ .

(١) في الدلائل (١/ ٧٧ ، ٧٨) وما بين معقوفين منه .

(٢) في المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) وما بين معقوفين منه .

(٣) في الدلائل (١/ ٧٩) .

(٤) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٠) وهو القسم المفقود من كتابه .

(٥) في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٦٣) .

(٦) في تاريخه (ص ٥٣) .

(٧) لأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح باذام ، وقد قال الكلبي : « قال لي أبو صالح : كُلُّ مَا حَدَّثْتُكَ كَذِبٌ » (الميزان ١/ ٢٩٦) .

(٨) في تاريخه (ص ٥٣) .

## صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام

قد تقدّم أنّ عبد المطلب لما ذبح تلك الإبل المئة عن ولده عبد الله ، حين كان نذراً ذبحه فسلّمه الله تعالى ، كان قدّر في الأزل من ظهور النبي الأمي ﷺ ، خاتم الرسل وسيّد ولد آدم من صلبه ؛ فذهب كما تقدّم ، فزوجه أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهرية . فحين دخل بها وأفضى إليها حملت برسول الله ﷺ ، وقد كانت أمّ قتال رقيقة بنت نوفل - أخت ورقة بن نوفل - توسّمت ما كان بين عيني عبد الله قبل أن يجمع آمنة من النور ، فودّت أن يكون ذلك متصلاً بها لما كانت تسمع من أخيها من البشارات بوجود محمد ﷺ ، وأنه قد أزف زمانه ، فعرضت نفسها عليه . قال بعضهم : ليتزوجها - وهو أظهر والله أعلم - فامتنع عليها ، فلما انتقل ذلك النور الباهر إلى آمنة بمواقعة إياها كأنه تندّم على ما كانت عرضت عليه ، فتعرّض لها لتعاوده ، فقالت : لا حاجة لي فيك . وتأسفت على ما فاتها من ذلك ، وأنشدت في ذلك ما قدّمناه من الشعر الفصيح البليغ<sup>(١)</sup>

وهذه الصيانة لعبد الله ليست له ، وإنما هي لرسول الله ﷺ ، فإنه كما قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [ الأنعام : ١٢٤ ] . وقد تقدّم الحديث المروي من طريق جيدة : أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ولدت من نكاح لا من سفاح »<sup>(٢)</sup> .

والمقصود أنّ أمّه حين حملت به توفي أبوه عبد الله وهو حمل في بطن أمه على المشهور .

قال محمد بن سعد<sup>(٣)</sup> : حدّثنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدّثنا موسى بن عبيدة الرّبدي<sup>(٤)</sup> [ عن محمد بن كعب ] ، وحدّثنا سعيد بن أبي زيد عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزة في غير من غيرات<sup>(٥)</sup> قريش يحملون تجارات . ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا ، فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال : [ أنا ] أتخلّف عند أخوالي بني عديّ بن النّجار . فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن ابنه عبد الله ، فقالوا : خلّفناه عند أخواله بني عديّ بن النّجار وهو مريض . فبعث إليه

(١) (ص ١٤) من هذا الجزء .

(٢) (ص ٢٣) من هذا الجزء .

(٣) في الطبقات (٩٩/١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في ط : اليزيدي ، تصحيف ، والمثبت من ح والطبقات والإكمال (١٤٢/٤) وترجمته في تهذيب التهذيب (٣٥٦/١٠) .

(٥) في ح ، ط : عيران ، تصحيف ، والمثبت من الطبقات ، وغيرات : كعنبات ، وقد تسكن ياؤه ، جمع غير ، وهي الإبل التي تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها . قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء . اللسان والتاج ( غير ) .

عبد المطلب أكبر ولده الحارث . فوجده قد توفّي ، ودُفن في دار النابتة<sup>(١)</sup> - [ وهو رجلٌ من بني عديّ بن النجار ، في الدار التي إذا دخلتها فالذؤيرة عن يسارك - وأخبره أخواله بمرضه وبقياهم عليه ، وما ولّوا من أمره ، وأنهم قبروه ] ، فرجع إلى أبيه فأخبره ، فوجد<sup>(٢)</sup> عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً ، ورسول الله ﷺ يومئذ حَمَل . ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفّي خمسٌ وعشرون سنة .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : هذا هو أثبت الأقاويل في وفاة عبد الله وسنّه عندنا .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وحدّثني معمر عن الزُّهري أن عبد المطلب بعث عبد الله إلى المدينة يمتار له تمرأ فمات .

قال محمد بن سعد<sup>(٤)</sup> : وقد أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عَوانة بن الحكم قالا : توفّي عبد الله بن عبد المطلب بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانيةً وعشرون شهراً ، وقيل سبعة أشهر .

وقال محمد بن سعد<sup>(٤)</sup> : والأول أثبت أنه توفّي ورسول الله ﷺ حَمَل .

وقال الزُّبير بن بَكَار : حدّثني محمد بن حسن ، عن عبد السلام ، عن ابن خَرَبُوذ قال : توفّي عبد الله بالمدينة ورسول الله ﷺ ابن شهرين ، ومات أمه وهو ابن أربع سنين ، ومات جدّه وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى عمّه أبي طالب .

والذي رجّحه الواقدي وكاتبه الحافظ محمد بن سعد ، أنه عليه الصلاة والسلام توفّي أبوه وهو جنينٌ في بطن أمّه . وهذا أبلغ اليُتم وأعلى مراتبه .

وقد تقدم في الحديث<sup>(٥)</sup> « ورؤيا أُمّي التي رأْتُ حين حَمَلْتُ بي كأنّه خرج منها نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشام » .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فكانت آمنة بنت وَهْب أمُّ رسولِ الله ﷺ تحدّث أنها أُتيَتْ حين حَمَلَتْ برسولِ الله ﷺ فقيل لها : إِنَّكِ قد حَمَلْتِ بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولِي : [ من الرجز ]

(١) كذا في ح ، ط : والطبقات وتاريخ ابن الأثير (١٠/٢) وفي تاريخ الطبري (٢٤٦/٢) وقيل التابعة ، وبه جزم الزرقاني في شرح المواهب (١٣٢/١) وقال : بفوقية فموحدة فعين مهملة كما في الزهر الباسم .

(٢) وجد : حزن ، ويقال بكسر الدال وضمها . التاج ( وجد ) .

(٣) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (٩٩/١) .

(٤) في الطبقات (١٠٠/١) .

(٥) تقدم الحديث في (٨٥/٢) من (ط) ، وانظر ما سيأتي ص ٣٨ من هذا الجزء .

(٦) في سيرة ابن إسحاق (ص ٢٢) وط حميد الله وأخرجه البيهقي في الدلائل (٨٢/١) وابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٦٨) وابن إسحاق في المغازي والسير (ص ٤٥) وابن هشام في السيرة (١٥٨/١) .

أَعِيْذُهُ بِالوَاحِدِي<sup>(١)</sup>  
 مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِي  
 فِي كُلِّ بَرٍّ عَاهِدِي<sup>(٢)</sup>  
 وَكُلِّ عَبْدٍ رَائِدِي  
 [يَرُّ] وَدُ غَيْرَ رَائِدِي<sup>(٣)</sup>  
 عَبْدُ الْحَمِيدِ الْمَاجِدِي  
 حَتَّى أَرَاهُ وَقَائِدَ الْمَشَاهِدِي<sup>(٤)</sup>

وآية ذلك أنه يخرج معه نورٌ يملأ قصورَ بُصْرَى من أرض الشام ، فإذا وقع فسَمِيهَ محمداً ، فإنَّ اسمه في التوراة أحمد ، يَحْمَدُهُ أهلُ السماء وأهلُ الأرض ، واسمه في الإنجيل أحمد ، يَحْمَدُهُ أهلُ السماء وأهلُ الأرض ، واسمه في القرآن محمد<sup>(٥)</sup> .

وهذا وذاك يقتضي أنها رأَتْ حين حملَتْ به عليه الصلاة والسلام ، كأنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام . ثم لما وضعته رأَتْ عياناً تأويلَ ذلك كما رأته قبل ذلك ها هنا . والله أعلم .

وقال محمد بن سعد<sup>(٦)</sup> : أنبأنا محمد بن عمر - هو الواقدي - حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري (ح)<sup>(٧)</sup> وقال الواقدي : وحدثنا موسى بن عُبَيْدة عن أخيه ، ومحمد بن كعب القُرْظِي (ح) وحدثني عبد الله بن جعفر الزُّهْرِي ، عن عَمَّتِهِ أُمِّ بَكْر بنتِ الْمُسَوَّرِ ، عن أبيها ح وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المَدَنِي<sup>(٨)</sup> وزياد بن حَشْرَج ، عن أبي وَجْزَةَ . وحدثنا معمر ، عن ابن أبي نَجِيج ، عن مجاهد (ح) وحدثنا

- (١) كذا في ح بإثبات ياء الوصل بعد حرف الروي في سائر الأبيات ، ويسمى العروضيون وصلًا لأنها تصل حركة حرف الروي المكسور ، كما في الوافي للتبريزي (ص ٢٢٥) .
- (٢) « البر » : ضد البحر وعاهد : اسم فاعل من عهد صفة لحاسد ، أي يتعهده بالحسد أينما سار ، كأنه لا ينفك عن حسده . شرح الموهب (١/١٢٩) . وفي سيرة ابن إسحاق (عامد) .
- (٣) « الرائد » : الذي يتقدم بمكرهه ، وهو طالب السوء . يرود : يطلبه له . غير رائد : غير طالب له الكلا كناية عن أنه لا ينفعه بوجه . اللسان (رود) وشرح المواهب (١/١٢٩) . وما بين معقوفين من الدلائل وابن عساكر وفي سيرة ابن إسحاق : نزول غير زائد ، وهو تصحيف .
- (٤) في ح : وسيرة ابن إسحاق والدلائل وابن عساكر : حتى أراه قد أتى المشاهد ، وفي نسخة ص : من الدلائل : حتى أراه قائد قد أتى المشاهد فكانه ذكر الروايتين معاً ، فأثبت منه ما يقيم وزن البيت ويوجه معناه . ولا يخفى : أن البيتَين الأخيرين من مشطور الرجز والباقي من منهوكه .
- (٥) زاد البيهقي : فسَمِيته كذلك .
- (٦) في الطبقات (١/١٠١ ، ١٠٢) .
- (٧) حرف الحاء في هذا الخبر يدل على تحويل السند .
- (٨) في ح : المرني وقد تقرأ المدني وفي ط : المزني ، والمثبت من الطبقات ، ولم أقف على ترجمة له .

طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - أَنَّ أَمَنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ قَالَتْ : لَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ - تَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشَقَّةً حَتَّى وَضَعْتُهُ ، فَلَمَّا فَصَلَ مِنِّي خَرَجَ مَعَهُ نَوْرٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، ثُمَّ وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِداً عَلَى يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ ، فَقَبَضَهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : وَقَعَ جَائِئاً عَلَى رِكْبَتَيْهِ ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ<sup>(١)</sup> ، وَخَرَجَ مَعَهُ نَوْرٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَأَسْوَاقُهَا حَتَّى رَأَيْتُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبَصْرَى .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ<sup>(٢)</sup> : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٣)</sup> ، حَدَّثَنَا أَبُو بَشِيرٍ<sup>(٤)</sup> مُبَشَّرُ بْنُ الْحَسَنِ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّهْرِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عِمْرَانَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ أَبِي سُوَيْدٍ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، حَدَّثَنِي أُمِّي أَنَّهَا شَهِدَتْ وَلَادَةَ أَمَنَةَ بِنْتَ وَهَبٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً وَلَدَتْهُ ، قَالَتْ : فَمَا شَيْءٌ أَنْظَرُ إِلَيْهِ فِي الْبَيْتِ إِلَّا نَوْرٌ ، وَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى النُّجُومِ تَدْنُو حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ لَيَقَعَنَّ عَلَيَّ .

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَّاضُ<sup>(٥)</sup> عَنْ الشَّافِعِيِّ<sup>(٦)</sup> أُمَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، أَنَّهَا كَانَتْ قَابِلَتَهُ ، وَأَنَّهَا أَخْبَرَتْ بِهِ حِينَ سَقَطَ عَلَى يَدَيْهَا وَاسْتَهَلَّ ، سَمِعَتْ قَائِلاً يَقُولُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، وَأَنَّهُ سَطَعَ نَوْرٌ مِنْهُ نَوْرٌ رَأَتْ مِنْهُ قُصُورَ الرُّومِ<sup>(٧)</sup>

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٨)</sup> : فَلَمَّا وَضَعْتُهُ بَعَثْتُ إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ جَارِيَتَهَا - وَقَدْ هَلَكَ أَبُوهُ وَهِيَ حُبْلَى ، وَيُقَالُ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَالنَّبِيُّ ﷺ ابْنُ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْراً ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ - فَقَالَتْ : قَدْ وُلِدَ

(١) قوله : رافعاً رأسه إلى السماء ، محله في ح ، ط في آخر الحديث ، والمثبت من الطبقات .

(٢) في دلائل النبوة (١/ ١١٠ ، ١١١) ورواه الطبري في تاريخه (٢/ ١٥٦ ، ١٥٧) عن محمد بن سنان القزاز عن يعقوب بن محمد الزهري به ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٦٥) عن البيهقي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٠) وقال : رواه الطبراني ، وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروك احترقت كتبه ، فحدث من حفظه ، فاشتد غلظه وكان عارفاً بالأنساب .

(٣) هو ابن خزيمة .

(٤) في ط : يونس بن مبشر بن الحسن تحريف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وتاريخ ابن عساكر وترجمته في تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٨) .

(٥) في الشفا (١/ ٣٦٦) بلفظ مختلف .

(٦) « الشفا » : بالقصر والمد ، كما في الإكمال (٥/ ٧٦ ح ١) .

(٧) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٤٠) من طريق النضر بن سلمة عن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أبيه وعبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف كلاهما عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : كنت أنا ورسول الله ﷺ ترباً وكانت أمي الشفا فذكر الحديث .

(٨) قول ابن إسحاق في دلائل البيهقي (١/ ١١٢) وتاريخ ابن عساكر السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٦٨ ، ٦٩) وانظره بلفظ مختلف في سيرة ابن هشام (١/ ١٥٩ ، ١٦٠) وطبقات ابن سعد (١/ ١٠٣) .



لك غلامٌ فانظرُ إليه ، فلمَّا جاءها أخبرتهُ وحدَّثتهُ بما كانت رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسمِّيَه . فأخذه عبدُ المطلب ، فأدخله على هُبُل في جوف الكعبة ، فقام عبدُ المطلب يدعو ويشكر الله عزَّ وجلَّ ويقول : [ من الرجز ]

الحمدُ لله الذي أعطاني  
هذا الغلامَ الطيِّبَ الأزدان<sup>(١)</sup>  
قد سادَ في المَهْدِ على الغلمانِ  
أعيذُه بالبيتِ ذي الأركانِ  
حتى يكونَ بُلغةَ الفتيانِ  
حتى أراه بالغِ البُنيانِ  
أعيذُه من كلِّ ذي شَنانِ  
من حاسِدٍ مضطربِ العنانِ  
ذي هَمَّةٍ ليس له عِنانِ  
حتى أراه رافعَ اللسانِ<sup>(٢)</sup>  
أنتَ الذي سُمِّيتَ في القرآنِ  
في كُتُبِ ثابتةِ المَباني<sup>(٣)</sup>  
أحمدُ مكتوبٌ على اللسانِ

وقال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ : أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حاتم الدَّارَ اَبِجَردي<sup>(٥)</sup> - بمر - حدَّثنا أبو عبد الله البوشنجي ، حدَّثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري ، حدَّثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن حارث الصُّدَّائي - بمصر - حدَّثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَخْتُوناً مَسْرُوراً ، قال فأعجب ذلك جدَّه عبد المطلب وحظيَّ عنده وقال : ليكوننَّ لابني هذا شأن . فكان له شأن<sup>(٦)</sup> .

- (١) «الأردان» : جمع رُذْن ، وهو أصل الكم . اللسان ( رذن ) وفي الأساس : كن طيب الأردان وإن لم تلبس الأردان . الأخيرة جمع رَدَن بالتحريك ، وهو الحرير والخز .
- (٢) في تاريخ ابن عساكر : البنيان .
- (٣) في ط : المثاني ، والمثبت من ح والدلائل .
- (٤) في الدلائل : ( ١١٤ / ١ ) .
- (٥) في ح : الدرايزدي ، وفي ط : الدرابودي ، والمثبت من دلائل البيهقي . ولم أقف على ترجمة له .
- (٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات ( ١٠٣ / ١ ) من طريق يونس بن عطاء عن الحكم بن أبان ونقله عنه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول ( ص ٢١٠ ) .

وهذا الحديث في صِحَّتِهِ نظر ، وقد رواه الحافظ ابن عساكر<sup>(١)</sup> من حديث سفيان بن محمد المصيصي ، عن هشيم ، عن يونس بن عُبيد ، عن الحسن ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مِنْ كرامتي على الله أني وُلِدْتُ مَخْتُوناً ولم ير سواي أحد » .

ثم أوردته<sup>(٢)</sup> من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به .

ثم أوردته<sup>(٣)</sup> من طريق محمد بن محمد بن سليمان - هو الباغندي - حدَّثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي ، حدَّثنا موسى بن أبي موسى المقدسي ، حدَّثني خالد بن سلمة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ولد رسول الله ﷺ مسروراً مختوناً .

وقال أبو نعيم<sup>(٤)</sup> : حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي ، حدَّثنا الحسين بن أحمد بن عبد الله المالكي ، حدَّثنا سليمان بن سلمة الخبائري ، حدَّثنا يونس بن عطاء ، حدَّثنا الحكم بن أبان ، حدَّثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس قال : وُلِد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً ، فأعجب ذلك جدُّه عبد المطلب وحَظِي عنده ، وقال : ليكوننَّ لابني هذا شأن . فكان له شأن .

وقد ادَّعى بعضهم صِحَّتَهُ لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كُلُّه نظر . ومعنى مختوناً : أي مقطوع الختان : ومسروراً : أي مقطوع السُرَّة من بطن أمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر<sup>(٥)</sup> من طريق عبد الرحمن بن عُيينة البصري ، حدَّثنا علي بن محمد المدائني السلمي ، حدَّثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه ، عن أبي بكرة ، أن جبريل ختنَ النبي ﷺ حين طهر قلبه . وهذا غريبٌ جداً .

وقد روي أن جدَّه عبد المطلب ختنه وعمل له دَعْوَة جمع قريشاً عليها ، والله أعلم .

وقال البيهقي<sup>(٦)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأني أحمد<sup>(٧)</sup> بن كامل القاضي - شفاهاً - أن محمد بن إسماعيل حدَّثه - يعني السلمي<sup>(٨)</sup> - حدَّثنا أبو صالح [ عبد الله بن صالح قال : <sup>(٩)</sup> حدَّثني معاوية بن صالح

(١) في تاريخه (ص ٢١١) .

(٢) (ص ٢١٢) .

(٣) (ص ٢١٣) .

(٤) في دلائل النبوة (١/١٥٤/٩٢) .

(٥) ليس الخبر في تاريخ دمشق القسم الأول والثاني من طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق . وهو في طبعة دار الفكر ٣/٤١٠ ، وأخرجه الطبراني في الأوسط ٦/٧٠ (٥٨٢١) .

(٦) في الدلائل (١/١١٣) .

(٧) في ط : محمد تصحيف والمثبت من ح والدلائل وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/٥٤٤) .

(٨) في الدلائل : أن محمد بن إسماعيل السلمي حدَّثهم .

(٩) ما بين معقوفين من الدلائل .

عن أبي الحكم التَّنُوخي . قال : كان المولود إذا وُلِدَ في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يَكْفَأَنَّ عليه بُرْمَةٌ<sup>(١)</sup> ، فلما ولد رسولُ الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة فكفأنَّ عليه بُرْمَةٌ ، فلما أصبحن أَتَيْنَ فوجدنَ البُرْمَةَ قد انفلقت عنه باثنتين ، ووجدنَه مفتوحَ العينين ، شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاَهُنَّ عبدُ المطلب ، فقلنَ له : ما رأينا مولوداً<sup>(٢)</sup> مثله ، وجدناه قد انفلقت عنه البُرْمَةُ ، ووجدناه مفتوحَ العينين<sup>(٣)</sup> ، شاخصاً ببصره إلى السماء . فقال : اخْفَظْنَهُ فَإِنِّي أرجو أن يكون له شأن ، أو أن يُصِيبَ خيراً . فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشاً ، فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب ، أرايتَ ابنَكَ هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سَمَّيْتَهُ ؟ قال سَمَّيْتُهُ محمداً . قالوا : أفرَغِبْتَ به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردتُ أن يَحْمَدَهُ اللهُ في السماء وخالقَه في الأرض .

قال أهل اللغة : كُلُّ جامعٍ لصفاتٍ الخير يُسَمَّى محمداً ، كما قال بعضهم : [ من الطويل ]

إليك - أبيت اللعن - أعملتُ ناقتي إلى الماجدِ القُرْمِ الكريمِ المحمَّدِ<sup>(٤)</sup>

وقال بعض العلماء : ألهمهم الله عزَّ وجلَّ أن سَمَّوه محمداً لما فيه من الصفات الحميدة ، ليلتقي الاسمُ والفعل ، ويتطابق الاسمُ والمسمى في الصورة والمعنى ، كما قال عمُّه أبو طالب ، ويروى لحسان<sup>(٥)</sup> .

وشقَّ له من اسمِهِ لِيُجِلَّهُ فذو العَرْشِ محمودٌ وهذا محمَّدُ

وسنذكرُ أسماءَهُ عليه الصلاة والسلام وشمائلَهُ - وهي صفاته الظاهرة وأخلاقه الطاهرة - ودلائل نبوته وفضائل منزلته في آخر السيرة إن شاء الله .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي<sup>(٦)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا أحمد بن شيبان الرَّمْلِي ، حدَّثنا أحمد بن إبراهيم الحَلَبِي<sup>(٧)</sup> ، حدَّثنا الهيثم بن جميل ، حدَّثنا زهير ، عن محارب بن دثار ، عن عمرو بن يثربي ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله ، دعاني إلى الدخول في دينك أمانةً لنبوتك ، رأيتُك في المهد تُناغي القمرَ وتشيرُ إليه بإصبعك ، فحيثُ أشرتَ إليه مال . قال : « إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ ، ويحدِّثُني ، ويُلْهِنُني عن البكاء ، وأسمعُ

(١) « يكفأن » : يَقْلِبْنَ . البُرْمَةُ : القدر . اللسان ( كفا ، برم ) .

(٢) في ح : مولداً والمثبت من ط والدلائل .

(٣) في ح ، ط : مفتوحاً عينيه والمثبت من الدلائل .

(٤) القُرْم من الرجال : السَّيِّدُ المعظم . اللسان ( قرم ) وهذا البيت من شواهد اللسان ( حمد ) وروايته « إليك أبيت اللعن كان كلالها » وعزاه للأعشى - أعشى قيس - وهو في ديوانه (ص ٢٨) وروايته : كان كلاهما .

(٥) ليس البيت في ديوان شيخ الأباطح وقد عزي لأبي طالب في خبر ساقه المعافى بن زكريا في المجلس (٢/ ٢٠٤) والبيت في ديوان حسان (١/ ٣٠٦) .

(٦) دلائل النبوة (٢/ ٤١) .

(٧) في ط : « الحبلي » وهو تحريف ، وما أثبتناه من الجرح والتعديل (٢/ ٤٠) وميزان الاعتدال (١/ ٨١) .

وَجَبَّتْ<sup>(١)</sup> حين يسجدُ تحت العرش . ثم قال : تفرَّد به الحَبَلِي<sup>(٢)</sup> وهو مجهول<sup>(٣)</sup>

## فصل

### فيما وقع من الآيات ليلة مولده عليه الصلاة والسلام

قد ذكرنا في باب هواتف الجانِّ ما تقدَّم<sup>(٤)</sup> من خُرور كثيرٍ من الأصنام ليلتئذٍ لوجوها وسقوطها عن أماكنها ، وما رآه النجاشيُّ ملكُ الحبشة ، وظهور النور معه حتى أضاءت له قصورُ الشام حين ولد ، وما كان من سقوطه جاثياً رافعاً رأسه إلى السماء ، وانفلاق تلك البُرْمة عن وجهه الكريم ، وما شوهد من النور في المنزل الذي ولد فيه ، ودنوّ النجوم منهم وغير ذلك .

حكى السهيلي<sup>(٥)</sup> عن تفسير بقيِّ بن مَخْلَد الحافظ ، أنَّ إبليسَ رَنَّ أربعَ رنَّات<sup>(٦)</sup> : حين لُعن ؛ وحين أهبط ؛ وحين وُلد رسولُ الله ﷺ ؛ وحين أنزلت الفاتحة .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وكان هشام بن عروة يحدث عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان يهوديٌّ قد سكن مكة يتجر بها ، فلما كانت الليلة التي وُلد فيها رسولُ الله ﷺ قال في مجلس من قريش : يا معشر قريش ، هل وُلد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلمه . فقال : الله أكبر ، أما إذا<sup>(٨)</sup> أخطاكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم : وُلد هذه الليلة نبيُّ هذه الأمة الأخيرة ، بين كتفيه علامةٌ فيها شعراتٌ متواتراتٌ كأنهنَّ عُزْفُ فرس ، لا يرضعُ ليلتين ، وذلك أنَّ عَفْرِيَّتاً من الجنِّ أدخلُ أصبعه في فمه ، فمنعه الرضاع .

فتصدَّع القومُ من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه ، فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كلُّ إنسانٍ منهم أهله ، فقالوا : قد والله وُلد لعبد الله بن عبد المطلب غلامٌ سمَّوه محمداً ، فالتقى القوم فقالوا : هل سمعتم حديثَ اليهودي ؟ وهل بلغكم مَوْلِدُ هذا الغلام ؟ فانطلقوا حتى جاؤوا اليهوديَّ فأخبروه الخبر ؛

(١) وَجَبَّتْ : صوت سقوطه . ومنه حديث سعيد : لولا أصوات السافرة لسمعتهم وجبة الشمس ؛ أي سقوطها مع المغيب . اللسان ( وجب ) .

(٢) في ط : « الليثي » وهو تحريف . والحَبَلِي : أحمد بن إبراهيم .

(٣) قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : « سألت أبي عنه وعرضت عليه حديثه ، فقال : لا أعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول ، يدل حديثه على أنه كذاب » ( ٤٠ / ٢ ) .

(٤) كذا في ( ح ، ط ) وباب هواتف الجانِّ سيأتي في ( ص ١٤٦ ) وذكر النجاشي في ( ص ١٧٠ ) وهذا يدل على أن باب هواتف الجانِّ منتزع من مكانه ومقدم على موضعه ، ويؤكد ذلك أيضاً قول المؤلف في ( ص ١٤٦ ) موضع الحاشية ( ٧ ) : وسيأتي قول سطيج لعبد المسيح .

(٥) في الروض الأنف ( ١ / ١٨١ ) .

(٦) « الرنة » : الصيحة الشديدة والصوت الحزين . اللسان ( رنن ) .

(٧) قول ابن إسحاق في دلائل البیهقي ( ١ / ١٠٨ ) ومستدرک الحاكم ( ٢ / ٦٠١ ، ٦٠٢ ) .

(٨) كذا في ح ، ط وفي الدلائل والمستدرک : « إذ » وهو أشبه بالصواب .

قال : فاذهبوا معي حتى أنظر إليه . فخرجوا به حتى أدخلوه على آمنة ، فقالوا<sup>(١)</sup> : أخرجي إلينا ابنك ، فأخرجته ، وكشفوا له عن ظهره ، فرأى تلك الشامة ، فوق اليهودي مغشياً عليه ؛ فلما أفاق قالوا له : مالك ويلك ؟ قال : قد ذهبَ والله النبوة من بني إسرائيل ، أفرحتم به يا معشر قريش ؟ والله ليسطونَ بكم سَطوةً يخرج خبرها من المشرق والمغرب<sup>(٢)</sup> .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدَّثني صالح بن إبراهيم عن يحيى بن [ عبد الله بن ] عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة قال : حدَّثني مَنْ شئتَ من رجالِ قومي ممَّنْ لا اتَّهم عن حَسَّان بن ثابت قال : إنِّي لغلَّامٌ يَفْعَةُ ابن سبع سنين أو ثمان سنين ، أعقلُ ما رأيتُ وسمعت ، إذا بيهوديٍّ في يثرب يَصْرُخ ذاتَ غداة : يا معشر يهودَ ؛ فاجتمعوا إليه - وأنا أسمع - فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قد طلع نجمُ أحمد الذي يولد به في هذه الليلة .

وروى الحافظُ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »<sup>(٤)</sup> من حديث أبي بكر بن عبد الله العامري ، عن سليمان بن سُحيم ورُبَيْح<sup>(٥)</sup> بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد [ الخُدري ] عن أبيه قال : سمعت أبي مالك بن سنان يقول : جئتُ بني عبد الأشهل يوماً لأتحدَّثَ فيهم ، ونحن يومئذٍ في هُدنةٍ من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودي يقول : أظَلَّ خروجُ نبيٍّ يقالُ له : أحمد ، يخرجُ من الحرم . فقال له خليفةُ بن ثعلبة الأشهلي كالمستهزئ به : ما صفته ؟ فقال : رجلٌ ليس بالقصير ولا بالطويل ، في عينه حمرة ، يلبس السَّمْلَةَ ، ويركب الحمار ، سيفُهُ على عاتقه ، وهذا البلدُ مُهاجرُهُ . قال : فرجعت إلى قومي بني خُدرة ، وأنا يومئذٍ أتعجَّبُ مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : ويوشع يقول هذا وحده ؟! كلُّ يهودٍ يثرب يقولون هذا . قال أبي مالك بن سنان : فخرجتُ حتى جئتُ بني قُرَيْظَةَ ، فأجد جمعاً ، فتذاكروا النبيَّ ﷺ فقال الزبير بن باطا : [ قد ] طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبيٍّ أو ظهوره ، ولم يبقَ [ أحد ] إلا أحمد وهذا مُهاجرُهُ . قال أبو سعيد : فلما قدم النبيُّ ﷺ [ المدينة ] أخبره أبي هذا الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أسلم الزبير وذووه<sup>(٦)</sup> من رؤساء اليهود ، إنما هم له تبع » .

- (١) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل والمستدرک : فقال : وهو أشبه بالصواب .
- (٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٦٠١ ، ٦٠٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : قلت : لا .
- (٣) في سيرة ابن إسحاق (ص ٦٣) ودلائل النبوة لأبي نعيم (ص ١٦) وما يأتي بين معقوفين منهما . ومن تهذيب التهذيب (٤/٣٧٩) في ترجمة صالح بن إبراهيم .
- (٤) دلائل النبوة (١/٧٩/٤٠) وما يأتي بين معقوفين منه .
- (٥) في ط : ذريح وفي الدلائل رميح ، وكلاهما تصحيف والمثبت من ح ، والتصحيح من الإكمال (٤/١٨٨) وميزان الاعتدال (٢/٣٨) وتهذيب التهذيب (٣/٢٣٨) .
- (٦) كذا في ط ، وفي ح ودلائل أبي نعيم ، وفي ط : لو أسلم الزبير لأسلم ذووه وهو الصواب .

وقال أبو نعيم<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا عمر بن محمد ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن السَّندي ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بن سلمة ، حَدَّثَنَا إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت ، عن أُمِّ سعد بنت سعد بن الربيع سمعت زيد بن ثابت يقول : كان أحبار يهود بني قُرَيْظَةَ والنَّضِير يذكرون صفَةَ النَّبِيِّ ﷺ ، فلما طلع الكوكبُ الأحمر أخبروا أنه نبيٌّ ، وأَنَّهُ لا نبيَّ بعده ، واسمه أحمد ، ومُهاجره إلى يثرب ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا .

وقد أورد هذه القصة الحافظ أبو نعيم في كتابه<sup>(٢)</sup> من طرق أخرى والله الحمد .

وقال أبو نعيم<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا أبو محمد بن حبان ، حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي عاصم ، حَدَّثَنَا وهبُ بن مُنبه ، حَدَّثَنَا خالد عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : قال المُؤبَذَان - حَبْرٌ من أحبار الشام - : قد خرج في بلدك نبيٌّ - أو هو خارج - قد خرج نجمُهُ ، فارجعْ فصدِّقْهُ واتَّبِعْهُ .

### ذكر ارتجاج الإيوان<sup>(٤)</sup>

#### وسقوط الشُّرُفات وخمودِ النيران ورؤيا المُؤبَذَان وغير ذلك من الدَّلالات

قال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه « هواتف الجَنَان »<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا عليُّ بن حرب ، حَدَّثَنَا أبو أيوب يعلى بن عمران - من آل جرير بن عبد الله البجلي - حَدَّثَنِي مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه - وأتت عليه خمسون ومئة سنة - قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس<sup>(٦)</sup> إيوانُ كسرى وسقطتْ منه أربع عشرة شُرْفَة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمدْ قبل ذلك بألفِ عام ، وغازتْ بُحيرة ساوَه<sup>(٧)</sup> ، ورأى المُؤبَذَان<sup>(٨)</sup> إبلاً صِعباً تقوِّدُ خيلاً عِراباً قد قطعتْ دِجْلَة

(١) في المطبوع (٣٩١ / ٧٩ / ١) بغير هذا الإسناد وسيشير المؤلف إلى ذلك بعد سطور .

(٢) ما أشرت إليه في الحاشية السابقة هي إحدى هذه الطرق ، وهذا مما يدل على أن المطبوع هو المختصر لكتاب الدلائل .

(٣) في دلائل النبوة ٨٠ / ١ .

(٤) في ط : ارتجاس إيوان كسرى .

(٥) في ح ، ط : هواتف الجان والمثبت من كتاب الخرائطي وذيل كشف الظنون (٧٢٩ / ٤) والجَنَان جمع جانّ مثل حائط وحيطان . والنص فيه (ص ١٧٩) .

(٦) فوقها في ح : ارتج ، وكتب فوقها حرف خ إشارة إلى أنها رواية نسخة ، وارتجس : اضطرب وتحرك حركة سمع لها صوت . اللسان (رجس) .

(٧) ساوَه ، بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة : مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط ، بينها وبين كل منهما ثلاثون فرسخاً . معجم البلدان (١٧٩ / ٣) (ساوَه) .

(٨) « المؤبذان للمجوس » : كقاضي القضاة للمسلمين . اللسان (موبذ) .



وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كسرى أفرعه ذلك ، فتصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرازبته ؛ فجمعهم وليس تاجه وجلس على سريرته ، ثم بعث إليهم ؛ فلما اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيما<sup>(١)</sup> بعثت إليكم ؟ قالوا : لا ، إلا أن يُخبرنا الملك . فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتابٌ بخمود النيران ، فازداد غمّاً إلى غمّه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله ، فقال الموبدان : وأنا - أصلح الله الملك - قد رأيتُ في هذه الليلة رؤيا . ثم قصّ عليه رؤياه في الإبل ، فقال : أي شيء يكون هذا يا موبدان ؟ قال : حدثٌ يكون في ناحية العرب - وكان أعلمهم في أنفسهم - فكتب عند ذلك :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ؛ أمّا بعد ، فوجّه إليّ برجلٍ عالمٍ بما أريدُ أن أسأله عنه .

فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حَيَّان بن بُقَيْلَة<sup>(٢)</sup> الغساني ؛ فلما ورد عليه قال له : ألك علمٌ بما أريدُ أن أسألك عنه ؟ فقال : لتخبرني ، أو ليسألني الملكُ عمّا أحب ، فإن كان عندي منه علم ، وإلا أخبرته بمن يعلمه . فأخبره بالذي وجّه به إليه فيه ؛ قال : علم ذلك عند خالٍ لي يسكنُ مشارفَ الشام يقال له : سَطِيح ، قال : فأتته فاسأله عما سألتك عنه ، ثم أنبئني بتفسيره . فخرج عبدُ المسيح ، حتى انتهى إلى سَطِيح ، وقد أشفى على الضريح ، فسلم عليه وكلمه ، فلم يردّ إليه سَطِيحُ جواباً ، فأنشأ يقول : [من الرجز]

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ<sup>(٣)</sup>  
أَمْ فَازَ فَازَلَمَ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنِ<sup>(٤)</sup>  
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ<sup>(٥)</sup>  
أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنِ  
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذَيْبِ بْنِ حَجَنَ  
أَزْرَقَ مَهْمُ النَّابِ صَرَّارُ الْأُذُنِ<sup>(٦)</sup>

- (١) كذا في ح بإثبات ألف ما ، وإثباتها قليل شاذ . انظر الخزانة (٩٩/٦) وما بعدها بتحقيق هارون .
- (٢) في ح ، ط : نفيلة ، وفي الهوائف : حنان بن نفيلة ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٣٤٧/١) وتاريخ ابن عساكر واللباب (١٦٧/١) .
- (٣) « الغطريف » : السيد .
- (٤) فاز : هلك ، ويروى فاد ، وهو بمعناه . ازلم : من ازلام ، وازلام بالمد : إذا ولى مسرعاً . والشأو : الغاية والسبق . والعنن : الموت . ومعنى « ازلم به شأو العنن » : ذهب به غاية الموت وسبقه ذهاباً سريعاً . منال الطالب (١٣٧/١) . والبيت في اللسان ( زلم ) .
- (٥) « الفاصل » : الحاكم المبين . الخطّة : الحالة والقضية . قوله : أعيت من ومن : أي إن هذه الخطّة لصعوبتها أعجزت كل من جلّ قدره في حلمه وحكمته ، فحذف الصلة التي لمن ومن ، كما حذفت في قولهم : بعد اللتيا والتي . منال الطالب (١٣٨/١) .
- (٦) « الأزرق » : أراد به النمر لزرقة عينيه . مهمم الناب : محدّده ، ويروى : مهو ولا مهمى ومهمى وكلها بمعنى ، =

أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنُ  
 رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنِ<sup>(١)</sup>  
 تَجُوبُ بِي الْأَرْضَ عَلَنَدَاةُ شَجَنِ<sup>(٢)</sup>  
 لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ  
 تَرْفَعُ بِي وَجْنًا وَتَهْوِي بِي وَجَنَ<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطَنِ<sup>(٤)</sup>  
 تَلْقُهُ فِي الرِّيحِ بَوَغَاءُ الدَّمَنِ<sup>(٥)</sup>  
 كَأَنَّمَا حُثِّثَ مَنْ حِضْنِي ثَكَنَ<sup>(٦)</sup>

قال : فلما سمع سَطِيح شعره رفع رأسه يقول : عبدُ المسيح ، على جملِ مُشِيح ، أتى<sup>(٧)</sup> سَطِيح ،  
 وقد أوفى على الصَّريح ، بعثك ملكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وحمود النيران ، ورؤيا  
 الموبذَّان ، رأى إبلاً صعباً ، تقوّدُ خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها ، يا عبدُ المسيح ،  
 إذا كثرت التَّلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار  
 فارس ، فليس الشام لسَطِيح شاماً ، يملكُ منهم ملوكٌ ومَلِكات ، على عدد الشُّرُفات ، وكلُّ ما هو آتٍ  
 آت . ثم قضى سَطِيحُ مكانه ، فنهض عبدُ المسيح إلى راحلته وهو يقول : [ من البسيط ]

- =  
 ووقع في ح ومختصر ابن عساكر بم وفي ط نهم ، وأظنه تصحيف - والصرار الأذن : الذي نصب أذنه وسواها :  
 منال الطالب (١/ ١٤٠) .
- (١) « القيل » : من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم . « الوسن » : النوم ، وأراد به رؤيا الموبذَّان .  
 « يسري » : من السرى ، سير الليل . منال الطالب (١/ ١٣٨) والمعجم الوسيط .
- (٢) « العلنداة » : الناقة الطويلة العظيمة . « شجن » : متداخلة الخلق كأنها شجرة متصلة الأغصان ؛ ويروى « شزن »  
 بفتح الشين والزاي وضمهما : أي نشيطة . منال الطالب واللسان ( علند ، شجن ) .
- (٣) الوجن ، بسكون الجيم وفتحها : الأرض الغليظة الصلبة . اللسان ( وجن ) ؛ ويروى : ترفعني وجناء تهوي من  
 وجن ، والوجناء : الناقة القوية الصلبة . منال الطالب (١/ ١٣٩) .
- (٤) في ح : والعطن ، والمثبت من ط واللسان ومنال الطالب . الجاجي : جمع جوجؤ ، وهو الصدر . والقطن : جمع  
 قطنة ، وهي ما بين الفخذين ؛ وقيل : الصواب بكسر الطاء . اللسان ( قطن ) . والعاري : الذي ذهب لحمه ،  
 وشحمه ، فكأنه عري منه ، يعني أن سرعة السير قد هزله وأذهب سمه . منال الطالب (١/ ١٣٩) .
- (٥) « البوغاء » : التراب الناعم ؛ والدمن : ما تدمن منه ، أي تجتمع وتلبّد . اللسان ( بوغ ، دمن ) .
- (٦) « حثث » : حث وأسرع : ثكن : اسم جبل حجازي : الحضن . الجنب . ومعنى البيت أنه من كثرة التراب  
 والغبار الذي أصاب جملة في سرعة سيره ، كأنه نمر هيج وأعجل من جانبي هذا الجبل . اللسان ( حثث ، ثكن )  
 ومنال الطالب (١/ ١٤١) . وروي في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور : جفني ثكن .
- (٧) كذا في ح ، ط : وفي مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور : إلى .

شَمَّرَ فَإِنَّكَ مَاضِي الْعَزْمِ شَمِيرٌ      لَا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرٌ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ يُمَسُّ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ      فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطَوَّارٌ دَهَارِيرٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَرَبَّمَا رَبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ      يَخَافُ صَوْلَهُمُ الْأَسَدُ الْمَهَاصِيرُ<sup>(٣)</sup>  
 مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ      وَالْهَرْمُزَانُ وَسَابُورٌ وَسَابُورٌ<sup>(٤)</sup>  
 وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَآتٍ فَمَنْ عَلِمُوا      أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورٌ<sup>(٥)</sup>  
 وَرَبَّ يَوْمٍ لَهُمْ ضَحْيَانٌ ذِي أَرْنٍ      سُدَّتْ بِلَهْوِهِمْ فِيهِ الْمِزَامِيرُ<sup>(٦)</sup>  
 وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ إِمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا      فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورٌ<sup>(٧)</sup>  
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ      فَالْخَيْرُ مَتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورٌ<sup>(٨)</sup>

قال : فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخبره بما قال له سَطِيح ، فقال كسرى : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمورٌ وأمور ، فملك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .

ورواه البيهقي<sup>(٩)</sup> من حديث عبد الرحمن بن محمد بن إدريس عن علي بن حرب الموصلي بنحوه .

- (١) ويروى : ماضي الهم ولا يفرغك تشريد وتعزير . منال الطالب (١/١٣٤) .
- (٢) « أفرطهم » : من أفرط الرجل القوم : أي تقدّمهم وتركهم وراءه . يريد زوال الملك عنهم . دهر دهارير : أي شديد ، كقولهم : ليلة ليلاء . منال الطالب (١/١٤٢) .
- (٣) « المهاصير » : جمع مهصار ، والهضر : أن تميل الشيء إليك وتكسره . أي أنها تكسر كل ما ظفرت به . منال الطالب (١/١٤٣) ويروى : تهاب صوتهم مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/٣٠٢) .
- (٤) « الصرح » : القصر ، وكل بناء عالٍ . بهرام ، والهرمزان وسابور : من أسماء ملوكهم . منال الطالب (١/١٤٣) .
- (٥) « أولاد العلات » : الإخوة لأب وأمّهات شتى . أقل : افتقر وقل ما بيده ، والمحقوق : المُهان المطرَح . منال الطالب (١/١٤٣) .
- (٦) رواية البيت في ح :

- ورب قوم لهم صحبان ذي أذن بدت تلهوهم فيه المزامير وكذا في ط : وفيه : تلهيهم ، فجاء مصحفاً في أكثر من موضع ، وقد قومت روايته من تاريخ ابن عساكر حيث ساقه مع بيتين آخرين ، وسقط منه لفظ لهم . ويوم ضحيان : طلق ، والضحيان من كل شيء : البارز للشمس . وذو أرن : ذو نشاط . اللسان (ضحى ، أرن) .
- (٧) « النشب » : المال . إمّا : هنا زائدة ، وتقديره : وهم بنو الأم إن رأوا ، ويروى : لما أن رأوا بفتح أن . منال الطالب (١/١٤٣) .

- (٨) « القرن » : الحبل يُشدُّ به البعيران معاً . منال الطالب (١/١٤٣) .
- (٩) في دلائل النبوة (١/١٢٦ - ١٢٩) ورواه الطبري أيضاً : تاريخه (٢/١٦٦ - ١٦٨) وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٤١ ، ٤٢) وابن عساكر في تاريخه : مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/٣٠٠ - ٣٠٢) والسهيلي في الروض الأنف (١/١٩) وابن الأثير في منال الطالب (١/١٣٢ - ١٣٤) والأزهري في تهذيب اللغة (٤/٢٧٦) وابن منظور في اللسان (سطح) وابن سيد الناس في عيون الأثر (١/٢٨ و ٢٩) وابن هشام في السيرة (١/١٥) ومعجم =

قلت : كان آخر ملوكهم الذي سلب الملك منه يَزْدَجَرْدُ بْنُ شَهْرِيَارِ بْنِ أَبَرْوَيْزِ بْنِ هُرْمُزِ بْنِ أَنْوَشِرْوَانَ ، وهو الذي انشقَّ الإيوان في زمانه ، وكان لأسلافه في الملك ثلاثة آلاف سنة ومئة وأربعة وستون سنة . وكان أول ملوكهم جيوْمَرْتٌ<sup>(١)</sup> بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح .

حاشية :

أَمَّا سَطِيحٌ هَذَا ، فَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِهِ »<sup>(٢)</sup> : هُوَ الرَّبِيعُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازَنِ بْنِ ذُئْبِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ مَازَنِ بْنِ الْأَزْدِ ، وَيُقَالُ : الرَّبِيعُ بْنُ مَسْعُودِ ، وَأُمُّهُ رَوَيْمَةُ<sup>(٣)</sup> بِنْتُ سَعْدِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَجُورِيِّ . وَذَكَرَ غَيْرَ ذَلِكَ فِي نَسَبِهِ .

قَالَ : وَكَانَ يَسْكُنُ الْجَابِيَةَ ، ثُمَّ رَوَى عَنْ أَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ الْمَشِيخَةَ مِنْهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ قَالُوا : وَكَانَ مِنْ بَعْدِ لَقْمَانَ بْنِ عَادَ ، وَلَدَ فِي زَمَنِ سَيْلِ الْعَرَمِ ، وَعَاشَ إِلَى مَلِكِ ذِي نُوَّاسَ ، وَذَلِكَ نَحْوَ مِنْ ثَلَاثِينَ قَرْنًا ، وَكَانَ مَسْكَنُهُ الْبَحْرَيْنِ . وَزَعَمْتُ عَبْدُ الْقَيْسِ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَتَزَعَمَ الْأَزْدُ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ يَقُولُونَ : هُوَ مِنَ الْأَزْدِ ، وَلَا نَدْرِي مِمَّنْ هُوَ ، غَيْرَ أَنَّ وَلَدَهُ يَقُولُونَ :<sup>(٤)</sup> إِنَّهُ مِنَ الْأَزْدِ .

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ بَنِي آدَمَ يَشْبَهُ سَطِيحًا ، إِنَّمَا كَانَ لَحْمًا عَلَى وَضْمٍ<sup>(٥)</sup> ، لَيْسَ فِيهِ عَظْمٌ وَلَا عَصَبٌ إِلَّا فِي رَأْسِهِ وَعَيْنَيْهِ وَكَفَّيْهِ ، وَكَانَ يُطَوَّى كَمَا يُطَوَّى الثَّوبُ مِنْ رِجْلَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ . وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ يَتَحَرَّكُ إِلَّا لِسَانُهُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : إِنَّهُ إِذَا غَضِبَ انْتَفَخَ وَجَلَسَ .

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ فَتَلَقَّاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهَا مِنْهُمْ عَبْدُ شَمْسٍ وَعَبْدُ مَنْفٍ أَبْنَاءُ قُصَيٍّ ، فَامْتَحَنُوهُ فِي أَشْيَاءَ ، فَأَجَابَهُمْ فِيهَا بِالصَّدَقِ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَقَالَ : خَذُوا مِنِّي وَمِنْ إِلَهَامِ اللَّهِ إِيَّايَ : أَنْتُمْ الْآنَ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، فِي زَمَانِ الْهَرَمِ سِوَاءَ بِصَائِرُكُمْ وَبِصَائِرُ الْعَجَمِ ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَكُمْ وَلَا فَهْمَ ، وَيَنْشُؤُ<sup>(٦)</sup> مِنْ عَقَبِكُمْ دَهْمٌ<sup>(٧)</sup> ، يَطْلُبُونَ أَنْوَاعَ<sup>(٨)</sup> الْعِلْمِ ، يَكْسِرُونَ الصَّنَمَ ، يَبْلُغُونَ

= البلدان ( تكن ) .

(١) فِي ط : خِيَوْمَرْتُ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَفِي ح بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ (١/١٤٦ ، ١٤٧) وَالْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ (١/٤٥ ، ٤٦) وَفِي الْفَارْسِيَّةِ : كِيَوْمَرْتُ : اسْمُ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ . أَوَّلُ مَلُوكِ الْبِيْشْدَادِيِّينَ . الْمَعْجَمُ الذَّهَبِيُّ (ص ٤٨٩) .

(٢) قَوْلُ ابْنِ عَسَاكِرٍ هَذَا فِي مُخْتَصَرِ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرٍ لِابْنِ مَنْظُورٍ (٨/٢٩٥) .

(٣) فِي ح : رَوْعَةٌ ، وَفِي ط : رَدْعَا ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مُخْتَصَرِ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرٍ لِابْنِ مَنْظُورٍ .

(٤) فِي مُخْتَصَرِ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرٍ : أَنْهُمْ .

(٥) « الْوَضْمُ » : شُرَائِحُ مِنْ جِرَادِ النَّخْلِ . مُخْتَصَرِ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرٍ (٨/٢٩٧) .

(٦) « يَنْشُؤُ » : لُغَةٌ فِي يَنْشَأُ . اللِّسَانُ ( نَشُو ) .

(٧) « الدَّهْمُ » : الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ . اللِّسَانُ ( دَهْم ) .

(٨) فِي ح : انْتِزَاعٌ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ ط وَمُخْتَصَرِ تَارِيخِ ابْنِ عَسَاكِرٍ .

الرَّذَمُ<sup>(١)</sup> ، يقتلون العُجْم ، يطلبون الغُثْم .

ثم قال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجنَّ من ذا البلد ، نبِيٌّ مهتدٍ ، يهدي إلى الرشد ، [ يرفض يغوث والفند ]<sup>(٢)</sup> ، يبرأ من عبادة الضَّدَد ، يعبد ربّاً انفرد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، ومن الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ؛ ثم يلي أمره الصديق ، إذا قضى صدق ، وفي ردّ الحقوق لا خرق ولا نزق ، ثم يلي أمره الحنيف ، مجربٌ غطريف ، قد أضاف المضيف ، وأحكم التحنيف<sup>(٣)</sup> .

ثم ذكر عثمان ومقتله ، وما يكون بعد ذلك من أيام بني أمية ثم بني العباس ، وما بعد ذلك من الفتن والملاحم ، ساقه ابن عساكر بسنده عن ابن عباس بطوله .

وقد قدّمنا قوله لربيعة بن نصر ملك اليمن<sup>(٤)</sup> ، حين أخبره برؤياه قبل أن يُخبره بها ، ثم ما يكون في بلاد اليمن من الفتن وتغيّر الدول ، حتى يعود إلى سيف بن ذي يزن ، فقال له : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبِيٌّ زكي ، يأتيه الوحي ، من قبل العليّ ، قال : وممّن هذا النبيّ ؟ قال : من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون المُلْكُ في قومه إلى آخر الدهر . قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعدُ فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيؤون . قال : أحقّ ما تخبرني ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق<sup>(٥)</sup> إذا اتسق ، إنّ ما أنبأتك لحقّ . ووافقه على ذلك شقّ ، سواء بسواء ، بعبارة أخرى كما تقدّم . ومن شعر سَطِيح قوله : [ من الطويل ]

عليكم بتقوى الله في السرّ والجهر ولا تلبسوا صدق الأمانة بالغدر  
وكونوا لجار الجنب حِصْناً وجَنَّةً إذا ما عرته النابث من الدهر<sup>(٦)</sup>

وروى ذلك الحافظ ابن عساكر ، ثم أورد ذلك المُعافي بنُ زكريّا الجريري فقال<sup>(٧)</sup> : وأخبار سَطِيح كثيرة ، وقد جمعها غير واحد من أهل العلم . والمشهور أنّه كان كاهناً ، وقد أخبر عن النبيّ ﷺ وعن نَعْتِهِ وَمَبْعَثِهِ . وزُوي لنا<sup>(٨)</sup> بإسناد الله به أعلم أنّ النبيّ ﷺ سُئل عن سَطِيح فقال : « نبِيٌّ ضيّعه قومه » .

قلتُ : أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ، ولم أره بإسناد أصلاً ،

(١) « الرذم » : قرية بالبحرين . معجم البلدان (٣/ ٤٠) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح ، والفند : الخطأ في الرأي والقول ، والكذب . اللسان ( فند ) .

(٣) تنمة الخبر في مختصر تاريخ دمشق (٨/ ٢٩٩) .

(٤) (ص ١٦٢ ، ١٦٣) من هذا الجزء ( الطبعة القديمة ) .

(٥) في ط : والقمر ، والمثبت من ح .

(٦) البيتان في مختصر تاريخ ابن عساكر (٨/ ٢٩٥) وروايته : ولا تلبسوا صدق الأمانة بالغدر .

(٧) قول المُعافي ليس في الجزءين المطبوعين من المجلس (١ و ٢) .

(٨) القائل هنا ابن عساكر كما في مختصر تاريخه (ص ٢٩٦) .

ويُروى مثله في خبر خالد بن سنان العبسي<sup>(١)</sup> ولا يصح أيضاً ، وظاهر هذه العبارات تدلُّ على علم جيّد لسطيح ، وفيها روائح التصديق ، لكنّه لم يُدرِك الإسلام كما قال الجريري . فإنه قد ذكرنا في هذا الأثر أنّه قال لابن أخته : يا عبد المسيح ، إذا كثُرَت التلاوة ، وظهر صاحب الهرواة ، وفاض وادي السماوة ، وغازت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشُرُفات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثم قضى سطيح . وكان ذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بشهر أو شيعه<sup>(٢)</sup> - أي أقلّ منه - وكانت وفاته بأطراف الشام مما يلي أرض العراق - فالله أعلم بأمره وما صار إليه .

وذكر ابن طرار الجريري<sup>(٣)</sup> أنّه عاش سبعمئة سنة ؛ وقال غيره : خمسمئة سنة ، وقيل : ثلاثمئة سنة ، فالله أعلم .

وقد روى ابن عساكر<sup>(٤)</sup> أنّ ملكاً سأل سطيحاً عن نسب غلام اختلف فيه ، فأخبره على الجليّة في كلام طويل ، مليح فصيح ، فقال له الملك : يا سطيح ، ألا تُخبرني عن علمك هذا ؟ فقال : إنّ علمي هذا ليس مني ، ولا بجزم ولا بظني ، ولكن أخذته عن أخ لي جنّي ، قد سمع الوحي بطور سيناء<sup>(٥)</sup> . فقال له : أرايت أخاك هذا الجنّي ، أهو معك لا يفارقك ؟ فقال : إنه ليزول حيث أزل ، ولا أنطق إلا بما يقول . وتقدّم أنه ولد هو وشق بن صعب بن يشكر بن رهم بن قسر بن عبقر<sup>(٦)</sup> الكاهن الآخر ، ولدا في يوم واحد ، فحملا إلى الكاهنة طريفة بنت الحسين الحميريّة ، ففعلت في أفواههما ، فورثا منها الكهانة ، وماتت من يومها . وكان نصف إنسان ، ويقال : إن خالد بن عبد الله القسريّ من سلالة ؛ وقد مات شق قبل سطيح بدهر .

وأما عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بقليلة<sup>(٧)</sup> الغسانيّ النصراني ، فكان من المعمرين ،

(١) (٢/٢١١) (الطبعة القديمة) من البداية والنهاية .

(٢) « الشيع » : مقدار من العدد ، وقولهم : شهر أو شيعه ، أي : ونحو من شهر ، مقداره ، أو قريباً منه . اللسان (شيع) . ووقع في ط : شية ، تصحيف ، والمثبت من ح .

(٣) ابن طرار الجريري : هو المعافى بن زكريا السابق ذكره ، وطارار اسم جده . والضبط من التاج ( طرر ) . وترجمته تأتي في وفيات سنة ٣٩٠ من هذا الكتاب .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/٢٩٦) .

(٥) في مختصر تاريخ ابن عساكر : بطور سني .

(٦) في ح : شق بن مصعب بن يشكر بن رهم بن يسر بن عقبة ، وهو تصحيف ، واضطرب تصحيفه في ط أيضاً ،

وما أثبتته من البيان والتبيين (١/٣٦١) والاشتقاق (ص ٥١٦ ، ٥١٧) وجمهرة الأنساب (ص ٣٨٨) والأغاني (١/٢٢) ط دار الكتب ومروج الذهب (٢/٣١٧ ، ٣٣٣) والإكمال (٧/١١٩) و(٦/٩٦) .

(٧) في ح ، ط : نفيلة ، انظر الحاشية (٢) من (ص ٤٥) من هذا الجزء .

وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »<sup>(١)</sup> وقال : هو الذي صالح خالد بن الوليد على [ الحيرة ]<sup>(٢)</sup> وذكر له معه قصة طويلة ، وأنه أكل من يده سم ساعة فلم يُصِبْه سوء ، لأنه لما أخذه في يده ، قال : بسم الله ، وبالله ، رب الأرض والسماء ، الذي لا يضرُّ مع اسمه داء<sup>(٣)</sup> . ثم أكله ، فتجلَّتْ غشية ، ف ضرب بذقنه<sup>(٤)</sup> على صدره ، ثم عرق وأفاق رضي الله عنه . وذكر لعبد المسيح أشعاراً غير ما تقدم .

إلى هنا الحاشية

وقال أبو نعيم<sup>(٥)</sup> : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا المسيب بن شريك ، حدثنا محمد بن شريك ، عن شعيب بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه قال : كان بِمَرِّ الظَّهْران<sup>(٦)</sup> راهبٌ من الرُّهبان يدعى عيصا من أهل الشام ، وكان متخفراً بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علماً كثيراً ، وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيبٍ ورفقٍ وعِلْمٍ ، وكان يلزم صومعة له ، ويدخل مكة في كلّ سنة ، فيلقى الناس ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولودٌ يا أهل مكة ، يدينُ له العرب ، ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه وأتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته ، وبالله ما تركتُ أرضَ الحُبز<sup>(٧)</sup> والخمير والأمن ، ولا حللتُ بأرض الجوع والبؤس والخوف إلّا في طلبه .

وكان لا يولد بمكة مولود إلا يُسأل عنه ، فيقول : ما جاء بعُد . فيقال له : فصِّفه . فيقول : لا . ويحكم ذلك للذي قد علم أنه لاقٍ من قومه مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعيةً إلى أدنى ما يكون إليه من الأذى يوماً . ولما كان صبيحة اليوم الذي وُلد فيه رسولُ الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا ، فوقف في أصل صومعته ، ثم نادى : يا عيصا . فناده : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله ، فأشرف عليه فقال : كن أباه ، فقد ولد ذلك المولود الذي كنتُ أحدثكم عنه يوم الاثنين ، ويُبعث يوم الاثنين ، ويموت يوم الاثنين . قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال : فما سمّيته ؟ قال : محمداً . قال : والله لقد كنتُ أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت ، لثلاث خصالٍ بها نعرفه ، منها : أن نجمه طلع البارحة ، وأنه ولد اليوم ، وأن اسمه محمد ، انطلق إليه فإن الذي كنتُ أحدثكم عنه ابنك . قال :

- (١) تاريخ مدينة دمشق (١٠/٣١٠) ب ( نسخة الظاهرية التي يرمز لها بحرف س ) .
- (٢) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط واستدرسته من تاريخ ابن عساكر والجلس الصالح (١٤/٤٤٧) .
- (٣) في ح : أذا ، وفي ط : أذى ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر .
- (٤) في ح ، ط : بيديه ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر والجلس الصالح .
- (٥) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهو في تاريخ ابن عساكر السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٣٤٤ ، ٣٤٥) رواه بسنده عن أبي القاسم بن بشران عن أبي علي محمد بن أحمد بن الحسن بن الصواف عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة .
- (٦) « الظهران » : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مرّ ، تضاف إلى هذا الوادي ، معجم البلدان (٤/٦٣) .
- (٧) كذا في ح وفي ط وتاريخ ابن عساكر : أرض الخمر .



فما يُدريك أنه ابني ؟ ولعله أن يولد في هذا اليوم مولودٌ غيره ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله يشبه علمه على العلماء ، فإنه حجة . وآية ذلك أنه الآن وجع ، فيشتكي<sup>(١)</sup> أياماً ثلاثة . فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يُعافى ؛ فاحفظ لسانك ، فإنه لم يُحسَد أحدٌ حسدَه قطّ ، ولم يُبَغَّ على أحدٍ كما يُبَغَّى عليه ، إن تعش حتى يبدو مقالُه ، ثم يدعو ، لَظَهَر<sup>(٢)</sup> لك من قومك ما لا تحتمله ، إلا على صبرٍ على ذلٍّ ؛ فاحفظ لسانك ودَارِ عنه . قال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره أو قصُر لم يبلغ السبعين ، يموت في وترٍ دونها من السنين ، في إحدى وستين أو ثلاثٍ وستين ، في أعمار جُلِّ أُمَّته .

قال : وحُمِلَ برسولِ الله ﷺ في عاشوراء المُحرَّم . وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اثنتين وعشرين<sup>(٣)</sup> من غزوة أصحاب الفيل .

هكذا رواه أبو نعيم ، وفيه غرابة .

### ذكر مراضعه وحواضنه عليه الصلاة والسلام

كانت أم أيمن واسمها بركة تحضنه ، وكانت ممن ورثها عليه الصلاة والسلام من أبيه ، فلما كبر أعتقها وزوّجها مولاه زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد رضي الله عنهم . وأرضعته مع أمه عليه الصلاة والسلام مولاة عمّه أبي لهب ثؤيبة قبل حليمة السعدية .

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما<sup>(٤)</sup> من حديث الزُّهري عن عروة بن الزُّبير ، عن زينب بنت أم سلمة عن أم حبيبة بنت أبي سفيان . قالت : يا رسول الله ، انكح أختي بنت أبي سفيان - ولمسلم عزة بنت أبي سفيان - فقال رسول الله ﷺ : « أَوْ تُحْبِبِينَ ذَلِكَ ؟ » قلت : نعم ، لستُ لك بمُخلية<sup>(٥)</sup> ، وأحبُّ مَنْ شاركني في خير أختي ، فقال النبي ﷺ : « فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي » قلت : فَإِنَّا نَحَدِّثُ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تُنْكَحَ بِنْتُ أَبِي<sup>(٦)</sup> سلمة - وفي رواية دُرّة بنت أبي سلمة - قال : « بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ » ؟ قلت : نعم ،

(١) في (ح) : أنه الآن يشتكي وجع ، والمثبت من ط . وتاريخ ابن عساكر .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي تاريخ ابن عساكر : يظهر ، وهو أشبه بالصواب .

(٣) كذا في ح وط وتاريخ ابن عساكر : سنة ثلاث وعشرين . قلت : وفي سنة ولادته خلاف ، جمعه وساق أخباره الزرقاني في شرح المواهب (١/١٥٧) .

(٤) فتح الباري (٥١٠١) النكاح باب وأمها تكم اللاتي أرضعنكم ، وصحيح مسلم (١٦ - ١٤٤٩) في الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة .

(٥) « مخلية » : أي منفردة . مشارق الأنوار (١/٢٣٩) وفي اللسان (خلو) : لم أجذك خالياً من الزوجات غيري .

(٦) في ح : أم ، والمثبت من ط والبخاري ومسلم .

قال : « إنها لو لم تكن ربيتي في حجري ما حلت لي . إنها لابنة أخي من الرضاعة ، أرضعني وأبا سلمة ثوية ، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن » .

زاد البخاري : قال عروة : وثوية مولاة لأبي لهب [ أعتقها فأرضعت رسول الله ﷺ ، فلما مات أبو لهب ]<sup>(١)</sup> أريه بعض أهله بشر حبيبه<sup>(٢)</sup> . فقال له : ماذا لقيت ؟ فقال : أبو لهب : لم ألق بعدكم خيراً ، غير أنني سقيت في هذه بعثاتي ثوية<sup>(٣)</sup> . [ وأشار إلى النقرة التي بين الإبهام والتي تليها من الأصابع ]<sup>(٤)</sup>

وذكر السهيلي وغيره<sup>(٥)</sup> : أن الرائي له هو أخوه العباس ، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر . وفيه : إن أبا لهب قال للعباس : إنه ليخفف علي في مثل يوم الاثنين . قالوا : لأنه لما بشرته ثوية بميلاد ابن أخيه محمد بن عبد الله أعتقها من ساعته ، فجوزي بذلك لذلك .

## ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام

### من حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة

قال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فاسترضع له عليه الصلاة والسلام من حليلة بنت أبي ذؤيب ، واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن [ فضية بن نصر بن ] سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة<sup>(٧)</sup> بن قيس عيلان بن مضر .

قال : واسم أبي رسول الله ﷺ الذي أرضعه - يعني زوج حليلة - الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة<sup>(٨)</sup> بن سعد بن بكر بن هوازن . وإخوته عليه الصلاة والسلام - يعني : من الرضاعة - عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وحذافة<sup>(٩)</sup> بنت الحارث ، وهي الشيماء ،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ح .

(٢) « بشر حبية » : أي بشر حال . والحبية : الهم والحزن . اللسان ( حوب ) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ( ١٤٥ / ٩ ) وأجيب بأن الخبر مرسل ، أرسله عروة ، ولم يذكر من حدثه به ، وعلى تقدير أن يكون موصولاً ، فالذي في الخبر رؤيا منام ، فلا حجة فيه ، وانظر تنمة البحث فيه .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري . وهو في الطبقات ( ١٠٨ / ١ ) ودلائل البيهقي ( ١٤٩ / ١ ) .

(٥) الروض الأنف .

(٦) في سيرة ابن إسحاق ( ص ٢٥ ) والسيرة النبوية ( ١٦١ / ١ ) وتاريخ الطبري ( ١٥٧ / ٢ ) والروض الأنف ( ١٨٣ / ١ ) وما يأتي بين معقوفين منها جميعاً .

(٧) في ح ، ط : حفصة وهو تصحيف ، والمثبت من السيرة والطبري والروض والاشتاق ( ص ٢٦٦ ) .

(٨) قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة . السيرة ( ١٦١ / ١ ) .

(٩) في هامش ح : خدامة . وفوقها حرف خاء إشارة إلى رواية نسخة أخرى ، وقال السهيلي في الروض ( ١٨٦ / ١ ) : =

وذكروا أنها كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه<sup>(١)</sup> إذ كان عندهم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حدثني جهم بن أبي جهم<sup>(٣)</sup> ، مولى لامرأة من بني تميم ، كانت عند الحارث بن حاطب ، وكان يقال له : مولى الحارث بن حاطب ، قال : حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال : حدثت عن حليلة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة في نسوة - [ وذكر الواقدي<sup>(٤)</sup> بإسناده أنهم كنَّ عشر نسوة من بني سعد بن بكر ، يلتمسن بها الرضعاء ]<sup>(٥)</sup> - من بني سعد نلتسن بها الرضعاء في سنة شهباء<sup>(٦)</sup> ، فقدمت على أتانٍ لي قمرء كانت أذمت بالركب<sup>(٧)</sup> ، ومعني صبيُّ لنا ، وشارف لنا والله ما تبضُّ بقطرة<sup>(٨)</sup> ، وما ننام ليلنا<sup>(٩)</sup> ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، ما نجد في ثديي ما يُغنيه ، ولا في شارفنا ما يغذيه ، ولكنَّا كنَّا نرجو الغيث والفرج ؛ فخرجتُ على أتانِي تلك ، فلقد أذمت بالركب حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجْفاً . فقدمنا مكة ، فوالله ما علمتُ منا امرأةً إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله ﷺ ، فتأباه ، إذا قيل إنه يتيم تركناه ، قلنا : ماذا عسى أن تصنع إلينا أمُّه ؟ إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فأما أمُّه فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟ فوالله ما بقي من صواحيبي امرأةً إلا أخذت رضيعاً غيري . فلما لم نجد غيره ، وأجمعنا الانطلاق ، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ليس معي رضيع . لأنطلقنَّ إلى ذلك اليتيم فلاخذنه . فقال : لا عليك أن

= خذامة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حذافة ، بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء .

(١) في السيرة : إذا .

(٢) في سيرة ابن إسحاق (ص ٢٦) قوله هذا في سيرة ابن هشام (١/١٦٢) والطبري (٢/١٥٨) والدلائل للبيهقي (١/١٣٣) بألفاظ مقاربة .

(٣) في ح : جهم بن أبي جهم ، والمثبت من المصادر السابقة وميزان الاعتدال (١/٤٢٦) وتعجيل المنفعة (ص ٧٤) ، وقال فيه ابن حجر : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات .

(٤) رواية الواقدي في طبقات ابن سعد (١/١١٠) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من ط ليست في ح .

(٦) « سنة شهباء » : إذا كانت مجدبة . اللسان شهب . وقال السهيلي في الروض (١/١٨٦) : قال ابن هشام : إنما هو المراضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ . والذي قاله ابن هشام ظاهر ، لأن المراضع جمع مرضع ، والرضعاء : جمع رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين : أحدهما حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعاء ؛ والثاني أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ ، لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه ، فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعاً ، علماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع .

(٧) « أتان قمرء » : أي بيضاء . أذمت بالركب : أي حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها . اللسان والتاج (قمر ، ذم) .

(٨) « الشارف » : الناقة المسنة . ما تبض : ما تدر ولا ترشح . اللسان (شرف ، بضض) .

(٩) في ح ، ط : ليلتنا ، والمثبت من مصادر التخريج .

تفعلي ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه بركة . فذهبت فأخذته ، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره ؛ فما هو إلا أن أخذته فجئت به رخلي ، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب أخوه حتى روي . وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل ، فحلب ما شرب وشربت حتى روينَا ؛ فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبي حين أصبحنا : يا حليلة [ والله ]<sup>(١)</sup> إني لأراك قد أخذتِ نَسَمَةً مباركة ، ألم تَرَيِ ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟! فلم يزل الله عز وجل يزيدنا خيراً . ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعَت أُناني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار ، حتى إن صواحيبي ليقُلن : ويلك يا بنت أبي ذؤيب ! هذه أُنالك التي خرجتِ عليها معنا ؟ فأقول : نعم ، والله إنها لهي ، فقلن : والله إن لها لشأناً ! . حتى قدمنا أرض بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لُبناً ، فنحلب ما شئنا وما حوالينا - أو حولنا - أحدٌ تَبِضُّ له شاةً بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جباعاً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم - أو لرعيانهم - : ويحكم ، انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنمي حيث تسرح ، فتروح أغنامهم جباعاً ما فيها قطرة لبن ، وتروح أغنامي شباعاً لُبناً ، نحلب ما شئنا ؛ فلم يزل الله يُرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه ، فكان يَشُبُّ شباباً لا تَشِبُّهُ الغلمان ، فوالله ما بلغ الستين حتى كان غلاماً جَفراً<sup>(٢)</sup> ، فقدِمنا به على أمه ونحن أضربُ شيء به مما رأينا فيه من البركة ؛ فلما رآته أمه قالت لها : يا ظئر دعينا نرجع بابتنا هذه السنة الأخرى ، فإننا نخشى عليه وباء مكة . فوالله ما زلنا بها حتى قالت : فنعم . فسرحته معنا ، فأقمنا به شهرين أو ثلاثة ، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا أخوه ذلك يشتد<sup>(٣)</sup> ، فقال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشَقَّا بطنه . فخرجتُ أنا وأبوه نشدُّ نحوه ، فنجدناه قائماً مُمتَقِعاً<sup>(٤)</sup> لونه . فاعتنقه أبوه وقال : يا بني ما شأنك ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، أضجعاني وشَقَّا بطني ، ثم استخرجا منه شيئاً ، فطرحاه ثم ردَّاه كما كان . فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليلة لقد خَشِيتُ أن يكون ابني قد أصيب ، فانطلقني بنا نردُّه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوَّف .

قالت حليلة : فاحتملناه فلم تُرغ أمه إلا به ، فقدِمنا [ به ]<sup>(٥)</sup> عليها فقالت : ما ردَّكما [ به يا ظئر ]<sup>(٥)</sup> فقد كنتما عليه حريصين ؟ فقالا : لا والله ، إلا أن الله قد أدَّى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث ، نردُّه إلى أهله . فقالت : ما ذاك بكما ؟ فاضدُّقاني شأنكما . فلم تدعنا حتى

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح ، وهو في بعض مصادر التخريج وسيرة ابن إسحاق .

(٢) في اللسان ( جفر ) : وفي حديث حليلة ظئر النبي ﷺ ، قالت : كان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر ، فبلغ ستاً وهو جفر . قال ابن الأثير : استجفر الصبي ، إذا قوي على الأكل .

(٣) « يشتد » : يعدو . اللسان ( عدو ) . وفي شرح المواهب ( ١ / ١٨٠ ) : يسرع في المشي .

(٤) « ممتقِعاً » : متغيراً . وفي ط ومصادر التخريج : ممتقِعاً بالنون ، وهو بمعناه .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح ، وهو في بعض مصادر التخريج وسيرة ابن إسحاق .

أخبرناها خبره ، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله إنه لكائن لابني هذا شأن ، ألا أخبركما خبره ، قلنا : بلى . قالت : حملتُ به فما حملتُ حملاً قطُ أخفَّ منه ، فأريتُ في النوم حين حملتُ به ، كأنه خرج مني نورٌ أضاءتُ له قصورُ الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود ، معتمداً على يديه ، رافعاً رأسه إلى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روي من طريقٍ آخر ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل السير والمغازي<sup>(١)</sup> .

وقال الواقدي<sup>(٢)</sup> : حدثني معاذ بن محمد عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : خرجتُ حلیمَةً تطلب النبي ﷺ وقد وجدتِ البَهم<sup>(٣)</sup> ثَقِيلَ ، فوجدتهُ مع أخته ، فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أُمّة ، ما وجد أخِي حرّاً ، رأيتُ غمامةً تُظِلُّ عليه ، إذا وقف وقفْتُ ، وإذا سار سارت [ معه ] حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له : أخبرنا عن نفسك . قال : « نَعَمْ ، أنا دعوةُ أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأيتُ أُمِّي حين حملتُ بي كأنه<sup>(٥)</sup> خرج منها نورٌ أضاءتُ له قصورُ الشام ، واسترضعتُ في بني سعد بن بكر ، فبينما أنا في بهمٍ لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض ، معهما طَسْتٌ من ذهب مملوءة<sup>(٦)</sup> ثلجاً ، فأضجعاني فشَقَّ بطني ، ثم استخرجوا قلبي فشَقَّاه ، فأخرجوا منه عَلقَةً سوداء ، فألقياها ، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج ، حتى إذا ألقياها ردَّاه كما كان ؛ ثم قال أحدهما لصاحبه : زِنُهُ بعشرةٍ من أُمته ، فوزنني بعشرة فوزنتهم ، ثم قال : زِنُهُ بمئةٍ من أُمته ، فوزنني بمئة فوزنتهم ، ثم قال : زِنُهُ بألفٍ من أُمته ، فوزنني بألف فوزنتهم ؛ فقال : دَعُهْ عنك ، فلو وزنتهُ بأُمته لوزنهم . وهذا إسنادٌ جيّد قوي .

وقد روى أبو نعيم الحافظ في « الدلائل »<sup>(٧)</sup> من طريق عمر بن الصُّبَّح - وهو أبو نعيم - عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن شدَّاد بن أوس هذه القصة مطوّلة جداً ، ولكنَّ عمر بن صُبَّح هذا متروكٌ كذاب

(١) على أنه ليس له إسناد صحيح .

(٢) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/١٥٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في الطبقات : وقد بدت البَهم . والبَهم : بفتح الموحدة جمع بهيمة وهي ولد الضأن . اللسان بهم .

(٤) في سيرة ابن إسحاق (ص ٢٨) والسيرة النبوية (١/١٦٦) وتاريخ الطبري (٢/١٦٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (١/١٤٥) والحاكم في المستدرک (٣/٦٠٠) .

(٥) في ط ومصادر التخریج : أنه .

(٦) في ح : ملأته ، وفي ط : مملوء ، والمثبت من مصادر التخریج ، لأن الطست مؤنثة . وهي من آنية الصُّفَر . اللسان ( طست ) .

(٧) لم أجد القصة بهذا الإسناد في دلائل أبي نعيم .

مَتَّهِم بِالْوَضْع . فلهذا لم نذكر لفظ الحديث ، إذ لا يفرحُ به . ثم قال<sup>(١)</sup> : وحدثنا أبو عمرو بن حمدان<sup>(٢)</sup> ، حدثنا الحسن بن سفيان<sup>(٣)</sup> ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد ، عن بَحِير بن سَعْد<sup>(٤)</sup> ، عن خالد ابن مَعْدَان ، عن عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي ، عن عُثْبَة بن عَبْدِ أَنَسٍ حَدَّثَهُ أَنَّ رجلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : « كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا ، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا ، فَقُلْتُ : يَا أَخِي ، اذْهَبْ فَأَتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمَّنَا . فَانْطَلَقَ أَخِي وَمَكِثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ ، فَأَقْبَلَ طَائِرَانِ أَبْيَضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : [أ] هُوَ هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَقْبَلَا<sup>(٥)</sup> يَتَدْرَانِي ، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا ، فَشَقَّ بَطْنِي ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاه ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : ائْتِنِي بِمَاءٍ ثَلَجٍ ، فغَسَلَا بِهِ جُوفِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِمَاءٍ بَرْدٍ ، فغَسَلَا بِهِ قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ ، فَذَرَّهَا فِي قَلْبِي ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : خِطِّهِ ، فَخَاطَهُ<sup>(٦)</sup> وَخَتَمَ عَلَى قَلْبِي بِخَاتَمِ النَّبَوَّةِ ؛ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ ؛ فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَخْرَ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ ؛ فَقَالَ : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ . ثُمَّ انْطَلَقَا فَتَرَكَانِي وَفَرَقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُ ، فَأُشْفِقْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَلْبَسَ<sup>(٧)</sup> بِي ، فَقَالَتْ : أَعِيدُكَ بِاللَّهِ . فَرَحَلْتُ بَعِيرًا لَهَا وَحَمَلْتَنِي عَلَى الرَّحْلِ ، وَرَكِبْتُ خَلْفِي ، حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّي ، فَقَالَتْ : أَدَيْتِ أَمَانَتِي وَذِمَّتِي وَحَدَّثْتَهَا بِالَّذِي لَقِيتُ ، فَلَمْ يَزَعْهَا ، وَقَالَتْ : إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنْ نَوْرِ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ . »

ورواه أحمد من حديث بَقِيَّةِ بن الوليد به<sup>(٨)</sup> .

- (١) لم أجد أيضاً القصة بهذا الإسناد في دلائل أبي نعيم ، إلا أن فيه إشارة وروده فيه (١/ ٢٢٠) ( ط عبد البر عباس ١٤٠٦ هـ ) قوله : « ورواه عبد الرحمن بن عمر [ و ] عن عتبة بن عبد . . . وقد تقدم ذكره . ولم أجده أيضاً .
- (٢) سقطت اللفظة : بن من ح ، وهي في ط ، وأبو عمرو هذا هو محمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن سنان الحيري ، توفي ٣٧٦ هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٥٦ - ٣٥٩) .
- (٣) في ح ، ط : الحسن بن نفي ، وهو تصحيف ، والمثبت من أسانيد أبي نعيم في كتابه الدلائل ، وهو الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء الشيباني الخراساني النسوي . توفي سنة ٣٠٣ هـ ترجمته ومصادرها في (١١/ ١٢٤ - ١٢٥) من هذا الكتاب (ط) وسير أعلام النبلاء (١٤/ ١٥٧ - ١٦٢) .
- (٤) في ح : يحيى بن سعيد وفي ط : بحير بن سعيد ، وكذا وقع في ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٤٣١) وهو تصحيف ، والمثبت من الإكمال (١/ ١٩٧) والتبصير (١/ ٦٠) .
- (٥) في ح : فأقبل ، والمثبت من ط : ومسند أحمد .
- (٦) في مسند أحمد : حُصِه ، فحاصه ، وهو بمعناه .
- (٧) كذا في ح ومسند أحمد وفي ط : لبس ، وجاء في اللسان ( لبس ) ما نصه : « وفي المولد والمبعث : فجاء الملك فشق قلبه ، قال : فخفت أن يكون قد التبس بي ، أي خولطت في عقلي ، من قولك : في رأيه لبس أي اختلاط » . وهي رواية الدارمي في سننه (١/ ٩) مقدمة ، باب كيف كان شأن النبي ﷺ عن عتبة بن عبد .
- (٨) مسند أحمد (٤/ ١٨٤) ، وإسناده ضعيف ، لضعف بقية لأنه يدلّس تدليس التسوية وهو أمر قاذح في عدالته ، وقد عنعن هنا .

وهكذا رواه عبد الله بن المبارك وغيره عن بقية بن الوليد به .

وقد رواه ابنُ عساكر<sup>(١)</sup> من طريق أبي داود الطيالسي ، حدَّثنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي ، أخبرني عمر بن عروة بن الزبير<sup>(٢)</sup> قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال : قلت : يا رسول الله ! كيف علمتُ أنَّكَ نبيٌّ حين علمت ذلك ، واستيقنتُ أنَّكَ نبي ؟ قال : « يا أبا ذر ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوق أحدهما على الأرض ، وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال هو هو . قال : زنه برجلٍ ، فوزني برجلٍ فرجحته » وذكر تمامه ، وذكر شقَّ صدره وخياطته ، وجعل الخاتم بين كتفيه . قال : « فما هو إلا أن وليا عني ، فكأنما أعاين الأمر مُعَايَنَةً » .

ثم أورد ابنُ عساكر<sup>(٣)</sup> عن أبي بن كعب بنحو ذلك ، ومن حديث شداد بن أوس بأبسط من ذلك<sup>(٤)</sup> وثبت في صحيح مسلم<sup>(٥)</sup> من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتاه جبريلُ عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان<sup>(٦)</sup> ، فأخذه فصرَّعه ، فشقَّ عن قلبه<sup>(٧)</sup> ، فاستخرج القلب ، واستخرج منه علقة سوداء فقال : هذا حظُّ الشيطان منك ، ثم غسله في طستٍ من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ؛ وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا : إنَّ محمداً قد قُتل فاستقبلوه وهو مُمتنع<sup>(٨)</sup> اللون . قال أنس : وقد كنتُ أرى أثرَ ذلك المخيط في صدره .

وقد رواه ابن عساكر<sup>(٩)</sup> من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن عبد ربَّه بن سعيد ، عن<sup>(١٠)</sup> ثابت البناني ، عن أنس ، أنَّ الصلاة فرضت بمكة<sup>(١١)</sup> ، وأنَّ ملكين أتيا رسولَ الله ﷺ فذهبا به إلى زمزم ،

- (١) في تاريخ دمشق السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٣٧٢ ، ٣٧٣) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .
- (٢) جاء الاسم في ط مضطرباً : عمير بن عمر بن عروة بن الزبير ، والمثبت من ح وهو الصواب ، نسبه إلى جده الزبير ، وهو عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، يروي عن جده عروة ، ترجمته في تهذيب التهذيب (٤٦٩/٧) . وساق الذهبي طرفاً من الحديث بهذا الإسناد في الميزان (٤١٢/١) في ترجمة جعفر بن عبد الله الحميدي وقال : فذكر حديثاً طويلاً لا يتابع عليه .
- (٣) في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٣٧٤ - ٣٧٥) .
- (٤) المصدر السابق (ص ٣٧٧ - ٣٨٣) .
- (٥) صحيح مسلم (١٦٢) (٢٦١) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .
- (٦) في ح : الصبيان ، والمثبت من ط وصحيح مسلم .
- (٧) في ح : بطنه ، والمثبت من ط وصحيح مسلم .
- (٨) كذا في ح و ط ، وفي صحيح مسلم : متنع وهو بمعناه ؛ وقد مر (ص ٥٥ ح ٤) من هذا الجزء .
- (٩) في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٣٧٢) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .
- (١٠) في ح : ابن ، والمثبت من ط .
- (١١) في ح ، ط : بالمدينة وهو وهم ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ورواية النسائي في السنن (٢٢٤/١) باب أين فرضت الصلاة من طريق سليمان بن داود عن ابن وهب به . ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء . تفسير القرطبي (٢١٠/١٠) .



فشقاً بطنه ، فأخرجاً حشوته<sup>(١)</sup> في طست من ذهب ، فغسله بماء زمزم ، ثم كبس<sup>(٢)</sup> جوفه حكمةً وعلماً ؟ ومن طريق ابن وهب أيضاً<sup>(٣)</sup> ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهري ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم<sup>(٤)</sup> بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ ثلاث ليال قال : خذوا خيرهم وسيدهم . فأخذوا رسول الله ﷺ فعُمِدَ به إلى زمزم ، فشق جوفه ، ثم أُتِيَ بتور<sup>(٥)</sup> من ذهب ، فغسل جوفه ، ثم ملأه حكمةً وإيماناً .

وثبت<sup>(٦)</sup> من رواية سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس . وفي « الصحيحين » من طريق شريك بن أبي نمر ، عن أنس<sup>(٧)</sup> ، وعن الزُّهري ، عن أنس ، عن أبي ذر<sup>(٨)</sup> . وقتادة عن أنس . عن<sup>(٩)</sup> مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في حديث الإسراء<sup>(١٠)</sup> ، كما سيأتي<sup>(١١)</sup> قصة شرح الصدر ليلتذ وأنّه غُسل بماء زمزم ؛ ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين ، مرّة وهو صغير ، ومرّة ليلة الإسراء ، ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ، ولمناجاة الرّب عز وجل ، والمثول بين يديه تبارك وتعالى .

وقال ابن إسحاق<sup>(١٢)</sup> : وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « أنا أغربكم ، أنا قرشي واسترُضِعْتُ في بني سعد بن بكر » .

وذكر ابن إسحاق<sup>(١٣)</sup> : أنّ حليلة لما استرجعته<sup>(١٤)</sup> إلى أمّه بعد فطامه ، مرّت به على ركب من

(١) « حشوته » : بكسر الحاء المهملة وضمها : أمعاؤه ، وما في البطن من كبد وطحال وغير ذلك اللسان ( حشو ) . ورواية النسائي : حشوه .

(٢) في ط : لبسا وهو تصحيف . كبسا جوفه : أي ستره . قاله السندي في حاشيته على شرح السيوطي لسنن النسائي (٢٢٥ / ١) .

(٣) عند ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٣٧٣) وما يأتي بين معقوفين منه ومن ط .

(٤) في ط : عبد الرحمن بن عامر تصحيف ، والمثبت من ح وابن عساكر .

(٥) « التور » : الإناء . اللسان ( تور ) .

(٦) في صحيح مسلم (٢٦٠) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٧) فتح الباري في صفة النبي ﷺ (٣٥٧٠) ، وفي التوحيد (٧٥١٧) ، ومسلم (١٦٢) (٢٦٢) .

(٨) فتح الباري في الصلاة (٣٤٩) ، وفي ذكر بني إسرائيل (٣٣٤٢) ، وفي الحج (١٦٣٦) ، وفي أحاديث الأنبياء (٣٣٤٢) ، ومسلم في الإيمان (١٦٣) .

(٩) في ط : « وعن » ، وهو تحريف ، وإنما رواه قتادة عن أنس عن مالك ، عن النبي ﷺ .

(١٠) أخرجه البخاري مقطوعاً في أربعة مواضع بعضها في بدء الخلق (٣٢٠٧) ، وبعضها في الأنبياء (٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) وفي بدء الخلق (٣٢٠٧) ، ومسلم في الإيمان (١٦٤) (٢٦٤) (٢٦٥) .

(١١) (١١٥ / ٣) (١١٦) .

(١٢) في سيرة ابن هشام (١٦٧ / ١) .

(١٣) في المصدر السابق ، بألفاظ مقاربة .

(١٤) في ط : أرجعته .

النَّصَارَى ، فقاموا إليه عليه الصلاة والسلام وقلَّبوه وقالوا : إنا سنذهب بهذا الغلام إلى مَلِكنا ، فإنه كائنٌ له شأن . فلم تَكْذُ تنفلتْ منهم إلا بعد جَهْد .

وذكر أنها لما رَدَّتْه حين تخَوَّفَتْ عليه أن يكونَ أصابه عارض ، فلمَّا قَرُبَتْ من مَكَّة افتقدته فلم تجده فجاءتْ جدَّه عبدَ المطلب ، فخرج هو وجماعة في طلبه ، فوجده وَرَقَّةُ بن نُوْفَلٍ ورجلٌ آخر من قريش ، فأتيا به جدَّه ، فأخذه على عاتقه ، وذهب فطاف به يعوِّذُه ويدعو له ، ثم رَدَّه إلى أمِّه آمنة .

وذكر الأموي<sup>(١)</sup> من طريق عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي - وهو ضعيف - عن الزُّهري ، عن سعيد بن المُسيَّب قصة مولده عليه الصلاة والسلام ، ورضاعه من حَلِمة ، على غير سياق محمد بن إسحاق . وذكر أنَّ عبدَ المطلب أمر ابنته عبدَ الله أن يأخذَه فيطوف به في أحياء العرب ليجد<sup>(٢)</sup> له مرضعة ، فطاف حتى استأجر حليمة على رِضاعه . وذكر أنه أقام عندها ستَّ سنين تُزيِّره جدَّه في كلِّ عام ، فلما كان من شقِّ صدره عندهم ما كان ، رَدَّتْه إليهم ، فأقام عند أمِّه ، حتى [ إذا ]<sup>(٣)</sup> كان عمره ثمانين سنين ، ماتت ، فكفَلَه جدُّه عبدُ المطلب ، فمات وله عليه الصلاة والسلام عَشْرُ سنين ، فكفَلَه عمَّاه شقيقا أبيه : الزُّبير وأبو طالب ، فلما كان له بضعُ عَشْرَةِ سنة خرج مع عمِّه الزُّبير إلى اليمن . فذكر أنهم رأوا منه آياتٍ في تلك السَّفَرَة ؛ منها أنَّ فَحْلاً من الإبل كان قد قطعَ بعضَ الطريق في وادٍ مَمْرُهم عليه ، فلما رأى رسولَ الله ﷺ برك حتى حَكَّ بِكَلْكَلِهِ<sup>(٤)</sup> الأرضَ ، فركبه عليه الصلاة والسلام . ومنها أنه خاض بهم سيلاً عَرِمًا<sup>(٥)</sup> فأيسسه الله تعالى حتى جاوزوه . ثم مات عمُّه الزُّبير وله أربعُ عشرة سنة ، فانفرد به أبو طالب .

والمقصود أنَّ بركتَه عليه الصلاة والسلام حلَّت على حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ، ثم عادت على هوازنَ بكمالهم فواضِلُهُ<sup>(٦)</sup> حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر . فَمَتُّوا<sup>(٧)</sup> إليه برِضاعه ، فأعتقهم وتحنَّن عليهم وأحسن إليهم ، كما سيأتي مفصَّلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٨)</sup> في وقعة هوازن : عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه [ عبد الله بن عمرو ] قال : كنا مع رسول الله ﷺ بَحْنِينَ ، فلما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركه وَفْدُ هوازنَ بالجِعرانة<sup>(٩)</sup> وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أهلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يَخْفَ

(١) الأموي هو أبو محمد سعيد بن يحيى بن سعيد المتوفى (١٩١) هـ في كتابه المغازي .

(٢) في ط : ليتخذ .

(٣) زيادة ليست في ح ، ط : ويقضيها السياق .

(٤) « الكلكل » : الصدر . اللسان ( كلل ) .

(٥) في ح : عرمرم والمثبت من ط ، والليل العرم : السيل الذي لا يطاق . والعمرم : الكثير من كل شيء . اللسان ( عرم ) .

(٦) « الفواضل » : الأيادي الجميلة ، وفواضل المال : ما يأتيك من مرافقه وغلته . اللسان ( فضل ) .

(٧) « متوا » : توسلوا ، يقال : مت إليه بالشيء يمت متاً : توسل . اللسان ( مت ) .

(٨) في سيرة ابن هشام ( ٤٨٨ / ٢ ، ٤٨٩ ) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٩) ويقال : الجِعرانة بكسر العين المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . =

عليك ، فأمُنْ علينا مَنْ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صُرد فقال : يا رسول الله . إنَّ ما في الحظائر<sup>(١)</sup> من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، فلو أَنَا مَلَحْنَا<sup>(٢)</sup> ابنَ أبي شَمِر ، أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين . ثم أنشد : [ من البسيط ]

أُمُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ	فإِنَّكَ المرءُ نَرْجُوهُ وَنَدَّخِرُ
أُمُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا <sup>(٣)</sup> قَدَرٌ	مَمَزَقٌ شَمْلُهَا فِي دَهْرَهَا غَيْرُ
أَبَقْتُ لَنَا الدَّهْرَ هَتَّافًا عَلَى حَزَنِ	عَلَى قُلُوبِهِمُ الْغَمَاءُ وَالْغُمَرُ <sup>(٤)</sup>
إِنْ لَمْ تُدَارِكْهَا نَعْمَاءٌ تَنْشُرُهَا	يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ <sup>(٥)</sup>
أُمُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا	إِذْ فُوكَ يَمْلَأُهَا مِنْ مَحْضِهَا دِرَرٌ <sup>(٦)</sup>
أُمُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا	وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُ
لَا تَجْعَلْنَا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ	وَاسْتَبَقَ مِنَّا فَإِنَّا مَعَشَرُ زُهْرٍ <sup>(٧)</sup>
إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنُّعْمَى وَإِنْ كُفِّرَتْ	وَعِنْدَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ مُدَّخِرُ

وقد رُويَتْ هذه القصة من طريق عبد الله<sup>(٨)</sup> بن رُمَاحِجس الكلبي الرملي ، عن زياد بن طارق الجُشَمي ،

= معجم البلدان (١٤٢ / ٢) .

- (١) في ح : الحضائر ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام ، والحظيرة : المحيط بالشيء ، سواء كان خشباً أو قصباً ، جمعها الحظائر . التاج ( حظر ) .
- (٢) « ملحننا » : أرضعنا . الشرح من حاشية ح ، وكتب فوقه : ش صحاح ، يعني الشرح من صحاح الجوهري . وجاء في اللسان ( ملح ) : وفي حديث وفد هوازن : أنهم كلموا رسول الله ﷺ في سبي عشائريهم ، فقال خطيبهم : إنا لو كنا ملحننا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منزلك هذا منا لحفظ ذلك لنا ، وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك ؛ قال الأصمعي : في قوله ملحننا ، أي : أرضعنا لهما .
- (٣) في ح : . . بيضة أعتانها قدر ، والمثبت من ط ومصادر التخريج . والبيضة : من قولهم : بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم ، وعشيرتهم . التاج ( بيض ) .
- (٤) « الغماء » : الكَرْب . الْغُمَرُ : جمع غُمرة ، وهي الشدة ، كغمرة الهم والموت . اللسان ( غم ، غمر ) . وقال الزرقاني في شرح المواهب : « وَالْغُمَرُ : بفتح المعجمة وتكسر وميم مفتوحة وراء : الحقد » .
- (٥) الشطر الأول مختل الوزن بهذه الرواية ، ويستقيم برواية الواقدي وهي : ألا تداركها ، أو رواية الخطيب البغدادي والسهيلى وابن عساكر وهي : تُدَارِكُهُمْ .
- (٦) « دِرَر » : أي الدفعات الكثيرة من اللبن . قاله الحلبي في السيرة الحلبية (١٢٦ / ٣) قلت : هو جمع دِرَّة بكسر الدال ، وهي كثرة اللبن وسيلانه . اللسان ( درر ) .
- (٧) « شالت نعمة القوم » : خفت منازلهم منهم ، وذهب عزهم ، وتفرقت كلمتهم . اللسان ( شول ) .
- (٨) كذا في ح والتاج رمحس ، وفي ط واللباب (٣٦ / ٢) ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٤٧١ / ٥) وميزان الاعتدال (٦ / ٣) .

عن أبي صُرْد زهير بن جَرْوَل<sup>(١)</sup> - وكان رئيسَ قومه - قال : لما أَسْرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ حُنين ، فبينما هو يَمِيزُ بين الرجال والنساء وثبْتُ حتى قعدتُ بين يديه ، وأسمعتُه شعراً ، أذكره حين شَبَّ ونشأ في هوازن حيث أَرْضَعوه : [ من البسيط ]

أُمنُنْ علينا رسولَ الله في دَعَةٍ	فإنَّك المرءُ نرجوه وننتَظِرُ
أُمنُنْ على بَيضَةٍ قد عاقها قَدَرُ	مَمَرٌ شَمْلُها في دهرها غيرُ
أبقت لنا الحربُ هَتافاً على حَزَنِ	على قلوبهمُ الغَمَاءُ والغَمَرُ
إن لم تُدارِكها نِعماءُ تنشرُها	يا أرجحَ الناسِ حلماً حين يُختبرُ
أُمنُنْ على نسوةٍ قد كنتَ ترضعُها	إذ فُوك يملؤهُ <sup>(٢)</sup> من مَخْضِها الدَّرَرُ
إذ أنتَ طفلٌ صغيرٌ كنتَ ترضعُها	وإذ يَزِينُك ما تأتي وما تذرُ
لا تجعلنَا كمن شالت نِعمَتُهُ	واستَبَقَ منا فإننا معشرُ زُهَرُ
إنَّا لنشكُرُ للنُّعمى وإن كُفِرَتْ	وعندنا بعد هذا اليومُ مُدْخَرُ
فألْبَسِ العَفْوَ مَنْ قد كنتَ ترضعُها	مِن أمَّهَاتِكَ إنَّ العَفْوَ مُشْتَهَرُ
إنَّا نوَمِّلُ عَفْواً منك تُلِيسُهُ	هذي البرِيَّةُ إذ تعفو وتنتصرُ
فاعفو <sup>(٣)</sup> عفا الله عما أنتَ رَاهِبُهُ <sup>(٤)</sup>	يومَ القيامةِ إذ يُهدى لك الظَّفَرُ

قال : فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله ولكم » فقالت [ قريش ] : ما كان لنا فهو لله ولرسوله . وقالت [٥] الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ .

- (١) كذا في ح ، ط : وفي المصادر السابقة : عن أبي جروال زهير بن صرد ، وقال السهيلي في الروض ١٦٦/٤ : وأما زهير الذي ذكره يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (٤٨٨/١) فهو ابن صرد ، يكنى أبا صرد ، وقيل : أبا جروال . وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٩٠/٢) : زياد بن طارق عن أبي جروال ؛ نكرة لا يُعرف . تفرد عنه عبيد الله بن رماحس .
- (٢) في ح : يملؤها وفي ط : تملؤها ، والمثبت من مختصر تاريخ ابن عساكر .
- (٣) في ط : فاغفر .
- (٤) في ح : واهبه ، والمثبت من ط ومصادر التخريج ، وهي مغازي الواقدي (٩٥٠/٣ ، ٩٥١) وتاريخ بغداد (١٠٦/٧) والروض الأنف (١٦٦/٤) ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (١٧١/٥ ، ١٧٢) وشرح المواهب للزرقاني (٤/٤) ما بعدها ، وفيه : راهبه ، بموحدة : خائفه . والسيرة الحلبية (١٢٦/٣) .
- (٥) ما بين معقوفين استدركته من تاريخ بغداد ومختصر تاريخ ابن عساكر . والحديث أخرجه البخاري فتح (٤٣١٨) (٤٣١٩) في المغازي باب قول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ . . . ﴾ وفي الوكالة (٢٣٠٧) و(٢٣٠٨) باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع ، وفي العتق (٢٥٣٩) و(٢٥٤٠) باب من ملك من العرب رقيقاً ، وفي الهبة (٢٥٨٣) و(٢٥٨٤) باب من رأى أن الهبة الغائبة جائز ، وباب إذا وهب جماعة لقوم ، وفي الجهاد (٣١٣١) و(٣١٣٢) باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين ، وفي الأحكام (٧١٧٦) و(٧١٧٧) ، باب العرفاء للناس ، وأخرجه أبو داود (٢٦٩٣) في الجهاد باب في فداء الأسير بالمال . ورواه أيضاً الواقدي في المغازي (٩٤٩/٣ ، ٩٥٠) مطولاً ، وكذا ابن سعد في الطبقات (١١٤/١ ، ١١٥) وابن الأثير في جامع الأصول رقم (٦١٧١) في غزوة حنين .

وسياتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبيٍّ وامرأة ، وأعطاهم أنعاماً وأناسيَّ كثيراً . حتى قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ خمسمئة ألف درهم . فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته على من اتبعه في الدار الآخرة ؟ .

## فصل

قال ابن إسحاق بعد ذكر رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى أمه آمنة بعد رِضَاعَة حليمة له<sup>(١)</sup> : فكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وَهَب ، وجدّه عبد المطلب في كَلَاءَةِ الله وحِفْظِهِ ، يُنْبِتُهُ الله نباتاً حسناً لِمَا يريدُ به من كرامته ، فلما بلغ ستّ سنين توفيت أمُّه آمنة بنت وَهَب .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن أمّ رسول الله ﷺ آمنة توفيت وهو ابنُ ستّ سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قَدِمَتْ به على أخواله من بني عَدِيٍّ بن النَجَّار ، تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة .

وذكر الواقديُّ بأسانيد<sup>(٣)</sup> ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرجت به أمُّه إلى المدينة ومعها أمُّ أيمن وله ستّ سنين ، فزارت أخواله . قالت أمُّ أيمن : فجاءني ذات يوم رجلان من يهود المدينة فقالا [ لي ]<sup>(٤)</sup> : أخرجي إلينا أحمد ننظر إليه . فنظرا إليه وقلّباه ، فقال أحدهما لصاحبه : هذا نبيُّ هذه الأمة ، وهذه دارُ هِجْرَتِهِ ، وسيكونُ بها من القتل والسَّيِّئِ أمرٌ عظيم . فلما سمعتُ أمُّه خافتُ وانصرفت به ، فماتت بالأبواء وهي راجعة .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدّثنا حسين بن محمد ، حدّثنا أيُّوب بن جابر ، عن سِمَاك ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن ابن<sup>(٦)</sup> بريدة عن أبيه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بوَدَّان<sup>(٧)</sup> قال : « مكانكم حتى آتيكم » فانطلق ثم جاءنا وهو ثَقِيلٌ<sup>(٨)</sup> ، فقال : « إني آتيتُ قبرَ أم محمد ، فسألتُ ربي الشفاعة - يعني لها - فمَنَعْنِيهَا ، وإني كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور فزُوروها ، وكنتُ نهيتُكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاثة

(١) في سيرة ابن هشام (١/١٦٨) .

(٢) بهذا اللفظ في سيرة ابن هشام (١/١٦٨) ويلفظ مختلف في سيرة ابن إسحاق (ص ٤٢) .

(٣) طبقات ابن سعد (١/١١٦) .

(٤) ما بين معقوفين ليس في ح وهو من ط .

(٥) في مسنده (٥/٣٥٦ ، ٣٥٧) .

(٦) وقع في المسند : أبي بريدة ، وهو تصحيف ، وهو سليمان بن بريدة .

(٧) « وَدَّان » : قرية جامعة من نواحي الفُرْع ، بينها وبين هَرُش ستة أميال ، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال ، قريبة من الجحفة . معجم البلدان (٥/٣٦٥) .

(٨) في المسند : « سقيم » خطأ ( وهي كما هنا في طبعة مؤسسة الرسالة ٣٨/١٢٤ ) وهو الصواب .

أيام ، فكلوا وأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن الأثربة في هذه الأوعية فاشربوا ما بدا لكم <sup>(١)</sup> .

وقد رواه البيهقي <sup>(٢)</sup> من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد <sup>(٣)</sup> ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : انتهى النبي ﷺ إلى رشم قبر فجلس ، وجلس الناس حوله ، فجعل يحرك رأسه كالمخاطب ، ثم بكى ، فاستقبله عمر ، فقال : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب ، استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فأبى علي ، وأدركتني رقتها فبكيت » . قال : فما رأيت <sup>(٤)</sup> ساعة أكثر باكياً من تلك الساعة .

تابعه محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه .

ثم روى البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن بحر بن نصر <sup>(٥)</sup> ، عن عبد الله بن وهب ، حدثنا ابن <sup>(٦)</sup> جريج ، عن أيوب بن هاني ، عن مسروق بن الأجدع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا <sup>(٥)</sup> فجلسنا ، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها ، فناهجه طويلاً ، ثم ارتفع نحيب رسول الله ﷺ باكياً ، فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ؛ ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلينا ، فتلناه عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكنا وأفزعنا . فجاء فجلس إلينا فقال : « أفزعكم بكائي » ؟ قلنا : نعم . قال : « إن القبر الذي رأيتُموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب ، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه ، واستأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه . ونزل علي : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [١١] وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٣ - ١١٤] . فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذي أبكاني .

غريبٌ ولم يخرجوه <sup>(٧)</sup> .

وروى مسلم <sup>(٨)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ،

(١) إسناده ضعيف ، لضعف أيوب بن جابر ، لكن متنه صحيح من غير هذا الوجه (بشار) .

(٢) في دلائل النبوة (١/ ١٨٩) .

(٣) في ح ، ط : علقمة بن يزيد ، تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي والإكمال (٧/ ٢٣١) وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٧٨) .

(٤) في ط : رؤيت ، والمثبت من ح والدلائل .

(٥) في ح : محمد بن نصر . تصحيف ، والمثبت من ط والدلائل واللباب (١/ ٧٠) وتهذيب التهذيب (١/ ٤٢٠) .

(٦) سقطت اللفظة من ح .

(٧) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١٩٠) .

(٨) في صحيحه (١٠٨) الجنائز باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه .

عن أبي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى مَنْ حَوْلَهُ ، ثم قال : « استأذنتُ ربِّي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها<sup>(١)</sup> فلم يأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت »<sup>(٢)</sup> .

وروى مسلم<sup>(٣)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عَفَّان ، عن حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أين أبي ؟ قال : « في النار » . فلما قَفِيَ<sup>(٤)</sup> دعاه فقال : « إِنَّ أباي وأباك في النَّار » .

وقد روى البيهقي<sup>(٥)</sup> من حديث أبي نعيم الفضل بن دُكَيْن ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزُّهري ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : جاء أعرابيُّ إلى النبي ﷺ فقال : إِنَّ أباي كان يصلُّ الرَّحْم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال : فكأنَّ الأعرابيَّ وجد من ذلك فقال : يا رسول الله أين [ أبي ؟ قال : « في النار » قال : أين ؟ ] أبوك ؟ قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » . قال : فأسلم الأعرابيُّ بعد ذلك فقال : لقد كلَّفني رسولُ الله ﷺ تعباً ، ما مررت بقبر كافر إلا بَشَّرْتُهُ بالنار .

غريب ، ولم يخرجوه من هذا الوجه<sup>(٧)</sup> .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حدَّثنا أبو عبد الرحمن ، حدَّثنا سعيد - هو ابن أبي أيوب - حدَّثنا ربيعة بن سيف المَعافري ، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : بينما نحن نمشي مع رسول الله ﷺ إذ بَصُرَ بامرأةٍ لا نظنُّ أنه عرفها ، فلما تَوَسَّطَ<sup>(٩)</sup> الطريق وقف حتى انتهت إليه ، فإذا فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال : « ما أخرجكِ من بيتكِ يا فاطمة ؟ » فقالت : أتيتُ أهلَ هذا البيت فترَحَّمتُ<sup>(١٠)</sup> إليهم مَيِّتَهُمْ وعَزَّيْتُهُمْ . قال : « لعلك بلغتِ معهم الكُدَى » ؟ قالت : معاذَ الله أن أكون بلغتُها معهم وقد سمعتُك تذكر في ذلك ما تذكر . قال : « لو بَلَغَتْها<sup>(١١)</sup> معهم ما رأيتِ الجنةَ حتى يراها جدُّ أبيك » .

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (٣/٣٤٣) ، وأحمد (٢/٤٤١) ابن ماجه في سننه (١٥٦٩) و(١٥٧٢) الجنائز باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ، وأبو داود في سننه (٣٢٣٤) الجنائز باب في زيارة القبور ، والنسائي في سننه (٩٠/٤) الجنائز باب زيارة قبر المشرك ، وابن حبان (٣١٦٩) والحاكم (١/٣٧٥) . وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٤٦/٧) : رجاله كلهم ثقات فهو حديث صحيح بلا شك .

(٣) في صحيحه (٣٤٧) الإيمان باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار .

(٤) قَفِيَ : ولَّى قفاه منصرفاً . شرح النووي لصحيح مسلم (٣/٧٩) .

(٥) في دلائل النبوة (١/١٩١ ، ١٩٢) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من ط والدلائل ، وهو في ح .

(٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١١٧ ، ١١٨) وقال : رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(٨) في مسنده (٢/١٦٨ ، ١٦٩) .

(٩) في مسند الإمام أحمد : « توجهنا الطريق » وما هنا أصح .

(١٠) كذا في ح ، ط وسنن النسائي ، وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وسنن البيهقي : فرحمت .

(١١) في ح ، ط : بلغتِها ، والمثبت من مسند الإمام أحمد وسنن النسائي .

ثم رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي<sup>(١)</sup> من حديث ربيعة بن سيف بن ماتع المعافري الصنمي الإسكندري، وقد قال البخاري<sup>(٢)</sup> : عنده مناكير. وقال النسائي<sup>(٣)</sup> : ليس به بأس، وقال مرة<sup>(٤)</sup> : صدوق، وفي نسخة<sup>(٥)</sup> ضعيف. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال<sup>(٦)</sup> : كان يُخطئ كثيراً. وقال الدارقطني<sup>(٧)</sup> : صالح. وقال ابن يونس في تاريخ مصر<sup>(٨)</sup> : في حديثه مناكير، توفي قريباً من سنة عشرين ومئة. والمراد بالكُدى : القبور، وقيل : النُّوح<sup>(٩)</sup>.

والمقصود أنَّ عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية، خلافاً لفرقة الشيعة فيه وفي ابنه أبي طالب، على ما سيأتي في وفاة أبي طالب، وقد قال البيهقي - بعد روايته هذه الأحاديث في كتابه «دلائل النبوة»<sup>(١٠)</sup> : وكيف لا يكون أبواه وجدُّه عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة، وقد كانوا يعبدون الوثن، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام، وكفرهم<sup>(١١)</sup> لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام، لأنَّ أنكحة الكفار صحيحة. ألا تراه يُسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم، إذا كان مثله يجوز في الإسلام، وبالله التوفيق. انتهى كلامه.

قلت : وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والضُّمَّ يُمتحنون في العَرَصات يوم القيامة، كما بسطناه سنداً ومتناً عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾<sup>(١٢)</sup> [سورة البقرة : ١٥٥] فيكون منهم من يجيب

- (١) الإمام أحمد في مسنده (١٦٨/٢، ١٦٩) وأبو داود في سننه (٣١٢٣) الجناز باب في التعزية، والنسائي في سننه (٢٦/٤، ٢٧) الجناز باب النعي، والبيهقي في الدلائل (١٩٢/١) وفي إسناده ضعف.
- (٢) في التاريخ الكبير (٢٩٠/٣).
- (٣) تهذيب الكمال (١١٤/٩).
- (٤) لم نقف على هذا القول.
- (٥) المجتبى (٢٨/٤).
- (٦) الثقات (٣٠١/٦).
- (٧) سؤالات البرقاني للدارقطني (١٥٣).
- (٨) هو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، مؤرخ، محدث، له تاريخان، أحدهما كبير في «أخبار مصر وتاريخها» والثاني صغير في «ذكر الغرباء الواردين على مصر» توفي ٣٤٧هـ (٢٩٤/٣) وكشف الظنون (٣٠٤/١).
- (٩) قال ابن منظور في تفسيره : أراد المقابر، وذلك لأنه كانت مقابرهم في مواضع صلبة، وهي جمع كُذبة، ويروى بالراء [الكُرى] وهي القبور جمع كُزْيه أو كُزْوَة، من كريت الأرض وكروتها : إذا حفرتها، كالحفرة. اللسان (كدي، كرو).
- (١٠) دلائل النبوة (١٩٢/١، ١٩٣).
- (١١) في الدلائل : وأمرهم.
- (١٢) يعني بسطه في التفسير (٢٨/٣) وما بعدها.



ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة ، والله الحمد والمنة .

وأما الحديث الذي ذكره السُّهَيْلِيُّ ، وذكر أنَّ في إسناده مجهولين إلى ابن أبي الزُّنَاد ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سأل ربَّه أن يُحيي أبويه ؛ فأحياهما وآمنا به ، فإنه حديثٌ منكرٌ جداً . وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه . والله أعلم .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان رسول الله ﷺ مع جدِّه عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمِّه آمنة بنت وهب - فكان يوضع لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة ، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له . قال : فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفَرٌ<sup>(٢)</sup> حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخِّروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إنَّ له لشأناً . ثم يجلسه معه على فراشه ويمسح ظهره بيده ويسرُّه ما يراه يصنع .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حدَّثني محمد بن عبد الله عن الزهري ، وحدَّثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الواحد بن حمزة بن<sup>(٤)</sup> عبد الله ، وحدَّثنا هاشم بن عاصم الأسلمي عن المنذر بن جَهْم ، وحدَّثنا معمر عن ابن أبي نَجِيح عن مجاهد ، وحدَّثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز عن أبي الحويرث ، وحدَّثنا ابن أبي سَبْرَةَ ، عن سليمان بن سَحِيم ، عن نافع بن جُبَيْر - دخل حديثٌ بعض منهم في بعض - قالوا : كان رسول الله ﷺ يكون مع أمِّه آمنة بنتِ وَهْب ، فلما توفيت قبضه إليه جدُّه عبد المطلب ، وضمه ورقاً عليه<sup>(٥)</sup> رِقَّةً لم يرقِّها على ولده ، وكان يقربُّه منه ويُدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني إنه يُؤنس<sup>(٦)</sup> ملكاً .

وقال قومٌ من بني مُذَلِّج لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنَّا لم نر قدماً أشبه بالقدم التي في الحَجَرِ<sup>(٧)</sup>

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ٤٢ ، ٤٣) وسيرة ابن هشام (١/١٦٨) .

(٢) « الجفر » : الصبي إذا انتفخ لحمه وأكل وصارت له كرش . اللسان جفر .

(٣) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/١١٧ ، ١١٨) .

(٤) في ح عن ، والمثبت من ط وطبقات ابن سعد .

(٥) كذا في الأصول وطبقات ابن سعد ، وليس في المعجمات تعدية للفعل ( رق ) ب ( على ) وإنما « رق له » بمعنى رَجَمَه .

(٦) في ط : يؤسس ، وفي الطبقات : لِيُؤنِسُ ، والمثبت من ح وفي اللسان من حديث نجدة الحروري وابن عباس : حتى تُؤنِسَ منه الرُّشْدُ ؛ أي تعلم منه كمال العقل وسداد الفعل وحسن التصرف .

(٧) فوق اللفظة في ح إشارة (٢) ليست إشارة لَحَقَ ، وفي الهامش كُتِبَ ( المقام ) وفوقها حرف ( خ ) إشارة إلى أنها رواية نسخة ، وهي رواية الطبقات و ط .

والمقام في المسجد الحرام ، هو الحَجَرُ الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت ؛ وقيل : هو الحجر =

منه . فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ! فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأُمِّ أيمن - وكانت تحضنه - : يا بركة ، لا تغفلي عن ابني ، فإنني وجدته مع غلمان قريب<sup>(١)</sup> من السدرة ، وإنَّ أهل الكتاب يزعمون أنَّ ابني نبيُّ هذه الأمة . وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول : عليَّ بابني ، فيؤتى به إليه . فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته ، ثم مات عبد المطلب ودُفن بالحجون<sup>(٢)</sup>

وقال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين هلك جدُّه عبد المطلب بن هاشم . ثم ذكر جمعه بناته وأمره إياهنَّ أن يرثينه ؛ وهن : أروى ، وأميه ، وبرّة ، وصفية ، وعاتكة ، وأُمُّ حكيم البيضاء ، وذكر أشعارهنَّ وما قلنَّه في رثاء أبيهن ، وهو يسمع قبل موته ، وهذا أبلغ النوح . وبسط القول في ذلك .

وقد قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية بعده ابنه العباس ، وهو من أحدث إخوته سنأ ، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وأقرها في يده رسول الله ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ بعد جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب لوصية عبد المطلب له به ، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ<sup>(٦)</sup> بن عمران بن مخزوم . قال : فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله ﷺ وكان إليه ومعه .

وقال الواقدي<sup>(٧)</sup> : أخبرنا معمر عن ابن [ أبي ]<sup>(٨)</sup> نجيع عن مجاهد ، وحدثنا معاذ بن محمد الأنصاري ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وحدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة - دخل حديث بعضهم في [ حديث ]<sup>(٩)</sup> بعض - قالوا : لما توفي عبد المطلب قبض

= الذي وقف عليه حين غسلت زوج ابنة إسماعيل رأسه ، وقيل : بل كان راكباً فوضعت له حجراً من ذات اليمين فوقف عليه حتى غسلت شق رأسه الأيمن ثم صرفته إلى الشق الأيسر فرسخت قدماء فيه حال وقوفه عليه ؛ وقيل هو الحجر الذي وقف عليه حين أذن في الناس بالحج . وصفه في معجم البلدان ( المقام ، ١٦٤ / ٥ ) .

(١) كذا في ح ، ط ، والوجه : قريباً بالنصب .

(٢) «الحجون» : جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها ، على ميل ونصف . معجم البلدان ( ٢ / ٢٢٥ ) واللسان ( حجن ) .

(٣) سيرة ابن إسحاق ( ص ٤٥ ) وما بعدها وسيرة ابن هشام ( ١ / ١٦٩ ) وما بعدها .

(٤) سيرة ابن هشام ( ١ / ١٦٩ ) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ( ص ٤٧ ) وسيرة ابن هشام ( ١ / ١٧٨ ، ١٧٩ ) .

(٦) في ح : عابد . وهو تصحيف ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والإكمال ( ٦ / ٩ ) .

(٧) قول الواقدي في طبقات ابن سعد ( ١ / ١١٩ ) .

(٨) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط ، وأثبتته من الطبقات .

(٩) ما بين معقوفين من ط وطبقات ابن سعد .

أبو طالب رسول الله ﷺ ، فكان يكون معه ، وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبّه حبّاً شديداً لا يحبّه ولده ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصَبَّ به أبو طالب صباةً لم يُصَبَّ<sup>(١)</sup> مثلها بشيء قط . وكان يخضّه بالطعام ، وكان إذا أكل عيالُ أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا ، فكان إذا أراد أن يُغَدِّيَهُمْ قال : كما أنتم حتى يأتي ولدي . فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا<sup>(٢)</sup> يُفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا ، فيقول أبو طالب : إنَّك لمبارك ، وكان الصبيان يُصبحون رُمُصاً شُعثاً ، ويُصبح رسول الله ﷺ دَهِيناً كَحِيلًا .

وقال الحسن بن عرفة : حدَّثنا عليُّ بن ثابت ، عن طلحة بن عمرو ، وسمعتُ عطاء بن أبي رباح ، سمعتُ ابن عباس يقول : كان بنو أبي طالب يُصبحون غُمُصاً رُمُصاً ، ويُصبح رسول الله ﷺ صَقِيلًا دَهِينًا<sup>(٣)</sup> وكان أبو طالب يُقَرِّبُ إلى الصبيانِ صَحَفَتَهُمْ<sup>(٤)</sup> أَوَّلَ الْبُكْرَةِ ، فيجلسون وينتهبون ، ويكف رسول الله ﷺ يده فلا ينتهب معهم<sup>(٥)</sup> . فلما رأى ذلك عمُّه عزَّل له طعامه على حِدة .

وقال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : حدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، أنَّ أباه حدَّثه أنَّ رجلاً من لَهَبٍ كان عائفاً<sup>(٧)</sup> ، فكان إذا قَدِم مكة أتاه رجلاً من قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف<sup>(٨)</sup> لهم فيهم ؛ قال : فأتى أبو طالب برسول الله ﷺ وهو غلام مع من<sup>(٩)</sup> يأتيه ؛ قال : فنظر إلى رسول الله ﷺ ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام عليٌّ به . فلما رأى أبو طالب حِرْصَهُ عليه غِيْبَهُ عنه ، فجعل يقول : ويلكم ، رُدُّوا عليَّ الغلام الذي رأيته آنفاً ، فوالله ليكوننَّ له شأن . قال : وانطلق به أبو طالب .

- 
- (١) « صَبَّ به » : أحَبَّهُ وكلف به ، جاء في الأساس ( صَبَب ) : هو صَبَّ بها : كَلِفْتُ ، وهي صَبَّةٌ به . وهو من الصباة ورقة الهوى .
- (٢) في ح : فكان ، والمثبت من ط .
- (٣) قال صاحب اللسان بعد سياق الحديث ( رمص ) : غَمِصَتِ العين ورمِصَت من الغَمَصِ والرمص ، وهو البياض الذي تقطعه العين ويجتمع في زوايا الأجفان ، والرمص : الرطب منه ، والغَمَصُ : اليابس ، والغَمَصُ والرمص : جمع أغمص وأرمص .
- (٤) « الصحفة » : كالقصعة ، وهي تشعب الخمسة ونحوهم . اللسان ( صحف ) ، وحرف في ط إلى صفحتهم . وفي ح على الصواب .
- (٥) « ينتهبون » : من الانتهاب وهو الأخذ . التاج ( نهب ) .
- (٦) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام ( ١٧٩ / ١ ) ، ( ١٨٠ ) .
- (٧) « بنو لَهَبٍ » : قبيلة من الأزد ، وهم أهل العِيافة والزُّجر ، زعموا أنها أعيف العرب . والعائف : المتكهّن الذي يعيف الطير فيزجرها بالحدس والظن فيتفاءل بأسمائها وأصواتها وممرّها . اللسان والتاج ( لهب ، عيف ) .
- (٨) في ح : ويعاف . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .
- (٩) في ح : ممن ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

## فصل

## في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب

إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب<sup>(١)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم إنَّ أبا طالب خرج في ركبٍ تاجراً إلى الشام ، فلمَّا تهيأ للرحيل وأجمع السير صَبَّ به<sup>(٣)</sup> رسولُ الله ﷺ - فيما يزعمون - [ فأخذ بزمام ناقته وقال : « يا عم ، إلى من تكلني ؟ لا أب لي ولا أم ؟ » ] فَرَقَّ له أبو طالب وقال : والله لأُخرجنَّ به معي ولا أفارقُهُ ولا يفارقُنِي أبداً . أو كما قال فخرج به [ معه ] ، فلما نزل الرِّكْبُ بُصِّرَى<sup>(٤)</sup> من أرض الشام ، وبها راهبٌ يقال له : بِحَيْرَى في صومعةٍ له . وكان إليه عِلْمُ أهل النَّصْرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قُطَّ<sup>(٥)</sup> راهب فيها<sup>(٦)</sup> ، إليه<sup>(٧)</sup> يصيرُ علمهم عن كتاب [ فيها ]<sup>(٨)</sup> فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحَيْرَى ، وكانوا كثيراً ما يمرُّون [ به قبل ذلك ] فلا يكلمُهم ولا يعرض لهم<sup>(٩)</sup> حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا قريباً من صومعته ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته . يزعمون أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ في الرِّكب حين أقبلَ وغمامةٌ تَظْلُهُ من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أَظَلَّتِ الشجرة ، وتهصَّرتْ أغصانُ الشجرة على رسولِ الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها<sup>(١٠)</sup> . فلما رأى ذلك بِحَيْرَى نزل من صومعته ، وقد أمرَ بطعامٍ فَصَّنَع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني

- (١) مضت ترجمة بحيرى في الجزء الثاني وهي أيضاً في مختصر ابن منظور (٥٤/٥) والإصابة (١٧٦/١) وشرح المواهب (٢٣٤/١).
- (٢) سيرة ابن إسحاق (ص ٥٣) وما يأتي بين معقوفين منه . وأيضاً في سيرة ابن هشام (١٨٠/١) والروض (٢٠٥/١) وتاريخ الطبري (٧٧/٢) ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٧/٢) وشرح المواهب (٢٣٣/١) وما بعدها .
- (٣) في سيرة ابن إسحاق صب له - أظنه تصحيفاً - وعند بعض الرواة : فضَّب به . أي لزمه كما في شرح المواهب (٢٣٣/١) وقد مضى معناه (الصفحة السابقة ح ١) من هذا الجزء .
- (٤) « بُصِّرَى » : قصبة كورة حَوْران من أعمال دمشق ، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ، وهي أول مدينة فتحت بالشام ، وردها عليه الصلاة والسلام مرتين . هذه إحداها ، والثانية في تجارة لخديجة مع ميسرة غلامها . معجم البلدان (٤٤١/١) ومختصر ابن منظور (٥/٢) وشرح المواهب (٢٣٤/١) وموقعها اليوم جنوبي دمشق ، وتبعد عنها مسافة ١٤٢ كم تقريباً .
- (٥) قُطَّ هنا بمعنى الزمان والدهر ، وهي مثلثة القاف . التاج (قطط) .
- (٦) راهب كذا في ح ، ط ، والوجه : راهباً بالنصب ، ولفظة : فيها ، ساقطة من ح .
- (٧) في ح : إليهم . والمثبت من ط .
- (٨) في سيرة ابن إسحاق ومختصر ابن منظور : فيهم ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض الأنف .
- (٩) في ح : إليهم . والمثبت من مصادر التخريج .
- (١٠) « تهصَّرت » : أي تهدَّلت عليه ومالت ، من الهَصْر ، وهو عطف الغصن الرطب . اللسان (هصر) .

صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحبُّ أن تحضروا كلُّكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحُرَّكم . فقال له رجل منهم : والله يا بَحِيرى إنَّ لك لشأناً اليوم ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وقد كُنَّا نمرُّ بك كثيراً ، فما شأنُك اليوم؟ قال له بَحِيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكم ضَيْفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم . فاجتمعوا إليه وتخلَّفَ رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحداثةِ سنِّه في رحالِ القوم تحت الشجرة ، فلما رآهم بَحِيرى لم يرَ الصفةَ التي يعرفُ ويجدُ<sup>(١)</sup> عنده ، فقال : يا معشر قريش ، لا يتخلَّفَنَّ أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بَحِيرى ، ما تخلَّفَ عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلامٌ وهو أحدُنا سنّاً ، فتخلَّفَ في رحالنا . قال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضُرْ هذا الطعامَ معكم . قال : فقال رجلٌ من قريش مع القوم : واللّاتِ والعُزَّى ، إنَّ كان للوْماً بنا أن يتخلَّفَ محمدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه [ ، ثم أقبلَ به ] وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بَحِيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظرُ إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بَحِيرى وقال له : يا غلام ، أسألك بحقّ اللات والعُزَّى إلا أخبرتني عمّا أسألك عنه . وإنما قال له بَحِيرى ذلك ، لأنه سمع قومَهُ يحلفون بهما ، فزعموا أن رسولَ الله ﷺ قال له : « لا تسألني باللاتِ والعُزَّى شيئاً ، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بُغْضَهُما » . فقال له بَحِيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه ؟ فقال له : « سلني عمّا بدا لك » . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومِهِ وهَيْئَتِهِ وأُمُورِهِ . فجعل رسولُ الله ﷺ يُخْبِرُهُ ، فوافق<sup>(٢)</sup> ذلك ما عند بَحِيرى من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه [ على ] موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبل على عمِّه أبي طالب فقال : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : ابني ، قال بَحِيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكونَ أبوه حيّاً ؟ قال : فإنَّه ابنُ أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأُمُّهُ حُبْلَى به . قال : صدقت ، ارجعْ بابن أخيك إلى بلَدِهِ ، واخذِرْ عليه يهود . فوالله لئن رآوه وعرفوا منه ما عرفتَ لَيَبْعُنَّهُ<sup>(٣)</sup> شِراً ، فإنَّه كائنٌ لابنِ أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسرِعْ به إلى بلاده . فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فزعموا فيما روى الناس أن زُريراً ، وثماماً<sup>(٥)</sup> ، ودريساً - وهم نفرٌ من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا رسولَ الله ﷺ مثلما رأى بَحِيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه فردَّهم عنه بَحِيرى ، فذكَرَهُم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما

(١) في ح : يعرفه بها ، وفي ط : ويجده ، والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) في ح : رأى . والمثبت من ط ومصادر التخريج .

(٣) في سائر المصادر فيوافق . وهو أشبه بالصواب .

(٤) في ح : إن . . ليتبعنه ، وفي سيرة ابن إسحاق : ليبغينه . والمثبت من ط وباقي المصادر .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص ٥٥) وسيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) والروض الأنف (١/ ٢٠٧) ومختصر ابن منظور (٩/ ٢) .

(٦) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق وسائر مصادر تخريجه تماماً بالتاء المثناة من فوق .

أرادوا به لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم وصدّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .  
وقد ذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنَّ أبا طالب قال في ذلك ثلاث قصائد<sup>(١)</sup> . هكذا ذكر ابن  
إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه ، وقد ورد نحوه من طريق مسند مرفوع .

فقال الحافظ أبو بكر الخرائطي<sup>(٢)</sup> : حدّثنا عباس بن محمد الدُّوري ، حدّثنا قُرَاد أبو نوح ، حدّثنا  
يونس بن أبي إسحاق<sup>(٣)</sup> عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام [ فخرج ] معه  
رسولُ الله ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب - يعني بَحِيرى - هَبَطُوا فحلُّوا رحالَهُمْ ،  
فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يَمْزُون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم . قال : فنزل وهم يحلُّون  
رحالَهُمْ ، فجعل يتخلَّلُهُمْ حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال : هذا سيّد العالمين - وفي رواية البيهقي<sup>(٤)</sup>  
زيادة : هذا رسولُ ربِّ العالمين ، ابتعثه الله رحمةً للعالمين - فقال له أشياخ من قريش : وما علمك<sup>(٥)</sup> ؟  
فقال : إنكم حين أشرفتُمْ من العقبة لم يبقَ شجرةٌ ولا حجرٌ إلَّا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدون إلَّا لِنبيٍّ ، وإنني  
أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهاهم به - وكان هو في رِغِيَّةِ  
الإبل - فقال : أرسلوا إليّ ، فأقبل وغمامةٌ تُظِلُّهُ . فلما دنا من القوم قال : انظروا إليّ ، عليه غمامة . فلما  
دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه . قال : انظروا إلى  
فيء الشجرة مال عليه . قال : فبينما هو قائمٌ عليهم وهو يَنْشُدُهُمْ إلَّا يذهبوا به إلى الرُّوم ، فإنَّ الرُّومَ إنَّ  
رأؤهُ عرفوه بالصفّة فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعة نفرٍ من الرُّوم قد أقبلوا . قال : فاستقبلهم فقال : ما جاء  
بكم ؟ قالوا : جننا ، إنَّ هذا النبيَّ خارجٌ في هذا الشهر ، فلم يبقَ طريقٌ إلَّا بُعثَ إليه ناس ، وإنَّا أخبرنا  
خبرهُ إلى طريقك هذه . [ قال فقال : هل خلّفتُم أحداً هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ، إنما أخبرنا خبرهُ ]<sup>(٦)</sup>  
إلى طريقك هذه . قال : أفرأيتُم أمراً أرادَ الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحدٌ من الناس ردّه ؟ فقالوا : لا .  
قال : فبايعوه وأقاموا معه عنده . قال : فقال الراهب : أنشدكم الله أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم  
يزلُّ يُناشده حتى ردّه ، وبعث معه أبو بكر بلالاً ، وزوّدَهُ الراهب من الكعك والزيت .

هكذا رواه الترمذي<sup>(٧)</sup> عن أبي العباس الفضل بن سهل الأعرج عن قُرَاد أبي نوح به .

(١) القصائد الثلاث في سيرة ابن إسحاق (ص ٥٥ - ٥٧) .

(٢) في هواتف الجنان (ص ٤٩) نسخة الظاهرية (ص ١٩٤ المطبوعة) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في الأصل : يونس عن أبي إسحاق ، وكذا في هواتف الجنان ، وهو تحريف ، والصواب من سنن الترمذي  
(٥٠ / ٢٥٠) وترجمة يونس بن أبي إسحاق في تهذيب التهذيب (٤٣٣ / ١١) وروايته فيه ثابتة عن أبي بكر بن

أبي موسى ، كما ثبتت رواية قراد عنه في التهذيب أيضاً (٢٤٧ / ٦) واسم قراد : عبد الرحمن بن غزوان .

(٤) في دلائل النبوة (٢ / ٢٤) .

(٥) بعد هذه اللفظة في نسخة الظاهرية من كتاب هواتف الجنان سقط بمقدار صفحة .

(٦) ما بين المعقوفين مكرر في الأصل (ح) .

(٧) جامع الترمذي (٣٦٢٠) المناقب باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ .

والحاكم<sup>(١)</sup> والبيهقي<sup>(٢)</sup> وابن عساكر<sup>(٣)</sup> ، من طريق أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم ، عن عباس بن محمد الدوري به .

وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ ، من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخُزاعي مولاهم - ويقال له<sup>(٤)</sup> الضَّبِّي - ويُعرف بقراد ، سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ؛ ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ، ولم أرَ أحداً جرَّحه ، ومع هذا في حديثه هذا غرابة ؛ قال الترمذي : حسنٌ غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال عباس الدوري : ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح ، وقد سمعته منه أحمد بن حنبل رحمه الله ، ويحيى بن معين لغرابته وانفراده . حكاه البيهقي<sup>(٥)</sup> وابن عساكر .

قلت : فيه من الغرابة أنه من مراسلات الصحابة ، فإنَّ أبا موسى الأشعري إنما قَدِمَ في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة ، ولا يلتفتُ إلى قول ابن إسحاق في جعله له من المهاجرة إلى أرض الحبشة من مكة ، وعلى كُلِّ تقدير فهو مُرسَل ؛ فإنَّ هذه القصة كانت وِلَيسَ رسولِ الله ﷺ من العمر فيما ذكره بعضهم ثنتا عشرة سنة ، ولعلَّ أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة .

الثاني : أنَّ الغمامة لم تُذكر في حديث أصحَّ من هذا .

الثالث : أنَّ قوله : وبعث معه أبو بكر بلالاً ، إنَّ كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك ثنتي عشرة سنة فقد كان عمر أبي بكر إذ ذاك تسع سنين أو عشرة ، وعمر بلالٍ أقلَّ من ذلك ، فأين كان أبو بكر إذ ذاك ؟ ثم أين كان بلال ؟ كلاهما غريب ، اللهمَّ إلا أن يُقال : إنَّ هذا كان ورسولُ الله ﷺ كبيراً ؛ إمَّا بأنَّ يكونَ سفره بعد هذا ؛ أو إنَّ القول<sup>(٦)</sup> بأنَّ عمره كان إذ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظ ، فإنَّه إنما ذكره مقيداً بهذا الواقدي<sup>(٧)</sup> .

وحكى السُّهيلي عن بعضهم أنه كان عمره عليه الصلاة والسلام إذ ذاك تسع سنين والله أعلم<sup>(٨)</sup> .

(١) في المستدرک (٢/٦١٥-٦١٦) .

(٢) انظر الحاشية الأولى من هذه الصفحة .

(٣) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٦/٢) .

(٤) ليست له في ح .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٦) .

(٦) في ط : إن كان القول . بزيادة كان ، وليست في ح .

(٧) هذا النقد قال به قبله الذهبي في السيرة (١/٥٨-٥٩) لذلك استنكره جداً ، والحمل فيه على أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان المعروف بقراد ، وينظر بلايد تعليلي على الترمذي (بشار) .

(٨) انظر قول السُّهيلي في الروض (١/٢٠٦) .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : حدثني محمد بن صالح ، وعبد الله بن جعفر ، وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين ، قالوا : لما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة ، ونزلوا بالراهب بحيرى ، فقال لأبي طالب في السر ما قال ، وأمره أن يحتفظ به ، فردّه معه أبو طالب إلى مكة .

[ وشب رسول الله ﷺ مع أبي طالب ، يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعاييبها ، لما يريد من كرامته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من الفحش والأذى ]<sup>(٢)</sup> ما رُئي ملاحياً ولا ممارياً أحداً ، حتى سمّاه قومه الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ، فكان أبو طالب يحفظه ويحوطه وينصره ويعضده حتى مات .

وقال محمد بن سعد<sup>(٣)</sup> : أخبرنا خالد بن خدّاش<sup>(٤)</sup> ، حدثنا معمر بن سليمان : سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب أو أبا طالب - شك خالد - قال : لما مات عبد الله عطف على محمد [ ﷺ ] فكان لا يسافر سافراً إلا كان معه فيه ، وإنه توجه نحو الشام ، فترل منزلاً ، فأتاه فيه راهب فقال : إن فيكم رجلاً صالحاً . [ فقال : إن فينا من يقري الضيف ، ويفك الأسير ، ويفعل المعروف . أو نحواً من هذا . ] ثم قال : أين أبو هذا الغلام ؟ قال فقال : ها أنا ذا وليّه - أو قيل هذا وليّه - قال : احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام ، إن اليهود حُسد ، وإنني أخشاهم عليه . قال : ما أنت تقول ذلك ، ولكن الله يقوله . فردّه . قال : اللهم إني أستودعك محمداً . ثم إنه مات .

حكى السهيلي<sup>(٥)</sup> عن سير الزهري أن بحيرى كان حبراً من أحبار اليهود .

قلت : والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً . والله أعلم .

وعن المسعودي أنه كان من عبد القيس وكان اسمه جرّجيس<sup>(٦)</sup> .

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة<sup>(٧)</sup> : سُمع هاتف في الجاهلية قبل الإسلام بقليل يهتف ويقول : ألا إن

(١) انظر قول الواقدي في طبقات ابن سعد (١/ ١٢٠ ، ١٢١) .

(٢) في ح : بالسر ، وفي الطبقات : في النبي ﷺ .

(٣) ما بين المعقوفين في سيرة ابن إسحاق بخلاف يسير ، وسيذكره المصنف في الصفحة التالية .

(٤) في الطبقات (١/ ١٢٠) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في ط : خالد بن معدان ، والمثبت من ح وطبقات ابن سعد .

(٦) في الروض (١/ ٢٠٥) .

(٧) كذا في ح ، ط ، والضبط من شرح المواهب (١/ ٢٣٤) وفي الروض : سَرَجِس نقلاً عن المسعودي .

(٨) المعارف (ص ٥٨) .



خير أهل الأرض ثلاثة : بَحِيرَى ، ورثاب بن البراء الشَّني ، والثالث المنتظر . وكان الثالث المنتظر هو رسول ﷺ . قال ابن قتيبة<sup>(١)</sup> : وكان قبر رثاب الشَّني وقبر ولده من بعده لا يزال يُرى عندهما طشٌّ . وهو المطر الخفيف<sup>(٢)</sup> .

## فصل

في مَنْشئه عليه الصلاة والسلام ومرباه وكفاية الله له ،  
وحياطته ، وكيف كان يتيماً فأواه وعائلاً فأغناه

قال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فشبَّ رسولُ الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يُريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حِلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدهم من الفُحش والأخلاق التي تُدنُسُ الرجال تنزُّهاً وتكرُّماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة . وكان رسولُ الله ﷺ - فيما ذكر لي - يُحدِّثُ عما كان الله يحفظه به في صِغره وأمر جاهليته أنَّه قال :

« لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل<sup>(٤)</sup> الحجارة لبعض ما يلعبُ به الغلمان ، كلنا قد تعرَّي وأخذ إزاره وجعله على رقبته فحمل<sup>(٥)</sup> عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لَكمني لاكم ما أراه لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شدَّ عليك إزارك . قال : فأخذته فشددته عليّ ، ثم جعلتُ أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي » .

وهذه القصة شبيهةٌ بما في الصحيح عند بناء الكعبة حين كان ينقلُ هو وعمُّه العباس ، فإن لم تكنها فهي متقدِّمةٌ عليها كالتوطئة لها . والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق<sup>(٦)</sup> : أخبرنا ابنُ جُرَيْج ، أخبرني عمرو بن دينار ، أنه سمع جابر بن عبد الله

(١) في المعارف (ص ٥٨) بنحوه ، واللفظة في الروض : وقال القتيبي .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي الروض واللسان ( طشش ) : المطر الضعيف وهو أشبه بالصواب .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص ٥٧ ، ٥٨) ، والنص كما يبدو منقول من سيرة ابن هشام (١/ ١٨٣) فهو بألفاظه أشبه .

(٤) في ح : نتقل .

(٥) في ط وسيرة ابن هشام : يحمل .

(٦) في المصنف (١١٠٣) الطهارة باب ستر الرجل إذا اغتسل ، وما بين معقوفين منه .

يقول : لما بُنيت الكعبة ذهب رسولُ الله ﷺ ينقل<sup>(١)</sup> الحجارة ، فقال العباسُ لرسولِ الله ﷺ : اجْعَلْ إزارَكَ على عاتقِكَ من الحجارة ، ففعل ، فخرَّ إلى الأرض ، وطمَحَتْ عيناه إلى السماء . ثم قام فقال : « إزاري [ إزاري ] » فَشَدَّ عليه إزاره . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث عبد الرزاق<sup>(٢)</sup> . وأخرجاه أيضاً من حديث رَوْح بن عباد عن زكرياء بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن جابر بنحوه<sup>(٣)</sup> .

وقال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حَدَّثَنَا محمد بن إسحاق الصاغانى ، حَدَّثَنَا محمد بن بُكَيْر الحَضْرَمي ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن عبد الله الدَّشْتَكِي ، حَدَّثَنَا عمرو بن أبي قيس ، عن سِمَاك عن عِكْرَمَة ، حَدَّثَنِي ابنُ عباس عن أبيه ، أنه كان ينقلُ الحجارة إلى البيت حين بَنَتْ قريشُ البيت ، قال : وأفردت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكانت النساء تنقل الشَّيد<sup>(٥)</sup> . قال : فكنتُ أنا وابنُ أخي ، وكُنَّا نحمل على رقابنا وأُزْرنا تحت الحجارة ، فإذا غَشينا الناس اتَّزَرْنَا<sup>(٦)</sup> . فبينما أنا أمشي ومحمد [ ﷺ ] أمامي ، قال : فخرَّ وانبطحَ على وجهه ، فجئتُ أسعى ، وأَلْقَيْتُ حَجْرِي وهو ينظرُ إلى السماء ، فقلت : ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاره قال : « إني نُهِيتُ أَنْ أمشيَ عُريَاناً » . قال : وكنتُ أكتُمها الناس<sup>(٧)</sup> مخافةً أَنْ يقولوا مجنون .

وروى البيهقي<sup>(٨)</sup> من حديث يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق<sup>(٩)</sup> ، حَدَّثَنِي محمد بن عبد الله بن قيس بن مَخْرَمَة عن الحسن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما هَمَمْتُ بشيء مما كان أهلُ الجاهلية يهْمُونَ به من النساء إلا

(١) كذا في ح ، ط ، وفي المصنف : « ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة » .

(٢) فتح الباري (٣٨٢٩) مناقب الأنصار باب بنیان الکعبة ، وصحيح مسلم (٣٤٠) (٧٦) الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة .

(٣) فتح الباري (٣٦٤) الصلاة باب كراهية التعرّي في الصلاة وغيرها ، وصحيح مسلم (٣٤٠) (٧٧) الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة .

(٤) في الدلائل (٣٢/٢ ، ٣٣) .

(٥) الشَّيد : كلُّ ما طُلِيَ به الحائط من جصٍّ أو بلاط . اللسان ( شيد ) .

(٦) في ح ودلائل البيهقي : اتزرننا ، والمثبت من ط ، قال في التاج ( أزر ) : ولا تقل اتزرن بالمتزر بإدغام الهمزة في التاء ، ومنهم من جوزه ، والاتزار هو لبس الإزار وتشميره .

(٧) في ط : أكتُمها من الناس ، وليست من في ح ولا في دلائل البيهقي ، وفعل كتم يتعدى إلى مفعولين كما في اللسان ، ويعدى أيضاً بمن يقال : كتمه عنه وكتمه إياه . اللسان ( كتم ) .

(٨) في الدلائل (٣٣/٢ ، ٣٤) .

(٩) والخبر أيضاً في سيرة ابن إسحاق (ص ٥٨) .

ليلتين ، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما . قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاية غنم أهلنا<sup>(١)</sup> - فقلت لصاحبي أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة ، أسمر فيها كما يسمر الفتيان . فقال : بلى . قال : فدخلت حتى [ إذا ]<sup>(٢)</sup> جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرايل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة . فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت . ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر [ بمكة ]<sup>(٣)</sup> ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فسألت ، فقيل : نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ؛ فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر . فوالله ما هممت ولا عدت بعدها لشيء من ذلك ، حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته<sup>(٤)</sup> .

وهذا حديث غريب جداً ؛ وقد يكون عن عليّ نفسه ، ويكون قوله في آخره : « حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » مقحماً ، والله أعلم .

وشيوخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في « الثقات »<sup>(٥)</sup> . وزعم بعضهم أنه من رجال « الصحيحين » ، قال شيخنا في تهذيبه<sup>(٦)</sup> : ولم أقف على ذلك . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٧)</sup> : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا الحسن بن علي بن عفان<sup>(٨)</sup> العامري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد ، عن زيد بن حارثة ، قال : كان صنم من نحاس يُقال له : إساف ونائلة<sup>(٩)</sup> ، يتمسح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله ﷺ وطُفْتُ معه ، فلما مررتُ مسح به ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تمسه » . قال زيد : فطُفْنَا ، فقلت في نفسي : لأمسسه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ : « ألم تَنَّهُ » ؟ قال البيهقي : زاد [ فيه ]<sup>(١٠)</sup> غيره عن

(١) في ح ، ط : رعاء غنم أهلها ، والمثبت من الدلائل وسيرة ابن إسحاق .

(٢) ما بين معقوفين من الدلائل وسيرة ابن إسحاق .

(٣) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الدلائل (١٢٨) (ط عبد البر عباس ١٤٠٦ هـ) بطرق مختلفة عن محمد بن إسحاق به . وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/٨٨ ، ٨٩) وفيه : قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات وسبل الهدى (٢/٩٩ ، ١٠٠) .

(٤) الثقات لابن حبان (٩/٨٢) .

(٥) هو تهذيب الكمال للمزي ، (٢٥/٥٣٣) والتعليق عليه .

(٦) في الدلائل (٢/٣٤) .

(٧) في ح : عباس وهو تصحيف ، والمثبت من ط ودلائل البيهقي .

(٨) في دلائل البيهقي : إساف أو نائلة . وهو أشبه بالصواب . وانظر المحبر (ص ٣١١) .

(٩) ما بين معقوفين من دلائل البيهقي .

محمد بن عمرو بإسناده : قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم صنماً [ قَطُّ ] <sup>(١)</sup> حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه <sup>(٢)</sup> .

وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام لِبَحِيرَى حين سأله باللاتِ والعُزَّى : « لا تسألني بهما فوالله ما أبغضتُ شيئاً أبغضَهُما » <sup>(٣)</sup> .

فأما الحديث الذي قاله الحافظ أبو بكر البيهقي <sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو سعد المَالِيني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِيّ الحافظ ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن أسباط ، حَدَّثَنَا عثمان بن أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا جَرِير ، عن سفيان الثوري ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل <sup>(٥)</sup> ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يشهدُ مع المشركين مشاهدَهُم ، قال : فسمع مَلَكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقومَ خلف رسولِ الله ﷺ . قال : كيف نقومُ وإنما عَهْدُهُ باستلام الأَصْنَامِ قُبِيل ؟ قال : فلم يَعُدْ بعد ذلك أن يشهدَ مع المشركين مشاهدَهُم . فهو حديثٌ أنكره غيرُ واحدٍ من الأئمة على عثمان بن أَبِي شَيْبَةَ حتى قال الإمام أحمد فيه : لم يكن أخوه يَتَلَقَّظْ بشيءٍ من هذا <sup>(٦)</sup> .

وقد حكى البيهقي عن بعضهم <sup>(٧)</sup> أن معناه أنه شهد مع من يستلم الأصنام ، وذلك قبل أن يُوحى إليه والله أعلم .

وقد تقدّم في حديث زيد بن حارثة أنه اعتزل شهودَ مَشَاهِدِ المشركين حتى أكرمه الله برسالته <sup>(٨)</sup> .

وثبت في الحديث أنه كان لا يقف بالمُزْدَلِفَةِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ ، بل كان يقف مع الناس بعَرَفَات ، كما قال يونس بن بُكَيْر عن محمد بن إسحاق : حَدَّثَنِي عبد الله بن أَبِي بكر عن عثمان بن أَبِي سليمان ، عن نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم ، عن أبيه جُبَيْر ، قال : لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو على دين قومه ، وهو يقفُ على بعيرٍ له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم ، توفيقاً من الله عز وجل له .

قال البيهقي <sup>(٩)</sup> : معنى قوله : على دين قومه : ما كان بقي من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

(١) وأورده السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ٨٩) .

(٢) انظر ص ٧١ من هذا الجزء .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥) .

(٤) في ح ، ط : محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل . وهو تحريف ، والمثبت من دلائل البيهقي وترجمته في تهذيب التهذيب (١٣/ ٦) وهو ابن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني .

(٥) وأخرجه أبو يعلى في مسنده (١٨٧٧) عن عثمان بن أَبِي شَيْبَةَ به ، وذكره ابن حجر في المطالب (٤٢٦١) ، والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٣/ ٦ و ٢٢٦/ ٨) .

(٦) في دلائل النبوة (٢/ ٣٦) .

(٧) حديث زيد بن حارثة في الصفحة السابقة .

(٨) في دلائل النبوة (٢/ ٣٧) وما بين معقوفين منه .

[ في حَجَّهم ومناكحهم وبيوعهم ] ، ولم يُشْرِكْ بالله قط ، صلواتُ الله وسلامه عليه دائماً .

قلت : ويُفهم من قوله هذا أيضاً ، أنه كان يقفُ بعَرَفَات قبل أن يُوحى إليه . وهذا توفيق من الله له .

ورواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> عن يعقوب ، عن محمد بن إسحاق به . ولفظه : رأيتُ رسولَ الله ﷺ قبل أن ينزل عليه وإنه لواقفٌ على بعير له مع الناس بعرفات حتى يدفع معهم [ منها ]<sup>(٢)</sup> توفيقاً من الله .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن<sup>(٤)</sup> محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم عن أبيه قال : أَضَلَلْتُ بعيراً لي بعرفة ، فذهبتُ أطلبه ، فإذا النبي ﷺ واقف ، فقلتُ : إنَّ هذا من الحُمْس<sup>(٥)</sup> ، ما شأنه هاهنا ؟ وأخرجاه<sup>(٦)</sup> من حديث سفيان بن عُيينة به .

### ذَكَرُ شَهْوَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَرْبَ الْفَجَارِ

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : هاجت حربُ الفجار ورسولُ الله ﷺ ابنُ عشرين سنة ، وإنما سُمِّيَ يومَ الفجار ، بما استحلَّ فيه هذانِ الحيَّان - كنانة وقيس عيلان - من المحارم بينهم . وكان قائد قريش وكنانة حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ بن عبد شمس . وكان الظَّفَرُ في أولِ النهار لقيس على كِنانة ، حتى إذا كان في وسطِ النهار كان الظفر لكنانة على قيس .

وقال ابن هشام<sup>(٨)</sup> : فلما بلغ رسولُ الله ﷺ أربعَ عشرةَ سنة - أو خمسَ عشرةَ سنة - فيما حدَّثني أبو عُبَيْدة النَّخْوِي عن أبي عمرو بن العلاء : هاجت حربُ الفجار بين قريشٍ ومن معها من كِنانة ، وبين قيس عيلان ، وكان الذي هاجها أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتْبَةَ بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن

(١) في مسنده (٨٢/٤) .

(٢) ما بين معقوفين من مسند الإمام أحمد . ودفع من عرفات : أي ابتداء السير ودفع نفسه منها . النهاية (١٢٤/٢) دفع .

(٣) في مسنده (٨٠/٤) .

(٤) في مسند أحمد : عن عمرو بن محمد بن محمد بن جبير بن مطعم . وهو تحريف ، وعمرو هذا هو عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي ، وروايته عن محمد بن جبير ، ورواية سفيان عنه ثابتة في تهذيب التهذيب في ترجمتهما .

(٥) « الحُمْس » : جمع الأَحْمَس : وهم قريش ، وَمَنْ وَلَدَتْ قريش ، وكنانة ، وجَدَيْلَة قيس ، سُمُّوا حُمْسًا لأنهم تحمَّسُوا في دينهم : أي تشددوا . والحماسة : الشجاعة ، كانوا يقفون بمُزْدَلِفَة ولا يقفون بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . النهاية (٤٤٠/١) (حمس) .

(٦) يعني البخاري ومسلم في صحيحهما ؛ فتح الباري (١٦٦٤) الحج باب الوقوف بعرفة ، وصحيح مسلم (١٥٣) - (١٢٢٠) (١٥٣) الحج باب الوقوف وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفْكَصَ النَّاسُ ﴾ .

(٧) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١٨٦/١) .

(٨) في السيرة (١٨٤/١) وما يأتي بين معقوفين منه .

صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاراً<sup>(١)</sup> لطيمة - أي تجارة<sup>(٢)</sup> - للنعمان بن المنذر ، فقال [ له ] البَرَّاضُ بن قيس - أحد بني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - أتعجزُها على كنانة ؟ قال : نعم وعلى الخلق . فخرج فيها عُرْوَةُ الرَّحَّال ، وخرج البَرَّاض يطلبُ غَفْلَتَهُ ، حتى إذا كان بتيمن ذي طَلالٍ<sup>(٣)</sup> بالعالية غفل عُرْوَةُ ، فوثب عليه البَرَّاضُ فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سُمِّيَ الفِجَارُ ، وقال البَرَّاض في ذلك :  
[ من الوافر ]

وداهية تَهْمُ الناسَ قبلي      شدتُ لها بني بكرٍ ضلوعي  
هدمتُ بها بيوتَ بني كلابٍ      وأزضتُ المواليَ بالضرع  
رفعتُ له بذِي طَلالٍ كَفِّي      فخرَّ يَميدُ كالجذعِ الصَّريعِ<sup>(٤)</sup>

وقال لبيدُ بن ربيعةَ بن مالك بن جعفر بن كلاب : [ من الوافر ]

وأبلغ - إن عرضت - بني كلابٍ      وعامرَ والخُطوبُ لها مَوالِي  
وأبلغ - إن عرضت - بني نُميرٍ      وأحوالَ القَتيلِ بني هلالٍ  
بأنَّ الوافِدَ الرَّحَّالَ أَمسى      مُقيماً عندَ تيمَنَ ذي طلالٍ<sup>(٥)</sup>

- (١) في ح : أجار والمثبت من ط ومصادر تخريجه ، وقد ورد في المعجَر (ص ١٩٦) بالزاي المعجمة فأثبتها مصححاه بالراء المهملة ، وتبعهما محققو سيرة ابن هشام في ذلك (١/١٨٤) على الرغم من تظاهر الأصول في إعجامها كما في الأغاني (٢٢/٥٧) (ط دار الكتب) وجاء في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٢/٣١٢) : « ... فطلب لها النعمان من يجيزها إلى عكاظ ليشتري له بثمان طرائف اليمن ... » وفي مجمع الأمثال للميداني (٢٨١٨) : « وكان النعمان يبعث إلى عكاظ بلطيمة كل عام تباع له هناك فقال : من يجيز لي لطيمة هذه حتى يقدمها عكاظ ؟ » وكذا في المستقصى (١/٢٦٥ ، ٢٦٦) (١١٢٢) والكامل لابن الأثير (١/٥٩٠) وفي التاج (برض) (ط الكويت) : ثم قدم [ يعني البراض ] على النعمان وسأله أن يجعله على لطيمة يريد أن يبعث بها إلى عكاظ . وفي اللسان (جوز) : أجازته : أنفذه وجوز لهم إيلهم : إذا قادها حتى تجوز « والمجيز » : العبد المأذون له في التجارة .
- (٢) في النهاية (٤/٢٥١) (لطم) : « واللطيمة » : الجمال التي تحمل العطر والبز ، غير الميرة .
- (٣) سيأتي تعريفه في التعليق على أبيات لبيد الآتي ذكرها .
- (٤) الأبيات مع الخبر في السيرة لابن هشام كما تقدم ، والأغاني (٢٢/٥٨) ومعجم البلدان (٤/٦١ ، ظلال) والروض الأنف (٢/٢١٠) وفيه : وألحقت الموالي بالضرع . جمع ضرع ، هو في معنى قولهم لثيم راضع ، أي : ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضرع ، وأظهرت فسالتهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم .
- (٥) أبيات لبيد في ديوانه (ص ٢٧٦) وسيرة ابن هشام كما تقدم ، والأغاني (٢٢/٥٨) عدا الثاني ، ومعجم البلدان (٤/٦١ ، ٦٢) (ظلال) و - وكذا في الديوان - (٢/٦٨ تيمن) عدا الثاني ، وفيه : تيمن ذي ظلال : واد إلى جنب فذك في قول بعضهم ، والصحيح أنه بعالية نجد . والروض الأنف (١/٢١٠) وفيه : تيمن : بكسر الميم وفتحها ، ولم يصرفه لوزن الفعل والتعريف ، وعلق ياقوت على الأبيات بقوله : في هذا عدة اختلافات [ يعني ظلال ] بعضهم يرويه بالطاء المهملة ، وبعضهم يرويه بتشديد اللام والطاء المعجمة ، وقد حكيناه عن السهيلي ، وبعضهم يرويه بتخفيف اللام والطاء المعجمة ، وأكثرهم قال : هو اسم موضع ، وقال قوم في قول البراض : إن ذا ظلال اسم سيفه ، قال السهيلي : وإنما خففه لبيد وغيره ضرورة ... وقد اختار ياقوت إعجام الطاء وقواه .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : فأتى آتٍ قريشاً فقال : إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قَتَلَ عُزْوَةَ ، وهو<sup>(٢)</sup> في الشهر الحرام عُكَاظ ، فارتحلوا وَهَوَازُنُ لَا تَشْعُرُ بِهِمْ ، ثم بلغهم الخبر ، فاتبعوهم فأدركوهم قبل أَنْ يَدْخُلُوا الْحَرَمَ ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، فدخلوا الحرم ، فأمسكت هَوَازُنُ عنهم ، ثم التَقُوا بعد هذا اليوم أياماً ، والقَوْمُ متساندون<sup>(٣)</sup> على كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَرِيشٍ وَكِنَانَةٍ رُئِيسٌ مِنْهُمْ ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَيْسٍ رُئِيسٌ مِنْهُمْ .

قال : وشهد رسولُ الله ﷺ بعدُ<sup>(٤)</sup> أيامَهُمْ . أخرجه أعمامُهُ معهم . وقال رسولُ الله ﷺ : « كُنْتُ أُتْبَلُ عَلَى أَعْمَامِي » أَيُ أَرَدْتُ عَلَيْهِمْ نَبْلَ عَدُوِّهِمْ إِذَا رَمَوْهُمْ بِهَا<sup>(٥)</sup> .

قال ابنُ هشام<sup>(٦)</sup> : وحديثُ الْفِجَارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ ، وإنما منعني من استقصائه قَطْعُهُ حَدِيثَ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال السُّهَيْلِيُّ<sup>(٧)</sup> : وَالْفِجَارُ ، بكسر الفاء على وزن قِتَالٍ . وكانت الْفِجَارَاتُ فِي الْعَرَبِ أَرْبَعَةً ذَكَرَهُنَّ الْمَسْعُودِيُّ<sup>(٨)</sup> . وَآخِرُهُنَّ ، فِجَارُ الْبَرَّاضِ هَذَا . وكان القتال فيه في أربعة أيام ، يوم شَمْطَةٍ<sup>(٩)</sup> ، ويوم الْعِبْلَاءِ ، وهما عند عُكَاظ ، ويوم الشَّرْبِ<sup>(١٠)</sup> - وهو أعظمُها يوماً - وهو الذي حَضَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وفيه قَيْدُ رُئِيسِ قَرِيشٍ وَبَنِي كِنَانَةٍ - وهو حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةٍ - وَأَخُوهُ سَفِيَانُ أَنْفَسَهُمَا لَثْلًا يَفِرُّ<sup>(١١)</sup> . وانهزمت يومئذٍ قَيْسُ الْإِثْنَيْنِ نَصْرًا<sup>(١٢)</sup> فَإِنَّهُمْ ثَبَتُوا . ويوم الْحُرَيْرَةِ عند نخلة<sup>(١٣)</sup> .

ثم تواعدوا من العام المقبل إلى عكاظ ، فلما توافوا الموعد ركب عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ جَمَلَهُ وَنَادَى :

- (١) في السيرة (١/١٨٦) .
- (٢) في السيرة : وهم .
- (٣) « متساندون » : أي لم يجتمعوا على راية واحدة ، كل بني أب على راية ، ولم يكونوا تحت راية أمير واحد . اللسان ( سند ) .
- (٤) كذا في ح وفي ط والسيرة : بعض .
- (٥) وفي النهاية (١٠/٥٠ ، نبل) : يقال : ثَبَلْتُ الرَّجُلَ ، بالتشديد ، إِذَا نَاولته النبل ليرمي .
- (٦) في السيرة (١/١٨٧) وفي ط بزيادة : « طويل هو » ليست في ح ولا في السيرة .
- (٧) في الروض (١/٢٠٩ و ٢١١) على خلاف في اللفظ .
- (٨) انظر مروج الذهب (٢/٢٧٧) .
- (٩) « شَمْطَةٌ » : رواه الأزهري بالطاء المعجمة ، كما في معجم البلدان ( شَمْطَةٌ ، ٣/٣٦٣ ) .
- (١٠) « الشرب » : موضع قرب مكة ، وبه كانت وقعة الفجار العظمى . معجم البلدان ( شرب ، ٣/٣٣٢ ) .
- (١١) في الروض : وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا ، فُسِّمُوا الْعُنَابِسُ . وكذا في معجم البلدان ( شرب ) .
- (١٢) وقع في ط والروض بالضاد المعجمة ، وهو تصحيف ، وهم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، من قيس .
- (١٣) « الحريرة » : كأنه تصغير حرة ، موضع بين الأبواء ومكة ، قرب نخلة . قاله ياقوت في معجم البلدان ( حريرة ، ٢/٢٥٠ ) .

يا معشر مُضَر ، على ما<sup>(١)</sup> تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح . قالوا : وكيف ؟ قال نَدِي<sup>(٢)</sup> قتلاكم ونرهنكم رهائنَ عليها ، ونعفو عن دياتنا . قالوا : وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ . فوقع الصلح على ذلك ، وبعثوا إليهم أربعين رجلاً ، فيهم حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ فلما رأَتْ بنو عامر بن صَعْصَعَةَ الرهن في أيديهم عفوا عن دمائهم<sup>(٣)</sup> وانقضت حرب الفجار .

وقد ذكر الأَمْوِيُّ حروبَ الفَجَارِ وأيامها واستقصاها مطوَّلاً فيما رواه عن الأثرم ، وهو المغيرة بن علي ، عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى ، فذكر ذلك .

## فصل

### في شهوده عليه [ الصلاة ] والسلام حلف الفضول

قال الحافظ البيهقي<sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو سَعْدٍ الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عَدِي الحافظ<sup>(٥)</sup> ، حَدَّثَنَا يحيى بن علي بن هاشم الخفَّاف ، حَدَّثَنَا أبو عبد الرحمن الأذْرَمِي ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُليَّةَ ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن محمد بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عن أبيه ، [ عن عبد الرحمن بن عوف ] قال : قال رسول الله ﷺ : « شهدت مع عمومتي حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ ، فما أَحَبُّ أَنْ أُنْكثَهُ - أو كلمة نحوها - وَأَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ » .

قال : وكذلك رواه بشرُّ بن المفضل عن عبد الرحمن<sup>(٦)</sup>

قال<sup>(٧)</sup> : وأخبرنا أبو نصر بن قتادة ، حَدَّثَنَا أبو عمرو بن مطر ، حَدَّثَنَا أبو بكر بن أحمد بن داود السَّمْنَانِي ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَهْدِي ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما شهدتُ حِلْفاً لِقَرِيشٍ إِلَّا حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ ، وما أَحَبُّ أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي كُنْتُ نَقَضْتُهُ » . قال : والمطيبون : هاشم ، وأُمَيَّة ، وزُهْرَةَ ، وَمَخْزُوم .

قال البيهقي<sup>(٨)</sup> : كذا روي هذا التفسير مُدْرَجاً في الحديث ، ولا أدري قائله ؛ وزعم بعض أهل السير أنه أراد حِلْفَ الْفُضُولِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُدْرِكْ حِلْفَ الْمُطَيِّبِينَ .

- (١) إثبات ألف ما جائز في لغة بعض العرب . انظر الخزانة (٦/٩٩) (٢/٢٣٨) . وفي ط والروض : علام بحذفها .
- (٢) « ودى القتل » : أعطى أولياءه حقه . اللسان ( ودي ) .
- (٣) في ط : دياتهم .
- (٤) في دلائل النبوة (٢/٣٧ ، ٣٨) وما سيأتي بين معقوفين منه ومن الكامل لابن عدي .
- (٥) والحديث في الكامل في الضعفاء لابن عدي (٤/١٦١٠) أورده في ترجمة عبد الرحمن بن إسحاق .
- (٦) وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده (١/١٩٠ و ١٩٣) عن بشر بن المفضل عن عبد الرحمن به ، وأبو يعلى الموصلي رقم (٨٤٥) وهو حديث صحيح .
- (٧) يعني البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٨) .



قلت : هذا لا شك فيه ، وذلك أَنَّ قريشاً تحالفوا بعد موت قُصَيٍّ ، وتنازعوا في الذي كان جعله قُصَيٍّ لابنه عبد الدار ، من السَّقَاية ، والرَّفَادَة ، واللواء ، والندوة ، والحِجَابَة ، ونازعهم فيه بنو عبد مناف . وقامت مع كُلِّ طائفة قبائل من قريش ، وتحالفوا على النُّصْرَة لِحِزْبِهِمْ ، فأحضر أصحابُ بني عبد مناف جَفَنَةً فيها طيب ، فوضعوا أيديهم فيها وتحالفوا ، فلما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة<sup>(١)</sup> فسَمُّوا الْمُطَيِّبِينَ كما تقدَّم ، وكان هذا قديماً ، ولكنَّ المُرَاد بهذا الحَلْف حلف الفضول ، وكان في دار عبد الله بن جُدعان كما رواه الحُمَيْدِي عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الله ، عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر<sup>(٢)</sup> ، قالوا : قال رسولُ الله ﷺ : « لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان حَلْفاً لو دُعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردُّوا الفضول على أهلها وألَّا يعدُّوا<sup>(٣)</sup> ظالمٌ مظلوماً » .

قالوا : وكان حلفُ الفضول قبل المَبْعَثِ بعشرين سنة ، في شهر ذي القعدة ، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر . وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة . وكان حلف الفضول أكرمَ حلفٍ سُمِعَ به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تكلم به ودعا إليه الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلاً من زُبيد قدِمَ مَكَّةَ ببضاعة ، فاشتراها منه العاصُ بنُ وائل<sup>(٤)</sup> ، فحبس عنه حقَّه ، فاستعدى عليه الزُّبَيْدِيُّ الأَحْلَافَ : عَبْدَ الدار ومخزوماً وجُمَحَ وسهماً وعَدِيَّ بن كعب ، فأبَوْا أن يُعِينُوا على العاص بن وائل ، وزَبْرُوهُ - أي : انتهروه - فلمَّا رأى الزُّبَيْدِيُّ الشرَّ ، أوفى على أبي قُبَيْسٍ<sup>(٥)</sup> عند طلوع الشمس ، وقريش في أنديتهم حول الكعبة ، وأنشد<sup>(٦)</sup> : [ من البسيط ]

يا آلَ فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعته      يبطن مكة نائي الدارِ والنَّفَرِ  
ومُحْرِمٍ أشعثٍ لم يقضِ عُمرته      يا للرجالِ وبين الحجرِ والحَجَرِ  
إنَّ الحرامَ لَمَنْ تَمَّتْ كرامته      ولا حرامَ لشوبِ الفاجرِ الغديرِ

فقام في ذلك الزُّبَيْر بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مُتَرَك ؟ فاجتمعتْ هاشمٌ وزُهْرَة وتيم بنُ مُرَّة في دار عبد الله بن جُدعان ، فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذي القعدة ، في شهرٍ حَرَامٍ ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدةً مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حقُّه ، ما بَلَ بَحْرٌ صُوفُهُ<sup>(٧)</sup> ، وما رَسَا ثَبِيرٌ

(١) في ط : بأركان البيت .

(٢) في ح : عن عبد الله بن محمد وعبد الرحمن بن أبي بكر . والمثبت من ط والروض (١/١٥٥) وسيأتي بسياق مختلف (ص ٨٥) .

(٣) كذا في ح ، ط وفي الروض : يعز بالزاي المعجمة . قلت : لعله من الوعد والوعيد بالشر ، انظر اللسان ( وعد ) .

(٤) زاد السهيلي في الروض (١/١٥٦) وكان ذا قدر بمكة وشرف .

(٥) « أبو قبيس » : جبل مشرف على مسجد مكة معجم البلدان ( قبيس ، ٤/٣٠٨ ) .

(٦) كذا في ح وفي ط : فنادى بأعلى صوته . وفي الروض : فصاح بأعلى صوته . والأبيات فيه .

(٧) يعني إلى الأبد ، وهذا القول من أمثالهم ، ساقه الجاحظ في الحيوان (٤/٤٧٠) والبيان والتبيين (٣/٧) والزمخشري=

وَجِرَاءَ مَكَانَهُمَا<sup>(١)</sup> ، وعلى التَّاسِّي في المَعَاش . فَسَمَّتْ قُرَيْشُ ذَلِكَ الْحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فصلٍ من الأمر . ثم مشَوْا إلى العاص بن وائل ، فانتزعوا منه سِلْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ ، فدفعوها إليه . وقال الزُّبَيْر بنُ عبدِ المَطَّلَب في ذلك : [ من الزَّوْافِر ]

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ      وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ  
وَنُسَمِّيهِ<sup>(٢)</sup> الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا      يَعْزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ<sup>(٣)</sup>  
وَيَعْلَمُ مِنْ حَوَالَى الْبَيْتِ أَنَّا      أَبَاةَ الضَّيِّمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ

وقال الزُّبَيْر أيضاً : [ من الكامل ]

إِنَّ الْفُضُولَ تَعَاقدُوا وَتَحَانُوا      أَلَّا يُقِيمَ بَبْطُنٍ مَكَّةَ ظَالِمٌ  
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاقدُوا وَتَوَاتَقُوا      فَالْجَارُ وَالْمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمٌ<sup>(٤)</sup>

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث : إن رجلاً من خَثْعَمَ قَدِمَ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا ، ومعه ابنة له ، يقال لها : الْقَتُول من أَوْضَاءِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، فَاغْتَصَبَهَا مِنْهُ<sup>(٥)</sup> نُبَيْهَةُ بن الْحَجَّاجِ وَغِيَّهَا عَنْهُ ، فقال الخثعمي : من يُعْدِينِي على هذا الرجل ؟ فقليل له : عليك بحِلْفِ الْفُضُول . فوقف عند الكعبة ونادى : يَا لِحِلْفِ الْفُضُول . فَإِذَا هُمْ يُعْنِقُونَ<sup>(٦)</sup> إِلَيْهِ<sup>(٦)</sup> من كل جانب ، وقد انتَضَوْا أَسْيَافَهُمْ يَقُولُونَ : جَاءَكَ الْغَوْثُ ، فَمَا لَكَ ؟ فقال : إِنَّ نُبَيْهًا ظَلَمَنِي فِي بَنَتِي وَانْتَزَعَهَا مِنِّي قَسْرًا ، فساروا معه حتى وقفوا على باب داره ، فخرج إليهم ، فقالوا له : أخرج الجارية ويحك ، فقد علمت من نحن ، وما تعاقدنا عليه . فقال : أفعل ، ولكن متّعوني بها الليلة . فقالوا : لا والله ولا شَخْبَ لِقَحَّةٍ<sup>(٧)</sup> . فأخرجها إليهم وهو يقول : [ من الخفيف ]

رَاحَ صَخْبِي وَلَمْ أَحْيِ الْقَتُولَا      لَمْ أَوَدَّعُهُمْ وَدَاعًا جَمِيلًا  
إِذْ أَجَدَّ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا      قَدْ أَرَانِي وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا<sup>(٨)</sup>

- = في الأساس ( صوف ) والمستقصى ( ٢/ ٢٤٦ ) والميداني في مجمع الأمثال ( ٢/ ٢٣٠ ) وجاء في اللسان ( صوف ) :  
وصوف البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحدته صوفة ؛ ومن الأبديات قولهم : لا آتيك ما بل بحر صوفة .  
(١) « ثبير وحرء » : جبلان معروفان من جبال مكة ، معجم البلدان .  
(٢) في ط والروض : نُسَمِّيهِ .  
(٣) في ح ، ط : لذي الجوار ، والمثبت من الروض .  
(٤) « المعتَر » : الفقير ، والمتعرّض للمعروف من غير أن يسأل . اللسان (عرر) . والأبيات في الروض ( ١/ ١٥٦ ، ١٥٧ ) .  
(٥) ليست اللفظة في ح .  
(٦) أي أتوا يهرعون إليه مسرعين . ومنه حديث أصحاب الغار « فانفجرت الصخرة فانطلقوا معانقين » أي : مسرعين ، من عانت مثل أعنت إذا سارع وأسرع . النهاية ( ٣/ ٣١٠ ) ( عنق ) .  
(٧) « اللقحة » : الناقة الحلوب ، غزيرة اللبن ؛ والشخب : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة ، وصوت اللبن عند الحلب . اللسان والتاج ( لقح ، شخب ) يعني : ولا مقدار هذه الغمزة للضرع .  
(٨) في ح : إذا وجد الفضول . والمثبت من ط والروض .

لا تخالي أني عشيّة راح الرّكّ ب هُتَم عليّ أن لا يزولا<sup>(١)</sup>

وذكر أبياتاً آخر غير هذه .

وقد قيل : إنما سُمّي هذا حلف الفضول لأنه أشبه حلفاً تحالفته جُزُهُم على مثل هذا ، من نصّر المظلوم على ظالمه ، وكان الداعي إليه ثلاثة من أشرافهم ، اسمُ كُلِّ واحدٍ منهم فضّل ، وهم : الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث<sup>(٢)</sup> . هذا قول ابن قتيبة . وقال غيره : الفضل بن شراعة ، والفضل بن بضاعة ، والفضل بن قضاعة<sup>(٣)</sup> . وقد أورد الشَّهيلي هذا رحمه الله .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(٤)</sup> : وتداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا<sup>(٥)</sup> إلى دار عبد الله بن جُدعان لشرفه وسنّه ، وكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب<sup>(٦)</sup> وأسد بن<sup>(٧)</sup> عبد العزى ، وزُهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة . فتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم<sup>(٨)</sup> ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا<sup>(٩)</sup> معه ، وكانوا على مَنْ ظلمه حتى يردّ الله عليه مظلّمته ، فسَمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

قال محمد بن إسحاق<sup>(١٠)</sup> : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي ، أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهريّ يقول : قال رسول الله ﷺ : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حُمْر النّعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي ، أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي<sup>(١١)</sup> ، حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان - والوليد يومئذ أمير المدينة ، أَمَرَهُ عليها عمّه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مالٍ كان بينهما بذي المروة<sup>(١٢)</sup> ، فكان الوليد تحاملاً على الحسين في حقه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفني

(١) في الروض : ألا أقولا . والأبيات فيه (١٥٧/١) .

(٢) في الروض : فضيل بن الحارث . والمثبت من ح ، ط واللسان ( حلف ) .

(٣) في الروض : فضيل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة .

(٤) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١٣٣/١) والروض الأنف (١٥٥/١) .

(٥) كذا في ح وفي ط وسيرة ابن هشام : فاجتمعوا له في دار عبد الله .

(٦) في ح ، ط : وبنو عبد المطلب ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٧) في ط : وبنو أسد ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

(٨) في ح ، ط : وغيرها ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٩) في السيرة والروض ؛ قاموا معه . وهو أشبه بالصواب .

(١٠) قول ابن إسحاق هذا في سيرة ابن هشام (١٣٤/١) والروض الأنف (١٥٥/١) .

(١١) ليست اللفظة في ح .

(١٢) « ذو المروة » : قرية بوادي القرى ، وقيل : بين خُشب ووادي القرى . معجم البلدان ( مرو ) (١١٦/٥) .

من حَقِّي أو لَأَخَذَنَّ سيفي ، ثم لأَقُومَنَّ في مسجدِ رسولِ الله ﷺ ثم لأَدْعُوَنَّ بِحِلْفِ الْفُضُول . قال : فقال عبد الله بن الزُّبَيْر - وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال - : وأنا أَلْحِفُ بالله ، لئن دعا به لَأَخَذَنَّ سيفي ثم لأَقُومَنَّ معه حتى يُنْصَفَ من حَقِّه أو نموتَ جميعاً . قال : وبلغتِ الْمِسُورَ بنَ مَخْرَمَةَ بنِ نوفل الزُّهري ، فقال له مثل ذلك ، وبلغتُ عبدَ الرحمن بن عثمان بن عبيد الله<sup>(١)</sup> التَّيْمِي فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليدَ بنَ عُتْبَةَ أنصف الحسين من حَقِّه حتى رَضِيَ .

## فصل

في تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيِّ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكانت خَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ امرأةً تاجرة ذاتَ شرفٍ ومال ، تستأجرُ الرجالَ على مالها مضاربة<sup>(٣)</sup> ، فلما بلغها عن رسولِ الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعِظَم أمانته ، وكَرَم أخلاقه ، بعثتُ إليه فَعَرَضَتْ عليه أن يخرجَ لها في مالٍ تاجراً إلى الشام ، وتعطيه أفضلَ ما تُعطي غيره من التجار ، مع غلامٍ لها يقال له : مَيْسَرَة ، فقبله رسولُ الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معها غلامُها ميسرة حتى نزل الشام ، فنزل رسولُ الله ﷺ في ظِلِّ شجرةٍ قريباً من صَوْمَعَةِ راهبٍ من الرُّهْبَان ، فاطَّلَعَ الراهبُ إلى مَيْسَرَة ، فقال : من هذا الرجلُ الذي نزل تحت الشجرة ؟ فقال ميسرة : هذا رجلٌ من قريش ، من أهل الحَرَم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باعَ رسولُ الله ﷺ سِلْعَتَهُ - يعني تجارته - التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري . ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة ، فكان مَيْسَرَة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتدَّ الحرُّ ، يرى ملكين يُظْلَانِهِ من الشمس وهو يسير على بعيره ؛ فلما قدم مكة على خَدِيجَة بمالها باعت ما جاء به ، فأضعف أو قريباً ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إِضْلال الملكين إياه . وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفةً لَبِيبَة ، مع ما أراد الله بها من كرامتها<sup>(٤)</sup> . فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها ، بعثتُ إلى رسولِ الله ﷺ فقالت له - فيما يزعمون - يا بنَ عم ، إني قد رغبتُ فيكَ لقرابتك وَسِطَتِكَ<sup>(٥)</sup> في قومك ، وأمانتك ، وحُسن خلقك ، وصدق

(١) في ح : عبد الله ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض ، وعبد الرحمن هذا ، هو ابن أخي طلحة بن عبد الله كما في الإصابة .

(٢) في سيرة ابن إسحاق (ص ٥٩) بالفاظ مقاربة ، وانظره أيضاً في سيرة ابن هشام (١/ ١٨٧ ، ١٨٨) والروض (١/ ٢١٢) .

(٣) زاد في السيرة : بشيء تجعله لهم ، والمضاربة أن تعطي مالا لغيرك يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح . وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة . اللسان ( ضرب ) .

(٤) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض : كرامته .

(٥) في سيرة ابن إسحاق : لقرابتك وشرفك في قومك وسطتك فيهم . والسطة : من وسط في حَسَبه : إذا حلّ في أكرمه ، فهو وسيط : إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم مجداً . اللسان ( وسط ) وفسر السهيلي بقوله : فلان أوسط القبيلة : أعرفها وأولها بالصحيح .

حديثك . ثم عرضت نفسها عليه ؛ وكانت أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ، وأكثرهن مالاً . كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه . فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : فأصدقها عشرين بكرة<sup>(٢)</sup> ، وكانت أول امرأة تزوجها ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلهم إلا إبراهيم : القاسم - وبه كان يُكنى - والطيب ، والطاهر<sup>(٤)</sup> ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : أكبرهم القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال البيهقي<sup>(٦)</sup> عن الحاكم : قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة ، حدثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيري قال<sup>(٧)</sup> : أكبر ولده عليه الصلاة والسلام القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله ، وبلغت خديجة خمساً وستين سنة ، ويقال : خمسين ، وهو أصح .

وقال غيره : بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجبية ، ثم مات بعد النبوة .

وقيل : مات وهو رضيع ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لَهُ مُرْضِعاً فِي الْجَنَّةِ يَسْتَكْمِلُ رِضَاعَهُ »<sup>(٨)</sup> والمعروف أنَّ هذا في حق إبراهيم .

(١) في السيرة (١/١٩٠) .

(٢) « البكر » : الفتى من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس ، والأنثى بكرة . اللسان ( بكر ) .

(٣) انظر قول ابن إسحاق في سيرة ابن إسحاق (ص ٦١) وسيرة ابن هشام (١/١٩٠) والروض (١/٢١٤) .

(٤) سياق ابن إسحاق وابن هشام يدل على أن الطاهر والطيب اثنان ، وهذا خلاف ما ذهب إليه النسابون . قال ابن الكلبي في جمهرة النسب (ص ١٢٥ ، ١٢٦) فولد النبي ﷺ : القاسم ، وعبد الله ، وهو الطيب ، وهو الطاهر ، اسم واحد ، لأنه ولد بعدما أوحى إليه . وفي هامش أصل الجمهرة فائدة : الطيب والطاهر اسم ولد واحد ، لأنه ولد بعد الوحي . وبنحو هذا سياق ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص ١٦) وبنحوه أيضاً عند السهيلي في الروض (١/٢١٤) وانظر زاد المعاد (١/١٠٣) وقول الزبير الآتي .

(٥) في السيرة (١/١٩٠) .

(٦) في دلائل النبوة (٣/٧٠) .

(٧) انظر نسب قريش لمصعب (ص ٢١) .

(٨) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٤٣٠ ، ٤٣١) وفي الحاشية ، أخرجه البخاري عن سليمان بن حرب (٧٨) كتاب الأدب (١٠٩) باب من سمى بأسماء الأنبياء الحديث رقم (٦١٩٥) فتح الباري (١٠/٥٧٧) وفي الجنائز عن أبي الوليد . وأورده البيهقي أيضاً في (٧/٢٨٩) يرويه في حق إبراهيم ويقول لما مات إبراهيم ، قال رسول الله ﷺ .

وقال يونس بن بكير : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ الْقَاسِمِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : وَلَدَتْ خَدِيجَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : غَلَامَيْنِ وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ : الْقَاسِمَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَفَاطِمَةَ ، وَأُمَّ كُلْثُومَ ، وَزَيْنَبَ ، وَرُقَيْيَةَ .  
وقال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ : عَبْدُ اللَّهِ هُوَ الطَّيِّبُ وَهُوَ الطَّاهِرُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ وُلِدَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ، فَمَاتُوا قَبْلَ الْبَعْثَةِ ، وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَأَدْرَكْنَ الْبَعْثَةَ ، وَدَخَلْنَ فِي الْإِسْلَامِ وَهَاجَزْنَ مَعَهُ ﷺ .  
قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَمِنْ مَارِيَةِ الْقِبْطِيَّةِ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقِسُ صَاحِبُ إِسْكَندَرِيَّةٍ ، مِنْ حَفْنٍ ، مِنْ كُورَةٍ ، أَنْصِنًا<sup>(٢)</sup> .

وَسَتَكَلَّمُ عَلَى ذِكْرِ زَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَابٍ مَفْرَدٍ لَذَلِكَ فِي آخِرِ السِّيَرَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبِهِ الثِّقَةُ .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وَكَانَ عُمُرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَزَوَّجَ خَدِيجَةُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فِيمَا حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِيُّ . وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ : كَتَبْتُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذَرِ ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُؤَصِّلِيُّ<sup>(٤)</sup> ، حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ عَمْرٍو بْنَ أَسَدٍ زَوَّجَ خَدِيجَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعُمُرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَقَرِيشُ تَبْنِي الْكَعْبَةِ .

وهكذا نقل البيهقي عن الحاكم ، أَنَّهُ كَانَ عُمُرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ عُمُرُهَا إِذْ ذَاكَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ - وَقِيلَ : خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً - وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ<sup>(٥)</sup> :

### باب ما كان يشتغل به رسول الله ﷺ قبل أن يتزوج خديجة

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن عبد الله ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حَدَّثَنَا سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى<sup>(٦)</sup> بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ ، عَنْ جَدِّهِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ

- (١) في السيرة (١/١٩١) .
- (٢) « حَفْنٌ » : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى صَعِيدِ مِصْرَ . وَأَنْصِنَا : كُورَةٌ مِنْ كُورِ مِصْرَ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ أَزَلِيَّةٌ مِنْ نَوَاحِي الصَّعِيدِ شَرْقِي النِّيلِ . مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَمَ (١/١٩٩ وَ ٢/٤٥٨) وَمَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (١/٢٦٥ وَ ٢/٢٧٦) .
- (٣) انظر قول ابن هشام في السيرة (١/١٨٧) بسياق مختلف .
- (٤) في ح ، ط : الْمُؤَمِّلِيُّ وَكَذَا فِي أَخْبَارِ الْقَضَاءِ (١/٢٦٨) فِي إِسْنَادِهِ ، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢/٧١) وَكَمَا سَيَأْتِي فِي إِسْنَادِهِ ، وَمَنْ تَرَجَمَتْهُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ (٦/١٠٠) وَمِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ (٣/١٨٤) وَفِيهِ : رَوَى عَنْهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذَرِ .
- (٥) في الدلائل (٢/٦٥) .
- (٦) في ط : عَمْرُو بْنُ أَبِي يَحْيَى . تَحْرِيفٌ وَالْمُثَبِّتُ مِنْ ح ، وَتَرَجَمَتْهُ فِي مِيزَانِ الْإِعْتِدَالِ (٣/٢٩٣) وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ (٨/١١٨) وَفِيهِ ثَبَّتَ رَوَايَتَهُ عَنْ جَدِّهِ ، وَرَوَايَةَ سُؤَيْدٍ عَنْهُ .

رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا راعِيَ غنم » . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط » .

رواه البخاري<sup>(١)</sup> عن أحمد بن محمد المكي ، عن عمرو بن يحيى به .

ثم روى البيهقي<sup>(٢)</sup> من طريق الربيع بن بذر - وهو ضعيف<sup>(٣)</sup> - عن أبي الزبير عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوص »<sup>(٤)</sup> .

وروى البيهقي<sup>(٥)</sup> من طريق حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن عمّار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، أن أبا خديجة زوج رسول الله ﷺ وهو - أظنه قال - سكران .

ثم قال البيهقي<sup>(٦)</sup> : أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان أنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان<sup>(٧)</sup> ، قال : حدثني إبراهيم بن المنذر ، حدثني عمر بن أبي بكر الموصلي<sup>(٨)</sup> ، حدثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه ، عن مقسم أبي القاسم<sup>(٩)</sup> مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أن عبد الله بن الحارث حدثه أن عمار بن ياسر كان إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله ﷺ خديجة ، وما يكثرون فيه ، يقول : أنا أعلم الناس بتزويجه إياها ، إني كنت له تزباً ، وكنت له إلفاً وخدناً<sup>(١٠)</sup> ، وإني خرجت مع رسول الله ﷺ ذات يوم ، حتى إذا كنا بالحزورة<sup>(١١)</sup> أجزنا على

(١) في صحيحه ، فتح (٢٢٦٢) الإجارة باب رعي الغنم على قراريط . وفيه : « يعني كل شاة بقيراط ، يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم » . وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٤٩) كتاب التجارات باب الصناعات ، وابن سعد في الطبقات (١/١٢٥) .

(٢) في الدلائل (٢/٦٥ ، ٦٦) .

(٣) قوله : وهو ضعيف ، ليس في دلائل البيهقي . فهو من قول المصنف . وتضعيف الربيع في ميزان الاعتدال (٢/٣٨ ، ٣٩) وتهذيب التهذيب (٣/٢٣٩) .

(٤) « القلوص » : الفتية من الإبل . اللسان (قلص) .

(٥) في الدلائل (٢/٧٣) .

(٦) في الدلائل (٢/٧١) .

(٧) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/٢٥٣) في القسم المفقود منه ، وهو منقول عما هنا .

(٨) في ح ، ط : المؤملي ، والمثبت من الدلائل وحاشية (٣) من الصفحة السابقة .

(٩) في ح : مقسم بن القاسم . وفي ط : مقسم بن أبي القاسم . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب (١٠/٢٨٨) وهو مقسم بن بجرة ويقال : ابن نجدة أبو القاسم ويقال : أبو العباس مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل .

(١٠) « التزب » : اللدة ، وقد مضى شرحه (ص٣٣) في الحاشية (٤) من هذا الجزء . والخدن : الصديق . مختار الصحاح (خدن) . وزادت نسخة (ح) لفظة : وخرجنا بعد : وخدنا . فلعلها مصحفة عن كلمة أخرى والله أعلم .

(١١) « الحزورة » : بالفتح ثم السكون وفتح الواو ، وراء وهاء ، وهو في اللغة الراية الصغيرة . وقال الدارقطني : كذا =

أخت خديجة وهي جالسة على آدم تبعها ، فنادتني ، فانصرفت إليها ووقف لي رسول الله ﷺ فقالت : أما لصاحبك<sup>(١)</sup> هذا من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعتُ إليه فأخبرته فقال : « بلى لعمري » فذكرتُ لها قول رسول الله ﷺ فقالت : اغدوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم ، فوجدناهم قد ذبحوا بقرة ، وألبسوا أبا خديجة حُلَّةً ، وصُفَّرتُ لحيته ، وكَلَّمْتُ أخاها ، فكَلَّمْتُ أباهَا وقد سُقي خمرًا ، فذكرتُ له رسول الله ﷺ ومكانه ، وسألتُهُ أن يزوجه ، فزوجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاماً فأكلنا منه ، ونام أبوها ، ثم استيقظ صاحباً ، فقال : ما هذه الحُلَّة وما هذه الصُفْرَةُ<sup>(٢)</sup> وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التي كانت قد كَلَّمْتُ عَمَّاراً : هذه حُلَّةٌ كساها محمد بن عبد الله خَتَنُكَ ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زَوَّجْتُهُ خديجة . فأنكر أن يكون زوجه ، وخرج يصيح حتى جاء الحجر ، وخرج بنو هاشم برسول الله ﷺ ، فجاءوه فكَلَّموه ، فقال : أين صاحبُكم الذي تزعمون أني زَوَّجْتُهُ خديجة ؟ فبرز له رسول الله ﷺ فلما نظر إليه قال : إن كنتُ زَوَّجْتُهُ فسبيل ذاك ، وإن لم أكن فعلتُ فقد زَوَّجْتُهُ<sup>(٣)</sup>

وقد ذكره الزهري في سيره ، أن أباهَا زَوَّجَهَا منه ، وهو سكران ، وذكر نحو ما تقدَّم . حكاها السُّهيلي<sup>(٤)</sup> .

قال المَوْصلي : المجتمع عليه أنَّ عَمَّاه عمرو بن أسد هو الذي زَوَّجَهَا منه<sup>(٥)</sup> . وهذا هو الذي رَجَّحه السُّهيلي ، وحكاها<sup>(٦)</sup> عن ابن عباس وعائشة قالت : وكان خويلد قد مات قبل الفجار ، وهو الذي نازع تَبَعاً حين أراد أخذَ الحَجَرِ الأسود إلى اليمن ، فقام في ذلك خُوَيْلِد ، وقام معه جماعةٌ من قريش ، ثم رأى تَبَعٌ في منامه ما رَوَّعَهُ ، فتنزع عن ذلك وترك الحَجَرِ الأسود مكانه .

وذكر ابن إسحاق في آخر السيرة<sup>(٧)</sup> ، أن أخاها عمرو بن خُوَيْلِد هو الذي زَوَّجَهَا رسول الله ﷺ فالله أعلم .

- 
- = صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف ؛ وكانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه . معجم البلدان (٢/ ٢٥٥) .
- (١) في ح ، ط : بصاحبك ، والمثبت من دلائل البيهقي .
- (٢) في دلائل البيهقي النقيعة ، وهي ما ينحره الرجل إذا زَوَّجَ ، كما في اللسان (نقع) .
- (٣) إسناده ضعيف جداً ، فإن عمر بن أبي بكر الموصلي متروك ذاهب الحديث كما قال أبو حاتم الرازي (الجرح والتعديل ٦/ الترجمة ٥٢٤) (بشار) .
- (٤) في الروض (١/ ٢١٤) .
- (٥) الخبر في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٣) في القسم المفقود منه ، وهو منقول عما هنا .
- (٦) قول الموصلي هذا ذكره البيهقي بعد سياق الخبر الأنف الذكر .
- (٧) في الروض (١/ ٢١٣) بالفاظ مقاربة .
- (٨) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٤٣) .



## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى - وكان ابن عمها وكان ، نصرانياً قد تتبّع الكتب وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها [ ميسرة ] من قول الراهب وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يُظْلَآنه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إنّ محمداً لنبي هذه الأمة ، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر ، هذا زمانه . أو كما قال : فجعل ورقه يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ؟ وقال في ذلك : [ من الوافر ]

لَجَبْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجَا	لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا
وَوُضِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَضْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِطْنِ الْمَكْتَبَيْنِ عَلَى رَجَائِي	حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا <sup>(٢)</sup>
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ	مَنْ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا <sup>(٣)</sup>
بَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ قَوْمًا	وَيَخْصُمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نَوْرِ	يُقِيمُ <sup>(٤)</sup> بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا <sup>(٥)</sup>
فِيَلْقَى مِنْ يَحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا <sup>(٦)</sup>
فِيَالْيَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم	شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وُلُوجًا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قُرَيْشُ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أَرْجِي فِي الَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
فَإِنْ تَبَقَوْا <sup>(٧)</sup> وَأَبَقَ تَكُنْ أُمُورُ	يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكُلُّ فَتَى سِيَلْقَى	مِنَ الْأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَا <sup>(٨)</sup>

- (١) سيرة ابن إسحاق (ص ٩٤) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩١) والروض (١/ ٢١٦) وما يأتي بين معقوفين منها .
- (٢) قال السهيلي في الروض (١/ ٢١٨) : ثنى مكة وهي واحدة ، لأن لها بطاحاً وظواهر . . . على أن للعرب مذهباً في أشعارها في ثنية البقعة الواحدة وجمعها . . . وإنما يقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلد وأسفلها .
- (٣) « الْقَسُّ » : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم . اللسان ( قسس ) .
- (٤) كذا في ح والسيرة والروض ، وفي ط : يقوم .
- (٥) قال السهيلي في شرحه : الضياء هو المنتشر عن النور . . . وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات ، هو الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن والذكر .
- (٦) « الْفُلُوجُ » : الفوز والظفر . التاج ( فلج ) .
- (٧) في ط والسيرة والروض : يبقوا .
- (٨) « المتلفة » : المهواة المشرفة على تلف ، دونها جبل أو غيره ، أو تكون بين جبلين . اللسان ( تلف ، هوى ) وفي =

وقال ورقة أيضاً فيما رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق عنه<sup>(١)</sup> : « من الضويل »

أُنْبِكِرُ أَمْ أَنْتَ الْعَشِيَّةَ رَائِحُ      وفي الصدر من إضمارك الحُزْنَ قَادِحُ  
لِفُرْقَةٍ قَوْمٍ لَا أَحَبُّ فِرَاقَهُمْ      كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ  
وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ      يُخَبِّرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِحُ  
فَذَاكَ<sup>(٢)</sup> الَّذِي وَجَّهَتْ يَا خَيْرَ حُرَّةٍ      بغورٍ وبالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الصَّحَاحُ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى سَوْقِ بُصْرَى فِي الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتْ      وَهَنَ مِنَ الْأَحْمَالِ قُعُصٌ دَوَالِحُ<sup>(٤)</sup>  
فَيُخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بَعْلِمِهِ      وَلِلْحَقِّ أَبْوَابٌ لَهَنَ مَفَاتِحُ<sup>(٥)</sup>  
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلُ      إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ  
وِظْنِي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقاً      كَمَا أُرْسِلَ الْعَبْدَانِ هُوْدُ وَصَالِحُ  
وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ      بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ  
وَيَتَّبِعُهُ حَيَالُؤِيٍّ وَغَالِبُ<sup>(٦)</sup>      شَبَابُهُمُ وَالْأَشْيَبُونَ الْجَحَاجِحُ  
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسُ دَهْرَهُ      فَإِنِّي بِهِ مُسْتِشِرُّ الْوَدِّ فَارِحُ  
وَالَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي      عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَائِحُ  
وزاد الأموي<sup>(٧)</sup> :

- (ح ، ط) : خروجاً . أوله خاء معجمة ، والمثبت من السيرة والروض . قلت : لعل معناه : ضيقة ، من الحرج وهو الضيق . فيكون قوله : متلفة خروجاً . كناية عن القبر .
- (١) سيرة ابن إسحاق (ص ٩٤ ، ٩٥) وأوردها السهيلي في الروض (١/ ٢٢٠) .
- (٢) كذا في ح وفي ط : أنك ، وفي الروض والاكتفا : فتاك .
- (٣) في سيرة ابن إسحاق : « بغوري والنجدتين » . والصحاح : جمع صحصح : الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار . اللسان (صحح) .
- (٤) في ح : والركاب . قعص : كذا في الأصول والسيرة والروض ، ولم يتجه لي معناه بهذا اللفظ . قلت لعله « نعص » بنون في أوله ، من النَّعَص ، وهو التمايل . والدوالح : جمع دالح ، وهو البعير [ الذكر والأنثى سواء ] إذا دلح ، وهو ثقافله في مشيه من ثقل الحمل . اللسان (نعص ، دلح) .
- (٥) في ح : فواتح .
- (٦) كذا في ح ، ط : وأظن الصواب فيه : حيا لؤي بن غالب . قال ابن حزم في جمهرة الأنساب ص ١٢ : فولد لؤي بن غالب : كعب بن لؤي ، وفيه البيت والعدد ، وعامر بن لؤي ، وهذان الصريحان من ولد لؤي . وفي نسب قريش للمصعب (ص ١٣) : فولد لؤي بن غالب كعباً وعامراً ، وهما البطاح . ويؤيد هذا ما جاء في رواية ابن إسحاق في السيرة والسهيلي في الروض : حيا لؤي جماعة .
- (٧) ذكرت هذه الأبيات في هامش (ح) .

فَمَتَّبِعْ دِينَ الَّذِي أَسَّسَ الْبِنَا      وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ  
وَأَسَّسَ بُنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا      تَلَاءً فِيهِ بِالظَّلَامِ الْمَصَابِحُ  
مَثَابًا لِأَفْنَاءِ الْقِبَائِلِ كُلِّهَا      تَخَبُّ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الْطَلَائِحُ<sup>(١)</sup>  
حَرَاجِيجُ أَمْثَالُ الْقِدَاحِ مِنَ الشَّرَى      يُعَلِّقُ فِي أَرْسَاعِيهِنَّ السَّرَائِحُ<sup>(٢)</sup>

ومن شعره فيما أورده له أبو القاسم الشَّهْلِيُّ في « روضه »<sup>(٣)</sup> : [ من البسيط ]

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقَلْتُ لَهُمْ :      أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَغْرُزُكُمْ أَحَدُ  
لَا تَعْبُدَنَّ إِلَّا هَا غَيْرَ خَالِقِكُمْ      فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ<sup>(٤)</sup>  
سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا يَدُومُ لَهُ      وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمْدُ<sup>(٥)</sup>  
مَسْخَرُ كُلِّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ      لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنَاوِيَ مَلَكُهُ أَحَدُ  
لَا شَيْءٍ مِمَّا نَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ      يَبْقَى الْإِلَهِ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ  
لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمِزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ      وَالْخُلْدَ قَدْ حَاوَلْتُ عَادُ فَمَا خَلَدُوا  
وَلَا سَلِيمَانُ إِذْ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِهِ      وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهَا تَرْدُ<sup>(٦)</sup>  
أَيْنَ الْمُلُوكِ الَّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا      مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفْدُ  
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَذِبٍ      لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

ثم قال : هكذا نسب أبو الفرج إلى وَرَقَةَ . قال : وفيه أبياتٌ تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ .

قلت : وقد رَوينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يستشهد في بعض الأحيان بشيء من هذه الأبيات ، فالله أعلم .

- (١) « اليعملات الطلائح » : النوق السريعة التي جَهَّدها السير وأهزلها . « وتخبُّ » : من الخَبَب ، وهو السرعة في العدو . وفي ح : تخف . وهو بمعناه . اللسان ( طلع ، عمل ، خبب ) .
- (٢) « حراجيج » : جمع حَرْجُوجٍ وحَرْجِيجٍ ، وهي الناقة الطويلة . والسرائح : والشُّرُح : نعال الإبل ، وقيل سُيُور نعالها ، كل سير منها سريحة ، وقيل : السيور التي يُخَصَفُ بها . اللسان ( حرج ، سرح ) .
- (٣) الروض الأنف (٢١٧/١) .
- (٤) دعوة حَدَدَ ، محركة : أي باطلة . وأمر حَدَدَ : ممتنع باطل ، لا يحل أن يُرتكب . التاج ( حدد ) . ووقع في الروض : جدد ، بالجيم المعجمة .
- (٥) « الجودي » : هو جبل مظل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل . معجم البلدان (١٧٩/٢) . والجمد : بضم الجيم ، هو جبل لبني نصر بنجد ، معجم البلدان (١٦١/٢) والأبيات فيه . ونسب هذا البيت لأُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ كما سيأتي ، وهو في ديوانه (ص ٣٧٦) وتخرجه فيه .
- (٦) كذا في ح ومعجم البلدان ، وفي ط والروض : مرد .

## فصل

## في تجديد قريش بناء الكعبة قبل المبعث بخمس سنين

ذَكَرَ البيهقي<sup>(١)</sup> بناء الكعبة قبل تزويجة عليه الصلاة والسلام خديجة . والمشهور أنَّ بناء قريش الكعبة بعد تزويج خديجة كما ذكرناه بعشر سنين . ثم شرع البيهقي في ذكر بناء الكعبة في زمن إبراهيم كما قدمناه في قصته ، وأورد حديث ابن عباس المتقدم في « صحيح » البخاري<sup>(٢)</sup> وذكر ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم ، ولا يصحُّ ذلك ، فإنَّ ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناء مبتدئاً ، وأول مَنْ أسَّسه ، وكانت بقعته معظمة قبل ذلك ، معتنى بها ، مشرفة في سائر الأعصار والأوقات ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [ آل عمران : ٩٦ - ٩٧ ] .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ، أيُّ مسجدٍ وُضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » . قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » .

وقد تكلمنا على هذا فيما تقدَّم<sup>(٤)</sup> ، وأنَّ المسجد الأقصى أسَّسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام . وفي « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> : « إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وقال البيهقي<sup>(٦)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو عبد الله الصفَّار ، حدَّثنا أحمد بن مهران ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدَّثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : كان البيت قبل الأرض بألفي سنة ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [ الانشقاق : ٣ ] قال : من تحته مدًّا<sup>(٧)</sup> .

- (١) ذَكَرُ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِي دَلَالِلِ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢/٤٣ - ٦٤) .
- (٢) حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ هَذَا تَقَدَّمَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ، عِنْدَ ذِكْرِ مَوْلِدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
- (٣) فَتْحُ الْبَارِيِّ (٣٤٢٥) الْأَنْبِيَاءُ بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (٢/٥٢٠) كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ .
- (٤) تَقَدَّمَ فِي (١/١٦٢) مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ط .
- (٥) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ، فَتْحُ (١٨٣٤) جِزَاءُ الصَّيْدِ بَابُ لَا يَحِلُّ الْقِتَالُ بِمَكَّةَ وَ(٣١٨٩) الْجِزْيَةُ وَالْمَوَادِعَةُ بَابُ إِثْمِ الْغَادِرِ لِلْبُرِّ وَالْفَاجِرِ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (١٣٥٣) (٤٤٥) الْحَجُّ بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخِلَاهَا .
- (٦) فِي الدَّلَالِ (٢/٤٤) .
- (٧) فِي ط : مَدَّتْ . وَالْمُبْتَدَأُ مِنْ حِ وَدَلَالِ الْبَيْهَقِيِّ . وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ أَيْضاً بِهَذَا اللَّفْظِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٢/٥١٨) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ ! . أَقُولُ : وَسَيَأْتِي كَلَامُ الْمُصَنِّفِ عَلَيْهِ .

قال : وقد تابعه منصور عن مجاهد .

قلت : وهذا غريبٌ جداً ، وكأنَّه من الزَّامِلَتَيْنِ اللتين أصابهما عبد الله بن عمرو يوم اليرموك<sup>(١)</sup> ، وكان فيهما إسرائيليات يحدثُ منهما ، وفيهما منكراتٌ وغرائب .

ثم قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي<sup>(٢)</sup> ، حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا أبو صالح الجهنني ، حدثني ابنُ لهيعة ، عن يزيد ، عن أبي الخير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « بعث الله جبريلَ إلى آدم وحواء ، فقال لهما : ابنيَا لي بيتاً . فخطَّ لهما جبريل ، فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودي من تحته : حَسْبُكَ يا آدم . فلمَّا بَنَيَا أوحى الله تعالى إليه أن يطوفَ به ، وقيل له : أنت أولُ الناس ، وهذا أولُ بيت ، ثم تناسختِ القرون حتى حجَّه نوح ، ثم تناسختِ القرون حتى رَفَعَ إبراهيمُ القواعدَ منه » .

قال البيهقي : تفرَّد به ابنُ لهيعة هكذا مرفوعاً .

قلت : وهو ضعيف ، ووَفقُهُ على عبد الله بن عمرو أقوى وأثبت ، والله أعلم .

وقال الربيع<sup>(٣)</sup> : أخبرنا الشافعي ، أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي لييد ، عن محمد بن كعب القرظي - أو غيره - قال : حجَّ آدمُ فلقيتهُ الملائكة فقالوا : برَّ نُسُكُكَ يا آدم ، لقد حجَّجْنَا قبلك بالْفَيِّ عام .

وقال يونس بن بُكير عن ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني بَقِيَّة - أو قال : ثقةٌ من أهل المدينة - عن عُروة بن الزُّبير أنه قال : ما مِنْ نبيٍّ إلا وقد حجَّ البيت ، إلا ما كان من هود وصالح .

قلتُ : وقد قَدَّمنا حجَّهما إليه<sup>(٥)</sup> . والمقصودُ الحجُّ إلى محلَّته ، وبُقْعَتِهِ ، وإن لم يكنْ ثمَّ بناء ، والله أعلم .

(١) في ذلك أقوال وردت في الجزء الأول في قصة شعيب .

(٢) في الدلائل (٤٤/٢ ، ٤٥) .

(٣) في ط : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن جميل البغدادي المشهور بالجمال المتوفى سنة ٣٤٦هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥٤٧/١٥ - ٥٤٨) .

(٤) في ح ، ط : يزيد بن أبي الخير . وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي . ويزيد هو ابن أبي حبيب ، وأبو الخير هو مرثد بن عبد الله اليزني ، ورواية كل منهما عن الآخر ثابتة في ترجمتهما في تهذيب التهذيب (٨٢/١٠) و (٣١٨/١١) .

(٥) قول الربيع وإسناده في دلائل البيهقي (٤٥/٢) .

(٦) قول يونس عن ابن إسحاق ساقه البيهقي في الدلائل (٤٥/٢ ، ٤٦) .

(٧) في الجزء الأول عند قصة هود وصالح .

ثم أورد البيهقي<sup>(١)</sup> حديث ابن عباس المتقدم في قصة إبراهيم عليه السلام بطوله وتمامه ، وهو في « صحيح » البخاري .

ثم روى البيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث سِمَاك بن حَرْب ، عن خالد بن عَزْرَةَ قال : سأل رجلٌ علياً عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ آل عمران : ٩٦ ] أهو أول بيت بُني في الأرض<sup>(٣)</sup> ؟ قال : لا ، ولكنه أول بيت وُضِعَ فيه البركة للناس والهدى ، ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت نبأتك كيف بناؤه ؛ إِنَّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض . فضاق به ذرعاً ، فأرسل إليه السَّكِينَةَ وهي رِيحٌ خَجُوجٌ<sup>(٤)</sup> لها رأس ، فاتَّبَعَ أحدهما صاحبه حتى انتهت<sup>(٥)</sup> ، ثم تطوقت في موضع البيت تطوُّقَ الحَيَّةِ ، فبنى إبراهيم ، حتى [ إذا ] بلغ مكان الحجر قال لابنه : ابغني حجراً . فالتمس [ ثم ] حجراً حتى أتاه به ، فوجد الحجر الأسود قد رُكِّبَ ، فقال لأبيه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لا يتكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأتته<sup>(٦)</sup> .

قال<sup>(٧)</sup> : فمرَّ عليه الدهر فانهدم ، فبنته العمالقة ، ثم انهدم فبنته جُرْهُم ، ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله ﷺ يومئذ رجلٌ شاب . فلما أرادوا أن يرفعوا الحجر الأسود اختصموا فيه ، فقالوا : نُحْكَمْ بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم ، ففضى بينهم أن يجعلوه في مِرْطٍ<sup>(٨)</sup> ، ثم ترفعه جميع القبائل كلهم .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٩)</sup> : حدَّثنا حماد بن سلمة وقيس وسلام<sup>(١٠)</sup> ، كلهم عن سِمَاك بن حَرْب عن خالد بن عرعة ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما انهدم البيت بعد جُرْهُم بنته قريش ، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا ، مَنْ يَضَعُهُ ؟ فاتفقوا أن يضعه أول مَنْ يدخل من هذا الباب ، فدخل رسول الله ﷺ

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٦ - ٥٢) .

(٢) في الدلائل (٢/٥٥) وما يأتي بين معقوفين منه ، وأخرج الخبر أيضاً الطبري في تفسيره (٣/٦٩ ، ٧٠) .

(٣) سياق الخبر في ح على هذا النحو : « ... سأل رجل علياً عن قوله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ ﴾ فيه البركة ﴿ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ أهو أول بيت في الأرض ؟ » . والمثبت من ط ودلائل البيهقي .

(٤) « الريح الخجوج » : الشديدة المرّ ، التي تلتوي في هبوبها ، الخوارة . اللسان ( خجج ) .

(٥) في تفسير الطبري : حتى انتهت إلى مكة .

(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره (٣/٦٩ - ٧١) والحاكم في المستدرک (٢/٢٩٢ - ٢٩٣) وأورده الأزرق في تاريخ مكة (١/٢٤ ، ٢٥) .

(٧) يعني البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٦) بالسند نفسه .

(٨) « المِرْط » : كل ثوب غير مخيط . اللسان ( مرط ) .

(٩) في مسنده رقم (١١٣) وما يأتي بين معقوفين منه . وهو في منحة المعبود (٢/٨٦ ، ٢٣١٦) .

(١٠) في مسند الطيالسي : وقيس وسماك كلهم عن سماك ، والمثبت من ح ، ط وتهذيب الكمال (١٢/١١٧ ، ٢٨٢) في ترجمتي سماك وسلام ، ورواية سلام عن سماك ثابتة فيهما .

من باب بني شَيْبَةَ ، فأمر بثوب ، فوضع ، [ فأخذ ] الحجر [ ووضعه ] في وسطه ، وأمر كلَّ فَيَحْزِ أَنْ يأخذوا بطائفة من الثوب ، فرفعوه ، وأخذ رسول الله ﷺ فوضعه .

قال يعقوب بن سفيان<sup>(١)</sup> : أخبرني أصْبَغ بن فَرَج ، أخبرني ابنُ وَهْب عن يونس عن ابن شهاب قال : لما بلغ رسول الله ﷺ الحُلُم ، أَجْمَرَتِ امرأةُ الكعبة<sup>(٢)</sup> فطارَتْ شرارةٌ من مِجْمَرِها في ثياب الكعبة فاحترقت ، فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضعَ الرُّكْنِ اختصمت قريش في الرُّكْنِ ، أَيُّ القبائل تلي رفعه ؟ فقالوا : تعالوا نُحْكَمْ أولَ مَنْ يطلع علينا ، فطلع عليهم رسول الله ﷺ وهو غلام عليه وشاحُ نَمِرة ، فحكّموه ، فأمر بالركن فوضع في ثوب ، ثم أخرج سيدَ كلِّ قبيلةٍ فأعطاه ناحيةً من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن ، فكان هو يضعه ، فكان لا يزدادُ على السَّنِّ إِلَّا رَضَى ، حتى دَعَوهُ الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفقوا لا ينحرون جَزُوراً إِلَّا التمسوه ، فيدعولهم فيها .

وهذا سياقُ حَسَن ، وهو من سِيرِ الزُّهري ، وفيه من الغرابة قوله : فلما بلغ الحُلُم . والمشهور أنَّ هذا كان ورسول الله ﷺ عمره خمسٌ وثلاثون سنة ، وهو الذي نصَّ عليه محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله .

وقال موسى بن عُقْبَةَ : كان بناءُ الكعبة قبل المَبْعَثِ بخمس عشرة سنة . وهكذا قال مجاهد ، وعروة ، ومحمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم وغيرهم . فالله أعلم .

وقال موسى بن عُقْبَةَ : كان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة .

قلت : وكان الفِجَارُ وحِلْفُ الفُضُولِ في سنةٍ واحدة ، إذ كان عُمَرُ رسولِ الله ﷺ عشرين سنة<sup>(٣)</sup> ، وهذا يؤيِّد ما قال محمد بن إسحاق ، والله أعلم .

قال موسى بن عقبة<sup>(٤)</sup> : وإنما حمل قريشاً على بنائها أَنَّ السُّيُولَ كانت تأتي من فوقها ، من فوق الرَّدَمِ الذي صنعوه ، فأخَرَّ به ، فخافوا أن يدخلها الماء . وكان رجلٌ يُقال له : مليح ، سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بُنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إِلَّا مَنْ شَاءُوا ، فأعدُّوا لذلك نفقةً وعَمَّالاً ، ثم غَدُوا إليها ليهدموها على شَفَقٍ وحَذَرٍ ، أن يمنعهم [ الله ] الذي أرادوا . فكان أولَ رجلٍ طلعتها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة ، فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوضعوها ، فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أن يأخذوا في بنيانها ، أحضروا عَمَّالَهُمْ فلم يقدِرَ رجلٌ منهم أن يمضيَ أمامَهُ موضعَ قدم . فزعموا أنهم رأوا

(١) في المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٢) وهو في القسم المفقود منه ، اقتبسه المحقق من هنا .

(٢) « أجمرت الكعبة » : يعني بخرتها بالطيب وفي ط : جمرت ، وهو بمعناه ، يقال : أجمرت الثوب وجمرتُه : إذا بخرته بالطيب ، اللسان ( جمر ) .

(٣) في ح ، ط : عشرون سنة .

(٤) قول موسى بن عقبة في عيون الأثر (١/ ٥١ ، ٥٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

حيّة قد أحاطت بالبيت ، رأسها عند ذنبها ، فأشفقوا منها شفقةً شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة . وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس ، وشفراً لهم . فلما سقط في أيديهم ، والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمر<sup>(١)</sup> بن مخزوم ، فذكر ما كان من نصحه لهم وأمره إياهم أن لا يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها ، وأن يقتسموها أربعاً ، وأن لا يدخلوا في بنائها مالا حراماً . وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحيّة في السماء وتغيّبت عنهم ، ورأوا أن ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس : إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياذ<sup>(٢)</sup> .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(٣)</sup> : فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش لبناء الكعبة ، وكانو يهتئون بذلك ليسقفوها ، ويهابون هدمها ، وإنما كانت رَضْماً<sup>(٤)</sup> فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وذلك أن نفرأ سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان يكون<sup>(٥)</sup> في بئر في جوف الكعبة ؛ وكان الذي وجد عنده الكثر دويك ، مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خُزاعة ، فقطعت قريش يده ، وتزعم قريش أن الذين<sup>(٦)</sup> سرقوه وضعوه عند دويك . وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة ، لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدّوه لتسقيفها .

قال الأموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم ، تحمل له آلات البناء من الرُخام والخشب والحديد ، سَرَحها قيصر مع باقُوم الرُّومي إلى الكنيسة التي أحرقها الفُرس للحبشة ، فلما بلغت مرساها من جُدّة بعث الله عليها ريحاً فحطمتها .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وكان بمكة رجل قِطِيّ نجّار ، فتهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها . وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى إليها كلّ يوم ، فتشرّق<sup>(٨)</sup> على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا اخزألت وكشّت<sup>(٩)</sup> وفتحت فاهها ، فكانوا

- (١) في ح ، ط : المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، والمثبت من عيون الأثر (٥٢/١) وجمهرة النسب لابن الكلبي (٢٦٤/١) والمحبر (ص ٨٤ ، ١٣٢ ، ١٣٩) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٤٤) .
- (٢) أجياذ : كأنه جمع جيد وهو العنق ، موضع بمكة يلي الصفا . معجم البلدان (١٠٥/١) .
- (٣) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٣ ، ٨٤) وفيه الخبر مطول ، ويبدو أن المصنف نقله من سيرة ابن هشام (١٩٢/١ ، ١٩٣) .
- (٤) « الرَضْم » : صخور بعضها على بعض . النهاية (٢٣١/٢) (رضم) .
- (٥) سقطت « يكون » من ط ، وهي ثابتة في ح وسيرة ابن هشام .
- (٦) في ح : الذي .
- (٧) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٣ ، ٨٤) وسيرة ابن هشام (١٩٣/١) .
- (٨) في ح : فتشرف وفي ط : فتشرف ، وفي سيرة ابن إسحاق : فتشرق ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض . والتشرّق : الظهور للشمس حينما يدركها برد السحر . اللسان (شرق) والحيوان للجاحظ (٣٩/٤ ، ٥٥/٦) .
- (٩) « اخزألت » : ارتفعت واجتمعت . كشت الأفعى كشاً وكشيشاً : وهو صوت جلدها إذا حكّت بعضها ببعض . اللسان (حزل ، كشش) .



يهابونها . فبينما هي يوماً تشرَّقُ على جدار الكعبة كما كانت تصنع ، بعث الله عليها طائراً فاخطفها<sup>(١)</sup> ، فذهب بها . فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله تعالى قد رضي ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

وحكى السهيلي عن رزين<sup>(٢)</sup> ، أن سارقاً دخل الكعبة في أيام جُرْهُم لیسرق كنزها ، فانهار البئر عليه<sup>(٣)</sup> ، حتى جاؤوا فأخرجوه وأخذوا منه ما كان أخذه ، ثم سكنت هذه<sup>(٤)</sup> البئر حية رأسها كراس الجدي ، وبطنها أبيض ، وظهرها أسود ، فأقامت فيها خمسمئة عام ، وهي التي ذكرها محمد بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فلما أجمعوا أمرهم لهدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - وقال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم<sup>(٦)</sup> - فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهرٌ بغي ، ولا بيعٌ ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس . والناسُ ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر<sup>(٧)</sup> بن مخزوم .

ثم رجَّح ابنُ إسحاق أن قائل ذلك أبو وهب بن عمرو ، قال : وكان خال أبي النبي ﷺ وكان شريفاً ممدحاً .

وقال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة ؛ فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح وسهم ، وكان شق الحِجْر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي بن كعب ، وهو الحطيم .

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المغول

(١) في سيرة ابن إسحاق : طائراً لا يدرون ما هو ، فاخطفها من مشرقها .

(٢) في الروض (١/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ و ١٣٧) بالفاظ مقاربة .

(٣) لفظ السهيلي : فسقط عليه حجر فحبسه فيها .

(٤) في الأصل : هذا ، وهو تصحيف من الناسخ ، لأن البئر مؤنثة ، يدل عليها الضمير في قوله : « فأقامت فيها » الآتي .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٤) بلفظ مختلف ، ويبدو أن المصنف نقله من سيرة ابن هشام (١/ ١٩٤) فاللفظ له .

(٦) قلت : وهو الصواب ، كما جاء في جمهرة النسب لابن الكلبي (١/ ٣٠٨) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٤١) .

(٧) في ح ، ط : عمرو ، والمثبت من سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق .

(٨) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٥) واللفظ لابن هشام (١/ ١٩٥) .

ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لَمْ تُرْعَ<sup>(١)</sup> اللهم إنا لا نريدُ إلا الخير . ثم هَدَمَ من ناحية الرُّكْنَيْنِ ، فترَبَّصَ الناسُ تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فَإِنْ أُصِيبَ لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإنْ لم يُصِبْهُ شيء فقد رضي الله ما صنعنا من هدمها . فأصبح الوليدُ غادياً على عمله ، فهَدَمَ وهدمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساس إبراهيم عليه السلام ، أَفْضَوْا إلى حجارة خُضِرَ كالأسِنَّةِ أَخَذَ بعضها بعضاً - ووقع في « صحيح » البخاري عن يزيد بن رومان : كَأْسِنِمَةِ الْإِبِلِ<sup>(٢)</sup> - قال السُّهيلي : وأرى رواية السيرة - كالأسِنَّةِ<sup>(٣)</sup> - وهما ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> فحدَّثني بعضُ مَنْ يروي الحديث ، أَنَّ رجلاً من قريش ممن كان يهدمُها ، أدخل عتله<sup>(٥)</sup> بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرَّك الحجر انتفضت<sup>(٦)</sup> مكة بأسرها . فانتَهَوْا عن ذلك الأساس .

وقال موسى بن عقبة : وزعم عبد الله بن عباس ، أن أولية قريش كانوا يحدثون أَنَّ رجلاً من قريش ، لما اجتمعوا لينزعوا الحجارة انتَهَوْا<sup>(٧)</sup> إلى تأسيس إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، عمد رجلٌ منهم إلى حجرٍ من الأساس الأول ، فرفعه وهو لا يدري أنه من الأساس الأول ، فأبصر القومُ بُرْقَةً تحت الحجر ، كادت تلتئمُ بصرَ الرجل ، ونزا الحجر من يده فوق في موضعه وفزع الرجل والبناء . فلما ستر الحجر عنهم ما تحته إلى مكانه عادوا إلى بنيانهم وقالوا : لا تحرَّكوا هذا الحجر ولا شيئاً بحذائه .

(١) قال السُّهيلي في الروض : (٢٢٥ / ١) : اللهم لَمْ تُرْعَ : هي كلمة تقال عند تسكين الرُّوع ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولا رَوْعَ في هذا الموطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر ، فلذلك تكلموا بها ، وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرُّوع الذي هو محال في حق الباري تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها . ويروى أيضاً « اللهم لم نرْع » وهو جلي لا يشكل . أي لم نحل عن دينك . وهي رواية ابن هشام .

(٢) فتح الباري (١٥٨٦) الحج باب فضل مكة وبنيانها .

(٣) في ح ، ط : كالأسِنَّة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الروض (٢٢٨ / ١) ولفظه : وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب ( كالأسِنَّة ) وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٥) وسيرة ابن هشام (١ / ١٩٥) واللفظ له .

(٥) « العتلة » : العصا الضخمة من حديد لها رأس مفلطح كقبعة السيف ، تكون مع البناء يهدم بها الحيطان . وقبعة السيف : ما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد ، وهي التي يُدْخَلُ القائم فيها . اللسان ( عتل ، قبع ) .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام : تنقضت ، وفي السيرة الحلبية (١ / ١٤٢) : تنقضت أي تحركت ، وفي شرح المواهب (١ / ٢٤٦) : تنقضت . قلت : أظن الصواب فيه إن شاء الله تنقضت ، بالغين والضاد المعجمتين ، أي : تحركت ورجفت ، جاء في النهاية (٥ / ٨٧) ( نغض ) : وفي حديث ابن الزبير : إن الكعبة لما احترقت نغضت ، أي تحركت ووهت .

(٧) سقطت اللفظة من ط وهي في ح .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وَحُدِّثْتُ أَنَّ قَرِيشاً وَجَدُوا فِي الرُّكْنِ كِتَاباً بِالسَّرِيَانِيَةِ ، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ ، حَتَّى قَرَأَهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ ، فَإِذَا هُوَ : أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ ، خَلَقْتُهَا يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَصَوَّرْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ حُنْفَاءَ ، لَا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَحْشَابُهَا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : يَعْنِي جِبَالَهَا - مَبَارِكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّبَنِ .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٢)</sup> : وَحُدِّثْتُ أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي الْمَقَامِ كِتَاباً فِيهِ : مَكَّةَ [ بَيْتُ ] اللَّهِ الْحَرَامِ ، يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلَ ، لَا يَحِلُّهَا أَوَّلُ مَنْ أَهْلَهَا<sup>(٣)</sup> .

قال<sup>(٤)</sup> : وَزَعَمَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سَلِيمٍ<sup>(٥)</sup> أَنَّهُمْ وَجَدُوا [ حَجَرًا ] فِي الْكَعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً - إِنْ كَانَ مَا ذُكِرَ حَقًّا - مَكْتُوباً فِيهِ : مَنْ يَزْرَعُ خَيْراً يَحْصِدُ غَبْطَةً ، وَمَنْ يَزْرَعُ شَرًّا يَحْصِدُ نَدَامَةً ، تَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ وَتُجْزَوْنَ الْحَسَنَاتِ ؟! أَجَلُ ، كَمَا [ لَا ] يُجْتَنَى مِنَ الشُّؤْكِ الْعَنْبُ<sup>(٦)</sup> .

وقال سعيد بن يحيى الأموي : حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَرَ الرَّقْيِيِّ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ - يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « وَجَدَ فِي الْمَقَامِ ثَلَاثَةَ أَصْفَحَ ، فِي الصَّفْحِ الْأَوَّلِ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ صَنَعْتُهَا يَوْمَ صَنَعْتُ<sup>(٧)</sup> الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ حُنْفَاءَ ، وَبَارَكْتُ لِأَهْلِهَا فِي اللَّحْمِ وَاللَّبَنِ . وَفِي الصَّفْحِ الثَّانِي : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئْتُ . وَفِي الصَّفْحِ الثَّالثِ : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَقَدَّرْتُهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرِيْتُ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرِيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : ثُمَّ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ قَرِيشَ جَمَعَتِ الْحِجَارَةَ لِبَنَائِهَا ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تَجْمَعُ عَلَى حِدَةٍ ، ثُمَّ بَنَوْهَا ، حَتَّى بَلَغَ الْبِنَاءُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ ، فَاخْتَصَمُوا فِيهِ ، كُلُّ قَبِيلَةٍ تَرِيدُ أَنْ تَرْفَعَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ دُونَ الْآخَرَى ؛

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٦) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) واللفظ له .

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٦) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) وما يأتي بين معقوفين منه ، واللفظ له .

(٣) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٢٧) : يريد - والله أعلم - ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصِّنَ بن نمير ، ثُمَّ الْحِجَاجُ بَعْدَهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ أَبِي رِيعة :

أَلَا مَنْ لَقَلْبَ مُعْنَى غَزَلٍ بِحَبِّ الْمَحَلَّةِ أُخْتُ الْمُحِلِّ

يعني بالمُحِلِّ عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

(٤) القائل هو ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) وهو ضعيف .

(٦) وهو من أمثالهم : أَي إِذَا ظَلَمْتَ فَاحْذَرِ الْإِنْتِصَارَ ، فَإِنَّ الظَّلْمَ لَا يُكْسِبُكَ إِلَّا مِثْلَ فَعْلِكَ . مجمع الأمثال للميداني

(١/ ٨٦ ط محمد أبو الفضل إبراهيم مصر ١٩٧٧) والأمثال لأبي عبيد (ص ٢٧٠) .

(٧) ساق الخبر السهيلي في الروض (١/ ٢٢٧) من طريق معمر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً

حين بنوا الكعبة وجدوا فيها . . . وذكر الحديث ، ولفظه : صغتها يوم صغت . . .

(٨) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٦ - ٨٨) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٦) واللفظ له .

حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدُّوا للقتال ، فقرَّبْتُ بنو عبد الدار جَفَنَةً مملوءةً دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديَّ بن كعب بن لؤي على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُّوا لعقة الدم . فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعض أهل الرواية ، أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر<sup>(١)</sup> بن مخزوم - وكان عامئذٍ أسنَّ قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ مَنْ يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا ، فكان أولَ داخلٍ دخل رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال رسول الله ﷺ : « هَلُمُّ<sup>(٢)</sup> إِلَيَّ ثوباً » فأُتِيَ به ، وأخذ الرُّكْن فوضعه فيه بيده ثم قال : « لتأخذ كُلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب ، ثم ارفَعُوهُ جميعاً » ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ﷺ . ثم بُني عليه . وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ الأمين .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا ثابت - يعني أبا زيد<sup>(٤)</sup> - حدَّثنا هلال - يعني ابن خَبَّاب<sup>(٥)</sup> - عن مجاهد عن مولاة - وهو السائب بن عبد الله - أنه حدَّثه أنه كان فيمن بنى الكعبة في الجاهلية قال : وكان لي حجر أنا نَحْتُهُ ، أعبدُهُ من دون الله ، قال : وكنتُ أُجيء باللبن الخاثر الذي أنْفُسُهُ<sup>(٦)</sup> على نفسي فأصْبُهُ عليه ، فيجيءُ الكلبُ فيلحسه ، ثم يَشْغَرُ<sup>(٧)</sup> فيبول ، قال : فبينما حتى بلغنا موضع الحجر ، ولا يرى الحَجَر أحد ، فإذا هو وسط حِجَارِنَا<sup>(٨)</sup> مثل رأس الرجل ، يكاد يتراءى منه وجهُ الرجل ، فقال بطنٌ من قريش : نحن نضعُهُ . وقال آخرون : نحن نضعه . فقالوا : اجعلوا بينكم حَكَمًا . فقالوا : أوَّلُ رجلٍ يَطْلُع من الفَجِّ . فجاء رسولُ الله ﷺ فقالوا : أتاكم الأمين . فقالوا له : فوضعه في ثوب ، ثم دعا بطونهم ، فرفعوا نواحيه ، فوضعه هو ﷺ .

- (١) في ح ، ط : عمرو ، انظر ما مضى (ص ٩٨ حاشية ١) .  
 (٢) في ط : هلموا ، والمثبت من ح والسيرة . وهلم : بمعنى أقبل ، يقال للواحد والاثنين والجماعة .  
 (٣) في مسنده (٣/٤٢٥) .  
 (٤) في ح ، ط : أبا يزيد ، وهو تصحيف ، والمثبت من المسند ، وهو ثابت بن يزيد أبو زيد الأحول البصري . ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/٣٠٥) وتهذيب التهذيب (٢/١٨) .  
 (٥) في ح ، ط : حبان وهو تصحيف ، والمثبت من المسند ، ترجمته في تهذيب التهذيب (١١/٧٧) وقد ضبطه ابن حجر في التقريب (٢/٣٢٣) بقوله : بمعجمة وموحدتين .  
 (٦) في ح ، ط : آنفه ، والمثبت من المسند ، يقال نَفَسْتُ عليه الشيء أنْفُسُهُ : إذا ضنَّنت به ولم تحب أن يصل إليه . اللسان (نفس) .  
 (٧) شغل الكلب : رفع إحدى رجليه ليبول . اللسان (شغل) .  
 (٨) في ط : أحجارنا ، وفي المسند حجارنا ، وكل ذلك جمع حَجَر . اللسان (حجر) . ط دار المأمون ١٤٠٠هـ - دمشق .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانى عشرة ذراعاً ، وكانت تُكسى القباطي<sup>(٢)</sup> ، ثم كُسيت بعد البرود . وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف<sup>(٣)</sup>

قلت : وقد كانوا أخرجوا منها الحجر - وهو ستة أذرع أو سبعة أذرع من ناحية الشام - قصّرت بهم النفقة ، أي : لم يتمكنوا أن يبنوه على قواعد إبراهيم ، وجعلوا للكعبة باباً واحداً من ناحية الشرق ، وجعلوه مرتفعاً لئلا يدخل إليها كل أحد فيدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا .

وقد ثبت في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال لها : « ألم تري أن قومك قصّرت بهم النفقة ، ولولا حدثان قومك بكفر لنقضت الكعبة ، وجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً ، وأدخلت فيها الحجر » .

ولهذا لما تمكّن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله ﷺ ، وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل ، لها بابان ملصقان بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيما صنعه ابن الزبير ، واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه . فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه ، فعمدوا إلى الحائط الشامي ، فحصبوه<sup>(٥)</sup> وأخرجوا منه الحجر ، ورصّوا حجارتها في أرض الكعبة ، فارتفع بابها<sup>(٦)</sup> ، وسدّوا الغربي ، واستمرّ الشرقي على ما كان عليه ، فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور - استشار مالكا في إعادتها على ما كان صنعه ابن الزبير ، فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة ، فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك .

وأما المسجد الحرام : فأول من أخّر بُيَآن البيوت من حول الكعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اشتراها من أهلها وهدمها ، فلما كان عثمان اشترى دوراً وزادها فيه ؛ فلما ولي ابن الزبير أحكم

(١) سيرة ابن هشام (١/١٩٨) .

(٢) « القباطي » : جمع قبطية ، وهي ثياب كتان بيض رفاق تعمل بمصر ، وهي منسوبة إلى القبط على غير قياس . اللسان ( قبط ) .

(٣) ذكر السهيلي عن الزبير بن بكار في الروض (١/٢٢٤) أن ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج .

(٤) فتح الباري (١٢٦) العلم باب من ترك بعض الاختيار (١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦) الحج باب فضل مكة وبنائها و(٣٣٦٨) الأنبياء باب (١٠) و(٤٤٨٤) التفسير باب قوله تعالى : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد » و(٧٢٤٣)

التمني باب ما يجوز من اللو . وصحيح مسلم (١٣٣٣) (٣٩٨ - ٤٠٤) الحج باب نقض الكعبة وبنائها .

(٥) كذا في ح ، ط ولم يتجه لي معناه بهذا اللفظ . قلت : لعل معناه جعلوه مفتتاً كالحصي ، أو أن الصواب فيه : فحصبه . من حصب التراب وغيره . إذا حرّكته وفحصته يميناً وشمالاً . أو فحصبه من الفحص وهو

البحث ، وفحص المطر التراب قلبه ونحو بعضه عن بعض . اللسان ( حصص ، فحص ، حصي ) .

(٦) كذا في ح وفي ط : باباها .

بنيانه ، وحسن جدرانه وكبر<sup>(١)</sup> أبوابه ، ولم يوسع شيئاً آخر . فلما استبدَّ بالأمر عبدُ الملك بن مروان زاد في ارتفاع جُدرانه ، وأمر بالكعبة فكُسيت الدِّباج . وكان الذي تولَّى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقد ذكرنا قصة بناء البيت ، والأحاديث الواردة في ذلك في تفسير سورة البقرة عند قوله : ﴿ وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] . وذكرنا ذلك مطوَّلاً مستقصى ، فمن شاء كتبه هاهنا والله الحمد والمِنَّة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما فرغوا من البنيان ، وبَنَوْها على ما أرادوا قال الزُّبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحيَّة التي كانت قريش تهابُ بنيان الكعبة لها : [ من الوافر ]

عجبتُ لِمَا تصوَّبتِ العُقَابُ	إلى الثعبانِ وهي لها اضطرابُ
وقد كانتُ يكونُ لها كشيْشُ	وأحياناً يكونُ لها وثابُ <sup>(٣)</sup>
إذا قُمنا إلى التأسيسِ <sup>(٤)</sup> شدَّتْ	تُهيِّبنا البناءَ وقد نهابُ <sup>(٥)</sup>
فلما أن خَشِينا الرَّجْزَ <sup>(٦)</sup> جاءتْ	عُقَابٌ تَتَلَبَّبُ لها انصبابُ <sup>(٧)</sup>
فضمَّتْها إليها ثم خلَّتْ	لنا البنيانَ ليسَ له <sup>(٨)</sup> حِجاب
فَقُمْنَا حاشِدينَ إلى بناءِ	لنا منه القواعدُ والتُّرابُ
غداةَ يرفعُ التأسيسُ منه	وليسَ على مساوينا ثيابُ <sup>(٩)</sup>
أعزَّ به المليكُ بني لُؤَيٍّ	فليسَ لأصلِهِ منهم ذهابُ
وقد حشدتُ هناك بنو عَدِيٍّ	ومُرَّةٌ قد تقدَّما كِلابُ

(١) كذا في ح وفي ط : أكثر .

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٩) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٨) والأبيات الآتية فيهما .

(٣) مضى معنى كشيْش (ص ٩٨ حاشية ٩) .

(٤) في سيرة ابن إسحاق البنيان .

(٥) كذا في ح ، ط : وفي سيرة ابن إسحاق يُهاب ، وفي سيرة ابن هشام تُهاب .

(٦) « الزجر » : المنع والنهي ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام : الرَّجْز .

(٧) قال السهيلي في الروض (١/ ٢٢٩) : قوله تتلَبَّب ، يقال : اتلَّابَ على طريقه ، إذا لم يُعَرَّجَ يمنة ولا يسرة ، وكأنه

منحوت من أصلين : من تلا ، إذا تبع ، وأَلَبَّ : إذا أقام ، وأَبَّ أيضاً قريب من هذا المعنى . أب إبابة ، إذا استقام وتهاياً . وفي اللسان (تلاَّب) : اتلَّاب : استقام .

(٨) في ح ، ط : لها ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

(٩) ويروى : وليس على مُسَوِّينا ثياب ، كما في سيرة ابن هشام . والمسوِّي : أي مسوِّي البنيان . وأما مساوينا فيريد السوءات كما في الروض (١/ ٢٢٩) .

فَبَوَّأْنَا الْمَلِكُ بِذَلِكَ عِرَّاً وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ<sup>(١)</sup> الثَّوَابُ

وقد قدّمنا في فصل ما كان الله يحفظ<sup>(٢)</sup> به رسول الله ﷺ من أقدار الجاهلية ، أنه كان هو والعباس عمّه ينقلان الحجارة ، وأنه عليه الصلاة والسلام لما وضع إزاره تحت الحجارة على كتفه نُهي عن خلْع إزاره ، فأعادَهُ إلى سيرته الأولى .

## فصل

وذكر ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> ما كانت قريش ابتدعوه في تسميتهم الحُمس ، وهو الشّدّة في الدّين والصلابة . وذلك لأنهم عظموا الحَرَمَ تعظيماً زائداً ، بحيث التزموا بسببه أن لا يخرجوا منه ليلة عَرَفَة ، وكانوا يقولون : نحن أبناء الحَرَمِ وقُطّان بيتِ الله . فكانوا لا يقفون بعَرَفَات ، مع علمهم أنها من مشاعر إبراهيم الخليل عليه السلام ، حتى لا يخرجوا عن نظام ما كانوا قرّروه من البِدْعَةِ الفاسدة .

وكانوا لا يدخِرُونَ مِنَ اللَّبَنِ أَقْطاً<sup>(٤)</sup> ولا سَمْنًا ولا يَسْلُوُونَ<sup>(٥)</sup> شَحْماً وهم حُرُم . ولا يدخلون بيتاً من شعر ، ولا يستظلُّون إن استظلُّوا إلا ببيت من آدم . وكانوا يمنعون الحَجِيجَ والعُمَّار - ما داموا مُحْرَمِينَ - أن يأكلوا إلا من طعام قريش ، ولا يطوفوا<sup>(٦)</sup> إلا في ثياب قريش ، فإن لم يجد أحدٌ منهم ثوب أحدٍ من الحُمس - وهم قريش وما وَلَدُوا ، وَمَنْ دَخَلَ معهم من كِنَانَةٍ وَخَزَاعَةٍ - طاف عُرْيَاناً ، ولو كانت امرأة ، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فَرْجها وتقول : [ من الرجز ]

اليَوْمَ يَنْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ<sup>(٧)</sup>

فإن تَكَرَّم أحدٌ ممن يجد ثوبَ أحمسي ، فطاف في ثياب نفسه فعليه إذا فرغ من الطواف أن يُلقِيَهَا فلا ينتفع بها بعد ذلك ، وليس له ولا لغيره أن يَمَسَّهَا . وكانت العربُ تسمي تلك الثياب اللُّقَى ، قال بعضُ الشعراء : [ من الطويل ]

كفى حَزْناً كَرِّي عليه كأنه لُقَى بين أيدي الطائفين حَرِيمُ

(١) في ح نلتمس ، والمثبت من ط والسيرة .

(٢) في ط : يحوط ، والمثبت من ح . والفصل المذكور يقع في (ص ٧٥) من هذا الجزء .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص ٨٠ - ٨٢) وسيرة ابن هشام (١/ ١٩٩ - ٢٠٣) .

(٤) الأقط ، ويقال بتثليث الهمزة وسكون القاف : شيء يُتخذ من اللبن المخيض ، يُطبخ ثم يترك حتى يَمُضَل . اللسان ( أقط ) .

(٥) « سَلَا السَّمْنُ يَسْلُوهُ » : طبخه وعالجه فأذاب زُبْدَهُ . اللسان ( سلا ) .

(٦) كذا في ح ، ط ولعل الصواب : وألا يطوفوا .

(٧) في ط : وبعد هذا اليوم لا أُحِلُّهُ ، والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن رداً عليهم فيما ابتدعوه فقال : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ ﴾ أي جمهور العرب من عرفات ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

وقد قدمنا أن رسول الله ﷺ كان يقف بعرفات<sup>(٢)</sup> قبل أن ينزل عليه توفيقاً من الله له ، وأنزل الله عليه رداً عليهم فيما كانوا حرّموا من اللباس والطعام على الناس : ﴿ يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [٣١] قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . . . الآية [الأعراف ٣١-٣٢] .

وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق : ولا أدري أكان ابتداعهم لذلك قبل الفيل أو بعده .

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ٧٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٣) .

(٢) تقدم ذكر ذلك في الجزء الثاني من هذه الطبعة .



## كتاب

### مبعث رسول الله ﷺ تسليماً كثيراً وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> رحمه الله : وكانت الأخبار من اليهود ، والرهبان من النصارى ، والكهنة من العرب<sup>(٢)</sup> قد تحدّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه ، لما تقارب زمانه ؛ أما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى فعلاً وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] الآية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعَنِ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] الآية .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وفي صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس قال : « ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق : لئن بعث محمد وهو حي ليؤمننَّ به ولينصرنَّه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق : لئن بعث وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه وليتبعنَّه » .

يعلم من هذا أن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه .

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ٦٢) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٤) .

(٢) في ح : وكانت الأخبار من اليهود والكهنة من النصارى من العرب . وكذا في ط وفيها : ومن العرب . وما أثبتته من سيرة ابن هشام .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ في صحيح البخاري ، قال المؤلف رحمه الله في التفسير (١/ ٣٧٨) : قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمننَّ به ولينصرنَّه . ولم يعزه لأحد ، لا للبخاري ولا غيره ، ولعله خطأ من النساخ .

وقد قال إبراهيم عليه السلام فيما دعا به لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ . . . ﴾ الآية [ البقرة : ١٢٩ ] .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج بن فضالة ، حدثنا لقمان بن عامر ، سمعتُ أبا أمامة قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان بُدْؤُ<sup>(٢)</sup> أمرِك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نَوْرٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ » .

وقد روى محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ عنه مثله .

ومعنى هذا أنه أرادَ بُدْؤَ أمره بين الناس ، واشتهارَ ذِكْرِهِ وانتشارَه ، فذكر دعوة إبراهيم الذي تُنسب إليه العرب ، ثم بُشْرَى عيسى الذي هو خاتمُ أنبياء بني إسرائيل كما تقدّم . يدلُّ هذا على أَنَّ مَنْ بينهما من الأنبياء بشّروا به أيضاً .

فأمّا في الملائ الأعلَى ، فقد كان أمرُه مشهوراً مذكوراً معلوماً من قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ عليه الصلاة والسلام كما قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سُويد الكلبي عن عبد الله<sup>(٥)</sup> بن هلال السُّلمي ، عن العزْباض بن سارية قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنْ آدَمَ [ عليه السلام ] لَمَنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ ، دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبَشَارَةُ عِيسَى بِي ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ أُمَهَاتُ النَّبِيِّينَ<sup>(٦)</sup> يَرَيْنَ » .

وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح<sup>(٧)</sup> وقال : إِنَّ أُمَّه رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نَوْرًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ .

- 
- (١) في المسند (٥/٢٦٢) ، وهو حديث حسن .  
 (٢) كذا في ح وفي ط : بدء ، وفي المسند : أول بدء .  
 (٣) مضى ذكر هذا الحديث وتخرجه (ص ٥٦ حاشية ٤) من هذا الجزء .  
 (٤) في مسنده (٤/١٢٧) وما يأتي بين معقوفين منه . أقول : وهو حديث حسن ، دون قوله : ( وكذلك أمهات النبيين يرين ) .  
 (٥) قال بشار : هكذا سماه عبد الرحمن بن مهدي في روايته ، وهو خطأ صوابه : عبد الأعلى بن هلال ، نبه على ذلك عبد الله ابن الإمام أحمد في تعليق له على مسند أبيه عقب هذا الحديث (٤/١٢٨) .  
 وقد جاء هذا الاسم في ط « عبد الأعلى » على الصواب ، وهو وإن كان صواباً لكنه خطأ ، لأن عبد الرحمن بن مهدي سماه عبد الله .  
 (٦) في الأصل : المؤمنين ، والمثبت من المسند .  
 (٧) في المسند أيضاً (٤/١٢٧) وأخرجه ابن سعد (١/١٤٨) ، الطبري في تفسيره (٢٠٧٢) ، والطبراني في الكبير (١٨/٦٣٠) ، من طرق عن الليث بن سعد ، وهو حديث صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضاً<sup>(١)</sup> : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعد ، عن بُدَيْل بن مَيْسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله ؛ متى كنت<sup>(٢)</sup> نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » تفرد بهنَّ أحمد .

وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب « دلائل النبوة » من حديث أبي هريرة فقال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز - يعني أبا القاسم البَغَوِي - حدثنا أبو هَمَّام [ عن ]<sup>(٣)</sup> الوليد بن مسلم عن الأوزاعي ، حدثني يحيى ، عن<sup>(٤)</sup> أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به . وقال : « وآدم مُنْجَدِلٌ في طينته » .

ورُوي عن البغوي<sup>(٥)</sup> أيضاً عن أحمد بن المقدام ، عن بَقِيَّة ، عن<sup>(٦)</sup> سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن أبي هريرة - مرفوعاً - في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ [ الأحزاب : ٧ ] قال رسول الله ﷺ : « كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ » .

ومن حديث ابن مُزَاحِم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قيل : يا رسول الله ، متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد »<sup>(٧)</sup> .

وأما الكُفَّان من العرب ، فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع ، إذ كانت وهي

(١) في المسند (٥٩/٥) ، وإسناده صحيح .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : كتبت .

(٣) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق ، إذ إن كنية الوليد بن مسلم « أبو العباس » لا « أبو هَمَّام » وأبو هَمَّام هذا هو الوليد بن شجاع السكوني ، وهو الذي يروي عن الوليد بن مسلم ويروي عنه أبو القاسم البغوي ، كما هو ثابت في تهذيب التهذيب (١١/١٣٥) .

(٤) وقع في ح : يحيى بن أبي سلمة وهو تصحيف ، والمثبت من ط ويحيى هو ابن أبي كثير الطائي مولاهم ، وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني .

(٥) البغوي هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المتوفى ٣١٧ هـ ؛ وقد صححه السيوطي في الجامع الصغير ، وقال المناوي في فيض القدير (٥/٥٣) : أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/١٤٩) عن قتادة مرسلًا ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال والدليمي . قلت : وأخرجه الطبري في تفسيره (٢١/١٢٥) من طريق بشر عن يزيد به . وسيأتي مروياً عن أبي نعيم (ص ١٢٩ حاشية ١٠) من هذا الجزء ، وساقه المصنف أيضاً في تفسيره (٣/٤٦٩) .

(٦) في ح ، ط : بقية بن سعيد بن بشير وهو تصحيف ، وبقية هو ابن الوليد أبو محمد الحمصي الكلاعي ، وروايته عن سعيد بن بشير ، ورواية سعيد عن قتادة ثابتة في ترجمة سعيد في تهذيب التهذيب (٨/٩) .

(٧) سيأتي سياق الحديث في ص (١٢٩ حاشية ٦) مروياً عن أبي نعيم في دلائل النبوة ، ولم أجده فيه ، إلا أن محقق دلائل أبي نعيم ساقه في مقدمته ص ٢٥ وترجح لديه أن المطبوع من الدلائل هو المنتخب وليس الكتاب بتمامه .

لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزالان يقع منهما بعض ذكر أموره ، ولا يُلقِي العرب لذلك<sup>(١)</sup> فيه بالآ ، حتى بعثه الله تعالى . ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر زمان مبعثه حُجبت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها ، فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجن<sup>(٢)</sup> أن ذلك لأمر حدث من أمر الله عز وجل .

قال : وفي ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا ۚ ﴾ [الجن ١٠١] إلى آخر السورة . وقد ذكرنا تفسير ذلك كله في كتابنا التفسير ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۚ ﴾ [الأحقاف ٢٩-٣٠] الآيات ، ذكرنا تفسير ذلك كله هناك .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس<sup>(٤)</sup> أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رُمي بها ، هذا الحي من ثقيف ، وأنهم جاؤوا إلى رجلٍ منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بني عِلاج ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً<sup>(٥)</sup> ، فقالوا له : يا عمرو ، ألم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا ، فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ، ويُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ، لما يصلح الناس في معاشهم هي التي يُرمى بها ، فهو والله طيُّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخلق ؛ وإن كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمر أراد الله به هذا الخلق فما هو<sup>(٦)</sup> ؟ .

وقال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم ، يقال لها : الغَيْطلة ، كانت كاهنة في الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلة من الليالي فأنقض<sup>(٨)</sup> تحتها ، ثم قال : أذر ما أذر<sup>(٩)</sup> ، يوم عقر

(١) ليست اللفظة في ح وهي مثبتة من ط .

(٢) في ط : الشياطين .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص ٩٢) بالفاظ مقاربة وسيرة ابن هشام (٢٠٦/١) .

(٤) زاد ابن إسحاق في إسناده : [ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ] . ولم يزد ابن هشام هذه الزيادة في إسناده . قلت : لم أجد ليعقوب بن عتبة رواية عن عبيد الله في ترجمتهما في تهذيب المزي .

(٥) أثبتت اللفظة في هامش ح وسقطت من ط وفيها : وأمكرها .

(٦) في سيرة ابن إسحاق : فانظروا ما هو .

(٧) سيرة ابن إسحاق (ص ٩١) وسيرة ابن هشام (٢٠٨/١) .

(٨) أنقض ، من النقيض ، وهو الصوت . النهاية (نقض) .

(٩) ذكر السهيلي رواية أخرى وهي : « وما بذر » ثم قال : وهي أبين من هذه . ووقع في سيرة ابن إسحاق : « أذن من أذن » وأظنه تصحيفاً .

ونخر . فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فَأَنْقَضَ تحتها ثم قال : شعوب ما شعوب ، تُصرع فيه كعبٌ لِحَنُوبٍ<sup>(١)</sup> . فلما بلغ ذلك قريشاً قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لأمرٌ هو كائن فانظروا ما هو . فما عرفوه حتى كانت وقعةٌ بدر وأُحُد بالشَّعب ، فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبه .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني علي بن نافع الجُرَشِي أَنَّ جَنْباً - بَطْناً من اليمن - كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، قالت<sup>(٣)</sup> له جَنْبٌ : انظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا له في أسفل جَبَلِه ، فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوسٍ له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد<sup>(٤)</sup> في جبله راجعاً من حيث جاء .

ثم ذكر ابن إسحاق قصة سَوَاد بن قَارِب ، وقد أخرجناها إلى هواتف الجان<sup>(٥)</sup>

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجالٍ من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام - مع رحمة الله تعالى وهداه لنا - أَنْ كُنَّا نسمع من رجالٍ من يهود - وكُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ ، أصحابَ أوثانٍ ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا يزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبيٍّ يُبعث الآن نقتلكم معه قتلٌ عادٍ وإرم . فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فأما به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٨٩] .

وقال ورقاء عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي : كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبيَّ يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به - أي يستنصرون به - رواه البيهقي<sup>(٧)</sup> .

(١) قال السهيلي في الروض (٢٣٩/١) : كعب هاهنا هو كعب بن لؤي ، والذين صرعوا لجنوبهم بيدر وأُحُد من أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤي ، وشعوب هاهنا أحسبها : شعوب بفتح الشين ، وهم اسم للمنية ، فإن صح هذا فالوجه أن يقال : يصرع فيها .

(٢) سيرة ابن هشام (٢٠٩/١) والروض (٢٣٩/١ ، ٢٤٠) .

(٣) في ح : قال .

(٤) في سيرة ابن هشام : وأسند ، وهي أجود ، جاء في اللسان (سند) : وسند في الجبل وأسند : رقي .

(٥) سيأتي باب هواتف الجان في (ص ١٤٨) من هذا الجزء .

(٦) سيرة ابن إسحاق (ص ٦٣) وسيرة ابن هشام (٢١١/١) والروض (٢٤٥/١) .

(٧) الدلائل (٧٦ ، ٧٥/٢) .

ثم روى<sup>(١)</sup> من طريق عبد الملك بن هارون بن عترة<sup>(٢)</sup> ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كانت اليهود بخير تقاتل غطفان ، فكلّموا التقوا هُزمت يهود خيبر ، فعادت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : اللهم إنا نسألك بحقّ محمد النبي الأمي<sup>(٣)</sup> ، الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلّا نصرتنا عليهم . قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان ، فلمّا بُعث النبي ﷺ كفروا به ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية [ البقرة : ٨٩ ]<sup>(٤)</sup> .

وروى عطية عن ابن عباس نحوه<sup>(٥)</sup> . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضاً .

وقال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد<sup>(٧)</sup> ، عن سلمة بن سلامة بن وقش<sup>(٨)</sup> - وكان من أهل بدر - قال : كان لنا جاز من يهود في بني عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً ، على فروة لي ، مضطجع فيها بفناء أهلي - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك ، أصحاب أوثان ، لا يرون أنّ بعثاً كائن بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يا فلان ، أو ترى هذا كائناً أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحلف به ، ويؤدّ أنّ له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه ، فيطبّقونه عليه ، وأنّ ينجو من تلك النار غداً . قالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبّي مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن - قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً ، فقال : إنّ يستفيد هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله وهو حيّ بين أظهرنا ، فأما به ، وكفر به بغياً وحسداً ؛ قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ؟ ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به .

(١) في الدلائل أيضاً (٧٦/٢) .

(٢) في ح ، ط : عنبرة ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي والإكمال (٣٠٢/٦) .

(٣) لا يسأل الله إلا بالله ، ولا يسأل بحق أحد .

(٤) إسناده تالف ، فإن عبد الملك بن هارون بن عترة كذبه يحيى بن معين وابن حبان ، وقال أبو حاتم الرازي : متروك

ذاهب الحديث ، وضعفه أحمد والدارقطني وغيرهما (الميزان ٢/٦٦٦) (بشار) .

(٥) وهذا إسناده ضعيف أيضاً ، فإن عطية وهو ابن سعد العوفي ضعيف (بشار) .

(٦) سيرة ابن إسحاق (٦٣ ، ٦٤) وسيرة ابن هشام (٢١٢/١) والروض (٢٤٥/١) .

(٧) في سيرة ابن إسحاق : محمد بن لبيد ، وهو تصحيف ، وزاد ابن هشام : أخي بني عبد الأشهل .

(٨) في ح ، ط : سلمة بن سلام . وهو تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وتجريد الذهبي

(٢٣٢/١) والإصابة (٦٥/٢) والتاج (وقش) والضبط منه .

رواه أحمد<sup>(١)</sup> عن يعقوب ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> . ورواه البيهقي<sup>(٣)</sup> عن الحاكم بإسناده ، من طريق يونس بن بكير .

وروى أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(٤)</sup> عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة<sup>(٥)</sup> قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له : يوشع ، فسمعه يقول - وإني لغلام في إزار : قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت - ثم أشار بيده إلى بيت الله - فمن أدركه فليصدق . فبعث رسول الله ﷺ فأسلمنا ، وهو بين أظهرنا ، لم يسلم حسداً وبغياً .

وقد قدمنا حديث أبي سعيد عن أبيه في أخبار يوشع هذا عن خروج رسول الله ﷺ وصفته ونعته وإخبار الزبير بن باطا عن ظهور كوكب مولد رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة قال : قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسيد بن عبيد - نفر من بني هذيل ، إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا سادتهم في الإسلام ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلاً من اليهود من أرض الشام ، يقال له : ابن الهيثان ، قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط ، لا يصلي الخمس أفضل منه ؛ فأقام عندنا ، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيثان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مدين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرثنا<sup>(٨)</sup> فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى ؛ قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال :

- (١) في المسند (٣/٤٦٧) .
- (٢) في ط : « ابن عباس » ، وهو خطأ جد ظاهر ، وأثبتنا ما في المسند ، وهو الصواب (بشار) .
- (٣) في دلائل النبوة (٢/٧٨) .
- (٤) لم أجد الحديث فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وقوله « عن عاصم » لا يصح فأين أبو نعيم من عاصم بن عمر ابن قتادة ، إلا أن يريد : « من طريق » .
- (٥) في ط : « عن محمد بن سلمة » وهو غلط بين ، فلا يوجد مثل هذا الراوي الذي روى عنه محمود بن لبيد ، والصواب ما أثبتنا وهو سلمة بن سلامة بن وقش وانظر تهذيب الكمال (٢٧/٣١٠) (بشار) .
- (٦) انظر حديث أبي سعيد المتقدم ص (٤٣) من هذا الجزء في موضع الحواشي ٤ - ٦ في المتن وقد زادت نسخة ط هنا ما نصه : ورواه الحاكم عن البيهقي (كذا وكأنه يريد : البيهقي عن الحاكم) من طريق يونس بن بكير عنه . وهذه الزيادة ليست في ح ، ولعلها أثبتت خطأ بنقل النظر إلى موضع الحاشية (٦) من الصفحة السابقة ، لذا أسقطتها من المتن لعدم صحتها .
- (٧) سيرة ابن إسحاق (ص ٦٤ ، ٦٥) وسيرة ابن هشام (١/٢١٣) والروض (١/٢٤٦) .
- (٨) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض : حرثنا ، وحرث موضع من نواحي المدينة . معجم البلدان (٢/٢٣٨) .

ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : أنت أعلم . قال : فإني إنما قديمْتُ هذه البلدة أتوكف<sup>(١)</sup> خروجَ نبيٍّ قد أظَلَّ زمانه ، هذه البلدة مُهاجرُهُ ، فكنتُ أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقد أظَلَّكم زمانه ، فلا تُسَبِّقُنَّ إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبِّي الذَّراري ممَّن<sup>(٢)</sup> خالفه ، فلا يَمْنَعَنَّكم ذلك منه ، فلما بُعث رسولُ الله ﷺ وحاصر بني قُرَيْظَةَ قال هؤلاء الفتية - وكانوا شباباً أحداثاً - : يا بني قُرَيْظَةَ ، والله إنه للنبيِّ الذي عهد إليكم فيه ابنُ الهَيَّان . قالوا : ليس به ؛ قالوا : بلى والله إنه لهو بصفته . فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار<sup>(٣)</sup> يهود .

قلت : وقد قَدَّمنا في قدوم تَبَّع اليماني<sup>(٤)</sup> ، وهو أبو كَرِب تَبَّان أسعد إلى المدينة ، ومُحاصرتِه إيَّاهَا ، وأنه خرج إليه ذاك الحَبْران من اليهود فقالا له : إنه لا سبيل لك عليها ، إنها مهاجرُ نبيٍّ يكونُ في آخر الزمان ؛ فثَنَاهُ ذلك عنها .

وقد روى أبو نعيم في الدلائل<sup>(٥)</sup> ، من طريق الوليد بن مسلم ، حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جدِّه . قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله [ عزَّ وجلَّ ] لما أراد هُدى زيد بن سَعْنَةَ<sup>(٦)</sup> قال زيد : لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أخْبِرْهما منه : يسبقُ حِلْمُهُ جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلْماً . قال : فكنتُ أتَلَطَّفُ له لأنْ أخالطه فأعرفَ حِلْمه وجهله .

فذكر قصة إسلافِهِ للنبيِّ ﷺ مَالاً في ثَمرة ، قال : فلما حَلَّ الأجل<sup>(٧)</sup> أتَيْتُهُ فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه - وهو في جنازة مع أصحابه - ونظرتُ إليه بوجه غليظ ، وقلت : يا محمد ، ألا تقضيني حقي ؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب [ إلَّا ] لِمُطْل<sup>(٨)</sup> ، قال : فنظر إليَّ عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك

(١) « يتوكف الخبر » : ينتظره ، ويسأل عنه ويتوقعه . اللسان ( وكف ) .

(٢) في ح ، ط : فيمن ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .

(٣) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : أخبار بالخاء المعجمة .

(٤) انظر الجزء الثاني من الكتاب في قصة تبع أبي كرب .

(٥) الدلائل لأبي نعيم (٩١/١) وما يأتي بين معقوفين منه والخبر في الدلائل مطوَّل .

(٦) في ط : سَعْنَةَ . وهو على الصواب في ح والدلائل والروض ؛ والضبط من الإكمال (٦٦/٥) . قال السهيلي في الروض :

(١/٢٤٩) : ويقال في اسمه سَعْنَةُ بالياء ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون . المؤتلف والمختلف (٣/١٣٨٧) .

(٧) في دلائل أبي نعيم : فلما كان قبل محلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة .

(٨) مُطْل : بضم الميم والطاء : جمع مَطُول قياساً ، وهو من المَطْل : التسويف والمدافعة بالعدة والدين . اللسان

( مَطْل ) .



المستدير ، ثم قال : يا عدو الله ، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ؟! وتفعل ما أرى ؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومته<sup>(١)</sup> لضربت بسيفي رأسك . ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكونٍ وتؤدةٍ وتبسُّم ، ثم قال : « أنا وهو كُنَّا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمر : أن تأمرني بحُسن الأداء ، وتأمره بحُسن التَّبَاعَةِ ، اذهبْ به يا عمر فاقضِهِ حقه . وزد عشرين صاعاً من تمر<sup>(٢)</sup> » . فأسلم زيد بن سَعْنَةَ رضي الله عنه ، وشهد بقيةَ المشاهد مع رسول الله ﷺ وتوفي عام تبوك ، رحمه الله .

ثم ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه وأرضاه فقال<sup>(٣)</sup> : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس قال : حدَّثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنتُ رجلاً فارسياً من أهل أصفهان ، من أهل قرية يُقال لها : جَي<sup>(٤)</sup> ، وكان أبي دِهَقَان<sup>(٥)</sup> قريته ، وكنتُ أحبُّ خلقِ الله إليه ، فلم يزل به حُبُّه إيَّاي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية ؛ واجتهدتُ في المجوسية ، حتى كنتُ قَطِن<sup>(٦)</sup> النار التي يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة<sup>(٧)</sup> قال : وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمة ، قال : فشغل في بُنيان له يوماً ، فقال لي : يا بني ، إني قد شُغلت في بُنياني هذا اليومَ عن ضيعتي ، فاذهبْ إليها فاطَّلِعْها ، وأمرني فيها ببعض ما يُريد ، ثم قال لي ولا تحبس عني ، فإنك إن احتبست عني كنتُ أهمُّ إليَّ من ضيعتي ، وشغلَّتني عن كلِّ شيءٍ من أمري . قال : فخرجتُ أريد ضيعةَ التي بعثني إليها ، فمررتُ بكنيسةٍ من كنائس النصارى ، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون ، وكنتُ لا أدري ما أمرُ الناس لحبس أبي إياي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبَّتني صلاتهم ورغبتُ في أمرهم وقلت : هذا والله خيرٌ من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برَّختهم حتى غرَبَت الشمس ، وتركتُ ضيعةَ أبي فلم آتِها ، ثم قلت لهم : أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعتُ إلى أبي وقد بعث في طلبي ، وشغلَّتُه عن أمره كله ، فلما جئتُ قال : أيُّ بُني ، أين كنت ؟ ألم أكنُ أعهدُ إليك ما عهدت ؟ قال : قلت : يا أبة ، مررتُ بأناسٍ يصلُّون في كنيسةٍ لهم ، فأعجبني ما رأيْتُ من دينهم ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غرَبَت الشمس . قال : أيُّ بُني ، ليس في ذلك الدين خير ، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه .

(١) في دلائل أبي نعيم : فوته .

(٢) في دلائل أبي نعيم : وزده عشرين صاعاً مكان مارعته .

(٣) سيرة ابن إسحاق (ص ٦٠ - ٧٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢١٤) والروض (٢٤٧) .

(٤) « جَي » : بالفتح ثم التشديد : اسم مدينة ناحية أصفهان القديمة ، وهي الآن كالخراب منفردة ، وتسمى الآن عند العجم شهرستان ، وعند المحدثين المدينة . معجم البلدان (٢/ ٢٠٢) .

(٥) « الدِّهْقَان » : بكسر الدال وضمها : القوي مع التصرف مع حدة ، وزعيم فلاحِي العجم ، ورئيس الإقليم ، ومن له عقار كثير ، فارسي معرَّب . القاموس والمغرب (دهقن) .

(٦) قال شمر : قَطِن النار : خازنها وخادمها ، ويجوز أنه كان مقيماً عليها ، رواه بكسر الطاء . اللسان (قطن) .

(٧) زاد ابن إسحاق في سيرته هنا : فكنت كذاك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه .

قال : قلت : كلا والله ، إنه لخيرٌ من ديننا . قال : فخافني ، فجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركبٌ من الشام ، فجاءوني النصارى<sup>(١)</sup> فأخبروني بهم ، فقلت : إذا قَضَوْا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ؛ فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : مَنْ أفضلُ أهلِ هذا الدِّينِ علماً ؟ قالوا : الأسقفُ في الكنيسة . قال : فجئته فقلتُ له : إني قد رغبتُ في هذا الدِّينِ ، وأحببتُ أن أكونَ معك وأخدمَكَ في كنيسِكَ ، وأتعلَّم منك ، فأصليَ معك . قال : ادخلْ . فدخلتُ معه ، فكان رجلٌ سوء ، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ، ولم يُعْطِ المساكين ، حتى جمع سبع قِلال من ذهب وورق . قال : وأبغضته بُغْضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات ، واجتمعت له النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنَّ هذا كان رجلاً سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها كنزها لنفسه ، ولم يُعْطِ المساكين منها شيئاً . قال : فقالوا لي : وما علِمَكَ بذلك . قال : فقلتُ لهم : أنا أدلُّكم على كنزه . قالوا : فدلُّنا . قال : فأريتهم موضِعَه ، فاستخرجوا سبع قِلال مملوءة ذهباً وورقاً ، فلما رأوها قالوا : لا ندفعه أبداً . قال : فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاؤوا برجلٍ آخر فجعلوه موضعه .

قال سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلي الخمس ، أرى أنه أفضل منه ، أزهدي في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً . قال : فأحببته حبّاً لم أُحِبَّ شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة فقلتُ له : إني قد كنتُ معك وأحببتُك حبّاً لم أُحِبَّ شيئاً قبلك ، وقد حضرَك ما ترى من أمرِ الله تعالى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبِمَ تأمرني به ؟ قال : أيُّ بُني ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه . لقد هلك الناس وبدلوا ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالحقُّ به .

قال : فلما مات وغيَّب لحقْتُ بصاحبِ المَوْصل<sup>(٢)</sup> ، فقلت : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصاني عند موته أنَّ الحقَّ بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقيمْ عندي . فأقمتُ عنده فوجدته خيرَ رجلٍ على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ؛ فلما حضرته الوفاة قلتُ له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرني بالحقِّ بك ، وقد حضرَك من أمر الله ما ترى ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبِمَ<sup>(٣)</sup> تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنَّا عليه إلا رجلاً بنصيبين<sup>(٤)</sup> وهو فلان ، فالحقُّ به ؟

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : تجار من النصارى ، وهو أشبه بالصواب ، وفي سيرة ابن إسحاق : فقدم عليهم ناس من تجارهم ، فبعثوا إلي أنه قدم علينا تجار من تجارنا .

(٢) زاد ابن إسحاق في السيرة هنا : فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا .

(٣) كذا في ح وفي ط والسيرة : « وبِم » وإثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ . وانظر (ص ٨٢ حاشية ١) من هذا الجزء .

(٤) نصيبين ، بفتح فكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح : مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى =

فلما مات وُعِيْبَ لحقْتُ بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي<sup>(١)</sup> . فقال : أقم عندي ، فأقمتُ عنده ، فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمتُ مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان ، إنَّ فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان<sup>(٢)</sup> إليك ، فإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني ، والله ما أعلمه بقي أحدٌ على أمرنا أمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية<sup>(٣)</sup> من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأتته فإنه على أمرنا .

فلما مات وُعِيْبَ لحقْتُ بصاحب عمورية فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي . فأقمتُ عند خير رجل ، على هذي أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبتُ حتى كانت لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمرُ الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان ، إني كنتُ مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان<sup>(٤)</sup> إليك ، فإلى من تُوصي بي أنت ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أيُّ بُني ، والله ما أعلمه أصبح أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ مبعوثٍ بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرّتين ، بينهما نخل ، به علاماتٌ لا تخفى ، يأكلُ الهدية ، ولا يأكلُ الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ؛ فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وُعِيْبَ ، ومكثتُ بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مرَّ بي نفرٌ من كلب ، تجارٌ ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجلٍ يهودي عبداً ، فكنتُ عنده ، ورأيتُ النخلَ فرجوتُ أن يكون البلدُ الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحقَّ في نفسي ؛ فبينما أنا عنده إذ قَدِمَ عليه ابنُ عمِّ له ، من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتُها بصفة صاحبي لها ، فأقمتُ بها ، وبُعِثَ رسولُ الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، ممّا أنا فيه من شغل الرِّقِّ ؛ ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأسٍ عَذَقٍ لسيدي أعمل فيه بعضَ العمل . وسيدي جالسٌ تحتي ، إذ أقبل ابنُ عمِّ له حتى وقف عليه فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قيلة ، والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء<sup>(٥)</sup> على رجلٍ قدم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبيٌّ . قال سلمان : فلما

= الشام ، بينها وبين الموصل ستة أيام . معجم البلدان (٥/ ٢٨٨) . وموقعها على الحدود الشمالية الشرقية من سورية .

(١) كذا في ح ، وفي ط : صاحبي ، وكذا في الروض ، وفي سيرة ابن هشام : صاحبه .

(٢) كذا في ح وسيرة ابن هشام والروض ، وزاد في ط : إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك .

(٣) عمورية ، مشددة الميم والياء . قال الصاغاني : كذا ذكروا ، والقياس تخفيف الياء . هي في بلاد الروم . وهي التي غزاها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ . وعمورية أيضاً بليدة على شاطئ العاصي بين أرامية وشيزر . معجم البلدان (٤/ ١٥٨) والتاج ( عمر ) .

(٤) كذا في ح وسيرة ابن هشام والروض ، وزاد في ط : إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك

(٥) « قباء » : يمد ويقصر : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، وبها مسجد التقوى . معجم البلدان (٤/ ٣٠١ ، ٣٠٢) .

سمعتها أخذتني العرواء<sup>(١)</sup> حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيدي فلكني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟! أقبل على عملك . قال : فقلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستبينه<sup>(٢)</sup> عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتم أحق به من غيركم . قال : فقرَّبته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « كُلُوا » وأمسك يده فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة ؛ ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ؛ ثم جئته [ به ]<sup>(٣)</sup> فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله ﷺ منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثنتان . قال : ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه<sup>(٤)</sup> وعليَّ شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه . ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأي رسول الله ﷺ استدبرته عَرَفَ أني أستثبت في شيء وُصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله ﷺ : « تحول » فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس . فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذاك أصحابه . ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأُحد .

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ : « كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ » فكاتبته صاحبي على ثلاثمئة نخلة أُخِيها له بالفقير<sup>(٥)</sup> ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أَعِينُوا أَخَاكُمْ » . فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين وديّة<sup>(٦)</sup> ، والرجل بعشرين وديّة ، والرجل بخمس عشرة وديّة ، والرجل بعشرة<sup>(٧)</sup> . يُعِين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمئة وديّة ؛ فقال لي رسول الله ﷺ : « اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِرُ »

- 
- (١) في هامش ح : هي الرُّعدة بنافض ، وقال ابن هشام في السيرة : والعرواء : الرُّعدة من البرد والانفاس ، فإن مع ذلك عَرَقَ فهي الرُّخضاء ، وكلاهما ممدود .
- (٢) كذا في ح ، وفي ط وسيرة ابن هشام والروض : أستثبت .
- (٣) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام .
- (٤) هو كلثوم بن الهمد كما في الروض (١/ ٢٥٢) .
- (٥) « الفقير » : حُفِير يحفر حول الفسيلة إذا غُرست اللسان ( فقر ) : وفيه : وفي الحديث : قال لسلمان : اذهب فقِرْ الفسيل ، أي احفر لها موضعاً تُغرس فيه .
- (٦) « الْوَدِيَّة » : واحدة الْوَدِيّ : وهو فسيل النخل وصغاره . اللسان ( ودي ) .
- (٧) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن هشام والروض : بعشر . قلت : تأنيث العدد جائز إذا كان المعدود ملحوظاً ، حاشية الخصري (٢/ ١٦٢) والنحو الوافي (٤/ ٥٤٥) .

لها ، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي » . قال : فقَرَرْتُ ، وأعاني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها . فجعلنا نَقْرُبُ إليه الودِيَّ ويضعه رسول الله ﷺ بيده ، حتى إذا فرغنا - فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت ودية واحدة - فأدَّيت النخل وبقي عليَّ المال . فأُتِيَ النبي ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسيُّ المكاتب » ؟ قال : فدُعيت له ، قال : « خذْ هذه فأدِّها ممَّا عليك يا سلمان » قال : قلت : وأين تقع هذه ممَّا عليَّ يا رسول ؟ قال : « خُذْها فإنَّ الله سيؤدِّي بها عنك » قال : فأخذتها فوزنتُ لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقيةً ، فأوفيتهم حقَّهم [ منها ]<sup>(١)</sup> وعَتَّقَ سلمان . فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق حُرًّا ، ثم لم يفتني معه مشهد .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحَدَّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجلٍ من عبد القيس ، عن سلمان أنه<sup>(٣)</sup> قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي عليَّ يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ﷺ : فقلَّبها على لسانه ، ثم قال : « خُذْها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقَّهم كلَّه ، أربعين أوقية .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حَدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، حَدَّثني مَنْ لا أتهم ، عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال : حَدَّثت عن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره خبره : أن صاحب عمورية قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإنَّ بها رجلاً بين غِيْضَتَيْنِ يخرج كلَّ سنةٍ من هذه الغيضة مستجيزاً يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفي فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يُخبرك عنه . قال سلمان : فخرجتُ حتى جئتُ حيثُ وصف لي ، فوجدتُ الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك ، حتى خرج<sup>(٥)</sup> لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمرضى إلا شفي ، وغلبوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا مَنْكَبَهُ ؛ قال : فتناولته فقال : من هذا ؟ والتفت إليَّ قال : قلت : يرحمك الله ، أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم . قال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمانُ نبيٍّ يُبعثُ بهذا الدين من أهل الحرم ، فأتته فهو يَحْمِلُكَ عليه .

ثم دخل فقال رسول الله ﷺ لسلمان : « لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » .

هكذا وقع في هذه الرواية ، وفيها رجلٌ مُبْهَمٌ ، وهو شيخ عاصم بن عمر بن قتادة ؛ وقد قيل إنه الحسن بن عمار ، ثم هو منقطع ، بل مُعْضَلٌ بين عمر بن عبد العزيز وسلمان رضي الله عنه .

(١) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام والروض .

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص ٧١) وسيرة ابن هشام (٢٢١/١) والروض (٢٥٢/١) .

(٣) سقط من ح قوله : عن سلمان أنه ، وهو في ط وسيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص ٧٠ ، ٧١) وسيرة ابن هشام (٢٢١/١ ، ٢٢٢) والروض (٢٥٢/١ ، ٢٥٣) .

(٥) في ح ، ط : يخرج ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق وابن هشام والروض .

قوله : « لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم » غريب جداً بل مُنكر ؛ فإنَّ الفترة أقلُّ ما قيل فيها أنها أربعمئة سنة ، وقيل ستمئة سنة بالشمسيَّة ، وسلمان أكثر ما قيل : إنه عاش ثلاثمئة سنة وخمسين سنة .

وحكى العباس بن يزيد البخراني إجماع مشايخه على أنه عاش مئتين وخمسين سنة . واختلفوا فيما زاد إلى ثلاثمئة وخمسين سنة . والله أعلم . والظاهر أنه قال : « لقد لقيت وصيَّ عيسى ابن مريم » فهذا ممكن بالصواب<sup>(١)</sup> .

وقال الشَّهيلي<sup>(٢)</sup> : الرجل المُبهم هو الحسن بن عُمارة ، وهو ضعيفٌ [ بإجماع منهم ] فإنَّ صحَّ لم يكن فيه نكارة . لأنَّ ابن جرير ذكر أنَّ المسيح نزل من السماء بعد ما رفع ، فوجد أمه وامرأةً أخرى يبكيان عند جذع المصلوب ، فأخبرهما أنه لم يقتل ، وبعث الحواريين بعد ذلك . قال : وإذا جاز نزوله مرَّة جاز نزوله مراراً ، ثم يكون نزوله الظاهر حين يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويتزوَّج حينئذٍ امرأةً من بني جُدَّام ، وإذا مات دُفن في حُجرة روضة رسول الله ﷺ .

وقد روى البيهقي في كتاب « دلائل النبوة »<sup>(٣)</sup> قصة سلمان هذه ، من طريق يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق كما تقدَّم ، ورواها أيضاً<sup>(٤)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن يحيى بن أبي طالب : حدَّثنا عليُّ بن عاصم ، حدَّثنا حاتم بن أبي صَغير<sup>(٥)</sup> ، عن سِمَاك بن حَرْب ، عن زيد<sup>(٦)</sup> بن صُوحان أنه سمع سلمان يحدث كيف كان أول إسلامه ؛ فذكر قصةً طويلة ، وذكر أنه كان من رامَهْرْمُز<sup>(٧)</sup> ، وكان له أخٌ أكبر منه غني ، وكان سلمان فقيراً في كنف أخيه ، وأنَّ ابن دِهْقَانِها<sup>(٨)</sup> كان صاحباً له ، وكان يختلف معه إلى معلِّم لهم ، وأنه كان يختلف ذلك الغلام إلى عُباد من النصارى في كهفٍ لهم ، فسأله سلمان أن يذهب به معه إليهم ، فقال له : إنك غلام ، وأخشى أن تُنمَّ عليهم فيقتلهم أبي . فالتزم له أن لا يكون منه شيءٌ

(١) قلت : وهي رواية الذهبي في السير (٥١٢/١) عن ابن إسحاق به .

(٢) الروض الأنف (٢٥٢/١ ، ٢٥٣) بالفاظ مقاربة ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) دلائل النبوة (٩٢/٢) .

(٤) في الدلائل أيضاً (٨٢/٢) .

(٥) في ح ، ط : صفة ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتقريب التهذيب (١٣٧/١) وتهذيب التهذيب (١٣٠/٢) .

(٦) في ح ، ط : يزيد . والمثبت من دلائل البيهقي وسير أعلام النبلاء (٥٢٥/٣) في ترجمته . قلت : أظن أن في السند انقطاعاً ، فوفاة سماك سنة ١٢٣هـ وفوفاة زيد سنة ٣٦هـ ، وأخبار سلمان يرويها سماك عن أبي قدامة النعمان بن حميد عن زيد بن صوحان ، أو سماك عن رجل عن زيد ، انظر سير أعلام النبلاء (٥٢٧/٣) . وسماك ممن يضطرب في حديثه فيزيد في الإسناد أو ينقص ، انظر في ذلك شرح علل الترمذي (١٤١/١) .

(٧) « رامَهْرْمُز » : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . معجم البلدان (١٧/٣) والتاج (هرمز) .

(٨) مضى شرح معنى دهقان (ص ١١٥ الحاشية ٥) .

يكرهه ، فذهب به معه . فإذا هم ستة أو سبعة ، كأنَّ الرُّوحَ قد خرجت منهم من العبادة ، يصومونَ النهار ويقومونَ الليل ، يأكلونَ الشجر وما وجدوا ، فذكر عنهم أنهم يؤمنونَ بالرُّسل المتقدمين ، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وابنُ أمته ، أيَّدهُ بالمعجزات . وقالوا له : يا غلام ، إنَّ لك ربّاً وإنَّ لك معاداً ، وإنَّ بين يديك جنةً وناراً ، وإنَّ هؤلاء القومَ الذين يعبدون النيرانَ أهلُ كفرٍ وضلالة ، لا يرضى الله بما يصنعون ، وليسوا على دين .

ثم جعل يتردّد مع ذلك الغلام إليهم ، ثم لزمهم سلمان بالكلية ؛ ثم أجلاهم ملكُ تلك البلاد ، وهو أبو ذلك الغلام الذي صاحبه سلمان إليهم عن أرضه ، واحتبسَ الملكُ ابنه عنده ، وعرض سلمان دينهم على أخيه الذي هو أكبر منه ، فقال : إني مشغول بنفسي في طلب المعيشة ، فارتحل معهم سلمان حتى دخلوا كنيسةَ المَوْصل ، فسَلَّم عليهم أهلها ثم أرادوا أن يتركوني عندهم ، فأبيتُ إلا صُحبتهم ؛ فخرجوا حتى أتوا وادياً بين جبال ، فتحدّر إليهم رهبانُ تلك الناحية يسلمون عليهم ، واجتمعوا إليهم وجعلوا يسألونهم عن غيبتهم عنهم ، ويسألونهم عني فيُثِنون عليَّ خيراً . وجاء رجلٌ معظّم فيهم ، فخطبهم ، فأننى على الله بما هو أهله ، وذكرَ الرُّسل وما أُيدوا به ، وذكر عيسى ابن مريم ، وأنه كان عبدَ الله ورسولَه ، وأمرهم بالخير ونهاهم عن الشر ، ثم لما أرادوا الانصراف تبعه سلمان ولزمه . قال : فكان يصومُ النهار ويقوم الليل ، من الأحد إلى الأحد ، فيخرج إليهم ويعظّمهم ويأمرهم وينهاهم ، فمكث على ذلك مُدَّةً طويلةً ، ثم أراد أن يزور بيت المقدس ، فصاحبه سلمان إليه . قال : فكان فيما يمشي يلتفتُ إليَّ ويُقبل عليَّ ، فيعظّني ويخبرني أنَّ لي رباً ، وأنَّ بين يديَّ جنةً وناراً وحساباً ، ويعلمني ويدكرني نحو ما كان يُذكرُ القومَ يومَ الأحد . قال : فيما يقول لي ؟ يا سلمان ، إنَّ الله سوفَ يبعثُ رسولاً اسمه أحمد ، يخرج من تهامة<sup>(١)</sup> ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم ، وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب ، فأما أنا فإنني شيخٌ كبير ، ولا أحسبني أدركه ، فإن أدركته أنتَ فصدقه واتَّبعه . قلت له : وإنَّ أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال : وإنَّ أمرك ، فإنَّ الحقَّ فيما يجيءُ به ، ورضى الرحمن فيما قال .

ثم ذكر قدومهما إلى بيت المقدس ، وأنَّ صاحبه صلّى فيه هاهنا وهاهنا ، ثم نام ، وقد أوصاه أنه إذا بلغ الظلُّ مكانَ كذا أن يوقظه ، فتركه سلمان حيناً آخر أزيد مما قال ليستريح ، فلما استيقظ ذكرَ الله ولامَ سلمانَ على ترك ما أمره به من ذلك . ثم خرجا من بيت المقدس ، فسأله مُقَعَّدُ فقال : يا عبد الله ، سألتكَ حين وصلت فلم تعطني شيئاً ، وها أنا أسألك . فنظر فلم يجد أحداً ، فأخذ بيده وقال : قُمْ بِسْمِ الله ، فقَامَ وليس به بأسٌ ولا قَلْبَةٌ<sup>(٢)</sup> ، كأنما نشِط من عقال<sup>(٣)</sup> ؛ فقال لي يا عبد الله ، احمِلْ عليَّ متاعي حتى

(١) ويروى : ويخرج بتهامة وكلا الروايتين مثبت في ح .

(٢) يقال : ما به قَلْبَةٌ : أي ألمٌ وعِلَّةٌ يخشى عليه منها . التاج ( قلب ) .

(٣) جاء في اللسان ( نشط ) : ويقال للأخذ بسرعة في أي عمل كان ، وللمريض إذا برأ . . . كأنما نُشِط من عقال ، نشط أي حُل ؛ قال ابن الأثير : وكثيراً ما يجيء في الرواية : كأنما نشط من عقال ، وليس بصحيح . النهاية ( ٥ / ٥٧ ) .

أذهب إلى أهلي فأبشّرهم ، فاشتغلتُ به ، ثم أدركتُ الرجل فلم ألحقه ولم أدر أين ذهب ، وكلّما سألتُ عنه قوماً قالوا : أمامك ، حتى لقيني ركبٌ من العرب من بني كلب ، فسألتهم ، فلما سمعوا لغتي أناخ رجلٌ منهم بعيره ، فحملني خلفه ، حتى أتوا بي بلادهم . فباعوني ، فاشتريتني امرأةً من الأنصار ، فجعلتني في حائطٍ لها ، وقدم رسولُ الله ﷺ .

ثم ذكر ذهابه إليه بالصدقة والهدية ليستعلم ما قال صاحبه ، ثم تطلّب النظر إلى خاتم النبوة ، فلما رآه آمن من ساعته . وأخبر رسولُ الله خبره الذي جرى له . قال : فأمر رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصديق ، فاشتراه من سيده فاعتقه . قال : ثم سألتُه يوماً عن دين النصارى ، فقال : « لا خير فيهم » . قال : فوقع في نفسي من أولئك الذين صحبتهم ، ومن ذلك الرجل الصالح الذي كان معي بيت المقدس ، فدخلني من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى أنزل الله على رسول الله ﷺ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [١] وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . فدعاني رسولُ الله ﷺ فجئتُ وأنا خائف ، فجلستُ بين يديه ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآيات . ثم قال : « يا سلمان ، أولئك الذين كنتَ معهم وصاحبك لم يكونوا نصارى ، كانوا مسلمين » فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لهو أمرني باتباعك ، فقلت له : فإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه ؟ قال : نعم فاتركه ، فإن الحقَّ وما يرضي الله فيما يأمرك .

وفي هذا السياق غرابةٌ كثيرة ، وفيه بعضُ المخالفة لسياق محمد بن إسحاق ، وطريق محمد بن إسحاق أقوى إسناداً وأحسن اقتصاصاً ، وأقرب إلى ما رواه البخاري في صحيحه <sup>(٢)</sup> ، من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي عن أبيه ، عن أبي عثمان التّهدي ، عن سلمان الفارسي ، أنه تداوله بضعة عشر ، من ربٍّ إلى ربٍّ . أي : من معلّم إلى معلّم <sup>(٣)</sup> ، ومُربٍّ إلى مثله ، والله أعلم . قال السهيلي <sup>(٤)</sup> : تداوله ثلاثون سيّداً ، من سيّد إلى سيّد . فالله أعلم .

وكذلك استقصى قصة إسلامه الحافظُ أبو نعيم في « الدلائل » <sup>(٥)</sup> ، وأورد لها أسانيداً وألفاظاً كثيرة ، وفي بعضها أن اسمَ سيّدته التي كاتبته خليصة <sup>(٦)</sup> . فالله أعلم .

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح والآية في سورة المائدة الآية (٨٢) .

(٢) فتح الباري (٣٩٤٦) كتاب مناقب الأنصار باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٢٧٧/٧) : أي من سيّد إلى سيّد ، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق رب على السيّد .

(٤) في الروض (٢٥١/١) .

(٥) (٢٥٨/١) وما بعدها .

(٦) في ح : خليصة بحاء مهملة وضمة فوقها ، وفي ط : خليصة ، وكلاهما تصحيف نبه عليه ابن حجر في الإصابة (٢٧٩/٤) في القسم الرابع من حرف الحاء ، ثم ساق ترجمتها في حرف الخاء المعجمة (٢٨٦/٤) وقصة بيع =



## ذكر أخبار غريبة في ذلك

قال أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(١)</sup> : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي ، حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي السَّوَيَّة المِنَقَرِي ، حدثنا عَبَّاد بن كسيب ، عن أبيه ، عن أبي عَتَوَارَةَ الخُزَاعِي عن سَعْر<sup>(٢)</sup> بن سَوَادَة العامري قال : كُنْتُ عَسِيفاً لِعَقِيلَةٍ من عَقَائِلِ الْحَيِّ ، أَرْكَبُ لَهَا الصَّغْبَ والدَّلُولَ<sup>(٣)</sup> ، لَا أَبْقِي<sup>(٤)</sup> من البلاد مَطْرَحاً<sup>(٥)</sup> أَرْجُو رِيحاً فِي مَتَجَرٍ إِلَّا أَتَيْتُهُ ، فَانصَرَفْتُ من الشام بِحَرثٍ وَأَثَاثٍ ، أُرِيدُ بِهِ كُبَّةً<sup>(٦)</sup> المَوْسَمِ ودهماء العرب ، فدخلتُ مكة بِلَيْلٍ مُسَدِّفٍ ، فَأَقَمْتُ حَتَّى تَعَرَّى عَنِي قَمِيصُ اللَّيْلِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا قِبَابٌ مُسَامِتَةٌ شَعَفَ الْجِبَالُ ، مَضْرُوبَةٌ بِأَنْطَاعِ الطَّائِفِ<sup>(٧)</sup> ، وَإِذَا جُرُزٌ تُنَحَّرُ ، وَأُخْرَى تُسَاقُ ، وَإِذَا أَكَلَةٌ وَحَثَّةٌ عَلَى الطَّهَاءِ يَقُولُونَ : أَلَا عَجَلُوا أَلَا عَجَلُوا . وَإِذَا رَجُلٌ يَجْهَظُ عَلَى نَشْرِ مِنَ الْأَرْضِ ، يَنَادِي : يَا وَفَدَ اللَّهُ مَيَّلُوا إِلَى الْغَدَاءِ . وَأُنَيْسَانُ عَلَى مَدْرَجَةٍ يَقُولُ : يَا وَفَدَ اللَّهُ ، مِنْ طَعِمَ فَلْيَرْخُ إِلَى الْعِشَاءِ ، فَجَهَرَنِي مَا رَأَيْتُ<sup>(٨)</sup> ، فَأَقْبَلْتُ أُرِيدُ عَمِيدَ الْقَوْمِ ، فَعَرَفَ رَجُلٌ الَّذِي بِي ، فَقَالَ : أَمَامَكَ . وَإِذَا شَيْخٌ كَانَ فِي خَدَّيْهِ الْأَسَارِيعُ<sup>(٩)</sup> ، وَكَأَنَّ الشَّعْرَى تَوْقَدُ مِنْ جَبِينِهِ ، قَدْ لَاثَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ ، قَدْ أَبْرَزَ مِنْ مَلَائِهَا جُمَّةً فَيَّانَةً ، كَأَنَّهَا (سَاسَمٌ)<sup>(١٠)</sup> - قَالَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : تَحْتَهُ كَرْسِيٌّ سَاسَمٌ - وَمِنْ دُونِهَا نُمْرُقَةٌ ، بِيَدِهِ قَضِيبٌ يَتَخَصَّرُ<sup>(١١)</sup> بِهِ ، حَوْلَهُ مَشَائِخُ جَلَسَةٌ جِلَّةٌ ، نَوَاسِئُ الْأَذْقَانِ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَفِيضُ بِكَلِمَةٍ . وَقَدْ كَانَ نُمِي إِلَيَّ خَبْرٌ مِنْ أَخْبَارِ الشَّامِ ، أَنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ هَذَا أَوَانُ نُجُومِهِ ،

= سلمان أيضاً في سير أعلام النبلاء (١/٥١٩) وما بعدها .

(١) لم أجد في دلائل أبي نعيم طبعة حيدر آباد الدكن الهند ، ولا التي بتحقيق قلعه جي وعبد البر عباس ، وذكره ابن حجر في الإصابة مختصراً في ترجمة « سحر » .

(٢) في ح : سعيد ، وفي ط : سعي ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإصابة في ترجمة سحر بن سودة .

(٣) يقال : ركبوا كل صغْبٍ وذلولٍ في أمرهم : إذا بذلوا فيه الطاقة . والعسيف : الأجير . الأساس ( ذلل ) .

(٤) في ح : التقي ، أي : ألتاق ، من التاق بالمكان ، إذا لزمه وثبت فيه . والمثبت من ط .

(٥) في ط : مسرحاً ، والمثبت من ح ، والمطرَح : المكان البعيد . المعجم الوسيط ( طرح ) .

(٦) « الكُبَّة » : الجماعة من الناس ، وفي حديث ابن مسعود : أنه رأى جماعة ذهبت فرجعت ، فقال : إياكم وكُبَّةُ السُّوقِ فَإِنَّهَا كُبَّةُ الشَّيْطَانِ ، أي جماعة السوق ، واللفظة في ح : كبد الموسم ، أي وسطه ، وكبد كل شيء : وسطه ومعظمه . اللسان ( كبد ، كبد ) .

(٧) « أنطاع » : جمع نطع ، وهو البساط من الجلد . المعجم الوسيط ( نطع ) .

(٨) « جهرنني الشيء » : راغني . اللسان ( جهر ) .

(٩) « الأساريع » : دود بيض الأجساد حمر الرؤوس . يكون في الرمل ، تشبه بها أصابع النساء ، ويقال : ثغر ذو أساريع : خطوط وطرائق ، وفي صفته ﷺ : كأن عنقه أساريع الذهب ، أي طرائقه . التاج ( سرع ) .

(١٠) في ط : سماسم ، والمثبت من ح ، والسَّاسَم : شجر أسود ، وقيل هو الأسود ، يتخذ منه السهام . والجُمَّة : مجتمع شعر الرأس ، ولاث العمامة على رأسه لَفَّهَا . اللسان ( سسم ، جمم ، لوث ) .

(١١) في ط : متخصر .

فلما رأيته ظننته ذلك ، فقلت : السلامُ عليك يا رسول الله . فقال : مه مه ، كلا وكأن قد ، وليتني إِيَّاه . فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقالوا : هذا أبو نُضْلَة ، هذا هاشم بن عبد مَنَاف . فولَّيتُ وأنا أقول : هذا والله المجد لا مجد آل جفنة . يعني ملوكَ عرب الشام من غسان ، كان يقال لهم : آل جفنة ، وهذه الوظيفة التي حكاها عن هاشم هي الرَّفَادَة ، يعني إطعام الحجيج زمن الموسم<sup>(١)</sup> .

وقال أبو نعيم<sup>(٢)</sup> : حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدَّثنا محمد بن أحمد بن أبي يحيى ، حدَّثنا سعيد بن عثمان<sup>(٣)</sup> ، حدَّثنا علي بن قتيبة الخراساني ، حدَّثنا خالد بن إلياس ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعتُ أبا طالبٍ يحدثُ عن عبد المطلب قال : بينا أنا نائم في الحِجْر إذ رأيت رؤيا هالتي ، ففزَعْتُ منها فزعاً شديداً ، فأتيتُ كاهنةً قريش ، وعليَّ مطرف خَزْ ، وجُمُتي تضربُ مِنكِبي ، فلما نظرتُ إليَّ عرفتُ في وجهي التغير ، وأنا يومئذٍ سيّد قومي ، فقالت : ما بال سيدنا قد أتانا متغيّر اللون ؟ هل رابه من حدّثان الدهر شيء ؟ فقلت لها : بلى ! وكان لا يكلمها أحدٌ من الناس حتى يُقبَّلَ يدها اليمنى ، ثم يضع يده على أُمِّ رأسها ثم يذكر حاجته ، ولم أفعل لأنني كنت كبير قومي ؛ فجلستُ فقلت : إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحِجْر ، كأنَّ شجرةً تنبت ، قد نال رأسها السماء ، وضربتُ بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيتُ نوراً أزهر منها ، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً<sup>(٤)</sup> ؛ ورأيتُ العرب والعجم ساجدين لها ، وهي تزادُ كلَّ ساعةٍ عِظْماً ونوراً وارتفاعاً ، ساعة تخفى وساعة تزهر ، ورأيتُ رَهْطاً من قريش قد تعلّقوا بأغصانها ، ورأيتُ قوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنّوا منها أخرّهم شابٌ لم أر قط أحسنَ منه وجهاً ، ولا أطيبَ منه ريحاً ، فيكسرُ أظهرهم ، ويقلع أعينهم ؛ فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً ، فمنعني الشاب ، فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلّقوا بها وسبقوك إليها . فانتبهتُ مذعوراً فزعاً ، فرأيت وجه الكاهنة قد تغيّر ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجنَّ من صُلبك رجلٌ يملكُ المشرق والمغرب ، ويدين له الناس ثم قال - يعني عبد المطلب لأبي طالب - : لعلك تكونُ هذا المولود . قال : فكان أبو طالب يحدثُ بهذا الحديث [ بعدما وُلد رسولُ الله ﷺ وبعد ما بُعث . ثم قال<sup>(٥)</sup> : كانت الشجرةُ والله أعلم أبا القاسم الأمين . فيقال لأبي طالب : ألا تؤمن ؟ فيقول : السُّبَّة والعار<sup>(٦)</sup> .

- (١) إسناده ضعيف ، عباد بن كسيب ، ذكره البخاري في تاريخه وقال (٦/ الترجمة ١٦٢٤) : « لا يصح حديثه » وينظر الميزان (٣٧٥/٢) (بشار) .
- (٢) في الدلائل (٩٩/١) .
- (٣) في ح : سعيد بن أبي عثمان .
- (٤) في ح : سبعين مرة ضعفاً .
- (٥) لفظ العبارة التي بين المعقوفين في الدلائل هكذا : « والنبي ﷺ قد خرج ويقول : كانت . . . » .
- (٦) إسناده ضعيف جداً ، فإن خالد بن إلياس متروك ، وهو من رجال التهذيب (بشار) .

وقال أبو نعيم<sup>(١)</sup> : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا محمد بن زكرياء الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار الضبي ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال العباس : خرجت في تجارة إلى اليمن في ركبٍ منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدمت اليمن ، فكنْتُ أصنع يوماً طعاماً ، وأنصرف بأبي سفيان والنفر ، ويصنع أبو سفيان يوماً ، ويفعل مثل ذلك ، فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إليّ غداءك ؟ فقلت : نعم . فانصرف أنا والنفر إلى بيته ، وأرسلتُ إلى الغداء ، فلما تغدّى القوم قاموا واحتبسني ، فقال : هل علمت يا أبا الفضل أنَّ ابن أخيك يزعم أنه رسول الله ؟ فقلت : أيُّ بني أخِي ؟ فقال أبو سفيان : إياي تكتُم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي أن يقول هذا إلا رجل واحد ؟ قلت : وأيُّهم على ذلك ؟ قال : هو محمد بن عبد الله . فقلت : قد فعل ؟ قال : بلى قد فعل . وأخرج كتاباً باسمه من ابنه حنظلة بن أبي سفيان فيه : أخبرك أنَّ محمداً قام بالأبطح فقال : « أنا رسول ، أدعوكم إلى الله عزَّ وجل » فقال العباس : قلت : أجده يا أبا حنظلة صادقاً<sup>(٢)</sup> . فقال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أحبُّ أن تقول مثل هذا ، إني لا أخشى أن يكون عليّ ضيْرٌ من هذا الحديث ، يا بني عبد المطلب ، إنه والله ما برحت قريش تزعم أنَّ لكم هنةً وهنةً<sup>(٣)</sup> ، كلُّ واحدةٍ منهما غاية . لشدَّتْك يا أبا الفضل ، هل سمعتَ ذلك ؟ قلت : نعم ، قد سمعت . قال : فهذه والله شؤمتكم . قلت : فلعلها يُمتنُّ . قال : فما كان بعد ذلك إلا ليالٍ<sup>(٤)</sup> حتى قدم عبد الله بنُ حذافة بالخبر وهو مؤمن . ففشا ذلك في مجالس اليمن ؛ وكان أبو سفيان يجلس مجلساً باليمن يتحدث فيه حَبْرٌ من أحبار اليهود ، فقال له اليهودي : ما هذا الخبر ؟ بلغني أنَّ فيكم عمٌ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صدقوا ، وأنا عمُّه . فقال اليهودي : أخو أبيه ؟ قال : نعم . قال : فحدثني عنه . قال : لا تسألني ، ما أحبُّ أن يدَّعي هذا الأمر أبداً ، وما أحبُّ أن أعيبه ، وغَيْرُهُ خيرٌ منه . فرأى اليهوديُّ أنه لا يُغمض<sup>(٥)</sup> عليه ولا يحبُّ أن يعيبه . فقال اليهودي : ليس به بأس<sup>(٦)</sup> على اليهود ، وتوراة موسى . قال العباس : فناداني الحَبْر ، فجئت فخرجت حتى جلست ذلك المجلس من الغد ، وفيه أبو سفيان بن حرب والحبر ، فقلت للحبر : بلغني أنك سألت ابن عمي عن رجل منا زعم أنه رسول الله ﷺ فأخبرك أنه عمُّه ، وليس

(١) في دلائل (١/٢٠٣) ، وهو في السيرة الحلبية (١/١٨٥) مختصراً .

(٢) في ح ، ط والدلائل : صادق .

(٣) « الهنة » : تأنيث هن ، فهو كناية عن كل اسم جنس ؛ وفي حديث سطيح : ثم تكون هنات وهنات : أي شذائد وأمور عظام . اللسان ( هنا ) .

(٤) في ح : ليالي بإثبات الياء ، وهو جائز .

(٥) في ط : يغمس ، والمثبت من ح ، جاء في التاج ( غمس ) : وسمع الأمر فأغمض عنه وعليه ، يكنى به عن الصبر . ويقال : سمعت منه كذا وكذا فأغمضت منه وأغضيت ، إذا تغافلت عنه . وفي الأساس : التغميض عن الإساءة هو الإغضاء والتغافل .

(٦) كذا في ط وفي ح : ليس به لا بأس . . .

بعمه ، ولكن ابن عمه ، وأنا عمُّه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلت : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : صدق ؟ قال : نعم صدق . فقلت : سلمي فإن كذبتُ فليرد<sup>(١)</sup> عليّ . فأقبل عليّ . فقال : نشدتك ، هل كان لابن أخيك صَبُوءٌ أو سفهة ؟ قلت : لا وإله عبد المطلب ، ولا كذب ولا خان ، وإنه كان اسمه عند قريش الأمين . قال : فهل كتب بيده ؟ قال العباس : فظننت أنه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكان أبي سفيان أنه يكذبني ويرد<sup>(٢)</sup> عليّ ، فقلت : لا يكتب . فوثب الحبر وترك رداءه وقال : دُبِحت يهود ، وقُتلت يهود . قال العباس : فلما رجعنا إلى منزلنا . قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنَّ اليهود تفرع من ابن أخيك . قلت : قد رأيت ما رأيت . فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به ؟ فإن كان حقاً كنت قد سبقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك . قال : لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء<sup>(٣)</sup> ، قلت : ما تقول ؟ قال : كلمةٌ جاءت على فمي ، إلا أنني أعلم أنَّ الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء . قال العباس : فلما استفتح رسولُ الله ﷺ مكة ، ونظرنا إلى الخيل وقد طلعت من كداء ، قلت : يا أبا سفيان تذكر الكلمة . قال : إي والله إنني لذاكرها ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام .

وهذا سياقٌ حسن عليه البهاء والنور ، وضيء الصدق ، وإن كان في رجاله من هو متكلمٌ فيه<sup>(٤)</sup> ، والله أعلم .

وقد تقدم ما ذكرناه في قصة أبي سفيان مع أمية بن أبي الصلت<sup>(٥)</sup> ، وهو شبيهٌ بهذا الباب ، وهو من أغرب الأخبار وأحسن السياقات ، وعليه النور . وسيأتي أيضاً قصة أبي سفيان مع هرقل<sup>(٦)</sup> ملك الروم حين سأله عن صفات رسولِ الله ﷺ وأحواله ، واستدلَّه بذلك على صدقه ونبوته ورسالته . وقال له : كنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظنُّ أنه فيكم ، ولو أعلم أنني أخلصُ إليه لتجشمتُ لِقِيَّه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ولئن كان ما تقول حقاً ليملكنَّ موضع قدميَّ هاتين . وكذلك وقع والله الحمد والمنة .

وقد أكثر الحافظ أبو نعيم من إيراد الآثار والأخبار عن الرهبان والأخبار والعرب ، فأكثر وأطنب ، وأحسن وأطيب ، رحمه الله ورضي عنه .

(١) في ح : فليرده .

(٢) في ح : وراَدَ .

(٣) « كداء » : الثنية العليا بمكة ، مما يلي المقابر ، عند المحَصَّب . النهاية (٤/١٥٦) ومعجم البلدان (٤/٤٣٩) .

(٤) قال بشار : هكذا قال المصنف تهويناً ، مع أن العباس بن بَكَار الضبي كذاب كما قال الدارقطني (الضعفاء والمتروكون ٤٢٣) وقبله قال ابن حبان في المجروحين (٢/١٩٠) : « يروي من العجائب . . . لا يجوز الاحتجاج به بحال ولا كتابة حديثه إلا على سبيل الاعتبار للخواص » .

(٥) انظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب (ط) .

(٦) انظر ما سيأتي في الجزء الرابع من هذا الكتاب والعبارة في ح هكذا : وسيأتي قصته مع هرقل .

## قصّة عمرو بن مِرّة الجُهني

قال الطبراني<sup>(١)</sup> : حدّثنا عليّ بن إبراهيم الخزاعي الأهوازي ، حدّثنا عبد الله بن داود بن دِلْهات بن إسماعيل بن عبد الله بن مسرع<sup>(٢)</sup> بن ياسر بن سُويد - صاحب رسول الله ﷺ - حدّثنا أبي ، عن أبيه دِلْهات ، عن أبيه إسماعيل أنّ أباه عبد الله حدّثه عن أبيه ، أنّ أباه ياسر بن سُويد حدّثه عن عمرو بن مِرّة الجُهني قال : خرجتُ حاجّاً في جماعة من قومي في الجاهلية ، فرأيت في نومي وأنا بمكة ، نوراً ساطعاً خرج من الكعبة حتى وصل إلى جبل يَثْرِب ، وأشعر جُهينة<sup>(٣)</sup> ، فسمعت صوتاً بين النور وهو يقول : انقشعت الظلمات ، وسطع الضياء ، وبُعث خاتم الأنبياء . ثم أضاء إضاءةً أخرى ، حتى نظرتُ إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن<sup>(٤)</sup> ، وسمعتُ صوتاً من النور وهو يقول : ظهر الإسلام ، وكُسرت الأصنام ، ووُصِلت الأرحام . فانتبهتُ فزعاً ، فقلت لقومي : والله ليحدّثنّ لهذا الحيّ من قريش حدّث ، وأخبرتُهم بما رأيت فلما انتهينا إلى بلادنا جاء [ الخبر ]<sup>(٥)</sup> أنّ رجلاً يقال له : أحمد ، قد بُعث فأتيتُ فأخبرته بما رأيت ، فقال : « يا عمرو بن مِرّة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة ، أدعوهم إلى الإسلام ، وأمرهم بحَقن الدماء وِصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحجّ البيت ، وصيام شهر رمضان من اثني عشر شهراً . فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار . فآمن بالله يا عمرو يُؤمنك الله من هؤل جهنم » . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله ، آمنت بما جئت به من حلالٍ وحرام ، وإن رَغِمَ ذلك كثيراً من الأقوام<sup>(٦)</sup> . ثم أنشدته أبياتاً قلّتها حين سمعت به ، وكان لنا صنم ، وكان أبي سادناً به ، فقمتُ إليه فكسرتُه . ثم لَحِقت بالنبي ﷺ وأنا أقول : [ من الطويل ]

شهدتُ بأنّ الله حقٌّ وأنني لآلهة الأحجارِ أولُ تاركِ

- (١) رواية الطبراني في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٤ - ٢٤٦) والخبر ساقه ابن الجوزي في الوفا (١/ ٨١) والكاندهلوي في حياة الصحابة (١/ ٢٩٣) وما بعدها ، وسوف يسوقه المصنف في ص ١٧٩ موضع الحاشية (٣) في المتن مطولاً عن أبي نعيم ، عنه .
- (٢) في ح : مشرع وفي ط : شريح . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من التجريد للذهبي (٢/ ٧٢) والإصابة (٣/ ٤٧٨) في القسم الثاني من حرف الميم (باب م - س) ثم من الجرح والتعديل (٥/ ٤٨) في ترجمة عبد الله والإصابة (٣/ ٦٤٨) في ترجمة ياسر .
- (٣) « الأشعر » : جبل جهينة ينحدر على يَنْبُع من أعلاه ، وينبع من المدينة على سبع مراحل باتجاه البحر ؛ والأشعر والأجرد جبلا جهينة ، بين المدينة والشام . معجم البلدان (١/ ١٩٨ و ٥/ ٤٥٠) .
- (٤) « أبيض المدائن » : قصر الأكاسرة بالمدائن ، كان من عجائب الدنيا ، لم يزل قائماً إلى أيام المكتفي في حدود سنة ٢٩٠هـ . وهو الذي وصفه البحري في سنيته الشهيرة . انظر معجم البلدان (١/ ٨٥) .
- (٥) ما بين معقوفين من الوفا (١/ ٨١) .
- (٦) كذا في ط ، وفي ح : الأقوال .

وشمّرتُ عن ساق<sup>(١)</sup> الإزارِ مُهاجراً إليك أجوبُ القَفَرُ بعد الدَّكَادِكِ<sup>(٢)</sup>  
لأصحبَ خيرَ الناسِ نفساً ووالداً رسولَ مَلِكِ الناسِ فوقَ الحَبائِكِ<sup>(٣)</sup>

فقال النبي ﷺ : « مرحباً بك يا عمرو بن مُرّة » . فقلت : يا رسول الله ابعثنني إلى قومي ، لعل الله يمنّ عليهم بي كما منّ عليّ بك . فبعثنني إليهم . وقال : « عليك بالرّفق ، والقول السديد ، ولا تكن فظاً ، ولا متكبراً ولا حسوداً » .

فذكر أنه أتى قومه ، فدعاهم إلى ما دعاه إليه رسولُ الله ﷺ فأسلموا كلُّهم ، إلا رجلاً واحداً منهم ، وأنه وفد بهم إلى رسولِ الله ﷺ ؛ فرحّب بهم وحيّاهم ، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من الله<sup>(٤)</sup> على لسان رسول الله ﷺ ، بكتابٍ صادق ، وحقٌّ ناطق مع عمرو بن مُرّة الجُهني ، لجُهينة بن زيد : إنّ لكم بطونَ الأرض وسهولها ، وتلاع الأودية وظهورها ، تزرعون<sup>(٥)</sup> نباته ، وتشربون صافيه ، على أن تُقرّوا بالخُمُس ، وتصلّوا صلاة الخُمُس ، وفي التّيعَةِ<sup>(٦)</sup> والصّريمة [ شاتان ] إن اجتمعتا ، وإن تفرّقتا [ ف ] شاة شاه<sup>(٧)</sup> ، ليس على أهل المُثيرة<sup>(٨)</sup> صدقة ، ليس الوردة اللبقة<sup>(٩)</sup> . وشهد على نبيّنا ﷺ مَنْ حضر من المسلمين بكتاب قيس بن شماس » .

- (١) كذا في ح ، ط ، والصواب : ساقِي . بالياء كما سيأتي (ص ١٨٠) .
- (٢) في النهاية واللسان : إليك أجوبُ القُورَ بعد الدكاك ، وفيما سيأتي (ص ١٨٠) إليه أدب الغور . . . « وفي طبقات ابن سعد : « الدعث بعد الدكاك » وفي الوفا ومجمع الزوائد . الدعث بعد الدكاك . والقور : جمع قارة وهي الجبل ، وقيل هو الصغير منه كالأكمة . وأما الغور : فكل منخفض من الأرض ؛ والدكاك : جمع دكدك ، وهو ما تلبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع كثيراً . النهاية (٢/١٢٨) (دكدك) و(٤/١٢٠) (قور) واللسان (غور) .
- (٣) « الحبايك » : الطرُق ، واحدها حَبِيكة ، يعني بها السموات ، لأن فيها طرق النجوم . النهاية (١/٣٣٢) (حبك) . والأبيات في طبقات ابن سعد (١/٣٣٣) .
- (٤) في الوفا (١/٨٣) : كتاب أمان من الله .
- (٥) في الوفا (١/٨٣) والجمع وحياة الصحابة . ترعون . وهو أشبه بالصواب .
- (٦) في ط : التليعة ، وفي المجمع « والسعة » وفي حياة الصحابة : الغُنيمة ، والمثبت من ح والنهاية (٣/٢٧) (صرم) وفيه ضُبُطت التاء المثناة من فوق بالفتح ضبط قلم . والتصحيح من النهاية واللسان (تيع) ، وفيهما : التيعة ، بالكسر : اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان ، وكان الجملة التي للسعاة عليها سبيل ، من تاع يتيع إذا ذهب إليه ، كالخمس من الإبل والأربعين من الغنم .
- (٧) « الصّريمة » : تصغير الصّرمة ، وهي القطيع من الإبل والغنم ، قيل : هي من العشرين إلى الثلاثين والأربعين ، كأنها إذا بلغت هذا القدر تستقل بنفسها فيقطعها صاحبها عن معظم إبله وغنمه . والمراد بها في الحديث من مئة وإحدى وعشرين شاة إلى المئتين ، إذا اجتمعت ففيها شاتان ، وإن كانت لرجلين وفرّق بينهما ، فعلى كل واحد منهما شاة . النهاية (٣/٢٧) (صرم) ، وما بين معقوفين منه .
- (٨) في ح ، ط : الميرة . والمثبت من مجمع الزوائد ، جاء في النهاية (١/٢٢٩) (ثور) : ومنه الحديث « أنه كتب لأهل جُرش بالجمي الذي حماه لهم للفرس والراحلة والمثيرة » أراد بالمثيرة بقر الحَرث لأنها تثير الأرض .
- (٩) كذا في ط ، وفي ح : ليس للوردة اللبقة ، ولم أهدأ إلى معناه أو وجه الصواب فيه . وفي الدلائل (١/١٢٣) =

وذكر شعراً قاله عمرو بن مُرّة في ذلك كما هو مبسوط في المسند الكبير<sup>(١)</sup> ، وبالله الثقة وعليه التكلان .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب : ٧] . قال كثيرون من السلف : لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً ؛ وأكد مع هؤلاء الخمسة أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »<sup>(٢)</sup> من طرق ، عن الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة ؟ قال : « بين خلق آدم ونفخ الروح فيه » .

وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم ، وقال : حسنٌ غريب من حديث أبي هريرة ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو نعيم<sup>(٤)</sup> : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي<sup>(٥)</sup> ، حدثنا أبو جعفر الثَّقَلِي ، حدثنا عمرو بن واقد ، عن عروة بن رُويم ، عن الصُّنَابِحي قال : قال عمر : يا رسول الله ، متى جعلت نبياً ؟ قال : « وآدمٌ مُنْجِدٌ في الطِّين » .

ثم رواه<sup>(٦)</sup> من حديث نصر بن مُزاحم ، عن قيس بن الربيع ، عن جابر الجُعفي ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول الله : متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدمٌ بين الروح والجسد » .

وفي الحديث الذي أوردناه في قصة آدم حين استخرج الله من صُلْبِهِ ذُرِّيَّتَهُ خَصَّ الأنبياء بنورٍ بين أعينهم . والظاهر - والله أعلم - أنه كان على قَدَرِ منازلهم ورُتَبِهِمْ عند الله . وإذا كان الأمر كذلك ، فنور محمد ﷺ كان أظهر وأكبر وأعظمَ منهم كُلِّهِمْ ؛ وهذا تنويعٌ عظيم وتنبيةٌ ظاهرٌ على شَرَفِهِ وَعُلُوِّ قَدَرِهِ .

- 
- = وليس للوارد التبعة وفي حاشية ط : كذا في الأصل ، ولعله يريد أنه لا يؤخذ في الصدقة كرائم الأموال . والله أعلم .
- (١) لعله يريد معجم الطبراني ، وهو في القسم المفقود منه ، والشعر ذكره أيضاً ابن الجوزي في الوفا (٨٤ / ١) .
- (٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (٤٨ / ١) .
- (٣) جامع الترمذي (٣٦٠٩) المناقب باب في فضل النبي ﷺ . وأخرجه الحاكم (٦٠٩ / ٢) والبيهقي في دلائل النبوة (١٣٠ / ٢) .
- (٤) لم أجده في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع من هذا الطريق ، وهو فيه (٤٨ / ١) من طريق آخر عن العرياض بن سارية . كما سيأتي وأخرجه الحاكم من طريق العرياض أيضاً (٦٠٠ / ٢) .
- (٥) هو شيخ للطبراني ذكره في معجمه الصغير (١١٣٤) ، ومعجمه الأوسط (٩٤٣٥) و(٩٤٣٦) و(٩٤٣٧) و(٩٤٣٨) و(٩٤٣٩) و(٩٤٤٠) و(٩٤٤١) و(٩٤٤٢) و(٩٤٤٣) و(٩٤٤٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : لا أعرفه (١٤٦ / ٧) (بشار) .
- (٦) ليس الحديث في دلائل أبي نعيم كما أسلفت في ص (١٠٩ حاشية ٧) .

وفي هذا المعنى الحديث الذي قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد الكلبي ، عن عبد الله بن هلال السلمي<sup>(٢)</sup> ، عن العزباض بن سارية . قال : قال رسول الله ﷺ : « إني عند الله لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَيْتِهِ ، وَسَأَتُبْنُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ : دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أُمِّي التي رَأَتْ ، وكذلك أمهات النَّبِيِّينَ<sup>(٣)</sup> يرين » .

ورواه اللَّيْثُ<sup>(٣)</sup> ، وابن وهب ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، وزاد : « إِنَّ أُمَّهُ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُوراً أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا منصور بن سعد<sup>(٥)</sup> ، عن بُدَيْلٍ ، عن عبد الله بن شَقِيقٍ ، عن مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ قَالَ : قلت : يا رسولَ الله ، متى كنتَ<sup>(٦)</sup> نَبِيًّا ؟ قال : « وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ » . [ إسناده جيد أيضاً<sup>(٧)</sup> . وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان<sup>(٨)</sup> ، وحماد بن زيد وخالد الحذاء عن بُدَيْلٍ بن مَيْسَرَةَ به .

ورواه أبو نعيم<sup>(٩)</sup> عن محمد بن عمر بن سالم<sup>(١٠)</sup> ، عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي ، عن شيبان ، عن الحسن بن دينار<sup>(١١)</sup> ، عن عبد الله بن شقيق<sup>(١٢)</sup> ، عن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله

- (١) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٢٧) وقد سبق للمؤلف أن ساقه ص (١٠٨) من هذا الجزء ، وهو حديث حسن ، دون قوله : ( وكذلك أمهات النبيين يرين ) وكانت أمهات المؤمنين والتصحيح من المسند .
- (٢) في ط : « عبد الأعلى بن هلال السلمي » محرف ، فهو وإن كان صحيحاً لكنه خطأ لأن الذي في المسند من رواية عبد الرحمن بن مهدي « عبد الله » وهو مما أخطأ فيه عبد الرحمن بن مهدي ، فكتابه على الوجه الصحيح تفسد النص وتخالف الأصل ، وقد علقنا عليه قبل قليل ( بشار ) .
- (٣) انظر ص (١٠٨) من هذا الجزء موضع الحاشية (٦) .
- (٤) مسند الإمام أحمد (٥/ ٥٩) رقم الحديث (٢٠٤٧٤) .
- (٥) في ح ، ط : منصور بن سعيد . والمثبت من المسند والجرح والتعديل (٨/ ١٧٢) وتهذيب المزي (٢٨/ ٥٢٧) وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٠٧) .
- (٦) في المسند : كُتِبَتْ .
- (٧) هكذا قال ، ولا أدري لم قال ذلك ، فإسناد الحديث صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابية ميسرة الفجر ، وقد ذكره في الصحابة : البخاري ، والبخاري وابن السكن وابن قانع وغيرهم .
- (٨) أخرجه ابن سعد (٧/ ٦٠) ، والطحاوي في شرح المشكل (٥٩٧٧) ، وابن قانع (٣/ ١٢٩) ، والحاكم (٢/ ٦٠٨) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٢٩) وغيرهم .
- (٩) ليس في الدلائل وقد ساقه المحقق في مقدمته (ص ٢٤ ، ٢٥) .
- (١٠) في ط : « أسلم » محرف ، وهو محمد بن عمر بن محمد بن سالم المعروف بابن الجعابي المتوفى سنة ٣٥٥ ، وترجمته في تاريخ الخطيب (٤/ ٤٢ ط . الدكتور بشار) .
- (١١) في مقدمة الدلائل : الحسن بن زياد . وهو خطأ ، وهو الحسن بن دينار بن واصل ، ورواية شيبان بن فروخ عنه في تهذيب الكمال (١٢/ ٥٩٩) ، وهو كذاب معروف مترجم في الجرح والتعديل (٣/ الترجمة ٣٧) ، والكامل لابن عدي (٢/ ٧١٠) ، وضعفاء العقيلي (١/ ٢٢) ، والميزان للذهبي (١/ ٤٨٧) وغيرها (بشار) .
- (١٢) في ط : عبد الله بن سفيان . والمثبت من مقدمة الدلائل ومصادر تخريج الحديث المروية من طريق عبد الله بن شقيق=



متى كنت<sup>(١)</sup> نبياً؟ قال: «وآدم بين الرُّوح والجسد» [٢]

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «دلائل النبوة»<sup>(٣)</sup>: حَدَّثَنَا أَبُو عمرو بن حمدان ، حَدَّثَنَا الحسن بن سفيان ، حَدَّثَنَا هشام بن عمار ، حَدَّثَنَا الوليد بن مسلم ، عَنْ خُلَيْدِ بْنِ دَعْلَجٍ ، وَسَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ [الأحزاب ٧] قال : « كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرُهُمْ فِي الْبَعْثِ »<sup>(٤)</sup>

ثم رواه من طريق هشام بن عمار ، عن بَقِيَّةٍ ، عن سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ<sup>(٥)</sup> ، عن قَتَادَةَ ، عن الحسن ، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله . [ وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله ]<sup>(٦)</sup> . وهذا أثبت وأصح ، والله أعلم .

وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى ، وأنه معروفٌ بذلك بينهم بأنه خاتمُ النبيين ، وآدم لم يُنفخ فيه الرُّوح ، لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى بِذَلِكَ سَابِقٌ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا مُحَالَةَ ، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى . والله أعلم .

وقد أورد أبو نعيم<sup>(٧)</sup> من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن هَمَّامٍ ، عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه . « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٨)</sup> ، المقضي لهم قبل الخلائق ، بَيِّدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ .

وزاد أبو نعيم في آخره : فَكَانَ ﷺ آخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ ، وَبِهِ خُتِمَتِ النَّبُوءَةُ . وهو السابق يوم القيامة . لأنه أولُ مكتوبٍ في النبوة والعهد .

ثم قال : ففي هذا الحديث الفضيلةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ : لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم . ويحتملُ أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته ما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان .

= عن ميسرة .

(١) في مقدمة دلائل أبي نعيم : كتبت .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٣) ليس في دلائل النبوة لأبي نعيم المطبوع .

(٤) مضى في ص (١٠٩) من هذا الجزء حيث روي الحديث عن البغوي .

(٥) في ح : يسير ، وفي ط : نسير ، والمثبت من (ص ١٠٩) من هذا الجزء في سياق الحديث عن البغوي وترجمة

سعيد بن بشير في تهذيب التهذيب (٤/٨ ، ٩) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح .

(٧) في دلائل النبوة (٤٩/١) .

(٨) إلى هنا في المطبوع من الدلائل ، وهذا يعزز ما ذهب إليه محقق الدلائل وسيرة ابن كثير من قبل من أن المطبوع من

الدلائل هو المختصر .

وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه والله الحمد .

وروى الحاكم في « مستدركه »<sup>(١)</sup> من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - وفيه كلام - عن أبيه ، عن جده ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب ، أسألك بحق محمد إلا<sup>(٢)</sup> غفرت لي . فقال الله : يا آدم ، كيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ فقال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحبُّ الخلق إليّ ، وإذ قد سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » .

قال البيهقي : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف<sup>(٣)</sup> ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آل عمران : ٨١ - ٨٢] .

قال علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بُعث محمد ﷺ وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولننصرنَّه ، [ وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ، لئن بُعث محمدٌ وهم أحياء ليؤمننَّ به ولننصرنَّه ]<sup>(٤)</sup> .

وهذا تنويهٌ وتنبيةٌ على شرفه وعظمته في سائر الملل ، وعلى السنة الأنبياء ، وإعلامٌ لهم ومنهم برسالته في آخر الزمان ، وأنه أكرم المرسلين وخاتم النبيين .

وقد أوضح أمره وكشف خبره وبيّن سرّه<sup>(٥)</sup> ، وجلّى مجده<sup>(٦)</sup> ومولده وبلده ، إبراهيم الخليل في قوله عليه السلام حين فرغ من بناء البيت : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] فكان أول بيان أمره على الجلية والوضوح بين أهل الأرض ، على لسان إبراهيم الخليل أكرم الأنبياء على الله بعد محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهما وعلى سائر الأنبياء .

(١) مستدرك الحاكم (٢/٦١٥) .

(٢) في المستدرك : لما .

(٣) عقب عليه الذهبي بقوله قلت : بل موضوع ، وعبد الرحمن وإه .

(٤) ما بين المعقوفين مستدرك في هامش ح .

(٥) في ح : مسيره .

(٦) كذا في ط ، وفي ح : وحكى محتده .

ولهذا قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدّثنا أبو النضر ، حدّثنا الفرّج - يعني ابن فضالة ، حدّثنا لقمان بن عامر [ قال ] : سمعتُ أبا أُمّامة قال : قلت : يا نبيّ الله ، ما كان بدءُ أمرِك ؟ قال : « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عَيْسَى ، وَرَأْتُ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » .

تفرّد به الإمام أحمد ، ولم يخرجْهُ أحدٌ من أصحاب الكتب الستة<sup>(٢)</sup>

وروى الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب المولد ، من طريق بقيّة ، عن صفوان بن عمرو ، عن حُجْر ، عن أبي مريم<sup>(٣)</sup> أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَوَّلَ أَمْرِ نَبِيِّكَ ؟ فَقَالَ : أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الْمِيثَاقَ كَمَا أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ . وَرَأْتُ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهَا أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهَا سِرَاجٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ » .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(٤)</sup> : حدّثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عَيْسَى . وَرَأْتُ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ<sup>(٥)</sup> كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » .

إسناده جيد أيضاً . وفيه بشارة لأهل محلّتنا ، أرض بُصْرَى ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ بُقْعَةٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ خَلَصَ إِلَيْهَا نُورُ النُّبُوَّةِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةٍ فَتَحَتْ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، وَكَانَ فَتْحُهَا صَلَاحًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ - وَقَدْ قَدِمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ فِي صُحْبَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَتْ عِنْدَهَا قِصَّةُ بَحْرِى الرَّاهِبِ كَمَا بَيَّنَّاهُ ، وَالثَّانِيَةِ وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ مَوْلَى خَدِيجَةٍ فِي تِجَارَةٍ لَهَا . وَبِهَا مَبْرُكُ النَّاقَةِ الَّتِي يَقَالُ لَهَا : نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَرَكْتَ عَلَيْهِ ، فَأَثَرُ ذَلِكَ فِيهَا فِيمَا يَذْكَرُ ، ثُمَّ نُقِلَ وَبُئِيَ عَلَيْهَا مَسْجِدٌ مشهور اليوم . وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي أَضَاءَتْ أَعْنَاقُ الْإِبِلِ عِنْدَهَا مِنْ نُورِ النَّارِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةَ ، وَفَقَ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ : « تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى » وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَبِهِ الثِّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ<sup>(٦)</sup> .

وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٢٦٢) ، وهو حديث حسن .

(٢) ليست لفظة الستة في ح .

(٣) في ط : مريق ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح ، وأبو مريم هو سنان الصحابي . وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٩٨/٢) مطولاً .

(٤) سيرة ابن هشام (١/١٦٦) والروض الأنف (١/١٨٨) .

(٥) في ط : حبلت .

(٦) انظر حوادث سنة ٦٥٤ من هذا الكتاب .

وَالْأَعْلَلَ أَلَّى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [نور ١٥٧] الآية .

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا إسماعيل ، عن الجريري ، عن أبي صخر العقيلي<sup>(٢)</sup> ، حدثني رجل من الأعراب قال : جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ : فلما فرغت من بيعي<sup>(٣)</sup> قلت : لألقين هذا الرجل ، فلا سمعن منه . قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهما [ في أفقائهم ] حتى أتوا على رجل من اليهود ، ناشر التوراة يقرأها ، يُعزِّي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله<sup>(٤)</sup> . فقال رسول الله ﷺ : « أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجدني في كتابك ، ذا صفتي ومخرجي ؟ » فقال برأسه هكذا - أي لا - فقال ابنه : إي والذي أنزل التوراة إننا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . فقال : « أقيموا اليهودي عن أخيكم » . ثم ولي جنته<sup>(٥)</sup> وكفنه والصلاة عليه .

هذا إسناد جيد ، وله شواهد في الصحيح عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

وقال أبو القاسم البغوي : حدثنا عبد الواحد بن غياث ، أبو بحر ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن الفلتان<sup>(٦)</sup> بن عاصم ، وذكر أن خاله قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ شخَصَ بصره إلى رجل ، فإذا يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان ، قال : فجعل النبي ﷺ يكلمه وهو يقول : يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : « أتشهد أني رسول الله » ؟ قال : لا . قال رسول الله ﷺ : أنقرأ التوراة قال : نعم . قال : « أنقرأ الإنجيل » ؟ قال : نعم . قال : « والقرآن » ؟ قال : لا ، ولو تشاء قرأته . فقال النبي ﷺ : « فبم تقرأ التوراة والإنجيل ، أتجدني نبيا ؟ » قال : إننا نجد نعتك ومخرجك ، فلما خرجت رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفناك أنك لست به . قال رسول الله ﷺ : « ولم يا يهودي » ؟ قال : إننا نجد مكتوبا : يدخل من أمتة الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، ولا نرى معك إلا نفرا يسيرا ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أمتي لأكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا » .

- (١) مسند الإمام أحمد (٤١١/٥) وما يأتي بين معقوفين منه . والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، والحسن بن سفيان في مسنده من طريق سالم بن نوح عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن أبي صخر كما في الإصابة (١٠٧/٤) .
- (٢) ضبط في الكنى لمسلم ص ١٣٢ ، بضم العين وفتح القاف ضبط قلم .
- (٣) في المسند : بيعتي .
- (٤) في ط : وأجملهم والمثبت من ح ومسند أحمد .
- (٥) « الجنن » : القبر . واللفظة ساقطة من ط ، والعبارة في المسند « ثم ولي كفنه ، وحنطه وصلى عليه » .
- (٦) في ط : الصلتان ، وفي ح : الغلتان ، بغين معجمة ، والمثبت من التجريد (٨/٢) والإصابة (٢٠٩/٣) والتاج (فلت) .

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه ، ولم يُخَرَّجوه<sup>(١)</sup>

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة : قال : أتى رسول الله ﷺ [بيت المدراس]<sup>(٣)</sup> فقال : « أَخْرِجُوا [إِلَيَّ] أَعْلَمَكُمْ » فقالوا : عبد الله بن سوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ ، فناشده بدينه ، وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المنّ والسّلوى ، وظلّلهم به من الغمام : « أَتَعْلَمُنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ » ؟ قال : اللهم نعم . وإنّ القومَ ليعرفونَ ما أعرف ، وإنّ صفتك ونعتك لبيّن<sup>(٤)</sup> في التوراة ، ولكنهم حسدوك . قال : « فما يَمْنَعُكَ أَنْتَ » ؟ قال : أكره خلافَ قومي ، وعسى أن يتبعوك ويُسَلِّموا فأسلم .

وقال سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : كتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله صاحب موسى ، وأخيه ، والمصدق بما جاء به موسى ، ألا إنّ الله قال لكم : يا معشرَ يهود وأهل التوراة ، إنكم تجدون ذلك في كتابكم : إنّ محمداً ﷺ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهِ فِي الْإِنْجِيلِ [ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ]<sup>(٥)</sup> . وإني أنشدكم بالله ، وبالذي أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسلافكم وأسابطكم المنّ والسّلوى ، وأنشدكم بالذي أيسر البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله ، إلّا أخبرتمونا ، هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم ، فلا كُزّة عليكم ، قد تبين الرُّشْدُ من الغي . وأدعوكم إلى الله تعالى وإلى نبيه ﷺ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « المبتدأ »<sup>(٦)</sup> ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن كعب الأحبار .

(١) رواه الحسن بن سفيان في مسنده وابن أبي شيبة وابن منده كما في الإصابة (٢٠٩/٣) وأخرجه بنحوه الطبراني والبيهقي وابن عساكر عن الفلتان كما في الخصائص للسيوطي (١٤/١) .

(٢) كذا في ح ، ولم أجد لمحمد بن إسحاق رواية عن سالم مولى عبد الله بن مطيع في ترجمتهما في تهذيب المزي ، وليس الخبر في سيرة ابن إسحاق أو سيرة ابن هشام ، وهو في الوفا لابن الجوزي (٥٠/١) من غير إسناد عن أبي هريرة .

(٣) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط فاستدركته من الوفا لابن الجوزي (٥٠/١) . وسيأتي معنى المدراس (ص ١٣٦ ح ٣) .

(٤) في ط : لمبين .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح وفيها لفظ : الآية ، وهي من سورة الفتح الآية (٢٩) .

(٦) لم أجد في سيرة ابن إسحاق المطبوع ، وهو بنحوه في دلائل النبوة لأبي نعيم عن أحمد بن السندي ثنا الحسن بن علويه ثنا إسماعيل بن عيسى قال : ثنا إسحاق بن بشر قال : ثنا سعيد بن بشير ، به .

وروى غيره<sup>(١)</sup> عن وهب بن مُنبّه ، أنَّ بختنصر بعد أن خرّب بيت المقدس ، واستذلّ بني إسرائيل سبع سنين رأى في المنام رؤيا عظيمة هالته ، فجمع الكهنة والحُزّار ، وسألهم عن رؤياه تلك . فقالوا ليقصّها الملك حتى نخبره بتأويلها . فقال : إني أنسيْتُها . وإن لم تخبروني بها إلى ثلاثة أيام قتلْتُكم عن آخركم . فذهبوا خائفين وجِلين من وعيده . فسمع بذلك دانيال عليه السلام وهو في سجنه ، فقال للسجّان : اذهب إليه فقل له : إنّا هاهنا رجلاً عنده عِلْمُ رؤياك وتأويلها . فذهب إليه ، فأعلمه ، فطلبه ، فلما دخل عليه لم يسجدْ له ، فقال له : ما منعك من السجود لي ؟ فقال : إنّ الله آتاني علماً وعِلْمني ، وأمرني أن لا أسجدَ لغيره . فقال له بختنصر : إني أحبُّ الذين يوفون لأربابهم بالعهود ، فأخبرني عن رؤياي . قال له دانيال : رأيت صنماً عظيماً ، رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، أعلاه من ذهب ووسطه من فضّة ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخّار ، فبينما أنت تنظر إليه ، قد أعجبك حسنه وإحكامُ صنعته ، قدفّه الله بحجرٍ من السماء ، فوقع على قِمّة رأسه حتى طحنه ، واختلط ذهبه وفضّته ، ونحاسه وحديدته وفخّاره ، حتى تخيل لك أنّه لو اجتمع الإنس والجنُّ على أن يميزوا بعضه من بعض ، لم يقدروا على ذلك ؛ ونظرت إلى الحجر الذي قُذف به ، يزُبُو وَيَعْظُم وينتشر ، حتى ملأ الأرض كلّها ، فصرت لا ترى إلا الحجر والسماء .

فقال له بختنصر : صدقت ! هذه الرؤيا التي رأيتها ، فما تأويلها ؟ فقال دانيال : أما الصنم فأمرٌ مختلفٌ في أوّل الزمان وفي وسطه وفي آخره ؛ وأما الحجرُ الذي قُذف به الصنم فدينٌ يَقْذِفُ الله به هذه الأمم في آخر الزمان ، فيظهره عليها ، فيبعثُ الله نبياً أُميّاً من العرب ، فيدوِّخ به الأمم والأديان ، كما رأيت الحجر دَوّخ أصناف الصنم ، ويظهر على الأديان والأمم ، كما رأيت الحجر ظهر على الأرض كلّها ؛ فيمحصّ الله به الحق ، ويُزهقُ به الباطل ، ويَهْدِي به أهل الضلالة ، ويعلمُ به الأميين ، ويقوّي به الضّعفة ، ويُعزِّزُ به الأدلّة ، وينصر به المستضعفين .

وذكر تمامَ القصة في إطلاق بختنصر بني إسرائيل على يدي دانيال عليه السلام .

وذكر الواقدي بأسانيده عن المغيرة بن شعبة في قصة وفوده على المقوقس ملك الاسكندرية وسؤاله له عن صفات رسول الله ﷺ قريباً من سؤال هرقل لأبي سفيان صخر بن حرب ، وذكر أنه سأل أساقفة النصارى في الكنائس عن صفة رسول الله ﷺ وأخبروه عن ذلك ، وهي قصة طويلة ذكرها الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> .

وثبت في « الصحيح » أنَّ رسولَ الله مرَّ بِمِدرَاسٍ<sup>(٣)</sup> اليهود فقال لهم : « يا معشر يهود ، أسلموا ، فوالذي نفسي بيده ، إنكم لتجدون صفتي في كُتُبكم . . . » الحديث .

(١) تاريخ الطبري (١/ ٥٥٤) .

(٢) دلائل أبي نعيم (١/ ٨٥) .

(٣) « المِدراس » : بكسر أوله ، هو البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم . فتح الباري (٦/ ٢٧١) .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا موسى بن داود ، حَدَّثَنَا فليح بن سليمان ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار قال : لَقِيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت : أخبرني عن صفات رسول الله ﷺ في التوراة . فقال : أَجَلُ ، والله إِنَّهُ لموصوفٌ في التوراة بصفته في القرآن : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] وَحِزْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي ورسولي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَسْتَ بِفُظٍّ وَلَا غَلِيظٍ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمُوا الْمِلةَ<sup>(٤)</sup> الْعَوْجَاءَ ، بَأَن يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا .

ورواه البخاري<sup>(٥)</sup> عن محمد بن سنان العَوَاقِي ، عن فُليح به . ورواه أيضاً<sup>(٦)</sup> عن عبد الله - قيل ابن رجاء ، وقيل ابن صالح<sup>(٧)</sup> - عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن علي<sup>(٨)</sup> ، ولفظه قريبٌ من هذا وفيه زيادة .

ورواه ابن جرير<sup>(٩)</sup> من حديث فُليح ، عن هلال ، عن عطاء ، وزاد : قال عطاء : فَلَقِيتُ كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلف حرفاً .

وقال في البيوع<sup>(١٠)</sup> : وقال سعيد عن هلال ، عن عطاء ، عن عبد الله بن سلام .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي<sup>(١١)</sup> : أخبرناه أبو الحسين بن الفضل القطَّان ، حَدَّثَنَا عبد الله بن جعفر ، حَدَّثَنَا يعقوب بن سفيان<sup>(١٢)</sup> ، حَدَّثَنَا أبو صالح ، حَدَّثَنَا الليث ، حَدَّثَنِي خالد بن يزيد ، عن سعيد بن

(١) مسند الإمام أحمد (١٧٤/٢) .

(٢) في ح ، ط : لا فظ ولا غليظ ، والمثبت من مسند الإمام أحمد ، وهو حديث صحيح .

(٣) في ط : ولا سخَّاب في الأسواق ، والمثبت من ح ومسند الإمام أحمد . والسخَّاب من السخب ، وهو رفع الصوت بالخصام ، ويقال بالصاد المهملة بدل السين . فتح الباري (٣٤٣/٤) .

(٤) كذا في ح ، ط : وفي المسند : حتى يقيم به الملة العوجاء . قال ابن حجر في الفتح : العوجاء : أي ملة العرب ، ووصفها بالعوج لما دخل فيها من عبادة الأصنام ، والمراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان .

(٥) فتح الباري (٢١٢٥) البيوع باب كراهية السَّخَبِ في الأسواق .

(٦) في فتح الباري (٤٨٣٨) التفسير باب إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . ومعلقاً ومسنداً ، وانظر فتح الباري (٣٤٣/٤) و(٥٨٥/٨) .

(٧) في فتح الباري : عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وقال : كذا رواية أبي بكر وأبي علي بن السكن ، ووقع عند غيرهما « عبد الله » غير منسوب فتردد فيه أبو مسعود بين أن يكون ابن رجاء وابن صالح كاتب الليث . فتح الباري (٥٨٥/٨) .

(٨) في ح ، ط : علويه ، والمثبت من البخاري وترجمته في تهذيب التهذيب (٨٢/١١) .

(٩) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨٣/٩) في تفسير الآية (١٥٧) من سورة الأعراف . والحديث من الطريق المذكور مع الزيادة المشار إليها موجودة في الطبقات (٣٦٢/١) .

(١٠) يعني البخاري في كتاب البيوع ، فتح الباري (٣٤٣/٤) .

(١١) دلائل النبوة للبيهقي (٣٧٦/١) .

(١٢) المعرفة والتاريخ (٢٧٤/٣) وهو في قسم النصوص المقتبسة من المجلد المفقود منه .

أبي هلال [ عن هلال ]<sup>(١)</sup> بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن سلام أنه كان يقول : إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [ الأحزاب : ٤٥ ] وَحِزْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمِيَّتِهِ الْمَتَوَكَّلُ ، لَيْسَ بِفَقْطٍ وَلَا غَلِيظٌ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي السَّيِّئَةَ مِثْلَهَا ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَتَجَاوَزُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءُ بِأَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا ، وَأَذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا .

وقال عطاء بن يسار : وأخبرني الليثي أنه سمع كعب الأخبار يقول مثل ما قال ابن سلام .

قلت : وهذا عن عبد الله بن سلام أشبه ، ولكن الرواية عن عبد الله بن عمرو أكثر ، مع أنه كان قد وجد يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب<sup>(٢)</sup> ، وكان يحدث عنهما كثيراً ؛ وَلْيُعْلَمَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يُطْلِقُونَ التَّوْرَةَ عَلَى كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ أَعْمٌ مِنَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، وَقَدْ ثَبَتَ شَاهِدٌ ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ .

وقال يونس عن محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ شَرْحَبِيلٍ ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ<sup>(٤)</sup> قَالَتْ : قُلْتُ لَكَعْبِ الْأَخْبَارِ : كَيْفَ تَجِدُونَ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَ : نَجِدُهُ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ ، اسْمُهُ الْمَتَوَكَّلُ ، لَيْسَ بِفَقْطٍ وَلَا غَلِيظٌ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَأُعْطِيَ الْمِفْتَاحَ ، فَيَبْصُرُ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنًا عُورًا ، وَيُسْمِعُ بِهِ أَذَانًا وَقُرًا ، وَيُقِيمُ بِهِ أَلْسِنًا مُعْجِزَةً ، حَتَّى يَشْهَدُوا<sup>(٥)</sup> أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، يُعِينُ بِهِ الْمَظْلُومَ وَيَمْنَعُهُ .

وقد روي عن كعب من غير هذا الوجه<sup>(٦)</sup> .

وروى البيهقي<sup>(٧)</sup> عن الحاكم ، عن أبي الوليد الفقيه ، عن الحسن بن سفيان ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ<sup>(٨)</sup> بْنُ مُكْرَمٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو قَطَنٍ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ ، حَدَّثَنَا حَمْزَةُ الزِّيَّاتِ ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ

(١) ما بين معقوفين من دلائل أبي نعيم (٣٧٦/١) وترجمة هلال بن علي بن أسامة في تهذيب التهذيب (٨٢/١١) .

(٢) في ذلك أقوال مضت في الجزء الأول في قصة شعيب من هذا الكتاب والصفحة (٩٥) من هذا الجزء .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٣٧٦/١ ، ٣٧٧) .

(٤) في ط : عن ابن أبي أوفى عن أم الدرداء ، وليست هذه الزيادة في ح أو دلائل البيهقي .

(٥) في دلائل البيهقي : يُشْهَدُ .

(٦) هذه الرواية في طبقات ابن سعد (٣٦٠/١) .

(٧) في دلائل النبوة (٣٨١/١) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٠٨/٢) قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه . قال بشار : هكذا قال الحاكم ولا يصح كلامه البتة ، فعقبه بن مكرم الذي روى عنه الحسن بن سفيان لم

يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة فضلاً عن مسلم ، وهو عقبه بن مكرم بن عقبه بن مكرم الضبي الهلالي

الكوفي ، وقد ذكره المزني في التهذيب تمييزاً (٢٢٦/٢٠) له عن عقبه بن مكرم بن مكرم بن أفلح الصمي البصري

(٢٢٣/٢٠) ، وهو الذي أخطأ فيه الحاكم فظنه هو الراوي عن الحسن بن سفيان مع أن نسبه ضريباً .

(٨) في ح ، ط : عتبة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل وتهذيب المزني (٢٢٦/٢٠) .





وروى البيهقي<sup>(١)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن العيزار بن حريث<sup>(٢)</sup> ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَكْتُوبٌ في الإنجيل : لا فِظٌّ ولا غَلِيظٌ ، ولا سَخَابٌ في الأسواق ، ولا يَجْزِي بالسَيِّئَةِ مِثْلَهَا ، بل يَغْفُو وَيَصْفَح » .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا فَيْضُ الْبَجَلِيِّ ، حَدَّثَنَا سَلَامُ بْنُ مِسْكِينَ ، عَنْ مِقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ : جِدِّ فِي أَمْرِي ، وَاسْمَعْ وَأَطِعْ يَا بَنِي الطَّاهِرِ<sup>(٤)</sup> الْبَكْرِ الْبَتُولِ ، أَنَا خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فَخُلْ فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ؛ فَإِنِّي فَاعِبُكَ ، فَبَيْنَ أَهْلِ سُورَانَ بِالسُّرْيَانِيَةِ ، بَلَغَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ أَنِّي أَنَا الْحَقُّ الْقَائِمُ الَّذِي لَا يَزُولُ<sup>(٥)</sup> ، صَدَّقُوا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْعَرَبِيِّ ، صَاحِبِ الْجَمَلِ وَالْمِدْرَعَةِ وَالْعِمَامَةِ - وَهِيَ التَّاجُ - وَالنَّعْلَيْنِ وَالْهَرَاوَةِ - وَهِيَ الْقَضِيبُ - الْجَعْدِ الرَّأْسِ ، الصَّلَتِ الْجَبِينِ<sup>(٦)</sup> ، الْمَقْرُونِ الْحَاجِبِينَ ، الْأَنْجَلِ الْعَيْنِينَ ، الْأَهْدَبِ الْأَشْفَارِ<sup>(٧)</sup> ، الْأَدْعَجِ الْعَيْنِينَ<sup>(٨)</sup> ، الْأَقْنَى الْأَنْفِ<sup>(٩)</sup> ، الْوَاضِحِ الْخَدَّيْنِ ، الْكَثِّ اللَّحْيَةِ ، عَرَفَهُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ ، رِيحُ الْمِسْكِ يَنْفَحُ<sup>(١٠)</sup> مِنْهُ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ يُرِيْقُ فِضَّةً ، وَكَأَنَّ الذَّهَبَ يَجْرِي فِي تَرَاقِيهِ ، لَهُ شَعْرَاتٌ مِنْ لَبَّتِهِ إِلَى سُرَّتِهِ ، تَجْرِي كَالْقَضِيبِ ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، شُنُّ الْكَفِّ وَالْقَدَمِ<sup>(١١)</sup> ، إِذَا جَاءَ مَعَ النَّاسِ غَمَرَهُمْ ، وَإِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَتَقَلَّعُ<sup>(١٢)</sup> مِنَ الصَّخْرِ وَيَتَحَدَّرُ مِنْ صَبَبٍ ، ذُو النِّسْلِ الْقَلِيلِ - وَكَأَنَّهُ أَرَادَ الذَّكَورَ مِنْ صُلْبِهِ .

هكذا رواه البيهقي في « دلائل النبوة » من طريق يعقوب بن سفيان<sup>(١٣)</sup> .

- (١) في دلائل النبوة (١/٣٧٧) .
- (٢) في ح ، ط : حرب ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب (٨/٢٠٣) في ترجمته والتقريب .
- (٣) في المعرفة والتاريخ (٣/٢٧٥) وهو في قسم النصوص المقتبسة من المجلد المفقود منه .
- (٤) في ط : الطاهرة . جاء في اللسان ( طهر ) : والمرأة طاهرة من الحيض وطاهرة من النجاسة ومن العيوب .
- (٥) في ط : أزول .
- (٦) « الصلت الجبين » : الواسع الجبين ، الأبيض الجبين الواضح . التاج ( صلت ) .
- (٧) « الأهدب الأشفار » : أي طويل شعر الأجفان . التاج ( هذب ) .
- (٨) « الأدعج العينين » : يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد ، وقيل : إن الدعج عنده : سواد العين مع شدة بياضها . التاج ( دعج ) .
- (٩) « من القنى » : وهو ارتفاع في أعلى الأنف ، واحديداب في وسطه ، وسُبُوغ في طرفه اللسان ( قنا ) .
- (١٠) « نَفَحَ الطَّيْبُ » : إذا أَرَجَ وَفَاحَ . التاج ( نفح ) وفي ط : ينضح ، ومعناه ينحوه .
- (١١) أي أنهما تميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذي في أنامله غَلْظٌ بلا قصر ، ويُحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم . اللسان ( شن ) .
- (١٢) في ح ، ط : ينقلع ، والمثبت من دلائل النبوة ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢/٤٦) .
- (١٣) دلائل النبوة للبيهقي (١/٣٧٨) .

وروى البيهقي<sup>(١)</sup> عن عمر<sup>(٢)</sup> بن الحكم بن رافع بن سنان، حدّثني بعض عمومتي وآبائي ، أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية ، حتى جاء الله بالإسلام ، وهي<sup>(٣)</sup> عندهم ، فلما قدّم رسول الله ﷺ المدينة ذكروها له ، وأتوه بها مكتوبٌ فيها : بسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين في تباب . هذا الذّكر لأُمَّة تأتي في آخر الزمان يغسلون<sup>(٤)</sup> أطرافهم ، ويأتزرون<sup>(٥)</sup> على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، وفي عاد ما أهلكوا بالريح ، وفي ثمود ما أهلكوا بالصيحة . بسم الله ، وقوله الحق ، وقول الظالمين في تباب . ثم ذكر قصة أخرى ، قال : فعجب رسول الله ﷺ لما قرئت عليه ، لما فيها .

وذكرنا عند قوله تعالى في سورة الأعراف<sup>(٦)</sup> : ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] قصة هشام بن العاص الأموي حين بعثه الصديق ، في سرية إلى هرقل يدعوهُ إلى الله عزّ وجلّ ، فذكر أنّه أخرج لهم صُورَ الأنبياء في رُقعة ، من آدم إلى محمد صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين ، على النَّعْتِ والشَّكْلِ الذي كانوا عليه ؛ ثم ذكر أنّه لما أخرج صورة رسول الله ﷺ قام قائماً إكراماً له ، ثم جلس وجعل ينظرُ إليها ويتأمّلُها ؛ قال : فقلنا له : من أين لك هذه الصورة ؟ فقال : إنّ آدم سأل ربّه أن يُريّه الأنبياء من ذريته ، فأنزل عليه صورهم ، فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين ، فدفعها إلى دانيال . ثم قال : أما والله إنّ نفسي قد طابت بالخروج من مُلكي وأني كنت عبداً لأشركم مَلَكَةً<sup>(٧)</sup> حتى أموت . ثم أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فحدّثناه بما رأينا وما أجازنا وما قال لنا ، قال : فبكى وقال : مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل . ثم قال : أخبرنا رسول الله ﷺ أنّهم واليهود يجدون نَعْتَ محمدٍ عندهم .

رواه الحاكم بطوله فليُكتَب هاهنا من التفسير . ورواه البيهقي في دلائل النبوة<sup>(٨)</sup> .

(١) في دلائل النبوة (١/ ٣٨٢) .

(٢) في ح ، ط : عثمان بن الحكم بن رافع ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي وتهذيب التهذيب في ترجمته (٤٣٦/٧ ، ٤٣٧) .

(٣) في ط : وبقيت عندهم ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٤) في ط : ليلون ، وفي ح : يسلون ، وفي دلائل البيهقي : يسبلون ، والمثبت من الوفا لابن الجوزي .

(٥) في ح ، ط : ويوترون ، والمثبت من دلائل البيهقي والوفا .

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥١ - ٢٥٣) في تفسير الآية .

(٧) يقال : فلان حسنُ المَلَكَةِ ، إذا كان حسنُ الصنيع إلى ممالكه ، ومنه الحديث : « لا يدخل الجنة سيئ المَلَكَةِ » وهو حديث ضعيف أي الذي يُسيء صُحْبَةَ الممالك . النهاية (٤/ ٣٥٨) (ملك) .

(٨) دلائل النبوة (١/ ٣٨٥ - ٣٩٠) وقال ابن كثير بعد ذكر الخبر في تفسيره (٢/ ٢٥٣) وهكذا أورده الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتاب دلائل النبوة عن الحاكم إجازة ، فذكره ، وإسناده لا بأس به .

وقال الأموي<sup>(١)</sup> : حدثنا عبد الله بن زياد ، عن ابن إسحاق قال : وحدثني يعقوب بن عبد الله بن جعفر [ بن عمرو ]<sup>(٢)</sup> بن أمية ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن أمية قال : قدمت برقيق من عند النجاشي أعطانيهم فقالوا لي : يا عمرو لو رأينا رسول الله لعرفناه من غير أن نخبرنا . فمر أبو بكر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمر عمر فقلت : أهو هذا ؟ قالوا : لا ، فدخلنا الدار ، فمر رسول الله ﷺ فنادوني : يا عمرو ، هذا رسول الله ﷺ فنظرت ، فإذا هو من غير أن يخبرهم به أحد ، عرفوه بما كانوا يجدونه مكتوباً عندهم .

وقد تقدم إنذار سبأ لقوميه ، وبشارته لهم بوجود رسول الله ﷺ في شعر أسلفناه في ترجمته<sup>(٣)</sup> فأغنى عن إعادته ، وتقدم قول الحبرين من اليهود لتبع اليماني حين حاصر أهل المدينة : إنها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان ، فرجع عنها ونظم شعراً يتضمن السلام على النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> .

### قصّة سيف بن ذي يزن الحميري وبشارته بالنبي الأمي

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه « هواتف الجنان »<sup>(٥)</sup> : حدثنا علي ابن حرب ، حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم<sup>(٦)</sup> ، حدثنا عمرو بن بكر<sup>(٧)</sup> - هو ابن بكار القعنبي - عن أحمد ابن القاسم عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما ظهر سيف بن ذي يزن - قال أبو المنذر<sup>(٨)</sup> : واسمه النعمان بن قيس - على الحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنتين أتمته وفود العرب وشعراؤها تهنئته وتمدحه ، وتذكر ما كان من حسن بلائه ، وأتاه فيمن أتاه وفود قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأميه بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدعان ، وخويلد بن أسد ،

(١) انظر ص (٦٠) من هذا الجزء ح ١ .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في ح وهو من ط .

(٣) انظر في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) انظر في الشعر المشار إليه في الجزء الثاني عند قصة ربيعة بن نصر من هذا الكتاب .

(٥) في ح ، ط : هواتف الجنان وما أثبتته هو الاسم الصحيح كما سبقت الإشارة إليه (ص ٤٤ ح ٥) ، والنص هنا منقول منه (ص ١٨٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، وساق الخبر أيضاً أبو الفرج في الأغاني (٣١١/١٧) وما بعدها (ط دار الكتب) وابن عساكر مختصر ابن منظور (٥٧/٢ - ٦١) وابن الجوزي في الوفا (١/١٢٥ - ١٢٨) .

(٦) في هواتف الجنان : حدثنا عثمان بن حكيم .

(٧) في دلائل أبي نعيم : عمرو بن بكر ، ولم أقف على ترجمة له . وسيأتي بهذا اللفظ في الصفحة (١٤٥) في موضع الحاشية (١٢) .

(٨) في ح ، ط : ابن المنذر تصحيف ، والمثبت من الهواتف ، وهو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وقوله هذا في نسب معد (٥٤٥/٢) .

في أناسٍ من وجوه قريش ، فقدِمُوا عليه صنعاء ، فإذا هو في رأسِ غُمدان<sup>(١)</sup> الذي ذكره أمية بن أبي الصلت : [ من الطويل ]

واشربَ هنيئاً عليك التاجَ مرتفقاً في رأسِ غُمدانَ داراً منك مِخللاً<sup>(٢)</sup>

فدخل عليه الآذن ، فأخبره بمكانهم ، فأذن لهم ، فدنا عبد المطلب ، فاستأذنه في الكلام ، فقال له : إن كنت ممن يتكلم بين يدي [ الملوك ] فقد أذنًا لك . فقال له عبد المطلب : إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً ، صعباً منيعاً ، شامخاً باذخاً ، وأنتك منبتاً طابت أرومته ، وعزت جُرثومتُه<sup>(٣)</sup> ، وثبت أصله ، وبسق فزعه في أكرم موطن ، وأطيب معدن ، فأنت - أبيت اللعن<sup>(٤)</sup> - ملكُ العرب ، وربيعها الذي تُخصب به البلاد ، ورأس العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومَعْقِلُها الذي يلجأ إليه العباد . سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خيرُ خلف ، فلن يخمل<sup>(٥)</sup> من هم سلفه ، ولن يَهْلِكَ من أنت خلفه ؛ ونحن أيها الملك أهلُ حرم ، وسدنةُ بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي فدحنا ، [ فنحن ] وفدُ التهئة لا وفد المَرزئة<sup>(٦)</sup> .

قال : وأيُّهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال : اذن . فأذناه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورَحْلاً ، ومُستناخاً سهلاً ، ومَلَكاً رِبْحَلاً<sup>(٧)</sup> يُعطي عطاءً جزلاً . قد سمع الملك مقالتك ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والجِباءُ<sup>(٨)</sup> إذا ظعنتم . ثم أنهضوا إلى دار الكرامة والوفود ، فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال : يا عبد المطلب ، إني مفضي<sup>(٩)</sup> إليك من سرِّ علمي ، ما إن لو يكون غيرك

- 
- (١) « غمدان » : قصر في صنعاء ، بناه ليشرح بن يحصب ، وقيل : بناه سليمان بن داود عليهما السلام ، وفي معجم البلدان (٢١٠/٤) وصف لهذا القصر .
- (٢) البيت في ديوان أمية من قصيدة له (ص ٥٨٤) والمحلال : التي يكثر فيها الحلول والإقامة .
- (٣) « الجرثومة » : الأصل ، وكذلك الأرومة . اللسان ( أرم ، جرثم ) .
- (٤) « أبيت اللعن » : كلمة كانت العرب تحيي بها ملوكها في الجاهلية ؛ معناه : أبيت أيها الملك أن تأتي ما تلعن عليه . اللسان ( لعن ) .
- (٥) في ح ، ط : يخمد ، والمثبت من هواتف الجنان .
- (٦) « المرزئة » : المصيبة . اللسان ( رزأ ) .
- (٧) « الملك الرِبحل » : الكثير العطاء . اللسان ( ربحل ) . وعبارة ح : مرحباً وأهلاً وسهلاً وناقة ورَحْلاً ، ومستناخاً ومَلَكاً رِبْحَلاً ، والمثبت من هواتف الجنان وط .
- (٨) « الجِباء » : العطاء بلا مَنْ ولا جزاء . اللسان ( حبو ) .
- (٩) في ح : مفوض ، وكذا في هواتف الجنان .

لم أُنح به ، ولكني رأيتك مَعْدِنَه ، فأطلعتك طَلِيعَةً<sup>(١)</sup> ، فليكن عندك مطويّاً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله بالغ أمره ، إني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجناهُ دون غيرنا خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرَهْطك كافة ولك خاصة . فقال عبد المطلب : أيها الملك ، مثلك سرّ وبرّ ، فما هو فداؤك أهل الوبر . زمراً بعد زمّر ؟ قال : إذا ولد مولودٌ بتهامة ، غلامٌ بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أثبت بخير ما آب به وافد ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته<sup>(٢)</sup> إياي ما أزداد به سروراً .

قال ابنُ ذي يزن : هذا حينه الذي يولد فيه ، أو قد وُلد ، واسمه محمد ، يموت أبوه وأُمّه ، ويكفله جدّه وعمّه . ولَدَناه مراراً ، والله باعته جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً يُعزُّ بهم أوليائه ، ويُذل بهم أعداءه ، يضربُ بهم الناس عن غرض ، ويستبيحُ بهم كرائم الأرض ، يكسر الأوثان ، ويُخمد النيران ، يعبد الرحمن ، ويذخر الشيطان ، قوله فضل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويُبطله . فقال عبد المطلب : أيها الملك عزّ جدُّك وعلا كعبك ، ودام ملكك ، وطال عمرك ؛ فهل الملك ساري<sup>(٣)</sup> بإفصاح ، فقد وضح لي بعض الإيضاح ؟ فقال ابنُ ذي يزن : والبيتُ ذي الحُجب ، والعلاماتُ على النُصب<sup>(٤)</sup> ، إنك يا عبد المطلب ، لجَدّه غير كذب . فخرّ عبد المطلب ساجداً ، فقال : ارفع رأسك ، تَلَجَّ صَدْرُكَ ، وعلا أَمْرُكَ ، فقد أحسست شيئاً مما ذكرتُ لك . فقال : أيها الملك ، كان لي ابن ، وكنْتُ به مُعْجَباً ، وعليه رفيقاً ، فزوّجته كريمةً من كرائم قومه ، آمنة بنت وَهْب ، فجاءت بغلام سَمِيئته محمداً ، فمات أبوه وأُمّه ، وكفلته أنا وعمّه . قال ابنُ ذي يزن : إنّ الذي قلتُ لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، واطو ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرّهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تدخل لهم<sup>(٥)</sup> النَّفَاسَةُ من أن تكون لهم<sup>(٦)</sup> الرياسة ، فيطلبون له

- (١) كذا في ح ، ط. وهواتف الجنان ، وفي النهاية (١٣٣/٣) واللسان (طلع) : أطلعتك طَلَعَه ؛ أي : أعلمتك ، الطلّع بالكسر : اسم من اطلع على الشيء إذا علمه .
- (٢) كذا في ط وفي ح : اساره . وفي هواتف الجنان والوفا : ساره ، وأظن الصواب : مُسَارَتِهِ .
- (٣) العبارة في ط هكذا : فهذا نجاري فهل الملك سار لي بإفصاح فقد أوضح . . . وفي ح هكذا : فهذا ساري بإفصاح فقد وضح ، والمثبت من هواتف الجنان والوفا لابن الجوزي وساري : من ساره في أذنه مسارة : إذا ناجاه وأعلمه سرّه . اللسان (سر) .
- (٤) في ح ، ط وهواتف الجنان : النقب ، والمثبت من الوفا لابن الجوزي ، ومختصر ابن منظور ، والنصب : جمع نصيبة ، وهي علامة تنصب للقوم . التاج (نصب) .
- (٥) في ح : يدخل لهم ، وفي هواتف الجنان : تدخلهم .
- (٦) في ط : لكم ، والمثبت من ح وهواتف الجنان .

الغوائل<sup>(١)</sup> ، وينصبون له الحبال ، فهم فاعلون أو أبناؤهم ، ولولا أنني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه ، لسرتُ بخيلي وزجلي حتى أصير يثرب دار ملكي<sup>(٢)</sup> ، فإني أجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق ، أن يثرب استحكّام أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قبره ؛ ولولا أنني أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات لأعلنتُ على حداثة سنّه أمره ، ولأوطأتُ أسنان العرب عقبه ، ولكنني صارفتُ ذلك إليك ، من<sup>(٣)</sup> غير تقصير بمن معك . قال : ثم أمر لكل رجلٍ منهم بعشرة أعبد وعشر إماء وبمئة من الإبل ، وحلتين من البرود ، وبخمسَةِ أرطالٍ من الذهب ، وعشرة أرطالٍ فضّة وكَرشٍ مملوء<sup>(٤)</sup> عَنبراً ، وأمرَ لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال له : إذا حالَ الحولُ فأتني . فمات ابنُ ذي يزن قبل أن يحولَ الحول ؛ فكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيلٍ عطاء الملك ، فإنه إلى نفاذ ، ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبِي من بعدي ، ذكره وفخره وشرفه ، فإذا قيل له : متى ذلك ؟ قال : سيُعلم ولو بعد حين . قال : وفي ذلك يقول أمية بن عبد شمس<sup>(٥)</sup> : [ من الوافر ]

جلبنا النضح تحقُّبه <sup>(٦)</sup> المطايا	على أكوارٍ أجمالٍ ونوقٍ
مُغلَّلة مرافقُها <sup>(٧)</sup> تغالي	إلى صنعاء من فجٍّ عميقٍ
تؤمُّ بنا ابنَ ذي يزن وتفرِّي	بذاتٍ بطنونها ذمَّ الطريق <sup>(٨)</sup>
وترعى من مخايله بُروقاً	مواصلةً الوميض إلى بُروق <sup>(٩)</sup>
فلما واصلتُ <sup>(١٠)</sup> صنعاء حلَّتْ	بدارِ المُلْك والحسب العريق

وهكذا رواه الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(١١)</sup> من طريق عمرو بن بكير بن بكار القعني<sup>(١٢)</sup> .

- (١) « الغوائل » : الدواهي . اللسان ( غول ) .
- (٢) في ح ، ط : يثرب ، وفي ط : مملكته ، والمثبت من هواتف الجنان .
- (٣) في ح ، ط : عن ، والمثبت من هواتف الجنان والوفا لابن الجوزي .
- (٤) كذا في ح ، ط والهواتف ، والصواب : مملوءة لأن الكرش مؤنثة .
- (٥) ويروى الشعر لأمية بن أبي الصلت ، والأبيات في ديوانه (ص ٤٢٤ ، ٤٢٥) .
- (٦) كذا ضبط في هواتف الجنان ، ولعل الصواب في ضبطه : تحقُّبه ، ويروى تحمله كما في ديوان أمية .
- (٧) في ح : مغلَّلة مراتعها تغالي ، وفي ط : مقلَّفة ، وفي هواتف الجنان : مغلَّلة مراقعها تغالي ، ورواية النهاية واللسان ( غلل ) : مغلَّلة مغالقتها تغالي ، والمثبت من الديوان والأغاني . والمغلَّلة : المسرعة في سيرها ، والمرافق : جمع مرفق ، وهو المفصل بين الساعد والعضد ، وتغالي : تتغالي ، أي تسرع .
- (٨) كذا في ح ، ط وهواتف الجنان ، ورواية الديوان والوفا : بطون خفافها أم الطريق . وأم الطريق أعظمها . وهو أشبه بالصواب .
- (٩) رواية الديوان : ونلمح من مخايله بروقاً .
- (١٠) رواية الديوان وهواتف الجنان : واقعت .
- (١١) الدلائل ( ١١٤ / ١ ) - ١١٩ .
- (١٢) قال بشار : هذا من رواية الكلبي عن أبي صالح باذام ، وقد قال أبو صالح له : كل ما حدثتك فهو كذب (الميزان ٢٩٦ / ١) .

ثم قال أبو نعيم<sup>(١)</sup> : أخبرت عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد ربه<sup>(٢)</sup> بن محمد بن عبد العزيز ابن عفير بن<sup>(٣)</sup> عبد العزيز بن السفر بن عفير بن زرعة بن سيف بن ذي يزن ، حدّثني أبي أبو يزن إبراهيم ، حدّثنا عمي أحمد بن محمد<sup>(٤)</sup> أبو رجاء<sup>(٥)</sup> به ، حدّثنا عمي محمد بن عبد العزيز ، حدّثني عبد العزيز بن عفير ، عن أبيه ، عن زرعة بن سيف بن ذي يزن الحميري قال : لما ظهر جدي سيف بن ذي يزن على الحبشة . وذكره بطوله<sup>(٦)</sup> .

وقال أبو بكر الخرائطي<sup>(٧)</sup> : حدّثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القلوسي ، حدّثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية ، أخبرني أبي عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية ، عن جدّه أبي سوية ، عن أبيه خليفة قال : سألت محمد بن عدي<sup>(٨)</sup> بن ربيعة بن سواء بن جشم<sup>(٩)</sup> بن سعد فقلت : كيف سمّاك أبوك محمداً ؟ فقال : سألت أبي عمّا سألتني عنه ، فقال : خرجتُ رابعَ أربعةٍ من بني تميم أنا منهم ، وسفيان بن مجاشع بن دارم ، وأسامة بن مالك بن جندب بن العنبر<sup>(١٠)</sup> ، ويزيد بن ربيعة بن كايبة<sup>(١١)</sup> بن

- 
- (١) ليس هذا القول في المطبوع من الدلائل وهو في دلائل البيهقي (١٤٠٩/٢) .
- (٢) كذا في ح ، ط وفي دلائل البيهقي وميزان الاعتدال (٤٤/١) والإصابة (٤٢٨/٢) ترجمة عبد العزيز بن سيف : « إبراهيم بن عبد الله » .
- (٣) في دلائل البيهقي : عن .
- (٤) في دلائل البيهقي : أحمد بن حبيش وفي الإصابة : أحمد بن حسين .
- (٥) كذا في ط ، وفي ح : رخي . قال الذهبي في الميزان : فهؤلاء لا يدري من هم . وقال ابن حجر في الإصابة : ورجال هذا الإسناد مجاهيل .
- (٦) وهذا إسناد تالف ، كلهم مجهولون لا يدري من هم ، كما بينه الإمام الذهبي في الميزان (٤٤/١) (بشار) .
- (٧) في كتابه هواتف الجنان (ص ١٩٣) والخبر ساقه أبو نعيم في دلائل النبوة (١١٢/١ ، ١١٣) والبيهقي أيضاً في الدلائل (١١٤/٢) وابن عساكر في تاريخه مختصر ابن منظور (٣٠٥/١٦) وهو بتحقيقي وابن الجوزي في الوفا (٤٦/١ ، ٤٧) وابن حجر في الإصابة (٣٧٩/٣ ، ٣٨٠ ، ٥١٣) والسيوطي في الخصائص (٢٣/١) . وانظر طبقات ابن سعد (١٦٩/١) والروض (١٨٢/١) ، في إسناده مجاهيل .
- (٨) في ح ، ط : محمد بن عثمان . وهي تصحيف ، والمثبت من مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر والوفا لابن الجوزي والدلائل والإصابة .
- (٩) في ح ، ط : خثعم ، وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل أبي نعيم والبيهقي ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر والإصابة ، وجمهرة النسب لابن الكلبي (٣٣٤/١) (ط العظم) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ٢١٥) .
- (١٠) ليس : ابن العنبر في ح وفي ط : ابن العقيد . والمثبت من الهواتف ومختصر ابن منظور والإصابة . وجمهرة النسب لابن الكلبي (٣٦٣/١) ط العظم . وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ٢٠٨) .
- (١١) في ح ، ط والهواتف : كنانة ، والمثبت من الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٠٤) وجمهرة النسب لابن الكلبي (٣٧١/١) - (٣٧٣) ط العظم ، وجمهرة النسب لابن حزم (ص ٢١١) .



حُرْقُوص<sup>(١)</sup> بن مازن ، ونحن نُريد ابنَ جفنة ملك غَسَّان ، فلما شارفنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات ، فتحدثنا فسمع كلامنا راهب ، فأشرف علينا فقال : إِنَّ هذه لغةٌ ما هي بلغة [ أهل ]<sup>(٢)</sup> هذه البلاد . قلنا : نعم ، نحن قومٌ من مُضَر . قال : من أيِّ المُضَرِّيِّين ؟ قلنا : من خِنْدِف . قال : أما إنه سيبعث [ فيكم ]<sup>(٣)</sup> وشيكاً نبيٌّ خاتم النبيين ، فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فقلنا له : ما اسمه ؟ قال : اسمه محمد . قال : فرجعنا من عند ابن جفنة ، فولد لكل واحدٍ منا ابنٌ فسماه محمداً . يعني أَنَّ كلَّ واحدٍ منهم طمع في أن يكون هذا النبيُّ المبشَّر به ولده .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي<sup>(٤)</sup> : حدثنا عبد الله بن أبي سعد ، حدثنا حازم بن عقال بن<sup>(٥)</sup> حبيب ابن المنذر بن أبي الحصن<sup>(٦)</sup> بن السَّمْوَال بن عاديء ، [ حدثني جامع بن خيران<sup>(٧)</sup> بن جُميع بن عثمان بن سماك بن أبي الحصن<sup>(٨)</sup> بن السَّمْوَال بن عاديء ]<sup>(٩)</sup> قال : لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر الوفاة ، اجتمع إليه قَوْمُهُ من غَسَّان فقالوا : إنه قد حضر من أمر الله ما ترى ، وقد كنَّا نأمرُك بالتزويج في شبابك فتأبى ، وهذا أخوك الخَزْرَج له خمسة بنين ، وليس لك ولدٌ غير مالك . فقال : لن يَهْلِكَ هالك تركَ مثل مالك ، إِنَّ الذي يُخرج النارَ من الوئيمة<sup>(١٠)</sup> ، قادرٌ أن يجعلَ لمالكِ نَسْلاً ، ورجالاً بَسْلاً ، وكلُّ إلى الموت . ثم أقبل على مالك وقال : أيُّ بُني ، المنية ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلُّد ولا التلذُّذ<sup>(١١)</sup> ، القبر خيرٌ من الفقر ، إِنَّه مَنْ قَلَّ ذَلٌّ<sup>(١٢)</sup> ؛ ومن كَرَمَ الكريمِ الدَّفْعُ عن الحريم ؛ والدَّهْرُ يومان ، فيوم لك ، ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تَبْطُرْ ، وإذا كان عليك فاصْطَبِرْ ، وكلاهما سينحسر ، ليس يفلتُ منهما الملك المتَّوَج ، ولا اللئيم المُعْلَهَج<sup>(١٣)</sup> ، سَلِّمْ ليومك حيَّاك ربك ، ثم أنشأ يقول : [ من الطويل ]

(١) في ح ، ط : حربوص . وهو تصحيف ، والمثبت من الهواتف والاشتقاق (ص ٢٠٣) وجمهرة ابن الكلبي وابن حزم المذكورين في الحاشية السابقة والتاج (حرقص) .

(٢) ما بين معقوفين من الهواتف .

(٣) في كتابه هواتف الجنان (ص ١٨٧) ، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه مختصر ابن منظور (٢/ ٦٣) ، وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ٢٨ ، ٢٩) وساق الخبر أبو علي الفاي في أماليه (١/ ١٠٢) بنحوه عن أبي بكر بن دريد عن ابن الكلبي .

(٤) انفردت ط بزيادة : عقال بن زهر بن حبيب .

(٥) في ط : أبي الحصين . والمثبت من ح والهواتف والإكمال (٢/ ٢٧٨) .

(٦) في ط : جابر بن جدان ، والمثبت من الهواتف والإكمال (٢/ ٢٧٨) .

(٧) في ط : سماك بن الحصين والمثبت من الهواتف والإكمال .

(٨) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٩) « الوئيمة » : الصخرة ، والحجر المكسور . النهاية واللسان ( وثم ) .

(١٠) « التلذُّذ » : التلقت يميناً وشمالاً تحييراً . اللسان ( لد ) . ووقع في مختصر ابن منظور . « التلذذ » وهو تصحيف .

(١١) انفردت ط بزيادة : من كَرَّ فَرَّ .

(١٢) في ح والهواتف : المعالج ، قلت : لعل الصواب فيه : العُلْج . وهو الشديد من الرجال قتالاً ونطاحاً . والمثبت من =

شَهِدْتُ السَّيَايَا يَوْمَ آلٍ مُحَرَّقٍ وَأَدْرَكَ عُمْرِي<sup>(١)</sup> صِيحَةً اللَّهِ فِي الْحَجْرِ  
فَلَمْ أَرَ ذَا مُلْكٍ مِنَ النَّاسِ وَاحِداً وَلَا سُوقَةً إِلَّا إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ  
فَعَلَّ الَّذِي أَرْدَى ثَمُوداً وَجُرْهُمَا سَيِّعِبُ لِي نَسْلاً عَلَى آخِرِ الدَّهْرِ  
تَقَرُّ بِهِمْ مِنْ آلِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ عِيُونٌ لَدَى الدَّاعِي إِلَى طَلَبِ الْوِثْرِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنْ لَمْ تَكُ الْإِيَّامُ<sup>(٣)</sup> أَبْلِينَ جِدَّتِي وَشَيَّئَنَ رَأْسِي وَالْمَشِيبُ مَعَ الْعُمْرِ  
فَإِنَّ لَنَا رَبّاً عَلا فَوْقَ عَرْشِهِ عَلِيماً بِمَايَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ  
أَلَمْ يَأْتِ قَوْمِي أَنَّ اللَّهَ دَعَا يَفُورُ بِهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْبَرِّ  
إِذَا بُعِثَ الْمَبْعُوثُ مِنْ آلٍ غَالِبٍ بِمَكَّةَ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْحَجْرِ  
هَنَالِكَ فَابْتَغُوا نَصْرَهُ بِلَادِكُمْ بَنِي عَامِرٍ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي النَّصْرِ

قال : ثم قضى من ساعته<sup>(٤)</sup>

### باب في هواتف الجان

#### وما ألقته الجنان على ألسنة الكهان ومسموعاً من الأوثان

وقد تقدّم كلامُ شِقِّ وَسَطِيحٍ لربيعَةَ بنِ نصرٍ ملكِ اليمنِ في البشارةِ بوجودِ رسولِ اللهِ ﷺ<sup>(٥)</sup> . رسولُ زكي ، يأتي إليه الوحي ، من قبل العلي . وسيأتي في المولد قول سَطِيحٍ لعبد المسيح<sup>(٦)</sup> : إذا كثرت التلاوة ، وغاضت بحيرة ساوه ، وظهر صاحبُ الهِراوة ، يعني بذلك رسولُ اللهِ ﷺ كما سيأتي بيانه مفصلاً .

وقال البخاري<sup>(٧)</sup> : حدّثنا يحيى بن سليمان الجُعفي ، حدّثني ابنُ وَهْبٍ ، حدّثني عُمر - وهو ابن محمد بن زيد - أن سالماً حدّثه عن عبد الله بن عمر قال : ما سمعتُ عمر يقولُ شيئاً قط : إني لأظنّه كذا

= ط والأمالي ، والمعلّج : الأحمق اللّثيم والدعي الذي ليس بخالص النسب . التاج ( علّج ) .

(١) في ح ، ط : أمري ، والمثبت من الهواتف ومختصر ابن منظور والخصائص .

(٢) « الوِثْر » : الثَّار . اللسان ( وتر ، ذحل ) .

(٣) كذا في ح ، ط ، وفي الهواتف ومختصر ابن منظور : فإن لم تكن الأيام .

(٤) إسنادُه تالف ، وعلامات الوضع بادية عليه ( بشار ) .

(٥) مضى هذا النص في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٦) كذا في ح ، ط : وهذا يدل على تقدم هذا الباب لأن قول سَطِيحٍ مضى في (ص ٤٥) وانظر (ص ٤٢ ح ٤) .

(٧) فتح الباري (٣٨٦٦) مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وما يأتي بين معقوفين منه .

إلا كان كما يُظنّ . بينما عمر بن الخطاب جالسٌ إذ مرَّ به رجلٌ جميل ، فقال [ عمر : ] لقد أخطأ ظني ، أو : إنّ هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، عليّ الرّجل . فدعا به<sup>(١)</sup> فقال له ذلك ، فقال : ما رأيت كالיום استقبل به رجلاً مسلماً<sup>(٢)</sup> . قال : فإني أعزمُ عليك إلا ما أخبرتني . قال : كنتُ كاهنهم في الجاهلية<sup>(٣)</sup> . قال : فما أعجبُ ما جاءكُك به جَنِيَّتُكَ ؟ قال : بينما أنا يوماً في السُّوق ، جاءتني أعرفُ فيها الفَزَع ، فقالت : [ من الرجز ]

أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبِلَاسَهَا<sup>(٤)</sup> وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا<sup>(٥)</sup> ؟

وَلَحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَخْلَاسِهَا<sup>(٦)</sup>

- (١) كذا في ح ، وفي ط : فدعي به ، وفي فتح الباري : فدعي له ، والرجل هو سواد بن قارب كما سيأتي وكما في فتح الباري .
- (٢) رواية البخاري : استقبل به رجل مسلم ، وقال ابن حجر في شرحه : في رواية النسفي وأبي ذر رجلاً مسلماً . ورأيت مجوداً بفتح تاء ( استقبل ) على البناء للفاعل وهو محذوف تقديره : أحد ، وضبطه الكرمانى استقبل بضم التاء ، وأعرب رجلاً مسلماً على أنه مفعول رأيت ، وعلى هذا فالضمير في قوله : به ، يعود على الكلام ، ويدل عليه السياق .
- (٣) قال ابن حجر في الفتح ( ١٧٩ / ٧ ، ١٨٠ ) : الكاهن الذي يتعاطى الخبر من الأمور المغيبة . . . ولقد تلفظ سواد في الجواب إذ كان سؤال عمر عن حاله في كهانته إذ كان من أمر الشرك ، فلما ألزمه أخبره بآخر شيء وقع له لما تضمن من الإعلام بنبوّة محمد ﷺ وكان سبباً لإسلامه . وقال في ( ٢١٦ / ١٠ ، ٢١٧ ) : والكهانة : ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب ، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة ، فيلقيه في أذن الكاهن . . . وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوة فيهم وهي على أصناف : منها ما يتلقونه من الجن ، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه ، إلى أن يتلقاه من يلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب ، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ . وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما ، وأما في الإسلام فقد نذر ذلك جداً حتى كاد يضمحل والله الحمد ؛ ثانيها : ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً ، أو يطلع عليه من قرب لا من بعد ؛ ثالثها : ما يستند إلى ظن وتخمين وحس ، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه ؛ رابعها : ما يستند إلى التجربة والعادة ، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر ، وقد يعتضد بعضهم في ذلك بالزجر والطرق والنجوم ، وكل ذلك مذموم شرعاً . وورد في ذم الكهانة ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الحاكم من حديث أبي هريرة رفعه : « من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . ثم ساق ابن حجر شواهد لهذا الحديث وأفاض .
- (٤) « إبلاسها » : تحيّرهما ودَهَشهما . النهاية ( ١٥٢ / ١ ) بلس .
- (٥) « اليأس » : ضد الرجاء ، والإنكاس : الانقلاب ، قال ابن فارس : معناه أنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته ، فانقلبت عن الاستراق قد يئست من السمع ( فتح الباري ١٨٠ / ٧ ) .
- (٦) « القِلاص » : جمع قُلص ، وهو جمع قُلوص ، وهي الفتية من النياق ، والأحلاس جمع حِلَس ، وهو ما يوضع =

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عند آلهتهم إذ جاء رجلٌ يَعْجَلُ فذبحَهُ ، فصرخ به صارخٌ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صَوْتاً منه يقول : يا جَلِيحٌ<sup>(١)</sup> ، أَمُرُّ نَجِيح ، رجلٌ فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . فوثب القوم ، فقلت : لا أَبْرُحُ حتى أعلمَ ما وراءَ هذا . ثم نادى : يا جليح ، أَمُرُّ نَجِيح ، رجلٌ فصيح يقول لا إله إلا الله ، فقمْتُ فما نَشَبْنَا أن قيل : هذا نَبِيٌّ . تفرَّد به البخاري .

وهذا الرجل هو سَوَاد بن قَارِب الأزدي ، ويقال السَّدُوسي ، من أهل الشَّرَاة من جبال البَلْقَاء<sup>(٢)</sup> له صحبة ووفادة .

قال أبو حاتم وابن مَنَدَه : روى عنه سعيد بن جبير ، وأبو جعفر محمد بن علي ، وقال البخاري : له صحبة .

وهكذا ذكره في أسماء الصحابة أحمد بن [هارون بن]<sup>(٣)</sup> روح البرذعي الحافظ ، والدَّارَقُطْنِي<sup>(٤)</sup> ، وغيرُهما .

وقال الحافظ عبد الغني بن سعيد المِضْرِي<sup>(٥)</sup> : سَوَاد بن قَارِب بالتخفيف .

وقال عثمان الوقَّاصي عن محمد بن كعب القُرَظِي : كان من أشرف أهل اليمن . ذكره أبو نعيم في «الدلائل»<sup>(٦)</sup>

وقد رُوي حديثه من وجوهٍ أخر مطوَّلة بأبسط من رواية البخاري<sup>(٧)</sup>

= على ظهور الإبل تحت الرِّحْل . ووقع هذا القسيم (الشرط) غير موزون ؛ وفي رواية الباقر «ورحلها العيس بأحلاسها» وهذا موزون . فتح الباري (٧/ ١٨٠ ، ١٨١) .

«جليح بوزن عظيم» : معناه الوقح المكافح بالعداوة ؛ قال ابن التين : يحتمل أن يكون نادى رجلاً بعينه ، ويحتمل أن يكون أراد من كان بتلك الصفة . قال ابن حجر : ووقع في معظم الروايات : يا آل ذريح ، وهم بطن مشهور من العرب . فتح الباري (٧/ ١٨١) وقال السهيلي في الروض (١/ ٢٤٢) : يا جليح : سمعت بعض أشياخنا يقول : هو اسم شيطان ، والجليح في اللغة ما تطاير من رؤوس النبات وخفَّ نحو الفطر وشبهه .

(٢) في ح ، ط : السراة ، بالسين المهملة ، والمثبت من مختصر ابن منظور (١٠/ ٢١١) ومعجم البلدان (١/ ٤٨٩) البلقاء) و(٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢ الشراة) والبلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وبالبلقاء مدينة الشراة شراة الشام ، أرض معروفة وبها الكهف والرقيم فيما زعم بعضهم .

(٣) إضافة مفيدة لأنه منسوب إلى جده ، وهو البرديجي المتوفى سنة ٣٠١ هـ صاحب كتاب طبقات الأسماء المفردة .

(٤) المؤلف والمختلف (٣/ ١٢٣٣) .

(٥) راجع المؤلف والمختلف لعبد الغني ، ص ٧١ .

(٦) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١١١ ، ١١٢) (طبعة القلعي ١٤٠٦ هـ) .

(٧) ساق المصنف بعض هذه الوجوه فيما يأتي ، وأشارت إلى أماكنها ، وينضاف إليها دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٧- ١٤٢) ودلائل البيهقي (٢/ ٢٤٨ - ٢٥٤) ومستدرک الحاكم (٣/ ٦٠٨ - ٦١٠) وذكر الخبر ابن حجر في الإصابة ترجمة سواد عن ابن أبي خيثمة والرويانى من طريق أبي جعفر الباقر ، وابن عبد البر في الاستيعاب ، والهيثمى في =

وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتَّهَمُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي النَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلٌ<sup>(٢)</sup> الْمَسْجِدَ يَرِيدُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلَى شِرْكِهِ ، مَا فَارَقَهُ بَعْدَ ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ ثُمَّ جَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : هَلْ أَسْلَمْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَهَلْ كُنْتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : سَبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَقَدْ خَلْتُ فِي<sup>(٣)</sup> ، وَاسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتَهُ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مِنْذُ وَلِيتَ مَا وَلِيتَ . فَقَالَ عُمَرُ : اللَّهُمَّ غَفِرًا ، قَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَعْتَنُقُ الْأَوْثَانَ ، حَتَّى أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِرَسُولِهِ وَبِالْإِسْلَامِ . قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ كُنْتُ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبُكَ . قَالَ : جَاءَنِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَعْبَةٍ<sup>(٤)</sup> فَقَالَ : أَلَمْ تَرَ إِلَى الْجِنَّ وَابْنِهَا ، وَإِيَّاسِهَا مِنْ دِينِهَا ، وَلِحَوْقِهَا<sup>(٥)</sup> بِالْقِلَاصِ وَأَخْلَاسِهَا .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

[ قال عبد الله بن كعب ] : فقال عمر عند ذلك يحدث الناس : والله إني لعند وثني من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلًا ، فنحن ننتظر أن يقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتًا ما سمعت صوتًا قط أشد منه ، وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعه يقول : يا ذريح ، أمرٌ نجيح ، رجلٌ يصيح<sup>(٧)</sup> ، يقول : لا إله إلا الله .

قال ابن هشام : ويقال رجل يصيح<sup>(٧)</sup> ، بلسان فصيح<sup>(٨)</sup> ، يقول : لا إله إلا الله . قال : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر : [ من السريع ]

= مجمع الزوائد عن الطبراني (٨/ ٢٤٨ - ٢٥٠) والسيوطي في الخصائص (١/ ١٠٢) والبغداد في شرح أبيات مغني اللبيب (٦/ ٢٧١ - ٢٧٥) وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٧٩) : وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض .

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٩) والروض (١/ ٢٤٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في السيرة والروض : داخلا .

(٣) « خلت في » : من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم في المثل : من يسمع يخل ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : من يسمع يخل . دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي خلت في دليل أيضاً ، وهو قوله : في ، كأنه قال : خلت في الشر أو نحو هذا . الروض (١/ ٢٤٢) .

(٤) أي قدّر شهر أو نحوه . غريب الحديث للخطابي (٢/ ٥٢١) .

(٥) في ح : وتخرقها ، والمثبت من ط .

(٦) في السيرة والروض : قال ابن هشام .

(٧) في ح : فصيح ، والمثبت من ط والسيرة والروض .

(٨) في ح : نصيح والمثبت من ط والسيرة والروض .

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِنْسَانِهَا      وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا  
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى      مَا مُؤْمِنُو<sup>(١)</sup> الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حُجْرٍ بْنُ النُّعْمَانِ السَّامِيُّ<sup>(٣)</sup> ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورِ الْأَبْنَاوِيِّ<sup>(٤)</sup> ، عَنْ عَثْمَانَ<sup>(٥)</sup> بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَقَّاصِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ . قَالَ : بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ ، فَقِيلَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَعْرِفُ هَذَا الْمَارَّ ؟ قَالَ : وَمَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : هَذَا سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ الَّذِي أَتَاهُ رَأْيُهُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : فَأَرْسَلُ إِلَيْهِ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْتَ عَلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ كَهَانَتِكَ ؟ قَالَ : فَغَضِبَ ، وَقَالَ : مَا اسْتَقْبَلَنِي بِهَذَا أَحَدٌ مِنْذُ أُسْلِمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِكِ أَعْظَمُ مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنْ كَهَانَتِكَ ! فَأَخْبَرَنِي مَا أَنْبَأَكَ رَأْيُكَ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَا أَنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي رَأْيِي فَضْرَبَنِي بِرَجْلِهِ وَقَالَ : قُمْ يَا سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ، وَاسْمَعْ مَقَالَتِي ، وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ ، إِنَّهُ قَدْ بُعِثَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ : [ مِنَ السَّرِيعِ ]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا      وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَقْتَابِهَا<sup>(٦)</sup>  
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى      مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكُذَّابِهَا  
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ      لَيْسَ قَدَامَهَا كَأَذْنَابِهَا<sup>(٧)</sup>

قال : قلت : دعني أنام فإني أُمِسْتُ نَاعَسًا . قال : فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله

- (١) في ح : مومني .
- (٢) الخبر في مسند أبي يعلى (٢٦٣/١) وهو في دلائل النبوة للبيهقي (٢٥٢/٢ ، ٢٥٣) ، وأخرجه المعافي بن زكريا في المجلس الصالح (٦٧/٢) عن عبد الباقي بن قانع عن محمد بن زكريا الغلابي عن بشر بن حجر عن علي بن منصور به .
- (٣) في ح ، ط : الشامي ، بالشين المعجمة ، وهو تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٥٥٧/٤) والأنساب (١٦/٧) ودلائل البيهقي .
- (٤) في ط والمطبوع من دلائل البيهقي : « الأنباري » وهو تحريف ، فقد قيده الحافظ معين الدين بن نقطة الحنبلي في إكمال الإكمال في باب « الأنباري والأبياري والأبناوي الأنماري » ، فقال : « وأما الأبناوي بعد الباء المعجمة بواحدة نون وبعد الألف واو فهو : . . . وعلي بن منصور الأبناوي ، حدث عن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي بقصة سواد ابن قارب ، روى عنه بشر ( هكذا وقع عنده ، وصوابه : يحيى ) بن حجر بن النعمان السامي » (١٦٧/١) ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في التبصير (٣٦/١) ، وكذلك ذكره المزي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي من التهذيب (٤٢٦/١٩) .
- (٥) في ط : محمد بن عبد الرحمن الوقاصي وفي ح : محمد بن عثمان الوقاصي ، وفي الحاشية : وجميعه تصحيف ، والمثبت من اللباب (٣٧٠/٣) وتهذيب المزي (٤٢٥/١٩) وتهذيب التهذيب (١٣٣/٧) ودلائل البيهقي .
- (٦) « الأقتاب » : جمع قَتَبَ ، وهو الرخل الصغير على قدر سنام البعير . المعجم الوسيط ( قتب ) .
- (٧) الصفوة ، مثلثة الصاد ، والكسر أفصح اللغات فيه ، صفوة الشيء : خياره وأخلصه . المجلس (٧٠/٢) .

وقال : قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه بُعث رسولٌ من لُؤيّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول : [ من السريع ]

عجبتُ للجنّ وتخبّارها      وشدّها العيسَ بأكوارها  
تهوي إلى مكة تبغي الهدى      ما مؤمنو الجنّ ككفارها  
فازحلّ إلى الصّفوة من هاشم      بين روابيها وأحجارها

قال : قلت : دعني أنام ، فإنني أُمسيْتُ ناعساً . فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لُؤيّ بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول : [ من السريع ]

عجبتُ للجنّ وتَحساسِها<sup>(١)</sup>      وشدّها العيسَ بأحلاسها  
تهوي إلى مكة تبغي الهدى      ما خيرُ الجنّ كأنجاسها  
فازحلّ إلى الصّفوة من هاشم      واسمُ بعينيك إلى رأسها

قال : فقمْتُ وقلت : قد<sup>(٢)</sup> امتحن الله قلبي ، فرحلتُ ناقتي ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلَه ، فدنوتُ فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هات ، فأنشأتُ أقول : [ من الطويل ]

أتاني نَجِيّ بعدَ هذه ورقدة      ولم يك فيما قد بلوتُ<sup>(٣)</sup> بكاذب  
ثلاث ليالٍ قوله كلّ ليلة      أتاكَ رسولٌ من لُؤيّ بن غالب  
فشمّرتُ عن ذيلي الإزارَ ووسّطتُ      بي الذّعلبُ الوجناء غُبرَ السّباسبِ<sup>(٤)</sup>  
فأشهدُ أنّ الله لا شيءَ غيره      وأنتَ مأمونٌ على كلّ غائب  
وأنتَ أذنّى المرسلينَ وسيلة      إلى الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايِبِ  
فمُرنا بما يأتيك يا خيرَ مَنْ مَشَى      وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذّوائِبِ  
وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعة      سِواكَ بِمُغْنٍ عن سِوَادِ بن قاربِ

(١) قال ابن حجر في الفتح (١٨٠/٧) : وتحساسها : بفتح المثناة وبمهملات ، أي : أنها فقدت أمراً فشرعت تفتش عليه .

(٢) ليست : قد في ح .

(٣) في ح : يكون ، وفي ط : والمثبت من الروايات الأخرى .

(٤) « الذّعلب » : الناقة السريعة . « الوجناء » : الغليظة الصلبة ، وقيل : العظيمة الوجنتين . « وغبر السباسب » : القفار والمفاوز التي لا يهتدى للخروج منها ، مفرداً : غبراء سبب . النهاية (١٦١/٢) ذعلب) و(١٥٨/٥) وجن) و(٣٣٧/٣) غبر) و(٣٣٤/٢) سبب) . وقال المعافى : السباسب ، وهي الأقضية الواسعة من الأرض ، وهي ما كان قفراً أملس . الجليس (٧٠/١) .

قال : ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقاتلي فرحاً شديداً ، حتى رُئي الفرخ في وجوههم . قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب فالتزمه وقال : قد كنتُ أشتهي أن أسمعَ هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رؤيتك اليوم ؟ قال : أمّا منذُ قرأتُ القرآن فلا ، ونعم العوضُ كتابُ الله من الجن .

ثم قال عمر : كنا يوماً في حيٍّ من قريش يقال لهم : آل ذريح ، وقد ذبحوا عَجَلاً لهم والجزار يُعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جوفِ العجل ولا نرى شيئاً ، قال : يا آل ذريح ، أمرُ نجيح ، صائح يصيح ، بلسانٍ فصيح ، يشهدُ أن لا إله إلا الله .

وهذا منقطعٌ من هذا الوجه ، ويشهد له رواية البخاري . وقد تساعدوا على أن السامع الصوت من العجل هو عمر بن الخطاب والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتابه الذي جمعه في هواتف الجن<sup>(١)</sup> : حدّثنا أبو موسى عمران بن موسى المؤدّب ، حدّثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، حدّثنا سعيد بن عبيد الله الوصّافي<sup>(٢)</sup> ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : دخل سَوَادُ بن قارب السدوسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : نشدتك بالله يا سواد بن قارب ، هل تُحسن اليوم من كهانتك شيئاً ؟ فقال : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! ما استقبلتُ أحداً من جُلّسائك بمثل ما استقبلتني به ! قال : سبحان الله يا سواد ! ما كنا عليه من شِرْكنا أعظمُ مما كنتُ عليه من كهانتك ؛ والله يا سواد ، لقد بلغني عنك حديثٌ إنه لعجبٌ من العجب ! [ قال : إي والله يا أمير المؤمنين إنه لعجبٌ من العجب ]<sup>(٣)</sup> . قال : فحدّثنيه . قال : كنتُ كاهناً في الجاهلية ، فبينما أنا ذات ليلة نائمٌ إذ أتاني نَجِيي ، فضربني برجله ، ثم قال : يا سَوَاد ، اسمعُ أقلّ لك . قلت : هات . قال : [ من السريع ]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَنْجَاسِهَا      وَرَخِلَهَا الْعَيْسَ بِأَخْلَاسِهَا  
تهوي إلى مكة تبغي الهدى      ما مؤمنوها مثلُ أَرْجَاسِهَا  
فارحل إلى الصفوة من هاشم      واسمُ بعينيك إلى رأسِهَا

قال : فنمتُ ولم أحفل بقوله شيئاً ؛ فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ثم قال لي : قم يا سَوَاد بن قارب ، اسمع أقلّ لك . قلت : هات . قال : [ من السريع ]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا      وَرَخِلَهَا<sup>(٤)</sup> الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا

(١) (ص ١٤٨) وقد جاء في ح ، ط : هواتف الجن ، وما أثبتته هو الصحيح . انظر (ص ٤٤ ح ٥) .

(٢) في ط : الوصابي . والمثبت من ح والهواتف والإكمال (٧/ ٤٠٠) واللباب (٣/ ٣٦٨) . ضعفه أبو حاتم . الجرح والتعديل (٤/ ٣٨) وميزان الاعتدال (٢/ ١٥٠) ولسان الميزان (٣/ ٣٧) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ح وهو في ط والهواتف .

(٤) في ط : وشدها . والمثبت من ح والهواتف .



تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادقوا الجنَّ كُذَّابُهَا  
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس المقاديمُ كأذئابها

قال : فحرَّك قوله مني شيئاً ، ونمت ؛ فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ثم قال :  
يا سواد بن قارب ، أتَعْقِلُ أم لا تعقل ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظهر بمكة نبيٌّ يدعو إلى عبادة ربِّهِ<sup>(١)</sup>  
فالحَقُّ به ، اسمع أقل لك . قلت : هات ، قال : [ من السريع ]

عجبتُ للجنِّ وأخبارها<sup>(٢)</sup> ورَحِلَها العيسَ بأكوارها  
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمنوها مثل كُفَّارها<sup>(٣)</sup>  
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روايها وأحجارها<sup>(٤)</sup>

قال : فعلمتُ أنَّ الله أرادَ بي خيراً ؛ فقمْتُ إلى بُرْدَةِ لي ، ففتقْتُها ولبستُها ، ووضعتُ رجلي في  
غَرْزٍ<sup>(٥)</sup> ركاب الناقة ، وأقبلتُ حتى انتهيتُ إلى النبي ﷺ فعرض عليَّ الإسلام ، فأسلمتُ ، وأخبرته  
الخبر . قال : « إذا اجتمع المسلمون فأخبرهم » . فلما اجتمع المسلمون قمت فقلت : [ من الطويل ]

أتاني نَجِيي بعدَ هذه ورَقْدَةٍ ولم يكُ فيما قد بَلَوْتُ بكاذِبِ  
ثلاث ليالٍ قوله كُلَّ ليلةٍ أتاكَ رسولٌ من لُؤَيِّ بن غالبِ  
فشمَرْتُ عن ذيلي الإزارَ ووسَّطْتُ بي الذَّعلْبُ الوَجْناءُ غُبْرَ السَّبَاسِبِ  
وأعلمُ أنَّ الله لا ربَّ غِـرُّهُ وأتُك مأمونٌ على كلِّ غائبِ  
وأُنك أدنى المرسلينَ وسيلةً إلى الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايِبِ  
فمُرْنَا بما يأتِيكَ يا خيرَ مرسلٍ وإن كان فيما جاء شَيْبُ الذوائِبِ

قال : فسُرَّ المسلمون بذلك ، فقال عمر : هل تُحِسُّ اليومَ منها بشيء ؟ قال : أمَّا مُذْ<sup>(٦)</sup> علَّمني الله  
القرآنَ فلا .

وقد رواه محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، عن عمر بن حفص قال : لما ورد سَوَاد بن قارب على  
عمر قال : يا سَوَاد بن قارب ، ما بقي من كهانتك ؟ فغضب وقال : ما أَظُنُّكَ يا أمير المؤمنين استقبلتَ أحداً  
من العرب بمثل هذا ، فلما رأى ما في وجهه من الغضب ، قال : انظرْ سواد ، للذي كنَّا عليه قبلَ اليوم من

(١) في ح : عبادة الله .

(٢) في ط : وتنفارها .

(٣) في ح : ما مؤمنوها ككفارها ، وفي ط : ما مؤمنوا الجن ككفارها . والمثبت من الهواتف .

(٤) في الهواتف : وأخبارها ، وفوقها إشارات تضييب .

(٥) « الغرز » : ركاب الرحل ، من جلود مخروزة ، فإذا كان من حديد أو خشب فهو ركاب ، وغرز رجله في الغرز :  
وضعها فيه ليركب وأثبتها . اللسان ( غرز ) .

(٦) في ط : إذ ، والمثبت من ح والهواتف .

الشُّركَ أعظم . ثمَّ قال : يا سواد ، حدَّثني حديثاً كنتُ أَسْتَهِي أَسْمعه منك . قال : نعم ، بينا أنا في إِبِلٍ لي بالشرأة<sup>(١)</sup> ليلاً وأنا نائم ، وكان لي نَجِيٌّ ، فأَتاني<sup>(٢)</sup> فضرِبني برجله فقال لي : قم يا سواد بن قارب ، فقد ظهر بتهامة نبيٍّ يدعو إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم . فذكر القصة كما تقدم وزاد في آخر الشعر : [من الطويل]  
وَكُنْ لي شَفِيعاً يَوْمَ لا ذُو قَرَابَةٍ      سِوَاكَ بِمَغْنٍ عن سَوَادِ بن قَارِبٍ  
فقال رسولُ الله ﷺ : « سِرِّ في قومِكَ وقل هذا الشعر فيهم » .

ورواه الحافظ ابن عساكر<sup>(٣)</sup> من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي ، عن عباد بن عبد الصمد عن سعيد بن جبير قال : أخبرني سواد بن قارب الأزدي . قال : كنتُ نائماً على جبلٍ من جبال الشراة فأَتاني آتٍ فضرِبني برجله . وذكر القصة أيضاً .

ورواه<sup>(٤)</sup> أيضاً من طريق محمد بن البراء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء قال : قال سواد بن قارب : كنت نازلاً بالهند فجاءني رَيْيٌّ ذات ليلة ، فذكر القصة .

وقال بعد إنشاد الشعر الأخير فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذُه وقال : « أَفْلَحْتَ يا سَوَاد » .

وقال أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة »<sup>(٥)</sup> : حدَّثنا عبد الله بن جعفر<sup>(٦)</sup> ، حدَّثنا عبد الرحمن بن الحسن ، حدَّثنا علي بن حرب ، حدَّثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله العُماني<sup>(٧)</sup> قال : كان منا رجلٌ يقال له : مازن بن الغضوبة<sup>(٨)</sup> يَسُدُّ صنماً بقرية يقال لها : سمايا ، من عُمان ، وكانت تعظمه بنو الصامت وبنو خِطامة<sup>(٩)</sup> ومهرة ، وهم أخوال مازن - أمه<sup>(١٠)</sup> زينب بنت

(١) في ح ، ط : السراة بالسین المهملة .

(٢) في ط : وكان لي نجي من الجن أتاني .

(٣) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٢١١/١٠) .

(٤) لم أجد الرواية في تاريخ ابن عساكر لعدم توفر الأجزاء التي ضمت ترجمة (سواد) .

(٥) دلائل النبوة (١٤٢/١ - ١٤٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢٥٨/٢) عن علي بن حرب به ، وذكره ابن حجر في الإصابة (ترجمة مازن بن الغضوبة) والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٤٧/٨) والسيوطي في الخصائص (١٠٣/١) . ومن بداية هذا الخبر إلى موضع ح ١٧ من المتن متقدم في ط متأخر في ح ، يدل على ذلك أرقام صفحات ح في الهامش .

(٦) في ح ، ط : عبد الله بن محمد بن جعفر ، والمثبت من دلائل أبي نعيم ، وهو عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس أو عبد الله بن جعفر الجابري ، وأبو نعيم يروي عنهما . سير أعلام النبلاء (٥٥٣/١٥ و ١٦/١٣٣) .

(٧) في دلائل أبي نعيم : المعافى .

(٨) في ح : المغضوبة . من غير إعجام ، وفي ط : العضوب بالعين المهملة ، وفي دلائل أبي نعيم : الغضوب ، وما أثبتناه من سائر المصادر المذكورة آنفاً وتجريد الذهبي (٤٠/٢) : وفي التاج (غضب) : وغضوبة بطن من العرب . ويسدن فهو سادن ، والسادن هو خادم الكعبة وبيت الأصنام . اللسان (سدن) .

(٩) في ح ، ط : خطامة . بالحاء المهملة والمثبت من دلائل أبي نعيم وجمهرة ابن دريد (٢٣٢/٢) والاشتقاق له (ص ٢٧٤ ، ٤٤٦) ، والضبط من اللباب (٤٥٢/١) وضبط في الجمهرة والاشتقاق بضم الخاء المعجمة ضبط قلم .

(١٠) كذا في ط وفي دلائل أبي نعيم : أخوان مازن لأمه .

عبد الله بن ربيعة بن خويص<sup>(١)</sup> . أخبرني أحد بني نمران - قال مازن : فَعَتَرْنَا ذات يوم عند الصنم عَتِيرَةً - وهي الذبيحة<sup>(٢)</sup> - فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : يا مازن ، اسمعُ تُسَرَّ ، ظَهَرَ خَيْرٌ وَبُطْنُ شَرٍّ ، بُعِثَ نَبِيٌّ من مُضَرٍّ ، بدينِ اللهِ الأكبرِ<sup>(٣)</sup> ، فدَعَ نَحِيئاً من حَجَرٍ ، تَسَلَّمَ من حَرٍّ سَقَرٍ . قال : ففزعْتُ لذلك فزعاً شديداً ، ثُمَّ عَتَرْنَا بعد أيام عَتِيرَةً أُخْرَى ، فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : أَقْبِلْ إِلَيَّ أَقْبِلْ ، تسمعُ ما لا يُجْهَلُ ، هذا نبيٌّ مرسل ، جاء بحق مُنْزَلٍ ، فَأَمْنُ به كي تُعْدَلَ ، عن حَرٍّ نارٍ تُشْعَلُ ، وقودها الجَنْدَلُ<sup>(٤)</sup> . قال مازن : إِنَّ هذا لعجب ، وَإِنَّ هذا لَخَيْرٌ يُرَادُ بي .

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلت : ما الخبر وراءك ؟ فقال : ظهر رجلٌ يقال له : أحمد ، يقول لمن أتاه : أجيئوا داعيَ الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعتُ ، فثُرْتُ إلى الصنم فكسرتُه أَجْذاذاً<sup>(٥)</sup> ، وركبتُ راحلتي حتى قدمت على رسول الله ﷺ فشرح الله صدري للإسلام ، فأسلمت ، وقلت : [من البسيط]

كسرتُ باجراً أَجْذاذاً وكانَ لنا رَبّاً نُطِيفُ به ضِلاًّ بِتَضَلُّالٍ<sup>(٦)</sup>  
 بالهَاشِمِيِّ هَدَانَا مِن ضَلالَتنا ولم يَكُنْ دينُهُ مِنِّي على بالٍ  
 يا راكباً بَلْغَنَ عَمراً وإِخوتَهَا<sup>(٧)</sup> إِنِّي لِمَنْ قال ربي باجراً قالِ

يعني بعمر بن الصامت وإخوتها خطامة<sup>(٨)</sup> . فقلت : يا رسول الله إني امرؤ<sup>(٩)</sup> مولعٌ بالطرب ، وبالهَلُوكِ من النساءِ<sup>(١٠)</sup> وبشرب الخمر ، وألحَّت علينا السُّنُونُ فأذهبنَ الأموال ، وأهزلنَ الذَّراري ، وليس لي ولد ، فأدعُ الله أن يُذهب عني ما أجد ، ويأتينا بالحيا ، ويهب لي ولداً . فقال النبي ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالإثم وبالغُهر عِفَّةً ، وآتِه بالحيا ، وهَبْ له ولداً » قال : فأذهب الله عني ما أجد ، وأخصبتُ عُمان ، وتزوجتُ أربع حرائر ، وحفظت شَطْرَ

(١) كذا في ح ، ط وفي دلائل أبي نعيم : حويص . بالحاء المهملة ولم أقف على ترجمة له .

(٢) جاء في النهاية (٣/ ١٧٨ / عتر) العتيرة التي كانت تعترها الجاهلية ، فهي الذبيحة التي كانت تذبح للأصنام ، فيصب دمها على رأسها .

(٣) في ح : يدين الله أكبر .

(٤) « الجندل » : الحجارة . اللسان ( جندل ) .

(٥) في الدلائل : فمرت إلى الصنم فكسرتُه جذاذاً . والمثبت من ح والنهاية (١/ ٢٥٠ / جذذ) وأجذاذاً : أي قطعاً وكِسراً ، واحداً جَذَّ .

(٦) « باجر » : تكسر جيمه وتفتح ، ويروى بالحاء المهملة ، وكان في الأزد . النهاية (١/ ٩٧ / بجر) والأصنام لابن الكلبي (ص ٦٣) . ويقال للباطل : ضِلٌّ بتضلال . اللسان ( ضلل ) .

(٧) في دلائل البيهقي : وإخوته .

(٨) انظر الصفحة السابقة ، الحاشية (٩) .

(٩) ليست اللفظة في ح .

(١٠) « الهلوك من النساء » : الفاجرة ، وقيل : هي المتساقطة على الرجال . النهاية (٥/ ٢٧١ / هلك) .

القرآن ، ووهب لي حَيَّان بن مازن ، وأنشأ<sup>(١)</sup> يقول : [ من الطويل ]

إليك رسول الله خَبَّتْ مطيَّتي      تجوبُ الفيافي من عُمانَ إلى العَرَجِ<sup>(٢)</sup>  
لتشفع لي يا خيرَ من وطىء الثرى      فيغفر لي ربي فأرجعُ بالفَلَجِ<sup>(٣)</sup>  
إلى معشرٍ خالفتُ في الله دينهم      فلا رأيُهُم رأيي ولا شرُّهُم شرَّجي<sup>(٤)</sup>  
وكنْتُ امرأً بالخمَرِ والعُهرِ مُولعاً      شبابي حتى آذنَ الجسمُ بالنَّهَجِ<sup>(٥)</sup>  
فبدَّلني بالخمَرِ خوفاً وخشيَةً      وبالعُهرِ إحصاناً فحَصَّن لي فَرْجي<sup>(٦)</sup>  
فأصبحت هَمِّي في الجهادِ ونيتي      فله ما صَوَّمي ولله ما حَجَّي<sup>(٦)</sup>

قال : [ فلما أتيت قومي أنَّبوني وشتُموني ]<sup>(٧)</sup> ، وأمروا شاعراً لهم فهجاني ، فقلت : إن رددتُ عليه فإنما أهجو نفسي ؛ فرحلتُ عنهم فأتتني منهم زُلفَةٌ عظيمة ، وكنْتُ القيِّمَ بأمورهم ، فقالوا : يا بن عم ، عُبنا عليك أمراً وكرهنا ذلك ، فإنَّ أبيت ذلك فارجعْ وقم بأمورنا ، وشأنك وما تدين به . فرجعتُ معهم وقلت : [ من البسيط ]

لَبَغُضُّكُمْ عندنا مُرٌّ مذاقته      وبُغُضُّنا عندكم يا قومنا لَبَنٌ<sup>(٨)</sup>  
لا يَفْطِنُ الدَّهْرُ إن بُتَّ معاييكم      وكلُّكم حينَ يُنسى عَيْنُنا فِطْنُ  
شاعرُنا مُفَحِّمٌ عنكم وشاعرُكم      في جَدْبنا مُبْلَغٌ في شَتْمنا لَسِنٌ<sup>(٩)</sup>  
ما في القلوبِ عليكم فاعلموا وَغَرٌ<sup>(١٠)</sup>      وفي قلوبِكُم البغضاءُ والإحْنُ  
قال مازن : فهداهم الله بعدُ إلى الإسلام<sup>(١١)</sup> جميعاً .

- (١) في الدلائل لأبي نعيم والبيهقي : وأنشأت .
- (٢) « العَرَج » : عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا . معجم البلدان (٩٩/٤) .
- (٣) « الفَلَج » ، بفتح فسكون : الفوز والنصر . التاج ( فلج ) .
- (٤) يقال : ليس هو من شرجه : أي من طبقته وشكله . النهاية (٢/٤٥٦ شرح) .
- (٥) « النَّهَج » : البلى . النهاية (٥/١٣٤ نهج) .
- (٦) إلى هنا ينتهي الخبر في دلائل أبي نعيم ، وتتمته في دلائل البيهقي بنحوه .
- (٧) ليس ما بين المعقوفين في ح .
- (٨) في ح ودلائل البيهقي ومجمع الزوائد : لين بالياء ، والمثبت من ط .
- (٩) « المفحِّم » : العيى ، ومن لا يقدر يقول شعراً . وأفحمه الهمُّ : منعه قول الشعر . « والجَدْب » : العيب والذم . وفي ح ، ط : حذبنا . بالحاء المهملة ، ولا يصح وفي دلائل البيهقي : حربنا .
- (١٠) « الوَغَر » بفتح فسكون ، ويُحرَّك : الحقد والضغن والعداوة . التاج ( وغر ) . وفي ح : رعب .
- (١١) في ح : بالإسلام . وإلى هنا تنتهي القطعة المتقدمة في ط المتأخرة في ح .

وروى الحافظ أبو نعيم<sup>(١)</sup> ، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل<sup>(٢)</sup> ، عن جابر بن عبد الله قال : إنَّ أولَ خبرٍ كان بالمدينة بمبعث رسولِ الله ﷺ أنَّ امرأةً بالمدينة كان لها تابعٌ من الجن ، فجاء في صورة طائرٍ أبيض ، فوقع على حائطٍ لهم ، فقالت له : لِمَ لا تنزلُ إلينا فتحدِّثنا ونحدِّثك ، وتخبرنا ونخبرك ؟ فقال لها : إنه قد بُعث نبيٌّ بمكة حرَّم الزَّنا ومنع منا القرار<sup>(٣)</sup>

وقال الواقدي : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزُّهري ، عن علي بن الحسين قال : إنَّ أولَ خبرٍ قدم المدينة عن رسولِ الله ﷺ أنَّ امرأةً تُدعى فاطمة كان لها تابع ، فجاءها ذات يوم ، فقام على الجدار ، فقالت : ألا تنزل ؟ فقال : لا ، إنه قد بُعث الرسول الذي حرَّم الزَّنا<sup>(٤)</sup>

وأرسله بعض التابعين<sup>(٥)</sup> أيضاً وسمَّاه بابن لوزان ، وذكر أنه كان قد غاب عنها مدة ، ثمَّ لما قدم عاتبته فقال : إني جئتُ الرسولَ فسمعتُه يحرمُ الزَّنا ، فعليك السلام .

وقال الواقدي : حدَّثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قال عثمان بن عفان : خرجنا في غير إلى الشام قبل أن يُبعث رسولُ الله ﷺ فلما كنا بأفواه الشام - وبها كاهنة - فتعرَّضتُنا ، فقالت : أتاني صاحبي فوقف على بابي ، فقلت : ألا تدخل ؟ فقال : لا سبيل إلى ذلك ، خرج أحمد ، وجاء أمرٌ لا يُطاق . ثم انصرفْتُ ، فرجعتُ إلى مكة ، فوجدتُ رسولَ الله ﷺ قد خرج بمكة يدعو إلى الله عزَّ وجل .

وقال الواقدي<sup>(٦)</sup> : حدَّثني محمد بن عبد الله الزهري قال : كان الوحي يُسمع ، فلما كان الإسلام مُنعوا ، وكانت امرأةً من بني أسد يقال لها : سعيرة ، لها تابع من الجن ، فلما رأى الوحي لا يُستطاع ، أتاها فدخل في صدرها ، فضجَّ في صدرها ، فذهب عقلُها ، فجعل يقول من صدرها : وُضع العناق ، ومُنع الرِّفاق ، وجاء أمر لا يُطاق ، وأحمد حرَّم الزَّنا .

(١) في دلائل النبوة (١/ ١٣١) وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ٩٢) رقم (١٢٢) وابن سعد في الطبقات (١/ ١٨٩ ، ١٩٠) عن عبد الله بن جعفر الرقي عن عبيد الله بن عمرو به والإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٥٦) عن أبي المليح به ، وأخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٨/ ٢٤٣) والخطيب في الأسماء المبهمة (ص ٢٥٩) وسمَّى المرأة فيه ب : فطيمة الثرية ، وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٣) .

(٢) عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد ، فهو ضعيف عند التفرد ، وقد تفرد هنا (بشار) .

(٣) في مسند الإمام أحمد : الفرار . بالفاء .

(٤) طبقات ابن سعد (١/ ١٦٧) فيه الخبر بنحوه من طرق عن الزهري وعن علي بن الحسين ، وإسناده ضعيف ، لإرساله .

(٥) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ١٣٢) .

(٦) أخرجه ابن سعد بنحوه في الطبقات (١/ ١٦٧) عن علي بن محمد عن عبد الله بن محمد القرشي عن الزهري .

وقال الحافظ أبو بكر الخرائطي<sup>(١)</sup> : حدثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حدثنا عُمارة بن زيد ، حدثنا عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، عن حماد بن عمار ، عن مِرْدَاس بن قيس الدَّوْسِي<sup>(٢)</sup> قال : حضرتُ النَّبِيَّ ﷺ وقد ذُكِرَتْ عنده الكهانةُ ، وما كان من تعبيرها<sup>(٣)</sup> عند مخرجه فقلت : يا رسول الله ، قد كان عندنا في ذلك شيءٌ ، أخبرك أنَّ جاريةً مَنّا يقال لها : الْخَلْصَة ، لم نعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت : يا معشر دَوْس ، الْعَجَبُ الْعَجَبُ لما أصابني ! هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت : إنِّي لفي غنمي ، إذ غشيتني ظُلْمَةٌ ، ووجدتُ كَحْسَ الرجل مع المرأة ، فقد خَشِيتُ أن أكون قد حَبِلْتُ . حتى إذا دنت ولادتها ، وضعتُ غلاماً أغضف<sup>(٤)</sup> ، له أذنان كأذني الكلب ، فمكث فينا حتى إنَّه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبةً ، وألقى إزاره ، وصاح بأعلى صوته وجعل يقول : يا وَيْلَهُ يا وَيْلَهُ ! يا عَوْلَهُ يا عَوْلَهُ<sup>(٥)</sup> ! يا ويل غنم ! يا ويل فهم ، من قابس النار . [من الرجز]

### الْخَيْلُ وَاللَّهُ وَرَاءَ الْعَقَبَةِ فِيهِنَّ فِتْيَانٌ حَسَنَاتٌ نَجَبَةٌ

قال : فركبنا وأخذنا للأداة<sup>(٦)</sup> ، وقلنا : يا ويلك ! ما ترى ؟ فقال : هل من جارية طامث ؟ فقلنا : ومن لنا بها ؟ فقال شيخٌ منا : هي والله عندي ، عفيفة الأم ، فقلنا : فعجلها ، فأُتِيَ بالجارية ، وطلع الجبل ، وقال للجارية : اطرحي ثوبك واخرجي في وجوههم . وقال للقوم : اتَّبِعُوا أثرها . وقال لرجلٍ منا يقال له : أحمر بن حابس ، فقال : يا أحمر بن حابس ، عليك أوَّلَ فارس . فحمل أحمر ، فطعن أولَ فارسٍ فصصره ، وانهزموا فغنمناهم . قال<sup>(٧)</sup> : فابتيننا عليهم بيتاً وسَمَّيناهُ ذا الْخَلْصَةِ ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول ؛ حتى إذا كان مبعثُك يا رسول الله قال لنا يوماً : يا معشر دَوْس نزلت<sup>(٨)</sup> بنو الحارث بن كعب فاركبوا ، فركبنا ، فقال لنا : اكْدِسُوا الْخَيْلَ كَدْساً<sup>(٩)</sup> ، [و] احشوا القوم رَمْساً ،

(١) في هواتف الجنان (ص ١٥١/٤) وأخرجه ابن عساكر عن الخرائطي في السيرة النبوية (١/٣٦٥) وما يأتي بين معقوفين منهما ، وإسناده ضعيف ، واستغربه المصنف .

(٢) في ح ، ط السدوسي ، والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر نسخة (د) والإصابة ترجمة مرداس بن قيس .

(٣) في ح ، ط : تغييرها . والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر نسخة (د) والإصابة ترجمة مرداس بن قيس .

(٤) « الأغضف » : كل مثنٍ متكسرٍ مسترخٍ ، وكلب أغضف : إذا صار مسترخي الأذن لطولها وسعتها . اللسان (غضف) .

(٥) « الويل » : الحزن والهلاك والمشقة ، ومعنى النداء فيه : يا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احضر ، فهذا وقتك وأوانك . وأما الْعَوْلُ : فهو من العويل والبكاء والاستغاثة ، ولا يتكلم به إلا مع (ويله) . اللسان (ويل ، عول) .

(٦) كذا في ح ، ط : وفي الهواتف وابن عساكر : الأداة . وفي اللسان (أدا) : العرب تقول : أخذ هداته أي أدواته ، على البذل . وأخذ للدهر أدواته : من العدة . ورجل مؤدٍ : ذو أداة : شاك في السلاح .

(٧) في ح والهواتف وابن عساكر : قالوا . والمثبت من ط .

(٨) في ح : يركب .

(٩) « كدست الخيل » : ازدحمت في سيرها فركب بعضها بعضاً . التاج والمعجم الوسيط (كدس) .

(١٠) كذا في ح ، ط والهواتف ، وأظن الصواب : واحشوا ، والرمس : تراب القبر .

الْقَوْمُ<sup>(١)</sup> غُدْيَةً ، واشربوا الخمر عشية . قال : فلقيناهم . فهزمونا وغلبونا ، فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك ؟ وما الذي صنعت بنا ؟ فنظرنا إليه وقد احمرت عيناه وانتصبت<sup>(٢)</sup> أذناه وانبرم غضباناً<sup>(٣)</sup> حتى كاد أن ينفطر ، وقام ؛ فركبنا واغترفنا هذه له ، ومكثنا بعد ذلك حيناً ، ثم دعانا فقال : هل لكم في غزوة تهب لكم عزّاً ، وتجعل لكم جزراً ، ويكون في أيديكم كنزاً ؟ فقلنا : ما أخرجنا إلى ذلك ! فقال : اركبوا فركبنا فقلنا : ما تقول ؟ فقال : بنو الحارث بن مسلمة ، ثم قال : [ قفوا . فوقفنا ، ثم قال ]<sup>(٤)</sup> : عليكم بفهم . ثم قال : ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمضّر ، هم أرباب خيل ونعم . ثم قال : لا ، رهط دريد بن الصّمّة ، قليل العدد ، وفي الذمّة . ثم قال : لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة ، واسكنوها ضيعة<sup>(٥)</sup> عامر بن صعصعة ، فليكن بهم الواقعة قال : فلقيناهم ، فهزمونا وفضحونا<sup>(٦)</sup> ، فرجعنا وقلنا : ويلك ! ماذا تصنع بنا ؟ قال : ما أدري ، كذّبنى الذي كان يصدّقني ؛ اسجنوني في بيتي ثلاثاً ، ثم ائتوني . ففعلنا به ذلك ، ثم أتيناه بعد ثلاثة ففتحنا عنه ، فإذا هو كأنه جمره<sup>(٧)</sup> نار ، فقال : يا معشر دؤس ، حُرست السماء ، وخرج خير الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكة وأنا ميّت ، فادفوني في رأس جبل ، فإني سوف أضطرمّ ناراً ، وإن تركتموني كنتُ عليكم عاراً ، فإذا رأيتم اضطرامي وتلهّبي ، فاقدفوني بثلاثة أحجار ، ثم قولوا مع كل حجر : باسمك اللهم . فإني أهدى وأطفئ<sup>(٨)</sup> . قال : وإنه مات ، فاشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقذفناه بثلاثة أحجار ، نقول مع كل حجر : باسمك اللهم . فحمد وطفيء ، وأقمنا حتى قدم علينا الحاج ، فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله . غريب جداً .

وروى الواقدي<sup>(٩)</sup> عن ابن أبي ذئب ، عن مسلم بن جندب ، عن النضر بن سفيان الهذلي ، عن أبيه ، قال : خرجنا في غير لنا إلى الشام ، فلما كنا بين الزرقاء ومعان<sup>(١٠)</sup> قد عرّسنا من

- (١) في ط : انقوهم والمثبت من ح والهواتف وابن عساكر .
- (٢) في الهواتف : وابتضت .
- (٣) في الهواتف : وانزّم غضباً . وغضباناً . كذا بالتونين على لغة بني أسد في تأنيثه على غضبانة . ومن ثم صُرف . التاج ( غضب ) .
- (٤) ليس ما بين المعقوفين في ح .
- (٥) كذا في ح ، ط وفي الهواتف وابن عساكر : واشكروها صنيعة . وهو أشبه .
- (٦) في هامش ح : خروقصمونا .
- (٧) في ط : حجرة . والمثبت من ح والهواتف وابن عساكر .
- (٨) يعني : أهدأ وأطفأ ، وهي رواية الهواتف وابن عساكر .
- (٩) رواه ابن سعد عن الواقدي في الطبقات (١/ ١٦١) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٤) وقال أخرجه ابن سعد وأبو نعيم [ ستأتي الإشارة إليه ] وابن عساكر .
- (١٠) « الزرقاء » : موضع بالشام بناحية معان . معجم البلدان (٣/ ١٣٧) وتقع إلى الشمال الشرقي من عمّان . ومعان : بالفتح ، والمحدثون يقولونه بالضم : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء [ عمّان ] . معجم البلدان (٥/ ١٥٣) وتقع إلى الشمال الشرقي من العقبة .

الليل<sup>(١)</sup> ، فإذا بفارس يقول وهو بين السماء والأرض : أيها النيام هُبُوا ، فليس هذا بحين رُقَاد ، قد خرج أحمد ، فطَرَدَتِ الجَنُّ كُلَّ مُطَرَّد .

ففزعنا ونحن رفقة حَزَاوِرَة<sup>(٢)</sup> ، كُلُّهُمْ قد سمع بهذا ، فرجعنا إلى أهلنا ، فإذا هم يذكرون اختلافاً بمكة بين قريش ، في نبيٍّ قد خرج فيهم ، من بني عبد المطلب اسمه أحمد . ذكره أبو نعيم<sup>(٣)</sup> .

وقال الخرائطي<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حَدَّثَنَا عُمَارَة بن زيد ، حَدَّثَنِي عبد الله<sup>(٥)</sup> ابن العلاء ، حَدَّثَنَا يحيى بن عروة ، عن أبيه ، أَنَّ نَفْرًا من قريش ، منهم وَرَقَة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قُصَيٍّ ، وزيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وعُبَيْد الله<sup>(٦)</sup> بن جَحْش بن رثاب ، وعثمان بن الحويرث ، كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليوم من كلِّ سنة عيداً ، كانوا يعظمونه وينحرون به الجَزُور<sup>(٧)</sup> ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ، ويعكفون عليه ؛ فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبواً على وجهه ، فأنكروا ذلك ، فأخذوه فردّوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردّوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة ، فلما رأوا ذلك اغتمّوا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث : ماله قد أكثر التنكس ؟ إِنَّ هذا لأمرٍ قد حدث ! وذلك في الليلة التي ولد فيها رسولُ الله ﷺ فجعل عثمان يقول : [من الطويل]

أيا صنم العيد الذي صُفَّ حوله      صناديدُ وفدٍ من بعيدٍ ومن قُرب  
تنكست مغلوباً فما ذاك قُلْ لنا      أذاك سفيهٌ أن تنكست للعنب<sup>(٨)</sup>  
فإن كان من ذنبٍ أتينا فإننا      نبوءُ بإقرارٍ ونُلوي عن الذنبِ  
وإن كنت مغلوباً ونكست صاغراً      فما أنت في الأوثان بالسيد الربِّ

قال : وأخذوا الصنم فردّوه إلى حاله ، فلما استوى هتف بهم هاتف<sup>(٩)</sup> من الصنم بصوتٍ جهير ، وهو يقول : [من الطويل]

- (١) « التعريس » : نزول المسافرين آخر الليل نزلةً للنوم والاستراحة . النهاية (٣/٢٠٦/ عرس) .
- (٢) في ط : حزورة ، وفي ح : حراورة بالراء المهملة ، وفي الطبقات : جراحة . والمثبت من دلائل أبي نعيم والخصائص للسيوطي والنهاية (١/٣٨٠/ حزور) وفيه : جمع حَزُور ، وهو الذي قارب البلوغ ، والتاء لتأنيث الجمع .
- (٣) في دلائل النبوة (١/١٣٣) ، وإسناده ضعيف جداً .
- (٤) في هواتف الجنان (ص ١٥٧) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/٣٤٢) عن الخرائطي .
- (٥) كذا في ط وتاريخ ابن عساكر ، وفي ح والهواتف : عبید الله وسيأتي بهذا اللفظ في (ص ١٦٥) موضع الحاشية (٢) ولم أقف على ترجمته .
- (٦) في ح ، ط : عبد الله تصحيف ، والمثبت من الهواتف وتاريخ ابن عساكر وسيرة ابن هشام (١/٢٢٢) والروض (١/٢٥٣) وجمهرة الأنساب (ص ١٩١) والتاج (جحش) .
- (٧) في الهواتف وابن عساكر : الجُزُر . والجَزُور : الناقة ، جمع جُزُر .
- (٨) في تاريخ ابن عساكر : تكوست مقلوباً .
- (٩) في ح : هتف به هاتفاً . والمثبت من ط والهواتف وتاريخ ابن عساكر .



تردّى لمولود أنارت بنوره  
وخرّت له الأوثان طراً وأرعدت  
ونار جميع الفرس باخت وأظلمت  
وصدّت عن الكهّان بالغيب جنّها  
فيال قصّي ارجعوا عن ضلالكم  
وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرّحّب  
جميع فجاج الأرض في الشرق والغرب  
قلوب ملوك الأرض طراً من الرّعب  
وقد بات شاه الفرس في أعظم الكرب<sup>(١)</sup>  
فلا مخبر عنه بحق ولا كذب  
وهبوا إلى الإسلام والمنزل الرّحّب

قال : فلما سمعوا ذلك خلصوا نجياً ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض ، فقالوا : أجل . فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دين ، ولقد أخطؤوا المحجّة<sup>(٢)</sup> ، وتركوا دين إبراهيم ؛ ما حجر تطيفون به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ! يا قوم ، التمسوا لأنفسكم الدين . قال : فخرجوا عند ذلك ، يضربون في الأرض ، ويسألون عن الحنيفيّة ، دين إبراهيم عليه السلام .

فأمّا ورقة بن نوفل فتنصر ، وقرأ الكتب حتى علم علماً ؛ وأما عثمان بن الحويرث فصار<sup>(٣)</sup> إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده ؛ وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ، ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض ، حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة ، فلقي بها راهباً عالمياً فأخبره بالذي يطلب ، فقال له الراهب : إنك لتطلب ديناً ما تجد من يحملك عليه ، ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلدك ، يُبعث بدين الحنيفيّة . فلما قال له ذلك رجع يريد مكّة ، فغارت عليه لخم فقتلوه ؛ وأما عبيد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بُعث النبي ﷺ ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .

تقدم في ترجمة يزيد بن عمرو بن نفيل له شاهد<sup>(٤)</sup>

وقال الخرائطي<sup>(٥)</sup> : حدّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح أبو بكر الوزان<sup>(٦)</sup> ، حدّثنا عمرو بن عثمان ،

(١) « باخت النار » : سكنت وفترت . وأبختها : أطفأتها . الأساس والتاج (بوخ) .

(٢) في ح ، ط : الحجة . والمثبت من الهواتف . والمحجّة : الطريق المستقيم .

(٣) في ط : فسار ، والمثبت من ح والهواتف .

(٤) ورد ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٥) في هواتف الجنان (ص ١٦٠) وأخرجه ابن عساكر عن الخرائطي في تاريخه (ج عبادة - عبد الله بن ثوب) (ص ٢٣٧ ، ٢٣٨) وإسناده تالف فإن محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري منكر الحديث (الميزان ٣/ ٦٢٨) ورواه ابن هشام عن بعض أهل العلم بالشعر في السيرة (٤٢٧/٢) ورواه السهيلي في الروض (٤/ ١٢٠) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن الزهري به ، وأسانيده كلها ضعيفة .

(٦) وقع في ط ومطبوعة الهواتف وتاريخ ابن عساكر : الوراق . وهو تصحيف ، والصواب من ح وأصل الهواتف والجرح والتعديل (٤١/٢) وتاريخ بغداد (٢٨/٤) والأنساب للسمعاني (ق ٥٨٢ ب) (ط : مرغوليوث - ليدن) .

حدّثني أبي ، حدّثني<sup>(١)</sup> عبد الله بن عبد العزيز ، حدّثني محمد بن عبد العزيز ، عن الزُّهري عن عبد الرحمن بن أنس السُّلمي ، عن العباس بن مرداس ، أنّه كان يُغيّر<sup>(٢)</sup> في لِقَاحٍ له نصفَ النهار ، إذ طلعت عليه نعامٌ بيضاء ، عليها راكبٌ عليه ثيابٌ بياض مثل اللَّبن ، فقال : يا عَبَّاسُ بن مِرْدَاس ، ألم ترَ أَنَّ السماءَ قد كَفَّتْ أَحْرَاسَهَا ، وَأَنَّ الحربَ تَجَرَّعَتْ أَنْفَاسَهَا ، وَأَنَّ الخيلَ وضعتْ أَحْلَاسَهَا<sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّ الدِّينَ<sup>(٤)</sup> نَزَلَ بِالْبَرِّ والتقوى ، يومَ الاثنين ليلةَ الثلاثاء ، صاحبُ النّاقةِ القَصْوَ<sup>(٥)</sup> . قال : فرجعتُ مَرْعُوباً قد راعني ما رأيْتُ وسمعت ، حتى جئتُ وثناً لنا يُدعى الضَّمَارُ<sup>(٦)</sup> ، وكُنَّا نعبده ونُكَلِّم من جَوْفه ؛ فكُنستُ ما حوله ، ثُمَّ تَمَسَّخْتُ به وَقَبَّلْتُهُ ، فإذا صَائِحٌ ، من جوفه يقول : [ من الكامل ]

قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سَلِيمٍ كُلِّهَا هَلَكَ الضَّمَارُ<sup>(٣)</sup> وَفَارَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ

هَلَكَ الضَّمَارُ<sup>(٣)</sup> وَكَانَ يَعْبُدُ مَرَّةً قَبْلَ الصَّلَاةِ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَرِيشٍ مَهْتَدٍ<sup>(٧)</sup>

قال : فخرجتُ مَرْعُوباً حتى أتيتُ قومي ، فقصصتُ عليهم القصة ، وأخبرتُهم الخبر ، وخرجتُ في ثلاثمئة من قومي من بني حارثة إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رأي رسول الله

(١) في ط : حدثنا ، والمثبت من ح والهواتف .

(٢) في ط : يعر . والمثبت من ح والهواتف وتاريخ ابن عساكر ، وفي رواية أخرى عند ابن عساكر (ص ٢٣٨) : بغمرة ، وغمرة موضع بالحجاز في طريق مكة .

(٣) « أحلاس » : جمع جلس : وهو ما ولي ظهر الدابة تحت الرجل والقتب والسرّج . المعجم الوسيط ( جلس ) .

(٤) في ط : الذي ، والمثبت من ح والهواتف وتاريخ ابن عساكر .

(٥) القصوا : بألف من غير همز ، مراعاة للفاصلة في السجع كما في ح والقصواء : لقب ناقة رسول الله ﷺ ، والقصواء : الناقة التي قطع طرف أذننها ، ولم تكن ناقة النبي ﷺ قصواء ، وإنما كان هذا لقباً لها . وقيل : كانت مقطوعة الأذن . النهاية (٤/ ٧٥/ قصو) . والعبارة كما يبدو مضطربة ، وكذا هي في الهواتف ، وكذا رواها ابن عساكر عن الخرائطي ، ولابن عساكر (ص ٢٣٩) رواية أخرى عن سليمان بن الحسن عن عمرو بن عثمان به وفيها : « مع صاحب الناقة القصوى » وكذا في الرواية عند أبي نعيم الآتي ذكرها ، وبهذه الرواية يزول الاضطراب من رواية الخرائطي والله أعلم .

(٦) في ح ، ط وأصل الهواتف وأصول تاريخ ابن عساكر : الضماد ، بالبدال المهملة والمثبت من السيرة النبوية والروض الأنف ومعجم البلدان (٤٦٢/ ٣) والتاج (ضم) . وضبطه السهيلي في الروض وياقوت : ضَمَار . على وزن فَعَالٍ . وضبطه صاحب التاج « ضِمَار » بكسر أوله . وقال السهيلي : هو مثل حَذَام ورقاش ، ولا يكون مثل هذا البناء إلا في أسماء المؤنث ، وكانوا يجعلون آلهتهم إنثاء كالكالات والعزى ومناة لاعتقادهم الخبيث في الملائكة أنها بنات . وفي ضمار لغة أهل الحجاز وبني تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء ، وما لم يكن في آخره راء كخدام ورقاش فهو مبني في لغة أهل الحجاز ومعرب غير مجرى في لغة غيرهم ، كذلك قال سيبويه .

الكتاب (٣/ ٢٧٨ - ٢٨١) (ط هارون) ، (٤١/ ٢) (ط بولاق) .

(٧) الأبيات في المصادر السابقة على خلاف في بعض الألفاظ .

ﷺ قال لي : « يا عباس ، كيف كان إسلامك » ؟ فقصصت عليه القصة . قال : فسُرَّ بذلك ، وأسلمتُ أنا وقومي .

ورواه الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(١)</sup> من حديث أبي بكر بن أبي عاصم ، عن عمرو بن عثمان . به .

ثم رواه أيضاً<sup>(٢)</sup> من طريق الأصمعي ، حدثني الوصافي ، عن منصور بن المعتمر ، عن قبيصة بن عمرو بن إسحاق الخزاعي ، عن العباس بن مزداك السلمي قال : [ كان ] أول إسلامي أن مزداكاً أبي لما حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال ضمار<sup>(٣)</sup> ، فجعلته في بيت وجعلتُ آتية كل يوم مرة ، فلما ظهر النبي ﷺ [ إذ ] سمعتُ صوتاً مرسلأ في جوف الليل راعني ، فوثبتُ إلى ضمار<sup>(٣)</sup> مستغيثاً ، وإذا بالصوت من جوفه وهو يقول : [ من الكامل ]

قل للقبيلة من سُلِّيم كُلِّها هلك الأنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ  
أودى ضمار<sup>(٣)</sup> وكان يُعبدُ مرة<sup>(٤)</sup> قبل الكتابِ إلى النبيِّ محمدٍ  
إنَّ الذي ورثَ النبوةَ والهدى بعدَ ابنِ مَرْيَمَ من قريشٍ مُهتَدٍ

قال : فكتمته<sup>(٥)</sup> الناسَ ، فلما رجع الناسُ من الأحزاب ، بينا أنا في إبلي بطرفِ العقيق من ذاتِ عِرْقٍ راقداً<sup>(٦)</sup> ، سمعتُ صوتاً ، وإذا برجلٍ على جناح نعامٍ وهو يقول : النور الذي وقعَ ليلةَ الثلاثاء مع صاحبِ الناقةِ العُضباءِ<sup>(٧)</sup> في ديارِ إخوان بني العنقاء . فأجابه هاتفٌ من شماله وهو يقول : بَشِّرِ الجَنَّ وإِبْلَاسَهَا أَنْ وَضَعَتِ المَطْيُ أحلاسَهَا ، وكَلَّاتِ السماءَ أحراسَهَا . قال : فوثبتُ مذعوراً ، وعلمتُ أنَّ محمداً مُرْسَلٌ ، فركبتُ فرسي وأحشئتُ<sup>(٨)</sup> السيرَ حتى انتهيتُ إليه ، فبايعتهُ ثم انصرفتُ إلى ضمار<sup>(٩)</sup> ، فأحرقتهُ بالنار ، ثم رجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأُنشِدتهُ شعراً أقول فيه : [ من الطويل ]

- (١) ليست هذه الرواية في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم .
- (٢) في الدلائل (١/١٤٦) وما يأتي بين معقوفين منه ، وذكره السيوطي في الخصائص ، وقال فيه : أخرجه ابن جرير والمعافى بن زكريا وابن الطراح في كتاب الشواعر بأسانيدهم . قال بشار : وهذه الأسانيد كلها غير معروفة وكثير منها مختلق ، وكذلك أكثر ما أورده الخرائطي في كتابه .
- (٣) في ح ، ط وأصل الدلائل : ضماد . وسبقت الإشارة إليه في الصفحة السابقة ح ٦ .
- (٤) في الدلائل : مدة .
- (٥) في ح : فكتمه .
- (٦) « العقيق » : بطن وادي ذي الحليفة ، وهو الأقرب منها ، وهو الذي جاء فيه أنه مهلُ أهل العراق من ذاتِ عِرْقٍ . معجم البلدان (٤/١٣٩) العقيق .
- (٧) « العُضباء » : ناقة النبي ﷺ ، وعضباء : أي مشقوقة الأذن ، ولم تكن مشقوقة الأذن . النهاية (٣/٢٥١) عضب .
- (٨) في ط : واحتشئت . وفي الدلائل : وأجشمت . والمثبت من ح .
- (٩) في ح ، ط : وأصل الدلائل : ضماد .

لعمرك إنني يوم أجعلُ جاهلاً  
وتركي رسول الله والأوس حوله  
كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي  
فأمنت بالله الذي أنا عبده  
ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً  
نبي أتنا بعد عيسى بناطقي  
أمين على القرآن أول شافع  
تلافي عرى الإسلام بعد انتقاضها  
عنيك يا خير البرية كلها  
وأنت المصطفى من قريش إذا سمت  
إذا انتسب الحيان كعب ومالك  
ضماراً لرب العالمين مشاركا  
أولئك أنصار له ما أولئك  
ليسلك في وعت الأمور المسالكا  
وخالف من أمسى يريد المهالكا  
أبايع نبي الأكرمين المبارك<sup>(١)</sup>  
من الحق فيه الفضل فيه كذلك  
وأول مبعوث يجيب الملائكا  
فأحكمها حتى أقام المناسكا  
توسط في الفرعين والمجد مالكا  
على ضميرها تبقى القرون المباركا<sup>(٢)</sup>  
وجذناك مخضاً والنساء العواركا<sup>(٣)</sup>

قال الخرائطي<sup>(٤)</sup> : وحدّثنا عبد الله بن محمد البلوي بمصر ، حدّثنا عُمارة بن زيد ، حدّثنا إسحاق بن بشر وسلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، حدّثني شيخ من الأنصار يقال له : عبد الله بن محمود ، من آل محمد بن مسلمة قال : بلغني أنّ رجلاً من خثعم كانوا يقولون : إنّ مما دعانا إلى الإسلام أنّا كنّا قوماً نعبد الأوثان ، فبينما نحن ذات يوم عند وثنٍ لنا إذ أقبل نفرٌ يتقاضون إليه ، يرجون الفرج من عنده لشيءٍ شجرَ بينهم ، إذ هتف بهم هاتف يقول<sup>(٥)</sup> : [ من الرجز ]

يا أيّها الناسُ ذوو الأجسام  
ما أنتم وطائشُ الأحلام  
أكلكم في حيرة نيام<sup>(٦)</sup>  
من بين أشياخ إلى غلام  
ومسندُ الحكم إلى الأصنام  
أم لا تروُن ما الذي أمامي

- (١) قوله : أبايع . بالجزم من غير جازم لضرورة الشعر انظر الضرائر .
- (٢) في ح : على صمها سعى القرون المباركا . والمثبت من ط والدلائل ، وضمير : جمع ضامر ، وهو الفرس ؛ والقرون : بفتح القاف : النفس . اللسان ( ضمير ، قرن ) .
- (٣) كذا في ح ، ط والدلائل ، ولعل الصواب : العواتكا ، والعواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبي ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال ؛ والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال . فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة . النهاية (٣/ ١٨٠ / عتك) .
- (٤) في هواتف الجنان (ص ١٦٢) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه السيرة النبوية - القسم الأول (ص ٣٦٤) عن الخرائطي وأبو نعيم في الدلائل (١/ ١٤٥) بسنده عن ابن خربوذ المكي عن رجل من خثعم . وأخرجه الماوردي في أعلام النبوة (ص ١٤٦) وذكره السيوطي في الخصائص (١/ ١٠٧) .
- (٥) عبارة الخرائطي في الهواتف : إذ هتف بهم هاتف من الصنم فجعل يقول .
- (٦) كذا في ح ، ط والهواتف ، ورواية ابن عساكر : حيرة النيام . وهي أشبه بالصواب للتخلص من الإقواء .

من ساطع يَجْلُو دُجَى الظلامِ      قد لآخ للناظر من تَهَامِ  
ذاك نبيِّ سَيِّدُ الأَنامِ      قد جاء بعد الكُفْرِ بالإسلامِ  
أكرمَه الرحمنُ من إمامِ      ومن رسولٍ صادقِ الكلامِ  
أعدَلُ ذي حكمٍ من الحُكَّامِ      يأمرُ بالصلاةِ والصَّيامِ  
والبرِّ والصَّلاتِ<sup>(١)</sup> للأرحامِ      ويزجرُ الناسَ عن الآثامِ  
والرَّجسِ والأوثانِ والحَرَامِ      من هاشمٍ في ذِرْوَةِ السَّنامِ  
مستعلناً في البلدِ الحرامِ

قال : فلما سمعنا ذلك تفرَّقنا عنه ، وأتينا النبيَّ ﷺ فأسلمنا .

وقال الخرائطي<sup>(٢)</sup> : حدَّثنا عبد الله البلوي ، حدَّثنا عُمارة ، حدَّثني عبد الله<sup>(٣)</sup> بن العلاء ، حدَّثنا محمد ابن عكبر<sup>(٤)</sup> ، عن سعيد بن جُبَيْر ، أنَّ رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عُمَيْر ؛ وكان أهدى الناس للطريق ، وأسْرَاهم لبيل ، وأهجمهم على هَوَل ؛ وكانت العربُ تُسمِّيهِ لذلك دُعْمُوص العرب ، لهدايته وخَرَائِطِهِ<sup>(٥)</sup> ، وجَرَائِته على السير ، فذكر عن بُدُوِّ إسلامه قال : إني لأسيرُ برملٍ عالِجٍ<sup>(٦)</sup> ذاتَ ليلة ، إذْ غلبني النوم ، فنزلتُ عن راحلتي وأنخْتُها ، وتوسَّدتُ ذراعها ونمت ، وقد تعودتُ قبل نومي فقلت : أعودُ بعظيم هذا الوادي من الجنِّ ، من أن أودى أو أهاج ، فرأيتُ في منامي رجلاً شاباً يرصُدُ ناقتي ، وييده حرباً يريد أن يضعها في نَحْرِها ؛ فانتبهتُ لذلك فزعاً ! فنظرتُ يميناً وشمالاً فلم أرَ شيئاً ، فقلت : هذا حُلْمٌ ، ثم عدتُ فغفوتُ ، فرأيتُ في منامي مثلَ رؤيائي الأولى ، فانتبهتُ ، فدرتُ حولَ ناقتي فلم أرَ شيئاً ، وإذا ناقتي ترعد ؛ ثم غفوتُ فرأيتُ مثلَ ذلك ، فانتبهتُ ، فرأيتُ ناقتي تضطرب ، والتفت ، فإذا أنا برجلٍ شابٍّ ، كالذي رأيتُ في المنام بيده حرباً ، ورجلٌ شيخٌ ممسِكٌ بيده يرُدُّه عنها وهو يقول : [ من الكامل ]

يا مالكَ بنَ مُهلَهْلٍ بنِ دِثَارٍ<sup>(٧)</sup> مهلاً فِدَى لكَ مُزَرِي وإزاري

- (١) في ح : والصلة . والمثبت من ط والهواتف .
- (٢) في الهواتف (ص ١٦٤) وذكره ابن حجر في الإصابة (٤٩٨/١) عن الخرائطي بسنده مختصراً وقال : وفي إسناده هذا الخبر ضعف .
- (٣) في أصل الهواتف : عبید الله . انظر (ص ١٦٢ ح ٥) .
- (٤) كذا في ح ، ط . وسقط من ط لفظ محمد ، وفي أصل الهواتف محمد بن عكبر وكذا في الإصابة ، ولم أقف على ترجمة له ، وجزم محقق الهواتف أنه محمد بن بكير ولا أراه ، لأن ابن جبیر قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ بينما توفي محمد بن بكير بعد ٢٢٠ هـ كما في ترجمته في تهذيب التهذيب (٨١/٩) .
- (٥) سقطت اللفظة من ط والهواتف . واللفظة مشتقة من الخَرِيت ، وهو الدليل الحاذق والماهر الذي يهتدي لأخوات المفاوز وهي طرقها الخفيفة ومضايقتها التاج ( خرت ) .
- (٦) « عالِج » : رمال بين فيد والقرَّيات ، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة (٤/٦٩ ، ٧٠) .
- (٧) في الهواتف : إثار .

عن ناقة الإنسي لا تعرض لها      واختَر بها ما شئت من أثواري  
ولقد بدا لي منك ما لم أحسب      ألا رعى قرابتي وذماري<sup>(١)</sup>  
تسمو إليه بحربة مسمومة      تبأ ليفعلك يا أبا الغفار<sup>(٢)</sup>  
لولا الحياء وأن أهلك جيرة      لعلمت ما كشفت من أخباري

قال : فأجابه الشاب وهو يقول : [ من الكامل ]

أردت أن تعلقو وتخفص ذكرنا      في غير مَزْنَة أبا العيزار<sup>(٣)</sup>  
ما كان فيهم سيد فيما مضى      إن الخيار هم بنو الأخيار  
فاقصد لقصدك يا معكبر إنما      كان المجير مهلهل بن إثار<sup>(٤)</sup>

قال : فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش ، فقال الشيخ للفتى : قم يا بن أخت ، فخذ أيها شئت فداء لناقية جاري الإنسي . فقام الفتى ، فأخذ منها ثوراً وانصرف ؛ ثم التفت إلي الشيخ فقال : يا هذا ، إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هؤلاء فقل : أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها . قال : فقلت له : ومن محمد هذا ؟ قال : نبي عربي ، لا شرقي ولا غربي ، بُعث يوم الاثنين . قلت : وأنى مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل . قال : فركبت راحلتي حين برق لي الصبح وجددت السير حتى تقحمت المدينة ، فرآني رسول الله ﷺ فحدثني بحديثي قبل أن أذكر له منه شيئاً ، ودعاني إلى الإسلام فأسلمت . قال سعيد بن جبير : وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [ الجن : ٦ ] .

وروى الخرائطي<sup>(٥)</sup> من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة<sup>(٦)</sup> ، عن داود بن الحصين<sup>(٧)</sup> ، عن عكرمة ، عن ابن عباس عن علي قال : إذا كنت بوادٍ تخاف السبع فقل : أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد . وروى البلوي<sup>(٨)</sup> عن عُمارة بن زيد ، عن إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني يحيى بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه ، عن ابن عباس قصة قتال عليّ الجن بالبئر ذات العلم التي بالجحفة حين

(١) « ذمار الرجل » : كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته ، وإن ضيعه لزمه اللوم . التاج ( ذمر ) .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي الهواتف : العقار .

(٣) « المرزئة » : المصيبة ، مثل الرزء . التاج ( رزأ ) .

(٤) كذا في ح والهواتف ، وفي ط : دثار ؛ وفي الهواتف : يا معيكر .

(٥) في الهواتف ص (١٦٦) وليس هذا الخبر في ح .

(٦) في ط : إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة . وهو تحريف : والمثبت من الهواتف وتهذيب المزني ( ٣٨٠ / ٨ ) وهو ضعيف .

(٧) في ط : داود بن الحسين . وهو تحريف : والمثبت من الهواتف وتهذيب المزني ( ٣٧٩ / ٨ ) وتهذيب التهذيب ( ٣ / ١٨١ ) .

(٨) يرويه عنه الخرائطي في الهواتف ص ( ١٦٧ ) وليس الخبر في ح .

بعثه رسول الله ﷺ يستقي لهم الماء ، فأرادوا منه ، وقطعوا الدلو فنزل إليهم . وهي قصة مطولة منكورة جداً ، والله أعلم .

وقال الخرائطي<sup>(١)</sup> : حدثني أبو الحارث محمد بن مصعب الدمشقي وغيره ، حدثنا سليمان بن بنت شرحبيل الدمشقي<sup>(٢)</sup> ، حدثنا عبد القدوس بن الحجاج<sup>(٣)</sup> ، حدثنا مجالد<sup>(٤)</sup> بن سعيد ، عن الشعبي ، عن رجل<sup>(٥)</sup> قال : كنت في مجلس عمر بن الخطاب ، وعنده جماعة من أصحاب النبي ﷺ يتذكرون فضائل القرآن ، فقال بعضهم : خواتيم سورة النحل ؛ وقال بعضهم : سورة يس . وقال علي : فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي ؟ أما إنها سبعون<sup>(٦)</sup> كلمة في كل كلمة سبعون<sup>(٧)</sup> بركة . قال : وفي القوم عمرو بن معدى كرب لا يُحيرُ جواباً . فقال : أين أنتم عن بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال عمر : حدثنا يا أبا ثور .

قال : بينا أنا في الجاهلية إذ جهدني الجوع ، فأقحمتُ فرسي البرية فما أصبتُ إلا بيض النعام ، فبينما أنا أسير إذا أنا بشيخ عربي في خيمة ، وإلى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ، ومعه غنيمات له ، فقلت له : استأسر<sup>(٨)</sup> ثكلتك أمك . فرفع رأسه إلي وقال : يا فتى ، إن أردت قري فانزل ، وإن أردت معونة أعناك . فقلت له : استأسر . فقال : [ من الطويل ]

عَرَضْنَا عَلَيْكَ النَّزْلَ مِنَّا تَكْرُمًا      فلم ترعوي جهلاً كفعل الأشياء<sup>(٩)</sup>  
وَجِئْتَ بِبُهْتَانٍ وَزُورٍ وَدُونَ مَا      تمنّيته بالبيض حز الغلاصم<sup>(١٠)</sup>

قال : ووثب إلي وثبة وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم . فكأنني مثلت تحته ، ثم قال : أقتلك أم

(١) في الهواتف (ص ١٧٤) وأخرجه ابن حذلم الدمشقي في حديثه عن شيوخه ، وأبو بكر أحمد بن مروان المالكي في كتابه : « المجالسة وجواهر العلم » وابن عساكر في ترجمة عمرو بن معدى كرب . انظر شعر عمرو بن معدى كرب (ص ٢١٤) .

(٢) هو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون المعروف بابن بنت شرحبيل . ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣٦/١١) ومصادر ترجمته فيه يضاف إليها مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/١٦٩) .

(٣) كذا في ح ، ط والهواتف وفي شعر عمرو : محمد بن عبد القدوس . وهو أشبه بالصواب .

(٤) في ح ، ط : خالد . تصحيف ، والمثبت من الهواتف وشعر عمرو ، وتهذيب التهذيب (١٠/٣٩) ، وهو ضعيف .

(٥) في شعر عمرو : الشعبي قال : حدثنا مكحول عن رجل . وهو أشبه بالصواب .

(٦) في الهواتف : خمسون .

(٧) سقطت اللفظة من ط ، وهي من ح والهواتف .

(٨) « استأسر » : أي كن أسيراً لي . التاج (أسر) .

(٩) قوله : ترعوي بإثبات الياء من الضرائر الشعرية ، وهو جائز .

(١٠) في الهواتف : الحلاقم ؛ والغلاصم : جمع غلصمة ، وهي رأس الحلقوم ، وهو الموضع النائي في الحلق . اللسان ( غلصم ) وزاد في رواية ابن حذلم :

فبالأحرف اللاتي تمسكت حفظها      دحضت لحاك الله عن أنف راغم

أَخْلِيْ عَنْكَ ؟ قُلْتُ : بَلْ خَلَّ عَنِي . قَالَ : فَخَلَّى عَنِي . ثُمَّ إِنَّ نَفْسِي جَاذِبْتَنِي بِالْمَعَاوِدَةِ فَقُلْتُ : اسْتَأْذِرْ ثَكَلَتَكَ أُمُّكَ . فَقَالَ : [ مِنْ الْوَافِرِ ]

بِسْمِ اللَّهِ وَالرَّحْمَنِ فُرْزْنَا هُنَالِكَ وَالرَّحِيمِ بِهِ قَهْرْنَا  
وَمَا تُغْنِي جَلَادَةُ ذِي حِفَاطٍ إِذَا يَوْمًا<sup>(١)</sup> لِمَعْرَكَةٍ بَرَزْنَا

ثم وثب إلي<sup>(٢)</sup> وثبةً كأنني مثلتُ تحته ، فقال : أَقْتَلُكَ أَمْ أَخْلِيْ عَنْكَ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلْ خَلَّ عَنِي . فَخَلَّى عَنِي ، فَانْطَلَقْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، ثُمَّ قُلْتُ فِي نَفْسِي : يَا عَمْرُو أَيْقَهْرُكَ مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ ؟! وَاللَّهِ لَلْمَوْتِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْحَيَاةِ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : اسْتَأْذِرْ ، ثَكَلَتَكَ أُمُّكَ . فَوَثَبَ إِلَيَّ وَثْبَةً وَهُوَ يَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَكَأَنِّي مَثَلْتُ تَحْتَهُ ، فَقَالَ : أَقْتَلُكَ أَمْ أَخْلِيْ عَنْكَ ؟ قُلْتُ : بَلْ خَلَّ عَنِي ، فَقَالَ : هِيَهَاتَ ، يَا جَارِيَةُ أَتَيْنِي بِالْمُدِيَةِ . فَأَتَتْهُ بِالْمُدِيَةِ ، فَجَزَّ نَاصِيَتِي ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا ظَفَرَتْ بِرَجُلٍ فَجَزَّتْ نَاصِيَتَهُ اسْتَعْبَدَتْهُ ، فَكُنْتُ مَعَهُ أَخْذُمُهُ مُدَّةً . ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ : يَا عَمْرُو ، أَرِيدُ أَنْ تَرْكَبَ مَعِيَ الْبَرِّيَّةَ ، وَلَيْسَ بِي مِنْكَ وَجَلٌ ، فَإِنِّي بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَوَاقِقُ . قَالَ : فَسَرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا وَادِيًا أَشْبَاهًا نَشْبًا<sup>(٣)</sup> مَهُولًا مَعُولًا<sup>(٤)</sup> ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فَلَمْ يَبْقَ طَيْرٌ فِي وَكْرِهِ إِلَّا طَارَ ، ثُمَّ أَعَادَ الْقَوْلَ ، فَلَمْ يَبْقَ سَبْعٌ فِي مَرْبِضِهِ إِلَّا هَرَبَ ، ثُمَّ أَعَادَ الصَّوْتَ فَإِذَا نَحْنُ بِحَبَشِيٍّ قَدْ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنَ الْوَادِي كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ ، فَقَالَ لِي : يَا عَمْرُو ، إِذَا رَأَيْتَنَا قَدْ اتَّخَذْنَا<sup>(٥)</sup> فَقُلْ : غَلَبَهُ صَاحِبِي بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُهُمَا قَدْ اتَّخَذَا قُلْتُ : غَلَبَهُ صَاحِبِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلَمْ يَصْنَعْ الشَّيْخُ شَيْئًا ، فَرَجَعَ إِلَيَّ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ قَدْ خَالَفْتَ قَوْلِي . قُلْتُ : أَجَلٌ ، وَلَسْتُ بِعَائِدٍ . فَقَالَ : إِذَا رَأَيْتَنَا قَدْ اتَّخَذْنَا فَقُلْ : غَلَبَهُ صَاحِبِي بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْتُ : أَفْعَلُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمَا قَدْ اتَّخَذَا ، قُلْتُ : غَلَبَهُ

(١) فِي ح : قَوْمٌ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ ط .

(٢) فِي ح ، ط : وَثَبَ لِي ، وَالْمَثْبُتُ مِنَ الْهَوَاتِفِ .

(٣) سَقَطَتِ اللَّفْظَةُ مِنْ ط ، وَهِيَ مَثْبُتَةٌ فِي ح وَالْهَوَاتِفِ . وَالْمَوْضِعُ الْأَشْبُ : كَثِيرُ الشَّجَرِ . وَنَشَبٌ : لَعْلُ مَعْنَاهُ نَشَبَتْ وَعَلَقَتْ أَشْجَارُهُ وَالتَّفَتْ . أَوْ لَعْلُهُ هُوَ مِنَ الْإِتْبَاعِ اللَّسَانُ (أَشْبُ ، نَشَبٌ) .

(٤) « الْمَهُولُ » : أَيُ فِيهِ هَوْلٌ ، وَهُوَ الْمَخُوفُ . الْمَعُولُ : لَعْلُ مَعْنَاهُ كَثِيرُ الْغِيلَانِ جَمْعُ غُولٍ ، وَهِيَ جِنْسٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْجَنِّ ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ الْغُولَ فِي الْفَلَاةِ تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فَتَتَغَوَّلُ - تَتَلَوَّنُ - فِي صُورٍ شَتَّى ، وَتَضْلِمُهُمُ عَنِ الطَّرِيقِ وَتَهْلِكُهُمْ . اللَّسَانُ (هَوْلٌ ، غَوْلٌ) .

(٥) فِي ح ، ط وَمَطْبُوعَةُ الْهَوَاتِفِ : اتَّخَذْنَا . بِالْحَاءِ وَالدَّالِ الْمَهْمَلَتَيْنِ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ أَصْلِ الْهَوَاتِفِ ، وَأَصْلُ عَجَبِيَّةٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ حِذْلَمِ نَسْخَةُ الظَّاهِرِيَّةِ ، وَالْمَنْشُورُ فِي شَعْرِ عَمْرُو بْنِ مَعْدِي كَرْبٍ (ص ٢١٤) وَفِيهِ تَابِعٌ مُحَقِّقُهُ رِوَايَةُ الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ بِالْإِهْمَالِ وَلَا مَعْنَى لَهُ ، إِذْ جَاءَ فِي الْأَسَاسِ (أَحَدٌ) : اتَّحَدَ الرَّجُلَانِ ، وَبَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ ، وَلَا مَعْنَى لَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ . وَبِالْإِعْجَامِ كَمَا جَاءَ فِي أَصْلِ الْهَوَاتِفِ ، وَأَصْلُ ابْنِ حِذْلَمِ هُوَ الصَّوَابُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : اتَّخَذَ الْقَوْمُ يَأْتِخَذُونَ اتَّخَاذًا : إِذَا تَصَارَعُوا فَأَخَذَ كُلُّ مِنْهُمْ عَلَى مِصْرَاعِهِ أَخْذَةً يَعْتَقِلُهُ بِهَا ، وَقَدْ تَلَيَّنَ وَتَدَغَمَ فَيَقَالُ : اتَّخَذَ .



صاحبي بسم الله الرحمن الرحيم . قال : فاتكأ عليه الشيخ فبعجه بسيفه ، فاشتق<sup>(١)</sup> بطنه ، فاستخرج منه شيئاً كهية القنديل الأسود ، ثم قال : يا عمرو ، هذا غشه وغله . ثم قال : أتدري من تلك الجارية ؟ قلت : لا . قال : تلك الفارعة بنت السليل<sup>(٢)</sup> الجرهمي ، وكان أبوها<sup>(٣)</sup> من خيار الجن ، وهؤلاء أهلها بنو عمها يغزونني منهم كل عام رجلٌ ينصرني الله عليه بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال : قد رأيت ما كان مني إلى الحبشي ، وقد غلب عليّ الجوع ، فأتني بشيء آكله ، فأقحمت فرسي<sup>(٤)</sup> البرية فما أصبت إلا بئس النعام ، فأتيته به فوجدته نائماً ، وإذا تحت رأسه شيء كهية الخشبة ، فاستلته فإذا هو سيف عرّضه شبر ، في سبعة أشبار ، فضربت ساقه ضربة أبنت الساقين مع القدمين ، فاستوى على فقار ظهره وهو يقول : قاتلك الله ما أغدرك يا غدار! قال عمر : ثم ماذا صنعت ؟ قلت : فلم أزل أضربه بسيفي<sup>(٥)</sup> حتى قطعته إزباً إزباً . قال : فوجم لذلك ثم أنشأ يقول : [ من الكامل ]

بالغدر نلت أcha الإسلام عن كذب  
والعجم تأنف مما جئته كرمأ  
إني لأعجب أنى نلت قتلته  
قرم عفا عنك مرأت وقد علقت  
لو كنت أخذ في الإسلام ما فعلوا  
في الجاهلية أهل الشرك والصلب<sup>(٨)</sup>  
إذا لنالتك من عدلي مشطبة<sup>(٩)</sup>  
تدعو<sup>(١٠)</sup> لذائقها بالويل والحرب<sup>(١١)</sup>  
ما إن سمعت كذا<sup>(٦)</sup> في سالف العرب  
تبأ لما جئته في السيد الأرب<sup>(٧)</sup>  
أم كيف جازاك عند الذنب لم تتب ؟  
بالجسم منك يداؤه موضع العطب

قال : ثم ما كان من حال الجارية ؟ قلت : ثم إنني أتيت الجارية ، فلمّا رأني قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلت : قتله الحبشي . فقالت : كذبت ، بل قتلته أنت بغدرك . ثم أنشأت تقول : [ من الخفيف ]

- (١) في الهواتف : فاشتق .
- (٢) في ح : السهيل . وفي الهامش : السليل . وفوقها خ إشارة إلى رواية أخرى ، والمثبت من ط والهواتف والضبط منه .
- (٣) وكان أبوها ساقط من ط .
- (٤) في ح ، ط : بفرسي ، والمثبت من الهواتف .
- (٥) في الهواتف : بسيفه . وهو أشبه بالصواب .
- (٦) في هامش أصل الهواتف : بذا . وفوقها خ إشارة إلى رواية في نسخة أخرى . ورواية ابن حزم في شعر عمرو : بذا أيضاً .
- (٧) « الأرب » : الحاذق الكامل ، والماهر البصير . التاج والمعجم الوسيط ( أرب ) .
- (٨) كذا على لغة من قال : « أكلوني البراغيث » الكتاب ( ٤٠ / ٢ ) ط هارون ( ١ / ٢٣٦ ط بولاق ) .
- (٩) سيف مشطب كمعظم : فيه شطب ، أي طرائق في منته . التاج ( شطب ) .
- (١٠) في ح : تدعا ، وفي الهواتف : يدعى .
- (١١) « الحرب » : نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له ، والهلاك . التاج والمعجم الوسيط ( حرب ) .

عين<sup>(١)</sup> جُودي للفارسِ المِغوارِ      ثم جُودي بواكفاتِ غِزارِ  
لا تَمَلِّي البكاءَ إذْ خانكِ الدَّهْرُ      رُبُّ بوافي حَقِيقَةِ صَبَّارِ  
وتَقِيّ وذِي وَقَارٍ وَجَلَمِ      وعدِيلِ الفَخَّارِ يَوْمَ الفَخَّارِ  
لهفَ نفسِي على بَقَائِكَ عَمْرُو      أسَلَمْتُكَ الأَعْمَارُ للأَقْدَارِ  
ولعمري لو لم تَرُمهُ بَغْدَرْ      رُمْتَ ليشاً بَصَارِمِ بَتَّارِ<sup>(٢)</sup>

قال : فأحفظني قولها ، فاستلكتُ سيفي ، ودخلتُ الخيمةَ لأقتلها ، فلم أرَ في الخيمةَ أحداً ، فاستقتُ الماشيةَ وجئتُ إلى أهلي .

وهذا أثرٌ عجيب . والظاهر أنَّ الشيخَ كان من الجانِّ ، وكان ممن أسلم وتعلَّم القرآن . وفيما تعلَّمه : بسم الله الرحمن الرحيم . وكان يتعوَّذُ بها .

وقال الخرائطي<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا عبد الله بن محمد البلوي ، حدَّثنا عُمارة بن زيد قال : حدَّثني عبد الله<sup>(٤)</sup> ابن العلاء ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن جدِّته أسماء بنتِ أبي بكرٍ قالت : كان زيدُ بن عمرو بن نفيل ، وورقةُ بن نوفل يذكرا أنَّهما أتيا النجاشيَّ بعد رجوعِ أترهه من مكة . قالوا : فلما دخلنا عليه قال لنا : اضدقاني أيها القرشيَّان ، هل وُلِدَ فيكم مولودٌ أراد أبوه ذبحه ، فضربَ عليه بالقداحِ فسَلِمَ ، ونُحِرَتْ عنه إبلٌ كثيرةٌ ؟ قلنا : نعم . قال : فهل لكما علم به ما فعل ؟ قلنا : تزوجَ امرأةً يقال لها : آمنة بنت وهب ، تركها حاملاً وخرج . قال : فهل تعلمان ولد أم لا ؟ قال ورقةُ بن نوفل : أخبرك أيها الملكُ أني ليلةً قد بَثْتُ عند وثنٍ لنا ، كنَّا نطيفُ به ، ونعبده ، إذ سمعْتُ من جوفه هاتفاً يقول : [من الوافر]

وُلِدَ النَّبِيُّ فَذَلَّتِ الْأَمْلاكُ      ونَأَى الضَّلَالُ وَأَذْبَرَ الْإِشْرَاكُ

ثم انتكس الصنمُ على وجهه ، فقال زيد بن عمرو بن نفيل : عندي كخبيره أيها الملك . قال : هات . قال : إني في مثل هذه الليلة التي ذكر فيها حديثه ، خرجتُ من عند أهلي وهم يذكرون حَمَلَ آمنةَ ، حتى أتيتُ جبلَ أبي قُبَيْسٍ أريد الخُلُوَّ فيه لأمرِ رابني ، إذ رأيتُ رجلاً نزل من السماء ، له جناحان أخضران ، فوقف على أبي قُبَيْسٍ ، ثم أشرف على مكة فقال : ذَلَّ الشَّيْطَانُ وبَطَلَتِ الْأَوْثَانُ ، ووُلِدَ الْأَمِينُ . ثم نشر ثوباً معه ، وأهوى به نحو المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، فرأيتُه قد جَلَّلَ ما تحت السماء ، وسطع نورٌ كاد أن يختطف بصري ، وهالني ما رأيت . وخفق الهاتفُ بجناحيه حتى سقط على الكعبة ؛ فسطع له نورٌ أشرفت له تَهَامَةُ ، وقال : ذَكَتِ<sup>(٥)</sup> الْأَرْضُ وَأَدَّتْ رَبِيعَهَا . وأومأ إلى الأصنام التي كانت على الكعبة

(١) في ط : يا عين ، وفي الهواتف : عيني ، والمثبت من ح .

(٢) في ح : لصارم ، وفي ط : كصارم ، والمثبت من الهواتف .

(٣) في هواتف الجنان (ص ١٨٣) ، وإسناده تالف فعمارة بن زيد كذاب (الميزان ٣/ ١٧٧) .

(٤) في أصل الهواتف : عبيد الله ، وانظر ص (١٦٢) ح ٥ وص (١٦٧) ح ٣ .

(٥) في الهواتف : زلت . وهما بمعنى .

فَسَقَطَتْ كُلُّهَا . قَالَ النِّجَاشِيُّ : وَيَحْكُمَا . أَخْبِرْكُمَا عَمَّا أَصَابَنِي ، إِنِّي لَنَائِمٌ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي ذَكَرْتُمَا فِي قُبَّةٍ ، وَقَتَّ خَلَوْتِي ، إِذْ خَرَجَ عَلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ عُنُقٌ وَرَأْسٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : حَلَّ الْوَيْلَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، رَمَتْهُمْ طَيْرٌ أَبَابِيلٌ ، بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، هَلَكَ الْأَشْرَمُ الْمَعْتَدِي الْمَجْرَمُ ، وَوُلِدَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ، الْمَكِّيُّ الْحَرَمِيُّ ، مَنْ أَجَابَهُ سَعْدٌ ، وَمَنْ أَبَاهُ عِنْدُ . ثُمَّ دَخَلَ الْأَرْضَ فَغَابَ ، فَذَهَبْتُ أَصْبَحُ فَلَمْ أَطِقِ الْكَلَامَ ، وَرُمْتُ الْقِيَامَ ، فَلَمْ أَطِقِ الْقِيَامَ ، فَفَرَعْتُ الْقُبَّةَ بِيَدِي ؛ فَسَمِعْتُ بِذَلِكَ أَهْلِي ، فَجَاؤُونِي ، فَقُلْتُ : احْبُجُّوْا عَنِّي الْحَبْشَةَ . فَحَجَّبُوهُمْ عَنِّي ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَنِّي لِسَانِي وَرَجْلِي<sup>(١)</sup>

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِهِ »<sup>(٢)</sup> فِي تَرْجُمَةِ الْحَارِثِ بْنِ هَانِيءٍ بْنِ الْمُذَلِّجِ بْنِ الْمِقْدَادِ بْنِ زَمْلٍ بْنِ عَمْرِو الْعُدْرِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ زَمْلٍ بْنِ عَمْرِو الْعُدْرِيِّ قَالَ : كَانَ لِبَنِي عُذْرَةَ صَنَمٌ يُقَالُ لَهُ : حِمَامٌ ، وَكَانُوا يُعَظِّمُونَهُ ، وَكَانَ فِي بَنِي هِنْدَ بْنِ حَرَامَ بْنِ ضِنَّةَ<sup>(٣)</sup> بْنِ عَبْدِ بْنِ كَبِيرٍ<sup>(٤)</sup> بْنِ عُذْرَةَ ، وَكَانَ سَادِنُهُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ : طَارِقٌ ، وَكَانُوا يَغْتَرُونَ عِنْدَهُ<sup>(٥)</sup> ، فَلَمَّا ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَمِعْنَا صَوْتًا يَقُولُ : يَا بَنِي هِنْدَ بْنِ حَرَامَ . ظَهَرَ الْحَقُّ وَأَوْدَى حِمَامٌ ، وَدَفَعَ الشَّرْكَ الْإِسْلَامَ . قَالَ : فَفَزَعْنَا لَذَلِكَ وَهَالْنَا ، فَمَكَّنْنَا أَيَّامًا ، ثُمَّ سَمِعْنَا صَوْتًا وَهُوَ يَقُولُ : يَا طَارِقُ يَا طَارِقُ ، بُعِثَ النَّبِيُّ الصَّادِقُ ، بُوْحَيِّ نَاطِقٌ ، صَدَعَ صَادِعٌ بِأَرْضِ تِهَامَةَ ، لِنَاصِرِيهِ السَّلَامَةِ ، وَلِخَاذِلِيهِ النَّدَامَةِ ، هَذَا الْوَدَاعُ مِنِّي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قَالَ زَمْلٌ : فَوَقَعَ الصَّنَمُ لَوَجْهِهِ . قَالَ زَمْلٌ : فَابْتَعْتُ رَاحِلَةً وَرَحَلْتُ ، حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مَعَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي وَأَنْشَدْتُهُ شِعْرًا قَلْتُهُ : [ مِنَ الطَّوِيلِ ]

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَعْمَلْتُ نَصَّهَا      وَكَلَّفْتُهَا حَزْنَاً وَغَوْرًا مِنَ الرَّمْلِ<sup>(٦)</sup>  
لَأَنْصَرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا      وَأَعْقَدَ حَبْلًا مِنْ حَبَالِكَ فِي حَبْلِي  
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ      أَدِينُ بِهِ مَا أَثْقَلْتُ قَدَمِي نَعْلِي<sup>(٧)</sup>

(١) جاء في ط بعد هذا الخبر مانصه : وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة المولد ورؤيا كسرى في سقوط أربع عشرة شرفة من إيوانه ، وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه ، وتفسير سطيح لذلك على يدي عبد المسيح . ولا وجود لهذا النص في ح ، وقد مرت قصة المولد ورؤيا كسرى في هذا الجزء ، وهذا يدل على إنزاله في غير موضعه في ط ، لذا آثرت إنزاله إلى الحاشية .

(٢) أورد الخبر ابن منظور في مختصر تاريخ ابن عساكر (١٦٨/٦) ، وإسناده مجاهيل .

(٣) في ح : صبية ، وفي ط : ضبة ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٢١٥/٥) .

(٤) في ح ، ط ومختصر تاريخ ابن عساكر : كثير ؛ والمثبت من جمهرة ابن الكلبي (١٩٦/٢) وجمهرة ابن حزم (ص ٣١٥) والإكمال (٤١٢/٢) و (٢١٥/٥) . وقد ذكر ابن مأكولا وابن حجر من يسمى كبيراً إلا أنه لم يعد هذا منهم . الإكمال (١٦٠/٧) والتبصير (١١٨٧/٣) .

(٥) « عَتَر الشاة والطبية ونحوهما يعترها » : ذبحها ، والعتيرة : أول ما يُنتَج ، كانوا يذبحونها لآلهتهم . اللسان (عتر) .

(٦) في ح : وكلفتها خوفاً وفوراً ؛ وفي المختصر : أكلفها حزناً وفوراً ؛ والمثبت من ط .

(٧) في ح : ما أثقلت قدمي رجلي . والمثبت من ط والمختصر . والشعر ظاهر الوضع .

قال : فأسلمتُ وبايعته . وأخبرناه بما سمعنا فقال : « ذاك من كلام الجن » . ثم قال : « يا معشر العرب إنني رسولُ الله إليكم وإلى الأنام كافة ، أدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وأني رسولُه وعبده ، وأنَّ يحجُّوا البيت ، ويصوموا شهراً من اثني عشر شهراً ، وهو شهرُ رمضان ، فمن أجابني فله الجنة نُزْلاً ، ومن عصاني كانت النار له مُنْقَلَباً » . قال : فأسلمنا وعقد لنا لواءً . وكتب لنا كتاباً نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله لَزَمَلِ بن عمرو وَمَنْ أسلم معه خاصة ، إني بعثته إلى قومه عامداً<sup>(١)</sup> ، فمن أسلم ففي حِزْبِ الله ورسوله . ومن أبى فله أمانٌ شهرين . شهد عليُّ بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة الأنصاري » ثم قال ابنُ عساكر : غريبٌ جداً . وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه : حدَّثني محمد بن سعيد - يعني عمه - قال محمد بن المنكدر : إنه ذُكر لي عن ابن عباس قال : هتف هاتفٌ من الجنِّ على أبي قيس فقال : [ من الخفيف ]

قَبَّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ آلَ فَهْرٍ	مَا أَدَقَّ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ <sup>(٢)</sup>
حِينَ تَغْضِي لِمَنْ يَعِيبُ عَلَيْهَا	دِينَ أَبَائِهَا الْحِمَاةِ الْكِرَامِ
حَالَفَ الْجَنْ جَنْ بُصْرَى عَلَيْكُمْ	وَرَجَالَ النَّخِيلِ وَالْأَطَامِ
تَوَشَّكُ الْخَيْلُ أَنْ تَرَوْهَا نَهَاراً	تَقْتُلُ الْقَوْمَ فِي حَرَامِ تَهَامِ <sup>(٣)</sup>
هَلْ كَرِيمٌ مِنْكُمْ لَهُ نَفْسُ حِرٍّ	مَاجِدِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَعْمَامِ <sup>(٤)</sup>
ضَارِبٌ ضَرْبَةً تَكُونُ نِكَالاً	وَرَوَاحاً مِنْ كُرْبَةٍ وَاغْتِمَامِ

قال ابنُ عباس : فأصبح هذا الشعر حديثاً لأهل مكة يتناشدونه بينهم . فقال رسول الله ﷺ : « هذا شيطانٌ يكلمُ الناسَ في الأوثان يقالُ له : مُسْعَرٌ ، والله مُخْزِيهِ » فمكثوا ثلاثة أيام ، فإذا هاتفٌ يهتفُ على الجبل يقول : [ من الرجز ]

نَحْنُ قَتَلْنَا فِي ثَلَاثِ مِسْعَرَا  
إِذْ سَقَّاهُ الْجَنْ وَسَنَّ الْمُنْكَرَا  
قَنَعْتُهُ سَيْفَا حُسَامَا مُشْهَرَا  
بِشْتِمِهِ نَبَيْنَا الْمُطَهَّرَا

فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا عَفْرِيْتُ من الجنِّ ، اسمه سمج ، آمَنَ بي سَمِيَّتُهُ عبد الله ، أخبرني أنه

- (١) كذا في ح ، ط وفي مختصر ابن منظور : عامة ، وهو أشبه بالصواب .
- (٢) كذا في ح ، ط : ولعل الصواب : يا أدق . . . جاء في الأساس ( دق ) : ويقال للذين يمنعون الخير ويشحون : لقد أدقت بكم أخلاقكم ، من أدق الرجل إذا اتبع الدقيق من الأمور .
- (٣) في ح : مصل . . . بهام ، وما أثبتته أشبه بالصواب فـ بهام لا معنى لها في البيت ، وتهام نسبة إلى تهامة ، اسم مكة ، على غير قياس ، اللسان ( تهم ) . ورواية ط : أن تردّها تهادى .
- (٤) كذا في ح ، ط ، ورواية الشطر الثاني في ح : ماجد الجديين .

في طلبه ثلاثة أيام » . فقال عليّ : جزاء الله خيراً يا رسول الله .

وقد روى الحافظ أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(١)</sup> قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي حرب الصفّار ، حدثنا عباس بن الفرّج الرّياشيّ ، حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبيه ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ، عن سعد بن عبادة قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى خَضْرَمَوْت في حاجة قبل الهجرة ، حتى إذا كنتُ في بعض الطريق ساعة من الليل ، فسمعت هاتفاً يقول : [ من الوافر ]

أبا عمرو تأوَّبني <sup>(٢)</sup> الشُّهُودُ	وراح النوم وامتنع الهُجُودُ
لِذِكْرِ عِصَابَةٍ سلفوا وبَادُوا	وكلُّ الخَلْقِ قَضَرُهُمْ يَبِيدُ
تولَّوْا واردينَ إلى المنايا	حياضاً ليس منهلها الورودُ
مَضَوْا لِسَيْلِهِمْ وَبَقِيَتْ خَلْفاً	وحيداً ليس يُسَعِّفُنِي وحيدُ
سُدَى لا أستطيعُ علاجَ أمرٍ	إذا ما عالَجَ الطفلُ الوليدُ
فَلَأَيَّاماً ما بَقِيَتْ إلى أناسٍ	وقد باتت بمهلكها ثمودُ
وعادُ والقرونُ بذِي شُعُوبٍ	سواءٌ كلُّهم أَرَمٌ حَصِيدُ <sup>(٣)</sup>

قال : ثم صاح به آخر : يا خرعب ، ذهب بك العجب<sup>(٤)</sup> ، إنَّ العجب كل<sup>(٥)</sup> العجب بين زهرة ويثرب . قال : وما ذاك يا شاصب<sup>(٦)</sup> ؟ قال نبيُّ السلام ، بُعث بخير الكلام ، إلى جميع الأنام ، فأخرج من البلد الحرام إلى نخيلٍ وآطام . قال : ما هذا النبيُّ المرسل ، والكتابُ المنزل ، والأُمِّيُّ المفضَّل ؟ قال : رجلٌ من ولد لُؤَيٍّ بنِ غالب بنِ فهر بن مالك بن النُّضَرِ بن كِنانة . قال : هيهات ، فات عن هذا سِنِّي ، وذهب عنه زَمَنِي ، لقد رأيتُني والنُّضَرُ بن كِنانة نرْمِي غَرْضاً واحداً ، ونشربُ حَلْباً بارداً ، ولقد خرجتُ به من دُومَةٍ<sup>(٧)</sup> ، في غداة شُبْمَةٍ ، وطلع مع الشمس وغرب معها ، يروي ما يسمع ويثبت ما يُبصر . ولئن كان هذا من ولده لقد سُلَّ السيف ، وذهب الخوف ، ودُحِضَ الزَّنا ، وهلك الرِّبا . قال :

- (١) الخبر في دلائل (١١٣/١) برقم (١١٨) ، وإسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب .
- (٢) في ح ، ط : ناوَّبني ، ولا يستقيم به الوزن : وفي طبعة مصطفى عبد الواحد : تناوَّبني ، والمثبت من الدلائل ، ومعناه : راجعني .
- (٣) « شعوب » : اسم المنيّة ، سميت به لأنها تفرّق . التاج ( شعب ) وأرم الشيء أرمأ فهو أرم : إذا فني وبلي . اللسان والوسيط ( أرم ) .
- (٤) في ح : اللعب .
- (٥) سقطت اللفظة من ح .
- (٦) في ط : شاحب ، والمثبت من ح والدلائل .
- (٧) في ط : دوحه .

فأخبرني ما يكون ؟ قال ذهبَ الضراء والبؤس والمجاعة<sup>(١)</sup> ، والشدة والشجاعة ، إلا بقيةً في خُزاعة .  
 وذهبَ الضراء والبؤس ، والخلقُ المنقوس<sup>(٢)</sup> إلا بقيةً من الخَزَرَج والأوس ، وذهبَ الخِيلاءُ  
 والفخر<sup>(٣)</sup> ، والنميمة والغدر ، إلا بقيةً في بني بكر - يعني ابن هوازن - وذهبَ الفعلُ المُنْدِم ، والعملُ  
 المؤثم ، إلا بقيةً في خَثْعَم . قال : أخبرني ما يكون ؟ قال : إذا غلبتِ التَّرَّة<sup>(٤)</sup> ، وكُظِمَتِ الجِرَّة<sup>(٥)</sup> ،  
 فاخْرُجْ من بلاد الهَجْرَة ، وإذا كُفَّ السلام ، وقُطِعَتِ الأرحام ، فاخْرُجْ من البلد الحرام . قال : أخبرني  
 ما يكون ؟ قال : لولا أذنٌ تسمع ، وعينٌ تلمع لاخبرتك بما تفرع . ثم قال : [ من الخفيف ]

لا منامٌ هَدَّأَتْه بنعيمٍ يا ابنَ غوطٍ ولا صباحٌ أتاناً<sup>(٦)</sup>

قال : ثم صرصر<sup>(٧)</sup> صرصرةً كأنها صرصرةٌ حُبلى ، فذهبَ الفجر ، فذهبَتْ لأنظر ، فإذا عَظَايَةٌ  
 وثعبان ميطان .

قال : فما علمتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ هاجر إلى المدينة إلا بهذا الحديث .

ثم رواه عن محمد بن جعفر ، عن إبراهيم بن علي ، عن النضر بن سلمة ، عن حسان بن عباد بن  
 موسى ، عن عبد الحميد بن بَهْرَام ، عن شَهْر ، عن ابن عباس ، عن سعد بن عُبَّادة قال : لما بايعنا  
 رسولَ الله ﷺ ليلةَ العَقَبَة خرجتُ إلى حَضْرَمَوْت لبعضِ الحاج ، قال : فقَضَيْتُ حاجتي ثم أقبلتُ حتى إذا  
 كنتُ ببعضِ الطريق نمت ، ففَزِعْتُ من الليل بصائحٍ يقول : [ من الوافر ]

أبا عمرو تأوَّبني<sup>(٨)</sup> السُّهُودُ وراحَ النومُ وانقطعَ الهجودُ

وذكر مثله بطوله .

وقال أبو نعيم : حدَّثنا عمر<sup>(٩)</sup> بن محمد بن جعفر ، حدَّثنا إبراهيم بن علي ، حدَّثنا النُّضْر بن سلمة ،

(١) في ح : المخادعة .

(٢) « المنقوس » : من قولهم : نفس بين القوم : أفسد ، ورجل نفس : يعيب الناس ويلقَّبهم . التاج ( نفس ) ، وفي  
 ط : المنفوس بالفاء .

(٣) في ح : الفقر .

(٤) في ط : البرة ، والمثبت من ح والثَّرَّة ، بضم التاء : ضبط القاموس ، وفي اللسان بفتحها ، وهي الجارية الرعاء  
 الحسناء . التاج ( ترر ) .

(٥) يقال : كظم فلان على جرَّته : إذا لم يسكت على ما في جوفه حتى تكلم به . الأساس ( كظم ) .

(٦) رواية العجز في ح : ... عوط ... أمانا .

(٧) سقطت اللفظة من ح .

(٨) انظر الصفحة السابقة ، حاشية ٢ .

(٩) سقط عمر بن . من ط ، وهو في ح برسم : محصر بن ، وما أثبتته من دلائل أبي نعيم ، حيث ورد هذا الإسناد في  
 الصفحات ( ٩١ و ١٢١ و ١٧٠ و ١٧١ ) من الجزء الأول من الدلائل وترجمته في ذكر أخبار أصبهان ( ٣٥٨ / ١ ) وسند  
 الخبر الذي سيأتي بعد التالي ، وقد أورده ابن عساكر ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ( ٣١٨ / ٥ ، ٣١٩ ) .

حدَّثنا أبو غزَّيَّة<sup>(١)</sup> محمد بن موسى ، عن العَطَّاف بن خالد الوابصي<sup>(٢)</sup> ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال : سمعتُ تميمًا الداريّ يقول : كنتُ بالشَّام حين بُعثَ النَّبِيُّ ﷺ ، فخرجتُ لبعضِ حاجتي ، فأدركني الليل ، فقلت : أنا في جِوارٍ عظيم هذا الوادي الليلة . قال : فلما أخذتُ مضجعي إذا أنا بمنادٍ يُنادي - لا أراه - عُدَّ بالله ، فإنَّ الجنَّ لا تُجِيرُ أحداً على الله . فقلت : أيم الله تقول<sup>(٣)</sup> ؟ فقال : قد خرج رسولُ الأمَّيين رسولُ الله ، وصلَّينا خلفه بالحَجُّون ، فأسلمنا واتَّبَعْنَاهُ ، وذهب كَيْدُ الجنِّ ، ورُميتُ بالشُّهب ، فانطلقَ إلى محمد رسولِ ربِّ العالمين فأسلم . قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى ديرِ أيُّوب ، فسألتُ راهباً وأخبرته الخبر ، فقال الراهب : قد صدَّقوك ، يخرجُ من الحرم ومهاجرُهُ الحرم ، وهو خيرُ الأنبياء فلا تُسَبِّقِ إليه . قال تميم : فتكلَّفتُ الشَّخصَ حتى جئتُ رسولَ الله ﷺ فأسلمت .

وقال حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن يزيد الهذلي ، عن عبد الله بن ساعدة الهذلي ، عن أبيه ، قال : كُنَّا عند صنمنا سُوَاع ، وقد جلبنا إليه غنماً لنا مئتي شاة ، قد أصابها جَرَبٌ ، فأذْنَيْتُهَا مِنْهُ لِتَطْلُبَ بركته ، فسمعتُ منادياً من جَوْفِ الصَّنَمِ يُنادي : قد ذهب كَيْدُ الجنِّ ، ورُمينا بالشُّهب ، لنبيِّ اسمه أحمد . قال : فقلت : غَوَيْتُ والله ، فصرفتُ وَجْهَ غَنَمِي مُنْجِداً إلى أهلي<sup>(٤)</sup> ، فخبَّرَنِي بظهورِ النَّبِيِّ ﷺ . ذكره أبو نعيم هكذا معلقاً<sup>(٥)</sup> ، ثم قال<sup>(٦)</sup> :

حدَّثنا عمر بن محمد بن جعفر ، حدَّثنا إبراهيم بن السُّنْدِي ، حدَّثنا النَّضْر بن سلَمة ، حدَّثنا محمد بن سلَمة<sup>(٧)</sup> المَخْزُومِي ، حدَّثنا يحيى بن سليمان ، عن حكيم بن عطاء الظفري<sup>(٨)</sup> - من بني سُليم من ولد راشد بن عبد ربَّه - عن أبيه ، عن جدِّه ، عن راشد بن عبد ربَّه قال : كان الصَّنَمُ الذي يُقال له : سُوَاع بالمَعْلَاة من رُهاط<sup>(٩)</sup> ، تدينُ له هُذَيْل وبنو ظفر بن سُليم ، فأرسلتُ بنو ظفر راشد بن عبد ربَّه بهديَّةً من

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) في ط : الوصابي . تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال للمزي (١٣٨/٢٠) وتهذيب التهذيب لابن حجر ، نسبه إلى وابصة بن خالد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، أحد أجداده .

(٣) في تاريخ ابن عساكر : أيم تقول . وهو بمعنى : أي شيء تقول ؟ انظر مختصر تاريخ دمشق والتاج ( أيم ) .

(٤) في ح : أهله . والمثبت من ط ، وفي الإصابة : منحدرأ .

(٥) ليس الخبر في دلائل أبي نعيم المطبوع ، وقد أورده ابن حجر في الإصابة في ترجمة ساعدة ، وذكر لرواية أبي نعيم له في الدلائل ، وقال : وإسناده ضعيف .

(٦) يعني أبا نعيم في الدلائل (١٥٠/١) ، وإسناده فيه مجاهيل .

(٧) في ط : مسلمة ، تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل والجرح والتعديل ( ٢٧٦/٧ ) .

(٨) في دلائل أبي نعيم : الصقري ، وفي الإصابة : السلمي . ولم أفق على ترجمة له فيما لدي من المصادر ، والمثبت هنا من الإصابة ، وهو أشبه بالصواب ، لأنه من بني ظفر بن سليم كما سيأتي .

(٩) « المعلاة » : بالفتح ثم السكون : موضع بين مكة وبدر . ورُهاط : بضم أوله : موضع على ثلاثة ليال من مكة ، وقال قوم : وادي رهاط في بلاد هذيل . وكان أول من اتخذ سواعاً من ولد إسماعيل حين فارقوا دين إسماعيل هذيل بن مدركة . معجم البلدان (٣/ ١٠٧ و ٢٧٦ ، ٥/ ١٥٨) والأصنام ( ص ٩ ، ١٠ ) .

سليم إلى سُوع ، قال راشد : فَأُلْقِيَتْ مع الفَجْرِ إلى صنم قَبْلَ صنم سُوع ، فإذا صارخٌ يصرخ من جَوْفِهِ : العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ ، من خروج نبيٍّ من بني عبد المطلب ، يُحَرِّمُ الزَّنا والزَّبا والدَّبْحَ للأصنام ، وحُرستِ السماء ، ورُمينا بالشُّهُبِ ، العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ . ثم هتف صنمٌ آخرٌ من جوفه : تُرِكَ الضَّمَارُ<sup>(١)</sup> وكان يُعبد ، خرج النبيُّ أحمد ، يُصَلِّي الصلاة ، ويأمرُ بالزكاة والصَّيام ، والبرِّ والصَّلَاتِ للأرحام . ثم هتف من جوفِ صنمٍ آخرَ هاتِفٌ يقول : [من الكامل]

إِنَّ الذي ورثَ النبوةَ والهُدى      بَعْدَ ابنِ مَرْيَمَ من قريشٍ مهتدٍ  
نبيٌّ أتى يُخبرُ بما قد سبق      وبما يكونُ اليومَ حقاً أو غداً<sup>(٢)</sup>

قال راشد : فَأُلْقِيَتْ سُوعاً مع الفجرِ وتُعَلَّبَانِ يلحسانِ ما حولَهُ ، ويأكلانِ ما يُهدى له ، ثم يَعُوجَانِ عليه بِبَوْلِهِمَا ، فعند ذلك يقولُ راشدُ بن عبدِ ربِّه<sup>(٣)</sup> : [من الطويل]

أرَبُّ يَبُولُ الثُّعْلَبَانِ برأسِهِ      لقد ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عليه الثُعالبُ

وذلك عند مَخْرَجِ النبي ﷺ ومهاجرِهِ إلى المدينة ، وتسامع الناسُ به ، فخرج راشدٌ حتى أتى النبي ﷺ المدينةَ ومعه كلبٌ له ، واسم راشدٍ يومئذٍ ظالم ، واسمُ كلبِهِ راشد ، فقال له النبي ﷺ : « ما اسمك ؟ » قال : ظالم . قال : « ما اسمُ كَلْبِكَ ؟ » قال : راشد . قال « اسمك راشد ، واسم كلبك ظالم » وضحك النبي ﷺ ، وبايع النبي ﷺ وأقام بمكة معه ، ثم طلب من رسولِ الله ﷺ قَطِيعَةً برُهاط - ووصفها له - فأقطعهُ رسولُ الله ﷺ بالمَعْلَةِ من رُهاط ، شَأَوُ الفَرَسِ<sup>(٤)</sup> ، ورَمِيَتْهُ ثلاثُ مَرَّاتٍ بِحَجَرٍ ، وأعطاهُ إِداوَةً<sup>(٥)</sup> مملوءةً من ماءٍ ، وتفلَّ فيها وقال له : « فرَّغها في أعلى القَطِيعَةِ ولا تمنع الناسَ فُضُولَها » ففعل ، فجعلَ الماءَ معيناً يجري<sup>(٦)</sup> إلى اليوم ، فغرس عليها النخل .

(١) « الضمار » : صنم كان في ديار سليم بالحجاز معجم البلدان (٤٦٢/٣) وفي التاج ( ضمير ) : ضِمَارُ صنم عبده العباس بن مرداس السلمي ورهطه .

(٢) كذا في ح ، ط : والبيت مضطرب الوزن في صدره ، وصواب قافيته غدا ، ونثر نثراً في دلائل أبي نعيم ، وروايته : نبي يخبر بما سبق وبما يكون في غد . وسقطت : قد من ط ، وفي خبر عباس بن مرداس في السيرة الحلبية (٢٣٤/١) سبق البيت الأول بيتان وهما :

قل للقبائل من قريش كلُّها      هلك الضمار وفاز أهل المسجد  
هلك الضمار وكان يعبد مدّة      قبل الصلاة على النبي محمد

(٣) البيت ينسب لعباس بن مرداس وهو في ديوانه ، وينسب أيضاً لغاوي بن ظالم السلمي وأبي ذر الغفاري . اللسان ( ثعلب ) . والثعلبان : ذكر الثعلب ، والثعلب يطلق على الذكر والأنثى .

(٤) « شَأَوُ الفرس » : شوطها ومداه . اللسان ( شَأَو ) .

(٥) « الإداوة » : إناء صغير يُحمل فيه الماء . ( المعجم الوسيط ) .

(٦) كذا في ط ، وفي ح : محمر . وعلّق الناسخ على الهامش ما نصه : لعله يجري ، وفي دلائل أبي نعيم : مجمعة ، وأظن الصواب فيه : يجمُّ ؛ بمعنى يكثر . والله أعلم . اللسان ( جمم ) .



ويقال : إِنَّ رُهَاطَ كُلِّهَا تَشْرَبُ مِنْهُ ، فَسَمَّاها النَّاسُ ماءَ الرَّسُولِ ﷺ ؛ وَأَهْلُ رُهَاطٍ يَغْتَسِلُونَ بِهَا .  
وَبَلَغَتْ رَمِيَّةُ رَاشِدِ الرِّكِيْبِ ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ : رَكِيْبُ الْحَجَرِ<sup>(١)</sup> وَغَدَا رَاشِدٌ عَلَى سُوَاغٍ فَكَسَرَهُ .

وقال أبو نعيم<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخُزَاعِيُّ الْأَهْوَازِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ بْنِ دِلْهَاتٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْرِعٍ<sup>(٣)</sup> بَنِي يَاسِرٍ بْنِ سُويْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ دِلْهَاتٍ ، عَنْ أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ ، أَنَّ أَبَاهُ عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ مَسْرِعٍ بَنِي يَاسِرٍ أَنَّ أَبَاهُ يَاسِرًا حَدَّثَهُ عَنْ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَحْدُثُ قَالَ : خَرَجْتُ حَاجًّا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَأَنَا بِمَكَّةَ نُورًا سَاطِعًا مِنَ الْكَعْبَةِ ، حَتَّى أَضَاءَ فِي جَبَلٍ يَثْرِبُ وَأَشْعَرَ جُهَيْنَةً<sup>(٤)</sup> ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي النُّورِ وَهُوَ يَقُولُ : انْقَشَعَتِ الظُّلُمَاءُ ، وَسَطَعَ الضِّيَاءُ ، وَبُعْثَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ أَضَاءَ إِضَاءَةً أُخْرَى حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الْحَيْرَةِ وَأَبْيَضِ الْمَدَائِنِ<sup>(٥)</sup> ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا فِي النُّورِ وَهُوَ يَقُولُ : ظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ ، وَوُصِلَتِ الْأَرْحَامُ . فَانْتَبَهْتُ فَرِعًا ! فَقُلْتُ لِقَوْمِي : وَاللَّهِ لِيُحْدِثَنَّ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ قَرِيْشٍ حَدَثٌ ، وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ ؛ فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بِلَادِنَا جَاءَنَا رَجُلٌ فَأَخْبَرَنَا أَنَّ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ : أَحْمَدُ قَدْ بُعْثَ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ ، فَقَالَ : « يَا عَمْرٍو بَنِي مُرَّةَ إِنِّي الْمُرْسَلُ إِلَى الْعِبَادِ كَافَّةً ، أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَمُرُّهُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، شَهْرٍ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا ، فَمَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ ؛ فَأَمِنْ يَا عَمْرٍو بَنِي مُرَّةَ يُؤَمِّنُكَ اللَّهُ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ » . فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . آمَنْتُ بِكُلِّ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، وَإِنْ أَرْغَمَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْوَامِ ؛ ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ أَيْبَاتًا قَلْتُهَا حِينَ سَمِعْتُ بِهِ وَكَانَ لَنَا صَنَمٌ ، وَكَانَ أَبِي سَادِنًا لَهُ ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَكَسَرْتَهُ ، ثُمَّ لَحِقْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ : [ مِنَ الطَّوِيلِ ]

### شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنْنِي لَأِلَٰهَةِ الْأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكٍ

- (١) « الركيب » : المِشَارَةُ بِالْفَتْحِ : السَّاقِيَةُ أَوْ الْجَدُولُ بَيْنَ الدَّبْرَتَيْنِ ، أَوْ هِيَ مَا بَيْنَ الْحَائِطَيْنِ مِنَ النَّخِيلِ وَالْكَرْمِ ، وَقِيلَ هِيَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ مِنَ الْكَرْمِ ؛ أَوْ الْمَزْرَعَةُ . التَّاجُ ( رَكِبَ ) .
- (٢) إِسْنَادُ الْخَبَرِ فِي الدَّلَائِلِ (١٢١/١) مُخْتَلَفٌ عَمَّا هُنَا ، وَهُوَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ (٢٤٤/٨) وَالْوُفَا (٨١/١) .
- (٣) فِي ح : سَرَعٌ ، تَصْحِيفٌ ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ ط وَالْإِصَابَةُ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْهُ ، وَلِسَانُ الْمِيزَانِ (٢٠/٦) وَقَالَ عَنْهُ : مَجْهُولٌ . وَيَبْدُو أَنَّهُ سَقَطَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ وَابْنُ مَسْرِعٍ كَمَا سَيَأْتِي فِي إِسْنَادِهِ . وَالْإِسْنَادُ لِلطَّبْرَانِيِّ فِي مَعْجَمِهِ الْكَبِيرِ (٢٧٧/٢٢) إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَقْعَ عَلَى الْخَبَرِ فِيمَا طُبِعَ مِنْهُ ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ (٤٢٢٠) ، وَهُوَ إِسْنَادٌ مِنَ الْمَجَاهِيلِ .
- (٤) مَضَى تَعْرِيفُ الْأَشْعَرِ فِي ص (١٢٧) ح (٣) .
- (٥) مَضَى تَعْرِيفُ أَبِيضِ الْمَدَائِنِ فِي ص (١٢٧) ح (٤) .

فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي إِزَاراً مُهَاجِراً إِلَيْكَ أَدِبُ الْعَوَزِ بَعْدَ الدَّكَادِكِ<sup>(١)</sup>  
لأَصْحَبِ خَيْرِ النَّاسِ نَفْساً وَوَالِداً رَسُولَ مَلِكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ<sup>(٢)</sup>

فقال النبي ﷺ : « مرحباً بك يا عمرو بن مُرَّة <sup>(٣)</sup> . فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ابعث بي إلى <sup>(٤)</sup> قومي لعلَّ الله أن يَمُنَّ بي عليهم كما مَنَّ بك عليّ . فبعثني إليهم وقال : « عليك بالقول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبراً ولا حسوداً » فأتيت قومي فقلت لهم : يا بني رفاعه ، ثم يا بني جُهينة ، إني رسول من رسول الله إليكم ، أدعوكم إلى الجنة ، وأحذركم النار ، وأمرُكم بحَقْنِ الدِّمَاءِ ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ، شهر من اثني عشر شهراً ؛ فمن أجابَ فله الجنة ، ومن عصَى فله النار ؛ يا معشرَ جُهينة ، إنَّ الله - وله الحمد - جعلكم خيارَ مَنْ أنتم منه ، وبغضَ إليكم في جاهليَّتكم ما حُبِّبَ إلى غيركم من الرِّفْتِ - لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلِفُ الرجلُ على امرأة أبيه - والتَّراتِ <sup>(٥)</sup> في الشهر الحرام ؛ فأجيبوا هذا النبي المرسل ﷺ من بني لُؤَيٍّ بن غالب ، تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة ، سارعوا وسارعوا في ذلك ، تكن في ذلك لكم فضيلة عند الله . فأجابوا إلا رجلاً منهم قام فقال : يا عمرو بن مُرَّة ، أمرَ الله عليك عَيْشَكَ ! أتأمرنا أن نرفضَ آلهتنا ، ونُفَرِّقَ جماعتنا بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعُو هذا القرشي من أهل تهامة ؟ لا ، ولا مَرَجِبا ولا كرامة ، ثم أنشأ يقول : [ من الكامل ]

إنَّ ابنَ مُرَّةٍ قد أتى بمقالةٍ      ليستُ مقالةً من يُريدُ صلاحاً  
إني لأحسبُ قوله وفعاله      يوماً وإن طال الزمانُ رياحاً  
أتسفهُ الأشياءَ ممَّنْ قد مضى      من رامَ ذلكَ لا أصابَ فلاحاً

فقال عمرو بن مرة : الكاذب مني ومنك أمرَ الله عيشه ، وأبكم لسانه ، وأكُمة بصره . قال عمرو بن مُرَّة : والله ما مات حتى سقط فوه ، وكان لا يجدُ طعمَ الطعام ، وعمي وخرس .

وخرج عمرو بن مُرَّة ومن أسلم من قومه حتى أتوا النبي ﷺ ، فرحَّبَ بهم وحيَّاهم <sup>(٦)</sup> ، وكتب لهم كتاباً هذه <sup>(٧)</sup> نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله على لسان رسول الله ، بكتاب

(١) مضى التعليق على ذلك في ص (١٢٨) ح (٢) .

(٢) مضى التعليق على ذلك في ص (١٢٨) ح (٣) .

(٣) سقط : بن مرة من ح .

(٤) في ح : على .

(٥) يعني : وبغض إليكم الترات ، وهي جمع ترة ، وهي الدُّخْل ، من قولهم : وتزته ، أي أدركته بمكروه ، والموتور الذي قتل له قتيلاً فلم يدرك بدمه . اللسان ( وتر ) .

(٦) في ط : وحياهم .

(٧) في ح : هذا .

صادق ، وحقّ ناطق ، مع عمرو بن مُرّة الجُهَنِيّ لجُهيّة بن زيد ، إنّ لكم بُطُون الأرض وسُهلها ، وتِلَاع الأودية وظهورها ، ترعون نباته ، وتشربون صافيه ، على أن تُقرؤوا بالخُمس ، وتصلُّوا الصلوات الخُمس ، وفي التَّيعة والضَّريمة شاتان<sup>(١)</sup> إنّ اجتمعنا ، وإن تفرقتا<sup>(٢)</sup> فشاةُ شاة . ليس على أهل المُثيرة<sup>(٣)</sup> صدقة ، ليس الوردة اللبقة . وشهد من حضرنا من المسلمين بكتاب قيس بن شماس رضي الله عنهم . وذلك حين يقول عمرو بن مرة : [ من الطويل ]

ألم تر أنّ الله أظهر دينه	ويبين بُرّهان القرآن لعامر
كتاب من الرحمن نور لجمعنا	وأخلافنا في كلّ بادٍ وحاضر
إلى خير من يمشي على الأرض كلّها	وأفضلها عند اغتكار الضرائر <sup>(٤)</sup>
أطعنا رسول الله لما تقطعت	بطون الأعادي بالطُّبى والخواطر <sup>(٥)</sup>
فنحن قبيل قد بُني المجد حولنا	إذا اجتلبت في الحرب هام الأكابر
بنو الحرب تقرّبها بأيدي طويلة	ويضّر تلالا في أكف المغاور
ترى حوله الأنصار تحمي أميرهم <sup>(٦)</sup>	يسمر العوالي والصّفاح البواتر
إذا الحرب دارت عند كلّ عزيمة	ودارت رحاها بالليوث الهواصر
تبلّج منه اللون وازداد وجهه	كمثل ضياء البدر بين الزواهر

وقال أبو عثمان سعيد بن يحيى الأموي في مغازيه : حدّثنا عبد الله ، حدّثنا أبو عبد الله ، حدّثنا المُجَالِد بن سعيد والأجلح عن الشعبي ، حدّثني شيخ من جُهيّة قال : مرض رجل منا مرضاً شديداً فنقل ، حتى حفرنا له قبره ، وهياناً أمره ، فأغمي عليه ثم فتح عينيه ، وأفاق فقال : أحفرتُم لي ؟ قالوا : نعم . قال : فما فعل القُصَل<sup>(٧)</sup> - وهو ابن عمّ له - قلنا : صالح ، مرّ أنفاً يسألُ عنك . قال : أما إنّه يُوشك أن يُجعل في حفرتي ، إنه أتاني آتٍ حين أغمي عليّ فقال : ابكِ هُبَل ، أما ترى حُفرتَكَ

- 
- (١) مضى التعليق على ذلك في ص (١٢٨) ح (٦ و ٧) .  
 (٢) في ح : إنّ اجتمعنا ، وإن تفرقا ، والمثبت من النهاية وط .  
 (٣) في ح ، ط : الميرة . والمثبت مما سبق ص (١٢٨) ح (٨) .  
 (٤) « الاعتكار » : الازدحام والكثرة ، وهي هنا بمعنى الاختلاط ، والضرائر : الأمور المختلفة ، كضرائر النساء لا يتفقن . قال ابن الأثير (٢٨٤ / ٣) : ويروى باللام . النهاية ( عكر ، ضرر ) .  
 (٥) « الطُّبى » : جمع طبة ، وهي حد السيف . والخواطر : جمع خاطر وهو المتبخر ، من الخطران عند الصولة والنشاط ، وهو التصاول والوعيد . انظر اللسان ( خطر ، ظبي ) . ولفظ ح : الضبار الخواطر .  
 (٦) في الوفا : يحمون سربه .  
 (٧) الضبط من تبصير المنتبه (١٠٨٠ / ٣) .

تَنْتَلَّ<sup>(١)</sup> ، وأنتُ قد كادت تَنْكَلُ ؟ أَرَأَيْتَكَ إِنْ حَوَّلْنَاهَا عَنْكَ بِالْمَحْوَلِ ، ثُمَّ مَلَأْنَاهَا بِالْجَنْدَلِ ، وَقَذَفْنَاهَا فِي الْقُصَلِ ، الَّذِي مَضَى فَأَجْزَأَكَ ، وَظَنَّ أَنْ لَنْ يَفْعَلَ ؟ أَتَشْكُرُ لِرَبِّكَ وَتُصَلِّ ، وَتَدْعُ دِينَ مَنْ أَشْرَكَ وَضَلَّ ؟ قَالَ : قُلْتَ : نَعَمْ . قَالَ : قُمْ ، قَدْ بَرِئْتَ . قَالَ : فَبَرِئْتُ الرَّجُلَ . وَمَاتَ الْقُصَلُ فَجُعِلَ فِي حُفْرَتِهِ .

قَالَ الْجُهَنِيُّ : فَرَأَيْتُ الْجُهَنِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَصَلِّي وَيَسُبُّ الْأَوْثَانَ وَيَقْعُ فِيهَا<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ الْأُمَوِيُّ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ : بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَجْلِسٍ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْجِنِّ ، فَقَالَ خُرَيْمُ بْنُ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ : أَلَا أُحَدِّثُكَ كَيْفَ كَانَ إِسْلَامِي ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : إِنِّي يَوْمًا فِي طَلَبِ ذَوْدٍ لِي ، أَنَا مِنْهَا عَلَى أَثَرٍ ، تَنْصَبُّ وَتَصْعَدُ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِأَبْرِقِ الْعَزَافِ<sup>(٤)</sup> ، أَنْخَتُ رَاحِلَتِي وَقُلْتُ : أَعُوذُ بِعَظِيمِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ، أَعُوذُ بِرَبِّيسِ هَذَا الْوَادِي ، فَإِذَا بِهَا تَهْتَفُ يَهْتَفُ بِي : [ مِنْ الرَّجَزِ ]

وَيَحْكُ ، عُدَّ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ وَالْإِفْضَالِ  
ثُمَّ اتْلُ آيَاتِ مِنَ الْأَنْفَالِ وَوَحَّدِ اللَّهَ وَلَا تَبَالِي

قَالَ : فَذُعِرْتُ ذُعْرًا شَدِيدًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ : [ مِنْ الرَّجَزِ ]

يَا أَيُّهَا الْهَاتِفُ مَا تَقُولُ ؟ أَرَشَدُ عَنْكَ أَمْ تَضْلِيلُ ؟  
بَيِّنْ هَذَاكَ اللَّهُ مَا الْحَوِيلُ<sup>(٥)</sup>

قَالَ : فَقَالَ : [ مِنْ الرَّجَزِ ]

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ يَشْرَبُ يَدْعُو إِلَى النِّجَاةِ  
يَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَبِالصَّلَاةِ وَيَزِدُّ النَّاسَ عَنِ الْهَنَاتِ<sup>(٦)</sup>

قَالَ : قُلْتُ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى آتِيَهُ وَأَوْمَنَ بِهِ ، فَنَصَبْتُ رِجْلِي فِي غَرَزٍ<sup>(٧)</sup> رَاحِلَتِي وَقُلْتُ : [ مِنْ الرَّجَزِ ]

أَرَشِدْنِي أَرَشِدْنِي هُدَيْتَا<sup>(٨)</sup> لَا جُعْتُ مَا عَشْتُ وَلَا عَرَيْتَا

(١) يقال : نثلوا حفرة فلان وانتثلوها : أي حفروا قبره . الأساس واللسان ( نثل ) .

(٢) إسناده ضعيف لجهالة من روى عنه الشعبي .

(٣) « تنصب » : تنحدر . انظر اللسان ( صبب ) .

(٤) في ح ، ط : العراق . وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ومعجم البلدان ( ٦٨ / ١ ) وفيه : أبرق العزاف : ماء لبني أسد بن خزيمه ، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة ، يجاء من حومانة الدراج إليه . قالوا : وإنما سمي العزاف ، لأنهم يسمعون عذيف الجن .

(٥) « ما الحويل » : ما الحيلة ؟ والحويل : الحذق وجودة النظر ، والقدرة على دقة التصرف . اللسان ( حول ) .

(٦) في ط : ويزع ، وكلاهما بمعنى ، وهو الزجر والنهي والكف .

(٧) « الغرز » : ركاب الرّحل ، من جلد مخروز ، يعتمد عليه في الركوب . المعجم الوسيط ( غرز ) .

(٨) كذا في ح ، ط ، والبيت مضطرب الوزن ، ورواية أبي نعيم في الدلائل أشبه بالصواب وهي : أَرَشِدْنِي رُشْدًا بِهَا هُدَيْتَا .

ولا برحتَ سيِّداً مُقيّتا      لا تُؤثرَ الخيرَ الذي أتيتا  
على جميع الجنِّ ما بقيتا

فقال : [ من الرجز ]

صاحبَكَ اللهُ وأدَّى رَحْلَكَ      وعظَّمَ الأجرَ وعافى نَفْسَكَ  
آمِنٌ به أفلَحَ رَبِّي حقَّكَ      وانصُرْهُ أعزَّ رَبِّي نصرَكَ<sup>(١)</sup>

قال : قلت : مَنْ أَنْتَ عافاك اللهُ ؟ حتى أخبرَهُ إذا قَدِمْتُ عليه ؟ فقال : أنا ملك بن ملك ، وأنا نَقِيْبُهُ على جَنِّ نَصِيْبِيْن . وكُفِيتَ إِبْلَكَ حَتَّى أَضْمَّهَا إِلَى أَهْلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . قال : فخرجتُ حَتَّى أَتَيْتُ المَدِيْنَةَ يَوْمَ الجُمُعَةِ والنَّاسُ أَرْسَالٌ إِلَى المَسْجِدِ ، والنَّبِيُّ ﷺ على المنبر كأنه البذر يخطُبُ الناسَ ، فقلت : أُنِخَ على باب المسجد حَتَّى يُصَلِّيَ ، وأَدْخَلَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَأَخْبَرَهُ عَنِ إِسْلَامِي ؛ فَلَمَّا أَنْخَتُ خَرَجَ إِلَيَّ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : مَرْحَباً وَأَهلاً وَسَهلاً ، قَدْ بَلَّغْنَا إِسْلَامُكَ ، فَادْخُلْ فَصَلِّ . ففعلتُ ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَنِي بِإِسْلَامِي . فقلت : الحمد لله . قال : « أَمَا إِنَّ صَاحِبَكَ قَدْ وَفَى لَكَ ، وَهُوَ أَهْلُ ذَلِكَ ، وَأَدَّى اللهُ إِبْلَكَ إِلَى أَهْلِكَ »<sup>(٢)</sup>

وقد رواه الطبراني في ترجمة خُرَيْم بن فاتك من « معجمه الكبير » قائلًا<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا الحُسَيْن بن إِسْحَاق التُّسْتَرِيُّ<sup>(٤)</sup> ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الشَّامِي ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بن موسى الإسكندري ، حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن إِسْحَاق ، عَنْ سَعِيد بن أَبِي سَعِيد المَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ خُرَيْمُ بن فَاتِك لِعَمْر بن الخطاب : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا أَخْبِرُكَ كَيْفَ كَانَ بُدُوُ إِسْلَامِي ؟ قَالَ : بَلَى ، فَذَكَرَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَقَالَ : ادْخُلْ ، فَقَدْ بَلَّغْنَا إِسْلَامُكَ . فقلت : لَا أَحْسِنُ الطُّهُورَ . فَعَلَّمَنِي ، فَدَخَلْتُ المَسْجِدَ ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كأنه البذر وهو يقول : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى صَلَاةً يَحْفَظُهَا وَيَعْقِلُهَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ » فقال لي عمر : لَتَأْتِيَنِي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٌ أَوْ لَأُنْكَلَنَّ بِكَ . فَشَهِدَ لِي شَيْخُ قُرَيْشٍ عُثْمَانُ بن عَفَّانَ ، فَأَجَازَ شَهِادَتَهُ .

(١) كذا في ح ، وفي ط : وانصره نصرأ عزيزاً نصركا . وكلاهما مضطرب الوزن ، ولعل الصواب : وانصره نصرأ عزَّ رَبِّي نصركا . ورواية الدلائل : وانصر نبياً عزَّ رَبِّي نصركا .

(٢) الخبر بنحوه في دلائل أبي نعيم (١/١٣٦) وأخرجه ابن عساكر مختصر ابن منظور (٨/٤١ ، ٤٢) . وذكره الهيثمي في المجمع (٨/٢٥١ ، ٢٥٢) . قال بشار : وإسناده معضل . وانظر رواية الطبراني التالية ، فهي من رواية محمد بن إبراهيم الشامي الكذاب .

(٣) المعجم الكبير رقم (٤١٦٥) .

(٤) في ح ، ط : اليسيري ، والمثبت من المعجم الكبير والمعجم الصغير ، والسير (١٤/٥٧) .

ثم رواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة<sup>(١)</sup> ، عن محمد بن تيم<sup>(٢)</sup> ، عن محمد بن خليفة ، عن محمد بن الحسن ، عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب لخريم بن فاتك : حدثني بحديث يعجبني<sup>(٣)</sup> فذكر مثل السياق الأول سواء .

وقال أبو نعيم<sup>(٤)</sup> : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شُرْحَيْل ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن أبي عمرو السَّيْبَانِي<sup>(٥)</sup> ، عن عبد الله بن الدَّيْلَمِي قال : أتى رجلُ ابنَ عباس فقال : بلغنا أنك تذكرُ سَطِيحاً ، تزعم أنَّ الله خلقه ، لم يخلق من بني آدم شيئاً يشبهه ؟ قال : نعم ، إنَّ الله خلق سَطِيحاً الْغَسَّانِيَّ لحماً على وِضْمٍ<sup>(٦)</sup> ، ولم يكن فيه<sup>(٧)</sup> عَظْمٌ ولا عَصَبٌ إِلَّا الْجُمُجُمَةُ ، والكَفَّان . وكان يُطَوَّى من رِجْلَيْهِ إلى تَرْقُوتِهِ كما يُطَوَّى الثوب ، ولم يكن فيه شيءٌ يتحرَّك إِلَّا لسانه . فلما أراد الخروجَ إلى مكة حُمِلَ على وَضْمِهِ فَأُتِيَ به مكة ، فخرج إليه أربعةٌ من قريش : عبد شمس وهاشم ابنا عبد مَنَاف بن قُصَيٍّ ، والأحوصُ بن فهر ، وعقيل بن أبي وقاص ، فانتموا إلى غير نَسَبِهِم وقالوا : نحن أناسٌ من جُمَح ، أتيناك ، بلغنا قدومك ، فرأينا أنَّ إتياننا إِيَّاكَ حق لك واجبٌ علينا ، وأهدى إليه عقيل صفيحةً هنديةً ، وصَعْدَةُ رُدَيْنِيَّةٌ ، فوضعت على باب البيت الحرام<sup>(٨)</sup> لينظروا ، أهل يراها سَطِيحٌ أم لا ؟ فقال : يا عقيل ، ناولني يدك . فناوله يده فقال :

- (١) المعجم الكبير رقم (٤١٦٦) وفيه : محمد بن عفان ، وهو تحريف ، وترجمته في السير (٢١/١٤) . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٦٢١/٣) قال فيه الذهبي : لم يصح .
- (٢) في المعجم الكبير والمستدرك : محمد بن تسنيم الحضرمي . ولم أقف على ترجمة له ، وفي الميزان (٣/٤٩٤) : محمد بن تسنيم الوراق . قال الذهبي : لم أدر ما حاله وواقفه الحافظ في لسان الميزان .
- (٣) في المعجم : تعجبني به .
- (٤) دلائل النبوة لأبي نعيم (١٥٢/١) وذكره السيوطي في الخصائص (٣٣/١) وقال : وأخرجه ابن عساكر . وهو في مختصره لابن منظور (٢٩٧/٨) .
- (٥) في ح ، ط : الشيباني . بالشين المعجمة ، وكذا في الدلائل ، وهو تصحيف ، والمثبت من الإكمال (١١١/٥) والأنساب (٢١٥/٧) والتقريب (٣٥٥/٢) وفيه : روايته عن الصحابة مرسلة .
- (٦) « الوِضْم » : شرائح من جرائد النخل . هذا الشرح من رواية ابن عساكر ، وفي النهاية (١٩٩/٥) : الوِضْم : الخشبة التي يوضع عليها اللحم ، تقيه من الأرض . ومنه حديث عمر رضي الله عنه : إنما النساء لحم على وِضْم ، إلا ما ذُبَّ عنه . قال الأزهري : إنما خص اللحم على الوِضْم وشبه به النساء ، لأن من عادة العرب ، إذا نحر بغير لجماعة يقتسمون لحمه أن يقلعوا شجراً ويوضم بعضه على بعض ، ويُعْضَى اللحم - يَفْرَق - ويوضع عليه ، ثم يُلقى لحمه عن عرقه ، ويقطع على الوِضْم ، هبراً للقسَم ، وتَوَجَّج النار ، فإذا سقط جمرها اشتوى من حضر شيئاً بعد شيء على ذلك الجمر ، لا يمنع منه أحد ، فإذا وقعت المقاسم حَوْل كل واحد قسمه عن الوِضْم إلى بيته ، ولم يعرض له أحد . فشبه عمر النساء وقلة امتناعهن على طلابهن من الرجال باللحم ما دام على الوِضْم .
- (٧) زاد في ح هنا : ... لحماً ولا عصب ولم يكن فيه .
- (٨) في ح : فوضعت على باب الحرم .

يا عقيل ، والعالم الخفية ، والغافر الخطية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية ، إنك للجائي بالهدية ،  
الصفحة الهندية ، والصعدة الرديئة . قالوا : صدقت يا سطيح ، فقال والآتي<sup>(١)</sup> بالفرح ، وقوس فرح ،  
وسائر الفرّح<sup>(٢)</sup> ، واللّطيم المنبطح<sup>(٣)</sup> ، والنخل والرطب والبلح ، إن الغراب حيث مرّ سنح ، فأخبر أن  
القوم ليسوا من جمح ، وأنّ نسبهم من قريش ذي البطح . قالوا : صدقت يا سطيح ، نحن أهل البيت  
الحرام ، أتيناك لنزورك لما بلغنا من علمك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا ، وما يكون بعده ، فلعل  
أن يكون عندك في ذلك علم . قال : الآن صدقتم ، خذوا مني ومن إلهام الله إياي ، أنتم يا معشر العرب  
في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصائر العجم ، لا علم عندكم ولا فهم ، وينشؤ من عقبكم ذوو  
فهم<sup>(٤)</sup> ، يطلبون أنواع العلم ، فيكسرون الصنم ، ويبلغون الرّذم<sup>(٥)</sup> ، ويقتلون العجم ، يطلبون الغنم .  
قالوا : يا سطيح ، فمن يكون أولئك ؟ فقال لهم : والبيت ذي الأركان ، والأمن والسكان<sup>(٦)</sup> لينشؤ من  
عقبكم ولدان ، يكسرون الأوثان ، ويُنكرو<sup>(٧)</sup> عبادة الشيطان ، ويوحّدون الرحمن ، وينشرون دين  
الدّيّان ، يُشرفون البنيان ، ويستفتون الفتيان<sup>(٨)</sup> . قالوا : يا سطيح ، من نسل من يكون أولئك ؟ قال :  
وأشرف الأشراف ، والمُخصي للإسراف ، والمزعزع الأخفاف<sup>(٩)</sup> ، والمضعف الأضعاف ، لينشؤ  
الآلاف ، من عبد شمس وعبد مناف ، نشوءاً يكون فيه اختلاف . قالوا : يا سوء تاه يا سطيح ممّا تخبرنا  
من العلم بأمرهم ! ومن أيّ بلد يخرج أولئك ؟ فقال : والباقي الأبد ، والبالغ الأمد ، ليخرجن من ذا  
البلد ، فتى يهدي إلى الرشد ، يرفض يعوث والفند<sup>(١٠)</sup> ، يبرأ من عبادة الضدد ، يعبد ربّاً انفراد ، ثم  
يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً . ثم يلي أمره الصديق إذا قضى صدق ، في  
ردّ الحقوق لا خرق ولا نزق ؛ ثم يلي أمره الحنيف ، مجرّب غطريف ، ويترك قول العنيف<sup>(١١)</sup> . قد  
ضاف المضيف . وأحكم التحنيف . ثم يلي أمره داعياً لأمره مجرّباً<sup>(١٢)</sup> . فتجتمع له جموعاً

- (١) في ح والدلائل وابن عساكر : والآت والمثبت من ط .
- (٢) كذا في ح ، ط وأظن رواية الخصائص وابن عساكر أشبه بالصواب ، وهي : والسابق الفرّح . والقرح : جمع قارج ، وهي من ذي الحافر ما استتم الخامسة ، والسابق هو الأول في الخيل في السباق . اللسان ( قرح ، سبق ) .
- (٣) « اللطيم » : هو التاسع من سوابق النخيل ، وذلك أنه يلطم وجهه فلا يدخل السراقد . اللسان ( لطم ) .
- (٤) في ح : دونهم ، وفي تاريخ ابن عساكر والخصائص : دهم . وهم الجماعة الكثيرة .
- (٥) « الرّذم » : قرية بالبحرين . ( معجم البلدان ) .
- (٦) في تاريخ دمشق والخصائص : والسلطان .
- (٧) في تاريخ دمشق والخصائص : ويتركون .
- (٨) كذا في ط وفي الدلائل : ويقتنون القيان ، وسقطت العبارة من ح ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : ويسبقون العميان .
- (٩) « الأخفاف » : جمع حقف ، وهو أصل الرمل وأصل الجبل وأصل الحائط . اللسان ( حقف ) .
- (١٠) « يعوث » : من أصنام الجاهلية ، والفند : الخطأ في الرأي والقول ، والكذب .
- (١١) زاد في رواية ابن عساكر هنا : يعني عمر .
- (١٢) كذا في الدلائل وط ، وحرف في ح إلى : دراعاً لأمره محرماً ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : دارع لأمره =

وَعُصْبًا<sup>(١)</sup> ، فيقتلونه نِقْمَةً عليه وَغَضَبًا ، فيؤخذ الشيخ فيذبحُ إزْبًا ، فيقوم به رجالٌ خُطْبًا ، ثم يلي أمره الناصر<sup>(٢)</sup> ، ويخلطُ الرأيَ برأيِ النَّاكِرِ<sup>(٣)</sup> ، يظهر في الأرض العساكر ؛ ثم يلي بعده ابنه ، يأخذُ جَمْعَهُ ، ويُقلُّ حمده ، ويأخذُ المالَ ويأكلُ وَحْدَهُ ، وَيَكْثُرُ المالُ بعقبِهِ<sup>(٤)</sup> من بعده ؛ ثم يلي من [ بعده عدة ملوك ، لا شك ، الدَّمُ فيهم مسفوك ، ثم ]<sup>(٥)</sup> بعدهم الصُّغْلوك ، يطويهم كطيِّ الدُّرْنوكِ<sup>(٦)</sup> ثم يلي من بعده عظهورة<sup>(٧)</sup> ، يُقْصِي الخلق<sup>(٨)</sup> ويُذني مُضَر ، يفتح الأرضَ افتتاحاً منكراً ، ثم يلي قصيرُ القامة ، بظهره علامة يموت موتاً وسلامة ؛ ثم يلي قليلاً باكر ، يترك الملك بائر<sup>(٩)</sup> ، يلي أخوه بسنته سائر ، يختص بالأموال والمنابر ، ثم يلي من بعده أخوج ، صاحبُ دنيا ونعيم ، مُخَلِّجٌ<sup>(١٠)</sup> ، يُثَاوِرُهُ معاشِرُهُ وذووه ، ينهضون إليه يخلعونهُ بأخذِ الملك ويقتلونهُ ، ثم يلي أمرُهُ من بعده السابع ، يترك الملك مُخَلَّى ضائع ، تَنَوَّرَ في ملكه كالمُشَوِّه جائع ، عند ذلك يطمعُ في الملك كلُّ عُزَيان ، يلي أمرُهُ اللَّهْفان ، يُوطِي<sup>(١١)</sup> نزاراً جمعَ قحطان ، إذا التقيا بدمشق جمعان ، بين بنيان<sup>(١٢)</sup> ولُبْنان ، يُصَنَّفُ اليمن يومئذ صنفان : صنف المَسْرَّة<sup>(١٣)</sup> ، وصنف المخدول ، لا ترى إلا حباء محلول<sup>(١٤)</sup> . وأسيراً مغلول<sup>(١٥)</sup> . بين القراب والخيول . عند ذلك تخرب المنازل [ وتسلب الأرامل ]<sup>(١٥)</sup> ، وتُسْقَطُ الحوامل ، وتظهر الزلازل ،

= مجرَّب . وهو أشبه بالصواب .

- (١) كذا في ح ، ط والدلائل ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : فيجتمع له جموع وعصب . وهو الصواب .
- (٢) زاد رواية ابن عساكر : معاوية .
- (٣) في تاريخ دمشق : ماكر .
- (٤) في الدلائل : ويكثر المال لعقبه .
- (٥) ما بين المعقوفين سقط من ح .
- (٦) « الدرنوك » : ضرب من البسط ، له خمل قصير ، أو هو الطنافس . اللسان ( درنك ) ، وفي تاريخ دمشق والخصائص : يطوهم كوطأة الدرنوك .
- (٧) كذا في ح ، ط ولا معنى له ، وأظن الصواب فيه : غُضُور . ومعناه الأسد كما في التاج ( غضر ) ، ورواية تاريخ دمشق والخصائص : عضوض . من كان فيه عسف وظلم ، وهو أشبه بالصواب .
- (٨) في ح ، ط : الحق . والمثبت من تاريخ دمشق والخصائص .
- (٩) كذا في ح ، ط ويظهر على العبارة الاضطراب والتحريف ، والصواب ما جاء في مختصر تاريخ دمشق ( ٢٩٩ / ٨ ) : ثم يلي بلبلٌ ماكر ، يترك الملك مُخَلَّى بائر . والبلبل من الرجال الخفيف .
- (١٠) « مخلج » : السمين ، فلحمه يضطرب . اللسان ( خلج ) .
- (١١) في ح ، ط : يرضي . والمثبت من مختصر تاريخ دمشق .
- (١٢) « بنيان » : قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مائة بن تميم . معجم البلدان ( ٥٠٢ / ١ ) ورواية تاريخ دمشق : بيسان . وهو أشبه بالصواب .
- (١٣) كذا في ح ، وفي ط : المشورة ، وفي مختصر تاريخ دمشق المسورة .
- (١٤) كذا في ح ، ط والصواب : محلولا . . . مغلولا .
- (١٥) ما بين المعقوفين سقط من ح .



وتطلبُ الخلافةَ وائل ، فتغضب نزار ، فتُدْني العبيدَ والأشرار ، وتُقْصي الأمثال والأخبار ، وتغلو الأسعارُ في صفرِ الأصفار ، يُغْلُ كُلُّ جَبَّار ، ثم يسرون إلى خنادق وأنها ذاتُ أشعارٍ وأشجار ، تصد له الأنهار<sup>(١)</sup> ، ويهزمهم أَوَّلُ النهار ، تظهر الأخبار ، فلا ينفعهم نومٌ ولا قرار . حتى يدخل مصرأ من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار . ثم يجيء الرُّماة ، تلف مشاة ، لقتل الكمأة ، وأسر الحماة ، وتهلك الغواة ، هنالك يدرك في أعلى المياه . ثم يبور الدِّين ، وتُقلب الأمور ، ويكفر الزُّبُور ، وتُقطع الجسور ، فلا يفلت إلا مَنْ كان في جزائر البحور ، ثم تبور الحُبوب ، وتظهر الأعراب ، ليس فيهم مَعِيب<sup>(٢)</sup> ، على أهل الفسوق والريب ، في زمان عَصِيب ، لو كان للقوم حَيَا ، وما تُغني المُنَى . قالوا : ثم ماذا يا سَطِيح ؟ قال : ثم يظهر رجلٌ من أهل اليمن كالسَّطَن ، يُذهِبُ الله على رأسه الفتن .

وهذا أثرٌ غريب كتبناه لغرابته ، وما تضمَّن من الفتن والملاحم . وقد تقدَّم قصة شِقِّ وسَطِيح مع ربيعة بن نصر ، ملك اليمن ، وكيف بشر بوجود رسول الله ﷺ وكذلك تقدَّم قصة سَطِيح مع ابن أخته عبد المسيح حين أرسله ملك بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان . وذلك ليلة مولد الذي نسخ بشريعه سائر الأديان<sup>(٣)</sup> .

## باب كيف بدأ الوحي

إلى رسول الله ﷺ ، وذكر أول شيء أنزل عليه من القرآن العظيم

كان ذلك وله ﷺ من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس وسعيد بن المسيَّب : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة .

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : حدَّثنا يحيى بن بُكَيْر ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : أوَّل ما بُدِء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة<sup>(٦)</sup> في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح ، ثم حُبَّب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغارٍ جِراء فيَتَحَنَّن فيه - وهو التَّعَبُّد - الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوَّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد

(١) في مختصر تاريخ دمشق : يعمدُ لهم الأغيار .

(٢) في مختصر تاريخ دمشق : مُعِين . وهو أشبه بالصواب .

(٣) تأمل هذه الأخبار فأكثرها مختلفة وإنما ساقها المصنف لغرابتها وليجمع كل ما قيل في هذا الموضوع ، فكن على حذر (بشار) .

(٤) يعني الطبري في تاريخه (٢/٢٩٢) .

(٥) فتح الباري رقم (٦٩٨٢) كتاب التعبير باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة .

(٦) وفي رواية : الصادقة . كما في الفتح وط .

لمثلها ، حتى جاءه<sup>(١)</sup> الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : « ما أنا بقارىء » قال : فأخذني فغطني<sup>(٢)</sup> حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [الملق : ١ - ٥] ، فرجع بها رسول الله ﷺ يزجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : « زملوني زملوني » فرملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : « لقد خشيت على نفسي » . فقالت خديجة : كلا والله ، لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمي الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ؛ وكان امرءاً قد تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني<sup>(٣)</sup> ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس<sup>(٤)</sup> الذي كان ينزل على موسى ، يا ليتني فيها جذع<sup>(٥)</sup> ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أو مخرجي هم ؟ » فقال : نعم ، لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ . ثم لم يشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة .

حتى حزن رسول الله ﷺ - فيما بلغنا - حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقاً فيسكنُ لذلك جأشه ، وتقرّ نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً كمثّل ذلك . قال : فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك .

(١) في الرواية الثانية المشار إليها في الحاشية (٢) السابقة والتي عند البخاري هي : حتى فجّاه الحق . ويبدو لي أن ابن كثير نقل هذه الأخيرة ، لأنه خصها بالشرح كما سيأتي (ص ١٩٣) .

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٢٤/١) : وفي رواية الطبري بناء مثناة من فوق ، كأنه أراد ضمني وعصرني ، والغط : حبس النفس ، ومنه غطه في الماء ، أو أراد غمني ومنه الخنق . ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن . فأخذ بحلقي . اهـ .

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٢٥/١) : وفي رواية يونس ومعمّر : ويكتب من الإنجيل بالعربية . ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربي . والجميع صحيح ، لأن ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية .

(٤) « الناموس » : صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره ، كما جزم به البخاري في أحاديث الأنبياء . انظر الفتح (٦/٤٢٢ و ١/٢٦) وموضع الحاشية (٥) في المتن ص (١٩٦) من هذا الجزء .

(٥) يا ليتني فيها جذع : كذا في رواية الأصيلي ، وعند الباقيين : جذعاً . بالنصب على أنه خبر كان المقدرة . قاله الخطابي . فتح الباري (١/٢٦) .

هكذا وقع مطوّلاً في باب التعبير من البخاري<sup>(١)</sup> .

قال ابنُ شهاب<sup>(٢)</sup> : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه : « بينا أنا أمشي ، إذ سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعتُ بصري فإذا الملكُ الذي جاءني بحراء جالسٌ على كُرسيٍّ بين السماء والأرض . فرُعبتُ منه ، فرجعتُ فقلت : زملوني ، زملوني ، فأنزل الله : ﴿ بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْنِبِينَ ﴿١﴾ فَمَّا نَذَرَ ﴿٢﴾ رَبِّكَ فَكَيْفَ ﴿٣﴾ وَبَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْنِبِينَ ﴿٤﴾ وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ [المدثر : ١ - ٥] فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ » . ثم قال البخاري : تابعه عبد الله بن يوسف ، وأبو صالح - يعني عن الليث - وتابعه هلال بن رداد ، عن الزُّهري . وقال يونس ومعمّر : بوادره .

وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتابه في مواضع منه<sup>(٣)</sup> ، وتكلّمنا عليه مطوّلاً في أول شرح البخاري في كتاب بدء الوحي إسناداً وممتناً . والله الحمد والمِنَّة .

وأخرجه مسلم في « صحيحه »<sup>(٤)</sup> من حديث الليث به ، ومن طريق يونس ومعمّر ، عن الزُّهري كما علّقه البخاري عنهما ، وقد رمزنا في الحواشي على زيادات مسلم وروايته ، والله الحمد ، وانتهى سياقُه إلى قول ورقة : أنصرك نصراً مؤزراً .

فقول أم المؤمنين عائشة : أوّل ما بُدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح ، يُقَوِّي ما ذكره محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> بن يسار ، عن عبيد بن عمير اللّيثي ، أن النبي ﷺ قال : « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمطٍ من ديباج فيه كتاب<sup>(٦)</sup> » . فقال : اقرأ . فقلت : ما اقرأ ؟ فغطني ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني « وذكر نحو حديث عائشة سواء .

فكان هذا كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة ، وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عُقبة عن الزُّهري ، أنه رأى ذلك في المنام ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتابه « دلائل النبوة »<sup>(٧)</sup> : حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن ،

(١) جمع ابن كثير في هذه الرواية بين روايتين عند البخاري في كتاب بدء الوحي وكتاب التعبير كما أشرت آنفاً والزيادة في الحديث من قوله : حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا إلى آخره من بلاغات الزهري رقم (٦٩٨٢) في التعبير وليست موصولة ، فهي منقطعة .

(٢) يعني الزهري كما في الحديث السابق ويسنده المذكور آنفاً وهو في البخاري رقم (٤) كتاب بدء الوحي .

(٣) أرقامه في فتح الباري (٣٢٣٨ ، ٤٩٢٢ ، ٤٩٢٣ ، ٤٩٢٤ ، ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ ، ٤٩٥٤ ، ٦٢١٤) .

(٤) صحيح مسلم (٢٥٢ - ١٦٠) الإيمان باب بدء الوحي ، ورقم (٢٥٣ و ٢٥٤) .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٣٦/١) والروض (٢٦٨/١) .

(٦) « النمط » : ضرب من البسط له خَمَل رقيق ، أو ثوب من صوف ملوّن له خَمَل رقيق . النهاية (١١٩/٥) والتاج (نمط) .

(٧) ليس في المطبوع منه .

حدَّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدَّثنا منْجَابٌ<sup>(١)</sup> بن الحارث ، حدَّثنا عبد الله بن الأجلح ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس ، قال : إنَّ أولَ ما يُؤْتَى به الأنبياءُ في المنام ، حتى تهدأ قلوبُهم ، ثم ينزلُ الوحي بَعْدُ . وهذا من قبل علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلامٌ حسن ، يؤيِّدُه ما قبله ويؤيده ما بعده .

### ذكر عمره ﷺ وقت بعثته وتاريخها

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدَّثنا محمد بن أبي عدي ، عن داودَ بن أبي هند ، عن عامر الشَّعْبِي : أنَّ رسولَ الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابنُ أربعين سنة ، فقرن بنبوَّتِهِ إسرائيل ثلاثَ سنين ، فكان يعلمُه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاثُ سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل القرآنُ على لسانه عشرين سنة ، عشرًا بمكة ، وعشرًا بالمدينة . فمات وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة .

فهذا إسنادٌ صحيح إلى الشعبي ، وهو يقتضي أنَّ إسرائيل قرن معه بعد الأربعين ثلاثَ سنين ، ثم جاءه جبريل<sup>(٣)</sup>

وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال : وحديث عائشة لا يُنافي هذا ، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا ، ثم وُكِّلَ به إسرائيل في تلك المُدَّة التي كان يخلو فيها بحراء ، فكان يُلقِي إليه الكلمة بسرعة ، ولا يقيِّمُ معه ، تدريجاً له وتمريناً ، إلى أن جاءه جبريل ، فعلمه بعد ما غطَّه ثلاثَ مرَّات ، فحكَّتْ عائشةُ ما جرى له مع جبريل ، ولم تحك ماجرى له مع إسرائيل اختصاراً للحديث ، أو لم تكن وقفت على قصة إسرائيل .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدَّثنا يحيى عن هشام<sup>(٥)</sup> ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنزل على النبي ﷺ

(١) في ط : جناب . تصحيف ، والمثبت من ح ، ورواية منْجَاب عن عبد الله بن الأجلح ، ورواية ابن أبي شيبة عنه ثابتة في ترجماتهم في السير (٢١/١٤) وتهذيب الكمال (٧٩/١٤) وتهذيب التهذيب (٢٩٧/١٠) .

(٢) أخذه المصنف من دلائل النبوة للبيهقي (١٣٢/١) الذي رواه عن ابن بشران ، عن ابن السماك ، عن حنبل بن إسحاق ، عن الإمام أحمد . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٩١/١) عن المعلى بن أسد العمي ، أخبرنا وهيب بن خالد عن داود به . وقال ابن سعد بعد إirاده الخبر : فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرائيل قرن بالنبي ﷺ ، وإن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون : لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه الوحي إلى أن قبض ﷺ اهـ .

(٣) لكنه مرسل ، فلا يحتج به (بشار) .

(٤) في المسند (٢٢٨/١) .

(٥) في ط : « يحيى بن هشام » ، وهو تحريف والصواب ما أثبتناه من المسند ، ويحيى هو ابن سعيد القطان ، وهشام هو ابن حسان (بشار) .

وهو ابن ثلاث وأربعين ، فمكث بمكة عشراً وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ثلاث وستين<sup>(١)</sup>

وهكذا روى يحيى بن سعيد ، عن سعيد<sup>(٢)</sup> بن المسيّب . ثم رواه أحمد<sup>(٣)</sup> ، عن عُندَر ويزيد بن هارون كلاهما عن هشام عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ وأنزل عليه القرآن ، وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين . ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا عفان ، حدثنا حمّاد بن سلمة ، أخبرنا عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس قال : أقام النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة ، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت ، وثمانين سنين يُوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشر سنين .

قال أبو شامة : وقد كان رسول الله ﷺ يرى عجائب قبل بعثته ، فمن ذلك ما في صحيح مسلم<sup>(٥)</sup> عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن » . انتهى كلامه .

وإنما كان رسول الله ﷺ يُحِبُّ الْخَلَاءَ وَالْأَنْفِرَادَ عَنْ قَوْمِهِ ، لِمَا يَرَاهُمْ مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ ، مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ ، وَقَوِيَّتْ مَحَبَّتُهُ لِلْخَلْوَةِ عِنْدَ مَقَارِبَةِ إِحْيَاءِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .  
وقد ذكر محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية<sup>(٧)</sup> - قال : وكان واعية - عن بعض أهل العلم قال : وكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حِراءَ في كلّ عام شهراً من السنة يتَسَكَّ فيهِ - وكان مِنْ نُسُكٍ قَرِيشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مَجَاوِرَتِهِ ، لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ .

(١) هذا مما أخطأ فيه يحيى بن سعيد القطان على جلالة قدره ، فقد خالفه يزيد بن هارون عند ابن أبي شيبة (٥٣/١٣) و(٢٩١/١٤) ، والنضر بن شميل عند البخاري (٣٦٢١) ، وابن أبي عدي عند الترمذي (٣٦٢١) وروح بن عبادة عند أحمد (٣٧١/١) وغيرهم فرووه عن هشام : « وهو ابن أربعين » ، وهو الصحيح الذي عليه الجمهور (بشار) . وانظر الذي بعده .

(٢) في ط : « وسعيد » خطأ ، والصواب ما أثبتنا ، والرواية في دلائل النبوة للبيهقي من طريق الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيّب (١٣٢/١) (بشار) .

(٣) في المسند (٢٣٦/١) و(٢٤٩) .

(٤) في المسند (٢٧٩/١) وأخرجه أيضاً عن حسن عن حماد به في (٢٩٤/١) وعن أبي كامل عن حماد به في (٣١٢/١) .

(٥) صحيح مسلم (٢ - ٢٢٧٧) الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ .

(٦) سيرة ابن هشام (٢٣٤/١) والروض (٢٦٦/١) ويرويه ابن كثير هنا بالمعنى . سيرة ابن هشام (٢٣٥/١ و٢٣٦) عن وهب بن كيسان كما سيأتي .

(٧) في ح ، ط : حارثة . تصحيف ، والمثبت من التاريخ الكبير للبخاري (٤٢١/٥) والإصابة في ترجمة جده العلاء وسيرة ابن هشام .

وهكذا رُوي عن وهب بن كيسان ، أنه سمع عُبيد بن عُمير يحدثُ عبد الله بن الزبير مثل ذلك ، وهذا يدلُّ على أن هذا كان من عادة المتعبدين في قريش ، أنهم يجاورون في حِراء للعبادة ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة<sup>(١)</sup> :

وَنُورٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ      وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِراءَ وَنَازِلٍ

هكذا صوّبه على رواية هذا البيت ، كما ذكره السُّهيلي وأبو شامة وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّي رحمهم الله ، وقد تصحّف على بعض الرواة فقال فيه : وراقٍ ليرقى في حر ونازل - وهذا ركيك ومخالف للصواب . والله أعلم .

وحِراءُ يُقَصَّرُ ويُمَدُّ ، ويُصَرَفُ ويُمْنَعُ ، وهو جبلٌ بأعلى مكة ، على ثلاثة أميالٍ منها ، عن يسار المارِّ إلى منى ، له قُلَّةٌ مشرفةٌ على الكعبة منحنية ، والغار في تلك المنحنية ، وما أحسن ما قال رؤبة بن العجاج<sup>(٢)</sup> :

فَلا وَرَبَّ الْآمِنَاتِ الْقُطْنِ      وَرَبَّ رُكْنٍ مِنْ حِراءَ مُنْحَنِ

وقوله في الحديث : والتحنُّتُ : التعبد ، تفسيرٌ بالمعنى ، وإلّا فحقيقة التحنُّت من حيث البنية فيما قاله السُّهيلي<sup>(٣)</sup> : الدخول في الحنْث ، ولكن سمعتُ ألفاظاً قليلةً في اللغة معناها الخروجُ من ذلك الشيء ، فتحنُّتُ : أي خرج من الحنْث ، وتحوَّب ، وتحَرَّج ، وتأنَّم ، وتهجَّج ، وهو تركُ الهُجود ، وهو النوم للصلاة ، وتنجَّس وتقذّر ، أوردها أبو شامة .

وقد سُئل ابنُ الأعرابي عن قوله يتَحَنَّتْ ، أي يتعبد ؟ فقال : لا أعرف هذا ، إنما هو يتحنَّف من الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

قال ابنُ هشام<sup>(٤)</sup> : والعربُ تقول : التحنُّت والتحنَّف ، يُبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدّث ، وجدّف<sup>(٥)</sup> ، كما قال رؤبة<sup>(٦)</sup> :

لو كان أحجاري مع الأجدافِ

يريد الأجداث . قال : وحدّثني أبو عُبيدة أنَّ العرب تقول : فَمَّ في موضع ثَمَّ .

قلت : ومن ذلك قول بعض المفسرين وقومها أنَّ المراد ثومها .

(١) وهي قصيدة نشرت في ديوان شيخ الأباطح والبيت فيه (ص ٣) وروايته : وعير وراق في حراء ونازل .

(٢) ديوان رؤبة (ص ١٦٣) والبيتان هما ١١٣ و ١١٦ من القصيدة ، وفيه : ورب وجه من حراء منحني .

(٣) الروض (١/ ٢٦٧) وقد نقل عنه ابن كثير بالمعنى .

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٢٣٥) .

(٥) زاد ابن هشام في سيرته : يريدون القبر .

(٦) ديوان رؤبة (ص ١٠٠) رقم البيت (٤٠) وروايته : لو كان أحجارٌ .

وقد اختلف العلماء في تعبده عليه السلام قبل البعثة ، هل كان على شرع أم لا ؟ وما ذلك الشرع ؟ فقل شرع<sup>(١)</sup> نوح ، وقيل شرع<sup>(٢)</sup> إبراهيم . وهو الأشبه الأقوى ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل : كل ما ثبت أنه شرع عنده أتبعه وعمل به ، ولبس هذه الأقوال ومناسباتها مواضع أخر في أصول الفقه والله أعلم .

وقوله : حتى فجئته الحق وهو بغار حراء<sup>(٣)</sup> ؛ أي جاء بعثة على غير موعد كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَرْجَوْنَ أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية [ القصص : ٨٦ ] .

وقد كان نزول صدر هذه السورة الكريمة وهي ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [ العلق : ١-٥ ] . وهي أول ما نزل من القرآن كما قررنا ذلك في « التفسير »<sup>(٤)</sup> ، وكما سيأتي أيضاً في يوم الاثنين كما ثبت في صحيح مسلم<sup>(٥)</sup> عن أبي قتادة ، أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال : « ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه ، ويومٌ أُنْزِلَ عليّ فيه » .

وقال ابن عباس<sup>(٥)</sup> : « وُلِدَ نبيكم محمد ﷺ يوم الاثنين ، ونُبِيَ يوم الاثنين » .

وهكذا قال عبيد بن عمير ، وأبو جعفر الباقر ، وغير واحد من العلماء : إنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين . وهذا ما لا خلاف فيه بينهم .

ثم قيل : كان ذلك في شهر ربيع الأول كما تقدّم عن ابن عباس وجابر أنه وُلِدَ عليه السلام ، في الثاني عشر من ربيع الأول يوم الاثنين ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء : والمشهور أنه بُعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان ، كما نص على ذلك عبيد بن عمير ، ومحمد بن إسحاق وغيرهما .

قال ابن إسحاق مستدلاً على ذلك<sup>(٦)</sup> بما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] فقل في ثاني عشرة .

وروى الواقدي بسنده<sup>(٧)</sup> عن أبي جعفر الباقر أنه قال : كان ابتداء الوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان .

وقيل : في الرابع والعشرين منه .

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) يعني في حديث البخاري المتقدم (ص ١٨٨) ح (١) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٥٢٧) تفسير سورة اقرأ .

(٤) تقدم الحديث في (ص ٣٠) في موضع الحاشية (٤) من هذا الجزء .

(٥) حديث ابن عباس وتخرجه في ص (٣٠ ح ٥) من هذا الجزء ، وسيأتي في ص (٤٤٠) .

(٦) سيرة ابن هشام (١/٢٣٩) والروض (١/٢٧٥) .

(٧) طبقات ابن سعد (١/١٩٤) .

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا عمران أبو العوام ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع ، أن رسول الله ﷺ قال : « أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضْيَنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَالْإِنْجِيلُ لثَلَاثِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ<sup>(٢)</sup> لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ » .

وروى ابنُ مردويه في « تفسيره » ، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه ؛ ولهذا ذهب جماعةٌ من الصحابة والتابعين ، إلى أنَّ ليلةَ القدر ليلةُ أربعٍ وعشرين .

وأما قول جبريل ( اقرأ ) فقال : « ما أنا بقارىء » فالصحيح أن قوله « ما أنا بقارىء » نفى ، أي لست ممن يُحسن القراءة . وممن رجَّحه النووي ، وقبله الشيخ أبو شامة ؛ ومن قال : إنها استفهامية ، فقله بعيد ، لأنَّ الباء لا تزداد في الإثبات . ويؤيد الأول روايةُ أبي نعيم<sup>(٣)</sup> من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه : فقال رسول الله ﷺ - وهو خائف يُرْعَد - : « ما قرأتُ كتاباً قطُّ ولا أُحْسِنُهُ ، وما أكتبُ وما أقرأ » فأخذه جبريل فغَتَّهُ غَتًّا شديداً . ثم تركه فقال له : اقرأ . فقال محمد ﷺ : « ما أرى شيئاً أقرؤه ، وما أقرأ ، وما أكتب » - يُروى فغَطَّنِي كما في الصحيحين وغيَّنِي ، ويُروى قد غَتَّنِي ، أي : خنقني « حتى بلغ مني الجهد » يُروى بضمِّ الجيم وفتحها وبالنَّضْب وبالرفع - وفعل به ذلك ثلاثاً .

قال أبو سليمان الخطابي<sup>(٤)</sup> : وإنما فعل ذلك به ليلو صبره ، ويُحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه به من أعباء النبوة ؛ ولذلك كان يعتريه مثلُ حالِ المخموم ، وتأخذه الرُّحْضَاءُ - أي : البُهر والعرق - .

وقال غيره : إنما فعل ذلك لأُمور : منها أن يستيقظ لعظمة ما يُلقى إليه بعد هذا الصنيع المُشَقِّ على النفوس ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ولهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يَحْمَرُّ وَجْهُهُ ، وَيَغْطُّ كَمَا يَغْطُّ الْبَكْرُ مِنَ الْإِبِلِ<sup>(٥)</sup> ، ويتفصَّدُ جَبِينُهُ عَرَقاً في اليوم الشديد البرد .

وقوله<sup>(٦)</sup> : فرجع بها رسولُ الله ﷺ إلى خديجة يزجف فؤاده . وفي رواية : بَوَادِرُهُ ، جمع بادرة ، قال أبو عبيدة : وهي لحمة بين المنكب والعنق . وقال غيره : هو عروقٌ تضطرب عند الفزع ، وفي

(١) مسند أحمد (١٠٧/٤) . قال بشار : وإسناده ضعيف ، فقد تفرد به عمران بن داود القطان ، وهو ممن لا يحتمل تفرده لضعفه كما بيانه مفصلاً في تحرير التقریب (١١٤/٣) ، ولكن له شاهد من حديث ابن عباس مرفوعاً ، أخرجه ابن عساكر من طريق علي بن أبي طلحة ، فهو به حسن انظر ( مختصر تاريخ ابن عساكر ) (٣/٣٥٨) .

(٢) في المسند : الفرقان .

(٣) ليس الخبر في المطبوع من الدلائل .

(٤) لم أجد قول الخطابي في كتابيه معالم السنن وغريب الحديث .

(٥) « يغط » : من الغطيط ، وهو الصوت الذي يخرج مع نفس النائم ، وهو ترديده حيث لا يجد مساعاً . والبكر : الفتى من الإبل . النهاية واللسان ( غطط ، بكر ) .

(٦) أي في الحديث الذي أورده آنفاً .



بعض الروايات ترجف بآدله ، واحديثها بأدلة . وقيل بأدل ، وهو ما بين العُنُق والتَّرْقُوة ، وقيل : أضلُّ الثَّدي ، وقيل : لحم الثَّدْيَيْن ، وقيل غير ذلك .

فقال : « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » فلما ذهب عنه الرَّوْعُ قال لخديجة : « ما لي ؟ أيُّ شيءٍ عَرَضَ لي ؟ » وأخبرها ما كان من الأمر . ثم قال : « لقد خَشِيتُ على نفسي » ، وذلك أنه شاهدَ أمراً لم يَعْهَدْهُ قبل ذلك ، ولا كان في خَلَدِهِ ، ولهذا قالت خديجة : أبْشِرْ ، كلا والله لا يُخْزِيكَ اللهُ أبداً . قيل من الخِزْي ، وقيل من الحُزن ، وهذا لعلمها بما أجرى اللهُ به جميلَ العوائِدِ في خَلْقِهِ ، أي : مَنْ كان متصفاً بصفات الخير لا يَخْزَى في الدنيا ولا في الآخرة . ثم ذكرت له من صفاته الجليلَةِ<sup>(١)</sup> ما كان من سجاياء الحسنه . فقالت : إنك لتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ - وكان مشهوراً بذلك صلواتُ الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق - وتحْمِلُ الكَلَّ ؛ أي : عن غيرك ، تُعْطِي صاحبَ العَيْلَةِ<sup>(٢)</sup> ما يُرِيحُهُ من ثَقَلِ مُؤَنَةِ عِيَالِهِ - وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، أي تسبِقُ إلى فعل الخير ، فتبادر إلى إعطاء الفقير ، فتكسب حسنة قبل غيرك . ويسمى الفقيرُ مَعْدُوماً لأنَّ حياته ناقصة ، فوجودُهُ وَعَدَمُهُ سواء ، كما قال بعضهم<sup>(٣)</sup> : [ من الخفيف ]

ليس مَنْ مات فاستراحَ بِمَيِّتٍ      إِنَّمَا المَيِّتُ مَيِّتٌ الأَخْيَاءُ

وقال أبو الحسن التَّهَامِي ، فيما نقله عنه القاضي عياض في شرح مسلم : [ من الخفيف ]

عُدَّ ذا الفقرِ مَيِّتاً ، وَكُساهُ      كَفَناً بالياً ، ومأواه قَبراً<sup>(٤)</sup>

وقال الخطابي<sup>(٥)</sup> : الصواب : وتكسب المعدوم ، أي : تبذلُ إليه ، أو يكون : وَتَكْسِبُ المعدَمَ بعطيه مالا يعيشُ به . واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزِّي أنَّ المراد بالمعدوم هاهنا المال المُعْطَى ، أي : يُعْطَى المال لمن هو عادِمُهُ . ومن قال : إن المراد تَكْسِبُ بِاتِّجَارِكَ المالَ المعدوم ، أو النفيس ، القليل النظير ، فقد أَبْعَدَ النُّجْعَةَ ، وَأَغْرَقَ في النَّزْعِ<sup>(٦)</sup> ، وتكَلَّفَ ما ليس له به علم ، وإنَّ مثل هذا لا يُمدَحُ به غالباً ، وقد ضَعَّفَ هذا القول عياضٌ والنووي وغيرهما ، والله أعلم .

(١) في ح : الجميلة .

(٢) « العَيْلَةُ » : الفقر والحاجة .

(٣) هو عدي بن الرعلاء الغساني ، قاله في عدة أبيات أوردها الحافظ ابن عساكر في ترجمته ، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣٠٦/١٦) وتخريجها فيه وفي الحماسة الشجرية (١/١٩٤) .

(٤) البيت من قصيدة في ديوان أبي الحسن التهامي (ص ٣٧) يمدح بها الشريف أبا عبد الله محمد بن الحسين النصيبي المتوفى سنة ٤٠٨ هـ .

(٥) لم أجد قول الخطابي في كتابيه معالم السنن وغريب الحديث .

(٦) النجعة في الأصل : طلب الكلا ومساقت الغيث ، وأبعد : اشتط وذهب بعيداً . والمراد هنا : أي اشتط في طلب هذا المعنى . وأغرق في النزع : أي أغرق النازع في قوسه ، أي استوفى مدها ليصيب هذا المعنى البعيد ، وهو يضرب مثلاً للغلو والإفراط التاج ( نجع ، بعد ، غرق ) .

وَتَقْرِي الضَّيْفَ - أي : تُكْرِمُهُ فِي تَقْدِيمِ قِرَاهِ ، وإحسان مأواه . وتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . وَيُرَوِّى : الْخَيْرَ . أي : إِذَا وَقَعَتْ نَائِبَةٌ لِأَحَدٍ فِي خَيْرٍ أَعْنَتْ فِيهَا ، وَقَمَتَ مَعَ صَاحِبِهَا حَتَّى يَجِدَ سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ ، وَقَوْلُهُ : ثُمَّ أَخَذَتْهُ فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ . وَقَدْ قَدَّمْنَا طَرَفاً مِنْ خَبَرِهِ مَعَ ذِكْرِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَفَارَقَهُمْ ، وَارْتَحَلَ إِلَى الشَّامِ ، هُوَ وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعُثْمَانُ بْنُ الْخُوَيْرِثِ ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، فَتَنَصَّرُوا كُلُّهُمْ ، لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ أَقْرَبَ الْأَدْيَانِ إِذْ ذَاكَ إِلَى الْحَقِّ ، إِلَّا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فَإِنَّهُ رَأَى فِيهِ دَخَلاً وَتَخَبِيطاً<sup>(٢)</sup> وَتَبْدِيلاً وَتَحْرِيفاً وَتَأْوِيلاً . فَأَبَتْ فِطْرَتُهُ الدَّخُولَ فِيهِ أَيْضاً ، وَبَشَّرُوهُ : الْأَحْبَارُ وَالرَّهْبَانُ<sup>(٣)</sup> بِوُجُودِ نَبِيِّ قَدْ أَزَفَ زَمَانُهُ ، وَاقْتَرَبَ أَوَانُهُ ، فَرَجَعَ يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى فِطْرَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ، لَكِنْ اخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ الْبِعْثَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ ؛ وَأَدْرَكَهَا وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، وَكَانَ يَتَوَسَّمُهَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَدَّمْنَا بِمَا كَانَتْ خَدِيجَةُ تَنْعُهُ لَهُ وَتَصِفُهُ لَهُ ، وَمَا هُوَ مَنْظُورٌ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الطَّاهِرَةِ الْجَمِيلَةِ ، وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْآيَاتِ ، وَلِهَذَا لَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ أَخَذَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَاءَتْ بِهِ إِلَيْهِ ، فَوَقَفَتْ بِهِ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : ابْنَ عَمٍّ<sup>(٤)</sup> ، اسْمِعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى قَالَ وَرَقَةُ : سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ ! هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى - [ وَالنَّامُوسُ فِي اللُّغَةِ : هُوَ الرِّسُولُ فِي الْخَيْرِ ؛ وَالْجَاسُوسُ : هُوَ الرِّسُولُ فِي الشَّرِّ - وَقَالَ : الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ]<sup>(٥)</sup> ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ عِيسَى ، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّراً بَعْدَ مُوسَى ، لِأَنَّهُ كَانَتْ شَرِيعَتُهُ مُتَمِّمَةً وَمَكْمَلَةً لَشَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَنَسَخَتْ بَعْضَهَا عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِ<sup>(٦)</sup> الْعُلَمَاءِ . كَمَا قَالَ : ﴿ وَلَا أُحْدِلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [ آل عمران : ٥٠ ] . وَقَوْلُ وَرَقَةَ هَذَا كَمَا قَالَتِ الْجَنُّ : ﴿ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [ الأحقاف : ٣٠ ] .

ثُمَّ قَالَ وَرَقَةُ : يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً<sup>(٧)</sup> . أي : يَا لَيْتَنِي أَكُونُ الْيَوْمَ شَابّاً مَتَمَكِّناً مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ [ الْيَوْمَ شَابّاً مَتَمَكِّناً ]<sup>(٨)</sup> حَيّاً حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، يَعْنِي حَتَّى أَخْرَجَ مَعَكَ

(١) ط (٢/٢٣٧ ، ٢٣٨) .

(٢) الدَّخْلُ ، مُحَرَّكَةٌ : الْفَسَادُ وَالْعَيْبُ وَالرَّيْبَةُ . وَالتَّخَبُّيطُ : مِنَ الْخَبَطِ فِي الظَّلَامِ ، وَهُوَ السَّيْرُ عَلَى غَيْرِ هَدًى : اللِّسَانُ ( دَخَلَ ، خَبَطَ ) .

(٣) كَذَا فِي ح ، ط ، وَهُوَ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالَ : أَكَلُونِي الْبِرَاغِيثَ .

(٤) فِي ح : أَيِّ عَمٍّ .

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ مُسْتَدْرِكٌ فِي هَامِشِ ح .

(٦) فِي ح : قَوْلِي .

(٧) انْظُرْ (ص ١٨٨ ح ٥) .

(٨) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفِينَ مُسْتَدْرِكٌ فِي هَامِشِ ح .

وأنصرَكَ . فعندها قال رسول الله ﷺ : « أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ ؟ » قال السَّهْلِيُّ (١) : وإنما قال ذلك ، لأن فراق الوطن شديدٌ على النفوس . فقال : نعم ، إنَّه لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتُ به إلا عُودي ، وإن يُدركني يومُك أنصُرَكَ نصراً مؤزَّراً . أي : أنصُرَكَ نصراً عزيزاً أبداً .

وقوله : ثم لم ينشَبْ ورقةٌ أن تُؤفِّي ، أي : تُوفِّي بعدَ هذه القصة بقليل (٢) رحمه الله ورضي عنه ، فإنَّ مثلَ هذا الذي صَدَرَ عنه ، تصديقٌ بما وجدوا ، إيمانٌ بما حَصَلَ من الوحي ، وثبَّةٌ صالحة للمستقبل .

وقد قال الإمام أحمد (٣) : حدَّثنا حسن ، عن ابن لهيعة ، حدَّثني أبو الأسود ، عن عروة ، عن عائشة ، أنَّ خديجةً سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال : « قَدْ رَأَيْتُهُ [ في المنام ] فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ ، فَأَحْسَبُهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثِيَابُ بَيَاضٍ » .

وهذا إسنادٌ حسن (٤) ، لكن رواه الزُّهري وهشام عن عروة مرسلًا . فالله أعلم .

وروى الحافظُ أبو يَعْلَى (٥) عن سُريج (٦) بن يونس ، عن إسماعيل ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ عن ورقة بن نوفل فقال : [ قَدْ رَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ ثِيَابَ بَيَاضٍ ] (٧) ، أَبْصَرْتُهُ فِي بُطْنَانِ الْجَنَّةِ وَعَلَيْهِ السُّنْدُسُ (٨) . وسُئِلَ عن زيد بن عمرو بن نُفَيْل فقال : « يُنْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ » (٩) . وسُئِلَ عن أبي طالب [ هل تَنْفَعُهُ نُبُوءَتُكَ ؟ ] فقال : « [ نعم ] أَخْرَجَتْهُ مِنْ عَمْرَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ إِلَى ضَحْضَاحٍ مِنْهَا » . وسُئِلَ عن خديجة - لأنها ماتت قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَأَحْكَامِ الْقُرْآنِ - فقال : « أَبْصَرْتُهَا عَلَى نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ » . إسنادٌ حَسَنٌ (١٠) ، ولبعضه شواهدٌ في الصَّحِيح . والله أعلم .

(١) الروض الأنف (١/٢٧٦) .

(٢) ليست اللفظة في ح .

(٣) مسند أحمد (٦/٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) هكذا قال رحمه الله ، ومن أين يأتيه الحسن وهو من رواية ابن لهيعة وهو ضعيف ، بل الصواب ما ذكره المصنف بعد هذا أن الزهري رواه مرسلًا (أخرجه عبد الرزاق ٩٧٠٩) . وروى الترمذي (٢٢٨٨) بإسناد ضعيف جداً فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي - وهو متروك - عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وضعفه . ولكن صححه الحاكم (٣٩٣/٤) فتعقبه الذهبي لظهور ضعفه الشديد . والخلاصة أنه لا يعرف إلا مرسلًا . (بشار) .

(٥) مسند أبي يعلى رقم (٢٨١) و(٢٠٤٧) .

(٦) في ح ، ط : شريح تصحيف ، والمثبت من مسند أبي يعلى والإكمال (٤/٢٧٢) وتهذيب الكمال (١٠/٢٢١) .

(٧) ما بين المعقوفين ليس في مسند أبي يعلى .

(٨) في مسند أبي يعلى : عليه سندس ، وفيه تقديم السؤال عن أبي طالب ثم عن خديجة ثم عن ورقة ثم عن زيد ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٩) زاد أبو يعلى : بيني وبين عيسى .

(١٠) هكذا قال رحمه الله وفي إسناده مجالد بن سعيد ليس بالقوي وتغير في آخر عمره كما قال الحافظ ابن حجر في =

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(١)</sup> : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ » .

وكذا رواه ابنُ عساكر<sup>(٢)</sup> من حديث أبي سعيد الأشج ، عن أبي معاوية ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ وهذا إسنادٌ جيد . ورُوي مرسلًا ، وهو أشبه .

وروى الحافظان : البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما « دلائل النبوة »<sup>(٣)</sup> ، من حديث يونس بن بكير ، عن يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن عمرو بن شرحبيل ، أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : « إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءً ، وَقَدْ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَمْرٌ » . قالت : معاذَ الله ، ما كان ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدِّي الأمانة ، وتصلِّ الرِّجَمَ ، وتصدِّق الحديث ، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت له خديجة ، فقالت : يا عتيق<sup>(٤)</sup> ، اذهب مع محمدٍ إلى وَرَقَةَ . فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ بيده أبو بكر فقال : انطلق بنا إلى ورقة . قال : « وَمَنْ أَخْبِرُكَ ؟ » قال : خديجة ، فانطلقا إليه فقصَّا عليه . فقال رسول الله ﷺ : « إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نَدَاءَ خَلْفِي : يَا مُحَمَّدُ ، يَا مُحَمَّدُ ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأَرْضِ » . فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبت ، حتى تسمع ما يقول لك ، ثم ائتني فأخبرني . فلما خلا ناداه : يا محمد قل ﴿ يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخِيصَ الرَّحْمَنَ ۖ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قل لا إله إلا الله . فأتى وَرَقَةَ ، فذكر له ذلك ، فقال له ورقة : أبشر ، ثم أبشر . فأنا أشهدُ أنك الذي بشر بك<sup>(٥)</sup> ابنُ مريم ، وأنت على مثل ناموس موسى ، وأنت نبيُّ مُرسل ، وأنت ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفي [ ورقة ] قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتُ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابُ الْحَرِيرِ »<sup>(٦)</sup> ، لأنه آمن بي وصدَّقني « يعني ورقة .

هذا لفظ البيهقي ، وهو مرسل ، وفيه غرابة ، وهو كونُ الفاتحة أولَ ما نزل ، وقد قدّمنا من شعره ما يدلُّ على إضماره الإيمان وعَقْدِهِ عليه وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة ما كان من أمره مع

= التقريب ، وقال البخاري : كان يحيى بن سعيد يضعفه ، وكان عبد الرحمن بن مهدي لا يروي عنه شيئاً ، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئاً يقول : ليس بشيء ، وضعفه ابن سعد ، والجوزجاني ، وأبو داود ، والترمذي ، والدارقطني ، والنسائي في أصح الروايات عنه وغيرهم . كما هو مبين في تهذيب الكمال (٢٧ / ٢٢١ - ٢٢٥) وتعليقنا عليه (بشار) .

(١) مجمع الزوائد (٤١٦/٩) وقال الهيثمي : رواه البزار متصلاً ومرسلًا ، وزاد في المرسل « كان بين أخي ورقة وبين رجل كلام ، فوقع الرجل في ورقة ليغضبه والباقي بنحوه ، ورجال المسند والمرسل رجال الصحيح » .

(٢) ليس الخبر في قسمي السيرة ٢١ من تاريخ ابن عساكر المطبوع بمجمع اللغة العربية بدمشق وهو في (٢٤ / ٦٣) .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (١٥٨/٢) وما يأتي بين معقوفين منه ، ولم أجد في المطبوع من دلائل أبي نعيم .

(٤) سقطت اللفظة من ح .

(٥) في الدلائل : به .

(٦) في ح : حَبَر وهو جمع حَبَرَة ، ضرب من برود اليمن ، والمثبت من ط والدلائل .

غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغمامة تظللُّه في هَجِير القَيْظ . فقال ورقة في ذلك أشعاراً قدَّمناها قبل هذا ، منها قوله : [ من الوافر ]

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجاً      لَأَمْرٍ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا  
ووصفٍ من خديجة بعد وصفٍ      فقد طال انتظاري يا خديجا  
بِطْنِ الْمَكْتَنِ عَلَى رَجَائِي      حديثك أن أرى منه خروجا  
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ      من الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعْوجَا  
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ قَوْمًا      وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِجَا  
وَيُظْهِرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءَ نَوْرِ      يقيمُ به البريَّةُ أَنْ تَعُوجَا<sup>(١)</sup>  
وَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً      وَيَلْقَى مَنْ يَسَالِمُهُ فُلُوجَا<sup>(٢)</sup>  
فِيالْتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم      شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا  
وَلَوْ كَانَ الَّذِي كَرِهْتُ قَرِيشُ      وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِجَا  
أَرْجِي بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعاً      إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِذْ سَفَلُوا عُرُوجَا  
فَإِنْ يَنْقُوا وَأَبَقَ تَكُنْ أُمُورُ      يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِجَا<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً في قصيدته الأخرى : [ من الطويل ]

وَأَخْبَارِ صَدَقِ خَبَرْتُ عَنْ مُحَمَّدٍ      يَخْبِرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِحُ  
بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مَرْسَلُ      إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَبَاطِحُ  
وِظْنِي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقاً      كَمَا أُرْسِلَ الْعَبْدَانِ هُوْدُ وَصَالِحُ  
وَمُوسَى<sup>(٤)</sup> وَإِبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ      بِهِاءٍ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ<sup>(٥)</sup> وَاضِحُ  
وَيَتْبَعُهُ حَيًّا لَوْيٌّ بِنِ غَالِبٍ<sup>(٦)</sup>      شَبَابُهُمْ وَالْأَشْيُورُ الْجَحَاجِحُ  
فَإِنْ أَبَقَ حَتَّى يَدْرِكَ النَّاسُ دَهْرَهُ      فَإِنِّي إِذَا مَسْتَبْشِرُ الْوُدِّ فَارِحُ  
وَالَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فَاعْلَمِي      عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيزَةِ سَائِحُ<sup>(٧)</sup>

(١) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن هشام (١/١٩٢) : تموجا . وهو أشبه ، لأن عوجَ من باب تعب بمعنى التوى فمضارعه يَعوُجُ .

(٢) فلج فلوجاً من باب قعد : ظفر بما طلب . المصباح (فلج) .

(٣) في ح : بها . والأبيات في سيرة ابن هشام (١/١٩١ ، ١٩٢) .

(٤) هذه رواية ط والروض ، وفي ح : ونوح وإبراهيم .

(٥) في ط : منشور من الحق .

(٦) في الروض : ويتبعه حيا لوي جماعة .

(٧) الأبيات في الروض (١/٢٢٠ ، ٢٢١) .

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال ورقة<sup>(١)</sup> : [ من الطويل ]

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمي  
وجبريل يأتيه وميكال مغهما  
يفوز به من فاز فيها بتوبة  
فريقان منهم فرقة في جنايه  
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابع  
فسبحان من يهوي الرياح بأمره  
ومن عرشه فوق السموات كلها

حديثك إيانا فأحمد مرسل  
من الله وحي يشرح الصدر منزل  
ويشقى به العاني الغير المضلل<sup>(٢)</sup>  
وأخرى بأجواز الجحيم تغلل<sup>(٣)</sup>  
مقامع في هاماتهم ثم تشعل  
ومن هو في الأيام ما شاء يفعل  
وأقضاؤه<sup>(٤)</sup> في خلقه لا تبدل

وقال ورقة أيضاً<sup>(٥)</sup> : [ من البسيط ]

يا للرجال وصرف الدهر والقدر  
حتى خديجة تدعوني لأخبرها  
وخبرتني بأمر قد سمعت به  
بأن أحمد يأتيه ويخبره  
فقلت عل الذي ترجين يُنجزه  
وأرسله إلينا كي نسأله  
فقال - حين أتانا - منطوقاً عجبا  
إني رأيت أمين الله واجهني  
ثم استمر فكاد<sup>(٦)</sup> الخوف يذعُرني  
فقلت ظني وما أدري أصدقني  
وسوف أنبيك<sup>(٧)</sup> إن أعلنت دعوتهم

وما لشيء قضاءه الله من غير  
أمرأ أراه سيأتي الناس من آخر  
فيما مضى من قديم الدهر والعصر  
جبريل أنك مبعوث إلى البشر  
لك الإله فرجني الخير وانتظري  
عن أمره ما يرى في النوم والسهر  
يقف منه أعالي الجلد والشعر  
في صورة أكملت من أعظم الصور  
مما يسلم من حولي من الشجر  
أن سوف يُبعث يتلو منزل السور  
من الجهاد بلا من ولا كدر

هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي من « الدلائل » وعندي في صحتها عن ورقة نظر ، والله أعلم .

[ وقال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي - وكان

(١) الأبيات في دلائل البيهقي (٢/ ١٥٠) .

(٢) في دلائل البيهقي : ويشقى بها العاني الغوي المضلل . وهو أشبه ، ويحتمل : العاني إذا كان أسيراً للأهواء .

(٣) الجوز من كل شيء وسطه وجمعه أجواز . وتغلل : تدخل فيها . اللسان ( جوز ، غل ) .

(٤) كذا في ح ، ط والدلائل للبيهقي .

(٥) الأبيات في دلائل البيهقي (٢/ ١٥٠) .

(٦) في ح : فكان .

(٧) في ح : أبليك ، وفي ط : يليك . والمثبت من الدلائل .

واعية - عن بعض أهل العلم ، أنَّ رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى يحسر البيوت عنه<sup>(١)</sup> ، ويُفضي إلى شعاب مكة وبُطونٍ أوديتها ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلَّا قال : السلام عليك يا رسول الله . قال : فيلتفت حوله عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلَّا الشجرَ والحجارة ، فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثمَّ جاءه جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء في رمضان [٢] .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحَدَّثني وَهْبُ بن كَيْسَانَ مولى آلِ الزُّبَيْر قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزبير وهو يقول لِعُبَيْد بن عُمَيْر بن قتادة اللَّيْثي : حَدَّثنا يا عُبيد كيف كان بُدْؤُ ما ابْتَدَى به رسولُ الله ﷺ من النبوة حين جاءه جبريل . قال : فقال عُبيد - وأنا حاضر ، يحدثُ عبدَ الله بنَ الزبير ومن عندهُ من الناس - : كان رسولُ الله ﷺ يجاور في حِراء في كلِّ سنةٍ شهراً . قال : وكان ذلك مما تحنُّث<sup>(٤)</sup> به قريش في الجاهلية ، والحنُّث التبرُّر<sup>(٥)</sup> .

فكان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قَضَى جِوارَهُ من شهره ذلك ، كان أولُ ما يبدأ به إذا انصرف من جِواره الكعبة ، قبل أن يدخلَ بيته فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجعُ إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها ، وذلك الشهر رمضان ، خرج إلى حِراء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمهُ الله فيها برسالته ، ورَحِمَ العبادَ به<sup>(٦)</sup> جاءه جبريلُ بأمر الله تعالى . قال رسولُ الله ﷺ : « فجاءني وأنا نائم بنمطٍ من ديباج<sup>(٧)</sup> » ، فيه كتاب فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغَتَّنِي حتى ظننتُ أنه الموت<sup>(٨)</sup> ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغَتَّنِي حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ ؟ فقال : فغَتَّنِي حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا اقتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي . فقال : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ [العلق : ١ - ٥] . قال :

(١) في ط : لحاجة أبعد حتى يحسر الثوب . والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٢) سقط الخبر من ح وهو في ط وسيرة ابن هشام (٢٣٤/١) والروض (٢٦٦/١) وفيهما : عبد الملك بن عبيد الله .

تصحيف ، وقد تقدمت الإشارة إلى ترجمته في (ص ١٩١) ح (٧) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٣٥/١ ، ٢٣٦) والروض (٢٦٧/١ ، ٢٦٨) .

(٤) في ط : يحجب ، وفي ح بإهمال الحروف ، والمثبت من السيرة والروض .

(٥) ومن معانيه أيضاً التعبد كما مر (ص ١٩٢ في المتن) .

(٦) في السيرة والروض : بها .

(٧) انظر (ص ١٨٧) ح (٢) .

(٨) الغت والغط سواء ، كأنه أراد عصرنى عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يُغمس في الماء قهراً .  
النهاية ( غت ) .

فقرأتها ، ثم انتهى وانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتاباً<sup>(١)</sup> . قال فخرجت حتى إذا كنتُ في وسطِ من الجبل ، سمعتُ صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فرفعتُ رأسي إلى السماء ، فأنظر<sup>(٢)</sup> ، فإذا جبريلُ في صورة رجلٍ صافٍ قدميه في أفقِ السماء يقول : يا محمد أنت رسولُ الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر إليه . فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهي عنه في آفاق السماء . فما أنظر في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك ، فما زلتُ واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجعُ ورائي حتى بعثتُ خديجةً رُسَلَهَا في طلبي ، فبلغوا [ أعلى ]<sup>(٣)</sup> مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ؛ ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي حتى أتيتُ خديجة فجلستُ إلى فخذها مُضيفاً إليها<sup>(٤)</sup> فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشِر يا ابن العم واثبت ، فوالذي نفسُ خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة .

ثم قامتُ فجمعتُ عليها ثيابها ، ثم انطلقتُ إلى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله ﷺ فقال ورقة : قُدُوس قُدُوس ، والذي نفسُ ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، وقولي له فليثبت .

فرجعتُ خديجةً إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرته بقولِ ورقة ، فلما قضى رسولُ الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيهُ ورقة بن نوفل وهو يطوفُ بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيتَ وسمعت . فأخبره ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكدِّبَنَّهُ ، ولتؤذِنَنَّهُ ، ولتخرِجَنَّهُ ، ولتقاتلَنَّهُ ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصرنَّ الله نصرأ يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقَبَّلَ يا فُوخَه<sup>(٥)</sup> ، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى منزله .

وهذا الذي ذكره عُبيد بن عُمير كما ذكرناه كالتوطئة لما جاء بعده من اليقظة كما تقدم من قولِ عائشة رضي الله عنها : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتُ مثلَ فلقِ الصُّبحِ<sup>(٦)</sup> . ويحتمل أن هذا المنام كان بعد ما رآه

(١) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) والروض للسهيلي (١/ ٢٦٨/ ٢٦٩) .

(٢) في السيرة والروض : أنظر وهو أشبه .

(٣) ما بين معقوفين من السيرة والروض .

(٤) مضيفاً إليها : من أضاف إليه : إذا مال ودنا . التاج ( ضيف ) راجع الخشني .

(٥) « اليافوخ » : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل أو اللِّين منه قبل أن يتلاقى العظمان ، معنى وسط الرأس . التاج

( أفخ ) وقال السهيلي في الروض (١/ ٢٧٤) : لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وإنما يقال له الغاذية .

(٦) انظر ما تقدم (ص ١٨٩) .



في اليقظة صبيحة ليلتئذ ، ويحتمل أنه كان بعده بمدة . والله أعلم<sup>(١)</sup>

وقال موسى بن عَقْبَة<sup>(٢)</sup> ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى يعني رسول الله ﷺ أن الله تعالى أراه رؤيا في المنام ، فشق ذلك عليه ، فذكرها لامرأته خديجة فعصمها الله عن التكذيب ، وشرح صدرها للتصديق ، فقالت : أبشُرْ فَإِنَّ الله لم يصنع بك إلا خيراً ، ثم إنه خرج من عندها ثم رجع إليها ، فأخبرها أنه رأى بطنه شقاً ، ثم غُسل وطُهر ، ثم أعيد كما كان . قالت : هذا والله خيرٌ فأبشُرْ ، ثم استعلن له جبريل وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلس كريم مُعجب ، كان النبي ﷺ يقول : « أجلسني على بساط كهية الدُّرنوك<sup>(٣)</sup> » ، فيه الياقوت واللؤلؤ . فبشَّره برسالة الله عزَّ وجلَّ ، حتى اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ فقال له جبريل : اقرأ . فقال : كيف أقرأ ؟ فقال : ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾ [العلق : ١ - ٥] .

قال : ويزعم ناسٌ أنَّ ﴿ يَتْلَاهَا الْمَدَنِيُّ ﴾ أول سورة نزلت عليه ، والله أعلم .

قال<sup>(٤)</sup> : فقبل رسولُ الله ﷺ رسالةَ رَبِّه واتبَعَ ما جاءه به جبريل من عند الله ، فلما انصرف مُنقلَباً إلى بيته ، جعل لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجرٍ إلا سلَّم عليه ، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً ، قد رأى أمراً عظيماً ، فلما دخل على خديجة قال : أرأيتك التي كنتُ أحدثُكُ أني رأيته في المنام ؟ فإنه جبريلُ استعلنَ إليَّ ، أرسله إليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ . وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه ، فقالت : أبشُرْ ، فوالله لا يفعلُ الله بك إلا خيراً ، واقبلِ الذي جاءك من أمرِ الله ، فإنه حقٌّ ، وأبشُرْ ، فإنَّك رسولُ الله حقاً .

ثم انطلقت من مكانها فأتت غلاماً لعُتْبَة بنِ ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى<sup>(٥)</sup> ، يقال له عَدَّاس ، فقالت له : يا عَدَّاس ، أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علمٌ من جبريل ، فقال : قدُّوسٌ قدُّوسٌ ، ما شأنُ جبريلَ يُذكرُ بهذه الأرض التي أهلها أهلُ الأوثان ! فقالت : أخبرني بعلمك فيه : قال : فإنه أمينُ الله بينه وبين النبيِّين ، وهو صاحبُ موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعتُ خديجةً من عنده ، فجاءت ورقة بن نوفل ، فذكرت له ما كان من أمر النبي ﷺ وما ألقاه إليه

(١) انظر ما تقدم ص (١٨٩) .

(٢) أورده البيهقي في دلائل النبوة (١/١٤٢) عن موسى بن عقبة ، وبه أيضاً ذكره السيوطي في الخصائص (١/٩٣) وذكر تخريج أبي نعيم به أيضاً ولم أجده فيه .

(٣) «الدرونك» : سِتْرٌ له خَمَلٌ . النهاية (درنك) .

(٤) يعني سعيد بن المسيَّب .

(٥) « نينوى » : هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل . معجم البلدان (٥/٣٣٩) وجاء في التاج (عَدَس) عن الروض للسهيلي : أن عداساً حين سمع رسولَ الله ﷺ يذكر يونس بن متى عليه السلام قال : والله لقد خرجت منها - يعني نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متي ، فمن أين عرفت متي وأنت أمي وفي أمّة أميّة ؟ فقال ﷺ : هو أخي ، كان نبياً وأنا نبي .

جبريل . فقال لها ورقة : يا بُنَيَّةُ أخي ، ما أدري لعلَّ صاحبكِ النبي الذي ينتظرُ أهلُ الكتاب ، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، وأقسمُ بالله لئن كان إياه ، ثم أظهر دعواه وأنا حيٌّ لأبليَنَّ الله في طاعة رسوله وحسنِ مؤازرته<sup>(١)</sup> ، للصبر<sup>(٢)</sup> والنصر . فمات ورقة رحمه الله .

قال الزهري : فكانت خديجة أولَ مَنْ آمَنَ بالله وصدق رسوله ﷺ .

قال الحافظ البيهقي بعد إيرادِهِ ما ذكرناه<sup>(٣)</sup> ؛ والذي ذُكر فيه من شَقِّ بطنه ، يحتمل أن يكونَ حكايةً منه لما صُنِعَ به في صباه - يعني شَقَّ بطنه عند حليلة - ويحتمل أن يكونَ شَقَّ مَرَّةً أخرى ثم ثالثة حين عُرِجَ به إلى السماء . والله أعلم .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة ورقة<sup>(٤)</sup> بإسناده إلى سليمان بن طرخان التيمي قال : بلغنا أنَّ الله تعالى بعث محمداً رسولاً على رأسِ خمسين سنةً من بناءِ الكعبة<sup>(٥)</sup> ، وكان أول شيءٍ اختصَّهُ به من النبوة والكرامة رؤيا كان يراها ، فقصَّ ذلك على زوجته خديجة بنت خويلد ، فقالت له : أبشُرْ ، فوالله لا يفعلُ اللهُ بك إلا خيراً . فبينما هو ذات يوم في حِرَاء ، وكان يفرُّ إليه من قومه إذ نزل عليه جبريل ، فدنا منه ، فخافه رسولُ الله ﷺ مخافةً شديدة ، فوضع جبريلُ يدهُ على صدره ومن خلفه بين كتفيه . فقال : اللهم اخطُطْ وزرَّهُ ، واشرحْ صدره ، وطهرْ قلبه ، يا محمد أبشُرْ ! فإنك نبيُّ هذه الأمة ، اقرأ . فقال له نبيُّ الله وهو خائفٌ يُزَعِدُ : « ما قرأتُ كتاباً قطُّ ولا أحسنهُ ، وما أكتبُ وما أقرأ » فأخذه جبريلُ فغَتَّه غتاً شديداً ، ثم تركه ثم قال له : اقرأ . فأعادَ عليه مثله ، فأجلسه على بساطٍ كهية الدُّرُنُوك ، فرأى فيه من صفائه وحسنيه كهية اللؤلؤ والياقوت ، وقال له : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ الآيات ، ثم قال له : لا تخفْ يا محمد ، إنَّكَ رسولُ الله . ثم انصرف وأقبل على رسول الله ﷺ هُمُّهُ فقال : « كيف أصنع وكيف أقولُ لقومي ؟ » ثم قام رسولُ الله ﷺ وهو خائفٌ ، فاتاه جبريل من أمامه وهو في صورته<sup>(٦)</sup> ، فرأى رسولُ الله ﷺ أمراً عظيماً ملاً صدره ، فقال له جبريل : لا تخفْ يا محمد ، جبريلُ رسولُ الله ، جبريلُ رسولُ الله إلى أنبيائه ورُسُلِهِ ؛ فأيقنُ بكرامةِ الله ، فإنك رسولُ الله ﷺ ، فرجع رسولُ الله ﷺ لا يمرُّ على شجرٍ ولا حجرٍ إلا هو ساجدٌ يقول : السلامُ عليك يا رسولَ الله . فاطمأنتَ نفسه ، وعرفَ كرامةَ الله إياه ، فلما انتهى إلى زوجته خديجة أبصرتُ ما بوجهه من تغْيُرِ لونه ، فأفرَّعَها ذلك ، فقامتُ إليه : فلما دَنَتْ منه جعلتُ تمسحُ عن وجهه

(١) « لأبليَنَّ » : لأخبرنَّ ، وأصله من قولهم : أبليت فلاناً يميناً : إذا حلفت له بيمين طيِّبَتَ بها نفسه . اللسان ( بلو ) .

(٢) كذا في ح ، ط . وفي الدلائل : الصبر من غير لام .

(٣) الدلائل (١٤٦/٢) .

(٤) في تاريخ ابن عساكر (١٧/٦٣) ، وهو خير ضعيف .

(٥) إن كان يريد بناء قريش فهذا لا يصح لأن رسول الله ﷺ شهدها كما هو معروف في كتب السيرة ، وإن كان يريد أول بنائها ، فهذا بعيد جداً ( بشار ) .

(٦) في ط : صعرته . تحريف .

وتقول : لعلك لبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم ! فقال : « يا خديجة ، أرايت الذي كنت أرى في المنام ، والصوت الذي كنت أسمع في اليقظة وأهال منه ، فإنه جبريلُ قد استعلن لي ، وكلمني وأقراني كلاماً فزعّت منه ، ثم عاد إليّ ، فأخبرني أنني نبيُّ هذه الأمة ، فأقبلتُ راجعاً فأقبلتُ على شجرٍ وحجارة ، فقلن : السلام عليك يا رسول الله » فقالت خديجة : أبشر ، فوالله لقد كنت أعلم أنّ الله لن يفعل بك إلا خيراً ، وأشهد أنك نبيُّ هذه الأمة الذي تنتظره اليهود ، قد أخبرني به ناصحٌ ، غلامي وبَحيرى الراهب<sup>(١)</sup> ، وأمرني أن أتزوَّجك منذ أكثر من عشرين سنة .

فلم تزل برسول الله ﷺ حتى طعمَ وشربَ وضجك ، ثم خرجت إلى الراهب وكان قريباً من مكة ، فلما دنت منه وعرفها قال : ما لك يا سيدة نساء قريش ؟ فقالت : أقبلتُ إليك لتخبرني عن جبريل ، فقال : سبحان الله ربنا القدّوس ! ما بال جبريل يُذكرك في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان ؟ جبريلُ أمينُ الله ، ورسوله إلى أنبيائه ورسله ، وهو صاحبُ موسى وعيسى . فعرفتُ كرامةَ الله لمحمد ، ثم أتت عبداً لعُتْبَةَ بنِ ربيعة يقال له : عدّاس ، فسألتُه ، فأخبرها بمثل ما أخبرها به الراهب وأزيد ، قال : جبريلُ كان مع موسى حين أغرق الله فِرْعَوْنَ وقومه ، وكان معه حين كلمه الله على الطور ، وهو صاحبُ عيسى بن مريم الذي أيّده الله به .

ثم قامت من عنده فأنت ورقة بن نوفل ، فسألتُه عن جبريل ، فقال لها مثل ذلك ، ثم سألتها : ما الخبر ؟ فأحلفته أن يكتُم ما تقولُ له ، فحلف لها ، فقالت له : إنّ ابنَ عبد الله ذكر لي - وهو صادق ، أحلفُ بالله ما كذبَ ولا كُذِّبَ - أنه نزل عليه جبريلُ بحراء وأنه أخبره أنه نبيُّ هذه الأمة ، وأقرأه آياتٍ أرسل بها . قال : فدعِرَ ورقةٌ لذلك وقال : لئن كان جبريلُ قد استقرّت قدماهُ على الأرض ، لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل إلا على نبيٍّ ، وهو صاحبُ الأنبياء والرسل ، يُرسله الله إليهم ، وقد صدّقك عنه ، فأرسلني إليّ ابن عبد الله أسأله وأسمعُ من قوله وأحدّثه ، فإني أخاف أن يكونَ غيرَ جبريل ، فإنَّ بعضَ الشياطين يتشَبَّه به ليُضِلَّ به بعضَ بني آدم ويفسدهم ، حتى يصيرَ الرجلُ بعدَ العقلِ الرضيّ ، مُدَلَّهاً مجنوناً .

فقامت من عنده وهي واثقةٌ بالله أن لا يفعلَ بصاحبها إلا خيراً ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال ورقة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٦﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٧﴾ ﴾<sup>(٢)</sup> . فقال لها : « كلا والله ، إنّه لجبريل » فقالت له : أحبُّ أن تأتيه فتخبره ، لعلَّ الله أن يهديه . فجاءه رسولُ الله ﷺ فقال له ورقة : هذا الذي جاءك ، جاءك في نورٍ أو ظلمة ؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمتِهِ وهيئته<sup>(٣)</sup> ، وما أوحاهُ إليه . فقال ورقة : أشهدُ أن هذا جبريل ، وأنَّ هذا كلامُ الله ، فقد أمرك

(١) أين لقيت سيدتنا خديجة بحيرى الراهب حتى يخبرها ؟ (بشار) .

(٢) القلم الآيتان (١ و ٢) وسقط لفظ (ن) من ح .

(٣) سقطت اللفظة من ط .

بشيء تبليغه قومك وإنه لأمر نبوة ، فإن أدرك زمانك أتبعك . ثم قال : أبشر ابن عبد المطلب بما بشرك الله به . قال : وفشا<sup>(١)</sup> قول ورقة وتصديقه لرسول الله ﷺ فشق ذلك على الملائكة من قومه . قال وفتر الوحي ، فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ، ولكن الله قلاه . فأنزل الله ﴿ وَالضُّحَى ﴾ و ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ بكما هما<sup>(٢)</sup> .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس ، عن ابن إسحاق [ قال : ] حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدثه عن خديجة بنت خويلد أنها قالت لرسول الله ﷺ فيما تئبته فيما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم ، تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : « نعم » فقالت : إذا جاءك فأخبرني . فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ فقال : « يا خديجة ، هذا جبريل » قالت : أترأه الآن ؟ قال : « نعم » قالت : فاجلس إلى شقي الأيمن ، فتحول فجلس ، فقالت : أترأه الآن ؟ قال : « نعم » قالت : فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : « نعم » فتحسرت رأسها فشالت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ، فقالت هل تراه الآن ؟ قال : « لا » قالت : ما هذا بشيطان ، إن هذا الملك يا ابن عم ، فاثبت وأبشر . ثم آمنت به وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدثني عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال : قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنني سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام .

قال البيهقي<sup>(٥)</sup> : وهذا شيء كان من خديجة تصنعه تستثبت به الأمر احتياطاً لدينها وتصديقاً ، فأما النبي ﷺ فقد كان وثق بما قال له جبريل وأراه من الآيات التي ذكرناها مرة بعد أخرى ، وما كان من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ تسليماً .

وقد قال مسلم في « صحيحه »<sup>(٦)</sup> : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٧)</sup> : حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة ، أن

(١) في ط : وذاع .

(٢) هما سورتا الضحى والشرح ورقمهما (٩٣ و ٩٤) .

(٣) في الدلائل (١٥١/٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) لا يزال ينقل من دلائل البيهقي (١٥٢/٢) .

(٥) عقب الحديث السابق .

(٦) صحيح مسلم (٢٢٧٧) (٢) كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة .

(٧) مسند الطيالسي رقم (٧٨١) في مسند جابر . وأخرجه الترمذي عن الطيالسي به في جامعه (٣٦٢٤) المناقب باب في =

رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ بِمَكَّةَ لِحَجْرًا كَانَ يَسْلَمُ عَلَيَّ لِيَالِي بُعِثْتُ ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ إِذَا مَرَزْتُ عَلَيْهِ » .  
 وروى البيهقي<sup>(١)</sup> من حديث إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّيِّ الكبير ، عن عباد بن عبد الله ، عن  
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله  
 شجرٌ ولا جبلٌ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .  
 وفي رواية<sup>(٢)</sup> : لقد رأيْتُني أدخلُ معه الوادي ، فلا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ إلا قال : السلام عليك  
 يا رسول الله وأنا أسمعُه .

## فصل

قال البخاري في روايته المتقدمة<sup>(٣)</sup> : ثم فتر الوحي حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حُزنًا غداً<sup>(٤)</sup> منه  
 مراراً كي يتردى من رؤوس شواهي الجبال ، فكلما أوفى بِذُرْوَةِ جبلٍ لكي يُلقِي نفسه تبدَّى له جبريلُ  
 فقال : يا محمد ، إِنَّكَ رسولُ الله حقاً فيسكنُ لذلك جأشه وتقرُّ نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترةُ  
 الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بِذُرْوَةِ جبلٍ تبدَّى له جبريلُ ، فقال له مثل ذلك .

وفي الصحيحين<sup>(٥)</sup> من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزُّهري قال : سمعتُ أبا سلمة بن  
 عبد الرحمن يحدث عن جابر بن عبد الله قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدث عن فترةِ الوحي قال :  
 « فبينما أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعتُ بصري<sup>(٦)</sup> فإذا الملكُ الذي جاءني بحِجَاءٍ قاعدٌ على  
 كرسيٍّ بين السماء فجئْتُ<sup>(٧)</sup> منه فرقاً<sup>(٨)</sup> حتى هَوَيْتُ إلى الأرض ، فجئتُ أهلي فقلت : زُمَّلُونِي زُمَّلُونِي

- = آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو كما قال من أصل سماك بن حرب .
- (١) في الدلائل (١٥٣/٢ ، ١٥٤) وأخرجه أيضاً الترمذي في سننه رقم (٣٦٣٠) المناقب باب (٦) عن عباد بن يعقوب  
 عن الوليد بن أبي ثور عن عباد بن أبي يزيد عن علي وقال : هذا حديث غريب . أقول : يعني ضعيف .
- (٢) عند البيهقي أيضاً في الدلائل (١٥٤/٣) .
- (٣) المقدمة ص (١٨٧ موضع الحاشية ٥) ، وقول البخاري هذا رقم (٦٩٨٢) . وقال ابن حجر (٣٥٩/١٢) : والذي  
 عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر ، والزيادة في الحديث من قوله : حتى حزن إلى آخره ، من بلاغات  
 الزهري ، وليست موصولة فهي منقطعة .
- (٤) قال ابن حجر (٣٦٠/١٢) : عدا بعين مهملة من العدو ، وهو الذهاب بسرعة ، ومنهم من أعجمها من الذهاب غدوة .
- (٥) فتح الباري رقم (٤٩٢٥) تفسير سورة المدثر (٧٤) باب وثيا بك فطهر ، وصحيح مسلم (٢٥٥ - ١٦١) الإيمان باب  
 بدء الوحي .
- (٦) زادت نسخة ط : قبل السماء . وليست هذه الزيادة في هذا الحديث عن البخاري ، وإنما هي في الحديث الذي يليه  
 رقم (٤٩٢٦) .
- (٧) « جئْتُ منه » : أي : ذعرت وخفت ، ويروى : جثت ، وقيل معناه قُلعت من مكاني . وقال الحربي : أراد جُثت  
 - وهي رواية ح والصحيحين - فجعل مكان الهمزة ثاء . النهاية (جأث - جثت) .
- (٨) في ح فزعاً وفي البخاري « رعباً » .

فأنزل الله : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝١ قُرْآنِذِر ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ [المدثر : ١ - ٥] . قال : « ثم حمي الوحي وتتابع .

فهذا كان أول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي ، لا مطلقاً ، ذاك قوله ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وقد ثبت عن جابر أن أول ما نزل ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴾ واللائق حمل كلامه ما أمكن على ما قلناه ، فإن في سياق كلامه ما يدل على تقدم مجيء الملك الذي عرفه ثانياً بما عرفه به أولاً إليه . ثم قوله : يحدث عن فترة الوحي ، دليل على تقدم الوحي على هذا الإحياء والله أعلم .

وقد ثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> من حديث علي بن المبارك ، وعند مسلم عن<sup>(٢)</sup> الأوزاعي كلاهما عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴾ فقلت : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ فقال : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل قبل ؟ فقال : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴾ فقلت : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : « إني جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الوادي ، فتوديت ، فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر شيئاً ، ثم نظرت إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، فأخذتني رعدة - أو قال وحشة<sup>(٣)</sup> - فأتيت خديجة ، فأمرتهم يذثروني ، فأنزل الله : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ﴾ .

وقال في رواية<sup>(٤)</sup> : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فجنثت منه » .

وهذا صريح في تقدم إتيانه إليه ، وإنزاله الوحي من الله عليه كما ذكرناه والله أعلم .

ومنهم من زعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة ﴿ وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝٣ ﴾ إلى آخرها . قاله محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> .

وقال بعض القراء<sup>(٦)</sup> : ولهذا كبر رسول الله ﷺ في أولها فرحاً وهو قول بعيد ، يرده ما تقدم من رواية صاحب الصحيح من أن أول القرآن نزولاً بعد فترة الوحي : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ۝١ قُرْآنِذِر ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ ولكن نزلت سورة والضحي بعد فترة أخرى كانت ليالي يسيرة ، كما ثبت في الصحيحين<sup>(٧)</sup> وغيرهما من حديث الأسود بن

(١) فتح الباري (٤٩٢٢) تفسير سورة المدثر (٧٤) وصحيح مسلم (١٦١) (٢٥٧) الإيمان باب بدء الوحي .

(٢) في ط : « وعند مسلم والأوزاعي » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، فقد رواه مسلم زهير بن حرب ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي . (بشار) .

(٣) في صحيح مسلم رجفة .

(٤) وهي رواية البخاري رقم (٤٩٢٥) باب وثيابك فطهر .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٤١/١) والروض (٢٨١/١) .

(٦) النشر لابن الجزري (٢/٤٠٥ ، ٤٠٦) .

(٧) فتح الباري (٤٩٥٠) تفسير سورة الضحى (٩٣) باب ما ودعك ربك . وصحيح مسلم (١٧٩٧) (١١٥) الجهاد =

فيس عن جُنْدُب بن عبد الله البجلي قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يَقم ليلةً أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة<sup>(١)</sup> : ما أرى شيطانك إلا تركك فأنزل الله ﴿ وَالصُّحُفِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَّ ۝ ﴾ .

وبهذا الأمر حصل الإرسالُ إلى الناس ، وبالأول حصلت النبوة . وقد قال بعضهم : كانت مدّة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصفاً ، والظاهر والله أعلم أنها المدّة التي اقترن معه ميكائيل ، كما قال الشعبي وغيره<sup>(٢)</sup> ، ولا ينفي هذا تقدّم إحياء جبريل إليه أولاً : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ ﴾ ثم [ حصلت الفترة التي اقترن معه ميكائيل ، ثم ]<sup>(٣)</sup> اقترن به جبريلُ بعد نزول ﴿ بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْنَبِ ۝ قُرْ فَأَنذَرُ ۝ ﴾ وَرَبِّكَ فَكَذَّبَ ۝ وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ثم حمي الوُحْيُ بعد هذا وتتابع - أي : تدارك شيئاً بعد شيء - وقام حينئذ رسول الله ﷺ في الرسالة أتمّ القيام ، وشمر عن ساق العزم ، ودعا إلى الله القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فأمن به حينئذ كلُّ لبیب مُجيب<sup>(٤)</sup> سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كلُّ جبارٍ عنيد ، فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب ، ومن النساء خديجة بنت خويلد زوجته عليه السلام ، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنهم وأرضاهم . وتقدّم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل بما وجد من الوحي<sup>(٥)</sup> ، ومات في الفترة رضي الله عنه .

## فصل<sup>(٦)</sup>

في منع الجن ومردة الشياطين من استراق السمع حين أنزل القرآن

لئلا يختطف أحد منهم ولو حرفاً واحداً فيلقيه على لسان وليه فيلبس الأمر ويختلط الحق

فكان من رحمة الله وفضله ولطفه بخلقه أن حجبهم عن السماء ، كما قال الله تعالى إخباراً عنهم في قوله : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَهَا مِلسَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ۝ ﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَن فِي الْأَرْضِ أَمَرَأَادُ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ ﴾ [ الجن : ٨ - ١٠ ] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ۝ ﴾ [ الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢ ] .

= والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين . وفيهما بالفاظ متقاربة .

(١) قال ابن حجر في الفتح (٧١٠ / ٨) : هي أم جميل بنت حرب ، امرأة أبي لهب .

(٢) قول الشعبي تقدم في ص (١٩٠) في المتن وفيه : إسرائيل لا ميكائيل .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ط .

(٤) في ط : نجيب .

(٥) انظر ص (١٩٦) .

(٦) في الهامش ما نصه : بلغ مقابلة .

قال الحافظ أبو نعيم<sup>(١)</sup> : حدثنا سليمان بن أحمد - وهو الطبراني - حدثنا عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الجنُّ يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقاً ، وأما ما زادوا فيكون باطلاً ، فلما بُعث النبي ﷺ مُنعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : هذا لأمرٍ قد حدث في الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله قائماً يصلي بين جبلين ، فأتوه فأخبروه فقال : « هذا الأمر الذي قد حدث في الأرض » .

وقال أبو عوانة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيلَ بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسِلَتْ علينا الشُّهُبُ ، فقالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، [ فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ]<sup>(٢)</sup> ، فمرَّ النَّفَرُ الذين أخذوا نحو تهامة - وهو بنخل<sup>(٣)</sup> - عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن ، استمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿ [ الجن : ١ - ٢ ] . فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [ الجن : ١ ] الآية . أخرجاه في الصحيحين<sup>(٤)</sup> .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> : حدثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إنه لم تكن قبيلة من الجنِّ إلا ولهم مقاعد للسمع ، فإذا نزل الوحي سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحديد ألقيتها على الصفا ، قال : فإذا سمعته<sup>(٦)</sup> الملائكة خرُّوا سجداً فلم يرفعوا رؤوسهم

(١) لم أجده في المطبوع من الدلائل ، وهو عند الطبراني في المعجم الكبير رقم (١٢٤٣١) فيما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (٢٧٤/١) من طريق إسرائيل به ، والترمذي في جامعه (٣٣٢٤) تفسير سورة الجن من طريق الفريابي به وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) ما بين معقوفين ساقط من ح ، ط فاستدرسته من صحيح مسلم واللفظ له .

(٣) في فتح الباري « بنخلة » وقال فيه ابن حجر (٦٧٤/٨) : موضع بين مكة والطائف . قال البكري : على ليلة من مكة ، وهي التي ينسب إليها بطن نخل . وقع في رواية مسلم بنخل بلا هاء والصواب إثباتها .

(٤) فتح الباري (٤٩٢١) تفسير سورة ﴿ قُلْ أُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ، وصحيح مسلم (١٤٩ - ٤٤٩) الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن . وأخرجه أيضاً عن أبي عوانة به الترمذي في جامعه (٣٣٢٣) التفسير (٧٠) باب ومن سورة الجن وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) في المصنف (١٨٣٩١) المغازي باب ما رأى النبي ﷺ قبل النبوة .

(٦) في ح ، ط : سمعت ، والمثبت من المصنف .



حتى ينزل ، فإذا نزل قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ فإن كان مما يكون في السماء قالوا : الحق وهو العليُّ الكبير ، وإن كان مما يكون في الأرض من أمر الغيب أو موت أو شيء مما يكون في الأرض تكلموا به فقالوا : يكون كذا وكذا ، فسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم ، فلما بعث النبي محمد ﷺ دُحِرُوا بالنجوم ، فكان أول مَنْ علم بها ثقيف ، فكان ذو الغنم منهم ينطلق إلى غنمه ، فيذبح كلَّ يوم شاة وذو الإبل ينحر<sup>(١)</sup> كلَّ يوم بغيراً ، فأسرع الناس في أموالهم ، فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا فإن كانت النجوم التي يُهتدى بها ، وإلا فإنه لأمرٌ حدث . فنظروا فإذا النجوم التي يُهتدى بها كما هي لم يزل منها شيء<sup>(٢)</sup> ، فكفوا ، وصرف الله الجنَّ ، فسمعوا القرآن ، فلما حضروه قالوا : أنصتوا . وانطلقت الشياطين إلى إبليس فأخبروه ، فقال : هذا حدثٌ حدث في الأرض ، فأتوني من كلِّ أرضٍ بتربة ، فأتوه بتربة تهامة ، فقال . . هاهنا الحدث .

[ ورواه البيهقي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب ]<sup>(٣)</sup> .

وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن عمرو بن عبد الله العبسي<sup>(٤)</sup> ، عن كعب قال : لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبأ رسولُ الله ﷺ فرُمي بها ، فرأت قريشُ أمراً لم تكن تراه ، فجعلوا يُسيَّبون أنعامهم ويعتقون أرقاءهم يظنون أنه الفناء ، فبلغ ذلك من فعلهم أهل الطائف ففعلت ثقيفٌ مثل ذلك ، فبلغ عبدُ يا ليل بن عمرو ما صنعت ثقيف . قال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رُمي بالنجوم ، فأيناها تهافت من السماء . فقال : إن إفادة المال بعد ذهابه شديد ، فلا تعجلوا وانظروا ، فإن تكن نجوماً تُعرف فهو عندنا من فناء الناس ، وإن كانت نجوماً لا تعرف فهو لأمرٌ قد حدث . فنظروا فإذا هي لا تُعرف ، فأخبروه فقال : الأمر فيه مُهْلَةٌ بعدُ ، هذا عند ظهور نبي . فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله ، فجاءه عبدُ يا ليل فذاكره أمر النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبيٌّ مرسل . فقال عبدُ يا ليل : فعند ذلك رُمي بها<sup>(٥)</sup>

وقال سعيد بن منصور عن خالد ، عن<sup>(٦)</sup> حصين ، عن عامر الشعبي قال : كانت النجوم لا يُرمى بها

(١) في ح ، ط : فينحر . والمثبت من المصنف .

(٢) في المصنف : لم يرم منها شيء .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ح وقد أورده البيهقي في الدلائل بالفاظ مقاربة (٢/ ٢٤٠) .

(٤) كذا في ح وفي ط : عمر بن عبدان العبسي . ولم أقف على ترجمة له ، والخبر ساقه أبو الفرج بن الجوزي في الوفا (١٧٤/ ١) وروى فيه عن أبي بن كعب .

(٥) إسناده تالف ، الواقدي متروك ، وأسامة بن زيد بن أسلم ضعيف ، وشيخه عمرو بن عبد الله العبسي مجهول . (بشار) .

(٦) في ح ، ط : خالد بن حصين . تصحيف ، والمثبت من دلائل البيهقي (٢/ ٢٤١) ومما ثبت من رواية خالد بن عبد الله الواسطي ، عن حصين بن عبد الرحمن في تهذيب الكمال للمزي في ترجمتهما ، ورواية سعيد بن منصور عن خالد .

حتى بُعث رسول الله ﷺ فسيبوا أنعامهم ، وأعتقوا رقيقهم . فقال عبدُ يا ليل : انظروا ، فإن كانت النجوم التي تُعرف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو لأمرٍ قد حدث . فنظروا فإذا هي لا تُعرف . قال : فأمسكوا فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاءهم خروجُ النبي ﷺ .

وروى البيهقي<sup>(١)</sup> والحاكم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لم تكن سماء الدنيا تحرسُ في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه ، فلعل مرادَ مَنْ نفَى ذلك أنها لم تكن تُحرسُ حراسةً شديدة ، ويجب حمل ذلك على هذا ، لما ثبت في الحديث<sup>(٢)</sup> من طريق عبد الرزاق ، عن معمر عن الزُّهري عن علي بن الحسين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : بينا رسولُ الله ﷺ جالسٌ إذ رُمي بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون إذا رُمي بهذا ؟ » قال : كنا نقول : مات عظيم ، وولد عظيم ، فقال : « لا ولكن » . فذكر الحديث كما تقدّم عند خلق السماء وما فيها من الكواكب في أول بدء الخلق والله الحمد<sup>(٣)</sup>

وقد ذكر ابن إسحاق في « السيرة »<sup>(٤)</sup> قصة رمي النجوم وذكر عن كبير ثقيف أنه قال لهم في النظر في النجوم : إن كانت أعلامُ السماء أو غيرها<sup>(٥)</sup> ، ولكن سماه عمرو بن أمية . فالله أعلم .

وقال السُّدِّي : لم تكن السماء تُحرس إلا أن يكونَ في الأرض نبيٌّ أو دينٌ لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في سماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر ، فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رُجموا ليلة من الليالي ، ففرغَ لذلك أهلُ الطائف ، فقالوا : هلك أهلُ السماء لما رأوا من شدة النار في السماء ، واختلاف الشهب ، فجعلوا يعتقون أرقاءهم ، ويُسيِّبون مواشيهم ، فقال لهم عبدُ يا ليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا<sup>(٦)</sup> في معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة<sup>(٧)</sup> في أمكنتها فلم يهلك أهلُ السماء ، وإنما هو<sup>(٨)</sup> من ابن أبي كبشة ، وإن أنتم لم تروها فقد أهلك أهلُ السماء ، فنظروا فأروها ، فكفُّوا عن أموالهم ، وفرغت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فقال : اتئوني من كلِّ أرضٍ بقبضةٍ من تراب . فأتوه ، فشمَّ فقال : صاحبُكم بمكة . فبعث سبعة نفرٍ من جنِّ نصيبين ، فقدموا مكة ، فوجدوا رسولَ الله ﷺ في المسجد الحرام يقرأ القرآن ،

(١) دلائل البيهقي (٢/ ٢٤١) ، وإسناده ضعيف لضعف العوفي واسمه عطية ، وما قبله مجاهيل .

(٢) كما في دلائل البيهقي (٢/ ٢٣٨) وبنحوه أخرجه مسلم (٢٢٢٩) (١٢٤) في السلام باب تحريم الكهانة من طريق صالح عن ابن شهاب به . وبنحوه أورده ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق به .

(٣) انظر ما تقدم (١/ ١٥) وما بعدها .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص ١١٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٠٦) والروض (١/ ٢٣٦) .

(٥) في السيرة والروض : فإن كانت معالم النجوم التي يهتدى بها . . .

(٦) في ح : إلى .

(٧) في ح : مستمرة .

(٨) في ح : هذا .

فدنّوا منه جرّصاً على القرآن حتى كادت كلّهم تصيبه ، ثم أسلموا ، فأنزل الله أمرهم على نبيّه ﷺ .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : حدّثني محمد بن صالح عن ابن أبي حكيم - يعني إسحاق - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : لما بُعث رسولُ الله ﷺ أصبح كلُّ صنمٍ منكساً ، فأنت الشياطينُ فقالوا له : ما على الأرض من صنمٍ إلّا وقد أصبح منكساً . قال : هذا نبيٌّ قد بُعث ، فالتمسوه في قرى الأرياف ، فالتمسوه فقالوا : لم نجده . فقال : أنا صاحبه . فخرج يلتمسه ، فنودي عليك بحبّة القلب<sup>(٢)</sup> - يعني مكة - فالتمس به فوجده بها عند قرن الثعالب<sup>(٣)</sup> ، فخرج إلى الشياطين فقال : إني قد وجدته معه جبريل ، فما عندكم ؟ قالوا : نزيّن الشهوات في أعين أصحابه ، ونحبّبها إليهم قال : فلا آسى إذا .

وقال الواقدي<sup>(٤)</sup> : حدّثني طلحة بن عمرو ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسولُ الله ﷺ مُنعتِ الشياطينُ من السماء ، ورُموا بالشهب ، فجاؤوا إلى إبليس فذكروا ذلك له ، فقال : أمرٌ قد حدث ، هذا نبيٌّ قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بني إسرائيل . قال : فذهبوا إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبه فخرج في طلبه بمكة ، فإذا رسولُ الله ﷺ بجراًء منحدرأً معه جبريل فرجع<sup>(٥)</sup> إلى أصحابه فقال : قد بُعث أحمد ومعه جبريل فما عندكم ؟ قالوا : الدنيا نحبّبها إلى الناس قال : فذاك إذا .

قال الواقدي<sup>(٦)</sup> : وحدّثني طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : كانت الشياطين يستمعون الوحي ، فلما بُعث محمد ﷺ مُنعوا ، فشكّوا ذلك إلى إبليس فقال : لقد حدث أمر فرقي فوق أبي قبيس - وهو أول جبل وُضع على وجه الأرض - فرأى رسولُ الله ﷺ يصلي خلف المقام ، فقال : اذهب فاكسر عنقه . فجاء يخطرُ وجبريل عنده ، فركضه جبريل ركضةً طرحه في كذا وكذا ، فولى الشيطان هارباً .

ثم رواه الواقدي<sup>(٧)</sup> وأبو أحمد الزبيري كلاهما عن رباح بن أبي معروف ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد فذكر مثل هذا وقال : فركضه برجله فرماه بعدن .

(١) لم أجده فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات وأورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٤) وأبو الفرج بن الجوزي في الوفا (١٧٦/ ١) . وذكره أيضاً السيوطي في الخصائص (١١٠/ ١) .

(٢) في ط : بجنبه الباب ، والمثبت من ح والدلائل والوفا .

(٣) قرن الثعالب ، هو قرن المنازل : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة . معجم البلدان (٤/ ٣٣٢) .

(٤) لم أجده فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات وأورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٥) وذكره السيوطي في الخصائص (١١١/ ١) .

(٥) في ح : فدفع . ومعناه : انتهى إلى أصحابه .

(٦) أورده أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٩٦) وذكره السيوطي في الخصائص (١١٢/ ١) .

(٧) ذكره السيوطي في الخصائص (١١٢/ ١) .

## فصل

## في كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله ﷺ

قد تقدم كيفية ما جاءه جبريل في أول مرة ، وثاني مرة أيضاً .

وقال مالك<sup>(١)</sup> عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً يكلّمني فأعي ما يقول » . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً .

أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به<sup>(٢)</sup> .

ورواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> عن عامر بن صالح ، عن هشام بن عروة به نحوه .

وكذا رواه عبدة بن سليمان ، وأنس بن عياض ، عن هشام بن عروة ، وقد رواه أيوب السختياني عن هشام عن أبيه عن الحارث بن هشام أنه قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت : كيف يأتيك الوحي ؟ فذكره ، ولم يذكر عائشة .

وفي حديث الإفك<sup>(٤)</sup> قالت عائشة : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه كان يتحدّر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شات من ثقل الوحي الذي نزل عليه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم قال : أملئ علي يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن<sup>(٦)</sup> عبد الرحمن بن عبد القاري : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان

(١) الموطأ (٢٠٢/١) القرآن باب ما جاء في القرآن .

(٢) في ح ، ط : صلصة تصحيف ، والمثبت من الموطأ . والصلصلة في الأصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين . فتح الباري (٢٠/١) .

(٣) فتح الباري (١٨/١) بدء الوحي باب حدثنا عبد الله بن يوسف . وصحيح مسلم (٢٣٣٣) الفضائل باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي .

(٤) في مسنده (١٥٨/٦) .

(٥) انظر حديث الإفك مخرّجاً فيما سيأتي في الجزء الرابع .

(٦) في مسنده (٣٤/١) ، وإسناده ضعيف لجهالة يونس بن سليم .

(٧) في ح ، ط : عروة بن عبد الرحمن ، وهو تصحيف ، والمثبت من المسند . وما يأتي بين معقوفين منه .

إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي ، يُسمع عند وجهه [ دَوِيٌّ ] كدَوِيِّ النَّحْلِ ، وذكر تمام الحديث في نزول ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [ المؤمنون : ١ ] .

وكذا رواه الترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث عبد الرزاق ، ثم قال النسائي : منكر لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم ، ولا نعرفه .

وفي صحيح مسلم وغيره<sup>(٢)</sup> من حديث الحسن ، عن حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ ، عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لَدَيْهِ وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ - وَفِي رَوَايَةٍ وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ - وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ .

وفي الصحيحين<sup>(٣)</sup> حديث زيد بن ثابت حين نزلت ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ فلما شكَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ نَزَلَتْ ]<sup>(٤)</sup> ﴿ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ ﴾ . قَالَ : وَكَانَتْ فَخَذُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فَخْذِي وَأَنَا أَكْتُبُ ، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ كَادَتْ فَخْذُهُ تَرُضُّ فَخْذِي .

وفي صحيح مسلم<sup>(٥)</sup> من حديث هَمَّامِ بْنِ يَحْيَى ، عن عطاء ، عن يَعْلَى بْنِ أُمِيَّةٍ قَالَ : قَالَ لِي عُمَرُ : أَيْسُرُكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوحَى إِلَيْهِ ؟ فَرَفَعَ [ عُمَرُ ] طَرَفَ الثَّوْبِ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يُوحَى إِلَيْهِ بِالْجِعْرَانَةِ<sup>(٦)</sup> ، فَإِذَا هُوَ مُحَمَّرُ الْوَجْهِ ، وَهُوَ يَغْطُ كَمَا يَغْطُ الْبَكْرُ<sup>(٧)</sup>

وُثِبَتْ فِي الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٨)</sup> مِنْ حَدِيثٍ عَائِشَةُ لَمَّا نَزَلَ الْحِجَابُ ، وَأَنَّ سَوْدَةَ خَرَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمَنَاصِعِ<sup>(٩)</sup> لَيْلاً ، فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا سَوْدَةُ . فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ جَالِسٌ يَتَعَشَّى

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٣) ، و(٣١٧٣ م) ، والنسائي في الصلاة من سننه الكبرى (١٤٣٩) عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق به . وتنظر تحفة الأشراف (٢٦٧/٧ - ٢٦٨) حديث (١٠٥٩٤) بتحقيقنا (بشار) .

(٢) صحيح مسلم (١٦٩٠) (١٢) الحدود باب حد الزنى . وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند (٣١٧/٥) به .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٣٢) الجهاد باب قول الله عز وجل [ النساء : ٩٥ ] ، و(٤٥٩٢) التفسير باب لا يستوي القاعدون ، وصحيح مسلم (١٨٩٨) في الإمارة باب فرض الجهاد عن المعذورين .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من ح ، وهو مروي بالمعنى وبالألفاظ مقاربة لما جاء في البخاري .

(٥) صحيح مسلم (١١٨٠) (٦) الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) مضي التعريف بها في ص (٦٠ ح ٩) .

(٧) « الْبَكْر » : الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ ، وَغَطَّ : صَوَّتَ فِي شَقِشْقَتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَقِشْقَةٌ فَهُوَ هَدِيرٌ ، وَغَطَّ النَّائِمَ غَطِيطاً : تَرَدَّدَ نَفْسُهُ صَاعِداً إِلَى حَلْقِهِ حَتَّى يَسْمَعَهُ مِنْ حَوْلِهِ . الْمَصْبَاحُ ( غَطَط ) .

(٨) فتح الباري (٤٧٩٥) التفسير باب ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ وصحيح مسلم (٢١٧٠) (١٧) في السلام باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان .

(٩) « الْمَنَاصِع » : هِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي يُتَخَلَّى فِيهَا لِقِضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَاحِدُهَا مَنْصَعٌ ، لِأَنَّهُ يُبْرَزُ إِلَيْهَا وَيُظْهَرُ . النِّهَايَةُ (٦٥/٥) نصع) .

والعَرَقُ في يده<sup>(١)</sup> ، فأوحى الله إليه والعَرَقُ في يده ، ثم رفع رأسه فقال : « إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكَ أَنْ تَخْرُجَ لِحَاجَتِكَ » .

فدلّ هذا على أنه لم يكن الوحي يُغَيَّبُ عنه إحساسه بالكَلْبَةِ ، بدليل أنه جالس لم يسقط ولم يسقط العَرَقُ أيضاً من يده صلوات الله وسلامه دائماً عليه .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٢)</sup> : حدّثنا عباد بن منصور ، حدّثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا أنزل<sup>(٣)</sup> عليه الوحي تربّد لذلك جسده ووجهه ، وأمسك عن أصحابه ، ولم يكلمه أحد منهم .

وفي مسند أحمد<sup>(٤)</sup> وغيره من حديث ابن لهيعة ، حدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قلت : يا رسول الله ، هل تُحَسُّ بالوحي ؟ قال : « نعم ، أسمع صلاصلاً ثم أَسْبُتُ<sup>(٥)</sup> عند ذلك ، وما من مرّة يُوحى إليّ إلا ظننتُ أنّ نفسي تَفِيضُ منه »<sup>(٦)</sup> .

وقال أبو يعلى الموصلي<sup>(٧)</sup> : حدّثنا إبراهيم بن الحجاج ، حدّثنا عبد الواحد بن زياد ، حدّثنا عاصم ابن كليب ، حدّثنا أبي عن خاله الفلتان<sup>(٨)</sup> بن عاصم قال : كُنّا عند رسول الله ﷺ وأنزل عليه ، وكان إذا أنزل عليه دام بصره ، ومفتوحة عيناه<sup>(٩)</sup> ، وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل<sup>(١٠)</sup> .

وروى أبو نعيم<sup>(١١)</sup> من حديث قتيبة ، حدّثنا علي بن غراب ، عن الأحوص بن حكيم ، عن أبي

(١) « العرق » : بفتح العين وإسكان الراء : وهو العظم الذي عليه بقية اللحم . شرح النووي لصحيح مسلم (١٥١/١٤) .

(٢) مسند الطيالسي (٢٦٦٧) .

(٣) في ح : نزل .

(٤) مسند أحمد (٢٢٢/٢) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .

(٥) كذا في ح ، وفي ط : أثبت ، وفي مسند أحمد : أسكت . وأسبت من السبّت ، وهو الراحة والسكون أو من القطع وترك الأعمال . النهاية (سبب/٢/٣٣١) .

(٦) « فاض الرجل » : مات ؛ وفاضت نفسه : خرجت . اللسان (فيض) . وفي ط تغيط ، وهما بمعنى .

(٧) مسند أبي يعلى (١ - ١٥٨٣) من حديث الفلتان . وقد خرجه الحافظ ابن حجر في ترجمة الفلتان في الإصابة فقال : رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى في مسنديهما وابن حبان في صحيحه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٧) وقال رواه أبو يعلى والبخاري بنحوه والطبراني بنحوه ، ورجال أبي يعلى ثقات .

(٨) في ح بمهمات ، وفي ط : العليان ، وفي مجمع الزوائد (الغلبان) وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أبي يعلى الإصابة في ترجمة الفلتان .

(٩) كذا في ح ، وفي مسند أبي يعلى ومجمع الزوائد والإصابة من غير واو ، وفي ط : وعيناه مفتوحة .

(١٠) لم أجده فيما طبع من الدلائل وأورده السيوطي في الخصائص (١/١٢٠) .

(١١) تتمته في مسند أبي يعلى : قال : فكنا نعرف ذلك منه ، فقال للكاتب : اكتب ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾

عوانة<sup>(١)</sup> ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي صُدَّعَ ، وَغُلِّفَ رأسه بِالْحِجَاءِ .

هذا حديث غريب جداً .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا أَبُو النُّضْرِ ، حَدَّثَنَا أَبُو معاوية شيبان ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : إني آخذة بزمام العَضْبَاءِ ناقة رسول الله ﷺ ، إذ نزلت<sup>(٣)</sup> عليه المائدة كلها ، وكادت من ثقلها تَدُقُّ عَضْدَ الناقة .

وقد رواه أبو نعيم<sup>(٤)</sup> من حديث الثوري عن ليث بن أبي سليم به .

وقال الإمام أحمد أيضاً<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا حسن ، حَدَّثَنَا ابن لهيعة ، حَدَّثَنِي حُيَيُّ<sup>(٦)</sup> بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبْلِيِّ ، عن عبد الله بن عمرو قال : أُنْزِلَتْ عَلَى رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته ، فلم تستطع أن تَحْمِلَهُ ، فنزل عنها .

وروى ابن مَرْدُويه من حديث صباح بن سهل ، عن عاصم الأحول : حَدَّثَنِي أُمُّ عمرو عن عمها ، أنه كان في مسير مع رسول الله ﷺ فَأُنْزِلَتْ عليه سورة المائدة ، فاندقَّ عُنُقَ الراحلة من ثِقَلِهَا .

وهذا غريبٌ من هذا الوجه<sup>(٧)</sup> . ثم قد ثبت في الصحيحين<sup>(٨)</sup> نزولُ سورة الفتح على رسول الله ﷺ مَرْجِعُهُ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وهو على راحلته ، فكأنه<sup>(٩)</sup> يكون تارة وتارة بحسب الحال . والله أعلم .

وقد ذكرنا أنواع الوحي إليه ﷺ في أول شرح البخاري وما ذكره الحليمي وغيره من الأئمة رضي الله عنهم .

= وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿ [ النساء : ٩٥ ] قال : فقام الأعمى فقال : يا رسول الله ، ما ذنبنا ؟ فَأُنْزِلَ الله ، فقلنا للأعمى : إنه ينزل على النبي ﷺ فخاف أن يكون ينزل عليه شيء من أمره فبقي قائماً يقول : أعوذ بغضب رسول الله . قال : فقال النبي ﷺ للكاتب : « اكتب ﴿ عَزَّأُولِي الضَّرَرِ ﴾ » .

(١) في ح : عن أبي عون ، ولم يتبين لي وجه الصواب فيهما .

(٢) في مسنده (٤٥٥ / ٦) . قال بشار : وإسناده ضعيف لضعف ليث ، وهو ابن أبي سليم ، وشيخه شهر بن حوشب .

(٣) في المسند : أنزلت .

(٤) لم أجده فيما طبع من الدلائل وقد ذكره السيوطي في الخصائص (١٢٠ / ١) عن أبي نعيم ، وإسناده ضعيف مثل سابقه .

(٥) في مسنده (١٧٦ / ٢) ، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة .

(٦) في ط : جبر بن عبد الله ، تصحيف ، والمثبت من ح والمسند والإكمال (٥٨١ / ٢) .

(٧) صباح بن سهل منكر الحديث (الميزان ٣٠٥ / ٢) .

(٨) سيأتي من سياق البخاري في غزوة الحديبية (١٧٧ / ٣) ط .

(٩) في ط : فكان .

## فصل

قال الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وكان هذا في الابتداء ، كان عليه الصلاة والسلام من شِدَّةِ حِرْصِهِ على أَخْذِهِ مِنَ الْمَلِكِ ما يوحيه إليه عن الله عزَّ وجلَّ ليساوقه في التلاوة ، فأمره الله تعالى أَنْ يُنْصِتَ لذلك حتى يَفْرُغَ من الوحي ، وتكفَّلَ له أَنْ يَجْمَعَهُ فِي صَدْرِهِ ، وَأَنْ يُسَرِّعَ عَلَيْهِ تِلَاوَتَهُ وَتَبْلِيغَهُ ، وَأَنْ يُبَيِّنَهُ لَهُ ، وَيُفَسِّرَهُ وَيُوضِّحَهُ ، وَيُوقِفَهُ عَلَى الْمَرَادِ مِنْهُ . ولهذا قال : ﴿ فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾ أي في صدرك ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾ أي وأن تقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ ﴾ أي تلاه عليك الْمَلِكُ ﴿ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٨] أي فاستمع له وتدبَّره ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٩] وهو نظيرُ قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ .

وفي الصحيحين<sup>(١)</sup> من حديث موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسولُ الله ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ، فَكَانَ يَحْرُكُ شَفْتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قال : جَمَعَهُ فِي صَدْرِكَ ، ثُمَّ تَقْرَأُهُ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ ﴾ فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ قال : فكان إذا أتاه جبريلُ أَطْرَقَ ، فإذا ذهبَ قرأه كما وعده الله عزَّ وجلَّ .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم تتابع الوحيُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو مصدِّقٌ بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحملٌ منه ما حمله على رضا العبادِ وسخطهم ، وللنبوةِ أثقالٌ ومؤنة ، لا يحملها ولا يستضلعُ بها<sup>(٣)</sup> إلا أهلُ القوةِ والعزمِ من الرسل ، بعونِ الله وتوفيقه ، لما يلقون من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاؤا به عن الله عزَّ وجلَّ ، فمضى رسولُ الله ﷺ على ما أمر الله ، على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وآمنتُ خديجةُ بنتُ خويلدٍ وصدَّقتُ بما جاءه من الله ، ووازرتهُ على أمره ، وكانت أوَّلَ مَنْ آمَنَ بالله ورسوله وصدَّقَ بما جاء منه ، فحقَّقَ الله بذلك عن رسوله ، لا يسمع شيئاً

(١) فتح الباري (٤٩٢٩) التفسير (٧٥) سورة القيامة باب فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . وصحيح مسلم (٤٤٨) الصلاة باب الاستماع للقراءة .

(٢) سيرة ابن هشام (٢٤٠/١) والروض (٢٧٦/١) .

(٣) كذا في ط وفي ح : يستطلع ، وفي سيرة ابن هشام والروض يستطيع ، ولعل الصواب : يضطلع . من اضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة ، يقال : اضطلع بحمله أي قوي عليه ونهض به . انظر اللسان ( ضلع ) .

(٤) سيرة ابن هشام (٢٤٠/١) والروض (٢٧٧/١) .



يكرهه ، من ردّ عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفّف عنه ، وتصدّقه وتهوّن عليه أمر الناس ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ ببيتٍ من قَصَب ، لا صَحْب فيه ولا نَصَب » .

وهذا الحديث مخرّج في الصحيحين<sup>(٢)</sup> من حديث هشام .

قال ابن هشام : القَصَب هاهنا : اللؤلؤ المجوّف .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وجعل رسول الله ﷺ يذكر<sup>(٤)</sup> ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله .

وقال موسى بن عقبة عن الزُّهري : كانت خديجةُ أولَ من آمن بالله وصدّق رسوله ، قبل أن تُفرض الصلاة .

قلت : يعني الصلوات الخمس ليلة الإسراء . فأما أضل الصلاة فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها كما سنبينه .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وكانت خديجةُ أولَ من آمن بالله ورسوله ، وصدّق بما جاء به .

ثم إن<sup>(٦)</sup> جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت له عين من ماء زمزم ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلّى ركعتين وسجد أربع سجعات ، ثم رجع النبي ﷺ قد أقرّ الله عينه ، وطابت نفسه ، وجاءه ما يُحبُّ من الله ، فأخذ يد خديجة حتى أتى بها إلى العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجعات ، ثم كان هو وخديجة يصلّيان سرّاً .

قلت : صلاة جبريل هذه غير الصلاة التي صلاها به عند البيت مرتين ، فبين له أوقات الصلوات الخمس ، أولها وآخرها ، فإنّ ذلك كان بعد فرضيتها ليلة الإسراء ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، وعليه التكلان<sup>(٧)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام (٢٤١/١) والروض (٢٧٧/١) .

(٢) فتح الباري (٣٨١٧) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ وصحيح مسلم (٢٤٣٢) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٤٣/١) .

(٤) في ط : يذكر جميع . وليست هذه الزيادة في ح ولا في سيرة ابن هشام .

(٥) سيرة ابن هشام (٢٤٠/١) والروض (٢٧٧/١) .

(٦) سيرة ابن هشام (٢٤٤/١) والروض (٢٨٣/١) بنحوه .

(٧) سيأتي في ص (٣٥١ ، ٣٥٢) من هذا الجزء .

## فصل

### في ذكر أول من أسلم من متقدمي الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه جاء بعد ذلك بيوم وهم<sup>(٢)</sup> يصلِّيان ، فقال علي : يا محمد ما هذا ؟ قال : « دينُ الله الذي اصطفى لنفسه ، وبعث به رُسُلَه ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وإلى عبادته وكفرٍ باللاتِ والعزَّى » فقال علي : هذا أمرٌ لم أسمع به قبل اليوم ، فلستُ بقاضٍ أمراً حتى أحدث به أبا طالب . فكره رسولُ الله ﷺ أن يُفشيَ عليه سرُّه قبل أن يستعلن أمرُه . فقال له : « يا علي ، إذ لم تُسَلِّم<sup>(٣)</sup> فاكتم<sup>(٤)</sup> » . فمكث عليُّ تلك الليلة ، ثم إنَّ الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلامَ ، فأصبح غادياً إلى رسولِ الله ﷺ حتى جاءه فقال : ماذا عرضتَ عليَّ يا محمد ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتكفر باللاتِ والعزَّى ، وتبرأ من الأنداد » ففعل عليٌّ وأسلم ، ومكث يأتيه على خوفٍ من أبي طالب ، وكنتم عليٌّ إسلامه ولم يظهره .

وأسلم ابنُ حارثة - يعني زيداً - فمكث<sup>(٥)</sup> قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسولِ الله ﷺ ، وكان مما أنعم الله به على عليٍّ أنه كان في حَجَر رسولِ الله ﷺ قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حدَّثني ابنُ أبي نَجِيج ، عن مجاهد ، قال : وكان من نعمة الله على عليٍّ أن قريشاً أصابتهُم أزمَةٌ شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيالٍ كثيرة<sup>(٦)</sup> ، فقال رسولُ الله ﷺ لعمة العباس - وكان من أيسر بني هاشم - : « يا عباس ، إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمَةِ ، فانطلقْ حتى نخفِّفَ عنه من عياله » فأخذ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضمَّهُ إليه ، فلم يزلْ مع رسولِ الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتَّبَعَهُ عليٌّ وآمن به وصدَّقه .

وقال يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup> : حدَّثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي - من أهل الكوفة - حدَّثني إسماعيلُ بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدِّه عفيف - وكان عفيف أخا الأشعث بن

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ١٣٧) .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : وهما ، وعند ابن إسحاق : بيومين فوجدهما . وهو أشبه بالصواب .

(٣) جاء في حاشية ط ما نصه : في المصرية : إذ لم تسمع فاكتم . قلت : وما هو مثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .

(٤) كذا في ح ، ط وفي سيرة ابن إسحاق : فمكث . وهو أشبه بالصواب .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٦) والروض (١/ ٢٨٥) بأوعب مما هنا .

(٦) في السيرة والروض : كثير .

(٧) في سير ابن إسحاق (ص ١٣٧) وما يأتي بين معقوفين منه ، وساقه الذهبي في الميزان (١/ ٢٢٣) وروى نحوه سعيد بن خثيم الهلالي بسنده إلى إسماعيل ولم يصححه البخاري قاله الذهبي .

فيس لأمة<sup>(١)</sup> - أنه قال : كنتُ امرأةً تاجراً ، فقدمتُ مِنِّي أيام الحجِّ ، وكان العباس بن عبد المطلب امرأةً تاجراً ، فأتيتُه أبتاع منه وأبيعه ، قال : فبينما نحن إذ خرج رجلٌ من خِباءٍ يصليُّ ، فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجتِ امرأةٌ فقامتُ تصليُّ ، وخرج غلامٌ فقام يصليُّ معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدِّين ؟ إنَّ هذا الدِّين ما ندري ما هو ؟ فقال [ العباس ] : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أنَّ الله أرسله ، وأنَّ كنوز كسرى وقيصر ستُفتح عليه ، وهذه امرأته خديجةُ بنت خويلد آمنتُ به ، وهذا الغلام ابنُ عمِّه عليُّ بن أبي طالب آمن به .

قال عفيف : فليتنى كنتُ آمنت يومئذ ، فكنت أكون ثانياً .

وتابعه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، وقال في الحديث : إذ خرج رجلٌ من خِباءٍ قريب منه ، فنظر إلى السماء ، فلما رآها قد مالت قام يُصليُّ . ثم ذكر قيامَ خديجةَ وراءه .

وقال ابنُ جرير<sup>(٣)</sup> : حدَّثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدَّثنا سعيد بن خُثيم ، عن أسد بن عُبْدَةَ البجلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف<sup>(٤)</sup> . قال : جئتُ في<sup>(٥)</sup> الجاهلية إلى مكة ، فنزلتُ على العباس بن عبد المطلب ، فلما طلعت الشمس وحلَّقتُ في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌّ فرمى ببصره إلى السماء ، ثمَّ استقبل الكعبة فقام مستقبلاً ، فلم يلبث حتى جاء غلامٌ فقام عن يمينه ، فلم يلبث حتى جاءتِ امرأةٌ فقامتُ خلفهما ، فرقع الشابُّ ، فرقع الغلامُ والمرأة ؛ فرقع الشابُّ فرقع الغلام والمرأة ، فخرَّ الشابُّ ساجداً فسجداً معه ، فقلت : يا عباس ، أمرٌ عظيم ! فقال : أمرٌ عظيم ! فقال أتدري<sup>(٦)</sup> مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري<sup>(٦)</sup> من الغلام ؟ قلت : لا ، قال : هذا عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتدري<sup>(٦)</sup> مَنْ هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجةُ بنتُ خويلد زوجةُ ابن أخي ، وهذا حدَّثني أنَّ ربَّك ربُّ السماء والأرض ، أمره بهذا الذي تراهم عليه ، وإني ما أعلم على ظهر الأرض كُلاًَّها أحداً على هذا الدِّين غير هؤلاء الثلاثة .

وقال ابن جرير<sup>(٧)</sup> : حدَّثني ابنُ حُميد ، حدَّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، حدَّثنا محمد بن المنكدر

(١) المعترضة ما بين الخطين ليست في سيرة ابن إسحاق ولا الميزان .

(٢) ميزان الاعتدال (٢٢٣/١) حيث ساقه عن إبراهيم هذا .

(٣) ابن جرير الطبري في تاريخه (٣١١/٢) وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٧/٨) عن يحيى بن الفرات القزاز عن سعيد بن خثيم به .

(٤) قوله « عن عفيف » سقط من ط ولا يصح إلا به ، فأثبتناه من تاريخ الطبري .

(٥) في ح : من ، وفي ط : زمن . والمثبت من تاريخ الطبري .

(٦) في ح : أندرون ، والمثبت من ط وتاريخ الطبري .

(٧) تاريخ الطبري (٣١٢/٢) .

وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم والكلبي ، قالوا : عليٌّ أوَّل من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

وحدَّثنا<sup>(١)</sup> ابنُ حُميد ، حدَّثنا سلمة عن ابنِ إسحاق ، قال : أوَّل ذَكَرَ آمَنَ برسول الله ﷺ وصَلَّى معه وصَدَّقَهُ عليُّ بنُ أبي طالب ، وهو ابنُ عشر سنين ، وكان في حَجَر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابنِ أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : أسلم عليٌّ وهو ابنُ عشر سنين<sup>(٣)</sup> .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : وأجمع أصحابنا على أنَّ علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله ﷺ بسنة .

وقال محمد بن كعب : أوَّل من أسلم من هذه الأمة خديجةُ ، وأوَّل رجلين أسلما أبو بكر وعليٌّ ، وأسلم عليٌّ قبل أبي بكر ، وكان عليٌّ يكتُم إيمانه خوفاً من أبيه ، حتى لَقِيَهُ أبوه قال : أسلمت ؟ قال : نعم ! قال : واِزِرِ ابنَ عمك وانصُرْه . قال : وكان أبو بكر الصديق أوَّل من أظهر الإسلام .

وروى ابنُ جرير في تاريخه<sup>(٥)</sup> من حديثِ شعبة ، عن أبي بلْج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابنِ عباس ، قال : أوَّل من صَلَّى عليٌّ .

وحدَّثنا عبد الحميد بن بحر<sup>(٦)</sup> ، حدَّثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، عن جابر ، قال : بُعث النبي ﷺ يوم الاثنين ، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء .

وروى<sup>(٧)</sup> من حديثِ شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة - رجلٍ من الأنصار - سمعتُ زيد بن أرقم يقول : أوَّل من أسلم مع رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب . قال : فذكرته للنَّخَعِيِّ فَأَنكَرَهُ وقال : أبو بكر أوَّل من أسلم .

ثم قال<sup>(٨)</sup> : حدَّثنا عبيد الله بن موسى ، حدَّثنا العلاء ، عن المنهال بن عمرو ، عن عُبَاد بن عبد الله ،

(١) القائل هو ابن جرير الطبري أيضاً في تاريخه (٣١٢/٢) بأوعب مما هنا .

(٢) قول الواقدي فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات (٢١/٣) وفيما نقله الطبري في تاريخه (٣١٤/٢) .

(٣) في ح ، ط : إبراهيم عن نافع ، وهو تحريف ، والمثبت من الطبقات والطبري وترجمتي إبراهيم بن نافع وعبد الله بن أبي نجيع في تهذيب الكمال .

(٤) قول الواقدي في تاريخ الطبري (٣١٤/٢) .

(٥) تاريخ الطبري (٣١٠/٢) .

(٦) في ح ، ط : عبد الحميد بن يحيى ، وهو تصحيف ، والمثبت من تاريخ الطبري (٣١٠/٢) وترجمته في الكامل لابن عدي (١٩٥٩/٥) ولسان الميزان (٣٩٥/٣) ، وهو ضعيف يسرق الحديث .

(٧) يعني الطبري في تاريخه (٣١٠/٢) .

(٨) يعني الطبري وما يأتي بين معقوفين منه .

سمعتُ علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذبٌ مُفْتَرٍ ، صليتُ مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين .

وهكذا رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup> ، عن محمد بن إسماعيل الرازي ، عن عبيد الله بن موسى العبسي<sup>(٢)</sup> - وهو شيعيٌّ من رجال الصحيح - عن العلاء بن صالح الأزدي الكوفي - وثقوه ، ولكن قال أبو حاتم : كان من عتق<sup>(٣)</sup> الشيعة - وقال عليُّ بن المديني : روى أحاديث مناكير . والمنهال بن عمرو ثقة ، وأما شيخه عباد بن عبد الله - وهو الأسدي الكوفي - فقد قال فيه عليُّ بن المديني : هو ضعيف الحديث . وقال البخاري : فيه نظر . وذكره ابن حبان في الثقات .

وهذا الحديث منكر بكلِّ حال ، ولا يقوله عليُّ رضي الله عنه ، وكيف يمكن أن يصليَّ قبل الناس سبع سنين ؟ هذا لا يتصور أصلاً ، والله أعلم .

وقال آخرون : أول من أسلم من هذه الأمة أبو بكر الصديق ، والجمعُ بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وظاهر السياقات - وقبل الرجال أيضاً - وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة ، وأول من أسلم من الغلمان عليُّ بن أبي طالب . فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور ، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت . وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق ، وإسلامه كان أنفع [ من إسلام ]<sup>(٤)</sup> من تقدّم ذكرهم إذ كان صدرأ معظماً ، ورئيساً في قريش مكرماً ، وصاحب مال وداعية إلى الإسلام . وكان محبباً متألّفاً يبذل المال في طاعة الله ورسوله كما سيأتي تفصيله .

قال يونس عن ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> ثم إنَّ أبا بكر الصديق لقي رسولَ الله ﷺ فقال : أحقُّ ما تقول قريشُ يا محمد ؟ من تترك آلِهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « بلى إني رسول الله ونبيُّه ، بعثني لأبْلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنَّه للحقُّ ، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاته على طاعته » قرأ عليه القرآن ، فلم يُقرَّ ولم يُنكر . فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأقرَّ بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدِّق .

(١) في سننه (١٢٠) المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ . وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ١١١ ، ١١٢) من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي إسحاق عن المنهال به . وقال الذهبي : ولا هو بصحيح ، بل حديث باطل . وانظر ما قاله الذهبي في الميزان (٢/ ٣٦٨) في ترجمة عباد بن عبد الله .

(٢) في ط : الفهمي ، وفي ح : الغمسي . وكلاهما تحريف ، والمثبت من أنساب السمعاني (٨/ ٣٦٧) وترجمته في الميزان (٣/ ١٦) .

(٣) في ح : عتيق .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص ١٣٩) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَصِينِ التَّمِيمِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبُوءَةٌ وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ مَاعَكُمْ عَنْهُ حِينَ ذَكَرْتُهُ ، وَلَا تَرَدَّدَ فِيهِ » .

عكم : أي تَلَبَّثَ<sup>(٢)</sup> .

وهذا الذي ذكره ابنُ إسحاق في قوله : فلم يُقَرَّرَ ولم ينكُرْ ، فإنَّ ابنَ إسحاق وغيره ذكروا أنَّه كان صاحبَ رسولِ الله ﷺ قبل البعثة ، وكان يعلم من صِدْقِهِ وأمانَتِهِ وحسنِ سَجِيَّتِهِ وكرمِ أخلاقِهِ ، ما يمنعه من الكذب على الخلق . فكيف يكذبُ على الله ؟ ولهذا بمجرد ما ذكر له إنَّ الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ، ولا عَكَمَ ، وقد ذكرنا كيفية إسلامه في كتابنا الذي أفردناه في سيرته ، وأوردنا<sup>(٣)</sup> فضائله وشمائله وأتبعنا ذلك بسيرة الفاروق أيضاً ، وأوردنا ما رواه كلُّ منهما عن النبي ﷺ من الأحاديث ، وما رُوي عنه من الآثار والأحكام والفتاوى ، فبلغ ذلك ثلاث مجلدات ، والله الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد ثبت في صحيح البخاري<sup>(٤)</sup> عن أبي الدرداء في حديث ما كان بين أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما من الخصومة ، وفيه . فقال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ، فَقُلْتُمْ كَذِبٌ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ . وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا<sup>(٥)</sup> لِي صَاحِبِي ؟ » فما أُوذِيَ بعدها .

وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه .

وقد روى الترمذي وابنُ حبان<sup>(٦)</sup> من حديث شعبة عن سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، عن

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ١٣٩) .

(٢) في سيرة ابن إسحاق : عتم . ومعناها مقارب ، وفي النهاية (عكم/ ٣/ ٢٨٥) ما عكم عنه : أي ما تحبس وما انتظر ولا عدل .

(٣) في ح : وأوردت .

(٤) فتح الباري (٣٦٦١) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .

(٥) قال ابن حجر في الفتح (٢٥/٧) : قال أبو البقاء : إن حذف النون من خطأ الرواة ، لأن الكلمة ليست مضافة فيها ألف ولا م ، وإنما يجوز الحذف في هذين الموضعين . ووجهها غيره بوجهين : أحدهما أن يكون « صاحبي » مضافاً وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عناية بتقديم لفظ الإضافة ، وفي ذلك جمع بين إضافتين إلى نفسه تعظيماً للصديق ، ونظيره قراءة ابن عامر ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ يَكْثِيرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ ﴾ بنصب أولادهم وخفض شركائهم وفصل بين المضافين بالمفعول ، والثاني أن يكون استطال الكلام فحذف النون كما يحذف من الموصول المطول . اهـ .

(٦) في جامع الترمذي (٣٦٦٧) المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما . والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٦٨٦٣) إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر البيان بأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال . قال بشار : وهو حديث معلول رفعه عقبه بن خالد عن شعبة ، وخالفه عبد الرحمن بن مهدي فرواه عن شعبة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، قال : قال أبو بكر . قال الترمذي : وهذا أصح . وكذلك قال ابن أبي حاتم في العلل =

أبي سعيد ، قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا ؟

وروى ابنُ عساکر<sup>(١)</sup> من طريق بهلول بن عبيد ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيُّ عَنْ الْحَارِثِ ، سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم قال : أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ .

رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة وقال الترمذي حسنٌ صحيح<sup>(٢)</sup>

وقد تقدّم رواية ابن جرير ، من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم . قال : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قال عمرو بن مرة : فَذَكَرْتُهُ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> .

وروى الواقدي بأسانيد<sup>(٤)</sup> عن أبي أروى الدوسي وأبي سلمة بن<sup>(٥)</sup> عبد الرحمن في جماعة من السلف : أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْحَمِيدِيُّ ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عَيِينَةَ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مَغُولٍ ، عَنْ رَجُلٍ قَالَ : سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَنْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثَقَةٍ      فَأَذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا  
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَوْفَاهَا وَأَعْدَلَهَا      بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْلَاهَا بِمَا حَمَلَا  
وَالثَّانِي الثَّانِي الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ      وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

= (٢/٣٨٨) ، وقال الدارقطني في العلل (١/٢٣٥) س ٣٧ : « وكذلك رواه ابن عُلية وابن المبارك وعدة عن شعبة مرسلاً ، وهو الصحيح » . وانظر بلا بد تعليلي على جامع الترمذي ، وراجع العلل له (٦٩٠) .  
(١) نقله عن ابن عساکر المتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٦٦٩) فضل الصديق رضي الله عنه ، وهو في مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (٤٣/١٣) .

(٢) مسند أحمد (٤/٣٦٨ و ٣٧٠) وجامع الترمذي (٣٧٣٥) المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب . ولفظه : أول من أسلم علي . قال عمرو بن مرة : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال : أول من أسلم أبو بكر الصديق . وأما لفظ أحمد فكرواية ابن جرير الآتي ذكرها ، وفصائل الصحابة للنسائي (٣٤) .

(٣) مضى في الصفحة التي قبلها ، وهو عند الترمذي فلا معنى لهذه الإحالة .

(٤) رواية الواقدي هذه في طبقات ابن سعد (٣/١٧١ ، ١٧٢) .

(٥) في ح ، ط : أبو مسلم . وهو تصحيف ، والمثبت من طبقات ابن سعد .

(٦) في المعرفة والتاريخ (٣/٢٥٤) وهذا الخبر في القسم المفقود منه ، ومقتبس من هنا .

عاش حميداً لأمر الله متبعاً بأمر صاحبه الماضي وما انتقل<sup>(١)</sup>

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> : حدثنا شيخنا لنا ، عن مجالد ، عن عامر قال : سألت ابن عباس - أو سئل ابن عباس - أي الناس أول إسلاماً ؟ قال : أما سمعت قول حسان بن ثابت ؟ فذكره .

وهكذا رواه الهيثم بن عدي عن مجالد ، عن عامر الشعبي : سألت ابن عباس فذكره .

وقال أبو القاسم البغوي<sup>(٣)</sup> حدثني سريج بن يونس ، حدثنا يوسف بن الماجشون<sup>(٤)</sup> قال : أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر ، وربيع بن أبي عبد الرحمن ، وصالح بن كيسان ، وعثمان بن محمد ، لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قلت : وهكذا قال إبراهيم النخعي ، ومحمد بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة .

وروى ابن عساكر<sup>(٥)</sup> عن سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن الحنفية ، أنهما قالا : لم يكن أولهم إسلاماً ، ولكن كان أفضلهم إسلاماً . قال سعد : وقد آمن قبله خمسة .

وثبت في صحيح البخاري<sup>(٦)</sup> من حديث همام بن الحارث ، عن عمار بن ياسر ، قال : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد و امرأتان وأبو بكر .

وروى الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> وابن ماجه<sup>(٨)</sup> من حديث عاصم بن أبي النجود ، عن زر ، عن ابن مسعود ، قال : أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أذراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واثم على ما أرادوا ، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه ، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد .

وهكذا رواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلأ .

(١) الأبيات في ديوان حسان (١/ ١٢٥) بالفاظ مقاربة ، وتخريجها فيه .

(٢) في المصنف (١٨٤٣٣) المغازي باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه .

(٣) أظنه في معجم الصحابة الموجود منه جزآن هما العاشر والحادي عشر في الرباط (٣٤١ك) الأعلام (٤/ ١١٩) .

(٤) هو يوسف بن يعقوب بن أبي سلمة الماجشون .

(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ دمشق (٤٣/ ١٣) .

(٦) فتح الباري (٣٦٦٠) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » .

(٧) في مسنده (٤٠٤/ ١) .

(٨) في سنته (١٥٠) المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد ، وهو حديث صحيح .



فأما ما رواه ابن جرير قائلًا<sup>(١)</sup> : أخبرنا ابن حُميد ، حدَّثنا كنانة بن جَبَلَة<sup>(٢)</sup> عن إبراهيم بن طَهْمَان عن حَجَّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجَعْد ، عن محمد بن سعد بن أبي وقَّاص ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلاماً ؟ قال : لا ! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، ولكن كان أفضلنا إسلاماً . فإنه حديث منكر إسناداً وممتناً .

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : وقال آخرون : كان أول من أسلم زيد بن حارثة . ثم روى من طريق الواقدي عن ابن أبي ذئب ، سألت الزهري : مَنْ أول من أسلم من النساء ؟ قال خديجة : قلت : فمن الرجال ؟ قال : زيد بن حارثة .

وكذا قال عروة وسليمان بن يسار ، وغير واحد : أول من أسلم من الرجال زيد بن حارثة . وقد أجاب أبو حنيفة رضي الله عنه بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول مَنْ أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل ، وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً لقومه ، مُحَبَّباً<sup>(٥)</sup> سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر ؛ وكان رجلاً تاجراً ، ذا خُلُقٍ ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجارته وحُسْنِ مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقَّاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهم ، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام<sup>(٦)</sup> ، فآمنوا ، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام ، فصدقوا<sup>(٧)</sup> رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله .

وقال محمد بن عمر الواقدي<sup>(٨)</sup> : حدَّثني الضحاك بن عثمان ، عن مَخْرَمَةَ بن سليمان الوالبي ، عن

(١) في تاريخه (٣١٦/٢) .

(٢) في ح ، ط : حبلَة ، بالحاء المهملة ، والمثبت من الطبري وتهذيب الكمال (٩٨/٢٥) ، وقد جعل ابن ماكولا وغيره « جبلَة » الجادة ، وأحصوا ما سواه فلم يذكروا كنانة هذا .

(٣) في تاريخه (٣١٦/٢) .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص ١٤٠) .

(٥) في السير : محبباً .

(٦) زاد ابن إسحاق هنا : وبما وعدهم من كرامة فآمنوا . . .

(٧) في السير : فصلوا وصدقوا .

(٨) قول الواقدي هذا في طبقات ابن سعد (٣/٢١٤ ، ٢١٥) ودلائل النبوة للبيهقي (١٦٦/٢) .

إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال : قال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بصرى ، فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل المَوسِم ، أفيعهم رجلٌ من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلتُ : نعم ! أنا ، فقال : هل ظهر أحمدٌ بعد ؟ قلتُ : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مَخْرَجُهُ من الحرم ، ومُهاجِرُهُ إلى نَحْلِ وَحَرَّةٍ وسباخ ، فأياك أن تُسَبِّقَ إليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال ، فخرجتُ سريعاً حتى قدمت مكة ، فقلت : هل كان من حديث<sup>(١)</sup> ؟ قالوا : نعم ، محمد بن عبد الله الأمين ، قد تنبأ ، وقد تبعه أبو بكر بن أبي قُحَافَةَ . قال : فخرجتُ حتى قدمت على أبي بكر ، فقلت : أتبعَتَ هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلقَ إليه فادخلَ عليه فاتبعهُ ، فإنه يدعو إلى الحق . فأخبرَهُ طلحةُ بما قال الراهب . فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب ، فسُرَّ بذلك ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العَدَوِيَّة - وكان يُدعى أسدَ قريش - فشدهما في حبلٍ واحد ، ولم يمنعهما بنو تيم ، فلذلك سُمِّي أبو بكر وطلحةُ القرينين .

وقال النبي ﷺ : « اللّهُمَّ اكْفِنَا شَرَّ ابْنِ الْعَدَوِيَّةِ » رواه البيهقي<sup>(٢)</sup>

وقال الحافظ أبو الحسن خيثمة بن سليمان الأُطْرُبُلُسي<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز العمري قاضي المَصْبِيصَةِ<sup>(٤)</sup> ، حدَّثنا أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله ، حدَّثني أبي عبيد الله ، حدَّثني عبد الله بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : حدَّثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسولَ الله ﷺ وكان له صديقاً في الجاهلية ، فلقيه فقال : يا أبا القاسم ، فقدت من مجالس قومك ، وأتَهموك بالغيبِ لأبائها وأمهاها . فقال رسولُ الله ﷺ : « إني رسولُ الله أدعوك إلى الله » فلما فرغ [ رسولُ الله ﷺ من ] كلامه أسلم أبو بكر ، فانطلق عنه رسولُ الله ﷺ وما بين الأخشين أحدٌ أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر ، ومضى أبو بكر فراح لعثمان<sup>(٥)</sup> بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان<sup>(٦)</sup> بن مظعون ، وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا رضي الله عنهم .

(١) في الطبقات : ودلائل البيهقي : حَدَّث .

(٢) في دلائل النبوة (١٦٧/٢) وإسناده ضعيف .

(٣) في فضائل الصديق مجموع (٦٢) في الظاهرية ق (٣) أ ، ب ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) كذا ضبطه الأزهري وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى ، وتفرَّد الجوهري وخالد الفارابي بتخفيف الصادين ، والأول أصح . معجم البلدان (١٤٤/٥ ، ١٤٥) .

(٥) كذا في ح ، ط وفي فضائل الصديق : وراح بعثمان . وهو أشبه بالصواب .

(٦) في فضائل الصديق : ثم جاء الغد عثمان . بالرفع وهكذا الكنى بعدها بالرفع .

قال عبد الله بن محمد : فحدثني أبي محمد بن عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألحَّ أبو بكرٍ على رسول الله ﷺ في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر إنَّا قليل » . فلم يزل أبو بكر يلحُّ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد ، كلُّ رجلٍ في عشيرته ، وقام أبو بكرٍ في الناس خطيباً ورسولُ الله ﷺ جالس ، فكان أولُ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكرٍ وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئوا أبو بكرٍ وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين<sup>(١)</sup> ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكرٍ حتى ما يُعرف وجهه من أنفه وجاءت بنو تميم يتعادون ، فأجلت المشركين عن أبي بكرٍ ، وحملت بنو تميم أبا بكرٍ في ثوبٍ حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكُّون في موته ، ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لئن مات أبو بكرٍ لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة . فرجعوا إلى أبي بكرٍ ، فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلمون أبا بكرٍ حتى أجاب ، فتكلَّم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ فمسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه ، فلما خلَّت به ألحَّت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله مالي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطَّاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل ، فقالت : إنَّ أبا بكرٍ يسألك عن محمد بن عبد الله ؟ فقالت : ما أعرف أبا بكرٍ ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تُحبِّين أن أذهب معك إلى ابنك ؟ قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكرٍ صريعاً دَنيفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهل فسقٍ وكُفْرٍ ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها<sup>(٢)</sup> . قالت : سالمٌ صالح . قال : فأين هو ؟ قالت : في دار أبي<sup>(٣)</sup> الأرقم . قال : فإنَّ لله عليَّ أن لا أذوقَ طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ . فأمهلنا حتى إذا هدأت الرِّجل ، وسكن الناس ، خرجنا به يتكىء عليهما ، حتى أدخلناه على رسول الله ﷺ ، قال : فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبَّله وأكبَّ عليه المسلمون ، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقةً شديدة . فقال أبو بكرٍ : بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أُمِّي بَرَّةٌ بوالديها<sup>(٤)</sup> ، وأنت مبارك فادعُها إلى الله وادعُ الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت ، وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً هم تسعة وثلاثون رجلاً ، وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب

(١) في ح وفضائل الصديق : مخصوفين ، والمثبت من ط .

(٢) في فضائل الصديق : فيها .

(٣) سقطت كلمة أبي من ح ، والمثبت من فضائل الصديق ، وهي في ط : ابن .

(٤) في ح ، ط : بولدها . والمثبت من فضائل الصديق .

أبو بكر ، فدعا رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب - أو<sup>(١)</sup> لأبي جهل بن هشام - فأصبح عمر وكانت الدعوة يوم الأربعاء ، فأسلم عمر يوم الخميس ، فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سُمعت بأعلى مكة ، وخرج أبو الأرقم - وهو أعمى كافر - وهو يقول : اللهم اغفر لبي عبد<sup>(٢)</sup> الأرقم فإنه كفر . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، على ما نخفي ديننا ونحن على الحق ، ويظهر دينهم وهم على الباطل ؟ قال : « يا عمر إننا قليل قد رأيت ما لقينا » فقال عمر : فوالذي بعثك بالحق ، لا يبقى مجلسٌ جلسْتُ فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان ، ثم خرج ، فطاف بالبيت ، ثم مرَّ بقريش وهي تنتظره ، فقال أبو جهل بن هشام : يزعم فلان أنك صَبَوْتَ ؟ فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله . فوثب المشركون إليه ، ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحَّى الناس ، فقام عمر ، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا<sup>(٣)</sup> منه ، حتى أعجز الناس . واتبع المجالس التي كان يجالس فيها فيظهر الإيمان ، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهرٌ عليهم فقال : ما عليك<sup>(٤)</sup> بأبي وأمي ، والله ما بقي مجلسٌ كنتُ أجلسُ فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف ، فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمرُ أمامه ، وحمزةُ بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلى الظُّهر مؤمناً<sup>(٥)</sup> ، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر ، ثم انصرف عمر وحده [ فصلً ] ، ثم انصرف إلى النبي ﷺ .

والصحيح أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة ، وذلك في السنة السادسة من البعثة كما سيأتي في موضعه إن شاء الله . وقد استقصينا كيفية إسلام أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما في كتاب سيرتهما على انفرادها ، وبسطنا القول هنالك والله الحمد .

وثبت في صحيح مسلم<sup>(٦)</sup> من حديث أبي أمامة ، عن عمرو بن عَبَسَةَ السَّلَمِيِّ رضي الله عنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في أوَّل ما بُعث وهو بمكة ، وهو حينئذٍ مُستخفي<sup>(٧)</sup> ، فقلت : ما أنت ؟ قال : « أنا نبيٌّ » فقلت : وما النبيُّ ؟ قال : « رسولُ الله » قلت : الله أرسلك ؟ قال : « نعم » . قلت : بما أرسلك ؟ قال : « بأن تعبدَ الله وحده [ وحده لا شريك له ]<sup>(٨)</sup> وتكسر الأصنام ، وتوصل<sup>(٩)</sup> الأرحام » قال

(١) في فضائل الصديق : ولأبي جهل من غير همزة .

(٢) في ح : غير . وفي ط : عبيد ، والمثبت من فضائل الصديق .

(٣) في ط : بشريف مبن دنا منه . والمثبت من ح وفضائل الصديق .

(٤) في فضائل الصديق : ما علمتك .

(٥) في فضائل الصديق : معلناً وهو أشبه .

(٦) صحيح مسلم (٨٣٢) صلاة المسافرين باب إسلام عمرو بن عبسة بالفاظ مقاربة .

(٧) كذا في ح ، ط والوجه : مستخف ، وفي صحيح مسلم : « فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً » .

(٨) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٩) كذا في ح ، ط : والوجه : وتصل . وفي صحيح مسلم : أرسلني بصلة الأرحام .

قلت : نِعَمَ ما أرسلَكَ به ! فمن معكَ على هذا ؟ قال : حُرٌّ وَعَبْدٌ - يعني أبا بكر وبلالاً - [ قال : فكان عَمَرُو يقول : لقد رأيتُني وأنا رُبُعُ الإسلام ]<sup>(١)</sup> قال : فأسلمت ، قلت : فأتبعُكَ يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ولكن الحقَّ بقومك ، فإذا أخبرت أني قد خرجتُ فاتبعني » .

ويقال : إنَّ معنى قوله عليه السلام « حُرٌّ وَعَبْدٌ » اسم جنس ، وتفسير ذلك بأبي بكر وبلال فقط فيه نظر ، فإنه قد كان جماعة قد أسلموا قبل عمرو بن عَبْسة ، وقد كان زيد بن حارثة أسلم قبل بلال أيضاً ، فلعلَّه أخبر أنه رُبُعُ الإسلام بحسب علمه ، فإنَّ المسلمين كانوا إذ ذاك يستترون<sup>(٢)</sup> بإسلامهم ، لا يطلع على أمرهم كثيرٌ أحدٍ من قريباتهم ، دع الأجانب ، دع أهل البادية من الأعراب والله أعلم .

وفي صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> من طريق أبي أسامة عن هاشم بن هاشم ، عن سعيد بن المسيَّب قال : سمعتُ سعد بن أبي وقاصٍ يقول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، ولقد مكثتُ سبعة أيام ، وإنِّي لثلثُ الإسلام .

أمَّا قول : ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ فيه فسهل ، ويُروى إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه ، وهو مشكل ، إذ يقتضي أنه لم يسبقهُ أحدٌ بالإسلام . وقد علم أنَّ الصديق وعلياً وخديجة وزيد بن حارثة أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع على تقدُّم إسلام هؤلاء غَيْرُ واحد ، منهم ابنُ الأثير . ونص أبو حنيفة رضي الله عنه على أنَّ كلاً من هؤلاء أسلم قبل أبناء جنسه . والله أعلم . وأما قوله : ولقد مكثتُ سبعة أيام وإنِّي لثلثُ الإسلام ، فمشكل ، وما أدري على ماذا يُوضع عليه إلا أن يكونَ أخبر بحسب ما علمه ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٤)</sup> : حدَّثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرِّ ، عن عبد الله - وهو ابنُ مسعود - قال : كنتُ غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي مُعيط بمكة . فأتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرَّا من المشركين - فقال - أو فقالا - : « عندك يا غلام لبنٌ تسقينا ؟ » قلت : إني مؤتمنٌ ، ولستُ بساقيكما . فقال : « هل عندك من جذَعَةٍ<sup>(٥)</sup> » لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قلت : نعم . فأتيتُهما بها ، فاعتقلاها أبو بكر ، وأخذ رسولُ الله ﷺ الضَّرْعَ ودعا ، فَحَفِلَ الضَّرْعُ ، وأتاه أبو بكر بصخرة مُنْقَعِرَةٍ<sup>(٦)</sup> ، فَحَلَبَ فيها ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سَقَيْاني ، ثم قال للضرع : « اقْلِصْ » فَقَلَصَ ، فلما كان بعدُ ،

- (١) سقط ما بين المعقوفين من ح ، وجاء في النهاية ( ربيع / ٢ / ١٨٦ ) : وفي حديث عمرو بن عبسة : لقد رأيتني وإنِّي لرُبُعُ الإسلام . أي رابع أهل الإسلام ، تقدمني ثلاثة وكنت رابعهم .
- (٢) في ط فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستترون . والمثبت من ح .
- (٣) فتح الباري ( ٣٨٥٨ ) مناقب الأنصار باب إسلام سعد بن أبي وقاص .
- (٤) في مسنده ( ٣٥٣ ) .
- (٥) الجذعة من الضأن : الفتية التي تمَّ لها سنة أو نحوها . النهاية ( ٢٥٠ / ١ ) جذع .
- (٦) في ط : متقعة ، والمثبت من ح ومسند الطيالسي ومسند أحمد . وفي رواية عند أحمد منقورة .

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ الطَّيِّبِ - يَعْنِي الْقُرْآنَ - فَقَالَ : « إِنَّكَ غَلَامٌ مُعَلَّمٌ » فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً مَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ .

وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> ، عن عَقَّان ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الحسن بن عَرَفَةَ عن أَبِي بَكْرٍ بن عِيَّاش ، عن عاصم بن أَبِي النَّجُودِ<sup>(٢)</sup> به .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُطَّة<sup>(٤)</sup> الْأَصْبَهَانِيُّ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْجَهْمِ ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ خَالِدِ بْنِ الزَّبِيرِ ، [ عَنْ أَبِيهِ - أَوْ<sup>(٥)</sup> ] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ - قَالَ : كَانَ إِسْلَامُ خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَدِيمًا ، وَكَانَ أَوَّلَ إِخْوَتِهِ أَسْلَمَ ، وَكَانَ بُدُوَ إِسْلَامِهِ أَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ وَقَفَ بِهِ عَلَى شَفِيرِ النَّارِ ، فَذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا مَا اللَّهُ أَعْلَمَ بِهِ ، وَيَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ أَبَاهُ<sup>(٦)</sup> يَدْفَعُهُ فِيهَا ، وَيَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخِذًا بِحَقْوَيْهِ لَا يَقَعُ ، فَفَزِعَ مِنْ نَوْمِهِ فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِرُؤْيَا حَقٍّ ؛ فَلَقِيَ أَبَا بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : أُرِيدُ بِكَ خَيْرَ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبِعْهُ ، فَإِنَّكَ سَتَتَّبِعُهُ وَتَدْخُلُ مَعَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالْإِسْلَامُ يَخْجُزُكَ أَنْ تَدْخُلَ فِيهَا ، وَأَبُوكَ وَاقِعٌ فِيهَا ، فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَجْيَادٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِلَى مَا<sup>(٧)</sup> تَدْعُو ؟ قَالَ : « أَدْعُوكَ<sup>(٨)</sup> إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَخْلَعَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَلَا يَدْرِي مَنْ عَبْدُهُ مِمَّنْ لَا يَعْبُدُهُ » . قَالَ خَالِدٌ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِهِ ، وَتَغَيَّبَ خَالِدٌ ، وَعَلِمَ أَبُوهُ بِإِسْلَامِهِ ، فَأَرْسَلَ فِي طَلْبِهِ ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَتْبَهُ وَضَرَبَهُ بِمِقْرَعَةٍ فِي يَدِهِ حَتَّى كَسَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا مُنْعَنَكَ الْقُوتُ . فَقَالَ خَالِدٌ : إِنْ مُنْعَنَنِي فَإِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي مَا أَعِيشُ بِهِ . وَانصَرَفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ يَكْرُمُهُ<sup>(٩)</sup> وَيَكُونُ مَعَهُ .

(١) مسند أحمد (١/٣٧٩ ، ٤٦٢) .

(٢) ساق هذه الرواية البيهقي في دلائل النبوة (١٧٢/٢) .

(٣) في دلائل النبوة (١٧٢/٢) .

(٤) بضم الباء الموحدة ، قيده الذهبي في المشتبه (٨٤) ، وابن ناصر الدين في توضيحه (٥٥٦/١) وهو محمد بن أحمد بن بُطَّة المتوفى بأصبهان سنة ٣٤٤هـ (بشار) .

(٥) ليس ما بين المعقوفين في دلائل البيهقي .

(٦) في ح : كَأَن آتَى يَدْفَعُهُ ، وفي ط : كَانَ آتَى أَنَّهُ . والمثبت من دلائل البيهقي .

(٧) في الدلائل : إِلَى مِنْ . وإثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ كما في الخزانة (٩٩/٦) .

(٨) في الدلائل : أَدْعُو .

(٩) كذا في ح ، ط وفي الدلائل : يَلْزِمُهُ وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصَّوَابِ . وإلى جانب السطر في ح كلمة : بَلَّغَ . يعني بَلَّغَ مُقَابِلَةً .

## ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدثني رجلٌ ممن أسلم - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا ، فأذاه وشمته ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس ، فضربه بها ضربة شجّه منها شجّة مُنكرة ، وقامت رجالٌ من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، وقالوا : ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت ؟ قال حمزة : ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد<sup>(٢)</sup> أنه رسول الله ﷺ وأنّ الذي يقول حق ، فوالله لا أنزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره ، فإني والله لقد سببتُ ابن أخيه سباً قبيحاً .

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وامتنع ، فكفوا عما كانوا يتناولون منه .  
وقال حمزة في ذلك شعراً<sup>(٣)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم رجع حمزة إلى بيته ، فأتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش أتبعْتَ هذا الصابيء وتركت دين آبائك ، للموت خير لك مما صنعت . فأقبل على حمزة بثُّه وقال : ما صنعت ؟ اللهم إن كان رُشداً فاجعل تصديقَه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجاً . فبات بليلاً لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح ، فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمرٍ ولا أعرف المخرج منه ، وإقامه مثلي على ما لا أدري ما هو ، أرشد أم هو عني شديد ؟ فحدثني حديثاً فقد اشتفيتُ يا ابن أخي أن تحدثني ، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه ، وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ . فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك ، فوالله ما أحبُّ أن لي ما أظلمته السماء ، وأني على ديني الأول . فكان حمزة ممن أعزَّ الله به الدين .

وهكذا رواه البيهقي<sup>(٥)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير به .

- 
- (١) سيرة ابن إسحاق (ص ١٧١) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٩١) ، ونقله عن ابن إسحاق البيهقي في الدلائل (٢/ ٢١٣) باختصار وابن كثير هنا ينقله عن البيهقي كما سيأتي .
  - (٢) في سيرة ابن إسحاق والدلائل : أنا أشهد . . .
  - (٣) ذكر ابن إسحاق في السيرة (ص ١٧٣) والسهيلي في الروض (٢/ ٤٩ و ٥٠) الأبيات المعزوة إلى حمزة رضي الله عنه .
  - (٤) سيرة ابن إسحاق (ص ١٧٢) .
  - (٥) في الدلائل (٢/ ٢١٣ ، ٢١٤) .

## ذكر إسلام أبي ذر رضي الله عنه

قال الحافظ البيهقي<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ، حدثنا الحسين بن محمد بن زياد ، حدثنا عبد الله بن الرومي ، حدثنا النضر بن محمد ، حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زُمَيْل سِمَاك بن الوليد ، عن مالك بن مرثد ، عن أبيه ، عن أبي ذر ، قال : كنت رُبُعَ الإسلام ، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع<sup>(٢)</sup> ، أتيت رسول الله ﷺ فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ .

هذا سياق مختصر .

وقال البخاري : إسلام أبي ذر<sup>(٣)</sup> : حدثنا عمرو بن عباس ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن المثنى عن أبي جُمُرَةَ<sup>(٤)</sup> ، عن ابن عباس ، قال : لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي عِلْمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم اثنتي ، فانطلق الآخر<sup>(٥)</sup> حتى قَدِمَهُ وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلاماً ما هو بالشعر . فقال : ما شفيتني مما أردت . فتزوّد وحمل شَنَّةً فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل اضطجع<sup>(٦)</sup> ، فرآه عليّ فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ولم يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احتمل قُرْبَتَهُ وزادَهُ إلى المسجد ، وظلّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمرّ به عليّ فقال : أما أن للرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه ، فذهب به معه ، لا يسأل واحداً منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يومُ الثالث ، فعاد عليّ مثل ذلك ، فأقام معه فقال : ألا تحدّثني بالذي أقدمك؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت . ففعل ، فأخبره . قال : فإنه حق وإنه رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمّت كأني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل ، فانطلق يَفْقُوهُ حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي ﷺ : « ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري » فقال : والذي بعثك بالحق

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٢١٢) .

(٢) مضى معنى ربع الإسلام (ص ٢٣١ ح ١) .

(٣) يعني باب إسلام أبي ذر ، فتح الباري (٣٨٦١) مناقب الأنصار باب إسلام أبي ذر الغفاري .

(٤) في ح ، ط : أبي حمزة . والمثبت من البخاري ، وقال ابن حجر في الفتح : هو بالجيم نصر بن عمران .

(٥) كذا في ح ، ط : وهي رواية الكشميهني كما في الفتح (١٧٤/٧) ، وفي البخاري : الأخ . وهو أخوه أنيس كما سيأتي .

(٦) ليست هذه الكلمة في البخاري .



لأَصْرَحَنَّ بها بين ظَهْرَانِيهِمْ . فخرج حتى أتى المسجد فنَادَى بأعلى صوته : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، ثم قام [ القوم ] فضربوه حتى أَضْجَعُوهُ<sup>(١)</sup> ، فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَيْلَكُمْ ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَّارٍ ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ ؟ فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ . ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا ، فَضْرِبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ .

هذا لفظ البخاري .

وقد جاء إسلامه مبسوطاً في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> وغيره ، فقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، حَدَّثَنَا حَمِيدُ بْنُ هَلَالٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَّارٍ - وَكَانُوا يُجِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ - أَنَا وَأَخِي أَنِيسٌ وَأُمُّنَا ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ذِي مَالٍ وَذِي هَيْئَةٍ ، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا ، فَحَسَدْنَا قَوْمَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَلَفَكَ إِلَيْهِمْ أَنِيسٌ ، فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَى مَا قِيلَ لَهُ<sup>(٤)</sup> فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَذَرْتَهُ ، وَلَا جِمَاعَ لَنَا فِيْمَا بَعْدَ<sup>(٥)</sup> . قَالَ : فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا<sup>(٦)</sup> ، فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا ، وَتَغَطَّى خَالُنَا بِثَوْبِهِ ، وَجَعَلَ يَبْكِي قَالَ : فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا حَضْرَةَ<sup>(٧)</sup> مَكَّةَ ، قَالَ فَنَافَرَ أَنِيسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا<sup>(٨)</sup> وَعَنْ مِثْلِهَا فَاتَى الْكَاهِنَ فَخَيَّرَ أَنِيساً . فَاتَانَا بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا ، وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا بْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ سِنِينَ ، قَالَ : قُلْتُ : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، قُلْتُ : فَأَيْنَ تَوَجَّهَ ؟ قَالَ : حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ . قَالَ : وَأَصْلِي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيْتُ كَأَنِّي خِيفَاءً<sup>(٩)</sup> حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ . قَالَ : فَقَالَ أَنِيسٌ : إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَأَلْقِنِي<sup>(١٠)</sup> حَتَّى آتِيكَ . قَالَ :

(١) في البخاري : أَوْجَعُوهُ . وما بين معقوفين منه .

(٢) صحيح مسلم (٢٤٧٣) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) في مسنده (١٧٤/٥) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في مسند أحمد : فتى عليه ما قيل له ، وفي النهاية (نهي/١٦/٥) : فتى علينا الذي قيل له . أي أظهره إلينا وحدثنا به .

(٥) أي : لا اجتماع لنا . النهاية (جمع/١/٢٩٧) .

(٦) « الصِّرْمَةُ » : القطعة من الإبل ، وهي ما بين عشرة إلى بضع عشرة ، وقيل : أكثر من ذلك إلى الخمسين اللسان (صرم) .

(٧) أي بقربها ، الحضرة : قرب الشيء ، ولفظ الإمام أحمد ومسلم : بِحَضْرَةٍ .

(٨) معناه : تراهن هو وآخر أيهما أفضل ، وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك ، فأيهما أفضل أخذ الصرمتين ، فتحاكما إلى الكاهن فحكم بأن أنيساً أفضل وهو معنى قوله فخير أنيساً أي جعله الخيار والأفضل . قاله النووي في شرح صحيح مسلم (٢٧/١٦) . وفي النهاية (نفر/٩٣/٥) : وفي حديث أبي ذر نافر أخيه أنيسٌ فلاناً الشاعر وتنافر الرجلان : إذا تفاخرا ثم حكما بينهما واحداً ، أراد أنهما تفاخرا أيهما أجود شعراً .

(٩) « الخِيفَاء » : الكساء ، وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء . النهاية (خفي/٢/٥٧) .

(١٠) كذا في ح ، ط وفي مسند أحمد وصحيح مسلم : فاكفني .

فانطلق ، فراث علي<sup>(١)</sup> ، ثم أتاني فقلت : ما حبسك ؟ قال لقيت رجلاً يزعم أن الله أرسله على دينك ، قال : فقلت ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون إنه شاعرٌ وساحر [ وكاهن . قال : ] وكان أنيس شاعراً . قال : فقال : لقد سمعتُ الكُهَّانَ ، فما يقولُ بقولهم ، وقد وضعتُ قوله على أقرأء الشعر<sup>(٢)</sup> ، فوالله ما يلتئم لسانُ أحدٍ أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون . قال : فقلت له : هل أنت كافٍ<sup>(٣)</sup> حتى أنطلق [ فأنظر ] ؟ قال : نعم ، وكن من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شنفوا له<sup>(٤)</sup> ، وتجهَّموا له . قال : فانطلقتُ حتى قدمتُ مكة فتضعفتُ رجلاً منهم فقلت<sup>(٥)</sup> : أين هذا الرجل الذي يدعونه الصابىء ؟ قال : فأشار إليّ ، فمال أهل الوادي عليّ بكلّ مدرةٍ وعظم ، حتى خررتُ مغشياً عليّ ، فارتفعتُ حين ارتفعت كاني نُصبٍ أحمر ، فأتيْتُ زمزم فشربتُ من مائها ، وغسلتُ عني الدم ، ودخلتُ بين الكعبة وأستارها ، فلبثتُ به يا بن أخي ثلاثين من بين يوم وليلة ، ما لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم ، فسمِنتُ حتى تكسرت عُكُنُ بطني<sup>(٦)</sup> ، وما وجدتُ على كَبدي سَخْفَةً جُوع<sup>(٧)</sup> قال : فبينا أهلُ مكة في ليلةٍ قمرَاءٍ إضحيان<sup>(٨)</sup> ، وضرب الله على أضمِخه<sup>(٩)</sup> أهل مكة ، فما يطوف بالبيت غيرُ امرأتين ، فأتتا عليّ وهما تدعوان إساف ونائلة . فقلت : أنكحوا أحدهما الآخر : فما ثناهما ذلك<sup>(١٠)</sup> ، [ قال : فأتتا عليّ ] فقلت : وهن<sup>(١١)</sup> مثلُ الخشبة ، غيرَ أني لم أركن . قال : فانطلقتا تولولان وتقولان : لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا . قال : فاستقبلهما رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقال : « ما لكما » فقالتا : الصابىءُ بين الكعبة

- (١) « راث » : أي أبطأ . شرح النووي لصحيح مسلم (٢٨/١٦) .
- (٢) « أقرأء الشعر » : أي طرقة وأنواعه . المصدر السابق .
- (٣) في ح : كاتمي ، والمثبت من ط ومسند أحمد .
- (٤) في ح ، ط : شنعوا ، والمثبت من مسند أحمد والنهاية (شف/٢/٥٠٥) وفيه : في إسلام أبي ذر : فإنهم قد شنفوا له . أي أبغضوه . وفي مسند أحمد : وقال عفان : شيفوا له ، وقال بهز : سبقوا له ، وقال أبو النضر : شفوا له .
- (٥) يعني نظرت إلى أضعفهم فسألته ، لأن الضعيف مأمون الغائلة غالباً . شرح النووي لصحيح مسلم (٢٨/١٦) .
- (٦) « العُكُن » : الأطواء في البطن من السَّمن ، واحدها : عُكْنَة . اللسان (عكن) .
- (٧) « سَخْفَة » : هي بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الخاء المعجمة ؛ وهي رقة الجوع وضعفه وهزاله . شرح النووي لصحيح مسلم (٢٨/١٦ ، ٢٩) .
- (٨) « إضحيان » : مضية ، ويقال : ليلة إضحيان وإضحيانة . شرح النووي لصحيح مسلم (٢٩/١٦) .
- (٩) في ح : وصرت على أسحمة ، وفي ط : وضرب على أشحمة ، والمثبت من مسند الإمام أحمد والنهاية (صمخ/٣/٥٢) وفيه : هي جمع قلة للصَّمَاخ ، وهو ثقب الأذن ، ويقال بالسين ، وهي رواية مسلم أي أن الله أنامهم .
- (١٠) في صحيح مسلم : « فما تناهتا عن ذلك » .
- (١١) قال النووي في شرح صحيح مسلم (٢٩/١٦) : الهنُّ والهنة بتخفيف نونهما هو كناية عن كل شيء ، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر ، فقال لهما : ومثل الخشبة بالفرج ، وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك .

وأستارها . قالوا : « ما قال لكما ؟ » قالتا : قال لنا كلمة تملأ الفم . قال : وجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت ، ثم صلى . قال فأتيته فكنْتُ أوَّل من حيَّاهُ بتحيَّة أهل الإسلام . فقال : « عليك السلام ورحمة الله من أنت ؟ » قال : قلت من غفار ، قال : فأهوى بيده فوضعها على جبهته . قال : فقلت في نفسي . كره أن انتميتُ إلى غفار . قال : فاردتُ أن آخذ بيده ففدعني<sup>(١)</sup> صاحبه ، وكان أعلم به مني ، قال : متى كنت هاهنا ؟ قال : قلت : كنت هاهنا منذ ثلاثين ، من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تكسرت عُكْرُ بطني ، وما وجدتُ على كبدي سَخْفَةً جُوع . قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم<sup>(٢)</sup> » . قال : فقال أبو بكر : ائذن لي يا رسول الله في طعامي الليلة . قال : ففعل ، قال : فانطلق النبي ﷺ [ وانطلق أبو بكر ] وانطلقتُ معهما حتى فتح أبو بكر باباً ، فجعل يقبضُ لنا من زبيب الطائف ، قال : فكان ذلك أوَّل طعام أكلته بها ، فلبثتُ ما لبثت . فقال رسول الله ﷺ : « إني قد وُجِّهْتُ إلى أرض ذاتِ نخل ولا أحسبُها إلا يثرب ، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومك لعلَّ الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ » . قال : فانطلقتُ حتى أتيتُ أخي أنيساً . قال : فقال لي : ما صنعت ؟ قال : قلتُ : صنعتُ أني أسلمتُ وصدقتُ . قال : فما بي رغبة عن دينك ، فإني قد أسلمتُ وصدقتُ . ثم أتينا أمنا فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ، فإني قد أسلمتُ وصدقتُ ، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفاراً . قال : فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان يؤمُّهم خُفَّافُ بن إيماء بن رَحْصَةَ<sup>(٣)</sup> الغفاري ، وكان سيدهم يومئذ ، وقال بقيَّتُهُم : إذا قدِم رسول الله ﷺ أسلمنا . قال : فقدم رسول الله ﷺ فأسلم بقيَّتُهُم . قال : وجاءتُ أسلمُ فقالوا : يا رسول الله ، إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه . [ فأسلموا ] ، فقال رسول الله ﷺ « غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لها ، وأسلمَ سالمها الله » .

ورواه مسلم عن هُذْبَةَ<sup>(٤)</sup> بن خالد ، عن سليمان بن المغيرة به نحوه .

وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة . فالله أعلم . وتقدَّم ذكرُ إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشاراتِ بمبعثه عليه الصلاة والسلام<sup>(٥)</sup>

(١) في ط : ففدعني . والمثبت من ح ومسند أحمد وصحيح مسلم والنهاية (دع/٤/٢٤) وفيه : أي كفني .

(٢) قال النووي : أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام . شرح صحيح مسلم (٣٠/١٦) .

(٣) وقع في ح ، ط : رخصة . وكذا في الإصابة في ترجمة خفاف ، والمثبت من مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم وشرحه للنووي (٣١/١٦) وقال في ضبطه : إيماء ممدود والهمزة في أوله مكسورة على المشهور وحكى القاضي فتحها أيضاً وأشار إلى ترجيحه وليس براجع ؛ ورخصة براء وحاء مهملة وضاد معجمة مفتوحات . وكذا ضبطه صاحب التاج (رحض) .

(٤) هو هُذَاب كما في صحيح مسلم (٢٤٧٣) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي ذر . ويقال له : هُذْبَةُ كما في تقريب التهذيب (٣١٥/٢) .

(٥) وردت قصة إسلام سلمان في (ص ١١٥) وما بعدها من هذا الجزء .

## ذكر إسلام ضِمَاد

روى مسلم والبيهقي<sup>(١)</sup> من حديث داود بن أبي هند ، عن عمرو بن سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : قدم ضِمَادُ مكة وهور جلٌّ من أَرْدِ شَنْوَة ، وكان يَرْقِي من هذه الرياح<sup>(٢)</sup> ، فسمع سفهاء من سفهاء الناس يقولون : إِنَّ محمداً مجنون . فقال : أين<sup>(٣)</sup> هذا الرجل لعلَّ الله أن يشفيه على يدي ؟ فلقيتُ محمداً فقلت : إني أرقِي من هذه الرياح ، وإنَّ الله يَشْفِي على يدي ، مَنْ شاء ، فَهَلَمْ . فقال محمد : « إِنَّ الحمد لله نَحْمَدُه ونُسْتَعِينُه ، من يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضِلِّ فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ثلاث مرَّات . فقال : والله لقد سمعتُ قولَ الكهنة ، وقول السَّحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعتُ مثل هؤلاء الكلمات ، فهَلَمْ يدك أبايغك على الإسلام . فبايعه رسولُ الله ﷺ فقال له : « وعلى قومك ؟ » فقال : وعلى قومي . فبعث النبي ﷺ جيشاً<sup>(٤)</sup> فمروا بقوم ضِمَاد ، فقال صاحبُ الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً ؟ فقال رجلٌ منهم : أصبتُ منهم مطهرة . فقال : رُدَّها عليهم فإنهم قومٌ ضِمَاد .

وفي رواية فقال له ضِمَاد : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فلقد بلغن قاموس البحر<sup>(٥)</sup> .

وقد ذكر أبو نعيم في « دلائل النبوة »<sup>(٦)</sup> إسلام من أسلم من الأعيان فصلاً طويلاً واستقصى ذلك استقصاءً حسناً رحمه الله وأثابه .

وقد سرد ابنُ إسحاق أسماء من أسلم قديماً من الصحابة رضي الله عنهم ، قال<sup>(٧)</sup> : ثمَّ أسلم أبو عُبَيْدة ، وأبو سَلَمَة ، والأرقم بن أبي الأرقم<sup>(٨)</sup> ، وعثمان بن مَظْعُون ، وعُبَيْدة بن الحارث ،

- (١) صحيح مسلم (٨٦٨) الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ؛ ودلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٢٣) واللفظ له .
- (٢) في صحيح مسلم : الريح . وقال النووي في شرحه (٦/١٥٧) : والمراد بالريح هنا الجنون ومس الجن ، في غير رواية مسلم : يرقى من الأرواح ، أي الجن سموا بذلك لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح .
- (٣) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : آتي .
- (٤) في ح : جيش ، وفي الدلائل وصحيح مسلم : سرية .
- (٥) في ح : قابوس البحر . وفي صحيح مسلم : ناعوس البحر ، والمثبت من ط ، وقال النووي في شرحه (٦/١٥٧) : ضبطناه بوجهين أشهرهما ناعوس بالنون والعين ، هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا ، والثاني قاموس بالقاف والميم ، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم اهـ . ثم ذكر روايات أخرى ومعناها ؛ وقاموس البحر : قعره أولجته التي تضطرب أمواجها .
- (٦) في الجزء الثاني في مواضع متفرقة منه .
- (٧) سيرة ابن إسحاق (ص ١٤٣) وسيرة ابن هشام (١/٢٥٢) والروض (١/٢٩٠) . واللفظ مختصر من سيرة ابن هشام .
- (٨) وقع في سيرة ابن إسحاق : وعبد الله بن الأرقم المخزومي . سقط منه لفظ أبو ، إذ هو أبو عبد الله الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي . الإصابة .

وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر - وهي صغيرة - وقدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ، وخباب بن الارت ، وعُمير<sup>(١)</sup> بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، [ وامراته أسماء بنت سلمة<sup>(٢)</sup> بن مُحَرَّبَة التميمية<sup>(٣)</sup> وخُنَيْس بن حُذافة ، وعامر بن ربيعة<sup>(٤)</sup> ] ، وعبد الله بن جَحْش ، وأبو أحمد بن جَحْش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامراته أسماء بنت عُمَيْس ، وحاطب بن الحارث ، وامراته [ فاطمة بنت الْمُجَلَّل ، وأخوه حطَّاب بن الحارث ، وامراته<sup>(٥)</sup> فُكَيْهَة ابنة يَسَار ، ومعمار بن الحارث بن معمر الجُمَحِي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف<sup>(٦)</sup> ] . وامراته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة<sup>(٧)</sup> بن سعيد بن سهم ، والنَّحَّام ، واسمُه نُعَيْم بن عبد الله بن أسيد ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، وخالد بن سعيد ، وأمينة ابنة خلف بن سعد بن عامر بن بياضة بن خُزاعة ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله بن عَرِين بن ثعلبة التميمي ، حليف بني عدي ، وخالد بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعافل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غيرة ، من بني سعد بن ليث ، وكان اسمُه عافل غافلاً فسماه رسول الله ﷺ عاقلاً ، وهم حلفاء بني عدي بن كعب ، وعمار بن ياسر ، وصُهيب بن سنان . ثم دخل الناسُ أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتحدث به .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر ، وأن يصبر على أذى المشركين .

قال<sup>(٩)</sup> : وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلَّوا ذهبوا في الشَّعَاب واستخفَّوا بصلاتهم من قومهم . فبينا سعدُ بن أبي وقاص في نفرٍ يُصلُّون بشعاب مكة إذ ظهر عليهم بعضُ المشركين فناكروهم وعابوا عليهم

- (١) في ح : وعمرو .
- (٢) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام : سلامة وكلاهما سميت به كما في ترجمتها في الإصابة .
- (٣) في ط : مخرمة التيمي . وهو تصحيف : والمثبت من المؤلف والمختلف للدارقطني (٢/٢١٥٢) والمصادر في حاشيته وسيرة ابن هشام .
- (٤) سقط ما بين المعقوفين من ح .
- (٥) سقط ما بين المعقوفين من ح ، ط فاستدركت من سيرة ابن هشام وترجمتهما في الإصابة .
- (٦) في ح ، ط : المطلب بن أزهري بن عبد مناف . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وترجمته في الإصابة ، وفيه وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف .
- (٧) في ط : صيرة . بياين ، وقد تقرأ في ح : جبيرة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض والاشتقاق لابن دريد (ص ١٢٥) .
- (٨) سيرة ابن إسحاق (ص ١٤٥) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٢) والروض (٢/٣) .
- (٩) يعني ابن إسحاق في السيرة (ص ١٤٧) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٣) والروض (٢/٣) .

ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدٌ رجلاً من المشركين بلخي جملٍ فشجّه ، فكان أول دمٍ أُهريق في الإسلام .

وروى الأمويُّ في مغازيه ، من طريق الواقسي عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه . فذكر القصة بطولها وفيه : أنَّ المشجوج هو عبد الله بن خطَل لعنه الله .

## باب

### أمر الله ﷺ عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة

إلى الخاص والعام ، وأمره له بالصبر والاحتمال والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذّبين بعد قيام الحجّة عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم وذكر ما لقي من الأذى منهم هو وأصحابه رضي الله عنهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١) وَأَخْفِضْ (٢٢) جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَأْيِي مَعَكُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿ الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٢٤) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [ الشعراء : ٢١٤ - ٢٢٠ ] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [ الزخرف : ٤٤ ] وقال تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [ القصص : ٨٥ ] أي إنّ الذي فرض عليك وأوجب عليك بتبليغ القرآن لرأذك إلى دار الآخرة وهي المعاد ، فيسألك عن ذلك كما قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ الحجر : ٩٢ - ٩٣ ] .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً . وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا التفسير ، وبسطنا من القول في ذلك عند قوله تعالى في سورة الشعراء : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . وأوردنا أحاديث جمّة في ذلك ، فمن ذلك . قال الإمام أحمد (٢) : حدّثنا عبد الله بن نُمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس قال : لما أنزل الله [ عز وجل ] ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ أتى النبي ﷺ الصَّفَا فصعد عليه ثم نادى : « يا صباحاه » فاجتمع الناس إليه بين رجلٍ يجيء إليه ، وبين رجلٍ يبعث رسوله . فقال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرايتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل ، تريد أن تُغيّر عليكم ، صدّقتُموني ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد » فقال أبو لهب - لعنه الله (٣) - تَبّاً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله عز وجل

(١) في ح : واخفظ .

(٢) في مسنده (٣٠٧/١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) ليست الجملة المعترضة في مسند أحمد .

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] وأخرجاه<sup>(١)</sup> من حديث الأعمش به نحوه .

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعمَّ وخصَّ فقال : « يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني كعب [ بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد مناف ] أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً ، إلا أن لكم رجماً سابلها ببلالها<sup>(٣)</sup> »

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث عبد الملك بن عمير ، وأخرجاه في الصحيحين<sup>(٥)</sup> ، من حديث الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب وأبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وله طُرُقٌ أُخِرُ عن أبي هريرة في مسند أحمد وغيره<sup>(٦)</sup> .

وقال أحمد أيضاً : <sup>(٧)</sup> حدثنا وكيع ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَمَّا نَزَلَ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال : « يا فاطمة بنت محمد ، يا صَفِيَّةُ بنت عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم » .  
ورواه مسلم أيضاً<sup>(٨)</sup> .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل<sup>(٩)</sup> : أخبرنا محمد بن عبد [ الله ] الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني مَنْ سَمِعَ عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ وَأَخْفِضْ

- (١) يعني البخاري ومسلم ، فتح (٤٩٧٢) التفسير سورة ١١١ باب وتب . وصحيح مسلم (٢٠٨) الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين .
- (٢) في مسنده (٣٦٠ / ٢) وما يأتي بين معقوفين منه .
- (٣) أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً . والبلال جمع بلل ؛ وقيل : هو كل ما بلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره . النهاية (١ / ١٥٣ / بلل) .
- (٤) صحيح مسلم (٢٠٤) الإيمان باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين .
- (٥) فتح الباري (٢٧٥٣) الوصايا باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ، وصحيح مسلم (٢٠٦) الإيمان باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين .
- (٦) مسند أحمد (٣٣٣ / ٢) و (٥١٩) وجامع الترمذي (٣١٨٥) التفسير باب ٢٧ ومن سورة الشعراء وسنن النسائي (٣٦٤٤) الوصايا باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين .
- (٧) في مسنده (١٨٧ / ٦) .
- (٨) صحيح مسلم (٢٠٥) الإيمان باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين .
- (٩) دلائل النبوة للبيهقي (١٧٨ / ٢ ، ١٧٩) وما يأتي بين معقوفين منه . وساقه أيضاً ابن الجوزي في الوفا (١ / ١٨٤) .

جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ . قال رسول الله ﷺ : « عَرَفْتُ أَنِّي إِنْ بَادَيْتُ<sup>(١)</sup> بِهَا قَوْمِي رَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ فَصَمْتُ ، فجاءني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، إِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرَكُ بِهِ رَبُّكَ عَذَّبَكَ بالنار » . قال [ علي ] : فدعاني فقال : « يا علي إِنْ الله قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ [ فعرفتُ أَنِّي إِنْ بَادَيْتُهُمْ بِذَلِكَ رَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا أَكْرَهُ ، فَصَمْتُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ عَذَّبَكَ رَبُّكَ ] ، فَاصْنَعْ لَنَا يَا عَلِيُّ [ رَجُلٌ ] شَاةً عَلَى صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ ، وَأَعِدْ لَنَا عُسّاً لَبِنٍ<sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » . ففعلت فاجتمعوا له يومئذٍ وهم أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون ، فيهم أعمامه أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فَقَدِمْتُ إِلَيْهِمْ تِلْكَ الْجَفَنَةَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا حَذِيَّةً<sup>(٣)</sup> فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ ثُمَّ رَمَى بِهَا فِي نَوَاحِيهَا وَقَالَ : « كُلُّوا بِسْمِ اللَّهِ » . فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى نَهَلُوا عَنْهُ ، مَا نَرَى إِلَّا آثَارَ أَصَابِعِهِمْ ، وَاللَّهُ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَأْكُلُ مِثْلَهَا . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْقِهِمْ يَا عَلِيُّ »<sup>(٤)</sup> . فَجِئْتُ بِذَلِكَ الْقَعْبِ ، فَشَرَبُوا مِنْهُ حَتَّى نَهَلُوا جَمِيعاً ، وَائِمُّ اللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَشْرَبُ مِثْلَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَكْلِمَهُمْ ، بَدَرَهُ أَبُو لَهَبٍ - لَعْنَهُ اللَّهُ - إِلَى الْكَلَامِ فَقَالَ : لَهْدٌ مَا سَحَرَكُم صَاحِبُكُمْ ؟ فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَكْلَمْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَلِيُّ عُدْ لَنَا بِمِثْلِ الَّذِي كُنْتَ صَنَعْتَ لَنَا بِالْأَمْسِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ بَدَّرَنِي إِلَى مَا سَمِعْتَ قَبْلَ أَنْ أَكْلِمَ الْقَوْمَ » ففعلت ، ثُمَّ جَمَعْتُهُمْ لَهُ . فَصَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَنَعَ بِالْأَمْسِ فَأَكَلُوا حَتَّى نَهَلُوا عَنْهُ ، ثُمَّ سَقَيْتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْقَعْبِ حَتَّى نَهَلُوا عَنْهُ ، وَائِمُّ اللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَأْكُلُ مِثْلَهَا وَيَشْرَبُ مِثْلَهَا . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابِئاً مِنَ الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

هكذا رواه البيهقي من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق عن شيخ أبهم اسمه ، عن عبد الله بن الحارث به .

وقد رواه أبو جعفر بن جرير<sup>(٥)</sup> ، عن محمد بن حُميد الرازي ، عن سلمة بن الفضل الأبرش ، عن محمد بن إسحاق عن عبد الغفار أبي مريم بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، عن علي ، فذكر مثله . وزاد بعد قوله : « وإني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي » وكذا وكذا . قال : فَأَحْجَمَ

(١) « باداه » : بارزه ، وكاشفت الرجل وباديته وجاليته بمعنى ، ومنه الحديث أنه أمر أن يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ ؛ أي يظهره لهم . الأساس والنهاية ( بدي ) .

(٢) « العس » : القدح الكبير . المصباح ( عس ) .

(٣) « الحذية » : القطعة من اللحم كالْحَذْوَةِ للسان ( حذا ) واوية يائية .

(٤) في ح ، ط تكرار بمقدار خمسة أسطر ونصف ، لعلها سهو من الناسخ .

(٥) في تاريخه تاريخ الأمم والملوك ( ٣١٩ / ٢ ) .



القوم عنها جميعاً ، وقلتُ وإني<sup>(١)</sup> لأحدثهم سنّاً وأزمتهم عينا ، وأعظمهم بطناً ، وأخمشهم ساقاً : أنا يا نبيّ الله أكونُ وزيرك عليه . فأخذَ برقبتي فقال : « إنَّ هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا » . قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

تفرّد به عبدُ الغفّار بن القاسم أبو مريم ، وهو كذابٌ شيعي ، اتهمه عليّ بن المديني وغيره بوضع الحديث . وضعفه الباقون<sup>(٢)</sup>

ولكن روى ابنُ أبي حاتم في تفسيره عن أبيه ، عن الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي عن عبد الله بن عبد القدّوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : قال علي : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [ الشعراء : ٢١٤ ] قال لي رسول الله ﷺ : « اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام ، وإناء لبن ، وادع لي بني هاشم » . فدعوتهم وإنهم يومئذٍ لأربعونَ غير رجلٍ ، أو أربعونَ ورجلٌ ، فذكر القصة نحو ما تقدّم ، إلى أن قال : وبدرهم<sup>(٣)</sup> رسولُ الله ﷺ الكلام . فقال : « أيكم يقضي عني ديني ويكونُ خليفتي في أهلي ؟ » قال : فسكتوا وسكتَ العباسُ خشيةً أن يُحيط ذلك بماله ، قال : وسكتُ أنا لِسِنِّ العباس . ثم قالها مرّةً أخرى فسكتَ العباس ، فلما رأيتُ ذلك قلت : أنا يا رسول الله ، قال : « أنت ؟ » قال : وإني يومئذٍ لأسوؤهم هيئةً ، وإني لأعْمَشُ العينين ، ضَخْمُ البطن ؛ حَمِشُ الساقين .

وهذه الطريق فيها شاهدٌ لما تقدّم ، إلا أنه لم يذكر ابنَ عباس فيها . فالله أعلم . وقد روى الإمام أحمدُ في « مسنده »<sup>(٤)</sup> ، من حديث عبّاد بن عبد الله الأسدي ، وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدّم - أو كالشاهد له - والله أعلم<sup>(٥)</sup> .

ومعنى قوله في هذا الحديث : مَنْ يقضي عني ديني ويكونُ خليفتي في أهلي : يعني إذا متُّ ، وكأنه ﷺ خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه ، فاستوثق مَنْ يقوم بعده بما يُصلح أهله ، ويقضي عنه ؛ وقد أئمنهُ الله من ذلك في قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ] ﴾ الآية<sup>(٦)</sup> .

(١) في ح ، ط : ولأني ، والمثبت من تاريخ الطبري .

(٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠) .

(٣) في ح : بداهم .

(٤) مسند أحمد (١/ ١١١ و ١٥٩) .

(٥) قال بشار : كلا الحديثين ضعيف ، فعباد بن عبد الله الأسدي ضعيف ، وفي الثاني ربيعة بن ناجذ مجهول تفرد بالرواية عنه أبو صادق الأزدي ولم يذكره في الثقات سوى ابن حبان والعجلي ، وقال الذهبي في الميزان (٢/ ٤٥) : « لا يكاد يعرف ، وعنه أبو صادق بخبر منكر فيه : علي أخي ووارثي » ، وقال في المغني : فيه جهالة ، وينظر كتابنا تحرير التقريب (١/ ٣٩٨) .

(٦) سقط ما بين المعقوفين من ح والآية (٦٧) من سورة المائدة .

والمقصود أن رسول الله ﷺ استمرَّ يدْعُو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، لا يصرِّفه عن ذلك صارف ، ولا يردُّه عن ذلك راد ، ولا يصدُّه عنه ذلك صاد ، يتبع الناس في أُنديتهم ، ومجامعهم ومحافلهم وفي المواسم ، ومواقف الحج . يدعو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ حُرٍّ وَعَبْدٍ ، وضعيفٍ وقويٍّ ، وغنيٍّ وفقيرٍ ، جميعُ الخَلْق في ذلك عنده<sup>(١)</sup> شَرْعٌ سَوَاء . وتسَلَّط عليه وعلى مَنْ اتَّبَعَهُ من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية<sup>(٢)</sup> والفعلية ، وكان من أشدَّ الناس عليه عمُّه أبو لهب - واسمه عبد العزَّى بن عبد المطلب - وامراته أم جميل أزوى بنتُ حَرْب بن أمية ، أختُ أبي سفيان . وخالفه في ذلك عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب ، وكان رسولُ الله ﷺ أحبَّ خلقِ الله إليه طبعاً ، وكان يَحْنُو عليه ويحسن إليه ، ويُدَافِع عنه ويحامي ، ويخالف قومه في ذلك ، مع أنَّه على دينهم وعلى خَلَّتْهم<sup>(٣)</sup> ، إلا أنَّ الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً<sup>(٤)</sup> لا شرعياً . وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجَّاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه . ولا جتروا عليه ، ولمدُّوا أيديهم وألستهم بالسوء إليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار . وقد قسم خلقه أنواعاً وأجناساً ، فهذان العَمَّانِ كافران ، أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكونُ في القيامة في صَحْضاح من نار ، وذلك في الدَّرَكِ الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورةً في كتابه تُتلى على المنابر ، وتُقرأ في المواعظ والخطب ، تتضمَّن أنه سيُضلى ناراً ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب .

قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدَّثنا إبراهيم بنُ أبي العباس ، حدَّثنا عبد الرحمن بنُ أبي الزناد ، عن أبيه قال : أخبرني [ ني ] رجلٌ يقال له : ربيعة بن عباد من بني الدَّيْل<sup>(٦)</sup> - وكان جاهلياً فأسلم - قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجَاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلِحُوا » والناسُ مجتمعون عليه ، ووراءه رجلٌ وضيءُ الوجه ، أخولُ ذو غَدِيرَتَيْن يقول : إنَّه صابئٌ كاذب يتبعه حيث ذهب ، فسألتُ عنه [ فذكروا لي نسبَ رسولِ الله ﷺ ] فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب .

(١) ليست اللفظة في ح .

(٢) في ح : القوية ، ووضع فوقها : خ وأثبت الناسخ إلى جانب السطر في الهامش ما نصه : القولية . وإلى جانبها كلمة صح .

(٣) « الخلَّة » : بفتح الخاء : الخلصة . وبضم الخاء : الصداقة المختصة لا خلل فيها تكون في عفاف وفي دعارة . القاموس ( خلل ) .

(٤) في ح : طبعاً .

(٥) في المسند (٤/ ٣٤١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) نسبته في الإكمال (٦١/ ٦) / الدؤلي ( وفي الإصابة : الديلي ، وكلاهما جائز .

ثم رواه هو والبيهقي<sup>(١)</sup> من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد بنحوه .

وقال البيهقي أيضاً<sup>(٢)</sup> حدثنا أبو طاهر الفقيه ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن<sup>(٣)</sup> القطان ، حدثنا أبو الأزهر ، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا محمد بن عمرو<sup>(٤)</sup> ، عن محمد بن المنكر ، عن ربيعة الديلي .

قال : رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم ، يدعوهم إلى الله ، وراءه رجلٌ أحوّل ، تقدّ وجنتاه وهو يقول : [ أيّها الناس لا يغرنّكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قيل : هذا أبو لهب .

ثم رواه<sup>(٥)</sup> من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم ، عن رجل من كنانة . قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول [٦] : « يا أيّها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » وإذا رجلٌ خلفه يسفي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيّها الناس ، لا يغرنّكم هذا عن دينكم ، وإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزرى .

كذا قال أبو جهل ، والظاهر أنه أبو لهب ، وسنذكر بقية ترجمته عند ذكر وفاته ، وذلك بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى<sup>(٧)</sup> .

وأما أبو طالب فكان في غاية الشفقة والحنو الطبيعي كما سيظهر من صنائعه وسجاياه ، واعتماده فيما يُحامي به عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

قال يونس بن بكير ، عن طلحة بن يحيى بن عبيد الله ، عن موسى بن طلحة<sup>(٨)</sup> ، أخبرني عقيل بن أبي طالب قال : جاء قريش إلى أبي طالب فقالوا : إنّ ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فأنهه

(١) في المسند (٤/٣٤١) والدلائل (٢/١٨٥ ، ١٨٦) .

(٢) في الدلائل (٢/١٨٥) وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٤٩٢) عن محمد بن بشار عن عبد الوهاب عن محمد بن عمرو به .

(٣) في الدلائل : الحسين . وهو اسم أبيه ، والحسن جده ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٥/٣١٨) وتذكرة الحفاظ (٣/٨٤٢) .

(٤) في ح ، ط : محمد بن عمر ، والمثبت من الدلائل ومن ترجمته في تهذيب الكمال (٢٦/٢١٢) وهو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي .

(٥) يعني البيهقي في الدلائل (٢/١٨٦) .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٧) انظر مقتل أبي لهب في الجزء الرابع .

(٨) في ح ، ط : طلحة بن يحيى عن عبد الله بن موسى بن طلحة . وهو تحريف ، والمثبت من ترجمة طلحة في تهذيب الكمال (١٣/٤٤١) والتاريخ الكبير للبخاري (٧/٥١) ودلائل النبوة (٢/١٨٦) .

عنا . فقال : يا عقيل ، انطلق فأتني بمحمد ، فانطلقتُ إليه ، فاستخرجته من كِنْسٍ<sup>(١)</sup> - أو قال خِنْس - يقول : بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فلما أتاهم قال : إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديمهم ومسجدهم ، فانتَه عن أذاهم . فحلَّق<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال : « ترون هذه الشمس ؟ » قالوا : نعم ! قال : « فما أنا بأقدر [ على ] أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا<sup>(٣)</sup> منها بشعلة » . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابنُ أخي قط ، فارجعوا .

رواه البخاري في التاريخ<sup>(٤)</sup> عن محمد بن العلاء عن يونس بن بكير .

ورواه البيهقي<sup>(٥)</sup> عن الحاكم عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار عنه به - وهذا لفظه - .

ثم روى البيهقي<sup>(٦)</sup> من طريق يونس عن ابن إسحاق ، حدثني يعقوب بن عتبة<sup>(٧)</sup> بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا ، فأبقِ عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ؛ فاكفُف عن قومك ما يكرهون من قولك . فظنَّ رسول الله ﷺ أن قد بداَ لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسْلِمُه ، وضعفَ عن القيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ، لو وضعت الشمسُ في يميني والقمر في يساري ما تركتُ هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك في طلبه » ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولَّى قال له حين رأى ما بلغ الأمرُ برسول الله ﷺ : يا ابن أخي ، فأقبلَ عليه ، فقال : امضِ على أمرِك وافعلْ ما أحببت ، فوالله لا أُسْلِمُك لشيءٍ أبداً<sup>(٨)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : ثم قال أبو طالب في ذلك : [ من الكامل ]

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أوسد في التراب دفيناً
فامضي لأمرِك ما عليك غضاضة	أبشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي	فلقد صدقت وكنّت قدّم أميناً <sup>(١٠)</sup>

- (١) كذا في ح ، ط بالنون ، وكذا في أصل الدلائل ؛ قال ابن الأثير في النهاية (كيس/٤/١٤٣) بعد سياق الحديث : الكِنْس بالكسر : بيت صغير . ويروى بالنون ، من الكناس ، وهو بيت الظبي اهـ .
- (٢) في هامش ح : فحدّق ، لعلها رواية نسخة .
- (٣) في التاريخ للبخاري : تشعلوا منها شعلة ، وفي الدلائل : تستشعلوا منها شعلة .
- (٤) التاريخ الكبير (٥١/٧) .
- (٥) دلائل النبوة (١٨٦/٢) .
- (٦) في الدلائل أيضاً (١٨٧/٢ ، ١٨٨) سيأتي .
- (٧) في الدلائل : عقبة ، تصحيف .
- (٨) الخبر بنحوه في سيرة ابن هشام (٢٦٦/١) .
- (٩) دلائل النبوة (١٨٨/٢) والأبيات فيه .
- (١٠) في الدلائل : قبل أميناً .

وعرضت ديناً قد عرفتُ بأنه من خير أديان البرية ديناً  
لولا الملامة أو جذاري سُبَّة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

ثم قال البيهقي : وذكر ابن إسحاق لأبي طالب في ذلك أشعاراً<sup>(١)</sup> ؛ وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى عصمه بعلمه مع خلافه إياه في دينه ، وقد كان يعصمه حيث لا يكون علمه بما شاء لا معقب لحكمه .

وقال يونس بن بكير ، عن<sup>(٢)</sup> محمد بن إسحاق : حدثني رجلٌ من أهل مصر قديماً منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قصة طويلة جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ ، فلما قام رسول الله قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد أبى إلا ما ترؤن ، من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلِهتنا ، وإنني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه<sup>(٣)</sup> ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فلما أصبح أبو جهل - لعنه الله - أخذ حجراً ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركنتين الأسود واليماني ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله ﷺ يصلي ، وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديةهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منبهتاً ، ممتعاً لونه ، مرعوباً قد يسيث يده على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجالٌ من قريش ، فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال : قمتُ إليه لأفعل ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عَرَضَ لي دونه فحلُّ من الإبل ، والله ما رأيت مثلَ هامته ، ولا قَصْرَتِه<sup>(٤)</sup> ، ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فهم أن يأكلني .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٥)</sup> : فذكر لي أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ذلك جبريل ، لو دنا مني لأخذه »<sup>(٦)</sup> .

وقال البيهقي<sup>(٧)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو النضر الفقيه ، حدثنا عثمان الدارمي ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبان بن صالح ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن عباس بن عبد المطلب . قال : كنتُ يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال : إنَّ لله عليَّ إن رأيتُ محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته ؛ فخرجتُ

(١) ساق ابن هشام شيئاً منها في السيرة (١/٢٦٧-٢٦٩) .

(٢) في ط : حدثني محمد بن إسحاق ، والمثبت من ح ودلائل النبوة للبيهقي (٢/١٩٠) والخبر فيه عن الحاكم الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عنه به .

(٣) هذه رواية ط ودلائل البيهقي ، وأما رواية ح فهكذا : وإنني أعاهد الله لأجلس له عند الحجر ، فإذا سجد فضخت رأسه ...

(٤) « قصرته » : أي عنقه وأصل رقبته .

(٥) دلائل البيهقي (٢/١٩١) .

(٦) في ط : ولو دنا منه ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٧) في دلائل النبوة (٢/١٩١) .

على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضباناً<sup>(١)</sup> ، حتى جاء المسجد ، فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط فقلت : هذا يومٌ شرٌّ ، فأتزرتُ ثم اتبعتهُ ، فدخل رسولُ الله ﷺ فقرأ : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ فُلَمَا بَلَغَ شَأْنُ أَبِي جَهْلٍ ﴿٣﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿٤﴾ ۝ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٥﴾ [العلق : ٦ - ٧] فقال إنسانٌ لأبي جهل : يا أبا الحكم ، هذا محمد ! فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سدَّ أفقَ السماء عليّ ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ آخرَ السورة سجد .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة قال : قال ابنُ عباس : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يُصليّ عند الكعبة لأطأَنَّ على عنقه . فبلغ ذلك رسولُ الله ﷺ فقال : « لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » .

ورواه البخاري<sup>(٣)</sup> عن يحيى ، عن عبد الرزاق به .

قال داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مرَّ أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصليّ فقال : ألم أنهك أن تصليّ يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني . فانتهره النبي ﷺ . فقال جبريل : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾ [العلق : ١٧ - ١٨] والله لو دعا نادية لأخذته زبانية العذاب .

رواه أحمد والترمذي وصحَّحه النسائي<sup>(٤)</sup> من طريق داود به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد<sup>(٦)</sup> ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً عند الكعبة يصليّ لآتينه حتى أطأ على عنقه . قال فقال : « لو فعل لأخذته الزبانية عياناً » .

وقال أبو جعفر بن جرير<sup>(٧)</sup> : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمداً يصليّ عند المقام لأقتلنه . فأنزل الله تعالى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْ الْآيَةِ ﴿٢﴾ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿٣﴾ نَاصِيَةُ

(١) كذا في ح ، ط والدلائل بالتونين وهو جائز على لغة بني أسد . النحو الوافي (٢١٧/٤) والتاج ( غضب ) .

(٢) في مسنده (٣٦٨/١) .

(٣) فتح الباري (٤٩٥٨) التفسير سورة ٩٦ باب كلا لئن لم ينته . قلت : وأخرجه به أيضاً الترمذي في الجامع (٣٣٤٨) التفسير باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (٩٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . والبيهقي في الدلائل (١٩١/٢ ، ١٩٢) .

(٤) مسند أحمد (٢٥٦/١) وجامع الترمذي (٣٣٤٩) باب ومن سورة اقرأ باسم ربك (٩٦) والسنن الكبرى للنسائي (١١٠٦١) و(١١٦٨٤) .

(٥) في مسنده (٢٤٨/١) .

(٦) في ح ، ط : أبو زيد . والمثبت من مسند أحمد وترجمته في تعجيل المنفعة (ص ٣٨) .

(٧) في تفسيره - تفسير الطبري - (٢٥٦/١٥) في تفسير سورة العلق (٩٦) . وما يأتي بين معقوفين منه .

كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١١) سَدَّعَ الزَّبَانَةَ ﴿ فجاء النبي ﷺ يصلي ، فقيل [ له ] : ما يمنعك ؟ قال : قد اسودَّ ما بيني وبينه من الكتائب . قال ابن عباس : والله لو تحرَّك لأخذته الملائكة والناسُ ينظرون إليه .

وقال ابن جرير (٢) : حدَّثنا ابن عبد الأعلى ، حدَّثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يُعَفِّرُ محمدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم ! قال فقال : واللَّاتِ والعزَّى ، لئن رأيته يصلي كذلك لأطأَنَّ على رقبته ، ولأعفرنَّ وجهه بالتراب . فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته . قال : فما فجعهمُ منه إلا وهو ينكصُ على عقبيه ، ويتقي يديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ قال : إنَّ بيني وبينه خندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال وأنزل الله تعالى - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا - ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ إلى آخر السورة .

وقد رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم والبيهقي (٣) من حديث معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي به .

وقال الإمام أحمد (٤) : حدَّثنا وهب بن جرير ، حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله قال : ما رأيْتُ رسولَ الله ﷺ دعا على قريش ، غيرَ يومٍ واحد ، فإنه كان يصلي ورهطٌ من قريش جلوس ، وسلاً جزورٍ قريبٌ منه . فقالوا : من يأخذ هذا السَّلا فيلقيه على ظهره ؟ فقال عقبة بن أبي مُعيط : أنا ، فأخذه فألقاه على ظهره ، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ عليك بهذا (٥) الملائم من قريش ، اللهمَّ عليك بعقبة بن ربيعة ، اللهمَّ عليك بشيبة بن ربيعة ، اللهمَّ عليك بأبي جهل بن هشام ، اللهمَّ عليك بعقبة بن أبي مُعيط ، اللهمَّ عليك بأبي بن خلف - أو أمية بن خلف - « شعبة الشاكِّ قال عبد الله : فلقد رأيتهُم قُتلوا يوم بدرٍ جميعاً ، ثم سُحبوا إلى القليب غيرَ أبي - أو أمية بن خلف - فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطع .

وقد رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه ، ومسلم من طرق عن أبي إسحاق به (٦) .

والصواب أمية بن خلف ، فإنه الذي قُتل يوم بدر ، وأخوه أبي إنما قُتل يوم أحد كما سيأتي بيانه

(١) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٢) هو ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥٦/١٥) .

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٧٠/٢) وصحيح مسلم (٢٧٩٧) (٣٨) صفات المنافقين وأحكامهم والنسائي في التفسير من سننه الكبرى (١١٦٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (١٨٨/٢ ، ١٨٩) .

(٤) في مسنده (٤١٧/١) .

(٥) ليست اللفظة في مسند أحمد .

(٦) صحيح البخاري في الطهارة (٢٤٠) ، وفي الصلاة (٥٢٠) وفي الجهاد (٢٩٣٤) ، وفي الجزية (٣١٨٥) وفي مبعث النبي ﷺ (٣٨٥٤) ، وفي المغازي (٣٩٦٠) ، ومسلم في الجهاد (١٧٩٤) (١٠٧) و(١٠٨) و(١٠٩) و(١١٠) .

- والسلي هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة . وفي بعض ألفاظ الصحيح أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل بعضهم يميل على بعض ، أي يميل هذا على هذا من شدة الضحك لعنهم الله . وفيه أن فاطمة لما ألقته عنه أقبلت عليهم فسبّتهم ، وأنه ﷺ لما فرغ من صلاته رفع يديه يدعو عليهم ، فلما رأوا ذلك سكن عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، وأنه ﷺ دعا على الملائكة منهم جملة ، وعين في دعائه سبعة . وقع في أكثر الروايات تسمية ستة منهم : وهم عتبة ، وأخوه شيبه ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبو جهل بن هشام ، وعقبة بن أبي معيط ، وأمّية بن خلف .

قال أبو إسحاق<sup>(١)</sup> : ونسيْتُ السابع .

قلتُ : وهو عمارة بن الوليد وقع تسميته في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup>

### قصة الإراشي<sup>(٣)</sup>

قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> حدثنا عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي . قال : قدم رجل من إراش بإبل له إلى مكة ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش من رجل يُعديني على أبي الحكم بن هشام ، فإنني غريبٌ وابنٌ سبيل ، وقد غلبني على حقّي ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك [ الرجل ] - وهم يهوونَ به<sup>(٥)</sup> إلى رسول الله لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه ، فهو يعديك عليه . فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجلٍ ممن معهم : اتبعه فانظر ما يصنع ؟ فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال : « محمد ، فاخرج » فخرج إليه وما في وجهه قطرة دم ، وقد انتقع لونه . فقال : « أعط هذا الرجل حقّه » . قال : لا تبرح حتى أعطيه الذي له . قال : فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ . وقال للإراشي : « الحق لشأنك » . فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً ، فقد أخذت<sup>(٦)</sup> الذي لي .

(١) في ح ، ط : ابن إسحاق . وهو تصحيف ، والصواب من صحيح مسلم في الحديث المشار إليه في الحاشية السابقة رقمه ١٠٩ .

(٢) فتح الباري (٥٢٠) الصلاة باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى .

(٣) « الإراشي » : نسبة إلى إراش ، بالكسر والشين المعجمة ، موضع حكاه ياقوت في معجم البلدان (١/١٣٤) . وإراش أيضاً : هو ابن لحيان بن الغوث ، وقيل : هو ابن عمرو بن الغوث ، وهو والد أنمار ، أبو بجيلة من خثعم . انظر التاج (أرش) وإراشة أيضاً من بني وائل بن قاسط . انظر الاشتقاق ص ٣٣٥ .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٩٣/٢) عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به .

(٥) في ح ، ط : يهزون به إلى رسول الله . والمثبت من دلائل النبوة للبيهقي وما بين معقوفين منه .

(٦) كذا في ط وفي ح والدلائل : أخذ من غير تاء .



وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه فقال : « أعط هذا الرجل حقه » . فقال : نعم ! لا تبرح حتى أخرج إليه حقه ، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه . ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له : ويلك مالك ؛ فوالله ما رأينا مثل ما صنعت ؟ فقال : ويحكم ، والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعتُ صوته فملتُ رُعباً ، ثم خرجتُ إليه وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته ، ولا قصّرتَه ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فوالله لو أبيت لأكلني .

## فصل

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حدّثنا عياش بن الوليد ، حدّثنا الوليد بن مسلم ، حدّثنا الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم التيمي ، حدّثني عروة بن الزبير [ قال ] : سألتُ ابن [ عمرو ] العاص فقلت : أخبرني بأشدّ شيء صنعه المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة ، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعيط ، فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : ﴿ أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [ غافر : ٢٨ ] الآية .

تابعه ابنُ إسحاق قال : أخبرني يحيى بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو . وقال عبدة عن هشام عن أبيه قال : قيل لعمر بن العاص . وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة : حدّثني عمرو بن العاص .

قال البيهقي<sup>(٢)</sup> : وكذلك رواه سليمان بن بلال عن هشام بن عروة كما رواه عبدة .

انفرد به البخاري ، وقد رواه في أماكن من صحيحه<sup>(٣)</sup> ، وصرّح في بعضها بعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو أشبه ، لرواية عروة عنه ، وكونه عن عمرو أشبه لتقدّم هذه القصة .

وقد روى البيهقي<sup>(٤)</sup> ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس عن محمد بن إسحاق : حدّثني يحيى بن عروة ، عن أبيه عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :

(١) في صحيحه ، فتح الباري (٣٨٥٦) مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في الدلائل (٢/ ٢٧٦) بعد سياق حديث البخاري .

(٣) فتح الباري (٣٦٧٨) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ، وفي مبعث النبي ﷺ (٣٨٥٦) و(٤٨١٥) التفسير سورة المؤمن ٤٠ .

(٤) في الدلائل (٢/ ٢٧٥) وأخرجه ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة النبوية (١/ ٢٨٩) به .

ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سقاه أحلامنا وشم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، وصرنا منه على أمر عظيم - أو كما قال - قال : فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى ، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتُها في وجهه ، فمضى ، فمرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فقال : « أسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح » . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنا على رأسه طائر وقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه<sup>(٢)</sup> حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم راشداً ، فما كنت بجهول .

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : « نعم ، أنا الذي أقول ذلك » ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه ، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول : ويلكم ﴿ أَنْقُتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّكَ اللَّهُ ﴾ [غافر : ٢٨] ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط .

## فصل

في تأليب الملاء من قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ، واجتماعهم بعنه أبي طالب القائم في منعه ونصرته ، وحرصهم عليه أن يسلمه إليهم ، فأبى عليهم ذلك بحول الله وقوته .

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون<sup>(٤)</sup> من بين يوم وليلة ، وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يُورِي إبط بلال » .

وأخرجه الترمذي وابن ماجه<sup>(٥)</sup> من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(١) ليست اللفظة في ح ولا في الدلائل ، وهي في سيرة ابن هشام .

(٢) « يرفؤه » : أي يسكنه ويرفق به ويدعوله . النهاية واللسان ( ارفأ ) وفيهما : إن أشدهم فيه وضاعة ؟ .

(٣) في مسنده (١٢٠/٣) .

(٤) في المسند : ثلاثة .

(٥) جامع الترمذي (٢٤٧٢) صفة القيامة باب ٣٤ وسنن ابن ماجه (١٥١) المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ، فضائل سلمان وأبي ذر والمقداد . ولفظ الأخير « ولقد أتت علي ثلاثة » .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : وَحَدِّبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبُو طَابٍ وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، مَظْهَرًا لَدِينِهِ لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ . فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُعْتَبِرُهُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ ، مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَيْبِ آلِهِتِهِمْ ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا<sup>(٢)</sup> طَالِبٍ قَدْ حَدِّبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُونَهُ ، فَلَمْ يُسَلِّمُهُ لَهُمْ ، مَشَى رَجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، عَتَبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رِبْعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ ، وَأَبُو سَفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ - وَاسْمُهُ الْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، وَأَبُو جَهْلٍ - وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ وَنُبَيْهِ وَمُنْبَتِهِ ابْنَا الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ سَعْدٍ<sup>(٣)</sup> بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرُو بْنِ هُضَيْصٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ سَهْمٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٤)</sup> : أَوْ مِنْ مَشَى مِنْهُمْ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَهُتَنَا ، وَعَابَ دِينَنَا وَسَقَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا ، فِيمَا أَنْ تَكْفَهُ عَنَا وَإِمَا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَتُكْفِيكَهُ ؟ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا ، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرِي<sup>(٥)</sup> الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ وَتَضَاعَفُوا . وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشُ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهَا فَتَذَامَرُوا<sup>(٦)</sup> فِيهِ ، وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى . فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ ، إِنَّ لَكَ سَنًا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا ، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَا ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتَمِ آبَائِنَا ، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا ، وَعَيْبِ آلَهُتِنَا ، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَا أَوْ نَنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ - أَوْ كَمَا قَالُوا - ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ ، فَعَظَّمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ ، وَلَمْ يَطْبُ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا خِذْلَانِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٧)</sup> : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةُ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاؤُونِي فَقَالُوا كَذَا وَكَذَا الَّذِي قَالُوا لَهُ ، فَأَبَقَ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَحْمَلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ . قَالَ : فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ

- (١) سيرة ابن هشام (١/٢٦٤) والروض (٢/٤) .
- (٢) في ح ، ط : أَبُو طَالِبٍ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ .
- (٣) في ح ، ط : سَعِيدٌ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَجَمْعُهُ الْأَنْسَابُ لِابْنِ حَزْمٍ (ص ١٦٤) .
- (٤) سيرة ابن إسحاق (ص ١٤٨) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٥) والروض (٢/٤) .
- (٥) في ح ، ط : سَرَى بِالْسِينِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَالرُّوْضِ وَالنِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (شَرِي) وَفِيهِ : عَظُمَ وَتَفَاقَمَ وَلَجُّوا فِيهِ . وَجَاءَ فِي الرُّوْضِ (٢/٩) فَشَرِي الْأَمْرَ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيِ انْتَشَرَ الشَّرُّ .
- (٦) في ح : فَتَوَامَرُوا ، وَتَذَامَرُوا : تَحَاضُّوا . وَالْقَوْمُ يَتَذَامَرُونَ ، أَيِ يَحْضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الْجَدِّ . اللَّسَانُ (ذَمْرٌ) .
- (٧) سيرة ابن إسحاق (ص ١٥٤) وسيرة ابن هشام (١/٢٦٦) والروض (٢/٥) .

قد بَدَأَ لَعْمَهُ فِيهِ بَدْوٌ<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نَصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا عَمُّ وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي<sup>(٢)</sup> عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ » قَالَ : ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَكَى ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ . فَقَالَ : أَقْبِلْ يَا بَنَ أَخِي ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : اذْهَبْ يَا بَنَ أَخِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمْتُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٣)</sup> : ثُمَّ إِنَّ قَرِيشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خِذْلَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِسْلَامَهُ وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعِدَاوَتِهِ ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ فَقَالُوا لَهُ - فِيمَا بَلَغَنِي - : يَا أَبَا طَالِبٍ ، هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنَهَذَا<sup>(٤)</sup> فَتَى فِي قَرِيشٍ وَأَجْمَلُهُ ، فَخُذْهُ فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ ، وَأَسْلِمَ إِلَيْنَا ابْنُ أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا فَنَقْتَلُهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ ! قَالَ : وَاللَّهِ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي ؟ أَتَعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ ، وَأَعْطِيَكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا . قَالَ فَقَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ قُصَيٍّ : وَاللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ وَجَهَدُوا عَلَى التَّخَلُّصِ مِمَّا تَكْرَهُ ، فَمَا أَرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا ؟ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِلْمُطْعِمِ : وَاللَّهِ مَا أَنْصَفُونِي ، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خِذْلَانِي وَمُظَاهَرَةَ الْقَوْمِ عَلَيَّ ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ - أَوْ كَمَا قَالَ - فَحَقَّبَ الْأَمْرَ<sup>(٥)</sup> ، وَحَمَيْتَ الْحَرْبَ ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ ، وَبَادَى<sup>(٦)</sup> بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَعْرِضُ بِالْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَيَعْمُ مَنْ خَذَلَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ وَمَنْ عَادَاهُ مِنْ قِبَائِلِ قَرِيشٍ ، وَيَذْكُرُ مَا سَأَلُوهُ وَمَا تَبَاعَدَ مِنْ أَمْرِهِمْ<sup>(٧)</sup> : [ مِنَ الطَّوِيلِ ]

- (١) كَذَا فِي ح ، ط وَفِي مَصَادِرِ الْخَبَرِ « بَدَاءٌ » يُقَالُ : بَدَأَ لَهُ فِي الْأَمْرِ ، بَدَوُا وَبَدَأَ وَبَدَاءٌ : أَيِ تَغَيَّرَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ ، أَيِ ظَهَرَ لَهُ رَأْيِي . انْظُرِ اللَّسَانَ (بَدُو) وَالرُّوْضَ (٨/٢) .
- (٢) قَالَ السَّهْلِيُّ فِي الرُّوْضِ (٨/٢) : خَصَّ الشَّمْسُ بِالْيَمِينِ لِأَنَّهَا الْآيَةُ الْمُبْصِرَةُ وَخَصَّ الْقَمَرُ بِالشَّمَالِ لِأَنَّهَا الْآيَةُ الْمَمْحُوءَةُ ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَقْتَتِلَانِ ، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَجُومٌ . فَقَالَ عُمَرُ : مَعَ أَيُّهُمَا كُنْتَ ؟ فَقَالَ : مَعَ الْقَمَرِ . قَالَ : كُنْتَ مَعَ الْآيَةِ الْمَمْحُوءَةِ ، اذْهَبْ فَلَا تَعْمَلْ لِي عَمَلًا . وَكَانَ عَامِلًا لَهُ فَعَزَلَهُ ، فَقَتَلَ الرَّجُلَ فِي صَفَيْنِ مَعَ مَعَاوِيَةَ وَاسْمُهُ حَابِسُ بْنُ سَعْدٍ . وَخَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّيْرِينَ حِينَ ضَرَبَ الْمَثَلَ بِهِمَا ، لِأَنَّ نَوْرَهُمَا مُحَسُّوسٌ وَالنُّورُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - وَهُوَ الَّذِي أَرَادُوهُ عَلَى تَرْكِهِ - هُوَ لَا مُحَالَةَ أَشْرَفَ مِنَ النُّورِ الْمَخْلُوقِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ ﴾ فَاقْتَضَتْ بَلَاغَةُ النَّبِوَةِ لِمَا أَرَادُوهُ عَلَى تَرْكِ النُّورِ الْأَعْلَى أَنْ يَقَابِلَهُ بِالنُّورِ الْأَدْنَى ، وَأَنْ يَخْصَّ أَعْلَى النَّيْرِينَ ، وَهِيَ الْآيَةُ الْمُبْصِرَةُ بِأَشْرَفِ الْيَدَيْنِ ، وَهِيَ الْيَمِينُ ، بِبَلَاغَةِ لَا مِثْلَهَا ، وَحِكْمَةِ لَا يَجْهَلُ اللَّيِّيبُ فَضْلَهَا . اهـ .
- (٣) سِيرَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ (ص ١٥٢) وَسِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (٢٦٦/١) وَالرُّوْضَ (٥/٢) .
- (٤) فِي ح : أَبْهَى . وَمَعْنَى أَنْهَدَ ، أَيِ : أَقْوَى وَأَجْلَدُ . الرُّوْضَ (٨/٢) .
- (٥) « حَقَّبَ الْأَمْرَ » : يَرِيدُ اشْتَدَّ . الرُّوْضَ (٩/٢) .
- (٦) فِي ح ، ط : نَادَى بِالنُّونِ ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ مَصَادِرِ الْخَبَرِ .
- (٧) الْقَصِيدَةُ فِي دِيْوَانِ شَيْخِ الْأَبَاطِحِ (ص ٢١ - ٢٣) عَلَى خِلَافٍ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهَا وَأَيَّاتِهَا وَمُطْلَعِهَا :

أَلَا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ  
 مِنَ الْخُورِ حَبَابٌ كَثِيرٌ رُغَاوَةٌ  
 تَخْلَفَ خَلْفَ الْوَرْدِ لَيْسَ بِلَا حَقٍ  
 أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأُمَّنَا  
 بَلَى لَهُمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَجَرَّجَمَا  
 أَخَصُّ خُصُوصاً عَبْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلًا  
 هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِي أَخَوَيْهِمَا  
 هُمَا أَشْرَكَا فِي الْمَجْدِ مَنْ لَا أَبَالَهُ  
 وَتَيْمٌ وَمَخْزُومٌ وَزُهْرَةٌ مِنْهُمْ  
 فَوَاللَّهِ لَا تَنْفُكُ مِنَّا عَدَاوَةٌ  
 أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنَ حَيَاتِكُمْ بَكْرٌ<sup>(١)</sup>  
 يُرْسُ عَلَى السَّاقِينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرٌ<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءُ قِيلَ لَهُ وَبِرٌ<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ  
 كَمَا جَرَجْتُ مِنْ رَأْسِ ذِي عَلَقٍ الصَّخْرُ<sup>(٤)</sup>  
 هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا نُبَذَ الْجَمْرُ<sup>(٥)</sup>  
 فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكْفُهُمَا صِفْرٌ<sup>(٦)</sup>  
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرْسَ لَهُ ذِكْرٌ<sup>(٧)</sup>  
 وَكَانُوا لَنَا مَوْلَى إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ<sup>(٨)</sup>  
 وَلَا مِنْهُمْ مَا قَامَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرٌ<sup>(٩)</sup>

قال ابن هشام<sup>(٩)</sup> : وتركنا منها بيتين أقذع فيهما .

أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ حَيَاةِ نَصْرِكُمْ      بَأَنْ لَيْسَ لِي نَفْعٌ لَدَيْكُمْ وَلَا ضَرْ  
 وَسَارَ بِرْمَلِي فَاطَرَ النَّابِ جَاشِمٍ      ضَعِيفَ الْقَصِيرَى لَا كَبِيرَ وَلَا بَكْرٍ

وقال في شرحه : جاشم : متكاره على السير ، والقصيرى : أضعف الأضلاع .

(١) قال السهيلي في الروض (١٠/٢) : أي : إن بكراً من الإبل أنفع لي منكم ، فليته لي بدلاً من حياطتكم كما قال طرفه في عمرو بن هند : [من الوافر]

فليت لنا مكان الملك عمرو      رغوئاً حول قَبْتِنَا تَخُور

(٢) « الخور » : الضعاف : والحجاب بالحاء : الصغير . وفي حاشية كتاب الشيخ أبي بحر : جيباب بالجيم ، وفسره فقال : هو الكثير الهدر . الروض (١٠/٢) .

(٣) أي يشبه الوبر لصغره ؛ والوبر : دويبة على قدر السنور . ويحتمل أن يكون أراد أن يصغر في العين لعلو المكان وبعده . الروض (١٠/٢) والنهاية (وبر) .

(٤) رواية السهيلي في الروض : كما جرجمت من راس ذي علقٍ صخر وقال : وترك صرف علقٍ إما لأنه جعله اسم بقعة ، وإما لأنه اسم علم ، وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر . . . ثم قال : ولو روي : من رأس ذي علق الصخر . بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لكان حسناً . الروض (١٠/٢ ، ١١) وقوله : جرجمت أي : سقط وتهدم . ورواية الديوان : ترجما . . . كما رجمت . وقال : الترجم القول بالظن .

(٥) في ح : الخمر .

(٦) أغمز في الرجل إغمازاً : استضعفه وعابه وصغّر شأنه اللسان ( غمز ) .

(٧) أي إلا أن يذكر ذكراً خفياً ، من رسّ له الخبر : ذكره له . اللسان ( رسس ) .

(٨) في ط : ولا منكم ما دام من نسلنا شفر . والمثبت من ح . وشفر : أحد . يقال : ما بالدار شفر وشفر : أي أحد . اللسان شفر .

(٩) ليست اللفظة في ح .

## فصل

## في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم إنَّ قريشاً تذاَمروا<sup>(٢)</sup> بينهم على مَنْ في القبائل من منهم<sup>(٣)</sup> أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كلُّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسول الله ﷺ بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه - إلا ما كان من أبي لهب عدو الله - فقال<sup>(٤)</sup> في ذلك يمدحهم ويحرّضهم على ما وافقوه عليه من الحذب والنُّصرة لرسول الله ﷺ : [ من الطويل ]

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لِمَفْخَرٍ	فعبُدْ منافٍ سرّها وصَمِيمُهَا
وإنَّ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عِبْدٍ مَنَافِهَا	ففي هاشمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيمُهَا
وإنَّ فَخَرَتْ يوماً فَإِنَّ مُحَمَّدًا	هو المصطفى من سرّها وكرِيمِهَا
تَدَاعَتْ قَرِيشٌ غُثًّا وَسَمِينُهَا	علينا فلم تظفر وطاشت حُلُومُهَا <sup>(٥)</sup>
وكنّا قديمًا لا نُقَرُّ ظِلَامَةً	إذا ما ثَنَوْا صُغَرَ الرِّقَابِ نُقِيمُهَا
ونحْمِي جِماها كلَّ يوم كَرِيهَةٍ	ونضربُ عن أحجارِها مَنْ يرومُهَا <sup>(٦)</sup>
بنا انتعش العُودُ الذَّوَاءُ وإنما	بأكنافنا تَنْدَى وتَنْمِي أرومُهَا

## فصل

فيما اعترض به المشركون على رسول الله ﷺ ، وما تعتوا له في أسئلتهم إياه أنواعاً من الآيات وخزق العادات على وجه العناد ، لا على سبيل<sup>(٧)</sup> الهدى والرشاد . فلهذا لم يُجابوا إلى كثير مما طلبوا ، ولا ما إليه رغبوا ، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمرؤوا في طغيانهم يعمهون ، ولظّلوا

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٦٨) .

(٢) في الأصل ح : توامروا ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

(٣) سقطت اللفظة من ط .

(٤) أي أبو طالب .

(٥) هذه رواية ط وسيرة ابن هشام للبيت ، أما رواية ح فهكذا :

تداعت علينا غثها وسمينها فلم يظفروا شيئاً وطاشت حلومها

(٦) قال السهيلي في الروض (١١/٢) : ونضرب عن أحجارها من يرومها ، أي ندفع عن حصونها ومعاقلها ، وإن كانت

الرواية : أحجارها ، بتقديم الجيم فهو جمع جحر ، والجحر هنا مستعار ، وإنما يريد عن بيوتها ومساكنها .

(٧) في ط : على وجه طلب الهدى . . .

في غيِّهم وضلالهم يتردُّون . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٨﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٠٩﴾ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ ] (١) وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٠﴾ [ الأنعام : ١٠٩ - ١١١ ] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ] [ يونس : ٩٦ - ٩٧ ] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ] (٢) . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٨﴾ ] أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٩﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿١٠٠﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِنَازًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا ۚ ] (٣) بَشَرًا رَسُولًا ﴿ [ الإسراء : ٩٠ - ٩٣ ] . وقد تكلمنا على هذه الآيات وما يشابهها في أماكنها في التفسير والله الحمد .

وقد روى يونس وزياد عن ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> عن بعض أهل العلم - وهو شيخ من أهل مصر يقال له : محمد بن أبي محمد - عن سعيد بن جبير ، وعكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع عليه<sup>(٥)</sup> من أشرف قريش - وعدد أسماءهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصّموه حتى تُعذِّروا فيه . فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنه قد بدا لهم في أمره بداء<sup>(٦)</sup> ، وكان حريصاً يحبُّ رُشدَهم ويعزُّزُ عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد ، إنّا قد بعثنا إليك لنعذر فيك ، وإنّا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسقّفت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرّقت الجماعة ، وما بقي من قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك ؛ فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد ملئاً ملئناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك [ بما يأتيك ]<sup>(٧)</sup> ريتاً تراه قد غلب عليك - وكان يسمُّون التابع من الجن الرئي - فربما كان ذلك ؛ بذلنا أموالنا في طلب الطبِّ حتى نُبرِّئك منه أو نُعذِّر فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلبُ

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ح وأثبت محله : « إلى قوله » .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح وأثبت محله لفظ : الآية وهي الآية ٥٩ من سورة الإسراء .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من ح وأثبت محله : « إلى قوله » .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص ١٩٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٢٩٥) والروض (٢/ ٣٦) .

(٥) في ح : جماعة .

(٦) مضى شرح معناه ص ٢٥٤ ح ١ .

(٧) ليس ما بين معقوفين في ح ولا سيرة ابن هشام ولا الروض ، وهو في سيرة ابن إسحاق .

أموالكم ، ولا الشَّرَفَ فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربِّي ونصحتُ لكم ، فإنَّ تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم من<sup>(١)</sup> الدنيا والآخرة ، وإنَّ تردُّوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » - أو كما قال رسول الله ﷺ - فقالوا : يا محمد ، فإنَّ كنتَ غيرَ قابلٍ مِنَّا ما عَرَضْنَا عليك فقد علمتَ أنَّه ليس أحدٌ من الناس أضيَّقُ بلاداً ، ولا أقلُّ مالاً<sup>(٢)</sup> ، ولا أشدَّ عيشاً مِنَّا . فسَلْ لنا ربَّكَ الذي بعثك بما بعثك به ، فليُسيِّرَ عَنَّا هذه الجبالَ التي قد ضيَّقت علينا ، وليُيسِّطْ لنا بلادنا ، وليجر<sup>(٣)</sup> فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعثْ لنا مَنْ مَضَى من آبائنا ، وليكنْ فيمن<sup>(٤)</sup> يبعث لنا منهم قصيُّ بن كلاب ، فإنَّه كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عمَّا تقول أحقُّ هو أم باطل ؟ فإنَّ فعلت ما سألناك وصدَّقوك صدَّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم رسولُ الله ﷺ : « ما بهذا بُعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلتُ به إليكم ، فإنَّ تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإنَّ تردُّوا عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فإنَّ لم تفعل لنا هذا فخذْ لنفسك فسَلْ ربَّكَ أن يبعث لنا ملكاً يصدِّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وتسأله فيجعل لنا<sup>(٥)</sup> جَنَاناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويُغنيك عمَّا نراك تبتغي ، فإنَّكَ تقومُ في الأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلَ منزلتك من ربِّكَ إنَّ كنتَ رسولاً كما تزعم . فقال لهم : « ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسألُ ربَّه هذا ، وما بُعثتُ إليكم بهذا ، ولكنَّ الله بعثني بشيراً ونذيراً ، فإنَّ تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة . وإنَّ تردُّوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فأسقطِ السماء كما زعمت أنَّ ربَّكَ إن شاء فعل ، فإنَّا لن نُؤمن لك إلا أن تفعل . فقال : « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا : يا محمد ، ما علم ربُّكَ أنَّنا سنجلسُ معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدَّم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نُؤمنُ بالرحمن أبداً ؛ فقد أعذَرنا إليك يا محمد ، أما والله لا نتركُك وما فعلت بنا حتى نهلكَ أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهم<sup>(٦)</sup> بناتُ الله ، وقال قائلهم : لن نُؤمن لك حتى تأتينا بالله<sup>(٧)</sup> والملائكة قبيلاً .

(١) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض : في .

(٢) في سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض : ماء . وهو أشبه بالصواب .

(٣) في سيرة ابن هشام والروض : وليفجِّر .

(٤) في ح ، ط : فيما . والمثبت من سيرة وابن إسحاق وسيرة ابن هشام والروض .

(٥) في سيرة ابن هشام والروض : لك .

(٦) في ط وسيرة ابن هشام والروض : وهي وفي سيرة ابن إسحاق : وهن والمثبت من ح .

(٧) في ح : حتى يأتينا الله .



فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابنُ عمته عاتكة بنت عبد المطلب - فقال : يا محمد عَرَضَ عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله . ثم سألك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب . فوالله لا أومن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى منه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ؛ وإيم الله ، لو فعلت ذلك لظننتُ أنني لا أصدقك . ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفاً لما فاتهُ بما طمع فيه من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من مبادئهم إياه .

وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلسُ ظلم وعُدوانٍ وعناد ، ولهذا اقتضتِ الحكمة الإلهية ، والرحمة الربانية ، ألا يجابوا إلى ما سألوا ، لأنَّ<sup>(١)</sup> الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم بالعذاب ؛ كما قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا عثمان بن محمد ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : سأل أهل مكة رسولَ الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن يُنَحِّيَ عنهم الجبال فيزدرعوا ، ف قيل له : إن شئت أن تستأني بهم ، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا ، فإن كفروا هلكوا كما هلك من قبلهم من القرون . فقال<sup>(٣)</sup> : « لا ، بل أستأني بهم » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ [وَأَيْنَا تُؤْمِدُ الْفَاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا]<sup>(٤)</sup> الآية .

وهكذا رواه النسائي<sup>(٥)</sup> من حديث جرير .

وقال أحمد<sup>(٦)</sup> : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل ، عن عمران بن حَكَم<sup>(٧)</sup> ، عن ابن عباس قال : قالت قريشُ للنبي ﷺ : ادْعُ لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال :

(١) في ح : سأله لأنه ، والمثبت من ط .

(٢) في مسنده (٢٥٨/١) .

(٣) في ط : من قبلهم الأمم قال ، والمثبت من ح .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح ، والآية هي رقم (٥٩) من سورة الإسراء .

(٥) في التفسير (٣١٠) وهو في سننه الكبرى (١١٢٩٠) .

(٦) في مسنده (٢٤٢/١) .

(٧) في ح ، ط : حكيم ، والمثبت من مسند أحمد ؛ قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد (٢٦/٤) ما نصه : هكذا هو في الأصلين ، والظاهر أن أصل الرواية : عن عمران أبي الحكم . فأخطأ أحد الرواة فقال : عن عمران بن الحكم ، وليس في الرواة الذين رأينا تراجمهم من يسمّى عمران بن الحكم . والصواب عمران بن الحارث أبو الحكم .

« وتفعلون »<sup>(١)</sup> قالوا : نعم . قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السلام ويقول لك : إِنَّ شئتَ أصبح الصِّفا لهم ذهباً . فَمَنْ كفر منهم بعد ذلك أعذَّبُهُ عذاباً لا أعذَّبُهُ أحدٌ من العالمين ، وإن شئتَ فتحتُ لهم باب الرحمة والتوبة ، قال : « بل باب التوبة والرحمة » .

وهذان إسنادان جيِّدان ، وقد جاء مرسلًا عن جماعةٍ من التابعين ، منهم سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغير واحد .

وروى الإمام أحمد والترمذي<sup>(٢)</sup> ، من حديث عبد الله بن المبارك حدَّثنا يحيى بن أيُّوب ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن زُحْر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن<sup>(٣)</sup> أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال : « عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِي بِطَحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فقلت : لا يارب ، [ ولكن ] أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فإذا جعتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وإذا شبعْتُ حَمِدْتُكَ وشكرتك » لفظ أحمد . وقال الترمذي : هذا حديثٌ حسن ، وعليُّ بن يزيد يُضَعِّفُ في الحديث .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدَّثني شيخٌ من أهل مصر - قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة - عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثت قريشُ النَّضْرَ بن الحارث وعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلوهم عن محمد وصفوا<sup>(٥)</sup> لهم صفته وأخبروهم<sup>(٥)</sup> بقوله ، فإنَّهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم علمٌ ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجوا حتى قَدِمَا المدينة ، فسألا أحبارَ يهود عن رسولِ الله ﷺ ووصفوا<sup>(٦)</sup> لهم أمره وبعضَ قوله ، وقالوا : إنَّكم أهلُ التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهم أحبارُ يهود : سلوه عن ثلاثٍ نأمُرُكم بهنَّ ، فإنَّ أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ مرسلٌ ، وإنَّ لم يفعلْ فالرجل متقولٌ ، فرؤوا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا في الدَّهْرِ الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنَّه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ ؛ وسلوه عن رجل طَوَّافٍ بلغ<sup>(٦)</sup> مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان [ نَبُوهُ ]<sup>(٧)</sup> ؛ وسلوه عن الروح ما هو<sup>(٨)</sup> ؟ فإنَّ أخبركم بذلك فهو نبيٌّ فاتَّبِعُوهُ ، وإنَّ لم يخبركم فإنَّه رجلٌ متقولٌ ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم .

(١) في ح ، ط : وتفعلوا ، والمثبت من مسند أحمد .

(٢) مسند أحمد (٢٥٤/٥) وجامع الترمذي (٢٣٤٧م) الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه وفي إسناده ضعف .

(٣) في ح : القاسم بن أبي أسامة . والمثبت من مسند أحمد والترمذي ، وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٤) في سيرة ابن إسحاق (ص ٢٠١) وسيرة ابن هشام (١/٣٠٠) والروض (٢/٣٩) .

(٥) في ط وسيرة ابن هشام والروض : وصفا . . . وأخبراهم ، والمثبت من ح وسيرة ابن إسحاق .

(٦) في ط : طاف ، والمثبت من ح .

(٧) ما بين معقوفين من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام .

(٨) في ط وسيرة ابن هشام والروض : ما هي ، والمثبت من ح والسير والمغازي . والروح : مذكر وقد يؤنث . اللسان (روح) .

فأقبل النَّصْرَ وَعُقْبَةَ حَتَّى قَدَمَا عَلَى قَرِيشٍ فَقَالَا : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلٍ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، قَدْ أَمَرْنَا أَحْبَابُ يَهُودٍ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ أُمُورٍ فَأَخْبَرُوهُمْ بِهَا ، فَجَاؤُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنَا فَسَأَلُوهُ عَمَّا أَمَرُوهُمْ بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ » ، وَلَمْ يَسْتَنْ . فَانصَرَفُوا عَنْهُ ، وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَخِيًا ، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ ، حَتَّى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا : وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا فِيهَا لَا يَخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكْثُ الْوَحْيِ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسُورَةِ الْكَهْفِ ، فِيهَا مَعَابِتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ ، وَخَبَرٌ<sup>(١)</sup> مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ ، مِنْ أَمْرِ الْفَتْيَةِ وَالرَّجُلِ الطَّوَّافِ ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد تكلمنا على ذلك كله في التفسير مطولاً ، فمن أَرَادَهُ فَعَلِيهِ بِكَشْفِهِ مِنْ هُنَاكَ .

وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩] ثُمَّ شَرَعَ فِي تَفْصِيلِ أَمْرِهِمْ وَاعْتَرَضَ فِي الْوَسْطِ بِتَعْلِيمِهِ الْإِسْتِثْنَاءَ<sup>(٢)</sup> تَحْقِيقًا لَا تَعْلِيقًا فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادَّكَّرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف : ٢٣-٢٤] ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ مُوسَى لِتَعْلُقِهَا بِقِصَّةِ الْخَضِرِ ، ثُمَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] ثُمَّ شَرَحَ أَمْرَهُ وَحَكَى خَبْرَهُ .

وَقَالَ فِي سُورَةِ سُبْحَانَ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] أَيْ : خَلَقَ عَجِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِهِ ، قَالَ لَهَا : كُونِي فَكَانَتْ . وَلَيْسَ لَكُمْ الْإِطْلَاعُ عَلَى كُلِّ مَا خَلَقَهُ ، وَتَفْسِيرُ كَيْفِيَّتِهِ<sup>(٣)</sup> ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ يَصْغُبُ عَلَيْكُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٤)</sup> أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ - فِيمَا أَنهَا نَزَلَتْ مَرَّةً ثَانِيَةً ، أَوْ ذَكَرَهَا جَوَابًا<sup>(٥)</sup> - وَإِنْ كَانَ نَزُولُهَا مُتَقَدِّمًا ، وَمِنْ قَالَ : إِنَّهَا إِنَّمَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَاسْتِثْنَاهَا مِنْ سُورَةِ سُبْحَانَ ، فَفِي قَوْلِهِ نَظَرٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٦)</sup> : وَلَمَّا خَشِيَ أَبُو طَالِبٍ دَهْمَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوهُ مَعَ قَوْمِهِ قَالَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي تَعَوَّذَ فِيهَا

(١) فِي ط : فَأَخْبَرَاهُمْ . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ ح وَسِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

(٢) فِي ح : الْأَنْبِيَاءُ ، تَصْحِيفٌ .

(٣) فِي ط : وَتَصْوِيرُ حَقِيقَتِهِ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ ح .

(٤) فَتْحُ الْبَارِي (٤٧٢١) التفسير [ سورة : ١٧ ] بَابُ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (٢٧٩٤) (٣٢) صِفَاتُ

الْمَنَافِقِينَ بَابُ سَوَالِ الْيَهُودِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ .

(٥) فِي ح : أَوْ ذَكَرْنَا جَوَابَهَا .

(٦) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (٢٧٢/١) وَالرُّوضُ (١٣/٢) وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (ص ١٥٦) سَبْعَةُ الْأَبْيَاتِ الْأُولَى مِنَ الْقَصِيدَةِ . =

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهمُ  
وقد صارَ حُونا بالعداوةِ والأذى  
وقد حالفوا قوماً علينا أظنةُ  
صبرتُ لهم نفسي بسمراءِ سَمحةٍ  
وأحضرتُ عند البيتِ رَهْطِي وإخوتي  
قياماً معاً مُستقبِلينَ رِجاجه  
وحيثُ يُنيخُ الأشْعرونَ رِكابهم  
موسمةَ الأَعْضادِ أو قَصَرَاتِهَا  
تري الودعَ فيها والرخامَ وزينةُ  
أعوذُ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ  
ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ  
وثورٍ ومن أرسى ثَبيراً مكانهُ

(١) «المقاول»: الملوك . جمع مقول . اللسان ( قول ) . وأراد بالمقاول آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكاً ، ولا كان فيهم من ملك ، بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذي ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب بن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنتونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بعامين . الروض (٢٢/٢) .

(٢) رواية الشطر الأول في السير والمغازي : عكوفاً معاً مستقبلين وتارة . وفي ح : يستقبلون .

(٣) قال السهيلي في الروض (٢٢/٢) : وقوله : موسمة الأعضاء ، يعني معلمة بسمة في أعضائها ، ويقال لذلك الوسم السطاع والخباط في الفخذ ، والرقمة أيضاً في العضد ، ويقال للوسم في الكشح : الكشاح : ولما في قصرة العنق العلاط . وقصراتها : جمع قصرة ، وهي أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاء . والمخيصة : المذلة التي لم تسرح ، ولكنها خُيِّست للنحر أو القسم . والسديس من الإبل : ما دخل في السنة الثامنة . والبازل : الذي خرج نابه وذلك في السنة التاسعة . الروض (٢٢/٢) واللسان ( خيس ، سدس ، بزل ) ولفظ ح : محبسة .

(٤) «الودع» : بالسكون والفتح : خرزات تنظم ويتحلّى بها النساء والصبيان . والرخام : أي ما قطع من الرخام ، فنظم ، وهو حجر أبيض ناصح . والعثاكل : أراد العثاكيل ، فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاض : وفيها العصافر ، أراد : العصافير . الروض (٢٢/٢) .

(٥) هكذا في ح ، ط وسيرة ابن هشام والروض : ولعل الصواب : ملجٌ بالجميم .

(٦) في ح : لنا بمعشة . ما لم يجادل .

(٧) قال السهيلي في الروض (٢٤/٢) : وأصح الروایتين فيه : وراق لبرّ في حراء ونازل . قال البرقي : هكذا رواه ابن إسحاق وغيره وهو الصواب .

وبالبيتِ حقَّ البيت من بطن مكة  
وبالحجرِ المسودَّ إذ يمسحونه  
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبةً  
وأشواط بين المروتين إلى الصفا  
ومن حجَّ بيتَ الله من كلِّ راكبٍ  
وبالمشعرِ الأقصى إذا عمدوا له  
وتوقفهم فوقَ الجبالِ عشيةً  
وليلةً جمعٍ والمنازلِ من منى  
وجمعٍ إذا ما المقربات أجزنه  
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها  
وكندةً إذ هم بالحصابِ عشيةً  
حليفان شداً عقداً ما احتلفا له  
وحطيمهم سمر الصفاح وسرحه

وبالله إنَّ الله ليس بغافلٍ  
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل<sup>(١)</sup>  
على قدميه حافياً غير ناعلٍ<sup>(٢)</sup>  
وما فيهما من صورةٍ وتمائلٍ<sup>(٣)</sup>  
ومن كلِّ ذي نذرٍ ومن كلِّ راجلٍ  
إلالاً إلى مُفضى الشراجِ القوابلِ<sup>(٤)</sup>  
يقيمون بالأيدي صدورَ الرواحلِ  
وهل فوقها من حُرمةٍ ومنازلٍ  
سراعاً كما يخرجن من وقعِ وابلٍ<sup>(٥)</sup>  
يؤثون قذفاً رأسها بالجنادلِ  
تُجيزُ بهم حجَّاجُ بكرِ بن وائلٍ<sup>(٦)</sup>  
وردّاً عليه عاطفاتِ الوسائلِ  
وشبرقه وخدَ النعامِ الجوافلِ<sup>(٧)</sup>

- (١) رواية الروض : وبالحجر الأسود . دلَّ عليه قوله : وقوله : وبالحجر الأسود ، فيه زحاف يسمى الكف ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك . اهـ . أما روايته في المتن فقد جاءت المسود . وقوله : إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل : جمع أصيلة ، والأصل جمع أصيل . ورواية ح : إذا كشفوه .
- (٢) وقوله : وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة ، يعني موضع قدميه حين غسلت كتفه (زوج ابنه) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غيره من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقي الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ يَتَنَبَّهُ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي : منها مقام إبراهيم ، ومن جعل مقاماً بدلاً من آيات قال : المقام جمع مقامة ، وقيل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه . الروض (٢/٢٥) .
- (٣) بين المروتين : كنحو ما تقدم في بطن المكتين لما ورد مثني من أسماء المواضع ، وهو واحد في الحقيقة . وتمائل : أراد تماثيل ، كمفاتيح ومفاتيح . الروض (٢/٢٥) .
- (٤) «المشعر الأقصى» : عَرَفة ، وإلال ككتاب وسحاب : جبل عرفة ، وسمي إلالاً لأن الحجيج إذا رأوه أُلوا في السير ، أي اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف . والشراج : جمع شرج ؛ وهو مسيل الماء ، والقوابل : المتقابلة . الروض (٢/٢٥ ، ٢٦) وروايته إلالاً . معجم البلدان (١/٢٤٢ ، ٢٤٣) .
- (٥) ليس هذا البيت في ح .
- (٦) «الحصاب» : موضع رمي الجمار بمنى . معجم البلدان (٢/٢٦٢) .
- (٧) «الصفاح» : جمع صفح ؛ وهو سطح الجبل . والسمر : يجوز أن يكون أراد به السمر يقال فيه : سمر وسمر بضم الميم وسكونها ، ويجوز نقل ضمة الميم إلى ما قبلها إلى السين ، غير أن هذا النقل إنما يقع غالباً فيما يراد به المدح =

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ  
يطاع بنا العدى وودوا لو أننا  
كذبتهم وبيت الله نترك مكة  
كذبتهم وبيت الله نبزى محمداً  
ونسلمه حتى نصرع حوله  
وينهض قوم بالحديد إليكم  
وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه  
وإننا لعمر الله إن جد ما أرى  
بكفى فتى مثل الشهاب سميذع  
شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً  
وما ترك قوم - لا أبا لك - سيّداً  
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  
وهل من مُعِيذٍ يتقي الله عادلاً<sup>(١)</sup>  
تسُدُّ بنا أبوابُ تركٍ وكابِل<sup>(٢)</sup>  
ونظعنُ إلا أمرُكم في بلابل<sup>(٣)</sup>  
ولمّا نطاعن دونه ونناضل<sup>(٤)</sup>  
ونذهل عن أنبائنا والحلائل  
نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل<sup>(٥)</sup>  
من الطعن فعل الأنكب المتحامل<sup>(٦)</sup>  
لتلتسن أسافنا بالأمائل  
أخي ثقة حامي الحقيقة باسل  
علينا وتأتي حجة بعد قابل<sup>(٧)</sup>  
يحوط الذمار غير ذرب مواصل<sup>(٨)</sup>  
ثمّال اليتامى عضة للأرامل<sup>(٩)</sup>

- = أو الذم ، نحو حسن وقبح . كما قال : « وحسن ذا أدبا » . وجائز أن يراد بالسمر هاهنا جمع أسمر وسمرء ويكون وصفاً للبنات ، والشجر يوصف بالدهمة إذا كان مخضراً . والسرح : جمع سرحة ، وهي الشجرة العظيمة . وقوله : وشبرقه ؛ وهو نبات يقال لياسه : الحلة ، ولرطبه الشبرق . والوخد : السير السريع . والجوافل : الذاهبة المسرعة . الروض (٢٦/٢) واللسان (وخد ، جفل ، سرح) .
- (١) في ح : وهل من مقيل .
- (٢) في ط : يطاع بنا أمر العدا ودأنا ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .
- (٣) « البلابل والبلبال » : شدة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس . اللسن (بلل) .
- (٤) في ح : نقاتل ، بدل : نطاعن . وقد تقدم شرح البيت .
- (٥) في ح : ونهض قوماً . الروايا : هي الإبل تحمل الماء ، واحدها : راوية . والصلاصل : المزايدات لها صلصلة بالماء . الروض (٢٦/٢) .
- (٦) ركب فلان ردعه : إذا خرّ لوجهه على دمه ، وطعنه فركب ردعه ، أي مقاديمه وعلى ما سال من دمه ، وقيل : ركب ردعه ، أي خرّ ضريعاً لوجهه على دمه وعلى رأسه وإن لم يمت بعد ، غير أنه كلما همّ بالنهوض ركب مقاديمه فخر لوجهه . والأنكب : من المنكب ، وهو الميل في الشيء وعن الحق ، وهي صفة المتطاول الجائر قال رجل من فقهاء : فهلا أعدوني لمثلي تفاقدوا إذا الخصم أبزى مائل الرأي أنكب اللسان (ردع ، نكب) .
- (٧) في ح ، ط : محرماً بالحاء المهملة ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، والسنة المجرمة : التامة التي انقضت . اللسان (جرم) .
- (٨) في ح : يحوط الذمار من غير ثوب ثواكل ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض (٢٦/٢) وجاء فيه : وهو مخفف من ذرب ، والذرب اللسان : الفاحش المنطق ، والمواكل : الذي لا جدّ عنده فهو يكل أموره إلى غيره .
- (٩) « ثمال اليتامى » : أي : يشملهم ويقوم بهم ، والثمال : هو الغياث والملجأ والمطعم في الشدائد . الروض (٢٦/١) =

يلوذُ به الهلاكُ من آلِ هاشمٍ      فهمُ عندهُ في نعمةٍ وفواضلٍ<sup>(١)</sup>  
لعمري لقد أجزى أسيدٌ وبكرُهُ      إلى بُغضنا وجزّاناً لآكلٍ<sup>(٢)</sup>  
وعثمانُ لم يَزبِغْ علينا وقُفُذُ      ولكنْ أطاعا أمرَ تلك القبائلِ  
أطاعاً أبياً وابنَ عبدٍ يَغوثُهُم      ولم يرقباً فينا مقالةً قائلِ  
كما قد لقينا من سُبيحٍ ونوفلٍ      وكلُّ تولّى مُعرضاً لم يجامِلِ  
فإنْ يُلقِيا أو يُمكنَ اللهُ منهما      نَكِلُ لهما صاعاً بصاعِ المكايلِ  
وذاك أبو عمرو أبى غيرَ بُغضنا      ليُظعننا في أهلٍ شاءَ وجامِلٍ<sup>(٣)</sup>  
يناجي بنا في كلِّ مُمَسى ومُصبحٍ      فجاجِ أبا عمرو بنائِم خاتِلِ  
ويؤلي لنا باللهِ ما إنْ يغشّنا      بلى قد نراهُ جهرةً غيرَ حائلٍ<sup>(٤)</sup>  
أضاقَ عليه بغضنا كلَّ تلعةٍ      من الأرضِ بينَ أخشبٍ فمجادِلٍ<sup>(٥)</sup>  
وسائلُ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتنا      بسعيك فينا مُعرضاً كالمخاتِلِ<sup>(٦)</sup>  
وكنْتَ امرأً مَمَّنْ يُعاشُ برأيهِ      ورحمتهِ فينا ولستَ بجاهلِ  
فعتبةٌ لا تسمعُ بنا قولَ كاشحٍ      حسودِ كذوبٍ مبغضٍ ذي دَعَاوِلٍ<sup>(٧)</sup>  
ومرَّ أبو سفيانَ عنيّ مُعرضاً      كما مرَّ قَيْلٌ من عظامِ المَقاولِ  
يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدٍ مياهِهِ      ويزعمُ أني لستُ عنكم بغافلٍ<sup>(٨)</sup>

= واللسان ( ثمل ) .

- (١) في ح وسيرة ابن هشام : فهم عنده في رحمة . والمثبت من ح .  
(٢) أسيد هو ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وبكره : هو عتاب ابنه كما في سيرة ابن هشام (٢٨٢/١) .  
(٣) « الشاء والشوى » : اسم للجمع مثل الباقر والبقيّر ، ولا واحد لشاء والشوى من لفظه ، وإذا قالوا في الواحد : شاة ، فليس من هذا ، لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير : شويهة ، وفي الجمع شياه . والجامل : اسم جمع بمنزلة الباقر . الروض (٢٦/٢) .  
(٤) في ط : خائل بالخاء المعجمة ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، والحائل : الحاجز بين الشيئين .  
(٥) في ح : حرشب . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام ، وقوله : أخشب : أراد الأخاشب ، وهي جبال مكة ، وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك ؛ والمجادل : جمع مجدل ، وهو القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق ؛ والفاء في قوله : فمجادل . تعطي الاتصال بخلاف الواو . . . تقول : مطرنا بين مكة فالمدينة ، إذا اتصل المطر من هذه إلى هذه ؛ ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى . الروض (٢٦/٢ ، ٢٧) .  
(٦) في ح : بسعيك في تفريقنا كالمخاتل ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .  
(٧) « الدعاول » : الدواهي : لا واحد لها ، والغوائل أيضاً . تاج العروس ( غول ) .  
(٨) في ح : يحن إلى نجد .

ويخبرنا فعل المناصح أنه  
أُطْعِمُ لم أأخذك في يوم نجدة  
ولا يوم خصم إذ أتوك ألدّة  
أُطْعِمُ إنَّ القومَ ساموكَ خطّة  
جزى الله عنا عبدَ شمسٍ ونوفلاً  
بميزانٍ قسطٍ لا يُخسُّ شعيرة  
لقد سفهت أحلامُ قومٍ تبدّلوا  
ونحن الصّميمُ من ذؤابةِ هاشمٍ  
وسهمٍ ومخزومٍ تمالّوا وألبوا  
فبعدُ منافٍ أنتم خيرُ قومٍكم  
لعمري لقد وهنتُم وعجزتُم  
وكنتم حديثاً حطبٍ قدّر وأنتم  
ليهن بني عبدِ المنافِ عقوقنا

شفيقٌ ويخفي عارماتِ الدواخلِ<sup>(١)</sup>  
ولا مُعْظِمٌ عندَ الأمورِ الجلائلِ  
أولي جدلٍ بينَ الخصومِ المَساجِلِ<sup>(٢)</sup>  
وإنّي متى أوكّلُ فلستُ بوائِلِ<sup>(٣)</sup>  
عقوبةٌ شرّاً عاجلاً غيرَ آجلِ  
له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائلِ<sup>(٤)</sup>  
بني خَلَفٍ قيضاً بنا والغياطلِ<sup>(٥)</sup>  
وآلُ قُصَيٍّ في الخطوبِ الأوائلِ  
علينا العدى من كل طِمْلٍ وخاملِ<sup>(٦)</sup>  
فلا تُشركوا في أمركم كلًّ واغِلِ  
وجئتم بأمرٍ مخطيءٍ للمفاصلِ<sup>(٧)</sup>  
ألا ن حطابٌ أقدرٌ ومَراجِلِ<sup>(٨)</sup>  
وخذلاننا وتركنا في المعائلِ

- (١) « العارمات » : الشديداً . الدواخل : جمع داخل ، وهي النية والطوية والمذهب . اللسان والتاج ( عرم ، دخل ) .
- (٢) في ح : أشدّة بدل ألدّة . وفي ط : من الخصوم . وكذا في سيرة ابن هشام ، والمثبت من ح . والمساجل : يروى بالجيم وبالحاء ، فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول ، وأصله في استقاء الماء بالسجل وصبه ، فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل ، أو جمع مسجل بكسر الميم ، وهو من نعت الخصوم ، ومن رواه المساحل بالحاء فهو جمع مسحل ، وهو اللسان ، وليس بصفة للخصوم ، إنما هو مخفوض بالإضافة ؛ أي خصماء الألسنة . الروض (٢٧/٢) .
- (٣) « ساموك » : كلّفوك . البائل : الناجي . اللسان ( سوم ، وآل ) .
- (٤) « لا يخسُّ » : لا ينقص . ورواية ط : لا يخس ، ويروى في غير السيرة : يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر : إذا أذهب ، والعائل من قولهم : عال في الميزان : إذا نقص أو زاد . اللسان والتاج ( خسس ، عول ) والروض (٢٧/٢) .
- (٥) « قيضاً » : أي معاوضة : ومنه قول النبي ﷺ لذي الجوشن : « إن شئت قايضتك به المختار من دروع بدر » فقال : ما كنت لأقيضه اليوم بشيء ، يعني فرساً له . والغياطل : بنو سهم ، لأن أهمهم الغيطة . الروض (٢٧/٢) .
- (٦) « الطمّل » : اللص والرجل الفاحش والفقير . الروض (٢٧/٢) .
- (٧) في ح : أدهتم ، بدل : وهتم .
- (٨) في ط : آلان أحطاب ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ؛ قال السهيلي في الروض (٢٦/٢) : وقوله : وكنتم زماناً حطب قدر : حطب اسم للجمع من ركب وليس بجمع ، لأنك تقول في تصغيره : حطيب وركيب . وقوله : حطاب أقدر هو جمع حاطب فلا يصغر ، إلا أن تردّه إلى الواحد فتقول : حويطبون ، ومعنى البيت : أي كنتم متفقين لا تحطبون إلا لقدر واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك . اهـ .



فإن نك قوماً نَبَثَرُ ما صنعْتُمْ  
[ وسائطُ كانت في لؤيِّ بن غالبٍ  
ورهُطُ نُفيلٍ شُرٌّ من وطىء الحَصَى  
فأبلغُ قُصَيًّا أن سينشُرُ أمرُنا  
ولو طرقتُ ليلاً قُصَيًّا عَظيمةً  
ولو صدَقوا ضرباً خِلال ديارِهِم  
فكلُّ صديقٍ وابنِ أُختٍ نوْدُهُ  
سوى أن رَهْطاً من كلابِ بنِ مَرَّة  
[ وهُنَّا لَهُم حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُم  
وكان لنا حوضُ السَّقايةِ فيهِم  
شبابٌ من المَطيَّيينِ وهاشمٌ  
فما أدركوا ذَخْلاً ولا سَفْكَوا دَماً  
بضربِ ترى الفتيانَ فيه كأنهم  
بنِي أمةٍ محبوبَةٍ هَندِ كَيَّة  
ولكُنَّا نَسْلُ كَرامٌ لِسادةِ  
ونِعم ابنُ أُختِ القومِ غيرِ مَكْذَبٍ  
أشْمٌ من الشُّمِّ البهاليلِ يَنْتَمي  
لعمري لقد كُلفْتُ وَجْداً بأحمدٍ  
فمن مثله في الناسِ أيُّ مُؤَمِّلٍ

وتحتلبوها لَقْحَةً غيرَ باهلي<sup>(١)</sup>  
نفاهم إلينا كلُّ صَقَرٍ حُلَاحِلٍ  
والأُم حافٍ من معدٍّ وناعِلٍ<sup>(٢)</sup>  
وبشَّرَ قُصَيًّا بعدنا بالتخاذلِ  
إذا ما لجأنا دونهم في المداخلِ  
لكنَّا أَسَى عندَ النِّساءِ والمطافلِ<sup>(٣)</sup>  
لعمري وجدنا غَيِّبُهُ غيرَ طائلِ<sup>(٤)</sup>  
براءً إلينا من مَعَقَّةٍ خاذلِ<sup>(٥)</sup>  
ويُخَسِّرُ عَنَّا كلُّ باغٍ وجاهلٍ  
ونحنُ الكُدَى من غالبٍ والكواهلِ  
كَيِّضُ السِّيوفِ بين أيدي الصياقلِ  
ولا حالفوا إلا شِرَارَ القبائلِ  
ضواري أسودٍ فوقَ لحمِ خراذلِ  
بنِي جُمَحٍ عُبيدِ قيسِ بنِ عاقلِ  
بِهِم نُعيَ الأَقوامُ عندَ البواطِلِ [   
زهيرٌ حَساماً مفرداً من حمائلِ  
إلى حَسَبٍ في حَوْمَةِ المجدِ فاضلِ  
وإخوته دَأَبُ المَحَبِّ المُواصلِ<sup>(٦)</sup>  
إذا قاسَهُ الحُكَّامُ عندَ التفاضلِ

- (١) في ط وسيرة ابن هشام : نَبَثَرُ ، والمثبت من ح وأثبتها الناسخ في هامشها وكتب فوقها كلمة : صح ، ومعنى نَبَثَرُ : من ابتأر الشيء إذا خبأه وأدَّخره . اللسان ( بآر ) وقال صاحب الروض ( ٢٧ / ٢ ) : وقوله لقحة غير باهل : الباهل : الناقة التي لا صرار على أخلافها ، فهي مباحة الحليب .
- (٢) ما بين معقوفين ساقط من نسخ البداية والنهاية ، وبعض نسخ سيرة ابن هشام ، وهو مثبت في بعضها فأثبتته هنا ناشر المطبوعة نقلاً عن سيرة ابن هشام فتبعناه في ذلك .
- (٣) في ط وسيرة ابن هشام : خلال بيوتهم ... النساء المطافل ، والمثبت من ح ، والأسى : جمع أسوى . والمطافل : ذوات الأطفال ، واحداها مطفل . اللسان ( أسو ، طفل ) .
- (٤) في ط وسيرة ابن هشام : وابن أخت نَعْدُهُ ... وجدنا غَيِّبُهُ .
- (٥) « برا » : بفتح الباء وكسرهما ، فبالكسر جمع بري مثل كريم وكرام ، وأما بَرَاء فمصدر مثل سلام . الروض ( ٢٨ / ٢ ) .
- (٦) بعد هذا البيت في سيرة ابن هشام بيت آخر هو :

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل

حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائسٍ      يوالي إلهاً ليس عنه بغافل  
كريمٌ المساعي ماجدٌ وابنٌ ماجدٍ      له إرثٌ مجدٌ ثابتٌ غيرٌ ناصِلٍ<sup>(١)</sup>  
وأيُّدُهُ ربُّ العبادِ بنصره      وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ زائلٍ  
فواللهِ لولا أن أجىءَ بسبِّةٍ      تجرُّ على أشياخنا في المحافلِ  
لكنَّا تبعناه على كلِّ حالةٍ      من الدهرِ جدّاً غيرِ قولِ التهازلِ  
لقد علِّموا أنَّ ابننا لا مكذبٌ      لدينا ولا يُعنى بقولِ الأباطلِ  
فأصبحَ فينا أحمدٌ في أرومةٍ      تُقَصِّرُ عنها سورةُ المتطاولِ<sup>(٢)</sup>  
حدِّثُ بنفسِي دونَهُ وحميتُهُ      ودافعتُ عنه بالذِّرا والكلالِ<sup>(٣)</sup>

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : هذا ما صحَّ لي من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر يُنكر أكثرها .

قلت : هذه قصيدة عظيمةٌ بليغةٌ جدّاً لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع ، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها ، وقد أوردها الأموي في مغازيه مطوّلة بزياداتٍ أُخرَ . والله أعلم .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ثم إنهم عدّوا على من أسلم وأتبع رسولَ الله ﷺ من أصحابه فوثبت كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم<sup>(٦)</sup> بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتدَّ الحرُّ ؛ مَنْ استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم مَنْ يُفتن من شدّة البلاء الذي يُصيبهم ، ومنهم مَنْ يَصْلُبُ لهم ويعصمه الله منهم ؛ فكان بلال مولى أبي بكرٍ لبعض بني جُمَح ، مولداً من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، واسمُ أمِّه حَمَامَة ، وكان صادقَ الإسلام طاهرَ القلب ، وكان أُمِيَّة بن خلف يُخرِجُه إذا حميت الظّهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ ، وتعبد اللات والعزرى . فيقول : - وهو في ذلك - أحدٌ أحد .

(١) هذا البيت والذي يليه ليسا في سيرة ابن هشام ، وفيها تقديم وتأخير في بعض الأبيات . وناصل : لا يزول .

(٢) « السّورة » : الوثبة والرفعة في المجد والمنزلة . اللسان والأساس ( سور ) .

(٣) زاد ابن هشام بعدها هذين البيتين :

رجال كرام غير ميلٍ نماهمُ      إلى الخير آباءٌ كرام المحاصل  
فإن تك كعب من لؤي صقيبة      فلا بد يوماً مرة من تزايل

(٤) في السيرة (٢/ ٨٠) .

(٥) سيرة ابن إسحاق (ص ١٩٠) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٧) والروض (٢/ ٦٧) .

(٦) ما بعد هذه اللفظة ساقط من سيرة ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرُّ به وهو يعذب لذلك وهو يقول : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فيقول [ ورقة : ]<sup>(٢)</sup> أَحَدٌ أَحَدٌ والله يا بلال ، ثم يُقْبِلُ على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جُمح فيقول : أحلفُ بالله ، لئن قتلتموه على هذا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا<sup>(٣)</sup> .

قلت : قد استشكل بعضهم هذا من جهة أنَّ ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي ، وإسلام مَنْ أسلم إنما كان بعد نزول ﴿يَأْتِيهَا الْمَدَرُّ﴾ فكيف يمرُّ ورقة ببلال ، وهو يعذب ؟ [ وفيه نظر .

ثم ذكر ابنُ إسحاق<sup>(٤)</sup> مرور أبي بكرٍ ببلال وهو يعذب [٥] ، فاشتراه من أمية بعبءٍ له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب . وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والإماء ، منهم بلال ، وعامر بن فهيرة ، وأم عُبَيْس<sup>(٦)</sup> ، [ وزنيرة ]<sup>(٧)</sup> التي أُصيب بصرُّها ، ثم رده الله تعالى لها ، والنهدية وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنانٍ لها فسمعها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر : جَلًّا<sup>(٨)</sup> يا أمَّ فلان ، فقالت : حلَّ أنت ، أفسدتهما فأعتقتهما . قال : فيكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما وهما حُرَّتَانِ ، أزجعا إليها طحينها . قالتا : أو نفرغُ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها ؟ قال : أو ذلك إن شئتما .

واشترى جارية بني مؤمل - حي من بني عدي - كان عمر يضربها على الإسلام .

قال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن

(١) سيرة ابن إسحاق (ص ١٩٠) وسيرة ابن هشام (٣١٨/١) والروض (٦٧/٢) .

(٢) ما بين معقوفين من سيرة ابن إسحاق .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٤٥٢/١) : « الحنان » : الرحمة والعطف ، والحنان الرزق والبركة . وكان ورقة على دين عيسى عليه السلام . وهلك قبيل مبعث النبي ﷺ ؛ لأنه قال للنبي ﷺ : إن يدركني يومك لأنصرك نصرًا مؤزرًا . وفي هذا نظر ، فإن بلالًا ما عذب إلا بعد أن أسلم . اهـ .

(٤) سيرة ابن إسحاق (ص ١٩١) وسيرة ابن هشام (٣١٨/١) والروض (٦٨/٢) .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح ولعله سقط من انتقال النظر بين كلمة : يعذب الأولى والثانية .

(٦) في ح ، ط والروض : عميس . تصحيف ، والمثبت من السير والمغازي وسيرة ابن هشام والإصابة في ترجمتها في الكنى .

(٧) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط وأثبتته من مصادر الخبر . قال السهيلي في الروض (٧٨/٢) : وأول اسمها زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على وزن فَعِيلَة ، هكذا صَحَّت الرواية في الكتابة ، والزنيرة : واحدة الزنانير ، وهي الحصا الصغار ، قاله أبو عبيدة ، وبعضهم يقول فيها : زنيرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ، ولا تعرف زنيرة في النساء . اهـ .

(٨) في ح ، ط وسيرة ابن هشام : حل وفي السير والمغازي : أجل ، والمثبت من الروض . قال ابن الأثير في النهاية (حلل) : وفي حديث أبي بكر أنه قال لامرأة حلفت أن لا تتعق مولاة لها ، فقال لها : جَلًّا أمَّ فلان ، واشترها وأعتقها . أي تحللي من يمينك ، وهو منصوب على المصدر .

(٩) في السير والمغازي (ص ١٩١ ، ١٩٢) وسيرة ابن هشام (٣١٩/٢) والروض (٦٨/٢) .

بعض أهله ، قال : قال أبو قحافة لابنه أبي بكر : يا بني إني أراك تُعْتَقُ ضعافاً ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جُلُداً ، يمنعونك ويقومون دونك ؟ قال : فقال أبو بكر : يا أبة ، إني إنما أريد ما أريد . قال : فيتحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَالتَّقَى ﴾ ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ﴿ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [ الليل : ٥ - ٧ ] إلى آخر السورة .

وقد تقدّم ما رواه الإمام أحمد وابن ماجه<sup>(١)</sup> من حديث عاصم بن بهدلة ، عن زرّ ، عن ابن مسعود قال : أول من أظهر الإسلام سبعة ، رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأُمّه سُمَيّة ، وصُهيّب ، وبلال ، والمِقْدَاد ؛ فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه ، و[ أما ] أبو بكر منعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فلبسوهم أدرأع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى ، وهان على قومه ، فأخذوه ، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شِعَابِ مكة وهو يقول : أحدٌ أحدٌ .

ورواه الثوري عن منصور عن مجاهد مرسلًا .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمُرُّ بهم رسول الله ﷺ فيقول - فيما بلغني - : « صبراً آل ياسر ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ » .

وقد روى البيهقي<sup>(٣)</sup> عن الحاكم ، عن إبراهيم بن عِصْمَةَ العدل ، حدثنا السريُّ بن خزيمة ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا هشام بن أبي عبد الله<sup>(٤)</sup> ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ مرَّ بعمارٍ وأهله وهم يُعَذَّبُونَ فقال : « أبشروا آلَ عمار وآلَ ياسر<sup>(٥)</sup> ، فإنَّ مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ » .

فأما أمّه فيقتلونها فتأبى إلا الإسلام<sup>(٦)</sup> .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال : أول شهيدٍ كان في

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٢٦) موضع الحاشية (٧ و ٨) وما يأتي بين معقوفين من ثم ، وعاصم بن بهدلة هو ابن أبي النجود .

(٢) في المغازي والسير وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٩ ، ٣٢٠) والروض (٢/ ٦٨) .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٢٨٢) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ٣٨٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٩٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة .

(٤) في ح ، ط : هشام بن أبي عبيد الله ، والمثبت من دلائل النبوة ومستدرک الحاكم وترجمته في تهذيب الكمال (٣٠/ ٢١٥) .

(٥) في دلائل النبوة : أو آل ياسر .

(٦) كذا وردت هذه العبارة في ح ، ط ، وليس في دلائل البيهقي .

(٧) كذا في الأصول ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨٢) عن الحسين بن بشران قال : أخبرنا أبو عمرو بن السماك =

الإسلام استشهد أمّ عَمَّارُ سُمَيَّةَ ، طعنها أبو جهل بحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا<sup>(١)</sup> وهذا مرسل .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان أبو جهل الفاسق الذي يُغري بهم في رجالٍ من قريش ، إذا سمع برجل قد أسلم له شرفٌ وَمَنَعَةٌ أَنَّهُ<sup>(٣)</sup> وَخَزَاهُ وقال : تركت دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لنسفهنَّ جِلْمَكَ ، وَلَنُفَيْلَنَّ<sup>(٤)</sup> رأيك ، ولنضعنَّ شرفك . وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدنَّ تجارتك ، ولنهلكنَّ مالك . وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به ، لعنه الله وقبَّحه .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحَدَّثني حكيم بن جُبَيْر ، عن سعيد بن جُبَيْر قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحابِ رسولِ الله ﷺ من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ! إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضَّرِّ الذي به ، حتى يُعطيهم ما سألوه من الفِتْنَةِ ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهان من دونِ الله ؟ فيقول : نعم ! [ وحتى إنَّ الجُعَلَ ليمُرُّ بهم فيقولون له : أهذا الجُعَلَ إلهك من دونِ الله ؟ فيقول : نعم ] افتدأء منهم بما يبلغون من جهدهم .

قلت : وفي مثل هذا أنزل الله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ﴾ [ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ]<sup>(٦)</sup> الآية ، فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والتعذيب<sup>(٧)</sup> البالغ ، أجارنا الله من ذلك بحوله وقوته .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حَدَّثنا أبو معاوية ، حَدَّثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن خَبَّاب بن

قال : حَدَّثنا حنبل بن إسحاق قال : حَدَّثني أبو عبد الله أحمد بن حنبل ( في المطبوع : أبو عبد الله يزيد بن أحمد ، وهو تحريف ) قال : حَدَّثنا وكيع به فذكره . قلت : لم أجد الخبر في مسند أحمد ولا في فضائل الصحابة له ، وذكره صاحب الكنز (٣٧٥٩٧) ورمز إلى أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه وهو فيه (١٧٦١٩) عن وكيع به ، ولم يرمز صاحب الكنز إلى الإمام أحمد ؛ وساقه ابن حجر في ترجمة سمية في الإصابة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد وقال : وهو مرسل صحيح السند . قال بشار : هذا من حديث ابن السماك ، وهو يروي عن أحمد بواسطة حنبل ، ولا علاقة له بالمسند .

- (١) في ح ، ط : قلبها . والمثبت من دلائل النبوة والاستيعاب .
- (٢) سيرة ابن هشام (٣٢٠ / ١) والروض (٦٨ / ٢) .
- (٣) في ح : أباه . تصحيف ، والمثبت من ط .
- (٤) في ط : ولنفلين . تصحيف ، والمثبت من ح . وهو فَيْلُتُ رأيه ، إذا خَطَّأته وصَحَّفْتُهُ . انظر اللسان والأساس ( فيل ) .

(٥) في المغازي والسير (ص ١٩٢) وسيرة ابن هشام (٣٢٠ / ١) والروض (٦٩ / ٢) وما بين معقوفين في هذا الخبر من هذه المصادر سقط من الأصول بسبب انتقال النظر .

(٦) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من ط حرفت فيه بعض الكلمات والآية هي رقم (١٠٦) من سورة النحل .

(٧) في ط : والعذاب .

(٨) في مسنده (١١١ / ٥) رقم (٢٠٩٦٦) .

الأرت . قال : كنت رجلاً قيناً ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيتُه أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال : فإني إذا متُ ثم بُعثت جئتني ولي ثم مالٌ وولد فأعطيك<sup>(١)</sup> . فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [ مريم : ٧٧ - ٨٠ ] .

أخرجاه في الصحيحين<sup>(٢)</sup> وغيرهما من طرق عن الأعمش به .

وفي لفظ البخاري<sup>(٣)</sup> : كنت قيناً بمكة ، فعملت للعاص بن وائل سيفاً ، فجئت أتقاضاه فذكر الحديث .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا بيان<sup>(٥)</sup> وإسماعيل قالا : سمعنا قيساً يقول : سمعتُ حَبَّاباً يقول : أتيتُ النبي ﷺ وهو متوسدٌ بردة<sup>(٦)</sup> وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : [ يا رسول الله ] ، ألا تدعو الله [ لنا ] ؟ فقعد وهو مُحَمَّرٌ وجهه فقال : « قد كان مَنْ كان قبلكم ليمشطُ بأمشاط الحديد ما دُونَ عظامِهِ من لحمٍ أو عَصَبٍ ، ما يصرفُهُ ذلك عن دينه ، ويوضعُ المنشار<sup>(٧)</sup> على مفرق رأسه فيشقُ باثنين ، ما يصرفُهُ ذلك عن دينه ، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت ما يخافُ إلا الله عزَّ وجلَّ » زاد بيان : « والذئب على غنمه » .

وفي رواية<sup>(٨)</sup> : « ولكنكم تستعجلون » انفرد به البخاري دون مسلم .

وقد روي من وجه آخر عن حَبَّاب ، وهو مختصرٌ من هذا . والله أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٩)</sup> : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، وابن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن

(١) في مسند أحمد : فأعطيتك .

(٢) فتح الباري (٢٠٩١) بيوع باب ذكر القين والحداد ، وصحيح مسلم (٢٧٩٥) (٣٥) و(٣٦) صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح .

(٣) فتح الباري (٤٧٣٣) التفسير سورة ١٩ باب أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً .

(٤) فتح الباري (٣٨٥٢) مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في ح ، ط : بنان . تصحيف ، والمثبت من فتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٣٠٣/٤) وهو بنان بن بشر الأحمسي البجلي ، وإسماعيل هو ابن أبي خالد ، وقيس هو قيس بن أبي حازم كما ذكر ابن حجر في الفتح .

(٦) في ح ، ط : بيردة ، والمثبت من فتح الباري .

(٧) كذا في ح ، ط : وفي البخاري والفتح : بميشار . وقال ابن حجر في الفتح (١٦٦/٧) (الميشار) بكسر الميم وسكون التحتانية بهمز وغير همز ، تقول : وشرت الخشبة وأشرتھا ، ويقال فيه بالنون ، وهي أشهر في الاستعمال .

(٨) فتح الباري (٣٦١٢) مناقب باب علامات النبوة في الإسلام .

(٩) في مسنده (١١٠/٥) رقم (٢٠٩٦١) .

أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، عن خَبَّاب قال : شَكُونَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شِدَّةَ الرَّمْضَاءِ [ فما أَشْكَانَا - يعني في الصلاة - وقال ابنُ جعفر : فلم يُشْكِنَا .

وقال أيضاً<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ وَهْبٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ خَبَّاباً يَقُولُ : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرَّمْضَاءِ [٢] فلم يُشْكِنَا . قال شعبة : يعني في الظُّهْرِ<sup>(٣)</sup> .

ورواه مسلم والنسائي والبيهقي<sup>(٤)</sup> من حديث أبي إسحاق السبيعي ، عن سعيد بن وهب ، عن خَبَّاب قال : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ - زاد البيهقي في وجوهنا وأكفنا - فلم يُشْكِنَا<sup>(٥)</sup> .

وفي رواية<sup>(٦)</sup> : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصلاة في الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنَا .

ورواه ابنُ ماجه<sup>(٧)</sup> عن علي بن محمد الطَّنَافِيسِيِّ ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضَرَّب<sup>(٨)</sup> العَبْدِيِّ ، عن خباب قال : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنَا .

والذي يقع لي - والله أعلم - أَنَّ هذا الحديث مختصرٌ من الأول ، وهو أنهم شَكُوا إِلَيْهِ ﷺ ما يَلْقَوْنَ من المشركين من التعذيب بحرَّ الرَّمْضَاءِ ، وأنهم يسحبونهم على وجوههم فيَتَّقُونَ بِأَكْفِهِمْ ، وغير ذلك من أنواع العذاب كما تقدم عن ابن إسحاق وغيره ، وسألوا منه ﷺ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمَشْرُكِينَ أَوْ يَسْتَنْصِرَ عَلَيْهِمْ ، فوعدهم ذلك ولم ينجزْهُ لَهُمْ في الحالة الرَّاهِنَةِ ، وأخبرهم عَمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ من العذاب ما هو أَشَدُّ مما أَصَابَهُمْ ، ولا يصرفُهم ذلك عن دينهم ، ويبشِّرُهم أَنَّ اللَّهَ سَيَتِمُّ هَذَا الْأَمْرَ وَيُظْهِرُهُ وَيُعْلِنُهُ وَيُنْصِرُهُ فِي الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ ، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عز وجل والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون ، ولهذا قال : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ في وجوهنا وأكفنا فلم يُشْكِنَا ، أي : لم يذُعْ لَنَا فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ . فمن استدلَّ بهذا الحديث على عَدَمِ الإبراد أو على وجوب مباشرة المصلِّي بالكفِّ كما هو أحد قولَي الشافعي ، ففيه نظر . والله أعلم .

(١) يعني الإمام أحمد في مسنده (١٠٨/٥) رقم (٢٠٩٥٠) .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٣) في ط : الظهيرة . والمثبت من ح ومسنَد الإمام أحمد .

(٤) صحيح مسلم (١٨٩ - ٦١٩) مساجد باب استحباب تقديم ظهر في أول الوقت ، وسنن النسائي (٤٩٧) مواقيت باب أول وقت الظهر ، وسنن البيهقي (١٠٥/٢) كتاب الصلاة باب الكشف عن الجبهة في السجود .

(٥) قوله : لم يُشْكِنَا : أي لم يُزَلْ شَكُونَا . شرح صحيح مسلم للنووي (١٢١/٥) .

(٦) وهي رواية مسلم السابقة .

(٧) في سننه (٦٧٥) الصلاة باب وقت صلاة الظهر .

(٨) وقع في سنن ابن ماجه : مضرَّب . براء مشددة مفتوحة ، والصواب براء مشددة مكسورة كما في التقريب (١٤٥/١) وكتب الضبط الأخرى .

## باب

## مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة عناداً وحسداً وبغياً وجحوداً

قال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب السخيتاني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقى له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم ، إن قومك يريدون<sup>(١)</sup> أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبّله ، قال : قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ، ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مُغْدِقُ أسفله ، وإنه ليَعْلُو ولا يُعْلَى ، وإنه ليَحْطُمُ ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : قف عني<sup>(٢)</sup> حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر يَأْثُرُهُ عن غيره . فنزلت : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَيْنَ شُهُودًا ۖ ﴾ [المدثر : ١١-١٣] الآيات .

هكذا رواه البيهقي<sup>(٣)</sup> عن الحاكم ، عن عبد الله بن محمد الصنعاني بمكة ، عن إسحاق به .

وقد رواه حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة مرسلًا . فيه أنه قرأ عليه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقال البيهقي<sup>(٤)</sup> : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار<sup>(٥)</sup> ، عن يونس بن بكير<sup>(٦)</sup> ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبيرة - أو عكرمة عن ابن عباس - أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حَضَرَ المواسم<sup>(٧)</sup> فقال : إن وفود

(١) في دلائل البيهقي (١٩٨/٢) : يرون .

(٢) كذا في ح ، ط ، وفي دلائل النبوة : فدعني ، وهو أشبه بالصواب .

(٣) في دلائل النبوة (١٩٨/٢) .

(٤) في دلائل النبوة (١٩٩/٢) .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « التقریب » : أحمد بن عبد الجبار العطاردي ، ضعيف ، وسماعه للسيرة صحيح .

(٦) قال الحافظ في « التقریب » : صدوق يخطيء .

(٧) في ح : الموسم .



العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا ، فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قول بعضكم بعضاً . فقيل : يا أبا عبد شمس ، فقل ، وأقم لنا رأياً نقوم به . فقال : بل أنتم فقولوا وأنا أسمع . فقالوا : نقول كاهن ؟ فقال ما هو بكاهن ، رأيت الكهَّان ، فما هو بزَمَزَمَة الكهَّان . فقالوا : نقول مجنون ؟ فقال ما هو بمجنون ، ولقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنْقه ولا تخالْجِه ولا وسوسته . فقالوا : نقول شاعر ؟ فقال : ما هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر بِرَجْزِه وهَزْجِه وقَرِيضِه ومَقْبُوضِه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول هو ساحر ؟ قال ما هو بساحر ، قد رأينا السُّحَّار وسِخَرَهُم ، فما هو بنَفْثِه ولا بعَقْدِه . قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وإنَّ أصله لمُغْدَق ، وإنَّ فَرْعَه لجَنِي<sup>(١)</sup> ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرف<sup>(٢)</sup> أنه باطل ؛ وإنَّ أقرب القول لأن تقولوا ساحر ، فتقولوا<sup>(٣)</sup> : هو ساحرٌ يفرِّق بين المرء ودينه ، وبين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وعشيرته . ففترقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لا يمرُّ بهم أحدٌ إلا حذَّروهُ إيَّاه ، وذكروا لهم أمره ، وأنزل الله في الوليد : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَيْنَ شُهُودًا ۖ ﴾ [المدثر : ١١ - ١٣] الآيات . وفي أولئك النفر : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۖ فَوَرَّيكَ لِنَسَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ ﴾ ﴿ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾ [الحجر : ٩١ - ٩٣] . قلت : وفي ذلك قال الله تعالى أخباراً عن جهلهم وقلة عقلهم ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلْ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِتْ بِشَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ۖ ﴾ [الأنبياء : ٥] فحاروا ماذا يقولون فيه ، فكلُّ شيء يقولونه باطل ، لأن مَنْ خرج عن الحق مهما قاله أخطأ .

قال الله تعالى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۖ ﴾ [الإسراء : ٤٨ ، الفرقان : ٩] .

وقال الإمام عبد بن حميد في مسنده<sup>(٤)</sup> : حدثني أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> ، حدثنا علي بن مُسْهِر عن الأجلح - هو ابن عبد الله الكندي - عن الذَّيَّال بن حَزْمَلَة الأسدي ، عن جابر بن عبد الله قال : اجتمع قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسُّخر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي<sup>(٦)</sup> فَرَّقَ جماعتنا وشَتَّت أمرنا ، وعاب ديننا فليُكَلِّمهُ ولينظر ماذا يردُّ عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة .

(١) في ح : وإن لفرعه ، وفي دلائل النبوة : إن فرعه لجناً .

(٢) في ح : أعرف .

(٣) كذا في ح ، ط والدلائل ، ولعل الصواب : فتقولون .

(٤) ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٨٥) وخرجه بقوله : لأبي بكر وأبي يعلى وعبد بن حميد . اهـ ، وفي الطبعة الجديدة بإسناده رقم (٤٢٢٩) . وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرک (٢٥٣/٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وذكره الهيثمي في المجمع ١٩/٦ ، ٢٠ وقال رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقي رجاله ثقات .

(٥) في مصنفه (١٨٤٠٩) كتاب المغازي باب في أذى قريش للنبي ﷺ .

(٦) في ح : الذي قد فرق ، وليست هذه الزيادة في ط ولا في مصنف أبي بكر بن أبي شيبة .

فقالوا : أنت يا أبا الوليد . فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ . فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخل<sup>(١)</sup> قط أشأم على قومه منك ، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ؛ والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبلى<sup>(٢)</sup> أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ؛ أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنما بك الباء<sup>(٣)</sup> فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عَشراً . فقال رسول الله ﷺ : « أفرغت<sup>(٤)</sup> ؟ » قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ حَمْدُ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ أَيْتُهُمْ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى أن بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١-١٣] . فقال عتبة : [حسبك]<sup>(٥)</sup> ما عندك غير هذا ؟ قال : « لا » فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته [به]<sup>(٦)</sup> . قالوا : فهل أجابك ؟ فقال نعم . ثم قال : لا والذي نصّبها بنّة ، ما فهمت شيئاً مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عادٍ و ثمود . قال : ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة .

وقد رواه البيهقي<sup>(٧)</sup> وغيره عن الحاكم وغيره<sup>(٨)</sup> ، عن الأصم ، عن عباس الدوري ، عن يحيى بن معين ، عن محمد بن فضيل ، عن الأجلح به ، وفيه كلام<sup>(٩)</sup> ، وزاد : وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك ، فكنت رأساً ما بقيت .

وعنده أنه لما قال : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١٣] أمسك عتبة

- (١) في النهاية : سخل ، السخل : المولود المحبب إلى أبويه . وهو في الأصل ولد الغنم .
- (٢) كذا في ط ومصنف ابن أبي شيبة وفي ح بإهمال الحروف ، وفي المطالب العالية : صيحة الخيل . وهو أشبه بالصواب .
- (٣) في ح ، ط : الباء ، والمثبت من مصنف ابن أبي شيبة والمطالب .
- (٤) في ح ، ط : فرغت من غير همزة ، والمثبت من مصادر الخبر .
- (٥) الزيادة من المصنف والمطالب .
- (٦) الزيادة من المصنف والمطالب .
- (٧) في دلائل النبوة (٢/٢٠٢-٢٠٤) .
- (٨) ليست اللفظة في ط وأثبتها من ح .
- (٩) يعني الأجلح ، وقد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وابن سعيد والجوزجاني والساجي وابن حبان وابن الجارود ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به . واختلف فيه قول ابن معين بين ثقة وصويلح ، كما بيناه في تحرير التقریب (١/١٠٦) (بشار) .

على فيه وناشدته الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ عنه ؛ ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم . فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ، ما نرى عتبة إلا صَبَأً إلى محمدٍ وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه ، فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئنا<sup>(١)</sup> إلا أنك صَبَوْتَ إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يُغْنِيكَ عن طعام محمد . فغضب وأقسم بالله لا يكلمُ محمداً أبداً . وقال : لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيتُ - وقص عليهم القصة - فأجابني بشيء والله ما هو بسحرٍ ولا بشعر ولا كهانة ، قرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [ فصلت : ١ - ١٣ ] فأمسكتُ بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفتُ أن ينزلَ عليكم العذاب .

ثم قال البيهقي<sup>(٢)</sup> ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس<sup>(٣)</sup> ، عن محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعب قال : حَدَّثْتُ أَنَّ عتبة بن ربيعة - وكان سيداً حليماً - قال ذات يوم وهو جالسٌ في نادي قريش ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ وحده في المسجد : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى هذا [ فأكلمه ] فأعرضَ عليه أموراً لعله يقبلُ بعضها ويكفُّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد ! فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه<sup>(٤)</sup> من المال والمُلْك وغير ذلك<sup>(٥)</sup> ، حتى إذا فرغَ عتبة قال له النبي ﷺ : « أفرغت<sup>(٦)</sup> يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم . قال : « اسمع مني » قال : أفعل . فقال رسولُ الله ﷺ :

- (١) في الدلائل : حسينا وهو أشبه بالصواب .
- (٢) في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤) وما يأتي بين معقوفين منه .
- (٣) هو يونس بن بكير .
- (٤) في ط : على رسول الله ﷺ . بدل عليه ، والمثبت من ح والدلائل .
- (٥) زادت نسخة ط ما سيأتي ، وليست هذه الزيادة في ح ولا في دلائل النبوة للبيهقي ، ويبدو أن هذه الزيادة هي التي اختصرها البيهقي من حديث عتبة ، فأعادها بعض النساخ دون أن ينتبه إلى ذلك ، والزيادة هي قوله : وقال زياد بن إسحاق : فقال عتبة : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرضَ عليه أموراً لعله يقبلُ بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا . . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون . . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه وكلمه . فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا بن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به ألهمهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع مني حتى أعرضَ عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا الوليد اسمع » . قال : يا بن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه . أو كما قال له .
- (٦) في الدلائل : أفرأيت ، ولعله تصحيف .

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١)، حم ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢) كَتَبْتُ فَصَّلْتُ عَيْنَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت : ١ - ٣] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها ، فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه - أو خلف ظهره - معتمداً عليهما يسمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ثم قال : « سمعت يا أبا الوليد ؟ » قال : سمعت . قال : « فأنت وذاك » فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلسوا إليه قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر [ ولا السحر ] ولا الكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تُصِبُّه العرب فقد كُفِيتُموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعِزُّه عِزُّكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم .

ثم ذكر يونس عن ابن إسحاق شعراً قاله أبو طالب يمدح فيه عتبة .

وقال البيهقي<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أخبرنا أبو قتيبة سلمة بن الفضل الأدمي بمكة ، حدثنا أبو أيوب أحمد بن بشر الطيالسي ، حدثنا داود بن عمرو الضبي ، حدثنا المثنى بن زُرْعَة عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما قرأ رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة ﴿حم ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾﴾ أتى أصحابه فقال لهم : يا قوم ، أطيعوني في هذا الأمر اليوم ، واغضوني فيما بعده ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذنائي كلاماً مثله ، وما دريت ما أَرَدُ عليه .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

ثم روى البيهقي<sup>(٢)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس<sup>(٣)</sup> ، عن ابن إسحاق : حدثني الزُّهري قال : حَدَّثْتُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سَفْيَانَ وَالْأَخْنَسَ بْنَ شُرَيْقٍ خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْمَعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَصَلِّي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِساً لِيَسْمَعَ مِنْهُ ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا وَطَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ ، فَتَلَاوَمُوا وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَا تَعُودُوا ، فَلَوْ رَأَيْتُمْ بَعْضُ سَفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئاً .

ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا ، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ .

(١) في دلائل النبوة (٢/٢٠٥) .

(٢) في دلائل النبوة (٢/٢٠٦) .

(٣) هو يونس بن بكير ، وهو أحد رواة سيرة ابن إسحاق .

ثم انصرفوا ، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرّقوا . فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يُرادُ بها . فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثنا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نسمع<sup>(١)</sup> به أبداً ولا نصدقه . فقام عنه الأخنس بن شريق .

ثم قال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس ، حدثنا أحمد ، حدثنا يونس ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن المغيرة بن شعبة قال : إنَّ أوَّلَ يومٍ عرفتُ رسولَ الله ﷺ أنَّي [ كنتُ ] أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل : « يا أبا الحكم ، هلم إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال أبو جهل : يا محمد ، هل أنت مُنتهِ عن سبِّ آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقٌّ لا تبتعتك . فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليّ فقال : والله إنني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن بني قصي<sup>(٣)</sup> قالوا : فينا الحجابة . فقلنا : نعم ؛ ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة . فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء . فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا . حتى إذا تحاكت الركب قالوا : منّا نبي . والله لا أفعل .

وقال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر ، قال<sup>(٥)</sup> : أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا محمد بن خالد ، حدثنا أحمد بن خالد<sup>(٦)</sup> ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق قال : مرَّ النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان ، وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بني عبد شمس .

(١) في الدلائل : لا نؤمن . وهو أشبه بالصواب .

(٢) في دلائل النبوة (٢/٢٠٧) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) في ح : ولكن شيء أن بني قصي . وزادت ط بين معقوفين [ يمنعني ] بعد : ولكن . وما أثبتته من الدلائل .

(٤) في دلائل النبوة (٢/٢٨٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) قوله : وأبو بكر سقط من ط وهو في ح والدلائل وزاد الدلائل « القاضي » .

(٦) في ح ، ط : أحمد بن خلف وهو تحريف ، والمثبت من دلائل البيهقي وترجمة كل من محمد بن خالد بن خليّ الكلاعي وأحمد بن خالد بن موسى الوهبي في تهذيب الكمال (١/٢٩٩) المطبوع أو (٣/١١٩٣) (مصورة المخطوطة) .

قال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منّا نبي ؟ فالنبي يكون فيمن [ هو ] أقلّ منا وأذلّ . فقال أبو جهل : أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً ، ورسول الله ﷺ يسمع . فأتاهما فقال : « أما أنت يا أبا سفيان ، فوالله ورسوله غضبت ، ولكنك حميت للأصل ؛ وأما أنت يا أبا الحكم ، فوالله لتضحكن قليلاً ولتبكين كثيراً » فقال : بشما تعدّني يا ابن أخي من نبوتك .

هذا مرسل من هذا الوجه وفيه غرابة .

وقول أبي جهل - لعنه الله - كما قاله الله تعالى مخبراً عنه وعن أضرابه ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (١) إِنَّكَ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [ الفرقان : ٤١ - ٤٢ ] .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة : ﴿ وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا ﴾ [ الإسراء : ١١٠ ] قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به ، قال : فقال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا ﴾ [ الإسراء : ١١٠ ] عن أصحابك ، فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك ﴿ وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ .

وهكذا رواه صاحبها الصحيح<sup>(٢)</sup> من حديث أبي بشر جعفر بن أبي وحشية به<sup>(٣)</sup> .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن - وهو يصلي - تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه ، وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله بعض ما يتلو ، وهو يصلي ، استرق السمع دونهم فرقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، فإن خفّض رسول الله ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا ﴾ فلا يسمع من أراد أن يسمعها ممن يسترق ذلك ، لعله يزعموي إلى بعض ما يسمع ، فينتفع به ﴿ وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [ الإسراء : ١١٠ ] .

(١) في مسنده (٢١٥/١) .

(٢) البخاري في فتح الباري (٤٧٢٢) التفسير سورة الإسراء باب ﴿ وَلَا تَجْهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا ﴾ ، و (٧٤٩٠) التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ أَنْزَلْنَاهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ﴾ ، ومسلم في صحيحه (٤٤٦) (١٤٥) الصلاة باب التوسط في القراءة في الصلاة .

(٣) في ط : جعفر بن أبي حية . وهو تحريف ، والمثبت من ح وفتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٥/٥) وهو جعفر بن إياس .

(٤) في السير والمغازي (ص ٢٠٦) وسيرة ابن هشام (٢١٤/١) والروض (٤٧/٢) على خلاف في نهاية الخبر .

## باب

## هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ ، من مكة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم من الفتنة

قد تقدم ذكر<sup>(١)</sup> أذية المشركين للمستضعفين من المؤمنين ، وما كانوا يعاملونهم به من الضرب الشديد ، والإهانة البالغة ، وكان الله عز وجل قد حجرهم عن رسوله ﷺ ، ومنعه بعمه أبي طالب ، كما تقدّم تفصيله والله الحمد والمنة .

وروى الواقدي<sup>(٢)</sup> أنّ خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة ، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، وأنهم انتهوا<sup>(٣)</sup> إلى البحر ، ما بين ماشٍ وراكب ، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة<sup>(٤)</sup> ، وهم عثمان بن عفان ، وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وامرأته سهلة بنت سهيل ، والزبير بن العوام ، ومُصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة العنزي ، وامرأته ليلي بنت أبي حثمة ، وأبو سبرة بن أبي رُهم ، وحاطب بن عمرو ، وسهيل بن بيضاء ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن جرير<sup>(٥)</sup> : وقال آخرون : بل كانوا اثنين وثمانين رجلاً ، سوى نسائهم وأبنائهم ؛ وعمار بن ياسر - فشك<sup>(٦)</sup> - فإن كان فيهم فقد كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup> : فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله عز وجل ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء . قال لهم : « لو خرَجْتُمْ إلى أرض الحبشة ، فإن بها مَلِكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) سقطت اللفظة من ح .

(٢) طبقات ابن سعد (١/ ٢٠٤) .

(٣) في ح : أتوا . بدل : انتهوا .

(٤) لفظ الواقدي في الطبقات : ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفيتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار .

(٥) يعني الطبري في تاريخه (٢/ ٣٣٠) .

(٦) عبارة الطبري هكذا : وهو يُشكُّ فيه ، وفي ط : نشك ، والمثبت من ح .

(٧) في السير والمغازي (ص ٢١٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢١) والروض (٢/ ٦٩) .

إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم . فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان ، وزوجته رُقَيَّة بنتُ رسول الله ﷺ .

وكذا روى البيهقي<sup>(١)</sup> من حديث يعقوب بن سفيان ، عن عباس العنبري ، عن بشر بن موسى ، عن الحسن بن زياد البُرْجُمي ، حدثنا قتادة قال : إنَّ أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه ، سمعتُ النَّضْرَ بن أنس يقول : سمعت أبا حمزة - يعني أنس بن مالك - يقول : خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رُقَيَّة بنتُ رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم ، فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد ، قد رأيتُ خَتَنَكَ ومعه امرأته . قال : « على أيِّ حال رأيتهما ؟ » .

قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمارٍ من هذه الدَّبَّابَةِ<sup>(٢)</sup> ، وهو يسوقها . فقال رسول الله ﷺ : « صَحِبَهُمَا الله ، إنَّ عثمانَ أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وأبو حذيفة [ بن عتبة ، وزوجته سَهْلَة بنت سُهَيْل بن عمرو - وولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة ]<sup>(٤)</sup> - والزُّبَيْر بن العَوَّام ، ومُضْعَب بن عُمَيْر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سَلَمَة ابن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة - وولدت له بها زينب - وعثمان بن مَظْعُون ، وعامر بن ربيعة - حليف آل الخطَّاب ، وهو من بني عَنَز بن وائل وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة ، وأبو سَبْرَة ابن أبي رُهم العامري ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو - ويقال : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد وُد بن نَضْر بن مالك بن حِسل بن عامر - وهو أول مَنْ قَدِمَهَا فيما قيل - وسُهَيْل بن بَيْضَاء .

فهؤلاء العشرة أول مَنْ خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس وولدت له بها عبد الله بن جعفر ؛ وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة .

وقد زعم موسى بن عقبة أنَّ الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة كانت حين دخل أبو طالب ومن حالفه مع رسول الله ﷺ إلى الشَّعْب ، وفي هذا نظر . والله أعلم . وزعم أن خروج جعفر بن أبي طالب إنما كان في

(١) في الدلائل (٢/ ٢٩٧) .

(٢) أي الضعاف التي تدب في المشي ولا تسرع . النهاية لابن الأثير (دب) .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٢) والروض (٢/ ٧٠) وهو تنمة الخبر المروي في الصفحة السابقة ، السير والمغازي (ص ٢٢٣) .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٥) سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣) .

(٦) السير والمغازي (ص ٢٢٦) وسيرة ابن هشام - واللفظ له - (١/ ٣٢٣) والروض (٢/ ٧٠) .



الهجرة الثانية إليها . وذلك بعد عَوْدِ بعض من كان خرج أولاً ، حين بلغهم أنَّ المشركين أسلموا وصلَّوا ، فلما قدموا مكة - وكان فيمن قدم عثمان بن مظعون - فلم يجدوا ما أخبروا به من إسلام المشركين صحيحاً ، فرجع من رجع منهم ومكث آخرون بمكة .

وخرج آخرون من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وهي الهجرة الثانية - كما سيأتي بيانه .

قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن أبي طالب فيمن خرج ثانياً . وما ذكره ابن إسحاق من خروجه في الرَّعِيلِ الأول أظهر كما سيأتي بيانه . والله أعلم . لكنه كان في زمرة ثانية من المهاجرين أولاً ، وهو المقدَّم عليهم والمترجم عنهم عند النجاشي وغيره ، كما سنورده مبسوطاً .

ثم إنَّ ابن إسحاق سرد الخارجين<sup>(١)</sup> صحبة جعفر رضي الله عنهم . وهم عمرو بن سعيد بن العاص ، وامراته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحَرَّر بن شِقِّ الْكِنَانِي . وأخوه خالد . وامراته أمينة<sup>(٢)</sup> بنت خلف بن أسعد الحُزَاعِي . وولدت له بها سعيداً ، وأختة<sup>(٣)</sup> أمة التي تزوجها بعد ذلك الزبير ، فولدت له عمراً وخالداً . قال : وعبد الله بن جَحْش بن رثاب ، وأخوه عُبيد الله ، ومعه امراته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وقيس بن عبد الله من بني أسد بن خزيمة ، وامراته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان ، ومُعَيِّق بن أبي فاطمة ، وهو من موالي آل سعيد بن العاص<sup>(٤)</sup> . قال ابن هشام : وهو من دَوْس .

قال<sup>(٥)</sup> : وأبو موسى [ الأشعري ] عبد الله بن قيس<sup>(٦)</sup> حليف آل عتبة بن ربيعة - وستكلم معه في هذا - وعتبة بن غزوان ، ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود ، وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، وطليب بن عُمير بن وهب بن أبي كثير<sup>(٧)</sup> بن عبد ، وسُوَيْب بن سعد بن حَزْمَلَة ، وجَهْم بن قيس العَبْدَرِي<sup>(٨)</sup> ، ومعه امراته أم حَزْمَلَة بنت عبد الأسود بن جذيمة<sup>(٩)</sup> ، وولده عمرو بن جَهْم وخزيمة<sup>(١٠)</sup> بن جهم ، وأبو الزُّوم ابن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلْدَة ، وعامر بن أبي وقاص أخو سعد ، والمطلَب بن أزهر بن عبد عوف الزُّهْرِي ، وامراته رَمْلَة بنت أبي عوف بن

(١) السير والمغازي (ص ٢٢٦ - ٢٢٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٢٣) واللفظ له .

(٢) قال ابن هشام في السيرة (١/ ٣٢٣) : ويقال همينة . نقل ذلك ابن حجر في الإصابة في ترجمتها .

(٣) سقطت اللفظة من ط ، وهي مستدركة في هامش ح .

(٤) لفظ ابن هشام في السيرة النبوية هكذا : وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر .

(٥) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٦) زادت نسخة ح : من بني أسد بن خزيمة وامراته بركة . وهذه الزيادة أقحمها الناسخ سهواً .

(٧) كذا في ط والروض (٢/ ٧١) والاستيعاب والإصابة في ترجمته ؛ وفي ح والسير والمغازي وسيرة ابن هشام « كبير »

بالموحدة . ولم تذكره كتب ضبط الأسماء - كالإكمال والتبصير وغيرها - فيما أحصته من هذا الرسم .

(٨) في ح ، ط : العبدوي ، تحريف ، وهو منسوب إلى عبد الدار كما في السيرة .

(٩) في ط : خزيمة ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، ولم أقف على نص يضبطه .

(١٠) في ح : جذيمة ، تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام والإصابة في ترجمته .

ضَبْرَةَ<sup>(١)</sup> ؛ وولدت بها عبد الله . وعبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة ، والمقداد بن الأسود ، والحارث ابن خالد بن صخر التيمي ، وامراته رَيْطَةُ بنت الحارث بن جُبَيْلَةَ<sup>(٢)</sup> ، وولدت له بها موسى وعائشة وزينب وفاطمة . وعمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وشماس بن عثمان بن الشريد المخزومي - قال وإنما سمي شَمَّاساً لِحُسْنِهِ وأصل اسمه عثمان بن عثمان - وهبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة ؛ ومُعْتَبٌ بن عوف بن عامر - ويقال له عيهامة<sup>(٣)</sup> - وهو من حلفاء بني مخزوم . قال : وقدامة وعبد الله أخوا عثمان بن مَطْعُون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وحاطب بن الحارث بن معمر ، ومعه امرأته فاطمة بنت المجلّل ، وابناه منها محمد والحارث ، وأخوه حَطَّاب<sup>(٤)</sup> ، وامراته فُكَيْهَةُ بنت يسار ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وامراته حسنة ، وابناه منها جابر وجُنَادَةُ ، وابنها من غيره ، وهو شُرْحَبِيل بن عبد الله - [أحد الغوث بن مُرّ ، أخي تميم بن مُرّ]<sup>(٥)</sup> ، وهو الذي يقال له : شُرْحَبِيل بن حسنة - وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وَهْب بن حُذَافَةَ بن جمح ، وخُنَيْس بن حُذَافَةَ بن قيس بن عدي ، وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سَعْد<sup>(٦)</sup> بن سهم ، وهشام بن العاص ابن وائل بن سُعيد<sup>(٧)</sup> ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي ، وإخوته الحارث ومعمر والسائب وبشر وسعيد أبناء الحارث<sup>(٨)</sup> بن قيس بن عدي [ وأخو بشر بن الحارث بن قيس بن عدي ]<sup>(٩)</sup> لَأُمِّهِ ، وهو سعيد بن عمرو التيمي ؛ وعُمَيْر بن رثاب بن حذيفة بن

- 
- (١) في ح : صبرة بالصاد المهملة . ذكر محقق الاشتقاق لابن دريد في حاشية رقم (٣) ص (١٢٥) معلقاً على هذا الاسم ما نصه : رسم في الأصل بالضاد المعجمة وتحتها حرف صاد مهملة ، وفوق الحرف كلمة : معاً ، إشارة إلى أنه بالصاد والضاد معاً .
- (٢) في سيرة ابن هشام والروض : جبلة .
- (٣) كذا في ح ، ط : وسيرة ابن هشام ، وفي السير والمغازي : عيهلة ، وفي الإصابة ميعانة . ولم أقف على نص يضبطه .
- (٤) في ح ، ط : خطاب بالخاء المعجمة ، والمثبت من سيرة ابن هشام والإكمال (١٦٣/٣) .
- (٥) ليس ما بين المعقوفين في ح ، وتحرف في ط إلى : أحد الغوث بن مزاحم بن تميم ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .
- (٦) في ح ، ط وأصول ابن هشام : سعيد وهو تحريف ، والمثبت من جمهرة الأنساب لابن حزم ص (١٦٥) وترجمته في الإصابة .
- (٧) غيّر محققو سيرة ابن هشام أصول السيرة من سُعيد إلى سعد وهو خطأ لأن هشاماً وعمراً هما ابنا سُعيد لا سَعْد . جمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٦٣) .
- (٨) بعده في ط : وسعيد . ولا وجود له في ح وهو الصواب كما يدل عليه سياق ابن هشام في السيرة .
- (٩) ما بين المعقوفين ليس في ط وهو من ح ولكن بتحريف الكلمة الأولى إلى : وأبو والتصحيح من سيرة ابن هشام (٣٢٨/١) .

مُهِشَّم بن سَعِيد<sup>(١)</sup> بن سهم ، وحليفُ لبني سَهْم : وهو مَحْمِيَّةُ بن جَزْء الزُّبَيْدِي ، ومعمَر بن عبد الله العدوي ، وعروة بن عبد العُزَّى ، وعدي بن نُضْلة بن عبد العُزَّى ، وابنه النعمان ، وعبد الله بن مَحْرمة العامري ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَلِيط بن عمرو ، وأخوه السكران ، ومعه زوجته سَوْدَة بنت زَمْعَة ، ومالك بن زَمْعَة<sup>(٢)</sup> ، وامراته عمرة بنت السَّعْدِي ، وأبو حاطب بن عمرو العامريون وحليفهم سعد بن خولة - وهو من اليمن - وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجَرَّاح الفهري ، وسهيل بن بَيْضَاء - وهي أمُّه - واسمها دعد بنت جَحْدَم بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث بن فِهْر ، وهو سهيل بن وَهْب بن ربيعة بن هلال بن ضَبَّة<sup>(٣)</sup> بن الحارث ، وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن [ هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث ]<sup>(٤)</sup> ، وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن [ أَهْيَب بن ضَبَّة بن الحارث ]<sup>(٥)</sup> ويقال : بل [ ربيعة بن ]<sup>(٨)</sup> هلال بن مالك بن ضَبَّة ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة ، وعثمان بن عبد غَنَم بن زُهير<sup>(٦)</sup> ، وسعد<sup>(٧)</sup> بن عبد قيس بن لَقِيط ، وأخوه الحارث الفهريون .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : فكان جميعُ من لَحِق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً أو ولدوا بها - ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

قلت : وذِكْرُ ابن إسحاق أبا موسى الأشعري فيمَن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة غريبٌ جداً . وقد قال الإمام أحمد<sup>(٩)</sup> : حدثنا حسن بن موسى ، سمعتُ حَدِيثاً<sup>(١٠)</sup> أخا زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق

- (١) غَيْرَ محققو سيرة ابن هشام أصول السيرة من : سَعِيد إلى سعد وهو خطأ لأن عميراً من ولد سَعِيد لا من ولد سعد جمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٦٣ و ١٦٤) وترجمته في الإصابة .
- (٢) في ح ، ط : ربيعة ، تحريف ، والمثبت من سيرة ابن هشام وجمهرة أنساب العرب (ص ١٦٦) وترجمته في الإصابة .
- (٣) في ح وسيرة ابن هشام : هلال بن أهيب بن ضبة . وأظنه تحريفاً ، والصواب : هلال بن مالك بن ضبة . كما في جمهرة ابن حزم (ص ١٧٧) وترجمة سهل وسهيل ابني بَيْضَاء في الإصابة .
- (٤) ليس ما بين المعقوفين في ح والمثبت من ط وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠) وفيه : أهيب بدل : مالك . وقد نبه ابن هشام على هذا الخلاف .
- (٥) ما بين معقوفين سقط من ح ، ط استدركته من سيرة ابن هشام لأنه بيَّن فيه الخلاف بين مالك وأهيب ، وما جعلته خارج المعقوفين هو من ح .
- (٦) زادت ط هنا لفظ : أخوات . أو أخوان . وليست هذه الزيادة في ح ولا في سيرة ابن هشام ، وهي إقحام من النسخ ليزيلوا الاضطراب بين النسخ المشار إليه آنفاً .
- (٧) في ط : سعيد ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٧٨) ، ويبدو أن ثمة اختلافاً فيه فقد أورده ابن حجر في الإصابة في رسم : سعد وعزا إلى رسم : سعيد . وترجمه فيه .
- (٨) في السير والمغازي (ص ٢٢٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٠) - واللفظ له - والروض (٢/ ٧٥) .
- (٩) في مسنده (١/ ٤٦١) .
- (١٠) في ح ، ط : خديجاً بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد والإكمال (٢/ ٣٩٦) .

عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود قال : بَعَثْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَجَاشِيِّ ، وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا ، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَجَعْفَرٌ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْفُطَةَ ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ ، وَأَبُو مُوسَى ، فَأَتَوْا النَجَاشِيَّ ، وَبَعَثْتُ قَرِيشَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَا لَهُ : إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَّنَّا نَزَلُوا أَرْضَكَ وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا . قَالَ فَأَيْنَ هُم ؟ قَالَا : فِي أَرْضِكَ ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمْ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : أَنَا خَطِيئُكُمْ الْيَوْمَ فَاتَّبِعُوهُ ، فَسَلِّمْ وَلَمْ يَسْجُدْ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ ؟ قَالَ إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَالَ وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ . قَالَ عَمْرُو : فَإِنَّهُمْ يَخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ ؟ قَالَ : نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ : هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ ، الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ ، وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ<sup>(١)</sup> . قَالَ : فَرَفَعَ عُودًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقِسِّيِّينَ وَالرُّهْبَانَ ، وَاللَّهُ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا سَوَى<sup>(٢)</sup> هَذَا ، مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ ، وَأَنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، أَنْزَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ ، وَاللَّهُ لَوْ لَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي<sup>(٣)</sup> أَحْمَلُ نَعْلَيْهِ . وَأَمْرٌ بِهَدِيَّةٍ الْآخِرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا ، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَدْرًا . وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ حِينَ بَلَغَهُ مَوْتُهُ .

وهذا إسنادٌ جيد قوي ، وسياقٌ حسن<sup>(٤)</sup> . وفيه ما يقتضي أَنَّ أَبَا مُوسَى كَانَ مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ مَدْرَجًا مِنْ بَعْضِ الرِّوَاةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ .

فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الدَّلَائِلِ »<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَاءَ

(١) كَذَا فِي ح ، ط وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ، وَفِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (فَرْض) : وَفِي صِفَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : لَمْ يَفْتَرِضْهَا وَلَدٌ . أَي لَمْ يُوَثِّرْ فِيهَا وَلَمْ يَحْزَها ، يَعْنِي قَبْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَجَاءَ فِي اللِّسَانِ : وَالْفَرْضُ : الْحَزُّ فِي الشَّيْءِ وَالْقَطْعُ . وَسَيَأْتِي فِي مَوْضِعِ الْحَاشِيَةِ (٩) مِنَ الصَّفْحَةِ التَّالِيَةِ .

(٢) فِي الْمُسْنَدِ : مَا سَوَى .

(٣) لَيْسَتْ اللَّفْظَةُ فِي ح وَلَا الْمُسْنَدُ .

(٤) قَالَ بَشَارٌ : هَكَذَا جَوَّدَ الْمُصَنِّفُ إِسْنَادَهُ ، وَحَسَّنَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٧/١٨٩) ، وَفِي إِسْنَادِهِ حُدَيْجُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ضَعْفُهُ أَبُو زُرْعَةَ الرَّازِي وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ مَآكُولَا ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : يَتَكَلَّمُونَ فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ ، وَقَالَ ابْنُ حَبَانَ فِي الْمَجْرُوحِينَ : مَنَكَرَ الْحَدِيثَ كَثِيرَ الْوَهْمِ عَلَى قَلَّةِ رَوَايَتِهِ ، وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ : يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْوَهْمُ ، وَلَمْ يَحْسُنِ الْقَوْلُ فِيهِ سِوَى أَحْمَدَ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ : مَحَلُّهُ الصَّدَقُ ، فِي بَعْضِ حَدِيثِهِ وَهْمٌ ، يَكْتُبُ حَدِيثَهُ . يَعْنِي لِلْإِعْتِبَارِ فِي الشُّوَاهِدِ وَالْمَتَابَعَاتِ . فَمَثَلُ هَذَا لَا يَحْتَمِلُ التَّفَرُّدَ (وَتَنْظُرُ تَرْجُمَتُهُ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ (٥/٤٨٨ - ٤٩٠) ، وَتَحْرِيرِ التَّقْرِيبِ (١/٢٥٦) .

(٥) دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ (١/٣٣٠) وَلَيْسَ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْأَسَانِيدِ إِلَّا الْآخِرُ ، وَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهَذَا فَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ =

الغلابي<sup>(١)</sup> ، حَدَّثَنَا عبد الله بن رجاء ، حَدَّثَنَا إسرائيل ح وَحَدَّثَنَا سليمان بن أحمد ، حَدَّثَنَا [ محمد بن زكريا ، حَدَّثَنَا الحسن ]<sup>(٢)</sup> بن علويه القَطَّان ، حَدَّثَنَا عباد<sup>(٣)</sup> بن موسى الخُتَلِي ، حَدَّثَنَا إسماعيل بن جعفر ، حَدَّثَنَا إسرائيل ح<sup>(٤)</sup> وَحَدَّثَنَا أبو أحمد ، حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن شيرويه ، حَدَّثَنَا إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - حَدَّثَنَا عبيد الله<sup>(٥)</sup> بن موسى ، حَدَّثَنَا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى . قال : أمرنا رسولُ الله ﷺ أَنْ نَنْطَلِقَ مع جعفر بن أبي طالب إلى أرضِ النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً ، فبعثوا عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد ، وجمعوا للنجاشي هدية ، وقدموا على النجاشي فأتياه بالهدية ، فقبلها ، وسجداً له ، ثم قال عمرو بن العاص : إِنَّ ناساً من أرضنا رَغِبُوا عن ديننا وهم في أرضك . قال لهم النجاشي : في أرضي ؟ قالوا : نعم ! فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر : لا يتكلَّمُ منكم أحد ، أنا خطيبُكم اليوم ، فاتنهينا إلى النجاشي ، وهو جالسٌ في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه ، وعُمارة عن يساره . والقسيِّسونَ جلوسٌ سماطين . وقد قال لهم عمرو وعُمارة : إنهم لا يسجدون لك . فلما انتهينا بدرنا مَنْ عندهُ من القسيِّسينَ والرُّهبان : اسجدوا للملك . فقال جعفر : لا نسجدُ إلا لله عز وجل . [ فلما انتهينا إلى النجاشي قال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجدُ إلا لله ]<sup>(٦)</sup> . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ قال : إِنَّ الله بعثَ فينا رسولاً - وهو الرسولُ الذي بَشَّرَ به عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام<sup>(٧)</sup> : ﴿ مِنْ بَعْدِي آتِيهِ أَحَدٌ ﴾ فَأمرنا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ ولا نُشْرِكَ به شيئاً ، [ ونقيمَ الصلاة ]<sup>(٨)</sup> ، ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر . فأعجَبَ النجاشي قولهُ ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص ، قال : أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم ، فقال النجاشي لجعفر : ما يقولُ صاحبُكم في ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول الله : هو رُوحُ الله وكلمته ، أخرجهُ من العذراء البتُول التي لم يَقْرَبْها بشر ، ولم يَقْتَرِضْها ولد<sup>(٩)</sup> : فتناول النجاشي عُوداً من الأرض فرفعه فقال : يا معشر القسيِّسينَ والرُّهبان ، ما يزيد<sup>(١٠)</sup> هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزنَ هذه .

= (١/ ١١٤) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣١) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

- (١) الغلابي بالتخفيف كما في الباب (٢/ ٣٩٥) .
- (٢) ما بين المعقوفين ليس في ح وبدلاً عنه : سليمان .
- (٣) في ح : عباس بن موسى . وهو تحريف .
- (٤) هذا الإسناد في دلائل أبي نعيم المشار إليه في الحاشية (١) .
- (٥) في دلائل أبي نعيم : عبد الله . تحريف ، والمثبت من ح وترجمته في سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٥٣) وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٥٣) .
- (٦) ليس ما بين المعقوفين في ح ولا دلائل أبي نعيم ولا الحلية ، وانفردت به ط .
- (٧) زاد في الحلية : قال . والآية (٦) من سورة الصف .
- (٨) ليس ما بين المعقوفين في ح .
- (٩) في ح ، ط : يفرضها ، والمثبت من الحلية (١/ ١١٥) .
- (١٠) في ح ، ط : ما يزيدون ، والمثبت من الحلية .

مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ؛ امكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال : ردّوا على هذين هديتهما .

وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عُمارة رجلاً جميلاً ، وكانا أقبلًا في البحر ، فشربا ومع عمرو امرأته ، فلما شربا قال عُمارة لعمرو مُر امرأتك فلتقبّلني . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فأخذ عُمارة عَمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو : يناشد عُمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو في ذلك . فقال عمرو للنجاشي : إنك إذا خرجت خَلَفَ<sup>(١)</sup> عُمارة في أهلِكَ<sup>(٢)</sup> ، فدعا النجاشي بعُمارة ، فنفخ في إحليله ، فطار مع الوحش .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في الدلائل<sup>(٣)</sup> من طريق أبي علي الحسن بن سلام السوّاق ، عن عبيد الله بن موسى ، فذكر بإسناده مثله ، إلى قوله : فأمر لنا بطعام وكسوة . قال : وهذا إسنادٌ صحيح ، وظاهره يدلُّ على أنَّ أبا موسى كان بمكة ، وأنه خرج مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشة ، والصحيح عن يزيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن جدّه أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى : أنهم بلغهم مَخْرَجُ رسولِ الله ﷺ وهم باليمن فخرجوا مهاجرين في بضع وخمسين رجلاً في سفينة ، فألقَتْهم سفينتهم إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عندهم<sup>(٤)</sup> ، فأمره<sup>(٥)</sup> جعفر بالإقامة ، فأقاموا عنده حتى قدموا على رسولِ الله ﷺ زمنَ خيبر . قال : وأبو موسى شهد ما جرى بين جعفر وبين النجاشي ، فأخبر عنه . قال : ولعلَّ الراوي وهم في قوله : أمرنا رسولُ الله ﷺ أن ننطلق ؛ والله أعلم .

وهكذا رواه البخاري في باب هجرة الحبشة<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، حَدَّثَنَا بُرَيْدٌ<sup>(٧)</sup> بن عبد الله عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ ونحن باليمن ، فركبنا سفينةً ، فألقَتْنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأقمنا معه حتى قَدِمْنَا ، فوافقنا<sup>(٨)</sup> النَّبِيَّ ﷺ حين افتتح خَيْبَرَ ، فقال النَّبِيُّ ﷺ : « لَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ هَجْرَتَانِ » . وهكذا

(١) في ط : خلفك ، والمثبت من ح ومن دلائل أبي نعيم .

(٢) في ح : في الملك .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٩٩) .

(٤) في دلائل البيهقي : عنده .

(٥) في دلائل البيهقي : فأمرهم .

(٦) فتح الباري (٣٨٧٦) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة .

(٧) في ح ، ط : يزيد . وهو تصحيف ، والمثبت من فتح الباري وترجمته في تهذيب الكمال (٥٠/٤) .

(٨) كذا في ح ، ط وفي فتح الباري : فوافقنا .

رواه مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي كُريب وأبي عامر عبد الله بن بَراد [ بن يوسف بن أبي بُردة بن أبي موسى ]<sup>(٢)</sup> كلاهما عن أبي أسامة به ، وروياه في مواضع آخر مطولاً . والله أعلم .

وأما قصة جعفر مع النجاشي فإنَّ الحافظ ابن عساكر رواها في ترجمة جعفر بن أبي طالب من « تاريخه »<sup>(٣)</sup> من رواية نفسه ، ومن رواية عمرو بن العاص . وعلى يديهما جرى الحديث ، ومن رواية ابن مسعود كما تقدم . وأم سلمة كما سيأتي . فأما رواية جعفر فإنها عزيزة جداً . رواها ابن عساكر عن أبي القاسم [ السمرقندي ، عن أبي الحسين بن النُّفُور ، عن أبي طاهر المخلَّص ، عن أبي القاسم ]<sup>(٤)</sup> البَغَوِي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عبد الرحمن الجُعْفِي ، عن عبد الله بن عمر<sup>(٥)</sup> بن أبان ، حَدَّثَنَا أسد بن عمرو البَجَلِي ، عن مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبيه . قال : بعثت قريشُ عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد بهديَّةٍ من أبي سفيان إلى النجاشي . فقالوا له - ونحن عنده - : قد صار إليك ناسٌ من سَفِلَتِنَا وسفهاثنا ، فادْفَعْهُمْ إلينا . قال : لا ، حتى أسمعَ كلامهم . قال : فبعث إلينا فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : قلنا هؤلاء قوم يعبدون الأوثان ، وإنَّ الله بعث إلينا رسولاً فأمانا به وصدَّقناه . فقال لهم النجاشي : أعبيدُهم لكم ؟ قالوا : لا . فقال : فلكم عليهم دين ؟ قالوا : لا . قال : فخلُّوا سبيلهم . قال : فخرَجنا من عنده ، فقال عمرو ابن العاص : إنَّ هؤلاء يقولون في عيسى غيرَ ما تقول ، قال : إنَّ لم يقولوا في عيسى مثلَ قلبي لم أدعهم في أرضي ساعةً من نهار . فأرسل إلينا ، فكانت الدعوةُ الثانيةُ أشدَّ علينا من الأولى . قال : ما يقولُ صاحبُكم في عيسى ابن مريم ؟ قلنا : يقول : هو رُوحُ الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بَتُول ، قال : فأرسل ، فقال : ادعوا لي فلاناً القسَّ ، وفلاناً الراهب . فاتاه ناسٌ منهم فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقالوا : أنت أعلمنا ، فما تقول ؟ قال النجاشي - وأخذ شيئاً من الأرض - قال : ما عدَّا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا ، ثم قال أيؤذيكُم أحد ؟ قالوا : نعم ، فنادى منادٍ : مَنْ آذى أحداً منهم فأغرموه أربعةَ دراهم . ثم قال : أيكفيكُم ؟ قلنا : لا ، فأضعفها . قال : فلما هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وظهر [ بها قلنا له : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة ]<sup>(٦)</sup> ، وقتل الذين كنَّا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيلَ إليه ، فزوَّدنا<sup>(٧)</sup> قال : نعم ! فحملنا وزوَّدنا . ثم قال : [ أخبرُ صاحبك بما صنعتُ إليكم ، وهذا صاحبي معكم أشهدُ أن لا إله إلا الله

(١) في صحيحه (٢٥٠٢) (١٦٩) فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عيسى .

(٢) ما بين معقوفين ليس في ح .

(٣) سقطت ترجمة جعفر من النسخ المتبقية من تاريخ ابن عساكر والتي تحتفظ بها خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق إلا أنها لم تسقط من مختصر ابن منظور للتاريخ ، وهذا الخبر بالذات لم يذكره ابن منظور في مختصره .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٥) في ح : عمرو .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٧) في ط : فردنا . والمثبت من ح .

وأنه رسول الله ، وقل له يستغفر لي . قال <sup>(١)</sup> جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة ، فتلقاني رسول الله ﷺ واعتقني ، ثم قال : « ما أدري أنا بفتح خير أفرح أم بقدم جعفر ؟ » <sup>(٢)</sup> . ووافق ذلك فتح خير ، ثم جلس ، فقال رسول النجاشي : هذا جعفر فسله ما صنع به صاحبنا ؟ فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . وقال لي : قل له يستغفر لي . فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات : « اللهم اغفر للنجاشي » فقال المسلمون : آمين . ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ .

ثم قال ابن عساكر : حسن غريب .

وأما رواية أم سلمة فقد قال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق <sup>(٣)</sup> : حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام ، عن أم سلمة رضي الله عنها . أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة ، وأوذني أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه » فخرجنا إليها رسالاً حتى اجتمعنا بها ، فنزلنا بخير دار إلى خير جار ، آمنين على ديننا ، ولم نخش فيها ظملاً .

فلما رأث قريش أنا قد أصبنا داراً وأمناً ، [ غاروا منا ] <sup>(٤)</sup> ، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردنا عليهم ، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، فجمعوا له هدايا ولبطارقه ، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيئوا له هدية على حدة ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلموا فيهم ، ثم ادفعوا إليه هداياه ، فإن استطعتم أن يردّهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا . فقدمنا عليه فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا إليه هديته ، فكلّموه فقالوا له : إنما قدمنا على هذا الملك في [ سفهاء من ] <sup>(٥)</sup> سفهائنا ، فارقوا أقوامهم في دينهم ، ولم يدخلوا في دينكم . فبعثنا قومهم ليردّهم الملك عليهم ، فإذا نحن كلّمناه فأشيروا عليه بأن يفعل . فقالوا : نفعل . ثم قدموا إلى النجاشي هداياه ،

(١) ما بين المعقوفين سقط من ح .

(٢) سيأتي تخريج الحديث في (ص ٢٩٦ ح ٤) .

(٣) السير والمغازي (ص ٢١٣) واللفظ له ، وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٤) والروض (٢/ ٨٧) وأخرجه البيهقي في الدلائل

(٢/ ٣٠١) عن الحاكم وأحمد بن الحسن القاضي وأبي سعيد بن أبي عمرو عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن

يونس به . وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٩٤) عن محمد بن أحمد حدثنا عبد الله بن محمد بن شيرويه حدثنا

إسحاق بن إبراهيم حدثنا وهب بن جرير عن جرير عن محمد بن إسحاق به .

(٤) ليس ما بين المعقوفين في مصادر الخبر .

(٥) ما بين معقوفين من مصادر الخبر .



وكان من أحب ما يُهدون إليه من مكة الأدم - وذكر موسى بن عقبة أنهم أهدوا إليه فرساً وجبةً ديباج - فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له : أيها الملك ، إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجؤوا إلى بلادك ، فبعثنا إليك فيهم عشائريهم ، آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم ، فإنهم أغلَى بهم عيناً<sup>(١)</sup> ، [ فقالت بطارقتهم : صدقوا أيها الملك ، لو رددتهم عليهم كانوا هم أغلَى بهم عيناً<sup>(٢)</sup> ] ، فإنهم لن<sup>(٣)</sup> يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك . فغضب ثم قال : لا لعمر الله ، لا أردُّهم عليهم حتى أدعَوْهم ، فأكلهم وأنظر ما أمرهم ، قوم لجؤوا إلى بلادهم ، واختاروا جوارى على جوار غيري ، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم ولم أدخل بينهم وبينهم ، ولم أنعم عيناً .

[ وذكر موسى بن عقبة أن أمراء أشاروا عليه بأن يردهم إليهم . فقال : لا والله ! حتى أسمع كلامهم ، وأعلم على أي شيء هم عليه ؟ فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له ، فقال : أيها الرّهط ، ألا تحذّثوني ، ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ؟! فأخبروني ماذا تقولون في عيسى وما دينكم ؟ أنصاري أنتم ؟ قالوا : لا . قال : أفيهود أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا . قال : فما دينكم ؟ قالوا : الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبد الله لا نشارك به شيئاً . قال : من جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه ، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة ، والوفاء ، وأداء الأمانة . ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدّقناه ، وعرفنا كلام الله ، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله ، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا ، وعادوا النبي الصادق وكذبوه ، وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففرزنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا . قال : والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى . قال جعفر : وأما التحية فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضاً . وأما عيسى ابن مريم فعبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وابن العذراء البتول . فأخذ عوداً وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول في عيسى غير هذا أبداً . وما أطاع الله الناس في حين رد علي ملكي فأطع<sup>(٤)</sup> الناس في دين الله . معاذ الله من ذلك . وقال يونس عن ابن إسحاق : <sup>(٥)</sup> .

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ، ولم يكن شيء أبغض لعمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة

(١) « أغلَى بهم عيناً » : أي أبصر بهم وأعلم بحالهم . اللسان ( علو ) .

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر الخبر .

(٣) في السير ودلائل البيهقي : لم .

(٤) كذا ، والصواب : فأطيع ، كما سيأتي (ص ٢٩٥ س ٣) .

(٥) هنا تمة الخبر ، وما بين معقوفين ليس في ح ولا في مصادر الخبر المشار إليها في الحاشية (٤) من الصفحة السابقة .

من أن يسمع كلامهم . فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا : ماذا تقولون ؟ فقالوا : وماذا نقول ، نقول والله ما نعرف . وما نحن عليه من أمر ديننا ، وما جاء به نبينا ﷺ كائن من ذلك ما كان ، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له النجاشي : ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ، ولا نصرانية . فقال له جعفر : أيها الملك ، كنا قوماً على الشرك نعبد الأوثان ، ونأكل الميتة ، ونسيء الجوار ، ونستحل<sup>(١)</sup> المحارم ، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها ، لا نحل شيئاً ولا نحرمه ، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا ، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ونصل الأرحام ونحمي<sup>(٢)</sup> الجوار ونصلي الله عز وجل ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره .

وقال [ زياد عن ابن إسحاق : فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قال - فعدوا عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنّا به ، واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا ليفتنونا عن ديننا ويردّونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلّم عندك أيها الملك .

قالت<sup>(٣)</sup> : فقال النجاشي<sup>(٤)</sup> : هل معك شيء مما جاء به ؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله . فقال له جعفر : نعم . قال : هلمّ فأتل عليّ مما جاء به ، فقرأ عليه صدرّاً من كهيعص ، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم . ثم قال : إنّ هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى<sup>(٥)</sup> ، انطلقوا راشدين ، لا والله لا أردّهم عليكم ولا أنعمكم عينا<sup>(٦)</sup> . فخرجنا من عنده وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن أبي ربيعة ؛ فقال عمرو بن

(١) في ح : ونحل ، وفي ط : يستحل ، والمثبت من السير والدلائل .

(٢) في مصادر الخبر : ونحسن .

(٣) يعني أم سلمة كما جاء في أول الخبر .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في مصادر الخبر المذكورة في ح (٣) ص (٢٩٠) .

(٥) في بعض نسخ سيرة ابن هشام ودلائل البيهقي : عيسى .

(٦) أي : لا أجعل أعينكم تقرّ بهم . يقال : نعم ونعمة عين : أي : قرّة عين ، يعني أقرّ عينك بطاعتك واتباع أمرك .  
اللسان ( نعم ) .

العاص : والله لآتيته غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولأخبرته أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى ابن مريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً . فقال : والله لأفعلن ! .

فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً . فأرسل إليهم فسألهم عنه . فبعث والله إليهم ولم ينزل بنا مثلها ، فقال بعضنا لبعض : ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم<sup>(١)</sup> عنه ؟ فقالوا : نقول والله الذي قاله الله فيه ، والذي أمرنا نبيُّنا أن نقوله فيه ، فدخلوا عليه وعنده بطارقه فقال : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر : نقول هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فدلَّى النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عوداً بين أصبعيه فقال : ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العويد . فتناخرت بطارقه . فقال : وإن تناخرتم والله ! اذهبوا فأنتم سُيُومٌ في الأرض - السُّيُوم : الآمنون في الأرض<sup>(٢)</sup> - مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ ، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ - ثلاثاً - ما أَحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا وَأَنْي آذَيْتُ رجلاً منكم - والدَّبْرُ بلسانهم الذهب .

وقال زياد عن ابن إسحاق : ما أَحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا من ذهب ؛ قال ابن هشام : ويقال : دَبْرًا<sup>(٣)</sup> ، وهو الجبل بلغتهم - ثم قال النجاشي : فوالله ما أخذ الله مني الرِّشوة حين ردَّ عليَّ مُلْكِي ، ولا أطاع الناس في فأتبع الناس فيه . رُدُّوا عليهما هداياهم فلا حاجة لي بها ، واخرجوا من بلادي : فخرجوا مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به .

قالت : فأقمنا مع خير جارٍ في خير دار ، فلم ينشَبْ أن خرجَ عليه رجلٌ من الحبشة ينازعه في مُلكه ، فوالله ما علمنا حُزناً حَزِناً قطُّ هو أشدُّ منه ، فرَقاً من أن يظهر ذلك الملكُ عليه ، فيأتي ملكٌ لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه ، فجعلنا ندعو الله ونستنصره للنجاشي فخرج إليه سائراً ، فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ [ بعضهم لبعض ]<sup>(٤)</sup> : مَنْ رجلٌ يخرجُ فيحضر الواقعة حتى ينظرَ على مَنْ تكون ؟ وقال الزُّبَيْر - وكان من أحدثهم سناً - : أنا . فنَفَخُوا له قِرْبَةً فجعلها في صدره ، فجعل يسبِّحُ عليها في النِّيل حتى خرج من شِقِّه الآخر إلى حيث التقى الناس ، فحضر الواقعة ، فهزم الله ذلك الملك وقلته ، وظهر النجاشي عليه . فجاءنا الزُّبَيْر ، فجعل يُليحُ لنا بردائه ويقول : ألا فابشروا ، فقد أظهر الله النجاشي . قلت : فوالله ما علمنا فِرْحانا

(١) في ح ، ط : يسألکم ، والمثبت من مصادر الخبر .

(٢) في النهاية لابن الأثير (سيم) : امكثوا فأنتم سيوم . أي آمنون : كذا جاء تفسيره في الحديث ، وهي كلمة حبشية ، وتروى بفتح السين . وقيل : سيوم جمع سائم ، أي تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد . اهـ . وفي ح والسير والمغازي : شيوم . بالشين المعجمة .

(٣) في ط : زبراً ، وفي ح : زبراً ، وكلاهما تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام (٣٣٨/١) والنهاية لابن الأثير (دبر) .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من دلائل البيهقي .

بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي ؛ ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا [ راجعاً <sup>(١)</sup> ] إلى مكة ، وأقام من أقام .

قال الزهري : فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير عن أم سلمة . فقال عروة : أتدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي فأخذ الرشوة فيه ، ولا أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه ؟ فقلت لا ، ما حدثني ذلك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة . فقال عروة : فإن عائشة حدثتني أنّ أباه كان ملك قومته ، وكان له أخ له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، ولم يكن لأبي <sup>(٢)</sup> النجاشي ولد غير النجاشي ، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإن له اثني عشر رجلاً من صلبه فتوارثوا الملك ، لبقيت الحبشة عليهم دهنراً طويلاً لا يكون بينهم اختلاف ، فعدوا <sup>(٣)</sup> عليه فقتلوه وملكوا أخاه . فدخل النجاشي لعمته حتى غلب عليه ، فلا يدبر أمره غيره ، وكان لبيباً حازماً من الرجال ، فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا : قد غلب هذا الغلام على أمر عمه ، فما نأمن أن يملكه علينا ، وقد عرف أنا قتلنا أباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفاً إلا قتله ، فكلّموه فيه فليقتله أو ليخرجه من بلادنا ، فمشوا [ إلى عمه فقالوا : قد رأينا مكان هذا الفتى منك ، وقد عرفت أنّا قتلنا <sup>(٤)</sup> أباه وجعلناك مكانه ، وإنّا لا نأمن أن يملك علينا فيقتلنا ، فإما أن تقتله وإما أن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم ! بل أخرجوه من بلادكم .

فخرجوا به فوقفوه في السوق وباعوه من تاجر من التجار قذفه في سفينة بستمئة درهم أو بسبعمئة <sup>(٥)</sup> ، فانطلق به فلما كان العشي هاجت سحابة من سحاب الخريف فخرج عمه يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته ، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون ليس في أحد منهم خير ، فمرج على الحبشة أمرهم <sup>(٦)</sup> ، فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إنّ ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم بالغداة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب .

فخرجوا في طلبه ، فأدركوه فردّوه ، فعقدوا عليه تاجه ، وأجلسوه على سريرته وملكوه . فقال التاجر : ردّوا عليّ مالي كما أخذتم مني غلامي ، فقالوا : لا نعطيك . فقال : إذا والله لأكلمنه . فمشى إليه فكلّمه فقال : أيها الملك ، إني ابتعت غلاماً فقبض مني الذين باعوني <sup>(٧)</sup> ثمنه ، ثم عدّوا على غلامي

(١) الزيادة من السير والمغازي والدلائل .

(٢) في ح ، ط : لأب ، والمثبت من السير والمغازي والدلائل .

(٣) في ط والدلائل : فعدوا . بالعين المهملة .

(٤) ما بين المعقوفين ليس في ح وهو من دلائل البيهقي .

(٥) في ح : أو تسع مئة .

(٦) أي التبس واختلط . اللسان ( مرج ) .

(٧) في ط : الذي باعوه ، والمثبت من ح .

فتزعه من يدي ولم يردّوا عليّ مالي . فكان أول ما خُبر به من صلابة حُكمه وعَدْلُه أن قال : لتردُنَّ عليه ماله . أو لتجعلنَّ يدَ غلامٍ في يده ، فليذهبنَّ به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه ماله فأعطوه إياه ، فلذلك يقول : ما أخذ الله مني الرِّشوة فأخذ الرِّشوة حين ردَّ عليّ ملكي ، وما أطاع الناسَ في فأطيع الناسَ فيه .

وقال موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> : كان أبو النجاشي ملكَ الحبشة ، فمات والنجاشيُّ غلامٌ صغير ، فأوصى إلى أخيه : أنْ إليك ملكُ قومك حتى يبلغَ ابني ، فإذا بلغَ فله الملك . فرغب أخوه في الملك ، فباع النجاشيُّ من بعض التجَّار ، فمات عمُّه من ليلته وقَضَى ، فردَّت الحبشةُ النجاشيَّ حتى وضعوا التاجَ على رأسه .

هكذا ذكره مختصراً ، وسياقُ ابن إسحاق أحسنُ وأبسطُ ، فالله أعلم .

والذي وقع في سياقِ ابنِ إسحاق . إنما هو ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، والذي ذكره موسى بن عقبة والأموي وغيرُ واحدٍ أنهما عمرو بن العاص وعمارَة بن الوليد بن المغيرة ، وهو أحد السبعة الذين دعا عليهم رسولُ الله ﷺ حين تضحكوا يوم وُضع سَلا الجَزُورِ على ظهره ﷺ وهو ساجدٌ عند الكعبة .

وهكذا تقدم في حديث ابن مسعود وأبي موسى الأشعري . والمقصود أنهما حين خرجا من مكة كانت زوجةُ عمرو معه ، وعُمارَة كان شاباً حسناً ، فاصطحبا في السفينة ، وكان عُمارَة طمَعَ في امرأةَ عمرو بن العاص ، فألقى عمراً في البحر ليُهْلِكهُ فسبح حتى رجع إليها . فقال له عُمارَة : لو أعلم أنك تُحسن السباحة لما ألقَيْتُكَ ، فحقد عمرو عليه ، فلما لم يقض لهما حاجة في المهاجرين من النجاشي ، وكان عمارَة قد توصَّل إلى بعضِ أهل النجاشي ، فوشى به عمرو فأمر به النجاشيُّ فسُحر حتى ذهب عقله وساح في البرِّيَّة مع الوحوش .

وقد ذكر الأموي قصةً مطوَّلة جداً وأنه عاش إلى زمن إمارة عمر بن الخطاب ، وأنه تقصَّده بعضُ الصحابة ومسكه ، فجعل يقول : أرسلني وإلا مت . فلما لم يرسله مات من ساعته . فالله أعلم .

وقد قيل : إنَّ قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرَّتين : الأولى مع عمرو بن العاص وعمارَة ، والثانية مع عمرو ، وعبد الله بن أبي ربيعة . نص عليه أبو نُعيم في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> والله أعلم . وقد قيل : إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر ؛ قاله الزهري ، لينالوا ممن هناك ثأراً فلم يُجبهم النجاشيُّ رضي الله عنه وأرضاه إلى شيءٍ مما سألوا . فالله أعلم .

[ وقد ذكر زياد عن ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : أن أبا طالب لما رأى ذلك من صنيع قريش كتب إلى النجاشيِّ

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٩٥) .

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٣١) .

(٣) السير والمغازي (ص ٢٢١) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٣٣) والروض (٢/ ٨٦) .

أبياتاً يحضه فيها على العدل وعلى الإحسان إلى مَنْ نزل عنده من قومه : [ من الطويل ]

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ      وعمرو وأعداء العدو الأقاربُ  
وما<sup>(١)</sup> نالت أفعال النجاشي جعفرأ      وأصحابه أو عاق ذلك شاغبُ  
تعلم<sup>(٢)</sup> - أبيت اللعن - أنك ماجدٌ      كريمٌ فلا يشقى إليك المجانب  
تعلمُ بأنَّ الله زادك بسطةً      وأسبابَ خير كلها بك لازبُ<sup>(٣)</sup>

وقال يونس عن ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير . قال : إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه .

والمشهور أن جعفرأ هو المترجم رضي الله عنه .

وقال زياد البكائي عن ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها . قالت : لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

ورواه أبو داود<sup>(٦)</sup> عن محمد بن عمرو الرازي عن سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق به : لما مات النجاشي رضي الله عنه كنا نتحدّث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup> : حدّثني جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزمت<sup>(٨)</sup> فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفوا له . فقال : يا معشر الحبشة ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا : خير سيرة . قال : فما بكم<sup>(٩)</sup> ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد<sup>(١٠)</sup> . قال : فما تقولون أنتم في

(١) في مصادر الخبر : وهل نالت .

(٢) في ط : ونعلم . والمثبت من مصادر الخبر .

(٣) ما بين معقوفين ليس في ح .

(٤) السير والمغازي (ص ٢١٧ ، ٢١٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٣٠٦/٢) .

(٥) السير والمغازي (ص ٢١٩) وسيرة ابن هشام والروض (٩٠/٢) .

(٦) في سننه (٢٥٢٣) الجهاد باب في النور يرى عند قبر الشهيد ، وإسناده ضعيف .

(٧) سيرة ابن هشام (٣٤٠/١) والروض (٩٠/٢) .

(٨) في ح : هربت .

(٩) في سيرة ابن هشام : فما بالكم ، وفي الروض : فما لكم .

(١٠) في ط : عبده ورسوله ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله . فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه - : وهو يشهد أن عيسى ابن مريم . لم يزد على هذا ، وإنما يعني على ما كتب ، فرضوا وانصرفوا . فبلغ [ ذلك ]<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له .

وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى ، فصَفَّ بهم وكتبَ أربع تكبيرات .

وقال البخاري : موت النجاشي<sup>(٣)</sup> : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا ابن عُيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ - حين مات النجاشي - : « مات اليوم رجلٌ صالح ، فقوموا فصلُّوا على أخيكم أصحمة » .

وروي ذلك من حديث أنس بن مالك وابن مسعود وغير واحد ، وفي بعض الروايات تسميته أصحمة ، وفي رواية مصحمة<sup>(٤)</sup> . وهو أصحمة بن أبجر<sup>(٥)</sup> وكان عبداً صالحاً لبيباً زكياً<sup>(٦)</sup> ، وكان عادلاً عالماً رضي الله عنه وأرضاه .

وقال يونس عن إسحاق<sup>(٧)</sup> : اسم النجاشي مصحمة - وفي نسخة صحَّحها البيهقي أصحم - وهو بالعربية عطية قال : وإنما النجاشي اسم الملك : كقولك كسرى ، هرقل .

(١) زيادة من مصادر الخبر .

(٢) فتح الباري (١٣٣٣) الجنائز باب التكبير على الجنائز أربعاً . وصحيح مسلم (٦٢ - ٩٥١) الجنائز باب في التكبير على الجنائز .

(٣) يعني في باب موت النجاشي من كتاب مناقب الأنصار ، فتح الباري (٣٨٧٧) .

(٤) قال ابن حجر في الفتح (٢٠٣/٣) : وقع في جميع الطرق التي اتصلت لنا من البخاري : أصحمة . بمهملتين بوزن أفعلة مفتوح العين في المسند والمعلق معاً ، وفيه نظر لأن إيراد المصنف يشعر بأن يزيد خالف محمد بن سنان ، وأن عبد الصمد تابع يزيد ، ووقع في مصنف ابن أبي شيبة عن يزيد : صحمة ، بفتح الصاد وسكون الحاء ، فهذا متجه ، ويتحصل منه أن الرواة اختلفوا في إثبات الألف وحذفها . وحكى الإسماعيلي أن في رواية عبد الصمد « أصحمة » بخاء معجمة وإثبات الألف ، قال : وهو غلط فيحتمل أن يكون هذا محل الاختلاف الذي أشار إليه البخاري . وحكى كثير من الشراح أن رواية يزيد ورفيقه : صحمة بالمهملة بغير ألف ، وحكى الكرمانى أن في بعض النسخ في رواية محمد بن سنان : أصحبة . بموحدة بدل الميم . اهـ .

(٥) كذا في ح وأصول المطبوعة وصحَّحه ناشرها بـ « بحر » محتجاً بالقاموس ، إلا أن الزبيدي شارحه قال ( صحم ) : كذا في النسخ ، والصواب ابن أبجر . اهـ . ثم ساق الخلاف في أصحمة كما بينته عن ابن حجر في الحاشية السابقة ، وزاد في اختلاف الروايات فيه قوله : صمخة . بتقديم الميم على الخاء ، وقيل غير ذلك مما استوعبه شراح البخاري . وسيأتي برسم : أبجر ص (٣٠١) نقلاً عن البيهقي .

(٦) ليست اللفظة في ح .

(٧) دلائل البيهقي (٢/٣١٠) .

قلت : كذا<sup>(١)</sup> ولعله يريد به قيصر ، فإنه عَلِمَ لكلِّ مَنْ ملك الشام مع الجزيرة من بلاد الرُّوم ، وكسرى علمٌ على مَنْ مَلَكَ الفرس ، وفرعون علمٌ لمن ملك مصر كافة<sup>(٢)</sup> ، والمقوقس لمن ملك الاسكندرية ، وتُبَّع لمن مَلَكَ اليمن والشَّحْر<sup>(٣)</sup> ، والنجاشي لمن مَلَكَ الحبشة ، وبطليموس لمن مَلَكَ اليونان وقيل الهند ، وخاقان لمن مَلَكَ التُّرْك .

وقال بعضُ العلماء إنما صَلَّي عليه لأنه كان يَكُتُم إيمانه من قومه ، فلم يكن عنده يوم مات مَنْ يَصَلِّي عليه ، فلهذا صَلَّى عليه ﷺ . قالوا : فالغائب إن كان قد صَلَّي عليه ببلده لا تشرع الصلاة عليه ببلدٍ أخرى ؟ ولهذا لم يَصَلَّ على النبي ﷺ في غير المدينة ، لا أهل مكة ولا غيرهم ، وهكذا أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة لم يُنْقَلْ أنه صَلَّي على أحدٍ منهم في غير البلدة التي صَلَّي عليه فيها فإله أعلم .

قلت : وشهود أبي هريرة رضي الله عنه الصلاة على النجاشي ، دليلٌ على أنه إنما مات بعد فتح خَيْبَر<sup>(٤)</sup> التي قَدِمَ بَقِيَّةُ المهاجرين إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يوم فتح خيبر ، ولهذا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « والله ما أدري بأيَّهما أنا أَسْرُ ، بفتح خَيْبَر أم بقدوم جعفر بن أبي طالب »<sup>(٥)</sup> وقدموا معهم بهدايا وتُخَف من عند النجاشي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وصحبته أهل السفينة اليمنية أصحاب أبي موسى الأشعري وقومه من الأشعريين رضي الله عنهم ، ومع جعفر هدايا النجاشي ابن أخي النجاشي ذو مخبر أو ذو مخمر<sup>(٦)</sup> ، أرسله ليخدم النبي ﷺ عوضاً عن عمِّه رضي الله عنهما وأرضاهما .

وقال السهيلي<sup>(٦)</sup> : توفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة ، وفي هذا نظر . والله أعلم .

وقال البيهقي<sup>(٧)</sup> : أخبرنا الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطُّوسي ، حدثنا أبو العباس

(١) ليست اللفظة في ح .

(٢) « الشَّحْر » : الشَّط وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن . قال الأصمعي : هو بين عَدَن وعُمان . معجم البلدان (٣/٣٢٧) .

(٣) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : في السنة التي .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٤) عن أنس بن سالم الخولاني وأحمد بن خالد بن مسرح قالوا : حدثنا الوليد بن عبد الملك بن مسرح حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا مسعر عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه ، وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥/١٨٨٤) عن أحمد بن حفص ، حدثنا بكر بن عبد الوهاب حدثنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه ؛ وأخرجه البيهقي في السنن (٧/١٠١) النكاح باب ما جاء في قبلة ما بين العينين عن أبي القاسم زيد بن أبي هاشم العلوي وأبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن النجار المقرئ بالكوفة قالوا : أنبأ أبو جعفر محمد بن علي بن دحم حدثنا إبراهيم بن إسحاق القاضي حدثنا قبيصة عن سفيان عن الأجلح عن الشعبي . مرسل . وأخرجه ابن عساكر كما تقدم .

(٥) في ط : ذو نختر أو ذو مخمر . والمثبت من ح .

(٦) في الروض (٢/٩٤) .

(٧) في الدلائل (٢/٣٠٧) .



محمد بن يعقوب ، حدثنا هلال بن العلاء الرقي ، حدثنا أبي العلاء بن هلال<sup>(١)</sup> ، حدثنا أبي<sup>(٢)</sup> هلال بن العلاء عن أبيه ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك [ يا رسول الله ]<sup>(٣)</sup> . فقال : « إنهم كانوا لأصحابي مكرمين ، وإنني أحب أن أكافئهم » .

ثم قال<sup>(٤)</sup> : وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، أنبأنا أبو سعيد بن الأعرابي ، حدثنا هلال بن العلاء ، حدثنا أبي ، حدثنا طلحة بن زيد<sup>(٥)</sup> ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي قتادة قال : قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يخدمهم ، فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله . فقال : « إنهم كانوا لأصحابنا<sup>(٦)</sup> مكرمين ، وإنني أحب أن أكافئهم » . تفرّد به طلحة بن زيد عن الأوزاعي<sup>(٧)</sup> .

وقال البيهقي<sup>(٨)</sup> : حدثنا أبو الحسين بن بشران ، حدثنا أبو عمرو بن السماك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : لما قدم عمرو بن العاص من أرض الحبشة جلس في بيته فلم يخرج إليهم ، فقالوا : ما شأنه ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو : إن أضحمة يزعم أن صاحبكم نبي .

قال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، وردهم النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبَحْمَزَة حتى غاظوا<sup>(١٠)</sup> قريشاً ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدّر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت في صحيح البخاري<sup>(١١)</sup> عن ابن مسعود أنه قال : ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر<sup>(١٢)</sup>

(١) في ط : العلاء بن مدرك ، وهو تحريف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وترجمته في تهذيب التهذيب .

(٢) في ط : أبو والمثبت من ح والدلائل .

(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح أو الدلائل .

(٤) يعني البيهقي في الدلائل (٣٠٧/٢) .

(٥) في الدلائل : يزيد تحريف ، والمثبت من ح ، ط وترجمته في تهذيب الكمال (٣٩٥/١٣) .

(٦) في ح : لأصحابي .

(٧) وهو متروك ، بل قال أحمد وعلي وأبو داود : كان يضع الحديث (بشار) .

(٨) في الدلائل أيضاً (٣٠٧/٢) .

(٩) سيرة ابن هشام (٣٤٢/١) والروض (٩٥/٢) .

(١٠) كذا في ط ، وفي ح : غاروا براء مهملة ، وفي سيرة ابن هشام والروض : غازوا .

(١١) فتح الباري (٣٦٨٤) فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب . و (٣٨٦٣) مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب .

(١٢) في ط : « عمر بن الخطاب » ، وليست في ح ولا في صحيح البخاري الذي ينقل منه المصنف .

وقال زياد البكائي<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي مُسْعَرُ بْنُ كِدَامَ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودَ : إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا ، وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا ، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً ، وَلَقَدْ كُنَّا وَمَا نَصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرَ قَاتَلَ قَرِيشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ بَعْدَ خُرُوجِ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَبَشَةِ .

حَدَّثَنِي<sup>(٣)</sup> عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، عَنْ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّا لَنَتَرَحَّلُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَقَدْ ذَهَبَ عَامِرٌ فِي بَعْضِ حَاجَتِنَا ، إِذْ أَقْبَلَ عُمَرَ فَوَقَّفَ عَلَيَّ وَهُوَ عَلَى شِرْكَهِ ؛ فَقَالَتْ : وَكُنَّا نَلْقَى مِنْهُ أَدَى لَنَا وَشَدَّةٌ عَلَيْنَا قَالَتْ : فَقَالَ : إِنَّهُ لِلانْطِلَاقِ يَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ . قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ، لَنَخْرُجَنَّ فِي أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِذْ آذَيْتُمُونَا وَقَهَرْتُمُونَا ؟ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَنَا مَخْرَجًا . قَالَتْ : فَقَالَ : صَحِبْكُمْ اللَّهُ وَرَأَيْتُ لَهُ رِقَّةً لَمْ أَكُنْ أَرَاهَا . ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ أَحْزَنَهُ - فِيمَا أَرَى - خُرُوجُنَا . قَالَتْ : فَجَاءَ عَامِرٌ بِحَاجَتِنَا تِلْكَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَ عُمَرَ آفَنَاءً وَرَقَّتَهُ وَحُزْنُهُ عَلَيْنَا . قَالَ : أَطْمَعْتَ فِي إِسْلَامِهِ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ نَعَمْ ! قَالَ : لَا يُسْلِمُ الَّذِي رَأَيْتَ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ : يَا سَأَا مِنْهُ لَمَّا كَانَ يُرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَقَسْوَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ .

قلت : هذا يردُّ قولَ من زعم أنه كان تمام الأربعين من المسلمين ، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين ، اللهم إلا أن يُقال : إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين ؛ ويؤيد هذا ما ذكره ابن إسحاق هاهنا في قصة إسلام عمر وحده رضي الله عنه ، وسياقها فإنه قال<sup>(٤)</sup> : وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ زَوْجُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَهُمْ مُسْتَخْفُونَ بِإِسْلَامِهِمْ مِنْ عُمَرَ ، وَكَانَ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَّامِ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ - قَدْ أَسْلَمَ أَيْضًا مُسْتَخْفِيًا بِإِسْلَامِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ يُقْرئُهَا الْقُرْآنَ ، فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يَرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتِ عَبْدِ الصَّفَا ، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مِنْ بَيْنِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُمَةُ حَمْرَةٌ وَأَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصَّدِيقُ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَفِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ . فَلَقِيَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : أَرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِيَّ الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قَرِيشَ ، وَسَقَّه أَحْلَامُهَا وَعَابَ دِينَهَا وَسَبَّ آلَهَا فَأَقْتَلَهُ . فَقَالَ لَهُ نُعَيْمُ : وَاللَّهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عُمَرُ ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي

(١) في سيرة ابن هشام (١/٣٤٢) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٢١) .

(٣) المتكلم هو ابن إسحاق ، والخبر في سيرة ابن هشام (١/٣٤٢) .

(٤) سيرة ابن هشام (١/٣٤٣) والروض (٢/٩٥) .

على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجعُ إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأيّ أهل بيتي، قال: خنتك وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه، فعليك بهما.

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وعندها خباب<sup>(١)</sup> بن الأرت، معه صحيفة فيها ﴿ طه ﴾ يُقرئها إياها، فلما سمعوا حسَّ عمر تغيب خباب في مُخدع لهم<sup>(٢)</sup> - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها، فلما دخل قال: ما هذه الهينة<sup>(٣)</sup> التي سمعتُ؟ قالوا له: ما سمعت شيئاً. قال: بلى والله، لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بخنته سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها فضرِبها فشجَّها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخنته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدَّم ندم على ما صنع وازعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرأون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد؟ - وكان عمر كاتباً - فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافي وحلف لها باللهته ليردَّنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه، فقالت: يا أخي، إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المُطَهَّرُونَ. فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها ﴿ طه ﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له: والله يا عمر، إنِّي لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول: « اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب ». فإله الله يا عمر. فقال عند ذلك: فدُلَّني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرَبَ عليهم الباب. فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب، فإذا هو بعمر متوشَّح بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشَّحاً بالسيف، فقال حمزة: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: « ائذن له » فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بحجزته أو بمجمع رداءه ثم جذبهُ جذبةً شديدة فقال: « ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ». فقال عمر: يا رسول الله جئتُك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله. قال: فكبر رسول الله ﷺ

(١) في سيرة ابن هشام: إلى أخته وخنته، وعندهما خباب.

(٢) « المخدع »: هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت، وتضم ميمه وتفتح. اللسان (خدع).

(٣) في ح: الهمهمة. وفي الهامش: الهينة. وفوقها (خ) إشارة إلى رواية نسخة، والهمهمة والهينة: الكلام الخفي لا يفهم. النهاية لابن الأثير (همهم، هينم).

تكبيرة ، فعرف أهل البيت أنَّ عمر قد أسلم . ففرَّق أصحاب رسول الله من مكانهم وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوهم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحَدَّثني عبد الله بن أبي نجيع المكي عن أصحابه : عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك . أنَّ إسلام عمر فيما تحدَّثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مُباعدًا وكنت صاحبَ خمرٍ في الجاهليَّة أُحِبُّها وأشربها<sup>(٣)</sup> ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحزورة<sup>(٤)</sup> فخرجتُ ليلة أريدُ جلسائي أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً ، فقلت : لو أنني جئتُ فلاناً الخمارَ لعلِّي أجد عنده خمرًا فأشرب منها . فخرجتُ فجئتُه فلم أجدُه قال : فقلت : لو أنني جئتُ الكعبة فطُفْتُ سبعا أو سبعتين ، قال : فجئتُ المسجد ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الرُّكنين : الأسود واليماني . قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنني استمعتُ لمحمد ليلة حتى أسمع ما يقول ، فقلت : لئن دنوتُ منه لأستمع منه لأرْوَعَه ، فجئتُ من قِبَلِ الحِجْرِ ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشي رويدا ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمتُ في قبلته مستقبلةً ، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة قال : فلما سمعتُ القرآن رقَّ له قلبي وبكيتُ ودخلني الإسلام ، فلم أزل في مكاني قائما حتى قضى رسولُ الله ﷺ صلاته ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين - وكان مسكنه في الدار الرُّقْطاء التي كانت بيد معاوية - . قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهري أدركته . فلما سمع [ رسول الله ﷺ ]<sup>(٥)</sup> حَسِّي عرفني ، فظنَّ أنني إنما اتبعته لأوذيهِ ، فنَهمني<sup>(٦)</sup> ، ثم قال : « ما جاء بك يا ابنَ الخطَّاب هذه الساعة » قال : قلت : جئتُ لأومنَ بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله . قال : فحمد الله رسولُ الله ﷺ ثم قال : « قد هدَّاكَ الله يا عمر » ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرف ودخل رسولُ الله ﷺ بيته .

قال ابنُ إسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان .

- (١) سيرة ابن هشام (٣٤٦/١) والروض (٩٦/٢) .
- (٢) سيرة ابن هشام (٣٤٦/١) والروض (٩٧/٢) .
- (٣) في سيرة ابن هشام والروض : وأشربها .
- (٤) « الحزورة » : بالفتح ثم السكون وفتحت الواو ، وراء وهاء ؛ هو في اللغة الرابية الصغيرة وجمعها حزاور ، وقال الدارقطني : كذا صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو وهو تصحيف ، وكانت الحزورة سوق مكة وقد دخلت المسجد لمَّا زيد فيه . معجم البلدان (٢٥٥/٢) .
- (٥) الزيادة من سيرة ابن هشام .
- (٦) أي زجرني وصاح بي . النهاية لابن الأثير (نهم) .

قلت : وقد استقصيتُ كيفيةَ إسلام عمر رضي الله عنه وما ورد في ذلك من الأحاديث والآثار مطوّلاً في أول سيرته التي أفرَدْتُها على حدة والله الحمد والمِنَّة .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني نافع مولى ابنِ عمر عن ابنِ عمر . قال : لما أسلم عمر قال : أيُّ قريش أنقل للحديث ؟ فقل له : جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه ، قال عبد الله : وغدوتُ أتبع أثره وأنظر ما يفعل - وأنا غلامٌ أعْقِلُ كلَّ ما رأيت - حتى جاءه فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أني أسلمتُ ودخلتُ في دينِ محمد ﷺ ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يُجُرُّ رداءه واتبَّعه عمر ، واتبَّعته أنا حتى قام على باب المسجد ، صرَّخ بأعلى صوته : يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إنَّ ابنَ الخطَّاب قد صبأ . قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنِّي قد أسلمتُ وشهدتُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله ، وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامتِ الشمس على رؤوسهم . قال : وطلَّح<sup>(٢)</sup> فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلفُ بالله أن لو قد كنَّا ثلاثمئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا . قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلَّةٌ حِبرَة ، وقميصٌ مَوْشَى ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر . قال : فمه ؟ رجلٌ اختارَ لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بني عديٍّ يُسلمون لكم صاحبهم هكذا ؟ خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكانما كانوا ثوباً كُشِط عنه . قال : فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبة من الرجل الذي زَجَرَ القومَ عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أيُّ بُني العاصِ بن وائل السهمي .

وهذا إسنادٌ جيّدٌ قويٌّ ، وهو يدلُّ على تأخّر إسلام عمر ، لأنَّ ابنَ عمر عُرض يومُ أُحُد وهو ابنُ أربع عشرة سنة ، وكانت أُحُد في سنة ثلاثٍ من الهجرة ، وقد كان مميّزاً يوم أسلم أبوه ، فيكون إسلامه قبل الهجرة بنحوٍ من أربع سنين ، وذلك بعد البعثة بنحوٍ تسع سنين والله أعلم .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> حَدَّثنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حَدَّثنا يونس ، عن ابنِ إسحاق قال : ثم قَدِم على رسولِ الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة - أو قريبٌ من ذلك - من النصارى حين ظهر خبرُه من أرض الحبشة ، فوجدوه في المجلس ، فكلموه وساءلوه ، ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسولُ الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الله عزَّ وجلَّ ، وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا فاضتُ أعينُهم من الدَّمْع ، ثمَّ استجابوا له وآمنوا به وصدَّقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهلٍ في نفرٍ من قريش فقال : خيِّبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم ، فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تظمننَّ مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدَّقتموه بما قال لكم ! ما نعلم ركباً أحقَّ منكم

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٤٨) والروض (٢/٩٧) .

(٢) " طَلَحَ " : أي أغيا . النهاية ( طلح ) .

(٣) في دلائل النبوة (٢/٣٠٦) .

- أو كما قال - قالوا لهم : لا نجاهلكم ، سلام عليكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألو<sup>(١)</sup> أنفسنا خيراً . فيقال : إنَّ النَّفَرَ من نصارى نجران ؛ والله أعلم أي ذلك كان . ويقال : والله أعلم : إنَّ فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ ﴾ [ القصص : ٥٢ - ٥٥ ] .

## فصل

قال البيهقي في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> : باب ما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ، ثم روى عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن ابن إسحاق قال : هذا كتاب من رسول الله ﷺ إلى النجاشي : [ « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي [ الأصم عظيم الحبشة ، سلام على من أتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاية الله ، فإنِّي أنا رسوله ، فأسلم تسلم ﴾ ] يتأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون ﴾ [ آل عمران : ٦٤ ] فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك » .

هكذا ذكره البيهقي بعد قصة هجرة الحبشة ، وفي ذكره هاهنا نظر ، فإن الظاهر أنَّ هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه ، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح ، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى صاحب مصر ، وإلى النجاشي .

قال الزُّهري : كانت كتب النبي ﷺ إليهم واحدة يعني نسخة واحدة ، وكلها فيها هذه الآية وهي من سورة آل عمران ، وهي مدنية بلا خلاف ، فإنه من صدر السورة ، وقد نزل ثلاث وثمانون آية من أولها في وفد نجران كما قررنا ذلك في التفسير والله الحمد والمنة . فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول ، وقوله فيه إلى النجاشي الأصم ، لعل الأصم مقحم من الراوي بحسب ما فهم . والله أعلم .

وأنسب من هذا هاهنا ما ذكره البيهقي<sup>(٣)</sup> أيضاً عن الحاكم ، عن أبي الحسن محمد بن عبد الله الفقيه

(١) في الدلائل : لا نألو .

(٢) دلائل النبوة (٢/٣٠٨) وما يأتي بين معقوفين منه ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٦٢٣) كتاب التاريخ من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة .

(٣) في دلائل النبوة (٢/٣٠٩) .

- بمرؤ - حَدَّثَنَا حماد بن أحمد ، حَدَّثَنَا محمد بن حُميد ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، وكتب معه كتاباً : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأضحم ملك الحبشة ، سلامٌ عليك ، فإنني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول<sup>(١)</sup> الطيبة الحسنة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخته ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبني فتؤمن بي وبالذي جاءني ، فإنني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرأ ، ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر فإنني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من أتبع الهدى » .

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي ، الأضحم بن أبجر ، سلامٌ عليك يا نبي الله ، من الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فوَرَبَّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا ، وقرئنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدقاً وقد بايعتك<sup>(٢)</sup> وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه الله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأضحم بن أبجر ، فإنني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله ، فإنني أشهد أن ما تقول حق<sup>(٣)</sup> .

## فصل

في ذكر مخالفة قبائل قريش بني هاشم وبني عبد المطلب في نصر رسول الله ﷺ

وتحالفهم فيما بينهم عليهم ، على أن لا يبايعوهم ولا يُناكحوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ ، وحضرهم إياهم في شعب أبي طالب مدة طويلة ، وكتاباتهم بذلك صحيفة ظالمة فاجرة ، وما ظهر في ذلك كله من آيات النبوة ودلائل الصدق

قال موسى بن عقبة عن الزهري<sup>(٤)</sup> : ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا ، حتى بلغ

(١) زادت ط : الطاهرة . وليست هذه الزيادة في ح أو الدلائل .

(٢) في ح : تابعتك . وكذا في إحدى نسخ الدلائل .

(٣) إسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد الرازي ، فضلاً عن إرساله .

(٤) الدلائل للبيهقي (٢/ ٣١١) .

المسلمين الجهد ، واشتدَّ عليهم البلاء واجتمعت<sup>(١)</sup> قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية . فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شِعْبَهُمْ ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله . فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حميةً ، ومنهم من فعله إيماناً وبقيناً ؛ فلما عرفت قريش أنَّ القوم قد منعوا رسول الله ﷺ ، وأجمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفةً وعهوداً ومواثيق ، لا يقبلوا<sup>(٢)</sup> من بني هاشم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم<sup>(٣)</sup> رافة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم في شِعْبِهِمْ ثلاث سنين ، واشتدَّ عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركوا<sup>(٤)</sup> لهم طعاماً يقدم مكة ، ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشترَوْه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ ؛ فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكرراً واغتيالاً له ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه ؛ فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن [ بني ]<sup>(٥)</sup> قصي ، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرِّحِم واستخفُّوا بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من العذر والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة<sup>(٦)</sup> فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق .

ويقال : كانت معلقة في سقف البيت ، فلم تترك اسماً لله فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم ؛ وأطلع الله عز وجلَّ رسوله على الذي صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب . فقال أبو طالب : لا والثواقب<sup>(٧)</sup> ما كذبنني . فانطلق يمشي بعصاية من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش ، فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك ، وظنُّوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ . فتكلم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعلَّه أن يكون بيننا وبينكم صلح . وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها . فأتوا بصحيفتهم معجبين بها ، لا يشكُّون أن رسول الله ﷺ

(١) في ط : وجمعت ، والمثبت من ح والدلائل .

(٢) كذا في ح ، ط ودلائل البيهقي .

(٣) في الدلائل : به .

(٤) كذا في جميع الأصول والدلائل بحذف نون الرفع ، وهي لغة .

(٥) الزيادة من الدلائل .

(٦) « الأرضة » : دويبة ، أو دودة تأكل ( تلحس ) الخشب ونحوه . المعجم الوسيط ( أرض ) .

(٧) في ح : الثوابت ، والمثبت من ط والدلائل ؛ والثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المضيء ، أو ما ارتفع من النجوم . اللسان ( ثقب ) .



مدفوعاً<sup>(١)</sup> إليهم فوضعوها بينهم وقال : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يَجْمَعُ قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم . فقال أبو طالب : إنما أُتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نَصَفٌ<sup>(٢)</sup> ، إن ابن أخي أخبرني - ولم يكذبني - أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ، ومحا كل اسم هو له فيها ، وترك فيها غَدْرَكُمْ وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نُسَلِّمُهُ أبداً حتى نموت من عند<sup>(٣)</sup> آخرنا ، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتهم .

قالوا : قد رَضِينَا بالذي تقول ، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا قط إلا سحرٌ من صاحبكم . فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله ﷺ والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه<sup>(٤)</sup> . فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا ، فكيف ترون ؟ فإننا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبِّ والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم ، وهي في أيديكم طمس [ الله ]<sup>(٥)</sup> ما كان فيها من اسمه ، وما كان فيها من بغي تركه ، أفنحن السحرة أم أنتم ؟ فقال عند ذلك النَّفَرُ من بني عبد مناف وبني قُصَيٍّ ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم ، منهم أبو البَخْتري والمُطعم بن عدي ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وزمعة بن الأسود ، وهشام بن عمرو ؛ وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لُؤَيٍّ - في رجال من أشrafهم ووجوههم - نحن بُرَاءٌ مما في هذه الصحيفة . فقال أبو جهل لعنه الله : هذا أمر قُضِيَ بليل . وأنشأ أبو طالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرؤوا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي<sup>(٦)</sup>

قال البيهقي<sup>(٧)</sup> : وهكذا روى شيخنا أبو عبد الله الحافظ - يعني من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير - يعني كسياق موسى بن عقبة رحمه الله - وقد تقدّم عن موسى بن عقبة أنه قال : إنما كانت هجرة الحبشة بعد دخولهم إلى الشَّعْب عن أمر رسول الله ﷺ لهم في ذلك . فالله أعلم<sup>(٨)</sup> .

- (١) كذا في ح ، ط والدلائل ، والوجه : مدفوع .
- (٢) « النَّصَف » : من الإنصاف وهو العدل ، قال ابن الأعرابي : أنصف ؛ إذا أخذ الحق وأعطى الحق ، والاسم النَّصْف والنصفة محركتين ، وتفسيره أن تعطيه من الحق كالذي تستحقه لنفسك . التاج ( نصف ) .
- (٣) في ح ، ط : عندنا ، والمثبت من الدلائل .
- (٤) في الدلائل : والشدة على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين رهطه ، والقيام بما تعاهدوا عليه .
- (٥) الزيادة من الدلائل .
- (٦) القصيدة ستأتي .
- (٧) في الدلائل (٢/ ٣١٤) .
- (٨) انظر قول موسى بن عقبة في ص (٢٨٢) .

قلت : والأشبه أن أبا طالب إنما قال قصيدته اللامية التي قدّمنا ذكرها بعد دخولهم الشعب أيضاً فذكرها هاهنا أنسب . والله أعلم .

ثم روى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : لما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به [ وقامت بنو هاشم وبني المطلب دونه ، وأبوا أن يُسلموه وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه ، إلا أنهم أنفوا أن يُستذلوا ويُسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه . فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبني المطلب وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد ، اجتمعوا على أن<sup>(٢)</sup> يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب أن لا يناكحوهم ولا يَنكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة في ذلك وعلّقوها بالكعبة ، ثم عدّوا على من أسلم فأوثقوهم وأذوهم ، واشتدّ عليهم البلاء وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزلاً شديداً .

ثم ذكر القصة بطولها في دخولهم شعب أبي طالب وما بلغوا فيه من فتنة الجهد الشديد ، حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ، حتى كره عامّة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم الظالمة ، وذكر<sup>(٣)</sup> أن الله برحمته أرسل على صحيفة قريش الأرضة فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبُهتان ، فأخبر الله تعالى بذلك رسول الله ﷺ فأخبر بذلك عمّه أبو طالب ، ثم ذكر بقيّة القصة كرواية موسى بن عقبة وأتم .

وقال ابن هشام<sup>(٤)</sup> عن زيد عن محمد بن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيها أمناً وقراراً ، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأنّ عمر قد أسلم فكان هو وحمزّة مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يَفْشُو في القبائل اجتمعوا وأتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب<sup>(٥)</sup> على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ؛ فلما اجتمعوا لذلك كتبوا<sup>(٦)</sup> في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي . قال ابن هشام : ويقال : النَّضْر بن الحارث ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشَلَّ بعضُ أصابعه .

(١) في الدلائل (٢/٣١٤) .

(٢) سقط ما بين المعقوفين من ح وتقويمه من الدلائل .

(٣) في ح ، ط : وذكروا . والمثبت من الدلائل ، والذي ذكر هو محمد بن إسحاق كما تقدم .

(٤) سيرة ابن هشام (١/٣٥٠) والروض (٢/١٠١) .

(٥) في ح ، ط : وبني عبد المطلب ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٦) في ح ، ط : كتبوا ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

وقال الواقدي : كان الذي كتب الصحيفة طلحة بن أبي طلحة العبدري<sup>(١)</sup>

قلت : والمشهور أنه منصور بن عكرمة كما ذكره ابن إسحاق ، وهو الذي شلت يده فما كان ينتفع بها ، وكانت قريش تقول بينها : انظروا إلى منصور بن عكرمة .

قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : وكانت الصحيفة معلقة في جوف الكعبة .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم .

وحدثني حسين بن عبد الله ، أن أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا ، فقال : يا ابنة عتبة ، هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقتها وظاهر عليها<sup>(٤)</sup> ؟ قالت : نعم ! فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدثت أنه كان يقول - في بعض ما يقول - يحدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ، ثم ينفخ في يديه فيقول : تباً لكما ، لا أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد . فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب : [من الطويل]

ألا أبلغاً عني على ذات بيننا      لؤياً وخضاً من لؤي بني كعب<sup>(٦)</sup>  
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً      نبياً كموسى خطاً في أول الكتب<sup>(٧)</sup>  
وأن عليه في العباد محبة      ولا خير ممن خصه الله بالحُب<sup>(٨)</sup>

(١) في ط : العبدوي ، والمثبت من ح والإكمال (٣٤٩/٦) .

(٢) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (٢٠٩/١) .

(٣) سيرة ابن هشام (٣٥١/١) والروض (١٠٢/٢) .

(٤) في سيرة ابن هشام والروض : فارقهما وظاهر عليهما .

(٥) سيرة ابن هشام (٣٥٢/١) والروض (١٠٢/٢) والشعر فقط في السير والمغازي ص (١٥٧) .

(٦) هذه رواية ط وسيرة ابن هشام والروض . ورواية ح :

ألا بلغاً عني قريشاً وبيتنا      لؤياً وخضاً من لؤي بني كعب

وفي السير : . . . على ذات نايتها ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض وقال السهيلي فيه (١٠٩/٢) : « ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه : صفة لمحدوف مؤنث ، كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم ، كما قال الله سبحانه : ﴿ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، فكذا إذا قلت ذات يده ، يريد أمواله أو مكتسباته .

(٧) رواية ح : نبياً كما قد خط . . . وفي الهامش : كموسى ، وفوقها حرف : خ إشارة إلى رواية نسخة .

(٨) قال السهيلي : معلقاً على الشطر الثاني في الروض (١١٠/٢) : وهو مشكل جداً لأن « لا » في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا إلا منوناً تقول : لا خيراً من زيد في الدار ، ولا شراً من فلان ، وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير =

وَأَنْ الَّذِي أَلْصَقْتُمْ مِنْ كِتَابِكُمْ      لَكُمْ كَائِنْ نَحْسًا كِرَاغِيَةِ السَّقْبِ<sup>(١)</sup>  
 أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى      وَيَصْبَحَ مِنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ  
 وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوَشَاةِ وَتَقْطَعُوا      وَأَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوْدَةِ وَالْقُرْبِ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرَبْمَا      أَمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَسْنَا وَرَبَّ الْبَيْتِ نُسَلِّمُ أَحْمَدًا      لِعِزَّاءَ مِنْ حَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ      وَأَيْدٍ تَبَارَتْ بِالْقَسَاسِيَةِ الشُّهْبِ<sup>(٥)</sup>  
 بِمَعْتَرِكِ ضَيْقٍ تَرَى كِسَرَ الْقَنَا      بِهِ وَالنَّسُورَ الطُّخْمَ يَغْكُفْنَ كَالشَّرْبِ<sup>(٦)</sup>  
 كَأَنْ مَجَالَ الْخَيْلِ فِي حَجَرَاتِهِ      وَمَعْمَعَةَ الْأَبْطَالِ مَعْرَكَةُ الْحَرْبِ<sup>(٧)</sup>  
 أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شُدَّ أَرْزُهُ      وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَانِ وَبِالضَّرْبِ  
 وَلَسْنَا نَمْلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمْلَنَّا      وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوُبُ مِنَ النَّكْبِ  
 وَلَكِنَّا أَهْلُ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَى      إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكِمَاةِ مِنَ الرُّعْبِ

موصول بما بعده كقوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِيْبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ﴾ لأن عليكم ليس من صلة التثريب، لأنه في موضع الخبر؛ وأشبه ما يقال في بيت أبي طالب أن خير مخفف من «خير» كهين وميت وفي التنزيل ﴿خَيْرٌ حَسَنٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] هو مخفف من خيرات. وقوله «ممن من متعلقة بمحذوف، كأنه قال: لا خير أخير ممن خصه الله، وخير أخير: لفظان من جنس واحد فحسّن الحذف استئقلاً لتكرار اللفظ كما حسن ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ أَمَّنَ بِاللَّهِ﴾ و ﴿أَلَحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ﴾ لما في تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان... وفيه يجوز وجه آخر، وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة لأن خيراً من زيد إنما معناه: أخير من زيد، وكذلك شر من فلان، إنما أصله: أشر على وزن أفعّل، وحذف الهمزة تخفيفاً، وأفعّل لا ينصرف، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونوّن، فإذا توهّمها غير ساقطة التفاتاً إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر. اهـ.

(١) في ح: لَصَقْتُمْ... لرعاية الشعب. قال السهيلي في الروض (١١١/٢): وقوله كراغية السقب: يريد ولد الناقة التي عقرها قدار، فرغا ولدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك، فضربت العرب ذلك مثلاً في كل هلكة اهـ.

(٢) في ح: وتقطعوا عناصرنا... .

(٣) جاء في الأساس (حلب): هذا فيء المسلمين وحلب أسياهم. وذاقوا حلب أمرهم: أي وباله. وفي سيرة ابن هشام «حلب» بالجيم.

(٤) «العزاء»: الشدة من مرض أو موت أو غير ذلك. الأساس (عز): .

(٥) قال السهيلي في الروض (١١١/٢): وقوله بالقساسة الشهب: يعني السيوف، نسبها إلى قساس، وهو معدن حديد لبني أسد، وقيام اسم للجبل الذي فيه المعدن. ورواية ط والسيرة: وأيد أترت. أي قطعت. وما أثبتته رواية ح.

(٦) «النسور الطخم»: هي السود الرؤوس، قاله صاحب العين، وقال أيضاً: الطخمة سواد في مقدم الأنف. الروض (١١١/٢).

(٧) «الحجرات»: النواحي مفردا. حجرة، وهي الناحية. اللسان (حجر): .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جُهدوا ، ولم يصل إليهم شيء إلا سراً مستخفياً به مَنْ أراد صِلَتَهُمْ من قريش . وقد كان أبو جهل بن هشام - فيما يذكرون - لقي حَكِيمَ بْنَ حِزَامِ بْنَ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ مَعَهُ غُلَامٌ يَحْمِلُ قَمْحاً ، يُرِيدُ بِهِ عَمَّتَهُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وهي عند رسول الله ﷺ في الشَّعْبِ ، فتعلَّقَ به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة . فجاءه أبو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ فقال : ما لك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم . فقال له أبو الْبَخْتَرِيِّ : طعامٌ كان لعمَّتِهِ عنده بعثت به إليه أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خلَّ سبيلَ الرجل . قال : فأبى أبو جهل لعنه الله حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو الْبَخْتَرِيِّ لَحْيَ بَعِيرٍ فَضْرِبَهُ ، فَشَجَّهُ وَوَطِئَهُ وَطْئاً شَدِيداً ، وَحَمَزَهُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ فَيَشْتَمُونَ بِهِمْ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلَاناً وَجَهَاراً مُبَادِياً لِأَمْرِ<sup>(٢)</sup> اللَّهِ تَعَالَى ، لَا يَتَّقِي فِيهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ .

فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمُّه وقومُه من بني هاشم وبني عبد المطلب<sup>(٣)</sup> دونه وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من الْبَطْشِ به ، يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونهم وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم وفيمن نَصَبَ لعداوته ، منهم من سُمِّيَ لنا ، ومنهم من نزل القرآن في عامَّةٍ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ مِنَ الْكُفَّارِ .

فذكر ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> أبا لهب ونزول السورة فيه ، وأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنَزُولُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُْمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] السورة بكمالها فيه . وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ وَنَزُولُ قَوْلِهِ : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : ٧٧] فيه . وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . وَأَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ وَقَوْلُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَتَتْرُكَنَّ سَبَّ آلِهَتِنَا أَوْ لَنَسَبَنَّ آلِهَتَكَ ، وَنَزُولُ قَوْلِ اللَّهِ فِيهِ ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] الآية . وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ<sup>(٥)</sup> ، وَجُلُوسُهُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَجَالِسِهِ حَيْثُ يَتْلُو الْقُرْآنَ ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ ، فَيَتْلُو عَلَيْهِمُ النَّضْرُ شَيْئاً مِنْ أَخْبَارِ رِسْتَمٍ وَاسْفَنْدِيَارٍ ، وَمَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنَ الْحُرُوبِ فِي زَمَنِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا مُحَمَّدٌ بِأَحْسَنَ حَدِيثاً مِنِّي ، وَمَا حَدِيثُهُ

(١) سيرة ابن هشام (١/٣٥٣) والروض (٢/١٠٣) .

(٢) في ط : منادياً بأمر الله ، والمثبت من ح .

(٣) في السيرة والروض : وبني المطلب .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/٣٥٦ - ٣٦٠) .

(٥) زادت ط بين معترضتين ما نصه : ومنهم من يقول علقمة بن كلدَةَ قَالَ السَّهْلِيُّ . وَلَيْسَتْ هَذِهِ الزِّيَادَةُ فِي ح وَلَعَلَّهَا مِنَ النَّسَاحِ لِأَنَّ السَّهْلِيَّ أَثْبَتَ نَصَ ابْنِ هِشَامٍ كَمَا هُوَ ثُمَّ عَلِقَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ الرُّوضُ (٢/١١٥) : وَقَالَ فِي نَسَبِهِ : كَلْدَةُ بْنُ عُلْقَمَةَ ، وَغَيْرِهِ مِنَ النَّسَابِ يَقُولُ : عُلْقَمَةُ بْنُ كَلْدَةَ ، وَكَذَلِكَ أَلْفَيْتُهُ فِي حَاشِيَةِ كِتَابِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ عَنِ الْوَلِيدِ . اهـ . جُمُهِرَةُ الْأَنْسَابِ لِابْنِ حَزْمٍ (ص ١٢٦) .

إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان : ٥] وقوله : ﴿ وَيَلْ لَّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الباقية : ٧] .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وجلس رسول الله ﷺ - فيما بلغنا<sup>(٢)</sup> - يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم ، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر ، فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ ﴿ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨ - ١٠٠] . ثم قام رسول الله ﷺ ، وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لا بن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَبُ جَهَنَّمَ . فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أكل ما<sup>(٣)</sup> يُعبد من دون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عُزَيْراً ، والنصارى تعبد عيسى . فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى ! ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ . فقال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده في النار ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١ - ١٠٢] أي : عيسى وعُزَيْر ومن عبد من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى . ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦] . والآيات بعدها ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ ﴿ وَقَالُوا أَلِإِلَهتنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧ - ٥٨] وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن ما لما لا يعقل ، فقله : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صوراً أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عُزَيْراً ، ولا أحداً من الصالحين لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى . فهم يعلمون أن ما ضربه بعيسى بن مريم من المثل جدل باطل كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالُوا أَلِإِلَهتنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . ثم قال : ﴿ إِنَّ هُوَ ﴾ أي عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي بنوتنا ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] أي دليلاً على تمام قدرتنا على ما نشاء حيث خلقناه من أنثى بلا ذكر ، وقد

(١) سيرة ابن هشام (٣٥٨/١) والروض (١٠٦/٢) .

(٢) في سيرة ابن هشام والروض : فيما بلغني .

(٣) في ط : أكل من بعده . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

خلقنا حواء من ذكرٍ بلا أنثى ، وخلقنا آدم لا من هذا ولا من هذا ، وخلقنا سائر بني آدم من ذكرٍ وأنثى كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أي أمارَةً ودليلاً على قُدْرَتنا الباهرة ﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾ [مريم : ٢١] نرحم بها مَنْ نشاء .

وذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : الأخنس بن شريق ونزول قوله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاكِ مَهِينٍ ﴾ [القلم : ١٠] الآيات ، وذكر الوليد بن المغيرة حيث قال : أُنْزِلُ على محمدٍ وأترك وأنا كبيرُ قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمر<sup>(٢)</sup> الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيمي القريتين . ونزل قوله فيه ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup> والتي بعدها .

وذكر<sup>(٣)</sup> أبي بن خلف حين قال لعقبة بن مُعَيْط : ألم يبلُغني أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ، وَجْهِي من وجهك حرام إلا أن تتفلَّ في وجهه . ففعل ذلك عدوُّ الله عقبة لعنه الله ، فأنزل الله ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾<sup>(٢٧)</sup> يَوَلَّتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿ [الفرقان ٢٧-٢٨] والتي بعدها . قال : ومشى أبي بن خلف بعظمٍ بالٍ قد أَرَمَ<sup>(٤)</sup> فقال : يا محمد ، أنت تزعمُ أن الله يبعث هذا بعدما أَرَمَ . ثم فته بيده ثم نفخه في الرِّيح نحو رسول الله ﷺ . فقال : « نعم ، أنا أقولُ ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يُدخلك النار » . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾<sup>(٥٨)</sup> قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ [يس : ٧٨-٧٩] إلى آخر السورة .

قال : واعترض رسول الله ﷺ - فيما بلغني - وهو يطوف عند باب الكعبة - الأسود بن المغيرة ، وأميه بن خلف ، والعاص بن وائل فقالوا : يا محمد ، هَلُمَّ فلنعبُدُ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر . فأنزل الله فيهم ﴿ قُلْ يَتَائِبُ الْكَافِرُونَ ﴾<sup>(٦١)</sup> لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿ [الكافرون : ١-٢] إلى آخرها .

ولما سمع أبو جهل بشجرة الزُّقُوم . قال : أتدرون ما الزُّقُوم ؟ هو تمر يثرب<sup>(٥)</sup> بالزُّبْد . ثم قال : هَلُمُّوا فلننزقُم . فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ<sup>(٦٢)</sup> طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٣-٤٤] .

(١) في سيرة ابن هشام (١/٣٦٠) والروض (٢/١٠٧) .

(٢) في ح : عمرو بن عمرو وفي أصل ط : عمرو بن عمر والمثبت من سيرة ابن هشام (١/٣٦١) واختلف فيمن نزلت هذه الآية ﴿ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ من بني ثقيف ؛ فقيل : نزلت بأبي مسعود عروة بن مسعود ، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي ، أو مسعود بن عمرو بن عمر الثقفي ، أو كنانة بن عمرو بن عمرو بن عمير . تفسير الطبري (١٣/٦٥) وتفسير ابن كثير (٧/٣٧٤ ، ٣٧٥) في تفسير آية ٣١ من سورة الزخرف .

(٣) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/٣٦١) .

(٤) « أَرَمَ » : بلي ؛ وفي السيرة : ارفث . ومعناه تحطم وتكسّر . اللسان (رَمَمَ ، رُمْتُ) .

(٥) في ط : يضرب ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض . قال السهيلي في الروض (٢/١١٨) .

قال<sup>(١)</sup> : ووقف الوليد بن المغيرة فكلم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يكلمه وقد طمع في إسلامه فمر به ابن أم مكتوم - عاتكة بنت عبد الله بن عنكته<sup>(٢)</sup> - الأعمى ، فكلم رسول الله ﷺ ، وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك عليه حتى أضجره ، وذلك أنه شغلته عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً ، وتركه فأنزل الله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ مَرْثُوعَةً مُّطَهَّرَةً ﴾ [عبس : ١-٤١] .

وقد قيل : إن الذي كان يحدث رسول الله ﷺ حين جاءه ابن أم مكتوم أمية بن خلف . فالله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> من عاد من مهاجرة الحبشة إلى مكة وذلك حين بلغهم إسلام أهل مكة ، وكان النقل ليس بصحيح ، ولكن كان له سبب ، وهو ما ثبت في الصحيح وغيره أن رسول الله ﷺ جلس يوماً مع المشركين ، وأنزل الله عليه ﴿ وَالنَّجْوَى إِذَا هَوَى ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾ [النجم : ١-٢] يقرأها عليهم حتى ختمها وسجد . فسجد من هناك من المسلمين والمشركين والجن والإنس ، وكان لذلك سبب ذكره كثير من المفسرين عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] وذكروا قصة الغرانيق<sup>(٤)</sup> ، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضعها ، إلا أن أصل القصة في الصحيح .

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . انفراد به البخاري دون مسلم .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت الأسود ، عن عبد الله قال : قرأ النبي ﷺ والنجم بمكة ، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصاً - أو تراب - فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا ، فرأيت بعد [ ذلك ] قتل كافراً .

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث شعبة<sup>(٧)</sup>

- (١) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (٣٦٣/١) والروض (١٠٨/٢) .
- (٢) ليس ما بين المعترضتين في ح ولا في سيرة ابن هشام ، وهو في الروض وترجمته في الإصابة عمرو بن أم مكتوم ويقال : اسمه عبد الله .
- (٣) سيرة ابن هشام (٣٦٥/١) وما بعدها .
- (٤) قصة الغرانيق باطلة .
- (٥) فتح الباري (٤٨٦٢) التفسير باب فاسجدوا لله واعبدوا .
- (٦) فتح الباري (١٠٦٧) سجود القرآن باب ما جاء في سجود القرآن وستتها . وما يأتي بين معقوفين منه .
- (٧) صحيح مسلم (٥٧٦) (١٠٥) المساجد ومواضع الصلاة باب سجود التلاوة ، وسنن أبي داود (١٤٠٦) الصلاة باب =



وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ، حَدَّثَنَا رَبَاحٌ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قرأ رسولُ الله ﷺ بمكة سورةَ النجم ، فسجد وسجد من عنده ، فرفعتُ رأسي وأبَيْتُ أَنْ أسجد - ولم يكن أسلم يومئذ المطلب - فكان بعد ذلك<sup>(٢)</sup> لا يسمعُ أحداً يقرؤها إلا سجد معه .

وقد رواه النسائي<sup>(٣)</sup> عن عبد الملك بن عبد الحميد ، عن أحمد بن حنبل به .

وقد يجمع بين هذا والذي قبله بأن هذا سجد ولكنه رفع رأسه استكباراً ، وذلك الشيخ الذي استثناه ابنُ مسعود لم يسجد بالكَلْبَةِ . والله أعلم .

والمقصود أنَّ الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعةً لرسولِ الله ﷺ اعتقد أنهم قد أسلموا واصطلحوا معه ، ولم يبق نزاعٌ بينهم . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنُّوا صحة ذلك ، فأقبل منهم طائفةٌ طامعين بذلك . وثبتت جماعةٌ ، وكلاهما محسنٌ مُصيبٌ فيما فعل ، فذكر ابنُ إسحاق<sup>(٤)</sup> أسماءَ مَنْ رجعَ ، منهم : عثمان بن عفان ، وامراتُهُ رُقَيْيَةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ ، وأبو حُذَيْفَةَ ابنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ ، وامراتُهُ سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلٍ ، وعبد الله بن جَحْشٍ بنِ رِثَابٍ ، وعُتْبَةُ بنُ عَزْوَانٍ ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وسُوَيْبُطُ بنُ سَعْدٍ ، وطُليَبُ بنُ عمرٍ ، وعبد الرحمن بنُ عَوْفٍ والمِقْدَادُ بنُ عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامراتُهُ أم سلمة بنتُ أبي أمية بن المغيرة ، وشَمَّاسُ بن عثمان ، وسَلَمَةُ بن هشام ، وعِيَّاشُ بن أبي ربيعة - وقد حُبِسَا بمكة حتى مضت بدرٌ وأُحُدٌ<sup>(٥)</sup> والخندق - وعمَّارُ بن ياسر - وهو ممَّنْ شُكِّ فيه أَخْرَجَ إلى الحبشة أم لا . ومُعْتَبُ بن عوف ، وعثمان بن مَظْعُونٍ ، وابنه السائب ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون ، وخُنَيْسُ بن حُذَافَةَ ، وهشام بن العاص بن وائل - وقد حُبِسَ بمكة إلى بعد الخندق - وعامر بن ربيعة ، وامراتُهُ ليلَى بنتُ أبي حُثْمَةَ ، وعبد الله بن مَخْرَمَةَ ، وعبد الله بن سُهَيْلٍ بن عمرو - وقد حُبِسَ حتى كان يوم بدر فانحاز إلى المسلمين فشهد معهم بَدْرًا - وأبو سَبْرَةَ بن أبي رُهم ، وامراتُهُ أم كلثوم بنت سُهَيْلٍ ، والسكران بن عمرو بن عبد شمس ، وامراتُهُ سَوْدَةُ بنت زمعة - وقد مات بمكة قبل الهجرة ، وخَلَفَ على امرأتِهِ رسولُ الله ﷺ - وسعد بن خَوْلَةَ ، وأبو عُبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسُهَيْلُ بن بَيْضَاءٍ ، وعمرو بن أبي سَرْحٍ ، فجميعُهم ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً رضي الله عنهم .

= من رأى فيها السجود ، وسنن النسائي (٩٥٩) الافتتاح باب السجود في والنجم .

(١) في مسنده (٤٢٠/٣) رقم (١٥٤٠٣ - ١٥٤٠٤) .

(٢) ليست اللفظة في مسند أحمد .

(٣) سنن النسائي (٩٥٨) الافتتاح باب السجود في والنجم ، وهو حديث صحيح .

(٤) سيرة ابن هشام (٣٦٥/١) وما بعدها .

(٥) في ح ، ط : مضت بدرًا واحداً ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : وقالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « أُرِيْتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَا بَتَيْنِ »  
فهاجر مَنْ هاجر قَبْلَ المدينة ، وَرَجَعَ عَامَّةٌ مَنْ كَانَ هَاجِرًا إِلَى الْحَبْشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِيهِ عَنْ أَبِي مُوسَى  
وَأَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وقد تقدّم حديثُ أبي موسى وهو في الصحيحين<sup>(٢)</sup> ، وسيأتي حديثُ أسماء بنت عُمَيْسٍ بعد فتح خيبر  
حين قَدِمَ مَنْ كَانَ تَأَخَّرَ مِنْ مِهَاجِرَةِ الْحَبْشَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَبِهِ الثَّقَةُ<sup>(٣)</sup> .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ  
عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كُنَّا نَسْلَمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصْلِي ، فَيُرَدُّ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ  
النَّجَاشِيِّ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا نَسْلَمُ عَلَيْكَ فَتَرَدُّ عَلَيْنَا ، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ  
عِنْدِ النَّجَاشِيِّ لَمْ تَرُدَّ عَلَيْنَا ؟ قَالَ : « إِنَّ فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا » .

وقد روى البخاري أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق أخر عن سليمان بن مهران عن الأعمش  
به<sup>(٥)</sup> ؛ وهو يَقْوِي تَأْوِيلَ مَنْ تَأَوَّلَ حَدِيثَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمِ الثَّابِتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٦)</sup> : كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ  
حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ فَنِّتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ .

على أَنَّ المراد جنس الصحابة ، فَإِنَّ زَيْدًا أَنْصَارِيَّ مَدَنِيَّ ، وَتَحْرِيمُ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ ثَبَّتَ بِمَكَّةَ ،  
فَتَعَيَّنَ الْحَمْلُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَأَمَّا ذِكْرُهُ الْآيَةَ وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ فَمَشْكَالٌ ، وَلَعَلَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّهَا الْمَحْرَمَةُ لِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا  
كَانَ الْمَحْرَمُ لَهُ غَيْرُهَا مَعَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وَكَانَ مِمَّنْ دَخَلَ مَعَهُمْ بِجَوَارٍ ؛ عَثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي جَوَارِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ،  
وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ فِي جَوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّ أُمَّهُ بَرَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . فَأَمَّا عَثْمَانُ بْنُ

(١) فتح الباري (١٨٦/٧) مناقب الأنصار بهجرة الحبشة . هكذا رواه هنا معلقاً مجزوماً ، وأخرجه موصولاً في باب  
هجرة النبي ﷺ إلى المدينة (٣٩٠٥) عن عائشة في حديث طويل . وأخرجه أيضاً في (٢٢٩٧) الكفالة باب جوار  
أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده .

(٢) تقدم حديث أبي موسى في ص (٢٨٨ ح ٦) ، وروايته التامة في فتح الباري (٣٨٧٦) مناقب الأنصار وباب هجرة  
الحبشة ، وصحيح مسلم (٢٥٠٢) (١٦٩) فضائل الصحابة باب فضائل جعفر بن أبي طالب .

(٣) سيأتي في (٢٠٥/٤) ط .

(٤) فتح الباري (٣٨٧٥) مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة .

(٥) فتح الباري (١١٩٩) العمل في الصلاة باب ما ينهى من الكلام في الصلاة و(١٢١٦) باب لا يرد السلام في الصلاة ،  
وصحيح مسلم (٥٣٨) (٣٤) المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ، وسنن أبي داود (٩٢٣)  
الصلاة باب رد السلام في الصلاة ، وسنن النسائي (١٢٢١) السهو باب الكلام في الصلاة .

(٦) فتح الباري (١٢٠٠) العمل في الصلاة باب ما ينهى من الكلام في الصلاة ، و(٤٥٣٤) التفسير باب وقوموا لله  
قانتين ، وصحيح مسلم (٥٣٩) (٣٥) المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة .

(٧) سيرة ابن هشام (١/٣٦٩) .

مظعون فإنَّ صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حَدَّثني عن حذَّه عن عثمان قال : لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحابُ رسولِ الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في أمانٍ من الوليد بن المغيرة قال : والله إنَّ غُدُوِّي وَرَوَاحي في جوار رجلٍ من أهل الشُّرك ، وأصحابي وأهل ديني يَلْقَوْنَ من البلاء والأذى في الله ما لا يُصِيبني لنقصٍ كبير<sup>(١)</sup> في نفسي . فمَشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس ، وَفَتْ ذِمَّتُكَ ، وقد رددتُ إليك جِوارَكَ . قال : لِمَ يا ابنَ أخي ؟ لعلَّ آذاك أحدٌ من قومي ! قال : لا ، ولكنِّي أرضى بجوارِ الله عزَّ وجلَّ ، ولا أريد أن أستجيرَ بغيره . قال : فانطلقْ إلى المسجد فاردُّ عليَّ جِوارِي علانيةً كما أجزَّتك علانيةً . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا عثمان قد جاء يرُدُّ عليَّ جِوارِي . قال : صدَقَ ، قد وجدته وفياً كريم الجِوار ، ولكنِّي قد أحببتُ أن لا أستجيرَ بغيرِ الله فقد رددتُ عليه جِواره . ثمَّ انصرف عثمان رضي الله عنه وليدُ بن ربيعة بن مالك بن جعفر في مجلسٍ من قريش يُنشدُهُم ، فجلس معهم عثمان فقال لبيد : [ من الطويل ]

❖ ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ ❖

فقال عثمان : صدَقْتَ . فقال لبيد :

❖ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ<sup>(٢)</sup> ❖

فقال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يُؤذَى جليسُكُمْ ، فمتى حَدَثَ هذا فيكم ؟ فقال رجلٌ من القوم : إنَّ هذا سَفِيه في سفهاءٍ معه قد فارقوا ديننا ، فلا تَجِدَنَّ في نفسك من قوله . فردَّ عليه عثمان حتى شَرِيَ أمرُهُما<sup>(٣)</sup> ، فقام إليه ذلك الرجل ولَطَمَ عَيْنَهُ فحَضَرَهَا والوليد بن المغيرة قريب يَرَى ما بلغ عثمان . فقال : أما والله يا ابنَ أخي إنَّ كانت عينُكَ عمَّا أصابها لَغَيَّةٌ ، ولقد كنت في ذَمَّةٍ منيعة . قال يقول عثمان : بل والله ، إنَّ عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَهَا في الله ، وإنِّي لفي جِوارٍ مَنْ هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هَلُمَّ يا ابنَ أخي إلى جِوارِكَ فَعُدْ . قال : لا .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وأما أبو سلمة بن عبد الأسد ، فحدَّثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن سَلَمَةَ بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، أنه حَدَّثه أنَّ أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجالٌ من بني مَخْزُوم فقالوا له : يا أبا طالب ، هَلَّا<sup>(٥)</sup> منعت منا ابنَ أخيك محمداً فمالك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : إنَّه استجار بي ، وهو ابنُ أختي ، وإنَّ أنا لم أَمْنع ابنَ أختي لم أَمْنع ابنَ أخي . فقام أبو لهب فقال : يا معشر

(١) في ح ، ط : كثير ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٢) البيت في شرح ديوان لبيد (ص ٢٥٦) من قصيدة يرثي فيها النعمان بن المنذر ، وتخرجه فيه (ص ٣٨٩) .

(٣) « شري أمرهما » : أي عظم وتفاقم ولجؤا فيه . النهاية لابن الأثير ( شري ) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣٧١/١) والروض (١٢١/٢) .

(٥) في سيرة ابن هشام : لقد منعت . . .

قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهنَّ أو لنقومنَّ معه في كلِّ ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتيبة<sup>(١)</sup> . وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله ﷺ فأبقوا على ذلك ، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ ، فقال أبو طالب يُحرِّضُ أبا لهبٍ على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ :  
[ من الطويل ]

وإنَّ امرءاً أبو عُتَيْبَةَ عُمُهُ      لفي روضةٍ ما إنَّ يُسَامُ المظالما  
أقول له ، وأينَ منه نصيحتي      أبا مُعْتَبٍ ثَبَّتْ سَوادك قائما  
ولا تقبلَنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطَّةً      تُسَبُّ بها إمَّا هبُطتَ المواسما  
وولَّ سبيلَ العجزِ غيرَكَ منهمُ      فإنك لم تُخلَقْ على العجزِ لازما  
وحاربْ فإنَّ الحربَ نصفٌ ولن ترى      أخا الحرب يُعطى الخُسْفَ حتى يسالما  
وكيفَ ولم يَجْنُوا عليكَ عَظِيمَةً      ولم يخذلوكَ غانماً أو مُغارما  
جزى اللهُ عَنَّا عبدَ شمسٍ ونَوْفَلاً      وتيماً ومخزوماً عُقُوقاً ومَأثِما  
بتفريقهم من بعدِ وُدٍّ وأُلفَةٍ      جماعتنا كيما ينالوا المحارِما  
كذبتهم وبيتَ الله بُزَى محمداً      ولما تَرَوْا يوماً لدى الشَّعْبِ قائماً<sup>(٢)</sup>  
قال ابن هشام : وبقي منها بيتٌ تركناه .

### ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدَّثني محمد بن مسلم الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة حين ضاقت عليه مكة ، وأصابه فيها الأذى ، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً - أو يومين - لقيه ابنُ الدُّغْنَةِ<sup>(٥)</sup> أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو

- (١) في ط وسيرة ابن هشام : عتبة ، والمثبت من ح .
- (٢) لم أجد الأبيات في ديوان شيخ الأباطح .
- (٣) انظر صدر هذا البيت في (ص ٢٦٤ موضع ح ٤) .
- (٤) سيرة ابن هشام (٣٧٢/١) والروض (١٢١/٢) .
- (٥) قال ابن حجر في الفتح (٢٣٣/٧) : ابن الدغنة : بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة ، وعند الرواة بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون ؛ قال الأصيلي وقرأه لنا المروزي بفتح الغين . وقيل : إن ذلك لاسترخاء في لسانه والصواب الكسر ، وثبت بالتخفيف والتشديد من طريق ، وهي أمه وقيل أم أبيه وقيل دابته ، ومعنى الدغنة المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر .

يومئذ سيد الأحابيش<sup>(١)</sup> فقال<sup>(٢)</sup> : أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ قال : ولم ؟ فوالله إنك لتزبن العشيرة ، وتعين على النوائب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ؛ ارجع فإنك في جوارِي . فرجع حتى إذا دخل مكة قام ابن الدُّعْنَة فقال : يا معشر قريش ، إني قد أجزت ابن أبي قُحافة فلا يعرض له<sup>(٣)</sup> أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفوا عنه . قالت : وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ! قالت : فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدُّعْنَة فقالوا : يا ابن الدُّعْنَة ، إنك لم تجز هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجلٌ إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرقّ ، وكانت له هيئة ، ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم ، فأته فمُرّه بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء . قالت : فمشى ابن الدُّعْنَة إليه فقال : يا أبا بكر ، إني لم أُجزك لتؤذي قومك . وقد<sup>(٤)</sup> كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت . قال : أو أردّ عليك جوارك وأرضي بجوار الله ؟ قال : فازدّد عليّ جوارِي . قال : قد ردّدته عليك . قالت : فقام ابن الدُّعْنَة فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أبي قُحافة قد ردّ عليّ جوارِي فشأنكم بصاحبكم .

وقد روى الإمام البخاري هذا الحديث متفرداً به ، وفيه زيادات حسنة ، فقال<sup>(٥)</sup> : حدّثنا يحيى بن بكير ، حدّثنا الليث ، عن عُقيل ، قال ابن شهاب<sup>(٦)</sup> : فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لم أعقل أبوي<sup>(٧)</sup> قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بُكْرَةً وعَشِيَّةً ، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْك الغِمَاد ، لَقِيَهُ ابن الدُّعْنَة - وهو سيد القارة - فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجني قومي

(١) في ح : القارة ، وسيأتي ، والقارة : قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة كما في جمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٨٨ ، ١٩٠) وسيرة ابن هشام (٣٧٣/١) وفتح الباري (٢٣٣/٧) .

(٢) زادت ط ما نصه : قال الواقدي : اسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر من عبد مناة بن كنانة . وقال السهيلي : اسمه مالك . قلت : جعلت هذه الزيادة في الحاشية لأنها ليست في ح ، من جهة ولا يعقل أن تكون من ابن إسحاق لتقدمه على الواقدي والسهيلي من جهة أخرى ، ثم إن ابن كثير ينقل عن ابن إسحاق وهو ما جاء في سيرة ابن هشام الذي أحلت عليه في أول الخبر . وقول السهيلي هذا في الروض (١٢٧/٢) أما قول الواقدي فلم أجده في طبقات ابن سعد . ولعل هذه الزيادة كانت تعليقاً في الحاشية على الكتاب فأدخلها بعض النساخ إلى المتن . والله أعلم .

(٣) في سيرة ابن هشام (٣٧٣/١) : فلا يعترض إليه .

(٤) في ح : أي قد وفي سيرة ابن هشام : إنهم قد . وهو أشبه .

(٥) فتح الباري (٣٩٠٥) مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة ، وساقه مختصراً في (٤٧٦) الصلاة باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس .

(٦) في ط : قال ابن هشام . تحريف ، والمثبت من ح وفتح الباري . وعُقيل هو ابن خالد بن عقيل الأيلي الأموي مولى عثمان ، ترجمته في تهذيب التهذيب ، يروي عن ابن شهاب الزهري وعنه الليث بن سعد .

(٧) في ح ، ط : أبوي ، والمثبت من فتح الباري .

فأريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربِّي . فقال ابنُ الدُّغْنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَصِلُ الرَّجِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَأَعْبُدْ رَبَّكَ ببلدك . فرجع وارتحل معه ابنُ الدُّغْنَةِ ، وَطَافَ ابْنُ الدُّغْنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّجِمَ ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ وَقَالُوا لَابْنِ الدُّغْنَةِ : مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَيَصِلْ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلَا يُوْذِنَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنَ بِهِ ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا . فقال ابنُ الدُّغْنَةِ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، وَكَانَ يَصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَيَتَقَدَّفُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ [ وَهُمْ ] يَعُجْبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَغَاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنِيهِ إِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدُّغْنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : إِنَّا كُنَّا أَجْرُنَا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاؤُنَا وَنِسَاؤُنَا فَأَنْهَهُ ، فَإِنْ أَحَبَّ عَلَى أَنْ يَقْتَصِرَ أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلَنَ ذَلِكَ فَسَلِّهِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْكَ ذِمَّتَكَ ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا نَخْفَرُكَ ، وَلَسْنَا مُقَرَّرِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَاتَى ابْنُ الدُّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي قَدْ عَاقَدْتُ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ ، فِيمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي ، فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنِّي أُرَدُّ عَلَيْكَ جَوَارِكَ وَأَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

ثم ذكر تمامَ الحديث في هجرة أبي بكرٍ رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ كما سيأتي مبسوطاً<sup>(٢)</sup> .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ قَالَ : لَقِيَهُ - يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ حِينَ خَرَجَ مِنْ جَوَارِ ابْنِ الدُّغْنَةِ - سَفِيَّةٌ مِنْ سَفَهَاءِ قُرَيْشٍ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، فَمَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ - أَوْ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ - فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا السَّفِيهِ ؟ فَقَالَ : أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ . وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ ! أَيُّ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ ! أَيُّ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ !

(١) في ح : وَكَانَ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنَ النُّسخَةِ الْمِصْرِيَّةِ بِدَلَالَةِ ط ، وَفَتْحُ الْبَارِي ، وَمَا يَأْتِي بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ مِنْهُ ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ (٢٣٤/٧) : قَوْلُهُ فَيَتَقَدَّفُ ، بِالْمِثْنَةِ وَالْقَافِ وَالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ الثَّقِيلَةِ ، تَقَدُّمٌ فِي الْكِفَالَةِ بِلَفْظٍ : فَيَتَقَدَّفُ . أَيُّ يَزِدُّهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْقُطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَكَادُ يَنْكَسِرُ ، وَأُطْلِقَ يَتَقَدَّفُ مَبَالِغَةً . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : هَذَا هُوَ الْمَحْفُوظُ ، وَأَمَّا يَتَقَدَّفُ فَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْقَذْفِ أَيُّ يَتَدَافَعُونَ فَيَقْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ عَلَيْهِ فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْأَوَّلِ .

(٢) سِيرِدُ فِي ص (٤٤٨) مَوْضِعُ الْحَاشِيَةِ (١) مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ (١/٣٧٤) وَالرُّوْضُ (٢/١٢٢) .

## فصل

كلُّ هذه القصص ذكرها ابنُ إسحاق معترضاً بها بين تعاقِدِ قريش على بني هاشم وبني المطلب وكتابتهم عليهم الصحيفة الظالمة وحضرهم إياهم في الشعب ، وبين نقض الصحيفة وما كان من أمرها ، وهي أمورٌ مناسبة لهذا الوقت ، ولهذا قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيالٌ على ابن إسحاق .

## ذكر نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : هذا وبنو هاشم ، وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ، ثمَّ إنَّه قام في نقض الصحيفة نفرٌ من قريش ، ولم يُبل فيها أحدٌ أحسنَ من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث بن حُبَيْب<sup>(٢)</sup> بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابنَ أخي نَضْلَةَ بن هاشم بن عبد مناف لأُمِّه ، وكان هشام لبني هاشم واصلاً ، وكان ذا شرفٍ في قومه ، فكان - فيما بلغني - يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشَّعب ليلاً ، قد أوقره طعاماً ، حتى إذا بلغ به فَمَ الشَّعب خَلَعَ خِطامه من رأسه ثم ضرب على جَنْبَيْهِ فدخل الشعبَ عليهم . ثم يأتي به قد أوقره بزاً<sup>(٣)</sup> فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنَّه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر<sup>(٤)</sup> بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . فقال : يا زهير ، أقد رضيت أن تأكلَ الطعام وتلبس الثياب وتَنكِحَ النساء وأخوالك حيث علمت لا يُباعون ولا يُبتاع منهم ، ولا يَنكحون ولا يُنكح إليهم ؟ أما إنِّي أخْلِفُ بالله لو كانوا أخوالَ أبي الحكم بن هشام ثم دعوتُهُ إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجلٌ واحد ، والله لو كان معي رجلٌ آخر لقمْتُ في نَقْضِها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا . قال له زهير : ابْغِنا ثالثاً . فذهب إلى الْمُطْعِم بن عدي فقال له : يا مُطْعِم أقد رضيت أن يَهْلِكَ بَطْنان من بني عبد مناف وأنت شاهدٌ على ذلك موافق لقريش فيه ، أما

(١) السير والمغازي (ص ١٦٥) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٤) - واللفظ له - والروض (٢/ ١٢٢) .

(٢) اختلف في ضبطه : حُبَيْب بياء مخففة أم : حُبَيْب بالتثقيل . انظر الإكمال (٢/ ٢٩٥) وحاشية المعلمي اليماني عليه رقم (٣) ص (٢٩٦ ، ٢٩٧) .

(٣) قال السهيلي في الروض : (٢/ ١٢٧) : بزاً ، بالزاي المعجمة ، وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر : براً ؛ وفي رواية يونس : بزاً أو براً على الشك من الراوي .

(٤) في ح ، ط : عمرو ، والمثبت من السير والمغازي وسيرة ابن هشام .

والله لئن أمكتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً ، قال : ويحك فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت لك ثانياً . قال : مَنْ ؟ قال أنا ؟ قال : ابْنِنا ثالثاً . قال : قد فعلت . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : ابْنِنا رابعاً .

فذهب إلى أبي البَخْتَرِيِّ بن هشام فقال نحو ما قال للمُطْعِمِ بن عَدِي ؛ فقال : وهل تجد أحداً يُعِينُ على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمُطْعِمِ بن عَدِي وأنا معك . قال : ابْنِنا خامساً . فذهب إلى زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم . فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه مِنْ أحد ؟ قال : نعم . ثم سَمَى القوم . فاتعدوا خَطْمَ الْحَجُونِ<sup>(١)</sup> ليلاً بأعلى مكة . فاجتمعوا هنالك وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أوّل مَنْ يتكلّم . فلما أصبحوا غدّوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حُلّة ، فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أأكل الطعام ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلّكي لا يتاعون ولا يُتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد - : والله لا تُشَقَّ . قال : زَمْعَةُ بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كُتبت . قال أبو البَخْتَرِيُّ : صدق زَمْعَةُ ، لا نرضى ما كُتب فيها ولا نُقرُّ به . قال المُطْعِمِ بن عدي : صدقتما وكذب مَنْ قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كُتب فيها . قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . قال أبو جهل : هذا أمرٌ قد قُضِيَ بليل ، تُشور فيه بغير هذا المكان ، وأبو طالب جالسٌ في ناحية المسجد ، وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فشَلَّتْ يده فيما يزعمون .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب : « يا عم ، إنَّ الله قد سلَّط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبُهتان » . فقال : أرَبُّكَ أخبرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إنَّ ابن أخي قد أخبرني بكذا وكذا ، فهلّم صحيفتكم ، فإن كانت كما قالوا فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها ، وإن كان كاذباً دفعت إليكم ابن أخي . فقال القوم : قد رَضِينا . فتعاهدوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً ، فعند ذلك صنع الرَّهْطُ من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا .

(١) « الحجون » : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها ، وقال السكري : مكان من البيت على ميل ونصف . وقال الأصمعي : الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . معجم البلدان (٢/ ٢٢٥) وخطمه : مقدمة أنفه ، اللسان (خطم) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٧٧) والروض (٢/ ١٢٤) .



قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما مُزِّقَتْ وبطلَ ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقض الصحيفة يمدحهم : [ من الطويل ]

ألا هل أتى بحرّتنا صنْعُ ربّنا  
فيخبرهم أنّ الصحيفة مُزِّقَتْ  
تراوحها إفكٌ وسِحرٌ مجمّع  
تداعى لها مَنْ ليس فيها بقرقرٍ  
وكانت كفاءً وقعةً بأثيمةٍ  
ويظعنُ أهلُ المَكَّتَيْنِ فيهربوا  
ويترك حَرَائِثُ يَقلِّبُ أَمْرَهُ  
[ وتصعد بين الأخشيين كتيبةٌ  
فَمَنْ يَنْشُ مِنْ حُضَارِ مَكَّةَ عِزَّةً  
نشأنا بها والناسُ فيها قلائِلُ  
على نأيهم والله بالناسِ أزوْدُ<sup>(٢)</sup>  
وأن كلُّ ما لم يرضه اللهُ مُفسدٌ  
ولم يُلَفَّ سِحْرٌ آخرَ الدهرِ يصعدُ<sup>(٣)</sup>  
فطائرُها في رأسِها يتردّدُ<sup>(٤)</sup>  
ليُقطعُ منها ساعدٌ ومقلّدُ<sup>(٥)</sup>  
فرائضهم من خشيةِ الشرِّ تُزعَدُ  
أيتهم فيهم عندَ ذاكِ ويُنجِدُ<sup>(٦)</sup>  
لها حُدُجٌ سَهمٌ وقوسٌ ومِزهدُ<sup>(٧)</sup>  
فعزّتنا في بطنِ مَكَّةَ أتلدُ<sup>(٨)</sup>  
فلم ننفكك نَزْدَادُ خيراً ونُحمدُ

- (١) السير والمغازي (ص ١٦٧) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٧٧) والروض (٢/ ١٢٤) .  
(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٢٨) : بحرّتنا : يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه . . . أروِد : أي أرفق ؛ ومنه : رويدك ، أي رفقاً ، جاء بلفظ التصغير لأنهم يريدون به تقيلاً ؛ أي أرفق قليلاً ، اهـ .  
(٣) في ح : ترى أوجهاً ، وفي السيرة والمغازي : تداعى لها ، وفي ح ، ط : يلف سحراً . والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .  
(٤) « من ليس فيها بقرقر » : أي ليس بذليل ، لأن القرقر : الأرض الموطوءة التي لا يمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذلي هزل ، لأن القرقرة الضحك . وقوله : وطائرُها في رأسِها يتردّد : أي حظها من الشؤم والشر ، وفي التنزيل : ﴿ أَلَزِمْتَهُ طَيْرٌ فِي عُنُقِهِ ﴾ .  
(٥) في سيرة ابن هشام والروض : رقعة بأثيمة .  
(٦) في ط : أيتهم فيها . والمثبت من ح والسيرة والروض .  
(٧) سقط البيت من ح ويبدو أنه سقط من المصرية أيضاً لأنه وضع بين معقوفين في ط . وأثبتناه من السيرة والروض ، وشرحه السهيلي (٢/ ١٢٨) نقلاً عن حاشية الكناني بقوله : لعل « حُدُج » بضم الحاء والدال جمع « حِدْج » وهو من مراكب النساء ونظير سِتْرٌ وسِتْرٌ ، فيكون المعنى : إن الذي يقوم لها مقام الحُدْج سهم وقوس ومِزهد . ثم قال : وفي العين : الحُدْج : حسك القطب ما دام رطباً ، فيكون الحُدْج في البيت مستعاراً من هذا ، أي لها حسك ، ثم فسره فقال : سهم وقوس ومِزهد ، وهكذا في الأصل بالراء وكسر الميم ، فيحتمل أن يكون مقلوباً من مرهد : مفعّل من رهد الثوب إذا مزقه ، ويعني به رمحاً أو سيفاً ، ويحتمل أن يكون غير مقلوب ، ويكون من الرهيد ، وهو الناعم ، أي ينعم صاحبه بالظفر . وفي بعض النسخ : مزهد بفتح الميم والزاي ، فإن صحت الرواية به فمعناه : مزهد في الحياة وحرص على الممات . والله أعلم . اهـ .  
(٨) في السيرة والروض : مكة عزّه .

وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرَكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ      إِذَا جَعَلْتَ أَيْدِي الْمُفِيضِينَ تُرْعَدُ<sup>(١)</sup>  
 جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بِالْحَجُّونِ تَجَمَّعُوا<sup>(٢)</sup>      عَلَى مَلَأٍ يَهْدِي لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ  
 قَعُودًا لَدَى خَطْمِ الْحَجُّونِ كَأَنَّهُمْ      مَقَاوِلُهُ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمَجَدُ<sup>(٣)</sup>  
 أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقَرٍ كَأَنَّهُ      إِذَا مَا مَشَى فِي رَفْرِفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ<sup>(٤)</sup>  
 جَرِيءٌ عَلَى جَلٍّ<sup>(٥)</sup> الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ      شَهَابٌ بِكَفِّي قَابَسٍ يَتَوَقَّدُ  
 مِنَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ      إِذَا سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ<sup>(٦)</sup>  
 طَوِيلُ النَّجَادِ خَارِجٌ نَصْفُ سَاقِهِ      عَلَى وَجْهِهِ يَسْقِي الْغَمَامُ وَيُسْعِدُ  
 عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدُ وَابْنُ سَيِّدٍ      يَحْضُضُ عَلَى مَقَرِّ الضِّيَوفِ وَيَحْشِدُ  
 وَيَبْنِي لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا      إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِي الْبِلَادِ وَيَمْهَدُ  
 أَلْظَ بِهَذَا الصَّلَاحِ كُلُّ مُبَوِّ<sup>(٧)</sup>      عَظِيمُ اللَّوَاءِ أَمْرُهُ ثُمَّ يُحْمَدُ  
 قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا      عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقِدُ  
 هُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بَنِ بِيضَاءَ رَاضِيًا      وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمَحْمَدُ  
 مَتَى شَرَكُ الْأَقْوَامِ فِي حَلٍّ أَمَرْنَا      وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتُودَدُ<sup>(٨)</sup>  
 وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقَرُّ ظِلَامَةً      وَنَدْرُكُ مَا شِئْنَا وَلَا نَتَشَدَّدُ  
 فَيَا قُصَيَّ هَلْ لَكُمْ فِي نَفُوسِكُمْ      وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِيءُ بِهِ غَدُ  
 فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ      لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ<sup>(٩)</sup>

- (١) « ترعد » : يعني أيدي المفيضين بالقداح في الميسر ، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا سخي . . . يريد أبو طالب إنهم يطعمون إذا بخل الناس . والميسر هي الجزور التي تقسم ؛ يقال : يستر إذا قسمت . الروض (١٢٩/٢) .
- (٢) في السيرة والروض : تبايعوا .
- (٣) مضى شرح المفاول (ص ٢٦٢ ح ١) . وخطم الحجون (ص ٣٢٢ ح ١) .
- (٤) « رفرف الدرع » : فضولها ، وقيل في معنى : رفرف خضر : فضول الفرش والبسط ، وهو قول ابن عباس ، وعن علي أنها المرافق ، وعن سعيد بن جبير : الرفارف رياض الجنة . والأحراد : الذي في مشيه ثقفل ، وهو من الحراد ، وهو عيب في الرجل .
- (٥) في السيرة والروض : جلى .
- (٦) في ح : ابن لؤي .
- (٧) « أظ » : من الإلطاء ، وهو الإلحاح كما في مختار الصحاح ( لظظ ) ، وفي ط والسيرة والروض : كل مبرأ . والمثبت من ح .
- (٨) في السيرة والروض : جل أمرنا بالجميل ، وتقرأ في ح : متى يشرك لكنها من غير نقط .
- (٩) « أسود » : اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل ، فلم يعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، فذهبت مثلاً . الروض (١٢٩/٢) . وقد زادت (ط) بعد هذا البيت ما نقلته هنا عن السهيلي في الروض ، وزادت فيه قوله : أي يا أسود لو تكلمت لأبنت لنا عن قتله .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> شعر حسان يمدح الْمُطْعَمَ بن عديّ ، وهشامَ بن عمرو لقيامهما في نقض الصحيفة الظالمة الفاجرة الغاشمة .

وقد ذكر الأموي هاهنا أشعاراً كثيرة اكتفينا بما أورده ابنُ إسحاق .

وقال الواقدي : سألتُ محمد بن صالح وعبد الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالوا : في السنة العاشرة - يعني من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين .

قلت : وفي هذه السنة بعد خروجهم توفي أبو طالب عمُ رسولِ الله ﷺ ، وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كما سيأتي بيانُ ذلك إن شاء الله تعالى .

## فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق رحمه الله بعد إبطال الصحيفة قصصاً كثيرة تتضمنُ نَصَبَ عداوة قريش لرسولِ الله ﷺ ، وتنفير أحياء العرب والقادمين إلى مكة لحجّ أو عمرة أو غير ذلك منه ، وإظهار الله المعجزاتِ على يديه دلالةً على صدقه فيما جاءهم به من البيناتِ والهدى ، وتكذيباً لهم فيما يرمونه من البغي والعدوان والمكر والخداع ، ويرمونه من الجنون والسحر والكهانة والتقول ، واللهُ غالبٌ على أمره ، فذكر قصةَ الطفيل بن عمرو الدؤسي مرسله<sup>(٢)</sup> ، وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دؤس ، وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشرافُ قريش وحذّروه من رسولِ الله ﷺ ونهّوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ؛ قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمعَ منه شيئاً ولا أكلّمه ، حتى حشوتُ أذنيَّ حين غدوتُ إلى المسجد كُرسُفاً<sup>(٣)</sup> ، فرَقاً من أن يبلُغني شيءٌ من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوتُ إلى المسجد فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلّي عند الكعبة ؛ قال : فقمْتُ منه قريباً فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله ، قال : فسمعتُ كلاماً حسناً . قال : فقلتُ في نفسي : وائكلُ أمّي ، والله إني لرجلٌ لبيبٌ شاعر ما يخفى عليّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته .

قال : فمكثتُ حتى انصرف رسولُ الله ﷺ إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلتُ عليه فقلت : يا محمد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا - الذي قالوا - قال : فوالله ما برحوا بي يُخَوِّفونني أمرَك حتى سددتُ أذنيَّ بكُرسُفٍ لثلاثٍ أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعتُ قولاً حسناً ، فاعرض عليّ أمرَك . قال : فعرض عليّ رسولُ الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ القرآن ، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ

(١) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٠) والروض (٢/ ١٢٥) .

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٢) والروض (٢/ ١٣٠) .

(٣) « الكرسف » : القطن . النهاية لابن الأثير ( كرسف ) .

أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدلَ منه . قال : فأسلمتُ وشهدتُ شهادة الحق وقلت : يا نبيَّ الله ، إني امرؤُ مطاعٌ في قومي ، وأنا<sup>(١)</sup> راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يجعلَ لي آيةً تكونُ لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه . قال فقال : « اللهم اجعلْ له آية » .

قال : فخرجتُ إلى قومي ، حتى إذا كنتُ بشيئةٍ تطلعُني على الحاضر<sup>(٢)</sup> ، وقع بين عيني نورٌ مثلُ المصباح . قال فقلت : اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنُّوا أنَّها<sup>(٣)</sup> مثلة وقعتُ في وجهي لفراقي دينهم . قال : فتحولَ فوق في رأسِ سوطي قال : فجعل الحاضرُ يترأؤن ذلك النورَ في رأسِ سوطي كالقنديل المعلق وأنا أتَهَيِّطُ<sup>(٤)</sup> عليهم من الثنية حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم .

فلما نزلتُ أتانِي أبي - وكان شيخاً كبيراً - فقلت : إليك عني يا أبة فلستُ منك ولستَ مني . قال : ولم يا بني ؟ قال : قلت : أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمد ﷺ قال : أي بني ، فدينك ديني<sup>(٥)</sup> . فقلت : فاذهب فاغتسل وطرَّه ثيابك ثم ائتني حتى أعلمك مما علَّمت . قال : فذهب فاغتسل وطرَّه ثيابه ، ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسلم .

قال ثم أتتني صاحبتِي فقلت : إليك عني ، فلستُ منك ولستَ مني . قالت : لم بأبي أنت وأُمِّي ؟ قال : قلت : فرَّق بيني وبينك الإسلام ، وتابعتُ دينَ محمد ﷺ قالت : فديني دينك . قال : فقلت فاذهبي إلى حنا<sup>(٦)</sup> ذي الشرى فتطهري منه - وكان ذو الشرى صنماً لدؤس ، وكان الحمى حمى حموة له ، به وشل<sup>(٧)</sup> من ماء يهبط من جبل - قالت : بأبي أنت وأُمِّي ، أتخشي على الصبية من ذي الشرى شيئاً ؟ قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك . قال : فذهبتُ فاغتسلتُ ثم جاءتُ ، فعرضتُ عليها الإسلام فأسلمت .

ثم دعوتُ دؤساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليّ ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ بمكة . فقلت : يا رسول الله ، إنه قد غلبني على دوس الزنا فادعُ الله عليهم . قال : « اللهم اهدِ دؤساً ، ارجعْ إلى قومك فادعهم وازفُقْ »

(١) في ط : وإني .

(٢) « الحاضر » : القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه . ويقال للمناهل المَحَاضِر ، للاجتماع والحضور عليها . النهاية لابن الأثير ( حضر ) .

(٣) في ح ، ط : يظنوا بها ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) « أتَهَيِّطُ » : أي أتحدَّر . هكذا جاء في الرواية وهو بمعنى نهبط وأهبط . النهاية لابن الأثير ( هبط ) .

(٥) في ح : ديني دينك ، وفي السيرة : فديني دينك .

(٦) في ط : حمى ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض . قال السهيلي (١٣٦/٢) : حنا ذي الشرى ، وقد قال ابن هشام : هو حمى ، وهو موضع حموه لصنمهم ذي الشرى ، فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالتون تبدل من الميم ، كما قالوا : حلان وحلام للجدي . ويجوز أن يكون من حنوت العود ، ومن محنية الوادي ، وهو ما انحنى منه . اهـ .

(٧) « الوشل » : القليل من الماء ، وما بين معترضين هو قول ابن هشام كما في سيرته .

بهم» . قال : فلم أزل بأرض دؤس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدرّ وأحد والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله ﷺ بخير ، حتى نزلت المدينة بسبعين - أو ثمانين بيتاً - من دؤس ، فلحقنا برسول الله ﷺ بخير فأسهم لنا مع المسلمين .

ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة . فقلت : يا رسول الله ، ابعثني إلى ذي الكفّين ، صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فخرج إليه فجعل الطفيل وهو يُوقد عليه النار يقول : [ من الرجز ]

يا ذا الكفّين لست من عبّادك<sup>(٢)</sup>

ميلادنا أقدم من ميلادك

\* إني حشوت النار في فؤادك \*

قال : ثم رجع رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ ، فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجّه إلى اليمامة فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي ؛ رأيت أنّ رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها ، وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً ، ثم رأيت حُبس عني ؟ قالوا : خيراً ، قال : أمّا أنا والله فقد أوّلتها ، قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حلق رأسي فوضعه ، وأمّا الطائر الذي خرج منه فروحني ، وأمّا المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تُحفر لي فأعقب فيها . وأمّا طلب ابني إتياني ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني . فقتل رحمه الله تعالى شهيداً باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبّل منها ، ثم قُتل عام اليرموك زمن عمر شهيداً رحمه الله .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلّة بلا إسناد . ولخبره شاهد في الحديث الصحيح . قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدّثنا وكيع ، حدّثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال : إنّ دؤساً قد استعصت قال : « اللهم اهْدِ دؤساً وأتِ بهم » .

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٨٥) والروض (٢/ ١٣٢) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٣٦) : أراد : الكفّين ، بالتشديد ، فخفف للضرورة ، غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان يسمى « ذا الكفّين » وخفف الفاء بخطه بعد أن كانت مشددة ، فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر . فإن صحّ هذا فهو محذوف اللام ، كأنه تشنية كفاء ، ومن كفأت الإناء .

(٣) في المسند (٢/ ٤٤٨) رقم (٩٧٤٦) .

رواه البخاري<sup>(١)</sup> عن أبي نعيم ، عن سفیان الثوري .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ فَقُلْتُ : هَلَكْتُ دَوْس . فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ، وَأَتِ بِهِمْ »<sup>(٣)</sup>

إِسْنَادٌ جَيِّدٌ وَلَمْ يَخْرُجْهُ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ حَجَّاجِ الصَّوَّافِ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لَكَ فِي حَصْنِ حَصِينٍ<sup>(٥)</sup> وَمَنْعَةٍ ؟ - قَالَ : حَصْنٌ كَانَ لَدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَأَبَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللَّهُ لِلْأَنْصَارِ ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ، فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ ، فَمَرَضَ فَجَزَعٌ ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ [ لَهُ ] فَقَطَعَ بِهَا بِرَاجِمَهُ فَشَخِبَتْ يَدَاهُ فَمَا رَقَا الدَّمَ حَتَّى مَاتَ ؛ فَرَأَاهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ ، وَرَأَاهُ مَغْطِيًا يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا صَنَعَ رَبُّكَ بِكَ ؟ فَقَالَ : غَفَرَ لِي بِهَجْرَتِي إِلَى نَبِيِّ ﷺ . قَالَ : فَمَا لِي أَرَاكَ مَغْطِيًا يَدَيْكَ ؟ قَالَ : قِيلَ لِي لَنْ نُصْلِحَ<sup>(٦)</sup> مِنْكَ مَا أَفْسَدْتُ . قَالَ : فَقَضَّاهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ » .

رواه مسلم<sup>(٧)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة ، وإسحاق بن إبراهيم ، كلاهما عن سليمان بن حرب به .

فإن قيل : فما الجمعُ بين هذا الحديث وبين ما ثبت في الصحيحين<sup>(٨)</sup> من طريق الحسن عن جُنْدَبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزَعٌ ، فَأَخَذَ سَكِينًا ، فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمَ حَتَّى مَاتَ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدِي بَادَرَنِي بِنَفْسِهِ ، فَحَزَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » .

فالجواب من وجوه : أحدها أنه قد يكون ذاك مشركاً وهذا مؤمن ، ويكون قد جعل هذا الصنيع سبباً مستقلاً في دخوله النار وإن كان شركه مستقلاً ، إلا أنه نبه على هذا لتعتبر أمته .

(١) فتح الباري (٣٤٩٢) المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي .

(٢) في المسند (٥٠٢/٢) رقم (١٠٤٧٤) .

(٣) في المسند : وأت بها .

(٤) في المسند (٣٧٠/٣) وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٥) في المسند : حصينة .

(٦) في ط : يصلح ، والمثبت من مسند أحمد وصحيح مسلم .

(٧) في صحيحه (١١٦) (١٨٤) الإيمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر .

(٨) فتح الباري (٣٤٦٣) أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل - واللفظ له - وصحيح مسلم (١١٣) (١٨٠) و(١٨١) الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه .

الثاني : قد يكون ذاك عالماً بالتحريم ، وهذا غير عالم لحدثة عهده بالإسلام .

الثالث : قد يكون ذاك فعله مستحلاً له ، وهذا لم يكن مستحلاً بل مخطئاً .

الرابع : قد يكون أراد ذاك بصنيعه المذكور أن يقتل نفسه بخلاف هذا فإنه يجوز أنه لم يقصد قتل نفسه وإنما أراد غير ذلك .

الخامس : قد يكون ذاك قليل الحسنات فلم تقاوم كبر ذنبه المذكور فدخل النار ، وهذا قد يكون كثير الحسنات ، فقاومت الذنب فلم يلج النار بل عُفِرَ له بالهجرة إلى نبيه ﷺ .

ولكن بقي الشين في يده فقط ، وحسنت هيئة سائرهِ فغطى الشين منه ، فلما رآه الطفيل بن عمرو مغطياً يديه قال له : ما لك ؟ قال : قيل لي : لن نُصلح<sup>(١)</sup> منك ما أفسدت ، فلما قصّها الطفيل على رسول الله ﷺ دعا له فقال : « اللهم وليديه فاغفر » أي : فأصلح منها ما كان فاسداً . والمحقق أن الله استجاب لرسول الله ﷺ في صاحب الطفيل بن عمرو .

### قصة أعشى<sup>(٢)</sup> بن قيس

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : حدّثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل - من أهل العلم - أن أعشى بن<sup>(٢)</sup> قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام ، فقال يمدح النبي ﷺ : [ من الطويل ]

وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مَسْهَدًا	أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً أَرَمَدًا
تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ صُحْبَةَ مَهْدَدًا <sup>(٤)</sup>	وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا
إِذَا أَصْلَحْتُ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا	وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ <sup>(٥)</sup>
فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا	كُھُولًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثْرَةً
وَلِيدًا وَكُهْلًا حِينَ شُبْتُ وَأَمْرَدَا	وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ
مَسَافَةً مَا بَيْنَ النَّجِيرِ فَصَرَّخَدَا	وَأَبْتَذُلُ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِي <sup>(٦)</sup>

(١) في ط : يصلح ، والمثبت من مسند أحمد وصحيح مسلم .

(٢) في سيرة ابن هشام : بني قيس ، وكله صحيح .

(٣) سيرة ابن هشام (١/٣٨٦) . والأبيات في ديوان الأعشى (ص ١٣٥) .

(٤) في ط والديوان : خلة مهددا ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .

(٥) في الديوان : خاتر .

(٦) في ح ، ط : تغتلي . بالعين المهملة ، والمثبت من السيرة والديوان وأساس البلاغة ، والبيت فيه ( غلي ) ، وتغتلي : من الاغتلاء وهو الإسراع .

ألا أيُّ هذا السائلي أينَ يَمَمْتُ  
 فإنَّ تسألني عني فيأزُبَ سائلٍ  
 أجدتُ برجلَيْها النِّجاءَ وراجعتُ  
 وفيها إذا ما هَجَرْتُ عَجْرَفِيَّةً  
 وآليتُ لا آوي لها من كلالَةٍ  
 متى ما تُناخي عند بابِ ابنِ هاشمٍ  
 نبيُّ يرى مالا تَرَوُنَّ وذكُرُهُ  
 له صدقاتٌ ما تُغِبُّ ونائلٌ  
 أجِدْكَ لم تسمعْ وصاةَ محمدٍ  
 إذا أنتَ لم ترحلِ بزادٍ من التُّقى  
 ندمتَ على أن لا تكونَ كمثليهِ  
 فإيالك والميتاتِ لا تقرَّبَنَّهُا  
 وذا النُّصبِ المنصوبِ لا تُسْكِنُهُ  
 ولا تقرَّبَنَّ جارةً كانَ سِرُّها<sup>(١)</sup>  
 وذا الرِّجَمِ القُربى فلا تقطعَنَّه  
 وسبِّحْ على حينِ العشية والضحى<sup>(٢)</sup>  
 ولا تُسَحِّرَنَّ من بائسٍ ذي ضَرارةٍ

فإنَّ لها في أهلٍ يثربَ مَوْعدا  
 حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصددا  
 يداها خِنافاً لَيناً غيرَ أحردا<sup>(١)</sup>  
 إذا خلتَ حرباءَ الظهيرة أصيدا<sup>(٢)</sup>  
 ولا من حَفى حتى تُلاقى محمّدا<sup>(٣)</sup>  
 تُراحي وتلقِي من فواضله نَدَى  
 أغارَ لعمري في البلادِ وأنجدا  
 فليسَ عطاءُ اليومِ مانعُهُ غدا  
 نبي الإلهِ حيثُ أوصى وأشهدا  
 ولا قيتَ بعد الموتِ مَن قد تزوَّدا  
 فترصدَ للأمر الذي كانَ أرصدا  
 ولا تأخذنُ سهماً حديداً لِتَقْصِدا  
 ولا تعبدِ الأوثانَ والله فاعْبُدا  
 عليك حراماً فانكحِنِ أو تأبِّدا<sup>(٤)</sup>  
 لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيّدا  
 ولا تحمِدِ الشيطانَ والله فاحمدا  
 ولا تحسبنَّ المالَ للمرءِ مُخلِدا

- (١) في ح : النجاة . وفي ط : النجاد . والمثبت من السيرة والديوان . وخنافاً من خنفت الناقة تخنف بيديها في السير ، إذا مالت بهما نشاطاً . وليناً غير أحرد : أي تفعل ذلك من غير حرد في يديها ، أي اعوجاج . الروض (١٣٧/٢) .
- (٢) يكون الجمل عجرفي المشي ، وفيه تعجرف وعجرفة وعجرفة : قلة مبالاة لسرعته . القاموس (عجرف) . والأصيد المائل العنق ؛ ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت ، كانت في وسط السماء في أول الزوال كالأصيد ، وذلك أحز ما تكون الرضاء . يصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت . الروض (١٣٧/٢) .
- (٣) في ح والديوان : حتى تزور محمدا . وآليت لا آوي لها من كلاله ولا من حفى : أي لا أرق لها ولا أرحمها ويروى : ولا من جنى . وهما بمعنى كما في الروض (١٣٧/٢) .
- (٤) في سيرة ابن هشام : ولا تقربن حرة ، وفي ح : كان أمرها .
- (٥) قوله : فالله فاعبدا ، وقف على النون الخفيفة بالألف ، وكذلك فانكحِنِ أو تأبدا ، ولذلك كتبت في الخط بألف ، لأن الوقف عليها بالألف ، وقد قيل في مثل هذا ، إنه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين ، وزعموا أنه معروف في كلام العرب . الروض (١٣٨/٢) .
- (٦) في السيرة والديوان : العشيات .



قال ابن هشام : فلما كان بمكة - أو قريب منها - اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريدُ رسولَ الله ﷺ ليُسلم . فقال له : يا أبا بصير ، إِنَّهُ يُحَرِّمُ الزَّنا . فقال الأعشى : والله إِنَّ ذلكَ لأمرٌ مالي فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير ، إِنَّهُ يَحَرِّمُ الخمر . فقال الأعشى : أمّا هذه فوالله إِنَّ في نفسي منها لَعَلالات ، ولكنني منصرفٌ فأترَوِّى منها عامي هذا ، ثُمَّ آتِيهِ فَأُسلم . فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يَعُدْ إلى النبي ﷺ .

هكذا أورد ابنُ هشام هذه القصة هاهنا ، وهو كثيرُ المؤاخذات لمحمد بن إسحاق رحمه الله ، وهذا مما يؤاخذُ به ابنُ هشام رحمه الله ، فإنَّ الخمر إنما حُرِّمت بالمدينة بعد وقعة بني النضير كما سيأتي بيانه ، فالظاهر أنَّ عَزَمَ الأعشى على القدوم للإسلام إنما كان بعد الهجرة ، وفي شعره ما يدلُّ على ذلك وهو قوله : [ من الطويل ]

ألا أيُّ هذا السائلي أين يمتُ      فإنَّ لها في أهلٍ يثربَ مَوْعدا

وكان الأنسب والأليق بابن هشام أن يؤخَّرَ ذكر هذه القصة إلى ما بعد الهجرة ، ولا يُوردها هاهنا . والله أعلم .

قال السُّهيلي<sup>(١)</sup> : وهذه غفلةٌ من ابنِ هشام ومَنْ تابعه ، فإنَّ الناسَ مجمعون على أنَّ الخمر لم ينزل تحريمُها إلا في المدينة بعد أُحد .

وقد قال<sup>(٢)</sup> : وقيل : إنَّ القائل للأعشى هو أبو جهل بن هشام في دار عتبة بن ربيعة .

وذكر أبو عبيدة أن القائل له ذلك هو عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبلٌ إلى رسولِ الله ﷺ . قال وقوله : ثُمَّ آتَاهُ فَأُسلم - لا يخرجُه عن كفره بلا خلاف . والله أعلم .

ثم ذكر ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> هاهنا قصة الإراشي وكيف استعدي إلى رسولِ الله ﷺ من أبي جهل في ثمن الجمل الذي ابتاعه منه ، وكيف أذلَّ اللهُ أبا جهلٍ وأرغم أنفَه حتى أعطاه ثمنه في الساعة الراهنة ، وقد قدَّمنا ذلك في ابتداء الوحي وما كان من أذية المشركين عند ذلك<sup>(٤)</sup> .

(١) في الروض (١٣٦/٢) .

(٢) يعني السُّهيلي في الروض .

(٣) في سيرة ابن هشام (٣٨٩/١) والروض (١٣٣/٢) .

(٤) مضى الخبر (ص ٢٥٠) .

## قصة مصارعة رُكانة

## وكيف أراه الشجرة التي دعاها فأقبلت ﷺ

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني أبي إسحاقُ بن يسار قال : وكان رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف أشدَّ قريش<sup>(٢)</sup> فخلا يوماً برسولِ الله ﷺ في بعض شعاب مكة ، فقال له رسولُ الله ﷺ : « يا رُكانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ » قال : إني لو أعلم أنَّ الذي تقول حق لا تبتعتك . فقال له رسولُ الله ﷺ : « أفرأيت إن صرعتك ، أتعلم أنَّ ما أقول حق ؟ » قال : نعم . قال : « فقم حتى أصارعك » . قال : فقام رُكانةُ إليه فصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه . فقال : يا محمد ، والله إنَّ هذا للعجب ! أتصرعني ؟ قال : « وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري » . قال : وما هو ؟ قال : « أدعوك لك هذه الشجرة التي ترى فتأتينني » . قال : فادعُها . فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسولِ الله ﷺ فقال لها : ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب رُكانةُ إلى قومه فقال : يا بني عبد مناف ، ساجِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله ما رأيتُ أسحرَ منه قط . ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع .

هكذا روى ابنُ إسحاق هذه القصة مرسلَةً بهذا البيان . وقد روى أبو داود والترمذي<sup>(٣)</sup> من حديث أبي الحسن العسقلاني ، عن أبي جعفر بن محمد بن رُكانة ، عن أبيه ، أنَّ رُكانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ . ثم قال الترمذي : غريبٌ ولا نعرف أبا الحسن ولا ابنَ رُكانة<sup>(٤)</sup> .

قلت : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسنادٍ جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن رُكانة صارعَ النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرَّات ، كل مرة على مئةٍ من الغنم ، فلما كان في الثالثة قال : يا محمد ، ما وَضَعَ ظهري إلى الأرض أحدٌ قبلك ، وما كان أحدٌ أبغضَ إليَّ منك . وأنا أشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله . فقام عنه رسولُ الله ﷺ وردَّ عليه غنمه .

وأما قصة دعائه الشجرة فأقبلت ، فسيأتي في كتاب دلائل النبوة بعد السيرة من طرقٍ جيدةٍ صحيحة<sup>(٥)</sup> ، في مرَّات متعدِّدة إن شاء الله وبه الثقة .

(١) السير والمغازي (ص ٢٧٦) وسيرة ابن هشام (١/ ٣٩٠) واللفظ له ، والروض (٢/ ١٣٤) .

(٢) في ح ، ط : قريشاً ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٣) سنن أبي داود (٤٠٧٨) اللباس باب في العمائم ، وسنن الترمذي (١٧٨٤) اللباس باب العمائم على القلائس .

(٤) عبارة الترمذي : « هذا حديث غريب (يعني : ضعيف) وإسناده ليس بالقائم ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن رُكانة » .

(٥) سيأتي في (٦/ ١٢٣) من ط .

وقد تقدَّم عن أبي الأشدين<sup>(١)</sup> أنه صارع النَّبيَّ ﷺ فصرعه رسولُ الله ﷺ .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> قصة قدوم النصاري من أهل الحبشة نحواً من عشرين راكباً إلى مكة ، فأسلموا عن آخرهم ، وقد تقدَّم ذلك بعد قصة النجاشي والله الحمد والمِنَّة<sup>(٣)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المسجد يجلسُ إليه المستضعفون من أصحابه : خَبَّاب ، وعمَّار ، وأبو فُكَيْهَة يسار<sup>(٥)</sup> مولى صفوان بن أمية ، وصُهيب . وأشباههم من المسلمين هَزِئَتْ بهم قريش ، وقال بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، هؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق<sup>(٦)</sup> ، لو كان ما جاء به محمدٌ خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ، وما خصَّهم الله به دوننا . فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٥٢] وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [٥٢] وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمْتُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ [ الأنعام : ٥٢ - ٥٤ ] .

قال : وكان رسولُ الله ﷺ كثيراً ما يجلسُ عند المَرْوَةِ إلى مبيعة غلام<sup>(٧)</sup> نصراني يقال له : جَبْر ، عبدُ لبني الحضرمي . وكانوا يقولون : والله ما يعلمُ محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جَبْر ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لُسَاتُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [ النحل : ١٠٣ ] .

ثم ذكر<sup>(٨)</sup> نزولَ سورة الكوثر في العاص بن وائل ، حين قال في رسولِ الله ﷺ : إنه أبتَر ، أي : لا عَقِبَ له ، فإذا مات انقطع ذِكْرُهُ . فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [ الكوثر : ٣ ] أي : المقطوع الذِّكْر [ بعده ، ولو خلف ألوفاً من النسل والذُرِّيَّة وليس الذِّكْر ]<sup>(٩)</sup> والصيْتُ ولسان الصدق بكثرة الأولاد والأنسال والعَقِب ، وقد تكلمنا على هذه السورة في التفسير والله الحمد .

(١) كذا في ح ، ط ولم يتقدم لهذه الكنية ذكر ، فلعل الصواب : « أشد قريش » أو في النص سقطاً أو تصحيفاً .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩١) والروض (٢/ ١٣٥) .

(٣) مضى الخبر في (ص ٣٠٣ ح ٣) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٢) والروض (٢/ ١٣٥) .

(٥) في ط : ويسار ، والمثبت من ح والسيرة وترجمته في الإصابة ، ويقال في اسمه : أفلح . أيضاً .

(٦) في ط : ودين الحق والمثبت من ح والسيرة .

(٧) في ح : ميعه ، والمثبت من سيرة ابن هشام . قال السهيلي في الروض (٢/ ١٣٩) : المبيعة : مفعلة مثل المعيشة ، وقد يجوز أن يكون مفعلة بضم العين وهو قول الأخفش .

(٨) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٣) .

(٩) ليس ما بين المعقوفين في ح .

وقد رُوي عن أبي جعفر الباقر : أَنَّ العاص بن وائل إنما قال ذلك حين مات القاسم بن النبي ﷺ ، وكان قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجبية<sup>(١)</sup>

ثم ذكر<sup>(٢)</sup> نزول قوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [ الأنعام : ٨ ] وذلك بسبب قول أبي بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، والعاص بن وائل ، والنضر بن الحارث . لولا أنزل عليك ملكٌ يكلمُ الناسَ عنك .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> : ومَرَّ رسولُ الله ﷺ - فيما بلغنا - بالوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف وأبي جهل بن هشام ، فهمزوه واستهزؤوا به . فغاضه ذلك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من أمرهم ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [ الأنعام : ١٠ ، والأنبياء : ٤١ ] .

قلت : وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَبَتْ رُسُلٌ ﴾ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَبُوا وَآوَدُوا حَتَّى أَنْزَلْنَاهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [ الحجر : ٩٥ ] .

قال سفيان عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : المستهزون الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزُّهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة<sup>(٤)</sup> ، والحارث بن غنطلة<sup>(٥)</sup> ، والعاص بن وائل السهمي ، فأتاه جبريلُ فشكاهم إليه رسولُ الله ﷺ فأراه الوليد ، فأشار جبريلُ إلى أنملة<sup>(٦)</sup> وقال : كُفَيْتَ ؛ ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ إلى عنقه وقال : كُفَيْتَ ، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال : كُفَيْتَ ؛ ثم أراه الحارث بن غنطلة<sup>(٦)</sup> ، فأومأ إلى بطنه وقال : كُفَيْتَ ؛ ومَرَّ به العاصُ بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال : كُفَيْتَ . فأما الوليد فمَرَّ برجلٍ من خُزاعة وهو يريشُ نبالاً له فأصاب أنملة<sup>(٧)</sup> فقطعها ؛ وأمّا الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروحُ فماتَ منها ، وأمّا الأسود بن المطلب فعَمِيَ . وكان سببُ ذلك أنه نزل تحت سَمُرَةٍ فجعل يقول : يا بَنِي أَلَا تدفعون عني قد قُتلت . فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً ! وجعل يقول : يا بَنِي أَلَا تمنعون عني قد هلك ، هاهو ذا الطعنُ بالشوك

(١) هذه الرواية في الدر المنثور (٨/ ٦٥٢) وذكر السيوطي أن البيهقي أخرجها في الدلائل غير أني لم أجدها فيه .

(٢) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٥) .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٣٩٥) والروض (٢/ ١٤١) .

(٤) في ح ، ط : ولقد استهزى برسول ، والمثبت من المصنف سورة الأنعام الآية (٣٤) .

(٥) في ح : أبو ربيعة تصحيف ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١٦) والاشتقاق (ص ٩٤) .

(٦) في ح : عنطل ، وفي ط : عيطل ، وفي دلائل البيهقي : عنطلة ، وكلها تصحيف ، والمثبت من جمهرة الأنساب لابن حزم (ص ١٦٥) والتاج ( غطل ) وسيأتي في موضع آخر من الدلائل على الصواب . وسيأتي من رواية ابن إسحاق على أنه الحارث بن الطلائلة من خُزاعة لا من بني سهم . وذكر الروايتين الطبري في تفسيره (١٤/ ٧٠) ، (٧١) .

(٧) في دلائل النبوة : أبجله . والأبجل عِزْق غليظ في اليد بإزاء الأكحل . القاموس ( بجل ) .

في عيني . فجعلوا يقولون : ما نَرَى شيئاً ! فلم يزل كذلك حتى عَمِيَتْ عيناه . وأما الحارث بن غيطلة فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خُرْؤُه من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شِبْرَقَةٌ حتى امتلأت منها فمات منها .

وقال غيره في هذا الحديث : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبْرَقَةٍ - يعني شَوْكَةٍ - فدخلت في أخصص قدمه شوكة فقتلته . رواه البيهقي<sup>(١)</sup> بنحو من هذا السياق .

وقال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان عظماء المستهزئين كما حدَّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر ، وكانوا ذوي أسنانٍ وشرفٍ في قومهم ؛ الأسود بن المطلب أبو زَمْعَة ، دعا عليه رسول الله ﷺ فقال : « اللهم أعم بصره وأثكله ولده » . والأسود بن عبد يغوث ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن الطلائلة . وذكر أن الله تعالى أنزل فيهم ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩٤] إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿ ٩٥ ﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ ٩٦ ﴾ . وذكر أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فمرَّ به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعَمِيَ ، ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبناً<sup>(٣)</sup> . ومرَّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين من مروره برجل يريش نبلاً له من خزاعة ، فتعلق سهم بإزاره فخدشه خدشاً يسيراً ، فانتقض بعد ذلك فمات . ومرَّ به العاص بن وائل فأشار إلى أخصص رجله فخرج على حمارٍ له يريد الطائف ، فربض به على شِبْرَقَةٍ فدخلت في أخصص رجله شوكة فقتلته . ومرَّ به الحارث بن الطلائلة فأشار إلى رأسه فامتحض قَيْحاً فقتله .

ثم ذكر ابنُ إسحاق<sup>(٤)</sup> : أن الوليد بن المغيرة لما حضره الموت أوصى بنيه الثلاثة وهم : خالد وهشام والوليد . فقال لهم : أي بني ، أوصيكم بثلاث ، دمي في خزاعة فلا تطلُّوه ، والله إني لأعلم أنهم منه بُرَاء ولكنني أخشى أن تُسبُّوا به بعد اليوم . ورباي في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه ، وعُقْرِي<sup>(٥)</sup> عند أبي أزيهر الدؤسي فلا يفوتنكم به - وكان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتاً له ثم أمسكها عنه فلم يُدْخِلْها عليه حتى مات ،

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٣١٦ - ٣١٨) وأخرجه الطبراني في الأوسط بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس كما في الدر المنثور (٥/ ١٠١) في تفسير الآية . وذكره أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٤٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه ، وبقيه رجاله ثقات .

(٢) في السيرة والمغازي (ص ٢٧٣) وسيرة ابن هشام (١/ ٤٠٨) والروض (٢/ ١٦٣) والطبري في التفسير (١٤/ ٧٠) ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (٢٠١) عن حبيب بن الحسن ، حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا أحمد بن محمد حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به .

(٣) « الحَبَن » : داء في البطن ، يعظم منه ويرم . القاموس ( حبن ) . ووقع في ح ، ط : « فاستسقى باطنه » والمثبت من السيرة .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤١٠) والروض (٢/ ١٦٣) .

(٥) « العقير » : دية الفرج المنصوب . قاله السهيلي في الروض (٢/ ١٦٨) .

وكان قد قبض عُقْرَهَا مِنْهُ ، وَهُوَ صَدَاقُهَا - فَلَمَّا مَاتَ الْوَلِيدُ وَتَبَّتْ بَنُو مَخْزُومٍ عَلَى خُزَاعَةِ يَلْتَمِسُونَ مِنْهُمْ عَقْلَ الْوَلِيدِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا قَتَلَهُ سَهْمٌ صَاحِبُكُمْ ، فَأَبَتْ عَلَيْهِمْ خُزَاعَةُ ذَلِكَ حَتَّى تَقَاوَلُوا أَشْعَاراً ، وَغَلُظَ بَيْنَهُمُ الْأَمْرُ . ثُمَّ أَعْطَتْهُمْ خُزَاعَةُ بَعْضَ الْعَقْلِ وَاصْطَلَحُوا وَتَحَاجَزُوا .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثُمَّ عَدَا هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى أَبِي أُزَيْهَرٍ وَهُوَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ فَقَتَلَهُ ، وَكَانَ شَرِيفاً فِي قَوْمِهِ . وَكَانَتْ ابْنَتُهُ تَحْتَ أَبِي سَفْيَانَ - وَذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ - فَعَمِدَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ فَجَمَعَ النَّاسَ لِبَنِي مَخْزُومٍ وَكَانَ أَبُوهُ غَائِباً ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو سَفْيَانَ غَاظَهُ مَا صَنَعَ ابْنُهُ يَزِيدُ فَلَامَهُ عَلَى ذَلِكَ [ وَضَرَبَهُ وَوَدَى أَبَا أُزَيْهَرٍ وَقَالَ لِابْنِهِ : أَعْمَدْتَ إِلَى أَنْ تَقْتُلَ قَرِيشَ بَعْضُهَا بَعْضاً فِي رَجُلٍ مِنْ دَوْسٍ ]<sup>(٢)</sup> ؟ وَكَتَبَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ قَصِيدَةً لَهُ يُحَرِّضُ<sup>(٣)</sup> أَبَا سَفْيَانَ فِي دَمِ أَبِي أُزَيْهَرٍ ، فَقَالَ : بئس ما ظنَّ حَسَانُ أَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهَا بَعْضاً وَقَدْ ذَهَبَ أَشْرَافُنَا يَوْمَ بَدْرٍ . وَلَمَّا أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَشَهِدَ الطَّائِفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ فِي رِبَا أَبِيهِ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فَذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ نَزَلْنَ فِي ذَلِكَ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] وما بعدها .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُزَيْهَرٍ ثَأْرٌ نَعْلَمُهُ حَتَّى حَجَزَ الْإِسْلَامُ بَيْنَ النَّاسِ ، إِلَّا أَنَّ ضِرَارَ بْنَ الْخَطَّابِ بْنِ مِرْدَاسٍ الْأَسْلَمِيَّ خَرَجَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيشٍ إِلَى أَرْضِ دَوْسٍ ، فَتَزَلُّوا عَلَى امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا : أُمُّ غَيْلَانَ مَوْلَاةٌ لِدَوْسٍ ، وَكَانَتْ تَمْشُطُ النِّسَاءَ وَتَجْهَزُ الْعِرَائِسَ ، فَأَرَادَتْ دَوْسُ قَتْلَهُمْ بِأَبِي أُزَيْهَرٍ فَقَامَتْ دُونَهُ أُمُّ غَيْلَانَ وَنِسْوَةٌ كُنَّ مَعَهَا حَتَّى مَنَعَتْهُمْ .

قال السهيلي<sup>(٥)</sup> : يُقَالُ : إِنَّهَا أَدْخَلَتْهُ بَيْنَ دَرْعِهَا وَبَدْنِهَا .

قال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ أَتَتْهُ أُمُّ غَيْلَانَ وَهِيَ تَرَى أَنَّ ضِرَاراً أَخُوهُ ، فَقَالَ لَهَا عَمْرٌ : لَسْتُ بِأَخِيهِ إِلَّا فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ عَرَفْتُ مَنَّتَكَ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهَا عَلَى أَنَّهَا بِنْتُ سَبِيلٍ .

قال ابن هشام : وَكَانَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ لِحَقِّ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِعَرَضِ الرَّمْحِ وَيَقُولُ : انْجِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ لَا أَقْتُلُكَ . فَكَانَ عَمْرٌ يَعْرِفُهَا لَهُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(١) في سيرة ابن هشام (١/٤١٣) والروض (٢/١٦٤) .

(٢) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٣) في ط : يحض . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/٤١٤) والروض (٢/١٦٥) .

(٥) في الروض (٢/١٦٨) والقول فيه لضرار ؟

(٦) في السيرة النبوية (١/٤١٥) والروض (٢/١٦٦) .

## فصل

وذكر البيهقي<sup>(١)</sup> هاهنا دعاء النبي ﷺ على قريش حين استعصت عليه بسبعٍ مثل سبع يوسف ، وأورد ما أخرجاه في « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> من طريق الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق ، عن ابن مسعود . قال : خمسٌ [ قد ] مضَيْنَ ؛ اللزَّامُ<sup>(٣)</sup> ، والرُّومُ ، والدُّخانُ ، والبَطْشَةُ ، والقمر .

وفي رواية عن ابن مسعود . قال<sup>(٤)</sup> : إِنَّ قريشاً ، لما استعصت على رسولِ الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام . قال اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسفٍ « قال : فأصابتهم سنةٌ فحصَّتْ<sup>(٥)</sup> كلَّ شيءٍ ، حتى أكلوا الجيفَ والميتةَ وحتى إنَّ أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجُوع . ثم دعا فكشف الله عنهم ، ثم قرأ عبد الله هذه الآية ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] قال : فعادوا فكفروا فأخروا إلى يوم القيامة - أو قال : فأخروا إلى يوم بدر - قال عبد الله : إنَّ ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] قال : يوم بدر .

وفي رواية عنه ، قال<sup>(٦)</sup> : لما رأى رسولُ الله ﷺ من الناس إذباراً قال : « اللهم سبع كسبع يوسف » فأخذتهم سنةٌ حتى أكلوا الميتةَ والجلودَ والعظام . فجاءه أبو سفيان وناسٌ من أهل مكة فقالوا : يا محمد ، إنك تزعم أنَّك بُعثتَ رحمةً وإنَّ قومك قد هلكوا ، فادعُ الله لهم . فدعا رسولُ الله ﷺ فسقوا الغيثَ ، فأطبقت عليهم سبعةً فشكا الناسُ كثرةَ المطر . فقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » فأنحدرت السحابة<sup>(٧)</sup> عن رأسه ، فسقي الناسُ حولهم .

قال : لقد مضت آيةُ الدُّخان - وهو الجوع الذي أصابهم - وذلك قوله ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] وآيةُ الروم ، والبطشة الكبرى . وانشقاق القمر ، وذلك كله يوم بدر .

(١) في الدلائل (٢/ ٣٢٤) .

(٢) أورده في الدلائل (٢/ ٣٢٧) وهو في فتح الباري (٤٨٢٥) التفسير سورة الدخان باب يوم نبطش البطشة الكبرى . وصحيح مسلم (٢٧٩٨) (٤١) صفات المنافقين باب الدخان ، وما سيأتي بين معقوفين منهما .

(٣) المراد به قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ أي : يكون عذابهم لازماً . قالوا : وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر ، وهي البطشة الكبرى . مكمل إكمال الإكمال للسنوسي (٧/ ١٩٨ ، ١٩٩) .

(٤) دلائل البيهقي (٢/ ٣٢٥) واللفظ له والحديث في فتح الباري (٤٨٢٣) التفسير سورة الدخان باب ( أنى لهم الذكرى ) . و (٤٨٠٩) التفسير سورة ص باب ( وما أنا من المتكلمين ) .

(٥) في ح ، ط : « حتى فصت » ، والمثبت من دلائل البيهقي وصحيح البخاري ، وحصت كل شيء : أي أذهبت ، والحصص : إذهاب الشعر عن الرأس . بحلق أو مرض . النهاية ( حصص ) .

(٦) في دلائل البيهقي (٢/ ٣٢٦) وهي رواية البخاري كما سيأتي ، فتح الباري (٢/ ٥١٠) (١٠٢٠) الاستسقاء باب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط .

(٧) في ط : فانجذب السحاب . وفي ح : فانحدرت ، والمثبت من الدلائل وصحيح البخاري في الفتح .

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : يريد - والله أعلم - البطشة الكبرى والدخان وآية اللزام ، كُلُّهَا حصلت بيدر . قال : وقد أشار البخاري<sup>(٢)</sup> إلى هذه الرواية .

ثمَّ أورد<sup>(٣)</sup> من طريق عبد الرزَّاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ يستغيثُ من الجوع ، لأنهم لم يجدوا شيئاً ، حتى أكلوا العَلْهَزَ بالدمِّ<sup>(٤)</sup> ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٦] قال : فدعا رسول الله ﷺ حتى فرَّج الله عنهم .

ثم قال الحافظ البيهقي<sup>(٥)</sup> : وقد روي في قصة أبي سفيان ما دلَّ على أنَّ ذلك بعد الهجرة ، ولعله كان مرتين ، والله أعلم .

## فصل

ثمَّ أورد البيهقي<sup>(٦)</sup> قصة فارس والرُّوم ، ونزول قوله تعالى : ﴿ الَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾<sup>(٧)</sup> فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَٰغِيُونَ<sup>(٨)</sup> فِي يَضْعَ سِنِينَ<sup>(٩)</sup> لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ<sup>(١٠)</sup> يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ<sup>(١١)</sup> [الروم : ١ - ٥] .

ثم روى<sup>(٦)</sup> من طريق سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة<sup>(٧)</sup> ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : كان المسلمون يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسٍ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ ؛ فَذَكَرَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَ [ ذَلِكَ ]<sup>(٨)</sup> أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « أَمَّا إِنَّهُمْ سَيُظْهِرُونَ » فَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ لِلْمُشْرِكِينَ فَقَالُوا : اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجْلاً إِنْ ظَهَرُوا كَانَ لَكَ كَذَا وَكَذَا ، وَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ بِنَا كَذَا وَكَذَا . [ فجعل بينهم أجل خمس سنين ، فلم يظهروا ]

(١) في الدلائل (٢/٣٢٧) .

(٢) مضى في الصفحة السابقة ح ٦ .

(٣) يعني البيهقي في الدلائل (٢/٣٢٨) .

(٤) في ط : العهن . والمثبت من ح والدلائل ، وقوله : بالدم مستدرِك في هامش ح . والعَلْهَز : هو شيء يتخذونه في سني المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . وقيل : كانوا يخلطون فيه القِرْدَان . ويقال للقراد الضخم « عِلْهَز » . وقيل : العَلْهَز شيء ينبت ببلاد بني سليم له أصل كأصل البَرْدِي . النهاية لابن الأثير ( علhez ) .

(٥) في الدلائل (٢/٣٢٩) .

(٦) في الدلائل (٢/٣٣٠) .

(٧) في ح : حبيب عن أبي عمرو ، وفي ط : حبيب بن أبي عمرو ، وكلاهما تحريف ، والمثبت من الدلائل وترجمته في تهذيب الكمال (٥/٣٨٦) .

(٨) في ط : فذكره ، والمثبت من ح والدلائل ، وما بين معقوفين في هذا الخبر منه .



فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال : « أَلَا جَعَلْتَهُ - أَرَأَيْتَ » قال - دون العشر « . فظهرت الرُّوم بعد ذلك .

وقد أوردنا طرق هذا الحديث في التفسير وذكرنا أن المُباحث - أي : المراهن - لأبي بكر أمية بن خلف ، وأن الرّهْن كان على خمس قلائص ، وأنه كان إلى مدة ، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرّهْن . وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر - أو كان يوم الحُدَيْبِيَّة - فالله أعلم .

ثم روى<sup>(٢)</sup> من طريق الوليد بن مسلم ، حَدَّثَنَا أُسَيْدُ<sup>(٣)</sup> الكلابي أنه سمع العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه قال : رأيتُ غَلَبَةَ فارس الروم ، ثم رأيتُ غلبة الروم فارس ، ثم رأيتُ غلبة المسلمين فارسَ والرُّوم وظهورَهم على الشام والعراق ، كل ذلك في خمسَ عشرة سنة .

## فصل

في الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس  
ثم عروجه من هناك إلى السماوات وما رأى هنالك من الآيات

ذكر ابنُ عساكر أحاديثَ الإسراء في أوائل البعثة<sup>(٤)</sup> ، وأما ابن إسحاق فذكرها في هذا الموطن بعد البعثة بنحوٍ من عشر سنين<sup>(٥)</sup> .

وروى البيهقي<sup>(٦)</sup> من طريق موسى بن عقبة ، عن الزهري أنه قال : أُسْري برسول الله ﷺ قبل خروجه إلى المدينة بسنة . قال : وكذلك ذكره ابنُ لهيعة عن أبي الأسود عن عروة .

ثم روى [ عن ]<sup>(٧)</sup> الحاكم عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بُكَيْر ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل السُّدِّي أنه قال : فُرِضَ على رسول الله ﷺ الحُمْسُ ببيت المقدس ، ليلة أُسْري به قبل مُهَاجِرِهِ بستةَ عشرَ شهراً .

فعلى قول السُّدِّي يكون الإسراءُ في شهر ذي القعدة ، وعلى قول الزُّهريّ وعروة يكون في ربيع الأول .

- 
- (١) في ح : أداه ، وفي ط : أداة . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من الدلائل .  
(٢) أي البيهقي في الدلائل (٣٣٤ / ٢) بسنده إلى يعقوب بن سفيان ، وهو في كتابه المعرفة والتاريخ (٢٧٩ / ١) وأخرجه ابن الأثير أيضاً في أسد الغابة في ترجمة الزبير بن عبد الله (١٩٦ / ٢) بسنده إلى يعقوب أيضاً .  
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣١١ / ١) وأدرجه تحت من اسمه : أسيد بالتصغير ، وكذا ذكره ابن عساكر في تاريخه (٢٥ / ٣) (نسخة الظاهرية) ثم قال : ويقال : أسيد أي بفتح أوله وساق الخبر .  
(٤) تاريخ ابن عساكر (٥٦٦ / ١) نسخة الظاهرية .  
(٥) السير والمغازي (ص ٢٩٥) .  
(٦) في دلائل النبوة (٢ / ٣٥٤) .  
(٧) زيادة يقتضيها السياق ، والذي روى البيهقي في الدلائل (٢ / ٣٥٥) .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حَدَّثَنَا عَفَّانُ<sup>(١)</sup> ، عن سعيد بن ميناء ، عن جابر وابن عباس قالا : ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين ، الثاني عشر من ربيع الأول ، وفيه بُعث ، وفيه عُرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات .

فيه انقطاع<sup>(٢)</sup> . وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته<sup>(٣)</sup> وقد أورد حديثاً لا يصحُّ سنَّده ، ذكرناه في فضائل شهر رجب أن الإسراء كان ليلة السابع والعشرين من رجب ، والله أعلم . ومن الناس من يزعم أن الإسراء كان أول ليلة جمعة من شهر رجب ، وهي ليلة الرغائب التي أحدث فيها الصلاة المشهورة ، ولا أصل لذلك ، والله أعلم . وينشد بعضهم في ذلك :

ليلة الجمعة عُرجَ بالنبي ليلة الجمعة أول رجب<sup>(٤)</sup>

وهذا الشعر عليه ركافة ، وإنما ذكرناه استشهاده لمن يقول به .

وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك مستقصاة عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء - ١٠] فلتُكْتَبَ من هناك على ما هي عليه من الأسانيد والعزوة ، والكلام عليها ومعها ففيها مَقْنَعٌ وكفاية ، والله الحمد والمِنَّة .

ولنذكر ملخصَ كلام ابن إسحاق رحمه الله فإنه قال بعد ذكر ما تقدَّم من الفصول<sup>(٥)</sup> : ثم أُسْرِيَ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس من إيلياء - وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها .

وقال : وكان من الحديث فيما بلغني عن مسرَّاهُ ﷺ عن ابن مسعود ، وأبي سعيد ، وعائشة ، ومعوية ، وأم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنهم ، والحسن بن أبي الحسن ، وابن شهاب الزُّهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم ما اجتمع في هذا الحديث ، كلُّ يحدث عنه بعض ما ذكر لي من أمره وكان في مسراه وما ذكر لي منه بلاءٌ وتمحيص وأمرٌ من أمر الله [ عزَّ وجلَّ ] في قدرته<sup>(٦)</sup> وسلطانه ، فيه عبرةٌ لأولي الألباب ، وهديٌ ورحمةٌ وثباتٌ لمن آمنَ وصدَّقَ وكان من أمر الله على يقين ، فأسرى به كيف شاء وكما شاء لِيُرِيَهُمْ من آياته ما أراد ، حتى عاينَ ما عاينَ من أمرِهِ وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يُريد .

(١) في ط : عثمان ، والمثبت مما تقدم ص (٣٢) سطر (١) من هذا الجزء ، حيث أورد المؤلف الحديث .

(٢) يعني : بين عفان وسعيد بن ميناء .

(٣) يسمى السيرة النبوية ، أو الدرة المضية في السيرة النبوية لعبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي ، وهو مخطوط . معجم ما أُلِفَ عن رسول الله ﷺ (ص ١١٠ و ١١٦) .

(٤) كذا في ط وزادت ح بين الشطرين ﷺ ، وفي الشطر الثاني : ليلة جمعة .

(٥) السير والمغازي (ص ٢٩٥) وسيرة ابن هشام (١/٣٩٦) والروض (٢/١٤١) .

(٦) في ط : وقدرته ، والمثبت من مصادر الخبر عند ابن إسحاق وما بين معقوفين منها .

وكان عبدُ الله بن مسعود - فيما بلغني - يقول : أتى رسولُ الله ﷺ بالبُرَاق - وهي الدابةُ التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله ، تَضَعُ حافرَها في موضعٍ ينتهي طَرَفُها - فحُمِلَ عليها ، ثمَّ خرج به صاحبُها يرى الآيات فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء قد جُمِعوا له ، فصلَّى بهم ثم أتى بثلاثة آنيةٍ من لبنٍ وخمرٍ وماء .

فذكر أنه شرب إناءَ اللبن ، فقال لي جبريل : هُديتَ وهديتَ أمتك .

وذكر ابنُ إسحاق في سياق الحسن البصري مرسلاً<sup>(١)</sup> أن جبريل أيقظه ثم خرج به إلى باب المسجد الحرام فأركبهُ البُرَاق وهو دابةٌ أبيض ، بين البَغْلِ والحمار ، وفي فخذه جناحان يَحْفِزُ بهما رجلَيْه ، يضع حافرَها في منتهى طَرَفِها . ثم حملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته .

قلت : وفي الحديث وهو عن قتادة ، فيما ذكره ابنُ إسحاق<sup>(٢)</sup> أن رسولَ الله ﷺ لما أراد ركوب البُرَاق شَمَسَ به<sup>(٣)</sup> ، فوضع جبريلُ يدهُ على مَعْرِفَتِهِ ثم قال : ألا تستحي يا بُراق مما تصنع ، فوالله ما ركبك عبدُ الله قبلَ محمدٍ أكرمُ عليه منه . قال : « فاستحي حتى أرفضَ عرقاً ثم قرأ<sup>(٤)</sup> حتى ركبته » .

قال الحسن في حديثه : فمضى رسولُ الله ﷺ ومضى معه جبريلُ حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نَفَرٍ من الأنبياء ، فأَمَّهم رسولُ الله ﷺ فصلَّى بهم ، ثم ذكر اختيارَهُ إناءَ اللبن على إناء الخمر وقول جبريل له : هُديتَ وهديتَ أمتك ، وحُرِّمَتْ عليكم الخمر .

قال : ثم انصرف رسولُ الله ﷺ إلى مكة فأصبح يُخبر قريشاً بذلك ، فذكر أنه كَذَبَهُ أَكْثَرُ الناس ، وارتدَّت طائفةٌ بعد إسلامها ، وبادر الصديقُ إلى التصديق وقال : إني لأصدِّقه في خبر السماء بُكْرَةً وعشيَّةً ، أفلا أصدِّقه في بيت المقدس ؟ وذكر أن الصديقَ سأله عن صفة بيت المقدس ، فذكرها له رسولُ الله ﷺ قال : فيومئذٍ سُمِّيَ أبو بكر الصديق .

قال الحسن : وأنزل الله في ذلك ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرِّهَآءَ الَّتِي أَرَبْتِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] الآية .

وذكر ابنُ إسحاق<sup>(٥)</sup> فيما بلغه عن أم هانئ أنها قالت : ما أُسْرِي برسولِ الله ﷺ إلا من بيتي ، نام عندي تلك الليلة بعدما صلَّى العشاء الآخرة ، فلما كان قُبيلَ الفجرِ أَهَبْنَا<sup>(٦)</sup> ، فلما كان الصُّبْحُ وصلَّينا معه ، قال : « يا أمَّ هانئ لقد صلَّيتُ معكم العشاء الآخرة في هذا الوادي ، ثم جئتُ بيتَ المقدس »

(١) سيرة ابن هشام (٣٩٧/١) والروض (١٤٢/٢) .

(٢) سيرة ابن هشام (٣٩٨/١) والروض (١٤٢/٢) .

(٣) « شمس الدابة والفرس » : شردت وجمحت ومنعتَ ظهرها فلا تستقر لحدثها وشغبها . اللسان ( شمس ) .

(٤) في ح : تقدم . وفوقها : قرأ .

(٥) سيرة ابن هشام (٤٠٢/١) والروض (١٤٤/٢) .

(٦) في ح : أُنْهِنَا ، أي أيقظنا ، وهما بمعنى .

فصليت فيه ، ثم قد صليت الغداة معكم الآن كما ترين » . ثم قام ليخرج ، فأخذت بطرف رداءه ، فقلت : يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك . قال : « والله لأحدثنهموه » . فأخبرهم فكذبوه . فقال : وآية ذلك أنني مررتُ بعير بني فلان بوادي كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فندَّ لهم بعيرٌ فدللتهم عليه وأنا متوجهٌ إلى الشام ، ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضجَّان<sup>(١)</sup> مررتُ بعير بني فلان ، فوجدتُ القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطيْتُ عليه كما كان . وآية ذلك أنَّ عيرهم تُصوبُ الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جملٌ أورق<sup>(٢)</sup> ، عليه غرارتان ، إحداهما سوداء والأخرى بَرَقاء<sup>(٣)</sup> . قال : فابتدروا القوم بالثنية<sup>(٤)</sup> ، فلم يلقَهم أول من الجمل الذي وصف لهم ، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلواتُ الله وسلامه عليه .

وذكر يونس بن بكير ، عن أسباط ، عن إسماعيل السُّدي ، أنَّ الشمسَ كادت أن تغربَ قبل أن يقدمَ ذلك العير<sup>(٥)</sup> ، فدعا الله عزَّ وجل فحبسها حتى قدموا كما وصف لهم . قال : فلم تحتبس الشمسُ على أحدٍ إلا عليه ذلك اليوم وعلى يوشع بن نون . رواه البيهقي<sup>(٦)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وأخبرني من لا أتهم عن أبي سعيد قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لما فرغتُ مما كان في بيت المقدس أتيت بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسنَ منه وهو الذي يمدُّ إليه مئتكُم<sup>(٨)</sup> عينية إذا حضر ، فأصعدني فيه صاحبي حتى انتهى بي إلى بابٍ من أبواب السماء يقال له : باب الحَفْظَة ، عليه بريد<sup>(٩)</sup> من الملائكة يقال له : إسماعيل ، تحت يده اثنا عشر ألف ملك ، تحت يد كلِّ ملكٍ منهم اثنا عشر ألف ملك . قال : يقول رسولُ الله ﷺ إذا حدث بهذا الحديث : ﴿ وَمَا يَلْعَلُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [ المدثر : ٣١ ] .

ثم ذكر بقية الحديث ، وهو مطوَّلٌ جداً ، وقد سقناه بإسناده ولفظه بكماله في التفسير ، وتكلَّمنا عليه ، فإنه من غرائب الأحاديث وفي إسناده ضَعْف .

- (١) « ضَجَّان » : بالتحريك ونونين ، جُبيل على بريد من مكة ، وقيل بينه وبين مكة خمسة وعشرون ميلاً . معجم البلدان (٤٥٣/٣) .
- (٢) الأورق من كل شيء : ما كان لونه لون الرماد ، ومن الإبل : ما في لونه بياض إلى سواد . اللسان ( ورق ) .
- (٣) « بَرَقاء » : مؤنث أبرق ، وهو كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض . القاموس ( برق ) .
- (٤) في ط وسيرة ابن هشام : فابتدر القومُ الثنية .
- (٥) كذا في ح ، ط قلت : الصواب أن يقول : قبل أن تقدم تلك العير . لأن العير مؤنثة كما في اللسان ، وهي القافلة أو الإبل التي تحمل الميرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ . ويبدو أن اللفظ هنا لابن كثير نقلها عن البيهقي بتصريف كما سيأتي .
- (٦) رواه البيهقي في الدلائل (٤٠٤/٢) : بنحوه عن الحاكم عن أبي العباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس به أقول : ويونس بن بكير صدوق يخطيء .
- (٧) سيرة ابن هشام (٤٠٣/١) والروض (١٥٤/٢) .
- (٨) في ح : يمتد إليه منكم . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض .
- (٩) البريد هنا : الرسول . وفي السيرة والروض : ملك من الملائكة .

وكذا في سياق حديث أم هانئ ، فإنَّ الثابت في الصحيحين<sup>(١)</sup> ، من رواية شريك بن أبي نمر ، عن أنس أنَّ الإسراء كان من المسجد من عند الحِجْر ، وفي سياقه غَرَابَةٌ أيضاً من وجوه قد تكلمنا عليها هناك ، ومنها قوله : قَبْلَ أَنْ يُوحَى إليه<sup>(٢)</sup> . والجواب أنَّ مجيئهم أولَ مرَّةٍ كان قبل أن يُوحَى إليه ، فكانت تلك الليلة ولم يكن فيها شيء ، ثم جاءه الملائكة ليلةً أخرى ولم يقل في ذلك ، وذلك قبل أن يُوحَى إليه بل جاؤوا بعد ما أوحى إليه ، فكان الإسراء قطعاً بعد الإيحاء ، إمَّا بقليل كما زعمه طائفة ، أو بكثير نحو من عشر سنين كما زعمه آخرون ، وهو الأظهر ؛ وغسل صدره تلك الليلة قبل الإسراء غسلًا ثانيًا - أو ثالثًا - على قوله أنه مطلوب إلى الملائكة الأعلى والحضرة الإلهية ، ثم ركب البُرَاق رُفْعَةً له وتعظيمًا وتكريماً ، فلما جاء بيت المقدس ربطه بالحَلَقَة التي كانت تربط بها الأنبياء ، ثم دخل بيت المقدس ، فصلى في قبلته تحية المسجد .

وأنكر حُذيفة رضي الله عنه دخوله إلى بيت المقدس وربطه الدَّابَّة وصلاته فيه ، وهذا غريب ؛ والنصُّ المُثَبَّتُ مقدَّمٌ على النافي .

ثم اختلفوا في اجتماعه بالأنبياء وصلاته بهم ، أكان قبل عُروجه إلى السماء كما دلَّ عليه ما تقدَّم أو بعد نزوله منها كما دلَّ عليه بعضُ السياقات ، وهو أنسبُ كما سنذكره على قولين ، فالله أعلم .

وقيل : إنَّ صلاته بالأنبياء كانت في السماء ، وهكذا تخيُّره بين<sup>(٣)</sup> الآنية ، اللبن والخمر والماء ، هل كانت ببيت المقدس كما تقدم أو في السماء كما ثبت في الحديث الصحيح ؟ والمقصود أنه ﷺ لما فرغ من أمر بيت المقدس نُصِبَ له المعراج - وهو السُّلَّم - فصعد فيه إلى السماء ، ولم يكن الصُّعود على البُرَاق كما قد يتوهمه بعضُ الناس ، بل كان البُرَاق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه إلى مكة . فصعد من سماء إلى سماء في المعراج حتى جاوز السابعة ، وكلما جاء سماء تلقَّته منها مقرَّبوها ومنَّ فيها من أكابر الملائكة والأنبياء . وذكرَ أعيان من رأى<sup>(٤)</sup> من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، وإدريس في الرابعة<sup>(٥)</sup> ، وموسى في السادسة - على الصحيح - وإبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبَّدون فيه صلاةً وطوافاً ،

(١) فتح الباري (٣٥٧٠) المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ، وصحيح مسلم (١٦٢) (٢٦٦) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ .

(٢) وهذه العبارة في رواية البخاري المشار إليها في الحاشية السابقة ، وقد زادت نسخة ط بعد قوله : وذلك .

(٣) في ط : من .

(٤) في ط : رآه .

(٥) كذا ، لم يذكر الثالثة ولا الخامسة ، وفي سيرة ابن هشام (٤٠٦/١ ، ٤٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري أنه رأى في الثالثة يوسف بن يعقوب ، وفي الخامسة هارون بن عمران .

ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة ، ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، ورُفعت لرسول الله ﷺ سِدْرَةُ الْمُنتَهَى ، وإذا ورَقُها كآذان الفيلة ، ونَبْقُها كقِلَالِ هَجَرَ<sup>(١)</sup> ، وغشيتها عند ذلك أمورٌ عظيمة ، ألوانٌ متعدّدة باهرة ، وركبتها الملائكة مثل الغرّبان على الشجرة كثرةً ، وفرّاش من ذهب ، وغشيتها من نور الربّ جلّ جلاله ، ورأى هنالك<sup>(٢)</sup> جبريلَ عليه السلام له ستمئة جناح ما بين كلّ جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذي يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم : ١٣-١٧] أي ما زَاغَ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذي حُدَّ له النظر إليه . وهذا هو الثبأت العظيم والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها ، كما نقله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين . والأولى هي قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم : ٥-١٠] وكان ذلك بالأبطح ، تدلّى جبريلُ على رسول الله ﷺ ساداً عَظُمُ خَلْقِهِ ما بين السماء والأرض ، حتى كان بينه وبينه قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، هذا هو الصحيح في التفسير كما دلّ عليه كلامُ أكابر الصحابة المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم .

فأمّا قولُ شريك عن أنس في حديث الإسراء<sup>(٣)</sup> : ثُمَّ دَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَقَدْ يَكُونُ مِنْ فَهْمِ الرَّاوي فَأَقْحَمَهُ فِي الْحَدِيثِ . والله أعلم .

وإن كان محفوظاً فليس بتفسير للآية الكريمة [ بل هو شيء آخر غير ما دلّت عليه الآية الكريمة ]<sup>(٤)</sup> . والله أعلم .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد ﷺ وعلى أمته الصلوات ليلتئذ خمسين صلاةً في كلّ يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربّه عزّ وجلّ حتى وضعها الربّ جلّ جلاله وله الحمد والمِنَّة إلى خمس وقد قال : « هي خمسٌ وهي خمسون ، الحسنَةُ بعشر أمثالها »<sup>(٥)</sup> فحصل له التكليم

(١) « النَّبِق » : ثمر السدر ، واحدته : نَبِقَةٌ ، وأشبه شيء به العُنَاب قبل أن تشتد حمرة . وهَجَرَ : قرية قريبة من المدينة ، وليست هَجَرَ البحرين ؛ وكانت تعمل بها القِلَال ، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء ؛ مفردها : قَلَّة وهي الجرّة الضخمة . النهاية لابن الأثير والقاموس ( نبق ، قلل ) .

(٢) في ط : هناك .

(٣) هذا القول رواه البخاري فتح (٧٥١٧) التوحيد باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ وهذا الحديث ، اضطرب فيه شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، وساء حفظه ولم يضبط ولذلك ضعفه العلماء لاضطراب شريك فيه ، قال البيهقي : في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل ، وحمل الآية على جبريل أصح . قال بشار : وتعقب الحافظ ابن حجر في الفتح المواضع التي أخطأ فيها شريك وفصل فيها .

(٤) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١٦٢)(٢٥٩) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ وهو عند البخاري بنحوه المشار إليه في الحاشية (٣) من هذه الصفحة .

من الربِّ عزَّ وجل ليلتذ ، وأئمة السُّنة كالمطبقين على هذا .

واختلفوا في الرؤية ، فقال بعضهم رآه بفؤاده مرَّتين ، قاله ابن عباس وطائفة ، وأطلق [ ابن عباس ]<sup>(١)</sup> وغيره الرؤية وهو محمول على التقييد ، وممن أطلق الرؤية أبو هريرة وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما ، وصرَّح بعضهم بالرؤية بالعينين ، واختاره ابن جرير وبالع في ، وتبعه على ذلك آخرون من المتأخرين .

وممن نصَّ على الرؤية بعيني رأسه الشيخ أبو الحسن الأشعري فيما نقله السهيلي عنه ، واختاره الشيخ أبو زكريا النووي في فتاويه<sup>(٢)</sup> .

وقالت طائفة : لم يقع ذلك لحديث أبي ذرٍّ في صحيح مسلم<sup>(٣)</sup> : قلت : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : « نورٌ أنى أراه » . وفي رواية<sup>(٤)</sup> : « رأيت نوراً » .

قالوا : ولم يكن رؤية الباقي بالعين الفانية ؛ ولهذا قال الله تعالى لموسى فيما رُوي في بعض الكتب الإلهية : يا موسى إنه لا يراني حيٌّ إلا مات ، ولا يابسٌ إلا تدهَّده . والخلاف في هذه المسألة مشهورٌ بين السلف والخلف ، والله أعلم .

ثم هبط رسولُ الله ﷺ إلى بيت المقدس ، والظاهر أنَّ الأنبياء هبطوا معه تكريماً له وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة كما هي عادة الوافدين ، لا يجتمعون بأحد قبل الذي طُلبوا إليه ، ولهذا كان كلُّما مرَّ على واحدٍ منهم يقول له جبريل - عندما يتقدم ذاك للسلام عليه - : هذا فلان ، فسلم عليه ، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى تعرُّفٍ بهم مرة ثانية . ومما يدلُّ على ذلك أنه قال : « فلما حانت الصلاة أممَّتُهُمْ »<sup>(٥)</sup> . ولم يحنْ وقتٌ إذ ذاك إلى صلاة الفجر فتقدَّمهم إماماً بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربِّه عز وجل ؛ فاستفاد بعضهم من هذا أنَّ الإمام الأعظم يقدِّم في الإمامة على ربِّ المنزل ، حيثُ كان بيت المقدس محلَّتهم ودارَ إقامتهم ؛ ثم خرج منهم فركب البراق وعاد إلى مكة ، فاصبح بها وهو في غاية الثبات والسكينة والوقار .

وقد عاينَ في تلك الليلة من الآيات والأمر التي لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندهشاً أو طائشاً العقل ، ولكنه ﷺ أصبح واجماً - أي : ساكناً - يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه ، فتلطَّف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة ، وذلك أن أبا جهل لعنه الله - رأى رسول الله

(١) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٢) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ١٥٦) وفتاوى الإمام النووي (ص ١٥) المسمَّى : المنشورات « أو المسائل المنشورة » .

(٣) صحيح مسلم (٢٩١، ٢٩٢-١٧٨) الإيمان باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه .

(٤) هي رقم (٢٩٢) المشار إليها في الحاشية السابقة .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧٨ - ١٧٢) الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال .

ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم ، فقال : « إِنِّي أُسْرِي بِيَ اللَّيْلَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ » . قال : إلى بيت المقدس ؟! قال : « نعم » . قال : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ لِكَتْخَبَرَهُمْ أَتُخْبِرُهُمْ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ ؟ قال : « نعم » . فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم . فقال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أُنْدِيَتِهِمْ فقال : أَخْبِرْ قَوْمَكَ بِمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْرَ مَا رَأَى وَأَنَّهُ جَاءَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَصَلَّى فِيهِ ؛ فَمِنْ بَيْنِ مَصْفَقٍ وَبَيْنِ مَصْفَرٍّ تَكْذِيبًا لَهُ وَاسْتِبْعَادًا لَخَبْرِهِ . وطار الخبر بمكة ، وجاء الناسُ إلى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا . فقال : إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ . فقالوا : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَقُولُهُ . فقال : إِنْ كَانَ قَالَهُ فَلَقَدْ صَدَقَ . ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحوله مشركو<sup>(١)</sup> قريش ، فسأله عن ذلك ، فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس لِيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ وَيَعْلَمُوا صِدْقَهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ<sup>(٢)</sup> .

وفي الصحيح<sup>(٣)</sup> : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ . قال : « فَجَعَلْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ فَالْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ الشَّيْءِ<sup>(٤)</sup> » ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ حَتَّى جَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ دُونَ دَارِ عُقِيلٍ وَأَنْعَتَهُ لَهُمْ » . فقال : أَمَا الصِّفَةُ فَقَدْ أَصَابَ .

وذكر ابن إسحاق ما تقدّم<sup>(٥)</sup> من إخباره لهم بمروره بغيرهم وما كان من شربه ماءهم ، فأقام الله عليهم الحُجَّةَ واستنارت لهم المَحَجَّةُ ، فَأَمَّنَ مَنْ آمَنَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّهِ ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] ، أَي : اخْتِبَارًا لَهُمْ وَامْتِحَانًا .

قال ابن عباس : هِيَ رُؤْيَا عَيْنِ أَرِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنْ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بَدَنِهِ وَرُوحَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ ظَاهِرُ السِّيَاقَاتِ ، مِنْ رُكُوبِهِ وَصُعُودِهِ فِي الْمِعْرَاجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ولهذا قال : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ ﴾ [الإسراء : ١] ، وَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ الْخَارِقَةِ ، فَدَلَّ

(١) في ح ، ط : وحوله مشركي .

(٢) الحديث أخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده : (٣٠٩/١) رقم (٢٨٢٠) عن ابن عباس وإسناده صحيح ، وذكره المؤلف في التفسير عن الإمام أحمد وقال : وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الأعرابي به (وهو في التفسير ٣٠٥ وسننه الكبرى ١١٢٨٥) . ورواه البيهقي (في الدلائل ٣٦٣/٢ و٣٦٤) من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات ، وهو في مجمع الزوائد (١/٦٤) وقال : رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) يعني البخاري ، انظر فتح الباري (٣٨٨٦) مناقب الأنصار باب حديث الإسراء (٤٧١٠) التفسير سورة بني إسرائيل (١٧) باب أسرى بعبده ليلاً .

(٤) في مسند أحمد : بعض النعت . ولا ذكر لهذه العبارة في البخاري ، مما يدل على أنه اقتبس هذا النص في مسند أحمد ، وأنه استشهد بالصحيح في ذكر أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ فحسب .

(٥) تقدم حديث أم هانئ .



على أنه بالروح والجسد ، والعبد عبارة عنهما ، وأيضاً فلو كان مناماً لما بادر كُفَّار قريش إلى التكذيب به والاستبعاد له ، إذ ليس في ذلك كبير أمر ، فدلّ على أنه أخبرهم بأنه أُسْرِيَ به يقظة لا مناماً . وقوله في حديث شريك عن أنس : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر »<sup>(١)</sup> معدود في غلطات شريك ، أو محمول على أن الانتقال من حال إلى حال يُسمّى يقظة كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها حين ذهب رسول الله ﷺ [ إلى ]<sup>(٢)</sup> الطائف فكذبوه ، قال : « فرجعتُ مهموماً ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب » . وفي حديث أبي أسيد حين جاء بابنه إلى رسول الله ﷺ ليحنّكه فوضعه على فخذه رسول الله ﷺ واشتغل رسول الله ﷺ بالحديث مع الناس ، فرفع أبو أسيد ابنه ، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فلم يجد الصبي ، فسأل عنه ، فقالوا : رفع ، فسمّاه المنذر<sup>(٣)</sup> . وهذا الحمل أحسن من التغليب . والله أعلم .

وقد حكى ابنُ إسحاق فقال<sup>(٤)</sup> : حدّثني بعض آل أبي بكرٍ عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى برؤوسه .

قال<sup>(٥)</sup> : وحدّثني يعقوب بن عتبة ، أن معاوية كان إذا سُئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال كانت رؤيا من الله صادقة .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٥)</sup> : فلم يُنكر ذلك من قولهما ، لقول الحسن : إنّ هذه الآية نزلت في ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فَتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [ الإسراء : ٦٠ ] وكما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ يَبْنِيْ اِيَّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اِيَّيْ اَذْبَحُكَ ﴾ [ الصافات : ١٠٢ ] وفي الحديث : « تنام عيني وقلبي يقظان »<sup>(٦)</sup> .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٧)</sup> : فالله أعلم أي ذلك كان ، قد جاءه وعائنه فيه ما عاين من أمر الله تعالى ، على أيّ

(١) هو الحديث المشار إليه فيما تقدم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، والحديث سيأتي .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ، فتح الباري (٦١٩١) الأدب باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ، وصحيح مسلم (٢٩ - ٢١٤٩) الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته .

(٤) في السير والمغازي (ص ٢٩٥) وسيرة ابن هشام (٣٩٩/١) والروض (١٤٣/٢) .

(٥) في سيرة ابن هشام (٤٠٠/١) والروض (١٤٣/٢) .

(٦) رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (٤٠٠/١) وهو قطعة من حديث عائشة رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ولفظهم : « إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » : فتح الباري (١١٤٧) التهجد باب قيام النبي ﷺ (٢٠١٣) صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ، وصحيح مسلم (٧٣٨) (١٢٥) صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ . وسنن أبي داود (١٣٤١) الصلاة باب في صلاة الليل ، وجامع الترمذي (٤٣٩) الصلاة باب ما جاء في وصف صلاة النبي ﷺ . وأورده البخاري من حديث جابر فتح (٧٢٨١) الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ بلفظ : « إن العين نائمة والقلب يقظان » .

(٧) في سيرة ابن هشام (٤٠٠/١) والروض (١٤٣/٢) .

حاله كان ، نائماً أو يقظاناً<sup>(١)</sup> ، كل ذلك حقٌ وصدق .

قلت : وقد توقّف ابنُ إسحاق في ذلك وجوّز كلاً من الأمرين من حيث الجملة ، ولكنّ الذي لا يُسلَك فيه ولا يتمارى أنه كان يقظاناً<sup>(٢)</sup> لا محالة لما تقدّم ، وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أنّ جسده ﷺ ما فُقد ، وإنما كان الإسراء برُوحه أن يكون مناماً كما فهمه ابنُ إسحاق ، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقةً [ وهو يقظان لا نائم ، وركب البراق وجاء بيت المقدس ، وصعد السموات وعاین ما عاین حقيقةً ]<sup>(٣)</sup> ، ويقظة لا مناماً . لعل هذا مُرادُ عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها ، ومرادُ مَنْ تابعها على ذلك . لا مافهمه ابنُ إسحاق من أنهم أرادوا بذلك المنام . والله أعلم .

تنبيه : ونحن لا ننكر وقوع منام قبل الإسراء طَبَقَ ما وقع بعد ذلك ، فإنه ﷺ كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح ، وقد تقدّم مثل ذلك في حديث بدء الوحي أنه رأى مثل ما وقع له يقظة مناماً قبله ليكون ذلك من باب الإزهاص والتّوطئة والتّثبت والإيناس . والله أعلم .

وقد<sup>(٤)</sup> اختلف العلماء في أنّ الإسراء والمعراج : هل كانا في ليلة واحدة ؟ أو كلّ في ليلة على حدة ؟ فمنهم من يزعم أنّ الإسراء في اليقظة ، والمعراج في المنام . وقد حكى المهلبُ بن أبي صُفْرة في شرحه البخاري<sup>(٥)</sup> عن طائفة أنهم ذهبوا إلى أنّ الإسراء [ كان ]<sup>(٦)</sup> مرتين ؛ مرّة برُوحه مناماً ، ومرّة ببدنه ورُوحه يقظة ، وقد حكاه الحافظ أبو القاسم السهيلي ، [ عن شيخه أبي بكر بن العربي الفقيه . قال السهيلي ]<sup>(٧)</sup> : وهذا القول يجمع الأحاديث فإنّ في حديث شريك عن أنس وذلك فيما يرى قلبه ، وتنام عيناه ولا ينأ قلبه ، وقال في آخره : « ثم استيقظت فإذا أنا في الحجر »<sup>(٨)</sup> وهذا منام ، ودلّ غيره على اليقظة .

ومنهم من يدّعي تعدّد الإسراء في اليقظة أيضاً ، حتى قال بعضهم : إنها أربعُ إسرائات . وزعم بعضهم أنّ بعضها كان بالمدينة ، وقد حاول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أن يوفق بين اختلاف

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : يقظان . وهو أشبه بالصواب لأن مؤنثه : يقظى . إلا أن بعضهم أجازها على لغة بعض العرب .

(٢) مضى التعليق عليها في الحاشية السابقة .

(٣) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٤) في ط : ثم قد . والمثبت من ح .

(٥) هو المهلب بن أحمد بن أبي صُفْرة الأندلسي المربّي المتوفى سنة ٤٣٥هـ - وهو غير الأزدي البصري قائد الكتاب - صنف شرحاً لصحيح البخاري ، ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥٧٩/١٧) .

(٦) زيادة يقتضيها السياق منقولة من قول السهيلي في الروض (١٤٩/٢) الذي يشير إليه المؤلف .

(٧) ما بين المعقوفين ليس في ح وأظنه مقحماً من قبل النساخ ، لأن السهيلي لم يذكر شيخه أبا بكر في هذا الموضع من الروض (١٤٩/٢) حيث عقد فصلاً : أكان الإسراء يقظه أم مناماً . وإن المؤلف هنا ينقل قول السهيلي بمعناه لا بلفظه ، ولفظ السهيلي : وهذا القول هو الذي يصح ، وبه تتفق معاني الأخبار . اهـ .

(٨) هو الحديث المشار إليه في الصفحة السابقة .

ما وقع في روايات وحديث الإسراء بالجمع المتعدد<sup>(١)</sup> فجعل ثلاث إسرائيات ، مرة من مكة إلى البيت المقدس فقط على البراق ، ومرة من مكة إلى السماء على البراق أيضاً لحديث حذيفة ، ومرة من مكة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات .

فنقول : إن كان إنما حمله على القول بهذه الثلاث اختلاف الروايات فقد اختلف لفظ الحديث في ذلك على أكثر من هذه الثلاث صفات ، ومن أراد الوقوف على ذلك فليُنظر فيما جمعناه مستقصياً في كتابنا التفسير عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] وإن كان إنما حمله أن التقسيم انحصر في ثلاث صفات بالنسبة إلى بيت المقدس وإلى السموات فلا يلزم من الحصر العقلي والوقوع كذلك في الخارج إلا بدليل . والله أعلم .

والعجب أن الإمام أبا عبد الله البخاري رحمه الله ذكر الإسراء بعد ذكره موت أبي طالب ، فوافق ابن إسحاق في ذكره المعراج في أواخر الأمر ، وخالفه في ذكره بعد موت أبي طالب ، وابن إسحاق أخر ذكر موت أبي طالب على الإسراء ، فالله أعلم أي ذلك كان .

والمقصود أن البخاري فرق بين الإسراء وبين المعراج ، فبَوَّبَ لكل واحد منهما باباً على حدة فقال<sup>(٢)</sup> :  
باب حديث الإسراء وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : « لَمَّا كَذَّبْتَنِي فُرِشَ قَمْتُ<sup>(٣)</sup> فِي الْحِجْرِ ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ ، فَطَفِئَتْ أُخِيرُهُمْ<sup>(٤)</sup> عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ » .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث [ الزهري ، عن أبي سلمة ، عن جابر به<sup>(٥)</sup> ] .

ورواه مسلم والنسائي<sup>(٦)</sup> من حديث [ عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه<sup>(٨)</sup> ] .

(١) في ح : بالمتعدد .

(٢) فتح الباري (١٩٦/٧) .

(٣) في ح ، ط : كنت في الحجر ، والمثبت من فتح الباري .

(٤) في ح ، ط : أحدثهم . والمثبت من فتح الباري .

(٥) صحيح مسلم (١٧٠) (٢٧٦) الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، وجامع الترمذي (٣١٣٣) التفسير باب سورة بني إسرائيل ، والنسائي في التفسير (٣٠٢) وهو في سننه الكبرى (١١٢٨٢) ، وبه أخرجه الإمام أحمد أيضاً في المسند (٣٧٧/٣) .

(٦) في ط : « مسلم والنسائي والترمذي » ، وهو خطأ ، فإن الترمذي لم يخرج الحديث من هذا الوجه ، ولا ذكره أحد بما فيهم المزني في تحفة الأشراف (٣٥٣/١٠) حديث ١٤٩٦٥ من طبعنا . ولا أشك أن لفظه « الترمذي » مقحمة من النسخ ، فإنها قد أقيمت في غير موضعها ، ذلك أن من عادة المؤلف تقديم الترمذي على النسائي عند الإحالة ، كما في الذي قبله (بشار) .

(٧) سقط ما بين المعقوفين من ح .

(٨) صحيح مسلم (١٧٢) (٢٧٨) الإيمان باب ذكر المسيح عيسى بن مريم والمسيح الدجال ؛ وهو في التفسير من السنن =

ثم قال البخاري باب حديث المعراج<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ . قَالَ : « بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَاطِيطِ - وَرَبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعاً إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدْ - قَالَ : وَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : فَشَقَّ<sup>(٢)</sup> - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ » فَقُلْتُ : لِلْجَارُودِ - وَهُوَ إِلَى جَنْبِي - : مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ : مِنْ تُغْرَةٍ<sup>(٣)</sup> نَحَرَهُ إِلَى شِعْرَتِهِ ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : مِنْ قَصِّهِ<sup>(٤)</sup> إِلَى شِعْرَتِهِ . « فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَاناً فُغْسِلَ قَلْبِي ، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيْتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ ، أَبْيَضُ » - فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ : وَهُوَ الْبَرَقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ قَالَ أَنَسُ نَعَمْ - « يَضَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرَفِهِ ؛ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ بِي جَبْرِيلُ<sup>(٥)</sup> حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ، فَنَعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ! فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ فَقَالَ : هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالْإِبْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

ثم صعد بي إلى السماء الثانية ، فاستفتح قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ، فَنَعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ! فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ . قَالَ : هَذَا يُحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا ، فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ، فَنَعَمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ! فَفَتَحَ ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ ، قَالَ : هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جَبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟

= الكبرى (١١٢٨٤) و (١١٤٨٠) .

(١) فتح الباري (٣٨٨٧) .

(٢) في ط : إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ وَسَمِعْتَهُ يَقُولُ فَشَقَّ . وفي ح : فَقَالَ مَا لَ وَضَرَبَ عَلَى اللَّفْظَةِ الثَّانِيَةِ ، وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي الْفَتْحِ ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ يَشْرَحُهُ (٢٠٤ / ٧) : الْقَائِلُ قَتَادَةُ وَالْمَقُولُ عَنْهُ أَنَسٌ ، وَلِأَحْمَدَ : « قَالَ قَتَادَةُ سَمِعْتُ أَنَساً يَقُولُ » فَشَقَّ .

(٣) في ح : ثَعْرٌ ، وَفِي ط : نَقْرَةٌ . وَكِلَاهُمَا تَصْحِيفٌ ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ (٢٠٤ / ٧) : وَهِيَ الْمَوْضِعُ الْمُنْخَفِضُ بَيْنَ التَّرْقُوتَيْنِ .

(٤) « قَصَّهُ » : أَيُّ رَأْسِ صَدْرِهِ . فَتَحَ الْبَارِي (٢٠٤ / ٧) .

(٥) في ط : جِبْرَائِيلُ . وَفِي كُلِّ الْمَوَاضِعِ ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ ح وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت إذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فردّ . ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبّي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ! فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه . فردّ ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبّي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ! فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت عليه ، فردّ ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبّي الصالح . فلما تجاوزت بكى ، فقيل له : ما يُكيك ؟ قال : أبكي لأنّ غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ! فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبّي الصالح .

ثم رُفعت لي سِدْرَةُ الْمُتَنَهَى ، [ فإذا نَبَقُها مثل قِلَالٍ هَجَر ، وإذا ورقُها مثلُ آذانِ الفِيلَةِ . قال : هذه سِدْرَةُ الْمُتَنَهَى ]<sup>(١)</sup> وإذا أربعة أنهار ؛ نهرانِ ظاهران ، ونهرانِ باطنان ، فقلتُ : ما هذا؟<sup>(٢)</sup> ، يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ؛ وأما الظاهران فالنيلُ والفرات ، ثم رُفع لي البيتُ المعمور - [ يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ]<sup>(٣)</sup> - ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذتُ اللَّبَنَ ، فقال : هي الفطرة التي أنت عليها وأُمّتُك . ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة<sup>(٤)</sup> كلّ يوم ، فرجعتُ فمررتُ على موسى فقال : بما<sup>(٥)</sup> أمرت ؟ قال : أمرتُ بخمسين صلاة كلّ يوم . قال : إنَّ أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كلّ يوم ، وإني والله قد جَرَّبْتُ النَّاسَ قبلك ، وعالجتُ بني إسرائيل أشدَّ

(١) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت من ح وصحيح البخاري .

(٢) في فتح الباري : « ما هذان » .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري ، وهو زيادة من رواية الكشميهني أشار لها ابن حجر في الفتح (٢١٥/٧) .

(٤) في ح ، ط : ثم فرض علي الصلوات خمسون ، والمثبت من الفتح .

(٥) إثبات ألف ما المجرورة قليل شاذ ، وجائز في بعض لغة العرب ، انظر الخزانة (٩٩/٦) .

المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فرجعت ، فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً . فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت ، فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بم<sup>(١)</sup> أمرت ؟ فقلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنني قد جرّبت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربّي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم . قال : فلما جاوزت نادى مناد : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي .

هكذا روى البخاري هذا الحديث هاهنا . وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه ومسلم والترمذي والنسائي من طرق ، عن قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة<sup>(٢)</sup> .

ورويناه من حديث أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب ، ومن حديث أنس عن أبي ذر . ومن طرق كثيرة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ . وقد ذكرنا ذلك مستقصى بطرقه وألفاظه في التفسير<sup>(٣)</sup> ، ولم يقع في هذا السياق ذكر بيت المقدس ، وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به ، أو ينسأه ، أو يذكر ما هو الأهم عنده ، أو يبسط تارة فيسوقه كله ، وتارة يحدث مخاطبه بما هو الأنفع له<sup>(٤)</sup>

ومن جعل كل رواية إسراء على حدة كما تقدّم عن بعضهم فقد أبعد جداً . وذلك أن كل السياقات فيها السلام على الأنبياء ، وفي كل منها يُعرّفه بهم ، وفي كلها يفرض عليه الصلوات . فكيف يمكن أن يدعي تعدّد ذلك ؟ هذا في غاية البعد والاستحالة . والله أعلم .

ثم قال البخاري<sup>(٥)</sup> : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] . قال : هي رؤيا عَيْن ، أريها رسول الله ﷺ ليلة أُسري به إلى بيت المقدس ؛ والشجرة الملعونة في القرآن . قال : هي شجرة الزقوم<sup>(٦)</sup>

(١) في فتح الباري : بما .

(٢) فتح الباري (٣٢٠٧) بدء الخلق باب ذكر الملائكة وفي الأنبياء (٣٣٩٣) و(٣٤٣٠) ، وصحيح مسلم (١٦٤) و(٢٦٤) الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ، وجامع الترمذي (٣٣٤٦) التفسير باب ومن سورة ألم نشرح ، وسنن النسائي (٤٤٨) الصلاة باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين .

(٣) تفسير ابن كثير (٢٣٩/٤) وما بعد عند سورة الإسراء .

(٤) في ط : وتارة يحذف عن مخاطبه بما هو الأنفع عنده ، والمثبت من ح .

(٥) فتح الباري (٣٨٨٨) مناقب الأنصار باب المعراج .

(٦) زادت نسخة ح هنا ما نصه : انفرد به البخاري ، وليس كذلك ، فقد رواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، حدّثنا سفيان به .

## فصل

ولما أصبح رسول الله ﷺ من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا فصلّى به جبريل في ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتون بالنبي ﷺ وهو يقتدي بجبريل كما جاء في الحديث عن ابن عباس وجابر : « أمني جبريل عند البيت مرّتين »<sup>(١)</sup> .  
فبين له الوقتين الأول والآخر . فهما وما بينهما الوقت الموسع ، ولم يذكر توسعة في وقت المغرب .

وقد ثبت ذلك في حديث أبي موسى وبُرَيْدة وعبد الله بن عمرو ، وكلّها في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> . وموضع بسط ذلك في كتابنا الأحكام والله الحمد .

فأما ما ثبت في صحيح البخاري<sup>(٣)</sup> عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقربت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر .

وكذا رواه الأوزاعي ، عن الزهري<sup>(٤)</sup> ، ورواه الشعبي ، عن مسروق عنها<sup>(٥)</sup> ؛ وهذا مشكل من جهة أن عائشة كانت تتم الصلاة في السفر ، وكذا عثمان بن عفان ، وقد تكلمنا على ذلك عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء : ١٠١] .

قال البيهقي<sup>(٦)</sup> : وقد ذهب الحسن البصري إلى أن صلاة الحضر أول ما فرضت أربعاً . كما ذكره مرسلًا من صلاته ﷺ صبيحة الإسراء الظهر أربعاً ، والعصر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً يجهر في الأولتين والعشاء أربعاً يجهر في الأولتين ، والصبح ركعتين يجهر فيهما . قلت : فلعل عائشة أرادت أن الصلاة

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٩٣) الصلاة باب ما جاء في المواقيت ، والترمذي في الجامع (١٤٩) الصلاة باب ما جاء في مواقيت الصلاة ، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٣٣/١ و ٣٥٤) وابن خزيمة في صحيحه (٣٢٥) الصلاة باب ذكر مواقيت الصلاة الخمس ، والدارقطني في السنن (٢٥٨/١) الصلاة باب إمامة جبريل ، وغيرهم .

(٢) يضاف إليها حديث أبي مسعود الأنصاري وهي مروية في صحيح مسلم (٤٢٥/١ - ٤٣٠) الأرقام (٦١٠ - ٦١٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب أوقات الصلوات الخمس .

(٣) فتح الباري (٣٩٣٥) مناقب الأنصار باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ . وهذه الرواية هي المشار إليها عن معمر . ولفظها يختلف عن اللفظ الذي ساقه المؤلف وهو من طريق صالح بن كيسان عن عروة به ، وهو في صحيح البخاري فتح (٣٥٠) الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ، وهي رواية مسلم في صحيحه (١ - ٦٨٥) صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة المسافرين وقصرها ، وأخرجه مالك في الموطأ (٨) قصر الصلاة في السفر باب قصر الصلاة في السفر ، والنسائي في السنن (٤٥٤) الصلاة باب كيف فرضت الصلاة .

(٤) وهي رواية النسائي المشار إليها في الحاشية السابقة ، وأخرجه البيهقي بنحوه في الدلائل (٤٠٦/٢) .

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣٠٥) الصلاة باب ذكر فرض الصلوات الخمس من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي به .

(٦) في دلائل النبوة (٤٠٧/٢) .

كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فُرِضَتِ الخمس فُرِضَتْ حَضْرًا على ما هي عليه ، ورُخِّصَ في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديمًا ، وعلى هذا لا يَبْقَى إشكال بالكلية . والله أعلم .

## فصل

### انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ

وجعل الله آية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من الهدى ودين الحق حيث كان وفق إشارته الكريمة<sup>(١)</sup> ، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۖ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ ﴾ [القمر : ١ - ٣] وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه ﷺ ، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة ، من طرق متعددة ، تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها . ونحن نذكر من ذلك ما تيسر إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان . وقد استقصينا<sup>(٢)</sup> ذلك في كتابنا التفسير فذكرنا الطرق والألفاظ محررة ، ونحن نشير هاهنا إلى أطراف من طرقها ونعزوها إلى الكتب المشهورة بحول الله وقوته . وذلك مروى عن أنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، وحذيفة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

أما أنس فقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن [ الزهري ، عن ] قتادة ، عن أنس بن مالك قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة مرتين . فقال : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ ﴾ .

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق به . وهذا من مرسلات الصحابة ؛ والظاهر أنه تلقاه عن الجرم الغفير من الصحابة ، أو عن النبي ﷺ ، أو عن الجميع .

وقد روى البخاري ومسلم<sup>(٥)</sup> هذا الحديث من طريق شيبان ؟ زاد البخاري : وسعيد بن أبي عروبة ، وزاد مسلم<sup>(٦)</sup> : وشعبة ، ثلاثهم ، عن قتادة ، عن أنس : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقيقتين ، حتى رأوا حراء بينهما . لفظ البخاري<sup>(٧)</sup> .

(١) في ط : كان ذلك وقت إشارته الكريمة ، والمثبت من ح .

(٢) في ط : تقصينا .

(٣) في المسند (١٦٥/٣) رقم (١٢٦٢٤) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في صحيحه (٢٨٠٢) (٤٦) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر .

(٥) فتح الباري (٣٦٣٧) المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . ورواية مسلم هي المشار إليها في الحاشية السابقة .

(٦) هي رقم (٢٨٠٢) (٤٧) من الكتاب والباب المشار إليه في الحاشية (٤) .

(٧) هذا اللفظ في الفتح (٣٨٦٨) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر . قال ابن حجر في قوله : حتى يروا حراء بينهما : أي : بين الفرقتين .



وأما جبير بن مطعم ، فقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : انشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ ، فَرَقَّةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ ، وَفَرَقَّةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ . فَقَالُوا : سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ ! فَقَالُوا : إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ .  
تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup> .

وهكذا رواه ابن جرير<sup>(٣)</sup> ، من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به .  
وقد رواه البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق إبراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين بن عبد الرحمن ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جدّه به ، فزاد رجلاً في الإسناد<sup>(٥)</sup> .  
وأما حذيفة بن اليمان فروى أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(٦)</sup> من طريق عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن<sup>(٧)</sup> فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ أَلَا وَإِنَّ السَّاعَةَ قَدْ اقْتَرَبَتْ ، أَلَا وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدْ انشَقَّ [ على عهد رسول الله ﷺ ]<sup>(٨)</sup> ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِفِرَاقٍ ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ<sup>(٩)</sup> وَغَدَاً السَّبَاقَ<sup>(١٠)</sup> . فلما كانت الجمعة الثانية انطلقت مع أبي إلى الجمعة ، فحمد الله وقال مثله وزاد : أَلَا وَإِنَّ السَّابِقَ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ<sup>(١١)</sup> . فلما كُنَّا فِي الطَّرِيقِ قُلْتُ لِأَبِي : مَا يَعْنِي بِقَوْلِهِ : غَدَاً السَّبَاقُ ؟ قَالَ : مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ .

- (١) في المسند (٨١/٤ - ٨٢) .
- (٢) وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فإن حصين بن عبد الرحمن لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم ، بينهما جبير بن محمد بن جبير كما سيأتي بعد قليل ، وجبير هذا مجهول . وقد رواه من هذا الوجه : الترمذي (٣٢٨٩) ، والطبراني في الكبير (١٥٥٩) ، والبيهقي في الدلائل (٢/٢٦٨) . (بشار) .
- (٣) يعني الطبري في تفسيره (٨٦/٢٧) في تفسير سورة القمر .
- (٤) في الدلائل (٢/٢٦٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٧١) في تفسير الآية وقال : أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي عن جبير .
- (٥) وهذا هو الأشبه كما بينه الإمام الدارقطني في العلل (٤/الورقة ١٠٤) ، وقال البيهقي : أقام إسناده إبراهيم بن طهمان وهشيم وأبو كريب والمفضل بن يونس عن حصين .
- (٦) أورده السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٧٢) وقال : أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم عن أبي عبد الرحمن السلمي قال خطبنا حذيفة . . . الحديث .
- (٧) ليست اللفظة في ح .
- (٨) ما بين معقوفين من الدر المنثور .
- (٩) في ح والدر المنثور : الضمار ، والمثبت من ط والنهاية لابن الأثير وشرحه فيه : أي اليوم العمل في الدنيا للاستباق في الجنة . والمضمار : الموضع الذي تضرع فيه الخيل ، ويكون وقتاً للأيام التي تضرع فيها .
- (١٠) إلى هنا في الدر المنثور .
- (١١) في ط : الجمعة ، والمثبت من ح .

وأما ابن عباس ، فقال البخاري<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ<sup>(٢)</sup> ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ ، عَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم<sup>(٣)</sup> من حديث بكر - وهو ابن مُضَرَّ<sup>(٤)</sup> - عن جعفر [ - هو ابن ربيعة - عن عِرَاكِ بِهِ .

وقال ابن جرير<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا ابْنُ مَثْنَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هَنْدٍ ، عَنْ<sup>(٦)</sup> ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٧)</sup> : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ . قال : قد مضى ذلك ، كان قبل الهجرة ، انشق القمر حتى رأوا شقيقه .

وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه وهو من مرسلاته .

وقال الحافظ أبو نعيم<sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ بْنُ سَهْلٍ<sup>(٩)</sup> ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مِقَاتٍ عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مِنْهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ ، وَالْأَسَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَنَظَرَاؤُهُمْ ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَشُقِّ لَنَا الْقَمَرُ فَرَقَتَيْنِ ، نَصْفًا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ وَنَصْفًا عَلَى قَعِيقَانَ . فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنْ فَعَلْتُ تَوَمَّنُوا ؟ » قَالُوا : نَعَمْ - وَكَانَتْ لَيْلَةً بَدْرٌ - فَسَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا سَأَلُوا ، فَأَمْسَى الْقَمَرُ قَدْ مَثَلُ<sup>(١٠)</sup> نَصْفًا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ ، وَنَصْفًا عَلَى قَعِيقَانَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي : « يَا أَبَا سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ ، اشْهَدُوا » .

(١) فتح الباري (٤٨٦٦) التفسير سورة القمر (٥٤) باب وانشق القمر .

(٢) في ط : يحيى بن كثير ، وهو تصحيف ، والمثبت من ط وصحيح البخاري في الفتح .

(٣) فتح الباري (٣٨٧٠) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ، وصحيح مسلم (٢٨٠٣) (٤٨) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر .

(٤) في ح ، ط : ابن نصر ، وهو تصحيف ، والمثبت من صحيح البخاري ومسلم وترجمته في تهذيب الكمال (٢٢٧/٧) .

(٥) يعني الطبري في تفسيره (٨٦/٢٧) في تفسير سورة القمر .

(٦) كذا في ح ، وزادت مطبوعة تفسير الطبري : عن علي بن عبد الله بن عباس ، وأظنه تصحيفاً ، والصواب : عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

(٧) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .

(٨) في دلائل النبوة (٣٦٨/١) وإسناده ضعيف لضعف بكر بن سهيل ، وشيخه عبد الغني بن سعيد الثقفي (الميزان ٦٤٢/٢) .

(٩) في ط : سهيل ، تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل أبي نعيم ، وترجمته في الميزان ولسان الميزان .

(١٠) في ح : فانشق القمر نصفاً . . . وفي ط : فأمسى القمر قد سلب نصفاً . . . والمثبت من دلائل النبوة لأبي نعيم .

ثم قال أبو نعيم<sup>(١)</sup> : وحَدَّثَنَا سليمان بن أحمد ، حَدَّثَنَا الحسن بن العباس الرازي ، عن الهيثم بن النعمان<sup>(٢)</sup> ، حَدَّثَنَا إسماعيل بن زياد ، عن ابن جُريج ، عن عطاء عن ابن عباس ، قال : انتهى أهل مكة إلى رسول الله ﷺ فقالوا : هل من آية نعرف بها أنك رسول الله ؟ فهبط جبرائيل فقال : يا محمد ، قل لأهل مكة أَنْ يحتفلوا هذه الليلة فسيرُوا آيةَ إِنْ انتفعوا بها . فأخبرهم رسولُ الله ﷺ بمقالة جبرائيل فخرجوا [ ليلة الشق ]<sup>(٣)</sup> ، ليلة أربع عشرة ، فانشقَّ القمرُ بنصفين ، نصفاً على الصَّفا ونصفاً على المَرْوَة ، فنظروا ، ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ، ثم مسحوا أعينهم ثم نظروا ، فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحرٌ ذاهب<sup>(٤)</sup> فأنزل الله : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

ثم روى<sup>(٥)</sup> عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : جاءت أخبارُ اليهود إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا : أرنا آيةً حتى نؤمن بها . فسأل ربُّه فأراهم القمرَ قد انشق فصار نصفين<sup>(٦)</sup> أحدهما على الصَّفا ، والآخر على المَرْوَة ، قَدَر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ، ثم غاب . فقالوا : هذا سحرٌ مستمر<sup>(٧)</sup> .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني<sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا أحمد بن عمرو البزار<sup>(٩)</sup> ، حَدَّثَنَا محمد بن يحيى القطعي ، حَدَّثَنَا محمد بن بكر ، حَدَّثَنَا ابن جُريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كَسَفَ القمرُ على عهد رسولِ الله ﷺ فقالوا : سحر القمر . فنزلت : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿ [ القمر : ١ - ٢ ] .

وهذا إسنادٌ جيّد ، وفيه أنه كَسَفَ تلك الليلة ، فلعلَّه حصل له انشقاقٌ في ليلة كُسوفه ، ولهذا خَفِيَ أثره على كثيرٍ من أهل الأرض ، [ ولعلَّ ذلك في بعض ليالي الشتاء حيث يكون أكثر الناس في البيوت ، أوسره غَيْمٌ عن كثيرٍ من الأرض ]<sup>(١٠)</sup> ، ومع هذا قد شوهد ذلك في كثيرٍ من بقاع الأرض .

ويقال : إنه أُرْخَ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبُني بناء تلك الليلة وأُرْخَ بليّة انشقاق القمر .

- 
- (١) ليست هذه الرواية في المطبوع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، قال بشار : وإسنادها تالف ، فإسماعيل بن زياد كذاب .  
(٢) في ط : العمان . والمثبت من ح ولم أقف على ترجمة له .  
(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح .  
(٤) في ط : واهب . وفي المطبوع بتحقيق عبد الواحد : راهب ، والمثبت من ح .  
(٥) يعني أبا نعيم في دلائل النبوة (١/٣٦٩) .  
(٦) في ط : انشق بجزأين . والمثبت من ح .  
(٧) في ط : مفترى ، والمثبت من ح والدلائل .  
(٨) في المعجم الكبير (١١٦٤٢) .  
(٩) في ح ، ط : الرزاز ، وهو تصحيف ، والمثبت من معجم الطبراني وترجمة البزار في سير أعلام النبلاء (٥٥٤/١٣) .  
(١٠) ما بين المعقوفين مثبت في هامش ح بإشارة لَحَق في المتن .

وأما ابنُ عمر فقال الحافظ البيهقي<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ ، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قال : وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ ، انشقَ فَلَقَتَيْنِ<sup>(٢)</sup> ، فَلَقَةٌ مِنْ دُونَ الْجَبَلِ ، وَفَلَقَةٌ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » .

رواه مسلم والترمذي من طرق<sup>(٣)</sup> ، [ عن شعبة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ]<sup>(٤)</sup> ، به .

قال مسلم<sup>(٥)</sup> : كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود .

وقال الترمذي<sup>(٦)</sup> : هذا حديثٌ حسنٌ صحيح .

وأما عبد الله بن مسعود فقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : انشقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَقَّتَيْنِ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اشْهَدُوا » .

وهكذا أخرجاه<sup>(٨)</sup> من حديث سفيان - وهو ابنُ عيينة - به .

ومن<sup>(٩)</sup> حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي معمر ، عن عبد الله بن مسعود<sup>(١٠)</sup> قال : انشقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَنَى ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اشْهَدُوا » وَذَهَبَتْ فِرْقَةٌ نَحْوَ الْجَبَلِ . ( لفظ

- (١) في الدلائل (٢/٢٦٧) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٦٧١) فقال : وأخرج مسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل . . . فذكر الحديث .
- (٢) لفظ الدر المنثور : فرقتين . . . فرقة . . . وفرقة .
- (٣) صحيح مسلم (٢٨٠١) صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر ، وجامع الترمذي (٢١٨٢) في الفتن ، و(٣٢٨٨) في التفسير تفسير سورة القمر .
- (٤) ما بين المعقوفين سقط من ط واستعيض عنه بلفظ : به وهو مثبت في ح .
- (٥) يعني أنه ساق الإسناد ثم قال : مثل ذلك . صحيح مسلم (٢٨٠١) ، وحديث ابن مسعود برقم (٢٨٠٠) .
- (٦) يعني بعد رواية الحديث رقم (٢١٨٢) .
- (٧) في المسند (١/٣٧٧) رقم (٣٥٨٣) .
- (٨) يعني البخاري ومسلم ، فتح الباري (٣٦٣٦) المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية . وصحيح مسلم (٢٨٠٠) (٤٣) صفات المنافقين باب انشقاق القمر .
- (٩) فتح الباري (٣٨٦٩) مناقب الأنصار باب انشقاق القمر ، وصحيح مسلم (٢٨٠٠) (٤٤) صفات المنافقين باب انشقاق القمر .
- (١٠) في ح : عن أبي معمر عن عبد الله بن سخرية عن ابن مسعود ، وكذا في ط غير : سخرية . ففيها : سمرة . ويبدو أنه مقحم من قبل الناسخ فأسقطته وأثبت ما جاء في البخاري ومسلم .

(البخاري) ، ثم قال البخاري : وقال أبو الضُّحَى <sup>(١)</sup> عن مسروق عن عبد الله « [ انشقَّ ] بمكة » . وتابعه محمد بن مسلم عن ابن أبي نَجِيج ، عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله رضي الله عنه .

وقد أسند أبو داود الطيالسي حديثَ أبي الضُّحَى عن مسروق [ ذلك في « مسنده » <sup>(٢)</sup> ] فقال : حدثنا أبو عوانة عن المغيرة ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق <sup>(٣)</sup> ، عن عبد الله بن مسعود . قال : انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقالت قريش : هذا سِحْرُ ابنِ أبي كبشة ، فقالوا : انظروا <sup>(٤)</sup> ما يأتيكم به السُّفَّار ، فإنَّ محمدًا لا يستطيعُ أن يسحرَ الناسَ كلَّهم . قال : فجاء السُّفَّار فقالوا ذلك .

وقال البيهقي <sup>(٥)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، [ ثنا أبو العباس <sup>(٦)</sup> ] ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا هُشيم ، حدثنا مغيرة ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : انشقَّ القمرُ بمكة حتى صارَ فِرْقَتَيْنِ ، فقال كفَّار قريش لأهل مكة : هذا سِحْرُ ، سحرهم به ابنُ أبي كبشة ، انظروا السُّفَّار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سِحْرُ سحرهم به . قال : فسئل السُّفَّار ، قال : وقد وقِدِموا من كلِّ وجهه <sup>(٧)</sup> ، فقالوا : رأينا .

وهكذا رواه [ ابن جرير <sup>(٨)</sup> من حديث المغيرة ، وزاد : فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَرَبِّ السَّاعَةِ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

رواه <sup>(٩)</sup> أبو نعيم من حديث جابر <sup>(١٠)</sup> عن الأعمش ، عن أبي الضُّحَى ، عن مسروق عن عبد الله ، به .

وقال الإمام أحمد <sup>(١١)</sup> : حدثنا مؤمل ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيتُ الجبل من بين فُرْجَتَي القمر .

(١) في ط : أبو الضحاك . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري ، وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٢) في مسنده (٢٩٥) .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو في ح .

(٤) في مسند أبي داود : انتظروا .

(٥) في الدلائل (٢/٢٦٧) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في دلائل البيهقي .

(٧) في الدلائل : وجه .

(٨) يعني الطبري في تفسيره (٢٧/٨٥) تفسير سورة القمر .

(٩) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .

(١٠) في ح : جرير . وأثبت ما في ط ، وليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل أبي نعيم ، وقد روى كل من جابر بن نوح

الحماني وجرير بن حازم وجرير بن عبد الحميد عن الأعمش ، فالله أعلم أيهم المقصود في هذه الرواية . وترجمة

الأعمش في تهذيب الكمال (١٢/٧٦ - ٩١) .

(١١) في المسند (١/٤١٣) .

وهكذا رواه ابن جرير<sup>(١)</sup> من حديث أسباط ، عن سماك به .

وقال الحافظ أبو نعيم<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الطَّلْحِي ، حَدَّثَنَا أَبُو حَاصِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَادِعِي ، حَدَّثَنَا يَحْيَى الْحِمَّانِي ، حَدَّثَنَا يَزِيد ، عَنْ عَطَاء ، عَنْ سَمَّاك ، عَنْ إِبْرَاهِيم ، عَنْ عُلُقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنَى فَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ فَتَوَارَتْ ، فِرْقَةٌ خَلْفَ الْجَبَلِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اشْهَدُوا ، اشْهَدُوا »<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو نعيم<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ [ أَحْمَد ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَلَانِسِيُّ ، حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَّاسٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ ]<sup>(٥)</sup> سَعْد ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ سَعْد ، عَنْ عَتَبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ وَنَحْنُ بِمَكَّةَ ، [ فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَحَدَ شَقِيهِ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي بِمَنَى وَنَحْنُ بِمَكَّةَ ]<sup>(٥)</sup> .

وَحَدَّثَنَا<sup>(٦)</sup> أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ زَائِدَةَ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ زَرٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ ، فَرَأَيْتُهُ فِرْقَتَيْنِ .

ثُمَّ رَوَى<sup>(٧)</sup> مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ مَسْرُوقٍ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَمِيرٍ ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمَعْتَمِرِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ الْقَمَرَ وَاللَّهِ مُنْشَقًّا بِاثْنَتَيْنِ بَيْنَهُمَا حِرَاءٌ .

وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ<sup>(٨)</sup> مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ الصَّغِيرِ ، عَنْ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ . فِلْقَةٌ ذَهَبَتْ ، وَفِلْقَةٌ بَقِيَتْ . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : لَقَدْ رَأَيْتُ جِبَلَ حِرَاءٍ بَيْنَ فِلْقَتَيْ الْقَمَرِ ، فَذَهَبَتْ فِلْقَةٌ . فَتَعَجَّبَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُصْنُوعٌ ، سِيْذْهَبُ . وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ . قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ : « اشْهَدْ<sup>(٩)</sup> يَا أَبَا بَكْرٍ » . وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : سِحْرَ الْقَمَرِ حَتَّى انْشَقَّ .

فهذه طرقٌ متعدّدةٌ ، قويّةُ الأسانيد ، تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها . وما يذكره بعضُ القُصَّاصِ من أنَّ القمر سقط إلى الأرض حتى دَخَلَ في كُمِّ النَّبِيِّ ﷺ وخرج من الكُمِّ الآخر فلا أصلَ له ،

(١) يعني الطبري في تفسير سورة القمر التفسير (٢٧/ ٨٥) .

(٢) ليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل أبي نعيم ، وقد ذكرها السيوطي في الدر المنثور (٦٧١/ ٧) فقال : وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود . . . فذكر الحديث .

(٣) في الدر المنثور : اشهدوا مرة واحدة .

(٤) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من الدلائل ولا في الدر المنثور .

(٥) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٦) القائل أبو نعيم في الدلائل (٣٦٧/ ١) .

(٧) في ط : فاشهد ، والمثبت من ح .

وهو كذبٌ مُفْتَرى ليس بصحيح . والقمر حين انشق لم يزايل السماء ، غير أنه حين أشار إليه النبي ﷺ انشق عن إشارته ، فصار فرقتين ، فسارت واحدة حتى صارت من وراء حراء ، ونظروا إلى الجبل بين هذه وهذه كما أخبر بذلك ابن مسعود أنه شاهد ذلك . وما وقع في رواية أنس في مسند أحمد<sup>(١)</sup> : فانشق القمر بمكة مرتين فيه نظر ، والظاهر أنه أراد فرقتين . والله أعلم .

## فصل

### وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ

ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنها . وقيل : بل هي توفيت قبله والمشهور الأول . وهما المُشْفِقَان ، هذا<sup>(٢)</sup> في الظاهر وهذه في الباطن ؛ هناك كافر ، وهذه مؤمنة صديقة رضي الله عنها وأرضاها .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم إنَّ خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعَت على رسول الله ﷺ المصائب بهُلكِ خديجة ، وكانت له وزير صدق على الإسلام<sup>(٤)</sup> ، يسكنُ إليها ، وبهُلكِ عمُّه أبي طالب ، وكان له عَصْداً وحِزْزاً في أمره ، ومنعةً وناصرأً على قومه . وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين ، فلما هلك أبو طالب ، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمَعُ به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً . فحدثني هشامُ بن عروة ، عن أبيه ، قال : فدخل رسولُ الله ﷺ بيته والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تغسله وتبكي ، ورسولُ الله ﷺ لا يبكي يقول : « لا تبكي يا بُنَيَّة ، فإنَّ الله مانعُ أباك » . ويقول بين ذلك : « ما نالتني قريش شيئاً أكرهه<sup>(٥)</sup> حتى مات أبو طالب » .

وذكر ابن إسحاق قبل ذلك : أنَّ أحدهم ربما طرح الأذى في بُرْمَتِهِ<sup>(٦)</sup> ﷺ إذا نُصِبَتْ له . قال : فكان إذا فعلوا ذلك كما حدثني عمر بن عبد الله ، عن عروة ، يخرج بذلك الشيء على العود فيقذفه ، فيقف [ به ]<sup>(٧)</sup> على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف ، أيُّ جوارٍ هذا ؟ ! ثم يلقيه في الطريق .

(١) هي الرواية المتقدمة (ص ٣٥٤) موضع الحاشية (٣) .

(٢) في ط : وهذان المشفقان هذا . والمثبت من ح .

(٣) السير والمغازي (ص ٢٤٣) وسيرة ابن هشام (٤١٦/١) والروض (١٦٦/٢) .

(٤) في ط : الابتلاء . والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٥) في سيرة ابن هشام : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه . وهو أشبه بالصواب .

(٦) البُرْمَة : القدر . النهاية لابن الأثير .

(٧) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام (٤١٦/١) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثَقُلَهُ قالت قريش بعضها لبعض : إِنَّ حمزة وعمر قد أسلما ، وقد فَشَا أمرُ محمدٍ في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليُعْطِهِ مِنَّا ، فإننا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني العباسُ بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله ، عن ابن عباس قال : لما مشوا إلى أبي طالب وكَلَّمُوهُ - وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمِيَّة بن خلف ، وأبو سفيان بن حَرْب ، في رجالٍ من أشrafهم - فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منَّا حيثُ قد علمت ، وقد حَضَرَكَ ما ترى وتخَوَّفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادَّعُهُ فحُذِّ لنا منه وخُذْ له مِنَّا ، ليكفَّ عنا ولنكفَّ عنه ، وليدعنا وديننا ولدعه ودينه . فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا ابن أخي ، هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا لك<sup>(٢)</sup> ، ليعطوك وليأخذوا منك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « نعم »<sup>(٣)</sup> ، كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب وتدينُ لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم ، وأبيك وعشر كلمات . قال : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » . قال : فصَفَّقُوا بأيديهم ، ثم قالوا : يا محمد أتريدُ أن تجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً ؟ ! إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ ! قال : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دينِ آبائكم حتى يحكم الله بنيكم وبينه ، ثم تفرقوا .

قال : فقال أبو طالب : والله يا ابن أخي ، ما رأيته سألتهم شَطَطاً . قال : فطمع رسولُ الله ﷺ فيه<sup>(٤)</sup> ، فجعل يقول له : « أي عم ، فأنتَ فقلُّها أستحلَّ لك بها الشفاعةَ يوم القيامة » فلما رأى حِرْصَ رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، والله لولا مخافةُ السُّبَّةِ عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظنَّ قريش أنني إنما قتلُها جَزَعاً من الموت لقلْتُها ، لا أقولُها إلا لأُسْرَكَ بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموتُ نظر العباسُ إليه يحركُ شفَتَيْهِ ، فأصغى إليه بإذنه ، قال : فقال : يا ابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها . قال فقال رسولُ الله ﷺ : « لم أسمع »<sup>(٥)</sup> .

(١) سيرة ابن هشام (٤١٧/١) والروض (١٦٦/٢) .

(٢) في ط : إليك ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٣) في ط : يا عم ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٤) في السيرة والروض : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ في إسلامه .

(٥) قال السهيلي في الروض (١٧٠/٢) معلقاً على هذا الحديث : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعدما أسلم لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله « لم أسمع » لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت وقال من هو أعدل منه : لم أسمع ، أخذ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسباباً منعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم ، مع أن الصحيح من الأثر قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ وانظر ما نقله المؤلف عن السهيلي (ص ٣٦٦ الآية السطر الأول) .



قال : وأنزل الله تعالى في أولئك الرهط ﴿ صَّ وَالْقُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [١] ص : ١ -  
[٢] الآيات .

وقد تكلمنا على ذلك في التفسير والله الحمد والمنة .

وقد استدلل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس في هذا الحديث : يا ابن أخي ، لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها - يعني لا إله إلا الله - والجواب عن هذا من وجوه .

أحدها أن في السند مبهماً لا يعرف حاله ، وهو قوله : عن بعض أهله . وهذا إبهام في الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد ؛ وقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير<sup>(١)</sup> نحواً من هذا السياق من طريق أبي أسامة ، عن الأعمش ، حدثنا عباد<sup>(٢)</sup> ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، فذكره ولم يذكر قول العباس .

ورواه الثوري أيضاً عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار الكوفي ، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فذكره بغير زيادة قول العباس ، ورواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير أيضاً<sup>(٣)</sup> .

ولفظ الحديث من سياق البيهقي<sup>(٤)</sup> فيما رواه من طريق الثوري ، عن الأعمش ، عن يحيى بن عمار ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : مرض أبو طالب فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ وعند رأس أبي طالب مجلس<sup>(٥)</sup> رجل ، فقام أبو جهل كي يمنعه ذاك . وشكوه إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ، ما تريد من قومك ؟ فقال : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تذلل لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة » . قال ؛ ما هي ؟ قال : « لا إله إلا الله » قال : فقالوا : ﴿ أَجْعَلُ آلَ اللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ ص : ٥ ] قال : ونزل فيهم ﴿ صَّ وَالْقُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿ إِلَّا أَخْلَقْتُ ﴾ [ ص : ٧ ] .

(١) مسند الإمام أحمد (٢٢٧/١) والنسائي في التفسير في سننه الكبرى (١١٤٣٧) وتفسير الطبري (١٢٥/٢٣) سورة ص .

(٢) هكذا سماه أبو أسامة حماد بن أسامة ، كما في رواية لأحمد (٢٢٨/١) والنسائي وابن جرير التي خرجت في الهامش السابق . وقد صرح أحمد في موضع آخر (٣٦٢/١) أنه ابن جعفر . وسماه أبو أحمد الزبيري في روايته عن سفيان عن الأعمش : يحيى بن عباد (جامع الترمذي ٣٢٣٢) ، وسماه يحيى بن سعيد في روايته عن سفيان عن الأعمش يحيى بن عمار ، كما سيأتي . وهو مجهول بكل حال ، فقد تفرد الأعمش بالرواية عنه ، ولم يوثقه أحد . (بشار) .  
(٣) جامع الترمذي في التفسير (٣٢٣٢) و(٣٢٣٢م) ، والنسائي في التفسير في الكبرى (١١٤٣٦) ، وتفسير الطبري (١٢٥/٢٣) . (بشار) .

(٤) في الدلائل (٣٤٥/٢) ، وهو من رواية محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان .

(٥) في ط : فجلس ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

ثم قد عارضه - أعني سياق ابن إسحاق - ما هو أصح منه ، وهو ما رواه البخاري قائلًا<sup>(١)</sup> : حدثنا محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبيه رضي الله عنه ، أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل ، فقال : « أي عم ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، ترغب<sup>(٢)</sup> عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل يكلمانه حتى قال آخر شيء<sup>(٣)</sup> كلمهم به : على ملة عبد المطلب . فقال النبي ﷺ : « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » . فنزلت : ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> عن إسحاق بن إبراهيم وعبد بن حميد<sup>(٥)</sup> عن عبد الرزاق .

وأخرجاه<sup>(٦)</sup> أيضاً من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه بنحوه ، وقال فيه : فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليها ويعودان له بتلك المقالة<sup>(٧)</sup> ، حتى قال آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله ؛ فقال النبي ﷺ : « أما [ والله ] لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » . فأنزل الله - يعني بعد ذلك - ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة : ١١٣] ونزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والترمذي<sup>(٨)</sup> والنسائي<sup>(٩)</sup> ، من حديث يزيد بن كيسان ، عن

- (١) فتح الباري (٣٨٨٤) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب .
- (٢) في ط : أترغب ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .
- (٣) في ط : ما كلمهم . والمثبت من ح وصحيح البخاري .
- (٤) في صحيحه (٢٤) (٤٠) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت .
- (٥) في ح سقط قوله : وعبد بن حميد عن ، وفي ط : إسحاق بن إبراهيم وعبد الله عن عبد الرزاق . والمثبت من صحيح مسلم .
- (٦) فتح الباري (١٣٦٠) الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، وصحيح مسلم (٢٤) (٣٩) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت . وما سيأتي بين معقوفين منه .
- (٧) هذا لفظ البخاري ، أما لفظ مسلم فهكذا : ويُعيد له تلك المقالة .
- (٨) مسند أحمد (٤٣٤ / ٢ و ٤٤١) وصحيح مسلم (٢٥) (٤١) و (٤٢) الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، وجامع الترمذي (٣١٨٨) التفسير سورة القصص . وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣٤٥ / ٢) عن أحمد بن سلمة عن عبد الله بن هاشم عن أبي أسامة عن يزيد بن كيسان به .
- (٩) هكذا عزاه المصنف - إن صحت النسخ - إلى النسائي ، وهو وهم منه أو من النساخ فإن النسائي لم يخرج هذا الحديث من طريق يزيد بن كيسان ، ولا ذكره المزي في التحفة (٩ / ٤٥١) حديث ١٣٤٤٢ بتحقيقنا . وقد أخرجه من طريق

أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال : « يا عماه ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حملة عليه إلا جزع الموت لأفرزت بها عينك ، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [ القصص : ٥٦ ] .

وهكذا قال عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة : إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله ﷺ أن يقول لا إله إلا الله فأبى أن يقولها ، وقال : هو على ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب .

ويؤكد هذا كله ما قال البخاري<sup>(١)</sup> : حدثنا مسدد ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، حدثنا عبد الله بن الحارث قال : حدثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال : قلت للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك<sup>(٢)</sup> ؟ قال : « هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » .

ورواه مسلم في صحيحه<sup>(٣)</sup> من طرق عن عبد الملك بن عمير به .

وأخرجه في الصحيحين<sup>(٤)</sup> ، من حديث الليث ، حدثني ابن الهادي عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلي منه دماغه » . ( لفظ البخاري ) .  
وفي رواية<sup>(٥)</sup> : « يغلي منه أم دماغه » .

وروى مسلم<sup>(٦)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبي عثمان ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : « أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، مُتَعَلِّ بنعلين<sup>(٧)</sup> يغلي منهما دماغه » .

= يزيد : الطبري في تفسيره (٢٠/٩٢) ، وابن حبان (٦٢٧٠) ، وابن مندة في الإيمان (٣٨) و(٣٩) ، والواحدي في أسباب النزول (٢٢٨) إضافة إلى من ذكروا في الهامش السابق . ( بشار ) .  
(١) فتح الباري (٣٨٨٣) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب .  
(٢) في هامش ح : لغضبك . وسقطت : لك من المتن .  
(٣) صحيح مسلم (٢٠٩) (٣٥٧) الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه .  
(٤) فتح الباري (٣٨٨٥) مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ، وصحيح مسلم (٢١٠) (٣٦٠) الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه .  
(٥) هي رواية البخاري ، فتح (٦٥٦٤) الرقاق باب صفة الجنة والنار .  
(٦) في صحيحه (٢١٢) (٣٦٢) الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً .  
(٧) زادت ط : من نار . وليست هذه الزيادة في ح ولا في صحيح مسلم . أقول : وإنما هي عند أحمد (٧٨/٣) رقم (١١٦٧٨) وهي زيادة صحيحة .

وفي مغازي يونس بن بكير<sup>(١)</sup> : « يغلي منهما دماغه حتى يسيل على قدميه » . ذكره الشَّهيلي<sup>(٢)</sup> .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في « مسنده »<sup>(٣)</sup> حدَّثنا عمر<sup>(٤)</sup> - هو ابن إسماعيل بن مُجَالِد - حدَّثنا أبي عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ، قال : سئل رسولُ الله ﷺ - أو قيل له - هل نفعَت أبا طالب ؟ قال : « أخرجته من النار إلى ضَحْضَاحٍ منها » . تفرَّد به البزار .

قال الشَّهيلي<sup>(٥)</sup> : وإنما لم يقبل النبي ﷺ شهادةَ العباس أخيه أنه قال الكلمة وقال : « لم أسمع » لأنَّ العباس كان إذ ذاك كافراً غيرَ مقبول الشهادة .

قلت : وعندي أنَّ الخبر بذلك ما صحَّ لضعفِ سنده كما تقدَّم . ومما يدلُّ على ذلك أنه سأل النبي ﷺ بعد ذلك عن أبي طالب فذكر له ما تقدَّم ، وبتعليل صحته لعله قال ذلك عند معاينة الملك بعد الغرغرة حين لا يتفَعُ نفساً إيمانها ، والله أعلم .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٦)</sup> : حدَّثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعتُ ناجية بن كعب يقول : سمعتُ<sup>(٧)</sup> علياً يقول : لما تُوفي أبي أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : إِنَّ عَمَّكَ قد توفي . فقال : « اذهب فواره » فقلت : إِنَّه مات مشركاً . فقال : « اذهب فواره ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتيني »<sup>(٨)</sup> . ففعلتُ ثم أتيتُهُ ، فأمرني أن أغتسل .

ورواه النسائي<sup>(٩)</sup> ، عن محمد بن المثني ، عن عُندَر<sup>(١٠)</sup> ، عن شعبة .

ورواه أبو داود والنسائي<sup>(١١)</sup> من حديث سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ناجية ، عن علي : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله ، إِنَّ عَمَّكَ الشيخَ الضَّالَّ قد مات فَمَنْ يُؤاريه ؟ قال : « اذهب فوارِ أباك ،

(١) السير والمغازي (ص ٢٣٩) ولفظه : يغلي من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه .

(٢) في الروض (١٧٠ / ٢) .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٥ / ١٠) وقال : رواه البزار ، وفيه من لم أعرفه .

(٤) في ط : عمرو ، تصحيف ، والمثبت من ح وترجمته في تهذيب الكمال (٢٧٤ / ٢١) .

(٥) في الروض (١٧٠ / ٢) .

(٦) في مسنده (١٢٠) .

(٧) في مسند الطيالسي : شهدت .

(٨) في ط : تأتي ، والمثبت من ح ومسند الطيالسي .

(٩) في السنن (١٩٠) الطهارة باب الغسل من مواراة المشرك . أقول : وهو حديث صحيح .

(١٠) في سنن النسائي : عن محمد . قلت : محمد هو ابن جعفر يعرف بغندر . ترجمته في التهذيب .

(١١) سنن أبي داود (٣٢١٤) الجنائز باب الرجل يموت له قرابة مشرك ، وسنن النسائي (٢٠٠٦) الجنائز باب مواراة المشرك . أقول : وهو حديث صحيح .

ولا تحدثن شيئاً حتى تأتيني» فأتيتها<sup>(١)</sup> ، فأمرني فاغتسلت ، ثم دعا لي<sup>(٢)</sup> بدعوات ما يسرني أن لي بهن ما على الأرض من شيء .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا أبو سعد الماليني ، حدثنا أبو أحمد بن عدي ، حدثنا محمد بن هارون بن حميد ، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة ، حدثنا الفضل ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبي ﷺ عارض<sup>(٤)</sup> جنازة أبي طالب فقال : « وصلتك رحم ، وجزيت خيراً يا عم » .

قال : وروي عن أبي اليمان الهوزني ، عن النبي ﷺ مرسلًا وزاد : « ولم يقم على قبره » . قال : وإبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارجي تكلموا فيه .

قلت : قد روى عنه غير واحد ، منهم الفضل بن موسى السيناني<sup>(٥)</sup> ومحمد بن سلام البكدي ، ومع هذا قال ابن عدي<sup>(٦)</sup> : ليس بمعروف ، وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة .

وقد قدّمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمُحاجة والممانعة عن رسول الله ﷺ والدفع عنه وعن أصحابه ، وما قاله فيه من الممادح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة في أشعاره التي أسلفناها ، وما تضمنته من العيب والتنقّص لمن خالفه وكذّبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية ، التي لا تُداني ولا تُسامي ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها ، وهو في ذلك كله يعلم أن رسول الله ﷺ صادق باّز راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرّق بين علم القلب وتصديقه كما قرّنا ذلك في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري ؛ وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] وقال تعالى في قوم فرعون : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤] وقال موسى لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢] وقول بعض السلف في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦] أنها نزلت في أبي طالب حيث كان ينهي الناس عن أذية رسول الله ﷺ وينأي هو عما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق . فقد روي عن ابن عباس ، والقاسم بن

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سنن النسائي : فواريته ثم جئت فأمرني . . وفي سنن أبي داود : فذهبت فواريته وجئته فأمرني .

(٢) إلى هنا في سنن أبي داود والنسائي ، وزاد النسائي قوله : وذكر دعاء لم أحفظه .

(٣) في الدلائل (٣٤٩/٢) .

(٤) في ط : عاد من . وهو تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٥) نسبة إلى سينان إحدى قرى مرو كما في اللباب (١٦٩/٢) ، ووقع في ح : الشيباني . تصحيف ، وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠٣/٩) .

(٦) الكامل لابن عدي (٢٥٩/١) .

مُحَيَّرَةٌ ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعطاء بن دينار ، ومحمد بن كعب ، وغيرهم ، ففيه نظر . والله أعلم .  
والأظهر والله أعلم الرواية الأخرى عن ابن عباس ؛ وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به . وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد - وهو اختيار ابن جرير - وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ [ الأنعام : ٢٥ و ٢٦ ] وهذا اللفظ وهو قوله ﴿ وَهُمْ ﴾ يدل على أن المراد بهذا جماعة ، وهم المذكورون في سياق الكلام في قوله : ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [ الأنعام : ٢٦ ] يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة ، بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله ﷺ وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعالٍ ومقال ، ونفسٍ ومال . ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لماله تعالى في ذلك من الحكمة العظيمة ، والحجة القاطعة البالغة الدامغة التي يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبي طالب وترحمنا عليه .

## فصل

### في موت<sup>(١)</sup> خديجة بنت خويلد

وذكر شيء من فضائلها ومناقبها رضي الله عنها وأرضاها ، وجعل جنات الفردوس مُنْقَلَبَةً ومثواها . وقد فعل ذلك لا محالة بخبر الصادق المصدوق حيث بشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

قال يعقوب بن سفيان<sup>(٢)</sup> : حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : قال عروة بن الزبير : وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تفرض الصلاة .

ثم روى من وجه آخر عن الزهري أنه قال : توفيت خديجة بمكة قبل خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقبل أن تفرض الصلاة .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ماتت خديجة وأبو طالب في عام واحد .

وقال البيهقي<sup>(٤)</sup> : بلغني أن خديجة توفيت بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام . ذكره أبو عبد الله بن منده

(١) في ح : وفاة .

(٢) في المعرفة والتاريخ (٢٥٥/٣) وهو من الجزء المفقود نقله المحقق من هنا .

(٣) السير والمغازي (ص ٢٤٣) وسيرة ابن هشام (٤١٦/١) والروض (١٦٦/٢) .

(٤) في دلائل النبوة (٣٥٢/٢) .

في كتاب المعرفة<sup>(١)</sup> ، وشيخنا أبو عبد الله الحافظ .

قال البيهقي<sup>(٢)</sup> : وزعم الواقدي أنَّ خديجة وأبا طالب ماتا قبل الهجرة بثلاث سنين عامَ خرجوا من الشَّعب ، وأنَّ خديجة توفيت قبل أبي طالب بخمسة وثلاثين ليلة .

قلت : مرادهم قبل أن تُفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، وكان الأنسب بنا أن نذكر وفاة أبي طالب وخديجة قبل الإسراء كما ذكره البيهقي وغير واحد ، ولكنَّ أَخْرَجْنَا ذلك عن الإسراء ، لمقصدٍ ستطلع عليه بعد ذلك ، فإنَّ الكلام به ينتظم ، ويتسق الباب كما تقفُ على ذلك إن شاء الله<sup>(٣)</sup> .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ بْنُ غَزْوَانَ ، عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ - أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ - فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ .

وقد رواه مسلم<sup>(٥)</sup> من حديث محمد بن فضيل به .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى : بَشِّرَ النَّبِيَّ ﷺ خَدِيجَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به<sup>(٧)</sup> .

قال السهيلي<sup>(٨)</sup> : وإنما بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ - يعني قَصَبَ اللَّؤْلُؤِ - لأنها حَارَتْ قَصَبَ السَّبَقِ إِلَى الْإِيمَانِ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ ، لأنها لم ترفع صوتها على النبي ﷺ ، وَلَمْ تُتَعَبْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَلَمْ تَصْخَبْ عَلَيْهِ يَوْمًا ، وَلَا آذَتْهُ أَبَدًا .

وأخرجاه في الصحيحين<sup>(٩)</sup> من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أنها

(١) يعني كتاب معرفة الصحابة ، منه نسخة خطية في الظاهرية رقم ٣٤٤ حديث .

(٢) في دلائل النبوة (٣٥٣/٢) بنحوه .

(٣) العبارة في ح هكذا : لمقصدٍ سَيُطَّلَعُ عليه بعد ذلك ، فإنَّ الكلام ينتظم ، ويتسق السياق .

(٤) فتح الباري (٣٨٢٠) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة .

(٥) صحيح مسلم (٢٤٣٢) (٧١) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(٦) فتح الباري (٣٨١٩) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة .

(٧) فتح الباري (١٧٩٢) العمرة باب متى يحل المعتمر ، وصحيح مسلم (٢٤٣٣) (٧٢) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(٨) في الروض (٢٧٩/١) بنحوه .

(٩) فتح الباري (٣٨١٦) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وصحيح مسلم (٢٤٣٥) (٧٤) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

قالت : ما غرْتُ على امرأةٍ للنبي ﷺ ما غرْتُ على خديجة ، وهلكْتُ قبل أن يتزوَّجني - لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وأمرُهُ اللهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا ببيتٍ<sup>(١)</sup> من قصب . وإنَّ كان لِيَذْبَحَ الشاةَ فيُهْدِي فِي خِلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسْعُهُنَّ . ( لفظ البخاري ) .

وفي لفظٍ<sup>(٢)</sup> عن عائشة : ما غرْتُ على امرأةٍ ما غرْتُ على خديجة من كثرة ذِكْرِ رسولِ اللهِ ﷺ إياها . قالت : وتزوَّجني بعدها بثلاثِ سنين ، وأمرُهُ رَبُّهُ - أو جبريل - أَنْ يُبَشِّرَهَا ببيتٍ في الجنة من قصب .

وفي لفظٍ له<sup>(٣)</sup> قالت : ما غرْتُ على أحدٍ من نساء النبي ﷺ ما غرْتُ على خديجة - وما رأيتها - ولكنْ كان [ النبي ﷺ ] يُكثِرُ ذِكْرَهَا ، وربما ذبح الشاةَ فيَقَطِّعُهَا أَغْضَاءً ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فربما قلت [ له ] : كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةُ ! فيقول : « إِنِّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ » .

ثم قال البخاري : حدثنا إسماعيل بن خليل ، أخبرنا علي بن مُسْهِرٍ عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنت هالةَ بنتَ خويلد : - أخت خديجة - على رسولِ اللهِ ﷺ فَعَرَفَ استئْذَانَ خَدِيجَةَ ، فارتاعَ [ لذلك ] فقال : « اللَّهُمَّ هَالَةَ » . فغَرِزْتُ فَقُلْتُ مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجَوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ ، حمراءِ الشُّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ ، أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْراً مِنْهَا .

وهكذا رواه مسلم<sup>(٤)</sup> عن سُويد بن سعيد ، عن علي بن مُسْهِرٍ به .

وهذا ظاهرٌ في التقريرِ على أَنَّ عائشةَ خيرٌ من خديجة ، إمَّا فضلاً وإمَّا عِشْرَةً . إذْ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهَا وَلَا رَدٌّ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، كما هو ظاهرٌ سياقِ البخاري رحمه الله ولكن قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ - هُوَ ابْنُ عُمَيْرٍ - عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَدِيجَةَ فَأُطْنِبَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهَا ، فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ النِّسَاءَ مِنَ الْغِيَرَةِ ، فَقُلْتُ : لَقَدْ أَعْقَبَكَ اللهُ يَا رَسُولَ اللهِ ، مِنْ عَجَوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشُّدْقَيْنِ . قال : فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَغْيِيرًا لَمْ أَرَهُ تَغْيِيرَ عِنْدَ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا عِنْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ ، أَوْ عِنْدَ الْمَخِيلَةِ<sup>(٦)</sup> حَتَّى يَعْلَمَ ، رَحْمَةً أَوْ عَذَابًا<sup>(٧)</sup>

وكذا رواه عن بَهْزِ بْنِ أَسَدٍ وَعُقَّانَ<sup>(٨)</sup> بن مسلم ، كلاهما عن حمَّاد بن سَلَمَةَ ، عن عبد الملك بن

(١) زادت ط هنا : في الجنة . وليست هذه الزيادة في ح ولا في صحيح البخاري في هذه الرواية .

(٢) هي الرواية التالية للرواية السابقة رقم (٣٨١٧) في صحيح البخاري .

(٣) يعني للبخاري وهي الرواية التالية للرواية السابقة رقم (٣٨١٨) . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في صحيحه (٢٤٣٧) (٧٨) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(٥) في المسند (١٥٤/٦) .

(٦) « المخيلة » : السحابة التي تحسبها ماطرة ، أو هي الخليفة بالمطر . النهاية والقاموس ( خيل ) .

(٧) يعني أهي رحمة أو عذاب ؛ ووقعت في ط : عذاباً بالنصب خطأ ، والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٨) في ط : عثمان ، تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمته في تهذيب التهذيب .



عُمير به . وزاد بعد قوله : حمراء الشدقين ؛ هلكَتْ في الدهر الأول . قال : فتمعَّرَ وجهه تمعُّراً ما كنتُ أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيلة ، حتى ينظر ، أرحمةً أو عذاب .  
تفرَّد به أحمد . وهذا إسنادٌ جيّد .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> أيضاً عن [ علي ] بن إسحاق أخبرنا عبد الله [ قال ] : أخبرنا مجالد عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : كان النبي ﷺ إذا ذكرَ خديجةً أثنى عليها بأحسن<sup>(٢)</sup> الثناء . قالت : فغِزْتُ يوماً فقلت : ما أكثرَ ما تذكُرُها حمراء الشدقين<sup>(٣)</sup> قد أبدلك الله خيراً منها . قال : « ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنتُ بي إذ كفرَ بي الناس ، وصدَّقْتَنِي إذ كذَّبني الناس ، وواستني<sup>(٤)</sup> بمالها إذ حرَمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » .

تفرَّد به أحمد أيضاً ، وإسناده لا بأس به ، ومجالد روى له مسلم متابعه ، وفيه كلامٌ مشهور ، والله أعلم . ولعل هذا أعني قوله : « ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء » كان قبل أن يولد إبراهيم بنُ النبي ﷺ من مارية ، وقبل مقدّمها بالكلية ، وهذا متعين ، فإن جميع أولاد النبي ﷺ كما تقدّم وكما سيأتي من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية المصرية رضي الله عنها .

وقد استدلل بهذا الحديث جماعةٌ من أهل العلم على تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنها وأرضاها . وتكلّم آخرون في إسناده ، وتأولوه آخرون على أنها كانت خيراً عشرة ، وهو محتملٌ أو ظاهر . وسببه أن عائشة تمت بشبابها وحسنها وجميل عشرتها ، وليس مرادها بقولها : قد أبدلك الله خيراً منها أنها تزكّي نفسها وتفضّلها على خديجة ، فإن هذا أمرٌ مرّجعه إلى الله عز وجل كما قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [ النجم : ٣٢ ] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُوْنَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ ﴾ [ النساء : ٤٩ ] الآية .

وهذه مسألةٌ وقع النزاعُ فيها بين العلماء قديماً وحديثاً وبجانبيها طرقٌ يقتصر عليها أهل التشيع وغيرهم ، لا يعدلون بخديجة أحداً من النساء ، لسلام الربّ عليها ، وكونِ ولدِ النبي ﷺ جميعهم - إلا إبراهيم - منها . وكونه لم يتزوج عليها حتى ماتت إكراماً لها ، وتقدّم<sup>(٥)</sup> إسلامها ، وكونها من الصديقات ، ولها مقامٌ صدق في أول البعثة . وبذلك نفسها ومالها لرسول الله ﷺ .

وأما أهل السنة ، فمنهم من يغلو أيضاً ويثبت لكل واحد منهما من الفضائل ما هو معروف ، ولكن

(١) في المسند (٦/ ١١٧ ، ١١٨) وما بين معقوفين منه .

(٢) في المسند : فأحسن .

(٣) في المسند : الشدق .

(٤) في ط : وآستني . وكلاهما بمعنى ، والمثبت من ح والمسند .

(٥) في ط : وتقدير . والمثبت من ح .

تَحْمِلُهُمْ قُوَّةُ التَّسْنُنِ عَلَى تَفْضِيلِ عَائِشَةَ لَكُونَهَا ابْنَةُ الصَّدِيقِ ، وَلَكُونَهَا أَعْلَمَ مِنْ خَدِيجَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ مِثْلُ عَائِشَةَ فِي حِفْظِهَا وَعِلْمِهَا وَفَصَاحَتِهَا وَعَقْلِهَا ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّسُولُ يُحِبُّ أَحَدًا مِنْ نِسَائِهِ كَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهَا ، وَنَزَلَتْ بَرَاءَتُهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَرَوَتْ بَعْدَهُ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمًا جَمًّا كَثِيرًا طَيِّبًا مَبَارَكًا فِيهِ ، حَتَّى قَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْحَدِيثَ الْمَشْهُورَ « خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ عَنِ الْحُمَيْرَاءِ »<sup>(١)</sup> . وَالْحَقُّ أَنَّ كَلَامَهُمَا لَهَا مِنَ الْفَضَائِلِ<sup>(٢)</sup> مَا لَوْ نَظَرَ النَّازِرُ فِيهِ لَبَهَرَهُ وَحَيَّرَهُ ، وَالْأَحْسَنُ التَّوَقُّفُ فِي ذَلِكَ وَرَدُّ عِلْمِ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَمَنْ ظَهَرَ لَهُ دَلِيلٌ يَقْطَعُ بِهِ ، أَوْ يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَذَاكَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَنْ حَصَلَ لَهُ تَوَقُّفٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا فَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ وَالْمَسْلُوكُ الْأَسْلَمُ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالٍ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ<sup>(٣)</sup> مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ » أَيِ : خَيْرَ زَمَانِهِمَا<sup>(٤)</sup>

وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةٍ ، عَنْ أَبِيهِ قُرَّةَ بْنِ إِيَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا<sup>(٥)</sup> ثَلَاثٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ؛ وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » .

رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ فِي تَفْسِيرِهِ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى شُعْبَةَ وَبَعْدَهُ . قَالُوا : وَالْقَدَرُ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الثَّلَاثِ نِسْوَةٌ ؛ آسِيَةُ وَمَرْيَمُ وَخَدِيجَةُ ، أَنَّ كَلَامَهُنَّ كَفَلَتْ نَبِيًّا مَرْسَلًا وَأَحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فِي كِفَالَتِهَا وَصَدَّقَتْهُ . فَآسِيَةُ رَبَّتْ مُوسَى وَأَحْسَنَتْ إِلَيْهِ ، وَصَدَّقَتْهُ حِينَ بُعِثَ ؛ وَمَرْيَمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا أَتَمَّ كِفَالَةً وَأَعْظَمَهَا ، وَصَدَّقَتْهُ حِينَ أُرْسِلَ ؛ وَخَدِيجَةُ رَغِبَتْ فِي تَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا وَبَذَلَتْ فِي ذَلِكَ أَمْوَالَهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَصَدَّقَتْهُ حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَوْلُهُ « وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » هُوَ ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٦)</sup> مِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ أَيْضًا عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةٍ ، عَنْ مَرْثَةَ الطَّيِّبِ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ أَبِي مُوسَى

(١) حديث غريب جداً بل هو منكر ، قال الذهبي : هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد . كشف الخفا (٤٤٩/١) .

(٢) في ح : والحق أن لكل منهما فضائل .

(٣) مسند الإمام أحمد (١/٨٤) وفتح الباري (٣٨١٥) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وصحيح مسلم (٦٩ - ٢٤٣٠) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين ، وسنن الترمذي (٣٨٧٧) المناقب باب فضل خديجة رضي الله عنها ، وهو في السنن الكبرى (٨٣٥٤) .

(٤) قال القرطبي : الضمير عائد على غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة ، يعني به الدنيا . وقال الطيبي : الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت فيها مريم والثاني على هذه الأمة . فتح الباري (٧/١٣٥) .

(٥) في ح : غير ثلاث .

(٦) فتح الباري (٣٤١١) أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [التحريم : ١١] ، =

الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمَلَ من الرجال كثير ، ولم يَكْمُلْ من النساءِ إلا آسِيَةُ امرأةُ فِرْعَوْنَ ، ومريمُ بنتُ عمران ؛ وإنَّ فضلَ عائشة على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام » والثريد : هو الخبز واللحم جميعاً ، وهو أفخر طعامِ العرب كما قال بعضُ الشعراء :

إذا ما الخبزُ تأدَّمُهُ بلحمٌ فذاك ، أمانة الله ، الثريدُ

ويحتمل<sup>(١)</sup> قوله : « وفضلُ عائشة على النساءِ » أن يكون عاماً<sup>(٢)</sup> فيعم النساء المذكورات وغيرهن ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً<sup>(٣)</sup> فيما عداهن ، ويبقى الكلام فيها وفيهن موقوفاً يحتمل التسوية بينهما ، فيحتاج من رجَّح واحدةً منهن على غيرها إلى دليل خارج<sup>(٤)</sup> ، والله أعلم .

## فصل

في تزويجه ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها بعائشة بنت الصديق  
وسودة بنت زمعة رضي الله عنها

والصحيح أن عائشة تزوجها أولاً كما سيأتي ، قال البخاري في تزويج عائشة<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا : « أُرَيْتِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ ، أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ »<sup>(٦)</sup> ، ويقول : هذه امرأتك ، فاكشف عنها ، فإذا هي أنت ، فأقول : إن كان<sup>(٧)</sup> هذا من عند الله يُمضيه .

قال البخاري باب نكاح الأبكار<sup>(٨)</sup> : وقال ابنُ أبي مُليكة : قال ابنُ عباس لعائشة : لم ينكح النبي ﷺ بكرةً غيركِ : حَدَّثَنَا<sup>(٩)</sup> إسماعيل بن عبد الله ، حَدَّثَنِي أَخِي<sup>(١٠)</sup> ، عن سليمان بن بلال ، عن هشام بن

= وصحيح مسلم (٢٤٣١) (٧٠) فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين .

(١) في ط : ويحمل والمثبت من ح .

(٢) في ط : محفوظاً فيعم ، والمثبت من ح .

(٣) في ط : عاماً فيما ، والمثبت من ح .

(٤) « الخارج » : الظاهر المحسوس . وفي ط : من خارج . والمثبت من ح .

(٥) فتح الباري (٣٨٩٥) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة .

(٦) سرقة : أي قطعة ، أي يريه صورتها . ( فتح الباري ٧ / ٢٢٤ ) .

(٧) في صحيح البخاري : إن يك ، وفي رواية له : إن يكن .

(٨) فتح الباري (١٢٠ / ٩) النكاح باب نكاح الأبكار - في أول الباب ، وهو طرفٌ من حديث وصله البخاري في تفسير

سورة النور . قاله ابن حجر في الفتح .

(٩) هنا يبدأ الحديث رقم (٥٠٧٧) في الموضع المشار إليه في الحاشية السابقة .

(١٠) هو عبد الحميد . قاله ابن حجر في الفتح .

عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله : أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، في أيها كنت تزئع بعيرك ؟ قال : « في التي لم يرتع منها » تعني <sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ لم يتزوج بكرة غيرها .

انفرد به البخاري ثم قال <sup>(٢)</sup> : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال لي رسول الله ﷺ « أريت في المنام [ مرتين ، إذا رجل يحملك في سرقة من حرير ، فيقول : هذه امرأتك . فأكشفها فإذا هي أنت ، فأقول : إن كان <sup>(٣)</sup> هذا من عند الله يمضه » . ورواه مسلم <sup>(٤)</sup> من طريق هشام بن عروة به .

ورواه البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج <sup>(٥)</sup> : حدثنا مسدد ، حدثنا حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « أريت في المنام [ <sup>(٦)</sup> يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي : هذه امرأتك . فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي <sup>(٧)</sup> ، فقلت إن يك <sup>(٨)</sup> هذا من عند الله يمضه » .

وفي روايه <sup>(٩)</sup> : « أريت في المنام ثلاث ليل » .

وعند الترمذي <sup>(١٠)</sup> : أن جبريل جاءه بصورتها في خرقة من حرير خضراء فقال : هذه زوجتك في الدنيا والآخرة .

وقال البخاري باب تزويج الصغار من الكبار <sup>(١١)</sup> : حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا الليث عن يزيد ،

(١) في الفتح : يعني .

(٢) في صحيحه فتح (٥٠٧٨) النكاح باب نكاح الأبكار .

(٣) في صحيح البخاري : إن يكن .

(٤) في صحيحه (٢٤٣٨) (٧٩) فضائل الصحابة باب في فضل عائشة .

(٥) فتح الباري (٥١٢٥) النكاح باب النظر إلى المرأة قبل التزويج .

(٦) ما بين المعقوفين سقط من ط وهو مثبت في ح .

(٧) في ط : فيجيء ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٨) في ح : فإذا هي أنت . والمثبت من ط وصحيح البخاري .

(٩) في ط : يكن ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(١٠) وهي رواية مسلم المشار إليها في ح (١٦) .

(١١) في الجامع (٣٨٨٠) المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها . قال بشار : واقتصر الترمذي على تحسينه واستغرابه وقال : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة ، وقد روى عبد الرحمن بن مهدي هذا الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن علقمة بهذا الإسناد مرسل ، ولم يذكر فيه عن عائشة ثم أشار إلى حديث عروة عن عائشة المتقدم في الصحيحين .

(١٢) فتح الباري (٥٠٨١) النكاح باب تزويج الصغار من الكبار .

عن عِرَاك ، عن عروة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خطب عائشة إلى أبي بكر ، فقال له أبو بكر : إنما أنا أخوك . فقال : « أنت أخي في دين الله وكتابه ، وهي لي حلال » .

هذا الحديث ظاهر سياقه كأنه مرسل وهو عند البخاري والمحققين متصل ، لأنه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها ، وهذا من أفراد البخاري رحمه الله .

وقال يونس بن بكير<sup>(١)</sup> : عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : تزوج رسول الله ﷺ عائشة بعد خديجة بثلاث سنين ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين ، وبنى بها وهي ابنة تسع . ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثمانية عشرة سنة .

وهذا غريب . وقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ [ إلى المدينة ] بثلاث سنين ، فلبث ستين - أو قريباً من ذلك - ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين . وهذا الذي قاله عروة مرسل في ظاهر السياق كما قدمنا ولكنه في حكم المتصل في نفس الأمر . وقوله تزوجها وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع سنين ، ما لا خلاف فيه بين الناس - وقد ثبت في الصحيح وغيرها - وكان بناؤه بها عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة . وأما كون تزويجها كان بعد موت خديجة بنحو من ثلاث سنين ففيه نظر . فإن يعقوب بن سفيان الحافظ قال<sup>(٣)</sup> : حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوجني رسول الله ﷺ متوفى خديجة قبل مخرجه من مكة وأنا ابنة سبع - أو ست - سنين ، فلما قدمنا المدينة جاءني نسوة وأنا ألعب في أرجوحة وأنا مُجمَّمة ، فهيناني وصنعنني ، ثم أتيت بي إلى رسول الله ﷺ وأنا ابنة تسع سنين .

فقوله في هذا الحديث : متوفى خديجة يقتضي أنه على أثر ذلك قريباً ، اللهم إلا أن يكون قد سقط من النسخة بعد متوفى خديجة ، فلا ينفي ما ذكره يونس بن بكير وأبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، والله أعلم .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا علي بن مسهر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . قالت : تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة ، فترلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعري<sup>(٥)</sup> ، وقد فت لي جُميمة<sup>(٦)</sup> ، فأتيتني أمي أم رومان - وإنني

(١) السير والمغازي (ص ٢٥٥) .

(٢) فتح الباري (٣٨٩٦) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة ، وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٣) المعرفة والتاريخ (٢٦٨/٣) وهو من الجزء المفقود نقله المحقق من هنا .

(٤) فتح الباري (٣٨٩٤) مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة .

(٥) « فتمزق » : أي تقطع ، ورواية الكشميهني : فتمزق . بالراء المهملة ، أي انتف . فتح الباري (٢٢٤/٧) .

(٦) كذا في ط والنهية لابن الأثير (جم) ، وفي ح : ولي جُميمة ، وفي صحيح البخاري : فوفى جُميمة . قال ابن =

لني أَرْجُو حَةٍ ومعي صواحبُ لي - فصرختُ بي ، فَأَتَيْتُهَا ما أدري ما تريدُ مني ، فأخذتُ بيدي حتى أوقفَني على باب الدار ، وإني لَأُنْهَجُ<sup>(١)</sup> ، حتى سكن بعضُ نفسي ، ثمَّ أخذتُ شيئاً من ماءٍ فمسحتُ به<sup>(٢)</sup> وجهي ورأسي ، ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوةٌ من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة ، وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن ، فأصلحن من شأنني ، فلم يرُعني إلا رسولُ الله ﷺ ضحىً ، فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذٍ بنتُ تسع سنين .

وقال الإمامُ أحمدُ في مسند عائشةَ أمِّ المؤمنين<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا محمد بن بشر ، حدَّثنا محمد بن عمرو<sup>(٤)</sup> حدَّثنا أبو سلمة ويحيى . قالوا : لما هلكَتْ خديجةُ جاءتْ خولةُ بنتُ حكيم امرأةَ عثمان بنِ مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟ قال : « مَنْ ؟ » قالت : « إن شئتُ بكرأ ، وإن شئتُ ثيباً ، قال : « فمَنْ البكر » قالت : ابنة أحبِّ خلقِ الله إليك عائشة ابنة أبي بكر . قال : « وَمَنْ الثَّيْبُ » ؟ قالت : سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ . قد آمنتُ بك واتبعتك على ما تقول . قال : « فاذْهبي فاذكريهما عليَّ » فدخلتُ بيتَ أبي بكرٍ فقالت : يا أمَّ رومان ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ، قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبُ عليه عائشة . قالت : انتظري أبا بكرٍ حتى يأتي . فجاء أبو بكرٍ فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسولُ الله ﷺ أخطبُ عليه عائشة قال : وهل تصلحُ له ؟ إنما هي ابنةُ أخيه ، فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له قال : « ارْجِعي إليه فقولِي له : أنا أخوك وأنتَ أخي في الإسلام ، وابتئتُك تصلحُ لي » فرجعتُ فذكرتُ ذلك له ، قال : انتظري ، وخرج . قالت أمُّ رومان : إِنَّ مُطْعِمَ بنَ عَدِي قد كان ذكرها على ابنه ، ووالله ما وعدَ وعداً قطُ فأخلفه لأبي بكرٍ<sup>(٥)</sup> . فدخل أبو بكرٍ على مطعم بنِ عدي وعنده امرأته أم الصَّبِي<sup>(٦)</sup> . فقالت : يا ابن أبي قُحافة لعلك مُصْبِي<sup>(٧)</sup> صاحبنا مُدخله في دينك الذي أنتَ عليه إن تزوجَ إليك ؟ فقال أبو بكرٍ للمُطْعِم بنِ عدي : أقول هذه . يقول قال : إنها تقولُ ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عِدته التي وعده ، فرجع فقال لخولة : ادعي لي رسولَ الله ﷺ فدَعَتْهُ فزَوَّجَهَا إِيَّاه ، وعائشة يومئذٍ

= حجر : فوفى . أي كثر ، وفي الكلام حذف تقديره : ثم فصلت من الوعك فتربى شعري فكثرت ؛ وقولها : جميمة . مصغرة الجُمَّة ، وهي مجتمع شعر الناصية ، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جُمَّة ، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة . فتح الباري (٢٢٤/٧) .

(١) « أنهج الرجل » : إذا أصابه البهر والربو من الجري والتعب ، وهو علو النَّفْس . مشارق الأنوار (٢٩/٢) .

(٢) في ط : فمست ، والمثبت من ح وصحيح البخاري .

(٣) مسند أحمد (٢١٠/٦) .

(٤) في ط : محمد بن بشر ، حدَّثنا بشر ، حدَّثنا محمد بن عمر . زيادة من الناسخ ليست في ح ولا في مسند أحمد .

(٥) في ط : ووالله ما وعد أبو بكرٍ وعداً قطُ فأخلفه . والمثبت من ح والمسند .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : أم الفتى .

(٧) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : مصب .

بنت ست سنين . ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقال : ما أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه ، قالت : وددت ، ادخلي إلي أبي<sup>(١)</sup> فاذكري ذلك له - وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن ، قد تخلف عن الحج - فدخلت عليه فحيته<sup>(٢)</sup> بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قالت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . فقال : كفؤ كريم ، ماذا تقول صاحبك ؟ قال : تحب ذلك . قال : ادعيها لي . فدعتها ، قال : أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم ، أتحيين أن أزوجه به ؟ قالت : نعم . قال : ادعيه لي . فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه . فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل<sup>(٣)</sup> يحثي على رأسه التراب . فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة . قالت عائشة : فقدنا المدينة فترلنا في بني الحارث بن الخزرج في السُّنح<sup>(٤)</sup> . قالت فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وإني<sup>(٥)</sup> لفي أرجوحة بين عذقين ، يرجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُميمة ، ففرقتها ، ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت بي تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج<sup>(٦)</sup> حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلسني في حجره<sup>(٧)</sup> ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبني بي رسول الله ﷺ في بيتنا ما نُحِرت عليّ جزور ، ولا ذُبِحت عليّ شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه<sup>(٨)</sup> ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وهذا السياق كأنه مرسل ، وهو متصل لما رواه البيهقي<sup>(٩)</sup> من طريق أحمد بن عبد الجبار ، حدَّثنا عبد الله بن إدريس الأودي<sup>(١٠)</sup> عن محمد بن عمرو ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قالت

- (١) في ط : إلى أبي بكر . خطأ من الناسخ ، والمثبت من ح ومسند أحمد .
- (٢) كذا في ح ، ط والمسند ، والوجه : فحيته .
- (٣) في ط : فجاء . والمثبت من ح والمسند .
- (٤) السُّنح : تقع في طرف من أطراف المدينة ، بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل . معجم البلدان (٣/ ٢٦٥) .
- (٥) في ط : وأنا ، والمثبت من ح والمسند .
- (٦) مضى معناه في الصفحة السابقة ح ١ .
- (٧) في ط : حجرة . بهاء معجمة باثنتين ، والمثبت من ح والمسند .
- (٨) كذا في ط والمسند ، وفي ح : زار نسائه ، وفي الأساس ( دور ) : فلان يدور على أربع نسوة ويطوف عليهن : أي يسوسهن ويرعاهن .
- (٩) في دلائل النبوة (٢/ ٤١١) .
- (١٠) في ط : الأزدي ، تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل وتوضيح المشتب (١/ ٢٨١) .

عائشة : لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم فقالت : يا رسول الله ، ألا تزوج ؟ قال : « ومن » ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال : « من البكر ومن الثيب » ؟ قالت : أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك عائشة ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعك . قال : « فاذكريهما علي » وذكر تمام الحديث نحو ما تقدم .

وهذا يقتضي أن عقدته على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فتأخر إلى المدينة في السنة الثانية كما تقدم وكما سيأتي .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كبرت سودة وهبت يومها لي ، فكان رسول الله ﷺ يقسم لي بيومها مع نسائه . قالت : وكانت أول امرأة تزوجها بعدي .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثني شهر ، حدثني عبد الله بن عباس ، أن رسول الله ﷺ خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مضيبة ، كان لها خمس صبية - أو ستة - من بعل لها مات . فقال رسول الله ﷺ : « ما يمنعك مني ؟ » قالت : والله يا نبي الله ، ما يمنعني منك<sup>(٣)</sup> أن لا تكون أحب البرية إلي ، ولكني أكرمك أن يضعوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال : « فهل منعك مني شيء غير ذلك ؟ » قالت : لا والله ، قال رسول الله ﷺ : « يرحمك الله ، إن خير نساء ركن أعجاز الإبل ، صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على بعل بذات يده » .

قلت : وكان زوجها قبل رسول الله ﷺ السكران بن عمرو ، أخو سهيل بن عمرو ، وكان ممن أسلم وهاجر إلى الحبشة كما تقدم<sup>(٤)</sup> ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة رضي الله عنه .

وهذه السياقات كلها دالة على أن العقد على عائشة كان متقدماً على العقد بسودة ، وهو قول عبد الله بن محمد بن عقيل ، ورواه يونس ، عن الزهري . واختار ابن عبد البر أن العقد على سودة قبل عائشة ، وحكاها عن قتادة وأبي عبيد . قال : ورواه عقيل عن الزهري .

## فصل

قد تقدم ذكر موت أبي طالب عم رسول الله ﷺ ، وأنه كان ناصراً له وقائماً في صفه ، ومُدافعاً عنه بكل ما يقدر عليه من نفس ومال ومقال وفعال ، فلما مات اجترأ سفهاء قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه

(١) في المسند (٦/٦٨) رقم (٢٤٢٧٦) ورواه بنحوه البخاري رقم (٢٥٩٣) .

(٢) في المسند (١/٣١٨) وهو حديث حسن .

(٣) في ط : أن يمنعوا ، تصحيف ، والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٤) تقدم ذلك في الخبر (ص ٢٨٥) .



ما لم يكونوا يَصِلُونَ إليه ولا يقدرُونَ عليه . كما قد رواه البيهقي<sup>(١)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، حَدَّثَنَا محمد بن إسحاق الصَّغَانِي<sup>(٢)</sup> ، حَدَّثَنَا يوسف بن بهلول ، حَدَّثَنَا عبد الله بن إدريس ، حَدَّثَنَا محمد بن إسحاق عمن حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفية من سُفْهَاء قريش ، فَأَلْقَى عليه تراباً ، فرجع إلى بيته ، فَأَتَتْ امرأة من بناته ، تَمَسَّحُ عن وجهه التراب وتبكي ، فجعل يقول : « أَيُّ بُنْيَةٍ لَا تَبْكِينَ »<sup>(٣)</sup> ، فَإِنَّ اللَّهَ مانِعُ أباك » ويقول ما بين ذلك : « ما نالت قريشُ شيئاً أَكْرَهُهُ حتى مات أبو طالب »<sup>(٤)</sup> .

وقد رواه زياد البَكَّائِي عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه مرسلًا . والله أعلم .

وروى البيهقي<sup>(٥)</sup> أيضاً عن الحاكم وغيره<sup>(٦)</sup> ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « ما زالت قريشُ كاعين<sup>(٧)</sup> حتى مات أبو طالب » .

ثم رواه<sup>(٨)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن عباس الدُّورِي ، عن يحيى بن مَعِين ، حَدَّثَنَا عقبة المَجْدَر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « ما زالت قريشُ كاعَّةً حتى توفي أبو طالب » .

وقد روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي بسنده<sup>(٩)</sup> عن ثعلبة بن صُعَيْر ، وَحَكِيم بن حِزَام أنهما قالا : لما تُوفِّي أبو طالب وخديجة - وكان بينهما خمسة أيام<sup>(١٠)</sup> - اجتمع على رسول الله ﷺ مصيبتان ، ولزم بيته ، وأقلَّ الخروج ، ونالت منه قريشُ ما لم تُكُنْ تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب ، فجاءه فقال :

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٠) .

(٢) في ح ، ط : الصنعاني . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وترجمته في تذكرة الحفاظ (٥٩٨) وفيه : الصاغاني .

(٣) كذا في ح ، ط والدلائل .

(٤) زادت ط هنا ما نصه : ثم شرعوا . وهو زيادة من الناسخ لا وجود لها في الدلائل ، ولا في ح .

(٥) في الدلائل (٢/ ٣٤٩) وهو حديث حسن يشهد له الذي بعده بطرقه .

(٦) هو أبو سعيد بن أبي عمرو شيخ البيهقي كما في الدلائل .

(٧) في النهاية لابن الأثير : ما زالت قريش كاعَّة . الكاعَّة : جمع كاع ، وهو الجبان ، يقال : كعَّ الرجل عن الشيء ويكعُّ كعاً فهو كاعٌ ، إذا جبن عنه وأحجم ، أراد أنهم كانوا يجبنون عن أذى النبي ﷺ في حياة أبي طالب ، فلما مات اجترؤوا عليه .

(٨) في دلائل البيهقي (٢/ ٣٤٩ ، ٣٥٠) ورواه الطبراني في الأوسط رقم (٥٩٨) والحاكم في المستدرک (٢/ ٦٢٢) وهو حديث حسن بطرقه .

(٩) لعله في كتابه المختار من أخبار المختار (مخطوط) وقد أورده في الوفا بأحوال المصطفى (١/ ٢١٠) من غير إسناد ، وفيه « صقير » وهو تصحيف .

(١٠) في الوفا : وكان بينهما شهر وخمسة أيام .

يا محمد ، امضي لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حياً فاصنعه ، لا واللات<sup>(١)</sup> لا يؤصل إليك حتى أموت . وسبَّ ابنُ العَيْطَلَةِ رسولَ الله ﷺ فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولَّى يصيح : يا معشر قريش صَبَّأُ أبو عتبة . فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقت دينَ عبدِ المطلب ، ولكنني أُمْنَعُ ابنَ أخي أن يُضام حتى يمضي لما يُريد . فقالوا : لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرَّجْمَ . فمكث رسولُ الله ﷺ كذلك أياماً يأتي ويذهب لا يعرضُ له أحدٌ من قريش ، وهابوا أبا لهب إذ جاء عَقْبَةُ بن أبي مُعَيْط وأبو جهل<sup>(٢)</sup> إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابنُ أخيك أين مُدْخَلُ أبيك ؟ فقال له أبو لهب : يا محمد ، أين مُدْخَلُ عبدِ المطلب ؟ قال : « مع قومه » . فخرج إليهما فقال : قد سألتُه فقال مع قومه . فقالا : يزعم أنه في النار . فقال : يا محمد ، أيدخل عبدُ المطلب النار ؟ فقال رسولُ الله ﷺ<sup>(٣)</sup> : « ومن مات على ما مات عليه عبدُ المطلب دخل النار » فقال أبو لهب - لعنه الله - : والله لا بَرَحْتُ لك<sup>(٤)</sup> عدواً أبداً وأنت تزعم أن عبدَ المطلب في النار . واشتدَّ عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وكان نفر الذين يؤذون رسولَ الله ﷺ في بيته : أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن الحمراء ، وابن الأضداء الهذلي - وكانوا جيرانه - لم يُسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص . وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه رَجَمَ الشاة وهو يصلِّي ، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمَتِهِ إذا نُصِبَتْ له ، حتى اتخذ رسولُ الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طَرَحُوا شيئاً من ذلك يحملُهُ على عُودٍ ثم يقف به على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف ، أيُّ جوارٍ هذا ؟ ! ثم يُلقيه في الطريق .

قلت : وعندي أن غالبَ ما رُوي مما تقدَّم من طَرَحِهِمْ سَلاَ الجُزُور بين كتفيه وهو يصلِّي كما رواه ابن مسعود ، وفيه أن فاطمة جاءت فطرحته عنه وأقبلت عليهم فشتَمَتْهُمْ ، ثم لما انصرف رسولُ الله ﷺ دعا على سبعةٍ منهم كما تقدَّم . وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال<sup>(٦)</sup> دونه أبو بكر الصديق قائلاً : أقتلوا رجلاً أن يقول : ربِّي الله ! . وكذلك عَزَمَ أبي جهل - لعنه الله - على أن يَطَأَ على عنقه وهو يصلِّي فحيل بينه وبين ذلك ، وما أشبه ذلك كان بعد وفاة أبي طالب والله أعلم . فذكرها هاهنا أنسب وأشبه .

(١) زادت ح : والعزى . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .

(٢) زادت ح : لعنهما الله . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .

(٣) زاد في الوفا : نعم ومن مات . . .

(٤) زادت ط هنا : إلا . وليست هذه الزيادة في الوفا ولا في ط .

(٥) سيرة ابن هشام (١/٤١٥) والروض (٢/١٦٦) .

(٦) في ح : قام .

## فصل

في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف يدعوهم إلى دين الله  
فردوا عليه ذلك ولم يقبلوه منه فرجع عنهم إلى مكة

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمّه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه . ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى ، فخرج إليهم وحده ؛ فحدثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد يا ليل ، ومسعود ، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف . وعند أحدهم امرأة من قريش ، من بني جُمح ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم - هو يَمْرُطُ ثياب الكعبة<sup>(٢)</sup> - : إن كان الله أرسلك . وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلّمك أبداً ؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أُرَدَّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك . فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم - فيما ذكر لي - : « إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي<sup>(٣)</sup> » وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئبرهم<sup>(٤)</sup> ذلك عليه . فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيداهم يسبونهم ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس والجووة إلى حائط لعبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف مَنْ كان يتبعه . فعمد إلى ظلّ حَبَلَةٍ<sup>(٥)</sup> من عنب ، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جُمح ، فقال لها : « ماذا لقينا من أحمائك<sup>(٦)</sup> ؟ ! »

فلما اطمأن قال - فيما ذكر - : « اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس » ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى مَنْ تَكِلُنِي ؟ ! إلى بعيد

(١) في سيرة ابن هشام (٤١٩/١) والروض (١٧٢/٢) .

(٢) في الأساس (مرط) : فلان يمرط ما يجده ويمطره : يجمعه . ويقال : مرط الثوب ، قصر كميّه فجعله مرطاً .  
القاموس (مرط) .

(٣) في سيرة ابن هشام : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني .

(٤) يقال : أذارت الرجل بصاحبه : أي حرّشته وأولعته به وجرّأته عليه . الصحاح (ذأر) .

(٥) « الحَبَلَة » : الكرمة ، والحَبَل : شجر العنب . الروض (١٧٧/٢) والقاموس (حبل) .

(٦) إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد .

يَتَجَهَّمُنِي ، أم إلى عدوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي ؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات<sup>(١)</sup> ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، من أن تُنزل بي غضَبَكَ ، أو يَحِلَّ عليّ سَخَطُكَ ، لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حول ولا قُوَّةَ إلا بك<sup>(٢)</sup>

قال : فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، وما لقيَ تحركت له رَحْمُهُما ، فدَعَوْا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس فقالا له : خُذْ قِطْفاً من هذا العِنَبِ فَضَعُهُ في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه . ففعل عدَّاس ، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسولِ الله ﷺ ثم قال له : كُلْ . فلما وضع رسولُ الله ﷺ يده فيه قال : « بسم الله » . ثم أكل ، فنظر عدَّاسُ في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلامَ ما يقوله أهلُ هذه البلاد! فقال له رسولُ الله ﷺ : « ومن أهلِ أيِّ بلادٍ أنت يا عدَّاس وما دينك » ؟ قال : نصراني ، وأنا رجلٌ من أهلِ نينوى . فقال رسولُ الله ﷺ : « من قريةِ الرجلِ الصالحِ يونسَ بن مَتَّى » . فقال له عدَّاس : وما يُدريك ما يونسُ بن مَتَّى ؟ فقال رسولُ الله ﷺ ذلك أخِي ، كان نبياً وأنا نبيٌّ . فأكَبَّ عدَّاسُ على رسولِ الله ﷺ يَقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ<sup>(٣)</sup>

قال : يقولُ ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أَفْسَدُهُ عليك . فلما جاءهما عدَّاسُ قالَا له : ويلك يا عدَّاس ، مالك تَقْبَلُ رَأْسَ هذا الرجل ويدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيءٌ خَيْرٌ من هذا ، لقد أَخْبَرَنِي بأمرٍ ما يعلمه إلا نبيٌّ ! قالَا له : ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإنَّ دينَكَ خَيْرٌ من دينه .

وقد ذكر موسى بن عُقبة نحواً من هذا السياق ، إلا أنه لم يذكر الدُّعاء ، وزاد : وقعد له أهلُ الطائف صَفَيْنَ على طريقه ، فلما مَرَّ جعلوا لا يرفعُ رجلٌ يده ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أذموه ، فخلص منهم وهما يسيلان بالدماء ، فعمد إلى ظِلِّ نخلةٍ وهو مكروب ، وفي ذلك الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فكره مكانهما لعداوتهما الله ورسوله . ثم ذكر قصة عدَّاس النصراني كنحو ما تقدَّم .

وقد روى الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة ، حدَّثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن عبد الله

(١) معنى الوجه وإشراق الظلمات : أما الوجه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وكقوله ﴿ إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ، فالمطلوب في هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ؛ وأصله أن من رضي عنك أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه . والموطن الثاني : ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة ما ظهر من الشيء معقولاً كان أو محسوساً ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أي الظاهر إلى رأيك منه . الروض (١٧٨/٢) .

(٢) ذكر دعاء الطائف هذا الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٥/٦) وفيه تدليس ابن اسحاق . فالحديث ضعيف .

(٣) قال السهيلي في الروض (١٧٩/٢) : وزاد التميمي فيها أنَّ عدَّاساً حين سمعه يذكر يونس بن مَتَّى قال : والله لقد خرجت منها - يعني نينوى - وما فيها عشرة يعرفون ما مَتَّى ، فمن أين عرفت أنت مَتَّى ، وأنت أمي ، وفي أمة أمية ؟

(٤) في مسنده (٣٣٥/٤) .

ابن عبد الرحمن الطائفي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبَل<sup>(١)</sup> العَدَوَانِي ، عن أبيه ، أنه أبصر رسول الله ﷺ في مَشْرِقٍ ثَقِيف ، وهو قائم على قوس - أو عصا - حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، فسمعتة يقول : ﴿ وَالسَّامِ وَالطَّارِقِ ﴾ [ الطارق : ١ ] . حتى ختمها . قال : فوعيتُها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام .

قال : فدعنتني ثَقِيفُ فقالوا : ماذا سمعتَ من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال مَنْ معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنَّا نعلم ما يقولُ حقًّا لاتبعناه .

وثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> من طريق عبد الله بن وَهَب ، أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزُّبَيْر أنَّ عائشة حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يومٍ أُحد ؟ قال : « ما لقيتُ من قومك كان أشدَّ منه يومُ العَقَبَةِ »<sup>(٣)</sup> ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدٍ يَا لَيْلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ ، فلم يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وَجْهِي ، فلم أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي ، فنظرتُ فإذا فيها جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فناداني فقال : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ ، وقد بعثَ إِلَيْكَ مَلَكُ الْجِبَالِ ، لتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . ثم ناداني مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ<sup>(٤)</sup> ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ لِتَأْمُرَنِي بِمَا شِئْتَ ، إِنَّ شِئْتَ تَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ<sup>(٥)</sup> ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بل أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

## فصل

وقد ذكر محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> سماع الجن لقراءة رسولِ اللَّهِ ﷺ وذلك مرجعه من الطائف حين بات بنخلة وصلَّى بأصحابه الصُّبْحَ ، فاستمع الجنُّ الذين صُرفوا إليه قراءته هنالك .

- (١) قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة خالد بن أبي جبَل : بفتح الجيم والموحدة ، ووقع في رواية البخاري وابن البرقي : جبَل . بكسر الجيم بعدها تحتانية ساكنة ، وَرَجَّحَ ابْنُ مَكُولَا الْأَوَّلَ وَالْخَطِيبُ الثَّانِي .
- (٢) فتح الباري (٣٢٣١) بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين ، وصحيح مسلم (١٧٩٥) (١١١) الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين .
- (٣) كذا في ح ، ط ، ولفظ البخاري هكذا : لقد لقيتُ من قومك ما لقيت ، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يومُ العَقَبَةِ . وكذا رواية مسلم إلا أنه ليس فيه قوله : « ما لقيت » ، وكذلك هي في إحدى روايات البخاري ، كما يظهر من إشارة في النسخة اليونانية .
- (٤) زادت ط هنا ما نصه : قد بعثني الله وليست هذه الزيادة في ح ولا في الصحيحين .
- (٥) « الأخشبان » : جبلا مكة ، أبو قبيس والذي يقابله وكأنه قعيقان ، وقال الصغاني : بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقان ، ووهم من قال ثور كالكرماني ، وسُمِّيَا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما . فتح الباري (٣١٦/٦) .
- (٦) سيرة ابن هشام (٤٢١/١) والروض (١٧٣/٢) .

قال ابن إسحاق : وكانوا سبعة نفر ، وأنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

قلت : وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في التفسير ، وتقدم قطعة من ذلك . والله أعلم .

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة مَرَجَعَهُ من الطائف في جوار الْمُطْعِم بن عدي ، وازداد قومه عليه حَقًّا وغيظًا وجرأة وتكذيباً ، وعناداً ، والله المستعان وعليه التكلان .

وقد ذكر الأموي في « مغازيه » أَنَّ رسولَ الله ﷺ بعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق يطلب منه أن يُجِيرَهُ بمكة . فقال : إِنَّ حليفَ قريش لا يُجِيرُ على صَمِيمِها . ثم بعثه إلى سُهيل بن عمرو ليُجِيرَهُ فقال : إِنَّ بني عامر بن لُؤي لا تجيرُ على بني كعب بن لُؤي . فبعثه إلى الْمُطْعِم بن عدي ليُجِيرَهُ فقال : نعم ، قل له فليأت .

فذهب إليه رسولُ الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة ، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعاً ، فدخلوا المسجد وقالوا لرسولِ الله ﷺ : طُفَّ وَاخْتَبَوْا بِحِمَائِلِ سِيُوفِهِمْ فِي الْمِطَافِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى مُطْعِمٍ . فقال : أُمَجِيرُ أَوْ تَابِعُ<sup>(١)</sup> ؟ قال : لا بَلْ مُجِير . قال إِذَا لَا تُخْفَرُ . فجلس معه حتى قَضَى رسولُ الله ﷺ طوافه ؛ فلما انصرف انصرفوا معه . وذهب أبو سفيان إلى مجلسه . قال : فمكث أياماً ثم أذن الله له في الهجرة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تُوْفِيَ مطعم بن عدي بعدَهُ بيسير ، فقال حسان بن ثابت : والله لأَرِيتَهُ فقال فيما قال<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

فلو كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الْيَوْمَ وَاحِداً	من الناس نَجَى مَجْدُهُ الْيَوْمَ مُطْعِماً
أَجَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا	عِبَادَكَ مَا لَبَّى مُحِلٌّ وَأَحْرَمَا
فلو سُلِّتَ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأَسْرَهَا	وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُزْهُمَا
لَقَالُوا هُوَ الْمُؤَفِّي بِخُفْرَةِ جَارِهِ	وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَجَشَّمَا <sup>(٣)</sup>
وما تَطْلُعُ الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ فَوْقَهُمْ	على مثله فيهم أَعَزَّ وَأَكْرَمَا <sup>(٤)</sup>
إِبَاءً إِذَا يَأْبَى وَأَلِينَ شِمَةَ	وَأَنُومَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

قلتُ : ولهذا قال النبي ﷺ يوم أُسَارَى بَدْر : « لو كَانَ الْمَطْعِمُ بْنُ عَدِي حَيًّا ثُمَّ سَأَلَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَى لَوْهَبْتُهُمْ لَهُ »<sup>(٥)</sup> .

(١) في ديوان حسان : أُمَجِيرُ أَمْ مَانِع . والخبر في مقدمة القصيدة .

(٢) القصيدة في ديوان حسان (١٩٩/١) والخبر في مقدمة القصيدة . وتخريجها فيه .

(٣) كذا في ط ، وفي ح : تحتما . وفي الديوان : تَدَمَّما وهو أشبه .

(٤) في ح : المنيرة عندهم . . . أَعَزَّ وَأَعْظَمَا .

(٥) انظر الحديث في الجزء التالي .

## فصل

في عَرَض رسول الله ﷺ نفسه الكريمة على أحياء العرب  
في مواسم الحج أن يؤوه وينصروه ، ويمنعوه ممن خالفه وكذَّبه ،  
فلم يجبه أحد منهم لما ذخره الله للأنصار من الكرامة العظيمة رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم قدم رسولُ الله ﷺ مكة وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به ، فكان رسولُ الله ﷺ يعرضُ نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، ويُخبرهم أنه نبيُّ مُرْسَل ، ويسألهم أن يصدَّقوه ويمنعوه حتى يبينَ عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدَّثني من أصحابنا من لا أتتهم ، عن زيد بن أسلم ، عن ربيعة بن عباد الدؤلي - ومن حدَّته أبو الزناد عنه - وحدَّثني حسين بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عباس قال : سمعتُ ربيعة بن عباد يحدِّثه أبي ، قال : إني لغلّامٌ شابٌّ مع أبي بمنى ، ورسولُ الله ﷺ يقفُ على منازلِ القبائل من العرب فيقول : « يا بني فلان ، إني رسولُ الله ﷺ إليكم ، أمركم أن تعبدوا اللهَ ولا تُشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدَّقوا بي ، وتمنعوني حتى أُبينَ عن الله ما بعثني به » . قال : وخلقهُ رجلٌ أحولَ وَضِيءٌ له غَدِيرَتان ، عليه حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ ، فإذا فرغ رسولُ الله ﷺ من قوله وما دعا إليه . قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلكوا اللاتَ والعزَّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنِّ من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الرجل الذي يتبعه ويردُّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمُّه عبد العزَّى بن عبد المطلب أبو لهب .

وقد روى الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> هذا الحديث عن إبراهيم بن أبي العباس ، حدَّثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، أخبرني رجلٌ يقال له : ربيعة بن عباد ، من بني الدَّيْل - وكان جاهلياً فأسلم<sup>(٤)</sup> - قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في الجاهلية ، في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيُّها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تُفْلِحُوا » والناسُ مجتمعونَ عليه ، ووراءهُ رجلٌ وَضِيءٌ الوجه أحول ، ذو غَدِيرَتَيْنِ يقول : إنَّه صابئٌ كاذب - يتبعه حيثُ ذهب - فسألتُ عنه<sup>(٥)</sup> فقالوا : هذا عمُّه أبو لهب .

(١) في سيرة ابن هشام (١/٤٢٢) والروض (٢/١٧٣) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/٤٢٢) والروض (٢/١٧٣) .

(٣) في مسنده (٤/٣٤١) .

(٤) قوله : فأسلم . ليس في مسند أحمد .

(٥) زاد مسند أحمد هنا قوله : فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ .

ورواه البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعة الدثلي : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ، ووراءه رجلٌ أخول تقد وجنتاه وهو يقول : أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت : من هذا ؟ قالوا : هذا أبو لهب .

وكذا رواه أبو نعيم في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> من طريق ابن أبي ذئب ، وسعيد بن سلمة بن أبي الحسام كلاهما عن محمد بن المنكدر به نحوه .

ثم رواه البيهقي<sup>(٣)</sup> من طريق شعبة عن الأشعث بن سليم ، عن رجلٍ من كنانة ، قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » . وإذا رجلٌ خلفه يسفي عليه التراب ، فإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس ، لا يغرنكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى .

كذا قال في هذا السياق أبو جهل . وقد يكون وهماً ، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا ، وتارة يكون ذا وأنهما كانا يتناوبان على إيذائه ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدّثني ابن شهاب الزهري أنه ﷺ أتى كندة في منازلهم ، وفيهم سيّد لهم يقال له ملىح ، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحدّثني محمد بن عبد الرحمن بن حصين أنه أتى كلباً في منازلهم إلى بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول : « يا بني عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أبيكم » . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

وحَدَّثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردّاً عليه منهم .

وحَدَّثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجلٌ منهم يقال له بيخرة بن فراس : والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب . ثم قال له : رأيت إن نحن تابعنك<sup>(٦)</sup> على أمرك ، ثم أظهرك الله على من يخالفك ، أكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : « الأمر لله يضعه حيث يشاء » . قال فقال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك<sup>(٦)</sup> ، فإذا أظهرك الله كان الأمر

(١) في الدلائل (٢/ ١٨٥) .

(٢) ليس فيما طبع منه .

(٣) في الدلائل (٢/ ١٨٦) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٤) والروض (٢/ ١٧٤) .

(٥) في إحدى نسخ سيرة ابن هشام : بايعناك .

(٦) أي أنجعلها هدفاً لسهامهم ؟ والهدف : الغرض . الروض (٢/ ١٨١) .



لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرِك . فأَبَوْا عليه . فلما صدرَ الناسُ رجعتُ بنو عامر إلى شيخٍ لهم ، قد كان أدركه السن ، حتى لا يقدرُ أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حَدَّثُوهُ بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عمّا كان في مَوْسِمِهِمْ فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب يزعمُ أنه نبيّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقومَ معه ، ونخرج به إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تَلافي ؟ هل لذناباها من مَطْلَب<sup>(١)</sup> ؟ والذي نفسُ فلانٍ بيده ما تقولها إسماعيليّ قط<sup>(٢)</sup> ، وإنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ؟!

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : فكان رسولُ الله ﷺ في تلك السنين يعرضُ نفسه على قبائل العرب في كلِّ موسم ، ويكلّم كلَّ شريفٍ قوم ، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يُؤووه ويمنعوه ويقول : « لا أُكرِه أحدًا منكم على شيء ، مَنْ رَضِيَ منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كره لم أُكرِهْه ، إنما أريدُ أن تُحرزوني مما يُرادُ بي من القتل حتى أبلغَ رسالةَ ربِّي ، وحتى يقضيَ الله لي ولمن صحبني بما شاء » . فلم يقبله<sup>(٣)</sup> أحدٌ منهم ، وما يأتي أحدًا من تلك القبائل إلا قال : قومُ الرجلِ أعلم به ، أتروُنَ أن رجلاً يُصلحنا وقد أفسد قومُه ولفظوه ؟! وكان ذلك مما ذخره اللهُ للأنصار وأكرمهم به<sup>(٤)</sup> .

وقد روى الحافظ أبو نعيم<sup>(٥)</sup> من طريق عبد الله بن الأجلح ويحيى بن سعيد الأموي ، كلاهما عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس عن العباس ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « لا أرى لي عندك ولا عند أخيك منعة ، فهل أنت مُخْرِجِي إلى الشوق غدًا حتى تُعرّفني<sup>(٦)</sup> منازلَ قبائلِ الناس » وكانت مجمعَ العرب . قال : فقلت : هذه كِنْدَةُ ولفّها<sup>(٧)</sup> ، وهي أفضلُ مَنْ يحجُّ البيت من اليمن ، وهذه منازلُ بكر بن وائل ، وهذه منازلُ بني عامر بن صعصعة ، فاخترَ لنفسك ؟ قال فبدأ بِكِنْدَةَ فاتاهم فقال : « ممنِ القوم ؟ » قالوا : من أهل اليمن . قال : « من أيِّ اليمن ؟ » قالوا : من كِنْدَةَ . قال : « من أيِّ كِنْدَةَ ؟ » قالوا : من بني عمرو بن معاوية . قال : « فهل لكم إلى خير ؟ » قالوا : وما هو ؟ قال : « تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وتقيمون الصلاة ، وتؤمنون بما جاء من عند الله » .

(١) « هل لها من تَلافي » : أي تدارك . وقوله هل لذناباها من مطلب : مثل ضُرب لما فاتته منها ، وأصله : من ذنابَي الطائر : إذا أفلت من الحباله ، فطلب الأخذ بذناباه . الروض (٢/ ١٨١) .

(٢) أي ما ادعى النبوة كاذبًا أحد من بني إسماعيل . الروض (٢/ ١٨١) .

(٣) في ح : يصحبه . وإلى جانبها في الهامش : يقبله . وفوقها : (خ) إشارة إلى رواية نسخة .

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤١٤) عن موسى بن عقبة ، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٨٩) عن الطبراني ، حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن لهيعة عن الأسود عن عروة بن الزبير فذكره .

(٥) ليس فيما طبع من دلائل النبوة وسيأتي شطر من هذا الخبر مثبت في الدلائل يشار إليه في موضعه .

(٦) في ط : حتى نقرّ في ، والمثبت من ح .

(٧) ليست اللفظة في ح .

قال عبد الله بن الأجلح : وحدثني أبي عن أشياخ قومه أَنَّ كندة قالت له : إن ظفرت تجعل لنا المُلْك من بعدك ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ المُلْكَ لله يجعله حيثُ يشاء » فقالوا : لا حاجة لنا فيما جئنا به .

وقال الكلبي فقالوا : أجتنا لتصدنا عن آلهتنا ونناخذ العرب . الحق بقومك فلا حاجة لنا بك . فانصرف من عندهم ، فأتى بكر بن وائل فقال : « ممن القوم ؟ » قالوا : من بكر بن وائل . فقال : « من أي بكر بن وائل ؟ » قالوا : من بني قيس بن ثعلبة . قال : « كيف العدد ؟ » قالوا : أكثر من الثرى<sup>(١)</sup> . قال : « فكيف المنعة ؟ » قالوا : لا منعة ، جاوزنا فارس ، فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال : « فتجعلون الله عليكم إن هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم ، وتنكحوا نساءهم ، وتستعبدوا أبناءهم ، أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين ، وتكبروه أربعاً وثلاثين » قالوا : ومن أنت ؟ قال : « أنا رسولُ الله » . ثم انطلق فلما ولى عنهم قال الكلبي : وكان عمُّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس : لا تقبلوا قوله . ثم مرَّ أبو لهب فقالوا : هل تعرفُ هذا الرجل ؟ قال : « نعم ، هذا في الذروة منّا ، فعن أي شأني تسألون ؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا : يزعم أنه رسولُ الله ، قال : ألا لا ترفعوا بقوله رأساً<sup>(٢)</sup> فإنه مجنون ، يهذي من أم رأسه . قالوا : قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر .

قال الكلبي<sup>(٣)</sup> : فأخبرني عبد الرحمن العامري<sup>(٤)</sup> : عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسولُ الله ﷺ ونحن بسوق عكاظ ، فقال : « ممن القوم ؟ » قلنا : من بني عامر بن صعصعة . قال : « من أي بني عامر بن صعصعة ؟ » قالوا : بنو كعب بن ربيعة . قال : « كيف المنعة ؟ قلنا : لا يُرام ما قبلنا ، ولا يُضطلى بنارنا . قال : فقال لهم : « إني رسولُ الله ﷺ وأتيتكم لتمنعوني حتى أبلغ رسالة ربي ، ولا أكره أحداً منكم على شيء » . قالوا : ومن أي قريش أنت ؟ قال : « من بني عبد المطلب » قالوا : فأين أنت من عبد مناف ؟ قال : « هم أول من كذبني وطردني » . قالوا : ولكننا لا نطردك ولا نؤمن بك ، وسنمنعك حتى تبلغ رسالة ربك . قال : فنزل إليهم والقوم يتسوقون ، إذ أتاهم بيحرة<sup>(٥)</sup> بن فراس القشيري فقال : من هذا الرجل أراه عندهم ؟ أنكره . قالوا : محمد بن عبد الله القرشي . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : ويزعم لنا أنه رسولُ الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال : ماذا ردّدتم عليه ؟ قالوا بالرحب والسعة ، نُخرجك إلى بلادنا ونمنعك ما نمنع به أنفسنا . قال بيحرة<sup>(٥)</sup> : ما أعلم أحدًا من

(١) في ط : كثير مثل الثرى .

(٢) في ط : لا ترفعوا برأسه قولاً ، والمثبت من ح .

(٣) قول الكلبي من هنا إلى نهاية الخبر في دلائل النبوة لأبي نعيم (٣٨٠/١) يبدو أن مختصر المطبوع حذف الشطر الأول منه كما أشار محققه .

(٤) في ط : المعاري ، والمثبت من ح ودلائل النبوة .

(٥) في الدلائل : بجرة . والمثبت من ح ومما سلف (ص ٣٨٢) نقلاً عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ، ومما ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة سميه بيحرة بن عامر .

أهل هذه السوق يرجعُ بشيءٍ أشدَّ من شيءٍ ترجعون به بدءاً ، ثم <sup>(١)</sup> لتنابدوا الناسَ وترميكم العربُ عن قوسٍ واحدة ، قومُه أعلم به لو أنسوا منه خيراً لكانوا أسعدَ الناس به ، أتعمدون إلى رهيقِ قومٍ <sup>(٢)</sup> قد طرده قومُه وكذبوه فتؤوونَه وتنصرونه ؟ فبئس الرأي رأيتم . ثم أقبل على رسولِ الله ﷺ فقال : قم فالحقُ بقومك ، فوالله لو لا أنك عند قومي لضربتُ عنقك . قال : فقام رسولُ الله ﷺ إلى ناقته فركبها ، فغمرَ الخبيثُ بيحرةً شاكِلتها فقمصت <sup>(٣)</sup> برسولِ الله ﷺ فألقته . وعند بني عامر يومئذ ضباعة ابنة عامر بن قُرط ، كانت من النسوة اللاتي أسلمنَ مع رسولِ الله ﷺ بمكة ، جاءت زائرةً إلى بني عمِّها ، فقالت : يا آل عامر - ولا عامرَ لي - أيصنعُ هذا برسولِ الله بين أظهركم لا يمنعه أحدٌ منكم ؟ فقام ثلاثة نفر من بني عمِّها إلى بيحرةٍ واثنين أعاناه ، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم رجلاً فجلده به الأرض ، ثم جلس على صدره ، ثم علوا وجوههم لطمأ ، فقال رسولُ الله ﷺ : « اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء » قال : فأسلم الثلاثة الذين نصروه ، وقتلوا شهداءَ وهم ؛ غطيف وغطفان ابنا سهل <sup>(٤)</sup> ، وعروة - أو عذرة <sup>(٥)</sup> - بن عبد الله بن سلمة رضي الله عنهم .

وقد روى هذا الحديثَ بتمامه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في « مغازيه » ، عن أبيه به . وهلك الآخرون لعناً وهم : بيحرة بن فراس ، وحزن بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، ومعاوية بن عبادة ، أحد بني عقيل ، لعنهم الله لعناً كثيراً . وهذا أثرٌ غريب كتبناه لغرابته والله أعلم <sup>(٦)</sup> .

وقد روى أبو نعيم له شاهداً من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة عامر بن صغصعة وقبيح ردَّهم عليه . وأغربُ من ذلك وأطول ما رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي <sup>(٧)</sup> - والسياق لأبي نعيم رحمهم الله - من حديث أبان بن عبد الله البجلي عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدَّثني عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج - وأنا معه وأبو بكر - إلى منى حتى دَفَعْنَا إلى مجلسٍ من مجالس العرب ، فتقدَّم أبو بكر رضي الله عنه فسلم ، وكان أبو بكر مقدماً في كلِّ خير ، وكان رجلاً نساباً فقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأي ربيعة

(١) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : ثم بدأتُم لتنايِدِ الناس .

(٢) « الرهيق » : السفية . النهاية لابن الأثير . وقع في ط : زهيق . تصحيف ، وسقطت لفظة قوم . والمثبت من ح والدلائل .

(٣) « الشاكلة من الفرس » : الجلد الذي في عرض الخاصرة والثفنة وهو مدخل الفخذ في الساق . وقمصت : هو أن ترفع يديها وتطرحهما معاً وتعجن برجليها . اللسان والتاج ( شكل ، قمص ) .

(٤) كذا في ط ، وفي ح : سهيل ، وفي دلائل أبي نعيم : غطريف وغطفان ابنا سهل . ولم أقف لهما على ترجمة .

(٥) في ح : عزرة ولم أقف له على ترجمة .

(٦) هو من رواية الكلبي الكذاب .

(٧) دلائل النبوة لأبي نعيم (٣٧٢/١) ودلائل النبوة للبيهقي (٤٢٢/٢) وتاريخ ابن عساكر في ترجمة دغفل انظر مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (١٩٩/٨) .

أنتم ؟ أمِنْ هَامِهَا أَمْ مِنْ لَهَازِمِهَا<sup>(١)</sup> ؟ قالوا : بل من هَامَتِهَا الْعِظْمَى . قال أبو بكر : فمن أَيِّ هَامَتِهَا الْعِظْمَى أَنْتُمْ ؟ فقالوا : ذُهِلَ الْأَكْبَرُ . قال لهم أبو بكر : منكم عَوْفٌ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُمْ : لَا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ<sup>(٢)</sup> ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بَسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ مَسْعُودِ أَبِي اللِّوَاءِ وَمُنْتَهَى الْأَحْيَاءِ ؟ قالوا لا . قال : فمنكم الْحَوْفَزَانُ<sup>(٣)</sup> ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ ذُهِلٍ ، حَامِي الدِّمَارِ وَمَانِعُ الْجَارِ ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم الْمُزْدَلِفُ صَاحِبُ الْعِمَامَةِ الْفَزْدَةِ<sup>(٤)</sup> ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أحوالُ الملوك من كِنْدَةَ ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أصهارُ الملوك من لَحْمٍ ؟ قالوا : لا . فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه : فلستم بذُهِلِ الْأَكْبَرِ ، بل أنتم ذُهِلُ الْأَصْغَرِ . قال : فوثب إليهم غلامٌ يُدْعَى دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ الدُّهْلِيِّ - حِينَ بَقَلَ وَجْهُهُ<sup>(٥)</sup> - فَأَخَذَ بِرِمَامِ نَاقَةِ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ : [ من الرجز ]

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبَاءُ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمِلُهُ

يا هذا، إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكتُمك شيئاً، ونحن نريد أن نسألك فمن أنت؟ قال : رجلٌ من قريش . فقال الغلام : بخ بخ ! أهل السُّودُدِ والرياسة ، قادمةُ العرب وهدأتها<sup>(٦)</sup> ، فمن أنت من قريش ؟ فقال له : رجلٌ من بني تَيْمٍ بن مُرَّةَ . فقال له الغلام : أمكنتَ واللهِ الرامي من سواءِ الثُّغَرَةِ<sup>(٧)</sup> ؟ أفمنكم قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ الَّذِي قَتَلَ بِمَكَّةِ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهَا ، وَأَجْلَى بِقِيَّتِهِمْ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ حَتَّى أَوْطَنَهُمْ مَكَّةَ ، ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَى الدَّارِ وَنَزَلَ قَرِيشاً مَنَازِلَهَا ، فَسَمَّيْتُهُ الْعَرَبُ بِذَلِكَ مُجْمَعاً ، وفيه يقول الشاعر : [ من الطويل ]

أَلَيْسَ أَبُوكُمْ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعاً بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ فِيْهِرِ

فقال أبو بكر : لا . قال : فمنكم عَبْدُ مَنْفٍ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ الْوَصَايَا وَأَبُو الْغَطَارِيفِ السَّادَةِ ؟ فقال

- (١) أي من أشرافها أو من أوساطها ؛ واللهازم : أصول الحنكين ، واحدها لِهَزْمَةٌ ، فاستعارها لوسط النسب والقبيلة . اللسان ( لهزم ) .
- (٢) أي لا سيّد يناوئه ، وهو من أمثالهم ، يعني أنه يقهر من حلّ بَوَادِيهِ ؛ يضرب للعزیز الذي يذلُّ له الأعزّاء . وعوف هو ابنُ مُحَلِّمِ بْنِ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ . مجمع الأمثال (٢/٢٣٦) والمستقصى (٢/٢٦٢ و ١/٤٣٧) واللسان ( عوف ) .
- (٣) سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ التَّمِيمِيِّ حَفَزَهُ بِالرَّمْحِ حِينَ خَافَ أَنْ يَفُوتَهُ ، فَعَرَجَ مِنْ تِلْكَ الْحَفْزَةِ . وكل ما قلعت فقد حفزته . اللسان ( حفز ) والاشتقاق لابن دريد (ص ٣٥٨) .
- (٤) سَمِّيَ الْمُزْدَلِفُ لِاقْتِرَابِهِ إِلَى الْأَقْرَانِ وَإِقْدَامِهِ عَلَيْهِمْ . اللسان ( زلف ) وقال ابن دريد في الاشتقاق (ص ٣٥٨) : لأنه قال لقومه وهو في حرب : ازدلفوا قيد رمحي . أي اقتربوا .
- (٥) « بَقَلَ وَجْهُهُ » : أي أول ما نبئت لحيته . اللسان ( بقل ) . وترجمة دغفل هذا في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٨/١٩٨) والخبر فيه .
- (٦) في ح والدلائل : وأزمة العرب ، والمثبت من ط . والقادم والقادمة : الرأس . القاموس ( قدم ) . وصحفت « هدايتها » في ط والمثبت من الدلائل .
- (٧) « سواءِ الثُّغَرَةِ » : أي وسط الثغرة ، وهي نقرة النحر فوق الصدر . اللسان ( ثغر ) .

أبو بكر : لا . قال : فمنكم عمرو بن عبد مناف ، هاشم الذي هشم الثريد لقومه ، وأهل مكة مستنون ،  
ففيه يقول الشاعر<sup>(١)</sup> : [ من الكامل ]

عَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ      وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتِنُونَ عِجَافُ  
سَنُّوا إِلَيْهِ الرَّحْلَتَيْنِ كِلَيْهِمَا      عِنْدَ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةَ الْأَصْيَافِ  
كَانَتْ قَرِيشٌ بِيضَةً فَتَفَلَّقَتْ      فَالْمُخُّ خَالِصُهُ لَعَبِدِ مَنَافٍ<sup>(٢)</sup>  
الرَّائِشِينَ وَلَيْسَ يُعْرِفُ رَائِشُ      وَالْقَائِلِينَ هَلُمَّ لِلْأَصْيَافِ<sup>(٣)</sup>  
وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ      وَالْمَانِعِينَ الْبَيْضَ بِالْأَصْيَافِ<sup>(٤)</sup>  
لِللَّهِ دُرُّكَ لَوْ نَزَلَتْ بِدَارِهِمْ      مَنَعُوكَ مِنْ أَزَلٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ<sup>(٥)</sup>

فقال أبو بكر : لا . قال : فمنكم عبد المطلب شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، وصاحب عَيْرٍ<sup>(٦)</sup> مكة ، ومطعم طير السماء ،  
والوحوش والسباع في الفلا ، الذي كأَنَّ وجهه قَمَرٌ يَتَلَأَلُ فِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ ؟ قال : لا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الْإِفَاضَةِ  
أَنْتَ ؟ قال : لا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الْحِجَابَةِ أَنْتَ ؟ قال : لا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ النَّدْوَةِ أَنْتَ ؟ قال : لا . قال :  
أَفَمِنْ أَهْلِ السَّقَايَةِ أَنْتَ ؟ قال : لا . قال : أَفَمِنْ أَهْلِ الرَّفَادَةِ أَنْتَ ؟ قال : لا . قال : أَفَمِنْ الْمَفِيزِينَ  
[ بِالنَّاسِ ]<sup>(٧)</sup> أَنْتَ ؟ قال : لا . ثم جذب أبو بكر رضي الله عنه زِمَامَ نَاقَتِهِ مِنْ يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْغَلَامُ : [ مِنَ الرَّجَزِ ]

صَادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ دَرْءًا يَدْفَعُهُ      يَهْيِضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْدَعُهُ<sup>(٨)</sup>

ثم قال : أما والله يا أخا قريش لو ثبت لَخَبَرْتُكَ أَنَّكَ مِنْ زَمَعَاتِ قَرِيشٍ وَلَسْتُ مِنْ

(١) قيل : هو عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، وقيل غيره . سيرة ابن هشام (١/١٣٦) والروض (١/١٦١) .

(٢) في ح ، ط : فالْمُخُّ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، والمثبت من دلائل أبي نعيم والروض الأنف (١/١٦١) وكلاهما بمعنى ،  
وهو الخالص من كل شيء ، وبالمهملة : صُفْرَةُ الْبَيْضِ . القاموس ( محح ، مخخ ) .

(٣) « الرائش » : من قولهم : رَشْتُ فَلَانًا : قَوَّيْتُ جَنَاحَهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَارْتَأَشَ وَتَرَيَشَ ، قال النابغة : [ من البسيط ]

كَمْ قَدْ أَحَلَّ بِدَارِ الْفَقْرِ بَعْدَ غِنَى      قَوْمًا وَكَمْ رَأَشَ قَوْمًا بَعْدَ إِقْتَارِ  
يَرِيشُ قَوْمًا وَيَبْرِي آخِرِينَ بِهِمْ      اللَّهُ مِنْ رَائِشٍ عَمَرُوا وَمِنْ بَارِ

أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ( ريش ) .

(٤) « الكبش هنا » : قائد الكتيبة في الحرب ؛ وَيَبِضُهُ : مَا عَلَيْهِ مِنْ حَدِيدٍ وَسِلَاحٍ . وَالْبَيْضُ الثَّانِيَةُ : سَاحَةُ الْقَوْمِ ،  
وحوزة كل شيء . القاموس والأساس ( كبش ، بيض ) .

(٥) « الأزل » : ضيق العيش . يقال : أَزَلُوا حَتَّى هَزَلُوا : أَيِ حُبِسُوا وَضُيِّقَ عَلَيْهِمْ . وَالْإِقْرَافُ : أَنْ يَأْتِيَهُمْ وَهُمْ مَرْضَى  
فِيصِيهِ ذَلِكَ . أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ( أزل - قرف ) .

(٦) في الدلائل : بئر مكة .

(٧) من الدلائل : وفي ح : أَفَمِنْ الصَّفِينِ أَنْتَ .

(٨) يقال للسيل إذا أتاك من حيث لا تحتسبه : سَيْلٌ دَرْءٌ ، أَيِ يَدْفَعُ هَذَا ذَاكَ ، وَذَاكَ هَذَا . وَقَوْلُهُ يَهْيِضُهُ حِينًا وَحِينًا  
يَصْدَعُهُ : أَيِ يَكْسِرُهُ مَرَّةً وَيَشْقُهُ أُخْرَى . اللَّسَانُ ( درأ ، هيض ) وَالْبَيْتَانِ فِيهِمَا . وَوَقَعَ فِي ط فِي الْقَافِيَةِ : يَرْفَعُهُ .  
تصحيح .

الذوائب<sup>(١)</sup> . قال : فأقبل إلينا رسول الله ﷺ يتبسم . قال علي : فقلت له : يا أبا بكر لقد وقفت من الأعرابي على باقة<sup>(٢)</sup> . فقال : أجل يا أبا الحسن ، إنه ليس من طائفة إلا وفوقها طائفة ، والبلاء مؤكل بالقول<sup>(٣)</sup> .

قال : ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار ، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات ، فتقدم أبو بكر فسلم - قال علي : وكان أبو بكر مقدماً في كل خير - فقال لهم أبو بكر : ممن القوم ؟ قالوا : من بني شيبان بن ثعلبة . فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي ، ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم - وفي رواية : ليس وراء هؤلاء عذر<sup>(٤)</sup> من قومهم ، وهؤلاء [ غرر في قومهم ، وهؤلاء ]<sup>(٥)</sup> غرر الناس - وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وهانيء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو ، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بياناً ولساناً<sup>(٦)</sup> ، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره ؛ فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : إنا لنزيد على ألف ، ولن يغلب ألف من قلة . فقال له : فكيف المنعة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ، ولكل قوم جد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا أشد ما نكون غضباً حين نلتقى<sup>(٧)</sup> ، وأشد ما نكون لقاءً حين نغضب ، وإننا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ، يديلاً مرة ، ويديلاً علينا<sup>(٨)</sup> . لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : إن كان بلغكم أنه رسول الله ﷺ فهاهو ذا . فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس ، وقام أبو بكر يظله بثوبه ، فقال ﷺ : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله ، وأن تؤووني وتمنعوني وتنصروني ، حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد » . قال له : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ إلى قوله ﴿ ذَلِكَمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [ الأنعام : ١٥١ - ١٥٣ ] فقال له مفروق : وإلى ما تدعو أيضاً يا أخا

- (١) أي ليست من أشرفهم : والزَّمَّة في الأصل : التَّلعة الصغيرة ، أو هي ما دون مسایل الماء من جانبي الوادي . النهاية لابن الأثير ( زمع ) .
- (٢) « الباقعة » : الرجل الداهية ، والذكي العارف الذي لا يفوته شيء . اللسان ( بقع ) .
- (٣) وفي رواية : والبلاء مؤكل بالمنطق . فذهب مثلاً ، وأبو بكر أول من قاله ، مجمع الأمثال ( ١٧ / ١ ) .
- (٤) كذا في ط وفي ح : غرر . وليس ما بين المعترضتين في الدلائل .
- (٥) ما بين المغقوبين ليس في ح .
- (٦) في مختصر تاريخ ابن عساكر : جمالاً ولساناً .
- (٧) في ح : نلتقي . والمثبت من الدلائل ، وسقطت اللفظة وما قبلها وما بعدها من ط .
- (٨) « يديلاً » : ينصرنا .

قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه ، فتلا رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل ٩٠] فقال له مفروق : دعوتَ والله يا قرشي<sup>(١)</sup> إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قومٌ كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال - : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا .

فقال له هانيء : قد سمعتُ مقاتلك يا أخا قريش ، وصدقتُ قولك ، وإني أرى أن تزكنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، لم تنفكر في أمرك ، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه زلة في الرأي ، وطيشة في العقل ، وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، وإن من ورائنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً ؛ ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة فقال - : وهذا المثني شيخنا وصاحب حزبنا .

فقال المثني : قد سمعتُ مقاتلك واستحسنْتُ قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمت به . والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة ، وتركنا ديننا واتباعنا إياك على ديننا لمجلس جلسته إلينا ، وإنا إنما نزلنا بين صريين<sup>(٢)</sup> أحدهما اليمامة ، والآخر السماوة<sup>(٣)</sup> . فقال له رسول الله ﷺ : « وما هذان الصريان » ؟ فقال له : أما أحدهما فطفوف<sup>(٤)</sup> البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ، ولا نؤوي محدثاً . ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك ؛ فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان يلي بلاد فارس ، فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ؛ فإن أردت أن ننصرَكَ ونمنعك مما يلي العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتم الرد ، إذ أفصحتُم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « رأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم ، أتسبحون الله وتقصدونه ؟ » فقال له النعمان بن شريك : اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله ﷺ ﴿ يَتَأَيَّأُ الْيَتَّى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥ - ٤٦] ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبي بكر . قال علي : ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : يا علي أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية ؟ ما أشرفها ! بها يتحاجزون فيما بينهم في الحياة الدنيا .

(١) في ط : يا أخا قريش ، والمثبت من ح والدلائل .

(٢) « الصريان » : ثنية صري وهو الماء المجتمع الذي يحضره الناس . ورواية ح : صيرين ثنية صير ، وهو بمعناه وبهما وردت الرواية في النهاية لابن الأثير ( صير ، صري ) ووقع في رواية ابن منظور في مختصر ابن عساكر : صرتين .

(٣) في النهاية لابن الأثير : اليمامة والسمامة . وفي مختصر ابن منظور : الشامة .

(٤) « الطفوف » : جمع طف ، وهو ساحل البحر وجانب البر . النهاية لابن الأثير ( طفف ) .

قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ .

قال عليّ : وكانوا صدقاً صُبراً ، فسُرّ رسولُ الله ﷺ بذلك ، مما رأى من معرفة أبي بكرٍ رضي الله عنه بأنسابهم .

قال : فلم يلبث رسولُ الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال : « ادعوا لإخوانكم من ربيعة ، فقد أحاطت بهم اليوم أبناء فارس » ثم دخل منزله ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم : « احمّدوا الله كثيراً<sup>(١)</sup> فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس ، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبني نُصروا » . قال : وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذي قار ، وفيها يقول الأعشى<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

فِدَى لَبْنِي دُهْلٍ بِنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي      وَرَاكِبُهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَقَلَّتِ  
هُمُّوْ ضَرَبُوا بِالْحِنُوِّ حِنُوْ قُرَاقِرٍ      مُقَدِّمَةَ الْهَامُزِ حَتَّى تَوَلَّتِ  
فَلَلِهَ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ فَوَارِسٍ      كَذُهِلِ بِنِ شَيْبَانَ بِهَا حِينَ وَلَّتِ<sup>(٣)</sup>  
فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالْمَوْدَةُ بَيْنَنَا      وَكَانَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ<sup>(٤)</sup>

هذا حديثٌ غريبٌ جداً ، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ، ومكارم الشيم ، وفصاحة العرب وقد ورد هذا من طريقٍ أخرى ، وفيه أنهم لما تحاربوا وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات - جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنُصروا على فارس بذلك ، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام .

وقال الواقدي<sup>(٥)</sup> : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسولُ الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف ، وهو على راحلته مُردِّفاً خلفه زيد بن حارثة ، فدعانا ، فوالله ما استجبنا له ولا خيّر لنا . قال : وقد كنّا سمعنا به وبدعائه في المواسم ، فوقف علينا يدعوننا ، فلم نستجب له ، وكان معنا ميسرة بنُ مسروق العبسي ، فقال لنا : أحلف بالله لو قد صدّقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحلّ به وسط بلادنا لكان الرأي . فأحلف بالله ليظهرنَّ أمره حتى يبلغ كل مبلغ . فقال القوم : دعنا منك لا تعرّضنا لما لا قبل لنا به . وطمع رسولُ الله ﷺ في ميسرة ، فكلّمه فقال

(١) في ح : احمّدوا الله تعالى فقد ظهرت .

(٢) الأبيات في ديوان الأعشى ميمون بن قيس ( ٢٥٩ ) بتحقيق د . محمد حسين هيكل .

(٣) رواية هذا البيت وبيتين من بعده في الديوان هكذا :

فلله عيناً من رأى من عصابة      أشدّ على أيدي السُّعاة من التي  
أنتهم من البطحاء يبرق بيضها      وقد رفعت راياتها فاستقلت  
فثاروا وثرنا والمنية بيننا      وهاجت علينا غمرة فتجلّت

(٤) رواية ح للشطر الثاني هكذا : وكانت علينا جمرة فتولت .

(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ( ٣٨٧ / ١ ) بسنده عن الواقدي . أقول : الواقدي : متروك مع سعة علمه . كما قال الحافظ ابن حجر في التقریب .



ميسرة : ما أحسنَ كلامَكَ وأنورَه ! ولكنَّ قومي يخالفونني وإنما الرجلُ بقومه ، فإذا لم يعُضدوه فالعِدَى أبعدُ<sup>(١)</sup> . فانصرف رسولُ الله ﷺ ، وخرج القوم مبادرين<sup>(٢)</sup> إلى أهلهم .

فقال لهم ميسرة : ميلوا بنا إلى<sup>(٣)</sup> فذلك ، فإنَّ بها يهود ، نسائلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود ، فأخرجوا سيفراً لهم فوضعوه ، ثم درسوا ذكرَ رسولِ الله ﷺ النبي الأميِّ العربي ، يركبُ الحمار ويَجْتَزِيءُ بالكِسرة ، وليس بالطويل ولا بالقصير ، ولا بالجعد القَطَط ولا بالسَّبَط ، في عينه حُمْرَة ، مشرق<sup>(٤)</sup> اللون . فإنَّ كان هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه ، فإننا نحسده ولا نَتَّبِعُه ، ولنا منه في مواطن<sup>(٥)</sup> بلاءٌ عظيم ، ولا يَنْقَى أحدٌ من العرب إلا اتَّبعه وإلا قاتله<sup>(٦)</sup> ، فكونوا ممن يَتَّبِعُه . فقال ميسرة : يا قوم ، إنَّ<sup>(٧)</sup> هذا الأمر بين ، فقال القوم نرجعُ إلى الموسم ونلقاه .

فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم ، فلم يَتَّبِعُه أحدٌ منهم ، فلما قَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة مهاجراً وحجَّ حَجَّةَ الوداع لَقِيَهُ ميسرةُ فعرفه . فقال : يا رسولَ الله ، والله ما زلتُ حريصاً على اتِّباعك من يوم أنخت بنا حتى كان ما كان ، وأبى الله إلا ما ترى من تأخُّر إسلامي ، وقد مات عامةُ النفر الذين كانوا معي فأين مدخلُهم يا رسولَ الله ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « كُلُّ مَنْ مات على غير دين الإسلام فهو في النار » فقال : الحمد لله الذي أنقذني . فأسلم وحسُن إسلامه ، وكان له عند أبي بكرٍ مكان .

وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي قصصَ القبائل واحدةً واحدةً ، فذكر عَرْضَهُ عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان ، وبني فزارة ، وبني مُرَّة ، وبني حنيفة ، وبني سُليم ، وبني عَبَس ، وبني نضر بن هوازن ، وبني ثعلبة بن عُكَّابة ، وكِنْدَة وكَلْب وبني الحارث بن كعب ، وبني عُذْرَة وقيس بن الحَظِيم وغيرهم . وساق أخبارَها مطوَّلةً ، وقد ذكرنا من ذلك طَرَفاً صالحاً والله الحمدُ والمِنَّة .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حدَّثنا أسودُ بن عامر ، أنا إسرائيل ، عن عثمان - يعني ابن المغيرة - عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبي ﷺ يعرضُ نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هل مِنْ رجلٍ يحملُنِي إلى قومه ؟ فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلغَ كلامَ ربي عزَّ وجلَّ » فأتاه رجلٌ من هَمْدان فقال : « ممن أنت ؟ » قال الرجل : من هَمْدان . قال : « فهل عند قومك من مَنعة ؟ » قال :

(١) « العِدَى » : بالكسر ، الغرباء والأجانب والأعداء ، وأما بالضم فهم الأعداء خاصة . النهاية لابن الأثير ( عدي ) .

(٢) في ط والدلائل : صادرين ، والمثبت من ح .

(٣) في ط : ميلوا نأتي . والمثبت من ح والدلائل .

(٤) في الدلائل : مشرب .

(٥) في ط : وإنا [ منه ] في مواطن . وفي ح : وليأتيه بلاء . والمثبت من الدلائل .

(٦) في الدلائل : إلا اتبعه أو قاتله وهو أشبه بالصواب .

(٧) في ط : ألا [ إن ] هذا الأمر ، وفي ح : إلى هذا الأمر ، والمثبت من الدلائل .

(٨) في المسند (٣/ ٣٩٠) رقم (١٥١٣٠) .

نعم . ثم إنَّ الرجلَ خَشِيَ أَنْ يُخْفِرَهُ<sup>(١)</sup> قَوْمُهُ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : آتَيْتُهُمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ ثُمَّ آتَيْتُكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ . قَالَ : « نَعَمْ » فَاَنْطَلَقَ وَجَاءَ وَفَدُ الْآنَصَارِ فِي رَجَبٍ .

وقد رواه أهلُ السُّنَنِ الأربعة من طرق عن إسرائيل به ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيح<sup>(٢)</sup> .

## فصل

قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام حتى بايعوا رسول الله ﷺ بيعةً بعد بيعة  
ثم بعد ذلك تحوّل إليهم رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل بين أظهرهم  
كما سيأتي بيانه وتفصيله إن شاء الله وبه الثقة

### حديث سويد بن صامت الأنصاري

وهو سويد بن الصامت بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأمه ليلي بنت عمرو النجارية ، أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم ، فسويد هذا ابنُ خالة عبد المطلب جدُّ رسول الله ﷺ .

قال محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(٣)</sup> : وكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالمواسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرضُ عليهم نفسه وما جاء به من الهدى والرحمة ، ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله تعالى ، وعرض عليه ما عنده .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجاً - أو معتمراً - وكان سويد إنما يُسمِّيهِ قَوْمُهُ فيهم الكامل ، لجَلَدِهِ وشعرِهِ وشرفِهِ ونسبه ، وهو الذي يقول : [ من الطويل ]

أَلَا رُبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقاً وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَكَ مَا يَفْرِي<sup>(٥)</sup>

(١) في المسند : يحقره ، وأخفرتُه : نقضتُ عهدَه ؛ ويحقره : يستهين به التاج ( خفر ، حقر ) .

(٢) في سنن أبي داود (٤٧٣٤) السنة باب في القرآن ، وسنن الترمذي (٢٩٢٥) فضائل القرآن باب (٢٤) حدثنا محمد بن إسماعيل ، وسنن ابن ماجه (٢٠١) المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ، وسنن النسائي الكبرى ، في النعوت (٧٧٢٧) . وأخرجه الدارمي (٣٣٥٧) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٣) و(٢٨) والحاكم في المستدرک (٦١٣/٦١٢/٢) كتاب التاريخ .

(٣) في سيرة ابن هشام (٤٢٥/١) والروض (١٧٤/٢) .

(٤) في سيرة ابن هشام (٤٢٥/١) والروض (١٧٥/٢) .

(٥) في ح : من يفري .

مقالته كالشَّهيد<sup>(١)</sup> ما كان شاهداً وبالغيب مأثورٌ على ثَغْرَةِ النَّحْرِ<sup>(٢)</sup>  
يسرُّك باديهِ وتحت أديمه نَمِيمَةٌ غِشٌّ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهْرِ<sup>(٣)</sup>  
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ ما هو كاتمٌ من الغِلِّ والبغضاء بالنظر الشَّرُّ<sup>(٤)</sup>  
فَرَشْنِي بخير طالما قد بَرَيْتَنِي وخير الموالِي من يَرِيشُ ولا يَبْرِي<sup>(٥)</sup>

قال<sup>(٥)</sup> : فتصدى له رسولُ الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله والإسلام ، فقال له سويد : فلعلَّ الذي معك مثلُ الذي معي . فقال له رسولُ الله ﷺ : « وما الذي معك ؟ » قال : مجلَّة لُقمان<sup>(٦)</sup> - يعني حكمة لقمان - فقال رسولُ الله ﷺ : « اعرضها عليَّ » فعرضها عليه فقال : « إنَّ هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنٌ أنزله الله عليَّ ، هو هُدًى ونور » فتلا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام . فلم يَبْعُدْ منه وقال : إنَّ هذا القول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج ؛ فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون : إنَّا لنراه قُتل وهو مسلم . وكان قتله قبل بُعَاث .  
وقد رواه البيهقي<sup>(٧)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق بأخصر من هذا .

### إسلام إياس بن معاذ

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وحَدَّثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ عن محمود بن لَبِيد ، قال : لما قدم أبو الحَيْسَر أنسُ بن رافع مكة ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله ﷺ فأتاهم فجلس إليهم فقال : « هل لكم في خيرٍ مما جئتم له ؟ » فقالوا : وما ذاك ؟ قال : « أنا رسولُ الله إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليَّ الكتاب » . ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن . قال : فقال إياسُ بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً - : يا قوم ، هذا والله خيرٌ مما جئتم له . فأخذ أبو الحَيْسَر أنسُ بن

(١) في ح : كالشحم .

(٢) « المأثور » : يعني به السيف ، ومأثور : من الأثر ، وهو فِرْنْدُ السيف . الروض (٢/ ١٨٥) .

(٣) في ط : تميمة غش . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والروض .

(٤) في ح : وشر الموالِي ، والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والروض .

(٥) يعني ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٧) والروض (٢/ ١٧٥) .

(٦) قال السهيلي في الروض (٢/ ١٨٣) : ولقمان كان نوبياً من أهل أيلة ، وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا ، وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل في اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميري . اهـ .

(٧) في دلائل النبوة (٢/ ٤١٩) .

(٨) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٧) والروض (٢/ ١٧٥) وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٤٢٠) .

رافع حفنةً من تراب البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله ﷺ عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني مَنْ حضره<sup>(١)</sup> من قومه أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله ويكبره ويحمده ، ويسبّحونه حتى مات . فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع .

قلت : كان يوم بُعَاث - وبُعَاث موضعٌ بالمدينة - كانت فيه وقعةٌ عظيمةٌ قُتل فيها خلقٌ كثير من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم ، ولم يبقَ من شيوخهم إلا القليل .

وقد روى البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup> عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة<sup>(٣)</sup> ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان يوم بُعَاث يوماً قدّمه الله لرسوله ، فقدّم<sup>(٤)</sup> رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملأهم ، وقتلت سَرَوَاتُهُمْ<sup>(٥)</sup>

وقال<sup>(٦)</sup> أبو زرعة الرازي في كتابه « دلائل النبوة » باب إسلام رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء : حدثنا إبراهيم بن يحيى بن محمد<sup>(٧)</sup> بن هانئ الشَّجْري<sup>(٨)</sup> ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> ، حدثني عبيد<sup>(١٠)</sup> بن يحيى عن معاذ بن رفاع بن رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنه خرج هو وابن خالته معاذ بن عفراء حتى قدما مكة ، فلما هبطا من الثَّيَّةِ رأيا رجلاً تحت شجرة - قال : وهذا قبل خروج الستة من

(١) في ط : حضرني ، وفي ح : حضر ، والمثبت من سيرة ابن هشام والروض .

(٢) فتح الباري (٣٧٧٧) مناقب الأنصار باب مناقب الأنصار .

(٣) في ط : عن أبي أمانة . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري في الفتح .

(٤) في ح ، ط : قدم والمثبت من صحيح البخاري .

(٥) « الملأ » : علية القوم وأشرافهم . وفي ط : قتل سراتهم . وفي ح : قتلت سراتهم ، والمثبت من صحيح البخاري . قال ابن حجر في الفتح (١١١/٧) : سراتهم : أي خيارهم ، والسروات جمع سراة بفتح المهملة وتخفيف الراء ، والسراة جمع سريّ وهو الشريف .

(٦) من هنا يبدأ سقط من نسخة ط وزيادة في ح تنتهي بنهاية هذا الفصل وهذا الخبر أخرجه الحاكم في المستدرك (١٤٩/٤) .

(٧) في ح : « إبراهيم بن محمد بن يحيى » مقلوب ، والصواب ما أثبتناه من المستدرك (١٤٩/٤) وتهذيب الكمال (٢٣٠/٢) ، والجرح والتعديل (١٤٧/٢) وغيرها . (بشار) .

(٨) في ح : « الشَّجْري » ، مصحف ، والصواب ما أثبتنا ، نسب كذلك لأنه كان ينزل الشجرة بذى الحليفة ، كما في أنساب السمعاني (٦٣/٨) ، وتهذيب الكمال (٢٣١/٢) ، وهي على ستة أميال من المدينة وتعرف اليوم بآبار علي . (بشار) .

(٩) قوله : « عن ابن إسحاق » ليس في المستدرك ، وما هنا أصح ، فرواية يحيى بن محمد بن عباد الشَّجْري عن ابن إسحاق عند الترمذي ، ونص عليها المزي في التهذيب (٥٢١/٣١) ، ولا تصح روايته عن عبيد بن يحيى . (بشار) .

(١٠) في المستدرك : « عبد » محرف ، وما أثبتناه من تهذيب الكمال (١٢١/٢٨) . (بشار) .

الأَنْصار - قال : فلما رأيناه كلمناه<sup>(١)</sup> قلنا : نأتي هذا الرجل نستودعه راحلتينا حتى نطوف بالبيت ، فجئنا فسلمنا عليه تسليم أهل الجاهلية ، فردَّ علينا تسليم أهل الإسلام ، وقد سمعتُ بالنبِيِّ [ ﷺ ]<sup>(٢)</sup> قال : فأنكرنا ، فقلنا : من أنت ؟ قال : « انزلوا » . فترلنا فقلنا : أين هذا الرجل الذي يدَّعي ما يدَّعي ويقول ما يقول ؟ قال : « أنا هو » . قلنا : فاعرضْ علينا الإسلام . فعرض وقال : « من خلق السماوات والأرض والجبال ؟ » قلنا : خلقهنَّ الله . قال : « من خلقكم » ؟ قلنا : الله . قال : « فمن عمل هذه الأصنام التي تعبدون ؟ » قلنا : نحن . قال : « الخالق أحقُّ بالعبادة أو المخلوق ؟ » قلنا : الخالق . قال : « فأنتم أحق أن تعبدوا ربكم ، وأنتم عملتموهن ، والله أحق أن تعبدوه من شيء عملتموه ، وأنا أدعو إلى عبادة الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله ، وصلة الرِّجَم ، وترك الولدان<sup>(٣)</sup> العدوان وإن غضب الناس » فقالوا : لو كان هذا الذي تدعوه إليه باطلاً لكان من معالي الأمور ومحاسن الأخلاق ، فأمسك راحلتينا حتى نأتي البيت ، فجلس عنده معاذ بن عفراء . قال رافع : وجئت البيت فطففت وأخرجت سبعة قدام ، وجعلت له بينها قدحاً فاستقبلت وقلت : اللهم إن كان ما يدعو إليه محمد حقاً فأخرج قدحَه سبع مرات ، فضربتُ بها سبع مرات ، فصحت أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فاجتمع الناسُ علي وقالوا : مجنونٌ رجلٌ صباً . فقلت : رجلٌ صباً ! بل رجل مؤمن . ثم جئت إلى النبي ﷺ بأعلى مكة ، فلما رأي معاذ بن عفراء قال : لقد جئتُ بوجهٍ ما ذهبت به . [ قال ]<sup>(٤)</sup> رافع : فجئت وآمنت ، وعلمنا رسول الله ﷺ سورة يوسف [ و ]<sup>(٥)</sup> اقرأ باسم ربك الذي خلق ، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة فلما كنا بالعقيق قال معاذ : إني لم أطرقُ ليلاً قط ، فبتُ بنا حتى نصبح . فقلت : أبيتُ ومعِي ما معِي من الخير !؟ ما كنتُ لأفعل . وكان رافع إذا خرج سافراً ثم قدم عرض قومه .

إسنادٌ حسن<sup>(٥)</sup> وسياقٌ حسن<sup>(٦)</sup> .

(١) في ح : « وترك الولدان العدوان » ، وفي المستدرک : فلما رأيناه كلمناه قلنا . كما أثبتناه .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) كذا في ح ، ولكن كلمة الولدان مقحمة من الناسخ وليست في المستدرک .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) قال بشار : هكذا قال ، ومن أين يأتيه الحسن ويحيى بن محمد بن عباد بن هانيء الشجري ضعيف ، كما قال أبو

حاتم وغيره . وقال الذهبي متعباً تصحيح الحاكم لهذا الحديث في المستدرک : « يحيى الشجري صاحب مناكير » ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : ضعيف .

(٦) إلى هنا ينتهي السقط المشار إليه في الحاشية (٦) من الصفحة السابقة .

## باب

## بُدُوّ إسلام الأنصار رضي الله عنهم

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيّه ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسولُ الله ﷺ في الموسم الذي لقيّه فيه النَّفَرُ من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كلِّ موسم ، فبينا هو عند العقبة لقي رَهْطاً من الخزرج أراد الله لهم خيراً .

فحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة . عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسولُ الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نفرٌ من الخزرج . قال : « أمن موالِي يَهُود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ » قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أنَّ يهودَ كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعلمٍ ، وكانوا هم أهلُ شِرْكٍ وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا : إنَّ نبيّاً مبعوثٌ الآن قد أظلمَ زمانه نتبعه ، نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرمَ . فلما كلم رسولُ الله ﷺ أولئك النَّفَرِ ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله إنه النبيُّ الذي توعدكم به يهود ، فلا يسئقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم ، وعسى أن يجمعَهُمُ اللهُ بك ، فسندم عليهم فندعوهم إلى أمرِك ، ونعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فإنَّ يجمعَهُمُ اللهُ عليك فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدّقوا .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وهم - فيما ذكر لي - ستة نفر ، كلُّهم من الخزرج ، وهم أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجَّار<sup>(٢)</sup> ، وعوف بن الحارث بن رفاعه بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجَّار - وهو ابن عَفراء - النجَّاريان ، ورافع بن مالك بن العَجَلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق الزُّرقي ، وقُطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد<sup>(٣)</sup> بن غنم بن كعب بن سَلَمَة بن سعد بن علي بن أسد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشم بن الخَزرج السَّلَمي ثم من بني سواد ،

(١) في سيرة ابن هشام (٤٢٩/١) والروض (١٧٦/٢) .

(٢) زادت نسخة ط هنا ما نصه : قال أبو نعيم : وقد قيل : إنه أول من أسلم من الأنصار من الخزرج . ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان . وقيل إن أول من أسلم رافع بن مالك ومعاذ بن عفرأ والله أعلم ، وهذه الزيادة ليست في ح ويبدو لي أنها حاشية كانت في إحدى النسخ فأدخلها النساخ في المتن ، إذ ليس من عادة المؤلف أن يقحم رواية ما في رواية أخرى وخاصة إذا كانت من سيرة ابن هشام .

(٣) قال ابن هشام بعد أن ساق قول ابن إسحاق في السيرة (٤٣٠/١) : عمرو بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له غنم . اهـ قلت : وكتب الأنساب تؤيد ما ذهب إليه ابن هشام ؛ انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ٣٥٨ ، ٣٥٩) وترجمة قطبة بن عامر في الإصابة .

وعقبة بن عامر بن نابي بن زَيْد بن حَرَام بن كَعْب بن سَلَمَةَ السَّلَمِي أيضاً ، ثم من بني حَرَام . وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سِنَان بن عُبيد بن عَدِيّ بن غَنَم بن كعب بن سَلَمَةَ السَّلَمِي أيضاً ، ثم من بني عُبيد رضي الله عنهم .

وهكذا روي عن الشعبي والزُّهري وغيرهما<sup>(١)</sup> ، أنهم كانوا ليلتئذ ستة نفرٍ من الخزرج .

وذكر موسى بن عقبة<sup>(٢)</sup> فيما رواه عن الزُّهري وعروة بن الزُّبَيْر ، أنَّ أول اجتماعه عليه السلام بهم كانوا ثمانية وهم ؛ معاذ بن عفراء ، وأسعد بن زُرارة ، ورافع بن مالك ، وذكوان - وهو ابن عبد قيس - وعُباد بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التَّيَّهَان ، وعُويم بن ساعدة . فأسلموا وواعدوه إلى قابل . فرجعوا إلى قومهم فدعَوْهم إلى الإسلام ، وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ، ورافع بن مالك ، أن ابْعَثْ إلينا رجلاً يفْقَهُنا . فبعث إليهم مصعب بن عمير ، فنزل على أسعد بن زُرارة وذكر تمامَ القصة كما سيوردها ابنُ إسحاق أتمَّ من سياقِ موسى بن عقبة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما قَدِمُوا المدينةَ إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعَوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم يبقَ دَارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذكُرُ رسول الله ﷺ حتى إذا كان العامُ المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً وهم : أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة المتقدم ذكره ، وعوف بن الحارث المتقدم ، وأخوه معاذ وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك المتقدم أيضاً . وذكوان بن عبد قيس بن خَلْدَةَ بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيْق الزُّرَقِي .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : وهو أنصاريٌّ مهاجريٌّ .

وعباد بن الصامت بن قيس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنَم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وحليفهم أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَةَ بن أَصْرَم الْبَلَوِي ، والعباس بن عُباد بن نُضَلَةَ بن مالك بن الْعَجْلَان بن يزيد بن غَنَم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الْعَجْلَانِي ، وعقبة بن عامر بن نابي المتقدم ، وقُطَبَةُ بن عامر بن حَديدة المتقدم ؛ فهؤلاء عشرةٌ من الخزرج ، ومن الأوس اثنان وهما : عُويم بن ساعدة . وأبو الهيثم مالك بن التَّيَّهَان .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : التَّيَّهَان يَخْفَفُ وَيُثَقِّلُ كَمَيْتٍ وَمَيِّتٍ .

(١) في ح : وعندهما .

(٢) دلائل البيهقي (٢/ ٤٣٠ ، ٤٣١) .

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٠) والروض (٢/ ١٧٧) .

(٤) في السيرة (١/ ٤٣١) .

(٥) في السيرة (١/ ٤٣٣) .

قال السُّهيلي<sup>(١)</sup> : أبو الهيثم بن التَّيَّهَان ، اسْمُهُ مَالِكُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ عمرو بن عبد الأَعْلَمِ بن عامر بن زَعُورَاءَ بن جُشَمٍ<sup>(٢)</sup> بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس . قال : وقيل إنه أَرَاشِي وقيل بَلَوِي . وهذا لم يَنْسُبْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَلَا ابْنُ هِشَامٍ .

قال : والهيثم فَرَحُ الْعُقَابِ ، وَضُرْبُ مِنَ الْبَنَاتِ<sup>(٣)</sup> .

والمقصود أَنَّ هَؤُلَاءِ الْاِثْنِي عَشَرَ رَجُلًا شَهِدُوا الْمَوْسِمَ عَامِئذٍ ، وَعَزَمُوا عَلَى الْجَمْعِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَقَوْهُ بِالْعُقْبَةِ فَبَايَعُوهُ عِنْدَهَا بَيْعَةَ النِّسَاءِ وَهِيَ الْعُقْبَةُ الْأُولَى .

وروى أبو نُعَيْمٍ<sup>(٤)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْلِهِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة : ١٢٦] إِلَى آخِرِهَا .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُسَيْلَةَ الصُّنَابَحِيِّ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : كُنْتُ فِي مَنْ حَضَرَ الْعُقْبَةَ الْأُولَى وَكُنَّا اِثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ ، عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بُبْهَتَانِ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ . فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ .

وقد روى البخاري ومسلم<sup>(٦)</sup> هذا الحديث من طريق اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ بِهِ نَحْوُهُ .

قال ابنُ إِسْحَاقَ<sup>(٧)</sup> : وَذَكَرَ ابْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ عَنْ عَائِذِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ حَدَّثَهُ قَالَ : بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعُقْبَةِ الْأُولَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بُبْهَتَانِ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَخَذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَإِنْ سُتِرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ .

(١) في الروض (١٩٤/٢ ، ١٩٥) .

(٢) في ح : عمر بن رعوْر بن جبیر ، وفوق جبیر خيثم ، وفي ط والروض : عامر بن زعون بن جشم . وكلاهما فيه تصحيف ، والمثبت من الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٤٣) وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ٣٤٠) .

(٣) في الروض : ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة .

(٤) في الدلائل (٤٠٠/١) .

(٥) في سيرة ابن هشام (٤٣٣/١) والروض (١٨٥/٢) .

(٦) فتح الباري (٣٨٩٣) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) (٤٤) الحدود باب الحدود كفارات لأهلها .

(٧) في سيرة ابن هشام (٤٣٤/١) والروض (١٨٥/٢) .



وهذا الحديث مخرَّجٌ في الصحيحين<sup>(١)</sup> وغيرهما من طُرُقٍ عن الزُّهري به نحوه ، وقوله : على بيعة النساء - يعني على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحُدَيْبية - وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة . وليس هذا بعجيب ، فإنَّ القرآن نزل بموافقة عمر بن الخطاب في غير ما مَوْطِنٍ كما بَيَّنَّاهُ في سيرته وفي التفسير ، وإنَّ كانت هذه البيعة وقعت عن وَحْيٍ غيرِ مَتْلُوٍّ ، فهو أظهر والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما انصرف عنه القوم بعث رسولُ الله ﷺ معهم مُضْعَبُ بن عُمير بن هاشم بن عبد مَنَاف بن عبد الدَّار بن قُصَي . وأمره أَنْ يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين . وقد روى البيهقي<sup>(٣)</sup> عن ابن إسحاق قال : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أَنَّ رسولَ الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أَنْ يبعثه إليهم .

وهو الذي ذكره موسى بن عقبة كما تقدّم ، إلا أنه جعل المرة الثانية هي الأولى .

قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : وسياق ابن إسحاق أتم .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فكان عبد الله بن أبي بكر يقول : لا أدري ما العقبة الأولى . ثم يقول ابنُ إسحاق : بلى لعمرى قد كانت عقبة وعقبة . قالوا كلُّهم : فنزل مصعبٌ على أسعد بن زُرارة فكان يسمي بالمدينة المقرئ .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمَّه بعضُ رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وحدَّثني محمد بن أبي أُمّامة بن سَهْل بن حُنَيْف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك قال : كنت قائدَ أبي حين ذهبَ بصره ، فكنْتُ إذا خرجتُ به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلَّى على أبي أُمّامة أسعد بن زُرارة قال : فمكث حيناً على ذلك لا يسمع الأذانَ للجمعة إلا صلَّى عليه واستغفرَ له . قال : فقلتُ في نفسي والله إنَّ هذا لي لَعَجْزٌ ، ألا أسأله ؟ فقلت : يا أبت مالك إذا سمعت الأذانَ للجمعة صلَّيت على أبي أُمّامة ؟ فقال : أي بُني ، كان أولَ مَنْ جَمَعَ بنا بالمدينة في هَزم

(١) فتح الباري (٣٨٩٢) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ ، وصحيح مسلم (١٧٠٩) (٤١) الحدود باب الحدود كفارات لأهلها .

(٢) في سيرة ابن هشام (٤٣٤/١) والروض (١٨٥/٢) .

(٣) في الدلائل (٤٣٧/٢) .

(٤) في الدلائل (٤٣٣/٢) .

(٥) قول ابن إسحاق هذا في الدلائل للبيهقي (٤٣٨/٢) .

(٦) في سيرة ابن هشام (٤٣٤/١) والروض (١٨٥/٢) .

(٧) في سيرة ابن هشام (٤٣٥/١) والروض (١٨٥/٢) .

النَّبِيِّ<sup>(١)</sup> مِنْ حَزْرَةِ بَنِي بَيَاضَةَ فِي نَقِيعِ الْخَضِصَاتِ<sup>(٢)</sup> . قَالَ : قُلْتُ : وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ رَجُلًا .

وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه<sup>(٣)</sup> من طريق محمد بن إسحاق رحمه الله . وقد روى الدارقطني<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عمير يأمره بإقامة الجمعة . وفي إسناده غرابة ، والله أعلم .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحَدَّثَنِي عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِبٍ<sup>(٦)</sup> ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يُريد به دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظَفَر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زُرارة . فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر على بئر يقال له بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجالٌ ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحُضَيْرِ يومئذٍ سيِّدا قومِهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِكٌ على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما ، وانهما أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أسعد بن زُرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليك مقدماً .

قال : فأخذ أسيد بن حُضَيْرِ حَزْبَتَهُ ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمصعب : هذا سيِّد قومه وقد جاءك ، فاضدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلسن أكلمهُ . قال : فوقف عليهما متشتماً فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعترلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة - وقال موسى بن عقبة : فقال له غلام : أتيتنا في دارنا بهذا الوحيد الغريب الطريد لئيسفهُ ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه - قال ابن

(١) في ح : هزم الحرم . والمثبت من ط والسيرة والروض وقال السهيلي فيه (١٩٦/٢) : هزم النبيت جبل على بريد من المدينة .

(٢) قال السهيلي في الروض (١٩٦/٢) : بقيع : بالباء وجدته في نسخة الشيخ أبي بحر وكذلك وجدته في رواية يونس عن ابن إسحاق وذكره البكري في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البقع أنه بقيع بالنون ذكره في باب النون والقاف . . . وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١٧٧/٤) : وأما بقيع الخضصات بقرب المدينة فبالنون ، كذا قيده الحازمي وغيره ، ونقل الحازمي أن الخطابي قال : من قاله بالباء فقد أخطأ ، وهو قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بني سلمة . وقال ياقوت في معجم البلدان (٣٧٧/٢) : فكأنه جمع خَضِصَة ، وهي الماشية التي تخضم فكأنه سمي بذلك للخضب فيه .

(٣) سنن أبي داود (١٠٦٩) الصلاة باب الجمعة في القرى ، وسنن ابن ماجه (١٠٨٢) إقامة الصلاة باب في فرض الجمعة . وأخرجه أيضاً عن ابن إسحاق الدارقطني في السنن (٥/٢) الجمعة باب ذكر العدد في الجمعة . أقول : وهو حديث حسن .

(٤) لم أجده في كتاب السنن للدارقطني .

(٥) في سيرة ابن هشام (٤٣٥/١) والروض (١٨٦/٢) .

(٦) وقع في سيرة ابن هشام والروض : معيقب . والمثبت من ط وتهذيب الكمال للمزي وتهذيب التهذيب والتقريب لابن حجر والجرح والتعديل .

إِسْحَاقُ : فقال له مصعب : أو تجلسُ فتسمع ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفْتُ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟ قال : أنصفت . قال : ثم ركز حَزْبَتَهُ وجلس إليهما ، فكلَّمَهُ مُصْعَبُ بِالْإِسْلَامِ ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يُذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله . ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل فتطهَّر ، وتطهَّر ثوبُكَ ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ، فقام فاغتسل ، وطهَّر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إِنَّ ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوسٌ في ناديتهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقْبِلًا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْدُ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلَّمْتُ الرجلين ، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً . وقد نهيتُهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك لِيُخْفِرُوا<sup>(١)</sup> ، قال : فقام سعد بن معاذ مُغْضَبًا مبادراً لتخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغْنَيْتَ شيئاً ، ثم خرج إليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أُسَيْدًا إنما أراد أن يسمعَ منهما ، فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتُ هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره ؟ - قال : وقد قال أسعد لمصعب : جاءك والله سيدٌ من وراءه قومه ، إِنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثنان - قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ ؟ قال سعد : أنصفت . ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن - [ وذكر موسى بن عتبة أنه قرأ عليه أول الزخرف ]<sup>(٢)</sup> - قال : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله . ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : تغتسل فتطهَّر وتطهَّر ثوبُكَ ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين . قال : فقام فاغتسل ، وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أُسَيْدُ بن الحُضَيْرِ .

فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا وَأَيْمَنُنَا نَقِيَّةً . قال : فَإِنَّ كَلامَ رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله .

قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، ورجع أسعد<sup>(٣)</sup>

(١) في ح ، ط : ليحقروك ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، والإخفار نقض العهد والغدر . اللسان ( خفر ) .

(٢) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام .

(٣) في ط : سعد . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام<sup>(١)</sup> عنده يدعو<sup>(٢)</sup> الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجالٌ ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوسُ الله ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس بن الأسلت واسمه صَيْفِي - [ وقال الزُّبَيْر بن بَكَّار : اسمه الحارث ، وقيل عبيد الله واسم أبيه الأسلت عامر بن جُشَم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس . وكذا نسبه ابن الكلبي أيضاً ] - وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق .

قلت : وأبو قيس بن الأسلت هذا ذكر له ابنُ إسحاق أشعاراً ربّانية<sup>(٣)</sup> حسنة ، تقرب من أشعار أمية بن أبي الصَّلت الثَّقَفِي .

قال ابن إسحاق فيما تقدم<sup>(٤)</sup> : ولما انتشر أمر رسولِ الله ﷺ في العرب ، وبلغ البلدان ذكر المدينة ، ولم يكن حيٌّ من العرب أعلمَ بأمر رسولِ الله ﷺ حين ذكر ، وقبل أن يُذكر من هذا الحيِّ من الأوس والخزرج ، وذلك لما كان يسمعون من أحبار يهود . فلما وقع أمره<sup>(٥)</sup> بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت أخو بني واقف<sup>(٦)</sup> - وكان يحبُّ قريشاً ، وكان لهم صِهراً . كانت تحته أَرْنَبُ بنت أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ ، وكان يُقيم عندهم السنين بامرأته - قال قصيدة يُعَظِّم فيها الحُرْمَةَ ، وينهى قريشاً فيها عن الحرب ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيدَه ، ويأمرهم بالكفِّ عن رسول الله ﷺ : [ من الطويل ]

أيا راكباً إمّا عرَضْتَ فبلَغْن      مُغْلَغَلَةً عَنِّي لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ<sup>(٧)</sup>  
رسولَ امرئٍ قد راعَه ذاتُ بينكم      على النَّأيِ محزونٍ بذلك ناصِبٍ

(١) في ط : فأقاما . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٢) في ط : يدعو . تصحيف ، والمثبت من ح ومصادر الخبر .

(٣) في ط : بائية ، والمثبت من ح .

(٤) في سيرة ابن هشام (٢٨٢/١) والروض (١٧/٢) .

(٥) في السيرة والروض : ذكره .

(٦) زادت نسخة ط هنا ما نصه : قال السهيلي : هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، واسم أبي أنس قيس بن صرمة بن

مالك بن عدي بن عمرو بن غنم بن عدي بن النجار ، قال : وهو الذي أنزل فيه وفي عمر ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الْفَصَايِمِ أَلْقَتْ إِلَى سَكَايِكُمْ ﴾ الآية . قال ابن إسحاق : قلت : إن إثبات هذه الزيادة خلطٌ شنيع وغفلةٌ فاضحة ، لأن أبا قيس بن الأسلت تقدم اسمه ونسبه قبل أسطر ، أما أبو قيس صرمة بن أبي أنس فشاعر آخر ذكره ابن هشام في السيرة (٥١٠/١) وساق السهيلي نسبه المذكور في هذه الزيادة في الروض (٢٨٧/٢) . ومن فضل الله تعالى أن هذه الزيادة ليست في ح ولعلها من تعليق أحد القراء أو النساخ والله أعلم .

(٧) « المغلغلة من الرسائل » : المحمولة من بلد إلى بلد . القاموس ( غلل ) وفي الروض (٢٩/٢) : الداخلة إلى أقصى ما يراد ببلوغه منها .

وقد كان عندي للهموم مُعَرَّسٌ<sup>(١)</sup> ولم أقضِ منها حاجتي ومآربي<sup>(٢)</sup>  
 نَبَيْتُكُمْ شَرْجَيْنِ ، كُلَّ قَبِيلَةٍ لها أَزْمَلٌ من بين مُذْكَ وحاطِب<sup>(٣)</sup>  
 أَعِيدُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ ضُنْعِكُمْ وَشَرِّ تَبَاغِيكُمْ ودسَّ العقارب<sup>(٤)</sup>  
 وإظهار أخلاقٍ ونجوى سقيمة فَذَكَّرُهُمْ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ كَوَخَزِ الْأَشَافِي وَقَعُهَا حَقُّ صَائِب<sup>(٥)</sup>  
 وَقُلْ لَهُمْ وَاللَّهُ يُحْكِمُ حُكْمَهُ وإحلال إحرام الطِّبَاءِ الشَّوَاذِبِ<sup>(٦)</sup>  
 متى تبعثوها تبعثوها ذَمِيمَةً ذَرُّوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمْ فِي الْمَرَاكِيبِ<sup>(٧)</sup>  
 تُقَطِّعُ أَرْحَاماً وَتُهْلِكُ أُمَّةً هي الْغَوْلُ لِلْأَقْصَيْنِ أَوْ لِلْأَقَارِبِ<sup>(٨)</sup>  
 وتستبدلوا بِالْأَتْحَمِيَّةِ بَعْدَهَا وَتَبْرِي السَّدِيفَ مِنْ سَنَامٍ وَغَارِبِ<sup>(٩)</sup>  
 وبالمسك والكافور غُبْرًا سَوَابِغًا شَلِيلًا وَأَصْدَاءَ ثِيَابِ الْمُحَارِبِ<sup>(١٠)</sup>  
 فإياكم والحرب لا تَغْلَقَنَّكُمْ كَأَنَّ قَتِيرِيهَا عِيُونَ الْجَنَادِبِ<sup>(١١)</sup>  
 تَزِينُ لِلْأَقْوَامِ ثُمَّ يَرَوْنَهَا وَحَوْضًا وَخَيْمَ الْمَاءِ مُرَّ الْمَشَارِبِ  
 بعاقبة إذ بَيَّنْتُ أُمَّ صَاحِبِ<sup>(١٢)</sup>

(١) « الْمُعَرَّسُ » : المكان الذي ينزله المسافرون آخر الليل للاستراحة . القاموس ( عرس ) .

(٢) قال السهيلي في الروض (٣٠/٢) : نبئتكم شرجين : أي فريقين مختلفين ، ونبئتكم لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ : نبئتكم شرجين ، وهو بَيِّنٌ في المعنى ، وفيه زحاف خرم ، ولكن لا يعاب المعنى بذلك ، وأما لفظ التبيت في هذا البيت فبعيد من معناه . والأزمل : الصوت ، والمذكي : الذي يوقد النار ، والحاطب : الذي يحطب لها . ضرب هذا مثلاً لنار الحرب كما قال الآخر : [من الوافر]

أرى خلل الرماد وميضَ جمرٍ      ويوشك أن يكون لها ضرامُ  
 فإن النار بالعودين تُذَكِّي      وإن الحرب أولها الكلامُ

(٣) « الْإِشْفَى » : المُثَقَّبُ يخرز به . جمعه أشافي القاموس ( شفى ) .

(٤) أي : إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الطباء الشواذب التي تأتيه من بُعد لتأمن فيه فهي شاذبة ، أي ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالطباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم ، وإحرام الطباء : كونها في الحرم ، يقال من دخل في الشهر الحرام ، أو في البلد الحرام : مُخْرَمٌ . الروض (٣٠/٢) .

(٥) « المراحب » : جمع مَرَحَبٍ وهو من الأمكنة الواسع الفسيح انظر اللسان ( رحب ) .

(٦) « الغول » : الهلاك . الروض (٣٠/٢) والشرط الأول من البيت صدر بيت في معلقة زهير : [من الطويل]

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة      وتضر إذا ضريرتموها فتضرم

(٧) « السَّدِيف » : شحم السنام ، والغارب : ما بين السنام والعنق . وتبري : تُهْزَل . القاموس ( سدف ، غرب ، برى ) .

(٨) « الْأَتْحَمِيَّة » : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة . والأصداء : جمع صدأ الحديد . الروض (٣٠/٢) .

(٩) « القتير » : حلق الدرع ، شبهها بعيون الجراد . الروض (٣٠/٢) .

(١٠) قال السهيلي في الروض (٣٠/٢) : هو كقول عمرو بن معديكرب : [من الكامل]

تَحْرِقُ لَا تُشْوِي ضَعِيفاً وَتَنْتَحِي  
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ  
وَكَمْ ذَا أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوِّدٍ  
عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُحَمَّدُ أَمْرُهُ  
وَمَاءٌ هُرِيقٌ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّمَا  
يَخْبِرُكُمْ عَنْهَا أَمْرٌ حَقٌّ عَالِمٍ  
فَبِيعُوا الْحِرَابَ مِلْمُحَارِبٍ وَاذْكُرُوا  
وَلِيَّ أَمْرِيءٍ فَاخْتَارَ دِيناً فَلَا يَكُنْ  
أَقِيمُوا لَنَا دِيناً خَنيفاً فَانْتَمُوا  
وَأَنْتُمْ لِهَذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ  
وَأَنْتُمْ إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ جَوْهَرٌ  
تَصُونُونَ أَجْسَاماً كِرَاماً عَتِيقَةً  
يَرَى طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ بَيوتِكُمْ  
لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ سَرَاتِكُمْ  
وَأَفْضَلُهُ رَأياً وَأَعْلَاهُ سُنَّةً

ذَوِي الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ<sup>(١)</sup>  
فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبٍ حَاطِبٍ  
طَوِيلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبٍ  
وَذِي شَيْمَةٍ مَخْضٍ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ<sup>(٢)</sup>  
أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ<sup>(٣)</sup>  
بِأَيَّامِهَا وَالْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ  
حِسَابِكُمْ وَاللَّهُ خَيْرُ مُحَاسِبٍ  
عَلَيْكُمْ رَقِيباً غَيْرَ رَبِّ الثَّوَابِ<sup>(٤)</sup>  
لَنَا غَايَةٌ ، قَدْ يُهْتَدَى بِالدَّوَائِبِ  
تَوْثُونُ وَالْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ  
لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ شُمُّ الْأَرَانِبِ  
مَهْدَبَةُ الْأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ  
عَصَائِبَ هَلَكَى تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الْجَبَابِجِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَقُولُهُ لِلْحَقِّ وَسُطِّ الْمَوَاقِبِ

الحرب أول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول  
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزاً غير ذات خليل  
شمطاء جزت رأسها فتنكرت مكروهة للشم والتقييل

فقوله أم صاحب : أي عجوزاً كأم صاحب لك ، إذ لا يصحب الرجل إلا رجلاً في سنه .

- (١) « لا تُشوي » : لا تخطيء في قتلها . وتنتحي : تقصد . القاموس ( شوي ، نحي ) .
- (٢) « كريم المضارب » : وفي حاشية الشيخ : لعله الضرائب . يريد جميع ضريبة ( الطبيعة ) ، ولا يبعد أيضاً أن يكون قال : المضارب . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ، ولا راجعة عليه إلا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم . الروض (٣١/٢) .
- (٣) ويروى في الضلال جمع صِلَّة ، وهي الأرض التي لا تمسك الماء . أي رب ماء هريق في الضلال من أجل السراب ، لأنه لا يهريق ماء من أجل السراب إلا ضال غير مميز بمواضع الماء . وأذاعت به : أي بددته فلم ينتفع به . وهذا مثل ضربه للنظر في عواقب الأمور . ويروى : وما أهريق في أمر . ومعناه والذي أهريق في أمر الضلال ، فوصل ألف القطع ضرورة . الروض (٣١/٢) .
- (٤) أي هو وليّ امرئ اختار ديناً ، والفاء زائدة . الروض (٣١/٢) .
- (٥) « الجبابج » : منازل منى ، وقيل هي حفر بمنى يجمع فيها دم البُدن ، والهدايا ، والعرب تعظمها وتفخر بها . الروض (٣١/٢) .

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا      بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ<sup>(١)</sup>  
 فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ وَمِصْدَقٌ      غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكِتَائِبِ<sup>(٢)</sup>  
 كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تُمَسِّي وَرَجُلُهُ      عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُؤُوسِ الْمَنَاقِبِ<sup>(٣)</sup>  
 فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّاهُمْ      جُنُودَ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ<sup>(٤)</sup>  
 فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِينَ وَلَمْ يَوُثُّ      إِلَى أَهْلِهِ مِلْحُوشٍ غَيْرُ عَصَائِبِ  
 فَإِنْ تَهَلَّكُوا نَهْلِكُ وَتَهْلِكُ مَوَاسِمٌ      يُعَاشُ بِهَا ، قَوْلُ امْرِئٍ غَيْرِ كَاذِبِ<sup>(٥)</sup>

وَحَزْبٌ دَاخِسُ الذِّي<sup>(٦)</sup> ذَكَرَهَا أَبُو قَيْسٍ فِي شِعْرِهِ كَانَتْ فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ مَشْهُورَةً ، وَكَانَ سَبَبُهَا فِيمَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمُرُ بْنُ الْمُثَنَّى وَغَيْرُهُ : أَنَّ فَرَساً يُقَالُ لَهُ دَاخِسٌ ، كَانَتْ لَقَيْسِ بْنِ زَهِيرِ بْنِ جَذِيمَةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْغَطَفَانِيِّ ، أَجْرَاهُ مَعَ فَرَسٍ لِحُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَوْثَةَ<sup>(٧)</sup> الْغَطَفَانِيِّ أَيْضاً ، يُقَالُ لَهَا الْغُبْرَاءُ ، فَجَاءَتْ دَاخِسُ سَابِقاً ، فَأَمَرَ حُذَيْفَةُ مِنْ ضَرْبِ وَجْهَيْهَا ، فَوُثِبَ مَالِكُ بْنُ زَهِيرٍ فَلَطَمَ وَجْهَ الْغُبْرَاءِ ، فَقَامَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ فَلَطَمَ مَالِكاً ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا جُنَيْدٍ الْعَبْسِيَّ لَقِيَ عَوْفَ بْنَ حُذَيْفَةَ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ لَقِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ مَالِكاً فَقَتَلَهُ ، فَشَبَّتِ الْحَرْبُ بَيْنَ بَنِي عَبْسٍ وَفِزَارَةَ ، فَقُتِلَ حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ وَأَخُوهُ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ وَجَمَاعَاتٌ آخَرُونَ ، وَقَالُوا فِي ذَلِكَ أَشْعَاراً كَثِيرَةً يَطُولُ بَسْطُهَا وَذَكَرَهَا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ<sup>(٨)</sup> : وَيُقَالُ : أَرْسَلَ قَيْسٌ دَاخِساً وَالْغُبْرَاءَ ، وَأَرْسَلَ حُذَيْفَةُ الْخَطَّارَ وَالْحَنْفَاءَ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ . قَالَ : وَأَمَّا حَزْبُ حَاطِبٍ فَيَعْنِي حَاطِبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ هَيْشَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ . كَانَ قَتَلَ يَهُودِيّاً جَاراً لِلخَزْرَجِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ يَزِيدُ<sup>(٩)</sup> بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَحْمَرَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ [ مَالِكِ بْنِ كَعْبِ ]<sup>(١٠)</sup>

(١) « الْأَخَاشِبُ » : جَمْعُ أَخَشَبٍ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْخَشَنُ الْعَظِيمُ . وَالْأَخْشَبَانِ : جَبَلَا مَكَّةَ أَبُو قَيْسٍ وَالْأَحْمَرُ . الْقَامُوسُ : ( خَشَبٌ ) .

(٢) « أَبُو يَكْسُومَ » : صَاحِبُ الْفِيلِ الْمَذْكُورِ فِي التَّنْزِيلِ . الْقَامُوسُ ( كَسَمَ ) .

(٣) كَذَا فِي ح ، ط : الْقَاذِفَاتِ . وَلَعَلَّ الصَّوَابَ : الْقَذْفَاتِ . وَهِيَ مَا أَشْرَفَ مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَاحْدَتُهَا قَذْفَةٌ كَقُرْفَةٍ . وَالْمَنَاقِبُ : الْجَبَلُ فِيهِ ثَنَاءٌ . اللَّسَانُ ( قَذَفَ ، نَقَبَ ) .

(٤) « السَّافِي » : الَّذِي يَرْمِي بِالتَّرَابِ ، وَالْحَاصِبُ الَّذِي يَقْذِفُ بِالْحَصْبَاءِ . الرُّوضُ ( ٢ / ٣١ ) .

(٥) فِي هَامِشٍ ح عِنْدَ نَهَايَةِ الْقَصِيدَةِ مَا نَصَّهُ : بَلِغْ مَقَابِلَةَ عَلَى الْأَصْلِ الْمَعْتَمَدِ الْمَوْقُوفِ بِشَيْخُو .

(٦) كَذَا فِي ح ، ط وَالْحَرْبُ مُؤَنَّثَةٌ وَقَدْ تَذَكَّرَ .

(٧) فِي ط : جَوْثَةُ ، وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : جَوْثَةُ . وَالْمُثَبِّتُ مِنَ الْإِكْمَالِ ( ٢ / ١٧٠ ) مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ .

(٨) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ( ١ / ٢٨٧ ) وَالرُّوضُ ( ٢ / ٢٠ ) .

(٩) فِي ط : زَيْدٌ . وَالْمُثَبِّتُ مِنَ السَّيْرِ وَشَرَحَ الْقَامُوسُ مَادَّةَ فَسَحَمَ .

(١٠) لَيْسَ مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَيْنِ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَلَا الرُّوضِ وَلَا جَمْهَرَةِ الْأَنْسَابِ لِابْنِ حَزَمٍ ( ص ٣١٢ ، ٣١٣ ) فِي تَرْجُمَتِهِ ، وَلَعَلَّهُ زَيْدٌ وَهَمَاءُ .

ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وهو الذي يقال له ابن فُسْحَم<sup>(١)</sup> في نفرٍ من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه ، ف وقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الظفر للخزرج ، وقتل يومئذ سُويد بن الصامت الأوسي ، قتله المُجَذَّر بن زياد ، حليفُ بني عوف بن الخزرج ؛ ثم كانت بينهم حروب يطول ذِكْرُها أيضاً .

والمقصود أن أبا قيس بن الأُسَلْت مع علمه وفهمه لم ينتفع بذلك حين قدم مصعب بن عمير المدينة ودعا أهلها إلى الإسلام ، فأسلم من أهلها بشرٌ كثير ولم يبق دارٌ - أي محلة - من دور المدينة إلا وفيها مسلم ومسلمات غير دارِ بني واقف قبيلة أبي قيس ، ثَبَطَهم عن الإسلام ، وهو القائل أيضاً : [ من الوافر ]

أربَّ الناسِ أشياءَ المَّتْ      يُلَفُّ الصَّعْبُ منها بالذَّلُولِ  
أربَّ الناسِ أمّا إذ ضَلَلْنَا      فَيَسِّرُنَا لمعروفِ السَّيْلِ<sup>(٢)</sup>  
فلولا ربُّنا كنّا يهوداً      وما دينُ اليهودِ بذِي سُكُولِ<sup>(٣)</sup>  
ولولا ربُّنا كنّا نصارى      مع الرُّهبانِ في جَبَلِ الجَلِيلِ<sup>(٤)</sup>  
ولكنّا خلَقْنَا إذ خُلِقْنَا      حنيفاً ديننا عن كلِّ جِيلِ  
نسوقُ الهدْيَ ترسِفُ مُذْعِنَاتِ      مكشَفَةِ المناكبِ في الجُلُولِ<sup>(٥)</sup>

وحاصلُ ما يقول أنه حائرٌ فيما وقع من الأمر الذي قد سمعه من بعثة رسول الله ﷺ فتوقّف الواقفي في ذلك مع علمه ومعرفته . وكان الذي ثَبَطَه عن الإسلام أولاً عبدُ الله بن أبيّ بن سلُول ، بعد ما أخبره أبو قيس أنه الذي بشر به يهود ، فمنعه عن الإسلام .

قال ابنُ إسحاق : ولم يسلم إلى يوم الفتح هو وأخوه وخرج .

وأنكر الزُّبَيْر بن بَكَّار أن يكون أبو قيس أسلم . وكذا الواقدي<sup>(٦)</sup> ، قال :

(١) في ط : قسحَم . بالقاف تصحيف ، والمثبت من القاموس وشرحه : وفصحم أمّه ، ومعناه : الواسع الصدر .

(٢) في ح ، ط : إمّا أن ضلَلْنَا . والمثبت من السيرة والروض .

(٣) أراد جمع شَكْل ، وشَكْل الشيء - بالفتح - هو مثله ، والشَكْل بالكسر : الدَّلُّ والحُسْن ، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له شكول أي : ليس له نظير في الحقائق ؛ ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول . الروض (٢/٢٠٠) .

(٤) الجليل بالجمع الثُّمام ، وهذا الجبل من جبال الشام معروف . الروض (٢/٢٠٠) .

(٥) « ترسف » : تمشي مشي المقيّد . الجلول : مفردها جل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . القاموس ( رسف ، جلل ) . والأبيات في سيرة ابن هشام (١/٤٣٨) والروض (٢/١٨٧) وما عدا الأول برواية مختلفة في طبقات ابن سعد (٤/٣٨٥) .

(٦) رواية الواقدي بأطول مما هنا في طبقات ابن سعد (٤/٣٨٣ - ٣٨٥) .



كَانَ عَزَمَ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلَ مَا دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَامَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ، فَحَلَفَ لَا يَسْلَمُ إِلَى حَوْلِ فَمَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُهُ فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ : « أَسَدُ الْغَابَةِ »<sup>(١)</sup> أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ فَسَمِعَ<sup>(٢)</sup> يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : « يَا خَال ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَقَالَ : أَخَالُ أُمِّ عَمٍّ ؟ قَالَ : « لَا ، بَلْ خَال » قَالَ : فَخَيْرَ لِي أَنْ أَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » .

تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَذَكَرَ عِكْرَمَةُ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ لَمَّا تُوفِّيَ أَرَادَ ابْنُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ كُبَيْشَةَ بِنْتَ مَعْنِ بْنِ عَاصِمٍ ، فَسَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٥)</sup> وَسَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ فِي « مَغَازِيهِ » : كَانَ أَبُو قَيْسٍ هَذَا قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَبَسَ الْمَسْوَحَ ، وَفَارَقَ الْأَوْثَانَ ، وَاغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَتَطَهَّرَ مِنَ الْحَائِضِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَهَمَّ بِالنَّصْرَانِيَّةِ ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْهَا ، وَدَخَلَ بَيْتًا لَهُ فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ حَائِضٌ وَلَا جُنُبٌ . وَقَالَ : أَعْبُدُ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ فَارَقَ الْأَوْثَانَ وَكَرِهَهَا ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمَ ، فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَكَانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ ، مَعْظَمًا لِلَّهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارًا حَسَنًا وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ : [ مِنَ الطَّوِيلِ ]

يَقُولُ أَبُو قَيْسٍ وَأَصْبَحَ غَادِيًا      أَلَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَاتِي فافْعَلُوا

(١) أَسَدُ الْغَابَةِ (٥/ ٢٧٨) .

(٢) فِي ح : فَسَمِعَهُ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ ط وَأَسَدُ الْغَابَةِ .

(٣) فِي مُسْنَدِهِ (٣/ ١٥٤) رَقْمُ (١٢٥٠١) وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ الْآيَةُ (٢٢) . قُلْتُ : رَوَايَةُ عِكْرَمَةَ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (٤/ ٣١٨) تَقُولُ : إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي قَيْسٍ نَفْسَهُ خَلْفَ عَلَى أُمِّ عُبَيْدِ بِنْتِ ضَمْرَةَ ، كَانَتْ تَحْتَ الْأَسْلَتِ أَبِيهِ . أَمَّا رَوَايَةُ غَيْرِهِ الَّتِي تَعَزَّوْهَا لِابْنِهِ قَيْسٍ فَقَدْ أَخْرَجَهَا الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ (٧/ ١٦١) عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ . وَأَخْرَجَهَا أَيْضًا الْفَرِيَابِيُّ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالتَّبْرَانِيُّ كَمَا ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْتُورِ (٢/ ٤٦٨) وَذَكَرَ رَوَايَةَ عِكْرَمَةَ أَيْضًا ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ تَرْجُمَةً كَبِشَةَ هَذِهِ إِذْ يُقَالُ لَهَا كَبِشَةُ وَكُبَيْشَةُ وَقَالَ : أَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى الْمُسْتَعْفَرِيُّ .

(٥) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٥١٠) قُلْتُ : ابْنُ إِسْحَاقَ يَسُوقُ هَذَا الْخَبَرَ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَعَزُّو الشَّعْرَ إِلَى أَبِي قَيْسٍ صِرْمَةَ بْنِ أَبِي أَنَسٍ لَا إِلَى أَبِي قَيْسٍ بْنِ الْأَسْلَتِ ، وَلَا أَدْرِي سَبَبَ هَذَا الْخَلْطِ بَيْنَ الشَّاعِرِينَ وَالَّذِي نَبِهْتُ عَلَيْهِ سَابِقًا ، وَإِنِّي لَأَسْتَعِيدُ أَنْ يَكُونَ وَضْعُ هَذِهِ الْفَقْرَةِ هُنَا مِنْ صَنْعِ ابْنِ كَثِيرٍ بِدَلَالَةِ ذِكْرِهِ اسْمَ صِرْمَةَ فِي الصَّفْحَةِ الْآتِيَةِ بَعْدَ هَذِهِ ، فَحَقُّ هَذِهِ الْأَشْعَارِ إِذَا أَنْ يَكُونَ مَحَلُّهَا فِيمَا سَيَأْتِي بَعْدَ الْهَجْرَةِ كَمَا سَاقَاهَا ابْنُ هِشَامٍ فِي السَّيْرَةِ (١/ ٥١٠ - ٥١٢) . وَرَبَّمَا كَانَتْ قَدْ سَقَطَتْ مِنْ هُنَاكَ فَأَعِيدَ وَضَعُهَا إِلَى هُنَا عَلَى يَدِ أَحَدِ النَّاسِخِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَأَوْصِيَكُمْ بِاللَّهِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى  
وَأَنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلَا تَحْسُدْنَهُمْ  
وَأَنْ نَزَلْتُ إِحْدَى الدَّوَاهِي بِقَوْمِكُمْ  
وَأَنْ نَابَ غُزْمٌ فَادَخُ فَارْفُقُوهُمْ  
وَأَنْ أَنْتُمْ مَعَزْتُمْ<sup>(١)</sup> فَتَعَقَّفُوا

وقال أبو قيس أيضاً : [ من الخفيف ]

سَبَّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ  
عَالَمُ السَّرِّ وَالْبَيَانِ جَمِيعاً  
وَلَهُ الطَّيْرُ تَسْتَرِيدُ وَتَأْوِي  
وَلَهُ الْوَحْشُ بِالْفَلَاةِ تَرَاهَا  
وَلَهُ هَوْدَتُ يَهُودُ وَدَانَتْ  
وَلَهُ شَمْسُ النَّصَارَى وَقَامُوا  
وَلَهُ الرَّاهِبُ الْحَبِيسُ تَرَاهُ  
يَا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَقْطَعُوهَا  
وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَافِ الْيَتَامَى  
وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْيَتِيمِ وَلِيّاً  
ثُمَّ مَالُ الْيَتِيمِ لَا تَأْكُلُوهُ

طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلُّ هَلَالٍ  
لَيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بَضَلَالٍ  
فِي وَكُورٍ مِنْ أَمْنَاتِ الْجِبَالِ<sup>(٢)</sup>  
فِي حِقَافٍ وَفِي ظِلَالِ الرَّمَالِ<sup>(٣)</sup>  
كُلُّ دِينَ مَخَافَةٌ مِنْ عُضَالٍ  
كُلُّ عِيدٍ لِرَبِّهِمْ وَاحْتِفَالٍ<sup>(٤)</sup>  
رَهْنٌ بِؤْسٍ وَكَانَ نَاعِمَ بَالٍ<sup>(٥)</sup>  
وَصَلُّوْهَا قَصِيرَةً مِنْ طَوَالٍ<sup>(٦)</sup>  
وَبِمَا<sup>(٧)</sup> يُسْتَحَلُّ غَيْرُ الْحَلَالِ  
عَالِماً يَهْتَدِي بِغَيْرِ سَوَالٍ  
إِنَّ مَالَ الْيَتِيمِ يَرْعَاهُ وَالْي

(١) في ط : أمعزتم ، وفي السيرة : أمعرتم . براء مهملة ومعناه : افتقرتم ، والمثبت من ح وهو بمعناه .

(٢) « تستريد » : تطلب مواضع الكلا . القاموس ( كلا ) .

(٣) « الحقاف » : جمع حَقَف ، وهو ما اعوجَّ من الرمل . القاموس ( حقف ) .

(٤) « شمسُ النصارى » : يعني دين الشماسية ، وهم الرهبان لأنهم يشمسون أنفسهم ، يريدون تعذيب النفوس بذلك في زعمهم . الروض ( ٢٨٨ / ٢ ) .

(٥) في ط : أنعم . والمثبت من ح وسيرة ابن هشام .

(٦) قصيرة من طوال : فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد صلوا قصرها من طولكم ، أي : كونوا أنتم طوالاً بالصلة والبر إن قصرتم هي . وفي الحديث : « أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً » . أراد الطول بالصدقة والبر ، فكانت صفة زينب بنت جحش . والتأويل الآخر أن يريد مدحاً لقوله بأن أرحامهم قصيرة النسب ، ولكنها من قوم طوال كما قال :

أحب من النسوان كل طويلة لها نسب في الصالحين قصير

الروض الأنف ( ٢٨٨ / ٢ )

(٧) في السيرة : ربما . وهو أشبه .

يَا بَنِي التُّخُومِ لَا تَجْزِلُوهَا      إِنَّ جَزَلَ التُّخُومِ ذُو عُقَّالٍ<sup>(١)</sup>  
يَا بَنِي الْأَيَّامِ لَا تَأْمَنُوهَا      واحذروا مكرها ومَرَّ الليالي  
واعلموا أَنَّ مُرَّهَا لِنَفَادِ الْ      خَلْقِ مَا كَانَ فِي جَدِيدِ وَبَالِ  
واجمعوا أَمْرَكُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقَى      سَوَى وَتَرْكِ الْخَنَاءِ وَأَخْذِ الْحَلَالِ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال أبو قيس صرمة<sup>(٣)</sup> أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصَّهم به من نزول رسول الله ﷺ عندهم . [ من الطويل ]

ثوى في قريشٍ بضعَ عشرةَ حجةً      يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِياً  
وسياتي ذكرها بتمامها فيما بعد إن شاء الله وبه الثقة .

### قصة بيعة العقبة الثانية<sup>(٤)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ثم إنَّ مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين مع حُجَّاج قومهم من أهل الشُّرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم [ ما أراد ] من كرامته ، والنَّصر لِنَبِيِّهِ ، وإعزاز الإسلام وأهله [ وإذلال الشُّرك وأهله ] .

فحدَّثني معبد بن كعب بن مالك أنَّ أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدَّثه أنَّ أباه كعباً حدَّثه - وكان ممن شهد العقبة وباع رسولَ الله ﷺ بها - قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا من المشركين ، وقد صلَّينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيِّدنا وكبيرنا ، فلما وجَّهنا لسفَرنا ، وخرجنا من المدينة قال البراء : يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ أن لا أدعَ هذه البنيةَ مني بظَهْر - يعني الكعبة - وأنَّ أصليَّ إليها . قال : فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصليَّ إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه . فقال : إنِّي لمصلِّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلَّينا إلى الشام وصلَّى هو إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال وقد كنَّا عبنا

(١) « التُّخوم » : حدود البلاد والقرى ، والعقال : ما يمنع الرَّجُلَ من المشي ويعقلها . يريد أن الظُّلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق ، ويحبسه في مضايق الاحتقاق . الروض (٢/ ٢٨٨) وفي السيرة والروض : لا تخزلوها ... خزل . بالخاء المعجمة ، ومعناه : لا تقطعوها ، وكلا الروايتين بمعنى .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/ ٥١٢) والروض (٢/ ٢٥٥) .

(٣) سقطت هذه اللفظة من ح وهي في ط وسيرة ابن هشام . ولعل سقوطها من ح عن عمد لتوافق سياق الأبيات لأبي قيس بن الأسلت . كما تقدم في الصفحة السابقة .

(٤) سقطت هذه اللفظة من ح .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٣٨) والروض (٢/ ١٨٧) وما يأتي بين معقوفين منهما .

عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ، فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسأله عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه قد وقع في نفسي منه شيء لما رأيتُ من خلافكم إِيَّاي فيه . قال : فخرجنا نسألُ عن رسول الله ﷺ - وكُنَّا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك - فلَقِينَا رجلاً من أهل مكة فسألناه عن رسول الله ﷺ قال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تعرفانِ العباسَ بن عبد المطلب عمَّه ؟ قال : قلنا نعم - وقد كُنَّا نعرفُ العباس ، كان لا يزال يقدم علينا تاجراً - قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . قال : فدخلنا المسجد وإذا العباسُ جالسٌ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ معه ، فسَلَّمْنَا ثم جلسنا إليه ، فقال رسولُ الله ﷺ للعباس : « هل تعرفُ هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ » قال : نعم هذا البراءُ بن مَعْرُور سيدُ قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله ﷺ : « الشاعر » ؟ قال : نعم . فقال له البراءُ بن معرور : يا نبيَّ الله ، إني خرجتُ في سفري هذا ، قد هداني الله تعالى للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعلَ هذه البنيةَ مني بظُهر ، فصلَّيتُ إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : « قد كنتَ على قبلةٍ لو صبرتَ عليها » قال : فرجع البراءُ إلى قبلةِ رسولِ الله ﷺ فصلَّى معنا إلى الشام . قال : وأهله يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال كعب بن مالك : ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها<sup>(١)</sup> ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حزام أبو جابر ، سيدٌ من ساداتنا ، أخذناه وكُنَّا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلَّمناه وقلنا له : يا أبا جابر إنك سيدٌ من ساداتنا ، وشريفٌ من أشرافنا ، وإننا نرغبُ بك عما أنت فيه أن تكونَ خطباً للنار غداً ، ثم دعواناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسولِ الله ﷺ إِيَّانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

وقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> : حدَّثني إبراهيم ، حدَّثنا هشام ، أنَّ ابنَ جُرَيْج أخبرهم ، قال عطاء : قال جابر : أنا وأبي وخالي<sup>(٣)</sup> من أصحاب العقبة .

قال عبد الله بن محمد : قال ابنُ عيينة : أحدهم البراءُ بن مَعْرُور .

(١) في ط : فيها ، والمثبت من ح والسيرة .

(٢) في صحيحه ، فتح الباري (٣٨٩١) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة .

(٣) رواية البخاري : خالاي . وقال ابن حجر في الفتح (٢٢٢/٧) : ووقع عند ابن التين : وخالي . بغير ألف وتشديد التحتانية وقال : لعل الواو واو المعية أي مع خالي ، ويحتمل أن يكون بالإفراد بكسر اللام وتخفيف الباء . وقال الدمياطي : أم جابر هي أنيسة بنت غنمة بن عدي ، وأخواها ثعلبة وعمرو وهما خالا جابر ، وقد شهدا العقبة الأخيرة ؛ وأما البراء فليس من أحوال جابر ، قلت ( القائل بن حجر ) : لكن من أقارب أمه وأقارب الأم يسمون أخواً مجازاً .

وحدثنا علي بن المديني<sup>(١)</sup> ، حدثنا سفيان قال : كان عمرو يقول : سمعت جابر بن عبد الله يقول : شهد بي خالاي العقبة .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم ، بعكاظ ومجنة ، وفي المواسم يقول : « مَنْ يُؤويني ؟ مَنْ يَنْصُرُنِي ؟ حَتَّى أبلغَ رسالةَ رَبِّي وله الجنة » [ فلا يجدُ أحداً يؤويه ولا ينصره ]<sup>(٣)</sup> ، حتى إنَّ الرجلَ ليخرجُ من اليمن أو من مضر<sup>(٤)</sup> - كذا قال فيه - فيأتيه قومه [ وذوو رحمة ] فيقولون : احذر غلام قريش لا يفتنك ، ويمشي<sup>(٥)</sup> بين رجالهم<sup>(٦)</sup> ، وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله إليه من يثرب ، فأويناه وصدّقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رهطٌ من المسلمين يُظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً ، فقلنا : حتى متى نتركُ رسولَ الله ﷺ يُطردُ في جبال مكة ويخاف ؟ فرحل إليه منّا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها<sup>(٧)</sup> ، من رجل ورجلين حتى توافقنا فقلنا : يا رسولَ الله ، علامَ نبايعك ؟ قال : « تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمتُ عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة » . فقمنا إليه [ فبايعناه ] ، وأخذ بيده أسعدُ بن زُرارة - وهو من أصغرهم - وفي رواية البيهقي : وهو أصغر السبعين إلا أنا<sup>(٨)</sup> . فقال : رويداً يا أهل يثرب ، فإننا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحنُ نعلم أنه رسولُ الله ﷺ ، وأنَّ إخراجَهُ اليوم مفارقةُ العرب<sup>(٩)</sup> كافّة ، وقتلُ خياركم و[ أن ] تعصّكم السيوف ، فإما أنتم قومٌ تصبرون على ذلك فخذوه وأجرُكم على الله ، وإمّا أنتم قومٌ تخافون من أنفسكم خيفة فذروه<sup>(١٠)</sup> . فبيّنوا ذلك ، فهو أعذرُ لكم عند الله . قالوا : أمط عنا<sup>(١١)</sup> يا أسعد

(١) وهي الرواية الثانية للحديث عند البخاري فتح (٣٨٩٠) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة .

(٢) في مسنده (٣/ ٣٢٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٣) ليس ما بين المعقوفين في ح ولا في مسند أحمد في هذه الرواية ، وهو من الرواية الثانية عند أحمد والبيهقي الآتي ذكرها .

(٤) في ح : مصر . بصاد مهملة .

(٥) في ط : ويمضي . والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٦) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : رجالهم بجيم .

(٧) في مسند أحمد : عليه .

(٨) ما بين معترضين من رواية البيهقي في الدلائل (٤٤٣/ ٢) . وقوله : إلا أنا . يعني جابرٌ وهو راوي الخبر .

(٩) في ط : مناواة للعرب . والمثبت من ح ومسند أحمد .

(١٠) كذا في ط ، وفي مسند أحمد : جينة ، وسقطت الكلمتان من ح .

(١١) في ط : أبط تصحيف ، والمثبت من ح والمسند ، وفي النهاية لابن الأثير : أمط عنا : أي ابعد .

فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ، ولا نسلبها<sup>(١)</sup> أبداً . قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً - والبيهقي<sup>(٢)</sup> من طريق داود بن عبد الرحمن العطار ، زاد البيهقي عن الحاكم - بسنده إلى يحيى بن سليم ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير<sup>(٣)</sup> ، به نحوه . وهذا إسناد على شرط مسلم<sup>(٤)</sup> ولم يخرجوه .

[ وقال البزار<sup>(٥)</sup> : وروى غير واحد عن ابن خثيم ولا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوج<sup>(٦)</sup> ] .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن موسى بن عقبة<sup>(٨)</sup> ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : كان العباس أخذاً بيد رسول الله ﷺ ورسول الله يواثقنا ، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ : « أخذتُ وأعطيت » .

وقال البزار<sup>(٩)</sup> : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان - هو الثوري - عن جابر - يعني الجعفي - وداود<sup>(١٠)</sup> - وهو ابن أبي هند - عن الشعبي ، عن جابر - يعني ابن عبد الله - قال : قال رسول الله ﷺ للنقباء من الأنصار : « تؤووني وتمنعوني ؟ » قالوا : نعم ، فما لنا ؟ قال : « الجنة » .

ثم قال<sup>(١١)</sup> : لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد عن جابر .

ثم قال ابن إسحاق<sup>(١٢)</sup> ، عن معبد ، عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك ، قال : فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القفا مُستخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نساءنا :

(١) في ح : ولا نستقبلها ، وهي رواية البيهقي وفيه : نستقبلها . بالموحدة تصحيف .

(٢) مسند أحمد (٣/٣٣٩) ودلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٤٢) .

(٣) في ط : عن أبي إدريس . تحريف ، والمثبت من ح ومسند أحمد ودلائل البيهقي .

(٤) في ط : « إسناد جيد على شرط مسلم » ، وما أثبتناه من ح ، وهو الأصوب .

(٥) قول البزار هذا في كشف الأستار للهيثمي (٢/٣٠٨) وأخرجه أيضاً فيه (١٧٥٦) الهجرة والمغازي باب البيعة على الحرب .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في ح ، ولعلها ملاحظة كتبت على الهامش فدخلت النص .

(٧) في المسند (٣/٣٩٦) ، وإسناده حسن .

(٨) في ط : موسى بن عبد الله . تحريف ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمة موسى بن عقبة في تهذيب الكمال (١١٥/٢٩) .

(٩) في كشف الأستار (١٧٥٥) الهجرة والمغازي باب البيعة على الحرب .

(١٠) في ط : عن داود . تحريف ، والمثبت من ح وكشف الأستار .

(١١) يعني البزار .

(١٢) في سيرة ابن هشام (١/٤٤١) .

نُسِية بنتُ كعب أمُّ عمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النَجَّار ، وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي ، إحدى نساء بني سَلَمَة ، وهي أمُّ مَنيع .

وقد صرَّح ابنُ إسحاق في رواية يونس بن بُكير عنه بأسمائهم وأنسابهم ، وما ورد في بعض الأحاديث أنهما كانوا سبعين ، فالعرب كثيراً ما تحذف الكسر .

وقال عروة بن الزبير وموسى بن عقبة<sup>(١)</sup> : كانوا سبعين رجلاً ، وامرأة واحدة . قال : منهم أربعون من ذوي أسنانهم ، وثلاثون من شبابهم . قال : وأصغرهم أبو مسعود ، وجابر بن عبد الله .

[ وقول محمد بن إسحاق : إنهم خمسة وسبعون أثبت ]<sup>(٢)</sup> .

قال كعب بن مالك<sup>(٣)</sup> : فاجتمعنا في الشَّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دينِ قومه ، إلا أنه أحبُّ أن يحضرَ أمرَ ابنِ أخيه ويتوثَّقَ له ، فلما جلس كان أوَّلَ متكلِّمٍ العباسُ بن عبد المطلب فقال : يا معشر الخزرج - قال : وكانت العرب إنما يسمُّون هذا الحيَّ من الأنصار الخزرجَ خزرجها وأوسها - : إنَّ محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم والحقَّ بكم ، فإن كنتم ترؤن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك ؛ وإن كنتم ترؤن أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده . قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلَّم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربِّك ما أحببت .

قال : فتكلَّم رسولُ الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورعَّب في الإسلام . قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم » قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم . فوالذي بعثك بالحق لمنعناك مما نمنع منه أُرزنا<sup>(٤)</sup> : فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة<sup>(٥)</sup> ، ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التَّيهان فقال : يا رسول الله ، إنَّ بيننا وبين الرجال حباً وإناً قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيَت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ثم قال : « بل الدَّم الدَّم ، والهَدَم

(١) روايتهما في دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٥٤) .

(٢) سقط ما بين المعقوفين من ط .

(٣) رجع الحديث إلى رواية ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/٤٤١) .

(٤) « أُرزنا » : أي نساءنا وأهلنا ، كُنَّ عنهنَّ بالأزر . وقيل أراد أنفسنا ، وقد يكتنى عن النفس بالإزار ، ومنه حديث

عمر : كتب إليه من بعض البعوث أبيات في صحيفة منها :

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فدى لك من أخي ثقة إزارى

أي أهلي ونفسي . النهاية لابن الأثير (١/٤٥) .

(٥) « الحلقة » : أي السلاح . النهاية لابن الأثير (١/٤٢٧) .

الْهَدْمُ<sup>(١)</sup> ، أنا منكم وأنتم مني ، أحاربُ مَنْ حاربتُمْ وأسألمُ مَنْ سألمتُمْ » .

قال كعب : وقد قال رسولُ الله ﷺ : « أخرجوا إليَّ منكم اثني عشرَ نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا منهم اثني عشرَ نقيباً ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وهم أبو أمامة أسعد بن زُرارة المتقدم ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس [ بن عمرو بن امرئ القيس ]<sup>(٣)</sup> بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، ورافع بن مالك بن العجلان المتقدم ، والبراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة ، وعبادة بن الصامت المتقدم ، وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن [ أبي ] حزيمة<sup>(٤)</sup> بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج .

فهؤلاء تسعة من الخزرج ، ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد بن حُضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، وسعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النخاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، ورفاعة بن عبد المنذر بن زئبر<sup>(٥)</sup> بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

(١) « الْهَدْمُ » : يُروى بسكون الدال وفتحها ، فالهَدَمَ بالتحريك : القَبْرُ ، يعني أني أقبر حيث تقبرون ، أو هو كحديث الآخر : « المحيا محياكم والممات مماتكم » أي لا أفارقكم . والهَدْمُ بالسكون والفتح أيضاً : هو إهدار دم القتل ، يُقال : دماؤهم بنهم هَدَمَ : أي مُهْدَرَةٌ . والمعنى : إن طُلبَ دَمُكُمْ فقد طُلبَ دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف للعرب ، يقولون : دمي دمك وهدمي هدمك ، وذلك عند المعاهدة والنصرة . النهاية لابن الأثير (٢٥١/٥) والروض (٢٠٢/٢) .

(٢) سيرة ابن هشام (٤٤٣/١) والروض (١٨٩/٢) .

(٣) ما بين معقوفين من سيرة ابن هشام والروض .

(٤) في ط : خزيمة تصحيف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام وشرح السيرة لأبي ذر ، والإكمال (١٤١/٣) وضبطه : أوله حاء مهملة مفتوحة بعدها زاي مكسورة وقال : أبو ثابت أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وأحد النقباء الاثني عشر .

(٥) في ط : زنير ، وفي السيرة والروض : زبير . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من ح والإكمال (١٦٧/٤) وضبطه فيه : زنبر بفتح الزاي وبعدها نون ساكنة وباء مفتوحة .



قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التّيهان بدّل رفاة هذا .

وهو كذلك في رواية يونس ، عن ابن إسحاق . واختاره السّهيلى وابن الأثير في « أسد الغابة »<sup>(٢)</sup>

ثم استشهد ابن هشام<sup>(٣)</sup> على ذلك بما رواه عن أبي زيد الأنصاري فيما ذكره من شعر كعب بن مالك

في ذكر النّقاء الاثني عشر هذه الليلة - ليلة العقبة الثانية - حين قال : [ من الطويل ]

أبلغ أَيْباً أَنَّهُ قَالَ رَأْيُهُ      وُحَانَ غَدَاةَ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَقَعُ<sup>(٤)</sup>  
أَبَى اللَّهُ مَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ      بمرصادٍ أَمْرٍ النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعُ  
وَأَبْلَغُ أَبَا سَفْيَانَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا      بِأَحْمَدِ نَوْرٍ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعُ  
فَلَا تَرْغَبْنِ فِي حَشْدِ أَمْرِ تُرِيدُهُ      وَأَلْبٌ وَجَمْعٌ كُلٌّ مَا أَنْتَ جَامِعُ  
وَدُونَكَ فاعْلَمْ أَنَّ نَقَضَ عَهودِنَا      أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَتَابَعُوا  
أَبَاهُ الْبِرَاءِ وَابْنُ عَمْرٍو كِلَاهُمَا      وَأَسْعَدُ يَأْبَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعُ  
وَسَعْدُ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمَنْذِرُ      لِأَنْفِكَ إِنْ حَاوَلْتَ ذَلِكَ جَادِعُ  
وَمَا ابْنُ رَبِيعٍ إِنْ تَنَاوَلْتَ عَهْدَهُ      بِمُسْلِمِهِ لَا يَطْمَعُنْ ثُمَّ طَامِعُ  
وَأَيْضاً فَلَا يُعْطِيكَهُ ابْنُ رَوَاحَةَ      وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السُّمُّ نَاقِعُ  
وَفَاءٌ بِهِ ، وَالْقَوْقَلِيُّ بْنُ صَامِتٍ      بِمَنْدُوحَةٍ عَمَّا تُحَاوِلُ يَافِعُ<sup>(٥)</sup>  
أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضاً وَفِيٍّ بِمَثَلِهَا      وَفَاءٌ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعَهْدِ خَانِعُ  
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ إِنْ أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ      فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أَحْمُوقَةَ الْغِي نَازِعُ  
وَسَعْدُ أَخُو عَمْرٍو بْنُ عَوْفٍ فَإِنَّهُ      ضَرُوحٌ لَمَّا حَاوَلْتَ مِلْأَمْرٍ مَانِعُ<sup>(٦)</sup>  
أَوَّلَاكَ نَجُومٌ لَا يُغْبُكُ مِنْهُمْ      عَلَيْكَ بِنَحْسٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعُ

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : فذكر فيهم أبا الهيثم بن التّيهان ولم يذكر رفاة .

قلت : وذكر سعد بن معاذ وليس من النّقاء بالكلية في هذه الليلة ، والله أعلم .

وروى يعقوب بن سفيان عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك ، قال : كان الأنصار ليلة

(١) في السيرة النبوية (١/٤٤٥) والروض (٢/١٩٠) .

(٢) أسد الغابة (٥/٢٨٠) .

(٣) في السيرة (١/٤٤٥) والروض : (١٩٠) .

(٤) قال رأيه : ضعف وأخطأ . والحَيْن : الهلاك والمِحْنَةُ : القاموس (فيل ، حين) .

(٥) « القوقلي » : نسبة إلى قوقل وهو أبو بطن من الأنصار سمّي به لأنه كان إذا أناه إنسان يستجير به أو يشر به قال له

قَوْقِلُ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَقَدْ أَمَنْتَ ، أَي : ارتقى . وهم القواقلة . القاموس (قوقل) .

(٦) « الضُّرُوح » : الدفوع المتنوع . القاموس (ضرح) وفي ح : للأمر .

(٧) في السيرة (١/٤٤٥) والروض (٢/١٩١) .

العقبة سبعين<sup>(١)</sup> رجلاً ، وكان نقباؤهم اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وحدثني شيخ من الأنصار أن جبريل عليه السلام كان يُشير إلى رسول الله ﷺ إلى مَنْ يجعله نقيباً ليلة العقبة ، وكان أسيد بن حضير أحد النقباء تلك الليلة . رواه البيهقي<sup>(٢)</sup>

وقال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال للنقباء : « أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي » . قالوا : نعم .

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام<sup>(٤)</sup> تباعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مُصيبةً وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذُه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : « الجنة » قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فباعوه .

قال عاصم بن عمر بن قتادة : وإنما قال العباس بن عباد ذلك ليشد العقد في أعناقهم .

وزعم عبد الله بن أبي بكر أنه إنما قال ذلك ليؤخر البيعة تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول سيد الخزرج ليكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زُرارة كان أول مَنْ ضرب على يده . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدثني معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله ، عن أبيه كعب بن مالك قال : فكان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع القوم .

وقال ابن الأثير في « أسد الغابة »<sup>(٧)</sup> : وبنو سلمة يزعمون أن أول من بايعه ليلئذ كعب بن مالك .

وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم<sup>(٨)</sup> من حديث الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ،

(١) في ط : سبعون . والمثبت من ح ودلائل البيهقي .

(٢) في الدلائل (٤٥٣/٢) .

(٣) في سيرة ابن هشام (٤٤٦/١) والروض (١٩١/٢) .

(٤) في ح : على ما .

(٥) في سيرة ابن هشام (٤٤٧/١) والروض (١٩١/٢) .

(٦) في سيرة ابن هشام (٤٤٧/١) والروض (١٩١/٢) .

(٧) انظر الكامل (١٠٠/٢) .

(٨) فتح الباري (٣٨٨٩) مناقب الأنصار باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة ، وصحيح مسلم (٥٣ - ٢٧٦٩) التوبة =

عن أبيه ، عن كعب بن مالك ، في حديثه حين تخلف عن غزوة تبوك . قال : ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بذر ، وإن كانت بذرٌ أذكر في الناس منها<sup>(١)</sup>

وقال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، أخبرنا أبو عمرو بن السمك ، حدثنا حنبل بن إسحاق ، حدثنا أبو نعيم<sup>(٣)</sup> ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي قال : انطلق رسول الله ﷺ معه العباس عمُّه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : « ليتكلَّم متكلِّمكم ولا يطل<sup>(٤)</sup> الخُطبة ، فإنَّ عليكم من المشركين عينا ، وإنَّ يعلموا بكم يفضحوكم » فقال قائلهم - وهو أبو أمامة - : سل يا محمد لرَبِّك ما شئت ، ثم سل لنفسك بعد ذلك ما شئت . ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليناكم إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « أسألكم لرَبِّي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسي وأصحابي أن تؤوونا وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم » قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « لكم الجنة » . قالوا : فلك ذلك .

ثم رواه حنبل عن الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن أبي مسعود الأنصاري فذكره ، قال : وكان أبو مسعود أصغرهم .

وقال أحمد<sup>(٦)</sup> : عن يحيى ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : فما سمع الشَّيبُ والشُّبَّانُ خطبةً مثلها .

وقال البيهقي<sup>(٧)</sup> : أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش ، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن الفضل الفحام ، أخبرنا محمد بن يحيى الذهلي ، أخبرنا عمرو بن عثمان الرَّقِّي ، حدثنا زهير ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن إسماعيل بن عبيد<sup>(٨)</sup> بن رفاعه عن أبيه قال : قدمت روايا خمر ، فاتاها عبادة بن الصامت فخرقها وقال : إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط

= باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه .

(١) في ط : وإن كانت بذرًا كثير في الناس منها . تصحيف وتحريف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري ومسلم .

(٢) في الدلائل (٢/٤٥٠) .

(٣) زاد البيهقي : الفضل بن دكين .

(٤) كذا في ح ، ط وفي الدلائل ومسند أحمد : ولا يطيل : وله وجه .

(٥) يعني عند البيهقي ، وهي من رواية عبد الله عن أبيه في المسند (٤/١٢٠) ، وهي رواية ضعيفة لضعف مجالد ، والأصح أنها رسالة عن الشعبي ، كما تقدم ، وكما في المسند أيضاً (٤/١٢٠) . (بشار) .

(٦) المسند (٤/١٢٠) وهو مرسل صحيح .

(٧) في الدلائل (٢/٤٥١) .

(٨) في ط : إسماعيل بن عبيد الله . وكلاهما صحيح إذ يقال له عبيد وعبيد الله ، والمثبت من ح والدلائل وترجمته في تهذيب الكمال للمزي (٣/١٥١) .

والكسل ، والنفقة في العُسْر واليُسْر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقولَ في الله لا تأخذنا فيه لومةُ لائم ، وعلى أن ننصرَ رسولَ الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فهذه بيعةُ رسولِ الله ﷺ التي بايعناه عليها .

وهذا إسنادٌ جيّدٌ قويٌّ ولم يخرّجوه .

وقد روى يونس<sup>(١)</sup> عن ابن إسحاق : حدّثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جدّه عبادة بن الصامت . قال : بايعنا رسولَ الله ﷺ بيعةَ الحَرْبِ على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسْرنا ، وَمَنْشَطِنا ومَكْرَهِنَا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازعَ الأمرَ أهله ، وأن نقولَ بالحق أينما كنّا لا نخافُ في الله لومةَ لائم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> في حديثه عن معبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : فلمّا بايعنا رسولَ الله ﷺ صرخ الشيطانُ من رأسِ العقبةِ بأنْفَذِ صوتَ سمعتهُ قَطْ : يا أَهْلَ الجَبَاجِبِ ، - والجبابب المنازل - هل لكم في مُذَمِّمِ والضُّبَاءِ معه قد اجتمعوا علي حربكم . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « هذا أَرْبُ العقبة ، هذا ابنُ أَرْيَب » - قال ابنُ هشام : ويقال ابنُ أَرْيَب - : « أسمع أي عدوّ الله ؟ أما والله لأتفرَّغنَّ لك » ثم قال رسولُ الله ﷺ : « اِرْضَوْا إلى رحالكم » . قال فقال العباس بن عبادة بن نضلة : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق إنّ شئتَ لتميلنَّ على أَهْلِ مَنَى غداً بأسيفنا . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « لم نُؤْمَرْ بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا فيها حتى أصبحنا .

فلما أصبحنا غدّت علينا جِلَّةٌ قريش حتى جاؤونا في منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حَرْبنا . وإنه والله ما مِنْ حَيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحربُ بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث مَنْ هناك من مشركي قوما يحلفون ما كان من هذا شيءٌ وما علمناه . قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظرُ إلى بعض . قال : ثم قام القومُ وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المَخْزُومِي وعليه نعلان له جديدان . قال : فقلت له كلمة - كَأني أريدُ أن أشركَ القومَ بها فيما قالوا - : يا أبا جابر ، أما تستطيعُ أن تتخذَ وأنتَ سيدٌ من ساداتنا مثل نعلَي هذا الفتى من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إليّ . قال : والله لتنتعلنهما ، قال : يقول أبو جابر : مَهْ أَحفظتَ والله الفتى ، فاردّدْ إليه نعليه . قال : قلت والله لا أردّهما . فألّ والله صالح ، لئن صدق الفأل لأسلبته .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبدَ الله بن أبيّ بن سلول فقالوا مثل

(١) هذه الرواية أيضاً عن البيهقي في الدلائل (٢/٤٥٢) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/٤٤٧) والروض (٢/١٩٢) .

(٣) في سيرة ابن هشام (١/٤٤٨) والروض (٢/١٩٢) .

ما ذكر كعب من القول فقال لهم : إِنَّ هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفرقوا<sup>(١)</sup> على مثل هذا وما علمته كان . قال : فانصرفوا عنه . قال : ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر<sup>(٢)</sup> ، فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر<sup>(٣)</sup> ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، وكلاهما كان نقيباً . فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد بن عبادة فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رَحْلِهِ<sup>(٤)</sup> ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمَّتِهِ - وكان ذا شعر كثير - قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفر من قريش فيهم رجلٌ وضيءٌ أبيض ، شَعْشَاعٌ<sup>(٥)</sup> ، حلَّو من الرِّجال ، فقلت في نفسي : إن يك عند أحد من القوم خيرٌ فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلكممني لكمة شديدة ، فقلت في نفسي : لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، قال : فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي<sup>(٦)</sup> رجلٌ ممن معهم ، قال : ويحك ، أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال : قلت بلى والله ، لقد كنتُ أُجير لجبير بن مُطْعِم تجَّاره ، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم بيلادي . وللحارث بن حَرْب بن أمية بن عبد شمس . فقال : ويحك ، فاهتِف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما ، قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما : إنَّ رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة . قالا : صدق والله إن كان ليجير لنا تجَّارنا ويمنعهم أن يُظلموا ببلده ؛ قال فجاء فخلصاً سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو . قال ابن هشام : وكان الذي أوى له أبو البختري بن هشام .

وروى البيهقي<sup>(٧)</sup> بسنده عن عبد المجيد بن أبي عَيسٍ بن جَبْرِ<sup>(٨)</sup> عن أبيه قال : سمعتُ قريشاً قائلاً

- (١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام والروض : ليتفوتوا عليّ بمثل هذا ، وهو من قولهم : تفوت فلان على فلان في كذا ، وافئات عليه : إذا انفرد برأيه دونه في التصرف فيه . النهاية لابن الأثير (٣/٤٧٧/ فوت) .
- (٢) أي أكثروا البحث عنه ؛ والتنطس : تدقيق النظر . الروض (٢/٢٠٤) .
- (٣) جاء في معجم البلدان (١/١٢٧) : قال ابن إسحاق : لما وصل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح دخل من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة وضربت هناك قبته اهـ .
- (٤) « النَّسْع » : سَيْرٌ يُنْسَج عريضاً على هيئة أعنة النعال تُشدُّ به الرحال ، والقطعة منه نِسْعَةٌ ، وسمي نسعاً لطوله . القاموس (نسع) .
- (٥) « الشَّعْشَاع » : الطويل الحسن . القاموس (شعشع) .
- (٦) « أوى له » : رَقَّ له . القاموس (أوي) .
- (٧) في الدلائل (٢/٤٢٨) .
- (٨) في ح ، ط : عن عيسى بن أبي عيسى بن جببر . وهو تحريف ، وفي دلائل البيهقي : حدثنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عيسى بن خير - كذا قال - وهو عبد الحميد بن أبي عيسى بن محمد بن خير عن أبيه قال . . . وفيه تحريف كثير أيضاً . والصواب إن شاء الله هو ما أثبتته من تاريخ البخاري (١١١/٦) والجرح والتعديل (٦٤/٦) والإكمال (٨٩/٦) رسم « عَيسٍ » وميزان الاعتدال (٢/٦٥١) ولسان الميزان (٤/٥٥) ويبدو أن التحريف ابتداءً من الكلبي أو ممن رووا عنه ، فلذلك علق البيهقي بقوله : كذا قال . ثم صحح =

يقول في الليل على أبي قُبَيْس : [ من الطويل ]

فإن يُسَلِّمَ السَّعْدَانِ يَصْبَحُ مُحَمَّدٌ      بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالَفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السَّعْدَانِ ؟ أسعد بن بكر أم سعد بن هُذَيْم ؟ فلما كانت الليلة الثانية

سمعوا قائلاً يقول : [ من الطويل ]

أيا سعدُ سعدَ الأوسِ كُنْ أنتَ ناصراً      ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارِفِ

أجيباً إلى داعي الهدى وتمنيّاً      على الله في الفردوسِ مُنيّةً عارِفِ

فإنَّ ثوابَ الله للطالبِ الهدى      جنانٌ من الفردوسِ ذاتُ رِفَارِفِ

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ ، وسعد بن عُبادَة .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما رجع الأنصار الذين بايعوا رسولَ الله ﷺ ليلة العقبة الثانية إلى المدينة أظهروا الإسلام بها . وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم : عمرو بن الجُمُوح بن زيد بن حَرَام بن كعب بن عَنَم بن كعب بن سَلَمَة ، وكان ابنه مُعَاذ بن عمرو ممن شهد العقبة ، وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سَلَمَة وأشرفهم ، وكان قد اتخذ صنماً من خشب في داره يقال له مناة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، يتخذونه<sup>(٢)</sup> إلهاً ، يعظمه ويُطَهِّرُهُ ، فلما أسلم فتیان بني سَلَمَة ؛ ابنه معاذ ، ومعاذ بن جبل كانوا يُدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَرِ بني سَلَمَة ، وفيها عَذْرُ الناس منكساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم ! مَنْ عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غسله وطَهَّرَهُ وطَيَّبه ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل بك هذا لأخزيتَه فإذا أمسى ونام عمرو عَدَّوا عليه ففعلوا مثل ذلك . فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطَهِّرُهُ ويطيبه ، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث أَلْقَوْهُ يوماً فغسله وطَهَّرَهُ ، ثم جاء بسيفه فعَلَّقَهُ عليه ثم قال له : إني والله ما<sup>(٣)</sup> أعلم مَنْ يصنعُ بك ما أرى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع ، فهذا السيف معك . فلما أمسى ونام عمرو عَدَّوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم أَلْقَوْهُ في بئرٍ من آبار بني سَلَمَة فيها عَذْرُ من عَذَرِ الناس ، وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى إذا وجده في تلك البئر منكساً

= الاسم ، غير أن محقق الدلائل لم يعر هذا التصحيح اهتمامه فبقيت بعض الأسماء محرفة كما كتبها النساخ أو أخرجتها لنا المطبعة . وذكر أبو عبيس في الإصابة في الكنى محرفاً أيضاً إلى : أبو عبيس .

(١) في سيرة ابن هشام (١/٤٥٢) والروض (٢/٢٠٥) .

(٢) في ح : يصنعون شجرة ، وفي السيرة تتخذة إلهاً تعظمه وتطَهِّرُهُ .

(٣) في ح : لا .

مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه ، وكلمه مَنْ أسلم من قومه فأسلم برحمة الله ، وحسن إسلامه ، فقال حين أسلم ، وعرف من الله ما عرف ، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة ويقول : [ من الرجز ]

والله لو كنت إلهاً لم تكن  
أنت وكلبٌ وسطٌ بئرٍ في قرنٍ  
أفٍّ لملقائك إلهاً مُستندنٌ  
الآن فتشناك عن سوء الغبن<sup>(١)</sup>  
الحمد لله العليّ ذي المنن  
الواهب الرزاق ديّان الدين<sup>(٢)</sup>  
هو الذي أنقذني من قبل أن  
أكون في ظلمة قبرٍ مُرتَهَن<sup>(٣)</sup>

### فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية

وجملتهم على ما ذكره ابن إسحاق رحمه الله  
ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان

فمن الأوس أحد عشر رجلاً ؛ أسيد بن حُضير أحد النقباء ، وأبو الهيثم بن التَّيهان بدرِّي أيضاً ،  
وسلمة بن سلامة بن وقش بدري ، وظهير بن رافع ، وأبو بُرْدَة بن نيار<sup>(٤)</sup> بدري ، ونُهير بن الهيثم بن  
نابي بن مَجْدعة بن حارثة ، وسعد بن خَيْثمة أحد النقباء بدرِّي وقتل بها شهيداً ، ورفاعة بن عبد المنذر بن  
زُبَيْر<sup>(٥)</sup> نقيب بدرِّي ، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان بن أمية بن البرك بدري ، وقُتل يوم أحد شهيداً أميراً  
على الرُّمّة ، ومَعْنُ بن عدي بن الجَدّ بن عَجْلان بن الحارث بن ضُبَيْعة البَلَوِيّ ، حليفٌ للأوس ، شهد  
بدرأ وما بعدها وقتل باليمامة شهيداً ، وعُويم بن ساعدة شهد بدرأ وما بعدها .

(١) « مستند » : قال أبو ذر في شرح السيرة : دليل مستبعد . وقال السهيلي في الروض (٢/ ٢١٤) : من السدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه . والغبن في الرأي اهـ . وفي القاموس : الضعف .

(٢) « الدين » : جمع دينة ، وهي العادة . ويجوز أن يكون أراد بالدين : الأديان ، أي هو ديّان أهل الأديان . الروض (٢/ ٢١٤) .

(٣) زادت سيرة ابن هشام هذا البيت :

بأحمد المهدي النبي المُرْتَهَن

(٤) في ط : دينار تحريف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والقاموس ( نير ) .

(٥) في ح : زبير . وفي ط : زبير . وكلاهما تصحيف ، والمثبت من السيرة وتبصير المتن .

ومن الخَزَرَجِ اثنانِ وستونَ رجلاً ؛ أبو أيوب خالد بن زيد وشهد بدرأ وما بعدها ، ومات بأرض الروم زمن معاوية شهيداً . ومعاذ بن الحارث ، وأخواه عوف ومعوذ وهم بنو عَفْرَاء بدرئُون ، وعُمارة بن حَزْم شهد بدرأ وما بعدها وقتل باليمامة ؛ وأسعد بن زرارة أبو أمانة أحدُ النقباء مات قبل بدر ، وسهل بن عَتِكَ بدري ، وأوس بن ثابت بن المنذر بدري ، وأبو طلحة زيد بن سهل بدري ، وقيسُ بن أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن كان أميراً على الساقة يوم بدر ، وعمرو بن غَزِيَّة ، وسعد بن الربيع أحدُ النقباء شهد بدرأ وقتل يوم أحد ، وخارجة بن زيد شهد بدرأ وقتل يوم أحد ، وعبدُ الله بن رواحة أحدُ النقباء شهد بدرأ وأُحدًا والخندق ، وقتل يوم مؤتة أميراً ، وبشير بن سعد بدري ، وعبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه<sup>(١)</sup> الذي أُرِيَ النداء [ للصلاة ]<sup>(٢)</sup> وهو بدري ، وخلاد بن سويد بدريُّ أُحْدِيَّ خَنْدَقِيٍّ ، وقتل يوم بني قُرَيْظَةَ شهيداً ، طُرحت عليه رَحَى فشدخته ، فيقال إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إِنَّ لَهُ لِأَجَرٍ شَهِيدَيْنِ »<sup>(٣)</sup> وأبو مسعود عُقْبَةُ بن عمرو البدري - قال ابن إسحاق : وهو أُحْدِثُ مَنْ شهد العقبة سِنًّا ولم يشهد بدرأ ، وزِيَادُ بن لَيْدٍ بدري ، وفروة بن عمرو بن وَدْفَةَ<sup>(٤)</sup> بدري ، وخالد بن قيس بن مالك بدري ، ورافع بن مالك أحدُ النقباء ، وَذَكْوَانُ بن عبد قيس بن خَلْدَةَ بن مُخَلَّدَ بن عامر بن زُرَيْقٍ ، وهو الذي يقال له مهاجري أنصاري لأنه أقام عند رسولِ الله ﷺ بمكة حتى هاجر منها وهو بدريُّ قُتِلَ يوم أُحُدٍ ، وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بدري ، وأخوه الحارث بن قيس بن عامر بدريُّ أيضاً ، والبراء بن مَعْرُورٍ أحدُ النقباء وأول من بايع فيما تزعم بنو سَلِمة ، وقد مات قبل مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ المدينة ، وأوصى له بثُلث ماله ، فردَّه رسولُ الله ﷺ على وَرَثَتِهِ ، وابنه بَشْرُ بن البراء وقد شهد بدرأ وأُحْدًا والخندق وماتَ بِخَيْرٍ شهيداً من أَكَلِهِ مع رسولِ الله ﷺ من تلك الشاة المَسْمُومة رضي الله عنه ، وَسِنَانُ بن صَيْفِيٍّ بن صَخْرٍ بدري ، وَالطُّفَيْلُ بن النعمان بن خَنْسَاء بدري ، قتل يوم الخندق ، ومَعْقِلُ بن المنذر بن سَرْحٍ بدري ، وأخوه يزيد بن المنذر بدري ، ومسعود بن زيد<sup>(٥)</sup> بن سُبَيْع ، والضحاك بن

(١) كذا في ح ، ط وأصول سيرة ابن هشام وفي الاستيعاب في الإصابة : عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله .

(٢) من سيرة ابن هشام (١/٤٥٩) .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/٥٣١) عن أحمد بن إبراهيم قال : أخبرنا أبو فضالة الفرج بن فضالة عن

عبد الخير بن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده فذكره . أقول : وإسناده ضعيف .

(٤) في سيرة ابن هشام : ودْفَة . ويقال : وَدْفَة . وضبطه ابن حجر في آخر ترجمته في الإصابة بقوله : ضبطه الداني في

كتاب أطراف الموطأ له بفتح الواو وسكون الدال المهملة بعدها قاف . قال : وهي الروضة . قلت : والصحيح هو

ضبط ابن هشام لأنه ليس في المعجمات : ودقة . بالقاف بمعنى الروضة إنما هو : وَدْفَة . والذال المعجمة لغة فيه .

وبهذا ضبطه ابن دريد في الاشتقاق (ص ٤٦١) قال : والوَْدْفَة زعموا : الروضة . ويقال : استودفتُ الإناء إذا

استقطرت ما فيه . وقال السهيلي في الروض (٢/٢١٥) : وَدْفَة بَدَالِ مَهْمَلَةٍ وهو الأصح .

(٥) في السيرة : يزيد والمثبت من ح ، ط والإصابة في ترجمته .



حارثة بن زيد بن ثعلبة بدري ، ويزيد بن خدام بن سبيع<sup>(١)</sup> ، وجبار بن صخر [ بن أمية ]<sup>(٢)</sup> بن خنساء بن سنان بن عبيد بدري ، والطفيل بن مالك بن خنساء بدري ، وكعب بن مالك ، وسليم بن عمرو<sup>(٣)</sup> بن حديدة بدري ، وقُطبة بن عامر بن حديدة بدري ، وأخوه أبو المنذر يزيد بدري أيضاً ، وأبو اليسر كعب بن عمرو بدري ، وصيفي بن سواد بن عبّاد ، وثعلبة بن غنمة بن عدي بن نابي بدري واستشهد بالخندق ، وأخوه عمرو بن غنمة بن عدي ، وعبس بن عامر بن عدي بدري ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء بدري ، واستشهد يوم أحد ، وابنه جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح بدري ، وثابت بن الجذع بدري ، وقتل شهيداً بالطائف ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بدري ، وخديج بن سلامة حليف لهم من بليي ، ومعاذ بن جبل ، شهد بدرأ وما بعدها ومات بطاعون عمّوأس في خلافة عمر بن الخطاب ، وعُباد بن الصامت أحد النقباء شهد بدرأ وما بعدها ، والعباس بن عباد بن نضلة وقد أقام بمكة حتى هاجر منها<sup>(٤)</sup> فكان يقال له مهاجري أنصاري أيضاً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزّمة<sup>(٥)</sup> بن أضرم حليف له من بليي ، وعمرو بن الحارث بن كندة<sup>(٦)</sup> ، ورفاعة بن عمرو بن زيد بدري ، وعقبة بن وهب بن كدّة ، حليف لهم بدري ، وكان ممن خرج إلى مكة فأقام بها حتى هاجر منها فهو ممن يقال له مهاجري أنصاري أيضاً ، وسعد بن عباد بن دليم أحد النقباء ، والمنذر بن عمرو نقيب بدري أحدي ، وقتل يوم بئر معونة أميراً ، وهو الذي يُقال له : « أَعْنَقَ لِيَمُوت »<sup>(٧)</sup> وأما المرأتان فأُمّ عُمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النَجَّار المازنيّة النجارية . قال ابن إسحاق : وقد كانت شهدت الحرب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم [ بن كعب ، وابناها

- (١) في الإصابة في ترجمة يزيد : يزيد بن خدام بن سبيع بموحدة مصغراً قال ابن حجر : واختلف النسخ في مغازي موسى بن عقبة ، ففي بعضها كذلك وفي بعضها حرام وفي بعضها خدارة .
- (٢) زيادة من السيرة وجمهرة الأنساب لابن حزم (ص ٣٥٩) .
- (٣) في ط : عامر ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام ، وكلاهما صحيح كما قال ابن حجر في الإصابة : عمرو أو عامر .
- (٤) يعني حتى هاجر مع رسول الله ﷺ .
- (٥) ويقال فيه : خَزْمَة بالتحريك . الروض (٢/ ٢١٥) .
- (٦) في السيرة والروض : لبدة . وأظنه تصحيفاً .
- (٧) في ط : أعتق بمثناة من فوق تصحيف ، والصواب بالنون كما جاء في ح وسيرة ابن هشام . والقائل هو الرسول ﷺ ، أخرجه البيهقي في الدلائل باب غزوة بئر معونة (٣/ ٣٤٢) بسنده عن موسى بن عقبة ، وفيه : أعتق مصحّف . قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٣١٠/ عتق) : ومنه الحديث أنه بعث سرية ، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى بني سليم فانتحى له عامر بن الطفيل فقتله ، فلما بلغ النبي ﷺ قتله قال : أعتق ليموت . أي إن المنية أسرع به وساقته إلى مصرعه . اهـ . وكذا ذكره الزمخشري في الفائق (٣/ ٧٢) وقال : أعتق : من العتق ، وهو سيرٌ فسيح .

حَبِيبٌ<sup>(١)</sup> وعبد الله ، وابنها حَبِيبٌ هذا هو الذي قتله مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ [٢] حين جعل يقول له : أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ؟ فيقول نعم ، فيقول : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فيقول : لا أسمع فجعل يقطعُ عضوًا عضوًا حتى مات في يديه ، لا يزيدهُ على ذلك ؛ فكانت أُمُّ عُمَارَةَ ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين حين قُتِلَ مُسَيْلَمَةُ ورجعتُ وبها اثنا<sup>(٣)</sup> عشر جرحاً من بين طعنةٍ وضربةٍ رضي الله عنها وأرضاها ، والأخرى أُمُّ مَنِيْعٍ أَسْمَاءُ ابنة عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غَنَمٍ بن كعب بن سَلَمَةَ رضي الله عنها .

## باب

### بُدُو الهجرة من مكة إلى المدينة

قال الزُّهْرِيُّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ - وهو يومئذ بمكة - للمسلمين : « قد أريت دار هجرتكم ، أريتُ سَبْخَةَ ذاتِ نَخْلٍ بين لابَتَيْنِ<sup>(٤)</sup> » فهاجر مَنْ هاجر قِبَلَ المدينة حين ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ ، ورجع إلى المدينة [ بعضُ ] مَنْ كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين .  
رواه البخاري<sup>(٥)</sup>

وقال أبو موسى عن النبي ﷺ : « رأيتُ في المنام أَنِّي أهاجرُ من مَكَّةَ إلى أرضٍ بها نخل ، فذهب وَهَلِي<sup>(٦)</sup> إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرَ ، فإذا هي المدينة يَثْرِبُ » .

وهذا الحديث قد أسندهُ البخاري في مواضع أخر بطوله ، ورواه مسلم كلاهما عن أبي كُرَيْبٍ<sup>(٧)</sup> ، زاد مسلم : وعبد الله بن بَرَّادٍ<sup>(٨)</sup> كلاهما عن أبي أسامة ، عن بُرَيْدٍ<sup>(٩)</sup> بن عبد الله بن أبي بُرْدَةَ عن جدِّه أبي بُرْدَةَ ، عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، عن النبي ﷺ الحديث بطوله .

- (١) في ط : خبيب . بخاء معجمة وهو تصحيف ، والمثبت من سيرة ابن هشام وترجمته في الإصابة بخاء مهملة ويوزن عَظِيم .
- (٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .
- (٣) في ح ، ط : اثني عشر جرحاً .
- (٤) وهما الحَرَّتَانِ ، والحَزَّةُ أرض حجارتهما سود . فتح الباري (٧/ ٢٣٤) .
- (٥) فتح الباري (٢٢٩٧) الكفالة باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وما مر بين معقوفين منه .
- (٦) وَهَلْتُ بِالْفَتْحِ أَهْلٌ وَهَلًا : إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره مثل وهمت . فتح الباري (١٢/ ٤٢٢) .
- (٧) أخرجه البخاري فتح (٧/ ٢٢٦) مناقب الأنصار أول باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه وأخرجه أيضاً في (٣٦٢٢) المناقب باب علامات النبوة (٧٠٣٥) التعبير باب إذا رأى بقرأ تنحر ، وصحيح مسلم (٢٠ - ٢٢٧٢) الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ .
- (٨) في ط : مراد . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح مسلم والإكمال (١/ ٢٤٤) .
- (٩) في ح ، ط : يزيد تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم والإكمال (١/ ٢٢٧) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السَّيَّاري بَمَرْو ، وحدثنا إبراهيم بن هلال ، حدثنا العامري ، عن علي بن الحسن بن شقيق ، حدثنا عيسى بن عُبَيْد الكِنْدِي ، عن غيلان بن عبد الله العامري ، عن أَبِي زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير ، عن جرير ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ : أَيَّ هَؤُلَاءِ الْبِلَادِ الثَّلَاثِ نَزَلَتْ فِيهَا دَارُ هِجْرَتِكَ ؛ الْمَدِينَةُ ، أَوْ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ قَنْسَرِينَ » قال أهل العلم : ثم عَزَمَ له على المدينة فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

هذا حديثٌ غريبٌ جداً ، وقد رواه الترمذي في المناقب من جامعه<sup>(٢)</sup> منفرداً به عن أبي عمار الحسين بن حُرَيْث ، عن الفضل بن موسى ، عن عيسى بن عُبَيْد ، عن غيلان بن عبد الله العامري ، عن أَبِي زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير ، عن جرير ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ : أَيَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ نَزَلَتْ فِيهَا دَارُ هِجْرَتِكَ ؛ الْمَدِينَةُ ، أَوْ الْبَحْرَيْنِ ، أَوْ قَنْسَرِينَ » . ثم قال : غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث الفضل ، تفرد به أبو عمار .

قلت : وغيلان بن عبد الله العامري هذا ذكره ابن حِبَّان في « الثقات »<sup>(٣)</sup> إلا أنه قال : روى عن أبي زرعة حديثاً منكراً في الهجرة<sup>(٤)</sup> ، والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٥)</sup> : لما أذن الله تعالى في الحرب [ بقوله : ﴿ أُوْذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٢٩) ] الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿٢٩﴾ [ الحج : ٣٩ - ٤٠ ] الآية . فلما أذن الله في الحرب [٦] وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ، ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسولُ الله ﷺ أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحق بإخوانهم من الأنصار وقال : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا » فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسولِ الله ﷺ من المهاجرين من قريش من بني مخزوم ، أبو سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم وكانت هجرته إليها قبل بيعة العقبة بسنة حين آذنه قريش مَرْجَعُهُ من الحبشة فعزم على الرجوع إليها ثم بلغه أن بالمدينة لهم إخواناً فعزم إليها .

(١) في دلائل النبوة (٢/٤٥٨) .

(٢) جامع الترمذي (٣٩٢٣) المناقب باب في فضل المدينة .

(٣) الثقات (٧/٣١١) .

(٤) قال بشار : هو شبه الموضوع .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/٤٦٨) والروض (٢/٢١١) .

(٦) ليس ما بين المعقوفين في سيرة ابن هشام .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدّثني أبي عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جدّته أم سلمة قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحلَ لي بغيره ، ثم حملني عليه ، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حَجْرِي ، ثم خرج يقود بي بغيره ، فلما رآته رجالُ بني المغيرة قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبتنا<sup>(٢)</sup> هذه علامَ نتركك تسيرُ بها في البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهطُ أبي سلمة فقالوا : لا والله لا نتركُ ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي . قالت : فكنت أخرجُ كلَّ غداة فأجلسُ في الأبطح ، فما أزالُ أبكي حتى أمسي - سنةً أو قريباً منها - حتى مرَّ بي رجلٌ من بني عمِّي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون<sup>(٣)</sup> من هذه المسكينة ؟ فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ؟ قالت : فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت . قالت : فردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني . قالت : فارتحلتُ بغيري ، ثم أخذتُ ابني فوضعتُه في حَجْرِي ، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحدٌ من خلق الله . [ قالت : فقلت : أتبلغُ بمن لقيتُ حتى أقدم على زوجي . ] حتى إذا كنتُ بالتَّنعيم<sup>(٤)</sup> لقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أبا بني عبد الدار فقال : إلى أين يا ابنة أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : ما معي أحدٌ إلا الله وبُنيّ هذا . فقال : والله مالك من مترك . فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبتُ رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخَرَ عني ، حتى إذا نزلت استأخَرَ بغيري فحطَّ عنه ، ثم قيّدَه في الشجر ، ثم تنحَّى إلى شجرة فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرّواح قام إلى بغيري فقدّمه فرحله ثم استأخَرَ عني وقال : اركبي . فإذا ركبْتُ فاستويتُ على بغيري أتى فأخذ بخطامه ، فقادني حتى ينزل بي ، فلم يزل يصنُع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء قال : زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخلها على بركة الله . ثم انصرف راجعاً إلى مكّة . فكانت تقول : ما أعلمُ أهل بيتٍ في الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبي سلمة ، وما رأيتُ صاحباً قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة .

(١) في سيرة ابن هشام (٤٦٩/١) والروض (٢١١/٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في السيرة والروض : صاحبتك .

(٣) كذا في ط والسيرة ، وفي ح بمهمات . قلت : لعل الصواب : تحرّجون . من قولهم : تحرّج من كذا : إذا تأمّن . اللسان ( حرج ) .

(٤) « التنعيم » : موضعٌ بمكة في الحِلّ ، وهو بين مكة وسَرِف ، على فرسخين من مكة وقيل على أربعة . معجم البلدان ( ٤٩/٢ ) .

أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحُدَيْبِيَّة ، وهاجر هو وخالد بن الوليد معاً ، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته ؛ الحارث و كلاب ومُسَافِع ، وعمه عثمان بن أبي طلحة . ودَفَعَ إليه رسولُ الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبه والد بني شيبه مفاتيح الكعبة ، أقرّها عليهم في الإسلام كما كانت في الجاهليَّة ، ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة العدويَّة ، ثم عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير<sup>(٢)</sup> بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد أبي أحمد<sup>(٣)</sup>

وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، فغلقت دار بني جحش هجرةً ، فمرَّ بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام وهم مُصْعِدُونَ إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة تخفق أبوابها يَبَاباً ليس بها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفّس الصُّعْدَاء وقال : [ من البسيط ]

وكلّ دارٍ وإن طالَتْ سلامتها يوماً ستدرُّكها النُّكْبَاءُ والخُوبُ<sup>(٤)</sup>

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُوَادٍ الإيادي في قصيدة له - [ قال السهيلي<sup>(٥)</sup> : واسم أبي دُوَادٍ حنظلة بن شرقي وقيل جارية ]<sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup> - ثم قال عتبة : أصبحت دار بني جحش خلاءً من أهلها . فقال أبو جهل : وما تبكي عليه من قُلٍّ بن قُلٍّ<sup>(٨)</sup> ثم قال - يعني العباس - : هذا من عمل ابن أخيك هذا ، فرّق جماعتنا ، وشئت أمرنا ، وقطع بيننا .

(١) في سيرة ابن هشام (٤٧٠/١) والروض (٢١٢/٢) .

(٢) في سيرة ابن هشام والروض : كثير . وهو تصحيف ، صوابه من الإكمال (١٦٠/٧) .

(٣) زادت نسخة ط هنا ما نصه : اسمه عبد كما ذكره ابن إسحاق وقيل : ثمامة . قال السهيلي : والأول أصح . وليست هذه الزيادة في ح وربما كانت هذه الزيادة من تعليقات على الكتاب فأدخلها النساخ في المتن والله أعلم .

(٤) الخُوب : التوجّع .

(٥) في الروض (٢١٦/٢) .

(٦) ما بين المعقوفين ليس في ح . ولعله من تعليقات على الأصل ثم أدخله النساخ في المتن . انظر الحاشية السابقة .

(٧) في ط : حارثة . وهو تصحيف ، والمثبت من الروض (٢١٦/٢) والخزانة (٥٩٠/٩) والإكمال (٣/٢) وفيها : جارية بن الحجاج .

(٨) في ط : فل بن فل بالفاء ، وهو تصحيف ، والمثبت من السيرة وفيه : قال ابن هشام : القُلّ : الواحد . قال ليبد بن ربيعة : [من المنسرح]

كل بني حرة مصيرهم قُلٌّ وإن أكثرث من العَدَدِ

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فنزل أبو سلمة وعامر بن ربيعة وبنو جحش بقباء على مُبَشَّر بن عبد المنذر ، ثم قدم المهاجرون أرسالا . قال : وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أُوْعِبُوا إلى المدينة هجرة ، رجالهم ونساؤهم<sup>(٢)</sup> ، وهم عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد ، وعُكَّاشَةُ بن مِخْصَن ، وشجاع ، وعقبة ابنا وهب ، وأزبد بن حُمَيْر<sup>(٣)</sup> ومُنْقِذ بن نُبَاتة ، وسعيد بن رقيش ، ومُحْرَز بن نَضْلَة ، وزيد بن رُقَيْش ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِخْصَن ، ومالك بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثقف بن عمرو ، وربيع بن أكثم . والزُبَيْر بن عبيدة ، وتَمَّام بن عُبَيْدة ، وسَخْبَرَة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش .

ومن نسائهم زينب بنت جَحْش ، وَحَمْنَة بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وَجُدَامَة<sup>(٤)</sup> بنت جَنْدَل ، وأم قيس بنت مِخْصَن ، وأم حبيب بنت ثُمَامَة ، وآمنة بنت رُقَيْش ، وسَخْبَرَة بنت تميم .

قال أبو أحمد بن جحش في هجرتهم إلى المدينة<sup>(٥)</sup> : [ من الطويل ]

ولما رأتني أمُّ أحمدَ غادياً	بذمةً من أخشى بغيبٍ وأرهَبُ
تقولُ فإِذَا كُنْتَ لَابِداً فاعلأ	فيممُّ بنا البلدانَ ولئنأ يثربُ
فقلتُ لهما ما يثربُ بمظنِّ <sup>(٦)</sup>	وما يشأ الرحمنُ فالعبدُ يركبُ
إلى الله وجهي والرسولِ ومن يُقيمُ	إلى الله يوماً وجهه لا يُخَيِّبُ
فكم قد تركنا من حميمٍ مُناصح	وناصحة تبكي بدمعٍ وتندُبُ
تري أن وترأ نائياً عن بلادنا	ونحن نرى أن الرغائبَ نطلبُ
دعوتُ بني غنمٍ لحقنِ دمائهم	وللحقِّ لما لاح للناس مَلَحَبُ
أجابوا بحمدِ الله لما دعاهمُ	إلى الحقِّ داعٍ والنجاحِ فأوعبوا
وكنَّا وأصحاباً لنا فارقوا الهدى	أعانوا علينا بالسلاحِ وأجلبوا
كفوجين أمَّا مِنْهُمَا فموفَّقُ	على الحقِّ مهديٌّ وفوجٌ معذَّبُ

- (١) في السيرة لابن هشام (٤٧١/١) والروض (٢١٣/٢) .
- (٢) « أوعب بنو فلان » : جَلُّوا أَجْمَعُونَ . اللسان (وعب) .
- (٣) في ط : جُمَيْرَة . وسقط من ح ، وفي سيرة ابن هشام : ابن حُمَيْرَة ، ويقال ابن حُمَيْرَة . والمثبت من الإكمال (٥١٧/٢) والإصابة وقال ابن حجر فيه : أربد بن جُبَيْر ، وقيل ابن حمزة ، وقيل ابن حُمَيْر مصغراً مثقلاً ، وبهذا الأخير جزم ابن مأكولا .
- (٤) في سيرة ابن هشام : جذامة . بالذال المعجمة ، تصحيف ، والصواب بالمهملة من القاموس . وانظر الروض (٢١٨/٢) .
- (٥) الأبيات في السيرة لابن هشام (٤٧٣/١) والروض (٢١٣/٢) .
- (٦) في سيرة ابن هشام والروض : بل يثرب اليوم وجهنا .

طَغَوْا وَتَمَنَّوْا كَذِبَةً وَأَزَلَّهُمْ  
ورعنا إلى قول النبي محمد  
نُمْتُ بِأَرْحَامٍ إِلَيْهِمْ قَرِيبَةٍ  
فَأَيُّ ابْنِ أَخْتٍ بَعَدْنَا بِأَمْنَتِكُمْ  
سَتَعْلَمُ يَوْمَ أَئِنَّا إِذْ تَزَايَلُوا  
عن الحق إيليس فخابوا وخبوا  
فطابَ ولأه الحق منا وطُيُّوا  
ولا قُرْبَ بِالْأَرْحَامِ إِذْ لَا تُقَرَّبُ  
وَأَيَّةُ صِهْرٍ بَعْدَ صَهْرِي يَرْقُبُ  
وَزَيْلُ أَمْرِ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصُوبُ

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة . فحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، قال : اتَّعَدْنَا لِمَا أَرَدْتُ الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهَشَامُ بْنُ الْعَاصِ ؛ التَّنَاضُبُ مِنْ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ فَوْقَ سَرَفٍ<sup>(٢)</sup> ، وَقَلْنَا : أَئِنَّا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُبِسَ فُلَيْمُضٌ صَاحِبَاهُ . قَالَ : فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعِيَّاشُ عِنْدَ التَّنَاضُبِ<sup>(٣)</sup> ، وَحُبِسَ هَشَامٌ وَفُتِنَ فَافْتَنَ ؛ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءَ ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هَشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هَشَامٍ إِلَى عِيَّاشٍ - وَكَانَ ابْنُ عَمَّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا - حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، فَكَلَّمَاهُ وَقَالَا لَهُ : إِنَّ أَمَكُ قَدْ نَذَرْتَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسُهَا مَشْطَ حَتَّى تَرَكَ ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَكَ ، فَرَقَّ لَهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يَرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتَنُوكَ عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ ، فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ آذَى أَمَّكَ الْقَمَلُ لَامْتَشَطْتُ ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرُّ مَكَّةَ لَاسْتَظَلْتُ . قَالَ فَقَالَ : أَبِرُّ قَسَمُ أُمِّي وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَأَخْذُهُ . قَالَ : قُلْتُ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لِمَنْ أَكْثَرَ قَرِيشٍ مَالًا ، فَلَكَ نَصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا . قَالَ : فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُمَا ، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ قُلْتُ : أَمَّا إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيَّةٌ ذَلُولٌ فَالزَّمْ ظَهْرَهَا ، فَإِنْ رَابَكَ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ رَيْبٌ فَانْجُ عَلَيْهَا .

فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي ، والله لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تُعْقِبُنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ ؟ قَالَ : بَلَى . فَأَنَاخَ وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَوْثَقَاهُ رِبَاطًا ، ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ ، وَفَتَنَاهُ فَافْتَنَ .

قال عمر : فَكُنَّا نَقُولُ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِمَّنْ افْتَنَ تَوْبَةً . وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>(٤)</sup> وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ<sup>(٥)</sup> وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ<sup>(٦)</sup> [ الزمر : ٥٣ - ٥٥ ] .  
قال عمر : فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي ، وَبِعْتُ بِهَا إِلَى هَشَامِ بْنِ الْعَاصِ . قَالَ هَشَامٌ : فَلَمَّا أَتَنِي جَعَلْتُ أَقْرُؤُهَا بِذِي

(١) في سيرة ابن هشام (١/٤٧٤) والروض (٢/٢١٩) .

(٢) أضواء بني غفار : على عشرة أميال من مكة ، والأضواء : الغدير ، كأنها مقلوب من وضأة ، واشتقاقه من الوضأة بالمد وهي النظافة . الروض (٢/٢٢٧) .

(٣) الضبط من معجم البلدان (٢/٤٧) وبعضهم يضم الضاد وهو موضع قرب مكة .

طُوى<sup>(١)</sup> أَصْعَدَ بِهَا فِيهِ وَأُصَوِّبَ أُخْرَى وَلَا أَفْهَمَهَا حَتَّى قُلْتُ : اللَّهُمَّ فَهِّمْنِيهَا ، فَأَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِيْنَا وَفِيْمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا ، وَيُقَالُ فِيْنَا . قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ فَلَحَقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ .

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ<sup>(٢)</sup> أَنَّ الَّذِي قَدِمَ بِهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ ، وَعِيَاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، سَرَقَهُمَا مِنْ مَكَّةَ وَقَدِمَ بِهِمَا يَحْمِلُهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ وَهُوَ مَاشٍ مَعَهُمَا ، فَعَثَرَ فَدَمِيتُ أَصْبَعُهُ فَقَالَ : [ مِنْ الرِّجْزِ ]

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيتِ      وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، أَنبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، سَمِعَ الْبَرَاءَ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مَصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا عَمَّارٌ وَبِلَالٌ .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا عُثْمَرُ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ : أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مَصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَكَانَا يَقْرَأَانِ النَّاسَ ، فَقَدِمَ بِلَالٌ وَسَعْدُ وَعَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، ثُمَّ قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَعَلَ الْإِمَاءُ يَقْلُنَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَمَا قَدِمَ حَتَّى قَرَأْتُ : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ فِي سُورٍ مِنَ الْمَفْصَلِ .

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ »<sup>(٤)</sup> مِنْ حَدِيثِ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بِنَحْوِهِ وَفِيهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ هَاجَرَ قَبْلَ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ .

وَقَدْ زَعَمَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، أَنَّهُ إِنَّمَا هَاجَرَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصَّوَابُ مَا تَقَدَّمَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٥)</sup> : وَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْمَدِينَةَ هُوَ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ وَأَخُوهُ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُمَرُو وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا سَرَّاقَةَ بْنِ الْمَعْتَمِرِ ، وَخُنَيْسُ بْنُ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ زَوْجُ ابْنَتِهِ حَفْصَةَ ، وَابْنُ عَمِّهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ ، وَوَاقدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ حَلِيفُ لَهُمْ ، وَخَوْلِيُّ بْنُ أَبِي خَوْلِيٍّ ، وَمَالِكُ بْنُ أَبِي خَوْلِيٍّ حَلِيفَانِ لَهُمْ مِنْ بَنِي عَجَلٍ ، وَبَنُو الْبُكَيْرِ إِيَّاسُ وَخَالِدُ وَعَاقِلُ وَعَامِرُ وَحَلَفَاؤُهُمْ مِنْ بَنِي

(١) ذُو طُوى : مَوْضِعٌ عِنْدَ مَكَّةَ . مَعْجَمُ الْبَلَدَانِ (٤/ ٤٥) .

(٢) فِي السِّيَرَةِ (١/ ٤٧٦) .

(٣) فِي صَحِيحِهِ فَتَحَ (٣٩٢٤) مَنَاقِبُ الْأَنْصَارِ بَابُ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةَ .

(٤) كَذَا ، وَلَمْ أَجِدْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَلَا ذَكَرَهُ الْمَزِي فِي تَحْفَةِ الْأَشْرَافِ فِي حَدِيثِ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، فَهُوَ وَهْمٌ بِلَا رَيْبٍ . وَالرَّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا التَّصْرِيحُ بِأَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ هَاجَرَ قَبْلَ قُدُومِ الرَّسُولِ ﷺ سَاقَهَا أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٤/ ٢٨٤) عَنْ عَفَّانٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ . وَرَوَاهُ أَيْضًا فِي (٤/ ٢٩١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ .

(٥) فِي سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ (١/ ٤٧٦) وَالرُّوْضِ (٢/ ٢٢٠) .



سعد بن ليث ، فنزلوا على رفاعَةَ بن عبد المنذر بن زَيْتَر<sup>(١)</sup> في بني عمرو بن عوف بقباء .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم تتابع المهاجرون رضي الله عنهم ، فنزل طلحةُ بن عبيد الله وصُهب بن سنان على خُبيب بن إساف أخي بلحارث بن الخزرج بالسُّنْح<sup>(٣)</sup> . ويقال بل نزل طلحة على أسعد بن زُرَّارة .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : وذكر لي عن أبي عثمان النَّهْدِيِّ أنه قال : بلغني أنَّ صُهباً حين أراد الهجرة قال له كَفَّارُ قريش : أتيتنا صُغْلوكاً حَقيراً فكثُرَ مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صُهب : رأيتم إن جعلتُ لكم مالي أتخلُّون سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإنني قد جعلتُ لكم مالي . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « رِبْحٌ صُهب ، رِبْحٌ صُهب » وقد قال الحافظ البيهقي<sup>(٥)</sup> : حدَّثنا الحافظ أبو عبد الله - إملاءً - أخبرنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال ، أخبرنا عبدان الأهوازي ، حدَّثنا زيد بن الحَرِيش<sup>(٦)</sup> ، حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدَّثنا<sup>(٧)</sup> حصين بن حذيفة بن صيفي بن صُهب ، حدَّثني أبي وعمومتي ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، عن صُهب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أَرَيْتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ سَبَخَةً بَيْنَ ظَهْرَانِي حَرَّتَيْنِ ، فإِذَا أَنْ تَكُونَ هَجْرَ أَوْ تَكُونَ يَثْرِبَ » قال : وخرج رسولُ الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر ، وكنتُ قد هممت معه بالخروج فصَدَّنِي فتیانٌ من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقومُ لا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه - ولم أكن شاكياً - فناموا . فخرجتُ ولحقني منهم ناسٌ بعدما سرت بريدًا<sup>(٨)</sup> ليردوني ، فقلت لهم : هل لكم أن أعطيكم أواقِي<sup>(٩)</sup> من ذهب وتخلُّوا سبيلي ، وتوفون لي ؟ ففعلوا . فتبعْتُهُمْ<sup>(١٠)</sup> إلى مكة فقلت : احفروا تحت أسْكُفَةِ الباب فَإِنَّ تَحْتَهَا أواقِي<sup>(٩)</sup> ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَيْنِ ، وخرجتُ حتى قدمت على رسولِ الله ﷺ فُبَاءَ قبل أن يتحوَّلَ منها ، فلما رآني قال : « يا أبا يحيى ربح البيع » - ثلاثاً - فقلت : يا رسول الله ، ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام .

قال ابن إسحاق<sup>(١١)</sup> : ونزل حمزةُ بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مَرْثَدَ كَنَازَ بن

(١) في ط : زبير وفي ح زبير : والمثبت من الإكمال (١٦٧/٤) .

(٢) في سيرة ابن هشام (٤٧٧/١) والروض (٢٢٠/٢) .

(٣) « السُّنْح » : موضع قرب المدينة . القاموس (سنح) .

(٤) السيرة (٤٧٧/١) والروض (٢٢٠/٢) .

(٥) في دلائل النبوة (٥٢٢/٢) .

(٦) في ط : الجريش بالجيم تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل والإكمال (٤٢٢/٢) .

(٧) في ح : أنا .

(٨) في ط : يريدوا . تصحيف ، والمثبت من ح والدلائل .

(٩) في ح : أواني . والمثبت من ط والدلائل .

(١٠) في الدلائل : فسقتهم .

(١١) في سيرة ابن هشام (٤٧٨/١) والروض (٢٢٠/٢) .

الحُصَيْن<sup>(١)</sup> وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة ، وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهمد أخيه بني عمرو بن عوف بقباء ، وقيل على سعد بن خيثمة ، وقيل بل نزل حمزة على أسعد بن زرارة . [ والله أعلم ]<sup>(٢)</sup> . قال : ونزل عبيدة بن الحارث وأخوه الطفيل وحُصَيْن ومِسْطَح بن أثاثة وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَلَة أخو بني عبد الدار وطُليَب بن عُمَيْر أخو بني عبد بن قصي وخَبَّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخيه بَلْعَجَلَان بقباء .

ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع ، ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رُهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعُصبة دار بني جَحْجَبِي ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ ، ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولاه على سلمة . قال<sup>(٣)</sup> ابنُ إسحاق ، وقال الأموي : على خُبيب بن إساف أخيه بني حارثة .

ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر بن وقش في بني عبد الأشهل ؛ ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخيه حسان بن ثابت في دار بني النجار .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٤)</sup> : ونزل العزَّاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً والله أعلم أي ذلك كان .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٥)</sup> : حدَّثني أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زُرارة بن مُصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : قدمنا من مكة فنزلنا العُصبة ، ونزل عمر بن الخطَّاب وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ، فكان يؤمُّهم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً .

## فصل

### في سبب هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [ الإسراء : ٨٠ ] أرشده الله وألهمه أن يدعو بهذا الدعاء [ و ] أن يجعل له مما هو فيه فرجاً قريباً ومخرجاً

(١) في السيرة والروض : حِصْن . وكلاهما صحيح كما في القاموس ( كنز ) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح ولا في السيرة .

(٣) كذا في ح ، ط ولعل الصواب : قاله . يعني القول السابق وهو موجود في سيرة ابن هشام ( ٤٧٩ / ١ ) فتكون هذه العبارة ملحقه عندئذ بالفقرة السابقة .

(٤) في سيرة ابن هشام ( ٤٨٠ / ١ ) والروض ( ٢٢١ / ٢ ) .

(٥) المعرفة والتاريخ ( ٣٦٧ / ٣ ) وهو في القسم المفقود من الكتاب ونقله المحقق من هنا .

عاجلاً ، فأذن له تعالى في الهجرة إلى المدينة النبوية حيث الأنصار والأحباب فصارت له داراً وقراراً ، وأهلها له أنصاراً .

قال أحمد بن حنبل<sup>(١)</sup> وعثمان بن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> ، عن جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان<sup>(٣)</sup> ، عن أبيه ، عن ابن عباس : كان رسول الله ﷺ بمكة ، فأمر بالهجرة وأنزل عليه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

وقال قتادة : ﴿ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الهجرة من مكة ﴿ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ كتاب الله وفرائضه وحدوده .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة إلا من حُبس أو فُتن ، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما ، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له : « لا تَعْجَلْ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا » فيطمع أبو بكر أن يكونه .

فلما رأث قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعَةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعةً ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد بن جبر<sup>(٥)</sup> وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بت<sup>(٦)</sup> له فوقف على باب الدار ، فلما رأوه

(١) في مسنده (٢٢٣/١) رقم (١٩٤٨) .

(٢) أخرجه من طريق عثمان : الحاكم (٣/٣) وعنه البيهقي في دلائل النبوة (٥١٦/٢) . ورواه الترمذي (٣١٣٩) عن أحمد بن منيع عن جرير ، والطبري في تفسيره (١٤٨/١٥) عن سفيان بن وكيع ومحمد بن حميد الرازي عن جرير ، وابن عدي في الكامل (٢٠٧٢/٦) من طريق الحسين بن سيار عن جرير ، وصححه الترمذي مع ضعف قابوس بن أبي ظبيان . (بشار) .

(٣) في ح : طهمان . تصحيف ، والمثبت من ط وتقريب التهذيب لابن حجر في ترجمة قابوس .

(٤) في سيرة ابن هشام (٤٨٠/١) والروض (٢٢١/٢) .

(٥) زادت ح ، ط : عن عبد الله بن عباس . وليست هذه الزيادة في السيرة وهي مقحمة على النص فحذفتها .

(٦) « البتُّ » : كساء غليظ مربع ، وقيل طيلسان من خز ويجمع على بتوت . النهاية لابن الأثير (بت/١/٩٢) . وفي السيرة وط : بتله . وأظنه تصحيفاً من وصل التاء باللام .

واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم له فحضّر معكم لسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْذِمَكُم منه رايًا ونُصْحًا . قالوا : أجل فادخل . فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش : عتبة ، وشيبة ، وأبو سفيان وطعيمة بن عدي ، وجُبَيْر بن مُطْعِم بن عدي ، والحارث بن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث وأبو الْبَخْتَرِيِّ بنُ هشام ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وحَكِيم بن حِزَام ، وأبو جَهْل بن هشام ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الْحَجَّاج وأمِيَّة بن خلف ، وَمَنْ كان منهم<sup>(١)</sup> وغيرهم ممن لا يعدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إِنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتَّبَعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رايًا . قال : فتشاوروا ، ثم قال قائلٌ منهم - [ قيل إنه أبو الْبَخْتَرِيِّ بنُ هشام ]<sup>(٢)</sup> - : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تَرَبَّصُوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهيراً والنابعة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي .

فتشاوروا ، ثم قال قائلٌ منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وأُلْفَتْنَا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقهِ ، وغلبته على قلوب الرجال ، بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ<sup>(٣)</sup> أن يحلَّ على حيٍّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم بين أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، أو تروا<sup>(٤)</sup> فيه رايًا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إنَّ لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلِّ قبيلةٍ فتًى شابًّا جليدًا نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كلَّ فتًى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجلٍ واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً . فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم . قال : يقول الشيخُ النجدي : القولُ ما قال الرجل ، هذا الرأي ، ولا رأي غيره : تفرَّق القومُ على ذلك وهم مجمعون له .

(١) في السيرة : معهم .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٣) في السيرة : ما أمتم .

(٤) في السيرة : دَبَّرُوا ، والمثبت من ط .

فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فقال له : لا تَبْتَ هذه الليلةَ على فراشِكَ الذي كُنْتَ تَبْتُ عليه . قال : فلما كانت عَمَةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : « نَمْ على فراشي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الحَضْرَمِيَّ الأخضر ، فَنَمْ فيه ، فإنه لن يخلُصَ إليك شيءٌ تكرهه منهم » وكان رسولُ الله ﷺ ينامُ في بُرْدِهِ ذلك إذا نام .

وهذه القصة التي ذكرها ابنُ إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة وابن عباس وعليّ وسُرَاقَة ابن مالك بن جُعْشُم وغيرهم دخل حديثُ بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدّم<sup>(١)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدّثني يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل قال - وهم على بابه - : إِنَّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جناتٍ كأنّ الأردنّ ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، ثم بُعثتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم ناراً تُحرقون فيها .

قال : فخرج رسولُ الله ﷺ فأخذ حَفَنَةً من تراب في يده ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم » وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يروّنه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات ﴿ بَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ١-٩] ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمداً ، فقال : خَيِّبَكُم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ! أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجلٍ منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليّاً على الفراش متسجياً بِبُرْدِ رسولِ الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمدٌ نائماً ، عليه بُرْدُهُ ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليٌّ من الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي كان حدّثنا .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> : فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرْنَاهُ رِيبَ الْآمَنُونَ ۖ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَاصِلِينَ ﴾ [الطور : ٣٠-٣١] .

قال ابنُ إسحاق : فأذن اللهُ لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة .

(١) رواية الواقدي هذه وأسانيده في طبقات ابن سعد (٢٢٧/١) وما بعدها .

(٢) في سيرة ابن هشام (٤٨٣/١) والروض (٢٢٢/٢) .

(٣) في سيرة ابن هشام (٤٨٤/١) والروض (٢٢٣/٢) .

## باب

هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة من مكة إلى المدينة

ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

وذلك أول التاريخ الإسلامي كما اتفق عليه الصحابة في الدولة العُمَريّة كما بيّناه في سيرة عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين<sup>(١)</sup>

قال البخاري<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا مَطَرُ بْنُ الْفَضْلِ ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ ، حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ<sup>(٣)</sup> ثَلَاثَ عَشْرَةَ [ سَنَةً ] يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ سَنَةً .

وقد كانت هجرته عليه السلام في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من بعثته عليه السلام ، وذلك في يوم الاثنين كما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس<sup>(٤)</sup> أنه قال : ولد نبيكم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، وتُبيء يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين<sup>(٥)</sup>

قال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له : لا تعجل لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً ؛ قد طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه ، فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك .

قال الواقدي<sup>(٧)</sup> : اشتراهما بثمانمئة درهم .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : فحدّثني مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ لَا يَخْطِيُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ ، إِمَّا بُكْرَةً ، وَإِمَّا عَشِيَّةً ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي أَدْنَى اللَّهُ فِيهِ لِرَسُولِهِ فِي الْهَجْرَةِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْنِ قَوْمِهِ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أفرد المؤلف لعمر رضي الله عنه مصنفاً سَمَاءَ سيرة عمر ، أشار إليه في ص (٢٣٠) ، وذكر اتفاق الصحابة في الدولة العُمَريّة على التاريخ الهجري في ص (٤٧٨) من هذا الجزء .

(٢) في صحيحه ، فتح (٣٩٠٢) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وما بين معقوفين منه .

(٣) في ط : فيها . بدل : بمكة ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح والبخاري .

(٤) مسند الإمام أحمد (٢٧٧/١) رقم (٢٥٠٦) .

(٥) لفظ ابن عباس في المسند هكذا : ولد النبي ﷺ يوم الاثنين واستنّبى يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . وتقديم ص (٣٠) وإسناده ضعيف بطوله ، ولبعض فقراته شواهد ، وقد تقدم الكلام عليه صفحة (٣٠) .

(٦) في سيرة ابن هشام (٤٨٤/١) والروض (٢٢٣/٢) .

(٧) قول الواقدي في طبقات ابن سعد (٢٢٨/١) وزاد : من نَعَمَ بني قُشَيْرِ .

(٨) في سيرة ابن هشام (٤٨٤/١) والروض (٢٢٣/٢) .

بالحاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث ! قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> أحدٌ إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « أخرج عني من عندك » قال : يا رسول الله ! إنما هما ابتائي ، وما ذاك فذاك أبي وأمي ؟ قال : « إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة » قالت : فقال أبو بكر : الصُّحْبَةُ يا رسول الله ؟ قال : « الصُّحْبَةُ » قالت : فوالله ما شعرتُ قط قبل ذلك اليوم أنَّ أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيتُ أبا بكر يومئذ يبكي . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إنَّ هاتين راحلتين كنتُ أعددتُهما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقد<sup>(٢)</sup> - قال ابن هشام : ويقال عبد الله بن الأريقط - رجلاً من بني الدُّثُل بن بكر ، وكانت أمُّه من بني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً يدلُّهما على الطريق ودفعاً إليهما راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر ؛ أمّا عليّ فإنَّ رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتى يؤدِّي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ وليس بمكة أحدٌ عنده شيءٌ يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدِّقه وأمانته .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر بن أبي قُحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته .

وقد روى أبو نعيم<sup>(٤)</sup> من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق . قال : بلغني أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال : « الحمد لله الذي خلّقي ولم أك شيئاً ، اللهم أعني على هول الدنيا ، وبوائق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام ، اللهم اصحبني في سفري ، واخلفني في أهلي ، وبارك لي فيما رزقتني ، ولك فذلّلني ، وعلى صالح خلقي فقوّمني ، وإليك ربّ فحبّبي ، وإلى الناس فلا تكّلني ، ربّ المستضعفين وأنت ربّي ، أعوذُ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكُشفت به الظلمات ، وصَلَحَ عليه أمرُ الأولين والآخرين ، أن تُحلَّ عليّ غَضَبُكَ ، وتنزل بي سَخَطُكَ ، أعوذُ بك من زوالِ نعمتك ، وفجأةِ نَقْمَتِكَ ، وتحوُّلِ عافيتك وجميعِ سَخَطِكَ . لك العُتْبَى عندي خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

(١) كذا في ح ، ط ، وفي سيرة ابن هشام : وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء . . .

(٢) كذا في ح ، ط ، وقال ابن حجر في ترجمته في الإصابة : عبد الله بن أريقط ، ويقال أريقط بالبدال بدل الطاء المهملتين ، وهو بقاء بصيغة التصغير اهـ .

(٣) في سيرة ابن هشام (٤٨٥/١) والروض (٢٢٤/٢) .

(٤) لم أجده في دلائل أبي نعيم . أقول : الحديث ضعيف ، لأنه عن ابن إسحاق بلاغاً ، فهو منقطع .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم عمدا إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى في الغار . فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله ﷺ وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا . فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يُعَقِّي عليه . وسيأتي في سياق البخاري ما يشهد لهذا .

وقد [ حكى ابن جرير<sup>(٢)</sup> عن بعضهم أن رسول الله ﷺ سبق الصديق في الذهاب إلى غار ثور ، وأمر علياً أن يدلّه على مسيره ليلحقه ، فلحقه في أثناء الطريق .

وهذا غريب جداً ، وخلاف المشهور من أنهما خرجا معاً ]<sup>(٣)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها تأتيهما من الطعام إذا أُمست بما يصلحهما . قالت أسماء<sup>(٥)</sup> : ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت لا أدري والله ، أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قُرْطِي ثم انصرفوا .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدّثه عن جدته أسماء قالت : لما خرج رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كلّهُ معه ، خمسة آلاف درهم - أو ستة آلاف درهم - فانطلق بها معه ، قالت : فدخل علينا جدّي أبو قحافة - وقد ذهب بصره - فقال : والله إنني لا أراه قد فجعكم بماله مع نفسه ؟ قالت : قلت كلا يا أبة ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : وأخذت أحجاراً فوضعتها في كُوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعتُ عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبة ضَع يدك على هذا المال . قالت فوضع يده عليه فقال : لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغٌ لكم ، ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكن أردتُ أن أسكن الشيخ بذلك .

(١) يتابع هنا الخبر السابق عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) ويختلف هنا من سيرة ابن هشام في تقديم وتأخير بعض الفقر .

(٢) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٤) .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥) والروض (٢/ ٢٢٤) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٧) والروض (٢/ ٢٢٥) .

(٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٨) والروض (٢/ ٢٢٥) .



وقال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني بعضُ أهل العلم أنَّ الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ ، فلمس الغار لينظرَ أفيه سَبْعُ أو حَيَّةٌ ، يَقي رسول الله ﷺ بنفسه .  
وهذا فيه انقطاعٌ من طرفه .

وقد قال أبو القاسم البغوي : حَدَّثنا داود بن عمرو الضبي ، حَدَّثنا نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مُليكة ، أنَّ النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكرٍ إلى ثور ، فجعل أبو بكرٍ يكون أمامَ النبي ﷺ مرَّةً . وخلفه مرَّةً ، فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال : إذا كنتُ خلفك خشيتُ أن تُؤتَى من أمامك ، وإذا كنتُ أمامك خشيتُ أن تُؤتَى من خلفك . حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر : كما أنتَ حتى أدخل يدي فأجسُّه وأقصِّه ، فإنَّ كانتَ فيه دابَّةٌ أصابَتني قبلك . قال نافع : فبلغني أنه كان في الغار جُحْرٌ فألقم أبو بكر رجله ذلك الجُحْرَ تخوفاً أن يخرج منه دابَّةٌ أو شيءٌ يؤذي رسول الله ﷺ .

وهذا مرسل . وقد ذكرنا له شواهد أخرى في سيرة الصديق رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إسحاق ، أنا موسى بن الحسن بن<sup>(٤)</sup> عباد ، ثنا عفان بن مسلم ، ثنا السريُّ بن يحيى ثنا محمد بن سيرين ، قال : ذكر رجالٌ على عهد عمر ، فكانهم فضَّلوا عمر على أبي بكر ، فبلغ ذلك عمر فقال : والله لليلةٍ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر ، وليومٍ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر ؛ لقد خرج رسول الله ﷺ ليلةً انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعةً بين يديه ، وساعةً خلفه ، حتى فِطَن رسول الله ﷺ فقال : « يا أبا بكر ! مالك تمشي ساعةً بين يدي وساعةً خلفي ؟ » فقال : يا رسول الله ! أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرِّصْدَ فأمشي بين يديك . فقال : « يا أبا بكر لو كان شيءٌ أحببتُ أن يكون بك دوني ؟ » قال : نعم ، والذي بعثك بالحق [ ما كانت لتكن من مَلَمَةٍ إلَّا أحببتُ أن تكونَ لي دونك ] ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبريء لك الغار ؛ فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبريء الجِحرَةَ فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبريء . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل . ثم قال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خيرٌ من آل عمر .

وقد رواه البيهقي<sup>(٥)</sup> من وجه آخر عن عمر وفيه : أنَّ أبا بكر جعل يمشي بين يدي رسول الله ﷺ تارة ،

(١) في السيرة (٤٨٦/١) والروض (٢٢٤/٢) .

(٢) أفرد المؤلف لأبي بكر رضي الله عنه مصنفًا سَمَاءَ سيرة أبي بكر ، وقد أشار إليه في ص ٢٢٧ من هذا الجزء .

(٣) في دلائل النبوة (٤٧٦/٢) وما يأتي بني معقوفين منه .

(٤) في ط : أنا موسى بن الحسن ثنا عباد ثنا عفان . وهو تصحيف ، والمثبت من ح ودلائل البيهقي وترجمته في سير

أعلام النبلاء (٣٧٨/١٣) .

(٥) في الدلائل (٤٧٧/٢) .

وخلفه أخرى ، وعن يمينه وعن شماله . وفيه أنه لما حَفِثَ رجلاً رسول الله ﷺ حمله الصديقُ علي كاهله ، وأنه لما دخل الغار سدد تلك الأجره<sup>(١)</sup> كلَّها ، وبقي منها حجرٌ واحد ، فألقمه كعبه فجعلتِ الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل ، فقال له رسول الله ﷺ : « لا تحزن إنَّ الله معنا » . وفي هذا السياق غرابة ونكارة .

ثم قال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالا : ثنا أبو العباس الأصم ، ثنا عباس الدوري ، ثنا أسود بن عامر شاذان ، ثنا إسرائيل عن الأسود ، عن جندب بن عبد الله ، قال : كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار ، فأصاب يده حجرٌ فقال : [ من الرجز ]

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَغُ دَمِيتِ      وفي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجزري أَنَّ مِقْسِمًا مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ ﴾ [ الأنفال : ٣٠ ] قال : تشاورت قريشُ ليلةً بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك ، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ . فلما أصبحوا ثاروا عليه<sup>(٤)</sup> ، فلما رأوا علياً ردَّ الله مكرهم . فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ فقال : لا أدري . فافتصموا<sup>(٥)</sup> أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط<sup>(٦)</sup> عليهم ، فصعدوا [ في ] الجبل فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا أحد لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال .

وهذا إسنادٌ حسن<sup>(٧)</sup> ، وهو من أجود ما رُوي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ، وذلك من حماية الله رسوله ﷺ .

[ وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي في مسند أبي بكر<sup>(٨)</sup> : حدَّثنا بشارُ الخفاف

(١) كذا في ح ، ط والصواب فيه : سدّ تلك الجِحرَة . وليست العبارة في دلائل البيهقي بهذا اللفظ .

(٢) في الدلائل (٢/٤٨٠) .

(٣) في مسنده (١/٣٤٨) رقم (٣٢٥١) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) في المسند : إليه .

(٥) في ط : فافتصموا . والمثبت من ح والمسند .

(٦) في المسند : خلط . وهو أشبه .

(٧) من أين يأتيه الحسن وفي إسناده عثمان الجزري وهو ضعيف ، وهو غير عثمان بن عمرو بن ساج المذكور في التهذيب ، وانظر تخريجه والكلام عليه مفصلاً في تعليقنا على تاريخ الخطيب (١٥/٢٥١-٢٥٢) .

(٨) مسند أبي بكر ص ١٤٠ وما يأتي بين معقوفين منه .

حدثنا جعفر بن<sup>(١)</sup> سليمان ، حدثنا أبو عمران الجَوْنِي ، حدثنا المُعَلَّى بن زياد عن الحسن البصري قال : انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار فدخلوا فيه ، فجاء العنكبوت فنسجت على باب الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحد ، وكان النبي ﷺ قائماً يصلي ، وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبي ﷺ : فداك أبي وأمي هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسي أبكي<sup>(٢)</sup> ، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي ﷺ : « يا أبا بكر ، لا تخف<sup>(٣)</sup> إن الله معنا » .

وهذا مرسل عن الحسن ، وهو حسن بحاله<sup>(٤)</sup> من الشاهد<sup>(٥)</sup> ، وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار . وقد كان عليه السلام إذا أحزنه أمر صلى ، وروى هذا الرجل - أعني أبو<sup>(٦)</sup> بكر أحمد بن علي القاضي<sup>(٧)</sup> - عن عمرو الناقد ، عن خلف بن تميم ، عن موسى بن مُطَيْر<sup>(٨)</sup> عن أبيه عن أبي هريرة أن أبا بكر قال لابنه : يا بني ، إذا حدث في الناس حدث فأت الغار الذي اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكن فيه ، فإنه سيأتيك رزقك فيه بُكَرَةً وَعَشِيًّا<sup>(٩)</sup> ] .

وقد نظم بعضهم هذا في شعره حيث يقول : [ من الخفيف ]

نَسَجَ داوَدَ ما حمى صاحبَ الغارِ    وكان الفخارُ للعنكبوتِ

وقد ورد أن حمامتين عشتا على بابه أيضاً ، وقد نظم ذلك الصَّرَصِرِيُّ في شعره حيث يقول<sup>(١٠)</sup> :

فعمى عليه العنكبوتُ بنسجِهِ    وظلَّ على البابِ الحمامُ يبيضُ

والحديث بذلك رواه الحافظ ابنُ عساكر<sup>(١١)</sup> من طريق يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عون بن عمرو أبو عمرو القَيْسي - ويُلَقَّبُ عُوين - حدثني أبو مصعب المكي ، قال : أدركتُ زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك ، يذكرون أن النبي ﷺ ليلة الغار ، أمر الله شجرة فخرجت

(١) في ح ، ط : جعفر وسليمان ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند أبي بكر .

(٢) في ط : أثل . وكذا في ح إلا أنها من غير همز ، والمثبت من مسند أبي بكر .

(٣) كذا في ح ، ط ، في مسند أبي بكر : لا تحزن .

(٤) في ط : بماله .

(٥) بشار بن موسى الخفاف ضعيف جداً لا يصلح حديثه للشواهد والمتابعات . (بشار) .

(٦) كذا في ح ، ط والصواب : أبا .

(٧) مسند أبي بكر (ص ١١٧) ، وانظر رواية البزار (ص ٤٤٧ ح ٣) .

(٨) في ح ، ط : مطر تصحيف ، والمثبت من مسند أبي بكر وميزان الاعتدال (٤/ ٢٢٣) .

(٩) في مسند أبي بكر : فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية ، وسيأتي قول المؤلف بتضعيف الرواية .

(١٠) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري أبو زكريا جمال الدين الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦ هـ له ديوان شعر صغير

مخطوط و « المنتقى من مدائح الرسول » أعلام الزركلي (٨/ ١٧٧) .

(١١) الرواية في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور (٢/ ١٧٨) .

في وجه النبي ﷺ تسترّه ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما ، فستر وجه رسول الله ﷺ ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا<sup>(١)</sup> تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبل فتیان قريش من كل بطن منهم رجل ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قَدَر مِثْي ذراع قال الدليل - وهو سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم المَذَلْجِي - : هذا الحَجَر ثم لا أدري أين وضع رجله . فقال الفتیان : أنت لم تخطيء منذ الليلة ، حتى إذا أصبحنا . قال : انظروا في الغار . فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قَدَر خمسين ذراعاً ، فإذا الحمامتان ، فرجع . فقالوا : ما ردك أن تنظر في الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله قد درأ عنهما بهما ، فسمت<sup>(٢)</sup> عليهما - أي برك عليهما - وأخدرهما<sup>(٣)</sup> الله إلى الحرم فأفرخا كما ترى .

وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه . قد رواه الحافظ أبو نعيم<sup>(٤)</sup> من حديث مسلم بن إبراهيم وغيره ، عن عون بن عمرو - وهو الملقب بعُويْن - بإسناده مثله .

وفيه أن جميع حمام مكة من نسل تيك الحمامتين .

وفي هذا الحديث أن القائف الذي اقتفى لهم الأثر سُرَاقَةُ بن مالك المَذَلْجِي .

وقد روى الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، أن الذي اقتفى لهم الأثر كُزْز بن علقمة .

قلت : ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا<sup>(٥)</sup> الأثر والله أعلم . وقد قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظُنُّكَ مَعْنَى أَنْ نَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] يقول تعالى مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول : ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ ﴾ أنتم فإن الله ناصرهم ومؤيده ومظفرهم كما نصره ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ، ليس معه غيره ، ولهذا قال : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ أي : وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما ، وذلك لأن المشركين حين فقدوهما كما تقدّم ذهبوا في طلبهما كل مذهب من سائر الجهات ، وجعلوا لمن ردهما - أو أحدهما - مئة من الإبل ، واقتصوا آثارهما حتى اختلط عليهما ، وكان الذي يقتص الأثر لِقُرَيْشِ سُرَاقَةُ بن مالك بن

(١) في ح : ومختصر ابن منظور : فأقبلا يدفان حتى وقعا ، والمثبت من ط وتد فان : تحركان أجنحتهما .

(٢) في س : فسمت . بالسین وكلاهما صحيح ، وقال ابن الأثير : والمعجمة أعلاهما وهو من الدعاء بالخير والبركة النهاية (٢/٣٩٧ و٤٩٩) .

(٣) في مختصر ابن منظور : فأخذهما .

(٤) في دلائل النبوة (٢/٤١٩) .

(٥) في ح : اقتصا .

جُعِشُم كما تقدّم ، فصعدوا [ في ] الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرّون على باب الغار ، فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يروّنهما ، حفظاً من الله لهما كما قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدّثنا عفّان ، حدّثنا همام ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، أنّ أبا بكرٍ حدّثه ، قال : قلتُ للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه فقال : « يا أبا بكر ، ما ظنّك باثنين الله ثالثهما » .

وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما<sup>(٢)</sup> من حديث همام به .

وقد ذكر بعض أهل السير أنّ أبا بكرٍ لما قال ذلك ، قال النبي ﷺ : « لو جاؤنا من هاهنا لذهبنا من هاهنا » فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتّصل به . وسفينه مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمنكرٍ من حيث القدرة العظيمة ، ولكن لم يرد ذلك بإسنادٍ قويٍّ ولا ضعيف ، ولسنا نُثبت شيئاً من تلقاء أنفسنا ، ولكن ما صحَّ أو حسنَ سندهُ قلنا به . والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٣)</sup> : حدّثنا الفضل بن سهل ، حدّثنا خلف بن تميم ، حدّثنا موسى بن مطير القرشي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أنّ أبا بكرٍ قال لابنه : يا بني ، إنّ حدث في الناس حدثٌ فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسولُ الله ﷺ فكنُ فيه ، فإنّه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية<sup>(٤)</sup> .

ثم قال البزار : لا نعلم يرويه غير خلف بن تميم .

قلت : وموسى بن مطير هذا ضعيفٌ متروك ، وكذّبه يحيى بن معين فلا يُقبل حديثه والله أعلم .

وقد ذكر يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق أنّ الصديق قال في دخولهما الغار ، وسيرهما بعد ذلك وما كان من قصة سُرّاقة كما سيأتي شعراً فمناه قوله : [ من البسيط ]

قال النبي - ولم أجزع - يوقّرني ونحن في سدْفٍ<sup>(٥)</sup> من ظلمة الغار  
لا تخش شيئاً فإنّ الله ثالثنا وقد توكل لي منه بإظهار

وقد روى أبو نعيم هذه القصيدة من طريق زياد عن محمد بن إسحاق فذكرها مطوّلةً جدّاً ، وذكر معها قصيدة أخرى<sup>(٦)</sup> والله أعلم .

(١) في مسنده (٤/١) رقم (١١) .

(٢) فتح الباري (٣٦٥٣) فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ؛ وصحيح مسلم (١ - ٢٣٨١) فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر .

(٣) مسند البزار (١٠٢) .

(٤) في ح : بكرة وعشيا .

(٥) في دلائل النبوة لأبي نعيم (٤٣٢/٢) في سدنة .

(٦) لأبي بكر أيضاً ومطلعها :

وقد روى ابنُ لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير ، قال : فمكث رسولُ الله ﷺ بعد الحج - يعني الذي بايع فيه الأنصار - بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، ثم إنَّ مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ أو يحبسوه ، أو يخرجوه فأطلعه الله على ذلك ، فأنزل عليه : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال ٣٠] الآية . فأمر عليّاً فنام على فراشه ، وذهب هو وأبو بكر ، فلما أصبحوا ذهبوا في طلبهما في كلِّ وجه يطلبونهما .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وأنَّ خروجه هو وأبو بكر إلى الغار كان ليلاً .

وقد تقدّم عن الحسن البصري فيما ذكره ابنُ هشام التصريح بذلك أيضاً .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حدَّثنا يحيى بن بُكير ، حدَّثنا اللَّيث ، عن عُقَيْل ، قال ابنُ شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : لم أعقلُ أبويَّ قطُ إلا وهما يدينانِ الدينَ ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طَرَفِي النهارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحوَ أرضِ الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغِمَادِ لقيه ابنُ الدُّعْنَةِ وهو سيّد القارة . فذكرتُ ما كان من ردِّه لأبي بكر إلى مكة وجواره له كما قدمناه عند هجرة الحبشة ، إلى قوله فقال أبو بكر : فإني أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوارِ الله . قالت : والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة . فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين : « إني أريتُ دارَ هجرتكم ذاتَ نخلٍ بين لابتَيْنِ وهما الحِرَتَانِ . فهاجر مَنْ هاجر قبل المدينة ، ورجعَ بعضُ<sup>(٢)</sup> مَنْ كان هاجر قِبَلَ الحبشة إلى المدينة ، وتجهَّزَ أبو بكر مهاجراً قبل المدينة . فقال له رسولُ الله ﷺ : « على رِسْلِكَ ، فإني أرجو أن يُؤذَنَ لي » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : « نعم » فحَسَبَ أبو بكر نفسه على رسولِ الله ﷺ ليصحَّبه ، وعلفَ راحلتَيْنِ كانتا عنده ورقَ السَّمُرِ - وهو الخَبَطُ - أربعة أشهر . [ وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر ]<sup>(٣)</sup> - قال ابنُ شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فينما نحن يوماً جلوسٌ في بيت أبي بكر في حرِّ الظهيرة ، فقال قائلٌ لأبي بكر : هذا رسولُ الله ﷺ متقنعا في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر : فداءً له أبي وأُمِّي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسولُ الله ﷺ فاستأذن ، فأذِنَ له ، فدخل ، فقال النبيُّ ﷺ : « أخرجْ مَنْ عندك » فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسول الله . قال : فإنه قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصُّحْبَةُ بأبي أنت وأمي ؟ قال النبيُّ ﷺ « نعم » قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتَيَّ هاتين . فقال رسولُ الله ﷺ : « بالثمن » . قالت عائشة : فجهَّزناهما أحثَّ الجَهَّازِ<sup>(٤)</sup> ، فصنعنا لهما

ألم ترني صاحبُ أيمن صاحب على واضح من سنة الحق منهمج

(١) البخاري (٢٢٩٨) في الحوالة : باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ والمناقب (٣٩٠٦) باب هجرة النبي ﷺ .

(٢) في فتح الباري : ورجع عامة من كان هاجر .

(٣) ليس ما بين المعقوفين في صحيح البخاري « فتح » .

(٤) « أحث » : بالمهملة والمثلثة أفعل تفضيل من الحث وهو الإسراع ، وفي رواية لأبي ذر : أحب . بالموحدة ، =

سُفْرَةٌ فِي جِرَابٍ ، فَقَطَعْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ ، فَبَذَلْتُ سُمِّيَّتَ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ . قَالَتْ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ ، فَمَكْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غَلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدَهُمَا بِسَحَرٍ ، فَيُصْبِحُ مَعَ قَرِيشٍ بِمَكَّةَ كِبَائِتٍ ، لَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانُ بِهِ إِلَّا وَعَاةً ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ ، وَيُرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مَنَحَةً<sup>(١)</sup> مِنْ غَنَمٍ ، فَيُرِيحُهُمَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ<sup>(٢)</sup> - وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتُهُمَا وَرَضِيفُهُمَا<sup>(٣)</sup> - حَتَّى يَنْعِقَ بِهِمَا<sup>(٤)</sup> عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَغْلَسَ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ . وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدُّبُلِ<sup>(٥)</sup> وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِي هَادِيَا خَزَيْتًا - وَالْخَزَيْتُ : الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ<sup>(٦)</sup> - قَدْ غَمَسَ حِلْفًا<sup>(٧)</sup> فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينَ كُفَّارِ قَرِيشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَا حِلَّتَيْهِمَا ، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَا حِلَّتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثِ لَيَالٍ<sup>(٨)</sup> . وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالِدِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلِّ .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ<sup>(٩)</sup> : فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمُذَلِّجِيُّ - وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَّاقَةَ - أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَّاقَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ . يَقُولُ : جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قَرِيشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةً كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ ؛ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُذَلِّجٍ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ . فَقَالَ : يَا سُرَّاقَةَ إِنِّي رَأَيْتُ أَنْفَا أَسْوَدَةَ بِالسَّاحِلِ<sup>(١٠)</sup> ، أَرَاهَا مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سُرَّاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا

- = والأول أصح . والجهاز بفتح الجيم وقد تكسر : ما يُحتاج إليه في السفر . فتح الباري (٢٣٥/٧ ، ٢٣٦) .
- (١) « الْمَنَحَةُ » : أَنْ يُعْطِيَهُ نَاقَةً أَوْ شَاةً ، يَنْتَفِعُ بِلَبْنِهَا وَيُعِيدُهَا ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَعْطَاهُ لِيَنْتَفِعَ بِوَبَرِّهَا وَصُوفِهَا زَمَانًا ثُمَّ يَرُدُّهَا . النهاية لابن الأثير (٣٦٤/٤) .
- (٢) « الرِّسْلُ » : اللَّبَنُ الطَّرِي . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ (٢٣٧/٧) .
- (٣) « الرِّضِيفُ » : اللَّبَنُ الْمَرْضُوفُ ، أَيْ الَّذِي وَضَعْتَ فِيهِ الْحَجَارَةَ الْمُحَمَّاةَ بِالشَّمْسِ أَوْ النَّارِ لِيَنْعَقِدَ وَتَزُولَ رَخَاوَتُهُ ، وَهُوَ بِالرَّفْعِ وَيَجُوزُ الْجَر . فتح الباري (٢٣٧/٧) ووقع في ط : وَرَضِيعُهُمَا . تصحيف .
- (٤) « يَنْعِقُ بِهِمَا » : أَيْ يَسْمَعُهُمَا صَوْتَهُ إِذَا زَجَرَ غَنَمَهُ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ ، وَهِيَ رَوَايَةُ أَبِي ذَرٍّ ، وَأَمَّا رَوَايَةُ ط وَالصَّحِيحُ ف : حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا . أَيْ يَصْبِحُ بِغَنَمِهِ .
- (٥) « الدُّبُلُ » : بِكَسْرِ الدَّالِ وَسُكُونِ التَّحْتَانِيَّةِ ، وَقِيلَ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَانِيهِ مَهْمُوزٌ . فتح الباري (٢٣٧/٧) .
- (٦) هَذَا التَّفْسِيرُ مَدْرَجٌ فِي الْخَبَرِ مِنْ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ يَبْنِيهِ ابْنُ سَعْدٍ . فتح الباري (٢٣٨/٧) .
- (٧) أَيْ كَانَ حَلِيفًا ، وَكَانُوا إِذَا تَحَالَفُوا غَمَسُوا أَيْمَانَهُمْ فِي دَمٍ أَوْ خُلُقٍ أَوْ فِي شَيْءٍ يَكُونُ فِيهِ تَلْوِثٌ فَيَكُونُ ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِلْحَلْفِ . فتح الباري (٢٣٨/٧) .
- (٨) لَيْسَتْ اللَّفْظَةُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .
- (٩) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْفَتْحِ (٢٤٠/٧) : هُوَ مُوَصَّلٌ بِإِسْنَادٍ حَدِيثِ عَائِشَةَ السَّابِقِ . وَهُوَ فِي الْفَتْحِ (٣٩٠٦) مَنَاقِبُ الْأَنْصَارِ بِابْنِ هَجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ .
- (١٠) « أَسْوَدَةُ » : أَيْ أَشْخَاصًا . فتح الباري (٢٤١/٧) .

بأعْيُننا ، ثم لبثتُ في المجلس ساعة ، ثم قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تخرُجَ بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتحبسها عليّ ، وأخذتُ رُمحي فخرجتُ به من ظهر البيت ، فخططت بزُجِّه الأرض وخفضتُ عاليه<sup>(١)</sup> ، حتى أتيتُ فرسي فركبتها فرفعتها تُقَرَّبُ بي<sup>(٢)</sup> حتى دنوتُ منهم ، فعثرتُ بي فرسي فخرزتُ عنها ، فقمْتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي فاستخرجتُ منها الأزلام فاستقسمتُ بها : أضرُّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبتُ فرسي وعصيتُ الأزلام فجعل فرسي يُقَرَّبُ بي ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكرٍ يكثر الالتفات ساختُ يدا فرسي في الأرض<sup>(٣)</sup> ، حتى بلغنا الرُّكبتَيْن ، فخررتُ عنها فقمْتُ فأهويتُ ، ثم زجرتها فنهضتُ ، فلم تكد تُخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها غبارٌ<sup>(٤)</sup> ساطعٌ في السماء مثل الدخان ، فاستقسمتُ بالأزلام ، فخرج الذي أكره ؛ فناديتُهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم ، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أن سيظهرُ أمرُ رسولِ الله ﷺ ، فقلتُ له : إنَّ قومك قد جعلوا فيك الدية . وأخبرتهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع فلم يَزِرْزَاني ولم يسألاني إلا أن قال<sup>(٥)</sup> : أخفِ عنا . فسألته أن يكتبَ لي كتابَ أمْنٍ ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعةٍ من أدم . ثم مضى رسولُ الله ﷺ .

[ وقد روى محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> ، عن الزُّهري ، عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعشم ، عن أبيه ، عن عمه سُراقَة فذكر هذه القصة ، إلا أنه ذكر أنه استقسم بالأزلام أولَ ما خرج من منزله ، فخرج السهمُ الذي يكره لا يضرُّه ، وذكر أنه عثر به فرسه أربع مرات ، وكل ذلك يستقسم بالأزلام ويخرج الذي يكره لا يضرُّه . حتى ناداهم بالأمان . وسأل أن يكتب له كتاباً يكون أمانةً ما بينه وبين رسولِ الله ﷺ ؛ قال : فكتب لي كتاباً في عَظْم - أو رقعة أو خِرْقَة - وذكر أنه جاء به إلى رسولِ الله ﷺ وهو بالجعرانة<sup>(٧)</sup> مرجعه من الطائف ، فقال له : « يوم وفاء وبرٍّ ، أدُّنهُ » فدنوتُ منه وأسلمتُ .

- (١) « الزُّج » : الحديدية التي في أسفل الرمح . وخفضت : أي أمسكه بيده وجَرَّ رُجَّه على الأرض فخطها به لثلا يظهر بريقه لمن بعد منه ، لأنه كره إن تبعه منهم أحد فيشركوه في الجعالة . فتح الباري (٧/ ٢٤١) .
- (٢) « رفعتها » : أي أسرع بها السير . وتقَرَّبُ بي : من التقريب ، وهو السير دون العدو وفوق العادة ، وقيل : أن ترفع الفرس يديها معاً وتضعهما معاً . فتح الباري (٧/ ٢٤١) وصحفت العبارة في ط إلى : فدفعها ففرت بي ، وهي على الصواب في ح .
- (٣) « ساخت » : غاصت . فتح (٧/ ٢٤١) .
- (٤) لفظ البخاري في الفتح : عثان . بضم المهملة بعدها مثلثة خفيفة ، أي دخان . قال معمر : قلت لأبي عمرو بن العلاء : ما العثان ؟ قال : الدخان من غير نار ، وفي رواية الكشميهني : غبار بمعجمة ثم موحدة ثم راء . قاله ابن حجر .
- (٥) في ط : قالوا ، والمثبت من ح والبخاري .
- (٦) في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٩) والروض (٢/ ٢٢٥) .
- (٧) مضى التعريف بالجعرانة وضبطها ص (٦٠ ح ٩) .



قال ابن هشام : هو عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشَم . وهذا الذي قاله جيد .  
ولما رجع سُرَاقَة جعل لا يلقي أحداً من الطلب إلا ردّه وقال : كُفَيْتُم هذا الوجه ، فلما ظهر أنَّ  
رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة . جعل سُرَاقَة يقصُّ على الناس ما رأى وما شاهد من أمر النبي ﷺ  
وما كان من قضية جواده ، واشتهر هذا عنه . فخاف رؤساء قريش معرفته ، وخشوا أن يكون ذلك سبباً  
لإسلام كثير منهم ، وكان سُرَاقَة أمير بني مُدَلِج ورئسهم ، فكتب أبو جهل - لعنه الله - إليهم : [ من الطويل ]

بني مدلج إني أخافُ سفيهِكم      سُرَاقَة مستغورٍ لنصرِ محمدٍ  
عليكم به ألا يفرِّقَ جمعكم      فيصبحُ شتَّى بعد عزٍّ وسؤدِّدٍ

قال فقال سُرَاقَة بن مالك يُجيب أبا جهل في قوله هذا : [ من الطويل ]

أبا حكم والله لو كنتَ شاهداً      لأمرِ جوادي إذ تسوخُ قوائمه  
عجبتَ ولم تشكُّ بأنَّ محمداً      رسولٌ وبرهانٌ فمن ذا يقاومه  
عليك فكُفَّ القومُ عنه فإنني      إخالٌ لنا يوماً ستبدو معالمه  
بأمرٍ توذُّ النصرَ فيه فإنهم      وإنَّ جميعَ الناسِ طراً مُسالمة

وذكر هذا الشعر الأموي في مغازيه بسنده عن أبي إسحاق ، وقد رواه أبو نعيم<sup>(١)</sup> بسنده من طريق زياد  
عن ابن إسحاق ، وزاد في شعر أبي جهل أبياتاً تتضمن كفراً بليغاً<sup>(٢)</sup> .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> بسنده إلى ابن شهاب : فأخبرني عروة بن الزبير ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لَقِيَ الزبير في  
ركبٍ من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بياض ، وسمع  
المسلمون بالمدينة بمخرج رسولِ الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدُونَ كلَّ غداةٍ إلى الحرة فينتظرونه حتى  
يردَّهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم ، فلما أَوْوا إلى بيوتهم أوفى رجلٌ من اليهود على  
أُطْمٍ من أطامهم لأمرٍ ينظرُ إليه ، فبصرَ برسولِ الله ﷺ وأصحابه مُبَيَّضِينَ<sup>(٤)</sup> ، يزولُ بهم السراب<sup>(٥)</sup> ، فلم  
يملك اليهوديُّ أن قال بأعلى صوته : يا معشرَ العرب هذا جدُّكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح  
فتلقَّوا رسولَ الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم  
الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار  
ممن لم يرَ رسولَ الله ﷺ يُحيِّي أبا بكر حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه

(١) في دلائل النبوة (٢/٤٣٥) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٣) فتح الباري (٧/٢٣٩) .

(٤) أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير . فتح (٧/٢٤٣) .

(٥) أي يزول السراب من النظر بسبب عروضهم له . فتح (٧/٢٤٣) .

بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس<sup>(١)</sup> المسجد الذي أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مزبداً للتمر، لسهلي وسهل، غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: « هذا إن شاء الله المنزل »، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمزبد ليتخذاه مسجداً، فقالا: بل نهيه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه، وهو يقول حين ينقل اللبن: [من الرجز]

هذا الجمال لا جمال خبير هذا أبر ربنا وأظهر<sup>(٢)</sup>

ويقول: [من الرجز]

لا هم إن الأجر أجر الآخرة فازحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسم لي<sup>(٣)</sup>

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببیت شعر تام غير هذه الأبيات. هذا لفظ البخاري وقد تفرد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه آخر، وليس فيه قصة أم معبد الخزاعية، ولندكر هنا ما يناسب ذلك مرتباً أولاً فأولاً.

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup>: حدثنا عمرو بن محمد أبو سعيد العنقزي، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: اشتري أبو بكر من عازب سرجاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مِر البراء فليحملهُ إلى منزلي. فقال: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدْلجنا فأحْثْنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فضربتُ بصري<sup>(٥)</sup> هل أرى ظلاً ناوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها فإذا بقية ظلها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشتُ له فروةً وقلت: اضْطَجِعْ يا رسول الله فاضطجع، ثم خرجتُ أنظر هل أرى أحداً من الطلب، فإذا أنا براعي

(١) الضبط من صحيح البخاري.

(٢) « الجمال » : المحمول من اللبن. أبر: عند الله أي أبقى ذخراً من حمال خبير، أي التي يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك. قال ابن حجر: ووقع في بعض النسخ في رواية المستملي: الجمال. بفتح الجيم، وقوله: ربنا. منادى مضاف. اهـ فتح (٢٤٦/٧).

(٣) قال ابن حجر: قال غير الزهري: إن الشعر المذكور لعبد الله بن رواحة فكأنه لم يبلغه. وما في الصحيح أصح وهو قوله: شعر رجل من المسلمين، وفي الحديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصاً الرجز في الحرب والتعاون على سائر الأعمال الشاقة اهـ.

(٤) في مسنده (٣/١) وما يأتي بين معقوفين منه.

(٥) في المسند: ببصري.

غنم ، فقلتُ : لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجلٍ من قريش . فسَمَّاه . فعرفته ، فقلتُ : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلتُ : هل أنت حالبٌ لي ؟ قال : نعم ! فأمرته ، فاعتقل شاةً منها ثم أمرته فنفضَ صَرْعَهَا من الغبار ، ثم أمرته فنفضَ كَفَّيْهِ من الغبار ، ومعِي إِدَاوَةٌ على فمها خِرْقَةٌ ، فحلب لي كُتْبَةً<sup>(١)</sup> من اللَّبَنِ فصَبَبْتُ - [ يعني الماء ] - على القَدَحِ حتى بر أسفله ، ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ ، فقلتُ : اشرب يا رسول الله فشرب حتى رَضِيتُ ، ثم قلتُ : هل آتٍ<sup>(٢)</sup> الرحيلُ ؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يُدْرِكْنَا أحدٌ منهم إلا سُرَاقَةً بن مالك بن جُعْشُم على فرسٍ له ، فقلتُ : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا ؟ قال : « لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » حتى إذا دنا منا ، فكان بيننا وبينه قَدْرُ رَمَحٍ أو رمحين - أو قال : رمحين أو ثلاثة - قلتُ : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ؟ وبكيتُ ، قال : لم تبكي ؟ قلتُ : أما والله ما على نفسي أبكي ، ولكن أبكي عليك . فدعا عليه رسولُ الله ﷺ فقال : « اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ » فساخَتْ قوائمُ فرسه إلى بطنها في أرض صُلْدٍ ، ووثب عنها وقال : يا محمد ، قد علمتُ أَنَّ هذا عملك ، فادعُ الله أَنْ يُنَجِّنِي مما أنا فيه ، فوالله لأَعْمِيَنَّ على مَنْ ورائي من الطلب ، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمرُّ ببلي وغمي بموضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « لا حاجة لي فيها » ودعا له رسولُ الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه ؛ ومضى رسولُ الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقاه الناسُ فخرجوا في الطرق وعلى الأناجير<sup>(٣)</sup> واشتدَّ الخدم والصبيان في الطريق يقولون : الله أكبر جاء رسولُ الله ﷺ ، جاء محمد . قال : وتنازعَ القومُ أيُّهم ينزلُ عليه ، قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « أنزلُ الليلة على بني النَجَّارِ أخوالِ عبدِ المطلب لأَكْرِمَهُمْ بذلك » فلما أصبح غدا حيث أُمِر .

قال البراء : أولُ مَنْ قدم علينا من المهاجرين مُصعب بن عُمر أخو بني عبد الدار ، ثم قدم علينا ابنُ أمِّ مكتوم الأعمى أحدُ<sup>(٤)</sup> بني فهر ، ثم قدم علينا عمر بن الخطاب في عشرين ركباً ، فقلنا ما فعل رسولُ الله ؟ قال : هو على أثري ، ثم قدم رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ معه . قال البراء : ولم يقدم رسولُ الله ﷺ حتى قرأتُ سُورَةَ المفضل .

أخرجاه في الصحيحين من حديث إسرائيل بدون قول البراء : أول من قدم علينا إلخ . فقد انفرد به مسلم فرواه من طريق إسرائيل به<sup>(٥)</sup> .

(١) « الكُتْبَةُ » : كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك . النهاية لابن الأثير (٤/ ١٥١) .

(٢) في المسند : أتى وفي طبعة شاكر : أتى . ووقع في ح : أتى . وفوقها « ن » .

(٣) في ح : في الطرق وفي الأناجير . والمثبت من المسند ، وفي النهاية لابن الأثير (١/ ٢٦) : في السوق وعلى الأناجير والأناجير . وفيه : الإِجَاءُ والإِنْجَاز : السطح وجمعه أجاير وأناجير .

(٤) كذا في ح ، ط ، وفي المسند : أخو .

(٥) فتح الباري (٣٦١٥) المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وصحيح مسلم (٧٥ - ٢٠٠٩) الزهد والرقائق باب في =

وقال ابنُ إسحاق<sup>(١)</sup> : فأقام رسولُ الله ﷺ في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر ، وجعلتُ قريشُ فيه حين فقدوه مئة ناقة لمن ردَّه عليهم<sup>(٢)</sup> ، فلما مضت الثلاث وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجره ببيعِيهما وبيعِ له ، وأتتهما أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ بسُفرتَهما ، ونسيَتْ أن تجعل لها عصاماً ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السُّفرة فإذا ليس فيها عصام ، فتحل نِطاقها فتجعله عصاماً ثم علّقتهَا به . فكان يقال لها ذات النطاقين لذلك .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسولِ الله ﷺ قدم له أفضلهما ثم قال : اركب فذاك أبي وأمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إني لا أركبُ بغيراً ليس لي » قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي . قال : « لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ » قال : كذا وكذا . قال « أخذتها بذلك » قال : هي لك يا رسول الله .

وروى الواقديُّ بأسانيدِهِ<sup>(٤)</sup> أنه عليه السلام أخذ القصواء ، قال وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمئة درهم .

وروى ابن عساكر<sup>(٥)</sup> من طريق أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : وهي الجدعاء وهكذا حكى الشَّهيلي<sup>(٦)</sup> عن ابن إسحاق أنها الجدعاء . والله أعلم .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٧)</sup> : فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامرَ بن فُهيرة مولاة خلفه ليخدمَهما في الطريق . فحدّثت عن أسماء أنها قالت : لما خرج رسولُ الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل ؛ فذكر ضربه لها على خدّها لطمّة طرح منها قُرطها من أذنها كما تقدّم . قالت : فمكثنا ثلاث ليالٍ ما ندري أين وجهُ رسولِ الله ﷺ حتى أقبل رجلٌ من الجَنّ من أسفل مكة يتغنّى بأبياتٍ من شعر غناء العرب ، وإنَّ الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول : [ من الطويل ]

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه      رفيقَيْن حلالاً خيمتي أمّ مَعْبَدٍ  
هما نزلا بالبرِّ ثم ترؤّحا      فأفلحَ من أمسى رفيقَ محمدٍ

= حديث الهجرة . قلت : أما قول البراء فقد أخرجه البخاري من طريق شعبة عن أبي إسحاق في الفتح (٣٩٢٥) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

(١) في سيرة ابن هشام (٤٨٦/١) والروض (٢٢٤/٢) .

(٢) زاد ابن هشام هنا ما حذفه ابن كثير لتقدمه .

(٣) في سيرة ابن هشام (٤٨٦/١) والروض (٢٢٤/٢) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢٢٨/١) .

(٥) مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر (٣٥٧/٢) .

(٦) في الروض (٢٣٠/٢) .

(٧) في سيرة ابن هشام (٤٨٧/١) والروض (٢٢٥/٢) .

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمَرَصَدٍ

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وَجَّهَ رسول الله ﷺ ، وأنَّ وجهه إلى المدينة .

قال ابنُ إسحاق<sup>(١)</sup> : وكانوا أربعة ؛ رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أرقد ، كذا يقول ابن إسحاق ، والمشهور عبد الله بن أريقط الدُّثلي . وكان إذ ذاك مشركاً .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقد سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج<sup>(٣)</sup> ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُديداً ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَار<sup>(٤)</sup> ثم أجاز بهما ثنية المَرَّة ، ثم سلك بهما لَقْفاً<sup>(٥)</sup> ، ثم أجاز بهما مَدْلَجَة لَقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلَجَة مِجَاج<sup>(٦)</sup> ثم سلك بهما مَرَجَج مِجَاج ، ثم تبطن بهما مَرَجَج من ذي الغَضُون<sup>(٧)</sup> ، ثم بطن ذي كَشْر<sup>(٨)</sup> ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأَجْرَد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم من بطن أعداء مَجْلَجَة تِغْهِن<sup>(٩)</sup> ، ثم على العَبَايِد<sup>(١٠)</sup> ، ثم أجاز بهما القَاخَة<sup>(١١)</sup> ثم هبط بهما العَرَج وقد أبطأ عليهم بعضُ ظَهْرِهِمْ ، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم يقال له أوس بن حُجْر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة وبعث معه غلاماً له يقال له مسعود بن هُنيدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرَج ، فسلك بها ثنية العائر عن يمين رَكوبة - ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن رثم ، ثم قدم

(١) سيرة ابن هشام (٤٨٨/١) والروض (٢/٢٢٥) .

(٢) في سيرة ابن هشام (٤٩١/١) والروض (٢/٢٣٦) .

(٣) « أَمَج » : بلد من أعراض المدينة . معجم البلدان (١/٢٤٩) .

(٤) « الخَرَار » : واد من أودية المدينة معجم البلدان (٢/٣٥٠) .

(٥) ويقال : لَفْتاً وتكسر اللام ، الروض (٢/٢٤٤) .

(٦) اختلف في ضبطه ف قيل : مِجَاج ، ومِجَاج ، ومُجَاج ، وقال السهيلي في الروض (٢/٢٤٤) : وقد ألغيت

شاهداً لرواية ابن إسحاق في لقف ، وفيه ذكر مجاج بالحاء المهملة بعد الجيم وهو قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن الله بن لقف مسيلاً ومجاحاً وما أحب مجاحاً

لقيت ناقتي به وبلقف بلداً مجدباً وأرضاً شحاحاً

وانظر معجم البلدان (٥/٥٥) .

(٧) في ح ، ط : العَضُون . بالعين المهملة - وهي رواية كما قال ابن هشام ، والمثبت من السيرة والروض ومعجم

البلدان (٤/٢٠٦) .

(٨) في ح ، ط : ذي كشد . بالذال المهملة ، والمثبت من السيرة والروض ومعجم البلدان (٤/٤٦٢) .

(٩) قيل فيه : تِغْهِن وتَغْهِن وتُغْهِن . معجم البلدان (٢/٣٥) .

(١٠) قال ابن هشام في السيرة (١/٤٩١) : ويقال : العبايب .

(١١) قال ابن هشام في السيرة (١/٤٩١) : ويقال : الفَاخَّة . بالفاء والجيم .

بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل .

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحواً من ذكر هذه المنازل ، وخالفه في بعضها . والله أعلم <sup>(١)</sup> .  
قال أبو نعيم <sup>(٢)</sup> : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق - هو <sup>(٣)</sup> السراج - حدثنا محمد ابن عباد بن موسى العكلي <sup>(٤)</sup> ، حدثني أبي موسى بن عباد ، حدثني عبد الله بن يسار <sup>(٥)</sup> ، حدثني إياس ابن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه . قال : لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مرؤوا بابل لنا بالجحفة ، فقال رسول الله ﷺ : « لمن هذه الإبل ؟ » فقالوا : لرجل من أسلم . فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سلمت إن شاء الله » فقال : « ما اسمك ؟ » قال : مسعود . فالتفت إلى أبي بكر فقال : « سعدت إن شاء الله » . قال فأنأه أبي فحمله على جملٍ يقال له ابن الرداء <sup>(٦)</sup> .

قلت : وقد تقدّم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين .

والظاهر أن بين خروجه عليه السلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً ، لأنه أقام بغار ثور ثلاثة أيام ، ثم سلك طريق الساحل ، وهي أبعاد من الطريق الجاد ، واجتاز في مروره على أمّ معبد بنت كعب ، من بني كعب بن خزاعة .

قال ابن هشام : وقال يونس عن ابن إسحاق : اسمها عاتكة بنت خلف <sup>(٧)</sup> بن معبد بن ربيعة بن أصرم . وقال الأموي : هي عاتكة بنت تبيع خليف بن مُنْقِذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حُبْشَةَ ابن كعب بن عمرو <sup>(٨)</sup> ، ولهذه المرأة من الولد معبد ونضرة وحنيذة بنو أبي معبد ، واسمه أكتم بن عبد العزى بن معبد بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس ، وقصته مشهورة مروية من طرق يشدُّ بعضها بعضاً .  
وهذه قصة أمّ معبد الخزاعية :

- (١) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم .
- (٢) لم أجد هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهي في الإصابة في ترجمة أوس بن عبد الله ومالك بن أوس ، وفي الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ١٩٠) .
- (٣) في ط : عن السراج . والمثبت من ح .
- (٤) في ط : محمد بن عبادة بن موسى العجلي . تصحيف ، والمثبت من ح وأنساب السمعاني (٣٣/ ٩) .
- (٥) في ح ، ط : سيار تصحيف ، والمثبت من الإصابة .
- (٦) في ح : ابن الردي .
- (٧) كذا في ح ، ط وفي الإصابة والروض : عاتكة بنت خالد ، وهو أشبه بالصواب .
- (٨) أصاب النسب في مختلف المصادر تصحيف وتحريف كثير . انظر الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٧٤ و ٤٧٣) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ٢٣٨) والروض (٢/ ٢٣٥) وأثبت ما ظننته أقرب للصواب فيها .

قال يونس عن ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أمّ معبد ، [ واسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أصرم ]<sup>(٢)</sup> فأرادوا القرى ، فقالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة<sup>(٣)</sup> ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ، ودعا الله وحلب في العُس حتى أرغى وقال : « اشربي يا أمّ معبد » فقالت : اشرب فأنت أحق به ، فردّه عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل مثل ذلك بها فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ، ثم تروّح .

وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أمّ معبد ، فسألوا عنه فقالوا : رأيت محمداً من حليته كذا كذا ؟ فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون ، قدِمنا فتى حالب الحائل . قالت قريش : ذاك الذي نريد .

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٤)</sup> : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جابر ، قال : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرين فدخلوا الغار ، إذا في الغار جحر ، فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء ، فأقاما في الغار ثلاث ليال ، ثم خرجا حتى نزلا بخيمات أمّ معبد ، فأرسلت إليه أمّ معبد : إني أرى وجوهاً حسناً ، وإنّ الحيّ أقوى على كرامتكم مني ، فلما أمسوا عندها بعثت مع ابن لها صغير بشفرة وشاة . فقال رسول الله ﷺ : « اردد الشفرة وهات لنا فرقا » - يعني القدح<sup>(٥)</sup> - فأرسلت إليه أن لا لبن فيها ولا ولد . قال : « هات لنا فرقا » فجاءت بفرق فضرب ظهرها فاجترت ودرّت ، فحلب فملاً القدح ، فشرب وسقى أبا بكر ، ثم حلب فبعث به إلى أمّ معبد .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى [ بهذا اللفظ ] إلا بهذا الإسناد ، وعبد الرحمن بن عقبة لا نعلم أحداً حدّث عنه إلا يعقوب بن محمد ، وإن كان معروفاً في النسب .

وروى الحافظ البيهقي<sup>(٦)</sup> من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني ، سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلي [ يحدث ] عن أبي بكر الصديق . قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة ، فانتبهنا إلى حيّ من أحياء العرب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت مُنتحياً فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة ، فقالت : يا عبد الله ، إنما أنا امرأة وليس

(١) رواية ابن إسحاق هذه في دلائل النبوة للبيهقي (٢/٤٩٣) .

(٢) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٣) « المنحة » : الناقة .

(٤) كشف الأستار للهيتمي (١٧٤٢) الهجرة والمغازي باب الهجرة إلى المدينة وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) « الفرق » : مكيا ل يسع ثلاثة أصع عند أهل الحجاز . النهاية لابن الأثير .

(٦) في دلائل النبوة (٢/٤٩١) .

معي أحد ، فعليكما بعظيم الحيّ إن أردتم القرى . قال : فلم يُجِبْها وذلك عند المساء ، فجاء ابنُ لها بأعْز يسوقُها ، فقالت : يا بني انطلق بهذه العزّ والشّفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما تقول لكما أمّي أذبحاً هذه وكُلاً وأطعمانا فلما جاء قال له النبي ﷺ : « انطلق بالشفرة وجئني بالقدح » قال : إنها قد عزبت وليس بها لبن ، قال انطلق ، فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ، ثم حلب حتى ملأ القدح ، ثم قال : « انطلق به إلى أمك » فشربت حتى رويّت ، ثم جاء به فقال : « انطلق بهذه وجئني بأخرى » ففعل بها كذلك ، ثم سقى أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي ﷺ فبتنا ليلتنا ، ثم انطلقنا .

فكانت تسميه المُبَارَك . وكثُرَتْ غنمُها حتى جلبتْ جلباً إلى المدينة ، فمرّ أبو بكر فرأى ابنها فعرّفه فقال : يا أمّة ، هذا الرجل الذي كان مع المُبَارَك . فقامت إليه فقالت : يا عبد الله ، من الرجل الذي كان معك ؟ قال : أو ما تدريين من هو ؟ قالت : لا ، قال : هو نبيّ الله . قالت : فأدخلني عليه . قال : فأدخلها ، فأطعمها رسولُ الله ﷺ وأعطاهما - زاد ابنُ عبدان في روايته : - قالت : فدُلّني عليه ، فانطلقتُ معي وأهدتُ لرسولِ الله شيئاً من أَقِطٍ ومتاعِ الأعراب . قال : فكساها وأعطاهما . قال : ولا أعلمه إلا قال وأسلمت .

إسنادٌ حسن .

وقال البيهقي : هذه القصة شبيهة بقصة أمّ معبد ، والظاهر أنها هي والله أعلم .

وقال البيهقي<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا الحسن<sup>(٢)</sup> بن مكرم ، حدّثني أبو أحمد بشر بن محمد الشَّكْرِي ، حدثنا عبد الملك بن وهب المَذْحِجِي ، حدثنا الحُرّ بن الصَّيَّاح<sup>(٣)</sup> عن أبي مَعْبَد الخُزَاعِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة ، هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر ، ودليلهم عبد الله بن أُرَيْقُط اللَّيْثِي ، فمروا بخيمتي أمّ معبد الخُزَاعِيَّة ، وكانت أمّ معبد امرأةً بَرْزَةً<sup>(٤)</sup> جُلْدَةً تحتبي وتجلس بفناء الخيمة

(١) سقطت هذه الرواية من دلائل النبوة المطبوع للبيهقي وقد تسرّع محققه (٢/٤٩٤) في الحاشية فذكر أن البيهقي لم يعرج على قصة أمّ معبد ، ولو أنه أمعن النظر في المتن وما هو مثبت هنا لما قال ذلك . قال البيهقي في (٢/٤٩٣) : فيحتمل أن يكون أولاً أي التي في كسر الخيمة ، كما روينا في حديث أمّ معبد ، ثم رجع ابنها بأعز ، كما روينا في حديث ابن أبي ليلى ، ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم . فدل هذا على أن البيهقي روى حديث أمّ معبد قبل رواية ابن أبي ليلى ولو فتشت عنه قبلها لما وجدته وهذا يعني أنه سقط من النسخ التي اعتمدها في التحقيق والله أعلم . وقد ساق الحاكم إسناد هذه الرواية في المستدرک (٣/١١) .

(٢) في المستدرک : الحسين بن مكرم . تصحيف ، ترجمته في تاريخ بغداد (٧/٤٣٢) وسير أعلام النبلاء (١٣/١٩٢) .

(٣) في ط : أبجر بن الصباح ، وفي ح : الحر بن الصباح . وكذا في المستدرک وكله تصحيف والمثبت من ترجمته في تهذيب الكمال (٥/٥١٤) والإكمال (٥/١٦١) .

(٤) « الْبَرْزَةُ » : الكَهْلَةُ التي لا تحتجب احتجاب الشواب ، وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس وتحديثهم . النهاية لابن الأثير (١/١١٧) .



فَتُطْعِمُ وَتَسْقِي ، فسألوها هل عندها لحمٌ أو لبنٌ يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك .  
 وقالت : لو كان عندنا شيءٌ ما أعوزكم القِرَى ؛ وإذا القومُ مُزْمِلُونَ مُسْتَتُونَ . فنظر رسولُ الله ﷺ فإذا  
 شاةٌ في كِسْرِ خيمتها فقال : « ما هذه الشاةُ يا أُمَّ معبد ؟ » فقالت : شاةٌ خلَّفها الجَهُدُ عن الغَنَمِ قال :  
 « فهل بها من لبن ؟ » قالت : هي أجهدُ من ذلك قال : « تأذنين لي أن أحلبها ؟ » قالت : إن كان بها  
 حَلَبٌ فاحلبها . فدعا رسولُ الله ﷺ بالشاة ، فمسحها وذكر اسمَ الله ، ومسحَ ضَرْعَها وذكر اسمَ الله ودعا  
 بإناءٍ لها يُرْبِضُ الرَّهْطُ<sup>(١)</sup> فتَفَاجَّتْ وَدَرَّتْ واجْتَرَّتْ<sup>(٢)</sup> ، فحلب فيه ثجاً حتى علاهُ البَهاءُ<sup>(٣)</sup> فسقاها وسقى  
 أصحابه ، فشربوا عللاً بعد نَهْلٍ ، حتى إذا رَوُوا شرب آخرهم وقال : « ساقى القومَ آخرهم » . ثم حلب  
 فيه ثانياً عَوْداً على بدءٍ ، فغادره عندها ثم ارتحلوا . قال : فقلماً لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق  
 أغزراً عجافاً يتساوكنَ هَزَلَى<sup>(٤)</sup> ، لا نَقْيَ بهنَّ<sup>(٥)</sup> ، مُحْهَنٌ قليل ، فلما رأى اللبن عَجِبَ وقال من أين هذا  
 اللبن يا أُمَّ معبد ولا حلوبةٌ في البيت والشاةُ عازب ؟ فقالت : لا والله ، إنه مرَّ بنا رجلٌ مبارك ، كان من  
 حديثه كيت وكيت . فقال : صفيه لي ، فوالله إني لأراه صاحبَ قريش الذي تطلب . فقالت : رأيتُ  
 رجلاً ظاهر الوضأة ، حَسَنَ الخلق ، مليح الوجه ، لم تبعه ثَجَلَةٌ<sup>(٦)</sup> ، ولم تُزِرْ به صَعْلَةٌ<sup>(٧)</sup> ، قسيمٌ  
 وسيم ، في عينيه دَعَجٌ ، وفي أشفاره وَطْفٌ ، وفي صوته صَحْلٌ<sup>(٨)</sup> ، أخوَزٌ<sup>(٩)</sup> أكحل أزجُ أقرن ، في  
 عُنفه سَطَعٌ وفي لحيته كَثَاثَةٌ . إذا صَمَتَ فعليه الوَقَارُ ، وإذا تكَلَّمَ سما وعلاهُ البَهاءُ ، حُلُو المَنْطِق ، فَضْلٌ  
 لا نَزَرَ - قليل - ولا هَذَرَ - كثير - كأنَّ منطقَه خَرَزَاتِ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ ، أبهى الناسِ وأجمله من بعيد ،  
 وأحسنه من قريب ؛ رُبْعَةٌ ، لا تَشْنُوهُ<sup>(١٠)</sup> عَيْنٌ من طول ، ولا تفتَحُمُه عَيْنٌ من قِصَر ، غُضُنٌّ بين  
 عُصْنَيْنِ ، فهو أَنْصَرُ الثلاثةِ منظراً ، وأحسنهم قدأً ، له رُفقاء يَحْقُونُ به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمرَ  
 تبادروا لأمره . مَخْفُودٌ مَخْشُودٌ ، لا عَابِسٌ ولا معتد فقال - يعني بعلمها - : هذا والله صاحبُ قريش الذي  
 تطلب ، ولو صادفته لالتمستُ أن أصحبه ، ولأجهدنَ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً . قال : وأصبح صوتٌ

(١) « يُرْبِضُ الرَّهْطُ » : أي يُرويهُم ويُثقلُهُم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض . النهاية لابن الأثير (١٨٤/٢) .

(٢) « تَفَاجَّتْ » : من التفاجُّ وهو المبالغة في تفريج ما بين الرجلين . النهاية لابن الأثير (٤١٢/٣) .

(٣) « الثَّجَّ » : اللبن السائل الكثير . ووقع في ح ، ط : حتى ملاه إليها . وهو تصحيف ، والمثبت من المستدرَك  
 والنهاية لابن الأثير (١٦٩/١) وفيه : أراد بَهاءَ اللبن ، وهو وَيِص رغوته أي بريقها .

(٤) أراد أنها تتمايل من ضعفها . النهاية لابن الأثير (٤٢٥/٢) .

(٥) « النَّقْيُ » : المخ . النهاية لابن الأثير .

(٦) « الثَّجَلَةُ » : ضِخْمُ البطن . النهاية لابن الأثير (٢٠٨/١) .

(٧) « الصَّعْلَةُ » : صِغَرُ الرأس ؛ وهي أيضاً الدَقَّةُ والنحول في البدن . النهاية لابن الأثير (٣٢/٣) .

(٨) « الوَطْفُ » : طول شعر الأُجفان . والصَّحْلُ : كالبُحَّةِ وألا يكون حاداً الصوت . النهاية لابن الأثير .

(٩) في ط : أحول ، والمثبت من ح .

(١٠) « لا تَشْنُوهُ » : أي لا يُغْفَضُ لفرط طوله . هذه رواية ح والمستدرَك والنهاية لابن الأثير . وفي الفائق للزمخشري

(٨١/١) : لا يانس من طول . وفي ط : لا تنساه . تصحيف . وتفتحمه : تزدرية كما في الفائق .

بمكة عالي بين السماء والأرض يسمعون ولا يرون من يقول وهو يقول : [ من الطويل ]

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائه      رفيقَيْنِ حلاً خيمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ  
هما نَزَلَا بالبرِّ وارتحلا به<sup>(١)</sup>      فأفلح مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ  
فيالَ قصِي ما زَوَى اللهُ عنكم      به من فعَالٍ لا تُجَارَى وسُودِدِ  
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها      فإنكم إن تسألوا الشاةَ تَشْهَدِ  
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلبت      له بصريحِ ضرةِ الشاةِ مُزِيدِ<sup>(٢)</sup>  
فغادره رهنأً لديها لحالب      يدُرُّ لها في مصدرٍ ثم مَوْرِدِ<sup>(٣)</sup>

قال وأصبح الناس - يعني بمكة - وقد فقدوا نبيهم ، فأخذوا على خيمتي أُمَّ معبد حتى لحقوا برسولِ الله ﷺ .

قال وأجابه حسان بن ثابت : [ من الطويل ]

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيُّهم      وقد سُرَّ مَنْ يَسْرِي إليهم وَيَغْتَدِي<sup>(٤)</sup>  
ترحلَ عن قومٍ فزالَتْ عقولُهم      وحلَّ على قومٍ بنورٍ مجدِّدِ  
[ هداهم به بعد الضلالة ربُّهم      وأرشدَهم من يتبعِ الحقَّ يرشِدِ ]<sup>(٥)</sup>  
وهل يستوي ضلَّالٌ قومٌ تسفَّهوا      عَمَى وهداةٌ يهتدون بمهتدِ  
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حَوْلَهُ      ويتلو كتابَ الله في كلِّ مشهدِ  
وإن قال في يومٍ مقالةً غائبٍ      فتصديقُها في اليومِ أو في ضحى الغدِ  
ليهنَ أبا بكرٍ سعادةً جدَّه      بضُخْبته ، من يُسْعِدِ اللهُ يُسْعِدِ  
ويهنَ بني كعبٍ مكانُ فتاتهم      ومقعدُها للمسلمينَ بمرصدِ

قال - يعني عبد الملك بن وهب - : فبلغني أنَّ أبا معبد أسلم وهاجر إلى النبي ﷺ .

وهكذا رواه الحافظُ أبو نعيم<sup>(٦)</sup> من طريق عبد الملك بن وهب المَدْحِجِيّ فذكر مثله سواء وزاد في آخره قال عبد الملك : بلغني أنَّ أُمَّ معبد هاجرت وأسلمت ولحقت برسولِ الله ﷺ .

(١) في الفائق ودلائل أبي نعيم : هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم .

(٢) في ح : لديه بضرع ضرة الشاة مُزِيدِ .

(٣) في الفائق ودلائل أبي نعيم : يرددها في مصدر ثم مورد .

(٤) ويروى : غاب عنهم نبيهم وقُدَّس من يسري . ديوان حسان (١/٤٦٤) ودلائل أبي نعيم (٢/٤٣٩) .

(٥) سقط هذا البيت من ح ، ط فأثبتته من مصادر الخبر .

(٦) ليست هذه الرواية فيما طبع من دلائل النبوة ؛ غير أنَّ ما ذكره من قول عبد الملك مثبت في الدلائل (٢/٤٣٩) .

ثم رواه أبو نعيم<sup>(١)</sup> من طُرق عن مُكْرَم بن مُخْرِز الكعبي الخُزاعي<sup>(٢)</sup> ، عن أبيه محرز بن مَهْدي عن جِزام بن هشام بن حُبَيْش بن خالد عن أبيه عن جدّه حُبَيْش بن خالد صاحبِ رسولِ الله ﷺ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ حين خرج<sup>(٣)</sup> من مكة خرج منها مهاجراً هو وأبو بكر وعامر بن فُهيرة ودليلُهم<sup>(٤)</sup> عبد الله بن أريقط الليثي ، فمَرُّوا بخيمتي أمِّ معبد ، وكانت امرأة بَرْزة جلدة تحتي بفناء القُبّة . وذكر مثل ما تقدّم سواء .

قال : وحَدَّثَنَا<sup>(٥)</sup> - فيما أَظُنَّ - محمد بن أحمد بن علي بن مَخْلَد ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى - يعني الكُدَيْمي - حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سَلِيط الأنصاري ، حدثني أبي عن أبيه سَلِيط البدري قال : لما خرج رسولُ الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر وعامر بن فُهيرة وابنُ أريقط يدلُّهم على الطريق ، مرَّ بأمِّ معبد الخُزاعية وهي لا تعرفه فقال لها : « يا أمَّ معبد هل عندك من لبن ؟ » قالت : لا والله إنَّ الغنم لعازبة . قال : « فما هذه الشاة ؟ » قالت : خلفها الجَهْدُ عن الغنم ؟ ثم ذكر تمام الحديث كنحو ما تقدّم . ثم قال البيهقي<sup>(٦)</sup> : يحتمل أن هذه القصص كلها واحدة .

ثم ذكر قصةً شبيهة بقصة شاة أمِّ معبد الخُزاعية فقال<sup>(٧)</sup> : حَدَّثَنَا أبو عبد الله الحافظ - إملاءً - حَدَّثَنَا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن غالب ، حَدَّثَنَا أبو الوليد ، حَدَّثَنَا عُبيد<sup>(٨)</sup> الله بن إياد بن لَقِيط ، حَدَّثَنَا إياد بن لَقِيط عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين ، مرُّوا بعبدٍ يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال : ما عندي شاة تُحلب ، غير أنَّ هاهنا عناقاً حملت أولَ الشتاء ، وقد أَخْذَجَتْ<sup>(٩)</sup> وما بقي لها لبن ، فقال : « ادْعُ بها » . فدعا بها ، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح

(١) في دلائل النبوة (٢/٤٣٦) .

(٢) في ح ، ط : بكر بن محرز الكلبي الخُزاعي . وهو تصحيف ، والمثبت من دلائل النبوة وأنساب السمعاني (٤٤٣/١٠) . قال بشار : وهو بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء وتخفيفها ، قيده الدارقطني في المؤتلف (٢١٥٣/٤) والأمير في الإكمال (٧/٢٨٦) ، وتوهم محقق الأنساب فقيده بالثقليل .

(٣) في ح ، ط : أخرج . والمثبت من دلائل أبي نعيم .

(٤) في ح ، ط : ودليلهما . والمثبت من دلائل أبي نعيم .

(٥) وليست هذه الرواية أيضاً فيما طبع من الدلائل لأبي نعيم ، وذكرها ابن حجر في الإصابة في ترجمة سَلِيط الأنصاري .

(٦) في الدلائل (٢/٤٩٢ و ٤٩٣) بالفاظ مقاربة .

(٧) في الدلائل (٢/٤٩٧) .

(٨) في ح ، ط : عبد الله تصحيف ، والمثبت من الدلائل والتاريخ الكبير (٥/٣٧٣) . وسير أعلام النبلاء (٧/٣١٧) .

(٩) خدجت الناقة : إذا أُلقت ولدها قبل أوانه وإن كان تامم الخلق ؛ وأَخْذَجَتْهُ : إذا ولدته ناقص الخلق وإن كان لتمام الحمل . النهاية لابن الأثير (٢/١٢) .

ضَرَعَهَا ، ودعا حتى أنزلت ، وجاء أبو بكر بِمِجَنٍّ ، فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب . فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مثلك قط . قال : « أو تراك تكتُم عليّ حتى أخبرك ؟ » قال : نعم . قال : « فإني محمدٌ رسولُ الله » فقال : أنت الذي تزعم قريشُ أنه صابئ ؟ قال : « إنهم ليقولون ذلك » قال : فأشهد أنك نبيّ ، وأشهد أنّ ما جئت به حقّ ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبيّ ، وأنا مُتَّبِعُكَ . قال : « إنك لا تستطيعُ ذلك يومك هذا ، فإذا بلغك أنني قد ظهرت فأتنا » ورواه أبو يعلى المَوْصِلِيُّ<sup>(١)</sup> عن جعفر بن حُميد الكوفي عن عبد الله بن إِيَاد بن لَقِيط به .

وقد ذكر أبو نعيم هاهنا<sup>(٢)</sup> قصة عبد الله بن مسعود فقال : حَدَّثَنَا عبد الله بن جعفر حدثنا يونس بن حبيب ، حَدَّثَنَا أبو داود<sup>(٣)</sup> ، حَدَّثَنَا حَمَّاد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زَرٍّ ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنتُ غلاماً يافعاً أُرْعَى غنماً لعقبة بن أبي مُعَيْط بمكة ، فأتى رسولُ الله ﷺ وأبو بكر - وقد فرّا من المشركين - فقال : « يا غلام ، عندك لبنٌ تَسْقِينَا ؟ » فقلت : إني مؤتمنٌ ولستُ بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جَذْعَةٍ لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قلت : نعم فأتيتهما بها ، فاعتقلاها أبو بكر وأخذ رسولُ الله ﷺ الضَّرْعَ ، فدعا فحفل الضَّرْعَ ، وجاء أبو بكر بصخرة منقعة<sup>(٤)</sup> فحلب فيها . ثم شرب هو وأبو بكر وسقياني ، ثم قال للضرع : « أَقْلِصْ » فقلّص . فلما كان بعدُ<sup>(٥)</sup> أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت : علّمني من هذا القول الطيّب - يعني القرآن - فقال رسولُ الله ﷺ : « إنك غلامٌ مُعَلَّمٌ » فأخذت من فيه سبعين سورةً ما يُنازعني فيها أحد .

فقوله في هذا السياق وقد فرّا من المشركين ليس المرادُ منه وقتُ الهجرة ، إنما ذلك في بعض الأحوال قبل الهجرة . فإنَّ ابنَ مسعود ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدّم ، وقصته هذه صحيحة ثابتة في الصحاح وغيرها . والله أعلم .

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا مصعب بن عبد الله<sup>(٧)</sup> - هو الزُّبَيْرِي - حدثني أبي ، عن فائد

- (١) ذكره السيوطي في الخصائص فقال : أخرج أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم عن قيس بن النعمان ... فذكره . وهو في مسند أبي يعلى رقم (٥٣١١) من حديث ابن مسعود .
- (٢) في دلائل النبوة (٢٣٣) وأخرجه أحمد في المسند (٤٧٩/١) عن أبي بكر بن عياش عن عاصم به وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٨٥٠) عن عفان عن حماد به ، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٨٤٥٥) عن علي بن عبد العزيز وأبي مسلم الكشي عن حجاج بن المنهال عن حماد به ؛ وأخرجه البيهقي في الدلائل (١٧١/٢) عن أبي بكر بن فورك عن عبد الله بن جعفر به .
- (٣) يعني الطيالسي في مسنده (٣٥٣) .
- (٤) في المصنف لابن أبي شيبة : منقعة - أو منقرة ، وفي معجم الطبراني : مقعرة .
- (٥) في دلائل أبي نعيم : الغد .
- (٦) في ح : « وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عبد الله » ولا يصح البتة ، وما أثبتناه هو الصواب ، فالحديث من زيادة عبد الله على مسند أبيه (٧٤/٤) ، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن مصعب الزُّبَيْرِي .
- (٧) في ط ، ح : عبد الله بن مصعب . تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد .

مولي عبادل قال : خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الرحمن إلى ابن سعد<sup>(١)</sup> حتى إذا كنّا بالعِزَج أتى ابنُ سعد - وسعد هو الذي دلَّ رسولَ الله ﷺ على طريق رَكُوبَةٍ<sup>(٢)</sup> - فقال إبراهيم : أخبرني ما حدّثك أبوك ؟ قال ابنُ سعد : حدثني أبي أنّ رسولَ الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر - وكانت لأبي بكرٍ عندنا بنت مُسترضعة - وكان رسولُ الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ، فقال له سعد : هذا الغائر من رَكُوبَةٍ<sup>(٣)</sup> ، وبه لَصَانٍ من أسلم يقال لهما المهانان ؛ فإن شئت أخذنا عليهما . فقال النبي ﷺ : « خذ بنا عليهما » . قال سعد : فخرجنا حتى إذا أشرفنا إذا أحدها يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاهما رسولُ الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المهانان فقال : « بل أنتما المكرمان » وأمرهما أن يقدّما عليه المدينة فخرجنا حتى إذا أتينا<sup>(٤)</sup> ظاهر قُباء فتلقَى<sup>(٥)</sup> بنو عمرو بن عوف فقال رسولُ الله ﷺ : « أين أبو أمامة أسعد بن زُرّارة ؟ » فقال سعد بن خيثمة : إنه أصاب قبلي يا رسول الله ، أفلا أخبره ذلك<sup>(٦)</sup> ؟ ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء ، فالتفت رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر هذا المنزل . رأيتني أنزل إلى<sup>(٧)</sup> حياض كحياض بني مُذَلج . انفرد به أحمد .

## فصل

في دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة وأين استقرَّ منزله بها وما يتعلّق بذلك

قد تقدّم الكلام فيما رواه البخاري عن الزهري عن عروة أنّ النبي ﷺ دخل المدينة عند الظهر<sup>(٨)</sup> . قلت : ولعلّ ذلك كان بعد الزوال ، لما ثبت في الصحيحين<sup>(٩)</sup> من حديث إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، عن أبي بكر ، في حديث الهجرة قال : فقدنا ليلاً فتنازعه القومُ أيُّهم ينزلُ عليه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « أنزلُ على بني النجّار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك » وهذا والله أعلم إمّا أن يكون يومَ قدومه إلى قُباء فيكون حال وصوله إلى قرب المدينة كان في حرّ الظهيرة ، وأقام

(١) عبارة المسند هكذا : خرجتُ مع إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة فأرسل إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد حتى . . .

(٢) « رَكُوبَةٌ » : ثنية بين مكة والمدينة عند العِزَج . معجم البلدان (٣/ ٦٤) .

(٣) في ح : العامر من ركونة وفي ط : الغامر ، والمثبت من مسند أحمد وسيرة ابن هشام (١/ ٤٩٢) وقال ابن هشام : ثنية العائر . . . ويقال ثنية الغائر بالمهملة والمعجمة ، ونقله ياقوت في معجم البلدان (٤/ ٧٣) .

(٤) في ح : فخرجا حتى إذا أتيا ، والمثبت من ط ومسند أحمد .

(٥) في ط : فتلقاه ، والمثبت من ح ومسند أحمد .

(٦) في مسند أحمد لك ، والمثبت من ح ، ط .

(٧) في مسند أحمد : على .

(٨) تقدم في (ص ٤٥١) موضع الحاشية (٣) .

(٩) رواية الصحيحين تقدمت الإشارة إليها في المتن (ص ٤٥٣) .

تحت تلك النخلة ، ثم سار بالمسلمين فنزل قُبَاءَ وذلك ليلاً ، وأنه أطلق على ما بعد الزوال ليلاً . لأنَّ العشيَّ من الزوال ؛ وإمّا أن يكون المرادُ بذلك لما رحل من قُبَاءَ كما سيأتي ، وسار ، فما انتهى إلى بني النجَّار إلا عشاءً كما سيأتي بيانه ، والله أعلم .

وذكر البخاري<sup>(١)</sup> عن الزهري عن عروة أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقباء ، وأقام فيهم بضعة عشرة ليلة ، وأسَّسَ مسجد قُبَاءَ في تلك الأيام ، ثم ركب ومعه الناس حتى بركت به راحلته في مكان مسجده ، وكان مَرَبِّدًا لَغَلامين يَتِيمَيْنِ وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ، فابتاعه منهما واتخذهُ مسجدًا . وذلك في دار بني النجَّار رضي الله عنهم .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُويم<sup>(٣)</sup> بن ساعدة قال : حدَّثني رجال من قومي من أصحاب<sup>(٤)</sup> النبي ﷺ قالوا : لما بلغنا مخرجُ النبي ﷺ من مكة وتوَكَّفنا قدومه ، كنا نخرجُ إذا صلينا الصُّبح إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظرُ النبي ﷺ ، فوالله ما نَبْرُحُ حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلًّا دخلنا - وذلك في أيام حارَّة - حتى إذا كان اليوم الذي قدِم فيه رسولُ الله ﷺ جلسنا كما كنَّا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسولُ الله ﷺ حين دخلنا البيوت ، فكان أولَ من رآه رجلٌ من اليهود [ وقد رأى ما كنَّا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسولِ الله ﷺ ] فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْلَةَ<sup>(٥)</sup> ، هذا جدُّكم قد جاء . فخرجنا إلى رسولِ الله ﷺ وهو في ظلِّ نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنِّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسولَ الله ﷺ قبل ذلك . وَرَكِبَهُ الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظلُّ عن رسولِ الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . وقد تقدَّم مثلُ ذلك في سياق البخاري<sup>(٦)</sup> وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حدَّثنا هشام ، حدَّثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : إني لأسعى في الغلمان يقولون : جاء محمد ؛ فأسعى ولا أرى شيئاً ، ثم يقولون : جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئاً ، قال : حتى جاء رسولُ الله ﷺ وصاحبه أبو بكر ، فَكَمَنَّا<sup>(٨)</sup> في بعض حِرَارِ<sup>(٩)</sup> المدينة ، ثم

(١) تقدم في (ص ٤٥١) موضع الحاشية (٣) .

(٢) في سيرة ابن هشام (١/٤٩٢) والروض (٢/٢٣٦) وما سيأتي بين معقوفين منهما .

(٣) وقع في سيرة ابن هشام والروض : عويمر . وهو تصحيف ، انظر ترجمة عبد الرحمن وترجمة أبي عويم في الإصابة وفيه ساق ابن حجر طرف الحديث .

(٤) في ح : رجال من قومي عن النبي ﷺ . والمثبت من ط وسيرة ابن هشام والإصابة .

(٥) « قيلة » : هي أم الأوس والخزرج . القاموس ( قيل ) .

(٦) تقدم في (ص ٤٥١) موضع الحاشية (٣) .

(٧) في مسنده (٣/٢٢٢) رقم (١٣٢٥١) وهو صحيح .

(٨) في ح : فمكنا . وأثبتنا ما في ط ، وهو الذي في الطبعة الجديدة من مسند أحمد (٢١/٤٠) .

(٩) في ح ، ط : خراب تصحيف ، والمثبت من مسند أحمد .

بعثاً رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاء خمسمئة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمنين مطاعين . فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم ، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن : أيهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به . قال أنس : فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض . فلم أريومين شبيهاً بهما .

ورواه البيهقي<sup>(١)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن محمد بن إسحاق الصنعاني ، عن أبي النضر هاشم ابن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس بنحوه - أو مثله - وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup> من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، عن أبي بكر في حديث الهجرة ، قال : وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله ﷺ ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء محمد ، الله أكبر جاء رسول الله ﷺ ، فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا أبو عمرو الأديب ، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن : [ من مجزوء الرمل ]

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا الله داع<sup>(٤)</sup>

قال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فنزل رسول الله ﷺ - فيما يذكرون يعني حين نزل بقاء - على كلثوم بن الهذم أخي بني عمرو بن عوف ، ثم أحد بني عبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خيثمة ، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهذم : إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهذم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزباً لا أهل له ، وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم . ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح ؛ وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير أخي بني الحارث بن الخزرج .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها حتى أذى عن رسول الله ﷺ

- 
- (١) في دلائل النبوة (٥٠٧/٢) .  
 (٢) فتح الباري (٣٦٥٢) فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ، وصحيح مسلم (٧٥-٢٠٠٩) الزهد باب في حديث الهجرة .  
 (٣) في الدلائل (٥٠٦/٢) .  
 (٤) وإسناده ضعيف . والصواب أن ذلك كان عند رجوعه من تبوك ، ولذلك قال ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٥٥١/٣) وبعض الرواة يهم في هذا ، ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع ، إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام .  
 (٥) في سيرة ابن هشام (٤٩٣/١) والروض (٢٣٧/٢) .  
 (٦) في سيرة ابن هشام (٤٩٣/١) والروض (٢٣٧/٢) .

الودائع التي كانت عنده ، ثم لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن الهذم . فكان علي بن أبي طالب إنما كانت إقامته بقُباء ليلةً أو ليلتين . يقول : كانت بقُباء امرأة لا زوج لها ، مسلمة ، فرأيتُ إنساناً يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه ، فيعطيه شيئاً معه فتأخذه ، فاستربتُ بشأنه فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الذي يضرب عليك بابك كلَّ ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيف . وقد عرف أنني امرأة لا أحد لي ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومهم فكسرها ، ثم جاءني بها فقال : احتطبي بهذا ، فكان علي رضي الله عنه يَأْتُرُ ذلك من شأن سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فأقام رسول الله ﷺ بقُباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده ؛ ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك .

وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق قال : وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه عليه السلام أقام فيهم ثمانين ليلة .

قلت : وقد تقدّم فيما رواه البخاري<sup>(٢)</sup> من طريق الزُّهري عن عروة أنه عليه السلام أقام فيهم بضعة عشرة ليلة ، وحكى موسى بن عقبة عن مُجَمِّع بن يزيد بن جارية<sup>(٣)</sup> أنه قال : أقام رسول الله ﷺ فينا - يعني في بني عمرو بن عوف بقُباء - اثنتين وعشرين ليلة .

وقال الواقدي : ويقال : أقام فيهم أربع عشرة ليلة . فالله أعلم .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٤)</sup> : فأدركتُ رسولَ الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي - وادي راثوناء - فكانت أولَ جمعةٍ صلاها بالمدينة .

فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عُبادة بن نَضْلَةَ ، في رجالٍ من بني سالم فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » لناقته ، فخلُّوا سَبِيلَهَا فانطلقت حتى إذا وازت<sup>(٥)</sup> دار بني بَيَاضَةَ تَلَقَّاهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ وَفَرْوَةُ بْنُ عَمْرٍو ، في رجالٍ من بني بَيَاضَةَ فقالوا : يا رسول الله ! هَلُمَّ إِلَيْنَا إِلَى الْعِدَّةِ وَالْمَنْعَةِ ؟ قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فخلُّوا سَبِيلَهَا . فانطلقت حتى إذا مَرَّتْ بِدَارِ بَنِي سَاعِدَةَ اعترضه سعدُ بنُ عُبَادَةَ وَالْمَنْذَرُ بْنُ عَمْرٍو ، في رجالٍ من بني

(١) في سيرة ابن هشام (١/٤٩٤) والروض (٢/٢٣٧) .

(٢) تقدم في (ص ٤٥١) موضع الحاشية (٣) .

(٣) في ح ، ط : حارثة ، تصحيف ، والمثبت من الإكمال (٢/٤) وتقريب التهذيب .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/٤٩٤) والروض (٢/٢٣٧) .

(٥) في ح : وارت ، وفي سيرة ابن هشام : وازنت . والمثبت من ط .



ساعداً ، فقالوا : يا رسول الله ، هَلَمْ إلينا في العدد والعُدَّة والمنعة . قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فخلُّوا سَبِيلَهَا ، فانطلقت ، حتى إذا وازت<sup>(١)</sup> دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعدُ بن الرَّبيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله بن رَوَاحَة ، في رجالٍ من بني الحارث<sup>(٢)</sup> بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله هَلَمْ إلينا إلى العدد والعُدَّة والمنعة . قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فخلُّوا سَبِيلَهَا ، فانطلقت حتى إذا مرَّت بدار عديَّ بن النَجَّار - وهم أخواله ذُنِيًّا - أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، اعترضه سَلِيط بن قيس وأبو سَلِيط أُسَيْرَة بن خارجة<sup>(٣)</sup> في رجالٍ من بني عديَّ بن النَجَّار ، فقالوا : يا رسول الله ! هَلَمْ إلى أخوالك إلى العدد والعُدَّة والمنعة ؟ قال : « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » فخلُّوا سَبِيلَهَا ، فانطلقت ، حتى إذا أتت دارَ بني مالك بن النَجَّار بركتْ على باب مسجده عليه السلام اليوم ، وكان يومئذٍ مَرَبْدًا لِعَلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ من بني مالك بن النجار ، وهما سَهْل وسُهَيْل ابنا عمرو ، وكانا في حَجَرٍ معاذ بن عَفْرَاء .

قلت : وقد تقدَّم في رواية البخاري<sup>(٤)</sup> من طريق الزُّهري عن عروة أنهما كانا في حَجَرٍ أسعد بن زرارة ، والله أعلم .

وذكر موسى بن عقبة<sup>(٥)</sup> أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ في طريقه بعبد الله بن أبيِّ بن سلُول وهو في بيت . فوقف رسولُ الله ﷺ ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذٍ سيد الخزرج في أنفسهم - فقال عبد الله انظر الذين دعوك فانزلْ عليهم . فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لنفر من الأنصار ، فقال سعد بن عبادَة يعتذر عنه : لقد مَنَّ الله علينا بك يا رسول الله ! وإنا نريد أن نعقدَ على رأسه التاج ونملكه علينا .

قال موسى بن عقبة<sup>(٦)</sup> : وكانتِ الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركبَ رسولُ الله ﷺ من بني عمرو بن عوف فمشَوْا حولَ ناقته لا يزال أحدهم ينازعُ صاحبه زمام الناقة شُحًّا على كرامة رسولِ الله ﷺ وتعظيمًا له ، وكلما مرَّ بدارٍ من دور الأنصار دعوه إلى المنزل فيقول ﷺ : « دعوها فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » ، فإنما أنزلُ حيث أنزلني الله » فلما انتهتْ به إلى دار أبي أيوب بركتْ به على الباب ، فنزل ، فدخل بيت أبي أيوب حتى ابنتى مسجده ومساعنه .

(١) في ح : وارت ، وفي سيرة ابن هشام : وازنت . والمثبت من ط .

(٢) في ح : من بلحارث .

(٣) كذا في (ح ، ط) وفي سيرة ابن هشام : أسيرة بن أبي خارجة ، وفي الإكمال (٧٨/١) : أسيرة بن عمرو من بني عدي بن النجار .

(٤) تقدم في أول الصفحة (٤٥٢) .

(٥) في الحديث الذي رواه عنه البيهقي بسنده في دلائل النبوة (٢/٤٩٩) .

(٦) في الحديث الذي رواه عنه البيهقي بسنده في دلائل النبوة (٢/٥٠١) .

وقال ابنُ إسحاق<sup>(١)</sup> : لما بركتِ الناقةُ برسول الله ﷺ لم ينزل عنها حتى وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله ﷺ واضعٌ لها زمامها لا يثنىها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت ورزمت<sup>(٢)</sup> ووضعت جرانها ، فنزل عنها رسول الله ﷺ . فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله ، فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ ، وسأل عن المزبد : لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله ! لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ، فأتخذه مسجداً . فأمر به رسول الله ﷺ أن يُبنى ، ونزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار .

وستأتي قصةُ بناء المسجد قريباً إن شاء الله .

وقال البيهقي في « الدلائل »<sup>(٣)</sup> : وقال أبو عبد الله : أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر<sup>(٤)</sup> الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد الدوري ، حدثنا محمد بن سليمان بن إسماعيل بن أبي الورد ، حدثنا إبراهيم بن صرمة ، حدثنا يحيى بن سعيد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس . قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما دخلنا<sup>(٥)</sup> جاء الأنصار برجالها ونسائها فقالوا : إلينا يا رسول الله ! فقال : « دعوا الناقة فإنها مأمورة » فبركت على باب أبي أيوب ، فخرجت جوارٍ من بني النجار يضربن بالدُّفوف وهنَّ يقلن :

نحنُ جوارٍ من بني النجار يا حبذا محمدٌ من جارٍ

فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال : « أتحبونني ؟ » فقالوا : إي والله يا رسول الله . فقال : وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم .

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه لم يزوه أحدٌ من أصحاب السنن ، وقد خرَّجه الحاكم في مستدركه<sup>(٦)</sup> كما يروى<sup>(٧)</sup>

(١) في سيرة ابن هشام (١/٤٩٥) والروض (٢/٢٣٨) .

(٢) في سيرة ابن هشام : زمت . تصحيف ، وفي النهاية لابن الأثير (٢/٢٢٠) : تلحلت وأزومت أي صوّت ، والإرزام : الصوت لا يفتح به الفم ، وفيه أيضاً : الناقة الرازم : أي ذات رُزام ، التي لا تتحرّك من الهُزال ، رزمت فهي رازم . وفي اللسان (لحج) : تلحلت عند بيت أبي أيوب ووضعت جرانها : أي أقامت وثبتت ، وأصله من قولك ألحَّ يلحُّ . ووقع في ح ، ط والسيرة : تلحلت وهو خلاف المعنى .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٥٠٨) .

(٤) في ح ، ط : عمرو . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وترجمته - وهو الدارقطني - في السير (١٦/٤٤٩) .

(٥) في الدلائل : دخل . وهو أشبه بالصواب .

(٦) لم أجده في مستدرك الحاكم .

(٧) هكذا في ح ، ط ، ولعله يريد : كما يروى من طريق أخرى ، ثم ساقه من وجه آخر وهو الآتي (بشار) .

ثم قال البيهقي<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن<sup>(٢)</sup> بن سليمان النحاس المقرئ ببغداد ، حدثنا عمر بن الحسن الحلبي ، حدثنا أبو خيثمة المصيصي ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن عوف الأعرابي ، عن ثمامة عن أنس ، قال : مرَّ النبي ﷺ بحيٍّ من بني النجار ، وإذا جوارٍ يضربن بالدفوف يقلن : [ من الرجز ]

نحن جوارٍ من بني النجار يا حَبَاذا محمدٌ من جار

فقال رسول الله ﷺ « يعلم الله أن قلبي يحبُّكم »<sup>(٣)</sup> .

ورواه ابن ماجه<sup>(٤)</sup> عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس به<sup>(٥)</sup> .

وفي صحيح البخاري<sup>(٦)</sup> عن أبي معمر عن عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين - حسبتُ أنه قال من عُرْس - فقام النبي ﷺ مُمْتَلًا<sup>(٧)</sup> فقال : « اللهم أنتم من أحب الناس إلي » قالها ثلاث مرَّات .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صهيب ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو مردفٌ أبا بكر ، وأبو بكر شيخٌ يعرف ، ورسول الله ﷺ شابٌ لا يعرف ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني<sup>(٩)</sup> السبيل . فيحسب الحاسب أنما يهديه الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير . فالتفت أبو بكر ، فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم فقال : يا نبي الله ، هذا فارسٌ قد لحق بنا . فالتفت رسول الله ﷺ فقال : « اللهم اضْرَعُهُ » فصرعته فرسه ، ثم قامت تُحْمَحِم ، ثم قال : مُزْنِي يا نبي الله بما شئت . فقال : « قف مكانك ولا تتركنَّ أحداً يلحقُ بنا » . قال : فكان أولَ النهار جاهدًا على

(١) الدلائل (٢/ ٥٠٨) .

(٢) في الدلائل : عبد الله بن سليمان . ولم أقف على ترجمة له .

(٣) في الدلائل : يحبُّكنَّ . وهو أشبه .

(٤) في السنن (١٨٩٩) وأخرجه الخطيب في تاريخه (٥٩/ ١٥ ط . د . بشار) ، وهو حديث صحيح .

(٥) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٢٠) من طريق ثابت عن أنس (بشار) .

(٦) فتح الباري (٣٧٨٥) مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ « اللهم أنتم أحب الناس إلي » .

(٧) قال ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٤٨) : مُمْتَلًا . بضم أوله وسكون الميم الثانية بعدها مثلثة مكسورة وقد تفتح ، وضُبُط أيضاً بفتح الميم الثانية وتشديد المثلثة والمعنى قائماً منتصباً ، قال ابن التين : كذا وقع في البخاري ، والذي في اللغة : مثل يفتح أوله وضم المثلثة ويفتحها قائماً يمثل بضم المثلثة مثولاً فهو مائل إذا انتصب قائماً . قال عياض : وجاء هنا ممْتَلًا يعني بالتشديد أي مكلفاً نفسه ذلك .

(٨) في مسنده (٣/ ٢١١) رقم (١٣١٣٨) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٩) في المسند : يهديني إلى السبيل .

رسول الله ﷺ ، وكان آخرَ النهار مَسْلَحَةً له<sup>(١)</sup> . قال : فنزل رسول الله ﷺ جانب الحِزَّة ، ثم بعث إلى الأنصار ، فجاؤا فسلموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين<sup>(٢)</sup> . فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وحفوا حولهما بالسلاح ، وقيل في المدينة : جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ﷺ ينظرون إليه ويقولون : جاء نبي الله ﷺ . قال : فأقبل يسير حتى نزل<sup>(٣)</sup> إلى جانب جدار أبي أيوب ، قال : فإنه ليحدث أهله<sup>(٤)</sup> إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله ، يَخْتَرِفُ لهم<sup>(٥)</sup> ، فعجل أن يضع الذي يخترف فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبي الله ﷺ ، فرجع إلى أهله ، فقال نبي الله ﷺ : « أي بيوت أهلنا أقرب ؟ » فقال أبو أيوب : أنا يا نبي الله ، هذه داري ، وهذا بابي . قال : « فانطلق فهتئنا لنا مقيلاً » فذهب فهتئاً [لهم مقيلاً] ثم جاء فقال : يا رسول الله ! قد هيأت مقيلاً ، قوما على بركة الله فقيلاً . فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقاً ، وأنت جئت بحق ، ولقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فسلمهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله فوالذي لا إله إلا الله إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئت بحق ، أسلموا » . فقالوا : ما نعلمه - ثلاثاً - .

وكذا رواه البخاري<sup>(٦)</sup> منفرداً به عن محمد - غير منسوب - عن عبد الصمد به .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وحدثنني يزيد بن أبي حبيب عن مَرْثَد بن عبد الله اليزني ، عن أبي رُهم السَّماعي ، حدثنني أبو أيوب ، قال : لما نزل علي رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل ، وأنا وأمُّ أيوب في العُلُو ، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! إني أكره وأُعْظِمُ أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فإظهر أنت فكن في العُلُو ونزل نحن فنكون في السُّفْل . فقال : « يا أبا أيوب ! إن أرفق بنا وبمن يَغْشانا أن أكون في سَفْل البيت » فكان رسول الله ﷺ في سَفْله وكنا فوقه في المَسْكَن ؛ فلقد انكسر حُبُّ لنا فيه ماءً ، فقمْتُ أنا وأمُّ أيوب بقطيفة لنا ، مالنا لحافٌ غيرها ننشفُ بها الماء ، تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضله تيمَّمتُ أنا وأمُّ أيوب موضعَ يده

- (١) أي بمثابة المسلحة ، وهو المكان الذي يراقب منه العدو يقيم فيه القوم ذوو السلاح لئلا يطرقهم على غفلة . انظر النهاية لابن الأثير (سلاح) .
- (٢) في المسند : مطمئنين .
- (٣) في المسند : جاء إلى جانب .
- (٤) في المسند : أهلها . وهو أشبه .
- (٥) يخترف لهم : يجني لهم من ثماره . القاموس (خرف) .
- (٦) فتح الباري (٣٩١١) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .
- (٧) في سيرة ابن هشام (٤٩٨/١) والروض (٢٣٩/٢) .

فأكلنا منه ، نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةً بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً - أو ثوماً - فردّه رسولُ الله ﷺ فلم أرَ ليده فيه أثراً . قال : فجئتُه فزعاً فقلت : يا رسولَ الله ! بأبي أنت وأمي ، رددتَ عشاءك ولم أرَ فيه موضعَ يدك ؟ فقال « إني وجدتُ فيه ريحَ هذه الشجرة ، وأنا رجلٌ أناجي ، فأما أنتم فكلوه » . قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعدُ .

وكذلك رواه البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الحسن - أو أبي الخير - مرثد بن عبد الله الزني عن أبي رُهم ، عن أبي أيوب . . . فذكره .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> ، عن يونس بن محمد المؤدب ، عن الليث .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو عمرو الحيري ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي حدثنا أبو النعمان ، حدثنا ثابت بن يزيد<sup>(٤)</sup> ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أفلح مولى أبي أيوب ، عن أبي أيوب ، أن رسولَ الله ﷺ نزل عليه فنزل في السفل وأبو أيوب في العلو ، فانتبه أبو أيوب [ ليلة ] فقال : نمشي فوق رأسِ رسولِ الله ﷺ ! فتنحوا فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ - يعني في ذلك - فقال : « السفل أرفقُ بنا » فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها . فتحول رسول الله ﷺ في العلو ، وأبو أيوب في السفلى ، فكان يصنع لرسول الله ﷺ طعاماً ، فإذا جيء به سأل عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ ، فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع رسول الله ﷺ فقيل له : لم يأكل . ففرغ وصعد إليه فقال : أحرام ؟ فقال النبي ﷺ : « لا ، ولكنني أكرهه » قال : فإنني أكره ما تكره - أو ما كرهت - قال : وكان النبي ﷺ يأتيه المَلَكُ .

رواه مسلم<sup>(٥)</sup> عن أحمد بن سعيد به .

وثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك<sup>(٦)</sup> قال : جيء رسولُ الله ﷺ ببدر<sup>(٧)</sup> - وفي رواية بقدر - فيه خَصِرَاتٌ من بقول ، [ فوجد لها ريحاً ]<sup>(٨)</sup> قال : فسأل فأخبر بما فيها [ من البقول فقال : « قَرَّبوها » فقرَّبوها إلى بعض أصحابه ]<sup>(٩)</sup> فلما رآه كره أكلها ، قال : « كُل ، فإنني أناجي مَنْ لا تُناجي » .

(١) في دلائل النبوة (٢/ ٥١٠) .

(٢) في مصنفه (٤٥٤١) العقيقة باب من يكره أكل الثوم .

(٣) في دلائل النبوة (٢/ ٥٠٩) وما سيأتي بين معقوفين منه .

(٤) في الدلائل : ثابت بن زيد . تصحيف ، وأبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي .

(٥) في صحيحه : (١٧١ - ٢٠٥٣) الأشربة باب إباحة أكل الثوم .

(٦) كذا في ح ، ط وهو وهم والذي في الصحيحين : عن جابر بن عبد الله . فتح الباري (٧٣٥٩) الاعتصام باب الأحكام

التي تعرف بالدلائل ، وصحيح مسلم (٥٦٤) (٧٣) المساجد باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً .

(٧) أي طبق ، شبه بالبدر لاستدارته . النهاية لابن الأثير .

(٨) ما بين معقوفين من الصحيحين .

وقد روى الواقدي<sup>(١)</sup> أَنَّ أسعد بن زُرارة لما نزل رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ فكانت عنده ؛ وروى عن زيد بن ثابت أنه قال : أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبي أيوب أنا جئتُ بها ، قصعةٌ فيها خبز مثرود بلبنٍ وسمن ، فقلت : أرسلتُ بهذه القصعة أمي . فقال : « بارك الله فيك » ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعةٌ سعد بن عبادة ثريد وعُراق لحم ، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام<sup>(٢)</sup> يتناوبون ، وكان مقامه في دار أبي أيوب سبعة أشهر ، قال : وبعث رسول الله ﷺ - وهو نازل في دار أبي أيوب - مولاه زيد بن حارثة وأبا رافع ومعهما بعيران وخمسمئة درهم ليجيئا بفاطمة وأمّ كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رُقِيَّةُ قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزينب عند زوجها - بمكة - أبي العاص بن الربيع ؛ وجاءت معهم أمّ أيمن امرأة زيد بن حارثة وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر وفيهم عائشة أمّ المؤمنين ، ولم يدخل بها رسول الله ﷺ بعد .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفّار ، حدّثنا خلف بن عمرو العُكْبَرِي ، حدّثنا سعيد بن منصور ، حدّثنا عطاء بن خالد ، حدّثنا صديق بن موسى<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن الزبير أَنَّ رسولَ الله ﷺ قدم المدينة ، فاستناخت به راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي وبين دار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا : يا رسول الله ! المنزل . فانبعثت به راحلته فقال : « دعوها فإنها مأمورة » ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ، ثم تخلّلت [ الناس ]<sup>(٥)</sup> ، وثمّ عريشٌ كانوا يعرّشونه ويعمّرونه ويتبرّدون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فأوى إلى الظل ، فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله ! إن منزلي أقربُ المنازل إليك فأنقل رحلك إليّ ؟ قال : « نعم » . فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله ! أين تحل ؟ قال : « إن الرجل مع رحله حيث كان » وثبت رسول الله ﷺ في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد .

وهذه منقبةٌ عظيمةٌ لأبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه ، حيث نزل في داره رسول الله ﷺ . وقد روينا من طريق يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، أنه لما قدم أبو أيوب البصرة - وكان ابنُ عباس نائباً عليها من جهة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه - فخرج له ابنُ

(١) طبقات ابن سعد (١/٢٣٧) .

(٢) في ح : السلاح . والمثبت من ط وطبقات ابن سعد .

(٣) في دلائل النبوة (٢/٥٠٩) .

(٤) صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير ضعيف ، وترجمته في الميزان (٢/٣١٤) ولسان الميزان (٣/١٨٩) وجمهرة

أنساب العرب لابن حزم (ص ١٢٣) .

(٥) في ح ، ط : تخلّلت بالحاء المهملة ، والمثبت من الدلائل وما بين معقوفين منه .

عباس عن داره [ حتى أنزله فيها كما أنزل رسول الله ﷺ في داره ]<sup>(١)</sup> ، وملّكه كلّ ما أغلق عليها بابها . ولما أراد الانصراف أعطاه ابنُ عباس عشرين ألفاً ، وأربعين عبداً . وقد صارت دارُ أبي أيوب بعده إلى مولاه أفلح . فاشتراها منه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار وصلّح ما وهى من بُيانتها ووهبها لأهل بيتٍ فقراء من أهل المدينة .

وكذلك نزوله عليه السلام في دار بني النجّار واختيار الله له ذلك منقبةً عظيمة لهم ، وقد كان في المدينة دورٌ كثيرة تبلغ تسعاً ، كلّ دار محلّة مستقلةً بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهلها ، كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلّتهم وهي كالقرى المتلاصقة ، فاختر الله لرسول الله ﷺ دار بني مالك بن النجّار .

وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> من حديث شعبة ، سمعتُ قتادة عن أنس بن مالك . قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ دورِ الأنصارِ بنو النجّار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ، وفي كلّ دورِ الأنصار خير » فقال سعدُ بن عبادة : ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضّل علينا . ف قيل : قد فضّلكم على كثير . هذا لفظ البخاري .

وكذلك رواه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> من حديث أنس وأبي سلمة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة . ومن حديث عباس<sup>(٤)</sup> بن سهل ، عن أبي حميد ، عن النبي ﷺ بمثله سواء .

زاد في حديث أبي حميد ؛ فقال أبو أسيد لسعد بن عبادة<sup>(٥)</sup> : ألم تر أنّ النبي ﷺ خيرَ الأنصار فجعلنا آخراً ، فأدرك سعدُ النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! خيرت دورَ الأنصار فجعلتنا آخراً ؟ قال : « أو ليس بحسبكم أن تكونوا من الأخيار »<sup>(٦)</sup> .

بل قد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة وهم الأنصار الشرفُ والرفعةُ في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى : ﴿ وَالسَّيِّقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [ التوبة : ١٠٠ ] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [ الحشر : ٩ ] وقال رسول الله ﷺ :

(١) ما بين المعقوفين ليس في ح .

(٢) فتح الباري (٣٧٨٩) مناقب الأنصار باب فضل دور الأنصار ، وصحيح مسلم (٢٥١١) (١٧٧) فضائل الصحابة باب في خير دور الأنصار .

(٣) الأحاديث التي تلي الحديث السابق ذكره مخرجة في البخاري ومسلم .

(٤) في ح ، ط : عبادة بن سهل . تصحيح ، والمثبت من فتح الباري (١١٥/٧) والحديث فيه رقم (٣٧٩١) .

(٥) كذا في ح ، ط وفي البخاري : فلحقنا سعد بن عبادة فقال : أبا أسيد ، ألم تر . . وهو أشبه بالصواب .

(٦) رواية البخاري : من الخيار .

« لولا الهِجْرَة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، ولو سَلَكَ الناسُ وادياً وشِعْباً لَسَلَكْتُ واديَ الأنصارِ وشِعْبَهُمْ ، الأنصارُ شعار ، والناسُ دِثَارٌ <sup>(١)</sup> » .

وقال : « الأنصارُ كَرِشي وعَيْبتي <sup>(٢)</sup> »

وقال : « أنا سلمٌ لمن سالمهم ، وحربٌ لمن حاربهم <sup>(٣)</sup> »

وقال البخاري <sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، حَدَّثَنِي عَدِيُّ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَوْ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « الْآنَصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ . فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ » .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث شعبة <sup>(٥)</sup> به

وقال البخاري أيضاً <sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبْرِ <sup>(٧)</sup> ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْآنَصَارِ ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بَغْضُ الْآنَصَارِ » .

ورواه البخاري أيضاً عن أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ <sup>(٨)</sup> ، وَمُسْلِمٍ <sup>(٩)</sup> ، مِنْ حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، أَرْبَعَتُهُمْ عَنْ شُعْبَةَ بِهِ .

وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ فِي فُضَائِلِ الْآنَصَارِ كَثِيرَةٌ جَدًّا . وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو قَيْسٍ صَرْمَةُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ الْمَتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ <sup>(١٠)</sup> أَحَدُ شُعَرَاءِ الْآنَصَارِ فِي قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ وَنَصْرِهِمْ إِيَّاهُ ، وَمَوَاسَاتِهِمْ لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، فتح الباري (٤٣٣٠) المغازي باب غزوة الطائف ، وصحيح مسلم (١٣٩ - ١٠٦١) الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام .

(٢) أخرجه الشيخان ، فتح الباري (٣٨٠١) مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من محسنهم » ، وصحيح مسلم (٢٥١٠) فضائل الصحابة باب من فضائل الأنصار .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٢/٣) وهو جزء من حديث طويل رواه بسنده إلى كعب بن مالك وقد تقدم .

(٤) في فتح الباري (٣٧٨٣) مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان .

(٥) وأخرجه مسلم (٧٥) (١٢٩) الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان . وأخرجه أيضاً الترمذي (٣٩٠٠) المناقب باب في فضل الأنصار وقريش ، وابن ماجه (١٦٣) ، والنسائي (٢٢٩) .

(٦) فتح الباري (٣٧٨٤) مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان .

(٧) في ط : عن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبير . وهو تصحيف ، والمثبت من ح وفتح الباري .

(٨) في ط : أضاف الناشر [ و ] فقال : والطيالسي ظناً منه أنه أبو داود ، وليست الواو في البخاري ولا في ح ، وأبو الوليد هو هشام بن عبد الملك الطيالسي تجد ترجمته ومصادرها في السير (٣٤١/١٠) .

(٩) صحيح مسلم (٧٤) (١٢٨) الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان .

(١٠) تقدم ذكره وشعره في (ص ٤٠٦ و ٤٠٧) وما بعدها .



قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال أبو قيس صِرْمَةُ بن أبي أنس أيضاً يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصَّهم به من رسوله عليه السلام : <sup>١</sup> من الطويل

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضْعَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ  
ويعرضُ في أهلِ المواسمِ نفسَه  
فلما أتانا واطمأنتُ به النَّوَى<sup>(٢)</sup>  
وألقى صديقاً واطمأنتُ به النَّوَى  
يقصُّ لنا ما قالَ نوحٌ لقومه  
فأصبحَ لا يخشى من الناسِ واحداً  
بذلنا له الأموالَ من حِلٍّ مالنا  
نُعادي الذي عادَى من الناسِ كلَّهم  
ونعلمُ أنَّ اللهَ لا شيءَ غيره  
أقولُ إذا صليتُ في كلِّ بيعةٍ  
أقولُ إذا جاوزتُ أرضاً مُخيفةً  
فطأ مُعرضاً إنَّ الحتوفَ كثيرةٌ  
فواللهِ ما يدري الفتى كيفَ سعيه  
ولا تحفلُ النخلُ المقيمةُ ربَّها<sup>(٣)</sup>  
يذكَرُ لو يَلْقَى صديقاً مُواتياً  
فلم يرَ من يُؤوي ولم يرَ داعياً  
وأصبحَ مسروراً بِطَبِيبَةٍ راضياً  
وكانَ له عَوْناً من الله باديأ  
وما قال موسى إذ أجابَ المناديا  
قريباً ولا يخشى من الناسِ نائياً<sup>(٤)</sup>  
وأنفُسنا عندَ الوَغَى والتَّاسِيا  
جميعاً ولو كانَ الحبيبَ المواسياً<sup>(٥)</sup>  
وأن كتابَ الله أصبحَ هادياً<sup>(٦)</sup>  
حنائِكَ لا تُظهِرُ علينا الأعاديا  
تباركتَ اسمَ الله أنتَ المواليا  
وإنك لا تُبقي لنفسك باقيا  
إذا هو لم يجعلْ له اللهَ واقيا  
إذا أصبحتَ رَيَّاً وأصبحَ ناويا

ذكرها ابنُ إسحاق وغيره ، ورواها عبد الله بن الرُّبَيْر الحُمَيْدي وغيره ، عن سفيان بن عُيينة عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عَجُوزٍ من الأنصار قالت : رأيتُ عبدَ الله بن عباس يختلفُ إلى صِرْمَةَ بن قيس يروي هذه الأبيات . رواه البيهقي<sup>(٧)</sup> .

## فصل

وقد شرفت المدينة أيضاً بهجرته عليه السلام إليها ، وصارت كهفاً لأولياء الله وعباده الصالحين ،

(١) في سيرة ابن هشام : (٥١٢/١) والروض (٢٥٥/٢) .

(٢) في السيرة والروض : فلما أتانا أظهر الله دينه . وهو أشبه بالصواب .

(٣) في ح : باغيا .

(٤) في السيرة والروض : المصافيا . وقد قَدَّمَ هذا البيت فيهما على التالي له .

(٥) في السيرة والروض : ونعلم أن الله أفضلُ هاديا .

(٦) في ح : ولا نجعل النخل المقيمة ربيها ، والمثبت من ط والسيرة .

(٧) في الدلائل (٥١٣/٢) .

وَمَعْقَلًا وَحِصْنًا مَنِعًا للمسلمين ، ودارَ هَدْيٍ للعالمين ، والأحاديثُ في فَضْلِها كثيرةٌ جداً ، لها موضعٌ آخرُ نوردها فيه إن شاء الله .

وقد ثَبَتَ في الصحيحين<sup>(١)</sup> من طريق خُبيب [ابن] عبد الرحمن بن يَسَاف ، عن حفص<sup>(٢)</sup> بن عاصم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الإِيْمَانَ لِيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا »<sup>(٣)</sup> . ورواه مسلمٌ أيضاً<sup>(٤)</sup> عن محمد بن رافع عن شَبَابَةَ ، عن عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ نحوه .

وفي الصحيحين أيضاً<sup>(٥)</sup> ، من حديث مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنه سمع أبا الحُبَابِ سعيدَ بن يَسَارٍ ، سمعتُ أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ »<sup>(٦)</sup> ، يقولون : يثرب ، وهي المدينة ، تَنْفِي<sup>(٧)</sup> الناس كما ينفي<sup>(٧)</sup> الْكَبِيرُ خَبَثَ الحديد .

وقد انفرد الإمامُ مالكٌ عن بقية الأئمة الأربعة بتفضيلها على مكة .

وقد قال البيهقي<sup>(٨)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الوليد وأبو بكر بن عبد الله قالا : حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو موسى الأنصاري ، ثنا سعد<sup>(٩)</sup> بن سعيد ، حدثني أخي عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيَّ ، فَأَسْكِنِي أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ » فَأَسْكَنَهُ اللَّهُ الْمَدِينَةَ .

وهذا حديثٌ غريبٌ جداً ، والمشهور عن الجمهور أَنَّ مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، إِلَّا الْمَكَانَ الَّذِي ضَمَّ

(١) فتح الباري (١٨٧٦) فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة . وصحيح مسلم (١٤٧) (٢٣٣) الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ، وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) في ح ، ط والدلائل (٥٢٠/٢) : جعفر بن عاصم . وهو تصحيف ، والمثبت من الصحيحين . ووقع في ح ، ط : حبيب . تصحيف أيضاً ، تجد ترجمته في تهذيب الكمال (٢٢٧/٨) .

(٣) « يَأْرِزُ » : يَنْضُمُ وَيَجْتَمِعُ . فتح الباري (٩٣/٤) .

(٤) صحيح مسلم (١٤٦) الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً .

(٥) فتح الباري (١٨٧١) فضائل المدينة باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس ، وصحيح مسلم (١٣٨٢) (٤٨٨) الحج باب المدينة تنفي شرارها . وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ (٨٨٧/٢) الجامع باب ما جاء في سكن المدينة .

(٦) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٥٤/٩) : ذكروا في معنى أكلها القرى وجهين : أحدهما أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر ، فمنها فتحت القرى وغنمت أموالها وسباياها . والثاني : معناه أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتوحة وإليها تساق غنائمها .

(٧) في ط : تنفي . . . ينفي . بالقاف تصحيف ، والمثبت من ح والصحيحين .

(٨) في الدلائل (٥١٩/٢) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣/٣) .

(٩) في ح ، ط : سعيد بن سعيد ، وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ومستدرک الحاكم ، وترجمته في تهذيب الكمال (٢٦١/١٠) وأخوه هو عبد الله بن سعيد المَقْبِرِي .

جسد رسول الله ﷺ ، وقد استدلل الجمهور على ذلك بأدلة يطول ذكرها هاهنا ومحلها ، ذكرناها في كتاب المناسك من الأحكام إن شاء الله تعالى .

وأشهر دليل لهم في ذلك ما قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب عن الزهري ، أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء أخبره ، أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلي ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت » .

وكذا رواه أحمد ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان عن الزهري به<sup>(٢)</sup> .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه<sup>(٣)</sup> من حديث الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقد رواه يونس عن الزهري به . ورواه محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، وحديث الزهري عندي أصح .

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة . قال : وقف رسول الله ﷺ على الحزورة فقال : « علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت » .

وكذا رواه النسائي من حديث معمر به<sup>(٥)</sup> . قال الحافظ البيهقي<sup>(٦)</sup> : وهذا وهم من معمر ، وقد رواه بعضهم عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وهو أيضاً وهم ، والصحيح رواية الجماعة .

وقال أحمد أيضاً<sup>(٧)</sup> : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح ، عن معمر ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي سلمة ، عن بعضهم أن رسول الله ﷺ قال وهو في سوق الحزورة : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب الأرض إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت »<sup>(٨)</sup> .

(١) في مسنده (٣٠٥/٤) رقم (١٨٧١٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠٥/٤) رقم (١٧٨١٦) .

(٣) جامع الترمذي (٣٩٢٥) المناقب باب في فضل مكة ، وسنن ابن ماجه (٣١٠٨) المناسك باب فضل مكة . وهو في السنن الكبرى والنسائي (٤٢٥٢) .

(٤) في مسنده (٣٠٥/٤) رقم (١٨٧١٧) وهو حديث صحيح .

(٥) في فضائل مكة من سننه الكبرى (٤٢٥٤) .

(٦) في الدلائل (٥١٨/٢) .

(٧) في مسنده (٣٠٥/٤) .

(٨) وهذا من أوامهم معمر أيضاً حيث رواه عن أبي سلمة « عن بعضهم » ، والصواب : عن أبي سلمة عن عبد الله بن عدي ، كما تقدم (بشار) .

ورواه الطبراني عن أحمد بن خُليد الحلبي ، عن الحُميدي ، عن الدَّرَاوَرْدِيِّ<sup>(١)</sup> ، عن ابن أخي الزُّهري ، عن الزُّهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عدي بن الحمراء به . فهذه طرق هذا الحديث ، وأصحها ما تقدم . والله أعلم .

## ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة النبوية من الحوادث والوقائع العظيمة<sup>(٢)</sup>

اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة - وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثماني عشرة - في الدولة العُمَرِيَّة على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أَنَّ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رُفِعَ إليه صلُّ - أي : حُجَّةٌ - لرجلٍ على آخر وفيه ؛ إنه يحلُّ عليه في شعبان . فقال عمر : أيُّ شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرّفون به حُلُولَ الدُّيُون وغير ذلك ، فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفُرس . فكره ذلك ، وكانت الفُرس يؤرّخون بملوكهم واحداً بعد واحد . وقال قائل : أرخوا بتاريخ الروم . وكانوا يؤرّخون بملك اسكندر بن فلُبس المقدوني فكره ذلك . وقال آخرون : أرخوا بمولد رسول الله ﷺ . وقال آخرون : بل بمبَعَثِهِ . وقال آخرون : بل بهِجْرَتِهِ ، وقال آخرون : بل بوفاته عليه السلام . فمالَ عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره . واتفقوا معه على ذلك .

وقال البخاري في « صحيحه »<sup>(٣)</sup> : التاريخ ومتى أرخوا التاريخ . حدَّثنا عبد الله بن مسلمة<sup>(٤)</sup> حدَّثنا عبد العزيز عن أبيه ، عن سهل بن سعد قال : ما عدُّوا من مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ولا من وفاته ، ما عدُّوا إلا من مَقْدَمِهِ المدينة .

وقال الواقدي : حدَّثنا ابنُ أبي الزُّناد عن أبيه ، قال : استشار عمر في التاريخ ، فأجمعوا على الهجرة .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السُّدُوسي<sup>(٥)</sup> ، عن محمد بن سيرين قال : قام رجلٌ إلى عمر فقال : أرخوا . فقال : ما أرخوا ؟ فقال : شيءٌ تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا .

(١) في ح : الداروردي .

(٢) في ط : وقائع السنة الأولى من الهجرة .

(٣) فتح الباري (٢٦٧/٧) كتاب مناقب الأنصار باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ .

(٤) في ح ، ط : مسلم . تصحيف ، والمثبت من البخاري وتهذيب الكمال في ترجمته .

(٥) في ح : فروة بن خالد السدي . تصحيف ، والمثبت من ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩٥/٧) ولم أجد الخبر في مسند أبي داود الطيالسي ، وقد أخرجه الطبري في تاريخه (٣٨٩/٢) عن أمية بن خالد عن أبي داود الطيالسي به .

فقال عمر : حسنٌ ، فأرخوا . فقالوا : من أيّ السنين نبدأ ؟ فقالوا : من مبعثه . وقالوا : من وفاته ، ثم أجمعوا على الهجرة ، ثم قالوا : وأيّ الشهور نبدأ ؟ قالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم فهو مَصْرَفُ الناس من حجّهم ، وهو شهرٌ حرام . فاجتمعوا على المحرم .

وقال ابن جرير<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ قَيْسِ الطَّاحِي<sup>(٢)</sup> ، عَنْ عِثْمَانَ بْنِ مِخْصَنٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ ﴾ [ الفجر : ١ - ٢ ] هُوَ الْمُحَرَّمُ فَجَرُ السَّنَةِ .

وَرُوِيَ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ<sup>(٣)</sup> ، قَالَ : إِنَّ الْمُحَرَّمُ شَهْرُ اللَّهِ ، وَهُوَ رَأْسُ السَّنَةِ يُكْسَى الْبَيْتُ ، وَيُؤَرَّخُ بِهِ النَّاسُ ، وَيُضْرَبُ فِيهِ الْوَرَقُ .

وقال أحمد<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا رُوْحُ بْنُ عَبَادَةَ ، حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ وَرَّخَ الْكُتُبَ يَعْلَى بْنُ أُمِيَّةَ بِالْيَمَنِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَأَنَّ النَّاسَ أَرَّخُوا لِأَوَّلِ السَّنَةِ .

وروى محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> عن الزُّهْرِيِّ ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ ، أَنَّهُمَا قَالَا : أَرَّخَ بَنُو إِسْمَاعِيلَ مِنْ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ أَرَّخُوا مِنْ بَنِيانِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الْبَيْتَ ، ثُمَّ أَرَّخُوا مِنْ مَوْتِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ . ثُمَّ أَرَّخُوا مِنَ الْفِيلِ ، ثُمَّ أَرَّخَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَذَلِكَ سَنَةٌ سَبْعُ عَشْرَةٍ - أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةٍ - وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْفَصْلَ مُحَرَّرًا بِأَسَانِيدِهِ وَطُرُقِهِ فِي السِّيَرَةِ الْعُمَرِيَّةِ<sup>(٦)</sup> وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ جَعَلُوا ابْتِدَاءَ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ سَنَةِ الْهَجْرَةِ ، وَجَعَلُوا أَوَّلَهَا مِنَ الْمُحَرَّمِ فِيمَا اشْتَهَر عَنْهُمْ ، وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْأُئِمَّةِ . وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : أَوَّلُ السَّنَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ رَبِيعُ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي هَاجَرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

[ وَقَدْ اسْتَدَلَّ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَمَسْجِدُ أُسُسٍ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [ التوبة : ١٠٨ ] أَيِ مِنْ أَوَّلِ حُلُولِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ التَّارِيخِ كَمَا اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى أَوَّلِ سَنِي التَّارِيخِ عَامَ الْهَجْرَةِ ]<sup>(٧)</sup> .

(١) لم أجد هذا الخبر في تفسير الطبري وهو في تاريخه (٣٩٠ / ٢) وجاء في الدر المنثور للسيوطي (٤٩٨ / ٨) في تفسير الآية : وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس في قوله ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ قال : هو المحرم أول فجر السنة .

(٢) في ط : الطائي ، وهو تصحيف ، والمثبت من ح والمؤتلف والمختلف للدارقطني (١٤٩٢ / ٣) وتاريخ الطبري .

(٣) هذه الرواية في تاريخ الطبري أيضاً (٣٩٠ / ٢) بنحوه .

(٤) هذه الرواية أيضاً أخرجه الطبري (٣٩٠ / ٢) عن أحمد بن ثابت الرازي عن أحمد به ، ولم أجد لها في مسند أحمد .

(٥) أخرجه الطبري عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق به بآتم ما هنا .

(٦) هذه الرواية في تاريخ الطبري أيضاً (٣٩٠ / ٢) بنحوه .

(٧) استدلال السهيلي هذا في الروض (٢٤٦ / ٢) .

ولا شك أنَّ هذا الذي قاله الإمام مالك رحمه الله مناسب ، ولكن العمل على خلافه ، وذلك لأن أول شهور العرب المحرَّم ، فجعلوا السنة الأولى سنة الهجرة . وجعلوا أولها المحرَّم كما هو المعروف لئلا يختلط النظام . والله أعلم .

فنقول وبالله المستعان : استهلَّت سنة الهجرة المباركة ورسولُ الله ﷺ مقيمٌ بمكة ، وقد بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية كما قدَّمنا في أوسط أيام التشريق ، وهي ليلةُ الثاني عشر من ذي الحِجَّة قبل سنة الهجرة ، ثم رجع الأنصار وأذن رسولُ الله ﷺ للمسلمين في الهجرة إلى المدينة ، فهاجر مَنْ هاجر من أصحابه إلى المدينة حتى لم يبق بمكة مَنْ يمكنه الخروج إلا رسولُ الله ﷺ ، وحَبَس أبو بكرٍ نفسه على رسولِ الله ﷺ ليصحبه في الطريق كما قدَّمنا ، ثم خرجا على الوجه الذي تقدَّم بسطه ، وتأخر عليُّ بن أبي طالب بعد النبي ﷺ بأمره ليؤدِّي ما كان عنده عليه السلام من الودائع ثم لحقهم بقباء<sup>(١)</sup> . فقدم رسولُ الله ﷺ يوم الإثنين قريباً من الزوال وقد اشتدَّ الضَّحاء<sup>(٢)</sup> .

قال الواقدي وغيره : وذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول .

وحكاه ابنُ إسحاق إلا أنه لم يعرِّج عليه ، ورَّجَّح أنه لثنتي عشرة ليلة خلت منه ، وهذا هو المشهور الذي عليه الجمهور .

وقد كانت مدة إقامته عليه السلام بمكة بعد البِغثة ثلاث عشرة سنة في أصحِّ الأقوال ، وهو رواية حماد بن سلمة عن أبي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس ، قال : بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

وهكذا روى ابنُ جرير<sup>(٤)</sup> عن محمد بن مَعْمَر ، عن رَوْح بن عباد ، عن زكريا بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس أنه قال : مكث رسولُ الله ﷺ بمكة ثلاث عشرة .

وتقدَّم أنَّ ابن عباس كتب أبياتَ صِرْمَةَ بن أبي أنس بن قيس<sup>(٥)</sup> : [ من الطويل ]

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضَعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يَذْكَرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا

(١) في ح : ثم يلحق به .

(٢) « الضحاء » : قريباً من نصف النهار ، وأما الضَّخْوَةُ فهو ارتفاع أول النهار ، والضُّحَى بالضم والقصر : فَوْقَهُ . النهاية (٧٦/٣) .

(٣) في ح ، ط : عن أبي حمزة الضبي . وهو تصحيف ، والمثبت من تهذيب الكمال في ترجمة حماد (٢٥٦/٧) والتبصير لابن حجر (٤٥٤/١) وأبو جمرة هو نصر بن عمران . وقد أخرج هذه الرواية الطبري في تاريخه (٣٨٤/٢) عن محمد بن خلف عن آدم عن حماد به .

(٤) في تاريخه (٣٨٥/٢) .

(٥) مضت الأبيات ص (٤٧٥) .

وقال الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه استشهد بقول صِرْمَة :

ثَوَى فِي قَرِيشٍ بَضَعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يَذْكَرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مَوَاتِياً

وهكذا رواه ابن جرير<sup>(١)</sup> ، عن الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي خمسَ عشرة حِجَّةً ، وهو قولٌ غريبٌ جداً ؛ وأغرب منه ما قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> :

حُدِّثْتُ عَنْ رُوحِ بْنِ عِبَادَةَ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِي سَنِينَ بِمَكَّةَ ، وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ . وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ : عَشْرًا بِمَكَّةَ ، وَعَشْرًا بِالْمَدِينَةِ .

وهذا القول الآخر الذي ذهب إليه الحسنُ البصري من أنه أقام بمكة عشرَ سنين ؛ ذهب إليه أنس بن مالك وعائشة وسعيدُ بن المسيَّب وعمرو بن دينار فيما رواه ابن جرير عنهم ، وهو روايةٌ عن ابن عباس رواها أحمدُ بن حنبل<sup>(٣)</sup> عن يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين ، فمكث بمكة عشرًا .

وقد قدمنا عن الشعبي أنه قال<sup>(٤)</sup> : قُرْنِ إِسْرَافِيلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ سَنِينَ يُلْقَى إِلَيْهِ الْكَلِمَةُ وَالشَّيْءُ - وفي رواية يسمع حسَّه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل . وقد حكى الواقدي عن بعض مشايخه أنه أنكر قول الشعبي هذا ، وحاول ابن جرير أن يجمع بين قول من قال إنه عليه السلام أقام بمكة عشرًا ، وقول من قال ثلاث عشرة بهذا الذي ذكره الشعبي . والله أعلم .

## فصل

ولما حلَّ الرِّكَابُ النبويُّ بالمدينة ، وكان أولَ نزوله بها في دار بني عمرو بن عوف ، وهي قُبَاءُ كما تقدم فأقام بها - أكثر ما قيل - ثنتين وعشرين ليلة ، وقيل ثمانِي عشرة ليلة . وقيل بضع عشرة ليلة . وقال موسى بن عقبة : ثلاث ليال .

والأشهر ما ذكره ابنُ إسحاق<sup>(٥)</sup> وغيره ، أنه عليه السلام أقام فيهم بَقَاءً من يوم الإثنين إلى يوم الجمعة ، وقد أسَّس في هذه المُدَّةِ المختلف في مقدارها - على ما ذكرناه - مسجدَ قباء . [ وقد ادَّعى السُّهيلي أن رسولَ الله ﷺ أسَّسه في أولِ يومٍ قدم إلى قُبَاءَ ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ

(١) في تاريخه (٣٨٦/٢) .

(٢) في تاريخه (٣٨٧/٢) .

(٣) في مسنده (٢٢٨/١) رقم (٢٠١٧) وهو حديث صحيح .

(٤) مضي الخبر .

(٥) في سيرة ابن هشام (٤٩٤/١) .

أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴿ [التوبة : ١٠٨] وَرَدَّ قَوْلَ مَنْ أَعْرَبَهَا مِنْ تَأْسِيسِ أَوَّلِ يَوْمٍ ١١ ، وَهُوَ مَسْجِدُ شَرِيفٌ فَاضِلٌ نَزَلَ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَحْدَهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] كَمَا تَكَلَّمْنَا عَلَى تَقْرِيرِ ذَلِكَ فِي التَّفْسِيرِ وَذَكَرْنَا الْحَدِيثَ الَّذِي [ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ <sup>(٢)</sup> ] أَنَّهُ مَسْجِدُ الْمَدِينَةِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ . وَذَكَرْنَا الْحَدِيثَ الَّذِي <sup>(١)</sup> رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ <sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ <sup>(٤)</sup> بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ <sup>(٥)</sup> ، حَدَّثَنَا شُرَحْبِيلٌ عَنْ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ فِي الطَّهَّورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ ، فَمَا هَذَا الطَّهَّورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ ؟ » قَالُوا : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا نَعْلَمُ شَيْئاً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فَكَانُوا يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ <sup>(٦)</sup> وَلَهُ شَوَاهِدٌ أُخَرُ .

وَرُوي عَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ .

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةٍ <sup>(٧)</sup> ، مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَحْدَهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] قَالَ : كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ فَتَزَلَّتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةُ » . ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ : غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

قُلْتُ : وَيُونُسُ بْنُ الْحَارِثِ هَذَا ضَعِيفٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَمِمَّنْ قَالَ بِأَنَّهُ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ

(١) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفِينَ لَيْسَ فِي حٍ وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَشِيرَ إِلَى ذَلِكَ ص (٤٧٩) مَوْضِعُ الْحَاشِيَةِ (٧) وَقَوْلُ السَّهْلِيِّ هَذَا فِي الرُّوضِ (٢/٢٤٦) فَظَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ مِنْ عَمَلِ النَّسَاجِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (١٣٩٨) (٥١٤) الْحَجَّ بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى هُوَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ ﷺ . وَأَيْضاً تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (٣/٤٥٦) فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ .

(٣) مُسْنَدُ أَحْمَدَ (٣/٤٢٢) رَقْمُ (١٥٤٢٤) .

(٤) فِي ح ، ط : حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ . تَصْحِيفٌ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَتَرْجُمَتُهُ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ (٦/٤٧١) وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَهْرَامِ التَّمِيمِيِّ الْمُؤَدَّبُ الْمَرْوَزِيُّ تُوُفِيَ سَنَةَ ٢١٤ هـ .

(٥) فِي ح ، ط : أَبُو إِدْرِيسٍ . تَصْحِيفٌ ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَتَرْجُمَتُهُ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ (١٥/١٦٦) وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُوَيْسٍ بْنِ مَالِكٍ الْأَصْبَحِيِّ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ١٦٧ هـ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ يُعْتَبَرُ بِهِ فِي الْمَتَابِعَاتِ وَالشَّوَاهِدِ .

(٦) صَحِيحُ ابْنِ خُزَيْمَةَ (٨٣) الْوُضُوءُ أَبْوَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ بَابُ ذِكْرِ ثَنَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْمُتَطَهِّرِينَ بِالْمَاءِ . قَالَ بَشَّارٌ : وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ ، لَضَعْفِ أَبِي أُوَيْسٍ ، وَشُرَحْبِيلِ بْنِ سَعْدٍ ، وَفِي سَمَاعِ شُرَحْبِيلِ بْنِ عُوَيْمٍ نَظَرَ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ (٤/٣٢٢) .

(٧) سَنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٤٤) الطَّهَارَةُ بَابُ فِي الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ ، وَجَامِعُ التِّرْمِذِيِّ (٣١٠٠) التَّفْسِيرُ بَابُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ ، وَسَنَنُ ابْنِ مَاجَةٍ (٣٥٧) الطَّهَارَةُ بَابُ الاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ .



عروة بن الزبير . ورواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، وحكي عن الشعبي ، والحسن البصري ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وعطية العوفي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم .

وقد كان النبي ﷺ يزوره فيما بعد ويصلي فيه ، وكان يأتي قباء كل سبت ، تارة راكباً وتارة ماشياً . وفي الحديث : « صلاة في مسجد قباء كعمرة »<sup>(١)</sup> .

وقد ورد في حديث أن جبرائيل عليه السلام هو الذي أشار للنبي ﷺ إلى موضع قبلة مسجد قباء ، فكان هذا المسجد أول مسجد بني في الإسلام بالمدينة ، بل أول مسجد جعل لعموم الناس في هذه الملة . واحتزننا بهذا عن المسجد الذي بناه الصديق بمكة ، عند باب داره يتعبد فيه ويصلي ، لأن ذاك كان لخاصة نفسه ، لم يكن للناس عامة . والله أعلم .

وقد تقدم إسلام سلمان في البشارات ، أن سلمان الفارسي لما سمع بقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب إليه وأخذ معه شيئاً ، فوضعه بين يديه ، وهو بقاء ، قال : هذا صدقة . فكف رسول الله ﷺ فلم يأكله ، وأمر أصحابه فأكلوا منه ، ثم جاء مرة أخرى ومعه شيء فوضعه وقال : هذه هديّة . فأكل منه وأمر أصحابه فأكلوا . تقدم الحديث بطوله<sup>(٢)</sup> .

## فصل

### في إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن زرارة ، عن عبد الله بن سلام ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه<sup>(٤)</sup> ، فكنث فيمن انجفل ، فلما تبين وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته يقول : « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٤) الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٣/٢) الصلاة باب في الصلاة في مسجد قباء و(١٢٥٧٠) الفضائل باب في مسجد قباء ، كلاهما عن أسيد بن ظهير الأنصاري وقال الترمذي : حسن صحيح (كما في تحقيق الدكتور بشار ، وانظر تعليقه عليه) ، وأخرجه ابن ماجه في السنن عن أسيد أيضاً (١٤١١) إقامة الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء وكذا البيهقي في السنن (٢٤٨/٥) الحج باب إتيان مسجد قباء والصلاة فيه ؛ وأخرجه ابن ماجه برقم (١٤١٢) في الباب نفسه والنسائي في السنن (٦٩٩) المساجد باب فضل مسجد قباء كلاهما عن سهل بن حنيف بلفظ « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلّي فيه كان له كعدل عمرة ، وكذا أخرجه الحاكم في مستدركه (١٢/٣) في كتاب الهجرة .

(٢) مضى الحديث (ص ١١٣ - ١١٧) ؛ وقد أشار ناشر ط في الحاشية هنا إلى الأسطر الثلاثة الأخيرة أنها لم تذكر في النسخة الحلبية يعني ح ، وهذه النسخة بين يدي لا نقص فيها فلعله أراد أن يقول : المصرية ؛ فوهم .

(٣) في مسنده (٤٥١/١) .

(٤) في المسند : عليه ، وفي النهاية : قبله ، ومعناه : ذهبوا مسرعين نحوه . النهاية لابن الأثير (٢٧٩/١) .

ورواه الترمذي وابن ماجه<sup>(١)</sup> من طرق ، عن عوف الأعرابي ، عن زُرارة بن أوفى به عنه . وقال الترمذي : صحيح .

ومقتضى هذا السياق يقتضي أنه سمع بالنبِيِّ ﷺ ورآه أولَ قدومه حين أنَاخ بَقْبَاءَ في بني عمرو بن عوف .

وتقدّم في رواية عبد العزيز بن صُهيب عن أنس أنه اجتمع به حين أنَاخ عند دار أبي أيوب بعد<sup>(٢)</sup> ارتحاله من قَبَاءَ إلى دار بني النجار كما تقدم ؛ فلعله رآه أولَ ما رآه بَقْبَاءَ ، واجتمع به بعد ما صار إلى دار بني النَجَّار . والله أعلم .

وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنس . قال : فلما جاء النبي ﷺ جاء عبدُ الله بن سلام فقال أشهدُ أنكَ رسولُ الله وأنكَ جئتَ بحق ، وقد علمت يهودُ أنني سيّدُهم وابنُ سيّدِهم ، وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم ، فادعُهم فسلّمهم عني قبل أن يعلموا أنني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أنني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ . فأرسل نبيُّ الله ﷺ إلى اليهود فدخلوا عليه . فقال لهم : « يا معشرَ اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسولُ الله حقّاً وأنا جئتُكم بحقّ فأسلموا » قالوا : ما نعلمه - قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاثَ مرار - قال : « فأني رجلٌ فيكم عبدُ الله بنُ سلام » ؟ قالوا : ذاك سيّدنا وابنُ سيّدنا ، وأعلمنا وابنُ أعلمنا . قال : « أفرأيتُم إن أسلم » قالوا : حاشَ لله ما كان ليُسلم . قال : « يا ابنَ سلام اخرجْ عليهم » فخرج فقال : يا معشرَ يهود اتقوا الله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسولُ الله ﷺ . هذا لفظه<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية<sup>(٤)</sup> : فلما خرج عليهم شهد شهادة الحق قالوا : شَرُّنا وابنُ شَرِّنا ، وتنقّصوه . فقال : يا رسول الله هذا الذي كنتُ أخاف .

وقال البيهقي<sup>(٥)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، حدّثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانِي<sup>(٦)</sup> ، حدّثنا عبد الله بن بكر<sup>(٧)</sup> ، حدّثنا حُميد عن أنس ، قال : سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبي ﷺ - وهو في أرض له - فأتى النبي ﷺ فقال : إني سائلُك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبيّ ؛ ما أولُ أشرافِ الساعة ؟

(١) جامع الترمذي (٢٤٨٥) صفة القيامة باب (٤٢) وسنن ابن ماجه (٣٢٥١) الأُطعمة باب إطعام الطعام .

(٢) في ط : عند .

(٣) يعني البخاري في (٢٤٩/٧ ، ٢٥٠) .

(٤) للبخاري في الفتح (٣٩٣٨) مناقب الأنصار باب ٥٠ .

(٥) في دلائل النبوة (٥٢٨/٢) .

(٦) في ح ، ط : الصنعاني . تصحيف ، والمثبت من الدلائل وسير أعلام النبلاء في ترجمته (٥٩٢/١٢) ومصادرهما فيه .

(٧) في ط : عبد الله بن أبي بكر . تصحيف ، والمثبت من ط ودلائل البيهقي وترجمته في تهذيب الكمال (٣٤٠/١٤) .

وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد<sup>(١)</sup> إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهنّ جبريل أنفاً » قال : جبريل ؟ ! قال : « نعم » قال : عدو اليهود من الملائكة . ثم قرأ ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٩٧] ، « أما أول أشراف الساعة : فنارٌ تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب ؛ وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وإذا<sup>(٢)</sup> سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة نزعَت » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ﷺ ؛ يا رسول الله ! إن اليهود قوم بُهت<sup>(٣)</sup> وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني ، فجاءت اليهود ، فقال : « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . قال : « رأيتم إن أسلم ؟ » قالوا : أعاده الله من ذلك . فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا . وانتقصوه . قال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله .

ورواه البخاري<sup>(٤)</sup> عن عبد الله بن مئير ، عن عبد الله بن بكر به ، ورواه<sup>(٥)</sup> عن حامد بن عمر ، عن بشر بن المفضل ، عن حميد ، به .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله ابن سلام . قال : كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم - وكان حبراً عالماً - قال : لما سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفته واسمه وهيئته والذي كنا نتوكل له<sup>(٧)</sup> ، فكنْتُ مُسِرّاً لذلك ، صامتاً عليه حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما قدم نزل بقاء في بني عمرو بن عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت ، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت ! قال : قلت لها : أي عمّة ، والله هو أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه بُعث بما بُعث به . قال فقالت له : يا ابن أخي أهو الذي كنا نخبر به أنه يُبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها : نعم . قال : فذاك إذا .

قال : فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا ، وكنتم

(١) في ط : وما بال الولد . . . والمثبت من ح والدلائل .

(٢) في ط : وأما الولد إذا سبق ، والمثبت من ح والدلائل والبخاري .

(٣) « بهت » : جمع بهوت وهو من بناء المبالغة في البهت : وهو الكذب والافتراء . مثل صبور وصبر . ثم سکن تخفيفاً . النهاية لابن الأثير (١/١٦٥) .

(٤) فتح الباري (٤٤٨٠) التفسير باب قوله من كان عدواً لجبريل من سورة البقرة .

(٥) فتح الباري (٣٩٣٨) مناقب الأنصار باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه .

(٦) في سيرة ابن هشام (٥١٦/١) إلا أنه لم يذكر إسناده ، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥٣٠/٢) عن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي عن أحمد بن عبيد الصفار عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن الضحاك بن الحارث عن عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق به .

(٧) « توكلت الخبر » : انتظر وكفّه ، أي وقوعه . النهاية لابن الأثير .

إسلامي من اليهود وقلت : يا رسول الله ! إِنَّ اليهودَ قومٌ بُهتَ ، وإنِّي أحبُّ أنْ تُدخلني في بعضِ بيوتك فتغيِّبني عنهم ، ثم تسألهم عني فيخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إنْ يعلموا بذلك بهتوني وعابوني . وذكر نحو ما تقدّم .

قال : فأظهرتُ إسلامي وإسلامَ أهلِ بيتي ، وأسلمتُ عمتي خالدة بنت الحارث .

وقال يونس بن بكير<sup>(١)</sup> : عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، حدثنا محدث عن صفية بنت حُيَيٍّ قالت : لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط<sup>(٢)</sup> . أهش إليهما إلا أخذاني دونه ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ قُباء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين<sup>(٣)</sup> ، فوالله ما جأنا إلا مع مغيب الشمس ، فجأنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، فهششتُ إليهما كما كنتُ أصنع ، فوالله ما نظر إليّ واحدٌ منهما ، فسمعتُ عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : تعرفه بنعتة<sup>(٤)</sup> وصفته ؟ قال : نعم والله . قال : فماذا في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت .

وذكر موسى بن عقبة<sup>(٥)</sup> عن الزهري أنَّ أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ذهب إليه وسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه فقال : يا قوم ، أطيعوني ، فإنَّ الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه . فانطلق أخوه حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيدُ اليهود ، وهما من بني النضير - فجلس إلى رسولِ الله ﷺ وسمع منه ، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مُطاعاً - فقال : أتيتُ من عندِ رجلٍ والله لا أزال له عدواً أبداً . فقال له أخوه أبو ياسر : يا ابن أمِّ ، أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده لا تهلك . قال : لا والله لا أطيعك أبداً ، واستحوذ عليه الشيطان ، واتبعه قومه على رأيه .

قلت : أما أبو ياسر واسمه جُدَيُّ بن أخطب<sup>(٦)</sup> ، فلا أدري ما آل إليه أمره ، وأما أخوه حُيَيُّ بن أخطب والد صفية بنت حيي فشرب عداوة النبي ﷺ وأصحابه ، ولم يزل ذلك دأبه لعنه الله حتى قُتل صبراً بين يدي رسولِ الله ﷺ يوم قُتل مقاتلة بني قريظة كما سيأتي إن شاء الله .

(١) قول يونس هذا في دلائل النبوة للبيهقي (٥٣٣/٢) أخرجه بإسناده عنه به .

(٢) في الدلائل : لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش . . .

(٣) في ح : بغلس .

(٤) في الدلائل : بعينه .

(٥) خبر موسى بن عقبة هذا في دلائل البيهقي (٥٣٢/٢) ذكره بإسناده إلى ابن شهاب الزهري .

(٦) في ط : واسمه حيي بن أخطب . تصحيف والمثبت من ح والمؤتلف والمختلف للدارقطني (٥٢٦/١) والإكمال

(٦٢/٢) ولم يذكر كنيته ، وفي سيرة ابن هشام (٥١٤/١) ثلاثة : حيي بن أخطب ، وأخوه أبو ياسر بن أخطب وجُدَيُّ بن أخطب .

## فصل

ولما ارتحل عليه السلام من قُباء وهو راكبٌ ناقته القَصْواء ، وذلك يوم الجمعة أدركه وقت الزوال وهو في دار بني سالم بن عوف ، فصلَّى بالمسلمين الجمعة هنالك ، في وادٍ يقال له وادي رانواناء<sup>(١)</sup> ، فكانت أولَ جمعةٍ صلاها رسولُ الله ﷺ بالمسلمين بالمدينة ، أو مطلقاً لأنه والله أعلم لم يكن يتمكن هو وأصحابه بمكة من الاجتماع حتى يُقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان بموعظة ، وما ذاك إلا لشدة مخالفة المشركين له ، وأذيتهم إياه .

### ذكر خطبة رسول الله ﷺ يومئذ

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : حدَّثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، حدثنا<sup>(٣)</sup> سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أولِ جمعةٍ صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف رضي الله عنهم : « الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترةٍ من الرُّسل ، وقلةٍ من العلم ، وضلالةٍ من الناس ، وانقطاعٍ من الزمان ، ودنوٍ من الساعة ، وقُربٍ من الأجل ؛ مَنْ يطع الله ورسوله فقد رَشِدَ ؛ ومن يعصهما فقد غَوَى وفَرَطَ ، وضلَّ ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خيرٌ ما أوصى به المسلمُ المسلم أن يحضه على الآخرة . وأن يأمره بتقوى الله . فاحذروا ما حذركم الله من نفسه . ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرى . وإنه تقوى لمن عَمِلَ به على وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ ، وعون صدق على ما تَبْعُونَ من أمر الآخرة ، ومن يَصْلَح الذي بينه وبين الله من أمر السرِّ والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وَجْهَ الله يكن له ذِكْراً في عاجل أمره وذُخْراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قَدَّمَ ، وما كان من سوى ذلك يودُّ لو أنَّ بينه وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوفٌ بالعباد . والذي صدَّق قوله ، وأنجز<sup>(٤)</sup> وعده ، لا خُلِفَ لذلك ، فإنه يقولُ تعالى : ﴿ مَا يَبْدَلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [ن : ٢٩] واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله ، في السرِّ والعلانية ، فإنه ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ [الطلاق : ٥] ، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً ؛ وإن تقوى الله تُوقِي مَقْتَهُ ، وتوقِي عُقُوبَتَهُ ، وتوقِي سُخْطَهُ ؛ وإن تقوى الله تُبَيِّضُ الوجه<sup>(٥)</sup> ، وتُرْضِي الربَّ ، وترفع

(١) في ط : رانواناء . تصحيف ، والمثبت من هامش ح ومعجم البلدان (١٩/٣) وقال فيه : بوزن عاشوراء وخابوراء .

(٢) في تاريخه (٣٩٤/٢) .

(٣) في ط : عن وفي الطبري : حدثني .

(٤) في ح : ونجز ، وكذا في بعض نسخ الطبري .

(٥) في الطبري : الوجوه .

الدرجة ، خُذُوا بِحُطَّكُمْ وَلَا تَفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللَّهِ ، قَدْ عَلَّمَكُمْ اللَّهُ كِتَابَهُ ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [ الأنفال : ٤٢ ] وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَأَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ <sup>(١)</sup> فَإِنَّهُ مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

هكذا أورده ابن جرير ، وفي السند إرسال .

وقال البيهقي <sup>(٢)</sup> : باب - أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ حين قدم المدينة - .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني المغيرة <sup>(٣)</sup> بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شريق ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فقدّموا لأنفسكم ، تعلّموا والله ليضعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربّه - ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه - : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيك مالا وأفضلت عليك ، فما قدّمت لنفسك ؟ فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قدّامه فلا يرى غير جهنّم ، فمن استطاع أن يقّي وجهه من النار ولو بشقّ تمرّة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنّ بها تُجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف ، والسلام على رسول الله <sup>(٤)</sup> ورحمة الله وبركاته .

ثم خطب رسول الله ﷺ مرّة أخرى فقال : « إنّ الحمد لله أحمدُهُ وأستعينه ، نعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله [ وحده لا شريك له ] <sup>(٥)</sup> ، إنّ أحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفلح من زَيَّنَهُ الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكُفْرِ ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أحبُّوا من أحبَّ الله ، أحبُّوا الله من كلّ قلوبكم [ ولا تملُّوا كلامَ الله وذكَّره ، ولا تقسُّ عنه قلوبكم ] <sup>(٥)</sup> فإنه من كلّ يختار الله

(١) في الطبري : اليوم .

(٢) في دلائل النبوة (٢/ ٥٢٤) وأخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٥٠٠) .

(٣) المغيرة هذا لم أقف له على ترجمة في كتب العلم ، لكن من أقربائه ، إن وجد : أبو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي المدني ، ابن أخت أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، وهو مترجم في التهذيب (٣٣/ ٣٦١) (بشار) .

(٤) في سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١) : والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٥) ما بين معقوفين من الدلائل وسيرة ابن هشام .

ويصطفى ، فقد سمّاه خَيْرَتُهُ من الأعمال وخيرته<sup>(١)</sup> من العباد ، والصالح من الحديث ومن كلّ ما أُوتي الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حقّ تقاته ، واضدّقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحاثّوا بروح الله بينكم إنّ الله يغضب أن يُنكثَ عهده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .  
وهذه الطريق أيضاً مرسلّة إلا أنها مقويّة لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ .

## فصل

في بناء مسجده الشريف في مدة مقامه عليه [ الصلاة ] والسلام  
بدار أبي أيوب رضي الله عنه

وقد اختلف في مدة مقامه بها ، فقال الواقدي : سبعة أشهر ، وقال غيره : أقل من شهر . والله أعلم .  
قال البخاري<sup>(٢)</sup> : حدثنا إسحاق بن منصور ، أخبرنا عبد الصمد قال : سمعتُ أبي يحدث فقال : حدثنا أبو التّياح يزيد بن حميد الضّبعي<sup>(٣)</sup> ، حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة ، في حيّ يقال لهم : بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى ملأ بني النّجار فجاؤوا متقلّدي سيوفهم ، قال : وكأنّي أنظرُ إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه ، وملأ بني النّجار حوله ، حتى ألقى<sup>(٤)</sup> بفناء أبي أيوب ، قال : فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مرابض الغنم . قال : ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بني النّجار ، فجاؤوا فقال : « يا بني النّجار ثامنوني بحائطكم هذا<sup>(٥)</sup> » فقالوا : لا والله لا نطلبُ ثمنه إلا إلى الله . قال : فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبورُ المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل ، فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، وبالخرب فسوّيت ، وبالنخل فقطع . قال : فصقّوا النخل قبلّة المسجد ، وجعلوا عِصَادَتِيهِ حجارة . قال : فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ، ورسول الله ﷺ معهم يقول<sup>(٦)</sup> : اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فأنصر الأنصار والمهاجرة .

- (١) في الدلائل والسيرة : ومصطفاه من العباد .
- (٢) فتح الباري (٣٩٣٢) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .
- (٣) في ط : الضبي . تصحيف ، والمثبت من ح والبخاري في الفتح .
- (٤) قال ابن حجر في الفتح (٢٦٦/٧) : ألقى : أي نزل ، أو المراد ألقى رحله .
- (٥) « ثامنوني » : أي قرروا معي ثمنه ، أو ساوموني بثمانه ، تقول : ثمنت الرجل في كذا ، إذا ساومته . فتح الباري (٢٦٦/٧) .
- (٦) في الفتح : ورسول الله ﷺ معهم يقولون : وكتب قولهم في البخاري كما يكتب الشعر في شطرين . وفي رواية أخرى وهي الآتي ذكرها :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وانظر قول ابن هشام ص (٤٩٢ ح ٢) .

وقد رواه البخاري في مواضع آخر ومسلم<sup>(١)</sup> من حديث أبي عبد الصمد وعبد الوارث بن سعيد .

وقد تقدّم في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> ، عن الزهري ، عن عروة ، أن المسجد الذي كان مَرَبَدًا - وهو يَنْدُرُ التمر - ليتيمين كانا في حَجَرِ أسعد بن زُرارة وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ، فساومهما فيه رسول الله ﷺ فقالا : بل نهْبه لك يا رسول الله ! فأبى حتى ابتاعه منهما وبناه مسجداً . قال : وجعل رسولُ الله ﷺ يقول وهو ينقل معهم التراب : **إِنِّي رَجَا**

هَذَا الْجَمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرُ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول : **إِنِّي رَجَا**

لَا هُمْ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَازَحَمَ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

وذكر موسى بن عُقْبَةَ أَنَّ أسعد بن زُرارة عَوَّضَهُمَا مِنْهُ نَخْلًا لَهُ فِي بَنِي بَيَاضَةَ ، قال : وقيل ابتاعه منهما رسولُ الله ﷺ .

قلت : وذكر محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> أن المَرَبَدَ كان لغلّامين يتيمين في حجر معاذ بن عَفْرَاءَ وهما سهل وسُهَيْل ابنا عمرو ، فالله أعلم .

وروى البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا ، حدّثنا الحسن بن حماد الضبي ، حدّثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : لما بنى رسولُ الله ﷺ المسجد أعانه عليه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن ، حتى اغبرَّ صَدْرُهُ ، فقال : « ابْنُوهُ عَرِيشًا كَعَرِيشِ مُوسَى » فقلت للحسن : ما عَرِيشُ موسى ؟ قال : إذا رفع يديه بلغ العريش - يعني السقف - . وهذا مرسل .

وَرَوَى<sup>(٥)</sup> من حديث حمّاد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن يعلى بن شداد بن أوس ، عن عُبَادَةَ ، أَنَّ الْأَنْصَارَ جَمَعُوا مَالًا فَأَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنِ هَذَا الْمَسْجِدَ وَزَيَّنْهُ ، إِلَى مَتَى نَصْلِي تَحْتَ هَذَا الْجَرِيدِ ؟ فقال : « مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ أَخِي مُوسَى ، عَرِيشٌ كَعَرِيشِ مُوسَى » .

(١) فتح الباري (٤٢٨) الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويُتخذ مكانها مساجد وفي الحج (١٨٨٦) والبيع (٩٠٦) ، وفي موضعين من الوصايا (٢٧٧١) و(٢٧٧٤) و(٢٧٧٩) ؛ وصحيح مسلم (٥٢٤) (٩) المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ .

(٢) تقدم الخبر ص (٤٥١ ، ٤٥٢) .

(٣) تقدم حديث ابن إسحاق في أول ص (٤٦٨) .

(٤) دلائل البيهقي (٥٤٢/٢) .

(٥) يعني البيهقي في الدلائل (٥٤٢/٢) .



وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه .

وقال أبو داود<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ شَيْبَانَ<sup>(٣)</sup> ، عَنْ فِرَاسٍ ، عَنْ عَطِيَّةٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ ، أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ سَوَارِيهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ ، أَعْلَاهُ مُظْلَلٌ بِجَرِيدِ النَّخْلِ ، ثُمَّ إِنَّهَا نَخِرَتْ<sup>(٤)</sup> فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَبْنَاهَا بِجُذُوعٍ وَبِجَرِيدِ النَّخْلِ ، ثُمَّ إِنَّهَا نَخِرَتْ<sup>(٥)</sup> فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ فَبْنَاهَا بِالْأَجْرِ ، فَلَمْ تَزَلْ<sup>(٦)</sup> ثَابِتَةً حَتَّى الْآنَ .

وهذا غريب .

وقد قال أبو داود أيضاً<sup>(٧)</sup> : حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ صَالِحٍ<sup>(٨)</sup> ، حَدَّثَنَا نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ أَخْبَرَهُ ، أَنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنًى بِاللَّبَنِ ، وَسَقْفُهُ الْجَرِيدُ ، وَعَمْدُهُ خَشَبُ النَّخْلِ ، فَلَمْ يَزِدْ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ شَيْئاً وَزَادَ فِيهِ عُمَرُ وَبَنَاهُ عَلَى بَنَائِهِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّبَنِ وَالْجَرِيدِ ، وَأَعَادَ عَمْدَهُ خَشَباً ؛ وَغَيَّرَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً كَثِيرَةً ، وَبَنَى جِدَارَهُ بِالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ وَالْقَصَّةِ<sup>(٩)</sup> وَجَعَلَ عَمْدَهُ مِنْ حِجَارَةٍ مَنْقُوشَةٍ وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ<sup>(١٠)</sup> .

وهكذا رواه البخاري<sup>(١١)</sup> عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ .

قلت : زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه متأولاً قوله ﷺ « مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً وَلَوْ كَمَفْخَصٍ قَطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ »<sup>(١٢)</sup> ووافقه الصحابة الموجودون على ذلك ولم يُعَيَّرُوهُ بعده ، فيُستدل بذلك على

(١) في السنن (٤٥٢) الصلاة باب في بناء المسجد ، وإسناده ضعيف ، كما قال المصنف .

(٢) في ط : عبد الله ، تصحيف ، والمثبت من ح وسنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (٨٨٩/٢) وهو أبو محمد الكوفي .

(٣) في ح ، ط : سنان ، تصحيف ، والمثبت من سنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (٥٩٢/١٢) . وهو شيبان بن عبد الرحمن التميمي مولاهم توفي سنة ١٦٤ هـ .

(٤) في ط : تخربت . تصحيف ، والمثبت من ح وسنن أبي داود . ومعنى نخرت : بليت وتفتت . القاموس (نخر) .

(٥) في ط : فما زالت . والمثبت من ح والسنن .

(٦) في السنن (٤٥١) الصلاة باب في بناء المسجد .

(٧) في ح ، ط : عن أبي صالح . وهو تحريف ، والمثبت من سنن أبي داود وترجمته في تهذيب الكمال (٧٩/١٣) وهو صالح بن كيسان المدني يروي عن نافع مولى ابن عمرو عنه إبراهيم بن سعد عن إبراهيم .

(٨) قال الخطابي في معالم السنن (٢٥٦/١) : القصة : شيء يشبه الجص وليس به . وقال أبو داود في آخر الحديث : القصة : الجص .

(٩) « الساج » : نوع من الخشب يؤتى به من الهند . فتح الباري (٥٤٠/١) .

(١٠) فتح الباري (٤٤٦) الصلاة باب ببيان المسجد .

(١١) أخرجه بهذا اللفظ ابن حبان بسنده إلى أبي ذر ، الإحسان (١٦١٠) وقال الأستاذ شعيب في حاشيته : إسناده =

الراجح من قول العلماء أنَّ حكم الزيادة حكم المزيد ، فتدخل الزيادة في حكم سائر المسجد من تضعيف الصلاة فيه وشد الرحال إليه ؛ وقد زيد في زمان الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق ، زاده له بأمره عمر بن عبد العزيز حين كان نائبه على المدينة ، وأدخل الحجرة النبوية فيه كما سيأتي بيانه في وقته ، ثم زيد زيادة كثيرة فيما بعد ، وزيد من جهة القبلة حتى صارت الرّوضة والمنبر بعد الصفوف المقدمة كما هو المشاهد اليوم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه ، وعمل فيه رسول الله ﷺ ليرغب المسلمين في العمل فيه ؛ فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودأبوا فيه . فقال قائل من المسلمين : [ من الرجز ]

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون : [ من الرجز ]

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة<sup>(٢)</sup>

فيقول رسول الله ﷺ : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار » .

قال : فدخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال : يا رسول الله ! قتلوني ، يحملون علي ما لا يحملون . قالت أم سلمة : فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده - وكان رجلاً جعداً - وهو يقول : « ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية » .

وهذا منقطع من هذا الوجه ، بل هو مفضل بين محمد بن إسحاق وبين أم سلمة ، وقد وصله مسلم في صحيحه<sup>(٣)</sup> من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن سعيد والحسن - يعني ابني أبي الحسن البصري - عن أمهما خيرة مولاة أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « تقتل عماراً الفئة الباغية » .

ورواه<sup>(٤)</sup> من حديث ابن علية عن ابن عون ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار وهو ينقل الحجارة : « ويح لك يا ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية » .

= صحيح ، وهو في مصنف ابن أبي شيبة (٣١٠/١) وأخرجه الطبراني في الصغير (١٣٨/٢) والبيهقي في السنن (٤٣٧/٢) بإسنادهم عن أبي ذر ، والطيالسي في مسنده (٤٦١) ، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٨٥/١) والقضاعي في مسند الشهاب (٤٧٩) والطبراني في الصغير (١٢٠/٢) والبزار (٤٠١) والبيهقي (٤٣٧/٢) من طرق عن الأعمش به . وتقدم من حديث عمر . . . ومن حديث عثمان . اهـ .

(١) سيرة ابن هشام (٤٩٦/١) .

(٢) قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

(٣) صحيح مسلم (٢٩١٦) (٧٢) الفتن وأشراف الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت .

(٤) يعني مسلماً في صحيحه برقم (٢٩١٦) (٧٣) وابن علية هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم .

وقال عبد الرزاق<sup>(١)</sup> : أخبرنا معمر عن<sup>(٢)</sup> الحسن يحدث عن أمه ، عن أم سلمة قالت : لما كان رسول الله ﷺ وأصحابه يبنون المسجد ، جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل واحد لبنه لبنه ، وعمار يحمل لبنتين ، لبنه عنه ولبنه عن النبي ﷺ فمسح ظهره<sup>(٣)</sup> . وقال « ابن سُمَيَّة ، للناس أجر ، ولك أجران ، وآخر زادك شربة من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية » .

وهذا إسناد على شرط الصحيحين<sup>(٤)</sup>

وقد أورد البيهقي<sup>(٥)</sup> وغيره من طريق جماعة عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن أبي سعيد الخدري قال : كنا نحمل في بناء المسجد لبنه لبنه ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ ، فجعل ينفذ التراب عنه ويقول : « وَيَحْ عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

لكن روى هذا الحديث الإمام البخاري<sup>(٦)</sup> عن مُسَدَّد ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن خالد الحذاء ؛ وعن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء به ؛ إلا أنه لم يذكر قوله « تقتلك الفئة الباغية »<sup>(٧)</sup> .

(١) في المصنف (٢٠٤٢٦) باب أصحاب النبي ﷺ .

(٢) في المصنف : معمر عن سمع الحسن يحدث ، قال بشار : الصحيح ، فإن معمر لم يحدث عن الحسن .

(٣) في المصنف : فقام النبي ﷺ فمسح ظهره .

(٤) كيف يكون على شرط الشيخين ؟ فإن كان ما أورده المصنف صحيحاً ، فإن معمر لم يحدث عن الحسن ، بل رأى جنازته وهو صغير ، وذكر أنه طلب العلم سنة مات الحسن ، كما رواه عبد الرزاق عنه ( تاريخ البخاري الصغير ١١٥ / ٢ ، والجرح والتعديل ٨ / الترجمة ١١٦٥ ) ، ولم تذكر كتب العلم رواية له عن الحسن ، ولا ذكر ذلك المزي في التهذيب . وإن كان ما جاء في مصنف عبد الرزاق هو الصواب ، أعني بينهما رجل مجهول - وهو الأرجح - فلا يصح هذا الإسناد لجهالة من روى عنه معمر . ( بشار ) .

(٥) في دلائل النبوة ( ٥٤٦ / ٢ ) .

(٦) فتح الباري ( ٤٤٧ ) الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ، و ( ٢٨١٢ ) الجهاد باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله .

(٧) هذا هو الصواب ، وكذلك ذكر المزي هذا الحديث ولم يذكر فيه عبارة « تقتله الفئة الباغية » ( تحفة الأشراف ٤١٥ / ٣ ) حديث ٤٢٤٨ ( بتحقيقي ) وكذا ذكر البيهقي في الدلائل أن البخاري تركها . أما وجود العبارة في المطبوع من الفتح في الموضعين ( ٤٤٧ ) و ( ٢٨١٢ ) فهو من تصرف الناشرين ، ولم يحسنوا صنعا . ويلاحظ أن إشارة قد وضعت في النسخة اليونانية من صحيح البخاري على هذه العبارة فكتب في أولها « لا » وفي آخرها « إلى » أي : احذف هذه العبارة ، فالأصح أن هذه العبارة مقحمة من بعض الروايات ، وأن الروايات المتقنة الأصيلة قد خلت منها ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ( ٥٤٢ / ١ ) « واعلم أن هذه الزيادة لم يذكرها الحميدي في الجمع وقال : إن البخاري لم يذكرها أصلاً ، وكذا قال أبو مسعود ( الدمشقي ) . قال الحميدي : ولعلها لم تقع للبخاري أو وقعت فحذفها عمداً ، قال : وقد أخرجها الإسماعيلي والبرقاني في هذا الحديث . قلت ( ابن حجر ) : ويظهر لي أن البخاري حذفها عمداً وذلك لنكتة خفية وهي أن أبا سعيد الخدري اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبي ﷺ فدل على أنها في هذه =

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : وكأنه إنما تركها لما رواه مسلم<sup>(٢)</sup> من طريق عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : أخبرني مَنْ هو خيرٌ مني أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفرُ الخندق ، جعل يمسح رأسه ويقول : « بؤسَ ابنِ سُمَيَّةَ تقتلكَ فئةٌ باغيةٌ » .

وقد رواه مسلمٌ أيضاً<sup>(٣)</sup> من حديث شعبة عن أبي مَسْلَمَةَ ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، قال : حَدَّثَنِي مَنْ هو خيرٌ مني - أبو قتادة - أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعمارِ بنِ ياسر : « بؤساً لك يا ابنَ سُمَيَّةَ تقتلكَ الفئةُ الباغيةُ » .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا وهيب عن داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ لما حفر الخندق كان الناسُ يحملون لبنَةً لبنَةً ، وعمار - ناقةٌ من وَجَعِ كَانَ به - فجعل يحملُ لبنتينِ لبنتينِ . قال أبو سعيد : فَحَدَّثَنِي أصحابي أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان ينفُضُ الترابَ عن رأسه ويقول : « وَيَحْكُ ابنُ سُمَيَّةَ تقتلكَ الفئةُ الباغيةُ » .

قال البيهقي<sup>(٥)</sup> : فقد فَرَّقَ بين ما سمعه بنفسه وما سمعه من أصحابه . قال ويُشبه أن يكون قوله الخندق وهماً ، أو أنه قال له ذلك في بناء المسجد وفي حفر الخندق . والله أعلم .

قلت : حَمَلُ اللبن في حفر الخندق لا معنى له ، والظاهر أنه اشتبه على الناقل والله أعلم . وهذا الحديث من دلائل النبوة حيث أخبر صلواتُ الله وسلامه عليه عن عَمَّار أنه تقتله الفئةُ الباغيةُ ، وقد قتله أهلُ

= الرواية مدرجة ، والرواية التي بينت ذلك ليست على شرط البخاري . وقد أخرجها البزار من طريق داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد فذكر الحديث في بناء المسجد ، وحملهم لبنَةً لبنَةً وفيه : فقال أبو سعيد : فَحَدَّثَنِي أصحابي ولم أسمع من رسول الله ﷺ أنه قال : يا ابن سُمَيَّةَ تقتلكَ الفئةُ الباغيةُ . . . وهذا الإسناد على شرط مسلم وقد عين أبو سعيد من حدثه بذلك ، ففي مسلم والنسائي من طريق أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حَدَّثَنِي مَنْ هو خير مني أبو قتادة ، فذكره ، فاقتصر البخاري على القدر الذي سمعه أبو سعيد من النبي ﷺ دون غيره ، وهذا دال على دقة فهمه وتبحره في الاطلاع على علل الحديث . « انتهى كلام الحافظ .

قلت : فهذا من أقوى دليل على أن الحافظ ابن حجر يؤيد أن هذه العبارة ليست في الصحيح ، فكيف يكتبها في « الفتح » ؟ لكن الناشرين كتبوا المتن من مكان وكتبوا الحواشي من النسخ الخطية ، وخلاصة القول أن ما ذكره المصنف ابن كثير هو الصواب ، وأن العبارة ينبغي أن تحذف من المطبوع من صحيح البخاري ( بشار ) .

(١) في الدلائل (٢/٥٤٨) .

(٢) صحيح مسلم (٧١ - ٢٩١٥) الفتن وأشرط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت .

(٣) وهي الرواية التي تلي الرواية السابقة برقم (٧٢) .

(٤) في ح ، ط : عن أبي مسلم . وهو تصحيف ، والمثبت من صحيح مسلم وترجمته في تهذيب الكمال (١١/١١٤) وهو سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي الطاحي البصري .

(٥) مسند الطيالسي (٢١٦٨) .

(٦) في دلائل النبوة (٢/٥٤٩) .

الشام في وقعة صِفِّين وعمَّار مع علي وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه . وقد كان عليُّ أحقَّ بالأمر من معاوية . ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بُغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضالة من الشيعة وغيرهم ، لأنهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فإنهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال وليس كلُّ مجتهدٍ مصيباً ، بل المصيبُ له أجران والمخطيء له أجر ، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية - ( لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة ) - فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله ﷺ ، فإنه لم يقلها إذ لم تُنقل من طريقٍ تُقبل . والله أعلم .

وأما قوله : يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فإنَّ عماراً وأصحابه يدعون أهل الشام إلى الألفة واجتماع الكلمة . وأهل الشام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون مَنْ هو أحقُّ به ، وأن يكون الناسُ أوزاعاً على كلِّ قُطرٍ إمامٌ برأسه ، وهذا يؤدِّي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمة ، فهو لازمٌ مذهبهم وناشئٌ عن مسلكتهم ، وإن كانوا لا يقصدونه . والله أعلم . وسيأتي تقريرُ هذه المباحث إذا انتهينا إلى وقعة صِفِّين من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحُسن تأييده وتوفيقه ، والمقصود هاهنا إنما هو قصة بناء المسجد النبوي على بانيه أفضل الصلاة والتسليم .

وقد قال الحافظ البيهقي في « الدلائل »<sup>(١)</sup> : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ إمامنا ، حدَّثنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا عبيد بن شريك ، حدَّثنا نعيم بن حماد ، حدَّثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا حشْرَج بن نُباتة ، عن سعيد بن جُمهَانَ ، عن سَفِينة مولى رسول الله ﷺ ، قال : [ لما بنى رسول الله ﷺ المسجد ] جاء أبو بكر بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عثمان بحجرٍ فوضعه ، ثم جاء عمر بحجرٍ فوضعه ، فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء ولأه الأمر بعدي » .

ثم رواه<sup>(٢)</sup> من حديث يحيى بن عبد الحميد الجُمَّاني ، عن حشْرَج ، عن سعيد ، عن سَفِينة . قال : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع حجراً . ثم قال : « ليضع أبو بكر حجراً إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر » فقال رسول الله ﷺ : « هؤلاء الخلفاء من بعدي » .

وهذا الحديث بهذا السياق غريبٌ جداً .

والمعروف ما رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> عن أبي النَّضَر ، عن حشْرَج بن نُباتة العبسي ؛ وعن بهز وزيد بن الحُبَّاب ؛ وعبد الصمد وحماد بن سلمة كلاهما عن سعيد بن جُمهَانَ عن سَفِينة قال سمعت رسول الله يقول : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون من بعد ذلك المُلْك » ثم قال سَفِينة : أمسك ؛ خلافة أبي بكر ستين ، وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنتا عشر سنة ، وخلافة علي ست سنين .

(١) (٥٥٣/٢) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٢) في المسند : (٥/٢٢٠ ، ٢٢١) رقم (٢١٨١٦) .

هذا لفظ أحمد ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> من طرق عن سعيد بن جُمهَانَ ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من حديثه ولفظه « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً عَصُوضاً » وذكر بقيته .

قلت : ولم يكن في مسجد النبي ﷺ أول ما بني مِنبرٌ يخطب الناس عليه ، بل كان النبي ﷺ يخطب الناس وهو مستند إلى جذع عند مصلاه في الحائط القبلي ، فلما اتُّخذ له عليه السلام المنبر كما سيأتي بيانه في موضعه وعدل إليه ليخطب عليه ، فلما جاوز ذلك الجذع خار ذلك الجذع وحنَّ النُّوق العِشَار لما كان يسمع من خُطْب الرسول عليه السلام عنده ، فرجع إليه النبي ﷺ فاحتَضَنَهُ حتى سكن كما يسكن المولود الذي يسكت ، كما سيأتي تفصيل ذلك من طرق<sup>(٢)</sup> عن سهل بن سعد الساعدي ، وجابر بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وأنس بن مالك ، وأم سلمة رضي الله عنهم . وما أحسن ما قال الحسنُ البصري : بعد ما روى هذا الحديث عن أنس بن مالك : يا معشر المسلمين ، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحقُّ أن يشتاقوا إليه ؟!

### تنبيه على فضل هذا المسجد الشريف والمحل المنيف

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا يحيى ، عن أنيس بن أبي يحيى ، حدَّثني أبي قال : سمعتُ أبا سعيد الخُدريَّ قال : اختلف رجلان : رجلٌ من بني خُدرة ، ورجلٌ من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال الخُدري : هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ وقال العُمري هو مسجدُ قُباء ، فأثبنا رسولُ الله ﷺ فسألاه عن ذلك فقال : « هو هذا المسجد » لمسجدِ رسولِ الله ﷺ وقال : « في ذلك خيرٌ كثير » يعني مسجدَ قُباء .

ورواه الترمذي<sup>(٤)</sup> عن قتيبة ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن أنيس بن أبي يحيى الأسلمي به ، وقال : حسنٌ صحيح .

وروى الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> عن إسحاق بن عيسى ، عن الليث بن سعد ، والترمذي والنسائي<sup>(٦)</sup> جميعاً عن

(١) سنن أبي داود (٤٦٤٦) السنة باب في الخلفاء ، وجامع الترمذي (٢٢٢٦) الفتن باب ما جاء في الخلافة ، والنسائي في المناقب من سننه الكبرى (٨١٥٥) .

(٢) سيرد في الجزء التالي .

(٣) في المسند (٢٣/٣) رقم (١١١٢١) .

(٤) في ط : يحيى بن أنيس بن أبي يحيى . وهو تحريف ، والمثبت من ح والمسند .

(٥) في الجامع (٣٢٣) الصلاة باب ما جاء في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، وهو حديث صحيح كما قال .

(٦) في المسند (٨/٣) رقم (١٠٩٨٧) .

(٧) جامع الترمذي (٣٠٩٩) تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة ؛ وسنن النسائي (٦٩٧) مساجد باب ذكر المسجد الذي

قتيبة عن الليث عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ؛ وذكر نحو ما تقدّم .

وفي صحيح مسلم<sup>(١)</sup> من حديث حميد الخراط عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أنه سأل عبد الرحمن ابن أبي سعيد : كيف سمعتَ أباك يقول في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ؟ فقال : قال أبي : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فسألته عن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ؟ فأخذ كفّاً من خُصْبَاء ، فضربَ به الأرض ، ثم قال : « هو مَسْجِدُكُمْ هذا » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا وَكِيع ، حَدَّثَنَا ربيعة بن عثمان التيمي<sup>(٣)</sup> عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجدُ رسول الله ﷺ وقال الآخر : هو مسجدُ قُبَاء ، فأتيا رسولَ الله ﷺ فسألاه فقال : « هو مسجدي هذا » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيم ، حَدَّثَنَا عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أُبَيِّ بن كعب ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى مسجدي هذا » .

فهذه طرقٌ متعدّدة لعلها تقرّب من إفادة القطع بأنه مسجدُ الرسول ﷺ ، وإلى هذا ذهب عمر وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيّب ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون : لا منافاة بين نزول الآية في مسجد قُبَاء كما تقدّم بيانه ، وبين هذه الأحاديث ، لأن هذا المسجد أولى بهذه الصفة من ذلك ، لأنّ هذا أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ الرَّحَالُ إليها كما ثبت في الصحيحين<sup>(٥)</sup> من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ ؛ مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس » .

وفي صحيح مسلم<sup>(٦)</sup> عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « لا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » وذكرها .

= أُسِّسَ على التقوى ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح من حديث عمران .

(١) صحيح مسلم (١٣٩٨) (٥١٤) الحج باب بيان أن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى هو مسجد النبي ﷺ .

(٢) في المسند (٣٣١/٥) رقم (٢٢٧٠٤) .

(٣) في ط : التيمي . تصحيح ، والمثبت من ح ومسند أحمد وترجمته في تهذيب الكمال (١٣٢/٩) .

(٤) في المسند (١١٦/٥) رقم (٢١٠٠٥) .

(٥) فتح الباري (١١٨٩) مسجد مكة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم (١٣٩٧) (٥١١) الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد .

(٦) صحيح مسلم (٨٢٧) (٤١٥) الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره .

وثبت في الصحيحين<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » .

وفي مسند الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> بإسناد حسن زيادة حسنة وهي قوله « فإن ذلك أفضل » .

وفي الصحيحين<sup>(٣)</sup> من حديث يحيى القطان ، عن حبيب ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » .

والأحاديث في فضائل هذا المسجد الشريف كثيرة جداً ، وسنوردُها في كتاب المناسك من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وقد ذهب الإمام مالك وأصحابه إلى أن مسجد المدينة أفضل من المسجد الحرام ، لأن ذاك بناء إبراهيم ، وهذا بناء محمد ﷺ ، ومعلوم أن محمداً أفضل من إبراهيم عليه السلام . وقد ذهب الجمهور إلى خلاف ذلك ، وقروا أن المسجد الحرام أفضل لأنه في بلد حرمة الله يوم خلق السموات والأرض ، وحرمة إبراهيم الخليل عليه السلام ، ومحمد خاتم المرسلين فاجتمع فيه من الصفات ما ليس في غيره ، ولبسُط هذه المسألة موضع آخر وبالله المستعان .

## فصل

وبني لرسول الله ﷺ حول مسجده الشريف حُجْرٌ لتكون مساكن له ولأهله ، وكانت مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء قال الحسن بن أبي الحسن البصري - وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة - لقد كنت أنال أطول سقف في حُجْرِ النبي ﷺ بيدي .

قلت : إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلاً ضَخماً طَوَّالاً رحمه الله .

وقال السهيلي في « الرّوض »<sup>(٤)</sup> : كانت مساكنه عليه السلام مبنية من جريد عليه طين ، وبعضها من حجارة مرسومة<sup>(٥)</sup> وسقفها كلها من جريد . ثم<sup>(٦)</sup> حكى عن الحسن البصري ما تقدّم .

(١) فتح الباري (١١٩٠) مسجد مكة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، وصحيح مسلم (١٣٩٤) (٥٠٦) الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة .

(٢) لعل الرواية المذكورة في المسند (٣/٣٤٣) عن جابر والزيادة فيه هكذا « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة » . ولم أجد هذه الزيادة فيما روي من طريق الإمام أحمد في مسنده .

(٣) فتح الباري (١١٩٦) فضل الصلاة في مسجد مكة باب فضل ما بين القبر والمنبر ، وصحيح مسلم (١٣٩١) (٥٠٢) الحج باب ما بين القبر والمنبر .

(٤) (٢/٢٤٨) بنحوه وبألفاظ مقاربة .

(٥) زاد السهيلي في الروض : بعضها فوق بعض . وهو تفسير المرسومة .

(٦) في ط : وقد حكى ، والمثبت من ح ويعني بالذي حكى السهيلي . وما يأتي من معقوفين من الروض .



قال : وكانت حَجْرُهُ [أكسية<sup>(١)</sup>] من شعرٍ مربوطةٍ بخشبٍ من عَزْعَرٍ<sup>(٢)</sup>

قال<sup>(٣)</sup> : وفي تاريخ البخاري أنَّ بابه عليه السلام كان يُقَرَّع بالأظافر ، فدلَّ على أنه لم يكن لأبوابه خلق . قال : وقد أُضيفت الحُجَرُ كُلُّها بعد موت أزواج رسول الله ﷺ إلى المسجد .

قال الواقدي وابن جرير وغيرهما<sup>(٤)</sup> : ولما رجع عبد الله بن أريقط الدُّثَلِي إلى مكة بعث معه رسول الله ﷺ وأبو بكر زيد بن حارثة وأبا رافع موليا رسول الله ﷺ ليأتوا بأهاليهم من مكة ، وبعثا معهم بِحِمْلَيْن وخمسمئة درهم ليشتروا بها إبلًا من قُديد ؛ فذهبوا فجاءوا ببنتي النبي ﷺ فاطمة وأم كلثوم وزوجتيه سودة وعائشة ، وأمَّها أمُّ رُومان وأهل النبي ﷺ وآل أبي بكر صحبة عبد الله بن أبي بكر ، وقد شَرَدَ بعائشة وأمَّها أمُّ رُومان الجملُ في أثناء الطريق ، فجعلت أمُّ رُومان تقول : واعروساه ! وابنتاه ! قالت عائشة : فسمعتُ قائلاً يقول : أرسلني خطامه ، فأرسلت خطامه فوقف بإذن الله وسَلَّمنا الله عزَّ وجلَّ . فَقَدِمُوا فنزلوا بالسُّنْح<sup>(٥)</sup> . ثم دخل رسول الله ﷺ بعائشة في شوال بعد ثمانية أشهر كما سيأتي ، وقدمت معهم أسماء بنتُ أبي بكر امرأة الزبير بن العوام وهي حاملٌ مُتَمِّ بعدد الله بن الزبير كما سيأتي بيانه في موضعه من آخر هذه السنة .

## فصل

### فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة رضي الله عنهم أجمعين

وقد سلم الرسول منها بحول الله وقوته ودعا الله فأزاحها عن مدينته .

قال البخاري<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا عبد الله بن يوسف<sup>(٦)</sup> ، ثنا مالك عن<sup>(٧)</sup> هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وَعِكَ<sup>(٨)</sup> أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلتُ عليهما فقلت : يا أبة كيف تجِدُك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذتُه الحُمَّى يقول : [ من الرجز ] كُلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله<sup>(٩)</sup> والموتُ أذنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

(١) « العَزْعَر » : شجر السَّزُو . القاموس ( عرعر ) .

(٢) يعني السهيلي في الروض .

(٣) طبقات ابن سعد ( ٨ / ٦٢ ، ٦٣ ) وتاريخ الطبري ( ٢ / ٤٠٠ ) .

(٤) تقدم تعريف السُّنْح ( ص ٣٧٧ ح ٤ ) .

(٥) فتح الباري ( ٣٩٢٦ ) مناقب الأنصار باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

(٦) في ط : عبد الله بن وهب بن يوسف . تحريف ، والمثبت من ح وصحيح البخاري في الفتح .

(٧) في ح ، ط : مالك بن هشام . تحريف ، والمثبت من صحيح البخاري .

(٨) « وَعِكَ » : أصابه الوعك وهي الحُمَّى . فتح الباري .

(٩) « مُصَبِّحٌ » : أي مصاب بالموت صباحاً ، أو يقال له وهو مقيم بأهله : صَبَّحَكَ اللهُ بالخير وقد يفجؤه الموت في بقية =

وكان بلال إذا ألقه عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول : [ من الطويل ]

ألا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً      بوادٍ وحولي إذخِرَ وجليلٌ<sup>(١)</sup>  
وهل أردنَ يوماً مياهَ مَجَنَّةٍ      وهل يَدُونُ لي شامةٌ وطفيلٌ<sup>(٢)</sup>

قالت عائشة : فجنّت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشدَّ ، وصَحِّحْهَا ، وباركْ لنا في صاعِها ومُدِّها ، وانْقُلْ حُمَّاها فاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ » .

ورواه مسلم<sup>(٣)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام مختصراً .

وفي رواية البخاري<sup>(٤)</sup> له عن أبي سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، فذكره ، وزاد بعد شعر بلال : ثم يقول بلال : اللهم العنْ عُتْبَةَ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوَبَاء . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنا مكة أو أشدَّ ، اللهم بارِكْ لنا في صاعِها وفي مُدِّها<sup>(٥)</sup> وصَحِّحْهَا لنا ، وانْقُلْ حُمَّاها إلى الجُحْفَةِ » قالت : وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وكان بُطْحَانُ يجري نَجْلاً<sup>(٦)</sup> - تعني ماءً أجناً - .

وقال زياد عن محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup> : حدثني هشام بن عروة وعمر<sup>(٨)</sup> بن عبد الله بن عروة [ عن عروة ] بن الزبير عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فأصاب أصحابه منها بلاءٌ وسُقْمٌ ، وصرف الله ذلك عن نبيه . قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر في بيتٍ واحد ، فأصابَتْهُمُ الحمى ، فدخلتُ عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحِجَاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شِدَّةِ الوَعَك ، فدنوتُ من أبي بكر فقلت : كيف تَجِدُكَ يا أبة ؟ فقال : [ من الرجز ]

كُلُّ امرئٍ مصبِّحٌ في أهله      والموتُ أذنى من شِراكِ نَعْلِهِ

= النهار . الفتح (٢٦٢/٧) .

(١) « الإذخِر » : حشيش طيب الريح أطول من الثيل ، واحدته إذخِرَة . اللسان ( ذخِر ) . وجليل : نبت ضعيف يُحشى به خِصَاصُ البيوت وغيرها ( فتح الباري ) .

(٢) مجنة موضع على أميال من مكة ، ( قد تكسر ميمه ) . وشامةٌ وطفيلٌ : جبلان ، قال الخطابي : كنت أحسب أنهما جبلان حتى ثبت عندي أنهما عينان . فتح الباري (٢٦٣/٧) .

(٣) صحيح مسلم (١٣٧٦) (٤٨٠) الحج باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها .

(٤) فتح الباري (١٨٨٩) فضائل المدينة باب ١٢ بعد باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة . وما يأتي بين معقوفين منه .

(٥) في الفتح : في صاعنا وفي مدنا .

(٦) « بُطْحَان » : وادي المدينة .

(٧) سيرة ابن هشام (٥٨٨/١) والروض (١٠/٣) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٨) وقع في الروض : وعمرو بن عبد الله بن فروة . تحريف .

قالت : فقلت : والله ما يَدْرِي أَبِي ما يقول . قالت : ثم دنوتُ إلى عامر بن فُهيرة فقلت : كيف تجدُك يا عامر ؟ قال : [ من الرجز ]

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذوقِهِ      إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ  
كلُّ امرئٍ مجاهدٌ بطَوْقِهِ      كالثورٍ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ<sup>(١)</sup>

قالت : فقلت : والله ما يدري عامرٌ ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجعَ بفناء البيت ثم رفع عَقِيرَتَهُ فقال : [ من الطويل ]

ألا ليت شعري هل أبيتَنَ ليلةً      بفَخٍّ وحَوْلِي إذْخِرُ وجَلِيلُ<sup>(٢)</sup>  
وهل أَرَدَنَ يوماً مِياهَ مَجَنَّةٍ      وهل يَبْدُونُ لي شامةً وطَفِيلُ

قالت عائشة : فذكرتُ لرسولِ الله ﷺ ما سمعتُ منهم وقلت : إنهم لَيَهْذُونَ وما يعقلون من شِدَّةِ الحمى . فقال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ، كما حَبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدَّ ، وباركْ لنا في مُدَّها وصاعِها ، وانقُلْ وباءَها إلى مَهْيَعَةٍ » ومَهْيَعَةٌ هي الجُحْفَةُ .

وقال الإمامُ أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا يونس ، حدَّثنا ليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي بكر بن إسحاق بن يسار ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة اشتكى أصحابُه واشتكى أبو بكر وعامرُ بن فُهيرة مولى أبي بكر وبلال ، فاستأذنتُ عائشة رسولَ الله ﷺ في عيادتهم فأذن لها ، فقالت لأبي بكر : كيف تجدُك ؟ فقال : [ من الرجز ]

كلُّ امرئٍ مصبِّحٌ في أهْلِهِ      والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وسألت عامراً فقال : [ من الرجز ]

إني وجدتُ الموتَ قبل ذوقِهِ      إِنَّ الْجَبَانَ حَتْفُهُ من فَوْقِهِ

وسألتُ بلالاً فقال : [ من الطويل ]

يا ليت شعري هل أبيتَنَ ليلةً      بفَخٍّ وحَوْلِي إذْخِرُ وجَلِيلُ<sup>(٤)</sup>

فأتتِ رسولَ الله ﷺ فأخبرته ، فنظر إلى السماء وقال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مكة أو أشدَّ ، اللهم باركْ لنا في صاعِها وفي مُدَّها ، وانقُلْ وباءَها إلى مَهْيَعَةٍ » . وهي الجُحْفَةُ فيما زعموا .

(١) « الرُّوقُ » : القرن . اللسان ( روق ) . بطوقه : بطاقته . قاله ابن هشام في السيرة .

(٢) « فخ » : موضع بمكة . القاموس المحيط .

(٣) في مسنده (٦/٦٥) وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) وقع في مسند أحمد : بفج . بالجيم وهو تصحيف . انظر معجم البلدان (٤/٢٣٧) وما سبق .

وكذا رواه النسائي عن قتيبة عن الليث به<sup>(١)</sup> .

ورواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> من طريق عبد الرحمن بن الحارث عنها مثله .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو ، قالوا : حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وواديها بطحان نجل . قال هشام : وكان وبأؤها معروفاً في الجاهلية ، وكان إذا كان الوادي وبيئاً فأشرف عليها<sup>(٤)</sup> الإنسان قيل له أن ينهق نهيق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادي . وقد قال الشاعر حين أشرف على المدينة : [ من الطويل ]

لعمري لئن عَشَرْتُ<sup>(٥)</sup> من خيفة الرّدى نهيقَ الحمارِ إنني لَجَزوعُ

وروى البخاري<sup>(٦)</sup> من حديث موسى بن عتبة ، عن سالم ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال : « رأيتُ كأنَّ امرأةً سوداءَ ثائرةَ الرأسِ ، خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة - وهي الجُحفَة - فأولتها أن وباء المدينة نُقل إلى مهيعة - وهي الجُحفَة - » .

هذا لفظ البخاري ولم يخرجْه مسلم ، ورواه الترمذي وصحَّحه ، والنسائي وابن ماجه<sup>(٧)</sup> من حديث موسى بن عتبة .

وقد روى حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، [ عن أبيه ] ، عن عائشة قالت : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهي وبيئة<sup>(٨)</sup> ، فذكر الحديث بطوله إلى قوله : « وانقل حُمّاها إلى الجُحفَة » . قال هشام : فكان المولود يولد بالجُحفَة فلا يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى .

رواه البيهقي في « دلائل النبوة »<sup>(٩)</sup> .

(١) أخرجه في الحج من سننه الكبرى (٤٢٧٢) ، وفي الطب منها (٧٥١٩) ، وهو حديث صحيح .

(٢) في المسند (٢٣٩/٦ ، ٢٤٠) .

(٣) في دلائل النبوة (٥٦٧/٢) .

(٤) كذا في ح ، ط ، وفي الدلائل : عليه .

(٥) في ح ، ط : عبرت . وهو تصحيف ، والمثبت من الدلائل ، والبيت لعروة بن الورد وهو في ديوانه ص (٩٥) وساقه صاحباً للسان والتاج في ( عشر ) ؛ وعشر الحمار تعشيراً : تابع النهيق عشراً .

(٦) في صحيحه فتح (٧٠٣٨) و (٧٠٣٩) و (٧٠٤٠) التعبير باب المرأة السوداء وباب المرأة الثائرة الرأس .

(٧) جامع الترمذي (٢٢٩٠) الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ وسنن ابن ماجه (٣٩٢٤) تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤيا والنسائي في تعبير الرؤيا من سننه الكبرى (٧٦٥١) .

(٨) في دلائل النبوة : وبئة .

(٩) (٥٦٨/٢) وما ورد بين معقوفين منه .

وقال يونس عن ابن إسحاق : قدم رسولُ الله ﷺ المدينة وهي وبيته<sup>(١)</sup> ، فأصاب أصحابه بها بلاءٌ وسُقمٌ حتى أجهدهم ذلك ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ .

وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس قال : قدم رسولُ الله ﷺ وأصحابه [ صبيحة رابعة - يعني مكة - عام عمرة القضاء ]<sup>(٣)</sup> ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد قد وهنهم حُمى يثرب ؛ فأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يَزْمُلُوا وأن يمشوا ما بين الرُّكنَيْن ، ولم يمنعهُ أن يرمِلوا الأشواطَ كلها إلا الإبقاء عليهم .

قلت : وعمرة القضاء كانت في سنة سبع في ذي القعدة ، فإما أن يكون تأخر دعاؤه عليه السلام بنقل الوباء إلى قريب من ذلك ، أو أنه رُفِعَ وبقي آثارٌ منه قليل . أو أنهم بقُوا في خُمَارٍ ما كان أصابهم من ذلك إلى تلك المدة . الله أعلم .

وقال زياد عن ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وذكر ابنُ شهاب الزُّهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسولَ الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابَتْهُمُ حُمى المدينة حتى جهدوا مرضاً ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ حتى كانوا وما يصلُّون إلا وهم قعود ، قال فخرج رسولُ الله ﷺ وهم يصلُّون كذلك فقال لهم : « اعلَمُوا أَنَّ صلاةَ القاعد على النُصفِ من صلاةِ القائم » . فتجسَّمَ المسلمون القيامَ على ما بهم من الضعف والسُّقم التماسَ الفضل .

## فصل

في عقده عليه الصلاة والسلام الألفة بين المهاجرين والأنصار بالكتاب الذي أمر به فكتب بينهم والمؤاخاة التي أمرهم بها وقرَّرهم عليها وموَادَعته اليهود الذين كانوا بالمدينة

وكان بها من أحياء اليهود بنو قَيْنُقَاعَ وبنو النَّضِيرِ وبنو قُرَيْظَةَ ، وكان نزولهم بالحجاز قبل الأنصار أيام بُخْتِ نَصْرٍ حين دَوَّخَ بلادَ المَقْدِسِ فيما ذكره الطَّبْرِي<sup>(٥)</sup> . ثم لما كان سيل العرم وتفرَّقت سباً شَذَرٌ مَذَرُ نَزَلِ الأوسُ والخزرج المدينة عند اليهود ، فحالفوهم وصاروا يتشَبَّهون بهم لما يَرَوْنَ لهم من الفضل في العلم المأثور عن الأنبياء ، لكن مَنْ الله على هؤلاء الذين كانوا مشركين بالهدى والإسلام وخَذَلَ أولئك لحَسَدِهِمْ وبَغْيِهِمْ واستكبارهم عن اتِّباعِ الحقِّ .

(١) في دلائل النبوة (٢/٥٦٨) : وهي أوباً أرض الله من الحمى . والمصنف ينقل عنه .

(٢) فتح الباري (١٦٠٢) الحج باب كيف كان بدء الرَّمْلِ (٤٢٥٦) المغازي باب عمرة القضاء ، وصحيح مسلم (١٢٦٦)

(٢٤٠) الحج باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة .

(٣) ما بين المعقوفين ليس في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم .

(٤) سيرة ابن هشام (١/٥٦٠) والروض (٣/١٠) .

(٥) تاريخ الطبري (١/٥٣٨ ، ٥٣٩) .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا عَفَّان ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا عَاصِمُ الْأَحُولُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً والبخاري ومسلم وأبو داود<sup>(٢)</sup> من طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَحُولِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِي .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ بَابٍ ، عَنْ حَجَّاجٍ - هُوَ ابْنُ أَرْطَاةٍ - قَالَ : وَحَدَّثَنَا سُرَيْجٌ ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ عَنْ حَجَّاجٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَبَ كِتَاباً بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهُمْ<sup>(٤)</sup> ، وَأَنْ يَفْدُوا عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .

قال أحمد : وَحَدَّثَنَا سُرَيْجٌ ، حَدَّثَنَا عَبَّادٌ عَنْ حَجَّاجٍ ، عَنْ الْحَكَمِ عَنْ مِقْسَمٍ<sup>(٥)</sup> عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ .

تَفَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وفي صحيح مسلم<sup>(٦)</sup> عن جابر : كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُلِّ بَطْنٍ عُقُولَهُ<sup>(٧)</sup> .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٨)</sup> : كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَاباً بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَأَدْعَى فِيهِ الْيَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ ، وَأَقْرَبَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ « هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٩)</sup> بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلِحَقِّ بِهِمْ ، وَجَاهِدْهُمْ مَعَهُمْ ، أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ ، الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ ، يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ ، وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) في مسنده (٣/ ٢٨١) .

(٢) مسند أحمد (٣/ ١١١) و(١٤٥) وفتح الباري (٢٢٩٤) في الكفالة ، و(٦٠٨٣) الأدب باب الإخاء والحلف ، (٧٣٤٠) الاعتصام باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، وصحيح مسلم (٢٥٢٩) (٢٠٤) و(٢٠٥) فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه ، وسنن أبي داود (٢٩٢٦) الفرائض باب في الحلف .

(٣) في المسند (١/ ٢٧١ و ٢/ ٢٠٤) .

(٤) «يعقلون معاقلهم» : أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الدييات وإعطائها . والمعاقل : الدييات جمع مَعْقَلَةٍ . النهاية لابن الأثير ( عقل ) .

(٥) في ط : قاسم . تحريف ، والمثبت من ح وترجمته في تهذيب التهذيب ، وهو مقسم بن بجرة .

(٦) صحيح مسلم (١٥٠٧) (١٧) العتق باب النهي عن بيع الولاء وهبته .

(٧) في ط : عقولة . تصحيف ، والمثبت من ح وصحيح مسلم . والعقول : الدييات .

(٨) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠١) والروض (٢/ ٢٤٠) وما يأتي بين معقوفين منهما ، وأخرجه أبو عبيد في الأموال (ص ٢٠٢) عن يحيى بن بكير وعبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد عن عُقَيْلِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ : بَلَّغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ بِهَذَا الْكِتَابِ . . فذكره .

(٩) في ط : النبي الأمي . وفي ح : النبي بين . . والمثبت من سيرة ابن هشام .

ثم ذكر كلَّ بَطْنٍ من بطون الأنصار ، وأهل كلِّ دار بني ساعدة ، وبني جُشَم ، وبني النجار ، وبني عمرو بن عوف ، وبني النَّبِيت ، إلى أن قال : وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً<sup>(١)</sup> بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فِدَاءٍ وَعَقْلٍ<sup>(٢)</sup> ، ولا يحالف مؤمنٌ مؤمناً في كفر ، ولا يُنصر كافر على مؤمن ، وإن المؤمنين المتقين على مَنْ بَغَى منهم أو ابتغى دَسِيعَةً<sup>(٣)</sup> ظَلَمَ أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيدِيَهُمْ عليه جميعهم ولو كان ولد أحدِهِمْ ، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كفر ، ولا يُنصر كافر على مؤمن ، وإن ذِمَّةَ الله واحدة ، يُجير عليهم أَدْنَاهُمْ ، وإن المؤمنين بعضهم موالٍ بعض دون الناس ، وإن مَنْ تبعنا من يهود فإنَّ له النَّصْر والأُسوة غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم ، وإنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمن في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم ؛ وإنَّ كلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ معنا يَعْقُبُ بعضُها بعضاً<sup>(٤)</sup> ، وإن المؤمنين يُبَيِّئُ<sup>(٥)</sup> بعضهم بعضاً بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْيٍ وأَقْوَمِهِ ، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأنه من اعتَبَطَ<sup>(٦)</sup> مؤمناً قَتْلًا عن بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ به إلى أن يرضى وليُّ المقتول ، وإنَّ المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلُّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحل لمؤمنٍ أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثاً ولا يُؤويه ، وأنه من نَصَرَهُ أو آواه فإنَّ عليه لعنة الله وغَضَبُهُ يوم القيامة ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإنَّ مردّه إلى الله عزَّ وجل ، وإلى محمد ﷺ وإنَّ اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإنَّ يهودَ بني عوف أُمَّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليتهم وأنفسهم إلا من ظَلَمَ وأِثْمَ فإنه لا يوتغ<sup>(٧)</sup> إلا نفسه وأهل بيته ، وإنَّ لليهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشَم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشُّطْنَةَ<sup>(٨)</sup> مثل ما لليهود بني عوف ، وإنَّ بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن

(١) قال ابن هشام في السيرة (١/٥٠٢) : المُفْرَح : المثل بالدين والكثير العيال .

(٢) في السيرة : في فداء أو عقل .

(٣) في ط : دسيعة . تصحيف ، والمثبت من ح وسيرة ابن هشام والنهاية لابن الأثير وفيه (٢/١١٧) : أي طلب دفعاً على سبيل الظلم ، فأضافه إليه ، وهي إضافة بمعنى من . ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية : أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطية على وجه ظلمهم .

(٤) أن يكون الغزو بينهم نُوباً ، فإذا خرجت طائفة ثم عادت لم تكلف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها . النهاية لابن الأثير (٣/٣٦٧) .

(٥) في ح : يَبِئ . والمثبت من السيرة وط ، وجاء في اللسان ( بوء ) : بَاءَ دَمُهُ بَوَاءً وبَوَاءً : عَدْلُهُ ، وأَبَاءَهُ وبَاوَأَهُ : إذا قتل به وصار دمه بدمه . والبَّاءُ السَّوَاءُ . وفلان بَوَاءً فلان : أي كفؤه إن قتل به اهـ .

(٦) في ح ، ط : اغتبط . تصحيف ، والمثبت من السيرة ، وجاء في النهاية لابن الأثير (٣/١٧٢/عبط) : أي قتله بلا جنائية كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، فإن القاتل يقاد به ويقتل . وكل من مات بغير عِلَّةٍ فقد اعتَبَطَ .

(٧) « لا يوتغ » : أي لا يُهلك . النهاية ( وتغ ) .

(٨) كذا في ط وفي ح : سطنه بالسین المهملة ، وفي السيرة والروض : الشُّطْنِيَّة . وفي الأموال لأبي عبيد : وإن بني الشُّطْنَةَ بطن من جفنة . ولم أقف عليه .

محمد [ﷺ] ، ولا يَتَحَجَّرُ<sup>(١)</sup> على ثأرٍ جُرح ، وإنه مَنْ فَتَكَ فبنفسه ، إلا من ظَلَم ، وإن الله على أثر<sup>(٢)</sup> هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لم يَأْثَمْ امرؤٌ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، [ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ] وإن يثرب حرام جَوْفُهَا<sup>(٣)</sup> لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجارٍ<sup>(٤)</sup> يُخَافُ فسادُهُ فإن مرَدَّهُ إلى الله وإلى محمدٍ رسولِ الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وإنه لا تُجارُ قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على مَنْ دَهِم يثرب ، وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحوه ويلبسونه فإنهم يصالحوه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا مَنْ حارب في الدين على كل أناس<sup>(٥)</sup> حصَّتْهم من جانبهم الذي قَبِلْهم ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ أو آثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة إلا من ظَلَم أو آثم ، وإن الله جَارٌ لمن برَّ واتقى .

كذا أورده ابنُ إسحاق بنحوه . وقد تكلم عليه أبو عبيد القاسمُ بن سلام رحمه الله في كتاب الغريب وغيره<sup>(٦)</sup> بما يطول ذكره .

## فصل

### في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليرتفق المهاجري بالأنصاري

كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ<sup>(٧)</sup> أَيْمَانُكُمْ فَثَاوَهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٣٣] .

- (١) في ط : ينحجر . بالنون والواو المهملة وفي السيرة والروض : ينحجز بالزاي ، والمثبت من ح ، والمعنى والله أعلم : أن القتل يؤخذ بحقه ، وأن القاتل يلقي جزاءه ولا يمكن السكوت عنه . فقد جاء في النهاية ( حجر / ١ / ٣٤٢ ) : « لما تحجَّرَ جُرحُه ، أي اجتمع والتأم وقرب بعضه من بعض » .
- (٢) كذا في ح ، ط وفي السيرة والروض : على أبر هذا . أي على الرضا .
- (٣) في ط : حرفها ، وفي ح : خوفها ، والمثبت من السيرة والروض والأموال ، وفيه : حرَمَ جَوْفُهَا .
- (٤) في ح : استجار . والمثبت من ط والسيرة والروض .
- (٥) في ح : إنسان . والمثبت من ط والسيرة والروض .
- (٦) انظر تخريج الخبر في الحاشية (٣) ص (٥٠٤) .
- (٧) في الأصول ﴿ عَاقَدَتْ ﴾ ، وهي رواية البخاري ؛ وبها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿ عَقَدَتْ ﴾ بغير ألف . انظر السبعة لابن مجاهد ص (٢٣٣) والكشف للقيسي (١ / ٣٨٨) .



قال البخاري<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ إِدْرِيسَ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى ﴾ قَالَ : وَرَثَةٌ ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ ﴾ كَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْمُهَاجِرِيُّ الْأَنْصَارِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأَخَوَةِ الَّتِي أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ ، فَلَمَّا نَزَلْتُ ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى ﴾ نُسِخْتُ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَأْتُوهُمْ نَصِيحُهُمْ ﴾ مِنَ النَّصْرِ وَالرَّفَادَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَقَدْ ذَهَبَ الْمِيرَاثُ ، وَيُوصِي لَهُ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : قُرِئَ عَلَى سَفْيَانَ ، سَمِعْتُ عَاصِمًا عَنْ أَنَسٍ قَالَ : حَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فِي دَارِنَا . قَالَ سَفْيَانُ : كَأَنَّهُ يَقُولُ أَخِي .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : - فِيمَا بَلَّغْنَا وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ - : « تَأَخُّوا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : « هَذَا أَخِي » فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ<sup>(٤)</sup> وَلَا نَظِيرٌ مِنَ الْعِبَادِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَكَانَ حِمْرَةً بَنُو عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَوَيْنِ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حِمْرَةٌ يَوْمَ أُحُدٍ [ حِينَ حَضَرَهُ الْقِتَالُ إِنْ حَدَثَ بِهِ حَادِثُ الْمَوْتِ ] ؛ وَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ذُو الْجَنَاحَيْنِ [ الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ ] وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ أَخَوَيْنِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ جَعْفَرُ يَوْمئِذٍ غَائِبًا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ الْخَزْرَجِيُّ أَخَوَيْنِ ؛ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعِثْبَانُ بْنُ مَالِكٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ أَخَوَيْنِ ؛ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَسَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ أَخَوَيْنِ ، وَيُقَالُ : بَلْ كَانَ الزُّبَيْرُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ ، وَأَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْمَنْذَرِ النَّجَّارِيِّ أَخَوَيْنِ ؛ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَمُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، وَأَبُو أَيُّوبٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عَتَبَةَ ، وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ أَخَوَيْنِ ؛ وَعَمَّارٌ ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ الْعَبْسِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَخَوَيْنِ ؛ وَيُقَالُ : بَلْ كَانَ عَمَّارٌ وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَّاسٍ أَخَوَيْنِ .

قلت : وَهَذَا السَّنَدُ<sup>(٥)</sup> مِنْ وَجْهَيْنِ . قَالَ : وَأَبُو ذَرٍّ بُرَيْرُ بْنُ جُنَادَةَ<sup>(٦)</sup> وَالْمَنْذَرُ بْنُ عَمْرٍو

(١) في صحيحه فتح (٤٥٨٠) التفسير باب ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ ... ﴾ الآية .

(٢) في المسند (١١١/٣) رقم (١٢٠٢٨) ، وإسناده صحيح .

(٣) سيرة ابن هشام (٥٠٤/١) والروض (٢٤٢/٢) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٤) في ح : خَطَرٌ . وهما بمعنى . الْخَطَرُ : الْمِثْلُ فِي الْعُلُوِّ وَالْقَدَرِ ، وَلَا يَكُونُ فِي الشَّيْءِ الدُّونَ كَالْخَطِيرِ كَأَمِيرٍ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ « أَلَا هَلْ مَشِمُّرٌ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا » أَي لَا مِثْلَ لَهَا . انظر التاج والنهاية لابن الأثير ( خطر ) .

(٥) في ح : وَهَذَا النِّسْبُ .

(٦) قال ابن هشام في السيرة (٥٠٦/١) : وَسَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ : أَبُو ذَرٍّ جَنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ .

المُعْتَقُ<sup>(١)</sup> ليموت أخوين ، وحاطب بن أبي بلتعة وعُويم بن ساعدة أخوين ؛ وسلمان ، وأبو الدرداء أخوين ؛ وبلال ، وأبو رُوَيْحَةَ عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي ثم أحد الفرع<sup>(٢)</sup> أخوين .

قال : فهؤلاء ممن سُمِّي لنا ممن كان رسولُ الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه رضي الله عنهم .

قلت : وفي بعض ما ذكره نظر ؛ أمّا مؤاخاة النبي ﷺ وعلي فإن من العلماء من يُنكر ذلك ويمنع صحته ؛ ومستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض ، فلا معنى لمؤاخاة النبي ﷺ لأحد منهم ، ولا مهاجري لمهاجري آخر ، كما ذكره من مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة ، اللهم إلا أن يكون النبي ﷺ لم يجعل مصلحةً عليّ إلى غيره ، فإنه كان ممن يُنفق عليه رسولُ الله ﷺ من صغره في حياة أبيه أبي طالب كما تقدّم عن مجاهد وغيره . وكذلك يكون حمزة قد التزم بمصالح مولا هم زيد بن حارثة فأخاه بهذا الاعتبار . والله أعلم .

وهكذا ذكّره لمؤاخاة جعفر ومعاذ بن جبل فيه نظر كما أشار إليه عبد الملك بن هشام ، فإن جعفر بن أبي طالب إنما قدّم في فتح خيبر في أول سنة سبع كما سيأتي بيانه ، فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدّمه عليه السلام إلى المدينة ؟ اللهم إلا أن يقال : إنه أرصد لإخوته إذا قدم حين يقدم ، وقوله : وكان أبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين يخالف لما رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حمّاد ، حدثنا ثابت عن أنس بن مالك ، أن رسولَ الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة . وكذا رواه مسلم<sup>(٤)</sup> منفرداً به عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث به . وهذا أصحُّ مما ذكره ابنُ إسحاق من مؤاخاة أبي عبيدة وسعد بن معاذ . والله أعلم .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه ؛ وقال عبدُ الرحمن بن عوف : آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع لما قدّمنا المدينة . وقال أبو جُحَيْفَةَ : آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنهما .

حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان عن حميد ، عن أنس قال : قدم عبدُ الرحمن بن عوف فأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعرض عليه أن يُناصفَه أهله وماله . فقال عبدُ الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دُلّني على الشوق . فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبي ﷺ بعد أيام

(١) في ح ، ط : المعتق . تصحيف ، والمثبت من السيرة والروض . وهو لقبه لأنه لما بلغ النبي مقتله قال : أعنق ليموت . أي إن المنية أسرع به وساقته إلى مصرعه . انظر النهاية ( عنق ) وما سيأتي .

(٢) قال السهيلي في الروض (٢/٢٥٢) : الفرع : هو ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم ، وانظر المؤلف والمختلف للدارقطني (٤/١٨١٨) .

(٣) في المسند (٣/١٥٢) رقم (١٢٤٨٤) .

(٤) في صحيحه (٢٥٢٨) (٢٠٣) فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي ﷺ .

(٥) في صحيحه فتح (٣٩٣٧) مناقب الأنصار .

وعليه وضرٌّ من صُفْرَةٍ<sup>(١)</sup> ، فقال النبي ﷺ : « مَهَيْمٌ يا عبد الرحمن ؟ »<sup>(٢)</sup> قال : يا رسول الله ! تزوجتُ امرأةً من الأنصار . قال : « فما سُقَّتَ فيها ؟ » قال : وَزَنَ نَوَاةً من ذَهَبٍ ، فقال النبي ﷺ : « أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » .

تفرَّد به من هذا الوجه .

وقد رواه أيضاً في مواضعٍ آخر ، ومسلم من طريقٍ عن حميد به<sup>(٣)</sup> .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، حدثنا ثابت وحميد عن أنس ، أنَّ عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فأخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فقال له سعد : أي أخي أنا أكثرُ أهلِ المدينة مالاً ، فانظُرْ شَطْرَ مالي فخذهُ ، وتحتي امرأتان فانظُرْ أَيُّهُما أعجبُ إليك حتى أُطْلَقَها . فقال عبدُ الرحمن : بَارَكَ اللهُ لك في أهلك ومالك ، دُلُّوني على الشُّوق . فدُلُّوه ، فذهب فاشترى وباعَ فربح ، فجاء بشيءٍ من أَقِطٍ وَسَمْنٍ ؛ ثم لبث ما شاء الله أَنْ يَلْبِثَ فجاء وعليه رَذْعُ زَعْفَرَانٍ<sup>(٥)</sup> فقال رسولُ الله ﷺ : « مَهَيْمٌ ؟ » فقال : يا رسول الله ! تزوجتُ امرأةً ، قال : « ما أَصْدَقَتْها ؟ » قال : وزَنَ نَوَاةً من ذهب . قال : « أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ » . قال عبد الرحمن : فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوتُ أَنْ أَصِيبَ ذهباً وفضةً<sup>(٦)</sup>

وتعليقُ البخاري هذا الحديث عن عبد الرحمن بن عوف غريبٌ ، فإنه لا يُعَرَفُ مسنداً<sup>(٧)</sup> إلا عن أنس اللهم إلا أَنْ يكون أنس تلقاه عنه . فالله أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد عن أنس ، قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا مثل قومٍ قَدِمْنَا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بَذْلاً من<sup>(٩)</sup> كثير ! لقد كفونا المؤونة

(١) « وضر من صفرة » : أي لَطَخَ من خَلْقٍ أو طيبٍ له لون ، وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته ، والوضر : الأثر من غير الطيب . النهاية لابن الأثير ( وضر ) .

(٢) « مَهَيْمٌ » : أي ما أمرك وما شأئك ؟ وهي كلمة يمانية . النهاية لابن الأثير ( مهيم / ٤ / ٣٧٨ ) .

(٣) فتح الباري ( ٢٠٤٩ ) البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا ﴾ [ الجمعة : ١٠ ] . وصحيح مسلم ( ١٤٢٧ ) ( ٧٩ ) النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد .

(٤) في المسند ( ٢٧١ / ٣ ) .

(٥) « رَذْعُ زَعْفَرَانٍ » : لَطَخَ منه . القاموس ( ردع ) ، ووقع في ط : ودع . تصحيف .

(٦) في المسند : أو فضة . وهو أشبه .

(٧) جاء في هامش ح فوق قوله : مسنداً . ما نصُّه : هذا غريب ! بل رواه البخاري موصولاً في أول البيوع فراجعته تجده

عن عبد الرحمن . قلت : هذا صحيح ، انظر فتح الباري ( ٢٠٤٨ ) كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا ﴾ . . . [ الجمعة : ١٠ ] ،

(٨) في المسند ( ٢٠٠ / ٣ ) .

(٩) في المسند : في . وهو أشبه .

وأشركونا في المَهْنَأ ، حتى لقد خشينا<sup>(١)</sup> أن يذهبوا بالأجر كُلَّهُ . قال : « لا ! ما أثبتتم عليهم ودعوتهم الله لهم » .

هذا حديثٌ ثلاثيُّ الإسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجهُ أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه ، وهو ثابتٌ في الصحيح من<sup>(٢)</sup> .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : أخبرنا الحكم بن نافع أخبرنا شُعيب ، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار [ للنبي ﷺ ] : اقسِم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : « لا » قالوا : تكفوننا المؤونة<sup>(٤)</sup> ونشرككم في الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا .  
تفرد به .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رسول الله ﷺ للأنصار : « إِنَّ إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله ﷺ : « أو غير ذلك ؟ » . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » قالوا : نعم<sup>(٥)</sup> .  
وقد ذكرنا<sup>(٦)</sup> ما ورد من الأحاديث والآثار في فضائل الأنصار وحُسن سجاياهم عند قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ الآية .

## فصل

في موت أبي أُمّامة أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة على قومه بني النجار ، وقد شهد العقبات الثلاث وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثانية في قول ، وكان شاباً ، وهو أول من جمّع بالمدينة في نقيع الخَضِصَات في هزم النبيت كما تقدّم<sup>(٧)</sup>

قال محمد بن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وهلك في تلك الأشهر أبو أُمّامة أسعد بن زُرارة والمسجد يُبنى ، أخذته الذبحة - أو الشَّهقة<sup>(٩)</sup> - .

(١) في المسند : حسبنا . وهنا أجود .

(٢) كذا بياض في كل من ط وح .

(٣) في صحيحه فتح (٢٣٢٥) الحرث والمزارعة باب إذا قال اكفني مؤونة النخل ، وما يأتي بين معقوفين منه .

(٤) « المؤونة » : العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها . فتح الباري (٨/٥) .

(٥) أخرجه الطبراني في التفسير (٤٧/٢٨) في تفسير سورة الحشر الآية (٩) وذكره المصنف أيضاً في تفسير الآية .

(٦) ص (٤٧٣ ، ٤٧٤) من هذا الجزء .

(٧) في هذا الجزء (ص ٤٠٣ ، ٤٠٤) .

(٨) في سيرة ابن هشام (٥٠٧/١) والروض (٢٤٣/٢) .

(٩) « الذبحة » : كَهْمَزَةٌ وَعِنبَةٌ وَكِسْرَةٌ وَصُبْرَةٌ : وجع يعرض في الحلق من الدم ؛ وقيل : هي قُرْحَةٌ تظهر فيه فينسُدُّ معها=

وقال ابن جرير في « التاريخ »<sup>(١)</sup> : أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس أن رسول الله ﷺ كوى أسعد بن زُرارة في الشُّوكة . رجاله ثقات .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بُسّ الميتُ أبو أمانة لليهود ومنافقي العرب ، يقولون لو كان نبياً لم يمتُ صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً » .

وهذا يقتضي أنه أول مَنْ مات بعد مقدّم النبي ﷺ ، وقد زعم أبو الحسن بن الأثير في « أسد الغابة »<sup>(٣)</sup> : أنه مات في شوال بعد مقدّم النبي ﷺ بسبعة أشهر . فالله أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني النَجَّار سألوا رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً بعد أبي أمانة أسعد بن زُرارة ؛ فقال : « أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم » وكره أن يخصّ بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بني النَجَّار الذي يعتدُّون به على قومهم أن كان رسول الله ﷺ نقيبهم .

قال ابن الأثير<sup>(٥)</sup> : وهذا يردُّ قول أبي نعيم وابن منده في قولهما أن أسعد بن زُرارة كان نقيباً على بني ساعدة ، إنما كان على بني النجار ، وصدق ابن الأثير فيما قال .

وقد قال أبو جعفر بن جرير في « التاريخ »<sup>(٦)</sup> : كان أول مَنْ تُوِّفِيَ بعد مقدمه عليه السلام المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب منزله كلثوم بن الهذم ، لم يلبث بعد مقدمه إلا يسيراً حتى مات . ثم تُوِّفِيَ بعده أسعد بن زُرارة وكانت وفاته في سنة مقدمه قبل أن يفرَّغَ بناء المسجد بالذَّبْحَةِ أو الشَّهْقَةِ .

قلت : وكلثوم بن الهذم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي وهو من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقُبَاء نزل في منزل هذا في الليل ، وكان

= وينقطع النفس فتقتل . والشهقة : الصَّيْحَةُ . النهاية لابن الأثير ( ذبح ) واللسان ( شهق ) .

(١) تاريخ الطبري (٣٩٨/٢) .

(٢) في سيرة ابن هشام (٥٠٧/١) والروض (٢٤٣/٢) .

(٣) أسد الغابة (٧١/١) .

(٤) في سيرة ابن هشام (٥٠٧/١) والروض .

(٥) أسد الغابة (٧١/١ ، ٥٢) .

(٦) تاريخ الطبري (٣٩٧/٢) .

يتحدث بالنهار مع أصحابه في منزل سعد بن الربيع رضي الله عنهما إلى أن ارتحل إلى دار بني النجار كما تقدّم .

قال ابن الأثير<sup>(١)</sup> : وقد قيل إنه أول مَنْ مات من المسلمين بعد مقدّم رسول الله ﷺ ، ثم بعده أسعد بن زُرارة . ذكره الطبري<sup>(٢)</sup> .

## فصل

### في ميلاد عبد الله بن الزبير في شوال سنة الهجرة

فكان أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين كما أنّ النعمان بن بشير أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة رضي الله عنهما . وقد زعم بعضهم أنّ ابن الزبير ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً قاله أبو الأسود<sup>(٣)</sup> . ورواه الواقدي عن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه عن جده . وزعموا أنّ النعمان ولد قبل ابن الزبير بستة أشهر على رأس أربعة عشر شهراً من الهجرة ، والصحيح ما قدّمنا .

قال البخاري<sup>(٤)</sup> : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء أنّها حملت بعبد الله بن الزبير ، قالت : فخرجت وأنا مُتِمٌّ ، فأتيَت المدينة ، فنزلت بقاء ، فولدته بقاء ، ثم أتيَت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه . فكان أول مولود ولد في الإسلام . تابعة خالد بن مخلد عن عليّ بن مُسهر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن أسماء أنّها هاجرت إلى النبي ﷺ وهي حُبلى .

حدثنا<sup>(٥)</sup> قتيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : أول مولود وُلد في الإسلام عبد الله بن الزبير ، أتوا به النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ تمرّة فلاكها ثم أدخلها في فيه ، فأول ما دخل بطنه ريق النبي ﷺ .

فهذا حُجّة على الواقدي وغيره لأنه ذكر أنّ النبي ﷺ بعث مع عبد الله بن أريقط لما رجع إلى مكة

(١) في أسد الغابة (٢٥٢/٤) .

(٢) في تاريخه (٣٩٧/٢) .

(٣) أبو الأسود هو محمد بن عبد الرحمن كما في تاريخ ابن عساكر ص ٣٩٢ في ترجمة عبد الله بن الزبير .

(٤) في صحيحه فتح (٣٩٠٩) مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

(٥) يتابع المصنف نقل التالي من صحيح البخاري ورقمه (٣٩١٠) .

زيد بن حارثة وأبا رافع ليأتوا بعياله وعيال أبي بكر ، فقدّموا بهم إثر هجرة النبي ﷺ وأسماء حامل مِثْمَ ، أي مُقَرَّبٌ قد دَنَا وَضَعُهَا لولدها ، فلما ولدته كَبَّرَ المسلمون تكبيرةً عظيمةً فرحاً بمولده ، لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروهم حتى لا يولد لهم بعد هجرتهم ولد ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا .

## فصل

### وبني رسول الله ﷺ بعائشة في شوال من هذه السنة

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : تزوّجني رسول الله ﷺ في شوال ، وبني بي في شوال ، فأبى نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني ؟ ! وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال .

ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان الثوري به<sup>(٢)</sup> . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ لا نعرفه إلا من حديث سفيان الثوري .

فعلى هذا يكون دخوله بها عليه السلام بعد الهجرة بسبعة أشهر - أو ثمانية أشهر - وقد حكى القولين ابن جرير<sup>(٣)</sup> ، وقد تقدّم في تزويجه عليه السلام بسوذة كيفية تزويجه ودخوله بعائشة بعد ما قدموا المدينة وأن دخوله بها كان بالسُّنْحِ نهاراً<sup>(٤)</sup> ، وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم ، وفي دخوله عليه السلام بها في شوال ردّ لما يتوهّمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين ، وهذا ليس بشيء لما قالته عائشة رادةً على من توهّمه من الناس في ذلك الوقت : تزوّجني في شوال ، وبني بي في شوال - أي دخل بي - في شوال ، فأبى نسائه كان أحظى عنده مني ؟ فدلّ هذا على أنها فهمت منه عليه السلام أنها أحبّ نسائه إليه ، وهذا الفهم منها صحيح ، لما دلّ على ذلك من الدلائل الواضحة ، ولو لم يكن إلا الحديث الثابت في صحيح البخاري<sup>(٥)</sup> عن عمرو بن العاص ، قلت يا رسول الله : أيّ الناس أحبّ إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » .

(١) في المسند (٢٠٦/٦) .

(٢) صحيح مسلم (١٤٢٣) (٧٣) النكاح باب استحباب الزوج والتزويج في شوال . وجامع الترمذي (١٠٩٣) النكاح باب ما جاء في الأوقات التي يستحب فيها النكاح . وسنن النسائي (٣٣٧٧) النكاح باب البناء في شوال . وسنن ابن ماجه (١٩٩٠) النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء .

(٣) في تاريخ الطبري (٣٩٨/٢) .

(٤) تقدم الخبر ص (٣٧٦ ، ٣٧٧) .

(٥) فتح الباري (٣٦٦٢) فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

## فصل

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : وفي هذه السنة - يعني السنة الأولى من الهجرة - زيد في صلاة الحَضَر - فيما قبل - ركعتان ، وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين ، وذلك بعد مقدم النبي ﷺ المدينة بشهر في ربيع الآخر لَمْضِي ثِنْتِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مِنْهُ<sup>(٢)</sup> . وقال<sup>(٣)</sup> : وزعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

قلت : قد تقدم<sup>(٣)</sup> الحديث الذي رواه البخاري من طريق معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . ورؤي من طريق الشعبي عن مسروق عنها .

وقد حكى البيهقي<sup>(٤)</sup> عن الحسن البصري أن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت أربعاً . والله أعلم . وقد تكلمنا على ذلك في تفسير سورة النساء عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ [النساء : ١٠١] الآية .

## فصل

## في الأذان ومشروعيته عند مقدمه عليه السلام المدينة النبوية

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع الأنصار استحکم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مَوَاقِيتِهَا بغير دَعْوَةٍ ، فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بُوقاً كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنُحِتَ لِيُضْرَبَ به للمسلمين للصلاة ؛ فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بلحارث بن الخزرج النداء ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف ، مرَّ بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده ، فقلت : يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : ألا أدلك على خيرٍ من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول ، الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن

(١) تاريخ الطبري (٢/٤٠٠) .

(٢) في ط : مضت . والمثبت من ح وتاريخ الطبري ، وفي نسخة منه : مضت منه .

(٣) تقدم في حديث الإسراء .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (١/٣٦٢) .

(٥) في سيرة ابن هشام (١/٥٠٨) والروض (٢/٢٥٣) .



محمدًا رسول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، حيَّ على الفلاح ، الله أكبر  
الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : « إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال  
فألقيها عليه فليؤذن بها ، فإنه أُنْذِيَ صوتاً منك »<sup>(١)</sup> . فلما أذن بها بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في  
بيته ، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجزُّ رداءه وهو يقول : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ  
الذي رأي . فقال رسولُ الله : فله الحمد .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٢)</sup> : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن  
زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة<sup>(٣)</sup> من طرق عن محمد بن إسحاق  
به . وصحَّحه الترمذي وابن خزيمة وغيرهما .

وعند أبي داود أنه علمه الإقامة قال : ثم تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله  
إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت  
الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وقد<sup>(٤)</sup> روى ابنُ ماجه هذا الحديث عن أبي عبيد محمد بن عبيد بن ميمون عن محمد بن سلمة  
الحراني عن ابنِ إسحاق كما تقدّم ، ثم قال<sup>(٥)</sup> : قال أبو عبيد : وأخبرني أبو بكر الحَكَميُّ أن عبد الله بن  
زيد الأنصاري قال في ذلك : [ من الخفيف ]

أحمدُ الله ذا الجلالِ وذا الإكِّ      رامَ حمدًا على الأذانِ كثيرًا<sup>(٦)</sup>  
إذ أتاني به البشيرُ من الله      فأكرم به لديَّ بشيرًا  
في ليالي والي بهنَّ ثلاثٍ      كلَّما جاء زادني توقيرًا

- (١) « أُنْذِيَ » : أرفع وأعلى وأبعد . وقيل : أحسن وأعذب . النهاية لابن الأثير ( ندي ) .
- (٢) في سيرة ابن هشام ( ٥٠٩ / ١ ) والروض ( ٢ / ٢٥٣ ) .
- (٣) سنن أبي داود ( ٤٩٩ ) الصلاة باب كيف الأذان . وجامع الترمذي ( ١٨٩ ) الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان . وسنن  
ابن ماجه ( ٧٠٦ ) الأذان باب بدء الأذان . وصحيح ابن خزيمة ( ٣٦٣ ) جماع أبواب الأذان والإقامة باب ذكر الدليل  
على أن من كان أرفع صوتاً وأجهر كان أحق بالأذان .
- (٤) تأخر هذا الحديث في ح إلى ما بعد قول المصنف : والله أعلم . في تعليقه على حديث الإسراء الذي رواه السهيلي .
- (٥) سنن ابن ماجه ( ٧٠٦ ) وهو حديث صحيح كما قال الترمذي ، فإن ابن إسحاق قد صرح بالسماع فانتفتت شبهة  
تدليسه ، وقد صححه جماعة من الأئمة إضافة الترمذي منهم : البخاري والنووي والذهبي . أما ما ساقه أبو عبيد من  
الشعر عن الحكمي بعد الحديث فإسناده منقطع ، كما هو ظاهر ، فلا يصح سنده ( بشار ) .
- (٦) رواية البيت في ح ، ط هكذا :

الحمد لله ذي الجلال وذي الإكرام

ولا يستقيم به الوزن ، والمثبت من سنن ابن ماجه ، وإعجام : كثيراً منه ومن ح .

قلت : وهذا الشعر غريب ، وهو يقتضي أنه رأى ذلك ثلاث ليالٍ حتى أخبر به رسول الله ﷺ فإله أعلم .

ورواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> من حديث محمد بن إسحاق ، قال : وذكر الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن زيد به ، نحو رواية ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي ، ولم يذكر الشعر .

وقال ابن ماجه<sup>(٢)</sup> : حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله الواسطي ، حدثنا أبي عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن الزهري ، عن سالم عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ استشار الناس لما يهتفون من الصلاة<sup>(٣)</sup> ، فذكروا البوق فكرهه من أجل اليهود ، ثم ذكروا الناقوس فكرهه من أجل النصارى . فأرى النداء تلك الليلة رجلاً من الأنصار يقال له عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب ، فطرق الأنصاري رسول الله ﷺ ليلاً ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن به .

قال الزهري : وزاد بلال في نداء صلاة الغداة ، الصلاة خير من النوم . مرتين<sup>(٤)</sup> . فأقرها رسول الله ﷺ فقال عمر : يا رسول الله ، رأيت مثل الذي رأى ولكنه سبقني .

وسياتي تحرير هذا الفصل في باب الأذان من كتاب الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

فأما الحديث الذي أورده الشَّهيلي بسنده<sup>(٥)</sup> من طريق البزار : حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد ، حدثنا أبي ، عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن علي بن أبي طالب ، فذكر حديث الإسراء وفيه : فخرج ملكٌ من وراء الحجاب ، فأذن بهذا الأذان ، وكلما قال كلمة صدقه الله تعالى ، ثم أخذ الملك بيد محمد ﷺ فقدمه فأهل<sup>(٦)</sup> السماء وفيهم آدم ونوح .

ثم قال الشَّهيلي : وأخلى بهذا الحديث أن يكون صحيحاً لما يعضده ويُشاكله من حديث الإسراء .

فهذا الحديث ليس كما زعم الشَّهيلي أنه صحيح بل هو مُنكر ، تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذي تُنسب إليه الفرقة الجارودية وهو من المُتهمين<sup>(٧)</sup> . ثم لو كان هذا قد سمعه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء لأوشك أن يأمر به بعد الهجرة في الدعوة إلى الصلاة . والله أعلم .

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٢ ، ٤٣) رقم (١٦٤٢٩) .

(٢) في سننه (٧٠٧) الأذان باب بدء الأذان ، وإسناده ضعيف بسبب شيخ ابن ماجه فإنه مجمع على تضعيفه . على أن متن الحديث صحيح من حديث ابن عمر فهو في الصحيحين البخاري (٦٠٤) ، ومسلم (٣٧٧) .

(٣) في سنن ابن ماجه : يُهتفون إلى الصلاة .

(٤) ليس لفظ : مرتين في سنن ابن ماجه .

(٥) في الروض (٢/ ٢٨٥) وكشف الأستار (٣٥٢) الصلاة باب بدء الأذان .

(٦) في ح ، ط : فأهل بأهل ، والمثبت من الروض وكشف الأستار .

(٧) ميزان الاعتدال (٢/ ٩٣) .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وذكر ابن جريج قال : قال لي عطاء : سمعتُ عُبَيْدُ بنَ عُمَيْرٍ يقول : ائتمر النبي ﷺ وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يُريد أن يشتري خشبَيْن للناقوس إذ رأى عمرُ في المنام : لا تجعلوا الناقوسَ ، بل أذنوا للصلاة . فذهب عمرُ إلى النبي ﷺ ليُخبره بما رأى وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك ، فما راعَ عمرَ إلا بلالٌ يؤذُن ؟ فقال رسولُ الله ﷺ حين أخبره بذلك « قد سبقك بذلك الوحي » .

وهذا يدلُّ على أنه قد جاء الوحي بتقرير ما رآه عبدُ الله بن زَيْد بن عبد ربه ، كما صرَّح به بعضهم . والله تعالى أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأةٍ من بني النَجَّار قالت : كان بيتي من أطول بيتٍ حول المسجد ، فكان بلال يؤذُنُ عليه للفجر كلَّ غَدَاةٍ فيأتي بِسَحَرٍ ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطَّى ثم قال : اللهم [ إني ] أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا دينك . قالت : ثم يؤذُن ؛ قالت : والله ما علمته كان تركها ليلةً واحدة - يعني هذه الكلمات . ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به<sup>(٢)</sup> .

## فصل

### في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : وزعم الواقدي أنَّ رسولَ الله ﷺ عقدَ في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترض لغيرات قريش<sup>(٤)</sup> ، وأنَّ حمزة لقي أبا جهل في ثلاثمئة رجلٍ من قريش ، فحجز بينهم مَجْدِي بن عمرو ، ولم يكن بينهم قتال . قال : وكان الذي يحمل لواءَ حمزة أبو مرثد الغنوي .

## فصل

### في سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : وزعم الواقدي أيضاً أنَّ النبي ﷺ عقدَ في هذه السنة على رأس ثمانية أشهر في

(١) في السيرة (١/٥٠٩) والروض (٢/٢٥٣) وما يأتي بين معقوفين منهما .

(٢) سنن أبي داود (٥١٩) الصلاة باب الأذان فوق المنارة ، وهو حديث حسن .

(٣) في تاريخه تاريخ الطبري (٢/٤٠٢) .

(٤) « عِيرَات » : جمع عِير ، قال سيبويه : جمعوها بالألف والتاء لمكان التأنيث وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء . وقد قال بعضهم : عِيرات . بالإسكان ( غير ) .

شوال ، لعبيدة بن الحارث لواءً أبيض وأمره بالمسير<sup>(١)</sup> إلى بطن رابغ . وكان لواءه مع مسطح بن أثانة ، فبلغ ثنية المرة وهي بناحية الجحفة<sup>(٢)</sup> في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماءٍ يُقال له أحياء ، وكان بينهم الرمي دون المسايقة<sup>(٣)</sup> . قال الواقدي : وكان المشركون مثنين عليهم أبو سفيان صخر بن حرب وهو الثابت<sup>(٤)</sup> عندنا ؛ وقيل : كان عليهم مكرز بن حفص .

## فصل

قال الواقدي<sup>(٥)</sup> : وفيها - يعني في السنة الأولى في ذي القعدة - عقد رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص إلى الخزار لواءً أبيض يحمله المقداد بن الأسود ؛ فحدثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد [ عن أبيه ] . قال : خرجت في عشرين رجلاً على أقدامنا - أو قال أحد وعشرين رجلاً - فكنّا نكمنُ النهارَ ونسير الليل حتى صبحنا الخزار صبح خامسة ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إليّ أن لا أجاوز الخزار ، وكانت العير قد سبقتني قبل ذلك بيوم . قال الواقدي : كانت العير ستين ، وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين .

قال أبو جعفر بن جرير<sup>(٦)</sup> رحمه الله وعند ابن إسحاق رحمه الله أن هذه السرايا الثلاث التي ذكرها الواقدي كلها في السنة الثانية من الهجرة من وقت التاريخ .

قلت : كلام ابن إسحاق ليس بصريح فيما قاله أبو جعفر رحمه الله لمن تأمله كما سنورده في أول كتاب المغازي في أول السنة الثانية من الهجرة وذلك تلو مانحن فيه إن شاء الله تعالى ، أو يحتمل أن يكون مراده أنها وقعت هذه السرايا في السنة الأولى ، وسنزيدها بسطاً وشرحاً إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى . والواقدي رحمه الله عنده زيادات حسنة ، وتاريخ محرّر غالباً فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم « بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » والله الحمد والمِنَّة .

## فصل

وممن ولد في هذه السنة المباركة - وهي الأولى من الهجرة - عبد الله بن الزبير ، فكان أول مولود ولد

(١) في ح : بالسير . وكذا في إحدى نسخ الطبري .

(٢) الجحفة : على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مصر والشام . معجم البلدان (١١١/٢) .

(٣) في ط : المسابقة . والمثبت من تاريخ الطبري . والمسايقة : التضارب بالسيف .

(٤) في ط : المثبت . والمثبت من ح .

(٥) قول الواقدي في تاريخ الطبري (٤٠٣/٢) وما يأتي بين معقوفين منه ، الخبر في مغازي الواقدي (٢/١) .

(٦) في تاريخه تاريخ الطبري (٤٠٣/٢) .

في الإسلام بعد الهجرة كما رواه البخاري عن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين ابنتي الصديق رضي الله عنهما ، ومن الناس من يقول : ولد النعمان بن بشير قبله بستة أشهر ، فعلى هذا يكون عبد الله بن الزبير أول مولود ولد بعد الهجرة من المهاجرين ، ومن الناس من يقول إنهما ولدا في السنة الثانية من الهجرة والظاهر الأول ، كما قدمنا بيانه والله الحمد والمِنَّة<sup>(١)</sup> ، وسنشير في آخر السنة الثانية إلى القول الثاني إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : وقد قيل : إن المختار بن أبي عبيد وزيد بن سُمَيَّة ولدا في هذه السنة<sup>(٣)</sup> . فإله أعلم .

وممن توفي في هذه السنة الأولى من الصحابة ؛ كلثوم بن الهدم الأوسي الذي نزل رسول الله ﷺ في مسكنه بقباء إلى حين ارتحل منها إلى دار بني النجار كما تقدّم ، وبعده - فيها - أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار ، توفي ورسول الله ﷺ يبني المسجد كما تقدّم رضي الله عنهما وأرضاهما .

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : وفي هذه السنة - يعني الأولى من الهجرة - مات أبو أحيحة بماله بالطائف ، ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة .

قلت : وهؤلاء ماتوا على شركهم لم يُسلموا لله عز وجل<sup>(٥)</sup>

• • •

(١) في ص (٥١٢) .

(٢) في تاريخه (٤٠٢/٢) .

(٣) أشار ناشر ط في الحاشية إلى أنه في الأصلين : السنة الثانية ، غير أنني لم أجِد كلمة : الثانية في ح .

(٤) في تاريخه (٣٩٨/٢) .

(٥) في هامش ح ما نصه : بلغ مقابلة على أصل معتمد وقف . . . حسب الطاقة .



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	ذكر شيء مما وقع من الحوادث في زمن الفترة
٦	ذكر تجديد حفر زمزم
١١	ذكر نذر عبد المطلب ذبح أحد ولده
١٣	ترويح عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة
١٧	كتاب سيرة رسول الله ﷺ
٣٠	باب مولد رسول الله ﷺ
٣٥	صفة مولده الشريف عليه الصلاة والسلام
٤٢	فصل فيما وقع من الآيات ليلة مولده ﷺ
٤٤	ذكر ارتجاج الإيوان
٥٢	ذكر مراضعه وحواضنه عليه الصلاة والسلام
٥٣	ذكر رضاعه عليه الصلاة والسلام
٦٩	فصل في خروجه ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيرى الراهب
٧٤	فصل قصة بحيرى
٧٥	فصل في منشئه ﷺ ومرباه وكفاية الله له . .
٧٩	ذكر شهوده عليه الصلاة والسلام حرب الفجار
٨٢	فصل في شهوده عليه الصلاة والسلام حلف الفضول
٨٦	فصل في ترويعه عليه الصلاة والسلام خديجة بنت خويلد
٨٨	باب ما كان يشتغل به رسول الله ﷺ
٩٤	فصل في تجديد قريش بناء الكعبة
١٠٧	كتاب مبعث رسول الله ﷺ وذكر شيء من البشارات
١٢٣	ذكر أخبار غريبة في ذلك
١٢٧	قصة عمرو بن مرة الجهني
١٤٢	قصة سيف بن ذي يزن الحميري وبشاراته بالنبي الأمي
١٤٨	باب في هواتف الجنّ
١٨٧	باب كيف بدأ الوحي
١٩٠	ذكر عمره ﷺ وقت بعثته وتاريخها
٢٠٩	فصل في منع الجنّ ومردة الشياطين من استراق السمع . .
٢١٣	فصل في كيفية إتيان الوحي

الصفحة	الموضوع
٢٢٠	فصل في ذكر أول من أسلم من متقدمي الإسلام من الصحابة
٢٣٣	ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب
٢٣٤	ذكر إسلام أبي ذر
٢٣٨	ذكر إسلام ضماد
٢٤٠	باب أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة
٢٥٠	قصة الإراشي
٢٥٦	فصل في مبالغتهم في الأذية لآحاد المسلمين المستضعفين
٢٧٤	باب مجادلة المشركين رسول الله ﷺ وإقامة الحجة الدامغة عليهم
٢٨١	باب هجرة من هاجر من أصحاب رسول الله ﷺ
٣١٨	ذكر عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة
٣٢١	ذكر نقض الصحيفة
٣٢٩	قصة أعشى بن قيس
٣٣٢	قصة مصارعة ركانة وكيف أراه الشجرة التي دعاها
٣٣٩	فصل في الإسراء والمعراج وما رأى هنالك من الآيات
٣٥٤	فصل في انشقاق القمر في زمان النبي ﷺ
٣٦١	فصل وفاة أبي طالب عم رسول الله ﷺ
٣٦٨	فصل في موت خديجة بنت خويلد
٣٧٣	فصل بتزويجه ﷺ بعد خديجة بعائشة وسودة
٣٨١	فصل في ذهابه ﷺ إلى أهل الطائف
٣٨٥	فصل في عرض رسول الله ﷺ نفسه على أحياء العرب
٣٩٦	فصل قدوم وفد الأنصار عاماً بعد عام
٣٩٧	إسلام إياس بن معاذ
٤٠٠	باب بُدُوْ إسلام الأنصار
٤١٣	قصة بيعة العقبة الثانية
٤٢٥	فصل يتضمن أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية
٤٢٨	باب بُدُوْ الهجرة من مكة إلى المدينة
٤٣٦	فصل في سبب هجرة رسول الله ﷺ
٤٤٠	باب هجرة رسول الله ﷺ
٤٦٣	فصل في دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة
٤٧٨	ذكر ما وقع في السنة الأولى من الهجرة
٤٨٣	فصل في إسلام عبد الله بن سلام
٤٨٧	ذكر خطبة رسول الله ﷺ



الصفحة	الموضوع
٤٨٩	فصل في بناء مسجده الشريف
٤٩٦	تنبيه على فضل هذا المسجد
٤٩٩	فصل فيما أصاب المهاجرين من حمى المدينة
٥٠٣	فصل في عقده عليه الصلاة والسلام الألفة بين المهاجرين
٥٠٦	فصل في مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار
٥١٢	فصل في ميلاد عبد الله بن الزبير
٥١٣	فصل : وبني رسول الله ﷺ بعائشة
٥١٤	فصل في الأذان ومشروعته
٥١٧	فصل في سرية حمزة بن عبد المطلب
٥١٧	فصل في سرية عبيدة بن الجارث
٥٢١	الفهرس







الموضوع: تاريخ  
العنوان: البداية و النهاية 20/1  
التأليف: الإمام ابن كثير  
التحقيق: مجموعة من العلماء

الورق: كريم  
ألوان الطباعة: لوفان  
عدد الصفحات: 10128  
القياس: 24×17  
التجليد: فني - لوحة  
الوزن: 15215 غ

التنفيذ الطباعي:  
مطبعة ايبكس - بيروت  
التجليد:  
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

ISBN: 978-9953-520-84-1



9 789953 520841

الطبعة الثانية  
1431 هـ - 2010 م

## حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع  
و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي  
و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق  
إلا بإذن خطي من



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب : 311

حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي

طالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت - لبنان - ص.ب : 113/6318

برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

تلفاكس : 817857 01 - جوال : 204459 03

[www.ibn-katheer.com](http://www.ibn-katheer.com)

[info@ibn-katheer.com](mailto:info@ibn-katheer.com)

# السيرة النبوية

## السيرة النبوية

من السنة ٢هـ - إلى ٩هـ

تأليف

الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

محققه وفتح أمادينه وعلل عليه

محمود عبد القادر الأزاوط

راجعته

الدكتور سبارحون

الشيخ عبد القادر الأزاوط

الجزء الرابع

دار ابن كثير

دمشق - بيروت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾





## ذكر ما وقع في السنة الثانية من الهجرة من الحوادث

وقع فيها كثير من المغازي والسرايا ، ومن أعظمها وأجلها بدر الكبرى ، التي كانت في رمضان منها ، وقد فرّق الله بها بين الحقّ والباطل ، والهدى والغي .

وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث ، فنقول وبالله المستعان :

### كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « السيرة »<sup>(١)</sup> ، بعد ذكره أحبار<sup>(٢)</sup> اليهود ، ونصبهم العداوة للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات : فمنهم ؛ حيي بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر ، وجدي ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وسلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز ، وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر - كما سيأتي - والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيء ، ثم أحد بني نبهان ، وأمه من بني النضير - وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع ، كما سيأتي - وحليفاه الحجاج بن عمرو ، وكردم بن قيس ، لعنهم الله ، فهؤلاء من بني النضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيون<sup>(٣)</sup> ؛ عبد الله بن سوريا ، ولم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه - قلت : وقد قيل : إنه أسلم .

وابن صلوبا ، ومخيريق - وقد أسلم يوم أحد كما سيأتي - وكان خبر قومه<sup>(٤)</sup> .

ومن بني قينقاع ؛ زيد بن اللصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيحان<sup>(٥)</sup> ، وعزيز بن أبي

(١) تنبيه : كتاب « السيرة النبوية » لابن إسحاق لا يعرف مكان وجوده كاملاً فيما أعلم ، والذي نشر منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ثم بتحقيق الدكتور سهيل زكار ، إنما هو قطعة منه ليس فيها الموطن الذي نقل عنه المؤلف رحمه الله ، وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥١٤ ) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) في ( آ ) : « أخبار » والمثبت من ( ط ) وهو مناسب للسياق .

(٣) انظر شرح الإمام السهيلي لها في « الروض الأنف » ( ٤ / ٣٩٧ ) .

(٤) في ( آ ) : « خير قومه » وفي ( ط ) « خير قومه » وهو الصواب .

(٥) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « شيحان » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « سيحان » بالسين .

عزیز ، وعبد الله بن صيف<sup>(١)</sup> ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضأ ، وبحري بن عمرو ، وشأس<sup>(٢)</sup> بن عدي ، وشأس<sup>(٣)</sup> بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو<sup>(٤)</sup> ، وسكين بن أبي سكين ، وعدي بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن أبي أزار .

قال ابن هشام : ويقال : أزر بن أزر<sup>(٥)</sup> .

ورافع بن حارثة [ ورافع بن حريملة ]<sup>(٦)</sup> ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

قلت : وقد تقدّم إسلامه<sup>(٧)</sup> ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وكان خبرهم<sup>(٨)</sup> وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله<sup>(٩)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(١٠)</sup> : ومن بني قريظة ؛ الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن شمويل ، وكعب بن أسد - وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الأحزاب - وشمويل بن زيد [ وجبل بن عمرو بن سكينه ، والنّحام بن زيد ، وكردم<sup>(١١)</sup> بن كعب ، ووهب بن زيد ] ونافع بن أبي نافع ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا .

قال : ومن بني زريق ؛ لبید بن أعصم ، وهو الذي سحر رسول الله ﷺ<sup>(١٢)</sup>

(١) قال ابن هشام : ويقال : « ابن صيف » .

(٢) في ( آ ) : « شأس » وفي ( ط ) « شاش » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .

(٣) في ( آ ) و ( ط ) : « بن عمير » وهو خطأ ، وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « ابن أبي أزر » . وفي « السيرة النبوية » و « الروض الأنف » ( ٣٠٦ / ٤ ) : « أزر بن أزر » وأثبتة عنهما .

(٥) ما بين الحاصرتين لم يرد في ( آ ) وأثبتة عن ( ط ) فقط .

(٦) يعني إسلام ( عبد الله بن سلام ) رضي الله عنه .

(٧) في ( آ ) : « وكان خيرهم » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٨) انظر ترجمته وما جاء حول قصة إسلامه رضي الله عنه في « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي ( ٢٣٣ / ١ - ٢٣٤ ) وتعليقي عليه ، طبع دار ابن كثير .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٥ - ٥١٦ ) .

(١٠) كذا في ( آ ) و ( ط ) في هذا الموطن : « كردم » وفي « السيرة النبوية » : « كردم » بالقاف . وما بين الحاصرتين عن ( ط ) وحدها .

(١١) قلت : وقد روى حديث سحر ( لبید بن أعصم اليهودي ) لرسول الله ﷺ البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله =

ومن يهود بني حارثة ؛ كنانة بن صوريا .

ومن يهود بني عمرو بن عوف ؛ قردم بن عمرو .

ومن يهود بني النجار ؛ سلسلة بن برهام .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فهؤلاء أحبار يهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، رضي الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين [ كانوا ]<sup>(٢)</sup> يكثرُونَ الأسئلة لرسول الله ﷺ ، على وجه التّعنت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النّصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلّا ما كان من عبد الله بن سلام ، ومخيريق .

ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام ، وإسلام عمّته خالدة<sup>(٣)</sup> ، كما قدّمناه ، وذكر إسلام مخيريق يوم أحد<sup>(٤)</sup> ، كما سيأتي ، وأنه قال لقومه ، وكان يوم السبت : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج [ حتى أتى رسول الله ﷺ ]<sup>(٥)</sup> ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ويصنع فيها ما أراه الله<sup>(٦)</sup> ، وكان كثير الأموال ، ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه ، قال : فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني : « مخيريق خير يهود »<sup>(٧)</sup>

## فصل

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> من مال إلى هؤلاء [ الأضداد ] من اليهود ، من المنافقين من الأوس والخزرج ، فمن الأوس ؛ زوي بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصّامت الأنصاري ، وفيه نزل : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [ التوبة : ٧٤ ] وذلك أنّه قال حين تخلف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقاً ، لنحن شرّ من الحمير<sup>(٩)</sup> . فنهاها ابن امرأته عمير بن سعد

- = عنها . انظر تفاصيل ذلك وشرحه والتعليق عليه في « جامع الأصول » لابن الأثير ( ٦٥ / ٥ - ٦٧ ) بتحقيق والدي وأستاذي فضيلة المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .
- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٦ / ١ ) وقد ذكر كلام ابن إسحاق باختصار .
- (٢) ما بين الحاصرتين زيادة مني يقتضيها سياق الكلام .
- (٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٦ / ١ - ٥١٧ ) واسمها ( خالدة بنت الحارث ) .
- (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٨ / ١ ) .
- (٥) ما بين الحاصرتين زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
- (٦) في ( آ ) و ( ط ) : ( ( يرى فيها ما أراه الله ) ) وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف في نقله .
- (٧) رواه ابن سعد في « الطبقات » ( ٥٠١ / ١ و ٥٠٢ ) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٢٢٩ / ١٠ ) من طريق الواقدي ، وهو متروك .
- (٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٩ / ١ ) .
- (٩) في ( ط ) : ( ( نحن شرّ من الحمير ) ) .

إلى رسول الله ﷺ ، فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك . قال<sup>(١)</sup> : وقد زعموا أنه تاب وحسنت توبته ، حتى عرف منه الإسلام والخير . قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذي قتل المجذّر بن ذباد البلوي ، وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين ، وكان منافقاً ، فلما التقى الناس ، عدا عليهما فقتلتهما ، ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وكان المجذّر قد قتل أباه سويد بن الصّامت في بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد . كذا قال ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أنّ الذي قتل سويد بن الصّامت إنّما هو معاذ بن عفراء ، قتله [غيلة] في غير حرب ، قبل يوم بعاث ، رماه بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال : لأنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ؛ ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغني عن ابن عباس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦] . إلى آخر القصة قال : وبجاء بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى شيطان فليُنظر إلى هذا »<sup>(٤)</sup> . وكان جسيماً ، أدلم<sup>(٥)</sup> ، نائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الخدين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ، ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنّما محمد أذن ؛ من حدّثه بشيء صدّقه . فأنزل الله فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ الآية [التوبة : ٦١] .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله ﴿ كَيْتٌ أَتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [التوبة : ٧٥] ، ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك . ومعتب هو الذي قال يوم أحد : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . فنزل فيه

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٠ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٠ ) وما بين الحاضرتين مستدرك منه .

(٣) رواه النسائي ( ٧ / ١٠٧ ) بنحوه ، وهو حديث صحيح .

(٤) ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » ( ١ / ٥٢١ ) ولفظه عنده : (( من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث )) .

(٥) الأدلم من الرجال : الطويل الأسود . « لسان العرب » ( دلم ) .

(٦) رواه ابن أبي حاتم بسند حسن .

(٧) رواه الطبري في « تفسيره » وغيره ، وهو ضعيف جداً .

الآية<sup>(١)</sup> ، وهو الذي قال يوم الأحزاب : كَأَنَّ مُحَمَّدًا يَعِدُنَا أَنَا نَأْكُلُ كُنُوزَ كَسْرَى وَقِصْرَ ، وَأَحْدُنَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : والحرث بن حاطب .

قال ابن هشام : ومعتب بن قشير ، وثعلبة والحرث ابنا حاطب - وهما من بني أمية بن زيد - من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحرث في بني أمية بن زيد ، في أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وعبد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف وبخزج ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وعمر بن خذام<sup>(٥)</sup> ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطف ، وابناه يزيد<sup>(٦)</sup> ومجمع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وكان مجمع غلاماً حدثاً ، قد جمع أكثر القرآن ، وكان يصلي بهم فيه ، فلما خرب مسجد الضرار - كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك - وكان في أيام عمر ، سأل أهل قباء عمر أن يصلي بهم مجمع ، فقال : لا والله ، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضرار؟ فحلف بالله ما علمت بشيء من أمرهم . فزعموا أن عمر تركه فصلّى بهم . قال : ووديعه بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] فنزل فيه ذلك .

قال : وخذام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضرار من داره .

قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق في منافقي بني النبيت من الأوس : وبشر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : ومربع بن قبيط ، وكان أعمى ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه<sup>(٨)</sup> وهو ذاهب إلى أحد : لا أحلّ لك ، إن كنت نبياً ، أن تمرّ في حائطي . وأخذ في يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وإسناده حسن .

(٢) أخرجه جوير عن ابن عباس ، وجوير ضعيف جداً .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٢ ) .

(٥) في ( آ ) : « حزام » وفي ( ط ) : « عمرو بن حرام » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » .

(٦) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « يزيد » وفي « السيرة » : « زيد » . وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الإصابة »

( ٦٥٣ / ٣ ) في رسم « يزيد » وذكر الخلاف في الاسمين ، وقال : الصواب أنهما أخوان .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٣-٥٢٥ ) .

(٨) الحائط : البستان .

رسول الله ﷺ : « دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر »<sup>(١)</sup> .

وقد ضربه سعد بن زيد الأشهلي بالقوس فشجّه . قال : وأخوه أوس بن قيطي ، وهو الذي قال : ﴿ إِنِّيُؤْتِنَاغُورَةً ﴾ . قال الله : ﴿ وَمَا هِيَ بِغُورَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣] .

قال : وحاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً ، قد عسا<sup>(٢)</sup> في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب . أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنة يا بن حاطب .

قال : فنجم<sup>(٤)</sup> نفاق أبيه ، فجعل يقول : أجل ، جنة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال : ويشير بن أبيرق [وهو]<sup>(٥)</sup> أبو طعمة ، سارق الدرّعين ، الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تَجِدَلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٧] .

قال : وقزمان ، حليف لبني ظفر ، الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لما آلمته الجراحة ، قتل نفسه ، وقال : والله ما قاتلت إلا حمية على قومي ، ثم مات ، لعنه الله<sup>(٧)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحّاك بن ثابت كان يتهم بالنفاق وحب يهود . فهؤلاء كلّهم من الأوس .

قال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : ومن الخزرج ؛ رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، [وعمر بن قيس] ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجدّ بن قيس ، وهو الذي قال : ﴿ أَشْذَنَ لِي وَلَا نَفْتِيَّ ﴾ [التوبة : ٤٩] .

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » : « . . . أعمى البصيرة » .

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير الطبري ، وابن المنذر والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤٣٥-٤٣٦ ) عن عروة بن الزبير وغيره مرسلًا .

(٣) أي : كبر وأسن . انظر « لسان العرب » ( عسو ) .

(٤) أي : ظهر .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » .

(٦) رواه الترمذي بنحوه رقم ( ٣٠٣٦ ) وهو حديث حسن .

(٧) انظر « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني عند شرحه للحديث رقم ( ٤٢٠٢ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٥ ) .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٢٦ ، ٥٢٧ ) .

(١٠) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : رواه أبو نعيم وابن مردويه من طريق الضحّاك عن ابن عباس ، ورواه ابن مردويه من حديث عائشة بسند ضعيف أيضاً ، ومن حديث جابر بسند فيه مبهم .

وعبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان رأس المنافقين - ورئيس الخزرج والأوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملكوه عليهم في الجاهلية ، فلما هداهم الله للإسلام قبل ذلك ، شرق اللعين بريقه<sup>(١)</sup> ، وغاظه ذلك جداً - وهو الذي قال : ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨]<sup>(٢)</sup>

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جداً ، وفيه وفي وديعة - رجل من بني عوف - ومالك بن أبي قوئل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهطه ، نزل [قوله تعالى] : ﴿ لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ [الاحزاب : ١٢]<sup>(٣)</sup> . حين مالوا في الباطن إلى بني النضير .

## فصل

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ عَلَى سَبِيلِ التَّقِيَّةِ ، فكانوا كفاراً في الباطن ، فأتبعهم بصنف المنافقين ، وهم من شرهم ؛ سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، وهو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنّه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتة ! فقال رسول الله ﷺ : « والله لا أعلم إلا ما علّمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، فهي في هذا الشعب ، قد حبستها شجرة بزمامها » . فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك<sup>(٥)</sup> .

قال : ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حُرَيْمِلَة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات - فيما بلغنا - : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » .

ورفاعه بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبّت الريح الشديدة يوم موته ، عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك ، فقال : « إنّها هبّت لموت عظيم من عظماء الكُفَّار » فلما قدموا المدينة ، وجدوا رفاعه قد مات في ذلك اليوم<sup>(٦)</sup> .

وسلسلة بن برهام ، وكنانة وابن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود .

قال<sup>(٧)</sup> : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، ويسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون

(١) أي غص به . انظر « النهاية » لابن الأثير ( ٤٦٥-٤٦٦ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٩٠٠ ) .

(٣) رواه ابن إسحاق وابن المنذر وأبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عباس .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٧/١ - ٥٢٨ ) .

(٥) ورواه الواقدي في « المغازي » ( ٤٢٣/٢ ) ، عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه ، والبيهقي في « الدلائل » ( ٦٠-٥٩/٤ ) ، عن موسى بن عقبة مرسلًا .

(٦) وذكره الواقدي في « المغازي » ( ٤٢٣-٤٢٢/٢ ) ، عن رافع بن خديج وجابر بن عبد الله ، وابن إسحاق في « سيرته » في غزوة بني المصطلق عن شيوخه الثلاثة مرسلًا ، وسيأتي عند المصنّف .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٨-٥٢٩ ) .



ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم ، خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس ، أحد بني النّجار ، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله ، فسحبه حتى أخرجه [ من المسجد ]<sup>(١)</sup> ، وهو يقول ، لعنه الله : أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النّجاريّ فلبّيه بردائه ، ثم نتره<sup>(٢)</sup> نترأ شديداً ، ولطم وجهه ، فأخرجه من المسجد وهو يقول : أف لك منافقاً خبيثاً .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته ، وقاده بها قوداً عنيفاً ، حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً ، فلدمه<sup>(٣)</sup> بهما لدمة في صدره خرّ منها . قال : يقول : خدشتني يا عمارة . فقال عمارة : أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجار - وكان بدرياً - إلى قيس بن عمرو بن سهل - وكان شاباً ، وليس في المنافقين شابّ سواه - فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه [ من المسجد ] .

وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو - وكان ذا جمّة - فأخذ بجمّته ، فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث<sup>(٤)</sup> . فقال : إنك أهل لذلك أي عدوّ الله ؛ لما أنزل فيك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ ؛ فإنك نجس .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زويّ بن الحارث ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأفّ<sup>(٥)</sup> منه ، وقال : غلب عليك الشيطان وأمره .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> ما نزل فيهم من الآيات<sup>(٧)</sup> من سورة « البقرة » ، ومن سورة « التوبة » ، وتكلّم على تفسير ذلك ، فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٢) نتره : جذبه .

(٣) أي ضربه ببطن كفه . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٩ / ١ ) وما بين الحاصرتين في النص تكملة منه .

(٤) كذا في ( آ ) و ( ط ) : (( يا أبا الحارث )) والذي في « السيرة النبوية » لابن هشام : (( يا بن الحارث )) .

(٥) أي تَصَجَّر . انظر « لسان العرب » ( أف ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣٠ - ٥٧٢ ) .

(٧) في ( آ ) : (( من القرآن )) وأثبت لفظ ( ط ) .

## ذكر

## أول المغازي ، وهي غزوة الأبواء ، ويقال لها : غزوة ودّان

وأول البعوث ، وهو بعث حمزة بن عبد المطلب ، أو عبدة بن الحارث ، كما سيأتي في [المغازي] .

قال البخاري<sup>(١)</sup> : كتاب المغازي ، قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم بواط ، ثم العشيرة .

ثم روى<sup>(٢)</sup> عن زيد بن أرقم ، أنه سئل : كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة . شهد منها سبع عشرة ، [أولهن] العسيرة ، أو العشيرة ، وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة ، إن شاء الله وبه الثقة<sup>(٣)</sup>

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٤)</sup> ، عن بريدة ، قال : غزا [مع] رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة . ولمسلم عنه<sup>(٥)</sup> ، أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة .

وفي رواية له عنه<sup>(٦)</sup> ، أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان منهن .

وقال الحسين بن واقد<sup>(٧)</sup> ، عن ابن بريدة ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، ومكة ، وحنين ، وبعث أربعاً وعشرين سرية .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٨)</sup> : حدّثنا محمد بن عثمان الدمشقيّ التّوخيّ ، ثنا الهيثم بن حميد ، أخبرني النّعمان ، عن مكحول ، أن رسول الله ﷺ غزا ثمانين عشرة غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ؛ أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكّة ، ثم حنين والطائف .

(١) انظر « فتح الباري » ( ٢٧٩ / ٧ ) .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٣٩٤٩ ) .

(٣) انظر ص ( ٢٢ ) من هذا الجزء .

(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٤٧٣ ) .

(٥) زيادة من « صحيح البخاري » .

(٦) انظر « صحيح مسلم » رقم ( ١٨١٤ ) ( ١٤٧ ) .

(٧) رواها مسلم رقم ( ١٨١٤ ) ( ١٤٦ ) وابن أبي شيبة في « المغازي » رقم ( ١١٣ ) .

(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٤٥٩ / ٥ ) .

(٩) هو في « المعرفة والتاريخ » للفسوي ( ٣٠٠ / ٣ ) مرسلًا .

قوله : بئر معونة ، بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد ، كما سيأتي .

قال يعقوب<sup>(١)</sup> : حدثنا سلمة بن شبيب ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، سمعت سعيد بن المسيب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة . وسمعت مرة أخرى يقول : أربعاً وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهماً ، أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطبراني ، عن الدبري<sup>(٢)</sup> ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة .

وقال عبد بن حميد في « مسنده »<sup>(٣)</sup> : حدثنا سعيد بن سلام ، ثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم<sup>(٤)</sup> ( من طريق هشام ، عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين ، ثم قال الحاكم<sup>(٥)</sup> ) : لعله أراد السرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في « الإكليل » على الترتيب ، بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المئة .

قال : وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى ، أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السرايا والبعوث دون الحروب نيفاً وسبعين ، وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً ، وحمله كلام قتادة على ما قال ، فيه نظر .

وقد روى الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> ، عن أزهر بن القاسم الراسبي ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ؛ أربع وعشرون بعثاً ، وتسع عشرة غزوة ، خرج في ثمانٍ منها بنفسه ؛ بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين .

وقال موسى بن عقبة<sup>(٧)</sup> ، عن الزهري : هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ؛ يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان من سنة خمس ، ثم قاتل يوم

(١) انظر « المعرفة والتاريخ » ( ٣ / ٣٠٠ - ٣٠١ ) مرسلًا ، وعبد الرزاق في المصنف ( ٩٦٥٩ ) مرسلًا أيضاً .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري ، راوي كتب عبد الرزاق عنه ، وروى عنه الطبراني وغيره ، وكان صدوقاً . مات سنة ( ٢٨٥ ) هـ . انظر « شذرات الذهب » ( ٣ / ٢٥٦ ) .

(٣) هو في (( المنتخب من مسند عبد بن حميد )) رقم ( ١٠٦٥ ) .

(٤) وأخرجه البيهقي أيضاً في « دلائل النبوة » ( ٥ / ٤٦٢ ) .

(٥) انظر « فتح الباري » ( ٧ / ٢٨١ ) .

(٦) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٥ / ٤٦٢ ) وانظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ٢ / ٦٥ ) .

(٧) ورواه من طريقه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » ( ٣ / ٣٠٢ ، ٣٠٣ ) والبيهقي في دلائل النبوة ( ٥ / ٤٦٢ - ٤٦٣ ) وأصله في البخاري رقم ( ٤٠٢٦ ) .

خير سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين ، وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حجّ أبو بكر سنة تسع ، ثم حجّ رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، قال : وكانت أول غزوة غزاها الأبواء .

وقال حنبل بن إسحاق<sup>(١)</sup> ، عن هلال بن العلاء<sup>(٢)</sup> ، عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن مطرف بن مازن اليماني ، عن معمر ، عن الزهري<sup>(٣)</sup> قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ﴾ [الآية : الحج : ٣٩] بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة ، لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال : ثم غزا بني النضير ، ثم غزا أحدًا في شوال - يعني من سنة ثلاث - ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان ، وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم العشرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الأبواء<sup>(٤)</sup> ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة ، ثم ذكر البعوث . هكذا كتبه من تاريخ الحافظ ابن عساكر<sup>(٥)</sup> ، وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتباً .

وهذا الفن مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتّهيؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد الله بن عمر بن علي ، عن أبيه ، سمعت علي بن الحسين يقول : كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن .

قال الواقدي<sup>(٦)</sup> : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمي الزهري يقول في علم المغازي : علم الآخرة والدنيا .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup> ، رحمه الله ، في « المغازي » بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه ، من تعيين

- (١) هو حنبل بن إسحاق أبو علي ، ابن عم الإمام أحمد بن حنبل ، وكان ثقة ثبتاً صدوقاً ، من أعلام الحنابلة الكبار ، مات سنة ( ٢٧٣ ) هـ . انظر ترجمته ومصادرها في « المنهج الأحمد » ( ٢٦٤ / ١ ) و « شذرات الذهب » ( ٣٠٧ / ٣ ) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي فضيلة المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .
- (٢) في ( آ ) و ( ط ) : « حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته .
- (٣) انظر « مغازي الزهري » ص ( ١٠٥ ) .
- (٤) كذا في ( آ ) و ( ط ) وهي مكررة في السياق ، ولعلها : « بواط » . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٦٣ / ٥ ) .
- (٥) لم أجده في نسخ « تاريخ دمشق » المخطوطة والمطبوعة المتوافرة عندي على كثرتها ، ويبدو أنه مما سقط منها وهو كثير ، وذكره ابن منظور في « مختصره » ( ١٨٨ / ٢ - ١٨٩ ) .
- (٦) وأخرجهما من طريقه الخطيب البغدادي في « الجامع » رقم ( ١٥٩١ ) و ( ١٥٨٩ ) والواقدي متروك .
- (٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٩٠ ، ٥٩١ ) وقد أخرجه من طريقه بنحوه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٠ / ٣ ) .

رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين ، وجمعهم في أسفل سافلين : ثم إنّ رسول الله ﷺ تهيأ لحربه ، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوّه ، وقتال من أمره به ممن يليه [ من المشركين ] .

قال : وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين حين اشتدّ الضّحاء ، وكادت الشمس تعتدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بقية شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، وولي [ تلك ] الحجة المشركون ، والمحرم .

ثم خرج رسول الله ﷺ غزياً في صفر ، على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عباد .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حتى بلغ ودّان ، وهي غزوة الأبواء .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : ويقال لها : غزوة ودّان أيضاً ، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم مخشي بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وهي أول غزوة غزاها ، عليه السلام .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : وكان لواؤه - عليه السلام - مع عمّه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين ركباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز أسفل ثنية المرة ، فلقي [بها] جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أنّ سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩١ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٠٧ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩١ ) .

(٤) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ٨ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩١-٥٩٢ ) .

وروى ابن هشام ، عن أبي عمرو<sup>(١)</sup> بن العلاء ، عن أبي عمرو المدني أنه قال : كان عليهم مكرز بن حَفْصٍ .

قلت : وقد تقدّم عن حكاية الواقدي قولان ؛ أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجّح أنه أبو سفيان ، فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السرية التي أولها : [من الطويل]

أمن طيف سلمى بالبطح الدّمائث	أرقت وأمر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدّها	عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا	عليه وقالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا	وهزّوا هريز المجرّات اللواث

القصيدة إلى آخرها .

وذكر<sup>(٣)</sup> جواب عبد الله بن الزبّعي في مناقضتها التي أولها : [من الطويل]

أمن رسم دار أقفرت بالعثا	بكيّت بعين دمعها غير لاث
ومن عجب الأيام والدّهر كلّ	له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذي عرام يقوده	عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكة عكفا	مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة ، وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أن الإمام عبد الملك بن هشام ، رحمه الله - وكان إماماً في اللغة - ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقال سعد بن أبي وقاص في رميته تلك فيما يذكرون : [من الوافر]

ألا هل أتى رسول الله أني	حميت صحابتي بصدور نبلي
أذود بها أوائلهم ذياداً	بكلّ حزنونة وبكلّ سهل
فما يعتدّ رام في عدوّ	بسهم يا رسول الله قبلي
وذلك أن دينك دين صدق	وذو حقّ أتيت به وفضل
ينجى المؤمنون به ويخزي	به الكفار عند مقام مهل
فمهلاً قد غويت فلا تعبني	غويّ الحيّ ويحك يا بن جهل

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » (٢٣/١) : « ابن أبي عمرو » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥٩٢-٥٩٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥٩٣-٥٩٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥٩٤-٥٩٥) .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبدة - فيما بلغنا - أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين . وقد خالفه الزهري وموسى بن عقبة<sup>(١)</sup> والواقدي<sup>(٢)</sup> ، فذهبوا إلى أن بعث حمزة قبل بعث عبدة بن الحارث ، والله أعلم .

وسأتي في حديث سعد بن أبي وقاص أن أول أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدي .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وهكذا حكى موسى بن عقبة ، عن الزهري<sup>(٤)</sup>

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر<sup>(٦)</sup> من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام [ بذلك الساحل ] في ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزهري<sup>(٨)</sup> ، أن بعث حمزة قبل عبدة بن الحارث ، ونص على أن بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل ، عليه السلام ، من الأبواء بعث عبدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدم . وقد تقدم عن الواقدي أنه قال : كانت سرية حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سرية عبدة في شوال منها ، والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> ، عن حمزة ، رضي الله عنه ، شعراً يدل على أن رايته أول راية عقدت في

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٨ / ٣ ) من طريقهما .

(٢) انظر « المغازي » للواقدي ( ٢ / ١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩٥ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٩ / ٣ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩٥ ) .

(٦) سيف البحر : ساحله . انظر « لسان العرب » ( سيف ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩٥ - ٥٩٦ ) .

(٨) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٨ / ٩ ) .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩٦ ) .

الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال لم يكن يقول إلا حقاً ، فالله أعلم أي ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبدة أول ، والقصيدة هي قوله : [ من الطويل ]

ألا يا لقومي للتحلم والجهل	وللنقص من رأي الرجال وللعقل
وللراكيينا بالمظالم لم نطأ	لهم حرمان من سوام ولا أهل
كأننا تبلناهم ولا تبل عندنا	لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر بإسلام فلا يقبلونه	وينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت لغارة	لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق	عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامة	إله عزيز فعله أفضل الفعل
عشيّة ساروا حاشدين وكلنا	مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا ففعلوا	مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم جبل الإله نصيرنا	وما لكم إلا الضلالة من جبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً	فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين ركباً	وهم مثنان بعد واحدة فضل
فيال لؤي لا تطيعوا غواتكم	وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإنني أخاف أن يصب عليكم	عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

قال<sup>(١)</sup> : فأجابه أبو جهل بن هشام - لعنه الله - فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل	وللشاغبين بالخلاف وبالبطل
وللتاركيين ما وجدنا جدودنا	عليه ذوي الأحساب والسؤدد الجذل

ثم ذكر تمامها .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة - رضي الله عنه - ولأبي جهل - لعنه الله - .

### غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول - يعني من السنة الثانية - يريد قريشاً .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٥٩٦ - ٥٩٨ ) .



قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

وقال الواقدي<sup>(٢)</sup> : استخلف عليها سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ في مئتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقاص ، وكان مقصده أن يعترض لعير قريش ، وكان فيه أمية بن خلف ومئة رجل ، وألفان وخمسمئة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

### [ غزوة العُشيرة ]

ثم غزا قريشاً . يعني بذلك الغزوة التي يقال لها : غزوة العشيرة ، وبالمهملة ، والعشيرة وبالمهملة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج ، عليه السلام ، يتعرض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخَبَار<sup>(٥)</sup> ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها : ذات الساق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده ، فصنع له عندها طعام ، فأكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أنافي البرمة<sup>(٦)</sup> معلوم هنالك ، واستقي له من ماء يقال له : المشيرب . ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبة عبد الله ، ثم صبّ لليسار حتى هبط ليليل ، فنزل بمجمّعه ومجتمع الضبوعة ، ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بِصُخَيْرَاتِ اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مُدَلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد قال البخاري<sup>(٧)</sup> : حدثنا عبد الله ، ثنا وهب ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٩٨ / ١ ) .

(٢) انظر « طبقات ابن سعد » ( ٨ / ٢ ) .

(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد ( ٩ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٩٨ - ٥٩٩ ) .

(٥) قال الفيروزبادي : الخَبَار : موضع قريب من المدينة ، وكان على طريق رسول الله ﷺ حين خرج يريد قريشاً قبل وقعة بدر . انظر « المغانم المطابة » ص ( ١٢٧ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

(٦) كذا في ( آ ) و ( ط ) : ( ( فرسوم أنافي البرمة ) ) وفي « السيرة النبوية » : ( ( فموضع أنافي البرمة ) ) .

(٧) رواه « البخاري » رقم ( ٣٩٤٩ ) .

زيد بن أرقم ، ف قيل له : كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال : تسع عشرة . قال : كم غزوت أنت معه؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأَيُّهنَّ كان<sup>(١)</sup> أول؟ قال : العشير ، أو العسيرة . فذكرت لقتادة ، فقال : العسيرة . وهذا الحديث ظاهر في أنَّ أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين . وبهما مع حذف التاء . وبهما مع المد ، اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبي ﷺ زيد بن أرقم ؛ العشيرة ، وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدا زيد بن أرقم ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث ، والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ ما قال ، فحدثني<sup>(٣)</sup> يزيد بن محمد بن خثيم ، عن محمد بن كعب القرظي ، حدثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً ، فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فوادعهم ، فقال لي عليّ بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن تأتي هؤلاء النفر من بني مدلج ، يعملون في عين لهم ، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم ، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبنا<sup>(٤)</sup> إلا رسول الله ﷺ [ يحرّكنا ] بقدمه فجلسنا ، وقد تترّبنا من تلك الدقعاء ، [ فيومئذ ] قال رسول الله ﷺ لعليّ : « يا أبا تراب » . لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا ، فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : « أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا عليّ على هذه - ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه - حتى يبل<sup>(٥)</sup> منها هذه » . ووضع يده على لحيته . وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وله شاهد من وجه آخر في تسمية عليّ أبا تراب ، كما في « صحيح البخاري »<sup>(٦)</sup> أن عليّاً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه ، فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضباً ، فجاء إلى المسجد فأيقظته وجعل يمسح التراب عنه ، ويقول : « قم أبا تراب ، قم أبا تراب » .

(١) كذا في (آ) و(ط) : وفي جميع نسخ « البخاري » : (( فأَيُّهم كانت )) . قال ابن مالك والصواب ؛ (( فأَيُّها أو أَيُّهن )) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٩٩ / ١ ) .

(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٢ / ٣ - ١٣ ) .

(٤) أهَبْنَا : أيقظنا من النوم .

(٥) في (آ) : « تبل » وأثبت لفظ (ط) .

(٦) رواه البخاري ( ٤٤١ ) و( ٦٢٨٠ ) .

## غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم لم يَقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة ، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح<sup>(٢)</sup> المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام ، والواقدي : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فرجع رسول الله ﷺ ، فأقام جمادى ورجباً وشعبان ، وقد كان بعث رسول الله ﷺ بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد حمزة ، ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً ، وقد تقدّم ذكر الواقدي لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة ، كلها في السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدّثني عبد المتعال بن عبد الوهّاب ، حدّثني يحيى بن سعيد . قال عبد الله ابن الإمام أحمد : وحدّثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ ، حدّثنا أبي ، ثنا المجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبي وقاص قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا ، فأوثق حتى نأتيك وتؤمّنّا . فأوثق لهم فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مئة ، وأمرنا أن نغير على حيّ من بني كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم ، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة ، فمنعونا ، وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! فقال بعضنا لبعض : ما ترون؟ فقال بعضنا : نأتي نبيّ الله ﷺ فنخبره . وقال قوم : لا ، بل نقيم ههنا . وقلت أنا في أناس معي : لا ، بل نأتي غير قريش فنقتطعها . وكان الفيء إذ ذاك : من أخذ شيئاً فهو له . فانطلقنا إلى العير ، وانطلق أصحابنا إلى النبيّ ﷺ ، فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمّر الوجه فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرّقين؟ إنّما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثنّ عليكم رجالاً ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش » . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسديّ ، فكان أول أمير في الإسلام .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠١ / ١ ) .

(٢) السرح : المال يُسام في المرعى من الأنعام . « لسان العرب » ( سرح ) .

(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد ( ٩ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٠ - ٦٠١ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١٧٨ / ١ ) وإسناده ضعيف .

وقد رواه البيهقي في « الدلائل »<sup>(١)</sup> من حديث يحيى بن أبي زائدة ، عن مجالد به نحوه ، وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! : فقالوا : نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام<sup>(٢)</sup>

ثم رواه<sup>(٣)</sup> من حديث أبي أسامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن سعد بن أبي وقاص ، فذكر نحوه ، فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك ، وهذا أنسب ، والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضي أن أول أمراء السرايا عبد الله بن جحش الأسدي ، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق ، أن أول الرايات عقدت لعبدة بن الحارث بن المطلب<sup>(٤)</sup> ، وللواقدي<sup>(٥)</sup> حديث زعم أن أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب ، والله أعلم .

### باب سرية عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى ، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كل شيء قدير

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم ؛ أبو حذيفة بن عتبة ، وعكاشة بن محصن بن حرثان ، حليف بني أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان ، حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقاص الزهري ، وعامر بن ربيعة الوائلي ، حليف بني عدي ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التميمي ، حليف بني عدي أيضاً ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، حليف بني عدي أيضاً ، وسهيل بن بيضاء الفهري ، فهؤلاء سبعة ثامنهم<sup>(٧)</sup> أميرهم عبد الله بن جحش ، رضي الله عنه .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٤ / ٣ ) .

(٢) وهي كذلك في « المسند » للإمام أحمد ( ١٧٨ / ١ ) .

(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٥ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٩٥ / ٢ ) و « تاريخ الطبري » ( ٤٠٥ / ٢ ) .

(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ٦ / ٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠١ / ١ - ٦٠٢ ) .

(٧) كذا في ( آ ) و ( ط ) وهو خطأ من المؤلف رحمه الله ، وذلك أنه ذكرهم ثمانية وعددهم سبعة ؛ فإن ابن إسحاق أدخل في أسماء الثمانية بعد أبي حذيفة بن عتبة ، عبد الله بن جحش ، فمجموع من ذكرهم ابن إسحاق تسعة ، فلما ذكرهم المصنف دون أميرهم عبد الله ، حسب أن الباقي سبعة ، ظناً منه أن مجموع من ذكرهم ابن إسحاق ثمانية ، لذلك أتى المؤلف رحمه الله برواية ابن إسحاق القادمة ليبين الاضطراب الحادث بين الروایتين - في ظنه - فقال : « فإله أعلم » .

وقال يونس<sup>(١)</sup> ، عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية ، وأميرهم التاسع ، فالله أعلم ، وستأتي تسميتهم على خلاف ما قال ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، فلما سار بهم يومين فتح الكتاب ، فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم » . فلما نظر في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما في الكتاب ، وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران . أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه ، حتى نزل نخلة ، فمرت به غير لقريش تحمل زيباً وأدماً<sup>(٣)</sup> ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي .

قال ابن هشام : واسم الحضرمي عبد الله بن عباد الصّدفي .

قال السهيلي<sup>(٤)</sup> : وقيل غير ذلك في نسبه - وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمّار لا بأس عليكم منهم . وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ، فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعرير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أنّ عبد الله قال لأصحابه : إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس .

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ١٨ - ٢٠ ) من طريقه .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٠١ - ٦٠٤ ) .

(٣) الأدم : الجلود . واحدها أديم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشنى ( ١ / ١٨٩ ) .

(٤) انظر « الروض الأنف » : ( ٥ / ٧٩ - ٨٠ ) .

قال<sup>(١)</sup> : لَمَّا نَزَلَ الْخَمْسَ نَزَلَ كَمَا قَسَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ . كَمَا قَالَ .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا أَمَرْتُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ » . فَوَقَفَ الْعَبِيرُ وَالْأَسِيرِينَ وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَسْقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا وَعَتَفَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ : قَدْ اسْتَحْلَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ ، وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ ، وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ ، وَأَسْرَوْا فِيهِ الرِّجَالَ . فَقَالَ مِنْ يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَتَى كَانَ بِمَكَّةَ : إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شُعْبَانَ . وَقَالَتْ يَهُودُ ، تَفَائِلُ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ؛ عَمْرُو عَمَرَتِ الْحَرْبَ ، وَالْحَضْرَمِيُّ حَضَرَتِ الْحَرْبَ ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَقَدَّتِ الْحَرْبَ . فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كِبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَتِّلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ [البقرة : ٢١٧] أي ؛ إِنْ كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَدْ صَدَّوْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْكُفْرِ بِهِ ، وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِخْرَاجِكُمْ مِنْهُ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ ، أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ ﴾ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ أي : قَدْ كَانُوا يَفْتَنُونَ الْمُسْلِمَ عَنْ دِينِهِ حَتَّى يَرُدُّوهُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، فَذَلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ ، ثُمَّ هُمْ مُقِيمُونَ عَلَى أَخْبَثَ ذَلِكَ وَأَعْظَمَهُ غَيْرَ تَائِبِينَ وَلَا نَازِعِينَ ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَتِّلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ الْآيَةُ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الْأَمْرِ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّقِّ<sup>(٤)</sup> ، قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَبِيرَ وَالْأَسِيرِينَ ، وَبَعَثَ قُرَيْشَ فِي فِدَاءِ عُثْمَانَ وَالْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا نَفْدِيكُمْوَهُمَا حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا - يَعْنِي سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ - فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا ، فَإِنْ قَتَلُوهُمَا ، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ » . فَقَدِمَ سَعْدٌ وَعُتْبَةُ ، فَأَفْدَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَأَمَّا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَتَلَ يَوْمَ بَثْرَ مَعُونَةَ شَهِيدًا ، وَأَمَّا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ ، فَمَاتَ بِهَا كَافِرًا .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٥ / ١ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٣ / ١ - ٦٠٤ ) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٣٦٨ / ١ - ٣٧٢ ) .

(٤) ورواه البيهقي في « السنن الكبرى » ( ١١ / ٩ ) وحسنه الحافظ ابن حجر في « العجايب في بيان الأسباب » وسيأتي عند المصنف من رواية ابن أبي حاتم .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٤ / ١ - ٦٠٥ ) .

(٦) الشفق : الخوف .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : والحديث في ذلك عن الزهريّ ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن الزهريّ<sup>(٣)</sup> ، وكذا روى شعيب<sup>(٤)</sup> ، عن الزهريّ ، عن عروة نحوه من هذا ، وفيه : وكان ابن الحضرميّ أول قتل بين المسلمين والمشركين .

وقال عبد الملك بن هشام<sup>(٥)</sup> : هو أول قتل قتله المسلمون ، وهذه أول غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أول من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدّم فيما رواه الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> ، عن سعد بن أبي وقاص أنّه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام .

وقد ذكرنا في « التفسير »<sup>(٧)</sup> لما أورده ابن إسحاق شواهد [ مسندة ] .

فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدميّ حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدثني الحضرميّ ، عن أبي السّوّار ، عن جندب بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ بعث رهطاً ، وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح - أو عبيدة بن الحارث - فلما ذهب ينطلق بكى صباة<sup>(٨)</sup> إلى رسول الله ﷺ ، فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحش ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : « لا تكرهنّ أحداً على السّير معك من أصحابك » . فلما قرأ الكتاب استرجع ، وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخبّره الخبر ، وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيّتهم ، فلقوا ابن الحضرميّ ، فقتلوه ، ولم يدروا أنّ ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٥ / ١ ) .

(٢) انظر « سيرة ابن هشام » ( ٦٠٥ / ١ ) .

(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٠ / ٣ - ٢١ ) .

(٤) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٧ / ٣ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٥ / ١ ) .

(٦) تقدم في ص ٢٤ .

(٧) ذكره المؤلف في « تفسيره » ( ٣٦٨ / ١ ) بسند ابن أبي حاتم ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » ( ٢٥٠ / ١ ) إلى ابن أبي حاتم وغيره .

(٨) أي : شوقاً .

المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام . فأنزل الله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ الآية [ البقرة : ٢١٧ ] .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في « تفسيره »<sup>(١)</sup> : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية ، وكانوا سبعة نفر ، عليهم عبد الله بن جحش ، وفيهم عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان ، وسهل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعي ، حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل<sup>(٢)</sup> ، فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب ، فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ؛ فإنني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ ، فسار ، وتخلّف عنه سعد وعتبة ؛ أضلّا راحلة لهما ، فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كيسان ، والمغيرة بن عثمان ، وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمر بن الحضرمي ، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون ، وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله ، وهو أول من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون : إنما قتلناه في جمادى .

قال السدي : وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب ، وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رثي تلك الليلة ، فالله أعلم .

وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس أن ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ، ولم يشعروا<sup>(٣)</sup> .

وكذا تقدّم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم .

وقد تقدّم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة ، دخل أولئك في الحرم ، فيتعذّر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك .

وذكره المصنف في « تفسيره » ( ٣٦٨/١ ) بسنده عن السدي . ورواه الطبري في « تفسيره » ( ٣٤٩/٢ ) عن السدي .

(٢) ملل : اسم موضع على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة من ناحية مكة بين الحرمين . انظر « معجم البلدان » ( ٦٣٧/٤ ) و« المغانم المطابة » ص ( ٣٩١ ) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٣٦٩/١ ) و« تفسير الطبري » ( ٣٥٠/٢ - ٣٥١ ) .



وكذا قال الزُّهريُّ ، عن عروة . رواه البيهقي<sup>(١)</sup> ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان .  
 قال الزُّهريُّ ، عن عروة : فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ ، عقل<sup>(٢)</sup> ابن الحضرميَّ ، وحرّم الشهر الحرام كما  
 كان يحرمه ، حتى أنزل الله « براءة » رواه البيهقي<sup>(٣)</sup> .  
 قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فقال أبو بكر الصديق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشرّكين فيما قالوا من  
 إحلال الشهر الحرام .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : هي لعبد الله بن جحش : [ من الطويل ]

تعدّون قتلاً في الحرام عزيمة	وأعظم منه لو يرى الرّشد راشد
صدودكم عمّا يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
وأخرجكم من مسجد الله أهله	لئلا يرى الله في البيت ساجد
فإنّا وإن عيّرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقىنا من ابن الحضرميّ رماحنا	بنخلة لمّا أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا	ينازعه غلّ من القدّ عاند <sup>(٦)</sup>

### فصل

في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

قال بعضهم : كان ذلك في رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم ، وهو رواية عن  
 محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup>  
 وقد روى أحمد<sup>(٨)</sup> عن ابن عباس ما يدلّ على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي .

- 
- (١) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١ / ٣ ) .  
 (٢) قال ابن الأثير : العقل : الدّية ، وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدّية من الإبل ، فعقلها في فناء أولياء  
 المقتول ؛ أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدّية عقلاً بالمصدر . « النهاية في غريب  
 الحديث والأثر » ( ٢٧٨ / ٣ ) .  
 (٣) انظر « دلائل النبوة » ( ١٨ / ٣ ) .  
 (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٥ / ١ - ٦٠٦ ) .  
 (٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٥ / ١ ) .  
 (٦) عاند : سائل بالدم لا ينقطع . انظر « شرح غريب السيرة » للبخشي ( ٣٣ / ٢ ) .  
 (٧) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ٢٤٢ / ١ ) ، وتفسير « الطبري » ( ٣ / ٢ - ٥ ) و« دلائل النبوة »  
 ( ٥٧٥ / ٢ ) .  
 (٨) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٢٥ / ١ ) ، وهو حديث صحيح .

والله أعلم . وقيل : في شعبان منها . قال ابن إسحاق : بعد غزوة عبد الله بن جحش . ويقال : صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة<sup>(١)</sup>

وحكى هذا القول ابن جرير<sup>(٢)</sup> ، من طريق السدي بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

[ وبه ] قال الجمهور الأعظم ؛ إنها صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى<sup>(٣)</sup> عن محمد بن سعد ، عن الواقدي أنها حوّلت يوم الثلاثاء النصف من شعبان<sup>(٤)</sup> ، وفي هذا التحديد نظرٌ ، والله أعلم .

وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في « التفسير »<sup>(٥)</sup> عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »<sup>(٦)</sup> [ البقرة : ١٤٤ ] . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطغام<sup>(٧)</sup> على ذلك ؛ لأنه أول نسخ وقع في الإسلام . هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النسخ عند قوله<sup>(٨)</sup> : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا<sup>(٩)</sup> نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِنْهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [ البقرة : ١٠٦ ] .

وقد قال البخاري<sup>(١٠)</sup> : حدثنا أبو نعيم ، سمع زهيراً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً [ أو سبعة عشر شهراً ] ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه ، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله ، لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة . فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٦ / ١ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤١٦ / ٢ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤١٦ / ٢ ) .

(٤) انظر « شذرات الذهب » ( ١١٤ / ١ ) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .

(٥) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٢٧٨ - ٢٨٠ ) .

(٦) هكذا في ( آ ) و ( ط ) بالتاء ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي . انظر « حجة القراءات » لابن مجاهد ص ( ١١٦ - ١١٧ ) .

(٧) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . انظر « لسان العرب » ( طغم ) .

(٨) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٢١٤ - ٢١٨ ) .

(٩) هكذا في ( آ ) و ( ط ) وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقر : ( نُنسها ) . انظر « تفسير » القرطبي ( ٦٨ - ٦٧ / ١ ) و « حجة القراءات السبعة » لابن مجاهد ( ١٠٩ - ١١٠ ) .

(١٠) رواه « البخاري » ( ٤٤٨٦ ) .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ورواه مسلم<sup>(١)</sup> من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا الحسن بن عطية ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدْ زَرَى ثَقْلُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . قال : فوجه نحو الكعبة . وقال السفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فأنزل الله : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

وحاصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> ، عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلّى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة ، واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً . وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام ، يحب أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبله إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله ، عز وجل ، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك ، فأنزل الله عز وجل<sup>(٤)</sup> : ﴿ قَدْ زَرَى ثَقْلُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ الآية .

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك . كما رواه النسائي<sup>(٥)</sup> ، عن أبي سعيد بن المعلى ، وأن ذلك كان وقت الظهر .

وقال بعض الناس<sup>(٦)</sup> : نزل تحويلها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيد ذلك ما ثبت في « الصحيحين »<sup>(٧)</sup> ، عن البراء أن أول صلاة صلاها ، عليه السلام ، إلى الكعبة بالمدينة ، العصر . والعجب أن أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصبح من اليوم الثاني .

كما ثبت في « الصحيحين »<sup>(٨)</sup> ، عن ابن عمر قال : بينما الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم

(١) رواه « مسلم » ( ٥٢٥ ) .

(٢) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٢٧٤ / ١ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٢٥ / ١ ) وهو حديث صحيح .

(٤) انظر « تفسير الطبري » ( ١٩ / ٢ - ٢٤ ) و« تفسير ابن كثير » ( ٢٧٨ / ١ ) .

(٥) رواه النسائي ( ٥٥ / ٢ ) ( ٧٣١ ) وفي السنن الكبرى ( ١١٠٠٤ ) وإسناده ضعيف .

(٦) انظر « تفسير الطبري » ( ١٤٩ / ٢ ) .

(٧) رواه البخاري ( ٤٠ ) ، ومسلم ( ٥٢٥ ) مع إبهام الصلاة .

(٨) رواه البخاري ( ٤٠٣ ) ومسلم ( ٥٢٦ ) .

آتٍ ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> ، عن أنس بن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنه لما نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة الأغبياء ، وقالوا : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أن ذلك من الله ؛ لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم ؛ من أن المدينة مهاجرة ، وأنه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال<sup>(٢)</sup> : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كله عن سؤالهم ، وتعتّهم ، فقال<sup>(٣)</sup> : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَّهُمْ مِنْ قِبَلِهِمُ الْآلِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي ؛ هو المالك المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، ويحكم ما يريد في شرعه ، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضلّ من يشاء عن الطريق القويم ، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرضا والتسليم .

ثم قال تعالى<sup>(٤)</sup> : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي ؛ خياراً ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم ، وهديناكم إلى قبله أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلي بها موسى فمن قبله من المرسلين ، كذلك جعلناكم خيار الأمم ، وخلاصة العالم ، وأشرف الطوائف ، وأكرم التّالذ والطّارف<sup>(٥)</sup> ؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس ؛ لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم ، كما ثبت في « صحيح البخاري »<sup>(٦)</sup> ، عن أبي سعيد مرفوعاً من استشهد نوح بهذه الأمة يوم القيامة . وإذا استشهد بهم نوح مع تقدّم زمانه ، فمن بعده بطريق الأولى والأخرى .

ثم قال تعالى مبيناً حكمته في حلول نعمته بمن شكّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدّق وتابع هذه الكائنة ، فقال<sup>(٧)</sup> : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﴾ .

(١) رواه مسلم رقم ( ٥٢٧ ) .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » ( ١ / ٢٨٠ ) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » ( ١ / ٢٧٤ - ٢٧٥ ) .

(٤) انظر « تفسير ابن كثير » ( ١ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ) .

(٥) التالذ والطارف : القديم والحديث من المال .

(٦) رواه « البخاري » ( ٣٣٣٩ ) .

(٧) انظر « تفسير ابن كثير » ( ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ) .

قال ابن عباس<sup>(١)</sup> : «إِلَّا لَنَرَى ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أَي : وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْكَائِنَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَوْقِعِ كَبِيرَةُ الْمَحَلِّ شَدِيدَةُ الْأَمْرِ ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أَي : فَهَم مَوْمَنُونَ بِهَا مُصَدِّقُونَ لَهَا ، لَا يَشْكُونَ وَلَا يَرْتَابُونَ بَلْ يَرْضَوْنَ وَيَسْلَمُونَ ، وَيُؤْمِنُونَ ، وَيَعْمَلُونَ ؛ لِأَنَّهُمْ عَبِيدٌ لِلْحَاكِمِ الْعَظِيمِ الْقَادِرِ الْمُقْتَدِرِ الْحَلِيمِ الْخَبِيرِ اللَّطِيفِ الْعَلِيمِ .

وقوله<sup>(٢)</sup> : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ﴾ أَي : بِشَرْعَتِهِ اسْتِقْبَالَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَالصَّلَاةِ إِلَيْهِ . ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءَوْفٌ رَجِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جداً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط في « التفسير »<sup>(٣)</sup> ، وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا « الأحكام الكبير »<sup>(٤)</sup>

وقد روى الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا حَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عُمَرَ<sup>(٦)</sup> بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي فِي أَهْلِ الْكِتَابِ - : « إِنْهُمْ لَمْ يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَنَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا<sup>(٧)</sup> وَضَلُّوا عَنْهَا<sup>(٨)</sup> » ، وَعَلَى الْقَبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا ، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ : آمِينَ .

## فصل

### في فرضية صوم شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر<sup>(٩)</sup>

قال ابن جرير<sup>(١٠)</sup> : وفي هذه السنة فرض شهر رمضان . وقد قيل : إنه فرض في شعبان منها . ثم حكى<sup>(١١)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى ، فَقَالَ : « نَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى [ مِنْكُمْ ] فَصَامَهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ

(١) انظر « تفسير الطبري » ( ١٣ / ٢ - ١٤ ) و « تفسير القرطبي » ( ١٥٦ / ٢ ) .

(٢) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٢٧٨ / ١ ) .

(٣) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٢٧٣ / ١ - ٢٨٠ ) .

(٤) قلت : وهو مما لم يتمه رحمه الله . قال ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » ( ٣٩٩ / ٨ ) بتحقيقي عند تعداد مؤلفاته : ( ( وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج ) ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١٣٤ / ٦ - ١٣٥ ) وهو حديث صحيح .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « عمرو » . والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » . وانظر « تهذيب الكمال » ( ٤٨٤ / ٢ ) .

(٧) في ( آ ) : « إليها » والمثبت من ( ط ) .

(٨) لفظ : ( ( عنها ) ) سقط من ( ط ) .

(٩) انظر « شذرات الذهب » ( ١١٤ / ١ ) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .

(١٠) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤١٧ / ٢ ) .

(١١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤١٧ / ٢ ) .

بصيامه . وهذا الحديث ثابت في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> عن ابن عباس .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿١٨٥﴾ الآية [ البقرة : ١٨٣ - ١٨٥ ] .

وقد تكلمنا على ذلك في « التفسير »<sup>(٢)</sup> بما فيه كفاية من إيراد الأحاديث المتعلقة بذلك ، والآثار المروية في ذلك ، والأحكام المستفادة منه ، والله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا أبو النضر ، حدثنا المسعودي ، حدثنا عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال . فذكر أحوال الصلاة ، قال : وأما أحوال الصيام ، فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء ، ثم إن الله ، عز وجل ، فرض عليه الصيام ، وأنزل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً ، فأجزأ ذلك عنه .

ثم إن الله ، عز وجل ، أنزل الآية الأخرى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام ، فهذان حولان . قال : وكانوا يأكلون ، ويشربون ، ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له : صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ، ثم نام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً ، فقال : « ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ » فأخبره . قال : وكان عمر قد أصاب من النساء<sup>(٤)</sup> بعدما نام ، فأتى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَتْلِ ﴾ [ البقرة : ١٨٧ ] .

ورواه أبو داود في « سننه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث المسعودي نحوه<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه البخاري ( ٢٠٠٤ ) ومسلم ( ١١٣٠ ) .

(٢) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٣٠٥ / ١ - ٣١٣ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٤٦ / ٥ ) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٤) بعده في « مسند الإمام أحمد » : « من جارية أو من حُرّة » .

(٥) رواه أبو داود ( ٥٠٧ ) والحاكم في « المستدرک » ( ٢٧٤ / ٢ ) .

وفي « الصحيحين »<sup>(١)</sup> من حديث الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلما نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر .

وللبخاري<sup>(٢)</sup> عن ابن عمر وابن مسعود مثله ، ولتحريير هذا موضع آخر من « التفسير »<sup>(٣)</sup> ، ومن « الأحكام الكبير » وبالله المستعان .

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إن رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .

قال : وفيها صلى النبي ﷺ صلاة العيد ، وخرج بالناس إلى المصلى ، فكان أول صلاة عيد صلاحها ، وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزبير ، وهبها له النجاشي ، فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد .

قلت : وفي هذه السنة ، فيما ذكره غير واحد من المتأخرين ، فرضت الزكاة ذات النصب ، كما سيأتي تفصيل ذلك كله بعد وقعة بدر ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

### غزوة بدر العظمى

#### يوم الفرقان يوم التقى الجمعان<sup>(٥)</sup>

قال الله تعالى<sup>(٦)</sup> : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

وقال الله تعالى<sup>(٧)</sup> : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴾ ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَوِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ لِيُخَوِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

- (١) رواه البخاري رقم ( ٢٠٠١ ) ومسلم رقم ( ١١٢٥ ) .
- (٢) رواه البخاري ( ١٨٩٢ ) عن ابن عمر ، و ( ٤٥٠٣ ) عن ابن مسعود . ورواه أيضاً مسلم في ( ١١٢٦ ) و ( ١١٢٧ ) عنهما .
- (٣) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٣٠٥ / ١ - ٣٢٥ ) .
- (٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤١٨ / ٢ ) .
- (٥) قال ابن أبي شيبة في « المغازي » رقم ( ١٢٠ ) : ( ( كانت بدر لسبع عشرة من رمضان في يوم جمعة ) ) ثم أورد رواية أخرى عقبها بـ رقم ( ١٢١ ) ولفظها : ( ( وكانت بدر يوم الاثنين لسبع عشرة من رمضان ) ) .
- (٦) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٩٢ / ٢ - ٩٣ ) .
- (٧) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٥٥٣ / ٣ - ٥٥٨ ) .

الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ وما بعدها إلى تمام القصّة من سورة « الأنفال » ، وقد تكلمنا عليها هنالك<sup>(١)</sup> ، وسنورد هاهنا في كلّ موضع ما يناسبه .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، رحمه الله ، بعد ذكره سرية عبد الله بن جحش : ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام في غير قريش عزيمة ، فيها أموال وتجارة ، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون ، منهم مخزومة بن نوفل ، وعمرو بن العاص .

قال موسى بن عقبة<sup>(٣)</sup> ، عن الزهري : كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرمي بشهرين . قال : وكان في العير ألف بعير ، تحمل أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزى ، فلهذا تخلف عن بدر .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عباس ، كلّ قد حدثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه غير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ؛ لعل الله ينفلكموها » فانتدب الناس ، فخفف<sup>(٥)</sup> بعضهم وثقل بعضٌ ؛ وذلك أنهم لم يظنوا أنّ رسول الله ﷺ يلقي حرباً ، وكان أبو سفيان ، حين دنا من الحجاز ، يتحسّس<sup>(٦)</sup> الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ؛ تخوفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أنّ محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : فحدثني من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالوا : وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب ، قبل قدوم ضمضم إلى مكة بثلاث ليالٍ ، رؤيا أفرعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أظفعتني ، وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبةٌ ، فاکتم عليّ ما أحدثك . قال لها : وما رأيت؟

(١) انظر القصة بتمامها وما يتعلّق بها ، في « التفسير » للمؤلف ( ٥٥٣/٣ - ٥٧٣ ) ولتمام الفائدة راجع « المغازي » لابن أبي شيبة رقم ( ١٢٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٦/١ ) .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٠٢/٣ ) وذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » في « المغازي » منه ص ( ١٠٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٦/١ - ٦٠٧ ) .

(٥) في ( آ ) : « فخفف » والمثبت من ( ط ) .

(٦) في ( آ ) : « يتجسس » . وتحسّس الخبر : تطلّبه وتبيّحه ، والتحسّس شبه التسعّع والتبصّر . « لسان العرب » ( حسس ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٧/١ - ٦٠٩ ) و« تاريخ الطبري » ( ٤٢٨/٢ ) .



قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا ، يا لغدر<sup>(١)</sup> ، لمصارعكم في ثلاثٍ . [ فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فيبينما هم حوله ، مثل<sup>(٢)</sup> به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا ، يا لغدر ، لمصارعكم في ثلاثٍ ] . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس<sup>(٣)</sup> ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة ولا دارٌ إلا دخلتها منها فلقة<sup>(٤)</sup> . قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميهما ، لا تذكريهما لأحدٍ .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه<sup>(٥)</sup> عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريشٌ . قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلما رأني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهل : يا بني عبد المطلب [ متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ ] قال : قلت : وما ذاك؟ قال : تلك الرؤيا التي رأيت عاتكة . قال : قلت : وما رأيت؟ قال : يا بني عبد المطلب [ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟ ] قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّه قال : انفروا في ثلاثٍ . فسنتربصّ بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول ، فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيءٌ ، نكتب عليكم كتاباً ؛ أنكم أكذب أهل بيتٍ في العرب . قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير شيءٍ ، إلا أنّي جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأيت شيئاً . قال : ثم تفرّقنا ، فلما أمسيت لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة [ لشيءٍ ] ممّا سمعت؟! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرّضنّ له ، فإذا عاد لأكفيكته . قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مغضبٌ ، أرى أنّي قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إنّني لأمشي نحوه ، أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتد<sup>(٦)</sup> . قال : قلت في نفسي : ما له ، لعنه الله ، أكلّ هذا فرقٌ مني أن أشاتمّه؟! وإذا هو قد سمع ما لم

(١) قال السهيلي في « الروض الأنف » ( ١١٦/٥ ) : هكذا هو بضم الغين والذال ؛ جمع غُدُورٍ . . . أي إن تخلّفتُم فأنتم غُدُرٌ لقومكم .

(٢) أي : قام منتصباً . انظر « القاموس المحيط » ( مثل ) .

(٣) أبو قبيس : هو اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قيعقان ومكة بينهما . انظر « معجم البلدان » ( ٨٠/١ ) .

(٤) الفلقة : القطعة .

(٥) في ( آ ) و ( ط ) : « لابنه » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » ، و « تاريخ الطبري » .

(٦) أي يسرع .

أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحول رحله ، وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللّطيمة اللّطيمة<sup>(١)</sup> ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر ، فتجهّز الناس سراعاً وقالوا : أيظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟! والله ليعلمنّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عقبة<sup>(٢)</sup> رؤيا عاتكة ، كنجو من سياق ابن إسحاق . قال<sup>(٣)</sup> : فلما جاء ضمضم بن عمرو على تلك الصّفة ، خافوا من رؤيا عاتكة ، فخرجوا على الصّعب والدّلّول .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فكانوا بين رجلين ؛ إمّا خارج وإمّا باعثٍ مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش<sup>(٥)</sup> ، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إلّا أنّ أبا لهب بن عبد المطلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، قد أفلس بها .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحديثي ابن أبي نجيح ، أنّ أمية بن خلفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيط وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراي قومه ، بمجمرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومجمر<sup>(٧)</sup> ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استجمر ، فإنّما أنت من النساء . قال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به . قال : ثم تجهّز ، وخرج مع الناس . هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصّة .

وقد رواها البخاري<sup>(٨)</sup> على نحو آخر ، فقال : حدّثني أحمد بن عثمان ، حدّثنا شريح بن مسلمة ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، حدّثني عمرو بن ميمون ، أنّه سمع عبد الله بن مسعودٍ حدّث عن سعد بن معاذٍ أنّه كان صديقاً لأمية بن خلفٍ ، وكان أمية إذا مرّ بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذٍ ، وكان سعدٌ إذا مرّ بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انطلق سعد بن معاذٍ معتمراً ، فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة ؛ لعلّي أطوف بالبيت . فخرج به قريباً

(١) اللطيمة : الجمال التي تحمل العطر والبزّ ، غير الميرة . والمعنى أدركوها . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٢٥١ / ٤ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٠٣ / ٣ - ١٠٤ ) .

(٣) أي موسى بن عقبة . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٠٥ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٠٩ / ١ - ٦١٠ ) .

(٥) أي خرجوا بأجمعهم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٢٠٦ / ٥ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٠ / ١ ) . قال الحافظ في « فتح الباري » ( ٢٨٤ / ٧ ) : بين ابن إسحاق - في روايتنا هذه - الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة .

(٧) المجمرة : ما يُوضع فيه الجمر مع البخور . والمجمّر : العود يُتبخر به . انظر « لسان العرب » ( جمر ) .

(٨) انظر « صحيح البخاري » ( ٣٩٥٠ ) .

من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل ، فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك؟ قال : هذا سعدٌ . قال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمناً ، وقد آوَيْتُم الصَّباة<sup>(١)</sup> ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتُعِينونهم ، أما والله ، لولا أنك مع أبي صفوان ، ما رجعت إلى أهلِكَ سالماً . فقال له سعدٌ ، ورفع صوته عليه : أما والله ، لئن منعتني هذا ، لأمنعَنَّك ما هو أشدَّ عليك منه ؛ طريقك على المدينة . فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنه سيّد أهل الوادي ، قال سعدٌ : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنهم قاتلوك » . قال : بمكة؟ قال : لا أدري . ففرع لذلك أمية فزعاً شديداً ، فلمّا رجع إلى أهله قال : يا أمّ صفوان ، ألم تري ما قال لي سعدٌ؟ قالت : وما قال لك؟ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي ، فقلت له : بمكة؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكة . فلمّا كان يوم بدرٍ ، استنفر أبو جهل الناس فقال : أدركوا غيركم ، فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيّد أهل الوادي ، تخلفوا معك . فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أمّا إذ غلبتني<sup>(٢)</sup> ، فوالله لأشترين أجود بغير بمكة . ثم قال أمية : يا أمّ صفوان ، جهّزيني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك الثريبي؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلّا قريباً . فلمّا خرج أمية ، أخذ لا ينزل منزلاً إلّا عقل بغيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدرٍ .

وقد رواه البخاري في موضع آخر<sup>(٣)</sup> ، عن أحمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق به نحوه . تفرد به البخاري<sup>(٤)</sup>

وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> ، عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيد ، كلاهما عن إسرائيل ، وفي رواية إسرائيل : قالت له امرأته : والله إن محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان<sup>(٧)</sup> بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتونا من خلفنا . وكانت الحرب التي كانت بين قريش وبين بني بكر ، في ابن لحفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي ؛ قتله رجلٌ من بني بكر بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفص ، فقتل عامراً وخاض بسيفه في

(١) يقصد رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين من مكة إلى المدينة . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري »

(٢٨٣/٧) : (( الصباة ؛ بضم المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع صابىء بموحدة مكسورة ثم تحتانية خفيفة بغير

همزة ، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين )) .

(٢) في (آ) و(ط) : « عبتني » وأثبت لفظ « صحيح البخاري » .

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٢) .

(٤) في (آ) و(ط) : « محمد بن إسحاق » والتصحيح من « صحيح البخاري » .

(٥) في « المسند » (٤٠٠/١) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦١٠ - ٦١١) .

(٧) في (ط) : « ما كانوا » .

بطنه ، ثم جاء من الليل فعلقه<sup>(١)</sup> بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك أن يثنى عليهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه [ بن مالك ] بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌّ من أن تأتاكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعاً .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [٤٧-٤٨] . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴿ [ الأنفال : ٤٧ - ٤٨ ] . غرهم - لعنه الله - حتى ساروا ، وسار معهم منزلة منزلة ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحد منهم ، فأسلمهم لمصارعهم ، فلما رأى الجند والملائكة تنزل للنصر ، وعابن جبريل ، نكص على عقبيه ، وقال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله . وهذا كقوله [ تعالى ]<sup>(٤)</sup> : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إني بَرِيءٌ مِنْكَ إني أخاف الله ربَّ العالمين ﴾ [ الحشر : ١٦ ] .

وقد قال [ الله ] تعالى<sup>(٥)</sup> : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [ الإسراء : ٨١ ] . فإبليس - لعنه الله - لما عابن الملائكة يومئذ تنزل للنصر ، فرّ ذاهباً ، فكان أول من هرب يومئذ ، بعد أن كان هو المشجع لهم ، المجير لهم ، كما غرهم ووعدهم ومناههم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

وقال يونس<sup>(٦)</sup> عن ابن إسحاق : خرجت قريش على الصعب والذلّول ، في تسعمئة وخمسين مقاتلاً ، معهم مئتا فرس يقودونها ، ومعهم القيان يضربن بالدفوف ، ويغنين بهجاء المسلمين ، وذكر المطعمين لقريش يوماً يوماً .

وذكر الأموي<sup>(٧)</sup> أن أول من نحر لهم ، حين خرجوا من مكة ، أبو جهل ؛ نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أمة بن خلف بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشراً ، ومالوا من قديد إلى مياه نحو

(١) أي سيف عامر .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦١٢ ) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٤ / ١٦ - ١٩ ) .

(٤) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٨ / ١٠١ - ١٠٢ ) .

(٥) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٥ / ١٠٩ ) .

(٦) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٢ ) .

(٧) وأخرجه الواقدي في « المغازي » ( ١ / ١٤٤ ) عن موسى بن عقبة ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ١٠٩ -

البحر ، فظَلُّوا فيها وأقاموا بها يوماً ، فنحر لهم شية بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة ، فنحر لهم يومئذ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء ، فنَحَرَ لهم نبيه ومنبّه ابنا الحجاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشراً ، ونحر لهم على ماء بدر أبو البختريّ عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأمويّ : [ حدّثنا أبي ] حدّثنا أبو بكر الهذليّ قال : كان مع المشركين ستون فرساً وستمئة درع ، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكة ، ومسيرهم إلى بدر . وأمّا رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، وردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، واستعمله على المدينة ، ودفع اللّواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ؛ إحداهما مع عليّ بن أبي طالب ، يقال لها : العقاب . والأخرى مع بعض الأنصار .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .

وقال الأمويّ : وكان معهم فرسان كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وجعل رسول الله ﷺ على السّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النّجار .

وقال الأمويّ<sup>(٤)</sup> : وكان معهم فرسان ، على إحداهما مصعب بن عمير ، وعلى الأخرى الزبير بن العوّام ، ومرة سعد بن خيثمة ، ومرة المقداد بن الأسود .

وقد روى الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد .

وروى البيهقي<sup>(٦)</sup> ، من طريق ابن وهب ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجليّ<sup>(٧)</sup> ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباسٍ أنّ عليّاً قال له : ما كان معنا إلّا فرسان ؛ فرسٌ للزبير ، وفرسٌ للمقداد بن الأسود . يعني يوم بدرٍ .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٢/١ - ٦١٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٣/١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٣/١ ) .

(٤) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١١٠/٣ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١٢٥/١ ، ١٣٨ ) وهو حديث صحيح .

(٦) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٩/٣ ) .

(٧) في ( آ ) و ( ط ) : « البلخي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » ( ٣٠٣/٣٤ ) .

قال الأموي<sup>(١)</sup> : حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن البهي<sup>(٢)</sup> قال : كان مع رسول الله ﷺ يوم بدر فارسان ؛ الزبير بن العوام على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان معهم سبعون بغيراً يعتقبونها<sup>(٤)</sup> ، فكان رسول الله ﷺ وعليّ ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بغيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة<sup>(٥)</sup> يعتقبون بغيراً . كذا قال ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : حدثنا عفان ، عن حماد بن سلمة ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبیش ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنّا يوم بدر كلّ ثلاثة على بغير ؛ كان أبو لبابة وعليّ زميلي رسول الله ﷺ . قال : فكانت عقبه<sup>(٧)</sup> رسول الله ﷺ ، فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النسائي<sup>(٨)</sup> عن الفلاس ، عن ابن مهديّ ، عن حماد بن سلمة به .

قلت : ولعلّ هذا كان قبل أن يردّ أبا لبابة من الروحاء ، ثم كان زميلاه عليّ ومرثد بدل أبي لبابة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٩)</sup> : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى<sup>(١٠)</sup> ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة : أنّ رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر . وهذا على شرط « الصحيحين » . وإثما رواه النسائي<sup>(١١)</sup> ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المزيّ في « الأطراف »<sup>(١٢)</sup> : وتابعه سعيد بن بشير<sup>(١٣)</sup> ، عن قتادة ، وقد رواه

(١) انظر « تاريخ الإسلام » ، « المغازي » ص ( ٧٩ ) .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « التيمي » . والتصحيح من « تهذيب الكمال » ( ٧٠ / ٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٣ / ١ ) .

(٤) أي يتعاقبونها في الركوب واحداً بعد واحد . انظر « لسان العرب » ( عقب ) .

(٥) وهو من موالى رسول الله ﷺ انظر ترجمته في « أسد الغابة » ( ١٥٦ / ١ ) و « الإصابة » ( ١٣٥ / ١ ) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٤١١ / ١ ) وهو حديث حسن من أجل عاصم بن بهدلة .

(٧) أي جاءت نوبته ووقت ركوبه . انظر « لسان العرب » ( عقب ) .

(٨) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٨٠٧ ) .

(٩) في « المسند » ( ١٥٠ / ٦ ) وهو حديث صحيح .

(١٠) في ( آ ) و ( ط ) : « زرارة بن أبي أوفى » وهو خطأ . والتصحيح من « تهذيب الكمال » ( ٣٣٩ / ٩ ) .

(١١) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٨٠٩ ) .

(١٢) يعني « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » والنقل منه ( ٤١٠ / ١١ ) .

(١٣) في ( آ ) و ( ط ) : « سعيد بن بشر » والتصحيح من « تحفة الأشراف » وانظر « تهذيب الكمال » ( ٣٤٩ / ١٠ ) .

هشام ، عن قتادة ، عن زرارة ، عن أبي هريرة<sup>(١)</sup> ، قاله أعلم .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : حدثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، إلا في غزوة تبوك ، غير أنني تخلفت عن غزوة بدر ، ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، تفرّد به .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فسلّم رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مرّ على ثربان ، ثم على ملّ ، ثم على غميس الحمام ، ثم على صخيرات اليمامة ، ثم على السّيالة ، ثم على فجّ الرّوحاء ، ثم على شنوكة ، وهي الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الطّبية ، لقي رجلاً من الأعراب ، فسأله عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلّم على رسول الله ﷺ . قال : أوفيكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم . فسلم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله ، فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقش : لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ ، فأنا أخبرك عن ذلك ؛ نزوت عليها ، ففي بطنها منك سخلة . فقال رسول الله ﷺ : « مه ، أفحشت على الرجل » . ثم أعرض عن سلمة ، ونزل رسول الله ﷺ سجسج ، وهي بئر الرّوحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ، ترك طريق مكة بيسار وملك ذات اليمين على النّازية ، يريد بدرأ ، فسلّم في ناحية منها ، حتى إذا جزع وادياً<sup>(٤)</sup> يقال له : رُحْقَان<sup>(٥)</sup> بين النّازية وبين مضيق الصّفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريباً من الصّفراء ، بعث بسبس بن عمرو الجهنّي ، حليف بني ساعدة ، وعديّ بن أبي الرّغباء ، حليف بني النّجار إلى بدر ، يتجسّسان له الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حرب وعيره .

وقال موسى بن عقبة<sup>(٦)</sup> : بعثهما قبل أن يخرج من المدينة ، فلمّا رجعا فأخبراه بخبر العير ؛ استنفر الناس إليها ، فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً ، فقد بعثهما مرّتين ، والله أعلم .

(١) انظر « السنن الكبرى » للنسائي ( ٨٨١٠ ) .

(٢) رواه البخاري ( ٣٩٥١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٣-٦١٤ ) .

(٤) جزع الوادي : أي قطعته ولا يكون إلا عَرْضاً . « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٢٦٩ / ١ ) .

(٥) في ( آ ) و ( ط ) : ( ( وحقان ) ) وهو خطأ ، والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٤ / ١ ) و « المغام

المطابة في معالم طابة » للفيروزآبادي ص ( ١٥٤ ) .

(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٠٢ / ٣ ) .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله<sup>(١)</sup> : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمهما ، فلما استقبل الصفراء ، وهي قرية بين جبليْن ، سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما : مُسَلِّحٌ . وللآخر : مُخْرِيٌّ ، وسأل عن أهلها ، فقيل : بنو النار ، وبنو حراقٍ ، بطنان من غفارٍ . فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلها ، فتركهما والصفراء بيسارٍ ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له : ذفران ، فجزع فيه ثم نزل ، وأتاه الخبر عن قريشٍ ومسيرهم ليمنعوا غيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريشٍ ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد<sup>(٢)</sup> ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له [ به ] . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيها الناس » . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا ، نمنعك ممّا يمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره ، إلّا ممّن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله . قال : « أجل » . قال : فقد آمنا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبرٌ في الحرب ، صدقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله . قال : فسّر رسول الله ﷺ بقول سعدٍ ونشطه ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم » . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله<sup>(٣)</sup> .

وله شواهد من وجوه كثيرة ، فمن ذلك ما رواه البخاري في « صحيحه »<sup>(٤)</sup> : حدّثنا أبو نعيم ، حدّثنا

- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦١٤ / ١ ) ولفظ ( ( به ) ) الذي بين الحاصرتين مستدرك منها .  
 (٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد بأقصى اليمن ، وقيل : هو في أقاصي هجر ، انظر « معجم البلدان » ( ٥٨٩ / ١ ) و« الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص ( ٨٦ ) بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس . وقال السهيلي في « الروض الأنف » ( ٦٥ / ٢ ) : « وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة بالحبشة » .  
 (٣) ولتمام الفائدة راجع « زاد المعاد » لابن القيم ( ١٥٤ / ٣ - ١٥٥ ) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .  
 (٤) رواه البخاري ( ٣٩٥٢ ) .



إسرائيل ، عن مخارقٍ ، عن طارق بن شهابٍ قال : سمعت ابن مسعودٍ يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه ، أحب إليّ ممّا عدل به ؛ أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره ، انفرد به البخاريّ دون مسلم ، فرواه في مواضع من « صحيحه » ، من حديث مخارقٍ به<sup>(١)</sup> . ورواه النسائي<sup>(٢)</sup> من حديثه ، وعنده : جاء المقداد يوم بدرٍ على فرسٍ . . . فذكره .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدّثنا عبيدة ، هو ابن حميد ، عن حميد الطويل ، عن أنسٍ قال : استشار النبي ﷺ مخرجه إلى بدرٍ ، فأشار عليه أبو بكرٍ ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم ، فقال بعض الأنصار : إياكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار . فقال بعض الأنصار : يا رسول الله<sup>(٤)</sup> ، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك ، وهذا الإسناد ثلاثيٌّ صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً<sup>(٥)</sup> : حدّثنا عفان ، ثنا حمادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنس بن مالكٍ أنّ رسول الله ﷺ شاور حيث بلغه إقبال أبي سفيان . قال : فتكلّم أبو بكرٍ فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عباد : إيانا يريد رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا . فندب رسول الله ﷺ الناس . قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ ، ووردت عليهم روايا<sup>(٦)</sup> قريشٍ ، وفيهم غلامٌ أسود لبني الحجاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ، فيقول : مالي علمٌ بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، [ وشيبة ] ، وأمّية بن خلفٍ . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه ، قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : مالي بأبي سفيان علمٌ ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمّية [ في الناس ]<sup>(٧)</sup> فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي ، فلمّا رأى ذلك انصرف فقال : « والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم ، وتتركونه إذا كذبكم . قال : وقال

(١) رواه البخاري (٤٦٠٩) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ١١٤٠ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ١٨٨ / ٣ ) .

(٤) كذا في ( آ ) و ( ط ) وفي « المسند » : « فقال قائل الأنصار : تستشيرنا يا نبي الله ؟ » .

(٥) رواه أحمد في المسند ( ٢٥٧ / ٣ - ٢٥٨ ) .

(٦) الروايا : جمع راوية ، والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء . انظر « لسان العرب » ( روي ) .

(٧) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » .

رسول الله ﷺ : « هذا مصرع فلان غداً » . يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا . فما أَمَاط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .

ورواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن أبي بكر ، عن عفان به نحوه .

وقد روى ابن أبي حاتم في « تفسيره » ، وابن مردويه<sup>(٢)</sup> ، واللفظ له ، من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم ، عن أبي عمران ، أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلَةٌ ، فهل لكم أن نخرج قَبْلَ هذه العير ، لعلَّ الله يغنمناها؟ » . فقلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يوماً أو يومين ، قال لنا : « ما ترون في القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟ » . فقلنا : لا والله ، ما لنا طاقةٌ بقتال القوم ، ولكننا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون في قتال القوم؟ » . فقلنا مثل ذلك . فقال المقداد بن عمرو : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . قال : فتمنينا معشر الأنصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد ، أحبَّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيمٌ . قال : فأنزل الله ، عزَّ وجلَّ ، على رسوله : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [ الأنفال : ٥ ] . وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضاً<sup>(٣)</sup> ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، حتى إذا كان بالزَّوْحَاءِ ، خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، بلغنا أنهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال عمر مثل قول أبي بكر ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال سعد بن معاذ : يا رسول الله ، إيتانا تريد ، فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قطّ ، ولا لي بها علمٌ ، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمنٍ ، لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعلَّك أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعدٍ : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ الآيات .

(١) رواه مسلم ( ١٧٧٩ ) .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ( ١٦٣ / ٣ ) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وانظر « تفسير ابن كثير » ( ٥٥٥ / ٣ ) وفي سنده ابن لهيعة ، وفيه كلام .

(٣) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ( ١٨٥٠٧ ) ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة به ، وذكره المصنف في « التفسير » ( ٥٥٥ / ٣ ) بسند ابن مردويه . والسيوطي في « الدر المنثور » ( ١٦٣ / ٣ ) ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه ، وفي سنده محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، وهو صدوق له حسن الحديث ، على أن والده عمرو بن علقمة مجهول ، كما هو مبين في « تحرير التريب » .

وذكره الأموي في « مغازيه »<sup>(١)</sup> ، وزاد بعد قوله : وخذ من أموالنا ما شئت : وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت به من أمرٍ ، فأمرنا تبع لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان<sup>(٢)</sup> ، لنسيرن معك .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من دفران ، فسلك على ثنابا يقال لها : الأصافر ، ثم انحط منها إلى بلدٍ يقال له : الدبة<sup>(٤)</sup> . وترك الحنّان يمين ، وهو كثيبٌ عظيمٌ كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدرٍ ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه .

قال ابن هشام : هو أبو بكر .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : - كما حدّثني محمد بن يحيى بن حبان - : حتى وقف على شيخٍ من العرب ، فسأله عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال : أو ذاك بذاك؟ قال : « نعم » . قال الشيخ : فإنه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسول الله ﷺ - وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريشٌ - فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نحن من ماء » . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماء؟ أمّن ماء العراق؟ قال ابن هشام : يقال لهذا الشيخ : سفيان الضمري .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلمّا أمسى بعث عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاصٍ ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ ، يلتمسون الخبر له ، كما حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير<sup>(٧)</sup> ، فأصابوا راويةً لقريشٍ ، فيها أسلم غلام بني الحجاج ، وعريضٌ أبو يسارٍ غلام بني العاص بن سعيدٍ ، فأتوا بهما ، فسألوهما ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي ، فقالوا : نحن سقاة قريشٍ ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ،

(١) انظر « سبل الهدى والرشاد » ( ٤٢ / ٤ ، ٤٣ ) .

(٢) غمدان : قصبة صنعاء باليمن ، كان الضحاك بناء على اسم الزهرة ، وخزّبه عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فصار تلاً عظيماً . انظر « الروض المعطار » ص ( ٤٢٩ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦١٥ - ٦١٦ ) ، و« تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٣٥ ) .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « الدبة » ، والتصحيح من هامش ( ط ) و« السيرة النبوية » و« تاريخ الطبري » . والدبة : بلد بين الأصافر وبدر . انظر « معجم البلدان » ( ٢ / ٥٤٧ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦١٦ ) و« تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٣٥ - ٤٣٦ ) وهو مرسل .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦١٦ - ٦١٧ ) .

(٧) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٣٦ ) ، و« دلائل البيهقي » ( ٣ / ٤٢ - ٤٣ ) .

فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما<sup>(١)</sup> قالوا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ ، وسجد سجديته وسلّم ، وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقا والله ، إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش » . قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى . والكتيب : العقنقل<sup>(٢)</sup> . فقال لهما رسول الله ﷺ : « كم القوم ؟ » قالوا : كثيرٌ . قال : « ما عدّتهم ؟ » . قالوا : لا ندري . قال : « كم ينحرون كلّ يوم ؟ » . قالوا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التسعمئة إلى الألف » . ثم قال لهما : « فمن فيهم من أشرف قريش ؟ » . قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عديّ بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونبية ومنبّه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ودّ . قال : فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان بسبس بن عمرو ، وعديّ بن أبي الرّغاء<sup>(٤)</sup> قد مضيا حتى نزلا بدرأ ، فأناخا إلى تلّ قريب من الماء ، ثم أخذا شئاً<sup>(٥)</sup> لهما يستقيان فيه ، ومجديّ بن عمرو الجهنيّ على الماء ، فسمع عديّ وبسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . قال مجديّ : صدقت . ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عديّ وبسبس ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسست أحداً؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلّا أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التلّ ، ثم استقيا في شئ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعاد بعيريهما ففتّه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجهه عيره عن الطريق ، فساحل بها<sup>(٦)</sup> وترك بدرأ بيسار ، وانطلق حتى أسرع ، وأقبلت قريش ، فلمّا نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة ابن المطّلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنّني رأيت<sup>(٧)</sup> فيما يرى النائم ، وإنّي لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجلٍ قد أقبل على فرسٍ ، حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وفلانٌ ، وفلانٌ . فعذّ رجالاً ممّن قتل يوم بدرٍ من

(١) أذلقوهما : بالغوا في ضربيهما وأذوهما . انظر « شرح غريب السيرة » لأبي ذر الخشني ( ٣٤ / ٢ ) .

(٢) العقنقل : الرمل المتراكم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني ( ٣٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦١٧ - ٦١٨ ) .

(٤) تصحفت في ( آ ) إلى « الرّغاء » وأثبت لفظ ( ط ) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .

(٥) الشن : القرية . انظر « مختار الصحاح » ( شنن ) .

(٦) فساحل بها : أي أخذها إلى طريق الساحل .

(٧) لفظ « رأيت » سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام .

أشراف قريش ، ثم رأيت ضرب في لبة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباءً من أخبية العسكر إلا أصابه نضج من دمه . فبلغت أبا جهل ، لعنه الله ، فقال : هذا أيضاً نبي آخر من بني المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرأ - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا . وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة ، قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا . قال : فرجعوا ، فلم يشهدا زهرئ واحد ؛ أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ، ولم يكن بقي بطنٌ من قريش إلا وقد نفر منهم ناسٌ ، إلا بني عدي ، لم يخرج منهم رجلٌ واحد ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحد . قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاوراً ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإن خرجتم معنا ، أن هواكم مع محمد . فرجع طالبٌ إلى مكة مع من رجع ، وقال في ذلك : [ من الرجز ]

لاهُمَّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبٌ فِي عَصْبَةٍ مُحَالِفٌ<sup>(٢)</sup> مُحَارِبٌ

فِي مِقْنَبٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ فَلَيْكِنِ الْمَسْلُوبُ غَيْرُ السَّالِبِ

ولیکن المغلوب غير الغالب

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العقنقل ويطن الوادي ، وهو ليليل ، بين بدر وبين العقنقل ، الكثيب الذي خلفه قريش ، والقلب ببدر ، في العدو الدنيا من بطن ليليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال الله تعالى<sup>(٥)</sup> : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدَّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ أي ؛ من ناحية الساحل . ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦١٨ - ٦١٩) .

(٢) في ( ط ) : « مخالف » .

(٣) المقنب : جماعة الخيل مقدار ثلاثمائة أو نحوها . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/٣٥) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦١٩ - ٦٢٠) .

(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/١٠ - ١٢) .

مَفْعُولًا ﴿ الآيات [ الأنفال : ٤٢ ] . وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً<sup>(١)</sup> ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماءً ، لبّد لهم الأرض<sup>(٢)</sup> ، ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً منها ماءً لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه .

قلت : وفي هذا قوله تعالى<sup>(٣)</sup> : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهَبَ عَنْكُم رِّجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [ الأنفال : ١١ ] . فذكر أنه طهرهم ظاهراً وباطناً ، وأنه ثبت أقدامهم ، وشجّع قلوبهم ، وأذهب عنهم تخذيل الشيطان ، وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم ، في قوله<sup>(٤)</sup> : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرِيئُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ . أي : على الرؤوس ﴿ وَأَصْرِيئُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ . أي : لئلاّ يستمسك منهم السلاح . ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] .

[ ١٤ ]

قال ابن جرير<sup>(٥)</sup> : حدّثني هارون بن إسحاق ، ثنا مصعب بن المقدم ، ثنا إسرائيل ، ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن عليّ بن أبي طالب قال : أصابنا من الليل طشٌّ من المطر<sup>(٦)</sup> ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ ، يعني قائماً يصلي<sup>(٧)</sup> ، وحرّض على القتال .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حدّثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلّا نائمٌ ، إلّا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصليّ ويبكي حتى أصبح . وسيأتي هذا الحديث مطوّلاً . ورواه النسائي<sup>(٩)</sup> ، عن بNDAR ، عن غندر ، عن شعبة به .

- (١) الدهس : قيل : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملًا ، وليس بتراب ولا طين . انظر « لسان العرب » ( دهس ) .
- (٢) لبّد الأرض : جعلها قوية لا تسوخ فيها الأرجل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٢٢٤ / ٤ ) .
- (٣) انظر « تفسير ابن كثير » : ( ٥٦٢ / ٣ - ٥٦٥ ) .
- (٤) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٥٦٧ - ٥٦٥ / ٣ ) .
- (٥) انظر تفسير الطبري ( ١٩٤ / ٩ - ١٩٥ ) و « تاريخه » ( ٤٢٤ - ٤٢٦ ) .
- (٦) طش المطر : الضعيف القليل منه « النهاية » .
- (٧) أي يدعو الله تعالى .
- (٨) رواه أحمد في « المسند » ( ١٢٥ / ١ ) وهو حديث صحيح .
- (٩) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٢٣ ) . عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة به . وكذا في « جامع المسانيد » للمصنف ( ١٠٥ / ١٩ ) و « تحفة الأشراف » ( ٣٥٧ / ٧ - ٣٥٨ ) وليس عن بNDAR ( وهو محمد بن بشار ) عن غندر كما في ( آ ) و ( ط ) هنا .

وقال مجاهد<sup>(١)</sup> : أنزل عليهم المطر ، فأطفأ به الغبار ، وتلبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدر ، ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي إلى جذم شجرة هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حيّ يا قيوم » . يكرّر ذلك ويلطّ به ، عليه السلام<sup>(٢)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر ، نزل به .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا أنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمزلاً أنزلكه الله ، - ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » . قال : يا رسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزل ، فامض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور<sup>(٥)</sup> ما وراءه من القلب<sup>(٦)</sup> ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأى » .

قال الأموي<sup>(٧)</sup> : حدثنا أبي ، قال : وزعم الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقباص ، وجبريل عن يمينه ، إذ أتاه ملك من الملائكة ، فقال : يا محمد ، إنّ الله يقرأ عليك السلام . فقال رسول الله ﷺ : « هو السّلام ، ومنه السّلام ، وإليه السّلام » . فقال الملك : إنّ الله يقول لك : إنّ الأمر هو الذي أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله ﷺ : « يا جبريل ، هل تعرف هذا ؟ » . فقال : ما كلّ أهل السماء أعرف ، وإنّه لصادق ، وما هو بشيطان .

(١) وأخرجه عنه الطبري في « تفسيره » ( ١٩٦ / ٩ ) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ١٠٤٤٧ ) والحاكم في « المستدرک » ( ٢٢٢ / ١ ) من حديث علي ، رضي الله عنه وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٠ / ١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٠ / ١ ) . و« تاريخ الطبري » ( ٤٤٠ / ٢ ) وإسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة ، وقد وصله الحاكم في « المستدرک » ( ٤٢٦ / ٣ - ٤٢٧ ) من حديث الحباب ، وفي سنده مجاهيل . قال الذهبي في تلخيصه : قلت : حديث منكر ، وسنده - سكت عنه ، ولعله يريد وسنده (واه) أو نحوه ، ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في « البداية » ( ٨٢ / ٥ ) وفيه الكلبي ، وهو كذاب .

(٥) قال أبو ذر الخشني : من رواه بالغين المعجمة فمعناه نذهبه وندفته ، ومن رواه بالعين المهملة - وهو لفظ رواية الطبري - فمعناه نفسده . انظر « شرح غريب السيرة » ( ٣٥ / ٢ ) .

(٦) القلب : جمع قلب ، وهو البئر قبل أن تطوى - أي تبنى بالحجارة - فإذا طويت فهي الطوي . انظر « لسان العرب » ( قلب ) .

(٧) أورده المؤلف مختصراً في « تفسيره » ( ٥٦٤ / ٣ ) .

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغوّرت ، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه ، فملئ ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

وذكر بعضهم أنّ الحباب بن المنذر لما أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ ، نزل ملكٌ من السماء ، وجبريل عند النبي ﷺ ، فقال الملك : يا محمد ، ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إنّ الرأي ما أشار به الحباب . فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل ، فقال : ليس كلّ الملائكة أعرفهم ، وإنّه ملكٌ وليس بشيطان . وذكر الأمويّ ، أنّهم نزلوا على القلب الذي يلي المشركين نصف الليل ، وأنّهم نزلوا فيه ، واستقوا منه ، وملؤوا الحياض حتى أصبحت ملاءً ، وليس للمشركين ماءٌ .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّه حدّث أنّ سعد بن معاذٍ قال : يا نبيّ الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعدّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ؛ جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا<sup>(٢)</sup> ، فقد تخلف عنك أقوامٌ ما نحن بأشدّ حباً لك منهم ، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ، ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخيرٍ ، ثم بني لرسول الله ﷺ عريشٌ كان فيه .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوّب<sup>(٤)</sup> من العقنقل ، وهو الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي ، قال : « اللهم هذه قريشٌ قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادّك وتكذّب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم<sup>(٥)</sup> الغداة » . وقد قال رسول الله ﷺ وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم ، وهو على جملي له أحمر : « إن يكن في أحدٍ من القوم خيرٌ ، فعند صاحب الجملي الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » .

قال<sup>(٦)</sup> : وقد كان خفاف بن إيماء بن رخصة ، أو أبوه إيماء بن رخصة الغفاريّ ، بعث إلى قريشٍ ابناً له بجزائر<sup>(٧)</sup> أهداها لهم ، وقال : إن أحببتهم أن نمدّكم بسلاحٍ ورجال ، فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه ، أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلعمري إن كنّا إنّما نقاتل الناس ، ما بنا ضعفٌ عنهم ، وإن كنّا إنّما نقاتل الله ، كما يزعم محمدٌ ، فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٠ - ٦٢١ ) . و « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٤٠ ) .

(٢) عبارة : « من قومنا » ليست في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢١ ) .

(٤) أي : تصوّب .

(٥) أحنهم : أهلكهم . والحين : الهلاك . انظر « لسان العرب » ( حين ) .

(٦) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢١ ) .

(٧) جمع جزور ، وهو ما يصلح لأن يُذبح من الإبل . انظر « لسان العرب » ( جزر ) .



قال<sup>(١)</sup> : فلما نزل الناس ، أقبل نفرٌ من قريشٍ حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فيهم حكيمٌ بنُ حِزَامٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » . فما شرب منه رجلٌ يومئذٍ إلّا قتل ، إلّا ما كان من حكيم بن حِزَامٍ ، فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، كما سيأتي بيان ذلك في فصلٍ نعقده بعد الواقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم ، إن شاء الله .

ففي « صحيح البخاري »<sup>(٢)</sup> ، عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحاب بدرٍ ثلاثمائة وبضعة عشر ، على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، وما جاوزه معه إلّا مؤمنٌ .

وللبخاري أيضاً<sup>(٣)</sup> عنه قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيفاً على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعين ومئتين .

وروى الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> ، عن نصر بن باب<sup>(٥)</sup> ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباسٍ أنّه قال : كان أهل بدرٍ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، وكان المهاجرون ستة وسبعين ، وكان هزيمة أهل بدرٍ سبع عشرة مضيّن ، يوم الجمعة ، في شهر رمضان .

وقال الله تعالى<sup>(٦)</sup> : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَدْنَاكَهُمْ كَثِيراً لَفُتِلْتُمْ وَلَكِنَّا نَزَعْنَاهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ﴾ الآية [ الأنفال : ٤٣ ] . وكان ذلك في منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام في العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم ، فجعل الصديق يوقظه ، ويقول : يا رسول الله ، دنوا منّا ، فاستيقظ . وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً . ذكره الأموي<sup>(٧)</sup> . وهو غريبٌ جداً . وقال تعالى<sup>(٨)</sup> : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِيَ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِيَ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [ الأنفال : ٤٤ ] . فعندما تقابل الفريقان ، قلّل الله كلاهما في أعين الآخرين ، ليجترى هؤلاء على هؤلاء ، وهؤلاء على هؤلاء ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارضاً لقوله

- (١) أي : ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام « ( ١ / ٦٢٢ ) .
- (٢) رواه البخاري ( ٣٩٥٩ ) .
- (٣) رواه البخاري ( ٣٩٥٦ ) .
- (٤) رواه أحمد في « المسند » ( ١ / ٢٤٨ ) وإسناده ضعيف لضعف نصر بن باب الخراساني ، والحجاج مدلس ، وهو ابن أرطاة ، لكنه حديث حسن بشواهده .
- (٥) في ( آ ) : « رثاب » وانظر « الجرح والتعديل » ( ٨ / ٤٦٩ ) .
- (٦) انظر « التفسير » للمؤلف ( ١٣ / ٤ ) .
- (٧) انظر « المغازي » للواقدي ( ١ / ٦٧ ) .
- (٨) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٤ / ١٣ - ١٤ ) .

تعالى في سورة « آل عمران »<sup>(١)</sup> : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْغَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ . فَإِنَّ المعنى في ذلك ، على أصح القولين ، أَنَّ الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة ، على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة<sup>(٢)</sup> أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إياهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيد المؤمنين بنصره ، فجعلهم في أعين الكافرين على الضعف منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ، ولهذا قال : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ .

قال إسرائيل<sup>(٣)</sup> ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة<sup>(٤)</sup> ، عن عبد الله : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتى إنني لأقول لرجل إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مئة .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي ، فقالوا : احزر<sup>(٦)</sup> لنا القوم أصحاب محمد . قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمئة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ ألقوم كمين أو مدد . قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت ، يا معشر قريش ، البلايا<sup>(٧)</sup> تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلت ، أنت علي بذلك ، إنما هو حلفي ، فعلي عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظلية<sup>(٨)</sup> - يعني أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره . ثم قام عتبة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه ؛ لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ؛ قتل

(١) الآية ( ١٣ ) منها . انظر « تفسير ابن كثير » ( ١٢ / ٢ - ١٤ ) .

(٢) في ( ط ) : « المسابقة » .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » ( ١٣ / ١٠ ) .

(٤) في ( ط ) : « عن أبي عبيد وعبد الله » وهو خطأ .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٢ / ١ - ٦٢٤ ) و « تاريخ الطبري » ( ٤١١ - ٤٤٢ ) .

(٦) حزر الشيء حزراً : قدره بالتخمين . انظر « المعجم الوسيط » ( حزر ) .

(٧) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت - صاحب الناقة - فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت .

انظر « شرح غريب السيرة » للخشني ( ٣٥ / ٢ ) .

(٨) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » ( ٦٢٣ / ١ ) : والحنظلية أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخزبة .

ابن عمّه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا ، واخلوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه ، فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ، ألكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون . قال حكيمٌ : فانطلقت حتى جئت أبا جهلٍ ، فوجدته قد نثّل درعاً له ، فهو يهنتها ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ والله سحره<sup>(١)</sup> حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمدٍ ، وما بعتة ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزورٍ ، وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فانشد خفرتك<sup>(٢)</sup> ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمراه واعمراه . قال : فحميت الحرب ، وحقب<sup>(٣)</sup> أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهلٍ : انتفخ والله سحره . قال : سيعلم مصفرّ استه<sup>(٤)</sup> من انتفخ سحره ، أنا أم هو .

ثم التمس عتبة بيضةً ؛ ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضةً تسعه ؛ من عظم رأسه ، فلما رأى ذلك اعتجر<sup>(٥)</sup> على رأسه ببردٍ له .

وقد روى ابن جرير<sup>(٦)</sup> ، من طريق مسور بن عبد الملك اليربوعي ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم ، إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزام يستأذن . قال : ائذن له . فلما دخل قال : مرحباً يا أبا خالدٍ ، ادن . فحال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله فقال : حدّثنا حديث بدرٍ . فقال : خرجنا حتى إذا كنّا بالجحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدرأ ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدو التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنكم لا تطلبون من محمدٍ إلّا دم ابن الحضرمي ، وهو حليفك ، فتحمل بديته ، ويرجع الناس . فقال : أنت عليّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظليّة ، يعني أبا جهلٍ ، فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرمي واقفٌ على رأسه وهو يقول : فسخت عقدي من عبد شمسٍ ، وعقدي اليوم إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك

(١) أي : رثته ، يقال ذلك للجبان . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٣٤٦ / ٢ ) .

(٢) قال السهيلي : أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك . انظر « الروض الأنف » ( ١٢٥ / ٥ ) .

(٣) يقال : حقب الأمر . إذا اشتدّ . انظر « لسان العرب » ( حقب ) .

(٤) قال الزبيدي في « تاج العروس » ( صفر ) : يقال في الشتم : هو مصفرّ استه . أي ضراط .

(٥) اعتجر ، معناه تعمم بغير تلحّ ، أي لم يجعل تحت لحيته منها شيئاً . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني ( ٣٦ / ٢ ) .

(٦) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٤٣ / ٢ ) .

عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم [ عن ابن عمك <sup>(١)</sup> ] بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيمٌ : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلا يفوتني من الخبر شيءٌ ، وعتبة متكئٌ على إيماء بن رخصة الغفاري ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشّر في وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سحرُك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفه ، فضرب به متن فرسه . فقال إيماء بن رخصة : بسُ الفأل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفّ رسول الله ﷺ أصحابه وعبّأهم أحسن تعبئةً ، فروى الترمذي <sup>(٢)</sup> ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : صفّنا رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ليلاً .

وروى الإمام أحمد <sup>(٣)</sup> ، من حديث ابن لهيعة : حدّثني يزيد بن أبي حبيب ، أن أسلم أبا عمران حدّثه ، أنه سمع أبا أيوب يقول : صفّنا يوم بدرٍ ، فبدرت منا بادرةٌ أمام الصفّ ، فنظر إليهم النبي ﷺ فقال : « معي معي » . تفرد به أحمد . وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وقال ابن إسحاق <sup>(٤)</sup> : وحدّثني حبان بن واسع بن حبان ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ <sup>(٥)</sup> يعدّل به القوم ، فمرّ بسواد بن غزيرة حليف بني عديّ بن النّجار ، وهو مستتلٌّ <sup>(٦)</sup> من الصفّ ، فطعن في بطنه بالقدح وقال : « استوي يا سواد » . فقال : يا رسول الله ، أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، فأقذني . فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، فقال : « استقد » . قال : فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » . قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك ، أن يمسنّ جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ وقاله <sup>(٧)</sup> .

قال ابن إسحاق <sup>(٨)</sup> : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يضحك الربّ من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدو حاسراً » . فنزع درعاً كانت عليه فقتلها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه .

(١) زيادة من « تاريخ الطبري » .

(٢) رواه الترمذي ( ١٦٧٧ ) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٢٠ / ٥ ) والراوي عن ابن لهيعة هو عبد الله بن المبارك ، ولذلك حسّنه المصنف .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٦ / ١ ) و« تاريخ الطبري » ( ٤٤٦ / ٢ ) وفي سنده جهالة .

(٥) القدح : السهم .

(٦) أي : متقدّم .

(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « وقاله له » .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٧ / ١ - ٦٢٨ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم عدّل رسول الله ﷺ الصّفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر ، ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره<sup>(٢)</sup> : وكان سعد بن معاذ ، رضي الله عنه ، واقفاً على باب العريش متقلداً بالسيف ، ومعه رجالٌ من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدو من المشركين . والجنائب النجائب مهتأة لرسول الله ﷺ ، إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذ .

وقد روى البزار في « مسنده »<sup>(٣)</sup> من حديث محمد بن عقيب ، عن عليّ أنّه خطبهم فقال : يا أيها الناس ، من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنّي ما بارزني أحدٌ إلّا انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكر ؛ إنّنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ ؛ لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحدٌ إلّا أبو بكر ، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحدٌ ، إلّا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس . قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ ؛ فهذا يجؤه ، وهذا يتلته ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منا أحدٌ إلّا أبو بكر ؛ يضرب هذا ويجأ هذا ، ويتلثل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول : ربّي الله . ثم رفع عليّ بردةً كانت عليه ، فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم فقال عليّ : فوالله ، لساعةً من أبي بكر ، خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ؛ ذاك رجلٌ يكتم إيمانه ، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه ، ثم قال البزار : لا نعلمه يروى إلّا من هذا الوجه .

فهذه خصوصيّة للصدّيق حيث هو مع الرسول ﷺ في العريش ، كما كان معه في الغار ، رضي الله عنه وأرضاه ، ورسول الله ﷺ يكثر الابتهاال والتضرّع والدعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة ، لا تعبد بعدها في الأرض » . وجعل يهتف بربه ، عزّ وجلّ ، ويقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرّك » . ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرّداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكر ، رضي الله عنه ، يلتزمه من ورائه ، ويسوّي عليه رداءه ، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاال : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك<sup>(٤)</sup> . هكذا حكى السّهيلي عن قاسم بن ثابت أنّ الصدّيق إنّما قال : بعض مناشدتك ربّك . من باب الإشفاق ؛ لما رأى من نصبه في الدّعاء والتضرّع ، حتى سقط الرّداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله ، أي ؛ لم تتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١/ ٦٢٦ - ٦٢٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١/ ٦٢٨ ) . و « تاريخ الطبري » ( ٢/ ٤٤٩ ) .

(٣) « البحر الزخار » رقم ( ٧٦١ ) ، وهو في « كشف الأستار » برقم ( ٢٤٨١ ) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٣/ ٤٧ ) : رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٤) رواه بنحوه مسلم رقم ( ١٧٦٣ ) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بالنصر ، وكان ، رضي الله عنه ، رقيق القلب ، شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>

وحكى السهيلي عن شيخه أبي بكر بن العربي<sup>(٢)</sup> أنه قال : كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف ، والصديق في مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف في هذا الوقت يعني أكمل . قال : لأن الله أن يفعل ما يشاء ، فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادة .

قلت : وأما قول بعض الصوفية : إن هذا المقام ، في مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قول مردود على قائله ؛ إذ لم يتدبر هذا القائل عور<sup>(٣)</sup> ما قال ، ولا لازمه ، ولا ما يترتب عليه ، والله أعلم<sup>(٤)</sup>

هذا وقد تواجه الفتان ، وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان ، بين يدي الرحمن ، واستغاث بربه سيد الأنبياء ، وضج الصحابة بصنوف الدعاء ، إلى رب الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء ، فكان أول من قتل من المشركين ، الأسود بن عبد الأسد المخزومي . قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمته ، أو لأموتنّ دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن<sup>(٦)</sup> قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، تشخب رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - زعم - أن يبرّ يمينه ، وأتبعه حمزة ، فضربه حتى قتله في الحوض .

قال الأموي<sup>(٧)</sup> : فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبه وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصّفين ، دعوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث ، وأمهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة . فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم من حاجة . وفي رواية<sup>(٨)</sup> : فقالوا : أكفاء كرام ، ولكن أخرجوا

(١) انظر « الروض الأنف » ( ١٣٠ / ٥ ) .

(٢) وهو الحافظ المحدث الكبير ، عالم أهل الأندلس في عصره ، المتوفى سنة ( ٥٤٦ هـ ) . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » ( ٢٣٢ / ٦ ) .

(٣) العور : الشين والقُبَح . انظر « لسان العرب » ( عور ) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » ( ٢٨٩ / ٧ ) : قال الخطابي : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق برّه من النبي ﷺ في تلك الحال ؛ بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقتة على أصحابه وتقوية قلوبهم ؛ لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهاال ؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال ، كفّ عند ذلك وعلم أنه استجيب له ؛ لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٤ / ١ - ٦٢٥ ) و« تاريخ الطبري » ( ٤٤٥ / ٢ ) .

(٦) أطنّ قدمه : قطعها . انظر « القاموس المحيط » ( طنن ) .

(٧) انظر الخبر بنحوه في « المغازي » للواقدي ( ٦٨ / ١ ) .

(٨) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٤٥ / ٢ ) و« دلائل النبوة » للبيهقي ( ٧٢ / ٣ ) .

إلينا من بني عَمَنَّا . ونادى مناديتهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال النبي ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي »<sup>(١)</sup>

وعند الأمويّ ، أن النّفر من الأنصار لمّا خرجوا ، كره ذلك رسول الله ﷺ ؛ لأنّه أول موقفٍ واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه ، فأحبّ أن يكون أولئك من عشيرته ، فأمرهم بالرجوع ، وأمر أولئك الثلاثة بالخروج .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلمّا دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفي هذا دليلٌ أنّهم كانوا ملبّسين ، لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال عليّ : عليّ . قالوا : نعم ، أكفأ كرامٌ . فبارز عبيدة ، وكان أسنّ القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز عليّ الوليد بن عتبة ، فأما حمزة ، فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما عليّ ، فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة ، فذففا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ، رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين<sup>(٣)</sup> ، من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذرّ أنّه كان يقسم قسماً أن هذه الآية : ﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ ﴾ [الحج : ١٩] نزلت في حمزة وصاحبه ، وعتبة وصاحبه ، يوم برزوا في بدر . هذا لفظ البخاريّ في تفسيرها .

وقال البخاريّ<sup>(٤)</sup> : حدّثنا حجاج بن منهال ، حدّثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن عليّ بن أبي طالب ، أنّه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن ، عزّ وجلّ ، في الخصومة يوم القيامة .

قال قيس : وفيهم نزلت : ﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبٍ ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدر ؛ عليّ وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . تفرد به البخاريّ . وقد أوسعنا الكلام عليها في « التفسير »<sup>(٥)</sup> بما فيه كفاية ، والله الحمد والمنّة .

وقال الأمويّ : حدّثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله البهيّ قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعليّ ، فقالوا : تكلموا نعرفكم . فقال حمزة ، أنا أسد الله ، وأسد رسول الله ﷺ ، أنا حمزة بن عبد المطلب . فقال : كفّ كريمٌ .

(١) رواه أبو داود مختصراً رقم ( ٢٦٦٥ ) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٥ ) .

(٣) رواه البخاري ( ٤٧٤٣ ) ومسلم ( ٣٠٣٣ ) .

(٤) رواه البخاري ( ٤٧٤٤ ) .

(٥) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٥ / ٤٠١ ) .

وقال عليّ : أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ﷺ . وقال عبيدة : أنا الذي في الحلفاء . فقام كل رجلٍ إلى رجلٍ ، فقاتلوهم فقتلهم الله . فقالت هند في ذلك : [ من المتقارب ]

أعينيّ جوداً بدمعٍ سَرِبَ      على خير خندف<sup>(١)</sup> لم ينقلب  
تداعى له رهطه غدوةً      بنو هاشم وبنو المطلب  
يذيقونه حدّ أسيافهم      يُعلّونه بعد ما قد عطب

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبدة حمزة .

قلت : وعبيدة هذا ، هو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، ولما جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ ، فأفرشه<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ قدمه ، فوضع خدّه على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله ، لو رأي أبي طالب ، لعلم أنني أحقّ بقوله : [ من الضويل ]

ونُسلِمه<sup>(٣)</sup> حتى نُصرَّعَ حوله      ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل<sup>(٤)</sup>

ثم مات ، رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنك شهيدٌ » . رواه الشافعيّ ، رحمه الله .

وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين في المعركة ، مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ؛ رمي بسهمٍ فقتله .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فكان أوّل من قتل ، ثم رمي بعده حارثة بن سراقة ، أحد بني عديّ بن النّجار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهمٍ فأصاب نحره فمات .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٦)</sup> عن أنسٍ ، أنّ حارثة بن سراقة قتل يوم بدرٍ ، وكان في النظّارة<sup>(٧)</sup> ، أصابه سهمٌ غربٌ فقتله ، فجاءت أمّه فقالت : يا رسول الله ، أخبرني عن حارثة ، فإن كان في الجنة صبرت ، وإلا فليرين الله ما أصنع . يعني من النّياح ، وكانت لم تحرّم بعد<sup>(٨)</sup> . فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك ، أهبلت ، إنّها جنازٌ ثمانٍ ، وإنّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعض .

(١) خندف : لقب ليلي بنت عمران بن الحاف بن قضاة نسب إليها بعض قبائل العرب ، ومنهم قريش . انظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص ( ١٠ - ١١ - ٤٧٩ - ٤٨٠ ) .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « فأشرفه » والمثبت من هامش ( ط ) نقلاً عن « السيرة الحلبية » وهو أصحّ .

(٣) أي ولا نسلّمه .

(٤) جمع حليلة وهي الزوجة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٧ ) .

(٦) رواه البخاري ( ٢٨٠٩ و ٣٩٨٢ و ٦٥٥٠ و ٦٥٦٧ ) ليس الحديث في « صحيح مسلم » .

(٧) عبارة « وكان في النظّارة » ليست في البخاري ، وهي عند أحمد في « المسند » ( ٣ / ١٢٤ ) .

(٨) أي النياحة .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٥ ) .



وقال<sup>(١)</sup> : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل » .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٢)</sup> ، عن أبي أسيد قال : قال لنا رسول الله يوم بدر : « إذا أكتبوكم - يعني المشركين - فارموهم واستبقوا نبلكم » .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني [ عمر بن ] عبد الله [ بن عروة بن عروة ] بن الزبير ، قال : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدر : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . وسمى خيله : خيل الله .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : كان شعار الصحابة يوم بدر : أحدٌ أحدٌ .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ورسول الله ﷺ في العريش ، معه أبو بكر ، رضي الله عنه ، يعني وهو يستغيث الله ، عز وجل ، كما قال الله تعالى<sup>(٦)</sup> : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَتَى مُيَمِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ [ الأنفال : ٩ - ١٠ ] .

قال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حدثنا أبو نوح قراذ ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا سماك الحنفي أبو زميل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وثيف ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تعبد بعد في الأرض أبداً » .

قال : فما زال يستغيث ربه ويدعوه ، حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فردّه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا رسول الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَتَى مُيَمِّدُكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ وذكر تمام الحديث كما سيأتي .

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٥ - ٦٢٦ ) .

(٢) رواه البخاري ( ٣٩٨٤ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٧٠ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٤ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٦ - ٦٢٧ ) .

(٦) انظر « تفسير ابن كثير » ( ٣ / ٥٥٨ - ٥٦٢ ) .

(٧) رواه أحمد في « المسند » ( ١ / ٣٠ ) وهو حديث حسن .

وقد رواه مسلم<sup>(١)</sup> ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن جرير ، وغيرهم<sup>(٢)</sup> ، من حديث عكرمة بن عمار اليماني ، وصححه علي بن المديني ، والترمذي .

وهكذا قال غير واحد عن ابن عباس ، والسدي ، [ وابن ] جريج ، وغيرهم ؛ أن هذه الآية نزلت في دعاء النبي ﷺ يوم بدر<sup>(٣)</sup> .

وقد ذكر الأموي وغيره ، أن المسلمين عجزوا إلى الله ، عز وجل ، في الاستغاثة بجنابه ، والاستعانة به . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى مِنْ آلِ كُثَيْبٍ ﴾ أي ؛ ردفاً لكم ومدداً لفتنكم . رواه العوفي عن ابن عباس ، وقاله مجاهد ، وابن كثير ، وعبد الرحمن بن زيد ، وغيرهم<sup>(٤)</sup> .

وقال أبو كدينة ، عن قابوس ، [ عن أبيه ]<sup>(٥)</sup> ، عن ابن عباس : ﴿ مُرْدِفِيكَ ﴾ : وراء كل ملك ملك . وفي رواية عنه بهذا الإسناد : ﴿ مُرْدِفِيكَ ﴾ بعضهم على أثر بعض<sup>(٦)</sup> . وكذا قال أبو ظبيان ، والضحاك ، وقتادة . وقد روى علي بن أبي طلحة الوالي ، عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمئة مجنبة ، وميكائيل في خمسمئة مجنبة<sup>(٧)</sup> ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جرير<sup>(٨)</sup> : حدثني المثنى ، حدثنا إسحاق ، ثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثني عبد العزيز بن عمران ، عن الزمعي<sup>(٩)</sup> ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبير ، عن علي قال : نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي ﷺ ، وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ﷺ ، وأنا في الميسرة .

ورواه البيهقي في « الدلائل »<sup>(١٠)</sup> من حديث محمد بن جبير عن علي ، فزاد : ونزل إسرائيل في ألف من الملائكة ، وذكر أنه طعن يومئذ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر<sup>(١١)</sup> أنه نزلت ثلاثة آلاف من الملائكة . وهذا غريب ، وفي إسناده ضعف ، ولو صح لكان فيه تقوية لما تقدم من

(١) رواه مسلم ( ١٧٦٣ ) وأبو داود ( ٢٦٩٠ ) والترمذي ( ٣٠٨١ ) والطبري في « تفسيره » ( ١٨٩ / ٩ ) .

(٢) انظر « تفسير الطبري » ( ١٨٩ / ٩ - ١٩٠ ) . و « تفسير ابن كثير » ( ٥٥٩ / ٣ ) .

(٣) انظر « تفسير الطبري » ( ١٩٠ / ٩ - ١٩١ ) . و « التفسير » ( ٥٦٠ / ٣ ) .

(٤) سقط من ( آ ) و ( ط ) واستدرسته من « التفسير » للمؤلف ( ٥٦٠ / ٣ ) و « تفسير الطبري » ( ١٩١ / ٩ ) .

(٥) انظر « تفسير الطبري » ( ١٩١ / ٩ ) . و « تفسير ابن كثير » ( ٥٦٠ / ٣ ) .

(٦) انظر « تفسير الطبري » ( ١٩٥ / ٩ ) . و « التفسير » للمؤلف ( ٥٦٠ / ٣ ) .

(٧) انظر « تفسير الطبري » ( ١٩٢ / ٩ ) .

(٨) في ( آ ) و ( ط ) : « الربيعي » والتصحيح من « تهذيب الكمال » ( ١٧١ / ٢٩ ) .

(٩) انظر « دلائل النبوة » ( ٥٥ / ٣ ) .

(١٠) أي علي ، رضي الله عنه .

الأقوال ، ويؤيدها قراءة من قرأ : بألفٍ من الملائكة مردفين<sup>(١)</sup> بفتح الدال ، والله أعلم .

وقال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، ثنا محمد بن سنان القزاز ، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفي ، حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، أخبرني إسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه عن جده ، عن علي قال : لما كان يوم بدر ، قاتلت شيئاً من قتال ، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل . قال : فجئت فإذا هو ساجدٌ يقول : يا حيّ يا قيّوم ، يا حيّ يا قيّوم . لا يزيد عليها ، فرجعت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النسائي في « اليوم والليلة »<sup>(٣)</sup> ، عن بندار ، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي علي الحنفي

به .

وقال الأعمش<sup>(٤)</sup> ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : ما سمعت مناشداً ينشد أشد من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر ، جعل يقول : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، ثم التفت وكأن شق وجهه القمر ، وقال : كأني أنظر إلى مصارع القوم عشية . رواه النسائي من حديث الأعمش به<sup>(٥)</sup> . وقال : لما التقينا يوم بدر ، قام رسول الله ﷺ يصلي ، فما رأيت مناشداً ينشد حقاً له ، أشد مناشدة من رسول الله ﷺ . . . وذكره .

وقد ثبت إخباره ، عليه الصلاة والسلام ، بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدر ، في « صحيح مسلم » عن أنس بن مالك ، كما تقدّم<sup>(٦)</sup>

وسياتي في « صحيح مسلم » أيضاً عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعود ، أنه أخبر بذلك يوم الواقعة ، وهو مناسب .

وفي الحديثين الآخرين عن أنس وعمر ، ما يدل على أنه أخبر بذلك قبل ذلك بيوم ، ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبل ذلك بيوم وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعة يوم الواقعة ، والله أعلم .

(١) وهي قراءة نافع . انظر « حجة القراءات » ص ( ٣٠٧ ) .

(٢) « دلائل النبوة » ( ٤٩ / ٣ ) والحاكم في « المستدرک » ( ٢٢٢ / ١ ) وإسناده ضعيف .

(٣) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » ( ٦١١ ) وفي « السنن الكبرى » ( ١٠٤٤٧ ) .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٥٠ / ٣ ) .

(٥) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ١٠٤٤٢ ) .

(٦) رواه مسلم رقم ( ١٧٧٩ ) .

وقد روى البخاري<sup>(١)</sup> ، من طريق ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر : اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك . فخرج وهو يثب في الدرع ، وهو يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ ﴾ [٤٩] بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿ [ القمر : ٤٥ - ٤٦ ] . وهذه الآية مكية .

وقد جاء تصديقها يوم بدر ، كما رواه ابن أبي حاتم<sup>(٢)</sup> : حدثنا أبي ، ثنا أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لما نزلت ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ ﴾ قال عمر : أي جمع يهزم ؟! وأي جمع يغلب ؟! قال عمر : فلما كان يوم بدر ، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الذُّبُرَ ﴾ ، فعرفت تأويلها يومئذ<sup>(٣)</sup>

وروى البخاري<sup>(٤)</sup> ، من طريق ابن جريج ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزل على محمد ﷺ بمكة وإنني لجارية ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴾ .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم ، لا تعبد . وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله منجز لك ما وعدك . وقد خفق النبي ﷺ خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثيابه النقع . يعني الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم وقال : والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ؛ إلا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟! قال : ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل ، رحمه الله .

وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : حدثنا هاشم ، ثنا سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : بعث رسول الله ﷺ بسبسة<sup>(٧)</sup> عينا ؛ ينظر ما صنعت غير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ - قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه - قال : فحدثه الحديث . قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال : إن لنا

(١) رواه البخاري ( ٢٩١٥ و ٣٩٥٣ و ٤٨٧٥ و ٤٨٧٧ ) .

(٢) ذكره المؤلف في « تفسيره » ( ٤٥٧ / ٧ ) .

(٣) وهو مرسل .

(٤) رواه البخاري ( ٤٨٧٦ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٧ / ١ ) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ١٣٦ / ٣ ) .

(٧) في ( ط ) : « بسبسا » ، وهو بموحدين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة . وفي « صحيح مسلم » : « بسبسة » بموحدة مصغراً ، وانظر « الإصابة » ( ٢٨٨ / ١ ) و « شرح صحيح مسلم » للنووي ( ٤٤ / ١٣ ) .

طلبة ، فمن كان ظهره حاضراً ، فليركب معنا . فجعل رجالٌ يستأذنونهم في ظهورهم في علو المدينة ، قال : لا ، إلّا من كان ظهره حاضراً . وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يتقدمن أحدٌ منكم إلى شيء ، حتى أكون أنا أودنه » . فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض » . قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله ، جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : « نعم » . قال : بخ بخ . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول : بخ بخ ؟ » . قال : لا والله يا رسول الله ، إلّا رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنك من أهلها » . قال : فأخرج تمراتٍ من قرنه<sup>(١)</sup> ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها حياة طويلة . قال : فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل ، رحمه الله .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن أبي بكر بن أبي النضر<sup>(٣)</sup> ، وجماعة ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جرير<sup>(٤)</sup> أن عميراً قاتل وهو يقول ، رضي الله عنه : [ من الرجز ]

ركضاً إلى الله بغير زادٍ      إلّا التقى وعمل المعادِ  
والصبر في الله على الجهادِ      وكلّ زادٍ عرضة النّفادِ  
غير التقى والبرّ والرّشادِ

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدّثنا حجاج ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتويناها ، وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله ﷺ يتخبّر عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا ، سار رسول الله ﷺ إلى بدر ، وبدّر بئر ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين منهم ؛ رجلاً من قريش ، ومولى لعقبة بن أبي معيط ، فأما القرشي فأنفلت ، وأما المولى فأخذناه<sup>(٦)</sup> ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : « كم

(١) القرآن : جعبة من جلود تشق ويجعل فيها النّشاب ، وهو النبل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٥٥ / ٤ ) .

(٢) رواه مسلم ( ١٩٠١ ) .

(٣) في ( آ ) و ( ط ) : « عن أبي بكر بن أبي شيبة » والتصحيح من « صحيح مسلم » وانظر « تهذيب الكمال » ( ١٤٩ / ٣٣ ) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٤٨ / ٢ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١١٧ / ١ ) وهو حديث صحيح .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « فوجدناه » والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .

القوم ؟ » . قال : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجهد النبي ﷺ أن يخبره كم هم ، فأبى ، ثم إن النبي سأل : « كم ينحرون من الجزر ؟ » فقال : عشرًا كل يوم . فقال النبي ﷺ : « القوم ألف ، كل جزورٍ لمئة وتبعها » . ثم إنه أصابنا من الليل طشٌّ من مطرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجف ؛ نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول : « اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة ؛ لا تعبد » . فلما طلع الفجر نادى « الصلاة عباد الله » . فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ ، وحرّض على القتال ، ثم قال : « إنّ جمع قريشٍ تحت هذه الضلع<sup>(١)</sup> الحمراء من الجبل » . فلما دنا القوم منا وصاففناهم ، إذا رجلٌ منهم على جملٍ له أحمر ، يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عليّ ، ناد لي حمزة - وكان أقربهم من المشركين - من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : يا قوم ، اعصوها اليوم برأسي ، وقولوا : جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنّي لست بأجبنكم . فسمع ذلك أبو جهلٍ فقال : أنت تقول ذلك ؟ والله لو غيرك يقوله ؛ لأعضضته ، قد ملأت رثك جوفك رعباً . فقال : إيتاي تعير يا مصفر استه ؟ ستعلم اليوم أننا الجبان . فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ؛ حمية ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار شبة<sup>(٢)</sup> . فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ، ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عليّ ، وقم يا حمزة ، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب . فقتل الله عتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسروا سبعين ، وجاء رجلٌ من الأنصار قصيرٌ بالعباس بن عبد المطلب أسيراً ، فقال العباس : يا رسول الله ، إنّ هذا والله ما أسرنى ، لقد أسرنى رجلٌ أجلح ، من أحسن الناس وجهاً ، على فرسٍ أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاري : أنا أسرتُه يا رسول الله . فقال : اسكُت ، فقد أيدك الله بملكٍ كريم . قال : فأسرنا من بني عبد المطلب ؛ العباس ، وعقيلاً ، ونوفل بن الحارث . هذا سياقٌ حسنٌ ، وفيه شواهدٌ لما تقدّم ولما سيأتي . وقد تفرّد بطوله الإمام أحمد .

وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به<sup>(٣)</sup> .

ولما نزل رسول الله ﷺ ، من العريش ، وحرّض الناس على القتال ، والناس على مصافهم صابرين ، ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى أمرأ لهم<sup>(٤)</sup> : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

وقال الأمويّ : حدّثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق قال : قال الأوزاعيّ : كان يُقال : قلما ثبت

(١) الضلع : جبيل منفرد صغير . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٩٦ / ٣ ) .

(٢) في ( ط ) : « مشيبة » و « شبيبة » : جمع شاب وفي « مسند الإمام أحمد » : « سِتَّة » .

(٣) رواه أبو داود رقم ( ٢٦٦٥ ) وهو حديث صحيح .

(٤) انظر « تفسير » المؤلف ( ١٤ / ٤ - ١٥ ) .

قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس ، أو يُغضّ طرفه ، ويذكر الله ، رجوتُ أن يسلم من الرّياء .  
وقال عتبة بن ربيعة يوم بدرٍ لأصحابه : ألا ترونهم ، يعني أصحاب النبي ﷺ ، جُثياً على الرّكب ، كأنهم  
حرسٌ يتلمّظون كما تتلمّظ الحيات<sup>(١)</sup> ، أو قال : الأفاعي .

قال الأمويُّ في « مغازيه » : وقد كان النبي ﷺ ، حين حرّض المسلمين على القتال ، قد نفل كلَّ  
امريء ما أصاب ، وقال : « والذي نفسي بيده ، لا يُقاتلهم اليوم رجلٌ [ فيقتل ] صابراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلاً  
غير مُدْبِرٍ ، إلّا أدخله الله الجنّة » . وذكر قصّة عُمر بن الحُمام ، كما تقدّم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدره ، وكذلك أبو بكرٍ الصديقُ ، كما كانا في العريش يُجاهدان  
بالدّعاء والتّضرّع ، ثم نزلا ، فحرّضا وحثّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان ؛ جمعاً بين المقامين الشريفين .

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدّثنا وكيعٌ ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضَرَّبٍ ، عن  
عليٍّ قال : لقد رأيتنا يوم بدرٍ ، ونحن نلوذُ برسول الله ﷺ ، وهو أقربنا إلى العدوِّ ، وكان من أشدّ الناس  
يومئذٍ بأساً .

ورواه النسائي<sup>(٣)</sup> ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن عليٍّ قال : كُنّا إذا حمي البأسُ ولقي  
القومُ ، اتّقينا<sup>(٤)</sup> برسول الله ﷺ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدّثنا أبو نُعيم ، حدّثنا مسعرٌ ، عن أبي عونٍ ، عن أبي صالح الحنفيّ ، عن  
عليٍّ قال : قيل لعليٍّ ولأبي بكرٍ ، رضي الله عنهما ، يوم بدرٍ : مع أحدكما جبريلُ ، ومع الآخر ميكائيلُ ،  
وإسرافيلُ ملكٌ عظيمٌ ، يشهدُ القتالَ ولا يُقاتلُ ، أو قال : يشهدُ الصّف .

وهذا يُشبه ما تقدّم من الحديث ؛ أنّ أبا بكرٍ كان في الميمنة ، ولما تنزّل الملائكةُ يوم بدرٍ تنزيلاً ،  
كان جبريلُ على أحد المُجَنَّبَيْنِ في خمسمئةٍ من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكرٍ الصديق ،  
وكان ميكائيلُ على المُجَنَّبَةِ الأخرى في خمسمئةٍ من الملائكة ، فوقّفوا في الميسرة ، وكان عليٌّ بنُ أبي  
طالبٍ فيها .

وفي حديثٍ رواه أبو يعلى<sup>(٦)</sup> ، من طريق محمد بن جُبَيْر بن مُطعم ، عن عليٍّ قال : كنتُ أُمَتِّحُ<sup>(٧)</sup>  
على القلب يوم بدرٍ ، فجاءت ريحٌ شديدةٌ ، ثم أخرى ثم أخرى ، فنزل ميكائيلُ في ألفٍ من الملائكة ،

(١) أي : تخرج لسانها .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٨٦ / ١ ) ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٦٣٩ ) .

(٤) كذا في ( آ ) و ( ط ) وفي « السنن الكبرى » : « بعثنا » وجاء في هامشها في النسخ : « ألفينا » .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١٤٧ / ١ ) وهو حديث حسن .

(٦) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم ( ٤٨٩ ) . وقد ذكره المصنف هنا بمعناه وفي إسناده ضعف .

(٧) متح الماء : نزعه واستخرجه .

فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكر ، وإسرافيل في ألف في الميسرة وأنا فيها ، وجبريل في ألف . قال : ولقد طعنت يومئذ حتى بلغ [ الدّم ]<sup>(١)</sup> إبطي .

وقد ذكر صاحب « العقد »<sup>(٢)</sup> وغيره ، أن أفرخت بيت قائلته العرب ، قول حسان بن ثابت : [ من الكامل ]

وبيتر<sup>(٣)</sup> بدر إذ يكف مطيهم<sup>(٤)</sup> جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقد قال البخاري<sup>(٥)</sup> : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاع بن رافع الرزقي ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدر ، قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » . أو كلمة نحوها . قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة . انفرد به البخاري .

وقد قال الله تعالى<sup>(٦)</sup> : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْبِرُوا فَوْقَ الْأَغْنَاقِ ﴾ يعني الرؤوس ﴿ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٧)</sup> من طريق عكرمة بن عمار ، عن أبي زميل ، حدثني ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين [ يومئذ ]<sup>(٨)</sup> يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم . إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرّ مُستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم [ أنفه ]<sup>(٩)</sup> وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة » . فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسرُوا سبعين .

قال ابن إسحاق<sup>(١٠)</sup> : [ و ] حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عمّن حدثه عن ابن عباس ، عن رجل من بني غفار قال : حضرت أنا وابن عمّ لي بدرًا ، ونحن على شركنا ، فإنّا لفي جبلٍ ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة<sup>(١١)</sup> ، فنتهب ، فأقبلت سحابة ، فلما دنت من الجبل ، سمعنا منها حمحمة الخيل ،

(١) تكملة من « مسند أبي يعلى » .

(٢) انظر « العقد الفريد » ( ١٠٦ / ٦ ) .

(٣) كذا في ( آ ) و ( ط ) وفي « العقد الفريد » : « بيوم » .

(٤) كذا في ( آ ) و ( ط ) وفي « العقد الفريد » : « يرد وجوههم » .

(٥) رواه البخاري ( ٣٩٩٢ ) .

(٦) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٥٦٢ / ٣ - ٥٦٦ ) .

(٧) رواه مسلم ( ١٧٦٣ ) .

(٨) تكملة من « صحيح مسلم » .

(٩) تكملة من « صحيح مسلم » والخطم : الأثر على الأنف .

(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٣ / ١ ) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٥٢ / ٣ ) .

(١١) الدبرة : الهزيمة في القتال . انظر « المعجم الوسيط » ( دبر ) .



وسمعنا فارساً يقول : أقدم حيزوم . فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أن أهلك ، ثم انتعشت<sup>(١)</sup> بعد ذلك .

وقال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرًا ، قال بعد أن ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدرٍ ومعِي بصري ؛ لأريتكم الشعب الذي خَرَجَتْ منه الملائكة ، لا أشك فيه ولا أتمارى .

فلما نزلت الملائكة ورآها إبليسُ ، وأوحى الله إليهم<sup>(٣)</sup> : ﴿ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَتَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] .

وتثبتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ، فيقول له : أبشروا فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، كُروا عليهم .

ولما رأى إبليسُ الملائكة ، ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [ الأنفال : ٤٨ ] وهو في صورة سُراقَة ، وأقبل أبو جهل يُحرَضُ أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلانُ سُراقَة إيتاكم ، فإنه كان على موعدٍ من محمدٍ وأصحابه . ثم قال : واللآت والعُزَى ، لا نرجعُ حتى نُفرِّقَ محمداً وأصحابه في الجبال ، فلا تقتلُوهم وخذلوهم أخذاً .

وقال الواقدي<sup>(٤)</sup> : حدثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان الملكُ يتصوَّرُ في صورة من يعرفون ، فيقول : إني قد دنوتُ منهم وسمعتُهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيء ، إلى غير ذلك من القول ، فذلك قوله : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَتَىٰ مَعَكُمْ فَتَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية .

وروى البيهقي<sup>(٥)</sup> ، من طريق سلامة ، عن عُقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعدٍ قال : قال أبو أسيد ، بعدما ذهب بصره : يا بن أخي ، والله لو كنتُ أنا وأنت ببدرٍ ، ثم أطلق اللهُ بصري ، لأريتكم الشعب الذي خرجت علينا منه الملائكة ، من غير شك ولا تمارٍ .

وروى البخاري<sup>(٦)</sup> ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهاب ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أن رسول الله ﷺ قال يوم بدرٍ : « هذا جبريلُ أخذُ برأس فرسه ، وعليه أداة الحرب » .

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « تماسكت » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٣ / ١ ) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٥٢ / ٣ - ٥٣ ) عن ابن إسحاق بسياق أطول من هذا .

(٣) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٥٦٢ / ٣ - ٥٦٧ ) .

(٤) انظر « المغازي » للواقدي ( ٧٩ / ١ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٥٣ / ٣ ) .

(٦) رواه البخاري ( ٣٩٩٥ ) .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : حدثنا ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وأخبرني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، وحدثني عائذ<sup>(٢)</sup> بن يحيى ، عن أبي الحويرث ، عن عمارة بن أكيمة الليثي<sup>(٣)</sup> ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزام ، قالوا : لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه ، يسأل الله النصر وما وعده ، يقول : « اللهم إن ظهرُوا على هذه العصابة ، ظهر الشرك ، ولا يقوم لك دين » . وأبو بكر يقول : والله لينصرك الله ، وليبيضن وجهك . فأنزل الله ألفاً من الملائكة مُردفين ، عند أكتاف<sup>(٤)</sup> العدو ، قال رسول الله ﷺ : « أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل مُعتجِرٌ بعمامة صفراء ، آخذٌ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تعيب عني ساعة ، ثم طلع وعلى ثيابه النقع<sup>(٥)</sup> » ، يقول : أتاك نصرُ الله إذ دعوته .

وروى البيهقي<sup>(٦)</sup> ، عن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه قال : يا بُني ، لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشيرُ إلى رأس المُشرك ، فيقعُ رأسُه عن جسده ، قبل أن يصل إليه السيف .

وقال ابنُ إسحاق<sup>(٧)</sup> : حدثني والدي ، حدثني رجالٌ من بني مازن ، عن أبي واقد الليثي قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه ، فوقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنَّ غيري قد قتله .

وقال يونس بن بكير ، عن عيسى بن عبد الله التيمي ، عن الربيع بن أنس قال : كان الناسُ يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم ، بضربٍ فوق الأعناق وعلى البنان ، مثل سمة النار وقد أُحرق به<sup>(٨)</sup> .

وقال ابنُ إسحاق<sup>(٩)</sup> : حدثني من لا أتهم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمامةً بيضاء قد أرخواها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وقد قال ابنُ عباس<sup>(١٠)</sup> : لم تُقاتل الملائكة في يومٍ سوى يوم بدرٍ من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً ، لا يضربون .

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٥٣ / ٣ - ٥٤ ) ، ورواه الواقدي في « مغازيه » ( ٨١ / ١ ) بروايات عديدة .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « عابد » والتصحيح من « تهذيب الكمال » ( ١٧ / ٤١٤ - ٤١٥ ) .

(٣) بعده في م : « عن عكرمة » . وهو خطأ .

(٤) وفي « مغازي الواقدي » : « أكتاف » .

(٥) النقع : الغبار . انظر « لسان العرب » ( نقع ) .

(٦) انظر « دلائل النبوة » ( ٥٦ / ٣ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٣ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٨) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » ( ٣ / ١٧٢ ) إلى ابن أبي حاتم .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٣ / ١ ) .

(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٤ / ١ ) .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : حدثني عبد الله بن موسى بن أبي أمية ، عن مُصعب بن عبد الله ، عن مولى سُهَيْل بن عمرو ، سمعتُ سُهَيْل بن عمرو يقولُ : لقد رأيتُ يوم بدر رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلُقٍ<sup>(٢)</sup> ، بين السماء والأرض مُعَلِّمين ، يقتُلون ويأسرون ، وكان أبو أُسَيْدٍ يُحدِّثُ بعد أن ذهب بصره قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعِي بصري ، لأريتكم الشَّعب الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشكُّ ولا أمتري .

قال<sup>(٣)</sup> : وحدثني خارجةُ بنُ إبراهيم ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ لجبريل : « مَنْ القاتلُ يوم بدرٍ من الملائكة : أقدم حيزومٌ ؟ » . فقال جبريلُ : « يا محمدُ ، ما كُلُّ أهل السماء أعرفُ » .

قلتُ : وهذا الأثرُ مُرسَلٌ ، وهو يرُدُّ قول من زعم أنَّ حيزوم اسمُ فرس جبريل ، كما قاله السُّهيلي وغيره<sup>(٤)</sup> ، والله أعلم .

وقال الواقدي<sup>(٥)</sup> : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صُهَيْبٍ ، عن أبيه قال : فما أدري كم يدٍ مقطوعة ، وضربة جائفة لم يدم كلمها ، قد رأيتها يوم بدر .

وحدثني<sup>(٦)</sup> محمد بن يحيى ، عن أبي عُفَيْرٍ<sup>(٧)</sup> ، عن رافع بن خديج ، عن أبي بُردة بن نيارٍ قال : جئتُ يوم بدرٍ بثلاثةِ أرؤس ، فوضعتُهن بين يدي رسول الله ﷺ فقلتُ : أمّا رأسان فقتلتُهما ، وأمّا الثالثُ فإنِّي رأيتُ رجلاً طويلاً قتله<sup>(٨)</sup> ، فأخذتُ رأسه . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك فلانٌ من الملائكة » .

وحدثني<sup>(٩)</sup> موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : كان السائب بن أبي حُبَيْشٍ يحدِّثُ في زمن عُمر يقولُ : والله ما أسرنِي أحدٌ من الناس . فيقالُ : فمن ؟ يقولُ : لما انهزمت قريشٌ ، انهزمتُ معها ، فأدركني رجلٌ أبيضٌ<sup>(١٠)</sup> طويلٌ ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ فوجدني مربوطاً ، فنَادَى في العسكر<sup>(١١)</sup> : « من أسر هذا ؟ [ فليس أحدٌ يزعم أنه أسرنِي ]<sup>(١٢)</sup> » ، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال :

- (١) انظر « مغازي الواقدي » ( ٧٦ / ١ ) .
- (٢) البُلُق : سواد وبياض ، وكذا ( البُلُقَة ) يقال : فرس أبلق وفرس بِلَقَاء . « مختار الصحاح » ( بلق ) .
- (٣) انظر « مغازي الواقدي » ( ٧٧ / ١ ) .
- (٤) انظر « الروض الأنف » ( ١٣٨ / ٥ - ١٣٩ ) .
- (٥) انظر « مغازي الواقدي » ( ٧٨ / ١ ) .
- (٦) انظر « مغازي الواقدي » ( ٧٨ - ٧٩ ) .
- (٧) في ( آ ) و ( ط ) : « أبي عقيل » . والتصحيح من « المغازي » مصدر المؤلف في نقله ، وانظر « الإكمال » لابن ماکولا ( ٢٢٦ / ٦ ) ، و « المشتبه في أسماء الرجال » للذهبي ( ٤٨٧ / ٢ ) .
- (٨) في « المغازي » للواقدي : ( ( ضربه ) ) .
- (٩) انظر « مغازي الواقدي » ( ٧٩ / ١ ) .
- (١٠) في ( ط ) : « أشعر » . وما جاء في ( آ ) موافق لما في « المغازي » .
- (١١) في « المغازي » : « المعسكر » .
- (١٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .

« من أسرك ؟ » . قلتُ : لا أعرفه . وكرهتُ أن أخبره بالذي رأيتُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « أسرك ملكٌ من الملائكة ، اذهب يا بن عوفٍ بأسيرك » .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : حدثني عائذُ بنُ يحيى ، حدثنا أبو الحُوَيرِث ، عن عُمارة بن أكيمة ، عن حكيم بن حزام قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، وقد وقع [ بوادي خَلَصٍ ]<sup>(٢)</sup> بجادٍ<sup>(٣)</sup> من السماء قد سدَّ الأفقُ ، فإذا الوادي يسيلُ نَمْلًا<sup>(٤)</sup> ، فوقع في نفسي أن هذا شيءٌ من السماء أُتد به محمدٌ ، فما كانت إلَّا الهزيمةُ ، ولقي الملائكة .

وقال إسحاقُ بنُ راهوية<sup>(٥)</sup> : حدثنا وهبُ بنُ جرير بن حازم ، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبي ، عن جُبَير بن مُطعم قال : رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناسُ يقتتلون ، مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشك أنها الملائكةُ ، فلم يكن إلَّا هزيمةُ القوم .

ولما تنزلت الملائكةُ للنصر ، ورآهم رسولُ الله ﷺ حين أغفى إغفاءةً ثم استيقظ ، وبشّر بذلك أبا بكرٍ وقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ يَقودُ فرسه ، على ثناباه النقعُ » . يعني من المعركة ، ثم خرج رسولُ الله ﷺ من العريش في الدرع ، فجعل يُحرّضُ على القتال ، ويُبشّرُ الناسَ بالجنة ، ويُشجّعُهم بنزول الملائكة ، والناسُ بعدُ على مصافّهم لم يحملوا على عدوّهم ، حصل لهم السكينة والطمأنينةُ ، وقد حصل النعاسُ الذي هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال<sup>(٦)</sup> : ﴿ إِذِ يُغَشِّيكُمْ<sup>(٧)</sup> النَّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ [ الأنفال : ١١ ] .

وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحُدٍ بنصّ القرآن ، ولهذا قال ابنُ مسعودٍ<sup>(٨)</sup> : النعاسُ في المصافّ من الإيمان ، والنعاسُ في الصلاة من النفاق .

وقال الله تعالى<sup>(٩)</sup> : ﴿ إِنْ تَسْتَفِئْهُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعَدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتُوكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنفال : ١٩ ] .

(١) انظر « مغازي الواقدي » ( ٨٠ / ١ ) .

(٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .

(٣) البجاد : الكساء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٩٦ / ١ ) .

(٤) في م : « نهلاً » .

(٥) وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » ( ٢ / ٢١١ - ٢١٢ ) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه ، وقال : هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبّير .

(٦) انظر التفسير ( ٣ / ٥٦٢ - ٥٦٣ ) .

(٧) في (آ) و(ط) : « يُغَشِّيكُمْ » بضم الياء وتشديد الشين ونصب « النعاس » وهي قراءة ابن عامر وأهل الكوفة وفي قراءة أبي عمرو وابن كثير : « إذا يغشاكم » . انظر « حجة القراءات » ص ( ٣٠٨ ) .

(٨) انظر « تفسير الطبري » ( ٤ / ١٤١ و ٩٣ / ١٩٣ ) .

(٩) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٣ / ٥٧٢ - ٥٧٣ ) .

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا يزيد بن هارون ، ثنا محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال حين التقى القوم : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأخذه الغداة . فكان هو المُستفتح .

وكذا ذكره ابن إسحاق في « السيرة »<sup>(٢)</sup> .

ورواه النسائي<sup>(٣)</sup> ، من طريق صالح بن كيسان ، عن الزهري .

ورواه الحاكم<sup>(٤)</sup> ، من حديث الزهري أيضاً ، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه .

وقال الأموي<sup>(٥)</sup> : حدثنا أسباط بن محمد القرشي ، عن مطرف ، عن عطية في قوله : ﴿ إِن تَسْتَفِئْهُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ . قال : قال أبو جهل : اللهم انصر أعزّ الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت : ﴿ إِن تَسْتَفِئْهُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة<sup>(٦)</sup> ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [ الأنفال : ٧ ] . قال : أقبلت عير أهل مكة تريد الشام ، فبلغ ذلك أهل المدينة ، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فأسرعوا إليها ؛ لكيلا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه ، فسبقت العير رسول الله ﷺ ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يُحِبُّون أن يلقوا العير ، وسار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم ، وكره القوم مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبي ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رَمْلَةٌ دِعْصَةٌ<sup>(٧)</sup> ، فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يُوسَّوْسُهُمْ : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم كذا؟! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرملُ لبداً ، ومشى الناس عليه والدواب ، فساروا إلى القوم ، وأمد<sup>(٨)</sup> الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمئة من الملائكة مُجَنَّبَةٌ ، وميكائيل في خمسمئة من الملائكة مُجَنَّبَةٌ ، وجاء إبليس في جنود من الشياطين ومعه رايته<sup>(٩)</sup> ، وهم في صورة رجال من بني مُدَلِج ، والشيطان في

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٣١ / ٥ ) ، وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٨ / ١ ) .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » ( ١١٢٠١ ) .

(٤) « المستدرک » ( ٣٢٨ / ٢ ) .

(٥) وأخرجه الطبري في تفسيره ( ٢٠٨ / ٩ ) .

(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره ( ١٨٦ / ٩ ) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٧٨ / ٣ - ٧٩ ) بلفظه .

(٧) الدعصة : المستدير من الرمل . انظر « لسان العرب » ( دعص ) .

(٨) في ( ط ) : « أيد » .

(٩) في ( ط ) : « ذريته » .

صورة سُراقَة بن مالك بن جُعشم ، وقال الشيطان للمشركين : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . فلما اصطفَ الناسُ قال أبو جهل : اللهم أولانا بالحق فانصُرْه . ورفع رسولُ الله ﷺ يديه فقال : « يارب ، إن تهلك هذه العصابةُ فلن تُعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريلُ : خذ قبضةً من التراب . فأخذ قبضةً من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحدٍ إلّا وأصاب عينيه ومنخره وفمه ترابٌ من تلك القبضة ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريلُ إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين ، انتزع إبليسُ يده ثم ولّى مدبراً وشيعته ، فقال الرجلُ : يا سُراقَة ، أما زعمت أنك لنا جارٌ ؟ قال : ﴿ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقيُّ في « الدلائل » .

وقال الطبراني<sup>(١)</sup> : ثنا مسعدة بن سعد العطّار ، ثنا إبراهيم بن المُنذر الحزامي ، ثنا عبد العزيز بن عمران ، ثنا هشام بن سعيد ، عن عبد ربّه بن سعيد بن قيس الأنصاري ، عن رفاعة بن رافع قال : لما رأى إبليسُ ما تفعلُ الملائكةُ بالمشركين يوم بدر ، أشفق أن يخلص [القتلُ] إليه ، فتشبّث به الحارث بن هشام وهو يظنُّ أنه سُراقَة بن مالك ، فوكز في صدر الحارث فألقاه ، ثم خرج هارباً حتى ألقي نفسه في البحر ، ورفع يديه فقال : اللهم إنّي أسألك نظرتك إياي . وخاف أن يخلص القتلُ إليه . وأقبل أبو جهل فقال : يا معشر الناس ، لا يهُولتكم<sup>(٢)</sup> خذلانُ سُراقَة بن مالك ، فإنّه كان على ميعادٍ من محمدٍ ، ولا يهُولتكم قتلُ شيبة وعُتبة والوليد ، فإنّهم قد عجلوا ، فواللّات والعُزّى لا نرجعُ حتى نفرقهم بالجبّال<sup>(٣)</sup> ، فلا ألفين رجلاً منكم قتل رجلاً ، ولكن خذوهم أخذاً حتى تعرّفوهم سوء صنيعهم ، من مفارقتهم إياكم ، ورغبتهم عن اللّات والعُزّى . ثم قال أبو جهل مُتمثلاً : [من الرجز]

ما تنقمُ الحربُ الشّمسُ منّي      بازلُ عامين حديثُ سنّي  
لمثل هذا ولدتنّي أُمّي

وروى الواقدي<sup>(٤)</sup> ، عن موسى بن يعقوب الرّمعي ، [عن عمّه<sup>(٥)</sup> ، عن أبي بكر بن أبي سليمان بن<sup>(٦)</sup> أبي حثمة ، سمعتُ مروان بن الحكم يسألُ حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخُ يكرهُ

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم ( ٤٥٥٠ ) وما بين الحاصرتين زيادة منه . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٧٧ / ٦ ) : وقال : فيه عبد العزيز بن عمران . وهو ضعيف .

(٢) في « المعجم الكبير » : « يهزمنكم » .

(٣) في ( آ ) و « معجم الطبراني » : « نفرنهم بالجبّال » . وأثبت لفظ ( ط ) .

(٤) انظر « مغازي الواقدي » ( ٩٥ / ١ ) ، وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٧٩ / ٣ - ٨٠ ) ، من طريق الواقدي به .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرَك من « المغازي » و « دلائل النبوة » .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « عن » . وأثبت لفظ « المغازي » .

ذلك ، فآلَح عليه ، فقال حكيمٌ : التقينا فاقتتلنا ، فسمعتُ صوتاً وقع من السماء إلى الأرض ، مثل وقع الحصاة في الطَّست ، وقبض النبي ﷺ القبضة التراب ، فرمى بها فانهمزنا .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : وحدثنا إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن ضَعِير ، سمعتُ نوفل بن مُعاوية الدَّيْلِي يَقُولُ : انهزمنا يوم بدر ونحن نسمعُ صوتاً كوقع الحصى في الكأس<sup>(٢)</sup> ، في أفندتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدَّ الرعب علينا .

وقال الأموي<sup>(٣)</sup> : ثنا أبي ، [ ثنا ابنُ إسحاق ] ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن ضَعِير ، أنَّ أبا جهل حين التقى القوم قال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فَأَجَنهُ الغداة . فكان هو المستفتح . فبينما هم على تلك الحال ، وقد شَجَّع الله المسلمين على لقاء عدوهم ، وقلَّلهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسولُ الله ﷺ خفقةً في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشريا أبا بكر ، هذا جبريلُ مُعْتَجِرٌ بعمامته ، آخذُ بعنان فرسه يَقُوْدهُ ، على ثنياه النَّفْعُ ، أتاك نصرُ الله وَعِدَّتُهُ » . وأمر رسولُ الله ﷺ فأخذ كفّاً من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القوم فقال : « شاهت الوجوه » . ثم نفخهم<sup>(٤)</sup> بها ، ثم قال لأصحابه : « احمِلُوا » . فلم تَكُنْ إلَّا الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .

وقال زيادٌ ، عن ابنِ إسحاق<sup>(٥)</sup> : ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ حَفَنَةً من الحصباء ، فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوه » . ثم نفخهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « شُدُّوا » . فكانت الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السُّدِّيُّ الكبيرُ : قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ يوم بدرٍ : « أعطني حصي من الأرض » . فناوله حصي عليه ترابٌ ، فرمى به في وجوه القوم ، فلم يبق مشركٌ إلَّا دخل في عينيه من ذلك التراب شيءٌ ، ثم ردَّهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ وهكذا قال عُروَةُ ، وعكرمةُ ، ومجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ كعبٍ ، ومحمدُ بنُ قيسٍ ، وقتادةٌ ، وابنُ زيدٍ ، وغيرُهم ؛ أنَّ هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدرٍ . وقد فعل ، عليه الصلاة والسلامُ ، مثل ذلك في غزوة حُنين ، كما سيأتي في موضعه ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله ، وبه الثقةُ .

وذكر ابنُ إسحاق<sup>(٦)</sup> ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا حَرَّضَ أصحابه على القتال ، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب ، وهزمهم الله تعالى ، صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكرٍ ، ووقف سعدُ بنُ مُعَاذٍ ومن معه

(١) انظر « المغازي » للواقدي ( ٩٥ / ١ ) .

(٢) في ( ط ) : « الطاس » .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠٨ / ٩ - ٢٠٩ ) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٨ / ١ ) .

(٤) في ( ط ) : « ثم نفخهم » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٨ / ١ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٨ / ١ ) .

من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوف ؛ خيفة أن تكثر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما وضع القوم أيديهم بأسرون ، رأى رسول الله ﷺ ، فيما ذكر لي ، في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس ، فقال له : « كأنني بك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ » . قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباس ، أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ : « إنني قد عرفت أن رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسيد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ - فلا يقتله ، فإنه إنما خرج مستكراً » . فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آبائنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألحمته بالسيف . فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعمر : « يا أبا حفص ، قال عمر : والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص ، أضرِب وجهه عم رسول الله بالسيف ؟ » . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فقال أبو حذيفة : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً ، رضي الله عنه .

### مقتل أبي البختري بن هشام

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختري ؛ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقبه المُجذّر بن زياد البلوي حليف الأنصار فقال له : إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك . ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مليحة ، وهو من بني ليث . قال : وزميلي ؟ فقال له المُجذّر : لا والله ، ما نحن بباركي زميلك ، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك . قال : لا والله ، إذا لأموتن أنا وهو جميعاً ، لا يتحدث عني نساء قريش مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة .

وقال أبو البختري وهو يُنازل المُجذّر : [ من الرجز ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٨ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٨ - ٦٢٩ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٢٩ - ٦٣٠ ) .



لَنْ يَتْرُكَ<sup>(١)</sup> ابْنُ حُرَّةَ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

قال : فاقْتَتَلَا . فقتله الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ ، وقال في ذلك : [ من الرجز ]

إِمَّا جَهَلْتَ أَوْ نَسِيتَ نَسْبِي فَأُثْبِتِ النَّسْبَةَ أَنِّي مِنْ بَلِي  
الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزْنِيِّ<sup>(٢)</sup> وَالطَّاعِنِينَ<sup>(٣)</sup> الْكَبْشِ<sup>(٤)</sup> حَتَّى يَنْحَنِي  
بَشَرٌ يُتِمُّ مَنْ أَبَوَهُ الْبَخْتَرِيُّ أَوْ بَشَرٌ بِمَثَلِهَا مَنِّي بَنِي  
أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَصْلِي مِنْ بَلِي أَطْعُنُ بِالصَّعْدَةِ<sup>(٥)</sup> حَتَّى تَنْشِي  
وَأَعْبُطُ الْقَرْنَ بَعْضُ مَشْرِفِي أَرْزُمُ لِلْمَوْتِ كِإِرْزَامِ الْمَرِي  
فَلَا يَرَى مُجَذَّرًا يَفْرِي فَرِي

ثم أتى الْمُجَذَّرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال : والذي بعثك بالحق ، لقد جَهِدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَاتِيكَ بِهِ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُقَاتِلَنِي ، فَقَاتَلْتُهُ فَقَتَلْتُهُ .

## فصل

[ فِي مَقْتَلِ أُمَيَّةَ بْنِ خُلْفٍ<sup>(٦)</sup> ]

قال ابنُ إِسْحَاقَ<sup>(٧)</sup> : وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِيهِ ، وَحَدَّثَنِيهِ أَيْضاً عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرُهُمَا ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خُلْفٍ لِي صَدِيقاً بِمَكَّةَ ، وَكَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو ، فَسَمَّيْتُ<sup>(٨)</sup> حِينَ أَسْلَمْتُ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَكَانَ يَلْقَانِي إِذْ نَحْنُ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ : يَا عَبْدَ عَمْرٍو ، أَرِغْبَتْ عَنْ اسْمِ سَمَّاكَ أَبُوكَ<sup>(٩)</sup> ؟ قَالَ : فَأَقُولُ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْئاً أَدْعُوكَ بِهِ ، أَمَّا أَنْتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ . قَالَ : وَكَانَ إِذَا دَعَانِي : يَا عَبْدَ عَمْرٍو ، لَمْ أَجِبْهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، اجْعَلْ مَا شِئْتَ . قَالَ : فَأَنْتَ عَبْدُ الْإِلَهِ .

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « لَنْ يُسْلَمَ » .

(٢) اليزني : نسبة إلى ذي يزن ، ملك من ملوك اليمن .

(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « والضاربين » .

(٤) الكبش : سيد القوم . انظر « مختار الصحاح » ( كبش ) .

(٥) الصعدة : عصا الرمح ، ثم سمي الرمح صعدة . « شرح غريب السيرة » ( ٣٧ / ٢ ) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣١ / ١ ) .

(٨) كذا في ( آ ) و « السيرة النبوية » لابن هشام و « تاريخ الطبري » ( ٤٥١ / ٢ ) : « فسميت » ، وفي ( ط ) : « فسميت » .

(٩) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « أبوك » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « أبواك » .

قال : قلتُ : نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأجيبه فأتحدثُ معه ، حتى إذا كان يومُ بدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه عليٍّ ، وهو آخذٌ بيده . قال : ومعِي أذراعٌ لي قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلمّا رأيته قال : يا عبد عمرو . فلم أجبه . فقال : يا عبد الإله . فقلتُ : نعم . قال : هل لك فيّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلتُ : نعم ، ها الله [ ذا ]<sup>(١)</sup> . قال : فطرحْتُ الأذراعُ من يدي ، وأخذتُ بيده ويده ابنه ، وهو يقولُ : ما رأيتُ كالْيَوْمِ قَطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللَّبنِ<sup>(٢)</sup> ؟ ثم خرجتُ أمشي بهما .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدّثني عبدُ الواحد بنُ أبي عونٍ ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : قال لي أُمَيَّةُ بنُ خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ منكم ، المُعلَّمُ بريشة نعامٍ في صدره ؟ قال : قلتُ : حمزة . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدُ الرحمن : فوالله إنّي لأقودُهما إذ رآه بلالٌ معي ؛ وكان هو الذي يُعَذِّبُ بلالاً بمكّة على [ ترك ]<sup>(٤)</sup> الإسلام ، فلمّا رآه قال : رأسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . قال : قلتُ : أي بلالٌ ، أسيرِي ؟ . قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكَةِ<sup>(٥)</sup> ، فأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلف رجلُ السيف ، فضرب رجل ابنه فوق ، وصاح أُمَيَّةُ صيحةً ما سمعتُ بمثلها قَطُّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما<sup>(٦)</sup> بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبدُ الرحمن يقولُ : يرحمُ الله بلالاً ، فجعني بأذراعي وبأسيري .

وهكذا رواه البخاريُّ في « صحيحه »<sup>(٧)</sup> قريباً من هذا السياق ، فقال في الوكالة : حدّثنا عبدُ العزيز ، هو ابنُ عبد الله - حدّثنا يوسف - هو ابنُ الماجشون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كاتبُ أُمَيَّةِ بن خلفٍ كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي<sup>(٨)</sup> بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلمّا ذكرْتُ الرحمن قال : لا أعرفُ الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهليّة . فكاتبته عبد عمرو ، فلمّا كان يومُ بدرٍ ، خرجتُ إلى جبلٍ لأحرزه حين نام الناسُ ، فأبصره

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفي « تاريخ الطبري » : « هلم إذا » .

(٢) قال ابن هشام : يريد باللبن : أن من أسرني افتديت منه بلال كثيرة اللبن . انظر « السيرة النبوية » ( ١ / ٦٣١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٢ ) .

(٤) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٢ ) .

(٥) أي : جعلونا في حلقة كالسوار ، وأحذقوا بنا . « النهاية » ( ٤ / ٣٣١ ) .

(٦) أي : قطعوا لحمهما . انظر « شرح غريب السيرة » ( ٢ / ٣٧ - ٣٨ ) .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٢٣٠١ ) .

(٨) الصاغية : بصاد مهملة وغين معجمة ، خاصة الرجل . عن « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني ( ٥ / ٢٤٨ ) .

بلا ل ، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار فقال : أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ؟ ! لا نجوتُ إن نجا أُمِّيَّةُ ، فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا ، فلَمَّا خَشِيتُ أن يلحقُونَا ، خَلَفْتُ لَهُم ابْنَهُ لِأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ أَتَوْا حَتَّى تَبْعُونَا ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا ، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ : اِبْرُك . فَبَرَكَ فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِي لِأَمْنَعَهُ ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِي حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رَجُلِي بِسَيْفِهِ . فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الْأَثَرَ<sup>(١)</sup> فِي ظَهْرِ قَدَمِهِ .

سمع يوسفُ صالحاً ، وإبراهيمُ أباه . تفرّد به البخاريُّ من بينهم كلهم .  
وفي مُسند رفاعَةَ بن رافع<sup>(٢)</sup> ، أَنَّهُ هُوَ<sup>(٣)</sup> الَّذِي قَتَلَ أُمِّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ .

### مَقْتَلُ أَبِي جَهْلٍ ، لَعْنَهُ اللَّهُ

قال ابنُ هشام<sup>(٤)</sup> : وَأَقْبَلَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَئِذٍ يَرْتَجِزُ [ وَهُوَ يَقَاتِلُ ]<sup>(٥)</sup> وَيَقُولُ : [ مِنْ الرِّجْزِ ]  
مَا تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مَنِي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثٌ سَنِي  
لَمِثْلُ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

قال ابنُ إسحاق<sup>(٦)</sup> : وَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَدُوِّهِ ، أَمَرَ بِأَبِي جَهْلٍ أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ أَبَا جَهْلٍ ، كَمَا حَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَيْضاً قَدْ حَدَّثَنِي ذَلِكَ ، قَالَا : قَالَ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ : سَمِعْتُ الْقَوْمَ ، وَأَبُو جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ<sup>(٧)</sup> ، وَهُمْ يَقُولُونَ : أَبُو الْحَكَمِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعْتُهَا جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي ، فَصَمَدْتُ<sup>(٨)</sup> نَحْوَهُ ، فَلَمَّا أَمَكَّنِي ، حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرِبْتُهُ ضَرْبَةً أَطْنَتْ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا شَبَّهْتُهَا حِينَ طَاحَتْ ، إِلَّا بِالنَّوَاةِ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ مَرْضَخَةِ النَّوَى حِينَ يُضْرَبُ بِهَا . قَالَ : وَضَرَبَنِي ابْنُهُ عِكْرَمَةُ عَلَى عَاتِقِي ، فَطَرَحَ يَدِي فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدَةٍ مِنْ جَنْبِي ، وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عَنْهُ ، فَلَقَدْ قَاتَلْتُ عَامَّةَ يَوْمِي وَإِنِّي لِأَسْحِبُهَا خَلْفِي ، فَلَمَّا آذَنِي وَضَعْتُ عَلَيْهَا قَدَمِي ، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِهَا عَلَيْهَا حَتَّى طَرَحْتُهَا - قَالَ ابْنُ

(١) لفظ « الأثر » سقط من ( ط ) وانفردت به ( آ ) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ٤٥٣٥ ) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٨٢ / ٦ ) وعزاه للطبراني ، وقال : وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف .

(٣) أي : رافع بن مالك والد رفاعَةَ .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٤ / ١ ) .

(٥) زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٤ / ١ - ٦٣٥ ) .

(٧) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتف .

(٨) أي : قصدت .

إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان ، ثم مرّ بأبي جهل ، وهو عقيز<sup>(٢)</sup> ، مُعوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته ، وتركه وبه رمق ، وقاتل مُعوذ حتى قُتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل ، حين أمر رسول الله ﷺ أن يلتبس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله ﷺ - فيما بلغني - : « انظروا ، إن خفي عليكم في القتلى ، إلى أثر جرح في ركبته ، فإنني ازدحمت أنا وهو يوماً على مأذبة لعبد الله بن جُدعان ونحن غُلامان ، وكنتُ أشف منه بيسير ، فدفعته فوق علي ركبتيه فجُحش في إحداهما جحشاً لم يزل أثره به . قال ابن مسعود : فوجدته بأخر رمقٍ فعرفته ، فوضعتُ رجلي على عنقه ، قال : وقد كان ضبث<sup>(٣)</sup> بي مرةً بمكة ، فأذاني ولكزني ، ثم قلتُ له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟ ! قال : أعمدُ من رجلٍ قتلتموه ، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قلتُ : لله ولرسوله .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وزعم رجالٌ من بني مخزوم ، أن ابن مسعود كان يقول : قال لي<sup>(٥)</sup> : لقد ارتقيتُ مُرتقى صعباً يا زويعي الغنم . قال : ثم احتزرتُ رأسه ، ثم جئتُ به رسول الله ﷺ فقلتُ : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدو الله .

فقال : « الله الذي لا إله غيره ؟ » . وكانت يمين رسول الله ﷺ ، فقلتُ : نعم ، والله الذي لا إله غيره . ثم ألقى رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله . هكذا ذكر ابن إسحاق ، رحمه الله .

وقد ثبت في « الصحيحين »<sup>(٦)</sup> ، من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشون ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف قال : إني لواقفٌ يوم بدرٍ في الصف ، فنظرتُ عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غُلامين من الأنصار حديثي أسنانهما ، فتمنيتُ أن أكون بين أظلعٍ منهما ، فغمزني أحدهما فقال : يا عم ، أتعرفُ أبا جهل ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجتكُ إليه ؟ قال : أخبرتُ أنه يسبُّ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيته ، لا يفارقُ سوادِي سواده حتى يموت الأَعجلُ منا .

فتعجبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل وهو يَجُولُ في الناس ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبُكم الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال : « أئكما قتله ؟ » . قال كُلُّ منهما : أنا قتلته . قال : « هل مسحتُما سيفيكما ؟ » . قالا : لا . قال : فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال : « كلاكما قتله » . وقضى بسلبه لمُعَاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخرُ مُعَاذ بن عفراء .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٥ - ٦٣٦ ) .

(٢) أي : جريح .

(٣) ضبث : قبض .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٦ ) ، و « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٥٥ ) .

(٥) يعني أبو جهل ، لعنه الله .

(٦) رواه البخاري ( ٣١٤١ ) ومسلم ( ١٧٥٢ ) .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ ، إِذْ التَفْتُ فَإِذَا عَنِ يَمِينِي وَعَنِ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السَّنِّ ، فَكَأَنِّي لَمْ أَمِنْ بِمَكَانِهِمَا ، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرّاً مِنْ صَاحِبِهِ : يَا عَمَّ ، أَرْنِي أَبَا جَهْلٍ . فَقُلْتُ : يَا بَنَ أَخِي ، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ ، أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ . فَقَالَ لِي الْآخَرُ سِرّاً مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ . قَالَ : فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا ، فَأَشْرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ .

وفي « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> أيضاً ، من حديث سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ يَنْظُرْ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟ » . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَاَنْطَلَقَ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ . قَالَ : فَأَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ . أَوْ قَالَ : قَتَلَهُ قَوْمُهُ .

وعند البخاري<sup>(٣)</sup> ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ قَيْسٍ<sup>(٤)</sup> ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ : قَدْ أَخْزَاكَ اللَّهُ ؟<sup>(٥)</sup> فَقَالَ : هَلْ أَعَمَدَ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ .

وقال الأعمش<sup>(٦)</sup> ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَهُوَ صَرِيحٌ وَعَلَيْهِ بِيضَةٌ وَمَعَهُ سَيْفٌ جَيِّدٌ ، وَمَعِيَ سَيْفٌ رَدِيءٌ ، فَجَعَلْتُ أَنْقُفُ رَأْسَهُ بِسَيْفِي وَأَذْكُرُ نَقْفاً كَانَ يَنْقُفُ رَأْسِي بِمَكَّةَ ، حَتَّى ضَعُفَتْ يَدُهُ ، فَأَخَذْتُ سَيْفَهُ ، فَرَفَعْتُ رَأْسَهُ فَقَالَ : عَلَى مَنْ كَانَتِ الدَّائِرَةُ ؟ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا ؟ أَلَسْتُ رُوَيْعِينَا بِمَكَّةَ ؟ قَالَ : فَقَتَلْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : قَتَلْتُ أَبَا جَهْلٍ . فَقَالَ : « اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؟ » . فَاسْتَخْلَفَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَامَ مَعِيَ إِلَيْهِمْ فَدَعَا عَلَيْهِمْ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، ثنا إِسْرَائِيلُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ ضُرِبَتْ رِجْلُهُ [ وَهُوَ صَرِيحٌ ]<sup>(٨)</sup> ، وَهُوَ يَذُبُّ النَّاسَ عَنْهُ بِسَيْفٍ لَهُ ، فَقُلْتُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ . قَالَ : هَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ، قَالَ : فَجَعَلْتُ

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨) .

(٢) رواه البخاري (٣٩٦٢) و(٣٩٦٣) و(٤٠٢٠) ومسلم (١٨٠٠) .

(٣) رواه البخاري (٣٩٦١) .

(٤) في (آ) و(ط) : « عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ قَيْسٍ » وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » .

(٥) في (ط) : « هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ ؟ » .

(٦) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٤٧٠) ، من طريق الأعمش به ، وإسناده ضعيف .

(٧) رواه أحمد في المسند (٤٤٤/١) ، وإسناده ضعيف .

(٨) زيادة من « مسند الإمام أحمد » .

أتناوله بسيفٍ لي غير طائلٍ ، فأصبتُ يده ، فندر<sup>(١)</sup> سيفه ، فأخذته فضربته حتى قتلته . قال : ثم خرجتُ حتى أتيتُ النبي ﷺ كأنما أفلَّ من الأرض ، فأخبرته فقال : « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » . فرددها ثلاثاً . قال : قلتُ : الله الذي لا إله إلا هو . قال : فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال : « الحمد لله الذي قد أخزأك الله يا عدو الله ، هذا كان فرعون هذه الأمة » .

وفي روايةٍ أخرى : قال ابنُ مسعودٍ : فنفلني سيفه .

وقال أبو إسحاق الفزاري<sup>(٢)</sup> ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن ابن مسعودٍ قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ يوم بدرٍ ، فقلتُ : قد قتلْتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلا هو ؟ » . فقلتُ : الله الذي لا إله إلا هو . مرتين أو ثلاثاً . قال : فقال النبي ﷺ : « الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثم قال : « انطلق فأرنيه » . فانطلقتُ فأرنيته فقال : « هذا فرعونُ هذه الأمة » .

ورواه أبو داود ، والنسائي . من حديث أبي إسحاق السبيعي<sup>(٣)</sup> .

وقال الواقدي : وقف رسولُ الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال : « رحم الله ابني عفراء ، فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر » . ف قيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكة ، وابنُ مسعودٍ قد شرك في قتله » رواه البيهقي<sup>(٤)</sup> .

وقال البيهقي<sup>(٥)</sup> : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن أبي إسحاق قال : لما جاء رسولُ الله ﷺ البشير يوم بدرٍ بقتل أبي جهلٍ ، استحلفه ثلاثة أيمانٍ بالله الذي لا إله إلا هو ، لقد رأيته قتيلاً ؟ فحلف له ، فخرَّ رسولُ الله ﷺ ساجداً .

ثم روى البيهقي<sup>(٦)</sup> ، من طريق أبي نُعيم ، عن سلمة بن رجاء ، عن الشعثاء ؛ امرأة من بني أسيد ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أن رسولَ الله ﷺ صلى ركعتين ؛ حين بُشِّر بالفتح ، وحين جيء برأس أبي جهلٍ .

وقال ابنُ ماجه<sup>(٧)</sup> : حدثنا أبو بشرٍ بكر بن خلفٍ ، حدثنا سلمة بن رجاء قال : حدثتني شعثاء ، عن

(١) أي : سقط .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٤٤ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه أبو داود ( ٢٧٠٩ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٦٧٠ ) وهو حديث حسن .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٨٩ / ٣ ) .

(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٨٩ / ٣ ) .

(٦) في « دلائل النبوة » ( ٨٩ / ٣ ) .

(٧) رواه ابن ماجه ( ١٣٩١ ) ، وإسناده ضعيف .

عبد الله بن أبي أوفى ، أن رسول الله ﷺ صلى يوم بُشِّر برأس أبي جهل ركعتين .

وقال ابنُ أبي الدنيا<sup>(١)</sup> : حدَّثنا أبي ، حدَّثنا هُشَيْمٌ<sup>(٢)</sup> ، أخبرنا مُجَالِدٌ ، عن الشَّعْبِيِّ ، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إنِّي مررتُ ببدرٍ فرأيتُ رجلاً يَخْرُجُ من الأرض ، فيضربه رجلٌ بمقمةٍ معه حتى يغيب في الأرض ، ثم يخرجُ فيفعلُ به مثل ذلك مراراً . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهل بن هشام يُعَذَّبُ إلى يوم القيامة » .

وقال الأُمَوِيُّ في « مغازيه » : سمعتُ أبي ، ثنا المُجَالِدُ بنُ سَعِيدٍ ، عن عامرٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : إنِّي رأيتُ رجلاً جالساً في بدر ، ورجلٌ يضربُ رأسه بعمودٍ من حديد ، حتى يغيب في الأرض . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهل ، وكلُّ به ملكٌ يفعلُ به كلما خرج ، فهو يتجلجل<sup>(٣)</sup> فيها إلى يوم القيامة »<sup>(٤)</sup> .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : حدَّثنا عُبيدُ بنُ إسماعيل ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : قال الزُّبَيْرُ : لقيتُ يوم بدرٍ عُبيدة بن سعيد بن العاص ، وهو مُدَجَّجٌ لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يُكنى أبا ذات الكرش ، فقال : [ أنا ]<sup>(٦)</sup> أبو ذات الكرش . فحملتُ عليه بعزّة ، فطعنته في عينه فمات . قال هشامٌ : فأخبرتُ أنّ الزُّبَيْرَ قال : لقد وضعتُ رجلي عليه ، ثم تمطّيتُ فكان الجهد أن نزعتها ، وقد انثنى طرفاها . قال عروة : فسأله إياها رسولُ الله ﷺ فأعطاه [ إياها ]<sup>(٧)</sup> ، فلما قبض رسولُ الله ﷺ أخذها ، ثم طلبها أبو بكرٍ ، فأعطاه ، فلما قبض أبو بكرٍ سألها إياه عمرٌ ، فأعطاه إياها ، فلما قبض عمرٌ أخذها ، ثم طلبها عثمانٌ منه ، فأعطاه إياها ، فلما قُتل عثمانُ وقعت عند آل عليٍّ ، فطلبها عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ ، فكانت عنده حتى قُتل .

وقال ابنُ هشام<sup>(٨)</sup> : حدَّثني أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي ، أنّ عُمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومَرَّ به : إنِّي أراك كأنّ في نفسك شيئاً ، أراك تظنُّ أنّي قتلتُ أباك ، إنّي لو قتلتُه لم أعتردُ إليك من قتله ، ولكنّي قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المُغيرة ، فأما أبوك فإنّي مررتُ به وهو

(١) ورواه أيضاً البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٨٩ - ٩٠ ) ، وإسناده ضعيف .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « هشام » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته وانظر « تهذيب الكمال » ( ٣٠ / ٢٧٢ ) و ( ٢٧ / ٢١٩ ) .

(٣) أي : يغوص في الأرض حين يخسف به . انظر « النهاية » ( ١ / ٢٨٤ ) .

(٤) وإسناده ضعيف .

(٥) رواه البخاري ( ٣٩٩٨ ) .

(٦) لفظ « أنا » سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٧) لفظ « إياها » سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٦ - ٦٣٧ ) .

يبحثُ بحث الثور بروقه<sup>(١)</sup> ، فحدثُ عنه ، وقصد له ابنُ عمِّه عليٌّ فقتله .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقاتل عُكاشةُ بنُ محصن بن حُرثان الأسديّ ، حليفُ بني عبد شمسٍ ، يوم بدرٍ بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولُ الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطبٍ فقال : « قاتل بهذا يا عُكاشة » فلمّا أخذه من رسول الله ﷺ هزّه ، فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديد ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيفُ يُسمّى العون ، ثم لم يزل عنده يشهدُ به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طليحةُ الأسديّ أيام الرّدة ، وأنشد طليحةُ في ذلك قصيدةً ، منها قوله : [ من الطويل ]

عشيّة غادرتُ ابنَ أقرم ثاوياً وعُكاشةُ الغنميّ عند مجال

وقد أسلم بعد ذلك طليحةُ ، كما سيأتي بيانه .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٣)</sup> : وعُكاشةُ هو الذي قال ، حين بشر رسولُ الله ﷺ أمّته بسبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حسابٍ<sup>(٤)</sup> ولا عذابٍ : ادعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « اللهم اجعله منهم » . وهذا الحديثُ مُخرَجٌ في الصّحاح والحسان وغيرها<sup>(٥)</sup> .

قال ابنُ إسحاق<sup>(٦)</sup> : وقال رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني - : « منّا خيرُ فارسٍ في العرب » . قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « عُكاشةُ بنُ محصنٍ » فقال ضرارُ بنُ الأزور الأسديّ : ذاك رجلٌ منّا يارسول الله . قال : « ليس منكم ولكنّه منّا »<sup>(٧)</sup> . للحلف .

وقد روى البيهقي<sup>(٨)</sup> عن الحاكم ، من طريق محمد بن عُمر الواقديّ ، حدّثني عمرُ بنُ عثمان الجَحشيّ<sup>(٩)</sup> عن أبيه ، عن عمّته قالت : قال عُكاشةُ بنُ محصنٍ : انقطع سيفي يومَ بدرٍ ، فأعطاني رسولُ الله ﷺ عُوداً ، فإذا هو سيفٌ أبيضٌ طويلٌ ، فقاتلتُ به حتى هزم الله المُشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

(١) الروق : القرن . انظر « القاموس المحيط » ( روق ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » ( ٦٣٧ / ١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٨ / ١ ) .

(٤) انظر « شذرات الذهب » ( ١٣٥ / ١ ) طبع دار ابن كثير .

(٥) رواه البخاري ( ٥٧٠٥ ) و ( ٥٧٥٢ ) و ( ٦٥٤١ ) ومسلم ( ٢٢٠ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٨ / ١ ) .

(٧) لفظ « منّا » سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٩٩ / ٣ ) .

(٩) تحرفت في ( ط ) إلى : « الخشني » والصواب ما جاء في ( آ ) .



وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : وحدّثني أسامة بنُ زيد ، عن داود بن الحُصين ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل عدّة قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريش يوم بدرٍ ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طابٍ ، فقال : « اضرب به » . فإذا هو<sup>(٢)</sup> سيفٌ جيّدٌ ، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبَيْدٍ<sup>(٣)</sup> .

### رُدّه ، عليه السلام ، عين قتادة

قال البيهقيُّ في « الدلائل »<sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو سعدٍ المالينيُّ ، أخبرنا أبو أحمد بنُ عديٍّ ، حدّثنا أبو يعلى ، حدّثنا يحيى الحمّاني ، ثنا عبدُ الرحمن بنُ سليمان ، ابنُ الغسيل ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جدّه قتادة بن النُعمان ، أنّه أُصيبَ عينُهُ يوم بدرٍ ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » . فدعاه فغمز حدقته براحتة ، فكان لا يدري أيُّ عينيه أُصيبت .

وفي رواية<sup>(٥)</sup> : فكانت أحسن عينيه .

وقد رويّا عن أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز ، أنّه لمّا أخبره بهذا الحديث عاصمُ بنُ عمر بن قتادة ، وأنشد مع ذلك : [ من الطويل ]

أنا ابنُ الذي سألت على الخدّ عينُهُ فرُدّت بكفّ المُصطفى أيّما ردّ<sup>(٦)</sup>

فقال عمرُ بنُ عبد العزيز ، رحمه الله ، عند ذلك مُنشدّاً قول أميّة بن أبي الصّلت في سيف بن ذي يزن ، فأنشده عمرُ في موضعه : حقّاً . [ من البسيط ]

تلك المكارمُ لا قعبان من لبٍ شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

(١) انظر « المغازي » للواقدي ( ٩٣ / ١ - ٩٤ ) .

(٢) لفظ ( هو ) سقط من ( ط ) .

(٣) وجسر أبي عبيد هذا على مرحلتين من الكوفة وبه جرت معركة شهيرة بين المسلمين والفرس سنة ( ١٤ هـ ) وقيل سنة ( ١٣ هـ ) . انظر « معجم البلدان » ( ١٤٠ / ٢ ) و « شذرات الذهب » ( ١٦٠ / ١ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٩٩ / ٣ - ١٠٠ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣٠٧ ) .

(٦) البيت في « شذرات الذهب » ( ١٨٠ / ١ ) وفيه : « ... أحسن الرّدّ » .

## فصل قصة أخرى شبيهة بها

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا محمد بن صالح ، أنا الفضل بن محمد الشعراني ، ثنا إبراهيم بن المنذر ، أخبرنا عبد العزيز بن عمران ، حدثني رفاعه بن يحيى ، عن معاذ بن رفاعه بن رافع ، عن أبيه رفاعه بن رافع بن مالك ، عن أبيه قال : لما كان يوم بدر تجمع الناس على أمية<sup>(٢)</sup> بن خلف ، فأقبلت إليه ، فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه . قال : فطعنته بالسيف فيها طعنة فطعنته<sup>(٣)</sup> ، ورُميت بسهم يوم بدر ، ففقت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي ، فما آذاني منها شيء . وهذا غريب من هذا الوجه ، وإسناده جيد ، ولم يُخرجوه<sup>(٤)</sup>

ورواه الطبراني من حديث إبراهيم بن المنذر .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : ونادى أبو بكر ابنه عبد الرحمن وهو يومئذ مع المشركين لم يُسلم بعد ، فقال : أين مالي يا خبيث ؟ فقال عبد الرحمن : [ من الرجز ]

لم يبق إلا شكة ويعبوب وصارم يقتل ضلال الشيب

يعني لم يبق إلا عدة الحرب ، وحِصان - وهو اليعبوب - يقاتل عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقوله في حال كفره .

وقد روينا في « مغازي الأموي » أن رسول الله ﷺ جعل يمشي يوم بدر هو وأبو بكر الصديق بين القتلى ، ورسول الله ﷺ يقول : [ من الطويل ]

نُفَلِّقُ هَاماً ..... . . . . .

فيقول الصديق<sup>(٦)</sup> :

... من رجالٍ أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٠٠ / ٣ ) .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « أبي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » .

(٣) لفظ « قطعته » سقط من ( ط ) .

(٤) انظر « المستدرک علی الصحیحین » ( ٢٣٢ / ٣ ) ، وقال الحافظ الذهبي في تلخيصه : عبد العزيز بن عمران ضعفه .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٨ ) .

(٦) يكمل أبو بكر رضي الله عنه ما قاله رسول الله ﷺ من شعر حصين بن الحمام . انظر « الشعر والشعراء » ( ٢ / ٦٤٨ ) .

والحديث ذكره المؤلف في « تفسيره » ( ٣ / ٥٦٥ - ٥٦٦ ) .

## ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر [ يوم ] بدر<sup>(١)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب<sup>(٣)</sup> ، طرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزائل<sup>(٤)</sup> [ لحمه ]<sup>(٥)</sup> ؛ فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب وقف عليهم [ رسول الله ﷺ ]<sup>(٦)</sup> فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » . قال : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟ ! فقال : « لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حقٌ » . قالت عائشة : والناس يقولون : « لقد سمعوا ما قلت لهم » . وإنما قال رسول الله ﷺ : « لقد علموا » .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب النبي ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول : « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام - فعّد من كان منهم في القليب - هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » . فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جئوا ؟ ! فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> ، عن ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، فذكر نحوه ، وهذا على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : وحدثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله ﷺ قال : « يا أهل القليب ، بشس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ؛ كذّبتُموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتُموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » .

قلت : وهذا ممّا كانت عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، تتأوله من الأحاديث - كما قد جمع ما

(١) سقط لفظ « يوم » في ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٨ - ٦٣٩ ) .

(٣) القليب : البئر . « القاموس المحيط » ( قلب ) .

(٤) تزائل : تفرق . عن حاشية « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٨ ) .

(٥) سقط لفظ « لحمه » من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٨ ) .

(٦) ما بين الحاصرتين تكملة لازمة من « السيرة النبوية » ( ١ / ٦٣٩ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٩ ) .

(٨) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ١٠٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٣٩ ) .

كانت تتأوله من الأحاديث في جزء- وتعتقد أنه معارضٌ لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] . وليس هو بمعارضٍ له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ؛ للأحاديث الدالة نصاً على خلاف ما ذهب إليه ، رضي الله عنها وأرضاها .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا عبيد بن إسماعيل ، حَدَّثَنَا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : ذكر عند عائشة ، رضي الله عنها ، أن ابن عمر رفع إلى النبي ﷺ : « إِنَّ الْمَيِّتَ يَعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ » . فقالت : وَهَلْ<sup>(٢)</sup> ، رحمه الله ، إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ ، وَإِنْ أَهْلُهُ لَيَكُونُ عَلَيْهِ الْآنَ » . قالت<sup>(٣)</sup> : وذلك مثل قوله : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْقَلْبِ وَفِيهِ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فقال لهم ما قال ، قال : « إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ » . وَإِنَّمَا قَالَ : « إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] . ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] نقول : حين تبوؤوا مقاعدكم من النار .

وقد رواه مسلم<sup>(٤)</sup> عن أبي كريب ، عن أبي أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميّت بعد دفنه في غير ما حديث<sup>(٥)</sup> ، كما سنقرّر ذلك في كتاب الجنائز من « الأحكام الكبير » إن شاء الله .

ثم قال البخاري<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنِي عثمان ، ثنا عبدة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبي ﷺ على قلب بدير ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » . ثم قال : « إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ لَهُمْ » . وذكر لعائشة فقالت : إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ هُوَ الْحَقُّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ حتى قرأت الآية .

وقد رواه مسلم<sup>(٧)</sup> عن أبي كريب ، عن أبي أسامة ، وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، كلاهما عن هشام بن عروة<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) رواه البخاري ( ٣٩٧٨ ) .
  - (٢) لفظ « وَهَلْ » سقط من ( ط ) .
  - (٣) رواه البخاري ( ٣٩٧٩ ) .
  - (٤) رواه مسلم ( ٩٣٢ ) .
  - (٥) كقوله ﷺ : « إِنْ الْعَبْدَ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ أَتَاهُ مُلْكَانِ » رواه البخاري رقم ( ١٣٣٨ ) و ( ١٣٧٤ ) ومسلم رقم ( ٢٨٧٠ ) ( ٧٠ ) و ( ٧١ ) وأبو داود ( ٣٢٣١ ) والنسائي ( ٩٧ / ٧ ) ، من حديث أنس رضي الله عنه .
  - (٦) رواه البخاري ( ٣٩٨٠ ) و ( ٣٩٨١ ) .
  - (٧) رواه مسلم ( ٩٣٢ ) .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حدثنا عبد الله بن محمد ، سمع روح بن عبادة ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالك ، عن أبي طلحة ، أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقفوا في طوي من أطواء<sup>(٢)</sup> بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ ، فلما كان بدير اليوم الثالث ، أمر بإحلالته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلّا لبعض حاجته . حتى قام على شفة الركي<sup>(٣)</sup> ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ؛ يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان : « أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » . فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ؟ فقال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة<sup>(٤)</sup> : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ؛ تويخاً ، وتصغيراً ، ونقمةً ، وحسرةً ، وندماً .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلّا ابن ماجه ، من طريق ، عن سعيد بن أبي عروبة<sup>(٥)</sup> .

ورواه الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> ، عن يونس بن محمد المؤدّب ، عن شيان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدث أنس بن مالك . فذكر مثله ، فلم يذكر أبا طلحة ، وهذا إسناد صحيح ، ولكن الأول أصح وأظهر ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : حدثنا عفان ، ثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثة أيام حتى جيفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإنني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » . قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله ، أتناديهم بعد ثلاث ؟ وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ . فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » .

(١) رواه البخاري ( ٣٩٧٦ ) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الأطواء : جمع طوي وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار . « فتح الباري » ( ٣٠٢ / ٧ ) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الركي ، بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره : البئر قبل أن تطوى . « فتح الباري » ( ٣٠٢ / ٧ ) .

(٤) يعني راوي الحديث .

(٥) رواه مسلم ( ٢٨٧٥ ) وأبو داود ( ٢٦٩٥ ) والترمذي ( ١٥٥١ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٦٥٧ ) .

(٦) رواه « المسند » ( ١٤٥ / ٣ ) .

(٧) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٨٧ / ٣ ) .

ورواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال حسان بن ثابت<sup>(٣)</sup> : [ من الوافر ]

عرفتُ ديار زينب بالكثيبِ	كخطّ الوحي في الورق القشيبِ
تداولها الرّياح وكلُّ جَوْنٍ	من الوسميّ منهمرٍ سكوبِ
فأَمسى رسمها خلقاً وأمست	يباباً بعد ساكنها الحبيبِ
فدع عنك التذكّر كلّ يومٍ	وردّ حرارة القلب <sup>(٤)</sup> الكئيبِ
وخبّر بالذي لا عيب فيه	بصدقٍ غير إخبار الكذوبِ
بما صنع المليك غداة بدرٍ	لنا في المشركين من النصيبِ
غداة كأنّ جمعهم حراءُ	بدت أركانها جُنح الغروبِ
فلاقيناهمّ منّا بجمعٍ	كأسد الغاب مُزدانٍ وشُيبِ
أمام محمدٍ قد وازروه	على الأعداء في لفح الحروبِ
بأيديهم صوارم مرهفاتٍ	وكلّ مجرّبٍ خاطي الكعوبِ
بنو الأوس الغطارفُ وازرثها	بنو النّجار في الدّين الصّليبِ
فغادرنا أبا جهلٍ صريعاً	وعتبةً قد تركنا بالجبوبِ
وشيبة قد تركنا في رجالٍ	ذوي حسبٍ إذا نسبوا حسيبِ
يناديهم رسول الله لمّا	قذفناهم كباكب في القلبِ
ألم تجدوا كلامي كان حقاً	وأمر الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا	صدقّت وكنت ذا رأيٍ مصيبِ

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ولمّا أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القلب ، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القلب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر لونه ، فقال : « يا أبا حذيفة<sup>(٦)</sup> ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيءٌ » . أو كما قال رسول الله ﷺ ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ،

(١) رواه مسلم ( ٢٨٧٤ ) ، وفيه : « هذّاب بن خالد » وكان يعرف بالاسمين معاً . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٣٥ / ٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣٩ / ١ - ٦٤٠ ) .

(٣) انظر « ديوانه » ( ٨٢ / ١ ) بتحقيق الدكتور وليد عرفات .

(٤) في « ديوان حسان » : « الصدر » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٠ / ١ - ٦٤١ ) .

(٦) في ( ط ) : « يا حذيفة » وهو خطأ ، وما جاء في ( آ ) هو الصواب .

فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحنّني ذلك . فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حدّثنا الحميدي ، حدّثنا سفيان ، ثنا عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ قال : هم والله كفّار قريش . قال عمرو : هم قريش ، ومحمد ﷺ نعمة الله ، ﴿ وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . قال : النار يوم بدر .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال حسن بن ثابت<sup>(٣)</sup> : [ من البسيط ]

قومي الذين هم آووا نيّهم	وصدّقه وأهل الأرض كفّار
إلا خصائص أقوام هم سلف	للصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم	لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً ففي أمن وفي سعة	نعم النبي ونعم القسم والجار
[ فأنزلوه بدار لا يخاف بها	من كان جارهم داراً هي الدار ] <sup>(٤)</sup>
وقاسموه بها الأموال إذ قدموا	مهاجرين وقسم الجاحد النار
سرنا وساروا إلى بدر لحينهم	لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم	إنّ الخبيث لمن والاه غرّار
وقال إنّي لكم جار فأوردهم	شرّ الموارد فيه الخزي والعار
ثم التقينا فولّوا عن سراتهم	من منجدين ومنهم فرقة غاروا

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدّثنا يحيى بن أبي بكير<sup>(٦)</sup> وعبد الرزاق قالا : حدّثنا إسرائيل ، [ عن سماك بن حرب ]<sup>(٧)</sup> ، عن عكرمة<sup>(٨)</sup> ، عن ابن عباس قال : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من القتلى ، قيل له : عليك العير ، ليس دونها شيء . فناداه العباس وهو في الوثاق : إنّه لا يصلح لك . قال : « لم ؟ » قال : لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك .

(١) رواه البخاري ( ٣٩٧٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦٤ ) .

(٣) انظر « ديوان حسن بن ثابت » ( ١ / ٤٧٥ - ٤٧٦ ) .

(٤) هذا البيت سقط من ( آ ) واستدرك من ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦٤ ) .

(٥) رواية يحيى في « المسند » ( ١ / ٢٢٨ - ٢٢٩ ) ، وعبد الرزاق في « المصنف » ( ١ / ٣١٤ ) وروايته سماك عن عكرمة فيها اضطراب .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « يحيى بن أبي بكر » وهو خطأ من النسخ ، والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .

(٧) سقط من النسخ ، والمثبت من « المسند » .

(٨) هو عكرمة البرزقي ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس وراويته . مات سنة ( ١٠٥ ) هـ . انظر « تحرير تقريب

التهذيب » ( ٣ / ٣٢ ) و « شذرات الذهب » ( ٢ / ٣٢ ) بتحقيقي .

وقد كان جملة من قتل من سرّاة الكُفّار يوم بدر سبعين ، هذا مع حضور ألفٍ من الملائكة ، وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم ؛ أن سَيُسَلِّمُ منهم بشرٌ كثيرٌ ، ولو شاء الله لسلّط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلية ، وقد كان في الملائكة جبريل ، الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوط وكنّ سبعاً ، فيهن من الأمم والدواب والأراضي والمزروعات ، ما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهنّ حتى بلغ بهنّ عَنان السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهنّ منكِساتٍ ، وأتبعهنّ بالحجارة التي سوّمت لهن ، كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوط فيما تقدم<sup>(١)</sup>

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين ، وبين تعالى حكمه في ذلك فقال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَأَقَ فَإِذَا مَتَّأَ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ الآية [ محمد : ٤ ] .

وقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية [ التوبة : ١٤ - ١٥ ] .

فكان قتل أبي جهل على يدي شاب من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعود ، ويمسك بلحيته ، ويصعد على صدره حتى قال له : لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويحي الغنم ، ثم بعد هذا حز رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ، فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صاعقة ، أو أن يسقط عليه سقف منزله ، أو يموت حتف أنفه ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلماً ، ولكنه خرج معهم تقيّة منهم ؛ لأنه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه ، جماعة ؛ منهم : الحارث بن زمة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [ وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ]<sup>(٣)</sup> ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج . قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُنَّا مَوْنُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [ النساء : ٩٧ ] . وكان جملة الأسارى يومئذ سبعين أسيراً ، كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله ﷺ ؛ عمّه العباس بن عبد المطلب ، وابن عمّه عقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدلل الشافعي والبخاري<sup>(٤)</sup> وغيرهما بذلك ، على أنه ليس كل من ملك ذا رحمٍ محرمٍ يعتق

(١) انظر ما تقدم من كلام المؤلف على قوم لوط في الجزء الأول من الكتاب .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤١ ) .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤١ ) .

(٤) انظر « فتح الباري » ( ٥ / ١٦٧ - ١٦٨ ) .



عليه ، وعارضوا به حديث الحسن ، عن سمرة في ذلك<sup>(١)</sup> ، فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن أمية ، زوج زينب بنت النبي ﷺ .

## فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى ؛ أيقتلون أو يفادون ؟ على قولين ، كما قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس ، وذكر رجلاً ، عن الحسن قال : استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر ، فقال : « إن الله ، عز وجل ، قد أمكنكم منهم » . قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . قال : فأعرض عنه النبي ﷺ ، ثم عاد النبي ﷺ فقال : « أيها الناس ، إن الله قد أمكنكم منهم ، وإنما هم إخوانكم بالأمس » . [ قال ]<sup>(٣)</sup> : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبي ﷺ ، ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال : يا رسول الله ، نرى<sup>(٤)</sup> أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ ﴾ الآية [ الأنفال ٦٨ ] انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> - واللفظ له - ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي وصححه ، وكذا علي بن المديني ، وصححه من حديث عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زميل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدر ، وهم ثلاثمائة وثيف ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادة ، فذكر الحديث كما تقدم إلى قوله : فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً . واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطاب ؟ » قال : قلت : والله

(١) وقد رواه أحمد في « المسند » ( ١٥ / ٥ و ١٨ و ٢٠ ) وأبو داود ( ٣٩٤٩ ) والترمذي ( ١٣٦٥ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ٤٨٩٨ ) و ( ٤٩٠٢ ) ، وهو حديث صحيح .

(٢) قال ابن العماد الحنبلي : ولما أسلم لم يجدد له النبي ﷺ نكاحه على بنته ، بل أبقاهما على نكاحهما . انظر « شذرات الذهب » ( ١٥٢ / ١ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٤٣ / ٣ ) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٨٧ / ٦ ) وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطيء ويصير ، ولكن للحديث شاهد من حديث ابن عمر وابن مسعود ، فهو حديث حسن لغيره .

(٤) زيادة من : « مسند الإمام أحمد » .

(٥) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « نرى » والذي في « مسند الإمام أحمد » : « إن ترى » .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٠ / ١ ) ومسلم ( ١٧٦٣ ) وأبو داود ( ٢٦٩٠ ) والترمذي ( ٣٠٨١ ) .

ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكّني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكّن عليّ من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكّن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنّه ليست في قلوبنا هودةٌ للمشرّكين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهويّ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ ، قَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ » - لشجرة قريبة - وأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ <sup>(١)</sup> لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ تَرْيْدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ <sup>(٢)</sup> لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ <sup>(٣)</sup> مِنَ الْفِدَاءِ ، ثُمَّ أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ ، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

وقال الإمام أحمد <sup>(٢)</sup> : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة <sup>(٣)</sup> ، عن عبد الله <sup>(٤)</sup> قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم ؛ لعلّ الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذبوك ، قريبهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه <sup>(٥)</sup> عليهم ناراً . فقال العباس : قطعت رحمتك . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً ، فقال ناسٌ : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عمر . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، فخرج عليهم فقال : « إِنَّ اللَّهَ لِيلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلِينٌ مِنَ اللَّيْنِ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنَّ اللَّهَ لِيَشْدُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدُّ مِنَ الْحِجَارَةِ ، وَإِنْ مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، كَمِثْلِ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . وَمِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ عِيسَى ، قَالَ : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . وَإِنْ مِثْلُكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ نُوحٍ ، قَالَ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ . وَإِنْ مِثْلُكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ مُوسَى ، قَالَ : ﴿ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ . أَنْتُمْ عَالَةٌ ، فَلَا يَبْقِيَنَّ أَحَدٌ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةٍ عَنِّي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَّا سَهِيلَ بْنَ

(١) كذا في (آ) « تكون » بالثاء وهي قراءة أبي عمرو ، وقرأ الباقون « يكون » بالياء وهو ما جاء في (ط) انظر « حجة القراءات » لابن مجاهد ص (٣١٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/٣٨٣ و ٣٨٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) في « ط » : « عبيدة » . وهو خطأ وما جاء في (آ) موافق لما في « مسند الإمام أحمد » وهو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي . انظر « تهذيب الكمال » (١٤/٦١) .

(٤) يعني (ابن مسعود) وإذا أطلق (عبد الله) عند المحدثين فالمعنى بذلك (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) .

(٥) في « مسند الإمام أحمد » : « أضرم » .

(٦) في (ط) : « من اللين » .

بيضاء<sup>(١)</sup> ؛ فَإِنِّي قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت . قال : فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال : « إلا سهيل بن بيضاء » . قال : فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ تَكُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْرِكَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كُنْتُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴿ إلى آخر الآيتين ، وهكذا رواه الترمذي ، والحاكم من حديث أبي معاوية<sup>(٣)</sup> ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن مردويه<sup>(٤)</sup> من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك ، وقد روي عن أبي أيوب الأنصاري بنحوه<sup>(٥)</sup>

وقد روى ابن مردويه ، والحاكم في « المستدرک »<sup>(٦)</sup> من حديث عبيد الله بن موسى ، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : لما أسر الأسارى يوم بدر أسر العباس فيمن أسر ، أسره رجل من الأنصار ، قال : وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « إِنِّي لم أُنم الليلة من أجل عمي العباس ، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » . قال عمر : أفأتيهم ؟ قال : « نعم » . فأتى عمر الأنصار ، فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رضى ؟ قالوا : فإن كان له رضى فخذ . فأخذه عمر ، فلما صار في يده ، قال له عمر : يا عباس ، أسلم فوالله لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطأب ، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

(١) قال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه على « مسند الإمام أحمد » بتحقيقه ( ٢٢٧/٥ - ٢٢٨ ) : « الصواب سهل بن بيضاء ، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : أسلم بمكة وكنم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفر بدر ، فشهد بدرًا مع المشركين ، فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ، فخلى عنه ، والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ مسلماً ، لا شك فيه ، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلاً أشهر من أخيه سهل ، والقصة في سهل » . انظر « طبقات ابن سعد » ( ٢١٣/٤ ) ، و« الإصابة » ( ١٩٤/٣ ) .

(٢) تقدم التعليق عليها . انظر ص ( ٩٥ ) .

(٣) رواه الترمذي رقم ( ١٧١٤ ) ، والحاكم في « المستدرک » ( ٢١/٣ - ٢٢ ) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره المؤلف في « التفسير » ( ٣٣/٤ ) من حديث عبد الله بن عمر ، والسيوطي في « الدر المنثور » ( ٢٠٣/٣ ) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنهما .

(٥) ذكره المؤلف في « التفسير » ( ٣٣/٤ ) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ( ٢٠٢/٣ ) ، وعزاه لابن مردويه . وأخرجه الحاكم في المستدرک ( ٣٢٩/٢ ) بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : هو على شرط مسلم ، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي الكوفي ، قال الحافظ ابن حجر : صدوق لين الحفظ ، وهو ممن يعتبر به في المتابعات حسب ، ولم يتابع .

قال : واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر ، فقال أبو بكر : عشيرتك ؛ فأرسلهم ، واستشار عمر ، فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ <sup>(١)</sup> لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْرِكَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية . ثم قال الحاكم <sup>(٢)</sup> : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وروى الترمذي ، والنسائي ، وابن حبان <sup>(٣)</sup> في « صحيحه » <sup>(٤)</sup> من حديث سفيان الثوري ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي قال : جاء جبريل إلى النبي ﷺ ، فقال : خير أصحابك في الأسارى ، إن شأوا الفداء وإن شأوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم . قالوا : الفداء ويقتل منا ، وهذا حديث غريب جداً ، ومنهم من رواه مرسل ، عن عبيدة ، والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق <sup>(٥)</sup> ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : لولا أنني لا أعذب من عصاني ، حتى أتقدم إليه ، لمسكم فيما أخذتم عذاباً عظيماً .

وهكذا روي عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أيضاً <sup>(٦)</sup> ، واختاره ابن إسحاق <sup>(٧)</sup> وغيره .

وقال الأعمش <sup>(٨)</sup> : سبق منه أن لا يعذب أحداً شهد بدر ، وهكذا روي عن سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن جبيرة ، وعطاء بن أبي رباح <sup>(٩)</sup> .

وقال مجاهد والثوري <sup>(١٠)</sup> : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ أي : لهم بالمغفرة .

وقال الوالبي <sup>(١١)</sup> ، عن ابن عباس : سبق في أم الكتاب الأول ، أن المغانم وفداء الأسارى حلال لكم ، ولهذا قال بعده : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [ الأنفال : ٦٩ ] .

(١) انظر التعليق على ص (٩٥) .

(٢) بعده في ( ط ) : « في صحيحه » .

(٣) في ( آ ) و ( ط ) : « ابن ماجه » وهو سبق قلم من النسخ والصواب ما أثبتته ، وعبارة في « صحيحه » انفردت بها ( آ ) .

(٤) رواه الترمذي ( ١٥٦٧ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ٨٦٦٢ ) وابن حبان في « الإحسان » رقم ( ٤٧٩٥ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٧٥ - ٦٧٦ ) .

(٦) رواه الطبري في « تفسيره » ( ٤٧ / ١٠ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٧٦ ) .

(٨) وقد ذكره المصنف في « التفسير » ( ٣٤ / ٤ ) .

(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٣٥٧ / ٢٠ - ٣٥٨ ) عن سعد ، وعن سعيد بن جبيرة ، الطبري في « تفسيره » ( ٤٦ / ١٠ ) ، وذكره عن عطاء بن أبي رباح المؤلف في « تفسيره » ( ٣٤ / ٤ ) .

(١٠) ذكره عن مجاهد ، السيوطي في « الدر المنثور » ( ٢٠٣ / ٣ ) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وعن الثوري ، المؤلف في « تفسيره » ( ٣٤ / ٤ ) .

(١١) ذكره المؤلف في « التفسير » ( ٣٤ / ٤ ) .

وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن مسعود ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، واختاره ابن جرير<sup>(١)</sup>

وقد ترجح هذا القول بما ثبت في « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه ، ويبعث إلى الناس عامة » .

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « لم تحل الغنائم لسود الرؤوس غيرنا »<sup>(٣)</sup>

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ ، فأذن الله تعالى في أكل الغنائم ، وفداء الأسارى . وقد قال أبو داود : حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي<sup>(٤)</sup> ، ثنا سفيان بن حبيب ، ثنا شعبة ، عن أبي العنبر ، عن أبي الشعثاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمئة<sup>(٥)</sup> . وهذا كان أقل ما فودي به أحد منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهم .

وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لِنَ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ الآية [ الأنفال : ٧٠ ] . وقال الوالي<sup>(٦)</sup> ، عن ابن عباس : نزلت في العباس ، ففادى نفسه بالأربعين أوقية من ذهب . قال العباس : فاتاني الله أربعين عبداً - يعني كلهم يتجر له - قال : وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله ، جل ثناؤه .

وقال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد<sup>(٨)</sup> ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) انظر « تفسير الطبري » ( ٤٤ / ١٠ - ٤٦ ) .

(٢) رواه البخاري ( ٣٣٥ ) و ( ٤٣٨ ) و ( ٣١٢٢ ) مختصراً ، ومسلم ( ٥٢١ ) .

(٣) رواه الترمذي ( ٣٠٨٥ ) وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « العبسي » . والتصحيح من « سنن أبي داود » وانظر « تهذيب الكمال » ( ٣٨٢ / ١٧ ) .

(٥) رواه أبو داود ( ٢٦٩١ ) ، وهو حديث صحيح دون جملة « أربعمئة » .

(٦) ورواه الطبري في « تفسيره » ( ٤٩ / ١٠ ) .

(٧) ورواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » ( ٥٠٦ / ١ ) والطبري في « تاريخه » ( ٤٦٣ / ٢ ) والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٤١ / ٣ ) .

(٨) في ( آ ) و ( ط ) : « مغفل » والتصحيح من هامش ( ط ) و « تاريخ الطبري » و « دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » ( ٢١٩ / ١٤ ) .

قال : لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر ، والأسارى محبوسون بالوثاق بات النبي ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : ما لك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : « سمعت أنين عمي العباس في وثاقه » فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمئة أوقية من ذهب .

قلت : وهذه المئة كانت عن نفسه ، وعن ابني أخويه عقيل ونوفل ، وعن حليفه عتبة بن عمرو أحد بني الحارث بن فهر ، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادعى أنه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « أمّا ظاهر ك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادعى أنه لا مال عنده ، قال : « فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل ، وقلت لها : إن أصبت في سفري فهذا لبنى ، الفضل وعبد الله وقثم ؟ » . فقال : والله إني لأعلم أنك رسول الله ، إن هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل . رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجیح ، عن عطاء ، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> .

وثبت في « صحيح البخاري »<sup>(٣)</sup> من طريق موسى بن عقبة ، قال الزهري : حدثني أنس بن مالك قال : إن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا : ائذن لنا فلتترك لابن أختنا العباس فداء . فقال : « لا والله لا تذكرون منه درهماً » .

قال البخاري<sup>(٤)</sup> : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ، أن النبي ﷺ أتى بمال من البحرين ، فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ ؛ إذ جاءه العباس ، فقال : يا رسول الله ، أعطني ؛ إني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، فقال : « خذ » . فحشا في ثوبه ثم ذهب يقله ، فلم يستطع ، فقال : مر بعضهم يرفعه إلي . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت علي . قال : « لا » . فنثر منه ثم ذهب يقله ، فلم يستطع . فقال : مر بعضهم يرفعه إلي . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت علي . قال : « لا » . فنثر منه ، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق ، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا ؛ عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ [ ﷺ ] وثم منها درهم .

وقال البيهقي<sup>(٥)</sup> : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصر ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، قال : كان فداء العباس وابني أخويه ؛ عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، كل رجل أربعمئة دينار ، ثم توعد تعالى الآخرين ، فقال : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [ الأنفال : ٧١ ] .

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٤١ / ٣ ) ، عن ابن إسحاق به .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٤٣ / ٣ ) ، عن ابن إسحاق به .

(٣) رواه البخاري ( ٢٥٣٧ ) و ( ٣٠٤٨ ) و ( ٤٠١٨ ) .

(٤) رواه البخاري معلقاً ( ٤٢١ ) و ( ٣٠٤٩ ) و ( ٣١٦٥ ) بصيغة الجزم .

(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٤٠ / ٣ ) .

## فصل

والمشهور أنَّ الأسارى يوم بدر كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين ، كما ورد في غير ما حديث مما تقدّم ، وسيأتي إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازب في « صحيح البخاري »<sup>(١)</sup> أنَّهم قتلوا يوم بدر سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدر من المسلمين من قريش ستة ، ومن الأنصار ثمانية ، وقتل من المشركين تسعة وأربعون ، وأسر منهم تسعة وثلاثون . هكذا رواه البيهقي عنه<sup>(٢)</sup> . قال : وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال<sup>(٣)</sup> : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً ؛ أربعة من قريش ، وسبعة من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعة وثلاثون<sup>(٤)</sup> رجلاً .

وقال في موضع آخر : وكان مع رسول الله ﷺ أربعة وأربعون<sup>(٥)</sup> أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

ثم روى البيهقي<sup>(٦)</sup> ، من طريق أبي صالح كاتب الليث ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، قال : وكان أول قتيل من المسلمين ؛ مهجع مولى عمر ، ورجل من الأنصار ، وقتل يومئذ من المشركين زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك . قال<sup>(٧)</sup> : ورواه ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير .

قال البيهقي : وهو الأصح فيما روينا في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم . ثم استدل على ذلك بما ساقه هو<sup>(٨)</sup> والبخاري أيضاً من طريق أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : أمر رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبي ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومئة ؛ سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

(١) رواه البخاري (٣٩٨٦) .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (١٢٢/٣) .

(٣) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (١٢٣/٣) .

(٤) كذا في (أ) : « ثلاثون » ، وفي (ط) : « عشرون » ، وفي « دلائل النبوة » : « وأربعون » .

(٥) في (أ) و(ط) : « أربعون » وأثبت لفظ « دلائل النبوة » .

(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (١٢٣/٣ - ١٢٤) .

(٧) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (١٢٤/٣) .

(٨) يعني في « دلائل النبوة » (١٢٤/٣) .

قلت : والصحيح أنّ جملة المشركين كانوا ما بين التسعمئة إلى الألف ، وقد صرح قتادة<sup>(١)</sup> بأنهم كانوا تسعمئة وخمسين رجلاً ، وكأنّه أخذ من هذا الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وفي حديث عمر المتقدّم<sup>(٢)</sup> ، أنهم كانوا زيادةً على الألف . والصحيح الأول ؛ لقوله عليه السلام : « القوم ما بين التسعمئة إلى الألف »<sup>(٣)</sup> .

وأما الصحابة يومئذ فكانوا ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً ، كما سيأتي التخصيص على ذلك ، وعلى أسمائهم ، إن شاء الله .

وتقدّم في حديث الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنّ وقعة بدر كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان . وقاله أيضاً عروة بن الزبير ، وقتادة ، وإسماعيل السديّ الكبير ، وأبو جعفر الباقر<sup>(٤)</sup> .

وروى البيهقي<sup>(٥)</sup> من طريق قتبية ، عن جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله بن مسعود في ليلة القدر ، قال : تحرّوها لإحدى عشرة بقين ؛ فإنّ صبيحتها يوم بدر .

قال البيهقي<sup>(٦)</sup> : وروي عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل عن ليلة القدر ، فقال : ليلة تسع عشرة . ما شك . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقي<sup>(٧)</sup> : والمشهور عن أهل المغازي أنّ ذلك لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقي<sup>(٨)</sup> : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدّثنا أبو عمرو بن السّمّاك ، حدّثنا حنبل بن إسحاق ، ثنا أبو نعيم ، ثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصاري عن يوم بدر ، فقال : إمّا لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لإحدى عشرة بقيت ، وإمّا لسبع عشرة بقيت . وهذا غريبٌ جداً .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر<sup>(٩)</sup> في ترجمة قُبات بن أشيم اللّيثي ، من طريق الواقدي وغيره بإسنادهم إليه ، أنّه شهد يوم بدر مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلّة أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : وجعلت

(١) فيما ذكره الفسوي في « المعرفة والتاريخ » ( ٢٧٨ / ٣ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٠ / ١ ) وإسناده صحيح .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٤٢ / ٣ ) ضمن سياق حديث طويل .

(٤) وقد أخرج أقوالهم البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٢٦ / ٣ - ١٢٧ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ١٢٧ / ٣ - ١٢٨ ) .

(٦) في « دلائل النبوة » ( ١٢٨ / ٣ ) .

(٧) في « دلائل النبوة » ( ١٢٨ / ٣ ) .

(٨) في « دلائل النبوة » ( ١٢٨ / ٣ - ١٢٩ ) .

(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٣٨٥ - ٣٨٦ ) ( المخطوط ) .



أقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ، والله لو خرجت نساء قريش بأكمتها<sup>(١)</sup> ، ردّت محمداً وأصحابه ، فلمّا كان بعد الخندق ، قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمدٌ ، وقد وقع في نفسي الإسلامُ . قال : فقدمتها ، فسألت عنه فقالوا : هو ذاك في ظلّ المسجد في ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلمت ، فقال : « يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدرٍ : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ؟ » فقلت : أشهد أنّك رسول الله ؛ فإنّ هذا الأمر ما خرج مني إلى أحدٍ قطّ ، ولا ترممت<sup>(٢)</sup> به إلا شيئاً حدّث به نفسي ، فلولا أنّك نبيّ ما أطلعك الله<sup>(٣)</sup> عليه ، هلّمّ أبياعك على الإسلام ؛ فأسلمت .

## فصلٌ

وقد اختلفت الصحابة ، رضي الله عنهم ، يوم بدرٍ في المغانم من المشركين يومئذٍ ؛ لمن تكون منهم ، وكانوا ثلاثة أصنافٍ ، حين ولّى المشركون ؛ فرقةٌ أهدت برسول الله ﷺ ، تحرسه خوفاً من أن يرجع أحدٌ من المشركين إليه ، وفرقةٌ ساقّت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقةٌ جمعت المغانم من متفرّقات الأماكن ، فادّعى كلّ فريقٍ من هؤلاء أنّه أحقّ بالمغنم من الآخرين ؛ لما صنع من الأمر المهمّ .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحّدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحولٍ ، عن أبي أمّامة الباهليّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا أصحاب بدرٍ نزلت حين اختلفنا في النّفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسّمه بين المسلمين عن بواءٍ ، يقول : على السواء<sup>(٥)</sup> . وهكذا رواه أحمد<sup>(٦)</sup> ، عن محمد بن سلّمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : على السواء . أي : ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتّبعوا العدو ، وبين

(١) في الأصل : « أكمتها » . وفي م : « بالها » .

(٢) هكذا في ( آ ) وترمم : حرّك فاه للكلام ولم يتكلم . وفي ( ط ) « ولا ترممت » بزاءين ، وكذلك هو عند ابن الأثير في « النهاية » ( ٣١٣ / ٢ ) ، وقال : الزممة : صوت خفي لا يكاد يُفهم .

(٣) سقط لفظ الجلالة من ( ط ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٢ / ١ ) .

(٥) في ( آ ) و ( ط ) : « عن سواء » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « على السواء » وهو الصواب وقد أثبتناه عنه ، ويؤكد ذلك شرح المؤلف الآتي بعد قليل .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٢٢ / ٥ ) . وهو حديث حسن لغيره .

الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصص بها فريقاً منهم ممن ادعى التخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهمه بعض العلماء ؛ منهم أبو عبيد<sup>(١)</sup> وغيره ، والله أعلم .

بل قد تنقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار من مغانم بدر .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهل ، كان في أنفه برة<sup>(٣)</sup> من فضة ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا [ أبو إسحاق ]<sup>(٥)</sup> ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش<sup>(٦)</sup> بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي ﷺ ، فشهدت معه بدرًا ، فالتقى الناس فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبت طائفة على العسكر<sup>(٧)</sup> يحوزونه ويجمعونه ، وأحدثت طائفة برسول الله ﷺ ؛ لا يصيب العدو منه غرّة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها [ وجمعناها ]<sup>(٨)</sup> وليس لأحد فيها نصيب . وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحقّ بها<sup>(٩)</sup> مِنّا ، نحن نفينا منها العدو وهزمناهم . وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدو منه غرّة ؛ فاشتغلنا به . فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنفال : ١ ] . فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نقل الربع ، فإذا أقبل راجعاً نقل الثلث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى الترمذي وابن ماجه<sup>(١٠)</sup> من حديث الثوري ، عن عبد الرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

(١) في ( ط ) : « عبدة » . وانظر « كتاب الأموال » لأبي عبيد ص ( ٣٨٢ - ٣٨٨ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٧٩ / ٢ ) .

(٣) البرة : حلقة تجعل في لحم الأنف . قاله ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ١٢٢ / ١ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٢٣ / ٥ ) . وهو حديث حسن لغيره .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » ومكانه في ( ط ) : « ثنا ابن إسحاق » .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « ابن عباس » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتته ، وانظر « تهذيب الكمال » ( ٣٧ / ١٧ ) .

(٧) في ( ط ) : « على المغنم » .

(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من « مسند الإمام أحمد » .

(٩) في ( آ ) و ( ط ) : « به » . وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .

(١٠) رواه الترمذي ( ١٥٦١ ) ، وابن ماجه ( ٢٨٥٢ ) ، وهو حديث حسن .

ورواه ابن حبان في « صحيحه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجه <sup>(١)</sup> .

وقد روى أبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم <sup>(٢)</sup> من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول الله ﷺ : « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » . فتسارع في ذلك شبان الرجال ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ؛ فإننا كنا رداء لكم ، ولو انكشفتم لفئتم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية أثاراً آخر يطول بسطها هاهنا ، ومعنى الكلام أن الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله ، يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . ثم ذكر ما وقع في قصة بدر ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِلْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ الآية [ الأنفال : ٤١ ] فالظاهر أن هذه الآية مبينة لحكم الله في الأنفال ، الذي جعل مرده إليه وإلى رسوله ﷺ ، فينه تعالى ، وحكم فيها بما أراد تعالى ، وهو قول ابن <sup>(٣)</sup> زيد <sup>(٤)</sup> ، وقد زعم أبو عبيد القاسم بن سلام <sup>(٥)</sup> ، رحمه الله ، أن رسول الله ﷺ قسم غنائم بدر على السواء بين الناس ، ولم يخمسها ، ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدم ، وهكذا روى الوالبي ، عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة والسدي ، وفي هذا نظر ، والله أعلم ؛ فإن سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها ، كلها في غزوة بدر ، فيقتضي [ أن ] <sup>(٦)</sup> ذلك نزل جملة في وقت واحد غير متفاصل بتأخر يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم في « الصحيحين » <sup>(٧)</sup> عن علي ، رضي الله عنه ، أنه قال في قصة شارفيه اللذين اجتنب أسنمتهما حمزة : إن

(١) رواه ابن حبان ( ٤٨٥٥ ) والحاكم في « المستدرک » ( ١٣٥ / ٢ - ١٣٦ ) .

(٢) رواه أبو داود ( ٢٧٣٧ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ١١٩٧ ) وابن حبان ( ٥٠٩٣ ) « الإحسان » والحاكم في « المستدرک » ( ٣٢٦ / ٢ - ٣٢٧ ) ، وهو حديث صحيح .

(٣) في ( ط ) : « أبي » . والتصحيح من « التفسير » للمؤلف ( ٥٤٩ / ٣ ) و « الطبري » ( ١٧٨ / ٩ ) فهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وانظر « تهذيب الكمال » ( ١١٤ / ١٧ ) .

(٤) يعني أن ابن زيد قال بأن آية : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ... ﴾ محكمة وليست منسوخة كما قال أبو عبيد في كتابه « الأموال » ص ( ٣٨٤ ) .

(٥) انظر « كتاب الأموال » ص ( ٣٨٤ ) .

(٦) لفظ « أن » سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) لتمام المعنى .

(٧) رواه البخاري ( ٢٣٧٥ ) و ( ٣٠٩١ ) ومسلم ( ١٩٧٩ ) .

إحدهما كانت من الخميس يوم بدرٍ . ما يردّ صريحاً على أبي عبيدٍ ؛ أنّ غنائم بدرٍ لم تخمس ، والله أعلم . بل خمست كما هو قول البخاري وابن جرير ، وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح ، والله أعلم .

## فصل

في رجوعه ، عليه السلام ، من بدرٍ إلى المدينة ،

وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيداً منصوراً

عليه من ربّه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدّم أنّ الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> أنّه كان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعزصة ثلاثة أيام ، وقد أقام عليه الصلاة والسلام ، بعزصة بدرٍ ثلاثة أيام كما تقدّم ، وكان رحيله منها ليلة الإثنين ، فركب ناقته ووقف على قلب بدرٍ ، فقرّع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدّم ذكره ، ثم سار ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث ، عليه الصلاة والسلام ، بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنصر والظفر على من أشرك بالله وجحد به كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوّينا [ التراب ]<sup>(٢)</sup> على رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان زوجها عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، قد احتبس عندها يمرضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره في بدرٍ .

قال أسامة : فلمّا قدم أبي زيد بن حارثة جثته وهو واقفٌ بالمصلّى ، وقد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ العاص بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونُبَيْه ومُنْبّه ابنا الحجاج .

قال : قلت : يا أبت ، أحقّ هذا ؟ قال : إي والله يا بني .

وروى البيهقي<sup>(٣)</sup> ، من طريق حمّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد : أنّ النبي ﷺ خلف عثمان وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة

(١) رواه البخاري ( ٣٠٦٥ ) و ( ٣٩٧٦ ) ومسلم ( ٢٨٧٥ ) .

(٢) لفظ « التراب » سقط من ( آ ) واستدرّكه من ( ط ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ١٣٠ / ٣ ) .

رسول الله ﷺ بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة ، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : صلى رسول الله ﷺ مرجعه من بدر العصر بالأثيل ، فلما صلى ركعة تبسم ، فسئل عن تبسمه ، فقال : « يرى<sup>(٢)</sup> ميكائيل وعلى جناحه النقع ، فتبسم إليّ ، وقال : إني كنت في طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدر ، على فرس أنثى معقود الناصية ، قد عصم نتيته<sup>(٣)</sup> الغبار ، فقال : يا محمد ، إن ربي بعثني إليك ، وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : « نعم » .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : قالوا : وقدم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل ، فجاء يوم الأحد حين اشتد الضحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وأبو جهل ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأمّية بن خلف ، وأسر سهيل بن عمرو . قال عاصم بن عدي : فقامت إليه ، فنحوته<sup>(٥)</sup> ، فقلت : أحقاً يا بن رواحة ؟ فقال : إي والله ، وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرنين . ثم تتبّع دور الأنصار بالعالية يبشّرهم داراً داراً ، والصبيان يشتدون<sup>(٦)</sup> معه يقولون : قتل أبو جهل الفاسق . حتى إذا انتهى إلى دار بني أمّية ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، يبشّر أهل المدينة ، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجاج ، وقتل أمّية بن خلف ، وأبو جهل ، وأبو البختري ، وزمعة بن الأسود ، وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب ، في أسرى كثير . فجعل بعض الناس لا يصدّقون زيداً ، ويقولون : ما جاء زيد بن حارثة إلا فلا<sup>(٧)</sup> ، حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، وقدم زيد حين سوّينا على رقية بنت رسول الله ﷺ التراب<sup>(٨)</sup> بالبيع ، وقال رجل من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه . وقال آخر لأبي لبابة : قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون فيه أبداً ، وقد قتل عليه أصحابه ، وقتل<sup>(٩)</sup> محمد ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب ، وجاء فلا . فقال أبو لبابة : يكذب الله

(١) انظر « المغازي » ( ١ / ١١٣ ) .

(٢) في « المغازي » و « دلائل النبوة » : « مرّ بي » .

(٣) في ( ط ) : « ثنيته » .

(٤) انظر « المغازي » ( ١ / ١١٤ ) .

(٥) أي : قصده .

(٦) في ( ط ) : « يشدون » .

(٧) الفل : المنهزم .

(٨) لفظ « التراب » من ( ط ) .

(٩) في ( ط ) : « قتل » بلا واو .

قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيدٌ إلّا فلأً . قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبي ، فقلت : أحقّ ما تقول ؟ فقال : إي والله حقّ ما أقول يا بني . فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المناق ، فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدّمك إلى رسول الله إذا قدم ، فليضربنّ عنقك . فقال : إنّما هو شيء سمعته من الناس يقولونه . قالوا : فجيء بالأسرى ، وعليهم شُقران مولى رسول الله ﷺ ، وكان قد شهد معهم بدرأً ، وهم تسعة وأربعون رجلاً ، الذين أحصوا .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : وهم سبعون في الأصل ، مجتمعٌ عليه ، لا شك فيه . قال : ولقي رسول الله ﷺ إلى الرّوحاء رؤوس الناس يهتّونه بما فتح الله عليه .

فقال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ، الحمد لله الذي أظفرك ، وأقرّ عينك ، والله يا رسول الله ، ما كان تخلفي عن بدرٍ وأنا أظنّ أنّك تلقى عدوّاً ، ولكن ظننت أنّها غيرٌ ، ولو ظننت أنّه عدوّ ما تخلفت . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيط ، والنّضر بن الحارث ، وقد جعل على النّفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النّجار ، فقال راجزٌ من المسلمين - قال ابن هشام : يقال : إنّهُ هو عديّ بن أبي الزّغباء - : [ من الرّجز ]

أقم لها صدورها يا بسبس      ليس بذِي الطّلع لها معرّس  
ولا بصحرَاء غميرٍ محبس      إنّ مطايا القوم لا تحبّس  
فحملها على الطريق أكيس      قد نصر الله وفرّ الأخنس

قال : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء نزل على كتيبٍ بين المضيق وبين النّازية ، يقال له : سيّر . إلى سرحة به ، فقسم هنالك النّفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السّواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالرّوحاء لقيه المسلمون يهتّونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ، كما حدّثني عاصم بن عمر ، ويزيد بن رومان : ما الذي تهتّوننا به ؟ والله إنّ لقينا إلّا عجائز صُلعا كالبدن المعقّلة فنحرناها ، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي ، أولئك الملاء » . قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : يعني الأشراف والرّؤساء .

(١) انظر « المغازي » ( ١١٦ / ١ - ١١٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٤ ) .

## مقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية<sup>(٢)</sup> قتل عقبة بن أبي معيط .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصّبية يا محمد ؟ قال : « النار » . وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر . وكذا قال موسى بن عقبة في « مغازيه »<sup>(٤)</sup> ، وزعم أن رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال : ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت ، قال : يا معشر قريش ، علام أقتل من بين من هاهنا ؟ قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة<sup>(٥)</sup> ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، قال : لما أمر النبي بقتل عقبة ، قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال : « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجدٌ خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها ، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران<sup>(٦)</sup> ، وجاء مرةً أخرى بسلا شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجدٌ ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » .

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : ويقال : بل قتل عقبة علي بن أبي طالب ، فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم . قلت : كان هذان الرجلان من شرّ عباد الله ، وأكثرهم كُفراً ، وعناداً ، وبغياً ، وحسداً ، وهجاء للإسلام وأهله ، لعنهما الله ، وقد فعل .

قال ابن هشام<sup>(٨)</sup> : فقالت قتيلة بنت الحارث ، أخت النضر بن الحارث في مقتل أخيها : [ من الكامل ]

يا ركباً إن الأثيل مظنةٌ من صبح خامسةٍ وأنت موفق  
أبلغ بها ميتاً بأنّ تحيةً ما إن تزال بها النجائب تخفق

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٤ ) .

(٢) موضع بين مكة والمدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص ( ٢٣٩ ) و ( ٢٦٠ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٤ ) .

(٤) ورواه عنه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ١١٧ ) .

(٥) ذكره البلاذري في « أنساب الأشراف » ( ١ / ١٤٨ ) .

(٦) أي : تسقطان .

(٧) انظر « السيرة النبوية » ( ١ / ٦٤٤ ) .

(٨) في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ( ٢ / ٤٢ ) : « قال ابن إسحاق » وجاء في هامشها مايلي : « في ( أ )

و ( ر ) : قال ابن هشام » .

مَنِّي إِلَيْكَ وَعِبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ      جَادَتْ بِوَابِلِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ<sup>(١)</sup>  
 هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ      أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطُقُ  
 أَمَحْمَدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ<sup>(٢)</sup> كَرِيمَةٍ      مِنْ قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مَعْرُقُ  
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا      مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمَحْنُقُ  
 أَوْ كُنْتُ قَابِلَ فَدِيَةٍ فَلْيَنْفَقَنَّ      بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يَنْفَقُ  
 وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً      وَأَحَقَّهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقُ يَعْتَقُ  
 ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ      اللَّهُ أَرْحَامُ هُنَالِكَ تَشْقُقُ  
 صَبْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مَتْعَبًا      رَسَفَ الْمَقِيدَ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : ويقال ، والله أعلم : إنَّ رسول الله ﷺ لما بلغه هذا الشعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمُننت عليه » .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد تلقَّى رسول الله ﷺ بهذا الموضع أبو هندٍ مولى فروة بن عمرو البياضي حِجَّامه ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه زقٌّ خميرٍ مملوءٌ حيساً - وهو التَّمْرُ والسَّوِيقُ بالسَّمن - هديةً لرسول الله ﷺ فقبله منه ، ووَصَّى به الأنصار .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدَّثني نبيه بن وهبٍ أخو بني عبد الدَّار أنَّ رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فزَقَهُمْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وقال : « استوصوا بهم خيراً » . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشمٍ أخو مصعب بن عميرٍ لأبيه وأمه ، في الأسارى ، قال أبو عزيز : مرَّ بي أخي مصعب بن عميرٍ ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال : شدَّ يدك به ؛ فإنَّ أمه ذات متاعٍ لعلَّها تفديه منك . قال أبو عزيز : فكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ ، فكانوا إذا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصَّوْنِي بِالْخُبْزِ وَأَكَلُوا التَّمْرَ ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبزٍ إلا نفحني بها ، فأستحيي فأردّها فيردُّها عليّ ما يمستّها .

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : وكان أبو عزيزٍ هذا صاحب لواء المشركين ببدرٍ بعد النضر بن الحارث ، ولَمَّا قال

(١) هذا البيت لم يرد في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، فليستدرك .

(٢) في ( ط ) : « ضي » . والضنء من كل شيء : نسلُهُ .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٤ / ١ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٤ / ١ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٥ / ١ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٦ / ١ ) .



أخوه مصعبُ لأبي اليسر ، وهو الذي أسره ، ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخي ، هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعبُ : إنه أخي دونك . فسألت أمّه عن أغلى ما فدي به قرشيّ ، فقليل لها : أربعة آلاف درهم . فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها .

قلت : أبو عزيز هذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في « غابة الصحابة »<sup>(١)</sup> ، وعده خليفة بن خياط في أسماء الصحابة<sup>(٢)</sup> . وكان أخا مصعب بن عمير لأبويهما<sup>(٣)</sup> ، وكان لهما أخ آخر لأبويهما ، وهو أبو الزوم بن عُمير ، وقد غلط من جعله قتل يوم أحد كافرأ ، ذاك أبو عزة ، كما سيأتي في موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنّ يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، قال : قدم بالأسارى حين قُدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفرأ في مناحتهم على عوفٍ ومعوذٍ ابني عفرأ . قال : وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذ أتينا ، فقليل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعةً يده إلى عنقه بحبل . قالت : فلا والله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد ، أعطيتكم بأيديكم ، ألا متم كراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله ﷺ من البيت : « يا سودة ، أعلّى الله وعلى رسوله تحرّضين » ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يده إلى عنقه أن قلت ما قلت ، ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكمّيته ، إن شاء الله .

### ذكر فرح النجاشي ، رضي الله عنه ، بوقعة بدر

قال الحافظ البيهقي<sup>(٥)</sup> : أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفيّ ببغداد ، ثنا أحمد بن سلمان النّجاد ، ثنا عبد الله بن أبي الدنيا ، حدّثني حمزة بن العباس ، ثنا عبدان بن عثمان ، ثنا عبد الله بن المبارك ، أنا عبدُ الرحمن بن يزيد بن<sup>(٦)</sup> جابر ، عن عبد الرحمن - رجلٍ من أهل صنعاء - قال :

(١) يريد « أسد الغابة في معرفة الصحابة » والنقل في المطبوع منه بدار الشعب بالقاهرة (٢١٣/٦) .

(٢) انظر « طبقات خليفة » (٣٣/١) .

(٣) في (آ) و(ط) : « لأبيه » . والذي في « أسد الغابة » (٢١٣/٦) : « لأبويه » وهو ما أثبتته لانسجامه مع السياق .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٦٤٥/١) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » (١٣٣/٣ - ١٣٤) .

(٦) في (ط) : « عن » . وهو خطأ .

أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو في بيتٍ عليه خُلُقَانُ ثيابٍ ، جالسٌ على التراب ، قال جعفرٌ : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما أن رأى ما في وجوهنا قال : إني أبشركم بما يسركم ؛ إنه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي ، فأخبرني أن الله قد نصر نبيّه ، وأهلك عدوّه ، وأسر فلانٌ وفلانٌ ، وقتل فلانٌ وفلانٌ ، التقوا بوادٍ يقال له : بدرٌ . كثير الأراك ، كأني أنظر إليه ، كنت أرعى به<sup>(١)</sup> لسّدي - رجلٍ من بني ضمرة - إبله . فقال له جعفرٌ : ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساطٌ ، وعليك هذه الأخلاق<sup>(٢)</sup> ؟ قال : إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إن حقاً على عباد الله أن يحدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة . فلما أحدث الله لي نصر نبيّه ﷺ ، أحدثت له هذا التواضع .

### فصل

#### في وصول خبر مصاب أهل بدرٍ إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله الخزاعي ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبّه ، وأبو البختري بن هشام . فلما جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صفوان ابن أمّية : والله إن يعقل هذا ، فسلوه عني . فقالوا : ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّقوه قطعت النساء شعورهنّ ، وعقرت خيولٌ كثيرةٌ ورواحل .

وذكر السهيلي<sup>(٤)</sup> عن كتاب « الدلائل » لقاسم بن ثابتٍ أنّه قال : لما كانت وقعة بدرٍ سمع أهل مكة هاتفاً من الجنّ يقول : [ من الطويل ]

أزار الحنيفيّون بدرأً وقيعةً      سينقضّ منها ركن كسرى وقيصرا  
أبادت رجالاً من لؤيّ وأبرزت      خرائد يضربن الترائب حسرا  
فيا ويح من أمسى عدوّ محمدٍ      لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا

(١) سقط من : ( ط ) .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « الأخلاط » وما أثبتته هو الصواب ، والأخلاق : جمع الخلق ، وهو البالي من الثياب .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٦ ) .

(٤) انظر « الروض الأنف » ( ٥ / ٢٢٤ - ٢٢٥ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، [ وأسلمت ]<sup>(٢)</sup> أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّقٍ في قومه ، وكان أبو لهبٍ قد تخلف عن بدرٍ فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ؛ لم يتخلف رجلٌ إلا بعث مكانه رجلاً ، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدرٍ من قريش ، كتبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إنني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي ، وعندني أم الفضل جالسةً ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهبٍ يجزّ رجله بشرّاً ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينما هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان - واسمه المغيرة - بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال : فقال أبو لهبٍ : هلم إليّ ، فعندك لعمري الخبر . قال : فجلس إليه والناس قيامٌ عليه فقال : يا بن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجلاً بيضاً على خيلٍ بلقي بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهبٍ يده فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : وثاورته<sup>(٣)</sup> ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل إلى عمودٍ من عمد الحجرة فأخذته ، فضربت به ضربةً فلعت<sup>(٤)</sup> في رأسه شجّةً منكراً ، وقالت : أستضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

زاد يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فلقد تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ، ما دفناه حتى أنتن ، وكانت قريشٌ تتقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش : ويحكما ، ألا تستحيان ! إنّ أباكما قد أنتن في بيته ، لا تدفناناه ؟! فقالا : إنّنا نخشى عدوى هذه القرحة . فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيدٍ ، ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة ، فأسندوه إلى جدارٍ ثم رضموا عليه بالحجارة .

- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١/٦٤٦ - ٦٤٧ ) .
- (٢) لفظ « وأسلمت » لم يرد في ( آ ) وأثبتته من ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام .
- (٣) أي : « بادرته » .
- (٤) في ( آ ) و ( ط ) : « فبلغت » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفلعت : شقت .
- (٥) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣/١٤٥ - ١٤٦ ) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت لا تمرّ على مكان أبي لهب هذا إلّا تسترّت بثوبها حتى تجوز .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحَدَّثني يحيى بن عباد [ بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ] ، عن أبيه<sup>(٣)</sup> قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم<sup>(٤)</sup> ؛ لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عذّب الله به أحياءهم في ذلك الوقت ، وهو تركهم النوح على قتلاهم ؛ فإنّ البكاء على الميت مما يُبلّ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده ؛ زمعة ، وعقيل ، والحارث ، وكان يحب أن يبكي على بنيه . قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له ، وكان قد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة - يعني ولده زمعة - فإنّ جوفي قد احترق . قال : فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلّته . قال : فذاك حين يقول الأسود : [ من الوافر ]

أبكي أن أضلّ لها بعير	ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكي على بكر ولكن	على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هُصيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكي إن بكيت على عقيل <sup>(٦)</sup>	وبكي حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمي <sup>(٧)</sup> جميعاً	وما لأبي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم رجال	ولولا يوم بدر لم يسودوا <sup>(٨)</sup>

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٤٦ / ٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٧ / ١ - ٦٤٨ ) .

(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٧ / ١ ) .

(٤) في ( ط ) : « تستأنسوا » . واستأنى به : انتظر به . « لسان العرب » ( أنى ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٨ / ١ ) .

(٦) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « أبا عقيل » وفي « السيرة النبوية » : « على عقيل » ولعله أصح .

(٧) أي : لا تسمي .

(٨) في بعض هذه الأبيات إقواء .

## فصل

## في بعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي ، فقال رسول الله ﷺ : « إن له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال ، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » . فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم ؛ لا يارب عليكم محمدٌ وأصحابه . قال المطلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى - صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسل من الليل ، وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به . قلت : وكان هذا أول أسير فُدي ، ثم بعثت قريش في فداء أسراهم ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، فقال في ذلك : [ من السقارب ]

أسرتُ سهيلاً فلا أبغي      أسيراً به من جميع الأمم  
وخندف تعلم أن الفتى      فتاها سهيلاً إذا يُظلم  
ضربت بذي الشفر حتى اثنى      وأكرهت نفسي على ذي العلم

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان سهيل رجلاً أعلم<sup>(٣)</sup> من شفته السفلى .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : دعني أنزع ثيئة سهيل بن عمرو يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً » . قلت : وهذا حديث مرسل ، بل معضل .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا : « إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيل بمكة ، حين مات رسول الله ﷺ وارتد من ارتد من العرب ، ونجم التفاق بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس ، وثبتهم على الدين الحنيف ، كما سيأتي في موضعه .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٨ - ٦٤٩ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٩ ) .

(٣) الأعم : المشقوق الشفة . « لسان العرب » ( علم ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٩ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٤٩ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضائهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله وخلّوا سبيله ، حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلّوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً<sup>(٢)</sup> أنكره ابن هشام<sup>(٣)</sup> ، فالله أعلم .

[ قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني عبد الله بن أبي بكر قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وكانت أمّه بنت عقبة بن أبي معيط .

قال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : بل كانت أمّه أخت أبي معيط . قال ابن هشام : وكان الذي أسره عليّ بن أبي طالب<sup>(٧)</sup> ]

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، [ قال : فقيل لأبي سفيان : افد عمراً ابنك . قال : أجمع عليّ دمي ومالي ؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ؟! دَعُوهُ في أيديهم يُمَسِّكُوهُ ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة ، إذ خرج سعد بن التّعمان بن أَكّال ، أخو بني عمرو بن عوف ، ثم أحد بني معاوية معتمراً ، ومعه مريّة<sup>(٩)</sup> له ، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالنّقيع<sup>(١٠)</sup> ، فخرج من هنالك معتمراً ، [ ولا يخشى الذي صنع به ]<sup>(١١)</sup> ، لم يظنّ أنّه يحبس بمكة ، إنّما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحد جاء حاجّاً أو معتمراً إلّا بخير ، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة ، فحبسه بابه عمرو ، وقال في ذلك : [ من الطويل ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤٩ / ١ - ٦٥٠ ) .

(٢) قلت : وهي قوله - كما في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٠ / ١ ) - : [ من الطويل ]

فديت بأزواد ثمان سبا فتى  
رهنّت يدي والمال أيسر من يدي  
وقلت سهيلٌ خيرُها فاذهبوا به  
ينال الصميمَ غزُومها لا المواليا  
عليّ ولكني خشيت المخازيا  
لأبنائنا حتى ندير الأمانيا

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٠ / ١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٠ / ١ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٠ / ١ ) .

(٦) في « السيرة النبوية » ( ٦٥٠ / ١ ) .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٠ / ١ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » ( ٦٥٠ / ١ - ٦٥١ )

(٩) مريّة : تصغير امرأة .

(١٠) في ( آ ) و ( ط ) : « البقيع » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٠ / ١ ) . والنقيع : موضع قرب

المدينة . انظر « معجم البلدان » ( ٨٠٨ / ٤ ) .

(١١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .

أرھط ابن أکال أجیوا دعاءه تعاقدتم لا تسلّموا السید الکھلا  
فإن بني عمرو لئام أذلّة لئن لم یفکّوا<sup>(١)</sup> عن أسیرهم الکبلا

قال : فأجابه حسان بن ثابت یقول<sup>(٢)</sup> : [ من الضویل ]

لو کان سعدٌ یوم مکة مطلقاً<sup>(٣)</sup> لأکثر فیکم قبل أن یؤسر القتلا  
بعضب حسام أو بصفراء نبعة تحنّ إذا ما أنبضت تحفز النبلا

قال : ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره ، وسألوه أن یعطیهم عمرو بن أبي سفيان فیفکّوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبی ﷺ فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبیل سعد .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد کان في الأسارى أبو العاص بن الربیع بن عبد العزى بن عبد شمس بن أمية ، ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : وكان الذي أسره خراش بن الصّمّة أحد بني حرام .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً ، وكانت أمّه هالة بنت خويلدٍ أخت خديجة بنت خويلدٍ ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن یزوجه بابنتها زينب ، وكان لا یخالفها ، وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام ، قد زوج ابنته رقیة أو أمّ كلثوم من عتبة بن أبي لهبٍ ، فلما جاء الوحي قال أبو لهبٍ : اشغلوا محمداً بنفسه . وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوجها عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ومشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبك ونحن نزوجك بأبي امرأة من قريشٍ شئت . قال : لا والله إذا ؛ لا أفارق صاحبتی ، وما أحبّ أن لي بامرأتي امرأة من قريشٍ . وكان رسول الله ﷺ یثني عليه في صهره ، فيما بلغني .

قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابتٌ في « الصحيح »<sup>(٦)</sup> كما سیأتي .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وكان رسول الله ﷺ لا یحلّ بمكة ، ولا یحرّم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بین زينب ابنة رسول الله ﷺ و بین أبي العاص ، وكان لا یقدر على أن یفرّق بينهما .

(١) في ( ط ) : « یكفّوا » .

(٢) انظر « دیوان حسان » ( ٤٣٥ / ١ ) .

(٣) في « دیوان حسان » : « خافکم » .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥١ - ٦٥٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥١ - ٦٥٢ ) .

(٦) رواه « البخاري » ( ٣١١٠ ) و ( ٣٧٢٩ ) و « مسلم » ( ٢٤٤٩ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٢ / ١ ) .

قلت : إنّما حرّم الله المسلمين على المشركين عام الحديبية ، سنة ستّ من الهجرة ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . قالت : فلما رآها رسول الله ﷺ ، رقّ لها رقّة شديدة ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها الذي لها ، فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فكان ممّن سمّي لنا ممّن منّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداء ؛ من بني أمية أبو العاص بن الربيع ، ومن بني مخزوم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم ، أسره بعض بني [ الحارث ]<sup>(٣)</sup> بن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله ، فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلّي سبيل زينب ، يعني أن تهاجر إلى المدينة ، فوفّى أبو العاص بذلك ، كما سيأتي .

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق هاهنا فأخبرناه ؛ لأنّه أنسب ، والله أعلم .

وقد تقدّم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمئة أوقية من الذهب .

وقال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : كان الذي أسره<sup>(٦)</sup> أبو أيوب خالد بن زيد .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وصيفي بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ترك في أيدي أصحابه ، فأخذوا عليه ليعبثنّ لهم بفدائه ، فخلّوا سبيله ، ولم يف لهم ، فقال حسان بن ثابت في ذلك<sup>(٨)</sup> : [ من الطويل ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٣ / ١ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٩ / ١ ) .

(٣) لفظ « الحارث » سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) و « السيرة النبوية » ( ٦٥٩ / ١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٩ / ١ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٩ / ١ ) .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : أسر أبي العاص ، وهو خطأ ، لأن الذي أسر أبا العاص هو خراش بن الصّمة ، كما تقدم في الصفحة التي قبلها .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٦٠ / ١ ) وفي « ديوان حسان » ( ١٣٠ / ٢ ) : « صيفي بن عابد » .

(٨) انظر « ديوان حسان » ( ١٤٩ / ١ ) .



وما كان صيفي ليوفي أمانة<sup>(١)</sup> قفا ثعلب أعياب بعض الموارد

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمح ، كان محتاجاً ذا بنات ، قال : يا رسول الله ، لقد عرفت ما لي من مال ، وإني لذو حاجة وذو عيال ؛ فامنن علي . فمن عليه رسول الله ﷺ ، وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحداً ، فقال أبو عزة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك : [ من أنصوب ]

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي الرُّسُولُ مُحَمَّدًا      بِأَنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِكُ حَمِيدٌ  
وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى      عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدٌ  
وَأَنْتَ أَمْرٌ بَوَّيْتُ فِيْنَا مَبَاءً      لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصَعُودٌ  
فَإِنَّكَ مِنْ حَارِبَتِهِ لِمَحَارِبٍ      شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدٌ  
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِرْتَ بِدَرًا وَأَهْلِهِ      تَأَوَّبَ<sup>(٣)</sup> مَا بِي حَسْرَةٌ وَقَعُودٌ

قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ، فرجع إليهم ، فلما كان يوم أحدٍ أسر أيضاً ، فسأل من النبي ﷺ أن يمن عليه أيضاً ، فقال النبي ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمداً مرتين » . ثم أمر به ، فضربت عنقه<sup>(٤)</sup> ، كما سيأتي في غزوة أحد . ويقال : إن فيه قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين »<sup>(٥)</sup> وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه ، عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر ، بعد مصاب أهل بدرٍ بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقون منه عناءً وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : وكان الذي أسره رفاعة بن رافع ، أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ،

(١) في « الديوان » : « بذمة » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦٠ ) .

(٣) من الأوب وهو الرجوع .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٢٨٠ - ٢٨١ ) .

(٥) رواه البخاري ( ٦١٣٣ ) و« مسلم » ( ٢٩٩٨ ) ، والحديث ليس خاصاً بأبي عزة .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦١ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦١ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦١ - ٦٦٣ ) .

فقال صفوان : والله إن<sup>(١)</sup> في العيش بعدهم خير . قال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم<sup>(٢)</sup> علة ؛ ابني أسير في أيديهم . قال : فاعتنمها صفوان بن أمية ، فقال : علي دينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم . فقال له عمير : فاکتم عني شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب ، وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرش بيننا ، وحزرننا<sup>(٣)</sup> للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر<sup>(٤)</sup> على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب ، قد جاء متوشحاً بسيفه . قال : « فأدخله علي » . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ؛ فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة » . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبّحها الله من سيوف ، وهل أغنت شيئاً ؟ قال : « اصدقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القلب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك » . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق ، فقال رسول الله ﷺ : « فقهوا أحاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ، إنني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ؛ لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما

(١) في ( ط ) : « ما أن » . و « إن » هنا بمعنى « ما » النافية .

(٢) في « السيرة النبوية » : « قبّلهم » .

(٣) حزر : قدر بالتخمين .

(٤) لفظ « عمر » سقط من : ( ط ) .

كنت أؤدي أصحابك في دينهم . قال : فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام ، تنسيكم أيام<sup>(١)</sup> بدر .

وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما قدم عمير مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤدي من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهب ، أو الحارث بن هشام ، هو الذي رأى عدو الله إبليس ، حين نكص على عقبيه يوم بدر ، وفرّ هارباً ، وقال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون . وكان إبليس يومئذ في صورة سراقه بن مالك بن جعشم أمير مدلج .

## فصل

ثم إن الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، تكلم على ما نزل من القرآن في قصة بدر ، وهو من أول سورة « الأنفال » إلى آخرها ، فأجاد وأفاد<sup>(٣)</sup> ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير<sup>(٤)</sup> » فمن أراد الاطلاع على ذلك فلينظره ثم ، والله الحمد والمنة .

## فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تسمية من شهد بدرًا من المسلمين<sup>(٥)</sup> ، فسرّد أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً ، ثم أسماء من شهدها<sup>(٦)</sup> من الأنصار أوسها وخزرجها ، إلى أن قال<sup>(٧)</sup> : فجميع من شهد بدرًا من المسلمين ؛ من المهاجرين والأنصار ؛ من شهدها [ منهم ] ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاثمئة رجل وأربعة عشر رجلاً ؛ من المهاجرين ثلاثة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون رجلاً ، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلاً . وقد سردهم البخاري في « صحيحه<sup>(٨)</sup> » مرتبين على حروف

(١) في ( ط ) : « وقعة » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٦٦ - ٦٧٧ ) .

(٤) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٣ / ٥٤٥ - ٥٩٩ ) و ( ٤ / ٣ - ٤٣ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٧٧ - ٧٠٦ ) ولفظ « منهم » مستدرك منه .

(٦) سقط من : ( ط ) .

(٧) انظر « سيرة ابن إسحاق » ص ( ٢٨٨ ) وانظر « سيرة ابن هشام » ( ١ / ٧٠٦ ) .

(٨) انظر « صحيح البخاري » ، باب تسمية من سمي من أهل بدر ... من كتاب « المغازي » . « فتح الباري »

( ٧ / ٣٢٦ ) بعد الحديث رقم ( ٤٠٢٧ ) .

المعجم ، بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكر ، وعمر<sup>(١)</sup> ، وعثمان ، وعليّ ، رضي الله عنهم .  
وهذه تسمية من شهد بدرًا من المسلمين مرتبين على حروف المعجم<sup>(٢)</sup> ، وذلك من كتاب « الأحكام  
الكبير » للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسيّ ، وغيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم  
وسيد ولد آدم محمد رسول الله ﷺ .

## حرف الألف

أبيّ بن كعب النّجاريّ سيد القراء ، الأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن  
عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزوميّ . أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان ،  
أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم . كذا قال موسى بن عقبة<sup>(٣)</sup> .  
وقال الأمويّ : سواد بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عديّ . شكّ فيه . وقال سلمة بن الفضل ، عن  
ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : سواد بن زريق بن ثعلبة .  
وقال ابن عائذ : سواد بن زيد<sup>(٥)</sup> . أسير بن عمرو الأنصاريّ أبو سليط . وقيل : أسير بن عمرو بن  
أمية بن لوذان بن سالم بن ثابت الخزرجيّ . ولم يذكره موسى بن عقبة .  
أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسيّ . كذا سماه موسى بن عقبة<sup>(٦)</sup> . وسماه الأمويّ  
في « السيرة » أنيسًا<sup>(٧)</sup> .  
[ قلت : وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ ، لما روى عمر بن شبة النميريّ<sup>(٨)</sup> ، حدّثنا محمد بن عبد الله  
الأنصاريّ ، عن أبيه ، عن ثمامة بن أنس قال : قيل لأنس بن مالك : أشهدت بدرًا ؟ قال : وأين أغيب  
عن بدرٍ لا أمّ لك ؟ ! .

(١) اسم « عمر » رضي الله عنه ، سقط من : ( ط ) .

(٢) وقد ذكرهم بترتيب آخر ابن سيد الناس في « عيون الأثر » ( ٤١٧ / ١ - ٤٣٢ ) طبع دار ابن كثير .

وقد صنّف العالم الحموي ( محمد الحسن السّمان الحموي ) صاحب « فيض المنعم من صحيح مسلم » مصنّفًا في  
ذكرهم لازال مخطوطاً ويحتفظ به مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي .

(٣) يعني تسمية « أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم » فقط . وقد ذكر هذا القول معزواً لابن عقبة ، ابن الأثير في  
« أسد الغابة » ( ١٠٣ / ١ ) وابن حجر في « الإصابة » ( ٧٣ / ١ - ٧٤ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩٨ / ١ ) .

(٥) وذكره بهذه التسمية ابن حجر في « الإصابة » ( ٧٤ / ١ ) ، ولم يعزها لأحد .

(٦) انظر « أسد الغابة » ( ١٥٠ / ١ ) .

(٧) في ( ط ) والأموي في السيرة أنيس ، وهو خطأ .

(٨) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٣٦١ / ٩ ) .

وقال محمد بن سعيد<sup>(١)</sup> : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، ثنا أبي ، عن مولى أنس بن مالك ، أنه قال لأنس : شهدت بدرًا ؟ قال : لا أم لك ، وأين أغيب عن بدرٍ ؟! قال محمد بن عبد الله الأنصاري : خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وهو غلامٌ يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي في « تهذيبه »<sup>(٢)</sup> : هكذا قال الأنصاري ، ولم يذكر ذلك أحدٌ من أصحاب المغازي [ .

أنس بن معاذ [ بن أنس ] بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار . أنسة الحبشي مولى رسول الله ﷺ . أوس بن ثابت بن المنذر النجاري . أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن [ الخزرج الخزرجي . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث ] بن خولي . أوس بن الصّامت الخزرجي أخو عبادة بن الصّامت . إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكرٍ حليف بني عدي بن كعب .

### حرف الباء

بجير بن أبي بجير حليف بني النجار . بخت بن ثعلبة بن خزيمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة البلوي حليف الأنصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمرو بن سعيد<sup>(٣)</sup> بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني حليف بني ساعدة ، وهو أحد العينين<sup>(٤)</sup> هو وعدي بن أبي الزغباء كما تقدّم . بشر ابن البراء بن معرور الخزرجي الذي مات بخير من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان بن بشير . ويقال : إنه أول من بايع الصديق . بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسي ، رده ، عليه الصلاة والسلام ، من الرّوحاء واستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره .

### حرف التاء

تميم بن يعار بن قيس بن عدي بن أمية بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . تميم مولى خراش بن الصّمة . تميم مولى بني غنم بن السّلم . وقال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : هو مولى سعد بن خيثمة .

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٣٦١ / ٩ ) .

(٢) انظر « تهذيب الكمال » ( ٣٦٨ / ٣ ) .

(٣) في « الاستيعاب » ( ١٩٠ / ١ ) و « جمهرة أنساب العرب » ص ( ٤٤٤ ) و « أسد الغابة » ( ٢١٣ / ١ ) و « الإصابة » ( ٢٨٨ / ١ ) : « سعد » .

(٤) يعني أنه كان هو وعدي عنيين يترقبان موعد نزول غير أبي سفیان بيدر ، قبيل الغزوة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩٠ / ١ ) .

## حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عديّ بن العجلان . ثابت بن ثعلبة - ويقال لثعلبة هذا : الجذع - بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة . ثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار النجاري . ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عديّ بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار النجاري . ثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار النجاري . ثابت بن هزال الخزرجي . ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس . ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالك النجاري . ثعلبة بن عمرو بن محصن الخزرجي . ثعلبة بن عتمة بن عديّ بن نابي السلمي . ثقف بن عمرو ، من بني حجر آل بني سليم ، وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسد .

## حرف الجيم

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار النجاري . جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي ، أحد الذين شهدوا العقبة .

[ قلت : فأما جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي أيضاً ، فذكره البخاريّ فيهم في مسند<sup>(١)</sup> ، عن سعيد بن منصور ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : كنت أُميح<sup>(٢)</sup> لأصحابي الماء يوم بدر . وهذا الإسناد على شرط مسلم ، لكن قال محمد بن سعد<sup>(٣)</sup> : ذكرت لمحمد بن عمر - يعني الواقدي - هذا الحديث ، فقال : هذا وهم من أهل العراق . وأنكر أن يكون جابر شهد بدرًا .

وقال الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٤)</sup> : حدثنا روح بن عبادة ، ثنا زكريا بن إسحاق ، ثنا أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة ، ولم أشهد بدرًا ولا أحدًا ، منعني أبي ، فلمّا قتل أبي يوم أحد ، لم أتخلف عن رسول الله ﷺ عن غزاة . ورواه مسلم<sup>(٥)</sup> ، عن أبي خيثمة عن روح<sup>(٦)</sup> .

(١) لعله في كتابه « المصنّف في أسماء الصحابة » الذي ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » ( ١ / ٨٩ ) .

(٢) في ( ط ) : « أمتح » .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » ( ١١ / ٢١٧ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٣٢٩ ) .

(٥) رواه « مسلم » ( ١٨١٣ ) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

جَبَّار بن صخر السلمي . جبر بن عتيك الأنصاري . جبير بن إياس الخزرجي .

### حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافع الخزرجي . الحارث بن أوس بن معاذ ، ابن أخي سعد بن معاذ الأوسي . الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس ، رده ، عليه الصلاة والسلام ، من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن خزيمة بن عدي بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليف لبني زعورا بن عبد الأشهل . الحارث بن الصّمة الخزرجي ، رده عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه كسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن عرفجة الأوسي . الحارث بن قيس بن خالد<sup>(١)</sup> أبو خالد الخزرجي . الحارث بن النّعمان بن أمية الأنصاري . حارثة بن سراقه النّجاري ، أصابه سهمٌ غربٌ وهو في النّظارة ، فرفع إلى الفردوس . حارثة بن النّعمان بن رافع الأنصاري . حاطب بن أبي بلتعة اللّخمي ، حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية الأشجعي ، من بني دهمان . هكذا ذكره ابن هشام<sup>(٢)</sup> عن غير ابن إسحاق .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود .

وكذا ذكره ابن عائذ في « مغازيه » .

وقال ابن أبي حاتم<sup>(٤)</sup> : حاطب بن عمرو بن عبد شمس . سمعته من أبي ، وقال : هو رجل مجهول .

الحباب بن المنذر الخزرجي . ويقال : كان لواء الخزرج معه يومئذ . حبيب بن أسود مولى بني حرام من بني سلّمة . وقال موسى بن عقبة<sup>(٥)</sup> : حبيب بن سعد . بدل « أسود » .

وقال ابن أبي حاتم<sup>(٦)</sup> : حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج . أنصاري بدري . حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه الأنصاري أخو عبد الله بن زيد الذي أري النّداء<sup>(٧)</sup> . الحصين بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف . حمزة بن عبد المطّلب بن هاشم عمّ رسول الله ﷺ .

(١) في ( ط ) : « خلدة » وانظر « أسد الغابة » ( ٤١١ / ١ ) و ( ٨١ / ٦ ) و « الإصابة » ( ٥٩٣ / ١ ) و « سيرة ابن هشام » ( ٧٠٠ / ١ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨٨ / ١ ) وليس عنده : « الأشجعي من بني دهمان » .

(٣) انظر « المغازي » ( ١٥٦ / ١ ) .

(٤) انظر « الجرح والتعديل » ( ٣٠٣ / ٣ ) .

(٥) انظر « الاستيعاب » ( ٣١٩ / ١ ) .

(٦) انظر « الجرح والتعديل » ( ٩٦ / ٣ ) .

(٧) أي : الأذان .

## حرف الخاء

خالد بن الكبير أخو إياس المتقدم . خالد بن زيد أبو أيوب النجاري . خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاري . خارجة بن الحمير ، حليف بني خنساء من الخزرج ، وقيل : اسمه حمزة<sup>(١)</sup> بن الحمير . وسمّاه ابن عائذ : أبا خارجة<sup>(٢)</sup> ، فالله أعلم . خارجة بن زيد الخزرجي صهر الصديق . خباب بن الارت ، حليف بني زهرة ، وهو من المهاجرين الأولين ، وأصله من بني تميم ، ويقال : من خزاعة . خباب مولى عتبة بن غزوان ، من المهاجرين الأولين . خراش بن الصمة السلمي . خبيب بن إساف [ بن عنبه ]<sup>(٣)</sup> الخزرجي . خريم بن فاتك . ذكره البخاري<sup>(٤)</sup> فيهم . خليفة بن عدي الخزرجي . خليل بن قيس بن النعمان بن سنان بن عبيد [ الأنصاري السلمي ]<sup>(٥)</sup> . خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي . قتل يومئذ فتأيت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب . خوات بن جبير الأنصاري ، ضرب له سهمه وأجره ، ولم يشهدا بنفسه . خولي بن أبي خولي ! العجلي حليف بني عدي . من المهاجرين الأولين . خلاّد بن رافع . وخلاّد بن سويد . وخلاّد بن عمرو بن الجموح الخزرجيون .

## حرف الذال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجي . ذو الشمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خزاعة ، حليف لبني زهرة ، قتل يومئذ شهيداً . قال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : واسمه عمير ، وإنما قيل له : ذو الشمالين ؛ لأنه كان أعسر .

## حرف الراء

رافع بن الحارث الأوسي . رافع بن عُنْجدة . قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : هي أمّه . رافع بن المعلّى بن لوزان الخزرجي قتل يومئذ . ربعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن عجلان بن ضبيعة . وقال موسى بن عقبة : ربعي بن أبي رافع . ربع بن إياس الخزرجي . ربعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن

(١) في ( ط ) : « حارثة » .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « خارجة » والتصحيح من « المشتبه » ( ٢٥١ / ١ ) و « تبصير المتنبه » ( ٤٥٦ / ١ ) .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من : ( آ ) . وانظر « أسد الغابة » ( ١١٨ / ٢ ) و « الإصابة » ( ٢٦١ / ٢ ) .

(٤) انظر « التاريخ الكبير » ( ٢٢٤ / ٣ ) .

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من : ( آ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨١ / ١ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨٨ / ١ ) .



لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليف لبني عبد شمس بن عبد مناف ، وهو من المهاجرين الأولين . رخیلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجي . رفاعه بن رافع الزرقعي ، أخو خلاد بن رافع . رفاعه بن عبد المنذر بن زبیر الأوسي أخو أبي لبابة . رفاعه بن عمرو بن زيد الخزرجي .

### حرف الزاي

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريه . زياد بن عمرو . وقال موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> : زياد بن الأخرس بن عمرو الجهني . وقال الواقدي : زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعه بن كليب بن مودوعة<sup>(٢)</sup> بن عدي بن عمرو بن الرُّبَعي<sup>(٣)</sup> بن رشدان بن قيس بن جهينة . زياد بن لبید الزرقعي . زيد<sup>(٤)</sup> بن المزين بن قيس الخزرجي . زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن عجلان بن ضبيعة . زيد بن حارثة شراحيل<sup>(٥)</sup> مولى رسول الله ﷺ ، رضي الله عنه . زيد بن الخطّاب بن نُفَيْل أخو عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنهما . زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري أبو طلحة ، رضي الله عنه .

### حرف السين

سالم بن عمير الأوسي . سالم بن عوف الخزرجي . [سالم بن معقل مولى أبي حذيفة<sup>(٦)</sup> . السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي . شهد<sup>(٧)</sup> مع أبيه . سبرة بن فاتك . ذكره البخاري . سبيع بن قيس بن عيشة الخزرجي . سراقه بن عمرو النجاري . سراقه بن كعب النجاري أيضاً . سعد بن خولة مولى بني عامر بن لؤي ، من المهاجرين الأولين . سعد بن خيثمة الأوسي ، قتل يومئذ شهيداً . سعد بن الربيع الخزرجي الذي قتل يوم أحد شهيداً . سعد بن زيد بن مالك الأوسي . [وقال الواقدي<sup>(٨)</sup> سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجي . سعد بن سهيل بن عبد الأشهل النجاري . سعد بن عبيد الأنصاري . سعد بن

(١) انظر « الاستيعاب » ( ٥٣٣ / ٢ ) و « أسد الغابة » ( ٢٧٣ / ٢ ) .

(٢) في ( آ ) : « بردعة » وفي ( ط ) : « بردعة » والتصحيح من « أسد الغابة » وانظر « الإصابة » ( ٥٨٦ / ٢ ) .

(٣) في ( ط ) : « الزبيري » . وانظر « أسد الغابة » ( ٢٧٣ / ٢ ) و « تبصير المنتبه » ( ٥٩٢ / ٢ ) .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « زياد » والتصحيح من « الاستيعاب » ( ٥٥٨ / ٢ ) و « أسد الغابة » ( ٣٠٠ / ٢ ) و « الإصابة »

( ٦٢٠ / ٢ ) وعندهم جميعاً وسماه الواقدي « يزيد » .

(٥) في ( ط ) : « شرحبيل » .

(٦) سقط من : ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٧) يعني شهد بدراً .

(٨) ما بين الحاصرتين لم يرد في ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

عثمان بن خلدة الخزرجي أبو عبادة . وقال ابن عائذ : أبو عبادة . سعد بن معاذ الأوسي . كان لواء الأوس معه . سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي . ذكره غير واحد ؛ منهم عروة ، والبخاري ، وابن أبي حاتم ، والطبراني فيمن شهد بدراً ، ووقع في « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> ما يشهد بذلك حين شاور النبي ﷺ في ملتقى النضير من قريش ، فقال سعد بن عبادة : كأنك تريدنا يا رسول الله ، الحديث . والصحيح أن ذلك سعد بن معاذ ، والمشهور<sup>(٢)</sup> أن سعد بن عبادة رده من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة . وقيل : لدغته حية ، فلم يتمكن من الخروج إلى بدر . حكاه السهيلي عن ابن قتيبة<sup>(٣)</sup> ، فالله أعلم .

سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري ، أحد العشرة . سعد بن مالك أبو سهل . قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : تجهز ليخرج ، فمرض فمات قبل الخروج . سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، ابن عم عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . سفيان بن بشر بن عمرو الخزرجي . سلمة بن أسلم بن حريش الأوسي . سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة . سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة . سليم بن الحارث النجاري . سليم بن عمرو السلمي . سليم بن قيس بن فهد الخزرجي . سليم بن ملحان ، أخو حرام بن ملحان النجاري . سماك بن أوس بن خرشة ، أبو دجانة . ويقال : سماك بن خرشة . سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجي . وهو أخو بشير بن سعد المتقدم . سهل بن حنيف الأوسي . سهل بن عتيك النجاري . سهل بن قيس السلمي . سهيل<sup>(٥)</sup> بن رافع النجاري . الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبوي كما تقدم . سهيل بن وهب الفهري ، وهو ابن بيضاء ، وهي أمه . سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان ، من المهاجرين ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف . سنان بن صيفي السلمي . سواد بن زريق بن زيد الأنصاري<sup>(٦)</sup> . وقال الأموي : سواد بن رزام . سواد بن غزوة بن أهيب البلوي . سويط بن سعد بن حرملة العبدري . سويد بن مخشي أبو مخشي الطائي ، حليف بني عبد شمس ، وقيل : اسمه أربد<sup>(٧)</sup> بن حمير<sup>(٨)</sup>

(١) انظر « مسلم » ( ١٧٧٩ ) .

(٢) اختُلف في شهود سعد بن عبادة بدراً . انظر « الاستيعاب » ( ٥٩٤ / ٢ ) و « أسد الغابة » ( ٣٥٦ / ٢ ) و « الإصابة » ( ٦٦ / ٣ ) .

(٣) انظر « الروض الأنف » ( ٢٩٦ / ٥ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ١٠١ / ١ ) .

(٥) في ( آ ) : « سهل » وأثبت لفظ ( ط ) وهو الصواب . وانظر « الاستيعاب » ( ٦٣٣ / ٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩٨ / ١ ) .

(٧) في ( آ ) و ( ط ) : « أزيد » وفي « أسد الغابة » ( ٧٢ / ١ ) و « الإصابة » ( ٤٢ / ١ ) و « تبصير المنتبه » ( ٤٦٥ / ١ ) : « أربد » .

(٨) في ( آ ) : « حميرة » وأثبت لفظ ( ط ) وهو الصواب .

## حرف الشّين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة ، حليف بني عبد شمس ، من المهاجرين الأوّلين .  
شمّاس بن عثمان المخزوميّ .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : واسمه عثمان بن عثمان ، وإنّما سمّي شمّاساً ؛ لحسنه وشبهه شمّاساً كان في الجاهليّة . شقران مولى رسول الله ﷺ .

قال الواقديّ<sup>(٢)</sup> : لم يسهم له ، وكان على الأسرى ، فأعطاه كلّ رجلٍ ممّن له في الأسرى<sup>(٣)</sup> شيئاً ، فحصل له أكثر من سهم .

## حرف الصّاد

صهيب بن سنان الرّوميّ ، من المهاجرين الأوّلين . صفوان بن وهب بن ربيعة الفهريّ ، أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذٍ . صخر بن أميّة بن خنساء السّلميّ .

## حرف الضّاد

ضحّاك بن حارثة بن زيد السّلميّ . ضحّاك بن عبد عمرو النّجاريّ . ضمرة بن عمرو الجهنيّ . وقال موسى بن عقبة<sup>(٤)</sup> : ضمرة بن كعب بن عمرو حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمرو .

## حرف الطّاء

طلحة بن عبيد الله التّيميّ ، أحد العشرة ، قدم من الشام بعد مرجعهم من بدر ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . طفيل بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف ، من المهاجرين ، وهو أخو حصين وعبيدة . طفيل بن مالك بن خنساء السّلميّ . طفيل بن النّعمان بن خنساء السّلميّ ، ابن عمّ الذي قبله . طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير<sup>(٥)</sup> بن عبد بن قصي<sup>(٦)</sup> . ذكره الواقديّ<sup>(٨)</sup> .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨٣ / ١ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ١٥٣ / ١ ) .

(٣) لفظ « الأسرى » سقط من ( آ ) .

(٤) انظر « الاستيعاب » ( ٧٤٩ / ٢ ) و « أسد الغابة » ( ٦٢ / ٣ ) .

(٥) سقط من ( ط ) وانظر « الاستيعاب » ( ٧٧٢ / ٢ ) و « الإصابة » ( ٥٤٠ / ٣ ) .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « كبير » والتصحيح من « الاستيعاب » و « الإصابة » .

(٧) سقط من : ( ط ) . وانظر « الاستيعاب » و « الإصابة » .

(٨) انظر « المغازي » ( ١٥٤ / ١ ) .

## حرف الظاء

ظهير بن رافع الأوسي . ذكره البخاري<sup>(١)</sup>

## حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري ، الذي حمته الدبر<sup>(٢)</sup> حين قتل بالرجيع . عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان ، رده عليه السلام من الروحاء ، وضرب له بسهمه وأجره . عاصم بن قيس بن ثابت الخزرجي . عاقل بن البكير ، أخو إلياس وخالد وعامر . عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس النجاري . عامر بن الحارث الفهري . كذا ذكره سلمة ، عن ابن إسحاق ، وابن عائذ . وقال موسى بن عقبة وزياد ، عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث<sup>(٣)</sup> . عامر بن ربيعة بن مالك العنزي ، حليف بني عدي ، من المهاجرين . عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلوي القضاعي ، حليف بني مالك بن سالم بن غنم .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : ويقال : عمرو<sup>(٥)</sup> بن سلمة . عامر بن عبد الله بن الجراح [ بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، أبو عبيدة بن الجراح ]<sup>(٦)</sup> ، أحد العشرة ، من المهاجرين الأولين . عامر بن فهيرة مولى أبي بكر . عامر بن مخلد النجاري . عائذ بن ماعص بن قيس الخزرجي . عبادة بن بشر بن وقش الأوسي . عبادة بن قيس بن عامر الخزرجي . عبادة بن قيس بن عيشة الخزرجي ، أخو سبيع المتقدم . عبادة<sup>(٧)</sup> بن الخشخاش القضاعي . عبادة بن الصامت الخزرجي . عبادة<sup>(٨)</sup> بن قيس بن كعب بن قيس . عبد الله بن أمية بن عرفطة . عبد الله بن ثعلبة بن خزمة ، أخو بخت المتقدم . عبد الله بن جحش بن رثاب<sup>(٩)</sup> الأسدي . عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي . عبد الله بن الجد بن قيس السلمي . عبد الله بن حق بن أوس الساعدي . وقال موسى بن عقبة ، والواقدي ، وابن عائذ : عبد رب

- 
- (١) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٠١٢ ) و ( ٤٠١٣ ) .
  - (٢) الدبر : جماعة النحل والزنابير . انظر « القاموس المحيط » ( دبر ) .
  - (٣) انظر الاختلاف في اسمه في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨٥ / ١ ) .
  - (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩٣ / ١ ) .
  - (٥) في ( ط ) : « عمر » .
  - (٦) سقط من : ( آ ) وأثبتته من ( ط ) . وانظر « أسد الغابة » ( ١٢٨ / ٣ ) و « الإصابة » ( ٥٨٦ / ٣ ) .
  - (٧) في ( ط ) : « عبادة » .
  - (٨) في ( ط ) : « عبادة » .
  - (٩) في ( آ ) : « ريان » . وانظر « الاستيعاب » ( ٨٧٧ / ٣ ) و « أسد الغابة » ( ١٩٤ / ٣ ) و « الإصابة » ( ٣٥ / ٤ ) .

ابن حقّ . وقال ابن هشام<sup>(١)</sup> : عبد ربّه بن حقّ . عبد الله بن الحمير ، حليف لبني حرام ، وهو آخر خارجة بن الحمير من أشجع . عبد الله بن الربيع بن قيس الخزرجي . عبد الله بن ربيعة الخزرجي . عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة<sup>(٢)</sup> الخزرجي ، الذي أرى النداء . عبد الله بن سراقه العدوي . لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقدي ولا ابن عائذ ، وذكره ابن إسحاق وغيره<sup>(٣)</sup> . عبد الله بن سلمة بن مالك العجلاني<sup>(٤)</sup> ، حليف الأنصار . عبد الله بن سهل<sup>(٥)</sup> بن رافع ، أخو بني زعورا . عبد الله بن سهيل بن عمرو ، خرج مع أبيه والمشركون ، ثم فرّ من المشركين إلى المسلمين فشهداها معهم . عبد الله بن طارق بن مالك القضاعي ، حليف الأوس . عبد الله بن عامر ، من بليّ ، ذكره ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> . عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي ، وكان أبوه رأس المنافقين . عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر<sup>(٧)</sup> بن مخزوم ، أبو سلمة ، زوج أم سلمة ، قتل يومئذ<sup>(٨)</sup> . عبد الله بن عبد مناف بن النعمان السلمي . عبد الله بن عبيد . عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد<sup>(٩)</sup> بن تيم بن مرة بن كعب ، أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه . عبد الله بن عرفطة بن عديّ الخزرجي . عبد الله بن عمرو<sup>(١٠)</sup> بن حرام السلمي ، أبو جابر . عبد الله بن عمير بن عديّ الخزرجي . عبد الله بن قيس بن خالد النجاري . عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام السلمي . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، جعله النبي ﷺ مع عديّ بن أبي الزغباء على النفل يوم بدر . عبد الله بن مخزومة بن عبد العزى ، من المهاجرين الأولين . عبد الله بن مسعود

- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٩٦ ) . وهو قول ابن إسحاق ، وإنما سكت عليه ابن هشام ولم يذكر قولاً آخر بعده .
- (٢) كذا في ( آ ) و ( ط ) وفي « المغازي » للواقدي ( ١ / ١٦٦ ) و « سيرة ابن هشام » ( ١ / ٦٩٢ ) و « أسد الغابة » ( ٣ / ٢٤٧ ) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه » . وفي « الإصابة » ( ٤ / ٩٧ ) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد . » ثم قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : كذا نسبه أبو عمر - انظر « الاستيعاب » ( ٣ / ٩١٢ ) - فزاد في نسبه ثعلبة ، والمعروف إسقاطه . انتهى من « الإصابة » ، وليس عند ابن عبد البر « ثعلبة » الأخير .
- (٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٨٤ ) و « الإصابة » ( ٤ / ١٠٥ ) حيث أشار الحافظ ابن حجر إلى أن ابن إسحاق والزبير وخليفة اتفقوا على شهوده بداراً . وقال عقب ذلك : واختلف على موسى بن عقبة في شهوده بداراً .
- (٤) في ( آ ) و ( ط ) : « العجلان » والتصحيح من « الاستيعاب » ( ٣ / ٩٢٣ ) و « أسد الغابة » ( ٣ / ٢٦٦ ) .
- (٥) في ( آ ) : « سهيل » وانظر « أسد الغابة » ( ٣ / ٢٦٩ ) و « الإصابة » ( ٤ / ١٢٢ ) .
- (٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١ / ٦٩٦ ) .
- (٧) في ( ط ) : « عمرو » وانظر « أسد الغابة » ( ٣ / ٢٩٤ ) و « الإصابة » ( ٤ / ١٥٢ ) .
- (٨) والصواب أنه شهد أحداً ، وأن وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة أربع بعد انتفاض جرح أصابه بأحد . وهو قول الجمهور - كما نقله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » ( ٤ / ١٥٤ ) .
- (٩) قوله : « ابن سعد » سقط من : ( آ ) . وانظر « أسد الغابة » ( ٣ / ٣٠٩ ) و « الإصابة » ( ٤ / ١٦٩ ) .
- (١٠) في ( ط ) : « عمر » وانظر « أسد الغابة » ( ٣ / ٣٤٦ ) و « الإصابة » ( ٤ / ١٨٩ ) .

الهلاليّ ، حليف بني زهرة ، من المهاجرين الأولين . عبد الله بن مظعون الجمحيّ ، من المهاجرين الأولين . عبد الله بن النعمان بن بلدمة السلميّ . عبد الله بن أنيسة<sup>(١)</sup> بن النعمان السلميّ . عبد الرحمن بن جبر بن عمرو ، أبو عيسى<sup>(٢)</sup> الخزرجيّ . عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة ، أبو عقيل القضاعيّ البلويّ . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب الزهريّ ، أحد العشرة ، رضي الله عنهم . عيس بن عامر بن عديّ السلميّ ، عبيد بن التيهان ، أخو أبي الهيثم بن التيهان ، ويقال : « عتيك » بدل « عبيد » . عبيد<sup>(٣)</sup> بن ثعلبة من بني غنم بن مالك . عبيد<sup>(٤)</sup> بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر . عبيد بن أبي عبيد . عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أخو الحصين والطفيل ، وكان أحد الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر ، فقطعت يده ، ثم مات بعد المعركة ، رضي الله عنه . عتب بن مالك بن عمرو الخزرجيّ . عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية البهرانيّ ، حليف بني أمية بن لؤذان . عتبة بن عبد الله بن صخر السلميّ . عتبة بن غزوان بن جابر ، من المهاجرين الأولين . عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأمويّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلف على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأجره . عثمان بن مظعون الجمحيّ أبو السائب ، أخو عبد الله وقدامة ، من المهاجرين الأولين . عديّ بن أبي الزغباء الجهنيّ ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وبسبب بن عمرو بين يديه عيناً . عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان . عصيمة ، حليف لبني الحارث بن سواد ، من أشجع ، وقيل : من بني أسد بن خزيمة . عطية بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجيّ . عقبة بن عامر بن نابي السلميّ . عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجيّ ، أخو سعد بن عثمان . عقبة بن عمرو ، أبو مسعود البدريّ . وقع في « صحيح البخاريّ »<sup>(٥)</sup> أنّه شهد بدراً ، وفيه نظرٌ عند كثيرٍ من أصحاب المغازي<sup>(٦)</sup> ؛ ولهذا لم يذكروه . عقبة بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة حليف لبني عبد شمس ، وهو أخو شجاع بن وهب ، من المهاجرين الأولين . عقبة بن وهب بن كدلة ، حليف بني غطفان . عكاشة بن محصن الغنميّ ، من المهاجرين الأولين ، وممن لا حساب عليه . عليّ بن أبي طالب الهاشميّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذ ، رضي الله عنه . عمار بن ياسر العنسيّ المذحجيّ ، من المهاجرين الأولين . عمارة بن حزم بن زيد النجاريّ . عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الشيخين المقتدى بهما ، رضي الله عنهما . عمرو بن إياس من أهل اليمن ، حليف لبني

(١) كذا في ( ط ) : « ابن أنيسة » ، وهو الصواب وفي ( آ ) : « ابن هنسة » .

(٢) في ( آ ) : « عيس » . وأثبت لفظ ( ط ) وهو الصواب .

(٣) في ( آ ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » ( ٣ / ٥٣٥ ) و « الإصابة » ( ٤ / ٤٠٨ ) .

(٤) في ( آ ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » ( ٣ / ٥٣٩ ) و « الإصابة » ( ٤ / ٤١١ ) .

(٥) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٠٠٧ ) .

(٦) انظر ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني حول هذا الموضوع في « فتح الباري » ( ٧ / ٣١٨ - ٣١٩ ) .

لوذان بن عمرو بن سالم ، وقيل : هو أخو ربيع وودقة . عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي بن مالك بن عدي بن عامر ، أبو حكيم . عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر الفهري . عمرو بن سراقه العدوي ، من المهاجرين ، عمرو بن أبي سرح الفهري ، من المهاجرين . وقال الواقدي ، وابن عائذ : « معمر » بدل « عمرو » . عمرو بن طلق بن زيد بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم وهو في بني حرام . عمرو بن الجموح بن حرام الأنصاري . عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم . ذكره الواقدي والأموي عمرو بن قيس بن مالك بن عدي<sup>(١)</sup> [ بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي<sup>(٢)</sup> بن عامر ، أبو خارجة . ولم يذكره موسى بن عقبة . عمرو بن عامر بن الحارث الفهري . ذكره موسى بن عقبة . عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسي . عمرو بن معاذ الأوسي ، أخو سعد بن معاذ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ، ويقال : عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السلمي . عمير بن حرام بن الجموح السلمي . ذكره ابن عائذ والواقدي . عمير بن الحمام بن الجموح ، ابن عم الذي قبله ، قتل يومئذ شهيداً . عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن ، أبو داود المازني . عمير بن عوف ، مولى سهيل بن عمرو . وسماه الأموي وغيره عمرو بن عوف . وكذا وقع في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> في حديث<sup>(٤)</sup> بعث أبي عبيدة إلى البحرين . عمير بن مالك بن أهيب الزهري ، أخو سعد بن أبي وقاص ، قتل يومئذ شهيداً . عنزة مولى بني سليم ، وقيل : إنه منهم . فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجاري ، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجارية ، قتل يومئذ شهيداً . عويم بن ساعدة الأنصاري من بني أمية بن زيد . عياض بن غنم الفهري ، من المهاجرين الأولين ، رضي الله عنهم أجمعين .

## حرف الغين

غنام بن أوس الخزرجي . ذكره الواقدي<sup>(٥)</sup> ، وليس بمجمع عليه .

(١) بعده في (آ) و(ط) : « بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي » والتصحيح في « السيرة النبوية » لابن هشام (٧٠٤/١) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٧٠٤/١) وانفردت به (ط) .

(٣) انظر « صحيح البخاري » (٣١٥٨) و(٤٠١٥) و(٦٤٢٥) و« صحيح مسلم » (٢٩٦١) وقال الحافظ في « فتح الباري » (٢٦٢/٦) : وكأنه كان يقال فيه بالوجهين ، وقد فرق العسكري بين عمير بن عوف وعمرو بن عوف ، والصواب الوحدة .

(٤) لفظ « حديث » سقط من : (آ) .

(٥) انظر « المغازي » (١٧٢/١) .

## حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجي . فروة بن عمرو بن ودقة الخزرجي .

## حرف القاف

قتادة بن النعمان الأوسي . قدامة بن مظعون الجمحي ، من المهاجرين ، أخو عثمان وعبد الله . قطبة بن عامر بن حديدة السلمي . قيس بن السكن النجاري . قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيد المازني ، كان على الساقة يوم بدر . قيس بن محصن بن خالد الخزرجي . قيس بن مخلد بن ثعلبة النجاري .

## حرف الكاف

كعب بن حمار ، ويُقال : جمّاز<sup>(١)</sup> . ويقال : حمّان<sup>(٢)</sup> . وقال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : من غبشان ، ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جمّاز . وقال الأُموي : كعب بن ثعلبة بن حباله بن غنم الغساني ، من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة . كعب بن زيد بن قيس النجاري . كعب بن عمرو ، أبو اليسر السلمي . كلفة بن ثعلبة ، أحد البكّائين . ذكره موسى بن عقبة . كنان بن حصين بن يربوع ، أبو مرثد الغنوي ، من المهاجرين الأوّلين .

## حرف الميم

مالك بن الدّخشم ، ويقال<sup>(٤)</sup> : ابن الدّخشن الخزرجي . مالك بن أبي خوليّ الجعفيّ ، حليف بني عديّ . مالك بن ربيعة ، أبو أسيد الساعديّ . مالك بن قدامة الأوسيّ . مالك بن عمرو ، أخو ثقف بن عمرو ، وكلاهما مهاجريّ ، وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسد . مالك بن مسعود الخزرجي . مالك بن نميلة . وقال الواقدي<sup>(٥)</sup> : مالك بن ثابت بن نميلة المزنيّ ، حليف لبني عمرو بن عوف . مبشر ابن عبد المنذر بن زبیر الأوسيّ ، أخو أبي لبابة ورفاعة ، قتل يومئذ شهيداً . المجذّر بن زياد<sup>(٦)</sup> البلويّ ، مهاجريّ . محرز بن عامر النجاريّ . محرز بن نضلة الأسديّ ، حليف بني عبد شمس ، مهاجريّ ،

(١) انظر « الاستيعاب » ( ١٣١٢ / ٣ ) و « أسد الغابة » ( ٤٧٣ / ٤ ) .

(٢) انظر « الإصابة » ( ٥٩١ / ٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩٦ / ١ ) .

(٤) انظر « الإصابة » ( ٧٢١ / ٥ ) .

(٥) انظر « المغازي » ( ١٦١ / ١ ) .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « زياد » والتصحيح من « الاشتقاق » لابن دُرَيْد ص ( ٥٥٠ ) .



محمد بن مسلمة ، حليف بني عبد الأشهل . مدليج ، ويقال : مدلاج بن عمرو . أخو ثقف بن عمرو ، مهاجري . مرثد بن أبي مرثد الغنوي . مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف ، من المهاجرين الأولين ، وقيل : اسمه عوف . مسعود بن أوس الأنصاري النجاري . مسعود بن خلدة الخزرجي . مسعود بن ربيعة القاري ، حليف بني زهرة ، مهاجري . مسعود بن سعد - ويقال : ابن عبد سعد - ابن عامر بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث . مسعود بن سعد بن قيس الخزرجي . مصعب بن عمير العبدي ، مهاجري ، كان معه اللواء يومئذ . معاذ بن جبل الخزرجي . معاذ بن الحارث النجاري ، وهذا هو ابن عفراء ، أخو عوف ومعوذ . معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجي . معاذ بن ماعص الخزرجي ، أخو عائذ . معبد بن عباد بن قشير بن القدم<sup>(١)</sup> بن سالم<sup>(٢)</sup> بن غنم ، ويقال : معبد بن عبادة بن قيس . وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : « قشعر » بدل « قشير » . وقال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : قشغر . أبو حميضة . معبد بن قيس بن صخر السلمي ، أخو عبد الله بن قيس . معتب بن عبيد بن إياس البلوي القضاعي . معتب بن عوف الخزاعي ، حليف بني مخزوم ، من المهاجرين . معتب بن قشير الأوسي . معقل بن المنذر السلمي . معمر بن الحارث الجمحي ، من المهاجرين . معن بن عدي الأوسي . معوذ بن الحارث النجاري ، وهو ابن عفراء ، أخو معاذ وعوف . معوذ بن عمرو بن الجموح السلمي ، لعله أخو معاذ بن عمرو . المقداد بن عمرو البهراني ، وهو المقداد بن الأسود ، من المهاجرين الأولين ، وهو ذو المقال المحمود الذي تقدم ذكره ، وكان أحد الفرسان يومئذ . مليل بن وبرة الخزرجي . المنذر بن عمرو بن خنيس الساعدي . المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجي . المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري ، من بني جحجج . مهجع مولى عمر بن الخطاب ، أصله من اليمن ، وكان أول قتيل من المسلمين يومئذ .

## حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر وهو<sup>(٥)</sup> كعب . نعمان بن عبد عمرو النجاري ، وهو أخو الضحاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النجاري . نعمان بن عصر [ ابن الربيع ]<sup>(٦)</sup> بن الحارث ، حليف

(١) في (آ) : « القدم » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) بعده في « أسد الغابة » ( ٢٢٠ / ٥ ) و « الإصابة » ( ١٦٦ / ٦ ) : « بن مالك بن سالم » .

(٣) انظر « المغازي » ( ١٦٧ / ١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩٣ / ١ ) .

(٥) في (آ) و (ط) : « بن » والتصحيح من « الأنساب » للسمعاني ( ١٠١ / ٤ ) و « أسد الغابة » ( ٣١٤ / ٥ ) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و (ط) واستدرسته من « الاستيعاب » ( ١٤٨٧ / ٤ ) و « أسد الغابة » ( ٣٣٦ / ٥ ) و « الإصابة » ( ٤٤٨ / ٦ ) .

لبنى الأوس . نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجي ، ويقال له : قوئل . نعمان بن يسار<sup>(١)</sup> ، مولئ لبني نعمان بن سنان بن<sup>(٢)</sup> عبيد ، ويقال : نعمان بن سنان . نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجي .

### حرف الهاء

هانيء بن نيار ، أبو بردة البلوي ، خال البراء بن عازب . هلال بن أمية الواقفي ، وقع ذكره في أهل بدر في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> ، في قصة كعب بن مالك ، ولم يذكره أحد من أصحاب المغازي . هلال بن المعلّى الخزرجي ، أخو رافع بن المعلّى .

### حرف الواو

واقد بن عبد الله التميمي ، حليف بني عدي ، من المهاجرين . وديعة بن عمرو بن جرّاد الجهني . ذكره الواقدي<sup>(٤)</sup> وابن عائذ . ودقة<sup>(٥)</sup> بن إياس بن عمرو الخزرجي ، أخو ربيع بن إياس . وهب بن سعد بن أبي سرح ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذ والواقدي ، في بني عامر بن لؤي<sup>(٦)</sup> ، ولم يذكره ابن إسحاق .

### حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جناب<sup>(٧)</sup> بن حبيب بن جرّة السلمي ، قال السهيلي<sup>(٨)</sup> : شهد هو وأبوه وابنه - يعني بدرا - ولا يعرف لهم نظير في الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق ولا الأكثرون ، لكن شهدوا معه بيعة الرضوان . يزيد بن الحارث بن قيس الخزرجي ، وهو الذي يقال له : ابن فُسحَم . وهي أمّه ، قتل يومئذ شهيداً ببدر . يزيد بن عامر بن حديدة ، أبو المنذر السلمي . يزيد بن المنذر بن<sup>(٩)</sup> سرح السلمي ، وهو أخو معقل بن المنذر .

(١) ليس له ترجمة بهذا الاسم في « الاستيعاب » و « أسد الغابة » و « الإصابة » .

(٢) لفظ « ابن » سقط من ( ط ) .

(٣) انظر « صحيح البخاري » ( ٤٤١٨ ) و « صحيح مسلم » ( ٢٧٦٩ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ١٦٢ / ١ ) .

(٥) في ( ط ) : « ورقة » . قال الحافظ في « الإصابة » ( ٦٠٢ / ٦ ) : اختلف في ضبطه ؛ ف قيل بالفاء ، وقيل بالقاف ، والأكثر على أنه بالذال .

(٦) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ٤٠٧ / ٣ - ٤٠٨ ) و « المغازي » للواقدي ( ١٥٦ / ١ ) .

(٧) في ( آ ) : « حبان » ولا يوجد هذا الاسم في نسب يزيد بن الأخنس في « أسد الغابة » ( ٤٧٤ / ٥ ) .

(٨) انظر « الروض الأنف » ( ٣٠٠ / ٥ ) .

(٩) لفظ « ابن » سقط من : ( آ ) .

## باب الكنى

أبو أسيد مالك بن ربيعة ، تقدّم . أبو الأعور بن الحارث بن ظالم النجاري ، وقال ابن هشام<sup>(١)</sup> : أبو الأعور الحارث بن ظالم . وقال الواقدي<sup>(٢)</sup> : أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالم . أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، تقدّم . أبو حبة بن عمرو بن ثابت ، أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، من المهاجرين ، وقيل : اسمه مهشم . أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعه ابن عفراء . أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجاري . أبو سبرة بن<sup>(٣)</sup> أبي رهم بن عبد العزى ، من المهاجرين . أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو عكاشة ، ومعه ابنه سنان ، من المهاجرين . أبو الضيَّاح<sup>(٤)</sup> النعمان - وقيل : عمير - ابن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة ، رجع من الطريق ، وقتل يوم خيبر ، رجع لجرح أصابه من حجرٍ فضرِب له بسهمه . أبو عرفة ، من حلفاء بني جحجى . أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ . أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، تقدّم . أبو مرثد الغنوي كنان بن حصين ، تقدّم . أبو مسعود البدرى عقبة بن عمرو ، تقدّم . أبو مليل بن الأزعر بن زيد الأوسي .

## فصل

فكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً<sup>(٥)</sup> ، منهم رسول الله ﷺ ، كما قال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا عمرو بن خالد ، ثنا زهير ، ثنا أبو إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : حدثني أصحاب محمد ﷺ ، ورضي عنهم ، ممن شهد بدرًا ، أنهم كانوا عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ؛ بضعة عشر وثلاثمئة . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمنٌ .

ثم رواه البخاري من طريق إسرائيل وسفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء نحوه<sup>(٧)</sup> .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٠٥ / ١ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ١٦٤ / ١ ) .

(٣) في ( آ ) و ( ط ) : « مولى » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨٥ / ١ ) و « الاستيعاب » ( ١٦٦٦ / ٤ ) و « أسد الغابة » ( ١٣٤ / ٦ ) .

(٤) في ( ط ) : « الصباح » وبعده في ( آ ) و ( ط ) : « بن » .

(٥) وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » ( ١٨٨ / ٣ ) بعد أن ذكر ما تقدم مما قاله المؤلف : « من المهاجرين ستة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مئة وسبعون ، وإنما قلّ عدد الأوس عن الخزرج ، وإن كان أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء ، لأن منازلهم كانت في حوالي المدينة ، وجاء التّفير بغتة » .

(٦) انظر « صحيح البخاري » ( ٣٩٥٧ ) .

(٧) انظر « صحيح البخاري » ( ٣٩٥٨ ) و ( ٣٩٥٩ ) .

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : وهذا قول عامة السلف ؛ أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> أيضاً : ثنا محمود ، ثنا وهب ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعين وميتين . هكذا وقع في هذه الرواية .

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : ثنا محمد بن عبيد المحاربي ، ثنا أبو مالك الجنبی ، عن الحجاج - وهو ابن أرمطة - عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعين رجلاً ، وكان الأنصار مئتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان حامل راية النبي ﷺ علي بن أبي طالب ، وحامل راية الأنصار سعد بن عباد . وهذا يقتضي أنهم كانوا ثلاثمائة وستة رجال .

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : وقيل : كانوا ثلاثمائة وسبعة رجال .

قلت : وقد يكون هذا عدّ معهم النبي ﷺ ، والأول عدّهم بدونه ، فالله أعلم .

وقد تقدّم<sup>(٥)</sup> عن ابن إسحاق أنّ المهاجرين كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ، وأنّ الأوس أحدّ وستون رجلاً ، والخزرج مئة وسبعون رجلاً ؛ وسردهم . وهذا مخالف لما ذكره البخاري ، ولما روي عن ابن عباس ، فالله أعلم .

وفي « الصحيح »<sup>(٦)</sup> عن أنس ، أنّه قيل له : شهدت بدرًا ؟ فقال : وأين أغيب ؟

وفي « سنن أبي داود » عن سعيد بن منصور ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة بن نافع ، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أنّه قال : كنت أُمّيح أصحابي الماء يوم بدر ، وهذان لم يذكرهما البخاري ولا الضياء ، فالله أعلم .

قلت : وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدر من ضرب له بسهم في مغنمها مع أنّه<sup>(٧)</sup> لم يحضرها ، تخلف عنها لعذرٍ أذن له في التّخلف بسببه ، وكانوا ثمانية أو تسعة ، وهم ؛ عثمان بن عفان ، تخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ يمرضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٣٢ / ٢ ) .

(٢) انظر « صحيح البخاري » ( ٣٩٥٦ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٣١ / ٢ ) وفي ( ط ) : « حدثني » .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٣٢ / ٢ ) .

(٥) تقدم في الصفحة التي قبلها ( ١٢٠ ) .

(٦) ذكره الحافظ في « الفتح » ( ٢٩٢ / ٧ ) وعزاه للإمام أحمد ، وذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » ( ٣ / ٣٩٧ )

وعزاه لابن سعد في « طبقاته » .

(٧) في ( ط ) : « وأنه » .

زيد بن عمرو بن نفيل ، كان بالشام ، فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله ، كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره ، وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، رده رسول الله ﷺ من الرّوحاء حين بلغه خروج النّفير من مكة ، فاستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أمية ، رده رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصّمة ، كسر بالرّوحاء فرجع ، فضرب له بسهمه - زاد الواقدي<sup>(١)</sup> : وأجره - وخوات بن جبير ، لم يحضر الواقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الضّياح بن ثابت ، خرج مع رسول الله ﷺ ، فأصاب ساقه<sup>(٢)</sup> فصيل حجر<sup>(٣)</sup> ، فرجع ، وضرب له بسهمه وأجره . قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : وسعد بن<sup>(٥)</sup> مالك ، تجهّز ليخرج فمات . وقيل : إنّه مات بالرّوحاء . فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ستّة وهم ؛ عبدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصّفراء<sup>(٦)</sup> ، رحمه الله ، وعمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص الزّهري ، قتله العاص بن سعيد<sup>(٧)</sup> ، وهو ابن ستّ عشرة سنة ، ويقال<sup>(٨)</sup> : إنّه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى ، فأذن له في الذهاب ، فقتل ، رضي الله عنه . وحليفهم ذو الشّمالين بن عبد عمرو الخزاعي ، وصفوان بن بيضاء ، وعافل بن البكير الليثي ، حليف بني عدي ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، وكان أول قتل من المسلمين يومئذ . ومن الأنصار ثمانية وهم ؛ حارثة بن سراقة ، رماه حبان بن العرقة بسهم ، فأصاب حنجرته ، فمات ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث - ويقال : ابن فُسح - وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلّى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر ، رضي الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدّم . قال ابن إسحاق : وكان معهم فرسان ؛ على أحدهما

(١) انظر « المغازي » ( ١ / ١٦٣ ) .

(٢) في ( آ ) : « رأسه » .

(٣) الفصيل من الحجر : القطعة منه . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٣ / ٤٥١ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ١ / ١٦٨ ) .

(٥) في ( آ ) و ( ط ) : « أبو » .

(٦) الصّفراء : وإد قرب المدينة ، كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، وسلّكه رسول الله ﷺ غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . انظر « معجم البلدان » ( ٣ / ٣٩٩ ) و « المغامم المطابة » ص ( ٢١٩ ) .

(٧) كذا في ( آ ) و ( ط ) . والذي في « المغازي » ( ١ / ١٤٥ ) : « عمرو بن عبد » . وفي « الاستيعاب » ( ٣ / ١٢٢١ )

و « طبقات ابن سعد » ( ٣ / ١٤٩ ، ١٥٠ ) و « أسد الغابة » ( ٤ / ٢٩٩ ) و « الإصابة » ( ٤ / ٧٢٥ ) : « عمرو بن عبد

ود » . ولعل المصنف تابع السهيلي في « الروض الأنف » ( ٥ / ٢٩٧ ) حيث عزاه إلى الواقدي . والذي في « طبقات

ابن سعد » عن الواقدي : « عمرو بن عبد ود » كما سبق .

(٨) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ٣ / ١٤٩ - ١٥٠ ) .

المقداد بن الأسود ، واسمها بعزجة - ويقال : سبحة - وعلى الأخرى الزبير بن العوام ، واسمها العسوب . وكان معهم لواءٌ يحمله مصعب بن عمير ، ورايتان ؛ يحمل إحداهما للمهاجرين عليّ بن أبي طالب ، والتي للأنصار يحملها سعد بن عباد ، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذ .

وأما جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم : إنهم كانوا ما بين التسعمئة إلى الألف ؛ وقد نصّ عروة وقتادة أنهم كانوا تسعمئة وخمسين رجلاً . وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : كانوا تسعمئة وثلاثين رجلاً . وهذا التحديد يحتاج إلى دليل ، وقد تقدّم في بعض الأحاديث أنهم كانوا أزيد من ألف ، فلعله عدد أتباعهم معهم . والله أعلم .

وقد تقدّم في الحديث الصحيح عند البخاري<sup>(٢)</sup> ، عن البراء أنه قتل منهم سبعون ، وأسر سبعون . وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالك في قصيدة له : [ من الكامل ]

فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون عتبة منهم والأسود

وقد حكى الواقدي<sup>(٣)</sup> الإجماع على ذلك ، وفيما قاله نظراً ؛ فإن موسى بن عقبة وعروة بن الزبير قالوا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح ، والله أعلم .

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره<sup>(٤)</sup> ، وحزّر ذلك الحافظ الضياء في « أحكامه » جيداً ، وقد تقدّم في غضون سياقات القصة ذكر أول من قتل منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلم الخزاعي - أو العقيلي - حليف بني مخزوم ، وما أفاده ذلك ؛ فإنه أسر ، وهو القائل في شعره : [ من الطويل ]

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يقطر الدّم

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، قتلاً صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى ، وقد اختلف في أيهما قتل أولاً على قولين ، وأنه ، عليه الصلاة والسلام ، أطلق جماعة من الأسارى مجاناً بلا فداء ، منهم ؛ أبو العاص بن الربيع الأموي ، والمطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي ، وصيفي بن أبي رفاع كما تقدّم ، وأبو عزة الشاعر ، ووهب بن عمير بن

(١) الذي في « المغازي » ( ٣٩ / ١ ) : « خرجوا بتسعمئة وخمسين » .

(٢) رواه البخاري ( ٣٩٨٦ ) .

(٣) ذكر الواقدي في « المغازي » الذي بين أيدينا ( ١٤٣ / ١ - ١٤٤ ) أقوالاً مختلفة في عدد قتلى وأسرى المشركين ، ولم يذكر فيها إجماعاً ولا اتفاقاً .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٠٨ - ٧١٥ ) و ( ٨ - ٣ / ٢ ) .

وهب الجمحي ، كما تقدّم ، وفادى بقيّتهم ، حتى عمّه العباس أخذ منه أكثر ممّا أخذ من سائر الأسرى ؛ لثلاً يحاييه لكونه عمّه ، مع أنّه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه ، فأبى عليهم ذلك وقال : لا تتركوا منه درهماً ، وقد كان فداؤه متفاوتاً ، فأقلّ ما أخذ أربعمئة ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقيةً من ذهب . قاله موسى بن عقبة . وأخذ من العباس مئة أوقيةً من ذهب ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه ، كما قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا عليّ بن عاصم قال : قال داود : ثنا عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة . قال : فجاء غلامٌ يوماً يبكي إلى أبيه ، فقال<sup>(٢)</sup> : ما شأنك ؟ فقال : ضربني معلّم . فقال : الخبيث يطلب بذحل بدر<sup>(٣)</sup> ، والله لا تأتیه أبداً . انفرد به أحمد ، وهو على شرط السنن ، وتقدّم بسط ذلك كلّ ، والله الحمد والمِنَّة .

## فصل

### في فضل من شهد بدرًا من المسلمين

قال البخاري<sup>(٤)</sup> في هذا الباب : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدر ، فجاءت أمّه إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى<sup>(٥)</sup> ما أصنع . فقال : « ويحك ، أو هبلت ، أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس » . تفرد به البخاري من هذا الوجه .

وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابت وقتادة ، عن أنس ، وأنّ حارثة كان في النظارة ، وفيه : « إنّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى » . وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضل أهل بدر ؛ فإنّ هذا الذي لم يكن في بحبحة<sup>(٦)</sup> القتال ولا في حومة الوغى ، بل كان من النظارة من بعيد ، وإنّما أصابه سهمٌ غربٌ ، وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس ، التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنه تفجّر أنهار الجنة ، التي أمر الشارع أمته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حال هذا ، فما ظنك بمن كان واقفاً في نحر العدو ، وعدوّهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٤٧ / ١ ) ، وهو حديث حسن .

(٢) في ( آ ) : « أمه فقالت » .

(٣) في ( آ ) : « بدخل بدر » وفي ( ط ) : « يدخل بدر » والتصحيح من « المسند » والدخل : الثأر . انظر « لسان العرب » ( دخل ) .

(٤) رواه « البخاري » ( ٣٩٨٢ ) و ( ٦٥٥٠ ) .

(٥) في ( آ ) و ( ط ) : « فترى » وفي « صحيح البخاري » : « ترى » .

(٦) في ( ط ) : « بحيحة » .

ثم روى البخاري ومسلم جميعاً<sup>(١)</sup> ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب ، قصة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأن عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه ؛ فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : « قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ولفظ البخاري : « أليس من أهل بدرٍ ؟ ! ولعل الله أطلع على أهل بدرٍ ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة » أو : « قد غفرت لكم » . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم .

وروى مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن قتيبة ، عن الليث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا ، فقال : يا رسول الله ، ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا سليمان بن داود ، ثنا أبو بكر بن عيَّاش ، حدثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل النار رجلٌ شهد بدرًا أو الحديبية » . تفرد به أحمد ، وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا يزيد ، أنبأنا حماد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « إن الله أطلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود<sup>(٥)</sup> ، عن أحمد بن سنان ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد بن هارون به .

وروى البزار في « مسنده »<sup>(٦)</sup> ثنا محمد بن مرزوق ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنني لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدرًا إن شاء الله » . ثم قال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرد البزار بهذا الحديث ، ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقال البخاري<sup>(٧)</sup> في باب شهود الملائكة بدرًا : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقني ، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدرٍ - قال : جاء جبريل إلى

(١) رواه « البخاري » ( ٣٩٨٣ ) و« مسلم » ( ٢٤٩٤ ) .

(٢) رواه « مسلم » ( ٢٤٩٥ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٩٦ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٥ / ٢ - ٢٩٦ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رواه أبو داود ( ٤٦٥٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) هو في « كشف الأستار » ( ٢٧٦١ ) وقال في « المجمع » ( ١٦١ / ٩ ) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

(٧) رواه « البخاري » ( ٣٩٩٢ ) .



النبي ﷺ ، فقال : ما تعدّون أهل بدر فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » - أو كلمة نحوها - قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة . انفرد به البخاري .

### فصل

في قدوم زينب بنت الرسول ﷺ ، مهاجرة<sup>(١)</sup> من مكة إلى المدينة ( بعد وقعة بدرٍ بشهرٍ ، بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبي ﷺ ، كما تقدّم<sup>(٢)</sup> )

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلّي سبيله - يعني كما تقدّم - بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : « كونا بطنُ يأجج<sup>(٤)</sup> » حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحبها فتأتياني بها . فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدرٍ بشهرٍ - أو شيعه - فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالّلحوق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، قال : حدّث عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : يا بنة محمدٍ ، ألم يبلغني أنك تريدن اللّحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أي ابنة عمّ ، لا تفعلين ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاعٍ مما يرفق بك في سفرك أو بمالٍ تبخلين به إلى أبيك ، فإنّ عندي حاجتك فلا تضطني<sup>(٦)</sup> مني ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنني خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : فتجهّزت ، فلما فرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بغيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودجٍ لها ، وتحدّث بذلك رجالٌ من<sup>(٨)</sup> قريشٍ ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، والفهري<sup>(٩)</sup> ، فروّعا هبارٌ بالرمح ، وهي في الهودج ، وكانت حاملاً -

(١) لفظ « مهاجرة » سقط من : ( ط ) .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في ( ط ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٣ / ١ ) .

(٤) يأجج : موضع بمكة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٣ / ١ - ٦٥٤ ) .

(٦) في ( ط ) : « تضطني » ومعنى : « لا تضطني » أي لا تنقبضي مني .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٤ / ١ - ٦٥٥ ) .

(٨) لفظ « من » لم يرد في ( آ ) وأثبتته من ( ط ) .

(٩) في ( آ ) و ( ط ) : « ابن عبد العزّى الفهري » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .

فيما يزعمون - فطرح [ ذا بطنها ]<sup>(١)</sup> ، وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو مني رجلٌ إلّا وضعت فيه سهماً . فتكركر الناس عنه<sup>(٢)</sup>

وأتى أبو سفيان في جلة من قريش ، فقال : أيها الرجل ، كف عنا نبك حتى نكلمك . فكفت ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تصب ؛ خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذ خرجت بابتته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، أن ذلك عن ذلّ أصابنا ، وأن ذلك منا ضعفٌ ووهنٌ ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا من ثورة<sup>(٣)</sup> ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات وتحذت الناس أن قد ردناها ، فسلها سرّاً وألحقها بأبيها . قال : ففعل . وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> أن أولئك النفر الذين ردوا زينب لما رجعوا إلى مكة قالت هند تدمهم على ذلك : [ من الطويل ]

أفي السّلم أعيارٌ جفاءٍ وغلظةٌ وفي الحرب أشباه النساء العوارك<sup>(٥)</sup>

وقد قيل : إنها قالت ذلك للذين رجعوا من بدر ، بعد ما قتل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها ليلاً على رسول الله ﷺ .

وقد روى البيهقي في « الدلائل »<sup>(٧)</sup> من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة ، فذكر قصة خروجها وردّهم لها ووضعها ما في بطنها ، وأن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه ؛ لتجىء معه ، فتلف زيدٌ ، فأعطاه راعياً من مكة ، فأعطى الخاتم لزينب ، فلمّا رآته عرفته ، فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجلٌ في ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلاً ، فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة . قال : فكان رسول الله ﷺ يقول : « هي أفضل بناتي أصيبت في » . قال : فبلغ ذلك علي بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ما حديثٌ بلغني أنك تحدّثه<sup>(٨)</sup> ؟ فقال عروة : والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً هو لها ، وأما بعد فلك<sup>(٩)</sup> أن لا أحدث به أبداً .

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .

(٢) أي : رجعوا . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ١٦٦ / ٤ ) .

(٣) أي : طلب ثأر .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٦ / ١ ) .

(٥) العوارك : الحيض من النساء .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٦ / ١ ) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » ( ١٥٦ / ٣ - ١٥٧ ) .

(٨) في ( آ ) : « بحدّثه » وفي ( ط ) : « تحدّثه » والتصحيح من « دلائل النبوة » .

(٩) في ( آ ) و ( ط ) : « وأما بعد ذلك » والتصحيح من « دلائل النبوة » .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فقال في ذلك عبد الله بن رواحة<sup>(٢)</sup> ، أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف - قال

ابن هشام : هي لأبي خيثمة - : [ من الطويل ]

أتاني الذي لا يقدر الناس قدره  
وأخراجها لم يخز فيها محمد  
وأمرسى أبو سفيان من حلف ضمضم  
قرناً ابنه عمراً ومولى يمينه  
فأقسمت لا تنفك منا كتائب  
نروع قريش الكفر حتى نعلها  
نزلهم أكناف نجد ونخله  
يد الدهر حتى لا يعوج سربنا  
ويندم قوم لم يطيعوا محمداً  
فأبلغ أبا سفيان إماماً لقيته  
فأبشر بخزي في الحياة معجل  
لزينب فيهم من عقوق ومائم  
على ما أقط وبيننا عطر منشم  
ومن حربنا في رغم أنف ومندم  
بذي حلق جلد الصلاصل محكم  
سراة خميس من لهام مسوم  
بخاطمة فوق الأنوف بميسم  
وإن يئتموا بالخيول والرجل نتهم  
ونلحقهم آثار عاد وجرهم  
على أمرهم وأي حين تندم  
لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم  
وسربال قار خالداً في جهنم

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر ، هو عامر بن الحضرمي .

وقال ابن هشام : إنما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي ، فأما عامر بن الحضرمي ، فإنه قتل يوم بدر .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقد حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدؤسي ، عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ سريةً أنا فيها ، فقال : « إن ظفرتم بهبار بن الأسود ، والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار » . فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : « إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما »<sup>(٤)</sup> ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا الله ، عز وجل ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » . تفرد به ابن إسحاق ، وهو على شرط السنن<sup>(٥)</sup> ولم يخرجوه .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا قتيبة ، ثنا الليث ، عن بكير ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي هريرة ، رضي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٥ / ١ - ٦٥٦ ) والأبيات في « ديوانه » ص ( ١٣٠ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٦ / ١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٧ / ١ ) .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « أخذتموها » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٥) في ( آ ) : « الشيخين » . وهو خطأ من الناسخ ، يقول المؤلف بعده : « ولم يخرجوه » ويقصد أصحاب السنن .

(٦) رواه « البخاري » ( ٣٠١٦ ) .

الله عنه ، أنه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعث ، فقال : « إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار » . ثم قال حين أردنا الخروج : « إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> أن أبا العاص أقام بمكة على كفره ، واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش ، فلما قفل من الشام لقيته سريةً ، فأخذوا ما معه ، وأعجزهم هرباً ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح ، وكبر ، وكبر الناس ؛ صرخت من صفة النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله ﷺ ، أقبل على الناس ، فقال : « أيها الناس ، هل سمعتم الذي سمعت ؟ » . قالوا : نعم . قال : « أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء [ من ذلك ]<sup>(٢)</sup> حتى سمعت ما سمعتم ، وإنه يجير على المسلمين أدناهم » . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فدخل على ابنته زينب فقال : « أي بنية ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصن إليك ؛ فإنك لا تحلين له » . قال : وبعث رسول الله ﷺ ، فحثهم على رد ما كان معه ، فردوه بأسره لا يفقد منه شيئاً ، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة ، فأعطى كل إنسان ما كان له ، ثم قال : يا معشر قريش ، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفياً كريماً . قال : فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ردّ عليه رسول الله ﷺ ، زينب على النكاح الأول ، ولم يحدث شيئاً . وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، وقال الترمذي : ليس بإسناده بأس ، ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين .

وقال السهيلي<sup>(٦)</sup> : لم يقل به أحد من الفقهاء ، فيما علمت .

وفي لفظ : ردّها عليه رسول الله ﷺ ، بعد ست سنين .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٧ / ١ - ٦٥٨ ) .

(٢) تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥٨ / ١ - ٦٥٩ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٧ / ١ ) وهو حديث حسن بشواهد .

(٥) رواه أبو داود ( ٢٢٤٠ ) والترمذي ( ١١٤٣ ) وابن ماجه ( ٢٠٠٩ ) وهو حديث حسن بشواهد .

(٦) انظر مسند أحمد ( ٣ / ٣٦٩ ) .

وفي رواية : بعد سنتين بالنكاح الأول . رواه ابن جرير<sup>(١)</sup> ،

وفي رواية : لم يحدث نكاحاً<sup>(٢)</sup>

وهذا الحديث قد أشكل على كثير من العلماء ؛ فإن القاعدة عندهم أن المرأة إذا أسلمت وزوجها كافراً ، فإن كان قبل الدخول تعجلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدة ، فإن أسلم فيها استمر على نكاحها ، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها ، وزينب ، رضي الله عنها ، أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ ، وهاجرت بعد بدر بشهر ، وحرم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمان ، فمن قال : ردّها عليه بعد ست سنين . أي من حين هجرتها ، فهو صحيح ، ومن قال : بعد سنتين . أي : من حين حرمت المسلمات على المشركين ، صحيح أيضاً ، وعلى كل تقدير ، فالظاهر انقضاء عدتها في هذه المدة التي أقلها سنتان من حين التحريم أو قريب منها ، فكيف ردّها عليه بالنكاح الأول ؟ فقال قائلون : يحتمل أن عدتها لم تنقض ، وهذه قصة عين يتطرق إليها الاحتمال . وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأول الذي رواه أحمد والترمذي ، وابن ماجه<sup>(٣)</sup> من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه أن رسول الله ﷺ ردّ بنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد .

قال الإمام أحمد : هذا حديث ضعيف وإيه ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيب ، إنما سمعه من محمد بن عبيد الله العزمي ، والعزمي لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روي أن النبي ﷺ أقرهما على النكاح الأول .

وهكذا قال الدارقطني<sup>(٤)</sup> : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردّها بالنكاح الأول .

وقال الترمذي<sup>(٥)</sup> : هذا حديث في إسناده مقال ، والعمل عليه عند أهل العلم أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحقّ بها ما كانت في العدة ، وهو قول مالك ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق .

وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدتها ، ومن روى أنه جدّد لها نكاحاً فضعيف ، ففي قضية زينب ، والحالة هذه ، دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا ينفسخ

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٤٧٢ ) .

(٢) رواه الترمذي ( ١١٤٣ ) ، وحسنه .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٠٧ / ٢ ) والترمذي ( ١١٤٢ ) وابن ماجه ( ٢٠١٠ ) ، وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « سنن الدارقطني » ( ٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ) .

(٥) وذلك عقب حديث عمرو بن شعيب السابق ، وانظر أيضاً قول البيهقي في « السنن الكبرى » ( ٧ / ١٨٨ ) .

بمجرد ذلك ، بل تبقى بالخيار ؛ إن شاءت تزوجت غيره ، وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت كان ، وهي امرأته ما لم تتزوج ، وهذا القول فيه قوة ، وله حظ من جهة الفقه ، والله تعالى أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاري<sup>(١)</sup> حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن . حدثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام ، عن ابن جريج . وقال عطاء ، عن ابن عباس : كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين ؛ كانوا مشركي أهل حرب يقاتلونهم ويقاتلونهم ، ومشركي أهل عهد لا يقاتلونهم ولا يقاتلونهم ، وكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حلّ لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه ، وإن هاجر عبدٌ منهم أو أمةٌ فهما حران ولهما ما للمهاجرين ، ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهد . هذا لفظه بحروفه ، فقوله : فكان إذا هاجرت امرأة من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر . يقتضي أنها كانت تستبرئ بحیضة ، لا تعتد بثلاثة قروء ، وقد ذهب قومٌ إلى هذا . وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه . يقتضي أنه ، وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدة ، أنها تردّ إلى زوجها الأول ما لم تنكح زوجاً غيره ، كما هو الظاهر من قصة زينب بنت النبي ﷺ ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، والله أعلم .

## فصل

### فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، عن حمزة بن عبد المطلب ، وأنكرها ابن هشام : [ من الطويل ]

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر	وللحين أسباب مبيّة الأمر
وما ذاك إلا أنّ قوماً أفادهم	فخانوا تواصي بالعقوق وبالكفر
عشيّة راحوا نحو بدر بجمعهم	فكانوا رهوناً للركيّة من بدر
وكنّا طلبنا العير لم نبغ غيرها	فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مشويّة	لنا غير طعن بالمتقفة السمر
وضرب بيض يختلي الهام حدّها	مشهورة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويّاً	وشية في قتلى تجرّم في الجفر
وعمرؤ ثوى فيمن ثوى من حماهم	فشقت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساء من لؤيّ بن غالب	كرام تفرعن الذوائب من فهر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم	وخلّوا لواء غير محتضر النصر

(١) رواه « البخاري » ( ٥٢٨٦ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨/٢ - ٩ ) .

لواء ضلالٍ قاد إبليس أهله  
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً  
فإني أرى ما لا ترون وإني  
فقدّمهم للحين حتى تورطوا  
فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا  
وفينا جنود الله حين يمدّنا  
فشدّ بهم جبريل تحت لوائنا  
فخاس بهم إن الخبيث إلى غدرٍ  
برئت إليكم ما بيّ اليوم من صبر  
أخاف عقاب الله والله ذو قسر  
وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر  
ثلاث مئين كالمسدّة الزهر  
بهم في مقام ثمّ مستوضح الذّكر  
لدى مأزقٍ فيه منايهم تجري

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشام ، أخي أبي جهل عمرو بن هشام ، تركناها عمداً .

وقال عليّ بن أبي طالب - وأنكرها ابن هشام<sup>(١)</sup> - : [ من الطويل ]

ألم تر أنّ الله أبلى رسوله  
بما أنزل الكفّار دار مذلة  
فأمسى رسول الله قد عزّ نصره  
فجاء بفرقانٍ من الله منزلٍ  
فآمن أقوامٌ بذاك وأيقنوا  
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبهم  
وأمكن منهم يوم بدرٍ رسوله  
بأيديهم بيضٌ خفافٌ عصوا بها  
فكم تركوا من ناشئ ذي حمية  
تبيت عيون النائحات عليهم  
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه  
وذا الرّجل تنعى وابن جدعان فيهم  
ثوى منهم في بئر بدرٍ عصابة  
دعا الغيّ منهم من دعا فأجابه  
فأضحوا لدى دار الجحيم بمعزلٍ  
بلاء عزيزٍ ذي اقتدارٍ وذو فضلٍ  
فلاقوا هواناً من إسارٍ ومن قتلٍ  
وكان رسول الله أرسل بالعدل  
مبينّة آياته لذوي العقل  
فأمسوا بحمد الله مجتمعى الشمل  
فزادهم ذو العرش خبلاً على خبلٍ  
وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الفعل  
وقد حادثوها بالجلاء وبالصّقل  
صريعاً ومن ذي نجدةٍ منهم كهلٍ  
تجود بإسبال الرّشاش وبالبوبل  
وشية تنعاه وتنعى أبا جهلٍ  
مسلبّة حرّى مبيّنة الثّكل  
ذوو نجداتٍ في الحروب وفي المحل  
وللغيّ أسبابٌ مرمّقة الوصل  
عن الشّغب والعدوان في أسفل السّفّل

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث بن هشام أيضاً ، تركناها قصداً .

وقال كعب بن مالك<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » ( ١١ / ٢ - ١٢ ) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٦٦ - ١٦٧ ) بتحقيق د . سامي مكّي العاني ، طبع عالم الكتب ببيروت .

عجبت لأمر الله والله قادر  
قضى يوم بدر أن نلاقي معشراً  
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم  
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا  
وفينا رسول الله والأوس حوله  
وجمع بني النجار تحت لوائه  
فلما لقيناهم وكل مجاهد  
شهدنا بأن الله لا رب غيره  
وقد عريت بيض خفاف كأنها  
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا  
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه  
وشية والتيمي غادرن في الوغى  
فأمسوا وقود النار في مستقرها  
تلظى عليهم وهي قد شب حميها  
وكان رسول الله قد قال أقبلوا  
لأمر أراد الله أن يهلكوا به

وقال كعب<sup>(١)</sup> في يوم بدر : [ من الطويل ]

وأخبر شيء بالأمور عليمها  
معدّ معاً جهالها وحليمها  
رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها  
وأعراق صدق هدبتها أرومها  
أسود بقاء لا يرجى كليمها  
لمنخر سوء من لؤي عظيمها  
سواء علينا حلفها وصميمها

وقال كعب<sup>(٢)</sup> أيضاً : [ من الوافر ]

لعمري أبيكما يا بُني لؤي  
على زهو لديكم وانتخاء

(١) الأبيات في « ديوانه » ص ( ٢٠٨ ) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٤٥ ) .



لما حامت فوارسكم بيدٍ      ولا صبروا به عند اللقاء  
وردناه بنور الله يجلسو      دجى الظلماء عنا والغطاء  
رسول الله يقدمنا بأمرٍ      من امر الله أحكم بالقضاء  
فما ظفرت فوارسكم بيدٍ      وما رجعوا إليكم بالسواء  
فلا تعجل أبا سفيان وارقب      جياد الخيل تطلّع من كداء  
بنصر الله روح القدس فيها      وميكال فيا طيب الملاء

وقال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> - قال ابن هشام: ويقال: هي لعبد الله بن الحارث السهمي - : [ من البسيط ]

مستعري خلق الماذي يقدمهم      جلد النحيزة ماضٍ غير رعديد  
أعني رسول إله الخلق<sup>(٢)</sup> فضله      على البرية بالتقوى وبالجود  
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم      وماء بدرٍ زعمتم غير مورود  
ثم وردنا ولم نسمع<sup>(٣)</sup> لقولكم      حتى شربنا رواء غير تصريح  
مستعصمين بحبلٍ غير منجذم      مستحكم من حبال الله ممدود  
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه      حتى الممات ونصر غير محدود  
وافٍ وماضي شهابٌ يستضاء به      بدرٌ أنار على كل الأماجيد

وقال حسان بن ثابت أيضاً<sup>(٤)</sup> :

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة      إبارتنا الكفار<sup>(٥)</sup> في ساعة العسر  
قتلنا سراة القوم عند مجالنا<sup>(٦)</sup>      فلم يرجعوا إلّا بقاصمة الظهر  
قتلنا أبا جهلٍ وعتبة قبله<sup>(٧)</sup>      وشيبة يكبو لليدين وللنحر<sup>(٨)</sup>  
قتلنا سُويداً ثم عتبة بعده      وطعمة أيضاً عند ثائرة القتر  
فكم قد قتلنا من كريم مرزٍ      له حسبٌ في قومه نابه الذكر

(١) الأبيات في «ديوانه» (١٢٨/١) مع تقديم وتأخير .

(٢) في «ديوانه» : « أعني الرسول فإن الله » .

(٣) في «ديوانه» : « ولم نهدد » .

(٤) الأبيات في «ديوانه» (١٤٢/١) وفيها تداخل ونقص وخلاف عما في كتابنا و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢١/٢ - ٢٢ .

(٥) في «ديوان حسان بن ثابت» : « قَتَلْنَا مِنَ الْكُفَّارِ . . . » .

(٦) في «ديوان حسان بن ثابت» : « عند رحالهم » .

(٧) في «ديوان حسان بن ثابت» : « بعده » .

(٨) في «ديوان حسان بن ثابت» : « وشيبة أيضاً عند ثائرة الصبر » .

تركناهم للعاويات<sup>(١)</sup> يبنهم  
لعمرك ما حامت فوارس مالك  
ويصلون ناراً بعد حامية القعر  
وأشيعاهم يوم التقينا على بدر

وقال عبدة بن الحارث بن عبد المطلب ، في يوم بدر ، وفي قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعليّ  
مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، وأنكرها ابن هشام : [ من الطويل ]

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة  
بعتبة إذ ولّى وشيبة بعده  
فإن تقطعوا رجلي فإنّي مسلم  
مع الحور أمثال التماثيل أخلصت  
وبعت بها عيشاً تعرّقت صفوه  
فأكرمني الرحمن من فضل منه  
وما كان مكروهاً إليّ قتالهم  
ولم يبع إذ سالوا النبيّ سواءنا  
لقيناهم كالأسد تخطر بالقنا  
فما برحت أقدامنا من مقامنا  
يهب لها من كان عن ذاك نائياً  
وما كان فيها بكر عتبة راضياً  
أرجي بها عيشاً من الله دانياً  
من الجنة العليا لمن كان عالياً  
وعاجلته حتى فقدت الأدانياً  
بثوب من الإسلام غطى المساويا  
غداة دعا الأكفاء من كان داعياً  
ثلاثتنا حتى حضرنا المناديا  
نقاتل في الرحمن من كان عاصياً  
ثلاثتنا حتى أزيروا المنائيا

وقال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال حسّان بن ثابت<sup>(٣)</sup> أيضاً ؛ يذمّ الحارث بن هشام على فراره يوم بدر ،  
وتركه قومه لا يقاتل دونهم : [ من الكامل ]

تبّلت فؤادك في المنام خريدة  
كالمسك تخلطه بماء سحابة  
نفج الحقيبة بوصفها متنضد  
بنيت على قطن أجم كأنه  
وتكاد تكسل أن تجيء فراشها  
أمّا النهار فلا أفر ذكرها  
أقسمت أنساها وأترك ذكرها  
يا من لعاذلة تلوم سفاهة  
بكرت عليّ بسحرة بعد الكرى  
تشفي الضجيع ببارد بسام  
أو عاتق كدم الذبيح مدام  
بلهاء غير وشيكة الأقسام  
فُضلاً إذا قعدت مداك رخام  
في جسم خرعة وحسن قوام  
والليل توزعني بها أحلامي  
حتى تغيب في الضريح عظامي  
ولقد عصيت على الهوى لوامي  
وتقارب من حادث الأيام

(١) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « للخامعات تنوبهم » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٦/٢ - ١٨ ) .

(٣) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » ص ( ٢٩ ) .

زعمت بأن المرء يكرب عمره  
إن كنت كاذبة الذي حدثتني  
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم  
تذر العناجيج الجياد بقفرة  
ملأت به الفرجين فارمدت به  
وبنو أبيه ورهطه في معرك  
طحنتهم والله ينفذ أمره  
لولا الإله وجريها لتركه  
من بين مأسور يشد وثاقه  
ومجدل لا يستجيب لدعوة  
بالعار والذل المبين إذ رأى  
بيدي أغر إذا انتمى لم يخزه  
بيض إذا لاق حديدا صمت

عدم لمعتكر من الأصرام  
فنجوت منجى الحارث بن هشام  
ونجا برأس طمرة ولجام  
مرّ الدّموك بمحصد ورجام  
وثوى أحبته بشر مقام  
نصر الإله به ذوي الإسلام  
حرب يشب سعيها بضرام  
جزر السباع ودسنه بحوام  
صقر إذا لاقى الأسنة حام  
حتى تزول شوامخ الأعلام  
بيض السيوف تسوق كل همام  
نسب القصار سميذع مقدم  
كالبرق تحت ظلال كل غمام

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : تركنا في آخرها ثلاثة أبيات أقذع فيها . [ من الكامل ]

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : فأجابه الحارث بن هشام ، أخو أبي جهل عمرو بن هشام فقال : [ من الكامل ]

القوم أعلم ما تركت قتالهم  
وعرفت أنني إن أقاتل واحداً  
فصدت عنهم والأحبة فيهم

حتى حبوا مهري بأشقر مزبد  
أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي  
طمعاً لهم بعقاب يوم مفسد

وقال حسان<sup>(٣)</sup> أيضاً : [ من الكامل ]

يا حار قد عولت غير معول  
إذ تمتطي سرح اليدين نجية  
والقوم خلفك قد تركت قتالهم  
ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى  
عجل المليك له فأهلك جمعه

عند الهياج وساعة الأحساب  
مرطى الجراء طويلة الأقرب  
ترجو النجاء وليس حين ذهاب  
قعص الأسنة ضائع الأسلاب  
بشمار مخزية وسوء عذاب

وقال حسان<sup>(٤)</sup> أيضاً : [ من الوافر ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٩ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٨ / ٢ ) برواية : « الله أعلم ما تركت » .

(٣) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٢٩٨ / ١ ) و « السيرة النبوية » ( ١٩ / ٢ - ٢٠ ) .

(٤) انظر « ديوان حسان » ( ١٨٠ / ١ ) و « السيرة النبوية » ( ١٩ / ٢ ) .

لقد علمت قريش يوم بدر  
بأننا حين تشتجر العوالي  
قتلنا ابني ربيعة يوم سارا  
وفر بها حكيم يوم جالت  
وولت عند ذاك جموع فھر  
لقد لاقيتم ذلاً وقتلاً  
وكل القوم قد ولّوا جميعاً

وقالت هند بنت أئاة بن عبّاد بن المطلب ، ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب : [ من الطويل ]

لقد ضمّن الصّفراء مجداً وسؤداً  
عبيدة فابكيه لأضياف غربة  
وبكيه للأقوام في كلّ شتوة  
وبكيه للأيتام والريّح زفزف  
فإن تصبح النيران قد مات ضوؤها  
لطارق ليل أو لملتمس القرى

وقال الأمويّ في « مغازيه » : حدّثني سعيد بن قطن ، قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها

التي رأت وتذكر بدرأ : [ من الطويل ]

ألما تكن رؤياي حقاً ويأتكم  
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى  
فقلت لم أكذب كذبت وإنما  
وما جاء إلا رهبة الموت هارباً  
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم  
كأن حريق النار لمع ظباتها  
ألا بأبي يوم اللقاء محمداً  
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم  
فكم بردت أسيفه من مليكة  
فما بال قتلى في القليب ومثلهم  
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم  
فكيف رأى عند اللقاء محمداً  
ألم يغشكم ضرباً لوقعه الـ

بتأويلها فلّ من القوم هارب  
بعينه ما تفري السيوف القواضب  
يكذبني بالصدق من هو كاذب  
حكيم وقد أعيت عليه المذاهب  
وخطبة فيها الشبا والثعالب  
إذا ما تعاطتها الليوث المشاغب  
إذا عضّ من عون الحروب الغوارب  
كفاحاً كما تمرى السحاب الجنائب  
وزعزع وردّ بعد ذلك صالب  
لدى ابن أخي أسرى له ما تضارب  
من الله حين ساق والحين حالب  
بنو عمّه والحرب فيها التجارب  
جبان وتبدو بالنهار الكواكب

حلفت لئن عادوا لنصليّتهم      بحاراً تردى تجربتها المقانب  
 كأن ضياء الشمس لمع ظباتها      لها من شعاع النور قرنٌ وحاجب  
 وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأمويّ : [ من الطويل ]

هلاً صبرتم للنبيّ محمدٍ      بيدٍ ومن يغشى الوغى حقّ صابرٍ<sup>(١)</sup>  
 ولم ترجعوا عن مرهفاتِ كأنها      حريقٌ بأيدي المؤمنين بواترٍ  
 ولم تصبروا للبيض حتى أخذتم      قليلاً بأيدي المؤمنين المساعر  
 ووليتم نفرأ وما البطل الذي      يقاتل من وقع السلاح بنافرٍ  
 أتاكم بما جاء النيتون قبله      وما ابن أخي البرّ الصدوق بشاعرٍ  
 سيكفي الذي ضيّعتم من نبيكم      وينصره الحيان عمرو وعامرٍ

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريش الذين قتلوا يومئذٍ من قومه ، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك : [ من الطويل ]

ألا إن عيني أنفدت دمعها سكباً      تبكي على كعبٍ وما إن ترى كعباً  
 ألا إن كعباً في الحروب تخاذلوا      وأرداهم ذا الدهر واجترحوا ذنباً  
 وعامر تبكي للملمات غدوةً      فيا ليت شعري هل أرى لهم قرباً  
 فيا أخويننا عبد شمس ونوفلاً      فدى لكم لا تبعثوا بيننا حرباً  
 ولا تصبحوا من بعد ودٍّ وألفةٍ      أحاديث فيها كلّم يشتكي النكبا  
 ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ      وحرب أبي يكسوم إذ ملؤوا الشعبا  
 فلولاً دفاع الله لا شيء غيره      لأصبحتم لا تمنعون لكم سرباً  
 فما إن جنينا في قريش عزيمةً      سوى أن حمينا خير من وطىء التربا  
 أخوا ثقةً في النائبات مُرَرّاً      كريمأ نشاه لا بخيلاً ولا ذرباً  
 يطيف به العافون يغشون بابهِ      يؤمّون نهراً لا نزوراً ولا صرباً  
 فوالله لا تنفك نفسي حزينهً      تململ حتى تصدقوا الخزرج الضرباً

### فصل

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> أشعاراً من جهة المشركين قوّة الصنعة ، يرثون بها قتلاهم يوم بدر ، فمن ذلك قول ضرار بن الخطّاب بن مرداس أخى بني محارب بن فهر ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسّهيلي في « روضه » يتكلّم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك : [ من الطويل ]

(١) من بعض هذه الأبيات إقواء .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٣ / ٢ - ١٤ ) .

عجبت لفخر الأوس والحِين دائرٌ  
وفخر بني النّجار أن كان معشرٌ  
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا  
وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم  
ووسط بني النّجار سوف نكرها  
فتترك صرعى تعصب الطير حولهم  
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة  
وذلك أنا لا تزال سيوفنا  
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما  
وبالتنفر الأخيار هم أولياؤه  
يعدّ أبو بكرٍ وحمزة فيهم  
أولئك لا من نتجت في ديارها  
ولكن أبوهم من لؤيّ بن غالب  
هم الطّاعنون الخيل في كلّ معركٍ

فأجابه كعب بن مالك بقصيدته التي أسلفناها<sup>(٤)</sup> ، وهي قوله : [ من الطويل ]

عجبت لأمر الله والله قادرٌ  
قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقال أبو بكرٍ واسمه شدّاد بن الأسود بن شعوب .

قلت : وقد ذكر البخاري<sup>(٦)</sup> أنّه خلف على امرأة أبي بكرٍ الصديق ، حين طلقها الصديق ، وذلك

لما<sup>(٧)</sup> حرّم الله المشركات على المسلمين ، واسمها أمّ بكرٍ : [ من الوافر ]

تُحَيِّي بالسّلامة أمّ بكرٍ  
فماذا بالقلب قلب بدرٍ  
وماذا بالقلب قلب بدرٍ  
وهل لي بعد قومي من سلام  
من القينات والشّرب الكرام  
من الشّيزى تكلّل بالسّنام<sup>(٨)</sup>

(١) في الأصول ( رجالاً ) وهو خطأ صححه عن « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٢) في ( آ ) : « بها » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٣) في ( ط ) : « الأكابر » .

(٤) انظر ص ( ١٤٨ - ١٤٩ ) من هذا الجزء .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٩ / ٢ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٣٩٢١ ) .

(٧) لفظ « لما » سقط من ( ط ) .

(٨) والسّنام : لحم ظهر البعير . انظر « لسان العرب » ( سنم ) .

وكم لك بالطَّويِّ طويِّ بدرٍ      من الحومات<sup>(١)</sup> والنَّعم المُسام  
وكم لك بالطَّويِّ طويِّ بدرٍ      من الغايات والدَّسْع العظام<sup>(٢)</sup>  
وأصحاب الكريم أبي عليٍّ      أخِي الكأس الكريمة والنَّدَام  
وإنَّكَ لو رأيتَ أبا عَقيْلٍ      وأصحاب الشَّيْثَةِ من نَعَام  
إذا لظِلَّلت من وجْدٍ عليهم      كأمَّ السَّقْبِ<sup>(٣)</sup> جائلة المرام  
يخْبِرنا الرسول لسوف نحيا      وكيف حياة أصداء وهام

قلت : وقد أورد البخاريّ بعضها في « صحيحه »<sup>(٤)</sup> ليعرف به حال قائلها .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقال أمية بن أبي الصلت<sup>(٦)</sup> ، يرثي من قتل من قريش يوم بدرٍ : [ من مجزوء الكامل ]

ألا بكيّت على الكرا      م بني الكرام أولي الممادخ  
كُكبا الحمام على فرو      ع الأيْكَ في الغصن الجوانح  
يكيّن حرّى مستكي      ناتٍ يرحن مع الرّوائح  
أمثالهنّ الباكيّا      ت المعولات من النّوائح  
من ييْكهم ييْكي على      حزنٍ ويصدق كلّ مادح  
ماذا يبيدر والعقد      قل من مرازبةٍ ججاجح  
فمدافع البرقين فال      حنان من طرف الأواشح  
شُمِط وشَبانٍ بها      ليلٍ مغاويرٍ وحاح  
ألا ترون لما أرى      ولقد أبان لكلّ لامح  
أن قد تغيّر بَطْنُ مَكّة      فهي موحشة الأباطح  
من كلّ بطريقٍ لبط      ريق نقيّ الودّ واضح  
دعموص أبواب الملو      لك وجائبٍ للخرق فاتح  
ومن السّراطمة الخلا      جمّة الملاوثة المناجح

(١) في (آ) : « الحرمات » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .

(٢) هذا البيت تقدم في (آ) إلى ما قبل البيت الذي قبله وترتيب الأبيات في (ط) كما أثبتته موافق لترتيبها في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٣) السقب : ولد الناقة .

(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٣٩٢١ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٠ - ٣٢ ) .

(٦) الأبيات في « ديوان أمية بن أبي الصلت » ص ( ٣٤٨ ) صنعة د. عبد الحفيظ السطلي ، مع تقديم وتأخير .

القائلين الفاعليـ	من الأمرين بكلّ صالح
المطعمين الشحم فو	ق الخبز شحمًا كالأنافخ
نقل الجفان مع الجفا	ن إلى جفانٍ كالمناضح
ليست بأصفارٍ لمن	يعفو ولا رخّ رحارح
للضيف ثم الضيف بعـ	د الضيف والبسط السلاطح
وهب المئين من المئـ	ن إلى المئين من اللّواقح
سوق المؤبّل للمؤبـ	ل صادراتٍ عن بلادح
لكرامهم فوق الكرا	م مزيّةً وزن الرّواجح
كتشاقل الأرطال بالـ	قسطاس بالأيدي الموائح
خذلتهم فئّة وهم	يحمون عورات الفضائح
الضّاريين التّقديـ	ة بالمهنّدة الصّفائح
ولقد عناني صوتهم	من بين مستسقٍ وصائح
لله درّ بنــــي علـ	ي أيّـم منهم وناكح
إن لم يغيروا غارةً	شعواء تجحر كلّ نابح
بالمقربات المبعدا	ت الطّامحات مع الطّوامح
مُرداً على جردٍ إلى	أسدٍ مكالبةٍ كوالح
ويلاقٍ قرنٌ قرنه	مشي المصافح للمصافح
بزهاء ألفٍ ثمّ ألـ	فٍ بين ذي بدنٍ ورامح

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ .

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس ، الذي حمّله كثرة جهله وقلة عقله ، على أن مدح المشركين وذمّ المؤمنين ، واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشام ، وأضرابه من الكفرة اللثام ، والجهلة الطغام ، ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله ، وحبّيه وخليله ، فخر البشر ، ومن وجهه أنور من القمر ، ذي العلم الأكمل ، والعقل الأشمل ، ومن صاحبه الصديق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات ، وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات ، في طاعة ربّ الأرض والسموات ، وكذلك بقيّة أصحابه الغرّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام ، رضي الله عن جميعهم ، ما اختلط الضياء والظلام ، وما تعاقبت الليالي والأيام ، وقد تركنا أشعاراً كثيرةً أوردها ابن إسحاق ، رحمه الله ، خوف الإطالة وخشية الملالة ، وفيما أوردنا كفايةً ، ولله الحمد والمنة .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٢ ) .



وقد قال الأمويّ في « مغازيه »<sup>(١)</sup> : سمعت أبي ، ثنا<sup>(٢)</sup> سليمان بن أرقم ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهليّة .

قال سليمان : فذكر ذلك للزّهريّ فقال : عفا عنه إلا قصيدتين ؛ كلمة أميّة التي ذكر فيها أهل بدر ، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأحوص .

وهذا حديث غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروك<sup>(٣)</sup> ، والله أعلم .

## فصل

### في ذكر غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة النبويّة

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدر في عقيب<sup>(٥)</sup> شهر رمضان ، أو في شوال ، ولما قدم المدينة لم يقم بها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم .

قال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاريّ ، أو ابن أمّ مكتوم الأعشى .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : فبلغ ماءً من مياههم يقال له : الكُدر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوالٍ وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلّ تلك<sup>(٨)</sup> الأسارى من قريش .

## فصل

### غزوة السّويق في ذي الحجة منها ، وهي غزوة قرقرة الكُدر<sup>(٩)</sup>

قال السّهيليّ<sup>(١٠)</sup> : والقرقرة : الأرض الملساء ، والكُدر : طيرٌ في ألوانها كدرة .

(١) وذكره ابن عدي في « الكامل في الضعفاء » ( ١١٠٥ / ٣ ) .

(٢) في ( ط ) : « حدثنا » .

(٣) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « ضعيف » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٦٣ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٠ ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣ / ٢ ) طبع دار ابن كثير .

(٥) في ( ط ) : « عقب » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣ / ٢ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣ / ٢ ) .

(٨) لفظ « تلك » الثاني هذا لم يرد في ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٩) مكان هذا العنوان في ( ط ) : « فصل غزوة بني سليم سنة اثنتين من الهجرة » وهو السابق لهذا في ( آ ) كما هو

مثبت .

(١٠) انظر « الروض الأنف » ( ٤٠٤ / ٥ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان أبو سفيان - كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم - عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فلّ قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماءً من جنابة حتى يغزو محمداً ، فخرج في مئتي راكب من قريش لتبرّ يمينه ، فسلك التجديّة حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : ثيب<sup>(٢)</sup> . من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حُيّي بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيّد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها : العريض ، فحرّقوا في أصوار من نخل بها ، ووجدوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرب لهما ، فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزواداً كثيرة قد ألقاها المشركون يتخفّفون منها وعامتها سويق ، فسمّيت غزوة السويق . قال المسلمون : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ قال : « نعم » .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سلام بن مشكم اليهودي :

[ من الطويل ]

وإني تخيّرت المدينة واحداً	لحلف فلم أندم ولم أتلوم
سقاني فرواني كميّاً مُدّامةً	على عجل مني سلام بن مشكم
ولمّا تولّى الجيش قلت ولم أكن	لأفرحه : أبشر بغزوٍ ومغنم
تأمل فإنّ القوم سرّ وإنهم	صريح لؤي لا شماطيط جُهرهم
وما كان إلّا بعض ليلة راكبٍ	أتى ساعياً من غير خلة معدم

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٤ - ٤٥ ) .

(٢) في ( ط ) : « نيب » وما جاء في ( آ ) هو الصواب ، وانظر لتمام الفائدة تعليق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروزآبادي ص ( ٨٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٥ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩١ ) .

## فصل

في دخول علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه  
على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدر ، لما رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> ، من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، عن علي بن أبي طالب قال : كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي ﷺ أعطاني شارقاً مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت النبي ﷺ ، واعدت رجلاً صواغاً في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر ، فأردت أن أبيع من الصواغين فأستعين به في وليمة عرسي ، فبينما أنا أجمع لشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفائي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار ، حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتها ، وبقرت خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب ، وهو في هذا البيت ، وهو في شرب من الأنصار ، وعنده قينة وأصحابه ، فقلت في غنائها : [ من الوافر ]

## ألا يا حمزُ للشرف النواء

فوثب حمزة إلى السيف ، فأجبت أسنمتها<sup>(٢)</sup> ، وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما . قال علي : فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبي ﷺ الذي لقيت فقال : « ما لك ؟ » . فقلت : يا رسول الله ، ما رأيت كالיום ، عدا حمزة على ناقتي فأجبت أسنمتها ، وبقر خواصرهما ، وها هو ذا في بيتي معه شرب ، فدعا النبي ﷺ بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشي ، واتبعت أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة ، فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبي ﷺ يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثملٌ محمرة عيناه ، فنظر حمزة إلى النبي ﷺ ، ثم صعد النظر فنظر إلى ركبته ، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، ثم قال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ فعرف النبي ﷺ أنه ثملٌ ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقري ، فخرج وخرجنا معه ، هذا لفظ البخاري في كتاب المغازي .

وقد رواه في أماكن أخر من « صحيحه » بالفاظ كثيرة ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن غنائم بدر قد جمست ، لا كما زعمه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « الأموال »<sup>(٣)</sup> ، من أن الخمس إنما نزل بعد

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٠٣) ومسلم رقم (١٩٧٩) .

(٢) في (آ) : « أسنمتها » .

(٣) انظر « كتاب الأموال » ص (٣٨٤) .

قسمتها ، وقد خالفه في ذلك جماعة ؛ منهم البخاري وابن جرير ، وبيننا غلطه في ذلك في « التفسير »<sup>(١)</sup> وفيما تقدم ، والله أعلم .

وكان هذا الصنع من حمزة وأصحابه ، رضي الله عنهم ، قبل أن تحرم الخمر ، بل قد قُتل حمزة يوم أحد ، كما سيأتي ، وذلك قبل تحريم الخمر ، والله أعلم .

وقد يستدل بهذا الحديث من يرى أن عبارة السكران مسلوقة لا تأثير لها ؛ لا في طلاق ، ولا إقرار ، ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرر في كتاب « الأحكام » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا سفيان ، عن ابن<sup>(٣)</sup> أبي نجيح ، عن أبيه ، عن رجل سمع علياً يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ، فقلت : ما لي من شيء ، فكيف ؟ ثم ذكرت صلته وعائده ، فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شيء ؟ » . قلت : لا . قال : « فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » . قال : هي عندي . قال : « فأعطينها » . قال : فأعطينها إياه . هكذا رواه أحمد في « مسنده » ، وفيه رجل مبهم .

وقد قال أبو داود<sup>(٤)</sup> : حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، ثنا عبدة ، ثنا سعيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما تزوج علي فاطمة ، رضي الله عنهما ، قال له رسول الله ﷺ : « أعطها شيئاً » . قال : ما عندي شيء . قال : « أين درعك الحطمية ؟ » .

ورواه النسائي<sup>(٥)</sup> ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أيوب السخيتاني به .

وقال أبو داود<sup>(٦)</sup> : حدثنا كثير بن عبيد الحمصي ، ثنا أبو حيوه ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غيلان بن أنس من أهل حمص ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، أن علياً لما تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أراد أن يدخل بها ، فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي شيء ، فقال له النبي ﷺ : « أعطها درعك » ، فأعطها درعه ، ثم دخل بها .

(١) انظر « التفسير » للمؤلف ( ٥٤٩ / ٣ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٨٠ / ١ ) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي بعده .

(٣) لفظ « ابن » سقط من ( آ ) وأثبت من ( ط ) وهو الصواب .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٢١٢٥ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رواه النسائي ( ٣٣٧٦ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أبو داود رقم ( ٢١٢٦ ) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي قبله .

وقال البيهقي في « الدلائل »<sup>(١)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ<sup>(٢)</sup> ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن عليّ قال : خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت مولاة لي : هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا . قالت : فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك ؟ فقلت : وعندي شيء أتزوج به ؟ فقالت : إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك . قال : فوالله ما زالت تُرجّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلّم جلالة وهيبته ، فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ » . فسكت ، فقال : « ما جاء بك ، ألك حاجة ؟ » . فسكت ، فقال : « لعلك جئت تخطب فاطمة » . فقلت : نعم . فقال : « وهل عندك من شيء تستحلّها به » . فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال : « ما فعلت درع سلّحتكها ؟ » فوالذي نفس عليّ بيده ، إنها لحطّمة ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلّها بها » . فإن كانت لصادق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فولدت فاطمة لعليّ حسناً ، وحسيناً ، ومحسناً ، مات صغيراً ، وأمّ كلثوم ، وزينب .

ثم روى البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عليّ قال : جهّز رسول الله ﷺ فاطمة في خَمِيلٍ وقِربةٍ ووسادةٍ أدُم حشوها إذخر .

ونقل البيهقي عن كتاب « المعرفة » لأبي عبد الله بن منده ، أن علياً تزوّج فاطمة بعد سنة من الهجرة ، وابتنى بها بعد ذلك بسنة أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشارفين ، يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدرٍ بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية ، والله أعلم .

## فصل

### في ذكر جُمَل من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة

تقدّم ما ذكرناه من تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بعائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمّن ذلك وفيات أعيان من المشاهير من المؤمنين والمشرّكين ،

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٦٠ / ٣ ) .

(٢) يعني الحاكم صاحب « المستدرک على الصحيحين » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٣١ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ١٦١ / ٣ ) .

فكان ممن توفي فيها : الشهداء يوم بدر ، وهم أربعة عشر ، ما بين مهاجري وأنصاري ، تقدّم تسميتهم ، والرؤساء من مشركي قريش ، وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور .

وتوفي بعد الواقعة بيسير أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، لعنه الله ، كما تقدّم . ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، بما أحلّ الله بالمشرّكين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقية بنت رسول الله ﷺ قد توفيت ، وساواها عليها التراب ، وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرضها بأمر النبي ﷺ له بذلك ، ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بدر ، وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوجه بأختها الأخرى أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان : ذو النورين ، ويقال : إنه لم يُغلق أحدٌ على ابنتي نبيّ ، واحدة بعد الأخرى غيره ، رضي الله عنه وأرضاه .

وفيهما حوّلت القبلة ، كما تقدّم<sup>(١)</sup> ، وزيد في صلاة الحضر على ما سلف .

وفيهما فرض الصّيام صيام رمضان ، كما تقدّم .

وفيهما فرضت الزكاة ذات النّصب ، وفرضت زكاة الفطر .

وفيهما خضع المشركون من أهل المدينة ، واليهود الذين هم بها ؛ من بني قينقاع وبني النّضير وبني قريظة ، ويهود بني حارثة ، وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفةً كثيرةً من المشركين واليهود ، وهم في الباطن منافقون ؛ منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحلّ بالكليّة ، فبقي مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : وفيها كتب رسول الله ﷺ المعازل ، وكانت معلقةً بسيفه .

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : وقيل : إنّ الحسن بن عليّ ولد فيها .

قال : وأما الواقديّ فإنّه زعم أنّ ابن أبي سبرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي جعفر ، أنّ عليّ بن أبي طالب بنى بفاطمة في ذي الحجة منها . قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحةً ، فالقول الأوّل باطلٌ .

\*\*\*

(١) انظر « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية ( ٥٨/٣ - ٦٢ ) بتحقيق شبيخي المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، والمحقّق الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٨٦/٢ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٨٥/٢ ) .

## سنة ثلاث من الهجرة

في أولها كانت غزوة نجد ، ويقال لها : غزوة ذي أمر<sup>(١)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : واستعمل على المدينة عثمان بن عفان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

وقال الواقدي<sup>(٤)</sup> : بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محارب تجمعوا بذئ أمر يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثلاث ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعمئة وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال ، حتى بلغ ماء يقال له : ذو أمر فعسكر به ، وأصابهم مطرٌ كثيرٌ ، فابتلت ثياب رسول الله ﷺ ، فنزل تحت شجرة هناك ، ونشر ثيابه لتجف ، وذلك بمرأى من المشركين ، واشتغل المسلمون في شؤونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم ، يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث . فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمد . فذهب ذلك الرجل ، ومعه سيفٌ صقيلٌ ، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : « الله » . ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » . قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ، فلما رجع إلى أصحابه ، فقالوا : ويلك ، ما لك ؟ فقال : نظرت إلى رجلٍ طويلٍ فدفع في صدري ، فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملكٌ ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام . قالوا : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) انظر ما قاله شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله في ضبطه لاسم هذا الموقع فيما علّقه على « المغانم المطابة » للفيروزآبادي ص ( ٢٣ - ٢٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٦ / ٢ ) و « عيون الأثر » ( ٤٥٤ / ١ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ١٩٤ / ١ ) و « عيون الأثر » ( ٤٥٤ / ١ ) .

أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴿١١﴾ الآية [ المائدة : ١١ ] .

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه ، فلعلهما قصتان .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ؛ لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم ، بل استمر على دينه ، ولكن عاهد النبي ﷺ أن لا يقاتله ، والله أعلم .

### غزوة الفرع<sup>(٢)</sup> من بُحْران<sup>(٣)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كله ، أو إلّا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشاً .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحْران ، وهو معدنٌ بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقال الواقدي<sup>(٦)</sup> : إنما كانت غيبته ، عليه السلام ، عن المدينة عشرة أيام ، فالله أعلم .

### خبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة

وقد وزعم الواقدي<sup>(٧)</sup> أنها كانت في يوم السبت ، النصف من شوال سنة ثنتين من الهجرة ، فالله أعلم . وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [ الحشر : ١٥ ] .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أننا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس » .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٦٩ / ٣ ) .

(٢) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص ( ٣١٥ - ٣١٦ ) .

(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص ( ٥٠ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٥٠ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٦ / ٢ ) و « عيون الأثر » ( ٤٥٥ / ١ ) .

(٦) انظر « المغازي » ( ١٩٧ / ١ ) و « عيون الأثر » ( ٤٥٥ / ١ ) .

(٧) انظر « المغازي » ( ١٧٦ / ١ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٤ ) .



قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني مولى لزيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عن<sup>(٢)</sup> عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيُنْفَرُ الْمِهَادُ ﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴿ يَعْنِي أَصْحَابَ بَدْرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُرَيْشٍ : ﴿ فِئَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْغَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران : ١٢-١٣] .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحد .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبي عون ، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواتها ؛ فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأغضب<sup>(٥)</sup> المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الخزرج - قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالي . قال : فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ - قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : وكان يقال لها : ذات الفضول - فقال له رسول الله ﷺ : « أرسلني » . وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظلالاً ، ثم قال : « ويحك أرسلني » . قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ؛ أربعمئة حاسرٍ وثلاثمئة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « هم لك » .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٤ ) .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « وعن » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٧ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٥ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٧ / ٢ - ٤٨ ) .

(٥) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مغضب » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٥ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٩ / ٢ ) .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم أبا لبابة بشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني أبي ، عن عباد بن الوليد بن عباد بن الصّامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبّت بأمرهم عبد الله بن أبيّ ، وقام دونهم ، ومشى عباد بن الصّامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني عوف ، لهم من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت القصة من المائدة : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ الآيات ، حتى قوله : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ يعني عبد الله بن أبيّ ، إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥١ - ٥٦] يعني عباد بن الصّامت . وقد تكلمنا على ذلك في « التفسير »<sup>(٣)</sup> .

### سرية زيد بن حارثة

[ رضي الله عنه ]

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : وكانت بعد وقعة بدر ستة أشهر .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم أبو سفيان ، ومعه فضة كثيرة ، وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل ، يقال له : فرات بن حيّان - يعني العجليّ ، حليف بني سهم - ليدلّهم على تلك الطريق .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، فلقاهم على ماء يقال له : القردة . من مياه نجد ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك حسان بن ثابت<sup>(٦)</sup> : [ من الطويل ]

دعوا<sup>(٧)</sup> فلجات الشام قد حال دونها جلاذ كأفواه المخاض الأوارك

- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٩ / ٢ ) .
- (٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٥ ) .
- (٣) انظر « التفسير » للمؤلف ( ١٢٣ / ٣ - ١٣١ ) .
- (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٦ ) .
- (٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٦ ) .
- (٦) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٨٥ / ١ ) .
- (٧) في « ديوان حسان بن ثابت » : « ذروا » .

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك  
إذا سلكت للغور من بطن عالٍ<sup>(١)</sup> فقولا لها ليس الطريق هنالك

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وهذه الأبيات في قصيدة لحسان ، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السرية مستهلاً جمادى الأولى على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العير صفوان بن أمية ، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة ؛ أنّ نعيم بن مسعود قدم المدينة ومعه خبر هذه العير ، وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحقيق في بني النضير ، ومعه سليط بن النعمان وكان أسلم ، فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدث بقضية العير نعيم بن مسعود ، وخروج صفوان بن أمية فيها ، وما معه من الأموال ، فخرج سليط من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم ، فأخذوا الأموال ، وأعجزهم الرجال ، وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير ، فخمّسها رسول الله ﷺ ، فبلغ خمسمها عشرين ألفاً ، وقسم أربعة أخماسها على السرية ، وكان فيمن أسر الدليل فُرات بن حيّان ، فأسلم ، رضي الله عنه .

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : وزعم الواقدي أنّ في ربيع من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وأدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

### مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من بني طيّء ، ثم أحد بني نبهان ، ولكن أمّه من بني النضير . هكذا ذكره ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> قبل جلاء بني النضير ، وذكره البخاري<sup>(٦)</sup> والبيهقي<sup>(٧)</sup> بعد قصة بني النضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي ، فإن بني النضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحد ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر ، كما سنبينه بطريقه إن شاء الله .

قال البخاري في « صحيحه »<sup>(٨)</sup> : قتل كعب بن الأشرف ، حدّثنا علي بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ : « من لكعب بن الأشرف ؛ فإنه قد أذى

(١) رواية هذه الشطرة في « ديوان حسان بن ثابت » : « إذا هبطت حوران من رمل عالٍ » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١ / ٢ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ١٩٧ / ١ ) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٩١ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٧ ) .

(٦) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٣٧ ) .

(٧) في « دلائل النبوة » ( ١٨٧ / ٣ ) .

(٨) رقم ( ٤٠٣٧ ) .

الله ورسوله ؟ » . فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله ، أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : « قل » . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً ، وإنه قد عانا ، وإنني قد أتيتك أستسلفك . قال : وأيضاً والله لتملّته . قال : إنّا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا . قال : نعم ، ارهنوني . قلت : أي شيء تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم . فقالوا : كيف نرهّنك نساءنا ، وأنت أجمل العرب . قال : فارهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نرهّنك أبناءنا ؟ فيسب أحدهم ، فيقال : رهن بوسقي أو وسقين . هذا عارٌ علينا ، ولكن نرهّنك اللأمة . قال سفيان : يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعب من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمرو : قالت : أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعة أبو نائلة ، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب . قال : ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، قيل لسفيان : سمّاهم عمرو ؟ قال : سمّى بعضهم . قال عمرو : جاء معه برجلين . وقال غير عمرو : أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر . قال عمرو : جاء معه برجلين فقال : إذا ما جاء ، فإني نائل<sup>(١)</sup> بشعره فأشّمه ، فإذا رأيتُموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال مرة : ثم أشمّكم . فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقال : ما رأيت كالיום ريحاً . أي : أطيّب . وقال غير عمرو : قال : عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب . قال عمرو : فقال : أأأذن لي أن أشمّ رأسك ؟ قال : نعم . فشّمه ثم أشمّ أصحابه ، ثم قال : أأأذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن منه ، قال : دونكم . فقتلوه ، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ثم أحد بني نبهان ، وأمه من بني النضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدر ، حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خيرٌ من ظهرها . فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج إلى مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ، ويندب من قتل من المشركين يوم بدر . فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها : [ من الكامل ]

طحنتُ رحي بدرٍ لمهلك أهله ولمثل بدرٍ تستهلّ وتدمعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابت<sup>(٣)</sup> ، رضي الله عنه ، ومن غيره ، ثم عاد إلى المدينة فجعل يشتبّ بنساء المسلمين ، ويهجو النبي ﷺ وأصحابه .

(١) في ( ط ) : « مائل » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٧ ) .

(٣) ومما جاء في جواب حسان بن ثابت رضي الله عنه عليه كما في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣ / ٢ ) وهي في « ديوانه » ( ٤٢٦ / ١ - ٤٢٧ ) مع بعض الخلاف وانظر تعليق محققه عليها :

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بني النضير ، أو فيهم ، قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء ، وركب إلى قريش فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك الله ، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه ؟ وأينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ إنا نطعم الجزور الكوماء ، ونسقي اللبن على الماء ، ونطعمهم ما هبت الشمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال : فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدْ لَهُمْ نَصِيرًا ۝ ﴾ [النساء : ٥١-٥٢] .

قال موسى ومحمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقدم المدينة فجعل يعلن بالعداوة ويحرض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ، وجعل يشبب بأم الفضل بنت الحارث ، وبغيرها من نساء المسلمين حتى آذاهم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة : « من لي بابن الأشرف ؟ » . فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » . قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لم تركت الطعام والشراب ؟ » . فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجهد » . قال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول . قال : « فقولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلٍّ من ذلك » . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسيلكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاة ، وعباد بن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبيد بن جبر أخو بني حارثة . قال : فقدّموا بين أيديهم إلى عدو الله كعب بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، تناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ، إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك فاكم عني . قال : أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ؛ عادتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب بن

منه وعاش مجدّعا لا يسمع  
قتلى تسخ لها العيون وتدمع  
شبه الكليب إلى الكلبة يتبع

أبكي لكعب ثم علّ بعبرة  
ولقد رأيت بيطن بدر منهم  
فأبكي فقد أبكيت عبدا راضعا

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٧ ) .

الأشرف : أما والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سِلْكَان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك ، وتحسن في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاءً . وأراد سِلْكَان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها ، فقال : إن في الحلقة لوفاءً . قال : فرجع سِلْكَان إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا ، فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلة مقمرة ، فانطلقوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتهما ، وقالت : أنت امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دعي الفتى لطعنة أجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز ، فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شم يده ، فقال : مارأيت كالليلة طيباً أعطر قط . ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله . فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً في سيفي فأخذته ، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه ناز . قال : فوضعت في ثنته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رجله أو في رأسه ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث ، حتى أسندنا في حرّة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدّم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه ، فجننا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا ، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : وزعم الواقدي أنهم جاؤوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وفي ذلك يقول كعب بن مالك : [ من الوافر ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٢٩٨ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٤٩١ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٧ / ٢ ) .

فغودر منهم كعبٌ صريعاً      فذلت بعد مصرعه النضير  
على الكفين ثم وقد علته      بأيدينا مشهرةً ذكور  
بأمر محمدٍ إذ دسّ ليلاً      إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسير  
فما كره فأنزله بمكرٍ      ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسر

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير ستأتي .

قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدر ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحقيق بعد وقعة أحد ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> : [ من الكامل ]

لله درّ عصابةٍ لا قيتهم      يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف  
يسرون بالبيض الخفاف إليكم      مرحاً كأسدٍ في عرينٍ مغرف  
حتى أتوكم في محلٍّ بلادكم      فسقوكم حتفاً ببيضٍ ذفف  
مستصيرين لنصر دين نبيهم      مستصغرين لكل أمرٍ مجحف

قال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقال رسول الله ﷺ : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » . فوثب عند ذلك محيصة بن مسعود الأوسي على ابن سينة - رجلٍ من تجار يهود كان يلبسهم ويبائعهم - فقتله ، وكان أخوه حويصة بن مسعود أسنّ منه ، ولم يسلم بعد ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدوّ الله ، أقتلته ؟ أما والله لربّ شحم في بطنك من ماله . قال محيصة : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويصة ، وقال : والله لو أمرك محمدٌ بقتلي لتقتلني ؟ ! قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها . قال : فوالله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني بهذا الحديث مولى لبني حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها .

وقال في ذلك محيصة : [ من الطويل ]

يلوم ابنُ أمّ لو أمرت بقتله      لطبقت ذفراه بأبيضٍ قاضب  
حسام كلون الملح أخلص صقله      متى ما أصوبه فليس بكاذب  
وما سرّني أني قتلتك طائعاً      وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٧/٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٧/٢ - ٥٨ ) و « ديوان حسان بن ثابت » ( ٤١١/١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣٠٠ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٨/٢ ) .

وحكى ابن هشام<sup>(١)</sup> : عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرو المدني أنّ هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة ، وأنّ المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلما قتله محيصة عن أمر رسول الله ﷺ ، يوم بني قريظة ، قال له أخوه حويصة ما قال ، فردّ عليه محيصة بما تقدّم ، فأسلم حويصة يومئذٍ ، فالحق أعلم .

تنبيه : ذكر البيهقيّ والبخاريّ قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أنّ الخمر حرّمت ليالي حصار بني النضير ، وثبت في « الصحيح »<sup>(٢)</sup> أنّه اصطبج الخمر جماعة ممّن قتل يوم أحدٍ شهيداً ، فدلّ على أنّ الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإنما حرّمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أنّ قصة بني النضير بعد وقعة أحد<sup>(٣)</sup> ، والله أعلم .

تنبيه آخر : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدرٍ كما تقدّم ، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ على يدي الأوس ، وخبر بني النضير بعد وقعة أحدٍ كما سيأتي ، وكذلك مقتل أبي رافع اليهوديّ تاجر أهل الحجاز ، على يدي الخزرج على المشهور ، وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق ، كما سيأتي .

### غزوة أحدٍ في شوالٍ سنة ثلاثٍ

فائدة ذكرها المؤلف في تسمية أحدٍ :

قال : سمّي أحدٌ أحداً ؛ لتوحّده من بين تلك الجبال<sup>(٤)</sup> .

وفي « الصحيح »<sup>(٥)</sup> : « أحدٌ جبلٌ يحبّنا ونحبّه » .

قيل : معناه أهله . وقيل : لأنّه كان يشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المُحبُّ . وقيل : على ظاهره ، كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

وفي الحديث عن أبي عبس بن جبر<sup>(٦)</sup> : « أحدٌ يحبّنا ونحبّه ، وهو على باب الجنة ، وعير<sup>(٧)</sup> يبغضنا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٩/٢ ) .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٢٨١٥ ) و ( ٤٠٤٤ ) و ( ٤٦١٨ ) .

(٣) قلت : وكذا ذكرها المؤلف في كتابه « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص ( ١٥٧ - ١٥٨ ) فرتّب الكلام عليها فيما جرى بعد غزوة أحد ، وقد سبقه إلى ذلك ابن سيد الناس في « عيون الأثر » ( ٧٣/٢ ) .

(٤) وقد ذكر الفيروزبادي مثل كلام المؤلف وزاد عليه في كتابه الهام « المغانم المطابة في معالم طابة » ص ( ١٠ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ١٤٨١ ) ومسلم رقم ( ١٣٦٥ ) .

(٦) ذكره الهيثمي في « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم ( ١١٩٩ ) وفي « مجمع الزوائد » ( ١٢/٤ ) وقال : وفيه من لم أعرفه .

(٧) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص ( ٢٨٧ - ٢٨٨ ) .



ونبغضه ، وهو على باب من أبواب النار » . قال السهيلي مقويًا لهذا الحديث : وقد ثبت أنه ، عليه الصلاة والسلام ، قال : « المرء مع من أحب » . وهذا من غريب صنع السهيلي ؛ فإن هذا الحديث إنما يراد به الناس ، ولا يسمى الجبل امرأ .

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث . قاله الزهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، ومالك<sup>(١)</sup> .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوال .

وقال قتادة : يوم السبت الحادي عشر منه .

قال مالك : وكانت الواقعة في أول النهار ، وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلِعًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٢١] إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١٢٢] وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٢٣] إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴾ [١٢٤] بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [١٢٥] الْآيَات وَمَا بَعْدَهَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [آل عمران : ١٢١ - ١٧٩] .

وقد تكلمنا على تفاصيل ذلك في كتابنا « بما فيه كفاية » . ولله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخص الواقعة مما ساقه محمد بن إسحاق ، وغيره من علماء هذا الشأن .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث ببعض هذا الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت ، قالوا - أو من قال منهم - : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فُلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم ؛ فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

(١) وأكده ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد في هدي خير العباد » ( ١٧٢ / ٣ - ١٧٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣٠١ ) .

قالوا : فأجمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير ، بأحابيشها<sup>(١)</sup> ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيالٍ وحاجة ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعنا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أعينك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسرٍ ويسرٍ . فخرج أبو عزة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول : [ من الرجز ]

أيا بني عبد مناة الرُّزَامُ      أنتم حماةٌ وأبوكمُ حَامُ  
لا يعدوني نصركم بعد العام      لا تسلموني لا يحلّ إسلامُ

قال : وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويقول : [ من الرجز ]

يا مال مال الحسب المقدّم      أنشد ذا القربى وذا التّذمّم  
من كان ذا رحمٍ ومن لم يرحم      الحِلْفَ وسط البلد المحرّم  
عند حطيم الكعبة المعظم

قال : ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً ، يقال له : وحشيٌّ . يقذف بحربةٍ له قذف الحبشة ، قلماً يخطيء بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعميّ طُعيمة بن عديّ ، فأنت عتيقٌ . فخرجت قريشٌ بحدّها وحديدها وجدّها وأحابيشها ، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظّعن ؛ التماس الحفيظة وأن لا يفرّوا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حرب ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل زوجته ابنة عمّه أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج عمّه الحارث بن هشام زوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثّقفيّة ، وخرج عمرو بن العاص برّيطة بنت منبه بن الحجاج ، وهي أمّ ابنه عبد الله بن عمرو . وذكر غيرهم ممّن خرج بامراته ، قال : وكان وحشيٌّ كلما مرّ بهند بنت عتبة ، أو مرّت به ، تقول : ويهاً أبا دسمة ، اشف واشتف - يعني تحرّضه على قتل حمزة بن عبد المطلب - فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبلٍ بيطن السّبخة من قناةٍ على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال لهم : « إني قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقرّاً تذبج ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأولتها المدينة » . وهذا الحديث رواه البخاريّ ومسلم<sup>(٢)</sup> جميعاً ، عن أبي كريب ، عن أبي أسامة ، عن بريد بن عبد الله بن أبي

(١) انظر التعريف بهم في حاشية « زاد المعاد » ( ١٧٢ / ٣ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٣٦٢٢ ) ومسلم رقم ( ٢٢٧٢ ) .

بردة ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي ﷺ قال : « رأيت في المنام أنني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب ، ورأيت في رؤياي هذه أنني هزرت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرت أخرى ، فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقرأ ، والله خير ، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصّدق الذي آتانا الله<sup>(١)</sup> بعد يوم بدر . »

وقال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصم ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر . قال ابن عباس : وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما جاءه المشركون يوم أحد ، كان رأيه أن يقيم بالمدينة ، فيقاتلهم فيها ، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدرأ : تخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد . ورجوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدر ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله ، أقم ، فالرأي رأيك . فقال لهم : « ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعدما لبسها ، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » . قال : وكان قال لهم يومئذ قبل أن يلبس الأداة : « إنني رأيت أنني في درع حصينة ، فأولتها المدينة ، وأنني مردفٌ كبشاً ، فأولته كبش الكتيبة ، ورأيت أن سيفي ذا الفقار قل ، فأولته فلا فيكم ، ورأيت بقرأ تذبج ، فبقر ، والله خير » . ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه به<sup>(٣)</sup> .

وروى البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس مرفوعاً ، قال : « رأيت فيما يرى النائم كأنني مردفٌ كبشاً ، وكأن ظبة سيفي انكسرت ، فأولت أنني أقتل كبش القوم ، وأولت كسر ظبة سيفي قتل رجل من عترتي » . فقتل حمزة ، وقتل رسول الله ﷺ طلحة ، وكان صاحب اللواء .

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريشٌ فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب ، وسار أبو سفيان بن حرب في جمع قريش ، وذلك في شوال من السنة المقبلة من وقعة بدر ، حتى نزلوا بطن

(١) لفظ الجلالة لم يرد في ( ط ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٠٤ / ٣ ) .

(٣) رواه الترمذي رقم ( ١٥٦١ ) وابن ماجه رقم ( ٢٨٠٨ ) ، وهو حديث حسن ، في سنده ابن أبي الزناد ، قال الحافظ الذهبي في ( ميزان الاعتدال ) ( ٥٧٦ / ٢ ) وقد مشاه جماعة وعدّلوه ، وهو إن شاء الله حسن الحال في الرواية .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٢٠٥ / ٣ ) ، وإسناده ضعيف ، والصحيح أن الذي قتل طلحة ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الوادي الذي قَبِلَ أحدٌ ، وكان رجالٌ من المسلمين لم يشهدوا بدرًا ، ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وَتَمَنَّوْا لقاء العدو ؛ ليلبوا ما أبلى إخوانهم يوم بدرٍ ، فلَمَّا نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحدٍ ، فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرًا بقدوم العدو عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيَّتنا . ثم إنَّ رسول الله ﷺ أُرِيَ ليلة الجمعة رؤيا ، فأصبح ، فجاءه نفرٌ من أصحابه فقال لهم : « رأيت البارحة في منامي بقرًا تذبج ، والله خيرٌ ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظيبي - أو قال : « به فلولٌ » - فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينةٍ ، وأنني مردفٌ كبشاً » فلَمَّا أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أولت رؤياك ؟ قال : « أولت البقر الذي رأيت نفرًا فينا وفي القوم ، وكرهت ما رأيت بسيفي » . ويقول رجالٌ : كان الذي رأى بسيفه ، الذي أصاب وجهه ؛ فإن العدو أصاب وجهه يومئذٍ ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته ، يزعمون أنَّ الذي رماه عتبة بن أبي وقاص ، وكان البقر من قتل من المسلمين يومئذٍ . وقال : « أولت الكبش أنه كبش كتيبة العدو يقتله الله ، وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا واجعلوا الذراري في الآطام ، فإن دخل علينا القوم في الأزقة ، قاتلناهم ورُموا من فوق البيوت » . وكانوا قد سَكَّوْا أزقة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدرًا : كنَّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله ، فقد ساقه الله إلينا وقرب المسير . وقال رجالٌ من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شعبنا ؟ وقال رجالٌ : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرث يزرع ؟ وقال رجالٌ قولاً صدقوا به ومضوا عليه ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، قال : والذي أنزل عليك الكتاب لنجالدنهم . وقال نعمان بن مالك بن ثعلبة ، وهو أحد بني سالم : يا نبي الله ، لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنَّها . فقال له رسول الله ﷺ : « بم ؟ » . قال : لأنني أحب الله ورسوله ، ولا أفر يوم الرِّحْف . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » . واستشهد يومئذٍ . وأبى كثير من الناس إلَّا الخروج إلى العدو ، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب القضاء والقدر ، وعامة من أشار عليه بالخروج رجالٌ لم يشهدوا بدرًا ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدرٍ من الفضيلة ، فلَمَّا صَلَّى رسول الله ﷺ الجمعة ، وعظ الناس وذكَّره وأمرهم بالجِدِّ والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بلأتمته فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج ، فلَمَّا رأى ذلك رجالٌ من ذوي الرأي ، قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة ، وهو أعلم بالله وما يريد ، وبآتيه الوحي من السماء ، فقالوا : يا رسول الله ، امكث كما أمرتنا . فقال : « ما ينبغي لنبِّي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج إلى العدو ، أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبَيْتم إلَّا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ما أمركم به فافعلوه » . قال : فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، فسلكوا على البدائع ، وهم ألف رجلٍ ، والمشركون ثلاثة آلافٍ ، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحدٍ ، ورجع عنه عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمئةٍ ، فبقي رسول الله ﷺ ، في سبعمئةٍ .

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : هذا هو المشهور عند أهل المغازي ؛ أنهم بقوا في سبعة مقاتل . قال : والمشهور عن الزهري أنهم بقوا في أربعة مقاتل ، كذلك رواه يعقوب بن سفيان<sup>(٢)</sup> ، عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري . وقيل عنه بهذا الإسناد : سبعة ، فإله أعلم .

قال موسى بن عقبه : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مئة فرس ، وكان لواؤه مع طلحة بن عثمان . قال : ولم يكن مع المسلمين فرسٌ واحدةٌ . ثم ذكر الواقعة كما سيأتي تفصيلها ، إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : لما قص رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم : « إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » . وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم ، فقال رجالٌ من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحدٍ وغيره ممن كان فاته بدرٌ : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أننا جبنًا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أبي : يا رسول الله ، لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ قطٌ إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من بني النجار يقال له : مالك بن عمرو . فصلّى عليه ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله ، إن شئت فاقعد . فقال : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، وما ندري علام تقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ؟! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي ، والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم ، أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونيبكم عند ما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تقتلون لما أسلمناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتالٌ . فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٢٠ / ٣ ) .

(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » ( ٢٨٢ / ٣ ) للفسوي .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٣ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤ / ٢ ) والعبارة فيه : « واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤ / ٢ ) .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنَقُتِلْوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٧ ] يعني ، أنهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالًا لاتبعناكم . وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهرٌ بينٌ واضحٌ ، لا خفاء به ولا شك فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ فَمَالَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ الآية [ النساء : ٨٨ ] . وذلك أن طائفةً قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبيّن في « الصحيح »<sup>(١)</sup>

وذكر الزهري أن الأنصار استأذنوا حينئذٍ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : « لا حاجة لنا فيهم » .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أن بني سلمة وبني حارثة ، لما رجع عبد الله بن أبيي وأصحابه ، همّتا أن تفشلا ، فثبتهما الله تعالى . ولهذا قال : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٢٢ ] .

قال جابر بن عبد الله : ما أحب أنها لم تنزل ، والله يقول : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ . كما هو ثابت في « الصحيحين » عنه<sup>(٢)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كلاب سيفٍ فاستلّه فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف : « شِم سيفك - أي أغمدته - فإنّي أرى السيوف تستلّ اليوم » . ثم قال النبي ﷺ لأصحابه : « مَنْ رجلٌ يخرج بنا على القوم من كَثَبٍ - أي من قربٍ - من طريقٍ لا يمرّ بنا عليهم ؟ » . فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مالٍ لمربع بن قبيطٍ ، وكان رجلاً منافقاً ضريّر البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله ، فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل في حائطي .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد ذكر لي أنّه أخذ حفنةً من ترابٍ في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لأصيب بها غيرك يا محمد ، لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » . وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل ، قبل نهى رسول الله ﷺ ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٥٨٩ ) و« صحيح مسلم » رقم ( ٢٧٧٦ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٠٥١ ) ومسلم ( ٢٥٠٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٤ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٥ / ٢ ) .

أحد ، في غُدوة الوادي إلى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : « لا يقاتلن أحد حتى تأمره بالقتال » . وقد سرّحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال ، أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب ؟! وتعباً رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمئة رجل ، وأمر على الرّماة يومئذ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو معلّم يومئذ بثياب بيض ، والرّماة خمسون رجلاً ، فقال : « انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتين من قبلك » وسيأتي شاهد هذا في « الصحيحين » إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين - يعني لبس درعاً فوق درع - ودفع اللّواء إلى مصعب بن عمير ، أخي بني عبد الدار .

قلت : وقد ردّ رسول الله ﷺ جماعة من الغلمان يوم أحد ، فلم يمكنهم من حضور الحرب لصغرهم ؛ منهم عبد الله بن عمر ، كما ثبت عنه في « الصحيحين » قال : عرضتُ على النبي ﷺ يوم أحد فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني . وكذلك ردّ يومئذ أسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وأسيد بن ظهير ، وعُرابة بن أوس بن قيطي ، ذكره ابن قتيبة في « المعارف »<sup>(٢)</sup> وأورده السهيلي<sup>(٣)</sup> . قال : وهو الذي يقول فيه الشّماخ<sup>(٤)</sup> : [ من الوافر ]

إذا ما رايةً رفعت لمجدٍ تلقّاها عرابة باليمين

ومنها سعد ابن حبة ، ذكره السهيلي أيضاً ، وأجازهم كلّهم يوم الخندق ، وكان قد ردّ يومئذ سمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، ف قيل : يا رسول الله ، إنّ رافعاً رام . فأجازه . ف قيل : يا رسول الله ، فإنّ سمرة يصرع رافعاً . فأجازه .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله<sup>(٥)</sup> : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ، ومعهم مئتا فرسٍ قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشام . وقال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » . فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب به في العدو حتى ينحني » . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

(١) انظر « السيرة النبوية » ( ٦٦ / ٢ ) .

(٢) انظر « المعارف » ص ( ٣٣٠ ) .

(٣) انظر « الروض الأنف » ( ٤٥٣ / ٥ ) .

(٤) البيت في « ديوان الشّماخ » ص ( ٣٣٦ ) طبع دار المعارف بمصر .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٦ / ٢ ) .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا يزيد وعفان قالا : حدثنا حماد ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال : « من يأخذ هذا السيف ؟ » . فأخذه قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : « من يأخذه بحقه ؟ » . فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة سماكٌ : أنا أخذه بحقه . فأخذه ففلق به هام المشركين .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن أبي بكر ، عن عفان به .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان له عصاة حمراء يعلم بها عند الحرب ، يعتصب بها فيعلم الناس أنه سيقا تل . قال : فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبخر بين الصّفين .

قال : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبخر : « إنها لمشيةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم على القتال : يا بني عبد الدار ، قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهّموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلّم إليك لواءنا ! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع . وذلك أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول : [ من الرجز ]

وئهاً بني عبد الدار      وئهاً حماة الأدبار  
ضرباً بكلّ بتار

وتقول أيضاً : [ من مجزوء الرجز ]

إن تُقبلوا نعانق      ونفرش التمارق  
أو تدبروا نفارق      فراق غير وامق

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس ،

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ١٢٣ / ٣ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ٢٤٧٠ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٦ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٧ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٧ / ٢ ) .



وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه ، لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر . قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . وكان يسمّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وحدثني غير واحد من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال : وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعني وأعطاه أبا دجانة : وقلت : أنا ابن صفية عمته ومن قريش ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع . فاتّبعته فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . وهكذا كانت تقول له إذا تعصب ، فخرج وهو يقول : [ من الرجز ]

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسّفح لدى النخيل  
أن لا أقوم الدهر في الكيّول أضرب بسيف الله والرسول

وقال الأمويّ : حدثني أبو عبيد في حديث النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> ؛ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل ، فسأله سيفاً يقاتل به ، فقال : « لعلك إن أعطيتك ، تقاتل في الكيّول ؟ » . قال : لا . فأعطاه سيفاً ، فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي أن لا أقوم الدهر في الكيّول

وهذا حديث يروى عن شعبة ، ورواه إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هنيذة بن خالد أو غيره يرفعه . الكيّول يعني مؤخر الصفوف ، سمعته من عدّة من أهل العلم ، ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجلاً لا يدع جريحاً إلا ذفّ عليه ، فجعل كلّ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتّقه بدرقته<sup>(٥)</sup> ، فعصّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيت قد حمل السيف

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٨ / ٢ ) .

(٣) وذكره أبو عبيد في كتابه « غريب الحديث » ( ٢٤٥ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٩ / ٢ ) .

(٥) أي : بترسه .

على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقي في « الدلائل »<sup>(١)</sup> من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير بن العوام بذلك .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : قال أبو دجاجة : رأيت إنساناً يُحْمَشُ الناسَ حمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف وَلَوْلَ ، فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأةً .

وذكر موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما عرضه ، طلبه منه عمر ، فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزبير ، فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه الثالثة ، فطلبه أبو دجاجة ، فدفعه إليه ، فأعطى السيف حقّه . قال : فزعموا أن كعب بن مالك قال : كنت فيمن جرح من المسلمين ، فلما رأيت مثل المشركين يقتلوا المسلمين قمت فتجاوزت ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع الأمة يحوز المسلمين ، وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال : وإذا رجلٌ من المسلمين قائمٌ ينتظره وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدر المسلم والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عدّةً وهيئةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقي ، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت وركه ، وتفرّق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجاجة .

### مقتل حمزة ، رضي الله عنه

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف [ بن عبد الدار ] ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء .

وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول : [ من الرجز ]

إن على أهل اللواء حقاً أن يخضبوا الصعدة أو تندقاً

فحمل عليه حمزة فقتله ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال حمزة : هلمّ [ إليّ ] يا بن مقطعة البظور . وكانت أمّه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت ختانة بمكة ، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله ، قال وحشي غلام جبير بن مطعم : والله إنني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يُلَيِّقُ شيئاً ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدّمني إليه سباع ، فقال حمزة : هلمّ إليّ يا بن مقطعة البظور . فضربه ضربةً فكأنما أخطأ رأسه ، وهزرت حربتي ، حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته<sup>(٤)</sup> حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، وأمهلته

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٢٣٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٦٩ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٦٩ ) .

(٤) أي : ما بين السرة والعانة من أسفل البطن .

حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم يكن لي شيء حاجة غيره .

( وقال أبو بكر بن أبي عاصم : حدثني عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا بقية ، عن بحير ، عن خالد بن معدان ، عن أبي بلال ، عن عبد الله بن السائب ، أن رسول الله ﷺ كان يوم الشعب آخر أصحابه ، ولم يكن بينه وبين العدو غير حمزة يقاتل العدو ، فرصده وحشي فقتله ، وقد قتل الله بيد حمزة من الكفار أحداً وثلاثين ، وكان يدعى أسد الله )<sup>(١)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار ، أخو<sup>(٣)</sup> بني نوفل بن عبد مناف ، في زمان معاوية ، فأدربنا<sup>(٤)</sup> مع الناس ، فلما مررنا بحمص ، وكان وحشي مولى جبير قد سكنها وأقام بها ، فلما قدمناها قال عبيد الله بن عدي : هل لك في أن تأتي وحشياً ، فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحباً تجدان رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه [ ودعا ] . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له ، وإذا شيخ كبير مثل البغاث ، وإذا هو صاح لا بأس به ، فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، ورفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال : ابن لعدي بن الخيار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتكم أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى ، فإني ناولتكها وهي على بعيرها ، فأخذتك بعرضيك ، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألتني عن ذلك ؛ كنت غلاماً لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة<sup>(٥)</sup> ، فأنت عتيق . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فلما أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدأ ما يقوم له شيء ، فوالله إنني لأتهدأ له ، أريده وأستر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ،

(١) ما بين القوسين سقط من ( ط ) وانفردت به ( آ ) ، والحديث إسناده ضعيف ، وفي متنه شذوذ ففيه أن حمزة قتل الله بيده واحداً وثلاثين ، وعدد من قتل في أحد لا يتجاوز بضعاً وعشرين ، وأن حمزة قتل منهم أربعة .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٠ / ٢ ) .

(٣) في ( ط ) : « أحد » وهو خطأ ، وما جاء في ( آ ) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٤) أي : دخلنا الدرب .

(٥) لفظ « طعيمة » لم يرد في ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ، وهو مما انفردت به ( آ ) .

فلما رآه حمزة قال : هلم إليّ يابن مقطعة البطور . قال : فضربه ضربةً كأنما أخطأ رأسه . قال : وهزرت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها ، دفعْتُها عليه ، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله ، وذهب لينوء نحوي فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجةٌ ، إنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ثم أقمت ، حتى [ إذا ] افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطائف فكنت بها ، فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ، نعت عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همي ، إذ قال لي رجلٌ : ويحك ! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحق . قال : فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يرْعه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحق ، فلما رأياني قال<sup>(١)</sup> : « أوحشيّ ؟ » . قلت : نعم يا رسول الله . قال : « اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة » . قال : فحدثته كما حدثتكم ، فلما فرغت من حديثي قال : « ويحك ! غيب عني وجهك فلا أرينك » . قال : فكنت أتكّب رسول الله ﷺ حيث كان ؛ لئلا يراني ، حتى قبضه الله ، عز وجل ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأت له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريد ، فهزرت حربتي ، حتى إذا رضيت منها ، دفعْتُها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصاريّ بالسيف ، فربُّك أعلم أينما قتله ، فإن كنت قتلته ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقتلت شرّ الناس .

قلت : الأنصاريّ هو أبو دجانة سماك بن خرشة ، كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة مع مسيلمة .

وقال الواقديّ في « الرّدة » : هو عبد الله بن زيد بن عاصم المازنيّ .

وقال سيف بن عمر<sup>(٢)</sup> : هو عديّ بن سهيل ، وهو القائل : [ من المتقارب ]

ألم تر أني ووحشيّهم      قتلْتُ مسيلمةَ المفتنِ  
ويسألني الناس عن قتله      فقلت ضربتُ وهذا طعنُ

والمشهور أنّ وحشيّاً هو الذي بدره بالضربة ، وذفّف عليه أبو دجانة ؛ لما روى ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن ابن عمر ، قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود .

(١) في ( ط ) : « قال لي » .

(٢) في ( ط ) : « سيف بن عمرو » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٣ / ٢ ) .

وقد روى البخاري<sup>(١)</sup> قصة مقتل حمزة ، من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار . فذكر القصة كما تقدّم . وذكر أن عبيد الله بن عدي كان معتجراً عمامة ، لا يرى منه وحشي إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ما تقدّم ، وهذه قيافة عظيمة - كما عرف مجزراً المدلجي أقدام زيد وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما<sup>(٢)</sup> - وقال في سياقته : فلما أن صفّ الناس للقتال ، خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع ، يا بن أم أنمارٍ مقطّعة البظور ، أتحدّ الله ورسوله ؟ ثم شدّ عليه ، فكان كأمس الذاهب . قال : وكننتُ لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي ، فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه . قال : فكان ذلك آخر العهد به . إلى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذاب ، قلت : لأخرج إلى مسيلمة لعلّي أقتله فأكافئ به حمزة . قال : فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ما كان . قال : فإذا رجل قائم في ثلثة جدارٍ ، كأنه جملٌ أورق ، نائر الرأس . قال : فرميته بحربتي ، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من كتفيه . قال : ووُثب إليه رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته . قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسار ، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جاريةٌ على ظهر البيت : وا أميراه<sup>(٣)</sup> ، قتله العبد الأسود .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحدّ في الخمر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قلت : وتوفي وحشي بن حرب أبو دسمة - ويقال : أبو حرب - بحمص ، وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قميّة [ الليثي ] ، وهو يظنّ أنه رسول الله [ ﷺ ] ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »<sup>(٦)</sup> ، عن سعيد بن المسيّب أن الذي قتل مصعباً هو أبي بن خلف ، فالله أعلم .

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٠٧٢ ) .

(٢) وذلك فيما رواه البخاري رقم ( ٣٥٥٥ ) و ( ٣٧٣١ ) و ( ٦٧٧٠ ) و ( ٦٧٧١ ) ومسلم رقم ( ١٤٥٩ ) .

(٣) كذا في ( آ ) : « وا أميراه » وفي ( ط ) : « وا أمير المؤمنين » وفي « صحيح البخاري » : « وا أمير المؤمنين » .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٣ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٣ / ٢ ) .

(٦) وذكره البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢١١ / ٣ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما قُتل مصعب بن عمير ، أعطى رسول الله ﷺ اللّواء عليّ بن أبي طالب .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : كان اللّواء أولاً مع عليّ بن أبي طالب ، فلما رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع بني عبد الدار قال : « نحن أحقّ بالوفاء منهم » أخذ اللّواء من عليّ فدفعه إلى مصعب بن عمير ، فلما قُتل مصعب أعطى اللّواء عليّ بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقَاتَلَ عليّ بن أبي طالب ورجالاً من المسلمين .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وحدّثني مسلمة بن علقمة المازنيّ قال : لما اشتد القتال يوم أحد ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى عليّ أن قدّم الرّاية ، فتقدّم عليّ وهو يقول : أنا أبو القصم . فناده أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين ، أن هل لك يا أبا القُصم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصّفين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ فصرعه ، ثم انصرف ولم يُجهز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفني عليه الرّحم ، وعرفت أنّ الله قد قتله .

[ وقد فعل ذلك عليّ ، رضي الله عنه ، يوم صقّين مع بُسر بن أبي أرطاة ، لما حمل عليه ليقّته ، أبدى له عن عورته فرجع عنه ، وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه عليّ في بعض أيام صقّين ، أبدى عن عورته فرجع عليّ أيضاً .

ففي ذلك يقول الحارث بن النضر : [ من الطويل ]

أفي كلّ يوم فارسٌ غير منتهٍ وعورته وسط العجاجة باديه  
يُكفّ لها عنه عليّ سنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه

وذكر يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> ، أن طلحة بن أبي طلحة العبديّ حامل لواء المشركين يومئذ دعا إلى البراز ، فأحجم الناس عنه ، فبرز إليه الزبير بن العوام ، فوثب حتى صار معه على جملة ، ثم اقتحم به الأرض ، فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال : « إنّ لكلّ نبيّ حوارياً ، وحواريّ الزبير »<sup>(٥)</sup> . وقال : « لو لم يبرز إليه ؛ لما رأيت من إحجام الناس عنه » .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٣ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٣ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٣ / ٢ ) .

(٤) وأورده البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٢٧ / ٣ ) عن يونس به ، إلا أنه لم يسم الرجل الذي دعا للبراز .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٣٧١٩ ) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو عند الترمذي رقم ( ٣٧٤٥ ) من حديث

علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانظر « جامع الأصول » لابن الأثير ( ٩ / ٥ - ٦ ) بتحقيق والدي وأستاذي المحدث

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى وأدام النفع به .

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص ، وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مسافع بن طلحة بن أبي طلحة وأخاه الجلاس ، كلاهما يشعره سهماً ، فيأتي أمه سلافة ، فيضع رأسه في حجرها ، فتقول : يا بني ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم ، أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً ، ولا يمسه . ولهذا حماه الله منهم يوم الرجيع ، كما سيأتي .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : والتقى حنظلة بن أبي عامر - واسمه عمرو ، ويقال : عبد عمرو بن صيفي . وكان يقال لأبي عامر في الجاهلية : الراهب . لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله ﷺ : الفاسق ؛ لما خالف الحق وأهله ، وخرج من المدينة هرباً من الإسلام ، ومخالفة للرسول ، عليه السلام ، وحنظلة الذي يُعرفُ بحنظلة الغسيل ؛ لأنه غسّله الملائكة ، كما سيأتي - هو وأبو سفيان صخر بن حرب ، فلما علاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود ، وهو الذي يقال له : ابن شعوب . فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه » . فسئلت صاحبتة - قال الواقدي : هي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول ، وكانت عروساً عليه تلك الليلة - فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسّله الملائكة » .

وقد ذكر موسى بن عقبة أن أباه ضرب برجله في صدره وقال : ذنبان أصبتكما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرّحم ، برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقال شدّاد بن الأسود في قتله حنظلة : [ من الرجز ]

لأحمينّ صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال ابن شعوب : [ من الطويل ]

ولولا دفاعي يا بن حرب ومشهدي  
ولولا مكري المهر بالنّعف قرقرت  
لألفيت يوم النّعف غير مجيب  
عليه ضباغ أو ضراء كليب

وقال أبو سفيان : [ من الطويل ]

ولو شئتُ نجّنتي كميت طمرة  
ومازال مهري مزجر الكلب منهم  
ولم أحمل النّعاء لابن شعوب  
لدنّ غدوة حتى دنت لغروب  
أقاتلهم وأدعي يا لغالب  
وأدفعهم عني بركن صليب

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٤ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٥ / ٢ ) .

فبَكِّي ولا ترعي مقالة عاذلٍ      ولا تسأمي من عبرة ونحيبٍ  
أباك وإخواناً له قد تابعوا      وحقّ لهم من عيرة بنصيب  
وسلّى الذي قد كان في النفس أنني      قتلت من النجار كلّ نجيب  
ومن هاشم قرماً كريماً ومُصعباً      وكان لدى الهيجاء غيرَ هَيوب  
فلو أنني لم أشف نفسي منهم      لكنت شجئ في القلب ذات ندوب  
فأبوا وقد أودى الجلابيبُ منهم      بهم خدبٌ من مُعبطٍ<sup>(١)</sup> وكئيب  
أصابهم من لم يكن لدمائهم      كفاء ولا في خطّة بضريب  
فأجابه حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> :

ذكرت القروم الصّيد من آل هاشم      ولست لزورٍ قلتَه بمصيبٍ  
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم      نجيباً وقد سمّيته بنجيبٍ  
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه      وشيعة والحجاج وابن حبيب  
غداة دعا العاصي علياً فراعته      بضربة غضبٍ بلّه بخضيبٍ

### فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

وحدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه [ عباد ] ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدام هند بنت عتبة وصواحبها ؛ مشمّراتٍ هوارب ، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثيرٌ ، إذ مالت الرُّمّة على العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخٌ : ألا إنّ محمداً قد قتل . فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحدٌ منهم . قال : فحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش ، فلاثوا به ، وكان اللواء مع صوّابٍ ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشيٍّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللّواء ب صدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول :

اللهم هل أعزرتُ ؟ يعني اللهم هل أعذرتُ ؟ .

(١) في « السيرة النبوية » : « معطب » .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ( ٤٤٦ / ١ ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٦ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٧ / ٢ ) .



فقال حسان بن ثابت في ذلك<sup>(١)</sup> :

فخرتم باللواء وشراً فخر  
لواء حين ردّ إلى صواب  
جعلتم فخركم فيه لعبد  
والأم من يطا عفر التراب  
ظننتم والسفيه له ظنون  
وما إن ذاك من أمر الصواب  
بأن جلدنا يوم التقينا  
بمكة بيعكم حمر العياب  
أقر العين أن عصبت يده  
وما إن تعصبان على خضاب

وقال حسان بن ثابت [ أيضاً ] في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم<sup>(٢)</sup> :

إذا عضل سيقنا كأنها  
جداية<sup>(٣)</sup> شريك<sup>(٤)</sup> معلّات الحواجب  
أقمنا لهم طعناً مبيراً منكلاً  
وحزناهم بالضرب من كل جانب  
فلولا لواء الحارثية أصبحوا  
يباعون في الأسواق بيع الجلائب

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون ، وأصاب منهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ ، فذث بالحجارة حتى وقع لشقه ، فأصابت رباعيته ، وشج في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

فحدثني حميد الطويل<sup>(٥)</sup> ، عن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد ، وشج في وجهه ، وجعل الدّم يسيل في وجهه ، فجعل يمسح الدّم ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله » ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٢٨ ] .

قال ابن جرير في « تاريخه »<sup>(٦)</sup> : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن المفضل<sup>(٧)</sup> ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أتى ابن قمئة الحارثي ، فرمى رسول الله ﷺ بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشج في وجهه فأثقله ، وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق طائفة فوق الجبل إلى الصخرة ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : « إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله » . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجمحي ، وقد حلف ليقتلن النبي ﷺ فقال : « بل أنا أقتله » .

(١) الأبيات في « ديوانه » ( ٣٦٧ / ١ ) و « السيرة النبوية » ( ٧٨ / ٢ ) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ( ١٢٧ / ١ ) و « السيرة النبوية » ( ٧٩ / ٢ ) .

(٣) الجداية : الغزال الصغير .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٩ / ٢ ) .

(٥) سيأتي الحديث بعد صفحات من هذا الجزء ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٦) انظر « تاريخ الطبري » ( ٥١٩ / ٢ ) .

(٧) في ( ط ) : « أحمد بن الفضل » ، محرف .

فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ . فحمل عليه ، فطعنه النبي ﷺ في جيب الدرع ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور ، فاحتملوه وقالوا : ليس بك جراحةً ، فما يجزئك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنك » ؟ لو كانت بجميع ربعة ومضر لقتلتهم . فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح ، وفشا في الناس أن رسول الله ﷺ قد قُتل ، فقال : بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ ، فيأخذ لنا أمانةً من أبي سفيان ، يا قوم ، إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . فقال أنس بن النضر : يا قوم ، إن كان محمداً قد قتل ، فإن ربّ محمدٍ لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ ﷺ ، اللهم إني أعترذ إليك ممّا يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء . ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلما رأوه وضع رجلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن<sup>(١)</sup> يرميه ، فقال : « أنا رسول الله » . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى [ أن ] في أصحابه من يمتنع [ به ] ، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ، ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ ، في الذين قالوا : إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ الآية [ آل عمران : ١٤٤ ]<sup>(٢)</sup> فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهمّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يعلونا ، اللهم إن تقتل هذه العصابة ، لا تعبد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذٍ : اعل هبل ، حنظلة بحنظلة ، ويوم أحدٍ بيوم بدر . وذكر تمام القصّة . وهذا غريبٌ جداً ، وفي بعضه نكارةٌ ، والله أعلم<sup>(٣)</sup>

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : وزعم ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد [ عن أبيه ، عن أبي سعيد ] أن عتبة بن أبي وقاصٍ رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهريّ شجّه في جبهته<sup>(٥)</sup> ، وأن [ عبد الله ] بن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامرٍ ؛ ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده ﷺ ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنان ، أبو أبي سعيد ، الدّم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدردته<sup>(٦)</sup> ، فقال : « من مسّ دمه دمي لم تصبه النار » .

(١) قوله : « فأراد أن » لم يرد في ( ط ) .

(٢) أورد ناسخ ( ط ) الآية إلى قوله تعالى : ﴿ ... مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ وأتممها ناسخ ( آ ) .

(٣) في ( ط ) : « وفيه نكارة » فقط .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٠ / ٢ ) .

(٥) في ( آ ) : « في وجهه » وما جاء في ( ط ) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام مصدر المؤلف .

(٦) أي : ابتلعه .

قلت : وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لما وقع لشقه أغمي عليه ، فمر به سالم مولى أبي حذيفة ، فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ، فأفاق وهو يقول : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبِيِّهم وهو يدعوهم إلى الله » ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية . رواه ابن جرير ، وهو مرسل ، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده .

قلت : كان أول النهار للمسلمين على الكفار<sup>(١)</sup> ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٥﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتْبَعَكُمْ غَمًّا غَيْرَ ﴾ الآية [ آل عمران : ١٥٢ - ١٥٣ ] .

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا سليمان بن داود ، أنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس أنه قال : ما نصر الله في موطنٍ كما نصر يوم أحد . قال : فأُنكرنا ذلك ، فقال : بيني وبين من أنكر [ ذلك ] كتاب الله ، إن الله يقول في يوم أحد : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ يقول ابن عباس : والحس القتل . ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ [ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ] وإنما عفا بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ، ثم قال : « احموا ظهورنا »<sup>(٣)</sup> ، فإن رأيتونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتونا نغتم فلا تشاركونا . فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين ، أكب الرماة جميعاً ، فدخلوا في العسكر ينهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم هكذا - [ وشبك ] بين [ أصابع ] يديه - والتبسوا<sup>(٤)</sup> ، فلما أخل الرماة تلك الخلَّة<sup>(٥)</sup> التي كانوا فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ ، فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناسٌ كثير<sup>(٦)</sup> ، وقد كان لرسول الله ﷺ

- (١) انظر « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية ( ١٧٦ / ٣ ) بتحقيق والدي الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وزميله الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت .
- (٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٨٧ / ١ ) .
- (٣) في ( آ ) : « احمو ظهورنا » وأثبت لفظ ( ط ) ، وهو الموافق لما في « المسند » .
- (٤) في ( آ ) : « وانتسبوا » وأثبت لفظ ( ط ) .
- (٥) أي : ولما ترك الرماة مركزهم . جاء في « مختار الصحاح » ( خلل ) : « أخلَّ الرجل بمركزه تركه » .
- (٦) وقال الإمام ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » ( ١٧٦ / ٣ ) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت : « وكان الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانهزم عدو الله ، وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم ، فلما رأى الرماة هزيمتهم ، تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه ، وقالوا : يا قوم الغنيمة ، فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ ، فلم يسمعوا ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، فذهبوا في طلب الغنيمة ، وأخلونا بالثغر ، وكرَّ فرسان المشركين ، فوجدوا الثغر خالياً ، قد خلا من الرماة ، فجازوا منه ، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين ، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة ، وهم سبعون » .

وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة ، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا - حيث يقول الناس - الغار ، إنما كانوا تحت المهراس<sup>(١)</sup> ، وصاح الشيطان : قتل محمدٌ . فلم يشك فيه أنه حقٌ ، فما زلنا كذلك ما نشك أنه حقٌ ، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين ، نعرفه بتكفئه إذا مشى . قال : ففرحنا كأنه لم يصبنا ما أصابنا . قال : فرقي نحونا وهو يقول : « اشتد غضب [ الله ] على قوم دمّوا وجه رسول الله » . ويقول مرة أخرى : « اللهم [ إنه ] ليس لهم أن يعلونا » . حتى انتهى إلينا فمكث ساعة ، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : [ اغلُ هُبْلُ ] مرتين ، يعني آلهته أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أجيبه ؟ قال : « بلى » . قال : فلمّا قال : اعل هبل . قال : الله أعلى وأجلُّ . [ فقال أبو سفيان : يا ابن الخطاب ، قد أنعمت عينها فعاد عنها . أو : فعال عنها . فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكرٍ ، وها أنا ذا عمر . قال : [ فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والأيام دول ، وإنّ الحرب سجال . قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلتنا في الجنة وقتلاكُم في النار . قال : إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا .

ثم قال أبو سفيان : [ أما ] إنكم [ سوف ] تجدون في قتلاكُم مُثْلَةً ، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال : ثم أدركته حمية الجاهلية فقال : أما إنّه إن كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبي حاتم ، والحاكم في « مستدركه » والبيهقي في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> من حديث سليمان بن داود الهاشمي به . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وهو من مراسلات ابن عباسٍ ، وله شواهد من وجوه كثيرة ، سنذكر منها ما تيسر ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان ، [ وهو المستعان ] .

قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرّماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال : « لا تبرحوا ؛ إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا [ فلا ] تعينونا » . فلما لقيناهم<sup>(٤)</sup> هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله : عهد [ إليّ ] النبي ﷺ : أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلمّا أبوا صرفت وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمدٌ ؟ فقال : « لا تجيبوه » .

(١) المهراس : ماء بجبل أحد . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص ( ٣٩٦ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « التفسير » ( ١٦٤٤ ) والحاكم في « المستدرک » ( ٢ / ٢٩٦ ) والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٢٦٩ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٠٤٣ ) .

(٤) في ( ط ) : « فلما لقينا » .

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : « لا تجيبوه » . فقال : أفي القوم ابن الخطّاب ؟ فقال : إن هؤلاء قد قُتلوا<sup>(١)</sup> ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، والله قد أبقي الله لك ما يحزنك<sup>(٢)</sup> . فقال أبو سفيان : اعل هبل . فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، وستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني ، وهذا من أفراد البخاريّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا حسن بن موسى<sup>(٤)</sup> ، حدثنا زهيرٌ ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البراء بن عازبٍ قال : جعل رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ ، وكانوا خمسين رجلاً ، عبد الله بن جبير . قال : ووضعهم موضعاً ، وقال : « إن رأيتمونا نخطفنا الطير فلا تبرحوا ، حتى أرسل إليكم ، [ وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ] » . قال : فهزموهم . قال : فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت أسوقهنّ وخلاخلهنّ رافعاتٍ ثيابهنّ . فقال أصحاب عبد الله [ بن جبير ] : الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبير : أفنسيتم<sup>(٥)</sup> ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : إنا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة . فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا من سبعين [ رجلاً ] .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئة ؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطّاب ؟ أفي القوم ابن الخطّاب ؟ أفي القوم ابن الخطّاب ؟ ثم أقبل على أصحابه ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إنّ الذين عددت لأحياء كلّهم ، وقد أبقي الله<sup>(٦)</sup> لك ما يسوءك . فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب

(١) في ( ط ) : « إن هؤلاء قتلوا » .

(٢) لفظ ( ط ) : « والله قد أبقي الله عليك ما يخزيك » .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٣ / ٤ ) ، وإسناده صحيح .

(٤) في ( ط ) : « حدثنا موسى » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٢٨١ / ١ ) .

(٥) في ( ط ) : « أنسيتم » .

(٦) في ( ط ) : « وقد بقي لك » .

سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني ، ثم أخذ يرتجز : [ مجزوء الرجز ]  
اعل هبل اعل هبل

فقال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجل » . قال : إن العزى لنا ، ولا عزى لكم . قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم » .

ورواه البخاري<sup>(١)</sup> من حديث زهير ، وهو ابن معاوية<sup>(٢)</sup> ، مختصراً ، وقد تقدّم روايته له مطولة من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنا ثابت وعلي بن زيد ، عن أنس بن مالك أن المشركين لما رهبوا النبي ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . فجاء رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلما رهبوه أيضاً قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .  
ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> ، عن هذبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البيهقي في « الدلائل »<sup>(٥)</sup> بإسناده ، عن عُمارة بن غزية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله ، وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : « ألا أحدّ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « كما أنت يا طلحة » . فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قتل الأنصاري فلحقوه ، فقال : « ألا رجل لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فأذن له . فقاتل مثل قتاله وقاتل صاحبه ، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيحبسه فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال ، فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة بن عبيد الله ، فغشوهما ، فقال رسول الله ﷺ : « من لهؤلاء يا طلحة ؟ » . فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيب أنامله ، فقال : حسّ . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلت : بسم الله ، أو ذكرت اسم الله ؛

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٨٦) و(٤٠٦٧) و(٤٥٦١) .

(٢) هو زهير بن معاوية بن حديج أبو خيثمة الجعفي الكوفي . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ١ / ٤٢٠ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٨٦ / ٣ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٧٨٩ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٣٦ / ٣ ) .

لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك ، حتى تلج بك في جو السماء » . ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وهم مجتمعون .

وروى البخاري<sup>(١)</sup> ، عن أبي بكر عبد الله بن أبي شيبه ، عن وكيع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء ؛ وقى بها النبي ﷺ يوم أحد .

وفي « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة وسعد ، عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة<sup>(٣)</sup> : حدثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشم الزهري ، سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد ، وقال : « ارم ، فذاك أبي وأمي » .

وأخرجه البخاري<sup>(٤)</sup> ، عن عبد الله بن محمد ، عن مروان به .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٥)</sup> من حديث عبد الله بن شداد ، عن علي بن أبي طالب قال : ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فإني سمعته يقول يوم أحد : « يا سعد ، ارم فذاك أبي وأمي » .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : حدثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعد ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه رمى يوم أحد دون رسول الله ﷺ . قال سعد : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النبل ويقول : « ارم ، فذاك أبي وأمي » . حتى إنه لناولني السهم ليس له نصل فأرمي به .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٧)</sup> من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [ عن جده ، عن سعد بن أبي وقاص ] ، قال : رأيت يوم أحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عنه أشد القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وقال أحمد<sup>(٨)</sup> : ثنا عفان ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٦٣ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٠٦٠ ) و ( ٤٠٦١ ) ، ومسلم رقم ( ٢٤١٤ ) .

(٣) هو في « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٣٩ / ٣ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٥٥ ) .

(٥) رقم ( ٢٩٠٥ ) و ( ٤٠٥٨ ) و ( ٤٠٥٩ ) و ( ٦١٨٤ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٢ / ٢ ) .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٤٠٥٤ ) ومسلم رقم ( ٢٣٠٦ ) .

(٨) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٨٦ / ٣ - ٢٨٧ ) ، وإسناده صحيح .

رسول الله ﷺ يوم أحد ، والنبي ﷺ خلفه يتترس به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يشور نفسه<sup>(١)</sup> بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : إني جلدٌ يا رسول الله ، فوجهني في حوائجك ، ومرني بما شئت .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنس قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوَّب عليه بحجفة له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد التزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمرّ معه بجعبة من النبل فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال : ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي ، لا تشرف يُصَبِّك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر ، وأمّ سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدام سوقهما ، تنقزان القرب على متونهما ، تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملانها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً .

قال البخاري<sup>(٣)</sup> : وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وأخذه ، ويسقط فأخذه . هكذا ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [ آل عمران : ١٥٤ - ١٥٥ ] .

قال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا عبدان<sup>(٥)</sup> ، ثنا أبو حمزة ، عن عثمان بن موهب قال : جاء رجلٌ حج البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريش . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدثني ؟ قال : أشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أنّ عثمان بن

(١) أي : يعرضها على القتل .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٠٦٤ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٦٨ ) تعليقاً .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٦٦ ) .

(٥) وهو لقبه ، واسمه « عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتلي المروزي أبو عبد الرحمن » .



عَقَّانَ فَرَّ يَوْمَ أَحَدٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعَلَّمَهُ تَغْيِبَ عَنْ بَدْرٍ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَتَعَلَّمَهُ أَنَّهُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَبَّرَ . قَالَ ابْنُ عَمْرٍو : تَعَالَى لَأَخْبِرَكَ وَلَأُبَيِّنَ لَكَ عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ؛ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ ، وَأَمَّا تَغْيِبُهُ عَنْ بَدْرٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ لَكَ أَجْرٌ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ » وَأَمَّا تَغْيِبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أُعْزِزَ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَقَّانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ ، فَبَعَثَ عُثْمَانُ ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ الْيَمْنَى : « هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ » . فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ ، فَقَالَ : « هَذِهِ لِعُثْمَانَ » . اذْهَبْ بِهَذَا الْآنَ مَعَكَ .

وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ<sup>(١)</sup> ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ بِهِ .

وَقَالَ الْأُمَوِيُّ فِي « مَغَازِيهِ »<sup>(٢)</sup> : عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُبَادٍ ، عَنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّهِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَوْجِبَ طَلْحَةُ » . حِينَ صَنَعَ مَا صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْهُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْمُنَقَى دُونَ الْأَعْوَصِ ، وَفَرَّ عُثْمَانُ بْنُ عَقَّانَ ، وَسَعْدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنُ عُثْمَانَ رَجُلَانِ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْأَنْصَارِ ، حَتَّى بَلَغُوا الْجَلْعَبَ ، جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الْأَعْوَصَ ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعُوا ، فَرَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ : « لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً » .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَحَدًا وَقَعَ فِيهَا أَشْيَاءٌ مِمَّا وَقَعَ فِي بَدْرٍ ، مِنْهَا ؛ حَصُولُ النَّعَاسِ حَالَ التَّحَامِ الْحَرْبِ ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى طُمَأْنِينَةِ الْقُلُوبِ بِنَصْرِ اللَّهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَمَامِ تَوَكُّلِهَا عَلَى خَالِقِهَا وَبَارِئِهَا .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ : ﴿ إِذْ يَغْشَاكُمُ النَّعَاسُ<sup>(٤)</sup> أَمَنَةً مِنْهُ ﴾ [الأنفال: ١١] وَقَالَ هَاهُنَا : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ ﴾ يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ الْكَامِلَ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ : النَّعَاسُ فِي الْحَرْبِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالنُّعَاسُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ النِّفَاقِ . وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ هَذَا : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنْصَرَ يَوْمَ أَحَدٍ كَمَا اسْتَنْصَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِقَوْلِهِ : « إِنْ تَشَاءُ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ » . كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٥)</sup> : ثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَعَقَّانُ ، قَالَا : ثَنَا حَمَّادٌ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أَحَدٍ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَاءُ لَا تَعْبُدُ فِي الْأَرْضِ » .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمَ ( ٣٩٦٨ ) وَالتِّرْمِذِيُّ رَقْمَ ( ٣٧٠٦ ) .

(٢) انْظُرْ « السِّيَرَةَ النَّبَوِيَّةَ » لِابْنِ إِسْحَاقَ ( ٣١١ ) .

(٣) فِي ( ط ) : « رَجُلٌ » .

(٤) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو .

(٥) فِي « الْمُسْنَدِ » ( ١٥٢ / ٣ ) .

ورواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن حجاج بن الشاعر ، عن عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة به .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد : أرأيت إن قتلت أين أنا ؟<sup>(٣)</sup> قال : « في الجنة » فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل .

ورواه مسلم والنسائي<sup>(٤)</sup> من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

### فصل فيما لقي النبي ﷺ يومئذ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد : حدثنا إسحاق بن نصر ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، سمع أبا هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه - يشير إلى ربايعته - اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلم<sup>(٦)</sup> من طريق عبد الرزاق .

حدثنا<sup>(٧)</sup> مخلد بن مالك ، حدثنا يحيى بن سعيد الأموي ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : اشتد غضب الله على من قتله النبي ﷺ في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله .

وقال أحمد<sup>(٨)</sup> : ثنا عفان ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد ، وهو يسلك الدم عن وجهه ، وهو يقول : « كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم وكسروا ربايعته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟ ! » .

(١) في « صحيحه » رقم ( ١٧٤٣ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٤٦ ) .

(٣) في ( ط ) : « فأين أنا » .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٨٩٩ ) والنسائي رقم ( ٣١٥٤ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٧٣ ) .

(٦) في « صحيحه » رقم ( ١٧٩٣ ) .

(٧) القول للإمام البخاري ، والحديث في صحيحه رقم ( ٤٠٧٤ ) .

(٨) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٥٣ / ٣ ) .

فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٢٨ ] .

ورواه مسلم<sup>(١)</sup> عن القعنبی ، عن حماد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن هشيم ويزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد ، وشج في جبهته حتى سال الدّم على وجهه ، فقال : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبیهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ ! » . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب ، عن أبي حازم ، أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ ، [ فقال : أما والله إنني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ] ، ومن كان يسكب الماء ، وبما دووي . قال : كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله ، وعليّ يسكب عليه الماء بالمجنّ ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدّم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير ، فأحرقتها [ وألصقتها ] ، فاستمسك الدّم ، وكُسرت رباعيته يومئذ ، وجرح وجهه ، وكسرت البيضة على رأسه .

وقال أبو داود الطيالسي في « مسنده »<sup>(٤)</sup> : ثنا ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال : ذاك يوم كلّه لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه . وأراه قال : يحميه . قال : فقلت : كن طلحة . حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجلاً من قومي أحب إليّ ، وبينني وبين المشرق رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانتبهنا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته ، وشج في وجهه ، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » . يريد طلحة ، وقد نزع فلم نلتفت إلى قوله ، قال : وذهبت لأنزع ذاك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني . فتركته ، فكره أن يتناولهما بيده ، فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليهما بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقي لما تركتني . قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوقع ثنيته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة ، رضي الله عنه ، من أحسن الناس هتماً ، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به بضّع وسبعون من بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

(١) . رواه مسلم رقم ( ١٧٩١ ) .

(٢) . رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٩٩ و ٢٠١ ) .

(٣) . في « صحيحه » رقم ( ٤٠٧٥ ) .

(٤) . رقم ( ٦ ) .

وذكر الواقدي<sup>(١)</sup> عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبير قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلى النبل تأتي من كل ناحية ، ورسول الله ﷺ وسطها ، كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلوني على محمد ، لا نجوت إن نجا . ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان بن أمية ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة ، فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله ، فلم نخلص إليه .

قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : والثابت عندنا<sup>(٣)</sup> أن الذي رمى [ في ] وجتي رسول الله ﷺ ابن قمئة ، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص - وقد تقدم عن ابن إسحاق نحو هذا - وأن الرباعية التي كسرت له ، عليه الصلاة والسلام ، هي اليمنى السفلى .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني صالح بن كيسان ، عن حماد بن عمار ، عن سعد بن [ أبي ] وقاص قال : ما حرصت على قتل أحد قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت<sup>(٥)</sup> لسيء الخلق ، مبعوضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من دمي وجهه رسوله » .

وقال عبد الرزاق<sup>(٦)</sup> : أنا معمر ، عن الزهري ، وعن عثمان الجزري ، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال : « اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً » . فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجوزجاني : ثنا محمد بن الحسن ، حدثني إبراهيم بن محمد ، حدثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حزم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحد بعظم بال .

هذا حديث غريب رأيته في أثناء كتاب « المغازي » للأُموي في وقعة أحد .

ولما نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال ، رجع وهو يقول : قتلت محمداً . وصرخ الشيطان أزعج العقبة يومئذ بأبعد صوت : ألا إن محمداً قد قتل . فحصل بهمة عظيمة في المسلمين ، واعتقد كثير من الناس ذلك ، وصمموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ،

(١) انظر « المغازي » ( ٢٣٧ / ١ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ٢٤٤ / ١ ) .

(٣) في ( ط ) : « ثبت عندي » .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٦ / ٢ ) وفيه مجهول .

(٥) في ( آ ) : « وإن كان ما علمته » وأثبت لفظ ( ط ) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٦ / ٢ ) .

(٦) في « المصنف » ( ٢٩٠ / ٥ ) .

منهم أنس بن النضر وغيره ممن سيأتي ذكره ، وقد أنزل الله تعالى التسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَيْثُُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٧) فَفَإِنَّهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٨) يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (١٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (٢٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤ - ١٥١] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا « التفسير » (١) والله الحمد .

وقد خطب الصديق ، رضي الله عنه ، في أول مقام قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ الآية . قال : فكان الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحداً إلا يتلوها .

وروى البيهقي في « دلائل النبوة » (٢) من طريق ابن نجيج ، عن أبيه قال : مرّ رجلٌ من المهاجرين يوم أحدٍ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يتشخط في دمه ، فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمداً ﷺ قد قتل فقد بلغ الرسالة ، فقاتلوا عن دينكم . فنزل [ قوله تعالى ] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ الآية ، ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر ، رضي الله عنه ، وهو عم أنس بن مالك .

قال الإمام أحمد (٣) : ثنا يزيد ، ثنا حميد ، عن أنس أن عمه غاب عن قتال بدرٍ فقال : غبت عن أول قتالٍ قاتله النبي ﷺ للمشركين ، لئن أشهدني الله قتالاً للمشركين ليرين الله (٤) ما أصنع . فلما كان يوم أحدٍ انكشف المسلمون ، فقال : [ اللهم ] إني أعذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم ، فلقيه سعد بن معاذٍ دون أحدٍ ، فقال سعدٌ : أنا معك . قال سعدٌ : فلم أستطع أصنع ما صنع . فوجد فيه بضعةً وثمانون من بين ضربةٍ بسيف ، وطعنةٍ برمح ، ورميةٍ بسهم . قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ [ الأحزاب : ٢٣] .

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ١٠٨ / ٢ ) وما بعدها .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٤٨ / ٣ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٠١ / ٣ ) .

(٤) لفظ الجلالة لم يرد في ( ط ) .

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، والنسائي عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به<sup>(١)</sup> ، وقال الترمذي : حسن .

قلت : بل على شرط « الشيخين »<sup>(٢)</sup> من هذا الوجه .

وقال أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثني ، بهز وثنا هاشم [ قالوا ] : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت<sup>(٤)</sup> قال : قال أنس : عمي - قال هاشم : أنس بن النضير - سميت به ، ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر . قال : فشق عليه ، وقال : أول مشهيد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه ! لئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد . قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهأ لريح الجنة ، أجده دون أحد . قال : فقاتلهم حتى قتل ، فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية . قال : فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلم<sup>(٥)</sup> عن محمد بن حاتم ، عن بهز بن أسيد . ورواه الترمذي والنسائي<sup>(٦)</sup> من حديث عبد الله بن المبارك ، وزاد النسائي : وأبي داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبي بن خلف ، أخو بني جمح ، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال : « بل أنا أقتله إن شاء الله » . فلما كان يوم أحد أقبل أبي في الحديد مقتعاً ، وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير ، أخو بني عبد الدار ، بقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقة أبي بن خلف من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة ، فطعنه بحرته ، فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه ، وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خدش . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « أنا أقتل أياً » . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون . فمات إلى النار ، فسحقاً لأصحاب السعير<sup>(٧)</sup> .

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣٢٠١ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ١١٤٠٣ ) .

(٢) في ( ط ) : « على شرط الصحيحين » وكلاهما بمعنى .

(٣) رواه أحمد في مسنده ١٩٤ / ٣ .

(٤) يعني ( ثابت بن أسلم البناي ) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ١٩٥ / ١ ) .

(٥) رواه مسلم رقم ( ١٩٠٣ ) .

(٦) رواه الترمذي رقم ( ٣٢٠٠ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٨٢٩١ ) .

(٧) وانظر « زاد المعاد » لابن القيم ( ١٨٨ / ٣ ) و « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » لابن كثير ص ( ١٤٩ ) .

وقد رواه موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن سعيد بن المسيب نحوه .

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب ، أدركه أبي بن خلف وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوت . فقال القوم : يا رسول الله ، يعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « دعوه » . فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمة ، فقال بعض القوم ، فيما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضةً ، تطايرن عنه تطاير الشّعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنةً تدأداً منها<sup>(٢)</sup> عن فرسه مراراً .

وذكر الواقدي<sup>(٣)</sup> ، عن يونس بن محمد ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه نحو ذلك .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : وكان ابن عمر يقول : مات أبي بن خلف ببطن رابغ ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل ، فإذا أنا بنارٍ تأجج ، فهبتها ، وإذا رجلٌ يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهتجه العطش ، فإذا رجلٌ يقول : لا تسقه ؛ فإنه قتل رسول الله ﷺ ، هذا أبي بن خلف .

وقد ثبت في « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> كما تقدم من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » . ورواه البخاري من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله في سبيل الله .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : وقال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهونني ، والنبي ﷺ لم ينه . وقال النبي ﷺ : « لا تبكه - أو ما تبكيه - مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع » . هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلقاً ، وقد أسنده في الجنائز ، عن بندار ، عن غدير ، عن شعبة . ورواه مسلم والنسائي<sup>(٧)</sup> من طريق ، عن شعبة به .

وقال البخاري<sup>(٨)</sup> : ثنا عبدان ، أنا عبد الله [ بن المبارك ] ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٤ / ٢ ) .

(٢) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » ( ٨٤ / ٢ ) : « تدأداً . . . تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج » .

(٣) انظر « المغازي » ( ٢٥١ / ١ ) .

(٤) وذكره ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » ( ١٨٨ / ٣ ) بنحوه .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤٠٧٤ ) ومسلم رقم ( ١٧٩٣ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤٠٨٠ ) معلقاً .

(٧) رواه مسلم رقم ( ٢٤٧١ ) والنسائي رقم ( ١٨٤٤ ) .

(٨) رواه البخاري رقم ( ٤٠٤٥ ) .

أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوفٍ أتى بطعام ، وكان صائماً ، فقال : قتل مصعب بن عمير وهو خيرٌ مني ، كَفَنَ في بردةٍ إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطي رجلاه بدا رأسه - وأراه قال : وقتل حمزة وهو خيرٌ مني - ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا<sup>(١)</sup> أن تكون حسانتنا عَجَلت لنا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام . انفرد به البخاري .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا أحمد بن يونس ، حَدَّثَنَا زهيرٌ ، حَدَّثَنَا الأعمش ، عن شقيقٍ ، عن خَبَّاب بن الأَرْت قال : هاجرنا مع النبي ﷺ ونحن نبتغي وجه الله ، فوجب أجراً على الله ، فمننا من مضى - أو : ذهب - لم يأكل من أجره شيئاً ؛ كان منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم أحدٍ ، فلم يترك إلا نمرَةً ، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبي ﷺ : « غَطُّوا بها رأسه ، واجعلوا على رجله الإذخر » . ومننا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدُبُها . وأخرجه بقية الجماعة<sup>(٣)</sup> إلا ابن ماجه ، من طريقٍ عن الأعمش به .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا عبيد الله بن سعيد ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كان يوم أحدٍ هزم المشركون ، فصرخ إبليس ، [ لعنة الله عليه ] : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة ، فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : [ أي ] عباد الله ، أبي أبي . [ قال ] : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت في حذيفة بقيةٌ خيرٍ حتى لقي الله ، عز وجل .

قلت : كان سبب ذلك ؛ أن اليمان وثابت بن وقشٍ كانا في الآطام مع النساء ؛ لكبرهما وضعفهما ، فقالا : إنه لم يبق من آجالنا إلا ظمءٌ حمارٍ . فتزلا ليحضر الحرب ، فجاء طريقهما ناحية المشركين ؛ فأما ثابتٌ فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأً ، وتصدَّق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحداً منهم ؛ لظهور العذر في ذلك .

## فصلٌ

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وأصيب يومئذٍ عين قتادة بن النعمان<sup>(٦)</sup> حتى سقطت على وجنته ، فردَّها رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

- 
- (١) في (آ) : « خشيت » .
  - (٢) رواه البخاري رقم ( ٤٠٨٢ ) .
  - (٣) رواه مسلم رقم ( ٩٤٠ ) وأبو داود رقم ( ١٢٨٧٦ ) والترمذي رقم ( ٣٨٥٣ ) والنسائي رقم ( ١٩٠٢ ) .
  - (٤) رواه البخاري رقم ( ٤٠٦٥ ) .
  - (٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣٠٨ ) .
  - (٦) قال ابن حجر العسقلاني : مات سنة ( ٢٣ ) هـ على الصحيح . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ١٧٩ / ٣ ) .



وفي الحديث ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى سالت على خده ، فردّها رسول الله ﷺ مكانها ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى<sup>(١)</sup> .

وروى الدارقطني<sup>(٢)</sup> بإسناد غريب عن مالك ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صَعَصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان قال : أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتي ، فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما ، وبصق فيهما فعادتا تبرقان .

والمشهور الأول : أنه إنما أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لما وفد بعض ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً<sup>(٣)</sup> : [ من الطويل ]

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه      فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرّدّ  
فعادت كما كانت لأول أمرها      فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ  
فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك<sup>(٤)</sup> : [ من البسيط ]

تلك المكارم لا قعبان من لبن      شيئا بماء فعادا بعد أبوالا  
ثم وصله فأحسن جائزته ، رضي الله عنه .

## فصل

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : وقاتلت أمّ عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد ، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري ، أن أمّ سعيد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أمّ عُمارة فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك . فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانهتيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدّولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمّت بأبشر القتال ، وأذّب عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ . قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غورٌ ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقمأه الله ، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناسٌ ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه درعان .

(١) ذكره بنحوه ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » ( ١٢٧٥ / ٢ ) والسهيلي في « الروض الأنف » ( ٣٣ / ٦ ) .

(٢) ذكره السهيلي في « الروض الأنف » ( ٣٣ / ٦ ) وعزاه للدارقطني .

(٣) انظر « شذرات الذهب » ( ١٨٠ / ١ ) بتحقيقي .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٦ / ١ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨١ / ٢ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وترس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه ، يقع النبل في ظهره ، وهو منحني عليه ، حتى كثر فيه النبل .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيّتها<sup>(٣)</sup> ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن [ بن رافع ] أخو بني عديّ بن النجار قال : انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، وبه سمّي أنس بن مالك .

فحدثني<sup>(٥)</sup> حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه<sup>(٦)</sup> .

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : وحدثني بعض أهل العلم ، أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ ، فهتم وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فخرج .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وكان أول من عرف رسول الله ﷺ - بعد الهزيمة وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ . كما ذكر لي الزهري - كعب بن مالك ، قال : رأيت عينيه تزهرا من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ . فأشار إليّ<sup>(٩)</sup> رسول الله ﷺ أن أنصت .

قال ابن إسحاق<sup>(١٠)</sup> : فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٢ / ٢ ) .

(٢) أي : طرفها .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣٠٩ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٣ / ٢ ) .

(٥) أي : من أطراف أصابعه . قال الرازي في « مختار الصحاح » . ( بنن ) : « البنانة : واحدة البنان ، وهي أطراف الأصابع » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٣ / ٢ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٣ / ٢ ) .

(٨) لفظ « إليّ » سقط من ( ط ) .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٣ / ٢ ) .

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف ، فذكر قتله عليه الصلاة والسلام أياً كما تقدم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان أبي بن خلف - كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف - يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ، إن عندي العود ؛ فرساً أعلفه كل يوم فزقاً من ذرة ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك ، إن شاء الله » . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلتني والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إن بك بأس . قال : إنه قد كان قال لي بمكة : « أنا أقتلك » فوالله لو بصق علي لقتلني . فمات عدو الله بسرف<sup>(٢)</sup> ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فقال حسان بن ثابت في ذلك<sup>(٤)</sup> : [ من الوافر ]

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظيم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم	أمية إذ يغوث يا عقيل
وتب ابنا ربيعة إذ أطاعا	أبا جهل لأمهما الهول
وأفلت حارث لما شغلنا	بأسر القوم أسرته فليل

وقال حسان بن ثابت أيضاً<sup>(٥)</sup> : [ من الوافر ]

ألا من مبلغ عني أياً	لقد ألقيت في سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد	وتقسم إن قدرت مع النذور
تمنيك الأمان من بعيد	وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظ	كريم البيت ليس بذي فجور
له فضل على الأحياء طراً	إذا نابت ملءات الأمور

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٤ / ٢ ) .

(٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل تسعة ، وقيل اثني عشرة . انظر « معجم البلدان » ( ٢٥٧ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٨٤ / ٢ - ٨٥ ) .

(٤) انظر « ديوانه » ( ١٥٨ / ١ ) .

(٥) انظر « ديوانه » ( ٤٩٠ / ١ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٥ / ٢ ) .

درفته ماءً من المهراس ، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم ، وصَبَّ على رأسه وهو يقول : « اشتدَّ غضب الله على من دَمَى وجه نبيّه » . وقد تقدّم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فبينما رسول الله ﷺ في الشعب ، معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل .

قال ابن هشام : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إنّه لا ينبغي لهم أن يعلونا » . فقاتل عمر بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض النبي ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدّن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين ، فلمّا ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ، فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير [ عن الزبير ] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ : « أوجب طلحة » . حين صنع برسول الله ﷺ يومئذٍ ما صنع .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وذكر عمر مولى غُفْرَة<sup>(٣)</sup> أن رسول الله ﷺ صَلَّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصبته ، وصَلَّى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أتَيْ<sup>(٥)</sup> لا يُدرى من هو ، يقال له : قُرمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له : « إنّه لمن أهل النار » . قال : فلمّا كان يوم أحدٍ قاتل قتالاً شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأسٍ ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبلت اليوم يا قُرمان ، فأبشر . قال : بماذا أبشّر ؟ فوالله إنّ قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلمّا اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر ، كما سيأتي ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : حدّثنا عبد الرزاق ، حدّثنا معمرٌ ، عن الزّهري ، عن ابن المسيّب ، عن أبي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٦ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٧ / ٢ ) .

(٣) واسمه ( عمر بن عبد الله المدني ) ويعرف بمولى غُفْرَة ، وهو ضعيف كثير الإرسال ، وهذا الخبر من مراسلاته . انظر

« تحرير تقريب التهذيب » ( ٧٨ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٨٨ / ٢ ) .

(٥) أي : غريب .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٠٩ / ٢ ) .

هريرة قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خير ، فقال لرجلٍ ممن يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً ، فأصابته جراحةٌ ، ف قيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت : « إنه من أهل النار » . فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات . فقال النبي ﷺ : « إلى النار » . فكاد بعض القوم أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك ، إذ قيل : فإنه لم يمت ، ولكن به جراحٌ شديدةٌ . فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أني عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس : « إنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وأخرجاه في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> من حديث عبد الرزاق به .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان ممن قتل يوم أحدٍ مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفطيمون ، فلما كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمدٍ عليكم لحقٌ . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أصبت فمالي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « مخيريق خير يهود » .

قال السهيلي<sup>(٣)</sup> : فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق - وكانت سبع حوائط - أوقافاً بالمدينة . قال محمد بن كعب القرظي : وكانت أول وقفٍ بالمدينة .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنه كان يقول : حدثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيد<sup>(٥)</sup> : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحدٍ بدا له ، فأسلم ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟! لقد تركناه وإنه لمنكرٌ لهذا الحديث ! فسألوه فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؛ أحدثٌ على قومك ، أم رغبةٌ في الإسلام ؟ فقال : بل رغبةٌ في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني .

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٨٨/٢) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٤٧/٦) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٩٠/٢) .

(٥) هو (محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي المدني ، أبو نعيم صحابي صغير ، وجلُّ روايته عن الصحابة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣٥٣/٣) .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « إنه لمن أهل الجنة » .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني أبي ، عن أشياخ من بني سلمة قالوا : كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا : إن الله قد عذرك . فأتى رسول الله ﷺ وقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة . فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » . فخرج معه فقتل يوم أحد ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ووقعت هند بنت عتبة - كما حدثني صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها ، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً<sup>(٣)</sup> وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً ، وبقرت عن كبدة حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة ، أن الذي بقر عن كبدة حمزة وحشياً ، فحملها إلى هند ، فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت : [ من الرجز ]

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سُعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخى وعمّه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت وحشئ غليل صدري
فشكر وحشئ عليّ عمري	حتى ترم أعظمي في قبري

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدر وبعد بدر	يا بنت <sup>(٥)</sup> وقاع عظيم الكفر
صَبَحَك الله غداة الفجر	ملهاشميين <sup>(٦)</sup> الطوال الزهر
بكلّ قطاع حسام يفري	حمزة ليثي وعليّ صقري

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٠ / ٢ ) وهذه رواية ضعيفة فيها مجاهيل .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣١٢ ) .

(٣) الخدم ، جمع خَدَمَة ، وهي الخلخال .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ( ٩١ / ٢ ) .

(٥) في ( آ ) : « يا ابنة » وما جاء في ( ط ) موافق لما في « السيرة النبوية » .

(٦) أي : من الهاشميين .

إذ رام شيبٌ وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النحر  
ونذرك السوء فشرُّ نذر

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ذق عُقُق . فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بآبنا عمّه ما ترون لهما<sup>(٢)</sup> . فقال : ويحك ! اكتمها عني ؛ فإنها كانت زلة .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم إنّ أبا سفيان ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يومٌ بيوم بدر ، اعل هبل . أي أظهر : دينك . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكهم في النار » . فقال له أبو سفيان : هلم إليّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « ائت فانظر ما شأنه » . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكهم مثلٌ ، والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت ولا أمرت . قال : ولما انصرف أبو سفيان نادى : إنّ موعدكم بدر العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعدٌ » .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، فقال : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها ، لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم » . قال عليّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

### ذكر<sup>(٤)</sup>

### دعاء النبي ﷺ بعد الوقعة يوم أحد

قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكي ، عن ابن رفاعة

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٣ / ٢ ) .

(٢) يريد أنه ميت لا يقدر على الانتصار .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص ( ٣١٢ ) .

(٤) لفظ « ذكر » لم يرد في ( ط ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٢٤ / ٣ ) ورجاله ثقات ، وقد صححه العلماء كما في السنة لابن أبي عاصم ( ٣٨١ ) =

الزرقبي ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أثنى على ربي ، عز وجل » . فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة<sup>(١)</sup> ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » .

ورواه النسائي في « اليوم والليلة »<sup>(٢)</sup> ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد ابن أيمن ، عن عبيد بن رفاعه ، عن أبيه به .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني ، أخو بني النجار ، أن رسول الله ﷺ قال : « من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات . فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عناً خير ما جزى نبياً عن أمته . وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ، ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات . قال : فجئت النبي ﷺ فأخبرته خبره .

قلت : كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن مسلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقدي<sup>(٤)</sup> ، وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوتٍ ضعيفٍ ، وذكره .

= وفي الأدب المفرد للبخاري (٦٩٩) والحاكم (٢٣/٣ و ٢٤) وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٢٢/٦) رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، وأما تضعيفه فهو تهويلات الذهبي - رحمه الله - .

(١) العيلة : الفقر .

(٢) رواه النسائي في « في اليوم والليلة » (٦٠٩) « السنن الكبرى » رقم (١٠٤٤٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص (٣١٣) .

(٤) انظر « المغازي » (٢٩٢/١) .



وقال الشيخ أبو عمر في « الاستيعاب »<sup>(١)</sup> : كان الرجل الذي التمس سعداً أباي كعب . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النّقاء ليلة العقبة ، رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي ، قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به ؛ فجُدع أنفه وأذناه ، فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفية ، وتكون سنة من بعدي ، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ ، وغيطه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنّا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلنّ بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فحدّثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب ، وحدّثني من لا أتهم ، عن ابن عباس أن الله ، عزّ وجلّ ، أنزل في ذلك : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿ [ النحل : ١٢٦ - ١٢٧ ] الآية ، قال : فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ، ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآيات مكيّة ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدّثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة قال : ما قام رسول الله ﷺ في مقام قط ففارقه حتى يأمر بالصدقة ، وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : ولما وقف النبي ﷺ على حمزة قال : « لن أصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا » . ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسود رسوله » . قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوي رسول الله ﷺ من الرضاعة ؛ أرضعتهم ثلاثهم ثوية مولاة أبي لهب .

وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : حدّثنا سليمان بن داود الهاشمي ، أنبأنا عبد الرحمن ، يعني ابن أبي الزناد ،

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » ( ٥٩٠ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٦ / ٢ ) وفي سند هذه الرواية مجاهيل فهي ضعيفة .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٦ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٦ / ٢ ) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ١٦٥ / ١ ) ، والبيهقي في ( دلائل النبوة ) بمعناه ( ٢٩٠ / ٣ ) من طريق آخر مرسل ، فهو حديث حسن .

عن هشام ، عن عروة قال : أخبرني أبي الزبير أنه لما كان يوم أحدٍ أقبلت امرأةٌ تسعى ، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى . قال : فكره النبي ﷺ أن تراهم ، فقال : « المرأة المرأة » . قال الزبير : فتوسّمت أنها أمي صفية ، قال : فخرجت أسعى إليها ، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قال : فلدمت في صدري ، وكانت امرأة جلدة ، قالت : إليك ، لا أرض لك . قال : فقلت : إن رسول الله ﷺ عزم عليك . قال : فوقفت ، وأخرجت ثوبين معها ، فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ، فقد بلغني مقتله ، فكفّنه فيهما . قال : فجئنا بالثوبين لنكفّن فيهما حمزة ، فإذا إلى جنبه رجلٌ من الأنصار قتلٌ ، قد فعل به كما فعل بحمزة . قال : فوجدنا غضاضةً وحياءً أن نكفّن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له ، فقلنا : لحمزة ثوبٌ وللأنصاري ثوبٌ ، فقدّرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، فكفّنا كلّ واحدٍ منهما في الثوب الذي طار له<sup>(١)</sup> .

### ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدّثني من لا أتهم ، عن مقسم ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجّي ببردة ، ثم صلّى عليه فكبر سبع تكبيراتٍ ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاةً . وهذا غريبٌ وسنده ضعيفٌ .

قال السهيلي<sup>(٣)</sup> : ولم يقل به أحدٌ من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا عفان ، ثنا حماد ، ثنا عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، عن ابن مسعود قال : إن النساء كنّ يوم أحدٍ خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفت يومئذ رجوت أن أبرّ : إنه ليس أحدٌ منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِبَنَاتِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . فلما خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أمروا به ، أفرد رسول الله ﷺ في [ تسعة ] ؛ سبعة من الأنصار ورجلين<sup>(٥)</sup> من قريش ، وهو عاشرهم ، فلما رهقوه قال : « رحم الله رجلاً ردهم عنا » . ( قال : فقام رجلٌ من الأنصار فقاتل ساعةً حتى قتل ، فلما رهقوه أيضاً قال : « رحم الله رجلاً ردهم عنا » )<sup>(٦)</sup> . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ

(١) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « الذي طار له » أي قدر له . وفي « المسند » : « الذي صار له » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٧ / ٢ ) .

(٣) انظر « الروض الأنف » ( ٤٢ / ٦ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٦٣ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٥) في ( ط ) : « واثنين » .

(٦) ما بين القوسين سقط من ( ط ) .

لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا »<sup>(١)</sup> . فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله أعلى وأجل » . فقالوا : الله أعلى وأجل . فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدرٍ ، يومٌ لنا ويومٌ علينا ، ويومٌ نساء ويومٌ نُسَر ، حنظلة بحنظلة ، وفلانٌ بفلانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا سواء ، أما قتلنا فأحياءٌ يرزقون ، وقتلكم في النار يعذبون » . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلَةٌ ، وإن كانت لعن غير مِثْلٍ مِنَّا ، ما أمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرّني . قال : فنظروا ، فإذا حمزة قد بُقِر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : « أأكلتُ منه شيئاً ؟ » قالوا : لا . قال : « ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار » . قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلّى عليه ، وجيء برجلٍ من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلّى عليه ، فرفع الأنصاري وترك حمزة ، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلّى عليه ، ثم رفع وترك حمزة ، حتى صلّى عليه يومئذ سبعين صلاةً . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ فيه ضعفٌ أيضاً من جهة عطاء بن السائب ، فالله أعلم .

والذي رواه البخاري<sup>(٢)</sup> أثبت ، حيث قال : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا الليث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أنّ جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحدٍ في ثوبٍ واحدٍ ، ثم يقول : « أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » . فإذا أشير له إلى أحدهما<sup>(٣)</sup> قدّمه في اللحد وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة » . وأمر بدفنه بدمائهم ، ولم يصلّ عليهم ، ولم يغسلوا . تفرّد به البخاري دون مسلم .

ورواه أهل « السنن »<sup>(٤)</sup> من حديث الليث بن سعدٍ به .

وقال أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا محمدٌ ، يعني ابن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، سمعت عبد ربّه يحدث عن الزُّهريّ ، عن ابن جابر ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيّ ﷺ أنه قال في قتلى أحدٍ : « فإنّ كلّ جرحٍ أو كلّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة » ولم يصلّ عليهم .

وثبت أنه صلّى [ عليهم ] بعد ذلك بسنين عديدة قبل وفاته بيسيرٍ ، كما قال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا محمد بن عبد الرّحيم ، ثنا زكريا بن عديّ ، أنا [ ابن ] المبارك ، عن حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيب ،

(١) في ( آ ) : « ما أنصفتما أصحابنا » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٠٧٩ ) .

(٣) في « صحيح البخاري » : « فإذا أشير إلى أحدٍ » .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٣١٣٨ ) و ( ٣١٣٩ ) والترمذي رقم ( ١٠٣٦ ) والنسائي رقم ( ١٩٥٤ ) وابن ماجه رقم ( ١٥١٤ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٩ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) في « صحيحه » رقم ( ٤٠٤٢ ) .

عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامر قال : صَلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمانين سنين ، كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني<sup>(١)</sup> أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » . قال : فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

ورواه البخاري في مواضع أخر ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي<sup>(٢)</sup> ، من حديث يزيد بن أبي حبيب به نحوه .

وقال الأموي : حدثني أبي ، ثنا الحسن بن عمار ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : قالت عائشة : خرجنا من السحر مخرج رسول الله ﷺ إلى أحد نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجل محتجراً ينشد<sup>(٣)</sup> ويقول :

« لبث قليلاً يشهد<sup>(٤)</sup> الهيجا حمل »

قالت : فنظرنا فإذا أسيد بن حضير ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعير قد أقبل ، عليه امرأة بين وسقين . قالت : فدنونا منها ، فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله ﷺ واتخذ من المؤمنين شهداء ، ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْإِثْمِ خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخي وزوجي .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه<sup>(٦)</sup> ، وكان أخاها لأبيها وأمتها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام : « القها فأرجعها ؛ لا ترى ما بأخيها » . فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله ﷺ يأمر أن ترجعي . قالت : ولم وقد بلغني أنه مثل بأخي ، وذلك في الله ؟! فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحتسبن ولاصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك ، قال : « خل سبيلها » . فأتته فنظرت إليه ، وصلت عليه ، واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ، ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش - وأمه

(١) في ( آ ) : « ولكن » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٣٤٤ ) و ( ٣٥٩٦ ) و ( ٤٠٨٥ ) و ( ٦٤٢٦ ) و ( ٦٥٩٠ ) ومسلم رقم ( ٢٢٩٦ ) وأبو داود رقم ( ٣٢٢٣ ) و ( ٣٢٢٤ ) والنسائي رقم ( ١٩٥٣ ) .

(٣) في ( ط ) : « يشتد » والمثل في « معجم الأمثال العربية » لصديقي وزميلي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ( ٩٦ / ٤ ) ومصادره مذكورة فيه .

(٤) في « معجم الأمثال العربية » : « يلحق » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٧ / ٢ ) .

(٦) يعني إلى حمزة رضي الله عنه وأرضاه .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٧ / ٢ ) وقد ذكر الخبر باختصار .

أُميمة بنت عبد المطلب - وكان قد مُثِّل به ، غير أنه لم يقرر عن كبده ، رضي الله عنهما .

قال السَّهْلِيُّ<sup>(١)</sup> : وكان يقال له : المجدِّع في الله . قال : وذكر سعدٌ أنه هو وعبد الله بن جحشٍ دعوا بدعوةٍ فاستجيب لهما ؛ فدعا سعدٌ أن يلقي فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه ، فكان ذلك ، ودعا عبد الله بن جحشٍ أن يلقاه فارسٌ فيقتله ويجدع أنفه في الله . فكان ذلك .

وذكر الزُّبَيْر بن بَكَّارٍ أن سيفه يومئذٍ انقطع ، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجوناً<sup>(٢)</sup> ، فصار في يد عبد الله بن جحشٍ سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمئتي دينارٍ . وهذا كما تقدَّم لعكاشة في يوم بدرٍ .

وقد تقدَّم في « صحيح البخاري » أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد ، وإنما أرخص لهم في ذلك ؛ لما بالمسلمين من الجراح التي يشقَّ معها أن يحفروا لكل واحدٍ واحداً ، ويقدم في اللحد أكثرهما أخذاً للقرآن ، وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرام ، والد جابر ، وبين عمرو بن الجموح ؛ لأنهما كانا متصاحبين ، ولم يغسلوا<sup>(٣)</sup> ، بل تركهم بجراحهم ودمائهم ، كما روى ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> ، عن الزَّهْرِيِّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن ضَعِيرٍ ، أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أحدٍ قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دمٍ ، والريح ريح مسكٍ » . قال : وحدثني عمي موسى بن يسارٍ ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : « ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون الدَّم ، والريح ريح المسك » . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : ثنا علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحدٍ بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود ، وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

ورواه أبو داود وابن ماجه<sup>(٧)</sup> من حديث علي بن عاصمٍ به .

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٤٤ / ٦ ) .

(٢) جاء في « مختار الصحاح » ( عرجن ) : « العرجون : أصل العذق الذي يَغُوجُ ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً » .

(٣) يعني الشهداء جميعاً .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٨ / ٢ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٢٣٧ ) و ( ٢٨٠٣ ) و ( ٥٥٣٣ ) ومسلم رقم ( ١٨٧٦ ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٤٧ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٧) رواه أبو داود رقم ( ٣١٣٤ ) وابن ماجه رقم ( ١٥١٥ ) ، وإسناده ضعيف .

وقال الإمام أبو داود في «سننه»<sup>(١)</sup> : حدثنا القعنبي ، أن سليمان بن المغيرة حدثهم ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقالوا : قد أصابنا قرح وجهد ، فكيف تأمرنا ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد<sup>(٢)</sup> » . قيل : يا رسول الله ، فأيهم يقدم ؟ قال : « أكثرهم قرآناً » .

ثم رواه<sup>(٣)</sup> من حديث الثوري ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن هشام بن عامر ، فذكره ، وزاد : « وأعمقوا » .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلهم إلى المدينة فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : « ادفنهم حيث صرعو » .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا علي بن إسحاق ، ثنا عبد الله وعتاب ، أنا عبد الله ، أنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدني ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحد ، فأرسلني<sup>(٦)</sup> أخواتي إليه بناضح لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أبك على هذا الجمل ، فادفنه في مقبرة بني سلمة . قال : فجئته وأعوان لي ، فبلغ ذلك نبي الله ﷺ وهو جالسٌ بأحد ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته » فدفن مع أصحابه بأحد ، تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيس ، عن نبيح ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحد حملوا من مكانهم ، فنادى منادي النبي ﷺ أن ردّوا القتلى إلى مضاجعهم . وقد رواه أبو داود والنسائي<sup>(٨)</sup> من حديث الثوري ، والترمذي من حديث شعبة<sup>(٩)</sup> ، والنسائي أيضاً وابن ماجه<sup>(١٠)</sup> من حديث سفیان بن عيينة ، كلهم عن الأسود بن قيس به .

وقال أحمد<sup>(١١)</sup> : ثنا عفان ثنا أبو عوانة ، ثنا الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي<sup>(١٢)</sup> ، عن جابر بن

- 
- (١) رقم ( ٣٢١٥ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (٢) لفظ « الواحد » لم يرد في « سنن أبي داود » .
  - (٣) في « سننه » رقم ( ٣٢١٦ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٨ / ٢ ) .
  - (٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٩٦ / ٣ ) ، وإسناده ضعيف .
  - (٦) في ( ط ) : « فأرسلني » .
  - (٧) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٧ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (٨) رواه أبو داود رقم ( ٣١٦٥ ) والنسائي رقم ( ٢٠٠٤ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (٩) رواه الترمذي رقم ( ١٧١٧ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (١٠) رواه النسائي رقم ( ٢٠٠٣ ) وابن ماجه رقم ( ١٥١٦ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (١١) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٩٧ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .
  - (١٢) في ( ط ) : « .. كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي ... » .

عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين ليقاتلهم ، وقال لي أبي عبد الله : يا جابر ، لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة ، حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإني والله لولا أنني أترك بناتي لي بعدي ، لأحببت أن تقتل بين يدي . قال : فبينما أنا في النظارين ، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي ، عادلتهمما على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجلٌ ينادي : ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت . فرجعنا بهما ، فدفنأهما حيث قتلا ، فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، إذ جاءني رجلٌ فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمال معاوية ، فبدا فخرج طائفةً منه . فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته ، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل ، أو القتل . ثم ساق الإمام أحمد قصة وفاته دين أبيه ، كما هو ثابتٌ في « الصحيحين »<sup>(١)</sup>

وروى البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد ، بعد أربعين سنة ، استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصاب المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً .

وفي رواية ابن إسحاق ، عن جابر قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس .

وذكر الواقدي<sup>(٣)</sup> ، أن معاوية لما أراد أن يجري العين ، نادى مناديه : من كان له قتيلٌ بأحدٍ فليشهد . قال جابر : فحفرنا عنهم ، فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائمٌ على هيئته ، ووجدت جاره في قبره عمرو بن الجموح ، ويده على جرحه فأزيلت عنه ، فانبعث جرحه دماً . ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك ، رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا .

وقد قال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا مسدد ، ثنا بشر بن المفضل ، ثنا حسين المعلم ، عن عطاء ، عن جابر قال : لما حضر أحد ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبي ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك ، غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن علي ديناً فاقض ، واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا فكان أول قتيلٍ ، فدفنت معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته ، هنيئة غير أذنه .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر أنه لما قتل أبوه ،

(١) هو في « صحيح البخاري » رقم ( ٢١٢٧ ) و ( ٢٣٩٥ ) و ( ٢٣٩٦ ) و ( ٤٠٥٣ ) ولم نجده في « صحيح مسلم » بهذا اللفظ .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٩١ / ٣ ) وليس عنده جملة « بعد أربعين سنة » .

(٣) انظر « المغازي » ( ٢٦٧ / ١ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ١٣٥١ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤٠٨٠ ) تعليقاً ، وموصولاً رقم ( ١٢٤٤ ) ومسلم رقم ( ٢٤٧١ ) ( ١٣٠ ) .

جعل يكشف عنه الثوب ويبكي ، فنهاه الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه »<sup>(١)</sup>

وفي رواية ، أن عمته هي الباكية .

وقال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا فيض بن وثيق البصري ، حدثنا أبو عبادة الأنصاري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجابر : « يا جابر ، ألا أبشرك ؟ » قال : بلى ، بشرك الله بالخير . فقال : « أشعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمنّ عليّ عبي ما شئت أعطكه . قال : يارب ، ما عبدتك حقّ عبادتك ، أتمنّى عليك أن تردني إلى الدنيا ، فأقتل مع نبيك ، وأقتل فيك مرة أخرى . قال : إنه قد سلف مني أنه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الإسفراييني ، ثنا أبو سهل بشر بن أحمد ، أنا أحمد بن الحسين بن نصر ، ثنا علي بن المديني ، حدثنا موسى بن إبراهيم [ بن كثير ] بن بشير بن الفاكه الأنصاري ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصّمة الأنصاري ثم السلمي قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إليّ رسول الله ﷺ فقال : « مالي أراك مهتماً ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، قتل أبي ، وترك ديناً وعيلاً . فقال : « ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً ، وقال له يا عبي ، سلني أعطك . فقال : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً . فقال : إنه قد سبق مني [ القول ] إنهم إليها لا يرجعون . قال : يارب ، فأبلغ من ورائي » .  
فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية [ آل عمران : ١٦٩ ] .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، سمعت جابراً يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أبشرك يا جابر ؟ » قال : قلت : بلى . قال : « إن أباك حيث أصيب بأحد ، أحياء الله ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي ربّ ، أحبّ أن تردني إلى الدنيا ، فأقتل فيك ، فأقتل مرة أخرى » .

وقد رواه أحمد<sup>(٥)</sup> ، عن علي بن المديني ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن علي بن ربيعة السلمي ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، وزاد : فقال الله : « إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون » .

(١) هي عند البخاري رقم ( ١٢٤٤ ) وعند مسلم رقم ( ٢٤٧١ ) ( ١٢٩ ) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٢٩٨ / ٣ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٢٩٨ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٢٠ / ٢ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٣٦١ ) ، وإسناده حسن .



وقال أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إذا ذكر أصحاب أحد : « أما والله لو ددت أني غودرت مع أصحاب نحس الجبل » . يعني سفح الجبل ، تفرد به أحمد .

وقد روى البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهب ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرَّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه ، فدعا له ثم قرأ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [ الأحزاب : ٢٣ ] . قال : « أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزورهم ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة ؛ إلا ردوا عليه » . وهذا حديث غريب ، وروي عن عبيد بن عمير مرسلًا .

وروى البيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث موسى بن يعقوب ، عن عباد بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشعب<sup>(٤)</sup> قال : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » . ثم كان أبو بكر بعد النبي ﷺ يفعلُه ، وكان عمر بعد أبي بكر يفعلُه ، وكان عثمان بعد عمر يفعلُه .

قال الواقدي<sup>(٥)</sup> : كان النبي ﷺ يزورهم كلِّ حولٍ ، [ فإذا تفوَّه ]<sup>(٦)</sup> الشعب يقول : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » . ثم كان أبو بكر يفعل ذلك كلِّ حولٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم ، فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعدٌ يسلم ، ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلمون على قوم يردون عليكم . ثم حكي زيارتهم ، عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وعبد الله ابن عمر ، وأم سلمة ، رضي الله عنهم .

وقال ابن أبي الدنيا<sup>(٧)</sup> : حدثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافع ، ثنا العطاء بن خالد ، حدثني خالتي قالت : ركبْتُ يوماً إلى قبور الشهداء - وكانت لا تزال تأتيهم - فنزلت عند حمزة ، فصلَّيت ما شاء الله أن أصلي ، وما في الوادي داع ولا مجيب ، إلا غلاماً قائماً أخذاً برأس دابتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : السلام عليكم . قالت : فسمعت ردَّ السلام عليَّ يخرج من تحت الأرض ،

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٣٧٥ ) ، وإسناده حسن .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٢٨٤ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٠٦ ) .

(٤) أي : جانبه .

(٥) انظر « المغازي » ( ١ / ٣١٣ ) .

(٦) في ( ط ) فإذا بلغ نقرة .

(٧) في كتابه « من عاش بعد الموت » ص ( ٤٠ ) .

أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني ، وكما أعرف الليل من النهار ، فاقشعرت كل شعرة مني .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلمهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق ؛ لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهّدوا في الجهاد ؟ فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم » . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

وروى مسلم والبيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم كطير خضر<sup>(٣)</sup> ، تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش » . قال : « فبينما هم كذلك ، إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : سلوني ما شئتم . فقالوا : يا ربنا ، وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا ؟ ! فلما رأوا أن لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا ، نقتل في سبيلك » . قال : « فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا » .

## فصل

### في عدد الشهداء

قال موسى بن عقبة<sup>(٤)</sup> : جميع من استشهد يوم أحد من المهاجرين والأنصار ، تسعة وأربعون رجلاً . وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاري<sup>(٥)</sup> عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً ، فالله أعلم .

وقال قتادة ، عن أنس<sup>(٦)</sup> : قتل من الأنصار يوم أحد سبعون<sup>(٧)</sup> ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون .

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١١٩ / ٢ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٨٨٧ ) والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣٠٣ / ٣ ) واللفظ له .

(٣) في ( ط ) : « أرواحهم في جوف طير خضر » .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٨٠ / ٣ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٣٩٨٦ ) .

(٦) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٠٧٨ ) .

(٧) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص ( ١٥٠ ) .

وقال حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنسٍ أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحد ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالك<sup>(١)</sup> ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيّب : قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ، ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيد سبعون . وهكذا قال عكرمة ، وعروة ، والزهرى ، ومحمد بن إسحاق ، في قتلى أحد . ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ﴾ [آل عمران : ١٦٥] أي يعني أنهم قتلوا يوم بدر سبعين وأسرُوا سبعين .

وعن ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : قتل من الأنصار يوم أحد خمسة وستون ، أربعة من المهاجرين ؛ حمزة ، وعبد الله بن جحش ، ومصعب بن عمير ، وشمّاس بن عثمان ، والباقون من الأنصار ، وسرد أسماءهم على قبائلهم ، وقد استدرك عليه ابن هشام زيادةً على ذلك خمسة آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشام ، وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحد أربعة - أو قال : سبعة - وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعة وأربعون .

قال موسى : وقتل من المشركين يومئذ ستة عشر رجلاً . وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الزبيعي<sup>(٣)</sup> ، عن الشافعي : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي ، وقد كان في الأسارى يوم بدر ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ بلا فدية ، واشترط عليه ألاّ يقاتله ، فلمّا أسر يوم أحد قال : يا محمد ، امنن عليّ لبناتي ، وأعاهد أن لا أقاتلك . فقال له رسول الله ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك بمكّة ، وتقول : خدعت محمداً مرتين » . ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذ قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين » .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس ونعي إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٨٧ / ٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٢٦ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٨٠ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٨ / ٢ ) .

وولولت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لمكان » . لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه<sup>(١)</sup> : ثنا محمد بن يحيى ، ثنا إسحاق بن محمد الفزوي ، ثنا عبد الله بن عمر ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحش ، عن أبيه ، عن حمزة بنت جحش أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت : رحمه الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . قالوا : قتل زوجك . قالت : واحزنه . فقال رسول الله ﷺ : « إن للزوج من المرأة لشعبة ، ما هي لشيء ! »

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوها لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحيين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

قال ابن هشام : الجلل يكون من القليل ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل .

قال امرؤ القيس<sup>(٣)</sup> : [ من المتقارب ]

لقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء خلاه جلل

أي : صغير وقليل .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » . وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة » .

وقال موسى بن عقبة في موضع آخر : ولما رأى رسول الله ﷺ سيف عليٍّ مخضباً بالدماء قال : « لئن كنت أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، والحارث بن الصمة ، وسهل بن حنيف » .

وروى البيهقي<sup>(٥)</sup> ، عن سفیان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد وقد انحنى فقال لفاطمة : هاك السيف حميداً ؛ فإنها قد شفتني .

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ١٥٩٠ ) وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٩ / ٢ ) .

(٣) انظر « ديوانه » ص ( ٢٦١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٠ / ٢ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٢٨٣ / ٣ ) .

فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيف ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت ، والحارث بن الصمة » .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقار .

قال : وحدثني بعض أهل العلم ، عن ابن أبي نجيح قال : نادى مناد يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي<sup>(٢)</sup> .

قال : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « لا يصيب المشركون منّا مثلها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ومّر رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ، فبكى ثم قال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . فلما رجع سعد بن معاذ ، وأسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل ، أمرا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ .

فحدثني<sup>(٤)</sup> حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن » . قال : ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح . فيما قال ابن هشام . وهذا الذي ذكره ابن إسحاق منقطع ، ومنه مرسل .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : ثنا زيد بن الحباب ، حدثني أسامة بن زيد ، حدثني نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحد ، فجعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكنّ حمزة لا بواكي له » . قال : ثم نام فاستنبه ، وهنّ يبكين ، قال : « فهنّ اليوم إذا يبكين يندبن حمزة ؟ ! » . وهذا على شرط مسلم<sup>(٥)</sup> .

وقد رواه ابن ماجه<sup>(٦)</sup> ، عن هارون بن سعيد ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد الليثي ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلكاهنّ يوم أحد ، فقال رسول الله ﷺ :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٠ / ٢ ) .

(٢) قوله ﷺ : « ولا فتى إلا عليّ » سقط من ( ط ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٩٩ / ٢ ) .

(٤) القائل ابن إسحاق .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٠ / ٢ ) ، قال ابن القطان الفاسي عن أسامة بن زيد الليثي لم يحتج به مسلم إنما أخرج له استشهاده ، والحديث حسن .

(٦) رواه ابن ماجه رقم ( ١٥٩١ ) ، وهو حديث حسن .

« لكن حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويجهن ! ما انقلب بعد ؟ ! مروهن فليقلبن ، ولا يبكين على هالك بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقة المدينة ، إذا النوح والبكاء في الدور ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم . فقال : « لكن حمزة لا بواكي له » . واستغفر له ، فسمع ذلك سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن رواحة ، فمشوا إلى دورهم ، فجمعوا كل نائحة وباكية كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبي ﷺ ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا ؟ » فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم ، وقال لهم خيراً ، وقال : « ما هذا أردت ، وما أحب البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

قال موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> : وأخذ المنافقون ، عند بكاء المسلمين ، في المكر والتفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين ، وظهر غش اليهود ، وفارت المدينة بالتفاق فور الرجل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنه طالب ملك ؛ تكون له الدولة وعليه . وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم . فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق ، وتعزية المسلمين ؛ يعني فيمن قتل منهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (ال عمران - ١٢١) الآيات كلها ، كما تكلمنا على ذلك في « التفسير »<sup>(٢)</sup> والله الحمد والمنة .

## ذكر

خروج النبي ﷺ بأصحابه ، على ما بهم من القرح والجراح ،  
في أثر أبي سفيان ؛ إرهاباً له ولأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد<sup>(٣)</sup>  
وهي على ثمانية أميال من المدينة

قال موسى بن عقبة<sup>(٤)</sup> بعد اقتصاصه وقعة أحد وذكره رجوعه ، عليه الصلاة والسلام ، إلى المدينة :

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢١٦/٣ ) .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٩٠/٢ ) وما بعدها ، و ( ٦٩/٤ ) وما بعدها .

(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص ( ١١٩ - ١٢٠ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١٧/٣ ) .

وقدم رجلٌ من أهل مكة على رسول الله ﷺ ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ، فقال : نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ؛ يقول بعضهم لبعض : لم تصنعوا شيئاً ؛ أصبتم شوكة القوم وحدهم ، ثم تركتموهم ، ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوسٌ يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ، وبهم أشدَّ القرَح ، بطلب العدو ؛ ليسمعوا بذلك ، وقال : « لا ينطلقنَّ معي إلّا من شهد القتال » . فقال عبد الله بن أبي : أنا راكبٌ معك . فقال : « لا » . فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء ، فانطلقوا ، فقال الله في كتابه العزيز : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [ آل عمران : ١٧٢ ] .

قال : وأذن رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته . قال : وطلب رسول الله ﷺ العدو حتى بلغ حمراء الأسد .

وهكذا روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواء .

وقال محمد بن إسحاق في « مغازيه » : وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذّن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه ألا يخرج أحدٌ إلّا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله ، فأذن له .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله<sup>(٢)</sup> : فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريحٌ ثقيلٌ ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عقبه ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن هشام : وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصيح لرسول الله ﷺ بتهامة ، صفقهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠١ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠١ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠١ / ٢ - ١٠٢ ) .

يومئذٍ مشركٌ ، مَرَّ برسول الله ﷺ وهو مقيمٌ بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حربٍ ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدَّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟! لنكرَّزَ على بقيتهم فلنفرغَ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه ، يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطُّ ؛ يتحرَّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيءٌ لم أر مثله قطُّ . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرَّةَ عليهم ؛ لنستأصل شأفتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعرٍ . قال : وما قلتُ ؟ قال : قلتُ <sup>(١)</sup> : [ من البسيط ]

كادت تهذَّ من الأصوات راحلتي	إذ سالت الأرض بالجرَد الأبايل
تردي بأسدٍ كرام لا تنابله	عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل
فظلت عدواً أظنَّ الأرض مائلةً	لما سموا برئيسٍ غير مخذول
فقلت : ويل ابن حربٍ من لقاءكم	إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إني نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةٌ	لكلِّ ذي إربةٍ منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخشٍ قنابله <sup>(٢)</sup>	وليس يُوصف ما أنذرت بالقليل

قال : فتنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلغون عني محمدًا رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمِّل لكم هذه غداً زيباً بعكاظٍ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه ، فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فمرَّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وكذا قال الحسن البصري .

وقد قال البخاري <sup>(٣)</sup> : ثنا أحمد بن يونس - أراه قال : - ثنا أبو بكرٍ ، عن أبي حصينٍ ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباسٍ : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ . قالها إبراهيم ، عليه السلام ، حين أُلقي في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [ آل عمران : ١٧٣ ] تفرد بروايته البخاري .

وقد قال البخاري <sup>(٤)</sup> : حدَّثنا محمد بن سلامٍ ، حدَّثنا أبو معاوية ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ،

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (١٠٣/٢) .

(٢) في « السيرة النبوية » : لابن هشام « تنابلة » .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٥٦٣ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٠٧٧ ) .



رضي الله عنها ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢] . قالت لعروة : يابن أختي ، كان أبواك منهم ؛ الزبير ، وأبو بكر ، رضي الله عنهما ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ، فقال : « من يذهب في إثرهم ؟ » فانتدب منهم سبعون رجلاً ، فيهم أبو بكر والزبير . هكذا رواه البخاري .

وقد رواه مسلمٌ مختصراً<sup>(١)</sup> من أوجه ، عن هشام .

وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي جميعاً ، عن سفيان بن عيينة<sup>(٢)</sup>

وأخرجه ابن ماجه<sup>(٣)</sup> من طريقه ، عن هشام بن عروة به .

ورواه الحاكم في « مستدركه »<sup>(٤)</sup> من طريق أبي سعيد المؤدب ، عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث البهي ، عن عروة ، وقال في كل منهما : صحيح ، ولم يخرجاه . كذا قال .

وهذا السياق غريب جداً ؛ فإن المشهور عند أصحاب المغازي ، أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً ، وكانوا سبعمئة ، كما تقدم ، قتل منهم سبعون ، وبقي الباقون .

وقد روى ابن جرير<sup>(٥)</sup> من طريق العوفي ، عن ابن عباس قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرعب يوم أحد ، بعد الذي كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدمون في ذي القعدة المدينة ، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المسلمين القرح ، واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، واشتد عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله ﷺ نذب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين ، وقال : « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ، ولا يقدرون على مثلها حتى عام قابل » . فجاء الشيطان يخوف أوليائه ، فقال : إن الناس قد جمعوا لكم . فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، فقال : « إني ذاهب » ، وإن لم يتبعني أحد . فانتدب معه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصفراء ، فأنزل الله : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذا غريب أيضاً .

وقال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : ثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع إلى

(١) رقم ( ٢٤١٨ ) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في « سننه » ( ١١٢٥ / ٣ ) والحميدي في « مسنده » ( ٢٦٣ ) .

(٣) رواه ابن ماجه رقم ( ١٢٤ ) .

(٤) ( ٢٩٨ / ٢ ) و ( ٢٩ / ٣ ) .

(٥) انظر « تفسير الطبري » ( ١٧٧ / ٤ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٤ / ٢ ) .

المدينة ، فقال لهم صفوان بن أمية : لا تفعلوا ؛ فإن القوم قد حربوا<sup>(١)</sup> ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غيرُ الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا ، فقال النبي ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُومت لهم حجارةٌ ، لو صبَّحوا بها لكانوا كأمس الذهاب » . قال : وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، جدَّ عبد الملك بن مروان لأُمِّه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحي ، وكان رسول الله ﷺ قد أسره ببدرٍ ثم منَّ عليه ، فقال : يا رسول الله ، أ قلني . فقال : « لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير » . فضرب عنقه .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وبلغني عن ابن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » . فضرب عنقه .

وذكر ابن هشام<sup>(٣)</sup> أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمار بن ياسر ، وقال : « ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه » . ففعلا ، رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أبيي ، كما حدَّثني الزهري ، له مقامٌ يقومه كلَّ جمعةٍ ، لا ينكر له ، شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، وهو يخطب الناس ، قال فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ، ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس أي عدوَّ الله ، والله لست لذلك بأهلٍ ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدَّ أمره . فلقية رجالاً من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك ، ما لك ؟ قال : قمت أشدَّ أمره فوثب إليَّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدَّ أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> ما نزل من القرآن في قصة أحدٍ من سورة « آل عمران » ، من عند قوله : ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] . قال : إلى تمام ستين آيةً . وتكلم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير » بما فيه كفايةً . ثم شرع ابن إسحاق في

(١) أي : اشتد غضبهم . انظر « لسان العرب » ( حرب ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٤ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٤ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٥ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٠٦ / ٢ ) .

ذكر شهداء أحد، وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم، كما جرت عادته، فذكر من المهاجرين أربعة؛ حمزة، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وشماس بن عثمان، رضي الله عنهم، ومن الأنصار إلى تمام خمسة وستين رجلاً، واستدرك عليه ابن هشام خمسة آخرين، فصاروا سبعين على قول ابن هشام، ثم سمى ابن إسحاق من قتل من المشركين، وهم اثنان وعشرون رجلاً، على قبائلهم أيضاً. قلت: ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي، كما ذكره الشافعي وغيره، وقتله رسول الله ﷺ ضيراً بين يديه؛ أمر الزبير - ويقال: عاصم بن ثابت بن أبي الألقح - فضرب عنقه.

### فصل

#### فيما تقاoul به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار

وإنما نورد شعر الكفار لندكر جوابها من شعر الإسلام<sup>(١)</sup> ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام، وأقطع لشبهة الكفرة<sup>(٢)</sup> الطغام.

قال الإمام محمد بن إسحاق، رحمه الله: وكان مما قيل من الشعر يوم أحد، قول هُبيرة بن أبي وهب المخزومي - وهو على دين قومه من قريش - : [من البسيط]

ما بال هم عميد بات يطرقني	بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعدلني	والحرب قد شغلت عني موالها
مهلاً فلا تعدليني إن من خلقي	ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا	حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشرف	ساط سبوح إذا يجري يُباريها
كأنه إذ جرى غير بفدفة	مكدم لاحق بالعون يحميها
من آل أعوج يرتاح الندي له	كجذع شعراء مستعل مراقبها
أعدته ورقاق الحد متخلاً	ومارناً لخطوب قد ألقاها
هذا وبيضاء مثل النهي محكمة	نيطت علي فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمن	عرض البلاد على ما كان يزجها
قالت كنانة: أتى تذهبون بنا	قلنا: النخيل، فأقموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر <sup>(٣)</sup> من أحد	هابت معد فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضرباً وطعناً صادقاً خذماً	مما يرون وقد ضمت قواصيها

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١٢٩/٢).

(٢) في (آ): «الكفار» وأثبت لفظ (ط).

(٣) الجر: أصل الجبل.

ثَمَّتَ رَحْنًا كَأَنَّا عَارِضٌ بِرْدٌ  
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعْيِ فَلَقٌ  
أَوْ حَنْظَلٌ ذَعْدَعْتَهُ الرِّيحُ فِي غَصَنِ  
قَدْ نَبَذَ الْمَالَ سَحًا لَا حِسَابَ لَهُ  
وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارِهَا  
وَلَيْلَةٌ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةِ  
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ  
أَوْ قَدْتُ فِيهَا لِذِي الضَّرَاءِ جَاحِمَةً  
أَوْ رَثْنِي ذَاكُمُ عَمْرُو وَوَالِدِهِ  
كَانُوا يَبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا  
وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَارِ يَبْكِيهَا  
مَنْ قِيضَ رُبْدٍ نَفْتِهِ عَنْ أَدَاحِيهَا  
بِالِ تَعَاوَرِهِ مِنْهَا سَوَافِيهَا  
وَنَطَعُنُ الْخَيْلَ شِزْرًا فِي مَآقِيهَا  
يَخْتَصُّ بِالنَّقَرِ الْمَثْرِينَ دَاعِيهَا  
جَرَبَى جُمَادِيَّةً قَدْ بَثَّ أَسْرِيهَا  
مَنْ الْقَرِيسَ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيهَا  
كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةِ الْأَرْكَانِ أَحْمِيهَا  
مَنْ قَبْلَهُ كَانَ بِالْمَثْنِيِّ يَغَالِيهَا  
دَنَّتْ عَنِ السَّوَرَةِ الْعَلِيَا مَسَاعِيهَا

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فأجابه حسان بن ثابت ، رضي الله عنه ، فقال - قال ابن هشام : وتروى لكعب بن مالك ولغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر ، والله أعلم - : [ من البسيط ]

سَقَمْتُ كَنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ  
أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً  
جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلَا حِسَبٍ  
أَلَّا اعْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ  
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَنَّاهُ بِلَا ثَمَنِ  
إِلَى الرَّسُولِ فَجَنَدَ اللَّهُ مَخْزِيهَا  
فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالْقَتْلُ لَاقِيهَا  
أَثْمَةُ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا  
أَهْلُ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَاهُ فِيهَا  
وَجَزَّ نَاصِيَةً كُنَّا مَوَالِيهَا

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال كعب بن مالك ، يجيب هُبَيْرَةَ بْنَ أَبِي وَهَبٍ الْمَخْزُومِيَّ أَيْضًا : [ من الطويل ]

أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَا وَدُونَهُمْ  
صَحَارٍ وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا  
تَظَلَّ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسَ رَزْحًا  
بِهِ جَيْفُ الْحَسْرِ يَلُوحُ صَلِيهَا  
بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً  
مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ  
وَكُلِّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا  
مِنْ الْأَرْضِ خَرَقَ سِيرَهُ مَتْنَعُ  
مَنْ الْبَعْدُ نَقَعُ هَامِدٌ مَتَقَطَّعُ  
وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السِّنِينَ فَيَمْرَعُ  
كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعُ  
وَيَبِضُ نَعَامُ قِيْضِهِ يَتَفَلَّعُ  
مَذْرَبَةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ  
إِذَا لَبَسَتْ نَهْيٌ مِنَ الْمَاءِ مَتْرَعُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٣١ / ٢ ) والأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ١٦٦ / ١ ) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٣٢ / ٢ ) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص ( ١٨٠ - ١٨٥ ) .

ولكن بيدر سائلوا من لقيتم  
وإنّا بأرض الخوف لو كان أهلها  
إذا جاء منا راكبٌ كان قوله  
فمهما يهّم الناس مما يكيّدنا  
فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ  
نجالد لا تبقى علينا قبيلةٌ  
ولما ابتنوا بالعرض قالت سراتنا  
وفينا رسول الله نتبع أمره  
تدلّى عليه الرّوح من عند ربّه  
نشاوره فيما نريد وقصرنا  
وقال رسول الله لما بدوا لنا  
وكونوا كمن يشري الحياة تقرباً  
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا  
فسرنا إليهم جهرة في رحالهم  
بملمومة فيها السّنور والقنا  
فجئنا إلى موج من البحر وسطه  
ثلاثة آلاف ونحن نصيّة  
نغاورهم تجري المنيّة بيننا  
تهادى قسي النّبع فينا وفيهم  
ومنجوفة جرّميّة صاعديّة  
تصوب بأبدان الرّجال وتارة  
وخيلٌ تراها بالفضاء كأنّها  
فلما تلاقينا ودارت بنا الرّحا  
ضربناهم حتى تركنا سراتهم  
كدنّ غدوة حتى استفقنا عشيّة  
وراحوا سراعاً موجعين كأنهم  
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا  
فلننا ونال القوم منا وربما  
ودارت رحانا واستدارت رحاهم  
ونحن أناس لا نرى القتل سبةً

من النّاس والأنباء بالغيب تنفع  
سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا  
أعدّوا لما يزجي ابن حرب ويجمع  
فنحن له من سائر الناس أوسع  
بريّة قد أعطوا يداً وتوزّعوا  
من الناس إلا أن يهابوا ويفظّعوا  
علام إذا لم نمنع العرض نزرع  
إذا قال فينا القول لا نتطّلع  
ينزل من جوّ السماء ويرفع  
إذا ما انتهى أنا نطيع ونسمع  
ذروا عنكم هول المنيّات واطمعوا  
إلى ملكٍ يحيا لديه ويرجع  
على الله إنّ الأمر لله أجمع  
ضحياً علينا البيض لا نتخشّع  
إذا ضربوا أقدامها لا توزّع  
أحايش منهم حاسرٌ ومقنّع  
ثلاث مئتين إن كثرنا وأربع  
نشارعهم حوض المنايا ونشرع  
وما هو إلّا الثّربيّ المقطّع  
يذرّ عليها السّم ساعة تصنع  
تمرّ بأعراض البصار تققع  
جراد صباً في قرة يتريّع  
وليس لأمرٍ حمّه الله مدفع  
كأنهم بالقاع خُشبٌ مُصَرّع  
كأن ذكانا حرّ نارٍ تلقّع  
جهامٌ هراقت ماءه الريح مقلع  
أسودّ على لحم بيّشة ظلّع  
فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع  
وقد جعلوا كلّ من الشّرّ يشبع  
على كلّ من يحمي الدّمار ويمنع

جلاذٌ على ريب الحوادث لا نرى  
بنو الحرب لا نعيًا بشيء نقوله  
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفُحشٍ  
وكنّا شهاباً يتقي الناس حرّه  
فخرت عليّ ابن الزّبرى وقد سرى  
فسل عنك في عليا معدّ وغيرها  
ومن هو لم يترك له الحرب مفخرًا  
شددنا بحول الله والنصر شدةً  
تكرّ القنا فيكم كأن فروعها  
عمدنا إلى أهل اللّواء ومن يطر  
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا

على هالكٍ عينا لنا الدّهر تدمع  
ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع  
ولا نحن من أظفارها نتوجّع  
ويفرج عنه من يليه ويسفع  
لكم طلبٌ من آخر الليل متبع  
من الناس من أخزى مقاماً وأشنّع  
ومن خدّه يوم الكريهة أضرع  
عليكم وأطراف الأسنة شرّع  
عزالي مزادٍ ماؤها يتهزّع  
بذكر اللّواء فهو في الحمد أسرع  
أبى الله إلّا أمره وهو أصنع

[ قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال عبد الله بن الزّبرى في يوم أحد ، وهو يومئذٍ مشركٌ بعد : [ من الرمل ]

يا غُرَابَ البينِ أسمعَتْ فُقلُ  
إنّ للخير وللشرّ مدى  
والعطيات خساسٌ بينهم  
كلّ عيشٍ ونعيم زائلُ  
أبلغنّ حسان عني آيةً  
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ  
وسراييلَ حسانٍ سريت  
كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ  
صادق النّجدة قرمٍ بارعٍ  
فسل المهراس ما ساكنه  
ليت أشياخي بيدرٍ شهدوا  
حين حكّت بقباء بركها  
ثم خفّوا عند ذاكم رُقصاً  
فقتلنا الضّعف من أشرافهم  
لا ألوم النفّس إلّا أنّنا

إنّما تنطقُ شيئاً قد فُعلُ  
وكلا ذلك وجهٌ وقبْلُ  
وسواءٌ قبرٍ مثيرٍ ومقلُ  
وبنات الدّهر يلعبن بكلّ  
فقريض الشّعير يشفي ذا الغُللُ  
وأكفّ قد أترّت ورجلُ  
عن كماءٍ أهلكوا في المتزلّ  
ماجد الجدّين مقدام بطلُ  
غير ملثاثٍ لدى وقع الأسْلُ  
بين أقحافٍ وهام كالْحجلُ  
جزع الخزرج من وقع الأسْلُ  
واستحرّ القتل في عبد الأشْلُ  
رقص الحفّان يعلو في الجبلُ  
وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدلُ  
لو كررنا لفعلنا المفتعلُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٣٦ / ٢ ) والأبيات في « ديوان عبد الله بن الزّبرى » ( ٤١ ) وما بين الحاصرتين سقط من ( آ ) وأثبتته عن ( ط ) و « السيرة النبوية » لابن هشام .

بسيوف الهند تعلو هامهم عللاً تعلوهم بعد نهل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فأجابه حسان بن ثابت ، رضي الله عنه : [ من الرمل ]

ذهبت بابن الزبعرى وقعةً      كان منا الفضل فيها لو عدل  
ولقد نلتهم ولننا منكم      وكذاك الحرب أحياناً دول  
نضعُ الأسياف في أكتافكم      حيث نهوي عللاً بعد نهل  
نخرج الأصبح من أستاذكم      كُسلًا<sup>(٢)</sup> النيب يأكلن العصل  
إذ تولون على أعقابكم      هرباً في الشعب أشباه الرسل  
إذ شددنا شدةً صادقةً      فأجأناكم إلى سفح الجبل  
بخناطيل كأمذاق الملا      من يلاقوه من الناس يهل  
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه      وملانا الفرط منه والرجل<sup>(٣)</sup>  
برجالٍ لستم أمثالهم      أيّدوا جبريل نصرأ فنزل  
وعلونا يوم بدرٍ بالتقى      طاعة الله وتصديق الرسل  
وقتلنا كل رأسٍ منهم      وقتلنا كل جحجاح رفل  
وتركنا في قريش عورةً      يوم بدرٍ وأحاديث المثل  
ورسول الله حقاً شاهداً      يوم بدرٍ والتنايل الهبل  
في قريشٍ من جموعٍ جمّعا      مثل ما يجمع في الخصب الهمل  
نحن لا أمثالكم ولد استها      نحضر البأس إذا البأس نزل

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقال كعبٌ يبيكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحدٍ ، رضي الله عنهم : [ من

المتدرب ]

نشجت وهل لك من منشج      وكنت متى تذكر تلجج  
تذكر قوم أتاني لهم      أحاديث في الزمن الأعوج  
فقلبك من ذكرهم خافق      من الشوق والحزن المنضج  
وقتلاهم في جنان النعيم      كرام المداخل والمخرج  
بما صبروا تحت ظلّ اللواء      لواء الرسول بذى الأضوج

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٣٧/٢ ) والأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٦٧/١ - ٦٨ ) .

(٢) السّلاح بالضم : النّجْو .

(٣) جمع رجلة ، وهي المطمئن من الأرض .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٣٨/٢ ) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص ( ١٥٧ ) -

غداة أجابت بأسيا فها	جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشباع أحمد إذ شايعوا	على الحق ذي النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة	ويمضون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليكٌ	إلى جنة دوحة المولج
كحمزة لمّا وفى صادقاً	بذي هبة صارم سلجج
فكّلهم مات حُرّ البلاء	على ملّة الله لم يخرج
فلاقاه عبد بني نوفلٍ	يربر كالجمال الأدعج
فأوجره حرباً كالشهاب	تلهب في اللهب الموهج
ونعمان أوفى بميثاقه	وحظلة الخير لم يخرج
عن الحق حتى غدت روحه	إلى منزلٍ فاخر الزبرج
أولئك لا من ثوى منكم	من النار في الدرك المرتج

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال حسان بن ثابت يبيكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحد - وهي على روي قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتلى المشركين يوم بدر .

قال ابن هشام : ومن [ أهل العلم بالشعر من ] ينكر هذه لحسان ، والله أعلم - : [ من مجزوء الرجز ]

يا ميّ قومي فاندُبْنُ	بسُحيرة شجو النوائخ
كالحاملات الوقر بالثَقْدُ	لِالملحّات الدّوالخ
المعولات الخامشا	ت وجوه حرّات صحائخ
وكأنّ سيل دموعها الـ	أنصاب تخضب بالذبائخ
ينقضن أشعاراً لهنّ	من هناك بادية المسائخ
وكأنّ لها أذنان خيـ	ل بالضحى شمس روامح
من بين مشزور ومَجْدُ	زور يذعزع بالبوارح
بيكين شجواً مسلّبا	ت كدحتهنّ الكوادح
ولقد أصاب قلوبها	مجلّ له جلبّ قوارح
إذ أقصد الحدثان منـ	كنا نرجي إذ نشايح
أصحاب أخذ غالهم	دهرّ ألمّ له جوارح
من كان فارسنا وحا	ميناً إذا بعث المسالـح
يا حمز لا والله لا	أنساك ما صرّ اللقائـح

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٥١ / ٢ ) والأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ١ / ٤٥٠ - ٤٥٢ ) .



لَمَنَّاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْدَ  
وَلَمَّا يَنْوِبُ الدَّهْرُ فِي  
يَا فَارِساً يَا مَدْرَهَاءَ  
عَنَا شَدِيدَاتِ الْخَطُوبِ  
ذَكَرْتَنِي أَسَدُ الرِّسْوِ  
عَنَا وَكَانَ يَعْدُ إِذْ  
يَعْلُو الْقِمَاقِمُ جَهْرَةً  
لَا طَائِشُ رَعِشُ وَلَا  
بَحْرُ فُلَيْسٍ يَغْبِ جَا  
أُودَى شَبَابٍ أُولَى الْحَفَا  
الْمَطْعَمُونَ إِذَا الْمَشَا  
لَحْمَ الْجِلَادِ وَفُوقَهُ  
لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ  
لَهْفِي لَشِبَانٍ رُزْدِ  
شَمِّ بَطَارِقَةٍ غَطَا  
الْمَشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْأُ  
وَالْجَامِزُونَ بِلِجْمِهِمْ  
مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا  
مَا إِنْ تَزَالَ رِكَابُهُ  
رَاحَتْ تَبَارَى وَهُوَ فِي  
حَتَّى تَوُوبَ لَهُ الْمَعَا  
يَا حَمَزٌ قَدْ أَوْحَدْتَنِي  
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفُوقَكَ التَّ  
مَنْ جَنْدَلٍ يَلْقِيهِ  
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ  
فَعَزَاؤُنَا أَتَا نَقْوِ  
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عُمُ  
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبِكَ عِي  
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ  
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدِي

يَافٍ وَأَرْمَلَةٍ تَلَامَحِ  
حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَهِيَ لَا قُحْ  
يَا حَمَزٌ قَدْ كُنْتَ الْمَصَامِخِ  
إِذَا يَنْوِبُ لَهْنٌ فَادُخِ  
لِوَذَاكَ مَدْرَهْنَا الْمَنَافِخِ  
عَدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِخِ  
سَبَطَ الْيَدَيْنِ أَغْرَ وَاضِحِ  
ذُو عَلَّةٍ بِالْحَمَلِ أَنْخِ  
رَأَى مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادُخِ  
نَظَّ وَالثَّقِيلُونَ الْمَرَاجِحِ  
تِي مَا يَصْفَقُهُنَّ نَاضِحِ  
مَنْ شَحْمُهُ شَطْبٌ شَرَائِحِ  
مَا رَامَ ذُو الضَّغْنِ الْمَكَاشِحِ  
نَاهِمٌ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِخِ  
رَفَةٍ خَضَارْمَةٍ مَسَامِخِ  
مَوَالٍ إِنَّ الْحَمْدَ رَابِخِ  
يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِحِ  
قَرَّ مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحِ  
يَرْسَمُنَ فِي غُبْرِ صَحَاصِحِ  
رَكِبَ صَدُورَهُمْ رَوَاشِحِ  
لِي لَيْسَ مِنْ فَوْزِ السَّفَائِحِ  
كَالْعُودِ شَذَّبَهُ الْكَوَافِحِ  
عَرَبِ الْمَكُورِ وَالصَّفَائِحِ  
فُوقَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِحِ  
بِالتُّرْبِ سَوَّتَهُ الْمَسَاحِ  
لِوَقُولِنَا بَرُخٌ بِوَارِحِ  
مِمَّا أَوْقَعَ الْحَدَثَانِ جَانِحِ  
نَاهٍ لِهَلْكَانَا النَّوَافِحِ  
نِ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَمَادِحِ  
سَهْلُهُ طَوَالَ الدَّهْرِ مَائِحِ

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال كعب بن مالك يبيكي حمزة وأصحابه : [ من الكامل ]

طرقت همومك فالرقاد مسهد  
ودعت فؤادك للهوى ضمريّة  
فدع التّماديّ في الغواية سادراً  
ولقد أنى لك أن تناهى طائعاً  
ولقد هددت لفقد حمزة هدّة  
ولو أنّه فجعت حراء بمثله  
قرمّ تمكّن في ذؤابة هاشم  
والعاقر الكوم الجلال إذا غدت  
والتارك القرن الكميّ مجدلاً  
وتراه يرفل في الحديد كأنه  
عمّ النبيّ محمدٍ وصفيّه  
وأتى المنية معلماً في أسرة  
ولقد إخال بذاك هنداً بشرت  
مما صبحنا بالعقنقل قومها  
وبئر بدرٍ إذ يردّ وجوههم  
حتى رأيت لدى النبيّ سراتهم  
فأقام بالعطن المعطن منهم  
وابن المغيرة قد ضربنا ضربّة  
وأمية الجمحيّ قوم ميله  
فأتاك فلّ المشركين كأنهم  
شتان من هو في جهنّم ثاويّاً

وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد  
فهواك غوريّ وصحوك منجد  
قد كنت في طلب الغواية تفند  
أو تستفيق إذا نهاك المرشد  
ظلت بنات الجوف منها ترعد  
لرأيت راسي صخرها يتبدّد  
حيث النبوة والندى والسؤدد  
ريح يكاد الماء منها يجمد  
يوم الكريهة والقنا يتقصّد  
ذو لبدة شثن البرائن أربد  
ورد الحمام فطاب ذاك المورد  
نصروا النبيّ ومنهم المستشهد  
لتميت داخل غصّة لا تبرد  
يوماً تغيب فيه عنها الأسعد  
جبريل تحت لوائنا ومحمد  
قسمين يقتل من يشاء ويطرّد  
سبعون عتبة منهم والأسود  
فوق الوريد لها رشاش مزبد  
عضبّ بأيدي المؤمنين مهتد  
والخيل تثفّنهم نعام شرّد  
أبدأ ومن هو في الجنان مخلّد

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقال عبد الله بن رواحة يبيكي حمزة وأصحابه يوم أحد - قال ابن هشام :

وأنشدنيها أبو زيد لكعب بن مالك ، فالله أعلم - : [ من الوافر ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٥٥ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٥٦ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ١٦٢ / ٢ ) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص ( ٢٠٠ - ٢٠١ ) .

بكت عيني وحق لها بكاهها  
على أسد الإله غداة قالوا  
أصيب المسلمون به جميعاً  
أبا يعلى لك الأركان هدت  
[ عليك سلام ربك في جنان  
ألا يا هاشم الأخيار صبراً  
رسول الله مصطبّرٌ كريمٌ  
ألا من مبلغ عني لؤيّا  
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا  
نسيتم ضربنا بقليب بدرٍ  
غداة ثوى أبو جهل صريعاً  
وعتبه وابنه خراً جميعاً  
ومتركنا أمية مجلعباً  
وهام بني ربيعة سائلوها  
ألا يا هند فابكي لا تملّي  
ألا يا هند لا تبدي شماتاً

وما يغني البكاء ولا العويلُ  
أحمزة ذاكم الرجل القليل  
هناك وقد أصيب به الرسولُ  
وأنت الماجد البرّ الوصول  
مخالطها نعيمٌ لا يزول [   
فكل فعالكم حسنٌ جميل  
بأمر الله ينطق إذ يقول  
فبعد اليوم دائلةٌ تدول  
وقائنا بها يُشفى الغليل  
غداة أتاكم الموت العجيل  
عليه الطير حائمةٌ تجول  
وشية عضه السيف الصّقل  
وفي حيزومه لدنٌ نبيل  
ففي أسيافنا منها فلول<sup>(١)</sup>  
فأنت الواله العبرى الهبول  
بحمزة إن عزكم ذليلٌ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب - وهي أم الزبير ، عمّة النبي ﷺ ، ورضي الله عنهم أجمعين - : [ من الطويل ]

أسائلة أصحاب أخذ مخافة  
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى  
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة  
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي  
فوالله لا أنساك ما هبت الصّبا  
على أسد الله الذي كان مدرها  
فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي  
أقول وقد أعلى النعيّ عشيرتي

بنات أبي من أعجم وخبير  
وزير رسول الله خير وزير  
إلى جنة يحيا بها وسرور  
لحمزة يوم الحشر خير مصير  
بكاء وحزناً محضري ومسيري  
يزود عن الإسلام كلّ كفور  
لدى أصبغ تعتادني ونسور  
جزى الله خيراً من أخ ونصير

(١) تأخر هذا البيت في (آ) إلى ما بعد البيت الذي بعده .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٦٧ / ٢ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقالت نغم امرأة شماس بن عثمان تبكي زوجها : [ من البسيط ]

يا عين جودي بفيض غير إيساس      على كريم من الفتيان لباس  
صعب البديهة ميمون نقيته      حمال ألوية رگاب أفراس  
أقول لمّا أتى الناعي له جزءاً      أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي  
وقلت لمّا خلت منه مجالسه      لا يعد الله منا قرب شماس

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوع يعزيها فقال : [ من البسيط ]

إقنني حياءك في ستر وفي كرم      فإنما كان شماس من الناس  
لا تقتلي النفس إذ حانت منيته      في طاعة الله يوم الرّوع والباس  
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري      فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ، حين رجعوا من أحد : [ من الطويل ]

رجعتُ وفي نفسي بلابل جمّة      وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي  
من أصحاب بدرٍ من قريشٍ وغيرهم      بني هاشم منهم ومن أهل يثرب  
ولكنني قد نلت شيئاً ولم يكن      كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرة ، تركنا كثيراً منها ، خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفاية ، والله الحمد .

وقد أورد الأمويّ في « مغازيه » من الأشعار أكثر ممّا ذكره ابن إسحاق ، كما جرت عادته ، ولا سيّما هاهنا ، فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابت أنّه قال في غزوة أحد - فالله أعلم - : [ من الرمل ]

طاوَعوا الشيطان إذ أخزاهم      فاستبان الخزي فيهم والفشل  
حين صاحوا صيحةً واحدةً      مع أبي سفيان قالوا اعل هبل  
فأجبناهم جميعاً كلّنا      ربّنا الرحمن أعلى وأجلّ  
أثبتوا نسقكموها مُرّةً      من حياض الموت والموت نهل  
واعلموا أنّا إذا ما نضجت      عن حيال الموت قدرٌ تشتعل

وكأنّ هذه الأبيات قطعة من جوابه لعبد الله بن الزّبيري<sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٦٧/٢ - ١٦٨ ) .

(٢) وقد تقدمت في ص ( ٢٣٦ ) من هذا الجزء .

## آخر الكلام على وقعة أحد

## فصل

قد تقدّم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسرايا ، ومن أشهرها وقعة أحد ، وكانت في النصف من شوالٍ منها ، وقد تقدّم بسطها ، والله الحمد .

وفيهما في أحدٍ توفي شهيداً أبو يعلى ، ويقال : أبو عمارة . أيضاً ؛ حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، الملقّب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبي ﷺ ، هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أَرْضَعْتَهُمْ كُلَّهُمْ ثَوْبِيَّةُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ ، كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه<sup>(٢)</sup> ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل ، رضي الله عنه ، فإنّه كان من الشجعان الأبطال ، ومن الصديقين الكبار ، وقتل معه يومئذٍ تمام السبعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال مصعبُ الزبيريّ : ولد ليعلى بن حمزة خمسة بنين ، كلّهم انقرضوا . وكانت له بنتٌ لها : عُمارة .

قلت : وهي التي تناولها عليّ ، وقال لفاطمة : دونك ابنة عمّك ، فاختصم في حضانتها عليّ وزيد بن حارثة وجعفر ، فقضى بها النبي ﷺ لخالتها امرأة جعفر ، وقال : « الخالة بمنزلة الأم »<sup>(٣)</sup> .

وفيهما عقد عثمان بن عفّان عقده<sup>(٤)</sup> على أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، بعد وفاة أختها رُقَيّة ، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها ، وبنى بها في جمادى الآخرة منها ، كما تقدّم ، فيما ذكره الواقدي .

وفيهما ، قال ابن جرير<sup>(٥)</sup> : ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ بن أبي طالب . قال : وفيها علقت بالحسين ، رضي الله عنهم أجمعين .

\*\*\*

(١) أي شاركة الرضاع .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٢٦٤٥ ) و ( ٥١٠٠ ) ومسلم رقم ( ١٤٤٧ ) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رضاع النبي ﷺ وحمزة رضي الله عنه ، والبخاري رقم ( ٥١٠١ ) و ( ٥١٠٦ ) و ( ٥١٠٧ ) و ( ٥١٢٣ ) و ( ٥٣٧٢ ) ومسلم رقم ( ١٤٤٩ ) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها ، في رضاعه ﷺ وأبي سلمة بن عبد الأسد .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٢٥١ ) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ورواه أحمد في « المسند » ( ١١٥ / ١ ) وأبو داود رقم ( ٢٢٨٠ ) من حديث علي رضي الله عنه .

(٤) لفظ « عقده » لم ترد في ( ط ) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » ( ٥٣٧ / ٢ ) .

## سنة أربع من الهجرة النبوية

في المحرم منها كانت سرية أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسدي ، فأنتهى إلى ماء يقال له : قطن .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد اليربوعي ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً ، فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلما كان هلال<sup>(٢)</sup> المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « اخرج في هذه السرية ، فقد استعملتك عليها » . وعقد له لواءً وقال : « سر حتى أرض بني أسد ، فأغر عليهم » . وأوصاه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه في تلك السرية خمسون ومئة ، فأنتهى إلى أدنى قطن ، وهو ماء لبني أسد ، وكان هناك طليحة الأسدي وأخوه سلمة ابنا خويلد ، وقد جمعا خلقاً من بني أسد ليقصدوا حرب النبي ﷺ ، فجاء رجل منهم إلى النبي ﷺ فأخبره بما تمالؤوا عليه ، فبعث معه أبا سلمة في سرية هذه ، فلما انتهوا إلى أرضهم ، تفرقوا وتركوا نِعماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كله أبو سلمة ، وأسر منهم معه ثلاثة ممالك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل الأسدي الذي دلهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفى النبي ﷺ ؛ عبداً ، وخمسة الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه ، ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدثني عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ، عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أسامة الجشمي ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فيما نرى ، وبعثه رسول الله ﷺ في المحرم - يعني من سنة أربع - إلى قطن ، فغاب بضع عشرة ليلة ، فلما دخل المدينة انتقض به جرحه ، فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدت أُمي حتى خلت أربعة أشهر وعشر ، ثم تزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليالٍ بَين من شوال ، وكانت أُمي تقول : ما بأسٌ بالنكاح في شوال والدخول فيه ، وقد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وأعرس بي فيه<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر « المغازي » للواقدي ( ١ / ٣٤٠ ) .

(٢) لفظ « هلال » لم يرد في ( ط ) .

(٣) في ( ط ) : « قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبني فيه » .

قال : وماتت أمّ سلمة في ذي القعدة سنة تسع وخمسين . رواه البيهقي<sup>(١)</sup>

قلت : سنذكر في أواخر هذه السنة في شوالها تزويج النبي ﷺ بأمّ سلمة ، وما يتعلق بذلك من ولاية الابن أمّه في النّكاح ، ومذاهب العلماء في ذلك ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

### غزوة الرّجيع<sup>(٢)</sup>

قال الواقدي : وكانت في صفر - يعني سنة أربع - بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليخبروه . قال : والرّجيع على سبعة أميالٍ من عُسفان .

قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام بن يوسف ، عن معمر ، عن الزّهرّي ، عن عمرو بن أبي سفيان الثّقفي ، عن أبي هريرة قال : بعث النبي ﷺ سريةً عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ، ذكروا لحجّ من هذيل يقال لهم : بنو لحيان ، فتبعوهم بقريب من مئة رام ، فاقترضوا آثارهم ، حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمرٍ تزودوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجؤوا إلى فدفي ، وجاء القوم فأحاطوا بهم ، فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ؛ ألا نقتل منكم رجلاً . فقال عاصمٌ : أمّا أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا رسولك . فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفرٍ بالليل ، وبقي خبيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلمّا أعطوهم العهد والميثاق ، نزلوا إليهم ، فلمّا استمكنوا منهم ، حلّوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما : هذا أول الغدر . فأبى أن يصحبهم ، فجزّوه ، عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيبٍ وزيدٍ حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان خبيبٌ هو قتل الحارث يوم بدر ، فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها فأعارته . قالت : فغفلت عن صبيّ لي ، فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، فلمّا رأته فزعت فزعةً عرف ذلك مني ، وفي يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قطّ خيراً من خبيب ، لقد رأيت يأكّل من قطف عنبٍ وما بمكة يومئذٍ ثمرةً ، وإنه لموثقٌ في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين . ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أنّ ما بي جزعٌ من الموت لزدت . فكان

(١) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣١٩ ) .

(٢) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص ( ١٥٣ - ١٥٤ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٠٨٦ ) .

أول من سنّ الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال : [ من الطويل ]

ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً      على أيّ شقّ كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلوي ممزّع

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعث قريش إلى عاصم ؛ ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر ، فبعث الله عليه مثل الظّلة من الدّبر ، فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا منه على شيء .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيباً هو أبو سروة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث ، وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديث في الرّضاع ، وقد قيل : إن أبا سروة وعقبة أخوان ، فالله أعلم .

هكذا ساق البخاري في كتاب المغازي من « صحيحه » قصة أصحاب الرّجيع .

ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد<sup>(٢)</sup> ، من طرق ، عن الزهري ، عن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثّقفي حليف بني زهرة ، ومنهم من يقول : عمر بن أبي سفيان . والمشهور عمرو .

وفي لفظ للبخاري<sup>(٣)</sup> : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً ، وأمر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . وساق نحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق ، وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير في بعض ذلك ، ولنذكر كلام ابن إسحاق ؛ ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أنّ ابن إسحاق إمام في هذا الشأن ، وغير مدافع ، كما قال الشافعي ، رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> ، رحمه الله : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه وهم ؛ مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب - قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم - وخالد بن البكير الليثي ، حليف بني عدي ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي ، أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة ، أخو بني

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٨٧) .

(٢) من « صحيحه » رقم (٧٤٠٢) و (٣٠٤٥) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٣٠٤٥) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١٦٩/٢) .



بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، حليف بني ظفّر . رضي الله عنهم . هكذا قال ابن إسحاق أنّهم كانوا ستة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> ، وسّمّاهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخاريّ أنّهم كانوا عشرة ، وعنده أنّ أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجيع - ماء لهذيل بناحية الحجاز ، من صدور الهدأة - غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلم يرع القوم - وهم في رحالهم - إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكن عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً . وقال عاصم بن ثابت : [ من الرجز ]

ما علّتي وأنا جلدٌ نابل والقوس فيها وتّر عنابيل  
تزلّ عن صفحتها المعابل الموت حقّ والحياة باطل  
وكلّ ما حمّ الإله نازل بالمرء والمرء إليه آيل  
إن لم أقاتلكم فأمتي هابل

وقال عاصمٌ أيضاً : [ من الرجز ]

أبو سليمان وريش المقعد وضالّة مثل الجحيم الموقد  
إذا التّواجي افترشت لم أرعد ومجنأ من جلد ثورٍ أجرد  
ومؤمنٌ بما على محمد

وقال أيضاً : [ من الرجز ]

أبو سليمان ومثلي رامى وكان قومي معشراً كراما

قال : ثم قاتل حتى قتل ، وقتل صاحباه ، فلمّا قتل عاصمٌ ، أرادت هذيلٌ أخذ رأسه ؛ لبيعوه من سلافة بنت سعد بن شُهَيْدٍ<sup>(٣)</sup> ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد ؛ لئن قدرت على رأس عاصم ، لتشربن في قحفه الخمر ، فمنعته الدّبر - هكذا ذكره البخاريّ بعد وصول خبيبٍ وزيد بن الدّثنة إلى مكة . وهذا الذي ذكره ابن إسحاق أنسب - قال : فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يمسي فنذهب عنه فنأخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصماً فذهب به ، وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً ؛ تنجّساً ، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدّبر منعته :

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣/ ٣٢٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢/ ١٦٩ ) .

(٣) في ( آ ) و ( ط ) : « سهيل » .

يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصمٌ نذر أن لا يمسه شركٌ ، ولا يمَسَّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وأما خبيبٌ وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارقٍ فلانوا ورفقوا ورغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم فأشروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران ، انتزع عبد الله ابن طارقٍ يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره بالظهران ، وأما خبيب بن عديّ ، وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريشٍ بأسيرين من هذيلٍ كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجيراً بن أبي إهاب التميمي ، حليف بني نوفلٍ لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان أبو إهابٍ أخا الحارث بن عامرٍ لأمّه ؛ ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ؛ ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له : نسطاس . إلى التّنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهطٌ من قريشٍ ، فيهم أبو سفيان بن حربٍ ، فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحابٍ محمداً محمداً . قال : ثم قتله نسطاس . قال : وأما خبيب بن عديّ ، فحدّثني عبد الله بن أبي نجيحٍ ، أنه حدّث عن ماوية مولاة حجير بن أبي إهابٍ ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيبٌ عندي ، حبس في بيتي ، فلقد أطلعت عليه يوماً ، وإنّ في يده لقطفاً من عنبٍ مثل رأس الرّجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي نجيحٍ أنهما قالا : قالت : قال لي حين حضره القتل : ابعثني إليّ بحديدةٍ أتطهّر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحيّ موسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . قالت : فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجلٍ . فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ، ثم قال : لعمرك ما خافت أمك غدري [ حين ] بعثتك بهذه الحديدة إليّ ، ثمّ خلّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إنّ الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصمٌ : ثم خرجوا بخبيبٍ ، حتى جاءوا به إلى التّنعيم ليصلّبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧١ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٢ / ٢ ) .

ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أنني إنما طوّلت جزعاً من القتل ، لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيبٌ أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

قال : ثم رفعوه على خشبةٍ ، فلمّا أوثقوه قال : اللهمّ إنّنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيت يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيبٍ ، وكانوا يقولون : إنّ الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه ، زلّت عنه .

فائدة : قال السّهيلي<sup>(١)</sup> : وإنّما صارت الركعتان سنّة - يعني عند القتل - لأنها فعلت في زمان النبي ﷺ ، فأقرّ عليها ، واستحسنّت من صنيعه . قال : وقد صلاها زيد بن حارثة في حياة النبي ﷺ . ثم ساق<sup>(٢)</sup> بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معين ، عن يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث بن سعد قال : بلغني أنّ زيد بن حارثة استأجر من رجل بغلاً من الطائف ، واشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربةٍ ، فإذا بها قتلى كثيرةٌ ، فلمّا همّ بقتله قال له زيدٌ : دعني حتى أصلي ركعتين . فقال : صلّ ركعتين ، لطالما صليّ هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً . قال : فصلّيت ثم جاء ليقتلني ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا صارخٌ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر ، فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول : لا تقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا أنا بفارسٍ على فرسٍ ، في يده حربَةٌ في رأسها شُعلةٌ من نارٍ ، فطعنه بها حتى أنفذه فوق ميثاً . ثم قال : لمّا دعوت الله في المرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولمّا دعوته في المرة الثانية كنت في السماء الدنيا ، ولمّا دعوته في الثالثة أتيتك . قال السّهيلي : وقد صلاها حجر بن عديّ بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ، ومعه كتاب زياد بن أبيه ، وفيه أنّه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعةٍ من التابعين ، منهم الحسن وابن سيرين ، فلمّا دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أو أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله ، فصلّى ركعتين قبل قتله ، رحمه الله . قال : وقد عاتبت معاوية عائشة في قتله ، فقال : إنّما قتله من شهد عليه . ثم قال : دعيني وحجراً ، فإنّي سألقاه على الجادة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب عني مثلك من قومي .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »<sup>(٣)</sup> : أنّ خبيباً وزيد بن الدثنة قتلّا في يوم واحدٍ ، وأنّ رسول الله ﷺ سمع يوم قتلّا وهو يقول : « وعليكما - أو عليك - السلام ، خبيبٌ قتلته قريشٌ » .

(١) انظر « الروض الأنف » ( ١٩٢ / ٦ ) .

(٢) يعني السّهيلي .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٢٦ / ٣ ) .

وذكر أنّهم لما صلبوا زيد بن الدثنة ، رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّهم لما رفعوا خبيباً على الخشبة ، نادّوه يناشدونه : أتحبّ أنّ محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ، ما أحبّ أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه . فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة . فإله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أنّ عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتل خبيباً ؛ لأنّي كنت أصغر من ذلك ، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحريرة ، فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحريرة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطّاب يستعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحيّ على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجل مصاب . فسأله عمر في قدمة قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس ، ولكنّي كنت فيمن حضر خبيب بن عديّ حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلسٍ قطّ إلا غشي عليّ . فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأمويّ : حدثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أنّ عمر قال : من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامر .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : أقام خبيب في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقيّ ، من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدثني جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه عمرو بن أمية ، أنّ رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده ، قال : جئت إلى خشبة خبيب فرقيت فيها وأنا أتخوف العيون ، فأطلقتُه فوق إلى الأرض ، ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً ، ثم التفت فلم أر شيئاً ، فكأنما ابتلعت الأرض ، فلم تذكر لخبيب رمّة حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لما قتل أصحاب الرّجيع قال ناسٌ من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم أقاموا في أهلهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم . فأنزل الله فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ - وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] . وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السريّة :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٣ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٣ / ٢ - ١٧٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٤ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٤ / ٢ ) .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [السيرة: ٢٠١] .

قال ابن إسحاق : وكان ممّا قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيب حين أجمعوا على قتله - قال ابن

هشام : ومن الناس من ينكرها له - [ من الطويل ]

لقد جمّع الأحزاب حولي وألبوا      قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمع  
وكّلهم مبدي العداوة جاهدٌ      عليّ لأنّي في وثاقٍ مضيع  
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم      وقربتُ من جذعٍ طويلٍ ممنّع  
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي      وما أرصد الأعداء لي عند مضرعي  
فذا العرش صبرني على ما يُراد بي      فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع  
وقد خيروني الكفر والموت دونه      وقد هملت عينا من غير مجزع  
وما بي حذار الموت إنّي لميتٌ      ولكن حذاري جحيم نارٍ ملفّع  
فوالله ما أرجو إذا متّ مسلماً      على أيّ جنبٍ كان في الله مضجعي<sup>(١)</sup>  
فلست بمبدٍ للعدوّ تخشعاً      ولا جزعاً إنّي إلى الله مرجعي

وقد تقدّم في « صحيح البخاري » بيتان من هذه القصيدة ، وهما قوله : [ من الطويل ]

فلست أبالي حين أقتل مسلماً      على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع

وقال حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> يبكي خبيباً ، فيما ذكره ابن إسحاق : [ من البسيط ]

ما بال عينك لا ترقا مدامعها      سحّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق  
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا      لا فشلٍ حين تلقاه ولا نزق  
فاذهب خبيب جزاك الله طيبةً      وجنة الخلد عند الحور في الرُفق  
ماذا تقولون إن قال النبي لكم      حين الملائكة الأبرار في الأفق  
فيم قتلتم شهيد الله في رجلٍ      طاغٍ قد اوعث في البلدان والرُفق

قال ابن هشام : تركنا بعضها ؛ لأنه أقذع فيها .

وقال حسان<sup>(٣)</sup> يهجو الذين غدروا بأصحاب الرجيع من بني لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق : [ من البسيط ]

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مصرعي » كما سيأتي في رواية البخاري .

(٢) انظر « ديوانه » ( ٢١٣ / ١ ) .

(٣) انظر « ديوانه » ( ١٧١ / ١ ) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٩ / ٢ ) .

إن سرك الغدر صرفاً لا مزاج له      فأت الرّجيع فسل عن دار لحيان  
 قومٌ تواصلوا بأكل الجار بينهم      فالكلب والقرد والإنسان مثلان  
 لو ينطق التيس يوماً قام يخطبهم      وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان  
 وقال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع ، رضي الله  
 تعالى عنهم أجمعين : [ من الطويل ]

لعمري لقد شانت هذيل بن مدركٍ      أحاديث لحيانٍ صلّوا بقييحها  
 أناسٌ هم من قومهم في صميمهم      أناسٌ هم من قومهم في صميمهم  
 هم غدروا يوم الرّجيع وأسلمت      هم غدروا يوم الرّجيع وأسلمت  
 رسول رسول الله غدرأ ولم تكن      رسول رسول الله غدرأ ولم تكن  
 فسوف يرون النصر يوماً عليهم      فسوف يرون النصر يوماً عليهم  
 أبابيل دبر شمسٍ دون لحمه      أبابيل دبر شمسٍ دون لحمه  
 لعل هذيلاً أن يروا بمصابه      لعل هذيلاً أن يروا بمصابه  
 ونوقع فيها وقعةً ذات صولةٍ      ونوقع فيها وقعةً ذات صولةٍ  
 بأمر رسول الله إنّ رسوله      بأمر رسول الله إنّ رسوله  
 قبيلةٌ ليس الوفاء يهتمهم      قبيلةٌ ليس الوفاء يهتمهم  
 إذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم      إذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم  
 محلّهم دار البوار ورأيهم      محلّهم دار البوار ورأيهم

وقال حسان ، رضي الله عنه ، أيضاً<sup>(٢)</sup> يمدح أصحاب الرّجيع ، ويسمّيهم في شعره كما ذكره ابن  
 إسحاق ، رحمه الله تعالى : [ من الكامل ]

صلّى الإله على الذين تتابعوا      يوم الرّجيع فأكرموا وأثيبوا  
 رأس السّريّة مرثدٌ وأميرهم      وابن البكير أمامهم وخبيبٌ  
 وابنٌ لطارق وابن دثنة منهم      وافاه ثمّ حمامه المكتوب  
 والعاصم المقتول عند رجيعهم      كسب المعالي إنه لكسوب  
 منع المقادة أن ينالوا ظهره      حتى يجالد إنه لنجيب

(١) الأبيات في « ديوانه » ( ٥١٣/١ ) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ( ١٧٩/١ ) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٨٣/٢ ) .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

### سرية عمرو بن أمية الضمري ، على إثر مقتل خبيب<sup>(٢)</sup>

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حدثني إبراهيم بن جعفر عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن عمر بن أمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عون ، وزاد بعضهم على بعض ، قالوا : كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة : ما أحد يغتال محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله ، وقال له : إن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خريث ، معي خنجرٌ مثل خافية النسار . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بغيراً ونفقة ، وقال : اطو أمرك ؛ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فينميه إلى محمد . قال : قال : العربي : لا يعلمه أحد . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً ، وصبح ظهر الحرّة صبح سادسة ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ ، حتى أتى المصلّى ، فقال له قائلٌ : قد توجه إلى بني عبد الأشهل . فخرج الأعرابي يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل ، فعقل راحلته ، ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه ، يحدث في مسجده ، فدخل ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

« إن هذا الرجل يريد غدرًا ، والله حائلٌ بينه وبين ما يريد » . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . فذهب يُجنىء على رسول الله ﷺ كأنه يساره ، فجبذه أسيد بن حضير وقال : تنح عن رسول الله ﷺ . وجذب بداخله إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله ، هذا غادرٌ . فأسقط في يد الأعرابي ، وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضير يلبيه ، فقال له النبي ﷺ : « اصدقني ، ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتني نفعتك الصدق ، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به » . قال العربي : فأنا آمنٌ ؟ قال : « فأنت آمنٌ » . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له ، فأمر به فحبس عند أسيد بن حضير ، ثم دعا به من الغد فقال : « قد آمنتك ، فاذهب حيث شئت ، أو خيرٌ لك من ذلك ؟ » . قال : وما هو ؟ فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله » . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، والله يا محمد ، ما كنت أفرق [من] الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ، ثم أطلعت على ما هممت به مما سبقت به الرّكبان ، ولم يطلع عليه أحدٌ ، فعرفت أنك ممنوعٌ وأنت على حقٍّ ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبي ﷺ يتبسّم ، وأقام أياماً ، ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكر .

وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بن حريش : « اخرجوا حتى تأتيا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٨٣ / ٢ ) .

(٢) قوله : « على إثر مقتل خبيب » لم يرد في ( ط ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٥٤٢ / ٢ ) .

أبا سفيان بن حرب ، فإن أصبتما منه غزاةً فاقتلاه » . قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج ، فقيّدنا بغيرنا ، وقال لي صاحبي : يا عمرو ، هل لك في أن تأتي مكة ، فنطوف بالبيت أسبوعاً ونصلي ركعتين ؟ فقلت : إني أعرف بمكة من الفرس الأبلق ، وإنهم إن رأوني عرفوني ، وأنا أعرف أهل مكة ؛ إنهم إذا أمسوا انفجعوا بأنفيتهم ، فأبى عليّ فانطلقنا ، فأتينا مكة فطفنا أسبوعاً<sup>(١)</sup> وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال : عمرو بن أمية ! وأخبر أباه ، فنذر بنا أهل مكة فقالوا : ما جاء عمرو في خير . وكان عمرو فاتكاً في الجاهلية ، فحشد أهل مكة وتجمعوا ، وهرب عمرو وسلمة ، وخرجوا في طلبهما ، واشتدوا في الجبل . قال عمرو : فدخلت غاراً فتغيّيت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل ، وعمى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا ، فلما كان الغد ضحوةً ، أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشاً ، فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكة ، وقد أقصروا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا . قال : فخرجت إليه فطعنته طعنةً تحت الثدي بخنجري ، فسقط وصاح ، فأسمع أهل مكة ، فأقبلوا بعد تفرقهم ، ودخلت الغار ، وقلت لصاحبي : لا تتحرك . فأقبلوا حتى أتوه ، وقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أمية الضمري . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخير . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا ، فإنه كان بأخر رمقٍ فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم ، فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا ، فقال صاحبي : يا عمرو بن أمية ، هل لك في خبيب بن عديّ ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوبٌ ، حوله الحرس . فقلت : أمهلني وتنح عني ، فإن خشيت شيئاً فانح إلى بغيرك فاقعد عليه ، فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعني ، فإني عالمٌ بالمدينة . ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري ، فما مشيت به إلاّ عشرين ذراعاً حتى استيقظوا ، فخرجوا في أثري فطرحوا الخشبة ، فما أنسى وقعها دب<sup>(٢)</sup> - يعني صوتها - ثم أهلت عليه التراب برجلي ، فأخذت طريق الصّفراء ، فأعيوا ورجعوا ، وكنت لا أدرك مع بقاء نفسي ، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبي ﷺ فأخبره ، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم ، غميم ضجّنان ، فدخلت في غارٍ معي قوسي وأسهمي وخنجري ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجلٌ من بني بكرٍ من بني الدّيل ، أعور طويلٌ ، يسوق غنماً ومعزى ، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من بني بكرٍ . فقال : وأنا من بني بكرٍ . ثم اتكأ ورفع عقيرته يتغنّى ويقول : [ من الوافر ]

فلست بمسلمٍ ما دمت حياً      ولست أدين دين المسلمين

فقلت في نفسي : والله إنني لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه ، فقتلته شرّ قتلَةٍ قتلتها أحداً قط ، ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثتهما قريشٌ يتجسّسان الأخبار ، فقلت : استأسرا . فأبى أحدهما ، فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر ، فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى

(١) في (ط) : « سبعا » .

(٢) في (ط) : « فما أنسى وجيها » .



النبي ﷺ ، فلما قدمت المدينة رآني صبيان وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرو . فاشتد الصبيان إلى النبي ﷺ فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهاميه بوتر قوسي ، فلقد رأيت النبي ﷺ وهو يضحك ، ثم دعا لي بخير . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام . رواه البيهقي<sup>(١)</sup>

وقد تقدم أن عمراً لما أهبط خبيباً لم ير له رمةً ولا جسداً ، فلعله دفن مكان سقوطه . والله أعلم ، وهذه السرية إنما استدرکها ابن هشام على ابن إسحاق ، وساقها بنحو من سياق الواقدي لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السرية جبار بن صخر ، فالحق أعلم ، والله الحمد .

### سرية بئر معونة

وقد كانت في صفرٍ منها ، وأغرب مكحول<sup>(٢)</sup> ، رحمه الله ، حيث قال<sup>(٣)</sup> : إنها كانت بعد الخندق<sup>(٤)</sup>

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث<sup>(٦)</sup> حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً لحاجةٍ يقال لهم : القراء . فعرض لهم حيّان من بني سليم - رعلٌ وذكوان - عند بئرٍ يقال لها : بئر معونة . فقال القوم : والله ما إياكم أردنا ، وإنما نحن مجتازون في حاجةٍ للنبي ﷺ . فقتلوهم ، فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذاك بدء القنوت ، وما كنا نقنت .

ورواه مسلم<sup>(٨)</sup> ، من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، بنحوه .

ثم قال البخاري<sup>(٩)</sup> : ثنا عبد الأعلى بن حماد ، ثنا يزيد بن زريع ، ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن رِعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ ، فأمدّهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسميهم القراء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ، ويصلّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبي ﷺ ، فقتل شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب ؛

(١) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٣٣ ) .

(٢) هو مكحول الشامي أبو عبد الله ، فقيه ثقة كثير الإرسال ، من كبار رواة الحديث ، مات سنة بضع عشرة ومئة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٣ / ٤١٥ ) و« شذرات الذهب » ( ٢ / ٦٦ ) .

(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي ( ٣ / ٣٠٠ ) .

(٤) قلت : ربّها قبل الخندق أيضاً ، ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٢١ ) حيث قال : وممن قال : « وفي هذا الشهر بعينه ، وهو صفر من السنة الرابعة ، كانت وقعة بئر معونة . . . » .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤٠٨٨ ) .

(٦) في ( آ ) : « عبد الرازق » وهو خطأ ، وأثبت لفظ ( ط ) وهو الصواب .

(٧) في ( ط ) : « بعث رسول الله ﷺ » .

(٨) في « صحيحه » رقم ( ٦٧٧ ) ( ١٤٧ ) .

(٩) رواه البخاري رقم ( ٤٠٩٠ ) .

على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان . قال أنس : فقرأنا فيهم قرآناً ، ثم إن ذلك رفع : « بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » .

ثم قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا همام ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدثني أنس بن مالك أن النبي ﷺ بعث خاله حراماً - أخاً لأم سليم - في سبعين راكباً ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال ، فقال : يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف . فطعن<sup>(٢)</sup> عامر في بيت أم فلان ، فقال : غدة كغدة البكر في بيت امرأة من آل فلان ، اتنوني بفرسي ، فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرام ، أخو أم سليم ، وهو رجل أعرج ، ورجل من بني فلان ، فقال : كونا قريباً حتى آتيهم ، فإن آمنوني كنتم قريباً ، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم . فقال : أتؤمنوني حتى أبلغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فجعل يحدثهم ، وأومئوا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه . قال همام : أحسبه قال : حتى أنفذه بالرمح . فقال : الله أكبر ، فزت ورب الكعبة . فلحق الرجل ، فقتلوا كلهم غير الأعرج ، وكان في رأس جبل ، فأنزل الله علينا ، ثم كان من المنسوخ : « إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » . فدعا النبي ﷺ عليهم ثلاثين صباحاً ؛ على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا جبان ، ثنا عبد الله ، أخبرني معمر ، حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : لما طعن حرام بن ملحان - وكان خاله - يوم [ بئر ] معونة قال بالدّم هكذا ؛ فنضحه على وجهه ورأسه ، ثم قال : فزت ورب الكعبة .

وروى البخاري<sup>(٤)</sup> ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، أخبرني أبي قال : لما قتل الذين ببئر معونة ، وأسر عمرو بن أمية الضمري ، قال له عامر بن الطفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية : هذا عامر بن فهيرة . قال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . فأتى النبي ﷺ خبرهم ، فنعاهم فقال : « إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم ، فقالوا : ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ، ورضيت عنا ، فأخبرهم عنهم » .

وأصيب يومئذ فيهم عروة بن أسماء بن الصلت ، فسَمِّي عروة به ، ومنذر بن عمرو ، وسَمِّي به منذراً .

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٠٩١ ) .

(٢) أي : أصيب بمرض الطاعون ، وأم فلان هي سلول بنت شيان امرأة أخيه .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٠٩٢ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٠٩٣ ) .

هكذا وقع في رواية البخاريّ مرسلًا عن عروة .

وقد رواه البيهقي<sup>(١)</sup> من حديث يحيى بن سعيد ، عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخاريّ هاهنا ، فالله أعلم .

وروى الواقدي<sup>(٢)</sup> ، عن مصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، فذكر القصة ، وشأن عامر بن فهيرة ، وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء ، وذكر أنّ الذي قتله جبار بن سلمى الكلابي ، قال : ولما طعنه بالرمح قال : فزت وربّ الكعبة . ثم سأل جبارًا بعد ذلك : ما معنى قوله : فزت ؟! قالوا : يعني بالجنة ، فقال : صدق والله ، ثم أسلم جبارًا بعد ذلك لذلك .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »<sup>(٣)</sup> ، عن عروة أنه قال : لم يوجد جسد عامر بن فهيرة ، يرون أن الملائكة وارتته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فأقام رسول الله ﷺ ، يعني بعد أحد ، بقية شوالٍ وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفرٍ على رأس أربعة أشهرٍ من أحد ، فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفرٍ ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجدٍ يدعونهم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك . فقال ﷺ : « إني أخشى عليهم أهل نجد » . فقال أبو براء : أنا لهم جاز . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ، المعلنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ فيهم الحارث بن الصّمة ، وحرام بن ملحان ، أخو بني عديّ بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع بن بُديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر ، في رجالٍ من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحرّة بني سليم ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوّ الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم ، وقالوا : لن نخفر أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم ، عصيّة ورعلاً وذكوان والقارة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ، ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن

(١) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٥٢ ) .

(٢) انظر « الواقدي » ( ١ / ٣٤٧ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٤٢ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٣٨ ) .

آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ ، فارتث من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق ، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجلٌ من الأنصار من بني عمرو بن عوف ، فلم ينبتهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً . فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفةً ، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر . فقال الأنصاري : لكني لم أكن لأرغب بنفسني عن موطنٍ قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرو أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه ، فيما زعم . قال : وخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظلٍّ هو فيه ، وكان مع العامريين عهدٌ من رسول الله ﷺ وجوارٌ لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ قالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، أخبره بالخبر ، فقال رسول الله : « لقد قتلت قتيلين ، لأدينهما » . ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً » . فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب من [ أصحاب رسول الله ﷺ ] بسببه وجواره .

فقال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> في إخفار عامر أبا براء ، ويحرض بني أبي براء على عامر : [ من الوافر ]

بني أم البنين ألم يرعكم	وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء	ليخفره وما خطأ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي	فما أحدث في الحدّثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براء	وخالك ماجدٌ حكّم بن سعد

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : أم البنين ، أم أبي براء ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ، فطعنه في فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدمي لعمي فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي . وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريّ نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمرو ، وقيل : مرثد بن أبي مرثد .

(١) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٢٣٢ / ١ ) مع تقديم وتأخير وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٨٧ / ٢ ) - ( ١٨٨ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٨٨ / ٢ ) .

وقال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> يبكي قتلى بئر معونة - فيما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله ، والله أعلم - : [ من

التوفير ] .

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحاً غير نزر  
على خيل الرسول غداة لا قوا ولاقتهم منايهم بقدر  
أصابهم الفناء بعقد قوم تُخون عقد جملهم بغدر  
فيا لهفي لمنذر إذ تولى وأعنى في منيته بصبر  
وكائن قد أصيب غداة ذاكم من أبيض ماجد من سرّ عمرو

### غزوة بني النضير<sup>(٢)</sup>

وهي التي أنزل الله فيها سورة « الحشر »

في « صحيح البخاري »<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس ، أنه كان يسميها سورة بني النضير .

وحكى البخاري<sup>(٤)</sup> عن الزهري ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النضير بعد بدر بستة أشهر قبل أحد .

وقد أسنده ابن أبي حاتم في « تفسيره »<sup>(٥)</sup> عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن عقيل ،

عن الزهري به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفر الرقي ، عن مطرف بن

مازني اليماني ، عن معمر ، عن الزهري ، فذكر غزوة بدر في سابع عشر رمضان سنة اثنتين ، قال : ثم غزا

بني النضير ، ثم غزا أحداً في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع .

وقال البيهقي<sup>(٦)</sup> : وقد كان الزهري يقول : هي قبل أحد . قال : وذهب آخرون إلى أنها بعدها ،

وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكره ابن إسحاق كما تقدّم ؛ فإنه بعد ذكره بئر معونة ، ورجوع عمرو بن أمية ، وقتله

ذینك الرجلین من بني عامر ، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له

رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين ، لأدينهما » .

(١) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٢٠٧ / ١ ) . و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٨٩ / ٢ ) .

(٢) انظر « عيون الأثر » ( ٧٣ / ٢ ) و « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٥٧ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٠٢٩ ) و ( ٤٨٨٣ ) .

(٤) رواه البخاري تعليقاً في المغازي : باب حديث بني النضير ، قبل الحديث ( ٤٠٢٨ ) .

(٥) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » ( ١٨٧ / ٦ ) لابن أبي حاتم وغيره .

(٦) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٥٤ / ٣ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، اللذين قتلتهما عمرو بن أمية ، للعهد الذي كان رسول الله ﷺ قد أعطاهما ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقدٌ وحلفٌ ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعدٌ - فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرةً ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، فقال : أنا لذلك . فصعد ليلقي عليه صخرةً كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث<sup>(٢)</sup> النبي ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً [ من المدينة ] ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلًا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : فبعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرّضونهم على المقام ، ويعدونهم النصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحمي حيي بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ، ونابدوه بنقض العهود ، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : فحاصروهم<sup>(٥)</sup> خمس عشرة ليلة .

وقال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وأمر النبي ﷺ بالتهيو لحربهم والمسير إليهم . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في شهر ربيع الأول .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : فسار حتى نزل بهم ، فحاصروهم ست ليالٍ ، ونزل تحريم الخمر حيث<sup>(٨)</sup> ، وتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ قال : وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي ، ووديعة ومالكٌ وسويدٌ وداعسٌ ، قد بعثوا إلى بني

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٩٠ / ٢ ) .

(٢) أي استلبطاً .

(٣) انظر « المغازي » للواقدي ( ٣٦٦ / ١ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ٣٧٤ / ١ ) .

(٥) في ( ط ) : « فحاصروهم » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٩٠ / ٢ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٩١ / ٢ ) .

(٨) انظر « شذرات الذهب » ( ١١٩ / ١ ) وتعليقي عليه .

النضير ؛ أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم ، إن قوتلتهم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . فترتبصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة<sup>(١)</sup> ، ففعل .

وقال العوفي عن ابن عباس : أعطى كل ثلاثة منهم بعيراً يعتقبونه ، وسقاء . رواه البيهقي<sup>(٢)</sup> .

وروى<sup>(٣)</sup> من طريق يعقوب بن محمد الزهري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن محمد بن مسلمة ، أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير ، وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال .

وروى البيهقي<sup>(٤)</sup> وغيره أنه كانت لهم ديون مؤجلة ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ضعوا وتعجلوا » وفي صحته نظر ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابّه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشرف من ذهب منهم إلى خيبر ؛ سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

فحدثني<sup>(٦)</sup> عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، بزهاء وفخر ما رئي مثله لحيّ من الناس في زمانهم . قال : وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ - يعني النخيل والمزارع - فكانت له خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فقرا فأعطاهما . وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصمة . حكاه السهيلي<sup>(٧)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان ؛ وهما يامين بن عمير بن كعب ، ابن عم عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين : « ألم تر ما لقينا من ابن

(١) أي : السلاح .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ٣٥٩ ) .

(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٦٠ ) .

(٤) في « السنن الكبرى » ( ٦ / ٢٨ ) والحاكم في « المستدرک » ( ٢ / ٥٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ١٩١ ) .

(٦) القائل ابن إسحاق رحمه الله .

(٧) انظر « الروض الأنف » ( ٦ / ٢٣٣ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ١٩٢ ) .

عمك ، وما هم به من شاني ؟ » فجعل يامين لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله ، لعنه الله . قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة « الحشر » بكمالها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نعمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسرها ، وقد تكلمنا عليها بطولها مبسوطاً في كتابنا « التفسير »<sup>(١)</sup> والله الحمد .

قال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْ عَلَى أَصُولِهَا فَإِذِ اللَّهُ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ۝ [ الحشر : ١ - ٥ ] .

سبح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة ، وأخبر أنه يسبح له جميع مخلوقاته العلوية والسفلية ، وأنه العزيز وهو منيع الجنب ، فلا ترام عظمته وكبريائه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتديره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم من اليهود ، الذين شاقوا الله ورسوله ، وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المقتضي لقتالهم ، كما تقدم ، حتى حاصرهم المؤيد بالرعب والرهب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليالٍ ، فذهب بهم الرعب كل مذهب ، حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم ، وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلت به ركا بهم ، على أنهم لا يستصحبون شيئاً من السلاح ؛ إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ۝ . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم هذا الجلاء ، وهو التسيير والنفي من جوار الرسول ﷺ من المدينة ، لأصابهم ما هو أشد منه من العذاب الدنيوي ، وهو القتل ، مع ما أذخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدر لهم . ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم ، وترك ما بقي منه لهم ، وأن ذلك كله سائغ ، فقال : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ ۝ وَهُوَ جِدُّ التَّمْرِ ۝ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْ عَلَى أَصُولِهَا فَإِذِ اللَّهُ ۝ إِنْ الْجَمِيعُ قَدْ أُذِنَ فِيهِ شُرْعاً وَقَدَرًا ، فلا حرج عليكم فيه ، ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفساد ، كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهار للقوة ، وإخزاء للكفرة الفجرة .

وقد روى البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup> ، جميعاً عن قتبية ، عن الليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير ، وقطع ، وهي البويرة<sup>(٣)</sup> ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْ عَلَى أَصُولِهَا فَإِذِ اللَّهُ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ۝ .

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٨ / ٨١ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٨٨٤ ) ومسلم رقم ( ١٧٤٦ ) .

(٣) وهي تصغير البئر التي يُستقى منها الماء . انظر « المغانم المطابة » للفيروزبادي ص ( ٦٦ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .



وعند البخاري<sup>(١)</sup> ، من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> : [ من الوافر ]

وهان على سراة بني لؤي حريقٌ بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول<sup>(٣)</sup> : [ من الوافر ]

أدام الله ذلك من صنيع وحرّق في نواحيها السعير  
ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أي أرضينا تضير

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك<sup>(٤)</sup> يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف ، فـالله أعلم : [ من الوافر ]

لقد خزيت بغدرتها الجبور  
وذلك أنهم كفروا برّب  
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً  
نذيرٌ صادقٌ أدى كتاباً  
فقالوا ما أتيت بأمر صدق  
فقال بلى لقد أدّيت حقاً  
فمن يتبعه يهد لكل رشيد  
فلما أشربوا غدرأ وكفراً  
أرى الله النبي برأي صدق  
فأأيده وسلّطه عليهم  
فغودر منهم كعبٌ صريعاً  
على الكفّين ثمّ وقد علته  
بأمر محمدٍ إذ دسّ ليلاً  
فما كره فأنزله بمكرٍ  
فتلك بنو النضير بدار سوءٍ  
غداة أتاهم في الزحف رهواً

كذاك الدهر ذو صرفٍ يدور  
عظيمٌ أمره أمرٌ كبيرٌ  
وجاءهم من الله النذيرُ  
وآياتٍ مبينةٌ تنيّرُ  
وأنت بمنكرٍ منا جديرُ  
يصدّقني به الفهم الخبيرُ  
ومن يكفر به يُجزّ الكفورُ  
وجدّ بهم عن الحقّ النفورُ  
وكان الله يحكم لا يجورُ  
وكان نصيره نعم النصيرُ  
فذلت بعد مصرعه النضيرُ  
بأيدينا مشهرةٌ ذكورُ  
إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ  
ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسورُ  
أبارهم بما اجترموا المبيرُ  
رسول الله وهو بهم بصيرُ

(١) رواه البخاري رقم (٢٣٢٦) و(٤٠٣٢) .

(٢) انظر « ديوانه » ( ٢١٠ / ١ ) ولفظ صدر البيت فيه : « لهان . . . » .

(٣) البيتان في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٧٢ ) مع بعض الخلاف في ألفاظهما .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٦٨ - ١٦٩ ) . وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ١٩٩ ) .

وغَسَّانَ الحمَاةَ مَوَّازِرَهُ      على الأعداء وهو لهم وزير  
فقال السَّلم ويحكم فصَدَّوا      وخالف أمرهم كذبٌ وزور  
فذاقوا غِبَّ أمرهم وبِالْأَ      لكلِّ ثلاثةٍ منهم بعير  
وأجلُّوا عامدين لقينقاعٍ      وغودر منهم نخلٌ ودور

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لِسَمَّاكِ اليهوديِّ ، فتركناها قصداً .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان ممَّا قيل في بني النضير ، قول ابن لُقَيْمِ العَبْسِيِّ ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف الأشجعيِّ : [ من الطويل ]

أهلي فداءً لا مَرِيءَ غير هالكٍ      أحلَّ اليهود بالحسيِّ المزنم  
يقلُّون في جمر الغضاة وبدلوا      أهضب عودي بالوديِّ المكمم  
فإن يك ظني صادقاً بمحمدٍ      تروا خيله بين الصَّلا ويرمرم  
يؤمُّ بها عمرو بن بهثة إنهم      عدوٌّ وما حيَّ صديقٌ كمجرم  
عليهنَّ أبطالٌ مساعيرٌ في الوغى      يهزّون أطراف الوشيح المقوم  
وكلَّ رقيق الشفرتين مهتدٍ      توورثن من أزمان عادٍ وجرهم  
فمن مبلغٌ عني قريشاً رسالةً      فهل بعدهم في المجد من متكرم  
بأن أخاهم فاعلمنَّ محمداً      تليد الندى بين الحجون وزمزم  
فدينوا له بالحقِّ تجسم أموركم      وتسمو من الدنيا إلى كلِّ معظم  
نبيُّ تلاقته من الله رحمةً      ولا تسألوه أمر غيبٍ مرجم  
فقد كان في بدرٍ لعمريِّ عبرةً      لكم يا قريشاً والقلب الملمم  
غداة أتى في الخزرجية عامداً      إليكم مطيعاً للعظيم المكرم  
معاناً بروح القدس ينكي عدوه      رسولاً من الرحمن حقاً بمعلم  
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه      فلمّا أنار الحقَّ لم يتلعثم  
أرى أمره يزداد في كلِّ موطنٍ      علوّاً لأمرٍ حمّه الله محكم

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال عليّ بن أبي طالبٍ - وقال ابن هشام : قالها رجلٌ من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها لعليٍّ - : [ من المتقارب ]

عرفت ومن يعتدل يعرف      وأيقنت حقاً ولم أصدف  
عن الكلم المحكم الآي<sup>(٣)</sup> من      لدى الله ذي الرأفة الأراف

(١) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ١٩٥ - ١٩٦ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ١٩٦ ) .

(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « اللاء » .

رسائل تدرس في المؤمنين  
فأصبح أحمد فينا عزيزاً  
فيا أيها الموعوده سفاهاً  
ألستم تخافون أدنى العذاب  
وأن تُصرعوا تحت أسيفه  
غداة رأى الله طغيانه  
فأنزل جبريل في قتله  
فدس الرسول رسولاً له  
فباتت عيون له معولات  
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً  
فخلّاهم ثم قال اظعنوا  
وأجلى النضير إلى غربة  
إلى أذرعات ردافاً وهم  
وتركنا جوابها أيضاً من سمالك اليهودي قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفبيء ، وأنه حكم بأموال بني النضير لرسول الله ﷺ ، وملّكها له ، فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى ، كما ثبت في « الصحيحين » عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : كانت أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ، ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّة ، فكان يعزل نفقة أهله سنّة ، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدّة في سبيل الله ، عز وجلّ .

ثم بين تعالى حكم الفبيء ، وأنه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان على منوالهم وطريقتهم : ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنَّا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارم وعفان ، قالا : حدّثنا معتمر ، سمعت أبي يقول : حدّثنا أنس بن مالك ، عن نبي الله ﷺ ، أن الرجل كان يجعل له من ماله النّخلات ، أو كما شاء الله ، حتى فتحت عليه قريظة والنّضير . قال : فجعل يردّ بعد ذلك . قال : وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله ﷺ أعطاه أم أيمن ، أو كما شاء الله . قال : فسألت النبي ﷺ فأعطانيهن ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول : كلا والله الذي لا إله إلا هو ، لا يعطيكن وقد أعطانيهن . أو كما قالت . فقال النبي ﷺ : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلا والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلا والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . حتى أعطاهما - حسبته

قال - عشرة أمثاله . أو قال : قريباً من عشرة أمثاله . أو كما قال . أخرجاه بنحوه من طرقٍ ، عن معتمرٍ به .

ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا لبني النضير في الباطن ، كما تقدّم ، ووعدهم النصر ، فلم يكن من ذلك شيءٌ ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، وغروهم من أنفسهم ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر : ١١-١٢] . ثم ذمهم تعالى على جبنهم ، وقلة علمهم ، وخفة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشیطان حين قال للإنسان : ﴿ أَكْفَرْتُمْ لَنَا كُفْرًا قَالِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿ [الحشر : ١٦-١٧] .

### قصة عمرو بن سعدى القرظي

حين مرّ على ديار بني النضير وقد صارت يباباً<sup>(١)</sup> ، ليس بها داع ولا مجيب

وقد كانت بنو النضير أشرف من بني قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام ، وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة .

قال الواقدي : ثنا إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه قال : لما خرجت بنو النضير من المدينة ، أقبل عمرو بن سعدى ، فأطاف بمنزلهم فرأى خرابها ، وفكر ثم رجع إلى بني قريظة ، فوجدهم في الكنيسة ، فنفع في بوقهم ، فاجتمعوا ، فقال الزبير بن باطا : يا أبا سعيد ، أين كنت منذ اليوم لم نرك ؟ وكان لا يفارق الكنيسة ، وكان يتأله في اليهودية ، قال : رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها ؛ رأيت منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد ، والشرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم ، وملكها غيرهم ، وخرجوا خروج دُلٍّ ، ولا التوراة ما سلط هذا على قوم قطّ الله بهم حاجةً ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزهم ، ثم بيّته في بيته آمناً ، وأوقع بابن سُنينة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم ، وهم أهل جدّ يهود ، وكانوا أهل عدّة وسلاح ونجدة ، فحصرهم ، فلم يخرج إنساناً منهم رأسه حتى سباهم ، وكلم فيهم ، فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم ، قد رأيتم ما رأيتم ، فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً ، فوالله إنكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، قد بشرنا به وبأمره ابن الهيثيان أبو عمير وابن حراش ، وهما أعلم يهود ، جاءنا يتوكفان قدومه ، وأمرانا باتباعه ، جاءنا من بيت المقدس ، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ، ودفناهما بحرّتنا هذه . فأسكت القوم ، فلم يتكلّم منهم متكلمٌ ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوفهم بالحرب والسبأ والجلأ . فقال الزبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في التي نزلت على

(١) أي : خراباً .

موسى ، ليس في المثنائي الذي أحدثنا . قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتّباعه ؟ قال : أنت . قال كعب : فلم ، والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ؟ ! قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا ، فإن اتّبعته اتّبعناه ، وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعب . فذكر ما تقاولا في ذلك ، إلى أن قال كعب : ما عندي في أمره إلّا ما قلت ، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقي<sup>(١)</sup>

## غزوة بني لحيان

### التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان

هاهنا ذكرها البيهقي في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> ، وإنّما ذكرها ابن إسحاق ، فيما رأيت ، من طريق ابن هشام<sup>(٣)</sup> ، عن زياد عنه ، في جمادى الأولى من سنة ستّ من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة ، وهو أشبه ممّا ذكره البيهقي ، والله أعلم ، فلنؤخّرهما إلى هناك .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٤)</sup> : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : حدّثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق قال : حدّثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره ، قالوا : لمّا أصيب خبيّب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ؛ ليصيب من بني لحيان غزّة ، فسلّك طريق الشام ؛ ليري أنّه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم ، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنّا هبطنا عسفان ؛ لرأت قريش أنا قد جئنا مكة » . فخرج في مئتي راكبٍ حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاء كراع الغميم ، ثم انصرفا ، فذكر أبو عياش الزرقيّ أنّ رسول الله ﷺ صلّى بعسفان صلاة الخوف .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا عبد الرزاق ، ثنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش قال : كنّا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون ، عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرتهم . ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاةٌ هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] . قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه صفين ، ثم ركع ، فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصف الذي

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٦١ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٦٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ٢٧٩ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٦٤ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٤ / ٥٩ ) ، وإسناده صحيح .

إليه ، والآخرون قيامٌ يحرسونهم ، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدّم هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء ، وجاء هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء . قال : ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي والصف الذي يليه والآخرون قيامٌ يحرسونهم ، فلما جلسوا جلس الآخرون ، فسجدوا ؛ ثم سلّم عليهم ، ثم انصرف . قال : فصلاها رسول الله ﷺ مرتين ؛ مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم . ثم رواه أحمد<sup>(١)</sup> ، عن غندر ، عن شعبة ، عن منصور به نحوه . وقد رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> عن سعيد بن منصور ، عن جرير بن عبد الحميد ، والنسائي<sup>(٣)</sup> عن الفلاس ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، [ و ] عن محمد بن المثنى وبندار ، عن غندر ، عن شعبة ، ثلاثهم عن منصور به . وهذا إسنادٌ على شرط « الصحيحين » ولم يخرج واحدٌ منهما ، لكن روى مسلم<sup>(٤)</sup> من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، فلما أن صلي الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلاً لاقتطعناهم . فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك ، وذكر لنا رسول الله ﷺ قال : « وقالوا : إنه ستأتيهم صلاةٌ هي أحب إليهم من الأولاد » . فذكر الحديث كنحو ما تقدّم .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٥)</sup> : حدّثنا هشامٌ ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : صلي رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل ، فهم به المشركون ، ثم قالوا : دعوهم ؛ فإن لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هي أحب إليهم من أبنائهم . قال : فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره ، فصلى بأصحابه العصر ، فصقّهم صفين ؛ رسول الله ﷺ بين أيديهم ، والعدو بين يدي رسول الله ﷺ ، فكبروا جميعاً ، وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونه ، والآخرون قيامٌ ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ، ثم تقدّم هؤلاء وتأخر هؤلاء ، فكبروا جميعاً ، وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلونهم ، والآخرون قيامٌ ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون .

وقد استشهد البخاري في « صحيحه »<sup>(٦)</sup> برواية هشام هذه ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : ثنا عبد الصمد ، ثنا سعيد بن عبيد الهنائي ، ثنا عبد الله بن شقيق ، حدّثنا أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان ، فقال المشركون : إنّ لهؤلاء صلاةً هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم - وهي العصر - فأجمعوا أمرهم ، فميلوا عليهم ميلاً واحدةً . وإنّ جبريل أتى

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٦٠) .

(٢) رواه أبو داود في « السنن » رقم (١٢٣٦) .

(٣) رواه النسائي في « المجتبى » (٣/ ١٧٧) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٨٤٠) .

(٥) في « مسنده » رقم (١٧٣٨) .

(٦) رقم (٤١٣٠) تعليقا .

(٧) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٢٢) ، وإسناده حسن .

رسول الله ﷺ ، فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلّي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ؛ ثم تأتي الأخرى فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ، ولرسول الله ﷺ [ركعتان] .

ورواه الترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا ، فهو بعد خبير ، وإلا فهو من مراسلات الصحابي ، ولا يضر ذلك عند الجمهور ، والله أعلم .

ولم يذكر في سياق حديث جابر عند مسلم ، ولا عند أبي داود الطيالسي ، أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكنّ الظاهر أنّها واحدة . بقي الشأن في أنّ غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإنّ من العلماء ، منهم الشافعي ، من يزعم أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد يوم الخندق ؛ فإنّهم أخروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعة إذ ذاك ، لفعلوها ولم يؤخروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إنّ غزوة بني لحيان التي صلّى فيها صلاة الخوف بعُسفان ، كانت بعد بني قريظة .

وقد ذكر الواقدي<sup>(٢)</sup> بإسناده ، عن خالد بن الوليد قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان ، فوقفت بإزائه وتعرّضت له ، فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهمّ به ، فصلّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمره الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست<sup>(٣)</sup> بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي .

وفي سياق حديث أبي عيَّاش الزرقي ، ما يقتضي أنّ آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عُسفان ، فافتضى ذلك أنّها أول صلاة خوفٍ صلّاها ، والله أعلم<sup>(٤)</sup> .

وسنذكر ، إن شاء الله تعالى ، كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقة ، وعليه التكلان .

### غزوة ذات الرقاع<sup>(٥)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٩٢٣) .

(٢) انظر « المغازي » (٧٤٥/٢) .

(٣) وقال ابن قيم الجوزية : قال نافع : كانت سنة ست في ذي القعدة ، وهذا هو الصحيح ، وهو قول الزهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم . انظر « زاد المعاد » (٢٥٥/٣) .

(٤) انظر « زاد المعاد » (٢٢٥/٣) .

(٥) وتسمى غزوة نجد أيضاً . انظر « عيون الأثر » (٧٩/٢) و« زاد المعاد » (٢٢٤/٣) و« الفصول في سيرة الرسول » ص (١٥٨) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢٠٣/٢) .

جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر .  
قال ابن هشام : ويقال : عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم ، ويقال : لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع . وقال الواقدي : بجبل فيه بقع حمراء وسود وبيض . وفي حديث أبي موسى : إنما سميت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم [ من ] الخرق من شدة الحر . قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشام<sup>(١)</sup> حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيد التتوري ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن بن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر . ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجد ولا ذات الرقاع ، ولم يتعرض لزمان ولا مكان . وفي كون غزوة ذات الرقاع - التي كانت بنجد ، لقتال بني محارب وبني ثعلبة بن غطفان - قبل الخندق نظراً . وقد ذهب البخاري إلى أن ذلك كان بعد خيبر ، واستدل على ذلك ، بأن أبا موسى الأشعري شهداها ، كما سيأتي ، وقدمه إنما كان ليالي خيبر صحبة جعفر وأصحابه ، وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صليت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف . ومما يدل على أنها بعد الخندق أن ابن عمر إنما أجازاه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازاه يوم الخندق .

وقد ثبت [ عنه ] في « الصحيح »<sup>(٢)</sup> أنه قال : غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقدي<sup>(٣)</sup> : إنه عليه السلام خرج إلى ذات الرقاع في أربعين ، ويقال : سبعين ، من أصحابه ليلة السبت ، لعشر خلون من المحرم سنة خمس . فيه نظراً ، ثم لا يحصل به نجاة من أن صلاة الخوف إنما شرعت بعد الخندق ؛ لأن الخندق كان في شوال سنة خمس على المشهور ، وقيل : في شوال سنة أربع . فتحصل على هذا القول مخلص من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٠٤ / ٢ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٩٤٢ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ٣٩٦ / ١ ) .



## قصة غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> في هذه الغزوة : حدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، أن رجلاً من بني محاربٍ يقال له : غورث ، قال لقومه من غطفان ومحاربٍ : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ ، وسيف رسول الله ﷺ في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : « نعم » . فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهمهم ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : « لا ، وما أخاف منك ؟ » قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : « لا ، يمنعني الله منك » . ثم عمد إلى سيف النبي ﷺ ، فردّه عليه ، فانزل الله ، عز وجل : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [ المائدة : ١١ ] .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني يزيد بن رومان ، أنها [ إنما ] أنزلت في عمرو بن جحاشٍ أخي بني النضير ، وما هم به .

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورثٍ هذا ، عن عمرو بن عبيد القدري ، رأس الفرقة الضالة ، وهو وإن كان لا يتهم بتعمد الكذب في الحديث ، إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه ؛ لبدعته ودعائه إليها . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين » من غير هذا الوجه ، والله الحمد .

وقد أورد الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> هاهنا طُرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث الزهري ، عن سنان بن أبي سنانٍ وأبي سلمة ، عن جابرٍ أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجدٍ ، فما قفل رسول الله ﷺ ، أدركته القائلة في وادٍ كثير العضاء ، ففترق الناس يستظلون بالشجر ، وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرةٍ ، فعلق بها سيفه ، قال جابرٌ : فمنا نومةٌ ، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا ، فأجبناه ، وإذا عنده أعرابيٌّ جالسٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذا اخترط سيفي وأنا نائمٌ ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس » . ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك . وقد رواه مسلم<sup>(٥)</sup> أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عَفَّان ، عن أبانٍ ، عن يحيى بن أبي كثير ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٠٥ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٠٦ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٧٣ ) .

(٤) رواها البخاري رقم ( ٤١٣٥ ) ومسلم رقم ( ٨٤٣ ) ( ١٣ ) و ( ١٤ ) .

(٥) رواه مسلم رقم ( ٨٤٣ ) .

عن أبي سلمة ، عن جابر قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ ، فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلقٌ بشجرة ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه ، وقال لرسول الله ﷺ : تخافني ؟ قال : « لا » قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله يمنعني منك » . قال : فتهذه أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف وعلقه . قال : ونودي بالصلاة ، فصلّى بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعاتٍ وللقوم ركعتان .

وقد علقه البخاري<sup>(١)</sup> بصيغة الجزم ، عن أبان به .

قال البخاري : وقال مسدد ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر : إنّ اسم الرجل غورث بن الحارث .

وأُسند البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من طريق أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سليمان بن قيس ، عن جابر قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخل ، فرأوا من المسلمين غرّة ، فجاء رجلٌ منهم يقال له : غورث بن الحارث .

حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك مني ؟ قال : « الله » . فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال : « من يمنعك مني ؟ » . فقال : كن خير آخذٍ . قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » .

قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : جئتم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلّى أربع ركعاتٍ ، بكلّ طائفة ركعتين . وقد أورد البيهقي هنا طرق صلاة الخوف بذات الرقاع ، عن صالح بن خوات بن جبير ، عن سهل بن أبي حثمة ، وحديث الزهري ، عن سالم ، عن أبيه في صلاة الخوف بنجد ، وموضع ذلك كتاب « الأحكام » والله تعالى أعلم .

### قصة

### الذي أصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدّثني عمّي صدقة بن يسار<sup>(٤)</sup> ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن

(١) رقم (٤١٣٦) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٧٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٠٨ ) .

(٤) قال أبو ذر الخشني : ذكر « عمي » في هذا الحديث خطأ ، وصدقة هذا جزري سكن بمكة . وليس بعم محمد بن إسحاق . انظر « شرح غريب السيرة » ( ٢ / ١٩١ ) .

عبد الله الأنصاري قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، فأصاب [ رجلٌ ] امرأة رجلٍ من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمدٍ دمًا . فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : « من رجلٌ يكلؤنا ليلتنا ؟ » فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله . قال : « فكُونا بفم الشعب من الوادي » . وهما عمار بن ياسر ، وعباد بن بشر ، فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه ؛ أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي . قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل ، عرف أنه ربيثة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه ، وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فانتزعه ، فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس فقد أثبت . قال : فوثب الرجل ، فلما رآهما الرجل ، عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهيبتني أول ما رماك ؟! قال : كنت في سورة أقرأها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها ، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فأذنتك ، وإيم الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها .

هكذا ذكره ابن إسحاق في « المغازي » .

وقد رواه أبو داود<sup>(١)</sup> ، عن أبي توبة ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقدي<sup>(٢)</sup> ، عن عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خوات ، عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالهم نسوة ، وكان في السبي جاريةً وضيئةً ، وكان زوجها يحبها ، فحلف ليطلبن محمدًا ، ولا يرجع حتى يصيب دمًا أو يخلص صاحبته . ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وكان جابر بن عبد الله يقول : [ بينا ] أنا مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء رجلٌ من أصحابه بفرخ طائر ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ، فأقبل إليه أبواه أو أحدهما ، حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أن الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا الطائر ؟! أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمةً لفرخه ، فوالله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه » .

(١) رواه أبو داود رقم ( ١٩٨ ) ، وهو حديث حسن .

(٢) انظر « المغازي » ( ٣٩٦ / ١ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ٣٩٨ / ١ ) .

## قصة

## جمل جابر في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخلي ، على جمل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله ﷺ جعلت الرقاع تمضي ، وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : « ما لك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا . قال : « أنخه » . قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطني هذه العصا من يدك » . أو : « اقطع عصاً من شجرة » . ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فخرج والذي بعثه بالحق يواحق ناقته مواهقة فقال لي : « أتبعيني جملك هذا يا جابر ؟ » قال : قلت : بل أهبه لك . قال : « لا ، ولكن بعنيه » .

قال : قلت : فسمنيه . قال : « قد أخذته بدرهم » . قال : قلت : لا ، إذا تغبنني يا رسول الله . قال : « فبدرهمين » . قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ ، حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله . قال : « أثيباً أم بكرأ ؟ » قال : قلت : بل ثيباً . قال : « أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ » . قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي أصيب يوم أحد ، وترك بنات له سبعاً ، فنكحت امرأةً جامعةً ، تجمع رؤوسهن ، فتقوم عليهن . قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً ، أمرنا بجزور فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعت بنا فنفضت نمارقها » .

قال : فقلت : والله يا رسول الله ، ما لنا من نمارق . قال : « إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً » . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت ، فأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدثت المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسمع وطاعة . فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلست في المسجد قريباً منه . قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل فقال : « ما هذا ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر . قال : « فأين جابر ؟ » . فدعيت له . قال : فقال : « يابن أخي ، خذ برأس جملك ، فهو لك » . قال : ودعا بلالاً فقال : « اذهب بجابر فأعطه أوقية » . قال : فذهبت معه ، فأعطاني أوقيةً ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويؤري مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرة . وقد أخرجه صاحبنا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٠٦/٢ ) .

« الصحيح » من حديث عبيد الله بن عمر العمري ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر بنحوه .

( قال السهيلي<sup>(١)</sup> : في هذا الحديث إشارة إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله ؛ أن الله أحيا [ والده ] وكلّمه ، فقال له : « تمنّ عليّ » . وذلك أنّه شهيدٌ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [ التوبة : ١١١ ] وزادهم على ذلك في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [ يونس : ٢٦ ] . ثم جمع لهم بين العوض والمعوض ، فردّ عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [ آل عمران : ١٦٩ ] . والروح للإنسان بمنزلة المطيّة ، كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : ولذلك اشترى رسول الله ﷺ [ به ] من جابر جملة وهو مطيّة فأعطاه ثمنه ، ثم ردّه عليه وزاده مع ذلك . قال : ففيه تحقيقٌ لما كان أخبره [ به ] ، عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيلي ههنا إشارة غريبةٌ وتخيّلٌ بديعٌ . والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>(٢)</sup> )

وقد ترجم الحافظ البيهقي في كتابه « دلائل النبوة »<sup>(٣)</sup> على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرقٌ عن جابر وألفاظٌ كثيرةٌ ، وفيه اختلافٌ كثيرٌ في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائقٌ بكتاب البيع من « الأحكام » والله أعلم .

وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتي ، ومُسْتَبَعَدُ تعداد ذلك ، والله أعلم .

### غزوة بدر الآخرة

وهي بدر الموعَد<sup>(٤)</sup> ، التي تواعدوا إليها من أحد ، كما تقدم .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرّقاع ، أقام بها بقية جمادى [ الأولى ] وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدرأً ، وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، حتى نزل مجنّة من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسفان . ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلّا عامٌ خصيبٌ ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عامٌ جدبٍ ، وإنّي راجعٌ فارجعوا . فرجع الناس ، فسماهم أهل مكة جيش السّويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السّويق .

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٢٤٨ / ٦ ) .

(٢) ما بين القوسين ورد في حاشية الأصل ( آ ) وما بين الحاصرتين سقط منه وأثبتته من ( ط ) .

(٣) ( ٣٨١ / ٣ ) .

(٤) وقال المؤلف في « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٦٣ ) : « وهذه الغزوة تسمى بدرأً الثالثة ، وبدر الموعَد » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٠٩ / ٢ ) .

قال : وأتى مخشي بن عمرو الضمري ، وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة ودان على بني ضمرة ، فقال : يا محمد ، أجنث للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : « نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك ، حتى يحكم الله بيننا وبينك » . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقد قال عبد الله بن رواحة - يعني في انتظارهم أبا سفيان ، ورجوعه بقريش عامه ذلك - قال ابن هشام : وقد أنشدنيها [ أبو ] زيد لكعب بن مالك<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

وعدنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد	لميعاده صدقاً وما كان وافيأ
فأقسم لو لا قيتنا فلقيتنا	لأبنت ذميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه	وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويأ
عصيتم رسول الله أف لدينكم	وأمركم السيء الذي كان غاويأ
فإني وإن عنتموني لقائل	فدئ لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره	شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديأ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في ذلك<sup>(٣)</sup> : [ من الطويل ]

دعوا فليجات الشام قد حال دونها	جلاذ كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم	وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج	فقولاً لها ليس الطريق هنالك
أقمنا على الرّسّ النزوع ثمانياً	بأرعن جرار عريض المبارك
بكلّ كميّة جوزه نصف خلقه	وقبّ طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تذري أصوله	مناسم أخفاف المطيّ الرّواتك
فإن نلق في تطوافنا والتماسنا	فراث بن حيّان يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده	يزد في سواد لونّه لون حالك
فأبلغ أبا سفيان عني رسالة	فإنك من غرّ الرجال الصّعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - وقد أسلم فيما بعد ذلك - : [ من الطويل ]

أحسان إنّا يا بن آكلة الغفا وجدك نغتال الخروق<sup>(٤)</sup> كذلك

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢١٠ ) .

(٢) انظر « ديوانه » ص ( ٢٢٢ ) .

(٣) انظر « ديوانه » ( ٨٥ / ١ ) وفيها بعض الخلاف عما في كتابنا بألفاظها وترتيبها .

(٤) في هامش « السيرة النبوية » : « الغفا : التمر . يري أنهم أهل نخيل وتمر . ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق وهو الفلاة الواسعة » .

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا      ولو وألت منا بشدّ مدارك  
 • إذا ما انبعثنا من مناخٍ حسبتَه      مُدَمَّنَ أهل الموسم المتعارك  
 أقمت على الرّسّ التّزوع تريدنا      وتركنا في النخل عند المدارك  
 على الزرع تمشي خيلنا وركابنا      فما وطئت ألصقنه بالدكادك  
 أقمنا ثلاثاً بين سلع وفارح      بجرد الجياد والمطىّ الرّواتك  
 حسبتم جلاد القوم عند فنائكم      كمأخذكم بالعين أرطال أنك  
 فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها      على نحو قول المعصم المتماسك  
 سعدتم بها وغيركم كان أهلها      فوارس من أبناء فهر بن مالك  
 فإنك لا في هجرة إن ذكرتها      ولا حرّمت دينها أنت ناسك

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : تركنا منها أبياتاً ؛ لاختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة<sup>(٢)</sup> ، عن الزهريّ ، وابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعده أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم ، فسلم الله أوليائه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر ، وأخذوا معهم بضائع ، وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان ، وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر . ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنة ورجوعه ، وفي مقالة الضمريّ ، وعرض النبي ﷺ المنايضة فأبى ذلك .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسمئة من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وكان خروجه إليها في مستهلّ ذي القعدة . يعني سنة أربع . والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاث . وهذا وهم ؛ فإنّ هذه تواعدوا إليها من أحد ، وقد كانت أحد في شوال سنة ثلاث كما تقدّم ، والله أعلم .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : فأقاموا ببدر مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [ آل عمران : ١٧٤ ] .

(١) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ٢١٣ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ٣٨٤ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ١ / ٣٨٧ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ١ / ٣٨٨ ) .

## فصل

## في جمل من الحوادث الواقعة سنة أربع من الهجرة

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه - قلت : من رقية بنت رسول الله ﷺ - وهو ابن ست سنين ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرته والده عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي<sup>(٢)</sup> ، وأمه برة بنت عبد المطلب ، عمّة رسول الله ﷺ ، وكان رضيع رسول الله ﷺ ؛ ارتضعا من ثوية مولاة أبي لهب ، وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان<sup>(٣)</sup> والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحد ، وقد هاجر هو وزوجته أم سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة ، وقد ولد لهما بالحبشة أولاد ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة ، وتبعته أم سلمة إلى المدينة كما تقدّم ، وشهد بدرأ وأحداً ، ومات من آثار جرح جرحه بأحد ، رضي الله عنه وأرضاه ، له حديث واحد في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأم سلمة قريباً .

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup> : وفي ليالٍ خلون من شعبان ولد الحسين بن عليّ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنهم .

قال<sup>(٥)</sup> : وفي شهر رمضان من هذه السنة ، تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البر<sup>(٦)</sup> ، عن عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث ، ثم استغربه وقال : لم أره لغيره ، وهي التي يقال لها : أم المساكين . لكثرة صدقاتها عليهم وبرّها لهم وإحسانها إليهم ، وأصدقها ثنتي عشرة أوقية ونشأ ، ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها .

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٥٥٥ ) .

(٢) ترجمته في « أسد الغابة » ( ٦ / ١٥٢ ) .

(٣) كذا في ( آ ) و ( ط ) ، والصحيح هنا والله أعلم ، ذكر عثمان بن مظعون ، لا عثمان بن عفان ، لأن عثمان بن مظعون ، هو الذي هاجر إلى الحبشة ، انظر « الإصابة » ( ٢ / ٤٦٤ ) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٥٥٥ ) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٥٥٥ ) و « شذرات الذهب » ( ١ / ١١٩ ) .

(٦) في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » ( ٤ / ١٨٥٤ ) .



قال أبو عمر بن عبد البر<sup>(١)</sup> ، عن علي بن عبد العزيز الجرجاني : ثم خلف عليها أخوه عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

قال ابن الأثير في « الغابة »<sup>(٢)</sup> : وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش ، فقتل عنها يوم أحد .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة حتى توفيت ، رضي الله عنها .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : في شوال من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية .

قلت : وكانت قبله عند زوجها ، أبي أولادها ، أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد بدرًا وأحدًا كما تقدّم ، وجرح يوم أحد ، فداوى جرحه شهراً حتى برأ ، ثم خرج في سرية ، فغنم منها نَعَمًا ومغنمًا جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ، ثم انتقض عليه جرحه ، فمات لثلاث بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلما حلت في شوال خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة ، وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فذكر أنها امرأة غيرة ؛ أي شديدة الغيرة ، وأنها مُصِيبَةٌ ؛ أي لها صبيان يشغلونها عنه ، ويحتاجون إلى مؤنة ، تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : « أما الصبية فإلى الله وإلى رسوله - أي نفقتهم - ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها » . فأذنت في ذلك ، وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم ، فزوج النبي ﷺ . تعني : قد رضيت وأذنت . فتوهم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بينت فيه الصواب في ذلك ، والله الحمد والمنة ، وأن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها ، وساغ هذا ؛ لأن أباه ابن عمها ، فللابن ولاية أمه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوّة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوّة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعي وحده ، وخالفه الثلاثة ؛ أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل ، رحمهم الله ، ولبسط هذا موضع آخر يذكر فيه ، وهو كتاب النكاح من « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا يونس ، ثنا ليث ، يعني ابن سعد ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أم سلمة قال : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً فسررت به ؛ قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة ، فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم أجرنني في مصيبتني ، واخلف لي خيراً منها . إلا فعل به » . قالت

(١) انظر « الاستيعاب » ( ١٨٥٤ / ٤ ) .

(٢) يعني في « أسد الغابة » والنقل فيه ( ١٢٩ / ٧ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ٣٤٤ / ١ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٧ / ٤ ) ، والمطلب روايته عن الصحابة مرسله ، إلا أمثال أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وسلمة بن الأكوع ومن كان قريباً من طبقتهم ، ولكن يشهد للحديث ما بعده .

أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم أجرنني في مصيبي واخلف لي خيراً منها . ثم رجعت إلى نفسي ، قلت : من أين لي خيرٌ من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يدي من القرط ، وأذنت له ، فوضعت له وسادة آدم حشوها ليفٌ ، فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرغبة ، ولكنني امرأةٌ في غير شديدة ؛ فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا امرأةٌ قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيالٍ . فقال : « أما ما ذكرت من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السن ؛ فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي » . قالت : فقد سلّمت لرسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه ؛ رسول الله ﷺ .

وقد رواه الترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> ، من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمه أم سلمة ، عن أبي سلمة به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وفي رواية للنسائي<sup>(٢)</sup> عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة . ورواه ابن ماجه<sup>(٣)</sup> ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجمحي ، عن أبيه ، عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم انصرف رسول الله ﷺ - يعني من بدر الموعود - راجعاً إلى المدينة ، فأقام بها حتى مضى ذو الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون ، وهي سنة أربع .

وقال الواقدي<sup>(٥)</sup> : وفي هذه السنة - يعني سنة أربع - أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود .

قلت : فثبت عنه في « الصحيح »<sup>(٦)</sup> أنه قال : تعلّمته في خمسة عشر يوماً ، والله أعلم .

\*\*\*

- 
- (١) رواه الترمذي رقم ( ٣٥١١ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١٠٩٠٩ ) و ( ١٠٩١٠ ) ، وهو حديث صحيح بطرقه وانظر مسند أحمد ( ٢٧١ / ٤٤ ) .
  - (٢) في الكبرى ( ١٠٩١١ ) .
  - (٣) في « السنن » رقم ( ١٥٩٨ ) ، وهو حديث صحيح بطرقه .
  - (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٣ / ٢ ) .
  - (٥) انظر « تاريخ الطبري » ( ٥٦١ / ٢ ) .
  - (٦) روى البخاري أصله برقم ( ٧١٩٥ ) تعليقاً ولم يذكر عدد الأيام فيه ، وقد وصله في « تاريخه الكبير » ، ورواه أبو داود رقم ( ٣٦٤٥ ) والترمذي رقم ( ٢٧١٥ ) وقال : حسن صحيح وهو كما قال .

## سنة خمس من الهجرة النبوية

### غزوة دومة الجندل<sup>(١)</sup>

في ربيع الأول [ منها ]

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل<sup>(٣)</sup> .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : في ربيع الأول - [ يعني ] من سنة خمس - واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي<sup>(٦)</sup> بإسناده ، عن شيوخه ، عن جماعة من السلف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفرع قيصر وذكر له [ أن ] بدومة الجندل جمعاً كثيراً<sup>(٧)</sup> ، وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان بها<sup>(٨)</sup> سوق عظيم ، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له : مذكور . هادٍ خريّت<sup>(٩)</sup> ، فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب في كل [ وجه ] ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل ففرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، فلم يجد بها<sup>(١٠)</sup> أحداً ، فأقام بها

(١) انظر « عيون الأثر » ( ٨٣ / ٢ ) و « زاد المعاد » ( ٢٢٨ / ٣ ) و « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٦٣ ) و « شذرات الذهب » ( ١٢٢ / ١ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٣ / ٢ ) .

(٣) دومة الجندل : على سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ . انظر « معجم البلدان » ( ٤٨٧ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٣ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٣ / ٢ ) .

(٦) انظر « المغازي » ( ٤٠٢ / ١ ) .

(٧) في ( آ ) : « كبيراً » وأثبت لفظ ( ط ) وهو الصواب .

(٨) في ( ط ) : « لها » .

(٩) الخريّت : الماهر . انظر « النهاية » ( ١٩ / ٢ ) .

(١٠) في ( ط ) : « فيها » .

أياً ، وبث السرايا ، ثم رجعوا ، وأخذ محمد بن مسلمة رجلاً منهم ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه ، فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله ﷺ [ الإسلام ] ، فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : وكان خروجه ، عليه السلام ، إلى دومة الجندل في ربيع الأول<sup>(٢)</sup> سنة خمس .

قال : وفيه<sup>(٣)</sup> توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> في هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذي في « جامعه »<sup>(٥)</sup> : ثنا محمد بن بشار ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر .

وهذا مرسل جيد<sup>(٦)</sup> ، وهو يقتضي أنه ، عليه السلام ، غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه ، على ما ذكره الواقدي ، رحمه الله .

## غزوة الخندق

### وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة « الأحزاب » ، فقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُقَاتِلُ الْكُفْرَ فَارْجِعُوا وَنَسْتَنْزِلُ فَرِيقًا مِنْهُمْ النَّبِيُّ يَقُولُونَ إِنْ تُبِيتَ عَنْهُمْ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُ أَلَا ذُبْنَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

(١) انظر « المغازي » ( ٤٠٢ / ١ ) .

(٢) في ( ط ) : « في ربيع الآخر » .

(٣) يعني في شهر ربيع الأول من سنة خمس من الهجرة النبوية .

(٤) يعني : وابنها غائب مع رسول الله ﷺ .

(٥) رقم ( ١٠٣٨ ) .

(٦) فهو ضعيف .

كَأَلَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْمَخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَكَوِبُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ [الأحزاب: ٩ - ٢٧] ، وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في « التفسير »<sup>(١)</sup> ، والله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة . نصَّ على ذلك ابن إسحاق ، وعروة بن الزبير ، وقتادة ، والبيهقي ، وغير واحد من العلماء ، سلفاً وخلفاً<sup>(٢)</sup>

وقد روى موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع ، وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل ، عن موسى بن داود ، عنه<sup>(٣)</sup> .

قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ؛ لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع<sup>(٥)</sup> ، ورجع أبو سفيان بقریش لجذب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعيَّن أن الخندق في شوال من سنة خمس<sup>(٦)</sup> ، والله أعلم .

وقد صرَّح الزُّهري<sup>(٧)</sup> بأن الخندق كانت بعد أحد بستين ، ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث ،

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٦ / ٣٨٤ ) .

(٢) قلت : ومنهم ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٤٠ ) والذهبي في « الإيعام بوفيات الأعلام » ص ( ٢٢ ) وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » ( ١ / ١٢٢ ) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .

(٣) قلت : وهو ما رجَّحه الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١ / ٢٠ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٩٥ ) .

(٥) انظر ص ( ٢٧٤ ) من هذا الجزء .

(٦) انظر « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٤٠ ) .

(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي ( ٣ / ٢٨٥ ) .

إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة التالية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي ، وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي ، وقد صرح بأن بدرأ في الأولى ، وأحدأ في سنة ثنتين ، وبدرأ الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور ؛ فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة . وعن مالك : من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة ، والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور أن أحدأ في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة ، والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> من طريق عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : « عُرضْتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني ، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني » .

فقد أجاب عنه جماعة من العلماء ، منهم البيهقي<sup>(٢)</sup> بأنه عُرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة<sup>(٣)</sup> .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنه لما عرض عليه [ في ] يوم الأحزاب ، كان قد استكمل خمس عشرة سنة ، التي يجاز لمثلها الغلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلغ نافع عمرَ بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا لفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به إلى الآفاق ، واعتمد على ذلك جمهور العلماء ، والله أعلم .

وهذا سياق القصة ، مما ذكره ابن إسحاق وغيره :

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزُّهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، وبعضهم يُحدِّث ما لا يحدث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود - منهم : سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحُيَّي بن أخطب النضري ، وكِنَانَة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وهُوَذَة بن قيس الوائلي ، وأبو عَمَّار الوائلي ، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، وهم الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ،

(١) رواه البخاري رقم ( ٢٦٦٤ ) و ( ٤٠٩٧ ) ومسلم رقم ( ١٨٦٨ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٣٩٦ ) .

(٣) انظر « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٤١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢١٤ ) .

خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فهم الذين أنزل الله عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْفَعُونَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّوْا أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجْدِلُهُ نَصِيرًا ۝ ﴾ [النساء : ٥١-٥٢] فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب النبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْر ، في بني فزارة ، والحرث بن عوف [ بن ] أبي حارثة المُرِّي ، في بني مُرَّة ، ومِسْعَرُ بْنُ رُحَيْلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ بْنِ طَرِيفِ بْنِ سُحْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالِ بْنِ خُلاوَةَ بْنِ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غُطَفَانَ فِيمَنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَشْجَع . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : يقال : إن الذي أشار به سلمان .

قال الطبري والسُّهيلي<sup>(٢)</sup> : أول من حفر الخنادق منوشهر بن إيرج بن أفريدون ، وكان في زمن موسى ، عليه السلام .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون ، وتخلَّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من يَنْسَلُ خفية بغير إذنه ولا علمه ، عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ [ بَيْنَكُمْ ] كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم لُوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [ النور : ٦٢-٦٤ ] .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٤ / ٢ ) وانظر « زاد المعاد » ( ٢٤٢ / ٣ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٣٧٩ / ١ ) و« الروض الأنف » ( ٣٠٦ / ٦ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٦ / ٢ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له : جُعيل . سمَّاه رسول الله ﷺ عَمراً ، فقالوا فيما يقولون : [ من الرجز ]

سمَّاه من بعد جُعيل عَمراً وكان للبائس يوماً ظهراً<sup>(٢)</sup>

وكانوا إذا قالوا : عمراً . قال معهم رسول الله ﷺ : « عمراً » . وإذا قالوا : ظهراً . قال لهم : « ظهراً » .

وقد قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » . فقالوا مجيبين له : [ من الرجز ]

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث شعبة ، عن معاوية بن قُرة ، عن أنس ، نحوه .

وقد رواه مسلم<sup>(٥)</sup> من حديث حمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، وحميد ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

قال : يقول النبي ﷺ يجيبهم : « اللهم [ إنه ] لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » . قال : ويؤتون بملء كفي من الشعر ، فيصنع [ لهم ] بإهالة سنخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح متتن .

وقال البخاري<sup>(٧)</sup> : ثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وهم يحفرون ، ونحن نقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢١٧ ) .

(٢) ظهراً : أي قوة .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٢٨٣٤ ) و ( ٤٠٩٩ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٧٩٥ ) و ( ٦٤١٣ ) ومسلم رقم ( ١٢٧ ) و ( ١٨٠٥ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ١٨٠٥ ) ( ١٣٠ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٢٨٣٥ ) .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٤٠٩٨ ) .



ورواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن القَعْنَبِيِّ ، عن عبد العزيز ، به .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه - أو اغبر بطنه - يقول : [ من الرجز ]

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لا قبنا  
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته : « أبينا ، أبينا » .

ورواه مسلم<sup>(٣)</sup> ، من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا شريح بن مسلم ، حدثني إبراهيم بن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ ، رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعتُه يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة<sup>(٥)</sup> ، وهو ينقل من التراب يقول : [ من الرجز ]

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لا قبنا  
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ثم يمدُّ صوته بآخرها .

وقال البيهقي في « الدلائل »<sup>(٦)</sup> : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصقار ، ثنا إسماعيل بن الفضل البلخي<sup>(٧)</sup> ثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، ثنا المسيب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، [ أن ] رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال : [ من الرجز ]

بسم الله وبه هُدينا ولو عبَدنا غيره شقينَا  
يا حذارِ ربّاً وحبّاً ديناً

(١) رواه مسلم رقم ( ١٨٠٤ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤١٠٤ ) .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٨٠٣ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١٠٦ ) .

(٥) انظر « ديوانه » ص ( ١٣٩ ) بتحقيق د . وليد قصّاب .

(٦) انظر « دلائل النبوة » ( ٤١٤ / ٣ ) .

(٧) في ( ط ) : « البجلي » وهو تحريف .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا سليمان ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال ، وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة ، فأصلح الأنصار والمهاجرة » .

وأخرجاه في « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> من حديث عُندَر<sup>(٣)</sup> ، عن شعبة .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني ، فيها [ من الله ] تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون ، فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يُحدث أنه اشتدت عليهم في حفر الخندق كُذبة<sup>(٥)</sup> ، فشكّوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء ، ففعل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكُذبة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً ، عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاري<sup>(٦)</sup> ، رحمه الله : [ حدثنا خلاد بن يحيى ] ، ثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال : إننا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كُذبة<sup>(٧)</sup> شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كُذبة عرضت في الخندق . فقال : « أنا نازل » . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب ، فعاد كُثيباً أهيل أو أهيم ، فقلت : يا رسول الله ، ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فعندي شيء ؟ قالت : عندي شعير وعَنَاق<sup>(٨)</sup> . فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي ﷺ ، والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعِيم<sup>(٩)</sup> لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : « كم هو ؟ » . فذكرت له ، قال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة و[ لا ] الخبز من التثور حتى آتي » . فقال : « قوموا » . فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت :

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٠ / ٣ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٦٤١٣ ) ومسلم رقم ( ١٨٠٥ ) .

(٣) وهو لقبه ، واسمه ( محمد بن جعفر الهذلي البصري ) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٢٢٢ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٧ / ٢ ) .

(٥) الكدية : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤١٠١ ) .

(٧) وهي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض وانظر « فتح الباري » ( ٣٩٦ / ٧ ) .

(٨) العناق : الأنثى من ولد الماعز .

(٩) الطُعِيم : تصغير طعام .

نعم . فقال : « ادخلوا ولا تضاغطوا »<sup>(١)</sup> . فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البُرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر [ الخبز ] ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، قال : « كلي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة » . تفرد به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم ، عن جابر بقصة الكدية وربط الحجر على بطنه الكريم .

ورواه البيهقي في « الدلائل »<sup>(٣)</sup> عن الحاكم<sup>(٤)</sup> ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، بقصة الكدية والطعام ، وطوله أتم من رواية البخاري ؛ قال فيه : لما علم النبي ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً : « قوموا إلى جابر » . فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله ، وقلت : جاء بالخلق على صاع من شعير وعناق ! ودخلت على امرأتي أقول : افتضحت ؛ جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين . فقالت : هل كان سألَكَ كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فكشفت عني غمّاً شديداً . قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال : « خذي ودعيني من اللحم » . وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ، ثم يخمر هذا ويخمر هذا ، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنور والقدرُ أملاً ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « كلي وأهدي » . فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع .

وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، به ، وأبسط أيضاً ، وقال في آخره : وأخبرني أنهم كانوا ثمانمئة أو قال : ثلاثمئة . وقال يونس بن بكير ، عن هشام بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، فذكر القصة بطولها في الطعام فقط ، وقال : وكانوا ثلاثمئة .

ثم قال البخاري<sup>(٦)</sup> : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان ، أخبرنا سعيد بن ميناء ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حُفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خَمْصاً [ شديداً ] ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؟ [ فإني ] رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً . فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بُهيمه داجن فذبحتها ، وطحنت [ الشعير ] ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه . فجثته

(١) أي : لا تزاحموا .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٣٠٠ ) .

(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤١٥ ) .

(٤) يعني صاحب « المستدرک علی الصحیحین » وهو شيخ البيهقي .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ٤٢٢ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤١٠٢ ) وما بين الحاصرتين تكملة منه .

فساررته فقلت : يا رسول الله ، [ ذبحنا ] بهيمة لنا ، وطحناً صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سُؤراً<sup>(١)</sup> ، فحي هلاً بكم » . فقال رسول الله ﷺ : « لا تُنزلن برمتكم ، ولا تخيزن عجينكم حتى أجيء » . فجئت ، وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس ، حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلت الذي قلت . فأخرجت لنا عجيناً ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادع خبّازة فلتخبز معك ، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها » . وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا كما هو .

[ ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن حجاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم ، به نحوه ] .

وقد روى محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> هذا الحديث ، وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه ، فقال : حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وكانت عندي شويهة غير جدّ سميّة . قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ . قال : وأمرتُ امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحتُ تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ ، فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق . قال : وكنا نعمل فيه نهراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا . قال : فقلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شويهة<sup>(٤)</sup> كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال : فلما أن قلت ذلك قال : « نعم » . ثم أمر صارخاً ، فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل معه الناس<sup>(٥)</sup> ، فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمى الله تعالى ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه<sup>(٦)</sup> من طريق سعيد بن ميناء ؛ عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، عنه ، عن جابر مثله سواء .

(١) أي : طعاماً . وهي من الألفاظ الفارسية المعرّبة .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٢٠٣٩ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٨ / ٢ ) .

(٤) الشويهة : تصغير شاة . انظر « مختار الصحاح » ( شوه ) .

(٥) في ( ط ) : « وأقبل الناس معه » .

(٦) في « مسنده » ( ٣ / ٣٧٧ ) ، وإسناده حسن .

قال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعني أُمي عَمْرَة بنت رواحة ، فأعطتني حَفَنَة من تمرٍ في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ وأنا أَلْتَمِسُ أبي وخالي ، فقال : « تعالي يا بُنية ، ما هذا معك ؟ » . قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتني به أُمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : « هاتيه » . قالت : « فصبيته في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا<sup>(٢)</sup> بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ في أهل الخندق أن هَلُمَّ إلى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق ، وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> من طريقه ، ولم يزد .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ [ صخرة ] ، ورسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رأيته أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب [ به ] ضربة لمعت تحت المعول بُرْقَة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته بُرْقَة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت بُرْقَة أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول [ وأنت تضرب ؟ ] قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « أما الأولى ، فإن الله فتح عليّ بها اليمن ، وأما الثانية ، فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة ، فإن الله فتح عليّ بها المشرق » .

قال البيهقي<sup>(٥)</sup> : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وذكره أبو الأسود ، [ عن ] عروة .

ثم روى البيهقي<sup>(٦)</sup> من طريق محمد بن يونس الكديمي ، وفي حديثه نظر .

لكن رواه ابن جرير في « تاريخه »<sup>(٧)</sup> عن محمد بن بشار بُنْدَار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٨ / ٢ ) .

(٢) في ( آ ) : « دعا » وأثبت لفظ ( ط ) ودحا : بسط ووسع . انظر « النهاية » ( ١٠٦ / ٢ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٤٢٧ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٩ / ٢ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٤١٨ / ٣ ) .

(٦) انظر « دلائل النبوة » ( ٤١٨ / ٣ ) .

(٧) انظر « تاريخ الطبري » ( ٥٦٧ / ٢ ) .

عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنِي ، عن أبيه ، عن جدّه ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خطّ الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً .

قال : واحتق<sup>(١)</sup> المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان من أهل البيت » . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا ، وسلمان ، وحذيفة ، والنعمان بن مُقَرَّن ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنّا حتى إذا بلغنا الندى ، ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرَوّة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيتها - يعني المدينة - حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكَبَّرَ رسول الله ﷺ تكبير فتح ، وكَبَّرَ المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ ، وسألوه عن ذلك النور ، فقال : « لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها ، فأبشروا » . واستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله ، موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . [ الأحزاب : ٢٢ ] وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرّزوا ؟! فنزل فيهم : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [ الأحزاب : ١٢ ] . وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني<sup>(٢)</sup> : ثنا هارون بن ملول ، ثنا أبو عبد الرحمن ، ثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أمر النبي ﷺ بالخندق فحُفِدَ على المدينة ، قالوا : يا رسول الله ، إنا وجدنا صفاة<sup>(٣)</sup> لا نستطيع حفرها ، فقام النبي ﷺ ، وقمنا معه ، فلما أتاه أخذ المعول ، فضرب به ضربة وكَبَّرَ ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : [ « فتحت فارس » . ثم ضرب أخرى فكَبَّرَ ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : [ « فتحت الروم » . ثم ضرب أخرى فكَبَّرَ ، فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط ، فقال : « جاء الله بحِمِيرٍ أعواناً وأنصاراً » .

وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف ، فالله أعلم .

(١) أي : تخاصم .

(٢) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١٣١ / ٦ ) وعزاه للطبراني بإسنادين في أحدهما حُيي بن عبد الله وثقه ابن معين وضعفه جماعة ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح .

(٣) أي : صخرة .

وقال الطبراني<sup>(١)</sup> أيضاً : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني سعيد بن محمد الجرمي ، ثنا أبو ثُميلة ، ثنا نعيم بن سعيد العبدى أن عكرمة حدث عن ابن عباس ، قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شَدُّوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : « هل دلتهم على رجل يطعمنا أكلة ؟ » قال رجل : نعم . قال : « إما لا فتقدّم فدلنا عليه » . فانطلقوا إلى [ بيت ] الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جىء ؛ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي . وله معزة ومعها جديها ، فوثب إليها ، فقال النبي ﷺ : « الجددي من ورائها » . فذبح الجددي ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت ، فأدركت القدر ، فشردت قصعتها ، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها ، وقال : « بسم الله ، اللهم بارك فيها ، اطعموا » . فأكلوا منها حتى صدروا ، ولم يأكلوا منها إلا ثلثها ، وبقي ثلثاها ، فسرّح أولئك العشرة الذين كانوا معه ، أن اذهبوا وسرّحوا إلينا بعدتكم . فذهبوا ، فجاء أولئك العشرة ، فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت ، وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : « اذهبوا بنا إلى سلمان » . وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوني فأكون أول من ضربها » . فقال : « بسم الله » . فضربها فوقعت فلقة ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، قصور الروم<sup>(٢)</sup> ورب الكعبة » . ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة ، فقال : « الله أكبر ، قصور فارس ورب الكعبة » . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا ، وهو يعدنا قصور فارس والروم .

ثم قال الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصّفّار ، ثنا محمد بن غالب بن حرب ، ثنا هوزة ، ثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهري<sup>(٤)</sup> ، حدثني البراء بن عازب الأنصاري ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها أخذ المعول وقال : « بسم الله » . وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » . ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » . ثم ضرب الثالثة ، فقال : « بسم الله » . فقطع [بقية] الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة » .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ٣٧٦/١١ ) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١٣٢/٦ ) وعزاه للطبراني ، وقال : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ونعيم العبدى وهما ثقتان .

(٢) في ( ط ) : « أكبر قصور الشام » .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٢١/٣ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » : « الزهراني » .

وهذا حديث غريب أيضاً ، تفرد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصري روى عن البراء ، وعبد الله بن عمرو ، وعنه حميد الطويل ، والجريري ، وعوف الأعرابي .

قال أبو حاتم<sup>(١)</sup> ، عن إسحاق بن منصور ، عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه .

وقال النسائي<sup>(٢)</sup> : ثنا عيسى بن يونس ، ثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السَّيباني ، عن أبي سكينه - رجل من المحرَّرين - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، قال لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ ﴾<sup>(٣)</sup> رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ [ الأنعام : ١١٥ ] ﴾ . فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ، ثم ضرب الثانية ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة ، فرأها سلمان ، ثم ضرب الثالثة ، وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس ، فقال سلمان : يا رسول الله ، رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله ﷺ : « يا سلمان ، رأيت ذلك ؟ » . قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله . قال : « فلاني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني » . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ، ونخرَّب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك ، قال : « ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها ، حتى رأيتها بعيني » . قالوا : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ، ونخرَّب بأيدينا بلادهم . فدعا ، ثم قال : « ثم ضربت الضربة الثالثة ، فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى ، حتى رأيتها بعيني » . ثم قال رسول الله ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . هكذا رواه النسائي مطولاً . وإنما روى منه أبو داود<sup>(٤)</sup> : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . عن عيسى بن محمد الرملي ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيباني ، به .

ثم قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحدثني من لا أتَّهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار

(١) انظر « الجرح والتعديل » لابنه ٨ / الترجمة ١٠٥١ .

(٢) رواه النسائي رقم ( ٣١٧٦ ) ، وهو حديث حسن .

(٣) قرأها بالجمع كلمات : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر وقرأ الباقون ، ومنهم عاصم : كلمة بالإفراد .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٤٣٠٢ ) ، وهو حديث حسن .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢١٩ ) .



في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحت من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة ، إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه ، والله الحمد .

فقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي » .

وقد رواه البخاري<sup>(٢)</sup> منفرداً به ، عن يحيى بن بكير ، وسعيد بن عفير ، كلاهما عن الليث ، به ، وعنده ، قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبيننا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتُلَّت<sup>(٤)</sup> في يدي » .

وهذا إسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وفي « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> : « إذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هَلَكَ كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

وفي الحديث الصحيح<sup>(٦)</sup> : « إن الله زوى لي الأرض ؛ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » .

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٥٥ / ٢ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٢٩٧٧ ) و ( ٧٠١٣ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٥٠١ / ٢ ) .

(٤) أي : أُلْقِيَتْ .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٣١٢٠ ) و ( ٣٦١٨ ) ومسلم رقم ( ٢٩١٨ ) .

(٦) رواه مسلم رقم ( ٢٨٨٩ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢١٩ / ٢ ) .

من رومة<sup>(١)</sup> ، بين الجُرف<sup>(٢)</sup> وزَغَابَة<sup>(٣)</sup> ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع<sup>(٤)</sup> في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [الأحزاب : ١٠] .

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزاب حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وخرج حُيي بن أخطب النَّضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقدهم وعهدهم ، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حُيي ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك يا حُيي ! إنك امرؤ مشؤوم ، وإنني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال : ويحك ! افتح لي أكلّمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جشيشتك<sup>(٧)</sup> أن آكل معك منها . فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتكَ بعزّ الدهر وبحر طام . قال : وما ذاك ؟ قال : جئتكَ بقريش على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب : جئتني والله بذلّ الدهر ، وبجهام<sup>(٨)</sup> قد هراق ماؤه ، يزعد ويُبرق ، وليس فيه شيء ، ويحك يا حُيي ! فدعني وما أنا عليه ؛ فإنني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً .

(١) وهي بئرٌ في عقيق المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص ( ٤٠ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

(٢) الجُرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص ( ٨٨ ) .

(٣) زغابة : موضع قريب من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص ( ١٧١ ) .

(٤) سلع : موضع بقرب المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص ( ١٨٣ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤١٠٣ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٢٠ ) .

(٧) الجشيشة : نوع من أنواع الطعام . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ١ / ٢٧٣ ) .

(٨) الجهم : السحاب الذي لا ماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القرظي فأحسن ، فيما ذكره موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> ، ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ، ومعاهدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوه .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلم يزل حُبي بكعب يفتل في الذروة والغارب حتى سمح له - يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ ، وفي محاربته مع الأحزاب - على أن أعطاه حبي عهد الله وميثاقه : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ؛ أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حُبي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم . يعني لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً . قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشrafهم . فنازلهم حُبي على ذلك ، فعند ذلك نقضوا العهد ، ومزقوا الصحيفة التي كان فيها العهد ، إلا بني سَعْيَةَ أسد ، وأسيد ، وثعلبة ، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين ، بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سيّد الأوس ، وسعد بن عُبادة ، وهو يومئذ سيّد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوَّات بن جبير ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتتظروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ، ولا تفتؤا في أعضاء المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس » . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة<sup>(٤)</sup> : فدخلوا معهم حصنهم ، فدعوههم إلى المودعة وتجديد الحلف ، فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ؟! يريدون بني النَّضِير ، ونالوا من رسول الله ﷺ ، فجعل سعد بن عبادَة يشاتمهم ، فأغضبوه ، فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ما جئنا لهذا ، ولما بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النَّضِير أو أمرٍ منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : نالوا من رسول الله ﷺ ، [ وقالوا ] : مَنْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدَّة ، فقال له سعد بن عُبادة : دع عنك مشاتمهم ، لما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسَلَّموا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠١ / ٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢١ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢١ / ٢ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠٣ / ٣ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٢ / ٢ ) .

عليه ، وقالوا : عضل والقارة . أي : كغدرهم بأصحاب الرّجيع ، خُيِّب وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين » .

قال موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> : ثم تقنّع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلاً ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأتهم عن بني قريظة خير ، ثم إنه رفع رأسه فقال : « أبشروا بفتح الله ونصره » . فلما أن أصبحوا ، دنا القوم بعضهم من بعض ، وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة . وقال سعيد بن المسيّب : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد » .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، [ ونجم النفاق ] ، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وحتى قال أوس بن قيثي : يا رسول الله ، [ إن ] بيوتنا عورة من العدو . وذلك عن ملا من رجال قومه . فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارج من المدينة .

قلت : وهؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۖ ﴾ [١٦] وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَفِذْنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿ ١٧ 〉 [ الأحزاب : ١٢ - ١٣ ] .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فأقام رسول الله ﷺ - يعني مرابطاً - وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرّمّي بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ - كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أنهم ، عن الزُّهري - إلى عُيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المُزَيّ ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المروضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك ، بعث إلى السّعديين ، فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠٣ / ٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٢ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٢ / ٢ - ٢٢٣ ) .

نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرئ أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : « أنت وذاك » . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطّاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيثوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وطلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق ، خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو ، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال : أجل . قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي ، رضي الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ      وَنَصَرْتُ رَبِّي مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ  
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً      كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَادِكِ وَرَوَابِي  
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي      كُنْتُ الْمَقْطَرِ بِزَنِي أَثْوَابِي  
لَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ      وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليّ .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٢٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٢٥ ) .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> :

[ من المتقارب ]

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ      لَعَلَّكَ عَکْرَمَ لَمْ تَفْعَلِ  
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظِّلِ      سَمَّ مَا أَنْ تَحُورَ عَنِ الْمَعْدِلِ  
وَلَمْ تَلَقْ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنَسًا      كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعَلِ

قال ابن هشام : الفراعل : صغار الضباع .

وذكر الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »<sup>(٢)</sup> ، عن ابن إسحاق في موضع آخر غير « السيرة » قال : خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنع بالحديد ، فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : « إنه عمرو ، اجلس » . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تُبرزون إلي رجلاً ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله . فقال : « اجلس » . ثم نادى الثالثة فقال : [ من مجزوء الكامل ]

وَلَقَدْ بَحَحْتُ مِنَ النَّدَا      ءَ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مَبَارِزُ  
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمَشْجَدُ      عَ مَوْقِفِ الْقَرْنِ الْمَنَاجِزُ  
وَلِذَاكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ      مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِزُ  
إِنْ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى      وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزُ

قال : فقام علي ، رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، أنا . فقال : « إنه عمرو » . فقال : وإن كان عمرو . فأذن له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه ، حتى أتى وهو يقول : [ من مجزوء الكامل ]

لَا تَعْجَلْنَ فَقَدْ أَتَا      كَ مُجِيبِ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزُ  
فِي نَيْفَةٍ وَبَصِيرَةٍ      وَالصَّدَقِ مَنْجَى كُلِّ فَائِزُ  
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَقْبِي      سَمَّ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزُ  
مِنْ ضَرْبَةِ نَجْلَاءٍ يَبِي      قَى ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزُ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي . قال : ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : غيرك يا بن أخي ، ومن أعمامك من هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أهرق دمك . فقال له علي : لكنني والله لا أكره أن أهرق دمك فغضب ، فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً ، واستقبله علي بدرقته ، فضربه عمرو في الدَّرَقَةِ فَقْدَهَا وَأَثَبَتْ فِيهَا السِّيفَ ، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ ، وَضَرَبَهُ عَلِيٌّ عَلَى حَبْلِ عَاتِقِهِ فَسَقَطَ ، وَثَارَ الْعِجَاجُ ، وَسَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّكْبِيرَ فَعَرَفَ أَنَّ عَلِيًّا قَدْ قَتَلَهُ . فثمَّ علي يقول : [ من الكامل ]

(١) الأبيات في « ديوانه » ( ٥٠٩ / ١ ) و « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٦ / ٢ ) .

(٢) ( ٤٣٨ / ٣ ) .

. أعلِيَّ تَقْتَحِمُ الفوارس هكذا عني وعنهم أُخْرُوا أصحابي  
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ومصمّم في الرأس ليس بنابي

إلى أن قال :

عبد الحجارة من سَفَاهَة رأيه وعبدت ربّ محمد بصواب

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عليّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلا استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوأته ، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه . قال : وخرجتُ خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي<sup>(١)</sup> ، أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه ، فمات في الخندق ، وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : « هو لكم ، لا نأكل ثمن الموتى » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا نصر بن باب ، ثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين ، فأعطوا بجيفته مالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » . فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث حمّاد بن سلمة ، عن حجاج ، هو ابن أوطاة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً . فقال رسول الله ﷺ : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي<sup>(٤)</sup> ، من حديث سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب . وقد ذكر موسى بن عقبة ، أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل ، وعرضوا عليه الدية ، فقال : « إنه خبيث خبيث الدية ، فلعنه الله ولعن ديته ، فلا أرب لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنه » .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام ، فضربه ، فشقه باثنتين ، حتى قلّ في سيفه فلا ، وانصرف وهو يقول : [ من السريع ]

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٣٨ / ٣ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٤٨ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٤٠ / ٣ ) .

(٤) رواه الترمذي في « جامعه » رقم ( ١٧١٥ ) .

إني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي

وقد ذكر ابن جرير<sup>(١)</sup> أن نوفلاً لما تورط في الخندق ، رماه الناس بالحجارة ، فجعل يقول : قَتَلَهُ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ . فنزل إليه علي فقتله ، وطلب المشركون رُمته من رسول الله ﷺ بالثمن ، فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ، ومكَّنهم من أخذه إليهم . وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من طريق حماد بن زيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ، ومعهم عمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطأ لي فأصعد على ظهره ، فأنظر . قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم ، قلت : يا أبت ، رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدي لك أبي وأمي .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فمرَّ سعد وعليه درع مقلَّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرقد بها ويقول : [ من الرجز ]

لَبَّثَ قَلِيلاً يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

فقال له أمه : الحق بني ، فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : رماه حبان بن قيس بن العرقعة ، أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العرقعة . فقال له سعد : عرَّقَ الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة .

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٥٧٤ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤٠٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٢٦ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٢٧ ) .



قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم . وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً ، قاله لعكرمة بن أبي جهل :

أعكرم هلا لمتني إذ تقول لي      فذاك بآطام المدينة خالد  
ألست الذي ألزمت سعداً مرشّة      لها بين أثناء المرافق عاند  
قضى نجه منها سعيد فأعولت      عليه مع الشمت العذارى النواهد  
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا      عبّيدة جمعاً منهم إذ يكابد  
على حين ما هم جائر عن طريقه      وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقر الله عينه ؛ فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك ، كما سيأتي بيانه ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ، حتى قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »<sup>(٣)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : كانت صفية بنت عبد الله في فارغ حصن حسان بن ثابت ، قال : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ ، فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإنني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلت ، فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : ما لي بسلبه حاجة يا بنة عبد المطلب .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٧/٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٧/٢ ) .

(٣) رواه البخاري ( ٣٠٤٣ ) ومسلم ( ١٧٦٨ ) من حديث أبي سعيد الخدري ورواه النسائي في الكبرى رقم ( ٨٢٢٣ ) بزيادة « من فوق سبع سموات » وهي زيادة صحيحة بلفظ « لقد حكمت فيهم بحكم الملك » ورواية كتابنا : رواها ابن إسحاق مرسله وابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسله ، فهي ضعيفة بهذا اللفظ .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٨/٢ ) .

حكى السهيلي<sup>(١)</sup> عن بعضهم أنه قال : كان حسان جباناً شديداً الجبن . قال : وأنكر آخرون ذلك ، وطعنوا في الخبر ، فقالوا : هو منقطع . قالوا : وقد كان يهاجي المشركين من الشعراء ؛ كابن الزُّبَيْر ، وضرار بن الخطاب ، وغيرهما ، فلم يغيّره واحد منهم بالجبن . قال : وممن أنكر ذلك الشيخ أبو عمر النمري . قالوا : وبتقدير صحة هذا الخبر ، لعله كان منقطعاً في الآطام لعله عارضة . ومال إلى هذا السهيلي . والله أعلم .

قال موسى بن عقبة<sup>(٢)</sup> : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن بين كتائبهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يدري الرجل أتم صلاته أم لا . قال : ووجَّهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة ، فقَاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر ، دنت الكتيبة ، فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « شغلونا عن صلاة العصر ، ملأ الله بطونهم وقلوبهم - وفي رواية : وقبورهم - ناراً » . فلما اشتد البلاء ، نافق ناس كثير ، وتكلموا بكلام قبيح ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب ، جعل يشرهم ويقول : « والذي نفسي بيده ليفرَّجن عنكم ما ترون من الشدة ، وإنني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، أن يدفع الله إليّ مفاتيح الكعبة ، وليهلكنَّ الله كسرى وقيصر ، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وقد قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا إسحاق ، ثنا روح ، ثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي ، عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً ؛ كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » . وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، به .

ورواه مسلم والترمذي<sup>(٤)</sup> من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن علي ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال البخاري<sup>(٥)</sup> : حدثنا المكي بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب . قال النبي ﷺ : « والله ما صليتُها » . فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطحان ، فتوضاً للصلاة وتوضأنا لها ، فصلّى العصر بعدما غربت

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٦ / ٣٢٤ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣ / ٤٠١ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤١١١ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ٦٢٧ ) والترمذي رقم ( ٢٩٨٤ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤١١٢ ) .

الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، به<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي ﷺ عدواً ، فلم يفرغ منهم حتى آخر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك ، قال : « اللهم مَن حبسنا عن الصلاة الوسطى ، فاملاً بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » . ونحو ذلك . تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة ، يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث . وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا ؛ لصحة الحديث ، وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كمال هو مذهب مكحول والأوزاعي ، وقد بوب البخاري على ذلك<sup>(٣)</sup> ، واستدل بهذا الحديث ، وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة ، كما سيأتي : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » . وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعتف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس ؛ لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

وقال آخرون من العلماء ، وهم الجمهور ، منهم الشافعي : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك ، فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل ، فإن ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، وهو إمام في المغازي ، قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق ، فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً . كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير ، مع شدة حرصهم على المحافظة على الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء .

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا يزيد وحجاج قالوا : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هَوِيٌّ من الليل ، حتى

(١) رواه البخاري (٥٩٦) ومسلم (٦٣١) والترمذي (١٨٠) والنسائي (١٣٦٥) .

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣٠١/١) ، وإسناده صحيح .

(٣) انظر «صحيح البخاري» قبل رقم (٩٤٥) .

(٤) رواه أحمد في المسند (٦٧/٣) وإسناده صحيح .

كفينا ، وذلك قوله : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . قال : فدعا رسول الله ﷺ بلالاً ، فأمره فأقام ، فصلّى الظهر كما كان يصليها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك ، وذلك قبل أن يُنزل - قال حجاج : في صلاة الخوف - : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٩] .

وقد رواه النسائي<sup>(١)</sup> ، عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبي ذئب ، به : قال : شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا هشيم ، ثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلّى الظهر ، ثم أقام فصلّى العصر ، ثم أقام فصلّى المغرب ، ثم أقام فصلّى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٣)</sup> : ثنا محمد بن معمر ، ثنا مؤمل ، يعني ابن إسماعيل ، حدثنا حمّاد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي المخارق ، عن مجاهد ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ شغل يوم الخندق عن صلاة الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، فأمر بلالاً فأذن وأقام ، فصلّى الظهر ، ثم أمره فأذن وأقام ، فصلّى العصر ، ثم أمره فأذن وأقام ، فصلّى المغرب ، ثم أمره فأذن وأقام ، فصلّى العشاء ، ثم قال : « ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » . تفرد به البزار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله .

## فصل

### في دعائه [ عليه ] السلام على الأحزاب

وكيف صرفهم الله تعالى ، بحوله وقوته ؛ استجابة لرسوله ﷺ<sup>(٤)</sup> ، وصيانة لحوزته الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الرّيح الشديدة ؛ فزلزل أبدانهم .

(١) في « السنن الكبرى » رقم ( ٦٦٠ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٧٥ / ١ ) وهو حديث حسن .

(٣) في « كشف الأستار » ( ٣٦٥ ) وإسناده ضعيف .

(٤) في ( آ ) : « عليه السلام » وأثبت لفظ ( ط ) .

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا أبو عامر ، ثنا الزبير - يعني ابن عبد الله - ثنا رُبَيْح بن أبي سعيد [ الخدري ] ، عن أبيه قال : قلنا [ يوم الخندق ] : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله ؟ [ فقد ] بلغت القلوب الحناجر . قال : « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » . قال : فصرف<sup>(٢)</sup> الله وجوه أعدائه بالريح ، فهزمهم الله بالريح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره »<sup>(٣)</sup> عن أبيه ، عن أبي عامر ، وهو العَقْدِيُّ<sup>(٤)</sup> ، عن الزبير بن عبد الله مولى عثمان بن عفَّان ، عن رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد . فذكره ، وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا حسين ، [ عن ] ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه ، وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ، ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلى .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٦)</sup> من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .

وفي رواية<sup>(٧)</sup> : « اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى البخاري<sup>(٨)</sup> ، عن قُتَيْبَة ، عن اللَّيْث ، عن سعيد المَقْبُرِي ، عن أبيه ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق<sup>(٩)</sup> : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه في ما وصف الله من الخوف والشدة ؛ لتظاهر

- (١) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٣ ) وإسناده ضعيف وفيه سقط ، فَرُبَيْح هو ابن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري ، يروي عن أبيه عن جده ، كما سيأتي في الحديث الذي بعده .
- (٢) في ( ط ) : « فضرِب » .
- (٣) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ( ١٨٥ / ٥ ) وعزاه لابن أبي حاتم .
- (٤) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي . مات سنة أربع - أو خمس - ومئتين . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٣٨٦ / ٢ ) .
- (٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٩٣ / ٣ ) وإسناده ضعيف .
- (٦) رواه البخاري رقم ( ٢٩٣٣ ) و ( ٤١١٥ ) و ( ٦٣٩٢ ) و ( ٧٤٨٩ ) ومسلم رقم ( ١٧٤٢ ) .
- (٧) وهي عند البخاري رقم ( ٢٩٦٦ ) و ( ٣٠٢٥ ) وعند مسلم رقم ( ١٧٤٢ ) ( ٢٠ ) .
- (٨) في « صحيحه » رقم ( ٤١١٤ ) .
- (٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٩ / ٢ ) .

عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف [ بن ثعلبة ] بن قنذ بن هلال بن خلّابة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت و« إن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عَنَّا إن استطعت ، فإن الحرب خُذعة » . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم وُدِّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنأً من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه ؛ نصحاً لكم ، فاكموه عني . قالوا : نفعل . قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنَّا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنُعْطِيَكُم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتسون منكم رهنأً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكموه عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر ، فأعدّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهنأً من رجالكم يكونون بأيدينا ؛ ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإننا نخشى إن ضررستكم<sup>(١)</sup> الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين

(١) أي : إن نالت منكم . انظر « شرح غريب ألفاظ السيرة » للبخشي ( ٨ / ٣ ) .

انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة إنتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، واخلأوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رُهنًا . فأبوا عليهم ، وخذّل الله بينهم ، وبعث الله الرّيح في ليلة<sup>(١)</sup> شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> من قصة نعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة . وقد أورده عنه البيهقي في « الدلائل »<sup>(٣)</sup> ، فإنه ذكر ما حاصله أن نعيم بن مسعود كان يُذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يوم عشاءً ، فأشار إليه أن تعال ، فجاء فقال : « ما وراءك ؟ » . فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت بنو قريظة : نعم . فأرسلوا إلينا بالرُّهن . وقد ذكر ، كما تقدم ، أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حُيي بن أخطب ، بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « إني مُسرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره » . قال : « إنهم قد أرسلوا إليّ يدعونني إلى الصُّلح وأرؤد بني النضير إلى دورهم وأموالهم » . فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان ، وقال رسول الله ﷺ : « الحرب خُدعة ، وعسى أن يصنع الله لنا » . فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم ، فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة ، فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن [ تكون ] قريظة لما ينسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الصلح على أن يرُدّ بني النضير إلى المدينة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد . قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : « مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « في ليالٍ » .

(٢) في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٢٩ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠٤ / ٣ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٣١ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٣١ / ٢ ) .

القوم ثم يرجع « فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة » أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة . فما قام رجل من القوم ؛ من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعاني ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : « يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ من جلسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ؛ ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا ، فإني مرتحل . ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ : « لا تحدث شيئاً حتى تأتيني » . ثم شئت ؛ لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل ، فلما رأيته أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم . وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجاج في « صحيحه »<sup>(١)</sup> من حديث الأعمش ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت . فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقُر ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ » فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله ، ثم قال : « يا حذيفة ، قم فأتنا بخبر القوم » فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : « اتني بخبر القوم ولا تدعهم عليّ » . قال : فمضيت كأنما أمشي في حَمَام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تدعهم عليّ » . ولو رميته لأصبت ، فرجعت كأنما أمشي في حَمَام ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فأصابني البرد حين رجعت وقُررت ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصباح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : « قم يا نومان » .

وقد روى الحاكم ، والحافظ البيهقي في « الدلائل »<sup>(٢)</sup> هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبد الله الدؤلي ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدتهم مع رسول الله ﷺ ، فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنوا

(١) رقم (١٧٨٨) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤٥١/٣) .



ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود ، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ، ويقولون : إن بيوتنا عورة . وما هي بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً ، حتى أتى عليّ ، وما عليّ جُنَّة من العدو ولا من البرد إلا مِرط لا مرأتي ما يجاوز ركبتي . قال : فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي فقال : « من هذا ؟ » فقلت : حذيفة . فقال : « حذيفة ! » . فتقاصرت بالأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . قال : « قم » . فقممت ، فقال : « إنه كائن في القوم خبر ، فأتني بخبر القوم » . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدّهم قُرأ . قال : فخرجت ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » . قال : فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قُرأ في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد منه شيئاً . قال : فلما وليت قال : « يا حذيفة ، لا تُحدِثَنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني » . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ، ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش ، فأضعه على كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تُحدِثَنَّ فيهم شيئاً حتى تأتيني » . فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ، ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر ، يقولون : يا آل عامر ، الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضربهم بها ، ثم خرجت نحو رسول الله ﷺ ، فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك ، إذ أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك مُعْتَمِّين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي ، فوالله ما عدا أن رجعت ؛ راجعني القُرُ وجعلت أُقْرِقِفُ ، فأوماً إليّ رسول الله ﷺ بيده ، وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليّ شملته ، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ؛ أخبرته أنني تركتهم يرحلون . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يعني الآيات كلها إلى قوله : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِطِّهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٩ - ٢٥] .

أي صرف الله عنهم عدوهم بالريح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم . ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أي ؛ لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم ، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » ، وفي قوله : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ . إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح الله عليه مكة .

وهذا بلاغ من [ ابن ] إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان بن صُرْدٍ ، رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » . وهكذا رواه البخاري ، من حديث إسرائيل وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سليمان بن صُرْدٍ ، به<sup>(٤)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة ؛ ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم : سعد بن معاذ - وستأتي وفاته مبسوطة - وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة الجشميان السلميان ، وكعب بن زيد النجاري ، أصابه سهم غرب فقتله . قال : وقتل من المشركين ثلاثة ، وهم : مُنَبِّه بن عثمان بن عبيد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، اقتحم الخندق بفرسه فتورط فيه فقتل هناك ، وطلبوا جسده بثمان كبير كما تقدم ، وعمرو بن عبد ود العامري ، قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزُّهري ، أنه قال : قتل عليُّ يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : يقال : عمرو بن عبد ود . ويقال : عمرو بن عبد .

(١) رواه البخاري رقم ( ٤١١٤ ) ومسلم رقم ( ٢٧٢٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٥٤ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٤ / ٢٦٢ ) ، وإسناده صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١٠٩ ) و ( ٤١١٠ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٥٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٥٣ ) .

## فصل

في غزوة بني قريظة<sup>(١)</sup>

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد ، مع ما ادخر<sup>(٢)</sup> الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم ، وذلك لكفرهم ونقضهم العهود والمواثيق<sup>(٣)</sup> التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وممالاتهم الأحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً ، وباؤوا بغضب من الله ورسوله ، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَمَّا نَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ فَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥ - ٢٧] .

قال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا محمد بن مقاتل ، ثنا عبد الله ، ثنا موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة ، يبدأ فيكبر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ؛ صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسول الله ﷺ ، كما حدثني الزهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رِخالةٌ ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : ما وضعتَ الملائكة السلاح بعد ، وما رجعتَ الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمززل بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن [في] الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

قال ابن هشام<sup>(٦)</sup> : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » ( ١٠٣/٢ ) ، و « زاد المعاد » ( ١١٧/٣ ) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٧١ ) ، و « شذرات الذهب » ( ١٢٢/١ ) بتحقيقي .

(٢) في ( ط ) : « مع ما أعد » .

(٣) لفظ « والمواثيق » انفردت به ( آ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١١٦ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٣٣/٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٣٤/٢ ) .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا [ عبد الله ] بن أبي شيبه ، ثنا ابن نُمير<sup>(٢)</sup> ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل فقال : قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم . قال : « فإلى أين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة . فخرج النبي ﷺ إليهم .

وقال أحمد<sup>(٣)</sup> : وثنا حسن ، ثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل ، وجاء جبريل ، فرأته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد ، أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال<sup>(٤)</sup> : « وضعنا أسلحتنا » فقال<sup>(٥)</sup> : إنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا موسى ، ثنا جرير بن حازم ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك قال : كآني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري<sup>(٧)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، ثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يُصَلِّينَ أحد العصر إلا في بني قريظة » . فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيها . وقال بعضهم : بل نصلي ؛ لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم<sup>(٨)</sup> ، عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، به .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٩)</sup> : ثنا أبو عبد الله الحافظ<sup>(١٠)</sup> ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قال : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن خالد بن خَلِيٍّ ، ثنا بشر بن شعيب ، عن أبيه ، ثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب ، وضع عنه اللأمة واغتسل واستجمر ، فتبدى له جبريل ، عليه السلام ،

(١) رواه البخاري رقم ( ٤١١٧ ) .

(٢) في ( آ ) : « ابن أبي نمير » وهو خطأ ، واسمه ( عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي أبو هشام ) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٢٧٣ / ٢ ) و ( ٣٣١ / ٤ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٨٠ / ٦ ) ، وهو حديث صحيح .

(٤) القائل رسول الله ﷺ جواباً على سؤال جبريل عليه السلام .

(٥) القائل جبريل عليه السلام تعقياً على جواب رسول الله ﷺ .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤١١٨ ) .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٤١١٩ ) .

(٨) رواه مسلم رقم ( ١٧٧٠ ) .

(٩) في « دلائل النبوة » ( ٨ - ٧ / ٤ ) .

(١٠) يعني الحاكم صاحب « المستدرک على الصحيحين » .

فقال : عَذِيرُكَ مِنْ مُحَارِبٍ ، أَلَا أُرَاكَ قَدْ وَضَعْتَ الْأُمَّةَ وَمَا وَضَعْنَاهَا بَعْدُ . قال : فوثب النبي ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختمهم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ ، فليس علينا إثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلّوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان عندها ، فسلم علينا رجل ونحن في البيت ، فقام رسول الله ﷺ فزعاً ، وقمت في أثره ، فإذا بدحية الكلبي ، فقال : « هذا جبريل ، أمرني أن أذهب إلى بني قريظة ، وقال : قد وضعتكم السلاح ، لكننا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد » . وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق . فقال رسول الله ﷺ فزعاً ، وقال لأصحابه : « عزم عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة » . فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدعوا الصلاة . فصلّوا . وقالت طائفة : والله إننا لفي عزيمة رسول الله ﷺ ، وما علينا من إثم . فصلت طائفة إيماناً واحتساباً ، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة ، فقال : « هل مرّ بكم أحد ؟ » فقالوا : مرّ علينا دحية الكلبي<sup>(٢)</sup> على بغلة شهباء ، تحته قطيفة ديباج . فقال : « ذلك جبريل ، أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب » . فحاصروهم النبي ﷺ ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف<sup>(٣)</sup> حتى يسمعهم كلامه ، فناداهم : « يا إخوة القردة والخنازير » . فقالوا : يا أبا القاسم ، لم تكن فحاشاً . فحاصروهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ونسأؤهم . ولهذا الحديث طرق جديدة ، عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ ، من هو ؟ بل الإجماع على أن كلا من الفريقين مأجور ومعذور ، غير معنف ؛ فقالت طائفة من العلماء : الذين أخرّوا الصلاة عن وقتها المقدّر لها ، حتى صلّوها في بني قريظة ، هم المصيبون ؛ لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصاً ، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدّر لها شرعاً .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٨ / ٤ ) .

(٢) وذلك لأن جبريل عليه السلام غالباً ما كان ينزل بصورته رضي الله عنه . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « يأتيني جبريل في صورة دحية » وانظر « المسند » للإمام أحمد ( ١٠٧ / ٢ ) و « مجمع الزوائد » ( ٣٧٨ / ٩ ) ، و « الإصابة » ( ١٩١ / ٣ ) .

(٣) الْحَجَفُ : جمع حَجَفَةٍ : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . انظر « مختار الصحاح » ( حجف ) .

قال أبو محمد بن حزم الظاهري في كتابه<sup>(١)</sup> « السيرة »<sup>(٢)</sup> : وعلم الله أنا لو كنّا هناك ، لم نصلّ العصر إلا في بني قريظة ، ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماثّر على قاعدته الأصلية الموصلة<sup>(٣)</sup> إلى الأخذ بالظاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم ، هم المصيبون ؛ لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة ، لا تأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلة الدالة على أفضلية<sup>(٤)</sup> الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنفهم ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها الذي حوّلت إليه يومئذ ، كما يدّعيه أولئك ، وأما أولئك الذين آخروا ، فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون<sup>(٥)</sup> بالقضاء ، وقد فعلوه . وأما على قول من يجوز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري ، حيث احتجّ على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من آخر ، ولا على من قدّم أيضاً ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وقدّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ومعه رايته<sup>(٧)</sup> ، [ إلى بني قريظة ] وابتدروا الناس .

وقال موسى بن عقبة في « مغازيه »<sup>(٨)</sup> ، عن الزهري : فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله ، كما يزعمون ، قد رجّل أحد شقيه ، أتاه جبريل على فرس عليه لأمنته ، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال له جبريل : غفر الله لك ، أو قد وضعت السلاح ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : لكننا لم نضعه منذ نزل بك العدو ، وما زلّ في طلبهم حتى هزمهم الله . ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار . فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بني قريظة ، فأنا عامد إليهم بمن معي من الملائكة ؛ لأزلزل بهم الحصون ، فأخرج بالناس . فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل ، فمرّ على مجلس بني غنم وهم ينتظرون رسول الله ﷺ ، فسألهم فقال : « مرّ عليكم فارس أنفاً ؟ » قالوا : مرّ علينا دحية الكلبي على فرس أبيض ، تحته نمط أو قطيفة من ديباج ، عليه اللأمة .

(١) في ( ط ) : « في كتاب » .

(٢) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص ( ١٩٢ ) بتحقيق العالمين الفاضلين د . إحسان عباس ، ود . ناصر الدين الأسد ، ومراجعة العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .

(٣) لفظ « الموصلة » لم يرد في ( ط ) .

(٤) في ( آ ) : « وعلى فضيلة » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٥) في ( آ ) : « وأكثر ما كانوا يؤمروا » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٣٤ ) .

(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « بريته » وما بين الحاصرتين تكملة منها .

(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١١ / ٤ ) .

فذكروا أن رسول الله ﷺ ، قال : « ذاك جبريل » . وكان رسول الله ﷺ يُشَبِّهُ دِحْيَةَ الكلبي بجبريل ، فقال : « الحقوني ببني قريظة ، فصلّوا فيهم العصر » . فقاموا ومن شاء الله من المسلمين ، فانطلقوا إلى بني قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة ، فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلّوا العصر في بني قريظة ؟ ! وقال آخرون : هي الصلاة . فصلّى منهم قوم ، وأخّرت طائفة الصلاة حتى صلّوها في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عَجَلٍ منهم الصلاة ومن أخّرها ، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعتف واحداً من الفريقين . قال : فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله ، فإن الله كافيك اليهود . وكان عليّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه ، رضي الله عنهن ، فكره عليّ أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « لم تأمرني بالرجوع ؟ » فكتمه ما سمع منهم ، فقال : « أظنك سمعت لي منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو قد رأوني ، لم يقولوا شيئاً مما سمعت » . فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى صوته نقرأ من أشرافهم ، حتى أسمعهم ، فقال : « أجيئوا يا معشر يهود ، يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزي الله ، عز وجل » . فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردّ الله حُيَيَّ بن أخطب ، حتى دخل حصن بني قريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر ، وكانوا حلفاء الأنصار ، فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أذنتُ لك » . فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ، ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال . فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقة ، وأمرّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بكم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سَقَطَ في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً ، يعلمها الله من نفسي . فرجع إلى المدينة ، فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله ﷺ ، كما ذكر<sup>(١)</sup> ، حين راث<sup>(٢)</sup> عليه أبو لبابة : « أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ » قالوا : يا رسول الله ، قد والله انصرف من عند الحصن ، وما ندري أين سلك . فقال رسول الله ﷺ : « قد حدث لأبي لبابة أمر ، ما كان عليه » . فأقبل رجل من عند المسجد فقال : يا رسول الله ، قد رأيت أبا لبابة ارتبط بحبل إلى جذع من جذوع المسجد . فقال رسول الله ﷺ : « لقد أصابته بعدي فتنة ، ولو جاءني لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أُحرّكه من مكانه حتى يقضي الله فيه ما يشاء » .

وهكذا رواه ابن لهيعة<sup>(٣)</sup> ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَةَ .

(١) قوله : « كما ذكر » لم يرد في ( ط ) .

(٢) أي : أبطأ . وفي ( ط ) : « حين غاب » .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٤ / ٤ ) .

وكذا ذكره محمد بن إسحاق في «مغازيه»<sup>(١)</sup> في مثل سياق موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، ومثل رواية أبي الأسود ، عن عُرْوَةَ .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم ، يقال لها : بئر أنثاء<sup>(٣)</sup> ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل معهم حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ؛ وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقّه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبى مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم عليّ هذه ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلًا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدنّ النساء والأبناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإن أبيتم عليّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّثونا فيه ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة . قالوا : أنفسد سبتنا ونُحْدِث فيه ما لم يُحْدِث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ . فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً . ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف - وكانوا حلفاء الأوس - نستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ ، فلما رأوه ، قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يكون في وجهه ، فَرَقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : « نعم » . وأشار بيده إلى حلقة أنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما ، حتى عرفت أنني قد خُنتُ الله ورسوله ﷺ . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتّى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت . وعاهد الله ؛ أن لا أطأ بني قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

(٢) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

(٣) قال الفيروزآبادي في «المغانم المطابة في معالم طابة» ص (٣٠) : بئر أنثاء : بضم الهمزة ، وتخفيف النون ، كهنا ، وقيل بالفتح ، والتشديد ، كحتّى ، وقيل : أنى ، بالفتح ، وكسر النون المشددة بعده ياء . وقال السهوي في «وفاء الوفا» (٢/ ١٢٥) : وهي غير معروفة اليوم .



قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ١٢٧] .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : أقام مرتبطاً ست ليال ، تأتبه امرأته في وقت كل صلاة ، فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وقول موسى بن عقبة : إنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به ، أشبه ، والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> أن الله أنزل توبته على رسوله ﷺ من آخر الليل ، وهو في بيت أم سلمة ، فجعل يتبسّم<sup>(٤)</sup> ، فسألته أم سلمة ، فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة ، فاستأذنته أن تبشّره ، فأذن لها فخرجت فبشّرته ، فثار الناس إليه يبشّرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حلّه من رباطه ، رضي الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ثم إن ثعلبة بن سَعِيَةَ ، وأُسَيْدَ بن سَعِيَةَ ، وأُسْدَ بن عُبَيْدٍ ، وهم نفر من بني [ هَذِل ] ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ . وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي ، فمر بحرس رسول الله ﷺ ، وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : [ أنا ] عمرو بن سُعدى . [ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً ] . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني [ إقالة ] عثرات الكرام . ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه ، حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا . فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : « ذاك رجل نجّاه الله بوفائه » . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمة فيمن أوثق [ من بني قريظة ] ، فأصبحت رُمته ملقاة ، ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم [ كانوا ] موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت . يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أبي ، كما تقدم .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٣٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٣٨ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٣٧ ) .

(٤) في ( ط ) : « يتبسّم » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٣٨ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ٢٣٩ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الأوس ، ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « فذلك إلى سعد بن معاذ » وكان رسول الله ﷺ [ قد جعل سعد بن معاذ ] في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رُفيدة . في مسجده ، وكانت تداوي الجرحى ، فلما حكمه في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّؤوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولَّاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا [ عليه ] قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عن كلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيّدكم » . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ رسول الله ﷺ المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولَّاك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم [ فيهم ] لما حكمْتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ ؛ إجلالاً له ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو<sup>(٣)</sup> بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »<sup>(٤)</sup> .

وقال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : حدثني من أثق به من أهل العلم ، أنَّ علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزة أو أقتحم حصنهم . فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٣٩ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٤٠ / ٢ ) .

(٣) في ( ط ) : « عن عبد الرحمن بن عمر ... » .

(٤) وهو مرسل ، وكذلك رواه ابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلًا .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٤٠ / ٢ ) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٢ / ٣ ) .

سَيِّدُكُمْ<sup>(١)</sup> ، أو : خيركم » . ثم قال : « إِنْ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ » . قال : تُقَاتِلُ مَقَاتِلَهُمْ وَتَسْبِي ذُرِّيَّتَهُمْ . قال : فقال رسول الله ﷺ : « قَضَيْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ » . وربما قال : « قَضَيْتُ بِحُكْمِ الْمَلِكِ » . وفي رواية<sup>(٢)</sup> : « الْمَلِكِ » أخرجاه في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا حُجَيْنٌ وَيُونُسُ ، قالا : ثنا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، عن أَبِي الزَّبِيرِ ، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أنه قال : رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه<sup>(٥)</sup> رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى<sup>(٦)</sup> ، فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ . فاستمسك عرقه ، فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، وتسبى نساؤهم ، وذرايرهم ، يستعين بهم المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ : « أَصِيبَتْ حُكْمُ اللَّهِ فِيهِمْ » وكانوا أربعمئة ، فلما فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً<sup>(٧)</sup> ، عن قتيبة ، عن اللَّيْثِ بِهِ ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : ثنا ابن نمير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة ، قالت : لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، فأناه جبريل وعلى رأسه الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها ، اخرج إليهم . قال رسول الله ﷺ : « فَأَيْنَ ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ ، فردَّ الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنني أحكم أن تقتل المقاتلة ، وتسبى النساء والدُّرَّيَّةَ ، وتقسم أموالهم . قال هشام : قال أبي : فأخبرت أن رسول الله ﷺ قال : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ » .

وقال البخاري<sup>(٩)</sup> : ثنا زكريا بن يحيى ، ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له : حِجَّانُ بْنُ الْعَرِيقَةِ ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، وضع السلاح واغتسل ، فأناه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعت ، اخرج

(١) في ( ط ) : « قوما لسيدكم » .

(٢) هي في « المسند » أيضاً ( ٢٢ / ٣ ) ، لكن عن عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٦٢٦٢ ) ومسلم رقم ( ١٧٦٨ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٥٠ / ٣ ) .

(٥) أي : كواه .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « .. فانتفخت يده فنزفه ، فحسمه أخرى ... » وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .

(٧) رواه الترمذي ( ١٥٨٢ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٨٦٧٩ ) ، وهو حديث صحيح .

(٨) في « المسند » ( ٥٦ / ٦ ) وهو حديث صحيح .

(٩) رواه البخاري رقم ( ٤١٢٢ ) .

إليهم . قال النبي ﷺ : « فأين ؟ » فأشار إلى بني قريظة ، فاتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه ، فردَّ الحكم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبي النساء والذرَّية ، وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي ، عن عائشة ، أن سعداً قال : اللهم إنَّك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إليَّ أن أجاهدكم فيك ، من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإنِّي أظنُّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء ، فأبقني له حتى أجاهدكم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب ، فافجرها واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبَّته<sup>(١)</sup> فلم يرُعهم ، وفي المسجد خيمة من بني غِفَار ، إلَّا الدَّم يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو<sup>(٢)</sup> جرحه دمًا ، فمات منها .

وهكذا رواه مسلم<sup>(٣)</sup> من حديث عبد الله بن نُمير ، به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة ، فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم ، وأقرَّ الله عينه أتمَّ قرارٍ ، دعا ثانياً بهذا الدعاء ، فجعلها الله له شهادة ، رضي الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً ، إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> من وجه آخر ، عن عائشة مطولاً جداً ، وفيه فوائد ، فقال : ثنا يزيد ، أنبأ محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جدِّه علقمة بن وقاص قال : أخبرتني عائشة ، قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد الأرض ورائي ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّة . قالت : فجلست إلى الأرض ، فمرَّ سعد وعليه درع من حديد ، قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد . قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول : [ من الرجز ]

لَبْتُ قَلِيلاً يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قالت : فقممت فاقترحت حديقة ، فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تسبغة<sup>(٥)</sup> له ؛ تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك ، والله إنَّك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّز . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها ، فرفع الرجل التسبغة<sup>(٦)</sup> عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله ، فقال : يا عمر ، ويحك ، إنك قد أكثرت منذ اليوم ،

(١) اللَّبَّة : موضع القلادة من الصدر انظر « فتح الباري » ( ٤١٥ / ٧ ) .

(٢) أي : يسيل .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٧٦٩ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ١٤١ / ٦ ) .

(٥) في ( ط ) : « سبعة » وما جاء في ( آ ) هو الصواب . وانظر « لسان العرب » ( سبع ) .

(٦) في ( ط ) : « السبعة » .

وأين التحوُّز أو الفرار إلَّا إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش، يقال له: ابن العِرقَة . وقال: خذها وأنا ابن العِرقَة . فأصاب أكحله فقطعه، فدعا الله سعد، فقال: اللهم لا تمّتنني حتى تقر عيني من بني قريظة . قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية . قالت: فرقاً كلُّمُهُ، وبعث الله الرِّيح على المشركين، ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥] . فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عُيَيْنَةُ بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصّنوا في صياصيههم<sup>(١)</sup>، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمر بقبّة من آدم فضربت على سعد في المسجد . قالت: فجاء جبريل، وإنَّ على ثنياه لنقع الغبار، فقال: أقد وضعت السلاح؟ لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم . قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمتّه، وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فمرَّ على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله، فقال: « من مرَّ بكم؟ » قالوا: مرَّ بنا دحية الكلبِيّ . وكان دحية الكلبِيّ تشبه لحيته وسنّه ووجهه جبريل، عليه السلام، فاتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلمّا اشتد حصرهم واشتدَّ البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنّه الذَّبْح، قالوا: نزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله ﷺ: « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » . فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف، قد حمل عليه وحفَّ به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النّكايه ومن قد علمت . قالت: ولا يرجع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه، فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . - قال: قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: « قوموا إلى سيّدكم فأنزلوه » . قال عمر: سيدنا الله . - قال: « أنزلوه » . فأنزلوه، قال رسول الله ﷺ: « احكم فيهم » . فقال سعد: فإنّي أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، وتقسّم أموالهم . فقال رسول الله ﷺ: « لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله » . ثم دعا سعد، فقال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً، فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم، فأقبضني إليك . قالت: فانفجر كلُّمُهُ، وكان قد برىء حتى لا يرى منه إلَّا مثل الخرص، ورجع إلى قبّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ . قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر . قالت: فوالذي نفس محمد بيده، إنّي لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] . قال علقمة: فقلت: يا أمّه، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنّه إذا وجد، فإنّما هو آخذ بلحيته .

وهذا الحديث إسناده جيد<sup>(٢)</sup>، وله شواهد من وجوه كثيرة . وفيه التّصريح بدعاء سعد مرتين؛ مرّة

(١) أي: في حصونهم .

(٢) عمرو بن علقمة مجهول، لكن الحديث له شواهد كما قال المصنف رحمه الله، دون قوله: كانت عينه لا تدمع على أحد، فهي مخالفة لما رواه البخاري (١٣٥٣) عن رسول الله ﷺ أن عينيه دمعتا عند وفاة ابنه إبراهيم .

قبل حكمه في بني قريظة ، ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً ، والله الحمد والمئة ، وسنذكر كيفية وفاته<sup>(١)</sup> ودفنه وفضله في ذلك ، رضي الله عنه وأرضاه ، بعد فراغنا من القصة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث ، امرأة من بني النَجَّار . - قلت : هي نسيبة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز . ثم خرج إلى سوق المدينة ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالاً ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستمئة أو سبعمئة ، والمكثّر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانئة والتسعمئة .

قلت : وقد تقدّم فيما رواه اللّيث ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أنّهم كانوا أربعمئة ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً : يا كعب ، ما تُراه يُصنع بنا ؟ قال : أفي كلّ موطن لا تعقلون ! ألا ترون الداعي لا ينزع ! وأنّه من ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدّأب حتى فرغ منهم ، وأتي بحيي بن أخطب وعليه حلّة له فُحّاحيّة ، قد شقّها عليه من كلّ ناحية قدر أنملة ؛ لئلاّ يسلبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل ، فلمّا نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنّه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيّها الناس ، إنّّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جؤال الثعلبيّ : [ من الطويل ]

لعمرك ما لام ابنُ أخطب نفسه      ولكنّه من يخذل الله يُخْذَلِ  
لجَاهِد حتى أبلغ النفس عُذرها      وفَلَقَل يبغي العِزَّ كلَّ مُقْلَقَلِ

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> قصة الزبير بن باطا ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان قد منّ يوم بعث على ثابت بن قيس بن شماس ، وجرّ ناصيته ، فلمّا كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ فقال له ثابت : أريد أن أكافئك . فقال : إنّ الكريم يجزي [ الكريم ] . فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه ؛ فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال : شيخ كبير لا أهل [ له ] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له ، ثم جاءه ، فأخبره فقال : أهل [ بيت ] بالحجاز لا مال [ لهم ] ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزبير بن باطا ، فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال له : يا ثابت ، ما فعل

(١) أي وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٠ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٢ ) .

الذي كان وجهه مرآة صنيّة تترأى فيها عذارى الحيّ ؟ يعني كعب بن أسد . قال : قتل . قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادي حُيّي بن أخطب ؟ قال : قتل . قال : فما فعل مقدّمنا إذا شدّدنا<sup>(١)</sup> وحاميتنا إذا فررنا ؛ عزّال بن شموأل ؟ قال : قتل . قال : فما فعل المجلسان ؟ يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة . قال : ذهبوا قتلوا . قال : فإنّي أسألك يا ثابت ، بيدي عندك ، إلّا ألحقّني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة . فقدّمه ثابت فضربت عنقه ، فلمّا بلغ [ أبا بكر ] الصديق قوله : ألقى الأحبة . قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلّداً .

قال ابن إسحاق : « فيلة » . بالفاء [ والياء المثناة من أسفل ] .

وقال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : بالقاف والباء الموحّدة .

وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يستقي الماء لسقي النخل .

وقال أبو عبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل [ كلّ ] من أنبت منهم ، فحدّثني شعبة بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظيّ قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كلّ من أنبت [ منهم ] ، وكنت غلاماً ، فوجدوني لم أنبت فخلّوا سبيلي .

ورواه أهل « السنن الأربعة<sup>(٤)</sup> » ، من حديث عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظيّ نحوه .

وقد استدللّ به من ذهب من العلماء إلى أنّ إنبات الشّعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصحّ قولي الشافعيّ .

ومن العلماء من يفرّق بين صبيان أهل الذمّة ، فيكون بلوغاً في حقّهم دون غيرهم ؛ لأنّ المسلم قد يتأدّى بذلك المقصد .

وقد روى ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، أنّ سلمى بنت قيس أمّ المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن سِموال ، وكان قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ، إن رفاعة يزعم أنّه سيصليّ ويأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

(١) في ( آ ) : « شردنا » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٤ ) .

(٤) هو عند أبي داود رقم ( ٤٤٠٤ ) و ( ٤٤٠٥ ) وعند الترمذي رقم ( ١٥٨٤ ) وعند النسائي في « المجتبى » رقم ( ٤٩٩٦ ) وعند ابن ماجه رقم ( ٢٥٤١ ) و ( ٢٥٤٢ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٤ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدَّث معي تضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ما لك ؟ قالت : أُقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثه . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها . وكانت عائشة ، تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ؛ طيب نفسها وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تُقتل .

وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، به .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : هي التي طرحت الرَّحَا على خلاد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسول الله ﷺ به<sup>(٤)</sup> . قاله ابن إسحاق في موضع آخر ، وسَمَّاها بُنَاتة<sup>(٥)</sup> امرأة الحكم القرظي .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : ثم إنَّ رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ؛ سهمين للفرس ، وسهماً لراكبه ، وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين .

قال : وكان أول فيء وقعت فيه السُّهُمان وخُمس .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بني عمرو ابن قريظة ، وكان عليها حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت ، ثم أسلمت بعد ذلك ، فسرَّ رسول الله ﷺ بإسلامها ، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوَّجها ، فاختارت أن تستمرَّ على الرِّقِّ ليكون أسهل عليها ، فلم تزل عنده حتى توفي ، عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب . وقد ذكرنا ذلك مستقصى في تفسيرها<sup>(٩)</sup> ، والله الحمد والمِنَّة .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٢ ) .

(٢) في « المسند » ( ٦ / ٢٧٧ ) ، ورواه أيضاً أبو داود رقم ( ٢٦٧١ ) وهو حديث حسن .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٢ ) والكلام له لا لابن إسحاق ، ولعله له في موطن آخر ، والله أعلم .

(٤) قال الإمام الشافعي - فيما نقله البيهقي : « قد جاء الخبر أن رسول الله ﷺ قتل القرظية » ولم يصح خبر على أي معنى قتلها ، وقد يحتمل أن تكون أسلمت ثم ارتدت ولحقت بقومها فقتلها لذلك ، ويحتمل غيره « ( السنن الكبرى ٨٢ / ٩ ، ومعرفة السنن ( ١٨٠ / ١٨ ) .

(٥) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « بُنَاتة » وفي « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص ( ١٧٥ ) : « وَبُنَاتَة » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٤ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٥ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٤٥ ) .

(٩) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٦ / ٣٨٤ ) .



وقد قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : واستشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجي ، طرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ لَهُ لِأَجْرٍ شَهِيدِينَ » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرَّحَا ، تلك المرأة التي لم يُقتل من بني قريظة امرأة غيرها ، كما تقدّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان من بني أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرتهم اليوم .

\*\*\*

### وفاة سعد بن معاذ<sup>(٣)</sup> رضي الله عنه

قد تقدّم أن حَبَّان بن العَرِقة ، لعنه الله ، رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ كَيْئاً بالنار ، فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقرَّ عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذِّمام ، ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلمَّا ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة ، وباءت<sup>(٤)</sup> بنو قريظة بسواد الوجه والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدّم ، فلمَّا ضَيَّقَ عليهم وأخذهم من كل جانب ، أنابوا إلى أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس ، وكانوا حلفاءهم في [الجاهليَّة] ، وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك ، ويقال : بل نزلوا ابتداءً<sup>(٥)</sup> على حكم سعد ؛ لما يرجون من حنوّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنَّهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير ؛ لشدّة إيمانه وصديقيّته ، رضي الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، وكان في خيمة في المسجد النبويّ ، فجيء به على حمار تحته إكافٌ قد وطئ تحته لمرضه ، ولمَّا قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له ، قيل : لينزل من شدّة مرضه . وقيل : توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ؛ ليكون أبلغ في نفوذ حكمه ، والله أعلم ، فلمَّا حكم فيهم بالقتل والسّبي ، وأقرَّ الله عينه وشفى صدره منهم ، وعاد إلى خيمته من المسجد النبويّ صحبة رسول الله ﷺ ، دعا الله عزَّ وجلَّ ، أن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٥٤ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٥٤ / ٢ ) .

(٣) ترجمته ومصادرها في « سير أعلام النبلاء » ( ٢٧٩ / ١ ) ، و « الإعلام بوفيات الأعلام » ص ( ٢٢ ) ، و « شذرات

الذهب » ( ١٢٢ / ١ ) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .

(٤) في ( أ ) : « وفازت » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٥) في ( آ ) : « ابتداء » وأثبت لفظ ( ط ) .

تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده ، فانفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلمّا انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

حدّثني معاذ بن رفاعه الزُرقيّ ، قال : حدّثني من شئت من رجال قومي ، أنّ جبريل أتى رسول الله ﷺ ، حين قبض سعد بن معاذ ، من جوف الليل ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميّت الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتزّ له العرش<sup>(٢)</sup> ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجرّ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات ، رضي الله عنه . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقيّ في « الدلائل »<sup>(٣)</sup> : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدّثنا أبي وشعيب بن الليث ، قالا : حدّثنا الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رفاعه ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء ، وتحرك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ . قال : فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرّتين ، فسبح القوم . ثم قال : « الله أكبر ، الله أكبر » . فكبر القوم . فقال رسول الله ﷺ : « عجبت لهذا العبد الصالح ، شدّد عليه في قبره ، حتى كان هذا حين فرّج له » .

وروى الإمام أحمد والنسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعه ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرك له عرش الرحمن ، وفتحت له أبواب السماء ، شدّد عليه ، ثم فرّج الله عنه »<sup>(٤)</sup> .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حدّثني معاذ بن رفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله قال : لمّا دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ ، سبّح رسول الله ﷺ ، فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سبّحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرّجه الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، به .

- 
- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٥٠ ) .
  - (٢) روى البخاري رقم ( ٣٨٠٣ ) ، ومسلم رقم ( ٢٤٦٧ ) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » .
  - (٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢٩ ) .
  - (٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٣٢٧ ) واللفظ له ، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٨٢٢٤ ) ، وهو حديث حسن .
  - (٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٥١ ) .
  - (٦) في « المسند » ( ٣ / ٣٦٠ ) ، وإسناده حسن .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَمَّةً ، لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً ، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » . وهذا الحديث سنده على شرط « الصحيحين » إلا أن الإمام أحمد رواه عن غندر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة ، به<sup>(٣)</sup> .

وقد رواه الحافظ البزار<sup>(٤)</sup> ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : [ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ] قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ هَبَطَ يَوْمَ مَاتَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِلَى الْأَرْضِ ، لم يَهْبُطُوا قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ ضَمَّهُ الْقَبْرِ ضَمَّةً » . قال : ثم بكى نافع .

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزار : رواه غيره ، عن عبيد الله ، عن نافع مرسلًا .

ثم رواه البزار<sup>(٥)</sup> ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتَّاب ، عن مسكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ نَزَلَ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، ما وطئوا الأرض قبلها » . وقال حين دفن : « سُبْحَانَ اللَّهِ لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد » .

قال البزار<sup>(٦)</sup> : [ حَدَّثَنَا ] إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتزَّ العرش لحبِّ لقاء الله سعد بن معاذ . قال : فقال : إنما يعني السرير . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] . قال : تَفَسَّخَتْ أَعْوَادُهُ . قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره فاتحبتس ، فلمَّا خرج قيل له : يا رسول الله ، ما حبسك ؟ قال : « ضَمَّ سَعْدٌ فِي الْقَبْرِ ضَمَّةً ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٥٢ / ٢ ) .

(٢) في « المسند » ( ٥٥ / ٦ ) ، وهو حديث حسن .

(٣) يشير المؤلف إلى وجود اختلاف في إسناد الحديث على شعبته ، فإن غندراً ، وهو محمد بن جعفر من أوثق الناس في شعبته ، قد أبهم الراوي عن شعبة . وأما يحيى بن سعيد القطان فرواه عن شعبة ولم يذكر الوساطة بين نافع وشعبة . ورواه سبعة من أصحاب شعبة عنه عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية عن عائشة فسموا هذا المبهم ، ورواية السبعة هذه هي التي صوَّبها الإمام الدارقطني في كتاب « العلل » ( ٥ / الورقة ١٠٨ ) (بشار) .

(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم ( ٢٦٩٩ ) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٣٠٨ / ٩ ) وعزاه للبزار بإسنادين ، وقال : « ورجال أحدهما رجال الصحيح » .

(٥) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم ( ٢٦٩٨ ) .

(٦) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم ( ٢٦٩٧ ) .

فدعوت الله فكشف عنه « . قال البرّار : تفرّد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلم فيه <sup>(١)</sup> .

وقد ذكر البيهقي <sup>(٢)</sup> ، رحمه الله ، بعد روايته ضمة سعد ، رضي الله عنه ، في القبر ، أثراً غريباً فقال : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدّثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدّثني أمية بن عبد الله أنّه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أنّ رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : « كان يقصّر في بعض الطهور من البول » .

وقال البخاري <sup>(٣)</sup> : حدّثنا محمد بن المثنى ، حدّثنا الفضل بن مساور ، حدّثنا أبو عوانة عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ » . وعن الأعمش <sup>(٤)</sup> ، حدّثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبي ﷺ مثله ، فقال رجل لجابر : فإن البراء بن عازب يقول : اهتزّ السرير . فقال : إنّ كان بين هذين الحين ضغائن ، سمعت النبي ﷺ يقول : « اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس ، وابن ماجه ، عن عليّ بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر <sup>(٥)</sup> . وقال أحمد <sup>(٦)</sup> : ثنا عبد الرزاق ، [ عن ] ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ [ يقول ] وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : « اهتزّ لها عرش الرحمن » . ورواه مسلم <sup>(٧)</sup> ، عن عبد بن حميد ، والترمذي ، عن محمود بن غيلان ، كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وقال الإمام أحمد <sup>(٨)</sup> : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا عوف ، ثنا أبو نضرة ، سمعت أبا سعيد ، عن النبي ﷺ : « اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ » . ورواه النسائي <sup>(٩)</sup> ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى ، به .

- 
- (١) هكذا قال ، وعطاء بن السائب ثقة ، لكنه اختلط ، ورواية محمد بن فضيل عنه بعد الاختلاط ، فانظر تحرير تقريب التهذيب (١٤ / ٣) (بشار) .
- (٢) في « دلائل النبوة » ( ٣٠ / ٤ ) .
- (٣) رواه البخاري رقم ( ٣٨٠٣ ) .
- (٤) القائل البخاري عطفاً على الرواية السابقة لها .
- (٥) رواه مسلم رقم ( ٢٤٦٦ ) ، وابن ماجه رقم ( ١٥٨ ) .
- (٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٥ / ٣ ) .
- (٧) رواه مسلم رقم ( ٢٤٦٦ ) ، والترمذي رقم ( ٣٨٤٨ ) .
- (٨) في « المسند » ( ٢٣ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .
- (٩) في « السنن الكبرى » رقم ( ٨٢٢٥ ) ، وهو حديث صحيح .

وقال أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا عبد الوهَّاب ، عن سعيد ، قال قتادة : ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة : « اهتز لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> عن محمد بن عبد الله الرُّزِّي ، عن عبد الوهَّاب ، به .

وقد روى البيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصري قال : اهتز عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزار<sup>(٤)</sup> : ثنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرزاق<sup>(٥)</sup> ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : [ لما ] حملت جنازة سعد قال المنافقون : ما أخف جنازته . وذلك لحكمه في بني قريظة ، فسئل رسول الله ﷺ فقال : « لا ، ولكن الملائكة كانت تحمله » . إسناده جيد .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : أهديت للنبي ﷺ حلة حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ، ويعجبون من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ، لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزهری ، سمعنا أنساً ، عن النبي ﷺ .

وقال أحمد<sup>(٧)</sup> : ثنا عبد الوهَّاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن أكيدر دومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جبة ، وذلك قبل أن ينهى عن الحرير ، فلبسها ، فعجب الناس منها ، فقال : « والذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه » . وهذا إسناده على شرط الشيخين ، ولم يخرجه ، وإنما ذكره البخاري تعليقاً<sup>(٨)</sup> .

وقال أحمد<sup>(٩)</sup> : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، حدثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ - قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم - قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنك بسعد لشبيه . ثم بكى وأكثر البكاء ،

(١) في « المسند » ( ٣ / ٢٣٤ ) .

(٢) رقم ( ٢٤٦٧ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢٨ ) .

(٤) ورواه الترمذي أيضاً رقم ( ٣٨٤٩ ) وقال : حسن صحيح غريب ، وعبد بن حميد ( ١١٩٥ ) ، وابن حبان ( ٧٠٣٢ ) ، والطبراني في الكبير ( ٥٣٤٢ ) .

(٥) هو في مصنفه ( ٢٠٤١٤ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٣٨٠٢ ) .

(٧) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٢٣٤ ) .

(٨) في « صحيحه » رقم ( ٢٦١٦ ) .

(٩) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ١٢١ ) .

وقال : رحمة الله على سعد ، كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدِر دومة ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجُبة من ديباج ، منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فقام على المنبر ، أو جلس ، فلم يتكلم ، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجُبة ، وينظرون إليها ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن ممَّا ترون » .  
وهكذا [ رواه ] الترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> ، من حديث [ محمد بن ] عمرو به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ : وفي ذلك يقول رجل من الأنصار : [ من الطويل ]

وما اهتزَّ عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

قال : وقالت أمه - يعني كُبَيْشَةَ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدرية الخزرجية - حين احتمل سعد على نعشه تنديه : [ من مجزوء الرجز ]

ويل أم سعد سعدا صرامة وحداً  
وسؤدداً ومجداً وفارساً معدا  
سدَّ به مسداً [ يقذُّ هاماً قدًا ]

قال : يقول رسول الله ﷺ : « كلُّ نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » .

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، وكان قدوم الأحزاب<sup>(٣)</sup> في سؤال سنة خمس كما تقدَّم ، فأقاموا قريباً من شهر ، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قُريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد ، فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجة من سنة خمس ، والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : إنَّ فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجة . قال : وولي تلك الحجة المشركون .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقال حسان بن ثابت<sup>(٦)</sup> يرثي سعد بن معاذ ، رضي الله عنه : [ من الطويل ]

(١) رواه الترمذي رقم ( ١٧٢٣ ) ، و« النسائي » رقم ( ٥٣١٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٥٢ ) .

(٣) في ( ط ) : « إذا كان قدوم الأحزاب » .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٦٩ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٦٩ ) .

(٦) انظر « ديوانه » ( ١ / ٤١٥ ) .

لقد سَجَمْتُ<sup>(١)</sup> من دمع عيني عبرة  
قتيلٌ ثوى في معرك فجعت به  
على ملّة الرحمن وارث جنّة  
فإن تك قد ودّعنا وتركتنا<sup>(٢)</sup>  
فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد  
بحكمك في حيي قريظة بالذي  
فوافق حكم الله حكمك فيهم  
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الألي<sup>(٣)</sup>  
فنعم مَصِيرُ الصّادقين إذا دُعوا  
وَحُقَّ لعيني أن تفيض على سعد  
عيون ذواري الدمع دائمة الوجد  
مع الشهداء وفدّها أكرّم الوفد  
وأمسيت في غبراء مظلمة اللحد  
كريم وأثواب المكارم والحمد  
قضى الله فيهم ما قضيت على عمد  
ولم تعف إذ ذكّرت ما كان من عهد  
شروا هذه الدنيا بجنّاتها<sup>(٤)</sup> الخلد  
إلى الله يوماً للوجاهة والقصد

\*\*\*

## فصل

## فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا حجاج بن منهال ، ثنا شعبة ، ثنا عدي بن ثابت ، أنه سمع البراء بن عازب قال : قال النبي ﷺ لحسان : « اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك » .  
قال البخاري<sup>(٦)</sup> : وزاد إبراهيم بن طهمان ، عن الشيباني ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب قال : قال النبي ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت : « اهج المشركين ، فإن جبريل معك » .  
وقد رواه البخاري أيضاً ، ومسلم والنسائي<sup>(٧)</sup> ، من طرق ، عن شعبة ، بدون الزيادة التي ذكرها البخاري يوم بني قريظة .  
قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> ، رحمه الله : وقال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني مُحارب بن فهر في يوم الخندق - قلت : وذلك قبل إسلامه - : [ من الوافر ]

(١) « الديوان » : « سفحت » .

(٢) « الديوان » : « عن مودة » .

(٣) « الديوان » : « في الأولى » .

(٤) في « الديوان » : « بجنّاته » .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤١٢٣ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤١٢٤ ) .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٦١٥٣ ) ، ومسلم رقم ( ٢٤٨٦ ) ، و« النسائي » رقم ( ٦٠٢٤ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٥٤ / ٢ ) .

ومشفقة تظنُّ بنا الظنونا  
 كأنَّ زُهاءها أُخِذَ إذا ما  
 ترى الأبدان فيها مُسِيغات  
 وجُرْدًا<sup>(١)</sup> كالقَداحِ مسوِّمات  
 كأنَّهم إذا صالوا وصلنا  
 أناس لا نرى فيهم رشيداً  
 فأحجرناهم شهراً كريماً<sup>(٢)</sup>  
 نراوهم ونغدو كلَّ يوم  
 بأيدينا صوارم مُرهفات  
 كأنَّ وميضهنَّ معرَّياتٍ  
 وميض عقيقة لمعت بليلٍ  
 فلولاً خندقٌ كانوا لديه  
 ولكن حال دونهم وكانوا  
 فإن نرحل فإنَّا قد تركنا  
 إذا جنَّ الظلام سمعت نوحى  
 وسوف نزوركُم عمَّا قريبٍ  
 بجمع من كنانة غير عُزَلٍ

وقد قُدنا عَرندسة طُحُونَا  
 بدت أركأته للناظرينَا  
 على الأبطال واليَلَبِ الحصينَا  
 نوؤمُ بها الغُواة الخاطئينَا  
 بباب الخندقين مصافحونا  
 وقد قالوا ألسنا راشدينَا  
 وكنا فوقهم كالقاهرينَا  
 عليهم في السَّلاح مدجَّجينَا  
 نقدُّ بها المفارق والشُّوونَا  
 إذا لاحت بأيدي مصليتنا  
 ترى فيها العقائق مستينَا  
 لدَمَرنا عليهم أجمعينَا  
 به من خوفنا متعوِّذينَا  
 لدى أبياتكم سعداً رهينَا  
 على سعد يرجعون الحنينَا  
 كما زركم متوازينَا  
 كأسد الغاب إذ حَمَتِ العرينَا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة ، رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> ، فقال : [ من الوافر ]

وسائلةٌ تُسائل ما لقينا  
 صبرنا لا نرى الله عدلاً  
 وكان لنا النَّبيُّ وزيرٌ صدقٍ  
 نقاتل معشراً ظلموا وعُقُوا  
 نعالجهم إذا نهضوا إلينا  
 ترانا في فضافضٍ سابغات  
 وفي أيماننا ييُض خِفَافٌ  
 بباب الخندقين كأنَّ أسداً

ولو شهدت رأنا صابرينَا  
 على ما نابنا متوكلينَا  
 به نعلو البريئة أجمعينَا  
 وكانوا بالعداوة مُرصدينَا  
 بضرب يُعْجِلُ المُتسرِّعينَا  
 كغدران المَلأ متسرِّلينَا  
 بها نشفي مراح الشاغبينَا  
 شوابكهنَّ يحمين العرينَا

(١) في ( آ ) : « وخوداً » وأثبت لفظ ( ط ) ، و « السيرة النبوية » لابن هشام ، والجرد : الخيل العتاق .

(٢) الكريت : التام الكامل .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ص ( ٢١٥ ) .



فوارسنا إذا بكروا وراحوا      على الأعداء شوساً معلمينَا  
لننصر أحمداً والله حتى      نكون عباد صدق مخلصينَا  
ويعلم أهل مكة حين ساروا      وأحزابٌ أتوا متحزبينَا  
بأن الله ليس له شريك      وأن الله مولى المؤمنينَا  
فإما تقتلوا سعداً سفاهاً      فإن الله خير القادرينَا  
سيدخله جناناً طيبات      تكون مُقامة للصالحينَا  
كما قد ردكم فلا شريداً      بغيظكم خزايا خائنينَا  
خزايا لم تنالوا ثم خيراً      وكدتُم أن تكونوا دامرِينَا  
بريح عاصف هبت عليكم      فكتم تحتها متكئينَا

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال عبد الله بن الزبيري السهمي<sup>(٢)</sup> في يوم الخندق - قلت : وذلك قبل أن

يُسَلِّم - : [ من الكامل ]

حيّ الديار محاً معارف رسمها      طولُ البلى وتراوح الأحقابِ  
فكأنما كتب اليهودُ رسومها      إلا الكيف ومعد الأطنابِ  
قفرأ كأنك لم تكن تلهو بها      في نعمة بأوانس أترابِ  
فاترك تذكر ما مضى من عيشة      ومحلة خلق المقام يبابِ  
واذكر بلاء معاشر واشكرهم      ساروا بأجمعه من الأنصابِ  
أنصابِ مكة عامدين ليثربِ      في ذي غياطل جحفل جبجبابِ<sup>(٣)</sup>  
يدع الحزون<sup>(٤)</sup> مناهجاً معلومة      في كل نشز ظاهر وشعابِ  
فيها الجياد شواذب مجنوبة<sup>(٥)</sup>      قبُ البطون لواحق الأقربِ  
من كل سلهبة<sup>(٦)</sup> وأجرد سلهب      كالسيد بادر غفلة الرُقَابِ  
جيش عينة قاصد بلوائه      فيه وصخر قائد الأحزابِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٥٧ / ٢ ) .

(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزبيري » ص ( ٢٩ ) جمع وتقديم الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، مع بعض الخلاف اليسير .

(٣) « الجبجباب » : الكثير .

(٤) « الحزون » : جمع حزن ، وهو ما ارتفع من الأرض ، « والمناهج » : جمع منهج ، وهو الطريق الواضح « والنشز » : المرتفع من الأرض .

(٥) أي مقودة ، والشواذب واللقب واللواحق كلها بمعنى ضامرات ، والأقرب جمع قرب ، وهو الحاصرة .

(٦) « السلهبة » : الطويل ، « والسيد » : الذئب .

قرمان<sup>(١)</sup> كالبدريين أصبح فيهما  
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا  
شهرأ وعشرأ قاهرين محمداً  
نادوا برحلتهم صبيحة قلتُم  
لولا الخنادق غادروا من جمعهم  
غيث الفقير ومعقل الهراب  
للموت كل مجرب قضاب  
وصحابه في الحرب خير صحاب  
كدنا نكون بها مع الخياب  
قتلى لطير سُغِب وذئاب

قال : فأجابه حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> ، رضي الله عنه ، فقال : [ من الكامل ]

هل رسمُ دارسة المقام يباب  
قفر عفا رهم السحاب رؤسومه  
ولقد رأيت بها الحلول يزينُهُم  
فدع الديار وذكر كل خريدة  
واشك الهموم إلى الإله وما ترى  
ساروا بجمعهم إليه وألبوا  
جيش عينة وابن حرب فيهم  
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا  
وغدوا علينا قادرين بأيدهم<sup>(٣)</sup>  
بهبوب معصفة تفرق جمعهم  
فكفى الإله المؤمنين قتالهم  
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم  
وأقر عين محمد وصحابه  
عاتي الفؤاد موقع<sup>(٤)</sup> ذي ريبة  
علق الشقاء بقلبه ففؤاده

قال : وأجابه كعب بن مالك<sup>(٥)</sup> ، رضي الله عنه ، أيضاً فقال : [ من الكامل ]

أبقى لنا حدث الحروب بقيّة من خير نحلة ربنا الوهاب

(١) القرم : السيد .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ( ٨٠ / ١ ) .

(٣) الدائمة الثابتة ، والرّهم : جمع رهمة ، وهو المطر .

(٤) أي مختلطون .

(٥) الأيد : القوة .

(٦) أي : ذو عيب .

(٧) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٥١ ) .

بيضاء مشرفة الدُّرى ومعاطناً  
كاللُّوب يُبْذَلُ جُمُّها وحفيلها  
ونزائعا<sup>(١)</sup> مثل السَّراح نَمى بها  
عري الشَّوى منها وأردف نحضها  
قوداً تراخُ إلى الصَّياح إذا غدت  
وتحوط سائمة الديار وتارة  
حوشَ الوحوش مُطارة عند الوغى  
علفت على دعة فصارت بُدْنًا  
يغدون بالزَّغف المضاعف شكُّه  
وصوارم نزع الصَّياقل علبها<sup>(٢)</sup>  
يصل اليمين بمارن متقارب  
وأغرَّ أزرق في القناة كَأَنَّهُ  
وكتيبة ينفي القرآن قتيورها  
جأوى<sup>(٣)</sup> مللمة كأنَّ رماحها  
تأوى إلى ظلِّ اللِّواء كَأَنَّهُ  
أعيت أبا كرب وأعيت تبَّعا  
ومواعظ من ربِّنا نُهدى بها  
عرضت علينا فاشتھينا ذكرها  
حِكماً يراها المجرمون بزعمهم  
جاءت سخينة كي تغالب ربَّها

حَمَّ الجذوع غزيرة الأحلاب  
للجار وابن العمِّ والمنتاب  
علف الشَّعير وجزَّة المقضاب  
جرد المتون وسائر الآراب  
فعل الضَّراء تراخ للكلاب<sup>(٤)</sup>  
تُردي العدا وتؤوب بالأسلاب  
عبس اللِّقاء مينة الإنجاب  
دُخس<sup>(٥)</sup> البضيع خفيفة الأqvاب  
وبمترصاتٍ في الثِّفاف صياب  
ويكلُّ أروع ماجد الأنساب  
وكلت وقيعته إلى خبَّاب  
في طُخية<sup>(٦)</sup> الظُّلماء ضوء شهاب  
وتردُّ حدَّ قواحر<sup>(٧)</sup> الشَّباب  
في كلِّ مجمعة ضريمة غاب  
في صعدة الخطيِّ فيء عقاب  
وأبت بسالتها على الأعراب  
بلسان أزهر طيِّب الأثواب  
من بعد ما عرضت على الأحزاب  
حرجاً ويفهمها ذوو الألباب  
فليغلبنَّ مغالب الغلاب

قال ابن هشام<sup>(٨)</sup> : حدَّثني من أثق به ، حدَّثني عبد الملك بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ قال له لَمَّا سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

- (١) النزائع : الخيل العربية التي نزعَت من الأعداء . والسَّراح ، جمع سرحان ، وهو الذئب .
- (٢) الكلاب : الصائد صاحب الكلاب .
- (٣) كثيرة اللحم .
- (٤) أي : صلابتها .
- (٥) الطخية : شدة السواد .
- (٦) قواحر الشَّباب : أي السهام المرتفعة .
- (٧) الجأواء : التي يخالط سوادها حمرة .
- (٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٦١ ) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك » ص ( ١٩٤ - ١٩٧ ) .

قلت : ومراده بسخينة : قريش ، وإنما كانت العرب تسميهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السخن ، الذي لا يتهيأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال كعب بن مالك أيضاً : [ من الكامل ]

من سرّه ضرب يجمع<sup>(٢)</sup> بعضه  
فليات مأسدة تسنّ سيفها  
دربوا بضرب المعلمين وأسلموا  
في عصبة نصر الإله نبيّه  
في كلّ سابعة يحطّ فضولها  
بيضاء محكمة كأنّ قتيرها  
جدلاء يحفزها نجاد مهنّد  
تلكم مع التّقوى تكون لباسنا  
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا  
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها  
نلقى العدوّ بفخمة ملمومة  
ونعدّ للأعداء كلّ مقلّص  
تردي بفرسان كأنّ كماتهم  
صدق يعاطون الكماة حتوفهم  
أمر الإله بربطها لعدوّه  
لتكون غيظاً للعدوّ وحيطاً  
ويعيننا الله العزيز بقوة  
ونطيع أمر نبيّنا ونجيّبه  
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها  
من يتّبع قول النبيّ فإنه  
فبذاك ينصرنا ويظهر عزّنا  
إن الذين يكذبون محمداً

بعضاً كمعمعة الأباء<sup>(٣)</sup> المحرق  
بين المذاذ وبين جزع الخندق  
مهجات أنفسهم لرّب المشرق  
بهمم وكان بعده ذا مرفق  
كالنهي<sup>(٤)</sup> هبّت ريحه المترقّق  
حدق الجنادب<sup>(٥)</sup> ذات شكّ موثق  
صافي الحديد صارم ذي رونق  
يوم الهياج وكلّ ساعة مصدق  
قدماً ونلحقها إذا لم تلحق  
بله الأكفّ كأنها لم تُخلق  
تنفي الجموع كقصد رأس المشرق  
وزد ومحجول القوائم أبلق  
عند الهياج أسود طلّ ملثّق  
تحت العماية بالوشيج المزهق  
في الحرب إن الله خير موفّق  
لدار إن دلفت خيول النزق  
منه وصدق الصبر ساعة نلتقي  
وإذا دعا لكريهة لم نُسبق  
ومتى نر الحومات فيها نعنق  
فيما مطاع الأمر حقّ مصدّق  
ويصينا من نيل ذاك بمرفق  
كفروا وضلّوا عن سبيل المتقي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٦١ / ٢ ) .

(٢) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها .

(٣) الأباء واحدها أباءة وهي القصبة .

(٤) النهي : الغدير من الماء .

(٥) الجنادب : الجراد .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال كعب بن مالك<sup>(٢)</sup> أيضاً : [ من الطويل ]

لقد علم الأحزاب حين تألبوا      علينا وراموا ديننا ما نؤادعُ  
أضاميم من قيس بن عيلان أضفقتُ      وخندف لم يدروا بما هو واقعُ  
يذودوننا عن ديننا ونذودهم      عن الكفر والرحمن راء وسماعُ  
إذا غايظونا في مقام أعاننا      على غيظهم نصر من الله واسعُ  
وذلك حفظ الله فينا وفضله      علينا ومن لم يحفظ الله ضائعُ  
هدانا لدين الحق واختاره لنا      والله فوق الصانعين صنائعُ

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وهذه الأبيات في قصيدة له . يعني طويلة .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقال حسان بن ثابت<sup>(٥)</sup> في مقتل بني قريظة : [ من الوافر ]

لقد لقيت قريظة ما ساءها      وما وجدت لذل من نصير  
أصابهم بلاء كان فيه      سوى ما قد أصاب بني النضير  
غداة أتاهم يهوي إليهم      رسول الله كالقمر المنير  
له خيل مجنبة تعادي      بفرسان عليها كالصقور  
تركناهم وما ظفروا بشيء      دماؤهم عليها كالعبير  
فهم صرعى تحوم الطير فيهم      كذاك يُدان ذو العند الفجور  
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً      من الرحمن إن قلت نذيري

قال : وقال حسان بن ثابت<sup>(٦)</sup> أيضاً في بني قريظة : [ من الوافر ]

تفاقد معشر نصروا قريشاً      وليس لهم ببلدتهم نصيرُ  
هم أوتوا الكتاب فضيعوه      وهم عمي من التوراة بورُ  
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم      بتصديق الذي قال النذيرُ  
فهان على سراة بني لؤي      حريق بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال : [ من الوافر ]

أدام الله ذلك من صنيع      وحرّق في طوائفها السعيرُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٦٣ / ٢ ) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٨٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٦٣ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧١ / ٢ ) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » ( ٣٢٨ / ١ ) .

(٦) الأبيات في « ديوانه » ( ٢١٠ / ١ ) .

ستعلم أئنا منها بُنْزَه وتعلم أيّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ  
فلو كان النّخيل بها ركاباً لقالوا لا مقام لكم فسيروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدّم في « صحيح البخاري » بعض هذه الأبيات .

وذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> جواب حسان في ذلك لجبل بن جؤال الثعلبي ، تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال حسان بن ثابت<sup>(٣)</sup> أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قريظة :

[ من الطويل ]

ألا يا لقومي هل لما حمّ دافع	وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهافت	بنات الحشا وانهلّ مني المدامع
صبابة وجد ذكّرتني إخوة	وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت	منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم	ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحقّ وكلّهم	مطيع له في كلّ أمر وسامع
فما نكلوا حتى توالوا جماعة	ولا يقطع الآجال إلّا المصارع
لأنهم يرجون منه شفاعاة	إذا لم يكن إلّا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا	إجابتنا لله والموت ناقع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا	لأولنا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده	وأن قضاء الله لا بد واقع

\*\*\*

### مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي

لعنه الله

وكان في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز<sup>(٤)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ولما انقضى شأن الخندق وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق - وهو

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧٢ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧٠ / ٢ ) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ( ٢٦٧ / ١ ) مع بعض الخلاف .

(٤) مكان هذه الفقرة كاملة في ( ط ) : « مقتل أبي رافع اليهودي » فقط .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧٣ / ٢ ) .

أبو رافع - فيمن حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر ، فأذن لهم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله [ بن كعب ] بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار ؛ [ الأوس ] والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول [ الفحلين ] ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة [ كابن الأشرف ] ، فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا ، حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله . قال : وكان في عليّة ، له إليها عجلة . قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة ؛ تخوفاً أن يكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبْطِيّة ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني . أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيئ البصر . قال : فوقع من الدَّرَجَة ، فوُثت يده وثناً شديداً ، وحملناه حتى نأتى به منهراً من عيونهم فندخل فيه ، فأوقدوا النيران ، واشتدوا في كلّ وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدوّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدتها - يعني امرأته - ورجال يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحديثهم وتقول : أما سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبتُ [ نفسي ] وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أكبت عليه تنظر في وجهه ، فقالت : فاظ وإله يهود . فما سمعت كلمة كانت ألذ على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلنا يدّعيه . قال :

فقال : « هاتوا أسيافكم » . فجئنا بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : « هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام » . قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> في ذلك : [ من الكامل ]

لله دُرٌّ عَصَابَةٌ لَاقِيَتُهُمْ      يابن الحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ  
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ      مُرَحاً كَأَسَدٍ فِي عَرِينِ مُغْرِفِ  
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ      فَسَقَوْكُمْ حَتْفاً بَيْضَ ذُقْفِ  
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ [ نَبِيَّهِمْ ]      مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجَفِ

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا إسحاق بن نصر ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع ، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله .

ثم قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرهم ، قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطف للبواب ؛ لعلني أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ، ثم علّق الأغاليق على ودّ . قال : فقامت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمّر عنده ، وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره ، صعدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل ، فقلت : إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله . فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت ، فأمكثت غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأُمّك الويل ، إنّ رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثختته ولم أقتله ، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه ، حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أنني قتلت ، فجعلت أفتح

(١) الأبيات في « ديوانه » ( ٢ / ٢١١ ) ، وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ( ٢ / ١٨٠ ) بتحقيقي بالاشتراك مع الأساتذة : د . حسام الدين فرفور ، رياض عبد الحميد مراد ، د . نزار أباطة ، بإشراف أستاذنا العلامة الدكتور شاكّر الفخّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٠٣٨ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٠٣٩ ) .



الأبواب باباً باباً ، حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي ، وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله . فلما صاح الديك ، قام الناعي على السور فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز . فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النجاء ، فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته ، فقال لي : « ابسط رجلك » . فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنما لم أشتكها قط .

ثم قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي ، ثنا شريح ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر . قال : فتلطفت حتى أدخل الحصن ، ففقدوا حماراً لهم ، فخرجوا بقبس يطلبونه . قال : فخشيت أن أعرف . قال : فغطيت رأسي ، وجلست كأني أقضي حاجة ، فقال البواب : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربوط حمار عند باب الحصن ، فتعشوا عند أبي رافع ، وتحادثوا حتى ذهب ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلما هدأت الأصوات ولا أسمع حركة ، خرجت . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوة ، فأخذته ففتحت به باب الحصن . قال : قلت : إن نذر بي القوم انطلقت على مهل ، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلقتها عليهم من ظاهر ، ثم صعدت إلى أبي رافع في سلم ، فإذا البيت مظلم ، قد طفئ سراج ، فلم أدر أين الرجل ؟ فقلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ قال : فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح ، فلم تغن شيئاً . قال : ثم جئت كأني أغيبه ، فقلت : ما لك أبا رافع ؟ وغيّرت صوتي . قال : ألا أعجبك ، لأمك الويل ، دخل عليّ رجل فضرمني بالسيف . قال : فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً ، فصاح وقام أهله ، ثم جئت وغيّرت صوتي كهيئة المغيث ، فإذا هو مستلق على ظهره ، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفئ عليه ، حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً ، حتى أتيت السلم أريد أن أنزل ، فأسقط منه فانخلعت رجلي ، فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل ، فقلت : انطلقوا فبشروا رسول الله ﷺ ، فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال : أنعي أبا رافع . قال : فقمت أمشي ما بي قلبه ، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشّرتهم . تفرد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة ، انفكت قدمه ، وانكسرت ساقه ، ووثت رجله ويده ، فلما عصبتها استكنّ ما به ؛ لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك ؛ لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرت نفسه ، ثاوره الوجد في

رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ، ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ، ولم يبق بها وجع يتوقع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدّمت ، والله أعلم .

هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »<sup>(١)</sup> مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمّى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق ، وإبراهيم ، وأبو عبيد .

ثم قال : قال الزُّهريُّ : قال ابن كعب<sup>(٢)</sup> : فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر ، فقال : « أفلحت الوجوه » قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ، قال : « أفتكتموه ؟ » قالوا : نعم ، قال : « ناولني السيف » فسَلَّه فقال : « أجل هذا طعامه في ذباب السيف » .

\*\*\*

### مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي<sup>(٣)</sup>

ذكره الحافظ البيهقي في « الدلائل »<sup>(٤)</sup> تلو مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذليّ يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بعُرنَة<sup>(٦)</sup> ، فأته فاقتله » . قال : قلت : يا رسول الله ، انعته لي حتى أعرفه . قال : « إذا رأيته وجدت له قُشعريرة » . قال : فخرجت متوشّحاً سيفي حتى وقعت عليه ، وهو بعُرنَة مع ظُعنٍ يرتاد لهنّ منزلاً ، حين<sup>(٧)</sup> كان وقت العصر ، فلمّا رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ؛ أومىء برأسي للركوع والسجود ، فلمّا انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنّنا في ذلك . قال : فمشيت معه شيئاً ، حتى إذ أمكنتني حملت عليه السيف حتى قتلت ، ثم خرجت وتركت طعائنه مُكَبَّات عليه ، فلمّا قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال : « أفلح الوجه » . قال : قلت : قتلت يا رسول الله .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٨ / ٤ ) .

(٢) في ( آ ) و ( ط ) : « أبي بن كعب » .

(٣) انظر « زاد المعاد » لابن القيم ( ٢١٨ / ٣ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٠ / ٤ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٩٦ / ٣ ) ، وفي إسناده ضعف .

(٦) قال ياقوت : عُرْنَة : بوزن هُمزة وُضْحكة وهو الذي يضحك من الناس فيكون في القياس الكثير . . . . . واد بحذاء

عرفات ، . . . . . وقيل مسجد عرفة والمسيل كله . عن « معجم البلدان » ( ١١١ / ٤ ) .

(٧) في ( آ ) و ( ط ) : « وحين » والتصحيح من « دلائل النبوة » للبيهقي مصدر المؤلف .

قال : « صدقت » . قال : ثم قام معي رسول الله ﷺ ، فدخل في بيته فأعطاني عصاً فقال : « أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس » . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ماهذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : « آية بيني وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخضرون يومئذ » . قال : فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه ، حتى إذا مات أمر بها فضمّت في كفته ، ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> ، عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر [بن الزبير] ، عن بعض ولد عبد الله بن أنيس - أو قال : عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس - عن عبد الله بن أنيس ، فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> ، عن أبي معمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن ابن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه ، فذكر نحوه .

ورواه الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> ، من طريق محمد بن سلمة<sup>(٤)</sup> ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه فذكره .

وقد ذكر نحوه عُروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة في « مغازيهما » رسالة ، فالله أعلم .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان : [ من الطويل ]

تَرَكْتُ ابْنَ ثَوْرٍ كَالْحُورِ وَحَوْلَهُ	نَوَائِحُ تَقْرِي كُلَّ جَيْبٍ مَقْدَدٍ
تَنَاوَلْتَهُ وَالظُّلْعَنَ خَلْفِي وَخَلْفَهُ	بَأْيِضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنَّدٍ
عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارَعَيْنِ كَأَنَّهُ	شِهَابٌ غَضِيٌّ مِنْ مُلْهَبٍ مَتَوَقَّدٍ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَغْجُمُ رَأْسَهُ	أَنَا ابْنُ أَنْيسٍ فَارِسًا غَيْرَ قَعْدُدٍ
أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يُنْزَلِ الدَّهْرُ قِذْرُهُ	رَحِيبُ فَنَاءِ الدَّارِ غَيْرُ مَزْنَدٍ
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ	حَنِيفٍ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا هَمَّ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ	سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

قلت : عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام ، أبو يحيى الجُهَنِيُّ ، صحابيٌّ مشهور كبير القدر ، كان

(١) في « المسند » ( ٤٩٦/٣ ) ، وفي إسناده ضعف .

(٢) في « سننه » رقم ( ١٢٤٩ ) ، وفي إسناده ضعف .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٤٢/٤ ) .

(٤) في ( آ ) : « من طريق محمد بن سلمة » وأثبت لفظ ( ط ) وهو الصواب .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٠/٢ ) .

فيمَن شهد العقبة ، وشهد أحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخَّر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور ، وقيل : توفي سنة أربع وخمسين<sup>(١)</sup> ، والله أعلم .

وقد فرَّق عليُّ بن المدينيّ ، وخليفة بن خيَّاط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاريّ<sup>(٢)</sup> ، الذي روى عن النبيّ ﷺ أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء ، فخنث فيها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذيّ<sup>(٣)</sup> ، من طريق عبد الله العمريّ ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . ثم قال الترمذيّ : وليس إسنادُه يصحُّ ، وعبد الله العمريّ ضعيف من قبل حفظه .

\*\*\*

### قصة عمرو بن العاص مع النجاشي وإسلامه<sup>(٤)</sup>

قال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، بعد مقتل أبي رافع : وحَدَّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد<sup>(٦)</sup> مولى حبيب بن أبي أوس الثَّقَفِيّ ، عن حبيب بن أبي أوس ، حَدَّثني عمرو بن العاص ، مِن فيه ، قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإنني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا لرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نُهدي له . وكان أحبَّ ما يهدي إليه من أرضنا الأدم<sup>(٧)</sup> ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده ، إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْرِيّ ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي ، هل أهديت لي من بلادك

- (١) وقال ابن حجر العسقلاني : « ومات بالشام في خلافة معاوية ، سنة أربع وخمسين ، ووهم من قال سنة ثمانين » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ١٩٢ / ٢ ) .
- (٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ١٩٢ / ٢ ) .
- (٣) رواه أبو داود رقم ( ٣٧٢١ ) ، والترمذي رقم ( ١٨٩١ ) .
- (٤) لفظ « وإسلامه » لم يرد في ( ط ) .
- (٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧٦ / ٢ ) .
- (٦) في ( آ ) : « وحَدَّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي حبيب ، عن راشد . . . » وهو وهم من ناسخها ، والله أعلم ، وأثبت لفظ ( ط ) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، طبع دار ابن كثير .
- (٧) الأدم : الجلد .

شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيُّها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال : ثم قرَّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيُّها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينيه لأقتله ؛ فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مدَّ يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشَقَّت الأرض لدخلت فيها فرقامه . ثم قلت له : أيُّها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟ ! قال : قلت : أيُّها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ! أطعني وأتبعه ، فإنه والله لعلَى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده . قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام الميسم ، وإنَّ الرجل لنبيٍّ ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقد منَّا المدينة على النبيِّ ﷺ ، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخَّر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو ، بايع فإن الإسلام يجبُ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبُ ما كان قبلها » . قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقد حدَّثني من لا أتَّهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن الزُّبَيْرُ السَّهْمِيُّ<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

وَمُلِقَى نَعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ	أَنْشَدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حَلَفَنَا
وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمَحَلِّ	وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ
وَمَا يَتَغَى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤْتَلٍ	أَمْفِتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي
وَعُثْمَانَ جَاءَ بِالْذُّهِيمِ الْمَعْضَلِ	فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ

قلت : كان إسلامهم بعد الحُدَيْبِيَّةِ ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين ، كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله تعالى ؛ لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشي كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب في بقية سنة خمس ، والله أعلم .

\*\*\*

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٧٨ ) .

(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزُبَيْرِ » ص ( ٤٤ ) .

## فصل

في تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان<sup>(١)</sup>

ذكر البيهقي<sup>(٢)</sup> بعد وقعة الخندق من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ﴾ [المتحة : ٧] . قال : هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين ، وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، ثنا علي بن عيسى<sup>(٤)</sup> ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا يحيى بن عبد الحميد ، أنبأ ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أم حبيبة ، أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشي فمات ، وأن رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة وهي بأرض الحبشة ، وزوجها إياه النجاشي ، ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها من عنده ، وما بعث إليها رسول الله ﷺ بشيء . قال : وكان مهر أزواج النبي ﷺ أربعمئة .

قلت : الصحيح أن مهر أزواج النبي ﷺ كانت اثنتي عشرة أوقية ونشاً ، والأوقية أربعون درهماً ، والنش : النصف ، وذلك يعدل خمسمئة درهم .

ثم روى البيهقي<sup>(٥)</sup> ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً ، فخلف على زوجته أم حبيبة رسول الله ﷺ ، وزوجها منه عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

قلت : أما تنصّر عبيد الله بن جحش فقد تقدّم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة ؛ استزله الشيطان فزّين له دين النصارى ، فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله ، وكان يلقي المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم<sup>(٦)</sup> . وقد تقدّم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عروة : إن عثمان زوجها منه فغريب ؛ لأن عثمان كان قد رجع إلى مكة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رقية كما تقدّم ، والله أعلم .

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » ( ٢٥٥ / ١٢ ) بتحقيقي ، وقوله : « بنت أبي سفيان » لم يرد في ( ط ) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٤٥٩ / ٣ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٤٦٠ / ٣ ) .

(٤) سقط من ( ط ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٤٦٠ / ٣ ) وهي رواية ضعيفة لضعف ابن لهيعة .

(٦) أي : أبصرنا أمرنا ولم تبصروا أمركم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ٣٠ / ٣ ) .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عمّها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أضحمة النجاشي ملك الحبشة ، كما قال يونس ، عن محمد بن إسحاق : حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمريّ إلى النجاشي ، فزوّجه أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وساق عنه أربعمئة دينار .

وقال الزبير بن بكار<sup>(١)</sup> : حدّثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها : أبرهة . كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فاستأذنت عليّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوّجك . فقلت : بشرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكلي من يزوّجك . قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص ، فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين من فضة ، وخدمتين<sup>(٢)</sup> من فضة كانتا عليّ ، وخواتيم من فضة كانت في كلّ أصابع رجليّ ؛ سروراً بما بشرتني به ، فلما أن كان من العشيّ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشي وقال : الحمد لله ، الملك القدّوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ، أمّا بعد ، فإن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوجه أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقته أربعمئة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلّم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله ، أحمده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّ ولو كره المشركون ، أمّا بعد ، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوّجته أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ . ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال : اجلسوا ، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوّجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرّقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أمية خارجاً من عند النجاشي بعد الخندق إنما كان في قضية أُمّ حبيبة ، فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه ، عليه السلام ، بأُمّ حبيبة كان في سنة ست ، وأن تزويجه بأُمّ سلمة كان في سنة أربع .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤٦١ ) .

(٢) أي : خلدالين .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤٦٢ ) .

قلت : وكذا قال خليفة ، وأبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنِ المَثْنَى ، وابن البرقي : إن تزويج أم حبيبة كان في سنة ست . وقال بعض الناس : سنة سبع .

قال البيهقي : وذهب ابن إسحاق إلى أنه ﷺ تزوج بأم حبيبة قبل أم سلمة .

قال البيهقي : وهو أشبه .

قلت : قد تقدّم تزويجه ، عليه السلام ، بأم سلمة في أواخر سنة أربع ، وأمّا أم حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ؛ لما تقدّم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أمية عند النجاشي ، فهو في قضيتها ، والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في « الغابة »<sup>(١)</sup> عن قتادة ، أن أم حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها . وحكى عن بعضهم أنه تزوّجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتجّ هذا القائل بما رواه مسلم<sup>(٢)</sup> من طريق عكرمة بن عمار اليمامي<sup>(٣)</sup> ، عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطينهن . قال : « نعم » . قال : تؤمّرنني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : « نعم » . قال : وعندي أحسن العرب وأجملهم أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوّجكها . . . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أنكر على مسلم ؛ لأن أبا سفيان لما جاء يجدّد العقد قبل الفتح ، دخل على ابنته أم حبيبة فثنت عنه فراش النبي ﷺ ، فقال : والله ما أدري أرغبت بي عنه ، أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدي يا بنت شر .

وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمار . وهذا القول منه لا يتابع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يجدّد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه .

وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه . وهذه كلّها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوّجه ابنته الأخرى عزة ، لما رأى في ذلك من الشرف له ، واستعان بأختها أم حبيبة كما في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> ، وإنما وهم الراوي هذا بتسميته أم حبيبة ، وقد أفردنا لذلك جزءاً مفرداً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام : توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر « أسد الغابة » ( ١١٦ / ٧ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٢٥٠١ ) .

(٣) في ( ط ) : « اليماني » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٣١ / ٣ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٥١٠١ ) و ( ٥١٠٦ ) و ( ٥٣٧٢ ) ومسلم رقم ( ١٤٤٩ ) .

(٥) وهو ما جزم به ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » ( ٢٣٦ / ١ ) بتحقيقي .



وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفيت قبل معاوية بسنة ، وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

\*\*\*

### تزويجه ، عليه السلام ، بزینب بنت جحش<sup>(١)</sup>

وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب ، عمّة رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

قال قتادة ، والواقدي ، وبعض أهل المدينة : تزوّجها ، عليه السلام ، سنة خمس . زاد بعضهم : في ذي القعدة .

قال الحافظ البيهقي : تزوّجها بعد بني قريظة .

وقال خليفة بن خياط ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وابن منده : تزوّجها سنة ثلاث . والأول أشهر ، وهو الذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين ، والفقهاء ، وأهل التاريخ في سبب تزويجه إياها ، عليه السلام ، حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في « مسنده »<sup>(٢)</sup> تركنا إيراده قصداً ؛ لئلا يضعه بعض من لا يفهم على غير موضعه ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [ الأحزاب : ٣٧ - ٣٨ ] .

وقد تكلمنا على ذلك في « التفسير »<sup>(٣)</sup> بما فيه كفاية .

فالمراد بالذي أنعم الله عليه - هاهنا - زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ، أنعم الله [ عليه ] بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق ، وزوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش .

قال مقاتل بن حيان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخمّاراً ، وملحفةً ودرعاً ، وخمسين مُدّاً من طعام ، وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زوجها يشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » . قال الله : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ .

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » ( ٢٥٣ / ١٢ ) بتحقيقي .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ١٤٩ / ٣ ) .

(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٤١٩ / ٦ ) .

قال علي بن الحسين زين العابدين ، والسُّدِّيُّ : كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه ، عليه السلام . وقد تكلم كثير من السلف بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر ، تركناها قصداً .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ وذلك أنَّ زَيْداً طَلَّقَهَا ، فلما انقضت عدتها ، بعث إليها رسول الله ﷺ ، يخطبها إلى نفسها ، ثم تزوجها ، وكان الذي زَوَّجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى<sup>(١)</sup> ، كما ثبت في « صحيح البخاري »<sup>(٢)</sup> عن أنس بن مالك ، أن زَيْنَب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكن أهاليكنَّ ، وزَوَّجني الله من فوق سبع سماوات .

وفي رواية<sup>(٣)</sup> من طريق عيسى بن طهمان ، عن أنس قال : كانت زَيْنَب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : أنكحني الله من السماء .

وفيها أنزلت آية الحجاب : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَّظِيرٍ إِنَّهُ ﴾ الآية [ الأحزاب : ٥٣ ] .

وروى البيهقي<sup>(٤)</sup> من حديث حمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : جاء زيد يشكو زَيْنَب ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله ، وأمسك عليك زوجك » . قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زَوَّجكن أهاليكنَّ ، وزَوَّجني الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري ، عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدمي ، عن حمَّاد بن زيد .

ثم روى البيهقي<sup>(٥)</sup> من طريق عفَّان ، عن حمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زَيْنَب بنت جحش ، فقال النبي ﷺ : « أمسك عليك أهلك » . فنزلت : ﴿ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ . ثم قال : [ رواه ] البخاري<sup>(٦)</sup> ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلّى بن منصور ، عن حمَّاد مختصراً .

وقال ابن جرير : ثنا ابن حميد ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زَيْنَب تقول للنبي ﷺ : إِنِّي لَأَدُلُّ عَلَيْكَ بثلاث ما من نسائك امرأة تدلُّ بهنَّ ؛ أَنَّ جَدِّي وجدَّك واحد - تعني عبد المطلب ، فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أمِّها أُميمة بنت عبد المطلب - وأني أنكحنيك الله ، عزَّ وجلَّ ، من السماء ، وأن السفير جبريل ، عليه السلام .

(١) قلت : واعتبر الإمام ابن القيم ذلك من خواصها . انظر « زاد المعاد » ( ١ / ١٠٥ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٧٤٢٠ ) .

(٣) وهي عند البخاري رقم ( ٧٤٢١ ) وعند النسائي في « السنن الكبرى » ( ١١٤١١ ) باللفظ الذي ساقه المؤلف رحمه الله .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤٦٥ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٣ / ٤٦٦ ) .

(٦) وهو في « صحيحه » رقم ( ٤٧٨٧ ) .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا هاشم - يعني ابن القاسم أبا النضر - ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب ، قال النبي ﷺ لزيد : « اذهب فاذكرها عليّ » . فانطلق حتى أتاه وهي تخمّر عجينها . قال : فلما رأيته ، عظمت في صدري ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فولّيتها ظهري ، ونكصت على عقبي وقلت : يا زينب ، أبشري ، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربّي ، عز وجل . فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ ، أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ وأتبعته ، فجعل يتبع حُجْر نساءه يسلم عليهنّ ، ويقولن : يا رسول الله ﷺ ، كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم<sup>(٢)</sup> قد خرجوا ، أو أخبر . قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى السّتر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية .

وكذا رواه مسلم والنسائي<sup>(٣)</sup> من طرق ، عن سليمان بن المغيرة .

\*\*\*

## ذكر

### نزول الحجاب صبيحة عُرْسها<sup>(٤)</sup> الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمّهات المؤمنين ، وذلك وفق الرأي العُمريّ .

قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا محمد بن عبد الله الرّقاشي ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك قال : لما تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتهيا للقيام فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ، قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ١٩٥ / ٣ ) .

(٢) في ( ط ) : « والقوم » .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٤٢٨ ) والنسائي رقم ( ٣٢٥١ ) .

(٤) يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها ، وقوله : « الذي ولي الله عقد نكاحه » لم يرد في ( ط ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤٧٩١ ) .

انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأُنزل الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ الآية [ الأحزاب : ٥٣ ] .

وقد رواه البخاري في مواضع أخر ومسلم والنسائي<sup>(١)</sup> ، من طرق عن معتمر .

ثم رواه البخاري<sup>(٢)</sup> منفرداً به من حديث أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : بُني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فَأُرْسِلَتْ على الطعام داعياً ، فيجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجىء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبي الله ، ما أجد أحداً أدعوه . قال : « فارفعوا طعامكم » . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ ، فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » . قالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهللك ، بارك الله لك ؟ فتقرئ<sup>(٤)</sup> حُجَرَ نساءه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقُلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة ، فما أدري أَخْبَرْتُهُ ، أم أُخْبِر أن القوم خرجوا ؟ فخرج حتى إذا وضع رجله في أُسْكُفَّة الباب<sup>(٥)</sup> داخله<sup>(٦)</sup> وأخرى خارجة ، أرخى السُّتر بيني وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب . تفرَّد به البخاري من هذا الوجه .

ثم رواه<sup>(٧)</sup> منفرداً به أيضاً ، عن إسحاق - هو ابن منصور - عن عبد الله بن بكر السَّهمي ، عن حميد ، عن أنس ، بنحو ذلك ، وقال : رجُلان ، بدل : ثلاثة ، فالله أعلم .

قال البخاري<sup>(٨)</sup> : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن الجعد أبي عثمان ، عن أنس ، فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم<sup>(٩)</sup> : ثنا أبي ، ثنا أبو المظفر ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان الشكري ، عن أنس بن مالك ، قال : أعرس رسول الله ﷺ ببعض نساءه ، فصنعت أُمُّ سُلَيْم حَيْساً ثم

(١) هو عند البخاري رقم ( ٦٢٣٩ ) و ( ٦٢٧١ ) وعند مسلم رقم ( ١٤٢٨ ) ( ٩٢ ) وعند النسائي في « السنن الكبرى » ( ١١٤٢٠ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٧٩٢ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٧٩٣ ) .

(٤) أي : تتبع .

(٥) أي : عتبه . انظر « مختار الصحاح » ( سكف ) .

(٦) لفظ « داخله » سقط من ( ط ) .

(٧) يعني البخاري في « صحيحه » رقم ( ٤٧٩٤ ) .

(٨) في « صحيحه » رقم ( ٥١٦٣ ) تعليقا .

(٩) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » ( ٤٤٢ / ٦ ) .

وضعت في تور<sup>(١)</sup> ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أن هذا منّا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ، فجئت به فقلت : يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم إليك ، وهي تقرئك السلام وتقول : أخبره أن هذا منّا له قليل . فنظر إليه ثم قال : « ضعه » . فوضعت في ناحية البيت ، ثم قال : « اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً » فسمي رجالاً كثيراً . قال : « ومن لقيت من المسلمين » . فدعوت من قال لي ، ومن لقيت من المسلمين ، فجئت والبيت والصفحة والحجرة ملأى من الناس ، فقلت : يا أبا عثمان ، كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمئة . قال أنس : فقال لي رسول الله ﷺ : « جىء به » . فجئت به إليه ، فوضع يده عليه ودعا ، وقال : « ما شاء الله » . ثم قال : « ليتحلّق عشرة عشرة ، ويُسْمُوا ، وليأكل كل إنسان مما يليه » . فجعلوا يسمّون ويأكلون حتى أكلوا كلهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ارفعه » . قال : فجئت فأخذت التور فنظرت ، فما أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعت . قال : وتخلّف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ، وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشقوا على رسول الله ﷺ ، وكان أشدّ الناس حياءً ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً ، فقام رسول الله ﷺ ، فخرج فسلم على حجره وعلى نسائه ، فلما رأوه قد جاء ظنّوا أنهم قد ثقلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله ﷺ ، حتى أرخى السّتر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً ، وأنزل الله عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ لَهُنَّ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالدِّينِ إِنْ دَخِلْتُمُوهُنَّ فَمَا تَكُنَّ مِنَ الْفَاحِشِينَ ﴾ [ فَسَلُّوهُنَّ ] مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ بُدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ [ الأحزاب : ٥٣ - ٥٤ ] . قال أنس : فقرأهن عليّ قبل الناس ، وأنا أحدث الناس بهن عهداً .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي<sup>(٢)</sup> جميعاً ، عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم أيضاً<sup>(٣)</sup> ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الجعد أبي عثمان ، به .

وقد روى هذا الحديث البخاري والترمذي والنسائي<sup>(٤)</sup> ، من طرق ، عن بيان أبي بشر الأحمسي الكوفي ، عن أنس ، بنحوه .

(١) أي : في إناء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » ( ١ / ١٩٩ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٤٢٨ ) ( ٩٤ ) والترمذي رقم ( ٣٢١٨ ) والنسائي رقم ( ٣٣٨٧ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ١٤٢٨ ) ( ٩٥ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٥١٧٠ ) والترمذي رقم ( ٣٢١٩ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١١٤١٧ ) .

ورواه ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> من حديث أبي نضرة العبدي ، عن أنس ، بنحوه ، ولم يخرجوه .

ورواه ابن جرير<sup>(٢)</sup> ، من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس ، بنحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش ، رضي الله عنها ، من المهاجرات الأول ، وكانت كثيرة الخير والصدقة ، وكان اسمها أولاً برة فسمّاها النبي ﷺ زينب ، وكانت تُكنّى بأُمّ الحكم ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : ما رأيت امرأة قطُ خيراً في الدين من زينب ، وأتقى الله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> كما سيأتي في حديث الإفك ، عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله ﷺ عني زينب بنت جحش ، وهي التي كانت تُساميني من نساء النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلا خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج في « صحيحه »<sup>(٤)</sup> : ثنا محمود بن غيلان ، ثنا الفضل بن موسى السّيناني ، ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، [ عن عائشة بنت طلحة ] ، عن عائشة أمّ المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : « أسرعكنّ لحوقاً بي أطولكن يداً » . قال : فكنا نتناول أيّنا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق . انفرد به مسلم .

قال الواقدي وغيره من أهل السير والمغازي والتواريخ<sup>(٥)</sup> : توفيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ، ودفنت بالبقيع ، وهي أول امرأة صُنِعَ لها النعش .

\*\*\*

(١) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » ( ٤٤٣ / ٦ ) .

(٢) انظر « تفسير الطبري » ( ٣٧ / ٢٢ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٧٥٠ ) ومسلم رقم ( ٢٧٧٠ ) .

(٤) رقم ( ٢٤٥٢ ) .

(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد ( ١١٥ / ٨ ) ، و« تاريخ الطبري » ( ١١٣ / ٤ ) ، و« شذرات الذهب »

( ١٧١ / ١ ) بتحقيقي .

## سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي<sup>(١)</sup> : يقال : في المحرم منها كانت سرية محمد بن مسلمة قبّل نجد ، وأسروا فيها ثُمّامة بن أثال اليمامي .

قلت : لكن في سياق ابن إسحاق ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك ، وهو إنما هاجر بعد خيبر ، فتؤخّر إلى ما بعدها ، والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لحيان ، على الصحيح .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون . يعني في سنة خمس كما تقدّم . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهري ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع ، خبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرّة .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتوم ، والمقصود أنه ، عليه السلام ، لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصّنوا في رؤوس الجبال فمال إلى عُسفان فلقى بها جمعاً من المشركين ، وصلّى بها صلاة الخوف .

وقد تقدّم ذكر هذه الغزوة في سنة أربع ، وهنالك ذكرها البيهقي ، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق ، فإن صلاة الخوف على المشهور إنما فعلت بعد يوم الخندق .

وقد ثبت أنه صلّى بعُسفان يوم بني لحيان ، فلتكتب هاهنا ، وتحول من هناك أتباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعي رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك<sup>(٤)</sup> في غزوة بني لحيان : [ من الطويل ]

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٧٨ / ٤ ) .

(٢) انظر ( ٢٧٩ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧٩ / ٢ ) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٩٤ ) .

لَوْ أَنَّ بَنِي لَحِيان كَانُوا تَنَاطَرُوا      لَقُوا عُصْبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَضَدٍ  
لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعَهُ      أَمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجْرَةِ فِيلِقِ  
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وَبَارًا تَتَبَعْتَ      شِعَابَ حِجَارٍ غَيْرِ ذِي مَتْنَفَقِ

\*\*\*

### غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن [ بن حذيفة ] بن بدر الفزاري ، في خيل من غطفان على لقاح النبي ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك - كلٌ قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث - أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع<sup>(٣)</sup> نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلع<sup>(٤)</sup> ، ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشتد في آثار القوم ، وكان مثل السبع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يردّهم بالنبل ويقول إذا رمى : [ من مجزوء الرجز ]

خُذْهَا [ و ] أَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ      الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْغِ

فإذا وجّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال :

خُذْهَا [ و ] أَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ      الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْغِ

قال : فيقول قائلهم أُوَيْكِعُنَا<sup>(٥)</sup> هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صباح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : « الْفَزَعُ الْفَزَعُ » . فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ، فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ، ثم عبّاد بن بشر ، وسعد بن زيد ، وأسيد بن ظهير - يشكُّ فيه - وعُكاشة بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨١ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨١ - ٢٨٢ ) .

(٣) قال الفيروزبادي : وهي ثنية مشرفة على المدينة ، يطأها من يريد مكة ، وقيل : من يريد الشام . « المغانم المطابة » ص ( ٨٠ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله تعالى وأحسن إليه .

(٤) قال الفيروزبادي : سلع : جُبيل بسوق المدينة . وقال الأزهري : موضع بقرب المدينة . « المغانم المطابة » ص ( ١٨٣ ) .

(٥) أي : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .



محسن ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش عُبَيْد بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق . قال : فلمَّا اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ ، أمر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس » . وقد قال النبي ﷺ لأبي عيَّاش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : « يا أبا عيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عيَّاش معاذ بن ماعص ، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلْدَةَ ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سَلَمَةَ بن الأكوع ثامناً ، وي طرح أسيد بن ظهير ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجله . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، وكان يقال له : الأخرم . ويقال له : قُمير . وكانت [ الفرس ] التي تحته لمحمود بن مسلمة - وكان يقال للفرس : ذو اللَّمَّة . فلما انتهى إلى العدو قال لهم : قفوا معشر بني اللُّكَيْعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدياركم من المهاجرين والأنصار . قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقدر عليه حتى وقف على أَرِيَّة من بني عبد الأشهل ، أي : رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقاص بن مجرَّز المدلجي .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدَّثني بعض من لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن محرزاً كان على فرس لعُكَّاشة بن محسن يقال لها : الجَنَاح ، فقتل محرز واستلبت الجَنَاح ، فالله أعلم .

قال<sup>(٤)</sup> : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة وغشاه برده ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين - قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم - فإذا حبيبٌ مسجى بُرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة . فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة ، ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه » . قال : وأدرك عُكَّاشة بن محسن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانظمهما بالرُّمح فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللِّقَاح . قال : وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرْد ، وتلاحق به الناس ، فأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرَّحتني في مئة رجل لاستنقذت بقية السَّرح وأخذت بأعناق

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨٣ ) وقد نقل المؤلف عنها بتصرف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨٤ ) .

(٤) القائل ( ابن إسحاق ) . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨٤ - ٢٨٥ ) .

القوم . فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - : « إنهم الآن ليُغَبِّقُونَ فِي غُطْفَانٍ » . فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل النبي ﷺ ، حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلمَّا فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجَّاني الله عليها . قال : فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجَّاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله » .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : والحديث في ذلك عن أبي الزُّبَيْر المَكِّي ، عن الحسن البصري . هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكره من الإسناد والسِّيَاق .

وقد قال البخاري<sup>(٢)</sup> : رحمه الله ، بعد قصة الحُدَيْبِيَّة وقبل خير : غزوة ذي قَرْد ، وهي الغزوة التي أغاروا على لِقَاحِ النَّبِيِّ ﷺ قبل خير بثلاث ، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبَيْد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَنَ بالأولى ، وكانت لِقَاحِ النَّبِيِّ ﷺ ترعى بذِي قَرْد ، قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخذت لِقَاحِ النَّبِيِّ ﷺ . فقلت : من أخذها ؟ قال : غُطْفَان . قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه . قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضْع . وأرتجز حتى استنقذت اللِّقَاحَ منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة . قال : وجاء النبي ﷺ والناس فقلت : يا رسول الله ، قد حميت القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال : « يا ابن الأكوع ملكت فَأَسْجِجْ »<sup>(٣)</sup> . ثم رجعنا ، ويردني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم<sup>(٤)</sup> ، عن قتيبة ، به ، ورواه البخاري<sup>(٥)</sup> ، عن أبي عاصم النبيل ، عن يزيد بن أبي عُبَيْد ، عن مولاة سلمة ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا عكرمة بن عَمَّار ، حدَّثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحُدَيْبِيَّة مع رسول الله ﷺ ، فخرجت أنا ورباح غلام النبي ﷺ بظهر رسول الله ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله ، كنت أريد أن أندِّيَه مع الإبل ، فلمَّا كان بَعْلَسٍ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨٥ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤١٩٤ ) .

(٣) أي : اعف .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ١٨٠٦ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٣٠٤١ ) من طريق مكِّي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي أبو السكن .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٥٢ / ٤ ) وهو حديث صحيح . وانظر « زاد المعاد » ( ٣ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ) .

أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يا رباح ، اقعِد على هذا الفرس فألحقه بطلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغِير على سرحه . قال : وقمت على تلّ فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه . قال : ثم اتّبع القوم ، معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشجر . فإذا رجع إليّ فارس جلست له في أصل شجرة ، ثم رميت ، فلا يُقبل عليّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم ، وأنا أقول : أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرُّضْع . قال : فألحق برجل منهم فأرميه ، وهو على راحلته فيقع سهمي في الرّجل حتى انتظم كتفه ، فقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ      الْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل ، فإذا تضايقت الثّنايا علوت الجبل فرديتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز ، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلّا خلّفته وراء ظهري ، فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعت على طريق رسول الله ﷺ ، حتى إذا امتدّ الضّحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاريّ مدداً لهم ، وهم [ في ] ثنية ضيقة ، ثم علوت الجبل ، فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا [ من هذا ] البرح ، ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كلّ شيء في أيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عيينة : لولا أنّ هذا يرى أنّ وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إليه نفر منهم أربعة ، فصعدوا في الجبل ، فلمّا أسمعتهم الصوت قلت : أتعرفوني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذي كرم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : إنّ أظن . قال : فما برحتُ مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ ، يتخلّلون الشجر ، وإذا أولهم الأخرم الأسديّ ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ [ وعلى أثر أبي قتادة المقداد بن الأسود الكنديّ ، فولّى المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فأخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ، انذر القوم - يعني احذرهم - فإني لا آمن أن يقتطعوك ، فأتدّ حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أنّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحل بيني وبين الشهادة .

قال : فخلّيت عنان فرسه ، فليحق بعبد الرحمن بن عيينة ، ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن ، وطعنه عبد الرحمن فقتله ، فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فليحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة ، وقتله أبو قتادة ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ، ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئاً ، ويعرضون قبل غيبوبة الشّمس إلى شُعب فيه ماءٌ يقال له : ذو قرد . فأرادوا أن يشربوا منه ، فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه ، واشتدوا في الثّنية ثنية ذي بئر ، وغربت الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت :

## خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرُّضْع

قال : فقال : يا ثكل أم أكوع بُكرة . فقلت : نعم ، أي عدو نفسه . وكان الذي رميته بكرة ، وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجئت [ بهما ] أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنبي الله ﷺ في خمسمئة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خلَّفْتُ ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، خلَّني فانتخب من أصحابك مائة ، فأخذ على الكُفَّار بالعشوة ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : « أكنتَ فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ » قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله ﷺ ، حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : « إنهم يُقَرِّون الآن بأرض غطفان » . فجاء رجل من غطفان فقال : مرُّوا على فلان الغطفاني ، فنحر لهم جزوراً ، فلمَّا أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة ، فتركوها وخرجوا هرباً ، فلمَّا أصبحنا قال رسول الله ﷺ : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجَّالتنا سلمة » . فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة ، فلمَّا كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق ، جعل ينادي : هل من مسابق ؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً ، وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي ، فقلت له : أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله ﷺ . قال : قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، خلَّني فلاسابق الرجل . قال : « إن شئت » . قلت : اذهب إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة ، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إني عدوت حتى ألحقه ، فأصْلُكُ بين كتفيه بيدي ، قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظنُّ . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم<sup>(١)</sup> ، من طرق ، عن عكرمة بن عمَّار ، بنحوه ، وعنده : سبقتُهُ إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخاري والبيهقي هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم ، فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإنَّ خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبي ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها ، فقد أوردها ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> بروايته ، عن أبي الزبير ، عن الحسن البصريِّ مرسلاً ، وقد جاء متصلاً من وجوه آخر .

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا عفَّان ، ثنا حمَّاد بن زيد ، ثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي المُهَلَّب ،

(١) في « صحيحه » رقم ( ١٨٠٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٨٥ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٤ / ٤٣٠ ) .

عن عُمَرَان بن حُصَيْن قال : كانت العُضْبَاء لرجل من بني عَقِيل ، وكانت من سوابق الحاجِّ ، [ فأسر الرجل ]<sup>(١)</sup> ، فأخذت العُضْبَاء معه . قال : فمرَّ به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ، ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال : يا محمد ، علام تأخذوني وتأخذون سابقه الحاجِّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف » . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبي ﷺ . وقال فيما قال : وإني مسلم . فقال رسول الله ﷺ : « لو قتلها وأنت تملك أمرك ، أفلحت كلَّ الفلاح » . قال : ومضى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إني جائع فأطعمني ، وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله ﷺ : « هذه حاجتك » . ثم فدي بالرجلين ، وحبس رسول الله ﷺ العُضْبَاء لرحله . قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة ، فذهبوا [ به ] ، وكانت العُضْبَاء فيه ، قال : وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبلهم بأفئتيهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نَوْمُوا ، فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العُضْبَاء ، فأتت على ناقة ذلول مجرَّسة<sup>(٢)</sup> فركبتها ، ثم وجَّهتها قبل المدينة . قال : ونذرت إن الله أنجاها عليها لتنحرَّنها ، فلمَّا قدمت المدينة عرفت الناقة ، فقيل : ناقة رسول الله ﷺ . قال : وأخبر رسول الله ﷺ بنذرهما ، أو أته فأخبرته ، فقال : « بئس ما جزيتها » أو : « بئس ما جزتها أن أنجاها الله عليها لتنحرَّنها » . قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم<sup>(٣)</sup> ، عن أبي الرِّبِيع الزَّهرانيِّ ، عن حمَّاد بن زيد ، به .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قرد قول حسان بن ثابت ، رضي الله

عنه<sup>(٥)</sup> : [ من الكامل ]

لولا الذي لاقت ومسَّ نُسورها	بجنوب ساية أمس في التَّقوادِ
للقينكم يحملن كلَّ مدجج	حامي الحقيقة ماجد الأجدادِ
ولسرَّ أولاد اللَّقيطة أننا	سَلِم غداة فوارس المقدادِ
كنا ثمانية وكانوا جحفلاً	لجِباً فشكُّوا بالرِّمَّاح بدادِ
كنا من القوم الذين يلونهم	ويقدمون عنان كلِّ جوادِ
كلاً وربَّ الهراقصات إلى منى	يقطعن عرض مخارم الأطوادِ
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم	ونؤوب بالملكات والأولادِ
رهواً بكلِّ مقلَّص وطمرة	في كلِّ معترك عطفن ووادِ

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و(ط) واستدركته من « مسند الإمام أحمد » .

(٢) أي : مدربة في الركوب .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ١٦٤١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٨٥ / ٢ ) .

(٥) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٢٧٦ / ١ ) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

أفنى دوابرها ولاح متونها  
فكذلك إن جيانا ملبونة  
وسوفنا بيض الحدائد تجتلي  
أخذ الإله عليهم لحرامه  
كانوا بدار ناعمين فبدلوا  
أيام ذي قرد وجوه عناد

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان ، وحلف لا يكلمه أبداً ، وقال : انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الرّويّ اسم المقداد ، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد<sup>(٢)</sup> : [ من الرجز ]

إذا أردتم الأشدّ الجلداً أو ذا غناء فعليكم سعدا  
سعد بن زيد لا يهدّ هداً

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت<sup>(٣)</sup> في يوم ذي قرد : [ من المتقارب ]

أظنّ عُيينة إذ زارها  
فأكذبت ما كنت صدّفته  
فعفت المدينة إذ زرتها  
وولّوا سراعاً كشّد النّعام  
أمير علينا رسول الملي  
رسول نصّدق ما جاءه  
بأن سوف يهدم فيها قُصورا  
وقلتم سنغنم أمراً كيّرا  
وأنست للأسد فيها زئيرا  
ولم يكشفوا عن ملطّ حصيرا  
ك أجب بذاك إلينا أميرا  
ويتلو كتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك<sup>(٤)</sup> في يوم ذي قرد ، يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين : [ من الطويل ]

أيحسب أولاد اللقيطة أننا  
وإنّا أناس لا نرى القتل سبّة  
وإنّا لنقري الضيف من قمع الذرى  
نردّ كُماة المعلمين إنّا انتخوا  
بكلّ فتى حامي الحقيقة ماجد  
على الخيل لسنا مثلهم في الفوارس  
ولا ننثني عند الرّماح المداعس  
ونضرب رأس الأبلخ<sup>(٥)</sup> المتشاوس  
بضرب يسلي نخوة المتقاعس  
كريم كسرحان العضاه مخالس

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٨٧ / ٢ ) .

(٢) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ( ١٦٩ / ١ ) مع بعض الخلاف .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٧٦ - ١٧٧ ) مع بعض الخلاف اليسير .

(٥) أي : المتكبر .

يذودون عن أحسابهم وتلادهم      ببيض تقدُّ الهام تحت القوانسِ  
فسائل بني بدر إذا ما لقيتهم      بما فعل الإخوان يوم التمارسِ  
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم      ولا تكتموا أخباركم في المجالسِ  
وقولوا زللنا عن مخالِب خادر      به وحر في الصدر ما لم يمارسِ

\*\*\*

### غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُرَاعَةَ

قال البخاريُّ : وهي غزوة المُرَيْسِيع<sup>(١)</sup>

قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وذلك في سنة ست . وقال موسى بن عقبة : سنة أربع . وقال النُّعْمان بن راشد ، عن الزُّهريِّ : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع . هكذا حكاه البخاريُّ ، عن مغازي موسى بن عقبة ؛ أنها كانت في سنة أربع<sup>(٣)</sup> .

والذي حكاه البيهقي<sup>(٤)</sup> عنه وعن عروة ؛ أنها كانت في شعبان ، سنة خمس .

وقال الواقدي<sup>(٥)</sup> : كانت لليلتين من شعبان ، سنة خمس ، في سبعمئة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار<sup>(٦)</sup> ، بعدما أورد قصة ذي قَرْد : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ، ورجباً ، ثم غزا بني المُصْطَلِقِ من خُرَاعَةَ في شعبان ، سنة ست .

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : واستعمل على المدينة أبا ذرَّ الغفاريِّ ، ويقال : نُمَيْلَةُ بن عبد الله اللَّيْثِيُّ .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : فحدثني عاصم بن عمر بن قَتَادَةَ ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، كُلٌّ قد حَدَّثني بعض حديث بني المُصْطَلِقِ ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أَنَّ بني المُصْطَلِقِ يجمعون

(١) المُرَيْسِيع : اسم ماء من ناحية قديد إلى الساحل . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص ( ٣٨٠ ) . وانظر خبر هذه الغزوة في « الروض الأنف » ( ٣٩٩ / ٦ ) ، و « زاد المعاد » ( ٢٢٩ / ٣ ) ، و « عيون الأثر » ( ١٣٤ / ٢ ) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٧٩ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٨٩ / ٢ ) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ( ٤٣٠ / ٧ ) : « كذا ذكره البخاري ، وكأنه سبق قلم ، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٥ / ٤ ) .

(٥) انظر « المغازي » ( ٤٠٤ / ١ ) ولم يرد فيه ذكر لقوله : « في سبعمئة » .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٨٩ / ٢ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٨٩ / ٢ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٩٠ / ٢ ) .

له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضَرَار ، أبو جُويرية بنت الحارث التي تزوّجها رسول الله ﷺ بعد هذا ، فلمّا سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماءٍ من مياههم يقال له : المُرَيْسِع ، من ناحية قُديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونَقَلَ رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان ، سنة خمس من الهجرة ، في سبعمئة من أصحابه إلى بني المصطلق ، وكانوا حلفاء بني مدلج ، فلمّا انتهى إليهم ، دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصّدِّيق ، ويقال : إلى عَمَّار بن ياسر . وراية الأنصار إلى سعد بن عبّادة ، ثم أمر عمر بن الخطّاب ، فنادى في الناس ، أن قولوا : لا إله إلا الله ، تمنعوا بها أنفسكم ، وأموالكم . فأبوا ، فتراموا بالنبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين ، فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> من حديث عبد الله بن عون ، قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدّعاء قبل القتال ، فقال : قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارّون ، وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سبيهم ، فأصاب يومئذ - أحسبه قال : - جُويرية بنت الحارث<sup>(٣)</sup> . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان في ذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أُصيب رجل من المسلمين ، يقال له : هشام بن ضُبابة . أصابه رجل من الأنصار ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

وذكر ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> أنّ أخاه مِقَيْس بن ضُبابة قدم من مكة مظهرًا للإسلام ، فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ ؛ لأنّه قتل خطأ ، فأعطاه ديته ، ثم مكث يسيراً ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدّاً إلى مكة ، وقال في ذلك : [ من الطويل ]

شَفَى النفس أن قد بات بالقاع مُسْنَدًا يُضَرِّجُ<sup>(٥)</sup> ثوبيه دماء الأخادع

(١) انظر « المغازي » ( ١ / ٤٤٠ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٢٥٤١ ) ومسلم رقم ( ١٧٣٠ ) .

(٣) هي أم المؤمنين جُويرية بنت الحارث المصطلقية ، سبها النبي ﷺ في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق ، في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلق ، وقيل : صفوان بن مالك ، فوقع في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، فكاتبتها ، فقضى عنها النبي ﷺ كتابها ثم أعتقها وتزوجها ، وكان اسمها برة ، فغيّره النبي ﷺ وسماها جويرية ، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين ، ولها خمس وستون سنة ، رضي الله عنها وأرضاها . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » ( ٢٥٦ / ١٢ ) بتحقيقي .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٣ ) .

(٥) أي : يلطّخ . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني ( ٤١ / ٣ ) .



وكانت هموم النفس من قبل قتله      تَلُمْتُ فتحميني وطاء المضاجع  
حللت به وتُري وأدركت ثورتِي      وكنت إلى الأوثان أوّل راجع  
ثارت به فهِراً وحملت عقله      سَراة بني النَّجَّار أربابَ فارغ<sup>(١)</sup>

قلت : ولهذا كان مقيسُ هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم ، وإن وجدوا مُعلّقين بأستار الكعبة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فبينما الناس<sup>(٣)</sup> على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غِفَار ، يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسانان بن وبر الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج ، على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ؛ غلامٌ حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نأفرونا ، وكأثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش<sup>(٤)</sup> هذه ، إلّا كما قال الأول : سَمَنْ كلبك يأكلك<sup>(٥)</sup> ، أما والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ؛ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله ، لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم ؛ لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : « فكيف يا عمر ، إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ، ولكن أذن بالرحيل » . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبيّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . حَدَباً<sup>(٦)</sup> على ابن أبيّ ودفعاً عنه . فلمّا استقلّ رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحيّاه بتحية النبوة وسلّم عليه ، وقال : يا رسول الله ، والله

(١) وقال السهيلي في « الروض الأنف » نقلاً عن ابن إسحاق : « وقال مقيس بن صُبابة أيضاً : [ من البسيط ]

جللته ضربة بآت لها وشلّ من ناقع الجوف يعلوه وينصرم

فقلت والموت تغشاه أسرته لا تأمن بني بكر إذا ظلّموا »

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٠ ) .

(٣) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « فبينما الناس . . . » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « فبينما رسول الله ﷺ » .

(٤) وهو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون . انظر « شرح غريب السيرة » ( ٣ / ٤٠ ) .

(٥) وعند بعضهم : « أسمن كلبك يأكلك » وهو مثل مشهور من أمثال العرب . انظر مصادره في « معجم الأمثال

العربية » لصديقي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ( ٤ / ٥٣ ) .

(٦) أي : تحتناً . انظر « شرح غريب السيرة » ( ٣ / ٤٠ ) .

لقد رحّت في ساعة منكّرة ، ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : « أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ » قال : أيُّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : « عبد الله بن أبي » . قال : وما قال ؟ قال : « زعم أنّه إن رجع إلى المدينة ؛ أخرج الأعرض منها الأذلّ » . قال : فأنت والله يا رسول الله ، تخرجه إن شئت ، هو والله الدليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّوه ، فإنّه ليرى أنّك قد استلبته مُلكاً . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض ، فوقعوا نياماً ، وإنّما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ؛ من حديث عبد الله بن أبي ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس ، وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقِ النَّقِيعِ ، يقال له : بقعاء . فلمّا راح رسول الله ﷺ ، هبّت على الناس ريح شديدة ، فأذتهم وتخوّفوها ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تخوّفوها ؛ فإنّما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار » . فلمّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعَةَ بن زيد بن التّأبوت ، أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفناً للمنافقين ، مات ذلك اليوم<sup>(١)</sup> . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، والواقديّ .

وروى مسلم<sup>(٢)</sup> ، من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلّا أنّه لم يسمّ الذي مات من المنافقين ، قال : هبّت ريح شديدة والنبيّ ﷺ في بعض أسفاره ، فقال : « هذه لموت منافق » . فلمّا قدمنا المدينة ، إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ؛ في ابن أبي ، ومن كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « هذا الذي أوفى الله بأذنه » .

قلت : وقد تكلمنا على تفسيرها بتمامها ؛ في كتابنا « التفسير »<sup>(٥)</sup> بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ، والله الحمد والمثنة ، فمن أراد الوقوف عليه ، أو أحبّ أن يكتبه هاهنا ، فليطلبه من هناك ، وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنّه بلغني أنّك تريد قتل عبد الله بن أبيّ ، فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده مني ،

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٦ / ٤٠٢ - ٤٠٣ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ٢٧٨٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٢ ) ، و « الروض الأنف » ( ٦ / ٤٠٣ ) .

(٤) في « الروض الأنف » : « فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ » .

(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٨ / ١٥١ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٢ ) .

وَأَنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ [بِهِ غَيْرِي] فَيَقْتُلَهُ ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ يَمْشِي فِي النَّاسِ ، فَأَقْتُلَهُ ، فَأَقْتُلَ مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ ، فَأَدْخَلَ النَّارَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ، وَنَحْسَنُ صَحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا » .

وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ الْحَدِيثَ ؛ كَانَ قَوْمَهُ هُمُ الَّذِينَ يِعَاتِبُونَهُ ، وَيَأْخُذُونَهُ وَيَعْنَفُونَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ : « كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتُ لِي : اقْتُلْهُ . لَأَرْعَدْتَ لَهُ أَنْفٌ ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ » . فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ ؛ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ بَرَكَةٍ مِنْ أَمْرِي .

وَقَدْ ذَكَرَ عِكْرَمَةُ ، وَابْنُ زَيْدٍ ، وَغَيْرُهُمَا ، أَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَفَ لِأَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ ابْنِ سَلُولٍ عِنْدَ مَضِيقِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : قَفْ ، فَوَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهَا حَتَّى يَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَأْذَنَهُ فِي ذَلِكَ ، فَأْذَنَ لَهُ ، فَأَرْسَلَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(١)</sup> : وَأَصِيبُ يَوْمِئِذٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ نَاسٌ ، وَقَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ ؛ مَالِكًا وَابْنَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ<sup>(٢)</sup> : وَكَانَ شُعَارُ الْمُسْلِمِينَ : يَا مَنْصُورَ ، أَمِثْ أَمِثْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٣)</sup> : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابَ مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا ، فَقَسَمَهُمْ فِي الْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَ الْبَخَارِيُّ<sup>(٤)</sup> : ثَنَا قَتِيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ رِبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ ، عَنْ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ ، أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَرَأَيْتُ أَبَا سَعِيدَ الْخُدْرِيَّ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْعَزْلِ ، فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، فَأَصَبْنَا سَبِيًّا مِنْ سَبْيِ الْعَرَبِ ، فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا الْعُزُوبَةُ ، وَأَحْبَبْنَا الْعَزْلَ ، وَقُلْنَا : نَعْزِلُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا ، قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَ . فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : « مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ، مَا مِنْ نَسْمَةٍ كَائِنَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ » وَهَكَذَا رَوَاهُ<sup>(٥)</sup> .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٦)</sup> : وَكَانَ فَيَمَنْ أُصِيبَ يَوْمِئِذٍ مِنَ السَّبَايَا جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَارٍ ، فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٤ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١٣٨ ) .

(٥) يعني البخاري في كتاب المغازي من « صحيحه » ورواه بمواضع أخرى من « صحيحه » بألفاظ أخرى مختلفة عن ألفاظ روايته هذه .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٢٩٤ ) .

المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ، ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها<sup>(١)</sup> ، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيته . فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوعدت في السهم لثابت بن قيس بن شماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : « فهل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أفضي عنك كتابتك ، وأتزوجك ؟ » . قالت : نعم ، يا رسول الله . قال : « قد فعلت » . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> قصة الإفك بتمامها في هذه الغزوة ، وكذلك البخاري<sup>(٣)</sup> ، وغير واحد من أهل العلم ، وقد حررت طرق ذلك كله في تفسير سورة النور<sup>(٤)</sup> ، فليحق بكماله إلى هاهنا . وبالله المستعان .

وقال الواقدي<sup>(٥)</sup> : ثنا حرام ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قالت جويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال ، كأن القمر يسير من يثرب ، حتى وقع في حجري ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس ، حتى قدم رسول الله ﷺ ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا . قالت : فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني ، والله ما كلمته في قومي ، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقدي<sup>(٦)</sup> : ويقال : إن رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة<sup>(٧)</sup> ، عن بني المصطلق أن أباهم طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوجه إياها .

\*\*\*

(١) قلت : والكره هنا من باب غيرة المرأة من المرأة وخوفها منها على زوجها .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٩٧ / ٢ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤١٤١ ) و ( ٤٧٥٠ ) .

(٤) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ١٧ / ٦ ) .

(٥) انظر « المغازي » ( ٤١١ / ١ ) .

(٦) انظر « المغازي » ( ٤١٢ / ١ ) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٥١ / ٤ ) .

قصة الإفك<sup>(١)</sup>

وهذا سياق محمد بن إسحاق لحديث الإفك .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ ، عَنْ علقمة بن وقاص ، وسعيد بن المسيَّب ، وعُزْوَةَ بن الزُّبَيْر ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة . قال الزُّهْرِيُّ : كل<sup>(٣)</sup> قد حَدَّثَنِي بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حَدَّثَنِي القوم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وَحَدَّثَنِي يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، [ عن عمرة بنت عبد الرحمن ] ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلّ قد دخل في حديثها ، عن هؤلاء جميعاً ، يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكلّ كان عنها ثقة ، فكلُّهم حَدَّثَ عنها بما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها ، خرج بها معه ، فلمّا كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلُقَ<sup>(٥)</sup> ، لم يهتجهنّ اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِلَ لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحّلون لي ، ويحملونني يأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزَع ظفارٍ ، فلمّا فرغت انسلّ من عنقي ، ولا أدري ، فلمّا رجعت إلى الرّحل ذهبت ألتمسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرّحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فألتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحّلون لي البعير ، وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنّون أنّي فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنّي فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر ، وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلقّفت بجلبابي ، ثم اضطجعت في

(١) الإفك : الكذب . انظر « مختار الصحاح » ( أفك ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٩٧ / ٢ ) .

(٣) في ( ط ) : « وكل » .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٩٧ / ٢ ) .

(٥) العلق : جمع علقة ، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . قاله الخشني في « شرح غريب السيرة » ( ٤١ / ٣ ) .

(٦) في ( آ ) و ( ط ) : « لم يهجهن » وأثبت لفظ « الروض الأنف » ( ٤٣٦ / ٦ ) وانظر التعليق عليه في هذا الموضع ففي ذلك فائدة إن شاء الله .

مكاني ، وعرفت أن لو افتقدت لرجع إلي . قالت : فوالله إنني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف علي ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلمَّا رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ وأنا متلففة في ثيابي . قال : ما خلَّفكِ ، يرحمكِ الله ؟ قالت : فما كلمته . ثم قرَّب إلي البعير ، فقال : اركبي . واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلمَّا اطمأؤوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتجَّ العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، لا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلَّا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ؛ كنت إذا اشتكيت رحماني ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرّضني قال : كيف تيكمن ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرّضتني ؟ قال : « لا عليك » . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء ممَّا كان ، حتى نقهت من وجعي بعد بضعة وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً ، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ، إنّما كنا نخرج في فسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن في كلّ ليلة في حوائجهنّ ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أمّ مسطح ، ابنة أبي رهم بن المطّلب . قالت : فوالله ، إنّها لتمشي معي ، إذ عثرت في مِرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب ، واسمه عوف . قالت : فقلت : بنس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدرأ . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني [ بالذي ] كان من قول أهل الإفك . قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي . قالت : وقلت لأُمِّي : يغفر الله لك ، تحدّث الناس بما تحدّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ؟ قالت : أي بُنيّة ، خَفَضِي<sup>(١)</sup> عليك الشأن ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبّها ، لها ضرائر ، إلَّا كثرن ، وكثر الناس عليها . قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحقّ ، والله ما علمت عليهم إلَّا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ؛ والله ما علمت منه إلَّا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلَّا وهو معي » . قالت : وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح ، وحمنة بنت جحش ؛ وذلك أنّ أختها زينب بنت جحش [ كانت ] عند

(١) في (آ) : « خففي » وأثبت لفظ (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

رسول الله ﷺ ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني<sup>(١)</sup> في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارّني لأختها ، فشقيت بذلك ، فلمّا قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس ، نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا أمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك [ يرى ] رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت ، لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنّك قد عرفت أنّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد [ بن حضير ] : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرّ ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليّ . قالت : فدعا عليّ بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما عليّ فإنه قال : يا رسول الله ، إنّ النساء لكثير ، وإنّك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنّها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها . قالت : فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقي رسول الله ﷺ . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أنّي كنت أعجن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتي الشاة فتأكله . قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبوي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنّه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فأتقي الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس ، فتوبي إلى الله ؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلا أن قال لي ذلك ، فقلص<sup>(٢)</sup> دمعي ، حتى ما أحسن منه شيئاً ، وانتظرت [ أبوي ] أن يجيبا عني رسول الله ﷺ ، فلم يتكلّما . قالت : وایم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر [ شأناً ] من أن يُنزل الله في قرآناً يُقرأ به ويصلّى به ، ولكنني كنت أرجو أن يرى النبي ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني ؛ لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ، وأما قرآناً ينزل فيّ ، فوالله لنفسني كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلمّا لم أر أبوي يتكلّمان ، قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلمّا استعجما عليّ ، استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله ممّا ذكرت أبداً ، والله إنّي لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنّي منه بريئة ، لأقولنّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون ، لا تصدّقوني . قالت : ثم التمت اسم يعقوب ، فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [ يوسف : ١٨ ] . قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ [ مجلسه ] حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ،

(١) أي : تنازعني .

(٢) أي : ارتفع .

فسجّي بثوبه ، ووضعت وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت وما باليت ، قد عرفت أنّي بريئة ، وأنّ الله غير ظالمي ، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سرّي عن رسول الله ﷺ ، حتى ظننت لتخرجنّ أنفسهما ؛ فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس : قالت : ثم سرّي عن رسول الله ﷺ ، فجلس وإنّه ليتحدّر من وجهه مثل الجمان<sup>(١)</sup> في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشري يا عائشة ، قد أنزل الله ، [ عزّ وجلّ ] ، براءتك . قالت : قلت : الحمد لله<sup>(٢)</sup> ثم خرج إلى الناس فخطبهم [ وتلا عليهم ] ما أنزل الله ، عزّ وجلّ ، من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدّهم . وهذا الحديث مخرّج في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> عن الزّهري .

وهذا السياق فيه فوائد جمّة ، وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود في « سننه »<sup>(٤)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه : [ من الطويل ]

لقد ذاق حسان الذي كان أهله      وحمّنه إذ قالوا هجيراً ومسطح  
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيّهم      وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا  
وآذوا رسول الله فيها فجلّلوا      مخازي تبقى عمموها وفُضّحوا  
وصبّت عليهم محصّدات كأنّها      شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> أن حسان بن ثابت قال شعراً<sup>(٧)</sup> ، يهجو فيه صفوان بن المعطل وجماعة من قريش ممّن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاء كما تقدّم ، أوّله : [ من البسيط ]

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا      وابنُ الفريعة أمسى بيضة البلد  
قد ثكلت أمّه من كنت صاحبه      أو كان منتشبا في بُرثن الأسد  
ما لقتيلي الذي أغدو فأخذه      من دية فيه يعطاها ولا قود  
ما البحر حين تهبّ الرّيح شاميّة      فيغطّل ويرمي العبر بالزّبد  
يوماً بأغلب منّي حين تبصرني      ملغيظ أفري كفري العارض البرد

(١) قال الخشني : الجمان : حب من فضة يصنع على مثال الدّر . انظر « شرح غريب السيرة » ( ٤٢ / ٣ ) .

(٢) في ( آ ) : « الحمد لله » وأثبت لفظ ( ط ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٢٦٦١ ) و ( ٤١٤١ ) و ( ٤٧٥٠ ) ومسلم رقم ( ٢٢٧٠ ) ( ٥٦ ) .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٤٤٧٥ ) وهو حديث حسن يشهد له حديث عمرة عن عائشة الذي قبله رقم ( ٤٤٧٤ ) فإنه يقوى بها ، فهو حسن .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٠٧ / ٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٠٤ / ٢ ) .

(٧) الأبيات في « ديوان حسان بن ثابت » ( ٢٨٤ / ١ ) مع بعض الفارق الطفيف في ألفاظها .



أَمَا قَرِيشُ فَإِنِّي لَا أَسَالِمُهَا      حَتَّى يَنْبِئُوا مِنَ الْعِيَاتِ لِلرَّشَدِ  
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعَزَى بِمَعْزَلَةٍ      وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصِّمْدِ  
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ      حَقٌّ فَيُوفُوا بِحَقِّ اللَّهِ وَالْوُكُودِ

قال : فاعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف وهو يقول : [ من الطويل ]

تَلَقَّ ذُبَابَ السِّيفِ عَنِّي فَإِنَّنِّي      غَلَامٌ إِذَا هُوجِيتَ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

وذكر<sup>(١)</sup> أن ثابت بن قيس بن شماس أخذ صفوان حين ضرب حسان ، فشده وثاقاً ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيف . فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا . فأطلقه ، ثم أتوا كلهم رسول الله ﷺ ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله ﷺ : « يا حسان ، أتشوهت على قومي إذ هداهم الله » . ثم قال : « أحسن يا حسان فيما أصابك » . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوضه منها بირحاء التي تصدق بها أبو طلحة ، وجارية قبطية ، يقال لها : سيرين . جاء منها ابنه عبد الرحمن<sup>(٢)</sup>

قال : وكانت عائشة تقول : سُئِلَ [ عن ] ابن المعطل ، فوجد رجلاً حصوراً<sup>(٣)</sup> ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم قال حسان بن ثابت<sup>(٥)</sup> ، يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة : [ من الطويل ]

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ      وَتَصْبَحُ غَرْثِي مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ  
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ      كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرِ زَائِلِ  
مَهْذَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا      وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ  
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ      فَلَا رَفْعَتْ سَوَاطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي  
وَكَيْفَ وَوَدَّيَ مَا حَيَّيْتُ وَنَصَرْتِي      لَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ زَيْنَ الْمُحَافِلِ  
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ      تَقَاصِرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ  
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ      وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بِي مَاحِلِ

وقد زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق قبل البيت الأول :

- (١) يعني ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٠٥ / ٢ ) .
- (٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٣١٤ / ٢ ) ، و « شذرات الذهب » ( ٣١٤ / ٢ ) بتحقيقي .
- (٣) الحصور : وأما في حق يحيى عليه السلام أنه كان حصوراً ، يعني لا يأتي النساء ، فغلط بل هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، كأنه حصر عنها .
- (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٠٦ / ٢ ) .
- (٥) الأبيات في « ديوانه » ( ٥١٠ / ١ ) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » ( ١٤٦ / ٢ ) بتحقيقي بالاشتراك مع عدد من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلامة الدكتور شاکر الفحام ، طبع دار الفكر بدمشق .

رَأَيْتُكَ وَلِيغْفِرَ لَكَ اللَّهُ حُرَّةً      من المحصنات غير ذات غوائل  
حصان رزان ما تُزَنُّ بريئة      وتصبح غرثي من لحوم الغوافل  
وإنَّ الذي قد قيل ليس بلائط      بك الدَّهر بل قيل امرئ متماحل  
فإن كنت أهجوكم كما بلَّغوكُم      فلا رجعت سوطي إليَّ أنا ملي  
فكيف وودِّي ما حييت ونصرتي      لآل رسول الله زين المحافل  
وإنَّ لهم عزاً يرى الناس دونه      قصاراً وطال العزَّ كلَّ التَّطاول

وليتكتب هاهنا الآيات من سورة النور ، وهي من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : ١١-٢٦] . وما أوردناه هنالك من الأحاديث ، والطُّرق ، والآثار عن السَّلف والخلف<sup>(١)</sup> ، وبالله التوفيق .

\*\*\*

### غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ<sup>(٢)</sup>

وقد كانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف . وممن نصَّ على ذلك الزُّهريُّ ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وغيرهم ، وهو الذي رواه ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة أنها كانت في ذي القعدة سنة ست .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٣)</sup> : ثنا إسماعيل بن الخليل ، عن علي بن مسهر ، أخبرني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الحُدَيْبِيَّةِ في رمضان ، وكانت الحُدَيْبِيَّةِ في شَوَّال ، وهذا غريب جداً عن عروة .

وقد روى البخاريُّ ومسلم<sup>(٤)</sup> جميعاً ، عن هُذْبَةَ ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمرٍ ، كلُّهنَّ في ذي القعدة [ إلَّا العُمرة التي مع حجَّته ؛ عمرة من الحُدَيْبِيَّةِ في ذي القعدة ] وعُمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعُمرة من الجِعْرَانَةِ<sup>(٥)</sup> في ذي القعدة ، حيث قسم غنائم حنين ، وعمرة مع حجَّته . وهذا لفظ البخاري .

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ١٧ / ٦ - ٣٥ ) .

(٢) انظر خبرها في « المغازي » لابن أبي شيبه ص ( ٢٧٠ ) ، و « الروض الأنف » ( ٤٥٢ / ٦ ) ، و « زاد المعاد » ( ٢٥٥ / ٣ ) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٨٤ ) .

(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » ( ٢٨٧ / ٣ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١٤٨ ) ، ومسلم رقم ( ١٢٥٣ ) .

(٥) الجِعْرَانَةُ : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » ( ٣٣٦ / ١ ) .

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم قام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبد الله اللَّيْثِي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدْيَ ، وأحرم بالعمرة ؛ ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظماً له .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدّثني محمد بن مُسلم بن شِهَاب الزُّهْرِيّ ، عن عُروة بن الزُّبَيْر ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ ، ومَرْوَانَ بن الحَكَم ، أنَّهما حدّثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية ، يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدْيَ سبعين بدنة ، وكان الناس سبعة رجل ، وكانت كلّ بدنة عن عشرة نفر ، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول : كُنَّا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

قال الزُّهْرِيّ<sup>(٣)</sup> : وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفَانَ لقيه بِشْرٌ<sup>(٤)</sup> بن سُفْيَانَ الكَعْبِيّ فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذُ المطافيل ، قد لبسوا جلود النّمر ، وقد نزلوا بذِي طُوًى<sup>(٥)</sup> ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدّموها إلى كُرَاع الغَمِيمِ<sup>(٦)</sup> . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرّين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظنّ قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السّالفة » . ثم قال : « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله . قال : فسلك بهم طريقاً وعرّاً أجزل<sup>(٧)</sup> بين شعاب ، فلمّا خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المسلمين ، فأفضوا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٠٨ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٠٨ - ٣٠٩ ) .

(٣) انظر « الروض الأنف » ( ٤٥٣ / ٦ ) .

(٤) وقال ابن هشام في « السيرة النبوية » ( ٣٠٩ / ٢ ) : « ويقال : بُسْر » . وهو الصواب ، فقد أورده ابن عبد البر في « الاستيعاب » ، وابن الأثير في « أسد الغابة » ، وابن حجر العسقلاني في « الإصابة » في رسم ( بُسْر ) ولم يذكروا فيه خلافاً .

(٥) ذو طُوًى : موضع قرب مكة .

(٦) كراع الغميم : موضع في الحجاز بين مكة والمدينة . انظر « مراصد الاطلاع » ( ١١٥٣ / ٣ ) .

(٧) الأجزل : الكثير الحجارة .

إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله ﷺ : « قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه » . فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها للخطّة<sup>(١)</sup> التي عرضت على بني إسرائيل ، فلم يقولوها » .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : « اسلكوا ذات اليمين » بين ظهري الحمض في طريق تخرجه على ثنية المزار ، مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأته خيل قريش قترت العيش<sup>(٢)</sup> قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك في ثنية المزار<sup>(٣)</sup> بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال : « ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خطّة<sup>(٤)</sup> يسألوني فيها صلة الرحم ، إلا أعطيتهم إيّاها » . ثم قال للناس : « انزلوا » . قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قليب من تلك القليب ، فغرزته في جوفه ، فجاش بالزواء ، حتى ضرب الناس عنه بعطن<sup>(٥)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فحدثني بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب ، سائق بدن رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ . فالله أعلم أي ذلك كان . ثم استدلل ابن إسحاق للأول بأن جارية من الأنصار جاءت البئر ، وناجية في أسفله يميح ، فقالت : [ من الرجز ]

يا أيُّها المائح دَلوي دونكا    إني رأيت الناس يحمّدونكا  
يُثنون خيراً ويُمجّدونكا

فأجابها فقال :

قد علمت جاريةً يمانية    أنّي أنا المائح واسمي ناجية  
وطعنة ذات رشاش واهيه    طعنتها عند صدور العاديه

قال الزهري في حديثه : فلما أطمأن رسول الله ﷺ ، أتاه بُديل بن ورقاء ، في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة .

(١) قال الله تعالى لهم ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا ، فاستهزؤوا وقالوا حبة في شعرة .

(٢) أي : غباره .

(٣) ثنية المزار : موضع عند الحديبية من نواحي مكة . عن تعليق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » ص ( ٨٥ ) بتصرف .

(٤) أي : خصلة . والعطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣١٠ / ٢ ) .

ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت .

فاتهموهم وجبهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ؛ فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدث بذلك عنا العرب . قال الزهري : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ ؛ مسلمها ومشرکها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « هذا رجل غادر » . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة ، أو ابن زبّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « إنّ هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه » . فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك . قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أئصد عن بيت الله من جاءه معظماً له ؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه<sup>(١)</sup> : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم ؛ من التعنيف ، وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنّي ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، [ ثم ] جئتمكم ، حتى آسيتمكم بنفسي . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتمهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضّها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النّمر ، يعاهدون الله ، لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وإيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، خلف رسول الله ﷺ ، فقال : امصص بظر اللآت ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : « هذا ابن أبي قحافة » . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد . قال : فجعل يقرع يده ، إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ ، قبل ألا تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ، ما أفظك

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣١١ / ٢ ) ، و « الروض الأنف » ( ٤٥٧ / ٦ ) .

وأغلظك . قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : « هذا ابن أخيك ، المغيرة بن شعبه » . قال : أي غدر ، وهل غسلتُ سوءتَكَ إِلَّا بالأمس ؟!

قال الزهري : فكلّمه رسول الله ﷺ ، بنحو ممّا كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إِلَّا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إِلَّا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إِلَّا أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنّجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قطّ مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، فرأوا رأيكم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحّدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، يقال له : الثعلب . ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحّدثني بعض من لا أتهم ، عن عكرمة ، [عن ابن عباس] أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ؛ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا [أخذاً] ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل ، ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة ، فخرج عثمان إلى مكة ، فلقبه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعُظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا نبرح حتى نناجز القوم » . ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤ - ٣١٥) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٥ - ٣١٦) .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألا نفر . فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة ، [ قد ] ضبأ إليها ، يستتر من الناس ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من [ أمر ] عثمان باطل .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وحدثني من أثق به ، عن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد الضعيف ثابت في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله ﷺ وقالوا : أنت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عن عامه هذا ، فوالله لا يتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ ، تكلم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟! قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟! قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟! قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟! قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرضه ، فإنني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ألسنت برسول الله ؟! قال : « بلى » . قال : أولسنا بالمسلمين ؟! قال : « بلى » . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟! قال : « بلى » . قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟! قال : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيئني » . فكان عمر ، رضي الله عنه يقول : ما زلت أصوم ، وأتصدق ، وأصلي ، وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامي الذي تكلمت يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيراً . قال : ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » . قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم . قال :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣١٦/٢) ، و« الروض الأنف » (٤٦١/٦) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣١٦/٢) .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٩٩) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٦٩) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣١٦/٢) .

فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : باسمك اللهم » . فكتبها ، ثم قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . [ قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال : فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو » ] اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس ، ويكفّ بعضهم عن بعض ، [ على ] أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلal ، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد [ وعهده ] دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الركب ؛ السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها . قال : فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرئسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح ؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه ، دخل [ على ] الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبّيه ، وقال : يا محمد ، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : « صدقت » . فجعل ينتره بتلبّيه ويجزّه ، يعني ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنّنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهد الله ، وإنّا لا نغدر بهم » . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : [ اصبر ] يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية . فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ، ورجالاً من المشركين ؛ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص - وهو [ يومئذ ] مشرك - وعليّ بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلّ ، وكان يصلّي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحّر وحلق ، تواثبوا ينحرون ويحلقون .



قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني عبد الله بن أبي نجیح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقَصَّر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : « یرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقَصّرين یا رسول الله ؟ قال : « یرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقَصّرين یا رسول الله ؟ قال : « یرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقَصّرين ؟ قال : « لم يشکوا » .

وقال عبد الله بن أبي نجیح : حَدَّثني مجاهد ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية - في هداياه - جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة من فضة ؛ ليغيظ بذلك المشركين . هذا سياق محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، لهذه القصة ، وفي سياق البخاري - كما سيأتي - مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق ، كما سترها إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر ما في الأحاديث الصّحاح والحسان ما فيه شاهد ، في كلّ موطن بحسبه ، إن شاء الله تعالى ، وعليه التّكلان ، وهو المستعان .

قال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا خالد بن مخلد ، ثنا سليمان بن بلال ، ثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلّى لنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل [ بوجهه ] علينا فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . [ فقال ] : « قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ؛ فأمّا من قال : مطرنا برحمة الله ، وبرزق الله ، وبفضل الله . فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأمّا من قال : مطرنا بنجم كذا . فهو مؤمن بالكوكب كافر بي » . وهكذا رواه في غير موضع من « صحيحه » . ومسلم من طرق<sup>(٣)</sup> . وقد روى عن الزّهرّي ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبي هريرة .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ، كنامع النبي ﷺ أربع عشرة مئة ، والحديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء ، فتوضّأ ثم مضمض ودعا ، ثم صبّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخاري .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [ الفتح : ٢٧ ] : صلح الحديبية .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣١٩/٢ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤١٤٧ ) .

(٣) رواه مسلم ( ٧١ ) ( ١٢٥ ) و ( ٧٢ ) ( ١٢٦ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١٥٠ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » ( ٣٢٢/٢ ) .

قال الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلمّا كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد في الإسلام - يعقل شيئاً - إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر ، ثم خرج [ عام فتح مكة ] بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا يوسف بن عيسى ، ثنا ابن فضيل ، ثنا حصين ، عن سالم ، عن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضّأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضّأ به ولا [ ما ] نشرب إلا ما في ركوتك . قال : فوضع النبي ﷺ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضّأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : [ لو ] كنا مئة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مئة . وقد رواه البخاري أيضاً ، ومسلم<sup>(٢)</sup> من طرق ، عن حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر ، به .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا الصلت بن محمد ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قلت لسعيد بن المسيّب : بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مئة . فقال لي سعيد : حدّثني جابر : كانوا خمس عشرة مئة ، الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية . تابعه أبو داود<sup>(٤)</sup> : حدّثنا قُرة ، عن قتادة . تفرد به البخاري .

ثم قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » . وكنا ألفاً وأربعمئة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة .

وقد رواه البخاري أيضاً ، ومسلم<sup>(٦)</sup> من طرق ، عن سفيان بن عُيينة به .

(١) رواه البخاري رقم ( ٤١٥٢ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٣٥٧٦ ) ، ومسلم رقم ( ١٨٥٦ ) ( ٧٣ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤١٥٣ ) .

(٤) يعني ( الطيالسي ) صاحب « المسند » واسمه ( سُلَيْمان بن داود البصري الطيالسي ) المتوفى سنة ( ٢٠٤ ) هـ ، وكان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث ، رحمه الله . انظر « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي ( ٢٥ / ٣ ) بتحقيقي .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤١٥٤ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤٨٤٠ ) ، و« مسلم » رقم ( ١٨٥٦ ) ( ٧١ ) .

وهكذا رواه اللَّيْث بن سعد ، عن أبي الزُّبَيْر ، عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال : يا رسول الله ، ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بداراً والحديبية » . رواه مسلم<sup>(١)</sup> .

وعند مسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً من طرق [عن] ابن جُرَيْج ، أخبرني أبو الزُّبَيْر ، أنه سمع جابراً يقول : أخبرني أم مبشر<sup>(٣)</sup> أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل أحد النار ، إن شاء الله ، من أصحاب الشجرة ، الذين بايعوا تحتها » . فقالت حفصة : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة : ﴿ وَإِنْ يَنْكُرُوا إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] فقال رسول الله ﷺ : « قد قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [مريم : ٧٢] » .

قال البخاري<sup>(٤)</sup> : وقال عبيد الله بن معاذ : ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، حدثني عبد الله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمئة ، وكانت أسلم ثمن المهاجرين . تابعه محمد بن بشار ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة . هكذا رواه البخاري معلقاً ، عن عبيد الله .

وقد رواه مسلم<sup>(٥)</sup> ، عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، وعن محمد بن المثنى ، عن أبي داود ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن النضر بن شميل ، كلاهما عن شعبة ، به .

ثم قال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر بن مخزومة قالوا : خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدى ، وأشعر ، وأحرم منها . تفرّد به البخاري ، وسيأتي هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق ؛ من أن أصحاب الحديبية كانوا سبعمئة ، وهو - والله أعلم - إنما قال ذلك تفقهاً من تلقاء نفسه ؛ من حيث إن البدن كن سبعين بدنة ، وكل منها عن عشرة ، على اختياره ، فيكون المهلّون سبعمئة ، ولا يلزم أن يهدي كلهم ، ولا أن يحرم كلهم أيضاً ؛ فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم ، فيهم أبو قتادة ، ولم يُحرم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحِمَار الوحشي ، فأكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق ، فقال : « أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها ، أو أشار إليها ؟ » قالوا : لا . قال : « فكلوا ما بقي من لَحْمِهَا » .

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .

(٣) هي أم مبشر بنت البراء بن معرور الأنصارية ، وهي امرأة زيد بن حارثة ، وكانت من كبيرات الصحابيات . انظر « جامع الأصول » (٣٧٥/١٥) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٥) تعليقاً .

(٥) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) (٧٥) .

(٦) رواه البخاري رقم (٤١٥٧) و(٤١٥٨) .

وقد قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا سعيد بن الربيع ، ثنا علي بن المبارك ، عن يحيى ، عن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أباه حدثه قال : انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحُدَيْبِيَّة ، فأحرم أصحابه ولم أحرم .

وقال البخاري : ثنا محمد بن رافع ، ثنا شَبَابَةُ [ بن سَوَّار الفَزَارِيُّ ] ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها .

ثنا<sup>(٢)</sup> موسى ، ثنا أبو عوانة ، ثنا طارق ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه ، أنه كان ممن باع تحت الشجرة ، فرجعنا إليها العام المقبل ، فَعُمِّيت علينا .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> أيضاً : ثنا محمود ، ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلُّون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة ، حيث بَايَعَ النبي ﷺ بيعة الرِّضْوَان ، فأتيت سعيد بن المسيَّب فأخبرته ، فقال سعيد : حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة . قال : فلما كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم ؟ فأنتم أعلم .

ورواه البخاري ومسلم<sup>(٤)</sup> من حديث الثوري وأبي عَوَانة وشَبَابَةَ عن طارق .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا إسماعيل ، حدثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عباد بن تميم قال : لما كان يوم الحرَّة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : عَلَامَ يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ . وكان شهد معه الحُدَيْبِيَّة .

وقد رواه البخاري أيضاً ، ومسلم<sup>(٦)</sup> من طرق ، عن عمرو بن يحيى ، به .

وقال البخاري<sup>(٧)</sup> : ثنا قتيبة [ بن سعيد ] ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد قال : قلت لسلمة بن الأكوع : على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحُدَيْبِيَّة ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم<sup>(٨)</sup> من حديث يزيد بن أبي عُبيد .

(١) رواه البخاري رقم ( ١٨٢٢ ) .

(٢) القائل الإمام البخاري في « صحيحه » رقم ( ٤١٦٤ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤١٦٣ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤١٦٤ ) و ( ٤١٦٥ ) ، ومسلم رقم ( ١٨٥٩ ) ( ٧٧ ) و ( ٧٨ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤١٦٧ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٢٩٥٩ ) ، ومسلم رقم ( ١٨٦١ ) .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٤١٦٩ ) .

(٨) رواه مسلم رقم ( ١٨٦٠ ) .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> عن سلمة أنه بايع ثلاث مرّات ؛ في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٢)</sup> عن معقل بن يسار ، أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس . وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سنان ، وهو وهب بن محصن ، أخو عكاشة بن محصن ، وقيل : سنان بن أبي سنان .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا شجاع بن الوليد ، سمع النضر بن محمد ، ثنا صخر بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار ، أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبد الله ، [ ثم ذهب إلى الفرس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلّم للقتال ، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة ]<sup>(٤)</sup> . قال : فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، وهي التي يتحدّث<sup>(٥)</sup> الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمار : ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا عمر بن محمد العمرّي ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرّقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس مُحْدِقُونَ بالنبي ﷺ ، فقال : يا عبد الله ، انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ؟ فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر ، فخرج فبايع . تفرّد به البخاري<sup>(٦)</sup> من هذين الوجهين .

\*\*\*

## ذكر<sup>(٧)</sup>

### سياق البخاري لعمرة الحديبية

قال في كتاب المغازي<sup>(٨)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، سمعت الزهري حين حدّث هذا الحديث ، حفظت بعضه ، وثبّنتي معمر ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ،

(١) رواه مسلم رقم ( ١٨٠٧ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٨٥٧ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤١٨٦ ) .

(٤) ما بين القوسين سقط من ( ط ) .

(٥) في ( ط ) : « تحدث » .

(٦) في « صحيحه » رقم ( ٤١٨٧ ) تعليقا .

(٧) لفظ « ذكر » لم يرد في ( ط ) .

(٨) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤١٧٨ ) و ( ٤١٧٩ ) .

فلما أتى ذا الحليفة قلدّ الهدى وأشهره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خُزَاعَة ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغُدَيْرِ الْأَشْطَاطِ<sup>(١)</sup> أتاه عينه ، قال : إن قريشاً قد جمعوا لك جمعوا ، وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : « أشيروا أيها الناس عليّ ، أترون أن أميل إلى عيالهم ، وذراييّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدّونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب [ أحد ] فتوجّه له ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله » . هكذا رواه هاهنا ، ووقف ، ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال في كتاب الشهادات<sup>(٢)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا عبد الرزاق ، أنبأ مَعْمَرٌ ، أخبرني الزهريّ ، أخبرني عُرْوَةُ بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ ومروان بن الحكم ، يصدّق كلّ واحد منهما حديث صاحبه ، قالوا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبي ﷺ : « إن خالد بن الوليد بالغميم ، في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين » . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ . فألحّت ، فقالوا : خَلَّتِ الْقُصُوءُ ، خَلَّتِ الْقُصُوءُ . فقال رسول الله ﷺ : « ما خَلَّتِ الْقُصُوءُ ، وما ذاك لها بخُلُقٍ ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرّات الله [ إلا أعطيتهم إياها ] » . ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ، على ثمد قليل الماء يتبرّضه الناس تبرّضاً ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِيّ ، في نفر من قومه من خُزَاعَة - وكانوا عيبة نصّح رسول الله ﷺ من أهل تِهَامَة - فقال : إني تركت كعب بن لؤيّ ، وعامر بن لؤيّ ، نزلوا أعداد مياه الحديبية ، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال النبي ﷺ : « إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاؤوا ماددّتهم مدة ، ويخلّوا بيني وبين الناس ، [ فإن أظهر ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ] فعلوا ، وإلا فقد جمّوا ، وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذنّ أمر الله » . قال بديل : سأبلغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشاً ، فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، أستم

(١) غدِير الْأَشْطَاط : موضع قرب عُسْفَانَ . انظر « مراصد الاطلاع » ( ١ / ٨١ ) .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٢٧٣١ ) و ( ٢٧٣٢ ) في الشروط ، لا في الشهادات .

بالوالد؟ قالوا : بلى . قال : أولست بالولد؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتهموني؟ قالوا : لا . قال : أستم تعلمون أني استنشرت أهل عكاظ ، فلما بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا : بلى . قال : فإنّ هذا قد عرض لكم خطّة رشد اقبلوها ودعوني آته . فقالوا : آته . فأتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، رأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت [ بأحد ] من العرب اجتاحت أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى ، فإنني والله لا أرى وجوهاً ، [ وإنني لأرى ] أشواباً من الناس خليفاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر : امصص بظر اللآت ، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال : من ذا؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها ، لأجبتك . قال : وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال [ له ] : آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ، ألتست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي ﷺ : « أمّا الإسلام فأقبل ، وأمّا المال فلست منه في شيء » . ثم إن عروة [ جعل ] يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلّا وقعت في كفّ رجل منهم ، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ؛ وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخّم نخامة إلّا وقعت في كفّ رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة : دعوني آته . فقالوا : آته . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان ، وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها له » . فبعثت له ، واستقبله الناس يلّبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت . [ فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت ، فما أراى أن يصدّوا عن البيت ] . فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص . فقال : دعوني آته . قالوا : آته . فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : « هذا مكرز ، وهو رجل فاجر » . فجعل يكلم النبي ﷺ ، [ فبينما هو يكلمه ] إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : « [ لقد ] سُهِّلَ لَكُمْ [ من ] أمركم » . قال معمر : قال الزهريّ في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبي ﷺ الكاتب ، فقال النبي ﷺ : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال سهيل : أمّا الرحمن ، فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، كما كنت تكتب . فقال

المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي ﷺ : « اكتب باسمك اللهم » . ثم قال : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك [ عن ] البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني ، اكتب محمد بن عبد الله » .

[ قال الزهري ] : وذلك لقوله : « لا يسألوني خطة يعظمون فيها حُرُمات الله ، إلا أعطيتهم إياها » . فقال له النبي ﷺ : « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . قال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ، وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسُف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد ، أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ . فقال النبي ﷺ : « إنا لم نقض الكتاب بعد » . قال : فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . فقال النبي ﷺ : « فأجزه لي » . قال : ما أنا بمجيزه لك . قال : « بلى ، فافعل » . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ - وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله - قال : فقال عمر ، رضي الله عنه : فأتي رسول الله ﷺ فقلت : أأنت نبي الله حقاً ؟ قال : « بلى » . قلت : ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » . قلت : فلم [ نعطي الدّنية في ديننا إذا ؟ ] . قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصري » . قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : « بلى ، فأخبرتكم أنا نأتيه العام ؟ » [ قال ] : قلت : لا . قال : « فإنك آتية ومطوّف به » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . [ قال ] : قلت : فلم نعطي الدّنية في ديننا إذا ؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربّه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغيره ، فوالله إنه على الحق . قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ فقلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوّف به .

قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول الله ﷺ [ لأصحابه ] : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله ، أتحبّ ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله



[ تعالى ] : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَتُ مُهَجِرَتٍ [ فَأَمْتَحُونَهُنَّ ] ﴾ حتى بلغ ﴿ يَعِصِمَ الْكُوفَرِ ﴾ [ الممتحنة : ١٠ ] فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشُّرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد ، لقد جرّبت به ، [ ثم جرّبت به ] ، ثم جرّبت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ [ حين رآه ] : « لقد رأى هذا ذُعراً » . فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبيّ الله ، قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي ﷺ : « ويلُ أمّه ، مسعرَ حرب ، لو كان له أحد » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل [ إليهم ] ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ [ إليهم ] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَّنِ مَكَّةَ [ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ] ﴾ حتى بلغ ﴿ [ الْحَمِيَّةَ ] حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [ الفتح : ٢٤-٢٦ ] . وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ الله ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا السياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري ، فقد رواه عن الزهري جماعة ؛ منهم سفيان بن عيينة ، ومعمّر ، ومحمد بن إسحاق ، كلّهم عن الزهري ، عن عروة ، عن مروان ، ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاري<sup>(١)</sup> في أول كتاب الشُّروط ، عن يحيى بن بكير ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر القصة . وهذا هو الأشبه ؛ فإن مروان ، ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخاري : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا مالك بن مغول ، سمعت أبا حصين قال : قال أبو وائل : لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناہ نستخبره ، فقال : اتهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا

(١) في « صحيحه » رقم (٢٧١١) و(٢٧١٢) .

أسيافنا على عواتقنا لأمر يقطعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ، ما نسدّ منها خُصماً<sup>(١)</sup> إلا انفجر علينا خصم ، ما ندري كيف نأتي له .

وقال البخاريّ : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره ، و [ كان ] عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمك [ يا ] عمر ، نزلت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحرّكت بعيري ثم تقدّمت [ أمام ] المسلمين ، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن . فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال : « لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ [ الفتح : ١ ] .

قلت : وقد تكلمنا على سورة « الفتح » بكمالها في كتابنا « التفسير »<sup>(٢)</sup> بما فيه كفاية ، والله الحمد والمنة ، ومن أحبّ أن يكتب ذلك هاهنا<sup>(٣)</sup> فليفعل .

\*\*\*

## فصل

### في ذكر السرايا والبعوث التي كانت

#### في سنة ست من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي ، عن الواقديّ قال : في ربيع الأول منها أو الآخر ، بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن ، في أربعين رجلاً إلى [ الغمر ]<sup>(٤)</sup> فهربوا منه ، ونزل على مياههم ، وبعث في آثارهم ، وأخذ منهم مائتي بعير ، فاستاقها إلى المدينة .

وفيهما كان بعث [ أبي ] عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة ، في أربعين رجلاً أيضاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، حتى أتوها في عماية الصبح ، فهربوا منه في رؤوس الجبال ، فأسر منهم رجلاً ، فقدم به على رسول الله ﷺ فأسلم .

وبعث محمد بن مسلمة في عشرة نفر ، فكمن القوم لهم حتى ناموا ، [ فقتل ] أصحاب محمد بن مسلمة كلّهم ، وأفلت هو جريحاً .

(١) الخُصم : الجانب .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٤٥٣ / ٧ ) .

(٣) في ( ط ) : « هنا » .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من ( آ ) و ( ط ) واستدرسته من « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٨٣ / ٤ ) .

• وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالحموم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنَةَ ، يقال لها : حَلِيمَة ، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سُليم ، فأصابوا منها نَعَمًا ، وشاء وأسرأ<sup>(١)</sup> ، وكان فيهم زوج حليلة هذه ، فوهبها<sup>(٢)</sup> رسول الله ﷺ لزوجها ، وأطلقهما .

• وفيها كان بعث زيد بن حارثة أيضاً ، في جمادى الأولى إلى بني ثعلبة ، في خمسة عشر رجلاً ، فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً ، ثم رجع بعد أربع ليالٍ .

• وفيها خرج زُيدُ بن حارثة في جمادى الأولى إلى العيص .

قال : وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ، فاستجار بزَيْنَب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، وقد ذكر ابن إسحاق قصّته حين أخذت العير التي كانت معه ، وقتل أصحابه ، وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر ، فلما جاء المدينة استجار بها ، فأجارته بعد صلاة الصبح ، فأجاره لها رسول الله ﷺ ، وأمر الناس برّد ما أخذوا من عيره ، فردّوا كلّ شيء كانوا أخذوه منه ، حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلما رجع بها إلى مكة ، وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع ، أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجته<sup>(٣)</sup> بالنكاح الأول ، ولم يُحدّث نكاحاً ولا عقداً ، كما تقدّم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ستّ سنين ، ويروى سنتان . وقد بيّنا أنه لا منافاة بين الروایتين ؛ وأن إسلامه تأخّر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح ، لا كما تقدم من كلام الواقدي ، من أنه سنة ستّ ، والله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة ، أنّ دُحْيَةَ بن خليفة الكلبيّ أقبل من عند قيصر ، وقد أجازته بأموال وخِلَعٍ ، فلما كان بِحِجْمَى<sup>(٤)</sup> لقيه ناس من جذام ، فقطعوا عليه الطريق ، فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً ، رضي الله عنه .

قال الواقدي<sup>(٥)</sup> : حدّثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة قال : خرج عليّ ، رضي الله عنه ، في مائة رجل إلى أن نزل إلى حيّ من بني سعد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جَمْعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم بالليل ، وكمن بالنهار ، وأصاب عيناً لهم ، فأقرّ له أنه بعث إلى خيبر ، يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

(١) في (آ) و(ط) : « وأسروا » .

(٢) في (ط) : « فوهبه » وهو خطأ .

(٣) يعني « زينب » .

(٤) حِجْمَى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حِجْمَى في غربتهم ، وفي شرقهم شروري . انظر « مراصد الاطلاع » ( ٤٠٣ / ١ ) .

(٥) انظر « المغازي » ( ٥٦٢ / ٢ ) .

قال الواقدي ، رحمه الله تعالى : وفي سنة ست ، في شعبان منها ، كانت سرية عبد الرحمن [ بن ] عوف ، إلى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ : « إن هم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم » . فأسلم القوم ، وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم ؛ ثم اضرب بنت الأصبع الكلبيّة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا النعم ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر ، في عشرين فارساً ، فردّوهم .

فكان من أمرهم ما أخرجه البخاري ، ومسلم<sup>(١)</sup> ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رهطاً من عكل وعرينة - وفي رواية : من عكل أو عرينة - أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله [ الله ] ، إنا أناس أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف ، فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بدود وراع ، وأمرهم أن يخرجوا فيها ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرة قتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا الدود ، وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبي ﷺ في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ، وتركهم في ناحية الحرة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حضّ على الصدقة ، ونهى عن المثلة .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة ، ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفي رواية مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن معاوية بن قرّة ، عن أنس ، أن نفرأ من عرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة الموم - وهو البرسام<sup>(٣)</sup> - فقالوا : هذا الوجع قد وقع يا رسول الله ، فلو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : « نعم ، فاخرجوا فكونوا فيها » . فخرجوا فقتلوا الرّاعيين ، وذهبوا بالإبل ، وعنده شباب من الأنصار قريب من عشرين ، فأرسلهم إليهم ، وبعث معهم قائفاً يقتص أثرهم ، فأتي بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٤)</sup> من طريق أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أنس ، أنه قال : قدم رهط من عكل فأسلموا ، واجتوؤا المدينة ، فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال : « الحقوا بالإبل ، واشربوا من أبوالها وألبانها » . فذهبوا فكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، فجاء الصريخ إلى رسول الله ﷺ ، [ فأرسل في طلبهم ] فلم ترتفع الشمس حتى أتى بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكواهم

(١) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٩٢) و (٥٧٢٧) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .

(٢) في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .

(٣) ويعرف في أيامنا بداء ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٣٣) (٣٠١٨) و (٦٨٠٤) و (٦٨٠٥) .

بها ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وألقاهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا ولم يحسمهم .

وفي رواية عن أنس ، قال<sup>(١)</sup> : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .

قال أبو قلابة<sup>(٢)</sup> : فهؤلاء قتلوا ، وسرقوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله .

وقد روى البيهقي<sup>(٣)</sup> من طريق عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال : « اللهم عمّ عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مسك حمل » . قال : فعمّى الله عليهم السبيل فأدركوا ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَل أعينهم .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٤)</sup> : إنما سملهم ؛ لأنهم سَمَلُوا أَعْيُنَ الرّعاء .

\*\*\*

## فصل

فيما وقع من الحوادث في هذه السنة

أعني سنة ست من الهجرة

• فيها نزل فرض الحج<sup>(٥)</sup> ، كما قرّره الشافعي ، رحمه الله ، زمن الحُدَيْبِيَّة ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [ البقرة : ١٩٦ ] ولهذا ذهب إلى أن الحجّ على التراخي لا على الفور ؛ لأنه صَلَّى الله عليه وسلّم لم يحجّ إلّا في سنة عشر . وخالفه الثلاثة ؛ مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحجّ يجب على كلّ من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله [ تعالى ] : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ . وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا « التفسير » ، والله الحمد والمنة ، بما فيه كفاية .

• وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين ؛ تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحُدَيْبِيَّة

(١) يعني البخاري رقم ( ٥٦٨٥ ) .

(٢) وذلك عقب نص الحديث رقم ( ٢٣٣ ) المتعلق بقصتهم من « صحيح البخاري » .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٨٨ / ٤ ) .

(٤) رقم ( ١٦٧١ ) ( ١٤ ) .

(٥) والصحيح في السنة التاسعة أو العاشرة ، وأما الآية الكريمة : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن كانت قد نزلت سنة ست عام الحُدَيْبِيَّة ، فليس فيها فرضية الحج ، وإنما فيها الأمر بإتمامه ، وإتمام العُمْرة بعد الشروع فيها ، وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء . وانظر « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية ( ١٠١ / ٢ ) بتحقيق والذي وأستاذي المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وزميله وأستاذي المحدث الشيخ شعيب الأرناؤوط - نفع الله بهما - طبع مؤسسة الرسالة .

على أنه : لا يأتيك منا أحد ، وإن كان على دينك ، إلا رددته علينا . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية [ الممتحنة : ١٠ ] .

• وفي هذه السنة كانت غزوة المُرَيْسِعِ<sup>(١)</sup> ، التي كانت فيها قضية الإفك ، ونزول براءة أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، كما تقدّم .

• وفيها كانت غُمرَة الحُدَيْبِيَّة ، وما كان من صدّ المشركين لرسول الله ﷺ ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب عشر سنين ، فأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال ، وقد تقدّم كلّ ذلك مبسوطاً في أماكنه ، والله الحمد والمِنَّة ، وولي الحجّ في هذه السنة المشركون .

• قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : وفيها في ذي الحجة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفرٍ مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة ، إلى المُقوقس صاحب الإسكندرية ، وشُجاع بن وهب ، من بني أسد بن خزيمة ، شهد بدرأ ، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، يعني ملك عرب النصارى [ بالشام ] ، ودخية بن خليفة الكلبي ، إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي ، وعمرو بن أمية الضمري ، إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة ، وهو أضمحة بن أبجر<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) وتسمى أيضاً ( غزوة بني المصطلق ) . انظر « شذرات الذهب » ( ١٢٣ / ١ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٤٤ / ٢ ) نقلاً عن الواقدي .

(٣) انظر تفاصيل ذلك والتعليق عليه في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .

## سنة سبع من الهجرة النبوية غزوة خيبر في أولها

قال شعبة ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله : ﴿ وَأَثْبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] . قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> : لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ مَكَّةَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرِينَ يَوْمًا<sup>(٢)</sup> ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ ، وَهِيَ الَّتِي وَعَدَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا .  
وحكى موسى ، عن الزهري ، أَنَّ افْتِتَاحَ خَيْبَرَ فِي سَنَةِ سِتٍّ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ سَنَةِ سَبْعٍ كَمَا قَدَّمْنَا .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ ، حِينَ رَجَعَ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، ذَا الْحِجَّةِ وَبَعْضَ الْمُحَرَّمِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ إِلَى خَيْبَرَ .

وقال يونس بن بكير<sup>(٤)</sup> ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُزُورَةَ ، عَنْ مَرْوَانَ وَالْمِسُورِ ، قَالَا : انصرفت رسول الله ﷺ عام الحُدَيْبِيَّةِ ، فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجة ، فأقام بها حتى سار إلى خيبر [ في المحرم ] ، فنزل بالرجيع ؛ وإد بين خيبر وغطفان ، فتخوف أن تُمدَّهم غطفان ، فبات حتى أصبح ، فغدا إليهم .

قال البيهقي : وبمعناه رواه الواقدي عن شيوخه ، في خروجه في أول سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ : كَانَ افْتِتَاحُ خَيْبَرَ فِي عَقَبِ الْمُحَرَّمِ ، وَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آخِرِ صَفَرٍ .

قال ابن هشام<sup>(٥)</sup> : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ نُمَيْلَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيَّ .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٩٤ / ٤ - ١٩٥ ) .

(٢) في « دلائل النبوة » : « ليلة » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٢٨ / ٢ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٩٧ / ٤ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٢٨ / ٢ ) .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا عَفَّان ، ثنا وهيب ، ثنا حُثَيْم - يعني ابن عِرَاق - عن أبيه أَنَّ أبا هُرَيْرَةَ قدم المدينة في رهط من قومه والنبي ﷺ بخير ، وقد استخلف سِبَاعُ بن عُرْفُطَةَ - يعني الغَطَفَانِي - على المدينة . قال : فانتَهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بـ ﴿ كَهَيْعَتِ ﴾ [ مريم : ١ ] وفي الثانية : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [ المطففين : ١ ] فقلت في نفسي : ويل لفلان ، إذا اکتال اکتال بالوافي ، وإذا كال كال بالناقص . قال : فلما صَلَّى زَوَدَنَا شيئاً حتى أتينا خيبر ، وقد افتتح النَّبِيُّ ﷺ خيبر . قال : فكلّم المسلمين ، فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن حُثَيْم بن عِرَاق ، عن أبيه ، عن نفر من بني غِفَّار قالوا : إِنَّ أبا هُرَيْرَةَ قدم المدينة . . . فذكره .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان رسول الله ﷺ ، حين خرج من المدينة إلى خيبر ، سلك على عصر ، فبني له فيها مسجد ، ثم على الصَّهْبَاء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بوايٍ يقال له : الرَّجِيع . فنزل بينهم وبين غطفان ؛ [ ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ ، فبلغني أَنَّ غطفان ] لما سمعوا بذلك جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلّةً ، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حسّاً ، ظنّوا أَنَّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم وأهلهم ، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَيْرِ أَنَّ سويد بن النّعمان أخبره أَنَّهُ خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، حتى إذا كانوا بالصَّهْبَاء ، وهي من أدنى خيبر ، صَلَّى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤْت إلا بالسّويق ، فأمر به فترّي ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ، ثم صلى ولم يتوضّأ .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عُبَيْد ، عن سَلَمَةَ بن الأكْوَاع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ، ألا تُسمعنا من هُنَيْهَاتِكَ ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، يقول : [ من الرجز ]

لَاهُمْ<sup>(٦)</sup> لولا [ أَنْتَ ] ما اهْتَدَيْنَا      ولا تَصَدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا  
فاغفر فِدَاءَ لَكَ ما اتَّقِينَا      وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لاقِينَا

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٤٥ / ٢ ) ، وهو حديث صحيح .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ١٩٨ / ٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٠ / ٢ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤١٩٥ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤١٩٦ ) .

(٦) عند البخاري : « اللهم » وهو المشهور ، وهو كذلك في « زاد المعاد » ( ٢٨٢ / ٣ ) .



وَأَلْقَيْنَ<sup>(١)</sup> سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صَبَحْنَا أُبَيِّنَا  
وبالصَّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ : « من هذا السَّائِقُ ؟ » قالوا : عامر بن الأكوع . قال : « يرحمه الله » . فقال رجل من القوم : وجبت يا نبي الله ، لولا أمتعتنا به . فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدة ، ثم إنَّ الله فتحها عليهم ، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم ، أوقدوا نيراناً كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذه النيران ؟ على أي شيء تُوقدون ؟ » قالوا : على لحم . قال : « على أي لحم ؟ » قالوا : لحم الحمر الإنسية . قال النبي ﷺ : « أهرقوها واكسروها » . فقال رجل : يا رسول الله ، أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : « أو ذاك » . فلما تصاف الناس كان سيف عامر قصيراً ، فتناول به ساق يهودي ليضربه ، فیرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركة عامر فمات منه ، فلما قفلوا قال سلمة : رأني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي ، قال : « مالك ؟ » قلت : فذاك أبي وأمي ، زعموا أنَّ عامراً حبط عمله . قال النبي ﷺ : « كذب من قاله ، إنَّ له لأجرين » - وجمع بين إصبعيه - « إنَّه لجاهد مُجَاهِدٌ ، قلَّ عربيّ مشى بها مثله » .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث حاتم بن إسماعيل ، وغيره ، عن يزيد بن أبي عُبَيْد ، عن سلمة ، به نحوه . ويروى : « نشأ بها مثله » .

قال السَّهْلِيُّ<sup>(٣)</sup> : ويروى : « قلَّ عربيّ مشابهاً مثله » . ويكون منصوباً على الحالِية من نكرة ، وهو سائغ ؛ إذا دلَّت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث : فصلَّى وراءه رجال قياماً .

وقد روى ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيُّ ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي أنَّ أباه حدَّثه أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هَنَاتِكَ » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ فقال : [ من الرجز ]

والله لولا الله مَا اهْتَدَيْنَا      وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا      وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أُبَيِّنَا  
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا      وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

(١) في « زاد المعاد » ( ٢٨٢ / ٣ ) : « وأنزلن » .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ١٨٠٢ ) ( ١٢٣ ) و ( ١٨٠٢ ) الذي بعد ( ١٩٣٩ ) .

(٣) انظر « الروض الأنف » ( ٥٧٤ / ٦ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٢٨ / ٢ - ٣٢٩ ) .

فقال رسول الله ﷺ : « يَرْحَمُكَ رَبُّكَ » . فقال عمر بن الخطاب : وجبت يا رسول الله ، لو أمتعتنا به . فقتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاري .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني من لا أَتَهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لَمَّا أَشْرَفَ على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : « قفوا » . ثم قال : « اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله » . وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن جدّه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها ، قال رسول الله ﷺ للناس : « قفوا » . فوقف الناس ، فقال : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، فإننا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شر هذه القرية ، وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحَدَّثني من لا أَتَهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغَرِّ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ حتى [ إذا ] أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، وركبت خلف أبي طلحة ، وإنّ قدمي لتمسّ قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عمّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثنا هارون ، عن حميد ، عن أنس ، بمثله .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أنّ رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً ، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يَقْرَبْهُمْ حتى يصبح ، فلمّا أصبح خرجت اليهود

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٢٩) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/٢٠٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٢٩) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » (٢/٣٣٠) .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٧) .

بمساحيهم ومكاثلهم ، فلمّا رأوه قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « خربت خيبر ، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . تفرد به دون مسلم .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حدّثنا صدقة بن الفضل ، حدّثنا ابن عيينة ، حدّثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال : صَبَحْنَا خَيْبَرَ بِكَرَّةٍ ، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاحِيِّ ، فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . قال : فأصبنا من لحوم الحمر ، فنادى منادي النبي ﷺ : إنّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . تفرد به البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَرٌ ، عن قتادة ، عن أنس قال : لما أتى النبي ﷺ خَيْبَرَ ، فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم و [ معهم ] مساحيهم ، فلمّا رأوه ومعه الجيش ، نكصوا فرجعوا إلى حِصْنِهِمْ ، فقال النبي ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . تفرد به أحمد ، وهو على شرط « الصحيحين » .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : [ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الصُّبْحَ قَرِيباً مِنْ خَيْبَرَ بَغْلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : « الله أكبر خربت خيبر ، إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . فخرجوا يسعون في السكك ، فقتل النبي ﷺ المقاتلة ، وسبى الذرية ، وكان في السبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي ﷺ ، فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟ فحرك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرد به دون مسلم .

وقد أورد البخاري ومسلم<sup>(٤)</sup> النهي عن لحوم الحمر الأهلية من طرق تُذكر في كتاب « الأحكام » .

وقد قال الحافظ البيهقي<sup>(٥)</sup> : أنبأ أبو طاهر الفقيه ، أنبأ حاجب بن أحمد الطوسي ، ثنا محمد بن حماد الأبيوردي ، ثنا محمد بن الفضيل ، عن مسلم الأعور الملائتي ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويتبع الجنائز ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف ، وتحتة إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذي ، عن عليّ بن حجر ، عن عليّ بن مسهر ، وابن ماجه ، عن

(١) في « صحيحه » رقم (٤١٩٨) .

(٢) في « المسند » ( ١٦٤ / ٣ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٠٠ ) .

(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٣١٥٥ ) و ( ٤٢١٥ ) و ( ٤٢١٦ ) و مسلم رقم ( ١٩٣٧ ) و ( ١٤٠٧ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٢٠٤ / ٤ ) .

محمد بن الصَّبَّاح ، عن سفيان ، وعن عمرو بن رافع ، عن جرير ، كلهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان الملائي الأعور الكوفي ، عن أنس ، به<sup>(١)</sup> . وقال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو يضعف .

قلت : والذي ثبت في « الصحيح » عند البخاري<sup>(٢)</sup> عن أنس ، أن رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر ، حتى انحسر الإزار عن فخذه . فالظاهر أنه كان يومئذ على فرس ، لا على حمار . ولعل هذا الحديث - إن كان صحيحاً - محمول على أنه ركب في بعض الأيام وهو محاصرها ، والله أعلم .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا محمد بن سعيد الخزاعي ، ثنا زياد بن الربيع ، عن أبي عمران الجوني قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة ، فرأى طيالة<sup>(٤)</sup> ، فقال : كأنهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان علي بن أبي طالب تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر ، وكان رمداً فقال : أنا أتخلف عن النبي ﷺ ؟ فليحق به ، فلما بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : « لأعطين الراية غداً - أو : ليأخذن الراية غداً - رجل يحب الله ورسوله ، يفتح عليه » . فنحن نرجوها . فقيل : هذا علي . فأعطاه ، ففتح عليه .

ورواه البخاري أيضاً ومسلم<sup>(٦)</sup> ، عن قتيبة ، عن حاتم ، به .

ثم قال البخاري<sup>(٧)</sup> : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ؛ أتهم يُعطاه ؟ فلما أصبح الناس غدوا على النبي ﷺ ، كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله ، يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه ، فأتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعاه ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم » .

(١) رواه الترمذي رقم ( ١٠١٧ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٢٩٦ ) و ( ٤١٧٨ ) ، كما بيته الترمذي .

(٢) رقم ( ٣٧١ ) وانظر « صحيح مسلم » رقم ( ١٣٦٥ ) ( ٨٤ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٠٨ ) .

(٤) الطيالة : جمع طيلسان ، من لباس العجم ، وهو فارسي معرب . انظر « المصباح المنير » ( طلس ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٠٩ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٢٩٧٥ ) و ( ٣٧٠٢ ) ومسلم رقم ( ٢٤٠٧ ) .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٤٢١٠ ) .

وقد رواه مسلم والنسائي جميعاً ، عن قتيبة ، به<sup>(١)</sup>

وفي « صحيح مسلم » والبيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه » . قال عمر : فما أحببت الإمارة قط إلا يومئذ . فدعا علياً فبعثه ، ثم قال : « اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ، ولا تلتفت » . قال علي : على ما أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله » لفظ البيهقي .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا مصعب بن المقدم ، وحجين بن المثنى قالا : ثنا إسرائيل ، ثنا عبد الله بن عصمة العجلي ، سمعت أبا سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، يقول : إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها ، ثم قال : « من يأخذها بحقها ؟ » فجاء فلان فقال : أنا . قال : « أمط » . ثم جاء رجل ، فقال : « أمط » . ثم قال النبي ﷺ : « والذي كرم وجهه محمد ، لأعطينها رجلاً لا يفر ، هاك يا علي » . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك ، وجاء بعجوتهما ، وقديدهما . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة . وعبد الله بن عصمة - ويقال : ابن عَصَم - هذا يكنى بأبي علوان العجلي ، وأصله من اليمامة ، سكن الكوفة ، وقد وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : شيخ .

وذكره ابن حبان في « الثقات »<sup>(٤)</sup> وقال : يخطيء كثيراً .

وذكره في « الضعفاء » وقال<sup>(٥)</sup> : يُحَدَّث عن الأثبات ممّا لا يشبه حديث الثقات ، حتى يسبق إلى القلب أنها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير<sup>(٦)</sup> ، عن محمد بن إسحاق : حدثني بُريدة بن سُفْيَان بن فَرْوَةَ الأسلمي ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع [ رضي الله عنه ] قال : بعث النبي ﷺ أبا بكر ، رضي الله عنه ، إلى بعض حُصُون خيبر ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، وقد جُهد ، ثم بعث عمر ، رضي الله عنه ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، فقال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار » . قال سلمة : فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو يومئذ أرمَد ، فتفل في عينيه ، ثم قال : « خذ الراية وامض بها ، حتى يفتح الله »

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٠٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٤٩) و(٨٥٨٧) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٠٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢٠٦/٤) .

(٣) روى أحمد في « المسند » (١٦/٣) ، وإسناده ضعيف بسبب عبد الله بن عصمة العجلي . وانظر كلام المصنف عليه .

(٤) انظر « كتاب الثقات » (٥٧/٥) .

(٥) في « كتاب المجروحين » (٥/٢) .

(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٢٠٩/٤ - ٢١٠) .

عليك . فخرج بها والله يأنح<sup>(١)</sup> ، يهرول هرولة ، وإنّا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال اليهودي : عليّتم وما أنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقي<sup>(٢)</sup> : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصم ، أنبأ العطاردي ، عن يونس بن بكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بريدة ، أخبرني أبي قال : لما كان يوم خيبر ، أخذ اللواء أبو بكر ، فرجع ولم يفتح له ، وقتل محمود بن مسلمة ، فرجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « لأدفعنّ لوائي غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح له » فبتنا طيبة نفوسنا أنّ الفتح غداً ، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ، ثم دعا باللواء وقام قائماً ، فما منّا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلّا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تناولت أنا لها ، ورفعت رأسي ؛ لمنزلة كانت لي منه ، فدعا علي بن أبي طالب ، وهو يشتكي عينيه . قال : فمسحها ، ثم دفع إليه اللواء ففتح له . فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدّثني أبي أنّه كان صاحب مرحب . قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أول حصون خيبر فتحاً حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رحي منه فقتلته .

ثم روى البيهقي<sup>(٣)</sup> عن يونس بن بكير ، عن المسيّب بن مسلمة الأزدي ، ثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإنّ أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ، ثم رجع ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها عنوة » . وليس ثمّ عليّ ، فتناولت لها قريش ، ورجا كلّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح ، وجاء عليّ [ بن أبي طالب ] على بعير له حتى أناخ قريباً ، وهو أرمد قد عصب عينه بشقّة برد قطريّ ، فقال رسول الله ﷺ : « مال لك ؟ » قال : رمدت بعدك . قال : « ادن مني » . فتفل في عينه ، فما وجّعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها ، وعليه جبة أرجوان حمراء ، قد أخرج حملها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانيّ ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول : [ من الرجز ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي مَرْحَبُ      شَاكٍ سِلَاحِي بَطْلٌ مُجَرَّبُ  
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ      وَأُخْجِمَتْ عَنْ صَوْلَةِ الْمُغَلَّبِ<sup>(٤)</sup>

(١) أي : حملها مثقلاً بها .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٢١٠ / ٤ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٢١٠ / ٤ ) .

(٤) في البيت إقواء .

فقال عليّ ، رضي الله عنه : [ من الرجز ]

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْتُ غَابَاتِ شَدِيدِ الْقَسُورِهِ  
أَكِيلُكُمْ بِالصَّاعِ كِيلِ السَّنْدَرَةِ

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره عليّ بضربة ، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ، ووقع في الأضراس ، وأخذ المدينة<sup>(١)</sup> .

وقد روى الحافظ البزار<sup>(٢)</sup> ، عن عباد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قصة بعث أبي بكر ، ثم عمر يوم خيبر ، ثم بعث عليّ ، فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة ، وفي إسناده من هو متهم بالتشيع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقي<sup>(٣)</sup> واللفظ له ، من طريق عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً ، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً ، حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر ، فجعل يقول : [ من الرجز ]

وَاللّٰهُ لَوْ لَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا  
وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا

قال : فقال رسول الله ﷺ : « من هذا القائل ؟ » فقالوا : عامر . فقال : « غفر لك ربك » . قال : وما خصّ رسول الله ﷺ قطّ أحداً [ به ] إلا استشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متّعنا بعامر . قال : فقد منا خيبر ، فخرج مرحب وهو يخطر بسيفه ويقول<sup>(٤)</sup> : [ من الرجز ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مَجْرَبُ  
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ

قال : فبرز له عامر ، رضي الله عنه ، وهو يقول : [ من الرجز ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَتَى عَامِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، فذهب يسقل له ، فرجع على نفسه ،

(١) انظر « زاد المعاد » ( ٢٨٥ / ٣ ) .

(٢) انظر « كشف الأستار » ( ٢٥٤٥ ) وفيه حكيم بن جبير ، وهو ضعيف

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٨٠٧ ) والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٠٧ / ٢ ) .

(٤) انظر « زاد المعاد » ( ٢٨٣ / ٣ ) .

فقطع أكحله وكانت فيها نفسه . قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطل عمل عامر ؛ قتل نفسه . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : « ما لك ؟ » فقلت : قالوا : إن عامراً بطل عمله . فقال : « من قال ذلك ؟ » فقلت : نفر من أصحابك . فقال : « كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين » . قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ [ رضي الله عنه ] يدعووه وهو أرمد ، وقال : « لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله » . قال : فجئت به أقوده . قال : فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ ، فأعطاه الراية ، فبرز مرحب وهو يقول : [ من الرجز ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ  
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قال : فبرز له عليّ وهو يقول : [ من الرجز ]

أنا الذي سَمَّني أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلِثَ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ  
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ<sup>(١)</sup>

قال : فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله ، وكان الفتح .

هكذا وقع في هذا السياق أنّ عليّاً هو الذي قتل مرحباً اليهوديّ ، لعنه الله .

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدّثني ابن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن جدّه ، [ عن ] عليّ قال : لما قتلْتُ مرحباً جئتُ برأسه إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى موسى بن عقبة<sup>(٣)</sup> ، عن الزهريّ أنّ الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدّثني عبد الله بن سهل ، أحد بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله

قال : خرج مرحب اليهوديّ من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول : [ من الرجز ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ  
أَطْعُنْ أَحْيَاناً وَحِيناً أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَحَرَّبُ  
إِنَّ حِمَايَ لِلْحِمَى لَا يُقَرَّبُ

قال : فأجابه كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ<sup>(٥)</sup> : [ من الرجز ]

(١) السَّنْدَرَةُ : ضرب من الكيل .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ١١١ / ١ ) وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢١٤ / ٤ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢١٥ / ٤ ) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٥٤ ) مع بعض الخلاف في ألفاظها .



قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي كَعْبُ      مُفَرِّجُ الْغَمِّ جَرِيءُ صُلْبُ  
إِذْ شُبَّتِ الْحَرْبُ تَلْتَهَا الْحَرْبُ      مَعِي حُسَامٌ كَالْعَقِيقِ عَضْبُ  
يَطَأُكُمْو حَتَّى يَذَلَّ الصَّعْبُ      نَعْطِي الْجِزَاءَ أَوْ يَفِيءُ النَّهْبُ<sup>(١)</sup>  
بَكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَتْبُ

قال : وجعل مرحب يرتجز ، ويقول : هل من مبارز ؟ [ فقال رسول الله ﷺ ] : « من لهذا ؟ » فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله [ الله ] ، أنا والله الموتور الثائر ، قتلوا أخي بالأمس . فقال : « قم إليه ، اللهم أعنه عليه » . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة عُمرية<sup>(٢)</sup> ، من شجر العُشْرِ<sup>(٣)</sup> ، فجعل كل واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع [ صاحبه ] بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فنن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال : [ من الرجز ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي مَاضٍ      حُلُوٌّ إِذَا شُئْتُ وَسَمٌّ قَاضٍ

وهكذا رواه الواقدي<sup>(٦)</sup> ، عن جابر وغيره من السلف ، أن [ محمد بن مسلمة ] هو الذي قتل مرحباً ، وذكر الواقدي أن محمداً قطع رجلي مرحب ، فقال له : أجهز عليّ . فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به عليّ وقطع رأسه ، فاختمهما في سلبه إلى رسول الله ﷺ ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه : [ من مجزوء الرجز ]

هَذَا سَيْفٌ مَرْحَبُ      مَنْ يَذُقْهُ يَعْطَبُ

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> أن أخا مَرْحَبَ ، وهو ياسر ، خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يُقْتَلُ ابْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فقال :

- (١) هذه الشطرة لم ترد في ( ط ) .
- (٢) في ( آ ) : « عمورية » والعمرية : القديمة .
- (٣) شجر العُشْرِ : شجر له صمغ .
- (٤) في مسنده ( ٣ / ٣٨٥ ) ، وإسناده حسن .
- (٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢١٥ ) .
- (٦) انظر « المغازي » ( ٢ / ٦٥٦ ) .
- (٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٤ ) .

« بل ابنك يقتله إن شاء الله » . فالتقيا فقتله الزبير . [ قال ] : فكان الزبير - إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً - يقول : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ [ برايته ] ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل منهم من يهود ، فطرح ثُرسه من يده ، فتناول عليّ باب الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي<sup>(١)</sup> ، والحاكم من طريق مُطَّلِب بن زياد ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن عليّاً حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها ، وأنه جَرَب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلاً . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة ، عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا مكيّ بن إبراهيم ، ثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة . فأُتيت النبي ﷺ فنفت فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيت حتى الساعة .

ثم قال البخاري<sup>(٣)</sup> : حدّثنا عبد الله بن مسلمة ، حدّثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل قال : التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتلوا ، فمال كلّ قوم إلى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا أتبعها فضربها [ بسيفه ] ، ف قيل : يا رسول الله ، ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان . قال : « إنه من أهل النار » . فقالوا : أيّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لأتبعنه ، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه . حتى جرح فاستعجل الموت ، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : « وما ذاك ؟ » فأخبره ، فقال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل الجنة » .

رواه أيضاً<sup>(٤)</sup> عن قتيبة ، عن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن سهل ، فذكر مثله أو نحوه .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٢١٢ / ٤ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٢٠٣ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٠٧ ) .

(٤) يعني البخاري في « صحيحه » رقم ( ٢٨٩٨ ) و ( ٤٢٠٢ ) .

وقال [ البخاري ]<sup>(١)</sup> : ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر ، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال ، حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله ، صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : « قم يا فلان ، فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر » .

وقد روى موسى بن عقبة<sup>(٢)</sup> قصة العبد الأسود ؛ الذي رزقه الله الإيمان والشهادة في ساعة واحدة ، وكذلك رواها ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : وجاء عبد حبشي أسود ، من أهل خيبر ، كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي . فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ ، فأقبل بغنمه حتى عمّد لرسول الله ﷺ ، فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الإسلام ؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن لا تعبد إلا الله » . قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن شهدت بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله ﷺ : « الجنة إن مت على ذلك » . فأسلم العبد فقال : يا نبي الله ، إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله ﷺ : « أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصباء ، فإن الله سيؤدّي عنك أمانتك » . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم . فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس ، فذكر الحديث في إعطائه الراية علياً ، ودنوه من حصن اليهود وقتله مرحباً ، وقتل مع عليّ ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم ، فأدخل في الفسطاط ، فزعموا أن رسول الله ﷺ أطلع في الفسطاط ، ثم أطلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام من نفسه حقاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين » .

وقد روى الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، عن شرحبيل ابن سعد ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فخرجت سرية ، فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها ، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود ، وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة . ثم قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أنبأ محمد بن محمد بن مخيمش الفقيه<sup>(٥)</sup> ، أنبأ أبو بكر القطان ، أنبأ أبو الأزهر ،

- (١) رقم ( ٤٢٠٣ ) .
- (٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢١٩ ) .
- (٣) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢٢١ ) .
- (٤) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢٢١ ) .
- (٥) انظر « شذرات الذهب » ( ٥ / ٦٠ ) .

أنبأ مؤمل بن إسماعيل ، أنبأ حمّاد ، أنبأ ثابت ، عن أنس ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني رجل أسود اللون ، قبيح الوجه ، متنن الريح ، لا مال لي ، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل ، أدخل الجنة ؟ قال : « نعم » . فتقدّم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول ، فقال : « لقد حسن الله وجهك ، وطيب ريحك ، وكثر مالك » . و [ قال ] : « لقد رأيت زوجتي من الحور العين يتنازعان جبّته عنه ؛ يدخلان فيما بين جلده وجبّته » .

ثم روى البيهقي<sup>(١)</sup> ، من طريق ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد ، عن [ ابن ] أبي عمّار ، عن شدّاد بن الهاد ، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فأمن به واتبعه ، فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ ، فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله ﷺ . فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكنني اتبعتك على أن أرمى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إن تصدق الله يصدقك » . ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأُتي به رسول الله ﷺ يحمل ، وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : « هو هو ؟ » قالوا : نعم . قال : « صدق الله فصدقه » . وكفّنه النبي [ في جبّة النبي ] ﷺ ، ثم قدّمه فصلّى عليه ، فكان ممّا ظهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً ، أنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائي<sup>(٢)</sup> ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، به نحوه .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وتدنى رسول الله ﷺ الأموال ، يأخذها مالاً مالاً ، ويفتحها حصناً حصناً ، وكان أول حصونهم فتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ؛ أُلقيت عليه رحي منه فقتلته ، ثم القموص حصن أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ؛ منهن صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وبتا عمّ لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه ، وكان دحية بن خليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمّها . قال : وفشت السبايا من خيبر في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر . فذكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٢٢٢ / ٤ ) .

(٢) رواه النسائي ( ٦١ / ٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ٣٣٠ ) و « زاد المعاد » ( ٣ / ٣٠٠ ) .

وقد اعتنى البخاريّ بهذا الفصل ؛ فأورد النهي عنها من طرق جيدة ، وتحريمها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السلف - منهم ابن عباس - إلى إباحتها ، وتنوّعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها ، فقيل : [ لأنها كانت ظهراً يستعينون بها في الحمولة . وقيل : لأنها لم تكن خُمست بعد . وقيل : لأنها كانت تأكل العذرة ، يعني جلاّلة .

والصحيح أنه نُهي عنها لذاتها ؛ فإن في [ الأثر ] الصحيح<sup>(١)</sup> أنه نادى [ منادي ] رسول الله ﷺ : إنَّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . فأكفؤوها والقذور تفور بها<sup>(٢)</sup> ، وموضع تقرير ذلك في كتاب « الأحكام » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدّثني سلام بن كزكرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله - ولم يشهد جابر خيبر - أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث حمّاد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عليّ ، عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخص في الخيل . لفظ البخاريّ .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحدّثنا عبد الله بن أبي نجيع ، عن مكحول أن النبي ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع ؛ عن إتيان الحبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهليّ ، وعن أكل كلّ ذي ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى ثُجيب ، عن حنش الصنعانيّ قال : غزونا مع رويّع بن ثابت الأنصاريّ المغرب ، فافتتح قريةً من قرى المغرب يقال لها : جَزْبة . فقام فينا خطيباً فقال : أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر ؛ قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر [ أن يسقي ماءً زرع غيره » يعني إتيان

(١) رواه أحمد في « مسنده » ( ١١ / ٣ ) ، ومسلم في « صحيحه » رقم ( ١٩٤٠ ) من حديث أنس .

(٢) قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » ( ٣ / ٣٠٣ ) : « وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة : إنما حرّمها ، لأنها كانت ظهراً القوم وحمولتهم ، فلما قيل له : فني الظهر وأكلت الحمر ، حرّمها ، وعلى قول من قال : إنما حرّمها ، لأنها لم تخمس ، وعلى قول من قال : إنما حرّمها لأنها كانت حول القرية ، وكانت تأكل العذرة ، وكل هذا في « الصحيح » لكن قول رسول الله : « إنها رجس » مقدم على هذا كله ، لأنه من ظنّ الراوي ، وقوله بخلاف التعليل بكونها رجساً .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣١ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٢١٩ ) و ( ٥٥٢٤ ) ومسلم رقم ( ١٩٤١ ) ( ٣٦ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ٣٣١ ) .

الْحَبَالِي مِنَ السَّبْيِ « وَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ يَوْمَ الْيَوْمِ الْآخِرِ [ أَنْ يَصِيبَ امْرَأَةً مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا ، وَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ يَوْمَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتَّى يَقْسَمَ ، وَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ يَوْمَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَعْجَفَهَا رَدَّهَا فِيهِ ، وَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ يَوْمَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ » .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق ، به<sup>(١)</sup>

ورواه الترمذي<sup>(٢)</sup> ، عن عمر بن حفص الشيباني<sup>(٣)</sup> ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رؤيف بن ثابت ، مختصراً ، وقال : حسن .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٤)</sup> عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن أكل الثوم . وقد حكى ابن حزم ، عن عليّ وشريك بن الحنبل ، أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثوم النّيء .

والذي نقله الترمذي<sup>(٥)</sup> عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلم الناس في الحديث الوارد في « الصحيحين »<sup>(٦)</sup> من طريق الزهري ، عن عبد الله والحسن ابني محمد ابن الحنفية ، عن أبيهما ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الأهلية . هذا لفظ « الصحيحين » من طريق مالك وغيره ، عن الزهري ، وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر ، وهو مشكل من وجهين :

أحدهما ، أن يوم خيبر لم يكن ثمّ نساء يتمتعون بهنّ ؛ إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسّباء عن نكاح المتعة .

الثاني ، أنه قد ثبت في « صحيح مسلم »<sup>(٧)</sup> عن الربيع بن سبرة بن معبد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها ، وقال : « إن الله قد حرّمها إلى يوم القيامة » . فعلى هذا يكون قد نهى عنها ، ثم أذن فيها ، ثم حرّم ؛ فيلزم النسخ مرتين ، وهو بعيد . ومع هذا فقد نصّ الشافعيّ على أنه لا يعلم شيئاً أبيح ثم حرّم ، ثم أبيح ثم حرّم ، غير نكاح المتعة ،

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ١٠٨ - ١٠٩) وأبو داود رقم (٢١٥٨) و(٢١٥٩) من طريق ابن إسحاق وإسناده حسن .

(٢) رقم (١١٣١) ، وهو حديث حسن كما ذكر الترمذي ونقله المصنف .

(٣) في الأصول : حفص بن عمر ، والمثبت من الترمذي .

(٤) رقم (٤٢١٥) .

(٥) رقم (١٨٠٨) و(١٨٠٩) ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه البخاري رقم (٤٢١٦) و(٥١١٥) و(٦٩٦١) ومسلم رقم (١٤٠٧) .

(٧) رقم (١٤٠٦) .

وما حداه على هذا ، رحمه الله ، إلا اعتماده على هذين الحديثين ، كما قدّمناه .

وقد حكى السهيلي<sup>(١)</sup> وغيره ، عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيحت ثلاث مرات ، وحرّمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جداً . والله أعلم . واختلفوا ؛ أيّ وقت أول ما حرّمت ؟ فقيل : في خيبر . وقيل : في عمرة القضاء . وقيل : في عام الفتح . وهو الذي يظهر ، وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل : في تبوك . وقيل : في حجة الوداع ، رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث عليّ ، رضي الله عنه ، بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام الأحمّد<sup>(٣)</sup> : حدّثنا سفيان ، عن الزهريّ ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد ، عن أبيهما - وكان حسن أرضاهما في أنفسهما - أن عليّاً قال لابن عباس : إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر . قالوا : فاعتقد الراوي أن قوله : « خيبر » . ظرف للمنهى عنهما ، وليس كذلك ، إنما هو ظرف للنهي عن لحوم الحمر ، فأما نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً ، وإنما جمعه معه ؛ لأن عليّاً ، رضي الله عنه ، بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ، ولحوم الحمر الأهلية ، كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين عليّ : إنك امرؤ تائه ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده في ذلك من الإباحة ، وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزيّ ، تغمّده الله برحمته ، آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحة الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر ، فتأوله بأنها كانت حمولتهم ، وأما المتعة ، فإنما كان يبيحها عند الضرورة في الأسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرّفاهة والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز ، إلى زمن ابن جريج ، وبعده . وقد حكى عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس ، وهي ضعيفة ، وحاول بعض من صنّف في الخلاف نقل رواية عن الإمام أحمد بمثل ذلك ، ولا يصحّ أيضاً ، والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب « الأحكام » ، وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال ، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدّثه بعض أسلم أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : والله يا رسول الله ، لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفت حالهم ، وأن

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٥٥٧ / ٦ ) .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٢٠٧٢ ) ، وهو شاذ ، والصحيح أن تحريم المتعة كان يوم الفتح كما أشار إليه المصنف .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٧٩ / ١ ) ، وأخرجه البخاري رقم ( ٥١١٥ ) ومسلم ( ١٤٠٧ ) من طريق سفيان وهو ابن عيينة به .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٢ / ٢ ) .

ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عندهم ، وأكثرها طعاماً وودكاً . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيح ، والسَّلام ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصروهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدَّثني بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن بعض رجال بني سلمة ، عن أبي اليسر كعب بن عمرو قال : إنَّا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود ، تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ » قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : « فافعل » . قال : فخرجت أشدَّ مثل الظَّليم ، فلمَّا نظر إليَّ رسول الله ﷺ مولياً قال : « اللهم أمتعنا به » . قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاهها الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم جئت بما أشدَّ ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً ، وكان إذا حدَّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بي لعمرى ، حتى كنت من آخرهم [ موتاً ] .

وقال الحافظ البيهقي في « الدلائل »<sup>(٣)</sup> : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني ، ثنا أبو سعيد بن الأعرابي ، ثنا سعدان بن نصر ، ثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان التَّهدي ، أو عن أبي قلابة قال : لما قدم النبي ﷺ خيبر قدم والثمره خضرة ، قال : فأسرع الناس فيها ، فحُمُوا ، فشكوا ذلك إليه ، فأمرهم أن يقرَّسوا<sup>(٤)</sup> الماء في الشَّنان ، ثم يحدروا عليهم بين أذاني الفجر ، ويذكروا اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عَقْل . قال البيهقي : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً ، وعنه : بين صلاتي المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا يحيى وبهز ، قال : ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد بن هلال ، ثنا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٥ ) .

(٣) ( ٤ / ٢٤٢ ) .

(٤) أي : أن يبرِّدوه .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٤ / ٨٦ ) ، وهو حديث صحيح .



عبد الله بن مغفل ، قال : دُلِّي جراب من شحم يوم خيبر . قال : فالتزمته ، فقلت : لا أعطي أحداً منه شيئاً . قال : فالتفت فإذا رسول الله ﷺ يتبسّم .

وقال أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا عفان ، ثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مغفل ، قال : كنا محاصرين قصر خيبر ، فألقي إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت آخذه ، فرأيت النبي ﷺ فاستحييت . وقد أخرجه صاحباً « الصحيح » من حديث شعبة .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدّثني من لا آتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المزنيّ ، قال : أصبت من فيء خيبر جراب شحم . قال : فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغنم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته ، وقال : هلمّ هذا ؛ حتى نقسمه بين المسلمين . قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه . قال : وجعل يجاذبني الجراب . قال : فرأنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسّم ضاحكاً ، ثم قال لصاحب المغنم : [ « لا أبا لك » ] ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه . وقد استدّل الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك ؛ في تحريمه شحوم ذبائح اليهود - ما كان حراماً عليهم - على غيرهم من المسلمين ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ﴾ [ المائدة : ٥ ] قال : لكم . قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث ، وبه نظر ، وقد يكون هذا الشحم ممّا كان حلالاً لهم . والله أعلم .

وقد استدّلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخَمّس .

ويَعُضد ذلك ما رواه الإمام أبو داود<sup>(٤)</sup> : ثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو معاوية ، ثنا [ أبو ] إسحاق الشيبانيّ ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلت : هل كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، فكان الرجل يجيء ، فيأخذ منه قدر ما يكفيه ، ثم ينصرف ، تفرّد به أبو داود ، وهو حسن<sup>(٥)</sup> .

\*\*\*

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٥٥ / ٥ ) .

(٢) رقم ( ١٧٧٢ ) ( ٧٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٩ / ٢ ) .

(٤) رقم ( ٢٧٠٤ ) .

(٥) هكذا قال ، ولو قال « صحيح » لكان أحسن ، فقد رواه أحمد في مسنده ( ٣٥٤ / ٤ - ٣٥٥ ) عن هشيم عن أبي إسحاق الشيباني ، به ، ورجال إسناده رجال الصحيح .

## ذكر

قصة صفية بنت حيي بن أخطب النضرية<sup>(١)</sup>

## رضي الله عنها

وكان من شأنها أنه لما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني النضير من المدينة ، كما تقدّم ، فذهب عامتهم إلى خيبر ، وفيهم حيي بن أخطب ، وبنو أبي الحقيق ، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم ، وكانت صفية إذ ذاك طفلة دون البلوغ ، ثم لما تأهلت للتزويج ، تزوجها بعض بني عمّها ، فلما زُفت إليه وأدخلت عليه بنى بها ، ومضى على ذلك ليالٍ ، رأت في منامها كأن قمر السماء قد سقط في حجريها ، فقصّت رؤياها على ابن عمّها ، فلطم وجهها ، وقال : أتمنّين ملك يثرب أن يصير بعلك . فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إياهم ، وكانت صفية في جملة السبي ، وكان زوجها في جملة القتلى . ولما اصطفاها رسول الله ﷺ ، وصارت في حوزة وملكه ، كما سيأتي ، وبنى بها ، بعد استبرائها [ وحلّها ] ، وجد أثر [ تلك ] اللطمة في خدها ، فسألها : « ما شأنها ؟ » فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : صلى النبي ﷺ الصُّبْحَ قريباً من خيبر بغلس ثم قال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا [ بساحة ] قوم فساء صباح المنذرين » فخرجوا يسعون في السكك ، فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبي الذرية ، وكان من السبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبي ، ثم صارت إلى النبي ﷺ ، فجعل عتقها صداقها . ورواه مسلم<sup>(٣)</sup> أيضاً من حديث حماد بن زيد - وله طرق - عن أنس .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا آدم ، ثنا شعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب [ قال ] : سمعت أنس بن مالك يقول : سبي النبي ﷺ صفية ، فأعتقها وتزوجها . قال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها . تفرّد به البخاري من هذا الوجه .

(١) ترجمتها في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » ( ١٨٧١/٤ ) ، و « الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين » ص ( ٤٥ ) ، و « جامع الأصول » ( ٢٥٩/١٢ ) ، و « أسد الغابة » ( ١٦٩/٧ ) ، و « سير أعلام النبلاء » ( ٢٣١/٢ ) ، و « الإصابة في تمييز الصحابة » ( ٣٤٦/٤ ) ، و « شذرات الذهب » ( ٢٤٥/١ ) ، و « أعلام النساء » ( ٣٣٣/٢ ) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم ( ٤٢٠٠ ) .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٣٦٥ ) ( ٨٤ - ٨٨ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٢٠١ ) .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا عبد الغفار بن داود ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن . [ ح ] وثنا أحمد [ بن عيسى ] ثنا ابن وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري ، عن عمرو مولى المطلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر ، فلما فتح الله [ عليه ] الحصن ، ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب ، وقد قتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاه النبي ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سدّ الصهباء حلت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حيساً في نطع صغير ، ثم قال لي : « آذن من حولك » . فكانت تلك وليمة على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال ، يُبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمة ، وما كان فيها من خبز و [ لا ] لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلما ارتحل وطأ لها خلفه ، ومدّ الحجاب . انفرد به البخاري .

وقال أبو داود<sup>(٣)</sup> : ثنا مسدد ، ثنا حماد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدحية الكلبي ، ثم صارت لرسول الله ﷺ .

وقال أبو داود<sup>(٤)</sup> : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، [ قال ] : ثنا ابن علية ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله ، أعطني جارية من السبي . قال : « اذهب فخذ جارية » . فأخذ صفية بنت حيي ، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله ، أعطيت [ دحية ] - قال يعقوب : صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ؟ - ما تصلح إلا لك . قال : « ادع بها » . فلما نظر إليها النبي ﷺ قال : « خذ جارية من السبي غيرها » . وإن رسول الله ﷺ أعتقها وترّوجها . وأخرجاه<sup>(٥)</sup> من حديث ابن علية .

وقال أبو داود<sup>(٦)</sup> : ثنا محمد بن خلاد الباهلي ، ثنا بهز بن أسد ، ثنا حماد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٢١١ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٢١٣ ) .

(٣) رواه أبو داود رقم ( ٢٩٩٦ ) ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٢٩٩٨ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٣٧١ ) ، ومسلم رقم ( ١٣٦٥ ) في النكاح .

(٦) رواه أبو داود رقم ( ٢٩٩٧ ) ، وهو حديث صحيح .

أنس قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها . قال حماد : وأحسبه قال : وتعتد في بيتها - صفية بنت حيي . تفرد به أبو داود .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بني أبي الحقيق ، أتى بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخرى<sup>(٢)</sup> معها ، فمّر بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية ، صاحت ، وصكت وجهها ، وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : « أعزبوا<sup>(٣)</sup> عني هذه الشيطانة » . وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفأها لنفسه . وقال رسول الله ﷺ لبلال - فيما بلغني - [ حين رأى بتلك اليهودية ما رأى ] : « أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامراتين على قتلى رجالهما ! » . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، أن قمرأ وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمه خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها : « ما هذا ؟ » فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بني النضير ، فسأله عنه ، فوجد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود ، فقال لرسول الله ﷺ : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة . فقال رسول الله ﷺ لكنانة : « رأيت إن وجدناه عندك أقتلك ؟ » قال : نعم . فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقي ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال : « عذبه حتى تستأصل ما عنده » . وكان الزبير يقدح بزناد في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسّلام ، حتى [ إذا ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٦ ) .

(٢) في ( ط ) : « وأخرى » .

(٣) أي : أبعدوا .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٦ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٣٧ ) .

أَيَقْنُوا بِالْهَلَكَةِ ، سَأَلُوهُ أَنْ يَسِيرَهُمْ<sup>(١)</sup> و [ أَنْ ] يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ ، فَفَعَلَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ حَازَ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا ؛ الشَّقَّ ، وَالنَّطَاةَ ، وَالْكَتِيبَةَ ، وَجَمِيعَ حَصُونِهِمْ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذِيْنِكَ الْحَصَنَيْنِ ، فَلَمَّا سَمِعَ [ بِهِمْ ] أَهْلَ فِدْكَ [ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ] بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسِيرَهُمْ وَيَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ ، وَيَخْلُوا لَهُ الْأَمْوَالَ ، فَفَعَلَ .

[ وَكَانَ مَقَرُّ مَشْيِ بَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مَحِيصَةً بَنَى مَسْعُودٌ ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ] فَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ [ عَلَى ذَلِكَ ] سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعَامِلَهُمْ [ فِي الْأَمْوَالِ ] عَلَى النِّصْفِ [ وَقَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ ، وَأَعْمَرُ لَهَا ] فَصَالَحَهُمْ [ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النِّصْفِ ] عَلَى أَنَا إِذَا شِئْنَا أَنْ نَخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ ، وَعَامِلُ أَهْلِ فِدْكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ .

\*\*\*

## فصل

### في فتح حصونها<sup>(٢)</sup> وقسم أرضها

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : لما تحولت اليهود من حصن ناعم وحصن الصَّعْبِ بن معاذ إلى قلعة الزَّيْبِرِ ، حاصره رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له : غَزَالٌ . فقال : يا أبا القاسم ، تؤمّني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النَّطَاةِ ، وتخرج إلى أهل الشَّقِّ ، فإن أهل الشَّقِّ قد هلكوا رُعباً منك ؟ قال : فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله ، فقال له اليهودي : إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، إنَّ لهم تحت الأرض دُبُولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعته . فأمر رسول الله ﷺ بقطع دُبُولِهِمْ ، فخرجوا فقاتلوا أشدَّ القتال ، وقتل من المسلمين يومئذٍ [ نفر ] وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، وكان آخر حصون النَّطَاةِ ، وتحول إلى الشَّقِّ ، وكان به حصون ذوات عُدَدٍ ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبَيٍّ ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها : سُمُوَانٌ<sup>(٤)</sup> ، فقاتل عليها أهل الحصن أشدَّ القتال ، فخرج منهم رجل يقال له : عزول . فدعا إلى البراز ، فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ، ووقع السيف من يده ، وفرَّ اليهودي راجعاً ، فاتبعه الحباب فقطع عُرقوبه ، وبرز منهم آخر ، فقام إليه رجل من المسلمين ، فقتله اليهودي ، فنهض إليه

(١) في (آ) : « يسترهم » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام ، ويسيرهم : يجليهم .

(٢) أي : خيبر .

(٣) انظر « المغازي » (٢/٦٦٦) .

(٤) في « المغازي » : « سمران » .

أبو دُجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البراز ، فكبر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، وأمامهم أبو دجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتحموا الجُدُر كأنهم الطباء ، حتى صاروا إلى حصن التّزار بالشّق ، وتمنعوا أشدّ الامتناع ، فرحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فتراموا ، ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلهم ثيابه ، عليه الصلاة والسلام . فأخذ عليه السلام كفاً من الحصار فرمى حصنهم بها ، فرجف بهم حتى ساخ في الأرض ، وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة والوطيح والسّلالم ؛ حصني بني أبي الحقيق ، وتحصّنا أشدّ التّحصّن ، وجاء إليهم كلّ فلّ كان قد انهزم من النّطة والشّق ، فتحصّنا معهم في القموص - وهو في الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً - وفي الوطيح والسّلالم ، وجعلوا لا يطلعون من حصونهم ، حتى همّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلمّا أيقنوا بالهلكة - وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً - نزل إليه ابن أبي الحقيق ، فصالحه على حقن دمائهم ويُسيرهم ، ويخلّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض ، والأموال ، والصّفراء ، والبيضاء ، والكراع والحلقة ، وعلى البرّ ، إلا ما كان على ظهر الإنسان ، يعني لباسهم ، فقال رسول الله ﷺ : « وبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله إن كتمتم شيئاً » فصالحوه على ذلك .

قلت : ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفّوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزیلة ، تبين أنه لا عهد لهم ، فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> : أنبأ أبو الحسن عليّ بن محمد المقرئ الإسفراييني بها<sup>(٣)</sup> ، ثنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، ثنا يوسف [ بن ] يعقوب ، ثنا عبد الواحد بن غياث ، ثنا حمّاد بن سلمة ، ثنا عبيد الله بن عمر - فيما يحسب أبو سلمة - عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فغلب على الأرض والزّرع والتّخل ، فصالحوه على أن يُجلّوا منها ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصّفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمّة لهم ولا عهد ، فغيبوا مسكاً<sup>(٤)</sup> فيه مال وحليّ لحبيّ بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النّضير ، فقال رسول الله ﷺ لعَمّ حبيّ : « ما فعل مسك حبيّ الذي جاء به من النّضير ؟ » فقال : أذهبته النّفقات والحروب . فقال : « العهد قريب والمال أكثر من ذلك » .

(١) انظر « المغازي » ( ٢ / ٦٧٠ ) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٢٢٩ ) .

(٣) لفظ « بها » لم يرد في ( ط ) .

(٤) المسك : الجلد .

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزُّبَيْر ، فمَسَّه بعذاب ، وقد كان حَيٍّ قبل ذلك دخل خَرِبَةً ، فقال : قد رأيت حَيًّا يطوف في خَرِبَةٍ هاهنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحُقَيْق ، وأحدهما زوج صَفِيَّة بنت حَيٍّ بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذرائعهم ، وقسم أموالهم بالنَّكث الذي نكثوا ، وأراد إجلاءهم منا ، فقالوا : يا محمد ، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشَّطْر من كلِّ زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام فيخرصها عليهم ، ثم يضمَّنهم الشَّطْر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خَرَصِه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله ، تطعموني السُّحْت ، والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إليَّ ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدَّتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذه قامت السموات والأرض . قال : فرأى رسول الله ﷺ بعين صَفِيَّة خُضْرَةَ ، فقال : « يا صَفِيَّة ، ما هذه الخضرة ؟ » فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحُقَيْق وأنا نائمة ، فرأيت كأنَّ قمرًا وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فَلَطَمَنِي ، وقال : تَتَمَنَّى مَلِكًا يثرب ؟! قالت : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ ؛ قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إليَّ ويقول : « إن أباك أَلَبَّ عليَّ العرب » . وفعل وفعل ، حتَّى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله ﷺ يعطي كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وَسَقًا من تمر كلَّ عام ، وعشرين وَسَقًا من شعير ، فلمَّا كان في زمان عمر غَشُّوا المسلمين ، وألَقَوْا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه<sup>(١)</sup> ، فقال عمر : من كان له سهم بخير فليحضر حتَّى نقسمها . فقسمها بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنا ، دعنا نكون فيها كما أَقَرَّنا رسول الله ﷺ وأبو بكر . فقال عمر لرئيسهم : أتراني سقط عني قول رسول الله ﷺ : « كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً ؟ » وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحُدَيْبِيَّة .

وقد رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> مختصراً من حديث حمَّاد بن سلمة .

قال البيهقي<sup>(٣)</sup> : علَّقه البخاريُّ في « كتابه » فقال : ورواه حمَّاد بن سلمة . قلت : ولم أره في « الأطراف »<sup>(٤)</sup> فالله أعلم .

وقال أبو داود<sup>(٥)</sup> : وحَدَّثني سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني أُسَامَةُ بن زيد اللَّيْثِيُّ ،

(١) يعني أن تزول المفاصل عن أماكنها .

(٢) في « سننه » رقم ( ٣٠٠٦ ) ، وإسناده حسن .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٢٣١ / ٤ ) .

(٤) إنما علَّقه البخاري بعد الحديث ( ٢٧٣٠ ) من حديث ابن عمر عن أبيه ، وذكره المزي في « أطرافه » كذلك .

(٥) في « سننه » رقم ( ٣٠٠٨ ) ، وإسناده حسن .

عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألت يهودُ رسول الله ﷺ أن يقرّهم ، على أن يعملوا على النصف مما خرج منها ، فقال رسول الله ﷺ : « أَقْرُكُمْ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا » . فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على السُّهُمان من نصف خيبر ، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس ، وكان أطعم كلَّ امرأة من أزواجه من الخمس مئة وَسَقَ [ من ] تمر ، وعشرين وسقاً [ من ] شعير ، فلما أراد عمر إخراج اليهود ، أرسل إلى أزواج النبي ﷺ فقال لهن : من أَحَبَّ مِنْكُن أَنْ أَقْسِمَ لَهَا نَخْلاً بِخَرْصِهَا مئة وَسَقَ ، فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مزرعة عشرين وسقاً من شعير فعلنا ، ومن أَحَبَّ أَنْ نَعْزِلَ الَّذِي لَهَا فِي الْخَمْسِ كَمَا هُوَ فَعَلْنَا .

وقد روى أبو داود<sup>(١)</sup> من حديث محمد بن إسحاق ، حدّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلحق به ، فإني مخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أعطيت بني المطّلب من خمس خيبر وتركنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ » . قال جبير بن مطعم : ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

وفي لفظ<sup>(٣)</sup> : أن رسول الله ﷺ قال : « إِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلَبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، إِنْهُمْ لَمْ يَفَارِقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ » .

قال الشافعي : دخلوا معهم في الشَّعب ، وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذمَّ أبو طالب بني عبد شمس وبني نوفل حيث يقول :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا      عَقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا زائدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً . قال : فسره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس ، فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس ، فله سهم .

(١) في « سننه » رقم ( ٣٠٠٧ ) ، وهو حديث صحيح .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٢٩ ) .

(٣) رواه أبو داود رقم ( ٢٩٨٠ ) والنسائي رقم ( ٤١٤٨ ) ، وهو حديث صحيح .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٢٨ ) .



وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا سعيد بن أبي مریم ، ثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ، عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس بئاناً<sup>(٢)</sup> ليس لهم شيء ، ما فتحت عليّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر ، ولكنني أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخاري أيضاً<sup>(٣)</sup> من حديث مالك ، وأبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهديّ ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، به . وهذا السياق يقتضي أن خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود<sup>(٤)</sup> : ثنا ابن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال . وبهذا قال الزهري<sup>(٥)</sup> : حمّس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرهما على من شهدها .

وفيما قاله الزهريّ نظر ؛ فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الغانمين كما سيأتي بيانه ، وقد احتجّ بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخير في الأراضي المغنومة ؛ إن شاء قسمها ، وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح .

قال أبو داود : حدّثنا الربيع بن سليمان المؤدّن ، ثنا أسد بن موسى ، حدّثنا يحيى بن زكريا ، حدّثني سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حثمة ، قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوائبه [ وحاجته ] ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . تفرد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بُشير بن يسار مرسل<sup>(٦)</sup> ، فعين نصف النوائب ؛ الوطيح والكتيبة والسّلالم وما حيز معها ، ونصف المسلمين ؛ الشّق والنّطاة وما حيز معهما ، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما .

وقال أيضاً<sup>(٧)</sup> : ثنا حسين بن عليّ ، ثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ، مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٣٥ ) .

(٢) أي شيئاً واحداً .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٣١٢٥ ) وأبو داود ( ٣٠٢٠ ) .

(٤) في « سننه » رقم ( ٣٠١٨ ) ، وبلاغ ابن شهاب هذا إسناده صحيح .

(٥) رواه أبو داود رقم ( ٣٠١٩ ) ورواه عبد الرزاق في مصنفه رقم ( ٩٧٣٨ ) عن معمر عن الزهري .

(٦) في « سننه » رقم ( ٣٠١٠ ) و ( ٣٠١٣ ) ، هكذا رواه أبو داود موصولاً ومرسل<sup>(٦)</sup> وإسناده الموصول صحيح . ورواه الطبراني في الكبير رقم ( ٥٦٣٤ ) والبيهقي في السنن ( ٣١٧ / ٦ ) .

(٧) يعني أبو داود في « سننه » رقم ( ٣٠١٢ ) ، ورواه أيضاً أحمد في « مسنده » ( ٣٦ / ٤ - ٣٧ ) وإسناده صحيح .

سنة وثلاثين سهماً ، جمع كلُّ سهم مئة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونواب الناس . تفرّد به أبو داود .

قال أبو داود<sup>(١)</sup> : ثنا محمد بن عيسى ، ثنا مجّع بن يعقوب بن مجّع بن يزيد الأنصاري ، سمعت أبي يعقوب بن مجّع يقول ، عن عمّه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ، عن عمّه مجّع بن جارية الأنصاري - وكان أحد القرّاء الذين قرؤوا القرآن - قال : قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمئة ، فيهم ثلاثمئة فارس ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهماً . تفرّد به أبو داود .

وقال مالك : عن الزهري ، أن سعيد بن المسيّب أخبره أن النبي ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة . رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> . ثم قال أبو داود<sup>(٣)</sup> : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدّثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب : أن خيبر بعضها كان عنوة ، وبعضها صلحاً ، والكتيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح . قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عذق .

قال أبو داود : والعذق : النّخلة . والعذق : العرجون<sup>(٤)</sup> .

ولهذا قال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا محمد بن بشار ، ثنا حرمي ، ثنا شعبة ، ثنا عُمارة ، عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

ثنا الحسن ، ثنا قرّة بن حبيب ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شبعنا - يعني من التمر - حتى فتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : كانت الشّوّ والنّطاة في سهمان المسلمين ؛ الشّوّ ثلاثة عشر سهماً ، ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمئة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية ؛ من

(١) في « سننه » رقم ( ٣٠١٥ ) ، ورواه أيضاً أحمد في مسنده ( ٤٢٠ / ٣ ) وإسناده ضعيف ، فإن يعقوب بن مجّع بن جارية وإن كان حسن الحديث لكنه تفرد به وخولف فيه ، كما بينه الإمام ابن القيم في زاد المعاد ( ٢٩٤ / ٣ ) ( بشار ) .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٣٠١٧ ) ، وهو حديث مرسل ، لكنه ثابت من طرق عديدة صحيحة ، لذلك قال ابن عبد البر في كتابه « التمهيد ٦ / ٤٤٥ » : أجمع العلماء على أن خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحاً ، وأن رسول الله ﷺ قسمها فما كان منها صلحاً أو أخذ بغير قتال كالذي جلا عنه أهله عمل ذلك بسنة الفيء ، وما كان منها عنوة عمل فيه بسنة الغنائم ، إلا أن ما فتحه الله عليه منها عنوة قسمه بين أهل الحديبية وبين من شهد الواقعة « ( بشار ) .

(٣) بعد الرقم ( ٣٠١٧ ) ، وإسناده ضعيف .

(٤) هذا التفسير من كلام الخطابي ، ولم نره عند أبي داود .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٤٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٧ / ٢ ) .

حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغِب عن خيبر مَن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله ، فضرب له بسهمه . قال : وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمئة ، وكان معهم مئتا فرس ، لكل فرس سهمان ، فُضِرِف إلى كلِّ مئة رجل سهمٌ من ثمانية عشر سهماً ، وزيد المئتا فارس أربعمئة سهمٍ لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة ، ومئتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم ، وكان أول سهم من سهمان الشَّقِّ مع عاصم بن عدي .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكانت الكتيبة خُمساً لله تعالى ، وسهم النبي ﷺ ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعمة أزواج النبي ﷺ ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيصة بن مسعود ، أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من تمر ، وثلاثين وسقاً من شعير . قال : وكان وادياها اللذان قسّمت عليه يقال لهما : وادي الشُّرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

قال : وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جَبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، وزيد بن ثابت ، رضي الله عنهما . قلت : وكان الأمير على خرص نخيل خيبر عبدُ الله بن رواحة ، فخرصها سنتين ، ثم لما قُتل ، رضي الله عنه - كما سيأتي في يوم مؤتة - ولي بعده جَبَّار بن صخر ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاري<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثني مالك ، عن عبد المجيد بن سُهيل ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر ، فجاءه بتمرٍ جَنِيْبٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « كلُّ تمرٍ خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة . فقال : « لا تفعل ، بع الجمع بالدرهم ، ثم ابتع بالدرهم جَنِيْباً » .

قال البخاري : وقال الدَّراوردي ، عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيَّب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدَّثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر وأمره عليها . وعن عبد المجيد ، عن أبي صالح السَّمَّان ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، مثله .

قلت : كان سهم النبي ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها - وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فصالحوه - وأموال بني النُّضير ، المتقدِّم ذكرها ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ

(١) في « دلائل النبوة » ( ٢٣٨ / ٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » ( ٣٤٩ / ٢ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٤٤ ) و ( ٤٢٤٥ ) .

خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي مَجعل مال الله ؛ يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلمَّا مات ، صلوات الله وسلامه عليه ، اعتقدت فاطمة وأزواج النبي ﷺ - أو أكثرهن - أن هذه الأراضي تكون موروثة عنه ، ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة »<sup>(١)</sup> . ولمَّا طلبت فاطمة وأزواج النبي ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك ، وسألوا الصديق أن يسلمه إليهم ، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » . وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ ، والله لقربة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي . وصدق ، رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك ، التابع للحقِّ ، وطلب العباس وعليٌّ - على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث - أن ينظرا في هذه الصدقة ، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصديق ذلك ، ورأى أنَّ حقًّا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغصبت فاطمة ، رضي الله عنها ، عليه في ذلك ، ووجدت في نفسها بعض الموجدة ، ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محلَّة ومنزلته من رسول الله ﷺ ، وقيامه في نصرة النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيِّه وعن الإسلام وأهله خيراً ، وتوفيت فاطمة ، رضي الله عنها ، بعد ستة أشهر ، ثم جدَّد عليٌّ البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب ، سأله أن يفوض أمر هذه الصدقة إلى عليٍّ ، والعباس ، وثقلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر ، رضي الله عنه ، ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيته ، فتغلَّب على عليٍّ عمُّه العباس فيها ، ثم تساوقا يختصمان إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة ، وسألا منه أن يقسمها بينهما ، فينظر كلُّ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع ، وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث ، وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا . فاستمرَّ فيها ، ومن بعدهما من ولدهما إلى أيام بني العباس ، تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ، أموال بني النضير وفدك ، وسهم رسول الله ﷺ من خيبر .

\*\*\*

(١) قال الحافظ في « الفتح » عند الحديث رقم ( ٦٧٣٠ ) : الحديث بهذا اللفظ مما اشتهر في كتب الأصول وغيرهم ، وقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ « نحن » لكن أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٦٣٠٩ ) بلفظ « إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة » . من حديث عمر رضي الله عنه ، بإسناد صحيح ، وهو بلفظ « لا نورث ما تركنا صدقة » في « البخاري » رقم ( ٦٧٢٨ ) ومسلم رقم ( ١٧٥٧ ) من حديث عمر رضي الله عنه ، ومن حديث غيره من الصحابة .

## فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء ، فرضخ<sup>(١)</sup> لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة ، ولم يسهم لهم .

قال أبو داود<sup>(٢)</sup> : ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا بشر بن المفضل ، عن محمد بن زيد ، حدّثني عمير مولى أبي اللحم قال : شهدت خيبر مع سادتي ، فكلّموا في رسول الله ﷺ ، فأمر بي فقلّدت سيفاً ، فإذا أنا أجرّه ، فأخبر أنني مملوك ، فأمر لي بشيء من خرتي المتاع .

ورواه الترمذي والنسائي<sup>(٣)</sup> جميعاً ، عن قتيبة عن بشر بن المفضل [ به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه<sup>(٤)</sup> ، عن عليّ بن محمد ، عن وكيع ، عن هشام بن سعد [ عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ ، عن عمير ، به .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء ، فرضخ لهنّ [ من الفياء<sup>(٦)</sup> ] ولم يضرب لهنّ بسهم ، حدّثني سليمان بن سحيم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن امرأة من بني غفار قد سمّاها لي ، قالت : أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا - وهو يسير إلى خيبر - فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : « على بركة الله » . قالت : فخرجنا معه . قالت : وكنت جارية حدثه [ السنّ ] ، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيّة رحله . [ قالت ] : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح [ وأناخ<sup>(٧)</sup> ] ونزلت عن حقيّة رحله . [ قالت ] : وإذا بها دم مني ، وكانت أول حيضة حضتها . قالت : فتقبّضت إلى الناقة واستحييت . فلمّا رأى رسول الله ﷺ ما بي ، ورأى الدم ، قال : « ما لك ؟ لعلك نفست ؟ » قالت : نعم . قال : « فأصلحي من نفسك ، ثم خذي إناء من ماء ، فاطرحي فيه ملحاً ، ثم اغسلي ما أصاب الحقيّة من الدم ، ثم عودي لمركبك » . قالت : فلمّا فتح الله خيبر ، رضخ لنا من الفياء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي ، فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني [ أبداً ] . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لا تطهر من حيضها إلّا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

(١) الرّضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .

(٢) في « سننه » رقم ( ٢٧٣٠ ) .

(٣) رواه الترمذي رقم ( ١٥٥٧ ) والنسائي رقم ( ٧٥٣٥ ) .

(٤) رواه ابن ماجه رقم ( ٢٨٥٥ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٤٢ ) .

(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٤٢ ) .

(٧) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٤٢ ) .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود<sup>(١)</sup> ، من حديث محمد بن إسحاق ، به .

قال شيخنا أبو الحجاج المزي في « أطرافه »<sup>(٢)</sup> : ورواه الواقدي ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أم علي بنت أبي الحكم ، عن أمية بنت أبي الصلت ، عن النبي ﷺ به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا حسن بن موسى ، ثنا رافع بن سلمة الأشجعي ، حدثني حشرج بن زياد ، عن جدته أم أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر ، وأنا سادسة ست نسوة . قالت : فبلغ النبي ﷺ أن معه نساء . قالت : فأرسل إلينا فدعانا . قالت : فرأينا في وجهه الغضب ، فقال : « ما أخرجكن ، وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهام ، ونسقي السويق ، ومعنا دواء للجرحى ، ونغزل الشعر فنعين به في سبيل الله . قال : « قمن فانصرفن » . قالت : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاماً كسهام الرجال . فقلت لها : يا جدّة ، وما الذي أخرج لكنّ ؟ قالت : تمرأ .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأما أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٤)</sup> : وفي كتابي ، عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصبهاني أخبره ، حدثنا الحسين بن الجهم ، ثنا الحسين بن الفرّج ، ثنا الواقدي ، حدثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، ومعني زوجي وهي حبلى ، فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي : « انقع [ لها ] تمرأ ، فإذا انغمر بله ، فامرثه لتشربه » . ففعلت ، فما رأيت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أجّدى<sup>(٥)</sup> النساء ، [ و ] لم يسهم لهن ، فأجّدى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

### ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ،

ومن انضم إليهم من أهل اليمن ، على رسول الله ﷺ وهو مخيم بخيبر<sup>(٦)</sup>

قال البخاري<sup>(٧)</sup> : ثنا [ محمد ] بن العلاء ، ثنا أبو أسامة ، ثنا بُريد بن عبد الله بن أبي بُردة ، عن أبي

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٨٠ / ٦ ) وأبو داود رقم ( ٣١٣ ) وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » ( ١٢٣ / ١٣ ) بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدّين رحمه الله ، وانظر « المغازي » ( ٦٨٥ / ٢ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٧١ / ٦ ) وإسناده ضعيف .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٢٤٢ / ٤ - ٢٤٣ ) .

(٥) أي : أعطى .

(٦) نصّ العنوان في ( ط ) : « ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون » وعبارة « رضي الله عنه » زيادة مني .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٣٠ ) و ( ٤٢٣٢ ) .

بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي ، أنا أصغرهم ؛ [ أحدهما ] أبو بُرْدَة ، والآخر أبو رُهم - إمّا قال : في بضع . وإما قال : في ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي - فركبنا سفينة ، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - سبقناكم بالهجرة . ودخلت أسماء بنت عميس ، وهي ممن قدم معنا ، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم [ بالهجرة ] فنحن أحق برسول الله ﷺ [ منكم ] . فغضبت وقالت : كلاً والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار - أو [ في ] أرض - البُعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وإيم الله لا أطعم ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبي ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه . فلمّا جاء النبي ﷺ قالت : يا نبي الله ، إن عمر قال كذا وكذا . قال : « فما قلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحقّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ . قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى ، وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .

وقال أبو بُرْدَة ، عن أبي موسى ، قال النبي ﷺ : « إني لأعرف أصوات رُفَقَةِ الأشعرين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم [ بن حزام ] ، إذا لقي العدو - أو قال : الخيل - قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن أبي كريب وعبد الله بن بَرَاد ، عن أبي أسامة ، به .

ثم قال البخاري<sup>(٢)</sup> : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا حفص بن غياث ، ثنا بريد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : قدمنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرّد به البخاريّ دون مسلم<sup>(٣)</sup> .

(١) في « صحيحه » رقم (٢٥٠٢) و (٢٥٠٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٣٣) .

(٣) هكذا قال ، وهو وهم منه رحمه الله ، فإن مسلماً رواه في صحيحه رقم (٢٥٠٢) ضمن الحديث الذي تقدم ذكره عند المصنف ونسبه هو إلى مسلم ، فهما واحد ، وقد نص المزي على ذلك في تحفة الأشراف (رقم ٩٠٤٩) ، لكن =

ورواه أبو داود ، والترمذي وصححه من حديث بُريد ، به<sup>(١)</sup> .

وقد ذكر محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبي ﷺ خيبر .

قال [ ابن هشام ]<sup>(٣)</sup> : وذكر سفيان بن عيينة ، عن الأجلح ، عن الشعبي ، أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه ، وقال : ما أدري بأيّهما أنا أسرّ ؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ « وهكذا رواه سفيان الثوري ، عن الأجلح ، عن الشعبي مرسلًا .

وأُسند البيهقي<sup>(٤)</sup> ، من طريق حسن بن حسين العُرني عن الأجلح ، عن الشعبي ، عن جابر قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلّقاه وقبل جبهته وقال : « والله ما أدري بأيّهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر » .

ثم قال البيهقي<sup>(٥)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو الحسين بن أبي إسماعيل العلوي ، ثنا أحمد بن محمد البيروتي ، ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكّي بن إبراهيم الرّعيني ، ثنا سفيان الثوري ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة ، تلّقاه رسول الله ﷺ ، فلمّا نظر جعفر إليه حَجَلَ - قال مكّي : يعني مشى على رجل واحدة ؛ إعظاماً لرسول الله ﷺ - فقبل رسول الله ﷺ بين عينيه . ثم قال البيهقي : في إسناده من لا يعرف إلى الثوري .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وكان الذين تأخروا مع جعفر من أهل مَكَّة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم ؛ جعفر بن أبي طالب الهاشمي ، وامراته أسماء بنت عُميس ، وابنه عبد الله ، ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولده سعيد وأمة بنت خالد ، ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَقيب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، [ حليف ] آل عُتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن

= البخاري يقطع الحديث كما هو معروف من منهجه . وانظر كتابنا المسند الجامع ١١ / ٤٢٥ - ٤٢٧ حديث رقم (٨٩٠٧) (بشار) .

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٢٥) والترمذي رقم (١٥٥٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣٥٩ / ٢) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣٥٩ / ٢) وما بين الحاصرتين مستدرک منه .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٢٤٦ / ٤) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٢٤٦ / ٤) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٣٥٩ / ٢) .



خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدِ الْأَسَدِيِّ ، وَجْهَمُ بْنُ قَيْسٍ [ بن عبد شرحبيل ] العبدريُّ ، وَقَدْ مَاتَتْ امْرَأَتُهُ أُمُّ حَزْمَلَةَ [ بنت ] عَبْدِ الْأَسَدِ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَابْنُهُ عَمْرُو وَابْنَتُهُ خُزَيْمَةُ مَاتَا بِهَا ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَعَامِرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الزُّهْرِيُّ ، وَعُتْبَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ هُذَيْلٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدِ بْنِ صَخْرِ التَّيْمِيِّ ، وَقَدْ هَلَكَتْ بِهَا امْرَأَتُهُ رِبْطَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، رَحِمَهَا اللَّهُ ، وَعُثْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ أَهْبَانَ الْجُمَحِيُّ ، وَمَحْمِيَةُ بْنُ جَزْءِ الزُّبَيْدِيِّ حَلِيفُ بَنِي سَهْمٍ ، وَمَعْمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُضْلَةَ الْعَدَوِيِّ ، وَأَبُو حَاطِبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَمَالِكُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ الْعَامِرِيَّانِ ، وَمَعَ مَالِكٍ هَذَا امْرَأَتُهُ عَمْرَةُ بِنْتُ السَّعْدِيِّ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ قَيْسِ بْنِ لَقِيطِ الْفَهْرِيِّ .

قلت : وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ إِسْحَاقَ الْأَشْعَرِيَّيْنِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ أَبِي مُوسَى [ الْأَشْعَرِيِّ ] وَأَخُوهُ أَبَا بُرْدَةَ وَأَبَا رَهْمٍ ، وَعَمَّهُ أَبَا عَامِرٍ ، بَلْ لَمْ يَذْكُرْ مِنَ الْأَشْعَرِيَّيْنِ غَيْرَ أَبِي مُوسَى ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَذِكْرِ أَخُوهِ وَهُمَا أَسَنُّ مِنْهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي « صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ » . وَكَأَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى حَدِيثِ أَبِي مُوسَى فِي ذَلِكَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال : وَقَدْ كَانَ مَعَهُمُ فِي السَّفِينَتَيْنِ نِسَاءٌ ، مِنْ نِسَاءٍ مِنْ هَلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ . وَقَدْ حَرَّرَ هَاهُنَا شَيْئاً كَثِيراً حَسَنًا .

قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، ثَنَا سُفْيَانُ ، سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ وَسَأَلَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَنبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ - يَعْنِي أَنَّ يَقْسَمَ لَهُ - فَقَالَ بَعْضُ بَنِي سَعِيدٍ بَنِ الْعَاصِ : لَا تَعْطِهِ . فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : هَذَا قَاتِلُ ابْنِ قَوْقَلٍ . فَقَالَ : وَاعَجَباً لَوَبِرٍ تَدْلَى مِنْ قُدُومِ الضَّأْنِ ، تَفَرَّدَ بِهِ دُونَ مُسْلِمٍ .

قال البخاري<sup>(٢)</sup> : وَيَذْكُرُ عَنِ الزُّبَيْدِيِّ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، أَخْبَرَنِي عَنبَسَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [ أَبَانًا ] عَلَى سَرِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ قَبْلَ نَجْدٍ .

قال أبو هريرة : فَقَدِمَ أَبَانٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخَيْرٍ بَعْدَ مَا افْتَتَحَهَا ، وَإِنْ حَزَمَ خَيْلَهُمْ لِلْفِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَقْسِمَ لَهُمْ . فَقَالَ أَبَانٌ : وَأَنْتَ بِهَذَا يَا وَبِرٌ تَحْدَرُ مِنْ رَأْسِ ضَالٍ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ [ ] : « يَا أَبَانُ ، اجْلِسْ » . وَلَمْ يَقْسَمْ لَهُمْ .

وقد أسند أبو داود<sup>(٣)</sup> هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن الوليد الزُّبَيْدِيِّ ، به نحوه .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٣٧ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٣٨ ) .

(٣) في « سننه » رقم ( ٢٧٢٣ ) .

ثم قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا موسى بن إسماعيل ، وثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدّي - وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص - أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبي ﷺ فسلم عليه ، فقال أبو هريرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قوئل . فقال أبان لأبي هريرة : واعجباً لك ، وبرّ تردّي من قدوم ضالّ<sup>(٢)</sup> تنعى عليّ أمراً أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده . هكذا رواه منفرداً به هاهنا .

وقال في الجهاد<sup>(٣)</sup> : حدّثنا الحميدي ، عن سفيان ، عن الزهري ، عن عنبسة بن سعيد ، عن أبي هريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخير بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله ، أسهم لي . فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قوئل . الحديث .

قال سفيان : حدّثني السّعيد - يعني عمرو بن يحيى بن سعيد - عن جدّه ، عن أبي هريرة بهذا . ففي هذا الحديث التصريح من أبي هريرة بأنه لم يشهد خيبر ، وتقدّم في أول هذه الغزوة ، رواه الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هريرة ، وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خيبر ، فكلم المسلمين ، فأشركونا في أسهامهم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا روح ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن عمّار بن أبي عمّار قال : قال أبو هريرة : ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنماً قطّ إلا قسم لي ، إلا خيبر ، فإنها كانت لأهل الحُدبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى ، جاء<sup>(٦)</sup> بين الحُدبية وخيبر .

وقد قال البخاري<sup>(٧)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدّثني سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، أنه سمع أبا هريرة يقول : افتتحنا خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل ، والبقر ، والمتاع ، والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، ومعه عبد له يقال له : مِذْعَم . أهداه له بعض بني الضّبيب ، فبينما هو يحطّ رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر ، حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلا ، والذي نفسي بيده إنّ الشّملة التي أصابها يوم خيبر : لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٣٩ ) .

(٢) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « ضال » وفي : « صحيح البخاري » : « ضان » .

(٣) يعني البخاري في « صحيحه » رقم ( ٢٨٢٧ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢ / ٣٤٥ ) . وإسناده صحيح .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢ / ٥٣٥ ) . وإسناده ضعيف ، ومثته منكر .

(٦) يعني أسلما .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٣٤ ) .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شركاين فقال : هذا شيء كنت أصبته . فقال رسول الله ﷺ : « شرك أو شركاين من نار » .

## ذكر

### قصة الشاة المسمومة

وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها

قال البخاري<sup>(١)</sup> : رواه عُرْوَة ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ . ثم قال : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدَّثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سمٌ . هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا حجاج ، ثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت للنبي ﷺ شاة فيها سمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « اجتمعوا لي من كان هاهنا من اليهود » . فجمعوا له ، فقال رسول الله ﷺ : « إنني سألتكم عن شيء ، فهل أنتم صادقون عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أبوكم ؟ » قالوا : أبونا فلان . فقال رسول الله ﷺ : « كذبتكم ، بل أبوكم فلان » . قالوا : صدقت وبررت . فقال : « هل أنتم صادقون عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبتكم عرفت كذبنا ، كما عرفته في أبينا . فقال رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » فقالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : « والله لا نخلفكم فيها أبداً » . ثم قال لهم : « هل أنتم صادقون عن شيء سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » . قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرّك .

وقد رواه البخاري<sup>(٣)</sup> في الجزية ، عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً ، عن قتيبة كلاهما عن الليث ، به .

وقال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، أنبأ أبو العباس الأصم ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عبّاد ابن العوّام ، عن سُفْيَان بن حسين ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيّب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فقال لأصحابه : « أمسكوا ؛ فإنها

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٤٩ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٥١ / ٢ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٣١٦٩ ) و ( ٥٧٧٧ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٢٥٩ / ٤ ) .

مَسْمُومَةٌ». وقال لها : « ما حَمَلَكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أردت أن أعلم ؛ إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذباً أريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله ﷺ . رواه أبو داود<sup>(١)</sup> ، عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان ، به .

ثم روى البيهقي<sup>(٢)</sup> ، عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا سُريج ، ثنا عَبَاد ، عن هلال - هو ابن خَبَّاب - عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل إليها ، فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » قالت : أحببت - أو : أردت - إن كنت نبياً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبياً أريح الناس منك . قال : فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم . قال : فسافر مرة ، فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرد به أحمد ، وإسناده حسن .

وفي « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث شعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مَسْمُومَة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك . قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله ليسلطك عليّ » . أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : « لا » . قال أنس : فما زلت أعرفها في لهوات<sup>(٥)</sup> رسول الله ﷺ .

وقال أبو داود<sup>(٦)</sup> : ثنا سليمان بن داود المهري ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاة مَضْلِيَّةً ، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع ، فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم » . وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة ، فدعاها فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : « أخبرني هذه التي في يدي » . وهي الذراع . قالت : نعم . قال : « فما أردت بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبياً فلن تضرك ، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله ﷺ ، ولم يعاقبها ، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم النبي ﷺ على كاهله ، من أجل الذي أكل من الشاة ، حجه أبو هند بالقرن والشفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

(١) رواه أبو داود رقم ( ٤٥٠٩ ) ، وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٦٠ / ٤ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٠٥ / ١ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٢٦١٧ ) ومسلم ( ٢١٩٠ ) .

(٥) جاء في « فتح الباري » ( ٢٣٢ / ٥ ) و ( ٢٤٧ / ١٠ ) ما نصّه : اللّهوات : جمع لهاة وهو سقف الفم ، أو اللحم المشرفة على الحلق ، وقيل : هي أقصى الحلق ، وقيل : ما يبدو من الفم عند التبسم .

(٦) في « سننه » رقم ( ٤٥١٠ ) وإسناده ضعيف .

ثم قال أبو داود<sup>(١)</sup> : ثنا وهب بن بَقِيَّة ، ثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخير شاة مَصْلِيَّة ، نحو حديث جابر ، قال : فمات بشر بن البراء بن معرور ، فأرسل إلى اليهودية ، فقال : « ما حملك على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت . ولم يذكر أمر الحِجَامَة .

قال البيهقي<sup>(٢)</sup> : ورويناه من حديث حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها .

وروى البيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة مَصْلِيَّة بخير ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هدية . وحذرت أن تقول : صدقة . فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه ، ثم [ قال : ] « أمسكوا » . ثم قال للمرأة : « هل سممت هذه الشاة ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها ، وهو في يده . قالت : نعم . قال : « لم ؟ » قالت : أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرّك . قال : فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل ، وأمر أصحابه فاحتجموا ، ومات بعضهم . قال الزهري : فأسلمت ، فتركها النبي ﷺ . قال البيهقي ، هذا مرسل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حملة عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، وكذلك موسى بن عقبة ، عن الزهري قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية - وهي ابنة أخي مرحب - لصفية شاة مَصْلِيَّة وسمتها ، وأكثر في الكتف والذراع ؛ لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، وهو أحد بني سلمة ، فقدّمت إليهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف ، وانتهش منها ، وتناول بشر عظماً فانتهش منه ، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته ، استرط<sup>(٤)</sup> بشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم ؛ فإنّ كتف هذه الشاة يخبرني أنني نعت فيها » . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها إلا أنني أعظمتك أن أنغصك طعامك ، فلما [ أسغت ] ما في فيك ، لم أرغب بنفسني عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطليسان ، وماطله وجعه ، حتى كان لا يتحوّل حتى يحوّل . قال الزهري : قال جابر : واحتجم

(١) في «سننه» رقم (٤٥١١) وهو مرسل من هذا الوجه ، فأبو سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك النبي ﷺ (بشار).

(٢) انظر «دلائل النبوة» (٢٦٢/٤) .

(٣) في «دلائل النبوة» (٢٦٠/٤) .

(٤) أي : ابتلع .

رسول الله ﷺ يومئذ ، حجه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة ، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين ، حتى كان وجعه الذي توفي فيه ، فقال : « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً ، حتى كان هذا أو انقطاع أبهري » . فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً<sup>(١)</sup>

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ، وقد سألت : أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ ف قيل لها : الذراع . فأكرت فيها من السم ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يديه ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة فلم يسفها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ؛ فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : « [ إن ] هذا العظم يخبرني أنه مسموم » . ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك . فقلت : إن كان كذاباً استرحت منه ، وإن كان نبياً فسيخبر . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدّثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه - ودخلت عليه أمّ بشر بنت البراء بن معرور - : « يا أمّ بشر ، إن هذا الأوان وجدت [ فيه ] انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير » .

قال ابن هشام : الأبهري : العرق المعلق بالقلب . قال : فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٤)</sup> : حدّثنا هلال بن بشر وسليمان بن سيف الحرّانيّ قالا : ثنا أبو عتاب سهل بن حماد ، ثنا عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، أن يهودية أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم ، قال رسول الله ﷺ : « أمسكوا ، فإنّ عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » . فأرسل إلى صاحبته : « أسممت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : أحببت إن كنت كاذباً أن أريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله ، فلم يضرّ أحداً منا . ثم قال : لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلّا من هذا الوجه . قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة ، والله أعلم .

(١) حديث : « ما زلت أجد . . . أبهري » علقه البخاري برقم ( ٤٤٢٨ ) ووصله الحاكم ( ٥٨/٣ ) من حديث عائشة ورواه أبو داود من حديث أم مبشر رقم ( ٤٥١٣ ) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٧/٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٨/٢ ) ولفظ « فيه » مستدرک منها .

(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم ( ٢٤٢٤ ) .

وذكر الواقدي<sup>(١)</sup> أن عيينة بن حصن قبل أن يُسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر ، فطمع من رؤياه أنه يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به ، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد ، أعطني ما غنمت من حلفائي - يعني أهل خيبر - فقال له رسول الله ﷺ : « كذبت رؤياك » . وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة ، فلقية الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء؟! والله ليظهرنَّ محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإنَّ يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا ، ولنا منه ذبحان ؛ واحد يثرب ، وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلام : يملك الأرض؟! قال : نعم والتوراة التي أنزلت على موسى ، وما أحبُّ أن تعلم يهود بقولي فيه .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر ، انصرف إلى وادي القرى ، فحاصر أهلها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . ثم ذكر من قصة مدعم ، وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلاً والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر ، لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

وقد تقدّم في « صحيح البخاري »<sup>(٣)</sup> نحو ما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم ، وسيأتي ذكر قتاله ، عليه السلام ، بوادي القرى .

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا يحيى بن سعيد<sup>(٥)</sup> ، [ عن يحيى بن سعيد<sup>(٦)</sup> ] ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد الجهني ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفي [ يوم خيبر ] ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : « صلُّوا على صاحبكم » . فتغيّر وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلّ في سبيل الله » . ففتشنا متاعه ، فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين .

(١) انظر « المغازي » ( ٦٧٥ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٨ / ٢ ) .

(٣) رقم ( ٤٢٣٤ ) .

(٤) في « المسند » ( ١٩٢ / ٥ ) ، وإسناده ضعيف .

(٥) هو القطان .

(٦) هو الأنصاري .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى بن سعيد القطان - زاد أبو داود : وبشر بن المفضل - وابن ماجه<sup>(١)</sup> من حديث الليث بن سعد ، ثلاثهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، به .

وقد ذكر البيهقي<sup>(٢)</sup> أن بني فزارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر ، وتجمعوا لذلك ، فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيناً ، فلما تحققوا ذلك ، هربوا كلّ مهرب ، وذهبوا من طريقه كلّ مذهب . وتقدّم أن رسول الله ﷺ لما حلّت صفيه من استبرائها ، دخل بها بمكان يقال له : سدّ الصهباء ، في أثناء طريقه إلى المدينة ، وأولم عليها بحيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبنى عليه بها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين ، كما فهمه الصحابة لما مدّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه ، رضي الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في « السيرة »<sup>(٣)</sup> قال : لما أعرَسَ رسول الله ﷺ بصفيّة بخير ، أو ببعض الطريق ، وكانت التي جمّلتها إلى رسول الله ﷺ ، ومشطتها ، وأصلحت من أمرها أمّ سليم بنت ملحان ، أمّ أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ في قبة له ، وبات أبو أيوب متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويطيّف بالقبة حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانه قال : « ما لك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدّثني الزهري ، عن سعيد بن المسيّب . فذكر نومهم عن صلاة الصبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . قال : « صدقت » . ثم اقتاد ناقته غير كثير ، ثم نزل فتوضّأ ، وصلى كما كان يصليها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك ، عن الزهري ، عن سعيد مرسل<sup>(٤)</sup> . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود<sup>(٥)</sup> : ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة ، حتى إذا أدركنا الكرى عَرَسَ ، وقال لبلال : « اكلاً لنا الليل » . قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته ، فلم

(١) رواه أبو داود رقم ( ٢٧١٠ ) والنسائي رقم ( ١٩٥٨ ) وابن ماجه رقم ( ٢٨٤٨ ) ، وإسناده ضعيف .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٢٤٨ / ٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٣٩ / ٢ ) .

(٤) رواه مالك في « الموطأ » رقم ( ٢٥ ) مرسل .

(٥) رواه أبو داود رقم ( ٤٣٥ ) ، وهو حديث صحيح .



يستيقظ النبي ﷺ ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه ، حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ، ففرع رسول الله ﷺ وقال : « يا بلال ! » قال : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال : فاقتادوا رواحهم شيئاً ، ثم توضأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام لهم<sup>(١)</sup> الصلاة ، وصلى بهم الصبح ، فلما أن قضى الصلاة قال : « من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وأقم الصلاة للذكرى ﴾<sup>(٢)</sup> [ طه : ١٤ ] » . قال يونس : وكان ابن شهاب يقرأها كذلك .

وهكذا رواه مسلم<sup>(٣)</sup> ، عن حرمة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب ، به . وفيه : أن ذلك كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة ، عن جامع بن شداد ، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالاً هو الذي كان يكلؤهم . وفي رواية أنه هو الذي كان يكلؤهم .

قال الحافظ البيهقي<sup>(٤)</sup> : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة ، وفيه حديث الميضاة ، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المراتين ، أو مرة ثالثة . قال : وذكر الواقدي في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شداد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالله أعلم .

ثم أورد البيهقي<sup>(٥)</sup> ما رواه صاحب « الصحيح »<sup>(٦)</sup> من قصة عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء ، عن عمران بن حصين في قصة نومهم عن الصلاة ، وقصة المرأة صاحبة السطّيحيتين ، وكيف أخذوا منهما ماء روى الجيش بكماله ، ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم<sup>(٧)</sup> من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل ، وفيه نومهم عن الصلاة ، وتكثير الماء من تلك الميضاة .

(١) لفظ « لهم » لم يرد في ( ط ) .

(٢) وقرأها أيضاً كذلك : ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وابن السميع . وقراءة العشرة : لذكرى .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٦٨٠ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٧٥ / ٤ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٧٧ / ٤ ) .

(٦) يعني البخاري وهو عنده رقم ( ٣٤٤ ) .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٦٨١ ) .

وقد رواه عبد الرزاق<sup>(١)</sup> ، عن مَعْمَر ، عن قتادة .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا عبد الواحد ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعري قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر - أو قال : لما تَوَجَّه رسول الله ﷺ [ إلى خيبر ] - أشرف الناس على وادٍ ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعتي وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال : « يا عبد الله بن قيس » . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فذاك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة<sup>(٣)</sup> من طرق ، عن عبد الرحمن بن ملٍّ ، أبي عثمان النُّهدي ، عن أبي موسى الأشعري . والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ؛ فإنَّ أبا موسى إنَّما قدم بعد فتح خيبر ، كما تقدَّم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لقيم العبسي حين افتتح خيبر ما بها من دَجَاجَةٍ أو دَاجِنٍ ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم في فتح خيبر : [ من الكامل ]

رُمِيتْ نَطَاةٌ مِنَ الرُّسُولِ بِفَيْلِقٍ	شَهْبَاءُ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَارٍ
وَاسْتَيْقَنْتُ بِالذُّلِّ لَمَّا شُيِّعْتُ	وَرَجَالُ أَسْلَمَ وَسَطَهَا وَغَفَارٍ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِ زُرْعَةٍ غُدُوَّةٍ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَهْلَهُ بِنَهَارٍ
جَرَّتْ بِأَبْطَحِهَا الدُّيُولُ فَلَمْ تَدَعْ	إِلَّا الدَّجَاجَ تَصِيحُ بِالْأَسْحَارِ
وَلِكُلِّ حَصْنٍ شَاغِلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَوْ بَنِي النَّجَّارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَمُوا سِيْمَاهُمْ	فَوْقَ الْمَغَافِرِ لَمْ يَنْوُوا لِفَرَارِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لِيُغْلِبَنَّ مُحَمَّدٌ	وَلِيُثْوِيَنَّ بِهَا إِلَى أَصْفَارِ
فَرَّتْ يَهُودٌ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْوُغَى	تَحْتَ الْعَجَاجِ غَمَائِمَ الْأَبْصَارِ

\*\*\*

(١) في « المصنف » رقم ( ٢٠٥٣٨ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٠٥ ) .

(٣) رواه مسلم رقم ( ٢٧٠٤ ) وأبو داود رقم ( ١٥٢٦ ) إلى ( ١٥٢٨ ) والترمذي رقم ( ٣٤٦١ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٧٦٧٩ ) إلى ( ٧٦٨١ ) و ( ٨٨٢٣ ) و ( ١٠٣٧١ ) و ( ١١٤٢٧ ) وابن ماجه رقم ( ٣٠٨٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٤٠ ) .

## فصل

من استشهد بخير من الصحابة ،

على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار<sup>(١)</sup> رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين : ربيعة بن أكرم بن سَخْبَرَةَ الأسدي ، مولى بني أمية ، وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح ، حلفاء بني أمية ، وعبد الله بن الهُبَيْب بن أهيب بن سُحَيْم بن غَيْرَةَ ، من بني سعد بن ليث ، حليف بني أسد وابن أختهم .

ومن الأنصار : بشر بن البراء بن معرور - من أَكَلَةَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ مع رسول الله ﷺ كما تقدّم - وفُضَيْل بن النُّعْمَان السَّلَمِيّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدَةَ بن عامر بن زُرَيْق الزُّرَيْقِيّ ، ومحمود بن مسلمة الأشهلِيّ ، وأبو ضِيَّاح بن ثابت بن النُّعْمَان العَمْرِيّ ، والحارث بن حاطب ، وعُرْوَةُ بن مُرَّة بن سُرَّاقَة ، وأوس الفائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثَلَّة ، وطلحة ، وعُمَارَةُ بن عُقْبَةَ ، رمي بسهم فقتله ، وعامر بن الأَكْوَع ، أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله ، رحمه الله ، كما تقدّم ، والأسود الرّاعي . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته ، وقد أسلفناها في أوائل الغزوة ، والله الحمد والمِنَّة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وممن استشهد بخير - فيما ذكره ابن شهاب [ الزُّهري ] - من بني زهرة ، مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، أوس بن قتادة ، رضي الله عنهم أجمعين .

\*\*\*

## [ خبر الحَجَّاج بن عِلَاط البَهْزِيّ ]

رضي الله عنه [٣]

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ولما افتتحت<sup>(٥)</sup> خير ، كلّم رسول الله ﷺ الحَجَّاج بن عِلَاط السُّلَمِيّ ثم البَهْزِيّ ، فقال : يا رسول الله ، إن لي بمكّة مالاً عند صاحبتني أمّ شيبَةَ بنت أبي طلحة - وكانت عنده ، له منها معرّض بن الحَجَّاج - ومالاً متفرقاً في تجّار أهل مكّة ، فأذن لي يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٤٣/٢ - ٣٤٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٤٤/٢ ) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .

(٣) هذا العنوان لم يرد في ( آ ) وأثبتته عن ( ط ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٥٤/٢ ) .

(٥) في ( ط ) : « فتحت » .

لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : « قل » . قال الحجاج : فخرجت حتى [ إذا ] قدمت مكة ، وجدت بشية البيضاء رجالاً من قريش يستمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً ومنعةً ورجالاً ، وهم يتجسسون الأخبار من الرُّكبان ، [ فلمَّا رَأَوْنِي ] قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندي من الخبر ما يسرُّكم . قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج . قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقد قتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله [ قط ] وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد ، إنما تنتظرون<sup>(١)</sup> أن يقدم [ به ] عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة [ و ] على غرمائي ، فإني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فلٍّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كأحثٍّ جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتي فقلت : مالي - وكان عندها مال موضوع - فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار . قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الذي جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء ؛ فإني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عني حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، [ و ] أجمعت الخروج ، لقيت العباس فقلت : احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطلب ، ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حُيٍّ - وقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ، وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إي والله ، فاكنم عني ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلا لأخذ مالي ؛ فرقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله [ على ما تحبُّ ] . قال : [ حتى إذا كان اليوم الثالث ، لبس العباس حلة له وتخلَّق<sup>(٢)</sup> ] وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلمَّا رآوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التَّجَلُّدُ لحرِّ المصيبة . قال : كلاً والله الذي حلفتكم به ، لقد افتتح محمد خيبر ، وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . فقالوا : يا لَبَّادِ الله ،

(١) في (آ) : « تنتظرون » .

(٢) أي : تطيب بالخلوق .

انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . قال : ولم يَنْشُبُوا<sup>(١)</sup> أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعة .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٢)</sup> فقال : ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، سمعت ثابتاً يحدث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر ، قال الحجاج بن علاط : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالاً ، وإن لي بها أهلاً ، وإنني أريد أن آتيهم ، أفأنا في حلٍّ إن أنا نلتُ منك أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندك ؛ فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه ، فإنهم قد استبيحوا وأصبحت أموالهم . قال : وفشى ذلك بمكة ، فانقمع<sup>(٣)</sup> المسلمون وأظهروا المشركون فرحاً وسروراً . قال : وبلغ الخبر العباس فعقر ، وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال معمر : فأخبرني عثمان الجري ، عن مقسم قال : فأخذ ابناً له يقال له : قثم . واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول : [ من مجزوء الرجز ]

حَيَّ قُثْمَ [ حَيَّ قُثْمَ ]<sup>(٤)</sup>  
شَبِيهَ ذِي الْأَنْفِ الْأَشْمِ  
نَبِيَّ ذِي النَّعْمِ  
بِرَغْمٍ مِّنْ رَّغْمٍ

قال ثابت : عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط : ويلك ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، فقال الحجاج بن علاط لغلامه : أقرئ علي أبي الفضل السلام ، وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإن الخبر على ما يسره . فجاء غلامه ، فلمَّا بلغ باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قَبَلَ بين عينيه ، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه . قال : ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حُيَّيٍّ واتخذها لنفسه ، وخيرها أن يعتقها وتكون زوجة ، أو تلحق بأهلها ، فاخترت أن يعتقها وتكون زوجته . قال : ولكنني جئت لمال كان لي ها هنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ ، فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخف علي ثلاثاً ، ثم اذكر ما بدا لك . قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حلِّي ومتاع ، فجمعتها ودفعته إليه ، ثم استمر به ، فلمَّا كان

(١) في (آ) : « ولم يلبثوا » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) في « المسند » ( ١٣٨ / ٣ و ١٣٩ ) ، وإسناده صحيح .

(٣) أي : كأنهم ضربوا بالمقمعة - وهي آلة من حديد كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل - كناية عن القهر والذل . انظر « مختار الصحاح » ( قمع ) .

(٤) ما بين الحاصرتين استدرسته من « المسند » للإمام أحمد بن حنبل .

بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال : ما فعل زوجك ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شقَّ علينا الذي بلغك . قال : أجل ، لا يُحزنني الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خير على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفة لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنك والله صادقاً . قال : فإني صادق ، والأمر على ما أخبرتك . ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مرَّ بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خير فتحها الله على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفة لنفسه ، وقد سألتني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ، ثم يذهب . قال : فردَّ الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس ، فأخبرهم الخبر ، فسُرَّ المسلمون وردَّ الله ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجْه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النسائي<sup>(١)</sup> ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من طريق محمود بن غيلان ، عن عبد الرزاق .

ورواه أيضاً<sup>(٣)</sup> من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه»<sup>(٤)</sup> أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خير . وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خير ، وكانت تحته أم شيبه أخت [بني] عبد الدار بن قصي ، وكان الحجاج مكثرأ من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خير ، استأذن الحجاج رسول الله ﷺ في الذهاب إلى مكة يجمع أمواله ، فأذن له ، فذكر نحو ما تقدّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : ومما قيل من الشعر في غزوة خير قول حسن<sup>(٦)</sup> : [ من الخفيف ]

(١) في «السنن الكبرى» رقم ( ٨٦٤٦ ) .

(٢) في «دلائل النبوة» ( ٢٦٨ / ٤ ) .

(٣) يعني الحافظ البيهقي ، وهو عنده في «دلائل النبوة» ( ٢٦٨ / ٤ ) .

(٤) انظر «دلائل النبوة» للبيهقي ( ٢٦٥ / ٤ ) .

(٥) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام ( ٣٤٧ / ٢ ) .

(٦) الأبيات في «ديوانه» ( ٣٦٩ / ١ ) مع بعض الخلاف .

بئسَ مَا قَاتَلْتَ خِيَابِرُ عَمَّا      جَمَعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ  
كَرَهُوا الْمَوْتَ فَاسْتَبِيحَ جَمَاهُمْ      وَأَقْرُوا فِعْلَ اللَّئِيمِ الذَّلِيلِ  
أَمِنَ الْمَوْتَ يَهْرُبُونَ فَإِنَّ الـ      مَوْتَ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرِ جَمِيلِ

وقال كعب بن مالك<sup>(١)</sup> فيما ذكره ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري : [ من الطويل ]

ونحن وردنا خيبراً وفُروضه      بكلّ فتى عاري الأشاجعِ مَذُودِ<sup>(٢)</sup>  
جوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوى      جريء على الأعداء في كلّ مَشْهَدِ  
عظيم رماد القدر في كلّ شتوة      ضروب بنصل المشرفي المَهْنَدِ  
يرى القتلَ مَذْحاً إنْ أَصَابَ شَهَادَةً      مِنْ الله يَرْجُوها وفوزاً بأحمدِ  
يذود ويَحْمِي عن ذِمَارِ محمدٍ      وَيَذْفَعُ عنه بِاللِّسَانِ وباليَدِ  
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيئُهُ      يُجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ  
يُصَدِّقُ بِالْإِنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مَخْلَصاً      يُرِيدُ بِذَاكَ الْعِزَّ وَالْفَوْزَ فِي غَدِ

\*\*\*

## فصل

في مروره - ﷺ - بوادي [ القرى ] ومحاصرته قوماً من اليهود ،  
[ ومصالحته يهود ] تيماء على ما ذكره الواقدي

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنِي عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة  
[ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى ، وكان رفاعة [ بن زيد بن وهب الجذامي ] قد  
وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له : مِدْعَم . وكان يرحل لرسول الله ﷺ ، فلمَّا نزلنا بوادي القرى  
انتهينا إلى يهود ، وقدم إليها ناس من العرب ، فبينما مِدْعَم يحطُّ رحل رسول الله ﷺ ، وقد استقبلتنا يهود  
بالرَّمي حين نزلنا ، ولم تكن على تعبئة ، وهم يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر ، فأصاب مدعماً  
فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له بالجنة . فقال النبي ﷺ : « كَلَّا والذي نفسي بيده ، إن السَّمْلَةَ التي أخذها يوم  
خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » . فلمَّا سمع بذلك الناس ، جاء رجل إلى  
رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين ، فقال النبي ﷺ : « شراك من نار أو شراكان من نار » . وهذا الحديث

(١) « ديوانه » ص ( ١٦٤ ) .

(٢) أي : مانع .

(٣) انظر « المغازي » ( ٧٠٩ / ٢ ) .

في «الصحيحين» من حديث مالك ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ بنحوه<sup>(١)</sup> .

قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : فعَبَّى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصَفَّهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحققوا دماءهم ، وحسابهم على الله . قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه عليٌّ فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة فقتله ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً ، كُلُّما قتل منهم رجل ، دعا من بقي منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم ، فيصلِّي رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عزَّ وجلَّ ورسوله ، وقاتلهم حتى أَمَسُوا ، وغدا عليهم ، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، فتحتها عنوة ، وغنمهم الله أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنَّخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى ، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلَمَّا كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى ؛ لأنهما داخلتان في أرض الشام ، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز ، وما وراء ذلك من الشام . قال : ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى ، وغنمه الله عزَّ وجلَّ .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حدَّثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعَصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمَارَة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء »<sup>(٤)</sup> . قالت : فذهب رجل من الحيِّ ، فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلَّى سبيله ولم يهجنه ، وضنَّ بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يحبُّها ، فعصى رسول الله ﷺ ، فرأى ما يكره .

\*\*\*

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) .

(٢) انظر «المغازي» (٧١٠/٢) .

(٣) انظر «المغازي» (٧١٢/٢) .

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» برقم (٨٦٥ - بغية الباحث) وفي سنده الواقدي ، وهو متروك ، والقول النبوي في الصحيحين بنحوه من حديث جابر ، في البخاري برقم (٥٢٤٤) و(١٨٠١) ومسلم رقم (٧١٥) الذي بعد (١٩٢٨) .



## فصل

ثبت في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر ، عامل يهودها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث : على أن يعملوها من أموالهم . وفي بعضها<sup>(٢)</sup> : وقال لهم النبي ﷺ : « نقرُّكم [ فيها ] ما شئنا » .

وفي « السير » أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة ، يخرُصُها عليهم عند استواء ثمارها ، ثم يضمَّنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة ، بعث جبَّار بن صخر ، كما تقدَّم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقة كتاب المزارعة من كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : سألت ابن شهاب : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمسها وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال ؛ على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا [ وبينكم ] فأقرُّكم ما أقرَّكم الله » . فقبلوا ، وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفيَّ الله نبيَّه ﷺ ، أقرَّها أبو بكر بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي ، ثم أقرَّهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان »<sup>(٤)</sup> . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله قد أذن لي [ في ] إجلائكم ، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعنَّ في جزيرة العرب دينان » . فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهَّز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ .

(١) رواه البخاري رقم ( ٢٢٨٥ ) و ( ٢٣٢٨ ) و ( ٢٣٣١ ) ومسلم رقم ( ١٥٥١ ) ( ١ ) و ( ٢ ) و ( ٣ ) .

(٢) كما عند البخاري رقم ( ٢٣٣٨ ) و ( ٣١٥٢ ) ومسلم رقم ( ١٥٥١ ) ( ٤ ) و ( ٦ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٥٦ / ٢ ) .

(٤) هو عند أحمد في « المسند » ( ٢٧٤ / ٦ ) من حديث عائشة قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » وإسناده حسن وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند مسلم برقم ( ١٧٦٧ ) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً » .

وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » رواه البخاري رقم ( ٣٠٥٣ ) ومسلم رقم ( ١٦٣٧ ) .

قلت : قد ادعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمئة ، أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ ؛ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغترّ بهذا الكتاب بعض العلماء ، حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ؛ من الشافعية الشيخ أبو علي بن خيرون ، وهو كتاب مزوّر مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بينت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرّض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم ، كابن الصّبّاغ في « شامله » ، والشيخ أبي حامد في « تعليقه » ، وصنّف فيه ابن المسلمة جزءاً منفرداً للردّ عليه . وقد تحرّكوا به بعد السبعمئة ، وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه ، فإذا هو مكذوب ؛ فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه علي بن أبو طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ، ولم تكن شرعت بعد ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدنا ، فلما قدمنا تفرّقنا في أموالنا . قال : فعُدِّي عليّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ، ففدعت يداي من مرفقيّ ، فلما استصرخت عليّ صاحبيّ ؛ فأتاني فسلّاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري . فأصلحنا من يديّ ، ثم قدما بي إلى عمر ، فقال : هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنّا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه كما بلغكم ، مع عدوتهم على الأنصاريّ قبله ، لا نشكّ أنهم كانوا أصحابه ، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به ، فإنّي مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله ، وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ ، كما هو ثابت في « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

\*\*\*

قال الحافظ أبو بكر البيهقيّ في « الدلائل »<sup>(٣)</sup> : جماع أبواب السرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضيّة ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٥٧ / ٢ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٢٧٣٧ ) و ( ٢٧٦٤ ) و ( ٢٧٧٢ ) ومسلم رقم ( ١٦٣٢ ) و ( ١٦٣٣ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٩٠ / ٤ ) .

## سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا بهز ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا إياس بن سلمة ، حدثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة ، وأمره رسول الله ﷺ علينا ، فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء ، أمرنا أبو بكر فعزسنا ، فلما صلينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننا الغارة ، فقتلنا على الماء من [ مر ] قبلنا<sup>(٢)</sup> . قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه من الذرية والنساء ، نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم فوق بينهم وبين الجبل . قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتته على الماء ، وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من آدم ، ومعها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنقلني أبو بكر بنتها . قال : فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ، ثم بثت فلم أكشف لها ثوباً . قال : فلقيني رسول الله ﷺ في السوق ، فقال لي : « يا سلمة ، هب لي المرأة » . قال : فقلت : والله يا رسول الله لقد أعجبني ، وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : « يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك » . قال : فقلت : يا رسول الله ، والله لقد أعجبني وما كشفت لها ثوباً . وهي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ، وفي أيديهم أسارى من المسلمين ، ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث عكرمة بن عمار ، به .

\*\*\*

## سرية عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه إلى تربة من أرض هوازن وراء مكة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق الواقدي بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في ثلاثين راكباً ، ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسرون الليل ويكمنون النهار ، فلما انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم ، وكرَّ عمر راجعاً إلى المدينة ، فقليل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٦ / ٤ ) .

(٢) كذا في ( ط ) وما بين الحاصرتين لم يرد في ( آ ) .

(٣) هو عند مسلم في « صحيحه » رقم ( ١٧٥٥ ) وعند البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٩٠ / ٤ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٩٢ / ٤ ) .

## سرية عبد الله بن رَوَاحَة إلى يُسير بن رِزام اليهودي

ثم أورد<sup>(١)</sup> من طريق ابن لهيعة<sup>(٢)</sup> ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق موسى بن عقبة ، عن الزهري ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رَوَاحَة في ثلاثين راكباً ، فيهم عبد الله بن أنيس ، إلى يُسير بن رِزام اليهودي ، حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسول الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر . فلم يزلوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً ، مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قرقرة ثبار ، وهي من خيبر على ستة أميال ، ندم يسير بن رِزام ، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، فزجر بعيره ، ثم اقتحم يسوق بالقوم ، حتى إذا استمكن من يُسير ، ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يُسير وفي يده مخرش من شوحط ، فضرب به وجه عبد الله بن أنيس فشجّه شجّة مأمومة ، وانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدة ، ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله ﷺ في شجّة عبد الله بن أنيس ، فلم تقح ولم تؤذ حتى مات .

\*\*\*

## سرية أخرى مع بشير بن سعد

روى<sup>(٣)</sup> من طريق الواقدي بإسناده ، أن رسول الله ﷺ بعث بشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرّة في أرض فدك ، فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه ، وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتلاً شديداً ، ثم لجأ إلى فدك ، فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : [ ثم ] بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة . فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدري ، وكعب بن عجرة ، ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك حليف بني مرّة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله . وأن الصحابة لاموه على ذلك ، حتى سقط في يده وندم على ما فعل .

- (١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده ( ٢٩٣ / ٤ ) .
- (٢) قال الحافظ في « تقريب التهذيب » وهو صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب أعدل من غيرهما ، وله في مسلم بعض شيء مقرون .
- (٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده ( ٢٩٥ / ٤ ) .
- (٤) انظر « المغازي » ( ٧٢٣ / ٢ ) .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بُكير ، [ عن ] ابن إسحاق ، عن شيخ من بني سلمة ، عن رجال من قومه ، أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مُرّة ، فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من الحُرقة . قال : فقتله أسامة .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني محمد بن أسامة بن محمد بن أسامة ، عن أبيه ، عن جدّه أسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار - يعني مرداس بن نهيك - فلما شهرنا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه ، فقال : « يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ » فقلت : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله ؟ » فوالذي بعثه بالحق ما زال يردّها عليّ حتى تمنّيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وأنّي أسلمت يومئذٍ ولم أقتله . فقلت : إني أُعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، أبداً . فقال : « بعدي يا أسامة » . فقلت : بعدك .

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا هُشيم بن بشير ، أنبأ حُصين ، عن أبي ظبيان قال : سمعت أسامة بن زيد يُحدّث قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة . قال : فصبّحناهم ، وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدّهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتهم . قال : فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلما تغشينا قال : لا إله إلا الله . فكفّ عنه الأنصاري وقتلته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « يا أسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، إنما كان متعوذاً [ من القتل ] . قال : فكرّرها عليّ حتى تمنّيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

وأخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> من حديث هُشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدّثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجُهني ، عن جُنْدُب بن مكيث الجُهني قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب ليث ، إلى بني الملوّح بالكديد<sup>(٥)</sup> ، وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سرّيته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقديد<sup>(٦)</sup> ، لقينا الحارث بن مالك بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٦٢٣ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٥ / ٢٠٠ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٢٦٩ ) و ( ٦٨٧٢ ) ومسلم رقم ( ١٥٩ ) ( ٩٦ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٦٠٩ ) .

(٥) الكديد : واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة . عن حاشية شيخنا العلامة حمّد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ص ( ٣٦٠ ) .

(٦) قديد : موضع بين الحرمين . انظر « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ، ص ( ٣٣٤ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

البرصاء اللَّيْثِيَّ ، فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم . فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لتُسلم ، فلا يضرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا [ منك ] . قال : فأوثقه رباطاً وخلّف عليه رويجلاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإن نازعك فاحتزّ رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشيةً بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه ، فعمدت إلى تلّ يطلّ عليّ على الحاضر فانبطحت عليه ، وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم ، فنظر فرآني منبطحاً على التلّ ، فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التلّ ما رأيته في أول النهار ، فانظري لا تكون الكلاب اجتزّت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئاً . قال : فناوليني قوسي وسهمين من نبلي . فناولته ، فرماني بسهم في جبيني - أو قال : في جنبي - فنزعتة فوضعتة ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبتي ، فنزعتة فوضعتة ولم أتحرك . فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْمَايَ ، ولو كان ربيّةً<sup>(١)</sup> لتحرك ، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذيهما ، لا تمضغهما عليّ الكلاب .

قال : فأمهلنا ، حتى إذا راحت روايحهم ، وحتى احتلبوا وعطّونا وسكنوا ، وذهبت عتمة من الليل ، شتّنا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النعم ، ووجّهنا قافلين به ، وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا . قال : وخرجنا سراعاً حتى نمرّ بالحارث بن مالك بن البرصاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد ، بعث الله من حيث شاء ماءً ، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يُقدّم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ، ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدُّ بها أو نحدوها - شكّ الثَّقَلِيّ - فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> من حديث محمد بن إسحاق ، فقال في روايته : عبد الله بن غالب . والصواب غالب بن عبد الله كما تقدّم .

وذكر الواقدي<sup>(٣)</sup> هذه القصة بإسناد آخر ، وقال فيه : وكان معه من الصحابة مئة وثلاثون رجلاً .

ثم ذكر البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق الواقديّ سرية بشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب ، وغنموا نعماً كثيراً ، وكان بعثه في هذه السريّة بإشارة أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما ، وكان

(١) الرّبيّة : طليعة القوم الذي ينظر لئلا يدهم العدو . « لسان العرب » ( رباً ) .

(٢) في « سننه » رقم ( ٢٦٧٨ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « المغازي » ( ٧٢٦/٢ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٣٠١/٤ ) .

معه من المسلمين ثلاثمئة رجل ، ودليله حُسَيْل بن نُويرَة ، وهو الذي كان دليلَ النَّبِيِّ ﷺ [ إلى خيبر ] .  
قاله الواقدي<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

### سَرِيَّة أَبِي حَدَرَدٍ إِلَى الْغَابَةِ

قال يونس ، عن محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته إلى الغابة ما حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، عن أبي حدرد قال : تزوّجت امرأة من قومي فأصدقته مئتي درهم . قال : فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي ، فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مئتي درهم . فقال : « سُبْحَانَ اللَّهِ ! والله لو كنتم تأخذونها من وادٍ ما زاد ، والله ما عندي ما أعينك به » . فلبثت أياماً ، ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه . في بطن عظيم من جُشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف في جشم . قال : فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقَدَّم لنا شارباً عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلّغوا على هذه » . فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس ، فكمننا في ناحية ، وأمرت صاحبي فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشدت في العسكر فكبروا وشدّوا معي . فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرّة أو نرى شيئاً ، وقد غشنا الليل حتى ذهب فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم وتخوّفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعه بن قيس ، فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقننّ أمر راعينا ، ولقد أصابه شرٌّ . فقال نفر ممّن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك . فقال : لا يذهب إلا أنا . قالوا : فنحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى يمرّ بي ، فلمّا أمكنني نفحته بسهم ، فوضعت في فؤاده ، فوالله ما تكلم ، فوثبت إليه فاحتزّزت رأسه ، ثم شددت ناحية العسكر وكبرت ، وشدّ صاحباي وكبرا ، فوالله ما كان إلا النّجاء ممّن كان [ فيه ] عندك [ عندك ]<sup>(٣)</sup> ، بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خفّ معهم من أموالهم ، واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بغيراً في صداقي ، فجمعت إليّ أهلي .

(١) انظر « المغازي » ( ٧٢٧ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٩ / ٢ ) .

(٣) قال أبو ذر الخشني في « شرح غريب السيرة النبوية » ( ١٧٤ / ٣ ) : « عندك عندك ، كلمتان بمعنى الإغراء » .

## السَّريَّة التي قتل فيها محمِّلُ بن جثَّامة عامر بن الأَضْبَط

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدَّثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين ، منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومحمِّل بن جثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مرَّ بنا عامر بن الأَضْبَط الأشجعيُّ على قعود له ، معه مُتَبِّع له ، ووطب من لبن ، فسَلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محمِّل بن جثَّامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتَّبعه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسَلَمْتُ لَكُمْ تَوْتُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمُرَّكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [ النساء : ٩٤ ] .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه فذكره<sup>(٢)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدَّثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضمريُّ يحدث عُروَةَ بن الزبير ، عن أبيه وجده - قال : وكنا شهدا حينئذ - قال : فصلَّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فقام إلى ظلِّ شجرة ، فقعده فيه ، فقام إلى عينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأَضْبَط الأشجعيِّ ، وهو سيد قيس ، وجاء الأقرع بن حابس يردُّ عن محمِّل بن جثَّامة وهو سيد خندف ، فقال رسول الله ﷺ لقوم عامر : « هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بغيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فقال عينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له : ابن مُكَيْتِل . وهو قصد من الرجال ، فقال : يا رسول الله ، ما أجد لهذا القتل مثلاً في غرة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أولاهها فنفرت أخرها ، اسنن اليوم وغير غداً . فقال رسول الله ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بغيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدِّية ، فقال قوم محمِّل بن جثَّامة : اتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ . قال : فجاء رجل طوال ضرب اللحم ، في حلَّة قد تهَيَّأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « اللهم لا تغفر لمحمِّل » . [ قالها ثلاثاً ] فقام وإنه ليتلقَّى دموه بطرف ثوبه . قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٦٦/٢ ) .

(٢) انظر « المسند » ( ١١/٦ ) ، إسناده محتمل للتحسين .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٦٧/٢ ) .



وهكذا رواه أبو داود<sup>(١)</sup> من طريق حماد بن سلمة ، عن ابن إسحاق .

ورواه ابن ماجه<sup>(٢)</sup> ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة ، عن أبيه وعمه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدّه .

وهكذا رواه أبو داود<sup>(٣)</sup> من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدّه ، بنحوه كما تقدّم .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدّثني سالم أبو النضر أنه قال : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال : يا معشر قيس ، سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إياه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ، أو يلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ، والله لتُسلمنَّه إلى رسول الله ﷺ أو لآتينَّ بخمسين من بني تميم [ كلهم ] يشهدون أن القتيل كافر ما صلّى قط ، فلا تُلنَّ دمه . فلمّا قال ذلك لهم ، أخذوا الدية . وهذا منقطع معضل .

وقد روى ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، عمّن لا يتهم ، عن الحسن البصريّ ، أن محملاً لما جلس بين يديه ، عليه الصلاة والسلام ، قال له : « أمتته بالله ثم قتلته ؟ ! » ثم دعا عليه . قال الحسن : فوالله ما مكث محملاً إلا سبعا حتى مات ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ رسول الله ﷺ فقال : « إن الأرض لتطابق على من هو شرُّ منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُزم ما بينكم بما أراكم منه » .

وقال ابن جرير<sup>(٦)</sup> : ثنا وكيع ، ثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ محملاً بن جثامة مبعثاً ، فلقبهم عامر بن الأضبط فحيّاهم بتحية الإسلام - وكانت بينهم حنة في الجاهلية - فرماه محملاً بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ ، فتكلّم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله ، سُنَّ اليوم وغير غداً . فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثُّكل ما ذاق نسائي . فجاء محملاً في بُردين ، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فقال رسول الله ﷺ :

(١) في « سننه » رقم ( ٤٥٠٣ ) ، وإسناده ضعيف .

(٢) في « سننه » رقم ( ٢٦٢٥ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) في « سننه » رقم ( ٤٥٠٣ ) ، وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٠٨ / ٤ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٦٢٨ / ٢ ) .

(٦) في « تفسيره » ( ٢٢٢ / ٥ ) ، وهذه القصة رواها ابن إسحاق بالعننة ، فهي ضعيفة .

« لا غفر الله لك » . فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت له ساعة حتى مات ، فدفنوه فلفظته الأرض ، فجاءوا النبي ﷺ فذكروا ذلك له ، فقال : « إِنَّ الْأَرْضَ تَقْبِلُ مِنْهُ شَرٌّ مِنْ صَاحِبِكُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَعْظَمَكُمْ مِنْ حُرْمَتِكُمْ » . ثم طرحوه بين صدفى جبل ، فألقوا عليه من الحجارة ، ونزلت : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنُوا ﴾ الآية [ النساء ٩٤ ] . وقد ذكره موسى بن عقبة ، عن الزهري ، ورواه شعيب ، عن الزهري ، عن عبد الله بن موهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمَّ محلِّم بن جثامة ، ولا عامر بن الأضبط . وكذلك رواه البيهقي<sup>(١)</sup> ، عن الحسن البصري بنحو هذه القصة ، وقال : وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقِيُنُوا ﴾ الآية .

قلت : وقد تكلمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في « التفسير »<sup>(٢)</sup> بما فيه الكفاية ، والله الحمد والمنة .

\*\*\*

### سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ

ثبت في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> من طريق الأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، عن علي بن أبي طالب قال : استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية ، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا . قال : فأغضبوه في شيء فقال : اجمعوا لي حطباً . فجمعوا ، فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبي ﷺ ، ذكروا ذلك له ، فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من طريق يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقد تكلمنا عن هذه الآية بما فيه كفاية في « التفسير »<sup>(٥)</sup> والله الحمد والمنة .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٣١٠ / ٤ ) .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٣٣٦ / ٢ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٣٤٠ ) و ( ٧١٤٥ ) ومسلم رقم ( ١٨٤٠ ) ( ٤٠ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٥٨٤ ) ومسلم رقم ( ١٨٣٤ ) .

(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٣٠٤ / ٢ ) .

## عَمْرَةُ الْقَضَاءِ

ويقال : القصاص ، ورجَّحه السهيلي . ويقال : عمرة القضية . فالأول قضاء عما كان أحصر عام الحُدَيْبِيَّة ، والثاني من قوله تعالى : ﴿ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ ﴾ [ البقرة : ١٩٤ ] . والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها ، على أن يرجع عنهم عامه هذا ، ثم يأتي في العام القابل ، ولا يدخل مكة إلا في جُلْبَان السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة « الفتح » المباركة : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [ الفتح : ٢٧ ] . وقد تكلَّمنا عليها مستقصى في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية . وهي الموعود بها في قوله ، عليه الصلاة والسلام ، لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدثنا أننا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوف به » . وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحَةَ حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ إلى مكة ، يوم عمرة القضاء وهو يقول<sup>(١)</sup> : [ من الرجز ]

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      اليوم نضربكم على تأويله  
كما ضربناكم على تنزيله

أي : هذا تأويل الرؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ ، جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة ، أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوالاً ، يبعث فيما بين ذلك سراياه ، ثم خرج في ذي القعدة ، في الشهر الذي صدَّه فيه المشركون ، معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدَّوه عنها - قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عوف بن الأضبط الدثلي - ويقال لها : عمرة القصاص ؛ لأنهم صدَّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتصر رسول الله ﷺ منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة ، في الشهر الحرام الذي صدَّوه فيه من سنة سبع . بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ ﴾ .

وقال معتمر بن سليمان<sup>(٣)</sup> ، عن أبيه في « مغازيه » : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من خيبر ، أقام بالمدينة وبعث سراياه ، حتى استهلَّ ذو القعدة ، فنادى في الناس أن يتجهَّزوا للعمرة . فتجهَّزوا وخرجوا إلى مكة .

(١) الأبيات في « ديوانه » ( ١٤٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٠ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣١٤ / ٤ ) .

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدد معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحذت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدّثني من لا أتّهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صقوا له عند دار الندوة ؛ لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد ، اضطجع بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : « رحم الله امرأ أراه اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ، ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش ؛ للذي بلغه عنهم ، حتى حجّ حجة الوداع ، فلزمها ، فمضت السنة بها .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد ، هو ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد وهنهم حمى يثرب . فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . قال أبو عبد الله : وزاد ابن سلمة - يعني حماد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : لمّا قدم النبي ﷺ لعامة الذي استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوتكم » ، والمشركون من قبل قعيقعان .

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> ، عن أبي الزبيع الزهراني ، عن حماد بن زيد . وأسند البيهقي<sup>(٥)</sup> طريق حماد بن سلمة .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله ﷺ ، سترناه من غلمان المشركين ومنهم ؛ أن يؤذوا رسول الله ﷺ . وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته يقول<sup>(٨)</sup> : [ من الرجز ]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٠ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧١ / ٢ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٢٥٦ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٢٦٦ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٣٢٦ / ٤ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤٢٥٥ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧١ / ٢ ) .

(٨) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٤٤ ) .

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله      خَلُّوا فكلُّ الخير في رسوله  
يا ربَّ إني مؤمنٌ بقبيله      أعرفُ حقَّ الله في قبوله  
نحن قَتَلْنَاكُمْ على تأويله      كما قَتَلْنَاكُمْ على تَنْزِيلِهِ  
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ      وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : نحن قتلناكم على تأويله . إلى آخر الأبيات لعَمَّار بن ياسر في غير هذا اليوم .  
يعني يوم صفين . قاله السهيلي<sup>(٢)</sup>

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرؤوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظراً ؛ فَإِنَّ الحافظ البيهقيَّ روى من غير وجه<sup>(٣)</sup> ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهري ، عن أنس قال : لَمَّا دخل النبي ﷺ مَكَّةَ في عُمْرَةِ الْقَضَاءِ ، مشى عبد الله بن رواحة بين يديه - وفي رواية : وهو آخذ بغُرْزِهِ<sup>(٤)</sup> - وهو يقول : [ من الرجز ]

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله      قد نَزَلَ الرحمن في تنزيله  
بأنَّ خيرَ القتل في سبيله      [ نحن قَتَلْنَاكُمْ على تأويله ]

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه : [ من الرجز ]

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله      اليوم نضربكم على تنزيله  
ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ      وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ  
يا ربَّ إني مؤمنٌ بقبيله

وقال يونس بن بكير<sup>(٥)</sup> ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ دخل عام الفضيَّة مكة ، فطاف بالبيت على ناقته ، واستلم الرُّكنَ بمحجنه - قال هشام : من غير عِلَّة - والمسلمون يشتدُّون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول<sup>(٦)</sup> : [ من الرجز ]

بسمِ الَّذِي لا دِينَ إِلا دِينُهُ      بسمِ الَّذِي محمدٌ رسولُهُ  
خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧١ / ٢ ) .

(٢) انظر « الروض الأنف » ( ٢٨ / ٧ ) .

(٣) في دلائل النبوة ( ٣٢٢ / ٤ - ٣٢٣ ) .

(٤) الغرز : رِكَابُ الرَّحْلِ .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٢٥ / ٤ ) .

(٦) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٤٦ ) .

قال موسى بن عقبة<sup>(١)</sup> ، عن الزهري : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحديبية معتمراً ، في ذي القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صدّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجج وضع الأداة كلّها ؛ الحجف والمجانّ والرّماح والنّبل ، ودخلوا بسلاح الراكب ؛ السيوف ، وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العامريّة ، فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس ، وكان تحته أختها أمّ الفضل بنت الحارث ، فزوّجها العباس رسول الله ﷺ ، فلمّا قدم رسول الله ﷺ ، أمر أصحابه فقال : « اكشفوا عن المناكب ، واسعوا في الطواف » . ليرى المشركون جلدكم وقوتهم ، وكان يكايدهم بكلّ ما استطاع ، فاستكفّ أهل مكة ؛ الرجال والنساء والصّبيان ، ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشّحاً بالسيف ، وهو يقول<sup>(٢)</sup> : [ من الرجز ]

خلّوا بني الكفّار عن سبيله      خلّوا فكلّ الخير في رُسُولِهِ<sup>(٣)</sup>  
قد أنزل الرحمن في تنزيله      في صحف تتلى على رُسُولِهِ  
فاليوم نضربكم على تأويله      كما ضربناكم على تنزيله  
ضرباً يزيل الهام عن مقيله      ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيّب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ ؛ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة ، وحسداً ، وخرجوا إلى الخندمة ، فقام رسول الله ﷺ بمكة ، وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلمّا أن أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزّي ، ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدّث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزّي : نناشدك الله والعقد لمّا خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاث . فقال سعد بن عبادة : كذبت ، لا أمّ لك ، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك ، والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة ، فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟ » . فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا . فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل بطن سرف ، وأقام المسلمون ، وخلف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، [ وقد لقيت ميمونة ] ومن معها عناء وأذى من سفهاء المشركين ومن

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٢٥ / ٤ ) و « زاد المعاد » ( ٣٢٧ / ٣ ) .

(٢) انظر « ديوان عبد الله بن رواحة » ص ( ١٤٤ ) وهي في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧١ / ٢ ) و « زاد المعاد »

( ٣٢٨ / ٣ ) و « الروض الأنف » ( ٨ / ٧ ) مع تقديم وتأخير ونقص وزيادة .

(٣) تنبيه : لفظ الشطرة الثانية في ( آ ) و ( ط ) : « أنا الشهيد أنه رسوله » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام

و « ديوانه » ص ( ١٤٤ ) .

صبيانهم ، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف ، فبنى بها ، ثم أدلج ، فسار حتى قدم<sup>(١)</sup> المدينة .

وقدّر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ .

ثم ذكر قصة ابنة حمزة ، إلى أن قال : وأنزل الله ، عزّ وجلّ ، في تلك العمرة : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ﴾ [ البقرة : ١٩٤ ] . فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صدّ فيه .

وقد [ روى ] ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير نحوه من هذا السياق .

[ ولهذا السياق ] شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ، ففي « صحيح البخاري »<sup>(٢)</sup> من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر من العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلمّا أن أقام بها ثلاثاً أمره أن يخرج فخرج .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حدّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء ، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل ، في الشهر الذي صدّهم فيه المشركون .

وقال أبو داود<sup>(٤)</sup> : ثنا النّفيليّ ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حاضر الحميريّ يحدث [ أبي ] ميمون بن مهران قال : خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزّبير بمكة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي . قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام ، منعونا أن ندخل الحرم . قال : فنحرت الهدي مكاني ، ثم أحللت ، ثم رجعت ، فلمّا كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي ، فأتيت ابن عباس فسألته ، فقال : أبدل الهدي ؛ فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحديبية ، في عمرة القضاء . تفرد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميريّ ، عن ابن عباس ، فذكره .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٥)</sup> : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يُسأل كثيراً : هل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر ، حين صدّه المشركون عن البيت ؟ ولا يجد في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر

(١) في ( ط ) : « فأتى » .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم ( ٤٢٥٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣١٨ / ٤ ) .

(٤) في « سننه » رقم ( ١٨٦٤ ) ، وإسناده ضعيف .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٣١٩ / ٤ ) .

الحميري عن ذلك ، فقال له : على الخير سقطت ، حججت عام ابن الزبير في الحصر الأول ، فأهديت هدياً ، فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ، ورجعت إلى اليمن ، وقلت : لي برسول الله ﷺ أسوة . فلمّا كان العام المقبل حججت ، فلقيت ابن عباس ، فسألته عما نحرت : عليّ بدله أم لا ؟ قال : نعم فأبدل ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدى الذي نحروا عام صدّهم المشركون ، فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزّت الإبل عليهم ، فرخص لهم رسول الله ﷺ في البقر .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : حدّثني غانم بن أبي غانم ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : جعل رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلمي على هديه ، يسير بالهدي أمامه ، يطلب الرعي في الشجر ، معه أربعة فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضية ستين بدنة .

فحدّثني<sup>(٢)</sup> محمد بن نعيم المجر ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وسار رسول الله ﷺ يلبي والمسلمون معه يلثون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيـل إلى مرّ الظهران ، فيجد بها نفرأ من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ، فقال : هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله . ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيـل ، ففزعت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا وهدنتنا ، فقيم يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران ، وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجج ، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعث قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدي والسلاح ، قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ، ما عرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القرب ؟ فقال النبي ﷺ : « إني لا أدخل عليهم السلاح » . فقال مكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به ؛ البرّ والوفاء . ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة [ فقال : إن محمداً لا يدخل بسلاح ، وهو على الشرط الذي شرط لكم ] فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبي ﷺ ، خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال ، وخلّوا مكة ، وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه . فأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء ، وهم محدقون به يلثون ، وهم متوشّحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طوى ، وقف على ناقته

(١) انظر « المغازي » ( ٧٣٢ / ٢ ) .

(٢) القائل الواقدي في « المغازي » ( ٧٣٢ / ٢ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ٧٣٤ / ٢ ) .



القصواء ، [ والمسلمون حوله ، ثم دخل من الثَّيَّة التي تطلعه على الحَجُون على راحلته القصواء ] وابن رواحة أخذ بزمامها ، وهو يرتجز بشعره ويقول<sup>(١)</sup> : [ من الرجز ]

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

إلى آخره .

وفي « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة - يعني من ذي القعدة سنة سبع - فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب . فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا محمد بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل ، يعني ابن زكريا ، عن عبد الله بن عثمان ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مرَّ الظَّهران في عمرته ، بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول : ما يتباعثون من العجف . فقال أصحابه : لو انتحرننا من ظهرك ، فأكلنا من لحمه ، وحسونا من مرقه ، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جَمَامَة . فقال : « لا تفعلوا ، ولكن اجمعوا لي من أزوادكم » . فجمعوا له ، وبسطوا الأنطاع ، فأكلوا حتى تركوا ، وحثا كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد ، وقعدت قريش نحو الحجر ، فاضطجع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غَمِيزَة » . فاستلم الرُّكن ثم رمل ، حتى إذا تغَيَّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضون بالمشي ، أما إنهم لينفزون نقر الظُّباء . ففعل ذلك ثلاثة أطواف ، فكانت سُنَّة . قال أبو الطفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حَجَّة الوداع . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبو داود<sup>(٤)</sup> : ثنا أبو سلمة موسى ، ثنا حمَّاد - يعني ابن سلمة - أنبأنا أبو عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت ، وأن ذلك سُنَّة . فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ؛ رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ؛ ليس بسُنَّة ، إنَّ قريشاً قالت زمن الحديبية : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النَّعْف . فلمَّا صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قبل

(١) انظر « ديوانه » ص ( ١٤٤ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٢٥٦ ) ومسلم رقم ( ١٢٦٦ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٠٥ / ١ ) ، وإسناده حسن .

(٤) في « سننه » رقم ( ١٨٨٥ ) ، وهو حديث صحيح .

قعيقان ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثاً » . قال : وليس بسنة .

وقد رواه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث سعيد الجُريري ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس ، به نحوه .

وكون الرَّمَل في الطَّواف سنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء ، وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، فذكره<sup>(٢)</sup> . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره ، أنه صَلَّى الله عليه وسلم رمل في حجة الوداع في الطواف<sup>(٣)</sup> . ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرَّمَلان وقد أَطَّأَ الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> وموضع تقرير هذا كتاب « الأحكام » .

وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سنة ، كما ثبت في « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ؛ ليرى المشركين قوّته ، لفظ البخاري .

وقال الواقدي<sup>(٦)</sup> : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء ، دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول . وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم بلال بن أمّ بلال ينهق فوق الكعبة . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه ، لمّا سمعوا بذلك غَطَّوا وجوههم .

قال الحافظ البيهقي<sup>(٧)</sup> : قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقي<sup>(٨)</sup> من طريق الواقدي ؛ أن هذا كان في عُمرة القضاء . والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح ، والله أعلم .

(١) في « صحيحه » رقم ( ١٢٦٤ ) و ( ١٢٦٥ ) .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ١٨٩٠ ) وابن ماجه ( ٢٩٥٣ ) وهو حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٢١٨ ) .

(٤) أي : ثبت .

(٥) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود ( ١٨٨٧ ) وابن ماجه ( ١٩٥٢ ) وهو حديث صحيح .

(٦) رواه البخاري رقم ( ١٦٤٩ ) و ( ٤٢٥٧ ) ومسلم رقم ( ١٢٦٦ ) ( ٢٤١ ) .

(٧) انظر « المغازي » ( ٧٣٧ / ٢ ) .

(٨) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٢٩ / ٤ ) .

(٩) في « دلائل النبوة » ( ٣٢٩ / ٤ ) .

## وأما قصة تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بميمونة

فقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ عَطَاءٍ وَمَجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ وَهُوَ حَرَامٌ ، وَكَانَ الَّذِي زَوَّجَهُ إِثَّاها الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَتْ جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى أختها أُمِّ الْفَضْلِ ، فَجَعَلَتْ أُمُّ الْفَضْلِ أَمْرَهَا إِلَى زَوْجِهَا الْعَبَّاسِ ، فَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعُمِئَةِ دِرْهَمٍ .

وذكر الشَّهْلِيُّ<sup>(٢)</sup> أَنَّهُ لَمَّا انْتَهَتْ إِلَيْهَا خِطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا وَهِيَ رَاكِبَةٌ بَعِيرًا قَالَتْ : الْجَمَلُ وَمَا عَلَيْهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ : وَفِيهَا نَزَلَتِ الْآيَةُ : ﴿ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقد روى البخاري<sup>(٣)</sup> من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ ، وَمَاتَ بِسَرَفٍ .

قال الشَّهْلِيُّ<sup>(٤)</sup> : وَرَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْأَسْوَدِ يَتِيمِ عُرْوَةَ ، وَمِنْ طَرِيقِ مَطَرِ الْوَرَّاقِ ، عَنْ عَكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ . قَالَ : وَتَأَوَّلُوا رَوَايَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ الْأُولَى أَنَّهُ كَانَ مُحْرَمًا ؛ أَيِ فِي شَهْرِ حَرَامٍ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ<sup>(٥)</sup> : [ من الكامل ]

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرَمًا فَدَعَا<sup>(٦)</sup> فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ مَخْذُولًا

أَيِ : فِي شَهْرِ حَرَامٍ .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ؛ لِأَنَّ الرِّوَايَاتِ مُتَظَاْفِرَةً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَلَا سِيَّما قَوْلُهُ : تَزَوَّجَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ ، وَبَنَى بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ ، وَقَدْ كَانَ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ أَيْضًا ، وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ .

وقال محمد بن يحيى الذُّهْلِيُّ : ثنا عبد الرزاق قال : قال لي الثَّوْرِيُّ : لَا تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ أَخْبَرَنِي عَمْرُو ، عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ وَهُوَ مُحْرَمٌ .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٢ / ٢ ) .

(٢) انظر « الروض الأنف » ( ٢٩ / ٧ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٥٨ ) .

(٤) انظر « الروض الأنف » ( ٣٠ / ٧ ) .

(٥) وهو الراعي النميري ، والبيت في « ديوانه » ص ( ٢٠٧ ) .

(٦) كذا في كتابنا هنا ، وفي « الروض الأنف » ( ٣٠ / ٧ ) : « فدعا » وفي « زاد المعاد » ( ٣٣٠ / ٣ ) : « ورعاً » .

قال أبو عبد الله<sup>(١)</sup> : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعاً ؛ عن عمرو عن أبي الشعثاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> ، وابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> ؟ قال : نعم ، أمّا حديث ابن خثيم فحدّثنا هاهنا - يعني باليمن - وأمّا حديث عمرو فحدّثنا ثمّ - يعني بمكة - وأخرجاه في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث عمرو بن دينار به .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٥)</sup> من طريق الأوزاعي ، أنبأنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة وهو محرّم .

فقال سعيد بن المسيّب : وهَمَّ<sup>(٦)</sup> ابن عباس ، وإن كانت خالته ؛ ما تزوّجها إلا بعد ما أحلّ .

وقال يونس<sup>(٧)</sup> ، عن ابن إسحاق : حدّثني ثقة ، عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : هذا عبد الله بن عباس ، يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرّم . فذكر كلمته : إنّما قدم رسول الله ﷺ مكة ، فكان الحلّ والنكاح جميعاً ، فشبّه ذلك على الناس .

وروى مسلم وأهل السنن<sup>(٨)</sup> من طرق ، عن يزيد بن الأصمّ العامريّ ، عن خالته ميمونة بنت الحارث قال : تزوّجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف . ولكن قال الترمذيّ : روى غير واحد هذا الحديث ، عن يزيد بن الأصمّ مرسلأ ، أن رسول الله ﷺ تزوّج ميمونة [ وهو حلال ] .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٩)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله [ الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله ] محمد بن عبد الله الأصفهانيّ الزاهد ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا مطر الورّاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوّج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت الرسول بينهما .

- 
- (١) يعني ( الذّهليّ ) وهو محمد بن يحيى بن عبد الله الذّهليّ النّيسابوريّ ، أبو عبد الله ، المتوفى سنة ( ٢٥٨ ) هـ . انظر « شذرات الذهب » ( ٢٥٩ / ٣ ) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
  - (٢) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل ( ٣٦٢ / ١ ) ، وإسناده صحيح .
  - (٣) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل ( ٢٨٣ / ١ و ٣٦٢ ) ، وإسناده حسن .
  - (٤) رواه البخاري رقم ( ٥١١٤ ) ومسلم رقم ( ١٤١٠ ) .
  - (٥) رقم ( ١٨٣٧ ) .
  - (٦) أي : ذهب وهمه إليه . قاله ابن الأثير في « جامع الأصول » ( ٥٢ / ٣ ) وقد ذكر أبو داود أثر ابن المسيّب هذا في « سننه » رقم ( ١٨٤٥ ) وهو صحيح مقطوع .
  - (٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٣٦ / ٤ ) .
  - (٨) هو عند مسلم رقم ( ١٤١١ ) وأبي داود رقم ( ١٨٤٣ ) والترمذي رقم ( ٨٤٥ ) والنسائي رقم ( ٥٤٠٤ ) وابن ماجه رقم ( ١٩٦٤ ) .
  - (٩) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٣٦ / ٤ ) .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> جميعاً ، عن قتيبة ، عن حماد بن زيد ، به ، ثم قال الترمذي : حسن ، ولا نعلم أحداً أسنده غير حماد عن مطر . ورواه مالك ، عن ربيعة ، عن سليمان مرسلاً . ورواه سليمان بن بلال ، عن ربيعة مرسلاً .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، [ ويقال : سنة ستين ] ، رضي الله عنها .

\*\*\*

### ذكر خروجه من مكة بعد قضاء عمرته

قد تقدّم ما ذكره موسى بن عقبة ؛ أنّ قريشاً بعثوا إليه حويطب بن عبد العزى بعد مضي أربعة أيام ليرحل عنهم ، كما وقع به الشرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عرسه بميمونة عندهم ، وإنّما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة [ أن يدعوه يدخل مكة ] حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلمّا كتبوا الكتاب ، كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرّ بهذا ، لو نعلم أنّك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله .

قال : « أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله » . ثم قال لعليّ بن أبي طالب : « امحُ رسول الله » . قال : لا والله لا أمحوك أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ، وليس يُحسن يكتب ، فكتب<sup>(٤)</sup> : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ؛ لا يُدخل مكة إلّا السيف في القراب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها . فلمّا دخلها ومضى الأجل ، أتوا عليّاً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا ، فقد مضى الأجل . فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عمّ ، يا عمّ . فتناولها عليّ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك . فحملتها ، فاختمت فيها عليّ وزيد

(١) رواه الترمذي رقم ( ٨٤١ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٥٤٠٢ ) ، وهو ضعيف بطوله ، وصح عنه « تزوج ميمونة وهو حلال » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٢ / ٢ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٢٥١ ) .

(٤) أي : أمر بالكتابة ﷺ ، وإلا فأُمّيته مسلّم بها ، نصّ عليها القرآن الكريم ، وهي من الإعجاز العظيم الذي كان في شخصيته ودعوته ﷺ كما هو معلوم لدى أهل العلم من المسلمين سلفاً وخلفاً . وانظر لتمام الفائدة الفصل الخاص بأُمّيته ﷺ من مقدمتي لكتاب « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي .

وجعفر ، فقال عليّ : أنا أخذتها وهي ابنة عمّي . وقال جعفر : ابنة عمّي ، وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنة أخي ، ففضى بها النبي ﷺ لخالتها<sup>(١)</sup> وقال : « الخالة بمنزلة الأم » . وقال لعليّ : « أنت مني وأنا منك » . وقال لجعفر : « أشبهت خلقي وخلقي » . وقال لزيد : « أنت أخونا ومولانا » . قال عليّ : ألا تزوج ابنة حمزة ؟ قال : « إنها ابنة أخي من الرضاعة » . تفرّد به البخاري من هذا الوجه .

وقد روى الواقدي<sup>(٢)</sup> قصة ابنة حمزة ، فقال : حدّثني ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عمارة ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وأُمّها سلمى بنت عميس ، كانت بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كلم عليّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال : علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين ؟ فلم يمه النبي ﷺ عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلم زيد بن حارثة وكان وصيّ حمزة ، وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنة أخي . فلما سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس . وقال عليّ : ألا أراكم تختصمون ، هي ابنة عمّي ، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إليها سبب دُوني ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبي ﷺ : « أنا أحكمُ بينكم ، أمّا أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، [ وأما أنت يا عليّ فأخي وصاحبي ] ، وأما أنت يا جعفر فتشبه خلقي وخلقي ، وأنت يا جعفر أولى بها ؛ تحتك خالتها ، ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمّتها » ففضى بها لجعفر .

قال الواقدي : فلما قضى بها لجعفر ، قام جعفر فحجّل حول رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، كان النجاشي إذا أرضى أحداً ، قام فحجّل حوله . فقال للنبي ﷺ : تزوّجها . فقال : « ابنة أخي من الرضاعة » . فزوّجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبي سلمة ، فكان النبي ﷺ يقول : « هل جزيت سلمة ؟ » .

قلت : لأنّه ذكر الواقدي وغيره ، أنّه هو الذي زوّج رسول الله ﷺ بأُمّه أمّ سلمة ؛ لأنّه كان أكبر من أخيه عمر بن أبي سلمة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة ، وتولّى المشركون تلك الحجة .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : وأنزل الله في هذه العمرة ، فيما حدّثني أبو عبيدة ، قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ

(١) أي : لزوجة جعفر رضي الله عنه .

(٢) انظر « المغازي » ( ٧٣٨ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٢ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٢ / ٢ ) .

اللَّهُ رَسُولُهُ الرَّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَنَجَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿ [ الفتح : ٢٧ ] يعني خبير .

\*\*\*

## فصل

ذكر البيهقي<sup>(١)</sup> هاهنا سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم ، ثم ساق بسنده عن الواقدي<sup>(٢)</sup> : حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزهري قال : لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضية ، رجع في ذي الحجة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السلمي في خمسين رجلاً ، فخرج [ إلى بني سليم ، وكان عين بني سليم معه ، فلما فصل من المدينة ، خرج [ العين إلى قومه ، فحذروهم وأخبرهم ، فجمعوا جمعاً كثيراً ، وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون ، فلما أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم ، دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتهم إليه ، فرموهم ساعة ، وجعلت الأمداد تأتي ، حتى أهدقوا بهم من كل جانب ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، حتى قتل عاقبتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من صفر سنة ثمان .

\*\*\*

## فصل

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : في المحرم من هذه السنة - يعني سنة سبع - رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع ، وقد قدمنا الكلام على ذلك .  
وفيهما قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا في الطريق ، وغلام خصي .  
قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : وفيها اتخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده . قال : والثبُّ عندنا أنه عمل في سنة ثمان .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٤١ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ٢ / ٧٤١ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٣ / ٢١ ) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ٣ / ٢٢ ) .

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ

## سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية

### فصل

في إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، رضي الله عنهم ،  
وكان قدومهم أوائل سنة ثمانٍ ، على ما سيأتي

قد تقدّم طرف من ذلك ، فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافع اليهودي ، وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وإنّما ذكره الحافظ البيهقي<sup>(١)</sup> هاهنا بعد عُمرَةَ الْقَضَاء ، فروى من طريق الواقدي<sup>(٢)</sup> : أنبأ عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه قال : قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجاناً معانداً ، حضرت بدرأ مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أحدأ فنجوت ، ثم حضرت الخندق فنجوت . قال : فقلت في نفسي : كم أوضع<sup>(٣)</sup> ؟ والله ليظهرنّ محمدٌ على قريش ، فلحقتُ بمالي بالوهط<sup>(٤)</sup> ، وأقللت من الناس - أي : من لقائهم - فلمّا حضر الحديبية ، وانصرف رسول الله ﷺ في الصُّلح ، وَرَجَعَتْ قريش إلى مَكَّة ، جعلت أقول : يَدْخُلُ محمدٌ قابلاً مَكَّةَ بأصحابه ، ما مَكَّةُ بمنزل ولا الطائف ولا شيء خير من الخروج . وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلام ، وأرى لو أَسَلَمْتُ قريشٌ كُلُّها لم أُسَلِّمْ ، فقدمتُ مَكَّةَ وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، ويقدمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِدرهُنّا<sup>(٥)</sup> في يَمْنِ نقيبة وبركة أمرٍ ، قال : قلت : تعلمون أنّي والله لأرى أمرَ محمدٍ أمراً يعلو الأمور علواً منكرأ ، وإنّي قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نَلْحَقُ بالنجاشي فنكون معه ، فإن يظهر محمدٌ

(١) في « دلائل النبوة » ( ٣٤٣ / ٤ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ٧٤١ / ٢ ) .

(٣) أي : أدبر وأحارب .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « بالزّهط » وهو خطأ ، والتصحيح من « مراصد الاطلاع » ( ١٤٤٧ / ٣ ) وقد جاء فيه مايلي : « وهط . . . كرم كان لعمر بن العاص بالطائف ، قيل : يعرش على ألف ألف خشبة . وقيل : قرية بالطائف على

ثلاثة أميال من وجّ ، كانت لعمر بن العاص » .

(٥) أي : سيدنا ومقدّمنا .



كنا عند النجاشي ، فنكون تحت يد النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد عرفوا . قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له . وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم ، فجمعنا أدمًا كثيرًا ، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشي ، فوالله إننا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه ، يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سررت قريشًا ، وكنت قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . فدخلت على النجاشي فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدمًا كثيرًا . ثم قدّمته فأعجبه ، وفرّق منه شيئاً بين بطارقه ، وأمر بسائره فأدخل في موضع ، وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوّ لنا قد وترنا ، وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ، ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه كسره ، فابتدر منخراي ، فجعلت أتلقي الدّم بثيابي ، فأصابني من الدّلّ ما لو انشقت بي الأرض دخلت فيها ؛ فرقاً منه . ثم قلت : أيها الملك ، لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو ، تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو : فغير الله قلبي عمّا كنت عليه ، وقلت في نفسي : عرف هذا الحقّ العرب والعجم وتخالف أنت ؟ ثم قلت : أتشهد أيها الملك بهذا ؟ قال : نعم ، أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعني واتّبعه ، فوالله إنّه لعلّى الحقّ ، وليظهرنّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الإسلام ، ثم دعا بطست ، فغسل عني الدّم وكساني ثياباً ، وكانت ثيابي قد امتلأت بالدّم فألقيتها ، ثم خرجت على أصحابي ، فلمّا رأوا كسوة النجاشي سرّوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلّمه في أول مرة ، وقلت : أعود إليه . فقالوا : الرأي ما رأيت . قال : ففارقتهم وكأني أعمد لحاجة ، فعمدت إلى موضع السفن ، فأجد سفينة قد شحنت تدفع . قال : فركبت معهم ودفعوها ، حتى انتهوا إلى الشّعبية ، وخرجت من السفينة ومعني نفقة ، فابتعت بغيراً ، وخرجت أريد المدينة ، حتى مررت على مرّ الظّهران ، ثم مضيت ، حتى إذا كنت بالهدة ، فإذا رجلاً قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة ، والآخر يمسك الرّاحلتين . قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد . قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ؛ دخل الناس في الإسلام ، فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضّبع في مغارتها . قلت : وأنا والله قد أردت محمداً ، وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحب بي ، فنزلنا جميعاً في المنزل ، ثم ترافقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح : يا ربّاح ،

يارباح ، يارباح . فتفاءلنا بقوله وسررنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعينني ويعني خالد بن الوليد ، وولّي مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنه بشر رسول الله ﷺ بقدومنا ، فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرّة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر ، فانطلقنا حتى أطلعنا عليه وإنّ لوجهه تهللاً ، والمسلمون حوله قد سُروا بإسلامنا ، فتقدّم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدّم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدّمت ، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي [ إليه ] حياءً منه . قال : فبايعته على أن يغفر لي ما تقدّم من ذنبي ، ولم يحضرني ما تأخّر ، فقال : « إنّ الإسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها » . قال : فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزبه منذ أسلمنا ، ولقد كنّا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقدي<sup>(١)</sup> : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبي حبيب ، فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن موله حبيب ، عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن موله حبيب قال : حدّثني عمرو بن العاص من فيه . فذكر ما تقدّم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقدي أبسط وأحسن . قال الواقدي ، عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنّه قال : قبل الفتح . قلت : فإنّ أبي أخبرني أنّ عمراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وسياأتي عند وفاة عمرو من « صحيح مسلم »<sup>(٣)</sup> ما يشهد لسياق إسلامه ، وكيفية حُسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسّف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده ، عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته ، رضي الله عنه .

\*\*\*

(١) انظر « المغازي » ( ٧٤٥ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٧٦ / ٢ ) .

(٣) رقم ( ١٢١ ) .

## طريقُ إسلام خالد بن الوليد

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت أبي يحدث عن خالد بن الوليد قال : لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِي مَا أَرَادَ مِنَ الْخَيْرِ ، قَذَفَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي ، فَقُلْتُ : قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَلَيْسَ [ فِي ] مَوْطِنٍ أَشْهَدُهُ إِلَّا أَنْصَرَفَ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنَّي مُوَضَّعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيُظْهِرُ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ خَرَجْتُ فِي خَيْلٍ مِنَ الْمَشْرُكِينَ ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ ، فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ وَتَعَرَّضْتُ [ لَهُ ] فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ أَمَامَنَا ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَغْيِرَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ لَمْ يَعْزَمْ لَنَا - وَكَانَتْ فِيهِ خَيْرَةٌ - فَاطَّلَعَ عَلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِنَا مِنَ الْهَمِّ بِهِ ، فَصَلَّيْتُ بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْعَصْرِ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مَنًّا مَوْقِعًا ، وَقُلْتُ : الرَّجُلُ مَمْنُونٌ . فَاعْتَرَلْنَا وَعَدَلَ عَنْ سِيرِ خَيْلِنَا ، وَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ ، فَلَمَّا صَالَحَ قَرِيشًا بِالْحُدَيْبِيَّةِ ، وَدَافَعْتَهُ قَرِيشُ بِالرَّاحِ ، قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟ أَيْنَ الْمَذْهَبُ ؟ إِلَى النَّجَاشِيِّ ؟ فَقَدْ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا ، وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ آمَنُونَ ، فَأَخْرَجَ إِلَى هِرْقَلٍ ؟ فَأَخْرَجَ مِنْ دِينِي إِلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ ، فَأَقِيمُ مَعَ عَجْمٍ تَابِعًا ، فَأَقِيمُ فِي دَارِي [ فِيمَنْ بَقِيَ ؟ ] فَأَنَا فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي عَمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، فَتَغَيَّبْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ دَخُولَهُ ، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَمْرَةِ الْقَضِيَّةِ ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي ، فَكُتِبَ إِلَيَّ كِتَابًا ، فَإِذَا فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي لَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ ذَهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَقْلِكَ عَقْلِكَ ! وَمِثْلُ الْإِسْلَامِ جَهْلُهُ أَحَدٌ ؟ ! وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْكَ ، وَقَالَ : « أَيْنَ خَالِدٌ ؟ » فَقُلْتُ : يَا أَيْتِي اللَّهِ بِهِ . فَقَالَ : « [ مَا ] مِثْلُهُ جَهْلُ الْإِسْلَامِ ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نَكَايَتَهُ وَحَدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ خَيْرًا [ لَهُ ] وَلَقَدْ مَنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ » . فَاسْتَدْرَكَ يَا أَخِي مَا قَدْ فَاتَكَ ، فَقَدْ فَاتَكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٍ .

قال : فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ، وَسَرَّني سَوَالُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنِّي ، وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلَادِ ضَيْقَةٍ مُجْدَبَةٍ ، فَخَرَجْتُ إِلَى بِلَادِ خَضِرَاءَ وَاسِعَةٍ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لِرُؤْيَا ، فَلَمَّا أَنَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قُلْتُ : لِأَذْكُرْنَهَا لِأَبِي بَكْرٍ . فَقَالَ : مَخْرَجُكَ الَّذِي هَذَاكَ اللَّهُ [ لِلْإِسْلَامِ ] وَالضُّيُوقُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ [ مِنْ ] الشَّرْكِ .

[ قَالَ : ] فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قُلْتُ : مَنْ أَصَاحِبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَلَقِيتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا وَهْبٍ ، أَمَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ، إِنَّمَا نَحْنُ كَأَضْرَاسٍ ، وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ وَاتَّبَعْنَاهُ ؛ فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ . فَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاءِ ، فَقَالَ : لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مَا اتَّبَعْتَهُ [ أَبَدًا ] .

(١) انظر « المغازي » ( ٧٤٥ / ٢ ) .

فافترقنا ، وقلت : هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية ، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية ، قلت : فاکتم عليّ . قال : لا أذكره . فخرجت إلى منزلي ، فأمرت براحتي ، فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : إن هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قتل من آبائه ، فكرهت أن أذكره ، ثم قلت : وما عليّ وأنا راحل من ساعتی . فذكرت له ما صار الأمر إليه ، فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر ، لو صبّ فيه ذنوب من ماء لخرج . وقلت له نحواً ممّا قلت لصاحبيّ ، فأسرع الإجابة ، وقال : إنني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو ، وهذه راحلتي بفخّ مناخة . قال : فاتّعدت أنا وهو يأجج ؛ إن سبّني أقام ، وإن سبّته أقمت [ عليه ] .

قال : فأدلجنا سَحَرًا ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بياجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة ، فنجد عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ . قال : وذاك الذي أقدمني . فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظهر الحرّة ركبنا ، فأخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرّ بنا ، فلبست من صالح ثيابي ، ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي ، فقال : أسرع ، فإن رسول الله ﷺ قد أخبر بك ، فسرّ بقدومك ، وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشي ، فاطّلت عليه ، فما زال يتبسّم إليّ حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة ، فردّ عليّ السلام بوجه طلق ، فقلت : إنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فقال : « تعال » . ثم قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي هداك ، وقد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » . قلت : يا رسول الله ، قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحقّ ، فادع الله [ أن ] يغفرها لي . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يجب ما كان قبله » . قلت : يا رسول الله ، على ذلك ؟ قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلّ ما أوضع فيه من صدّ عن سبيلك » . قال خالد : وتقدّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ .

قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان . قال : فوالله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

\*\*\*

### سريّة شجاع بن وهب الأسديّ إلى نفرٍ من هوازن

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : [ حدثني ] ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن

(١) انظر « المغازي » ( ٢ / ٧٥٣ ) .

الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ شُجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار ، حتى صَبَّحَهُم غَارِين ، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا يُمِعِنُوا فِي الطَّلَب ، فأصابوا نَعَمًا كثيرًا وشاء ، فاستأقوا ذلك حتى قدموا المدينة ، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ، كلَّ رجلٍ .

وزعم غيره أنَّهم أصابوا سبياً أيضاً ، وأنَّ الأمير اصطفى منه جارية وضيئة ، ثم قدم أهلهم مسلمين ، فشاور النبي ﷺ أميرهم في ردِّهم إليهم ، فقال : نعم . فردُّوهم ، وخيَّر [ الجارية ]<sup>(١)</sup> التي عنده فاخترت المقام عنده .

وقد تكون هذه السريَّة هي المذكورة فيما رواه الشافعي<sup>(٢)</sup> ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ بعث سريَّة قبل نجد ، فكان فيهم عبد الله بن عمر . قال : فأصبنا إبلاً كثيراً ، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً ، ونقلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ، ومن حديث عبيد الله ، كلُّهم عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو داود<sup>(٤)</sup> : حدَّثنا هناد ، حدَّثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ سريَّة إلى نجد ، فخرجتُ فيها ، فأصبنا نَعَمًا كثيراً فنقلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكلِّ إنسان ، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا ، فأصاب كلُّ رجلٍ منا اثني عشر بعيراً بعد الخمس ، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا ، ولا عاب عليه ما صنع ، فكان لكلِّ منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله<sup>(٥)</sup> .

### سريَّة كعب بن عُمر إلى بني قُضَاعَة من أرض الشام

قال الواقدي<sup>(٦)</sup> : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، [ عن ] الزُّهري ، قال : بعث رسول الله ﷺ كَعْبَ بن عُمر الغفاري في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهوا إلى ذات أطلاح<sup>(٧)</sup> من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام ، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ،

(١) لفظ « الجارية » الذي بين الحاصرتين لم يرد في ( آ ) وورد في ( ط ) بعد قوله : « التي عنده » وموقعها الصحيح في المكان الذي أثبتته كما يقتضيه السياق .

(٢) هو في « مسند الشافعي » ( ١٢٤ / ٢ ) بترتيب السَّنَدِي .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٣١٣٤ ) ومسلم ( ١٧٤٩ ) .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٢٧٤٣ ) .

(٥) هو حديث صحيح بطرقه وشواهد انظر أبا داود رقم ( ٢٧٤١ ) .

(٦) انظر « المغازي » ( ٧٥٢ / ٢ ) .

(٧) انظر « معجم البلدان » ( ٣١١ / ١ ) .

قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فأفلت منهم رجل جريح في القتلى ، فلمَّا أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهمَّ بالبعثة إليهم ، فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

\*\*\*

### غزوة مؤتة<sup>(١)</sup>

وهي سريّة زيد بن حارثة ، في نحو من ثلاثة آلاف ، إلى أرض البلقاء من أرض الشام .

قال [ محمد ] بن إسحاق<sup>(٢)</sup> بعد قصة عُمرّة القضيّة : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة - وولي تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفرًا وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثته إلى الشام ، الذين أصيبوا بمؤتة ، فحدّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثته إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة على الناس » .

فتجهّز الناس ثم تهيّؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حدّثني ربيعة بن عثمان ، عن عمر بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النُعمان بن فُحْصٍ اليهودي ، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة ، فإن قتل عبد الله بن رَوَاحَة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً ، فليجعلوه عليهم » .

فقال النُعمان : أبا القاسم ، إن كنت نبيًّا ، فلو سمّيت من سمّيت قليلاً أو كثيراً ، أُصيبوا [ جميعاً ] ، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمّوا الرجل على القوم ، فقالوا : إن أُصيب فلان

(١) مؤتة : بالضم ثم واو مهموزة ساكنة ، وتاء فوقها نقطتان ، وبعضهم لا يهمله : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر « مراصد الاطلاع » ( ٣ / ١٣٣٠ ) .

وانظر خبر هذه الغزوة في « كتاب المغازي » ص ( ٣٦٦ - ٣٧٨ ) و« عيون الأثر » ( ٢ / ٢٠٨ - ٢١٣ ) و« زاد المعاد » ( ٣ / ٣٣٦ - ٣٤٠ ) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص ( ١٩٣ - ١٩٥ ) و« شذرات الذهب » ( ١ / ١٢٦ ) لابن العماد الحنبلي بتحقيقي .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٧٣ ) طبع دار ابن كثير .

(٣) انظر « المغازي » ( ٢ / ٧٥٥ ) .

ففلان . فلو سَمَوْا مئةً أُصِيبُوا جميعاً . ثم جعل اليهوديُّ يقول لزيد : اعهد فإنَّك لا ترجع أبداً ، إن كان محمد نبياً . فقال زيد : أشهد أنه نبيُّ صادق بائِر . رواه البيهقي<sup>(١)</sup> .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما حضر خروجهم ، ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم ، فلَمَّا ودَّع عبد الله بن رواحة مع من ودَّع بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صباة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] ، فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة<sup>(٣)</sup> : [ من البسيط ]

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً      وضربةً ذات فزعٍ تُقذفُ الزبدا  
أو طعنةً بيدي حرَّانٍ مُجهِزةً      بحربةٍ تُنفذُ الأحشاء والكبدا  
حتى يُقال إذا مرُّوا على جدتي      أرشدهُ الله من غازٍ وقد رشدا

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم إن القوم تهيَّؤوا للخروج ، فاتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ ، فودَّعه ثم قال<sup>(٥)</sup> : [ من البسيط ]

فثبتَّ الله ما آتاك من حَسَنٍ      تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصَّروا  
إني تفرَّستُ فيك الخيرَ نافلهً<sup>(٦)</sup>      الله يعلمُ أني ثابتُ البَصْرِ<sup>(٧)</sup>  
أنت الرُّسُولُ فَمَنْ يُحرِّمَ نوافلهُ      والوجهُ منه فقد أزرى به القَدْرُ

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم ، حتى إذا ودَّعهم وانصرف قال عبد الله بن رواحة<sup>(٩)</sup> : [ من الكامل ]

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ      فِي النَّخْلِ خَيْرِ مُشِيعٍ وَخَلِيلِ

- (١) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٦١ - ٣٦٢ ) .
- (٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٧٣ ) .
- (٣) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٤٧ ) .
- (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٧٤ ) .
- (٥) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٧٤ ) و « ديوانه » ص ( ١٥٩ ) مع تقديم وتأخير وخلاف يسير .
- (٦) في « ديوانه » : « إني تفرست فيك الخير أعرفه » .
- (٧) في هذا البيت إقواء .
- (٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٧٤ ) .
- (٩) البيت في « ديوانه » ص ( ١٤٨ ) .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتة ، فاستعمل زيدا ، فإن قُتل زيد فجعفر ، فإن قُتل جعفر فابن رَوَاحَة ، فتخلف ابن رَوَاحَة ، فجمع مع النبي ﷺ ، فرآه فقال : « مَا خَلَفَكَ ؟ » فقال : أجمع معك . قال : « لَغْدَوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا معاوية ، ثنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رَوَاحَة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة . قال : فقدّم أصحابه ، وقال : أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَغْدُوَ مَعَ أَصْحَابِكَ ؟ » قال : فقال : أردت أن أصلي معك الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَدْرَكَتَ غَدَوَتَهُمْ » .

وهذا الحديث قد رواه الترمذي<sup>(٣)</sup> من حديث أبي معاوية ، عن الحجاج - وهو ابن أرطاة - ثم علّله الترمذي بما حكاه عن شُعْبَةَ أَنَّهُ قَالَ : لم يسمع الحكم عن مِقْسَم إلا خمسة أحاديث ، وليس هذا منها .

قلت : والحجاج بن أرطاة في روايته نظر ، والله أعلم ، والمقصود من إيراد هذا الحديث ، أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مؤتة كان في يوم جمعة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم مضوا حتى نزلوا مَعَانٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ<sup>(٥)</sup> ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مَابَ<sup>(٦)</sup> مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ ، فِي مِئَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ مِنْ لَحْمٍ وَجَذَامٍ وَالْقَيْنِ وَبِهْرَاءِ وَبَلِيٍّ مِئَةَ أَلْفٍ مِنْهُمْ ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلِيٍّ ، ثُمَّ أَحَدُ إِرَاشَةٍ ، يُقَالُ لَهُ : مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ - وَفِي رِوَايَةِ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَبَلَغَهُمْ أَنَّ هِرْقَلَ نَزَلَ بِمَابَ ، فِي مِئَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ وَمِئَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمُسْتَعْرَبَةِ . [ وَقِيلَ : كَانَ الرُّومُ مِئَتَيْ أَلْفٍ ، وَمَنْ عَدَاهُمْ خَمْسُونَ أَلْفًا . وَأَقْلُ مَا قِيلَ : إِنَّ الرُّومَ كَانُوا مِئَةَ أَلْفٍ ، وَمَنْ الْعَرَبُ خَمْسُونَ أَلْفًا . حَكَاهُ الشَّهْلِيُّ<sup>(٧)</sup> ] فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَخْبِرُهُ بَعْدَ عَدُونَا ؛ فِيمَا أَنْ يَمْدَّنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِيَ

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٥٦ / ١ ) ، وإسناده ضعيف ، وفي الباب عن ابن عمر عند البخاري رقم ( ٤٢٦١ ) دون آخره كما سيأتي بعد صفحات ، وآخره رواه البخاري رقم ( ٢٧٩٢ ) ومسلم ( ١٨٨٠ ) من حديث أنس .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٢٤ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) رقم ( ٥٢٧ ) وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٥ / ٢ ) .

(٥) المدينة الشهيرة في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية . انظر « مرصد الاطلاع » ( ١٢٨٧ / ٣ ) .

(٦) انظر « مرصد الاطلاع » ( ١٢١٦ / ٣ ) .

(٧) انظر « الروض الأنف » ( ٤١ / ٧ ) .



له . قال : فشجع الناس عبد الله بن رَوَاحَة وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين ؛ إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رَوَاحَة ، فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رَوَاحَة في محبتهم ذلك<sup>(١)</sup> : [ من الوافر ]

جَلَبْنَا الخيل من أجابٍ وَفَرَع	تَغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ
حَذَوْنَاهَا من الصَّوَّانِ سِبْتاً	أَزَلَّ كَأَنَّ صَفَحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ ليلتين على معانٍ	فَأَعْقَبَ بعد فَتَرَتِهَا جُمُومُ
فَرُخْنَا والجِياذُ مُسُومَات	تَنْفَسُ في مناخِرِهَا السَّمُومُ
فلا وأبي مآبَ لنائينها	وإن كَانَتْ بها عَرَبٌ وَرُومُ
فَعَبَّأْنَا أَعْتَتَهَا فَجَاءَتْ	عوابِسَ والغبارُ لها بريمُ
بذي لَجَبٍ كَأَنَّ البَيْضَ فيه	إذا برزت قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
فراضيةُ المعيشة طَلَّقَتْهَا	أَسِنَّتُنَا فَتَنَكُحُ أو تَيْيُمُ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حَدَّثَ عن زيد بن أَرْقَم قال : كنت يتيماً لعبد الله بن رَوَاحَة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك ، مُزِدِّني على حَقِيَّةِ رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه<sup>(٣)</sup> : [ من الوافر ]

إذا أَدَيْتَنِي <sup>(٤)</sup> وَحَمَلْتِ رَحْلِي	مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بعدَ الحِساءِ <sup>(٥)</sup>
فَشَأْنُكَ أَنْعُمٌ وَخَلَائِكُ ذَمٌّ	ولا أَرْجِعُ إلى أهلي وَرَائِي
وَجَاءَ المُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي	بأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِي الثَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ	إلى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعَ الإِخَاءِ
هُنَالِكَ لا أَبَالِي طَلَعَ بَغْلِي	ولا نَخْلُ أسافلُهَا رَوَاءِ

قال : فلمَّا سمعتهم منه بَكَيْت ، فحَفَقَنِي بالدَّرَّةِ وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبي الرَّحْلَ ؟ ! ثم قال عبد الله بن رَوَاحَة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز<sup>(٦)</sup> : [ من الرجز ]

(١) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٤٩ - ١٥٠ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٦ / ٢ ) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٥١ ) وشرح الألفاظ عنه .

(٤) أي : أوصلتني . والخطاب للناقة الذي كان يركبها .

(٥) جمع حِسي ، ويجمع على أحساء أيضاً ، وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخوراً .

(٦) البيت في « ديوانه » ص ( ١٥٢ ) مع زيادة لم يبين جامعها مصدرها في موطنها عنده .

يا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلِ      تطاول اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَاَنْزِلِ

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم اللقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى اللقاء يقال لها : مشارف . ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها : مؤتة . فالتقى الناس عندها ، فتعَبَّأَ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له : قطبة بن قتادة . وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عباية بن مالك .

وقال الواقدي<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنِي ربيعة بن عثمان ، عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : شهدت مُؤتَةَ ، فلمَّا دنا منا المشركون ، رأينا ما لا قبل لأحد به ، من العُدَّة ، والسَّلاح ، والكُرَاع ، والدَّيَّاج ، والحرير ، والذهب ، فَبَرِقَ بَصْرِي ، فقال لي ثابت بن أَقْرَمَ : يا أبا هريرة ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد معنا بداراً ، إنا لم نُنْصِرْ بالكثرة . رواه البيهقي<sup>(٣)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط<sup>(٥)</sup> في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر ، فقاتل [ بها ، حتى إذا ألحمه القتال ] ، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحَدَّثَنِي يحيى بن عَبَّاد [ بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عَبَّاد ] حَدَّثَنِي أَبِي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مَرَّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول : [ من الرجز ]

يا حَبَّذا الْجَنَّةُ واقترابها      طيبة وبارداً شربها  
والروم روم قد دنا عذابها      كافرة بعيدة أنسابها  
عليَّ إن لاقيتها ضرابها

وهذا الحديث قد رواه أبو داود<sup>(٧)</sup> من حديث ابن إسحاق ، ولم يذكر الشعر . وقد استدل [ به ] من

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٧ / ٢ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ٧٦٠ / ٢ ) .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ٣٦٢ / ٤ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٨ / ٢ ) .

(٥) أي : هلك .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٨ / ٢ ) .

(٧) رواه أبو داود رقم ( ٢٥٧٣ ) ، قال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في « مختصر سنن أبي داود » ( ٣٩٧ / ٣ ) : هكذا قال أبو داود ، ولا أدري لماذا هو ليس بالقوي ، الإسناد صحيح لا علة فيه ، وصرح ابن إسحاق بسماحه من يحيى بن عباد .

جَوَزَ قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدو ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السَّير ، ويخشى من لحوق العدو لها وانتفاعهم بها ، أنها تذبح وتحرق ؛ ليحال بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيلي<sup>(١)</sup> : ولم يُنكر أحدٌ على جعفر ، فدَلَّ على جوازه [ إذا خيف ] أخذ العدو له ، ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرأ أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد قال : حدَّثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويردَّد بعض الردد ، ثم قال<sup>(٤)</sup> : [ من الرجز ]

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ      لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتَكْرَهَنَّ  
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّيَّةَ      مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِيَنَّ الْجَنَّةَ  
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتَ مَطْمَئِنَّةً      هَلْ أَنْتَ إِلَّا نَظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ

وقال أيضاً : [ من الرجز ]

يَا نَفْسُ إِنْ لَا تَقْتُلِي تَمُوتِي      هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ  
وَمَا تَمَنَّيْتُ فَقَدْ أُعْطِيتُ      إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُذَيْبُ

يريد صاحبيه ؛ زيدا وجعفرأ ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عمِّ له بَعْرَق من لحم فقال : شدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيَّامك هذه ما لقيت . فأخذه من يده ، فانتَهَس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه . قال : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم ، أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٣٦ / ٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٨ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٧٩ / ٢ ) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص ( ١٥٣ ) مع بعض الخلاف .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما أصيب القوم ، قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغني : « أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : « ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم قال : « لقد رفعوا إليّ في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سرير صاحبيه ، فقلت : عمّ هذا؟ » فقل لي : مضياً ، وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثم مضى » . هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا أحمد بن واقد ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ نعى زيدا وجعفرأ وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم » . تفرد به البخاري ، ورواه في موضع آخر<sup>(٣)</sup> ، وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرهم أنهم عندنا » .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا أحمد بن أبي بكر ، ثنا مغيرة بن عبد الرحمن - المخرومي وليس بالخزامي - عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : « إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فبعد الله بن رواحة » . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب ، فوجدناه في القتلى ، ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية . تفرد به البخاري أيضاً .

وقال البخاري أيضاً<sup>(٥)</sup> : حدثنا أحمد ، ثنا ابن وهب ، عن عمرو ، عن ابن أبي هلال - هو سعيد بن أبي هلال الليثي - قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل ، فعددت به خمسين ، بين طعنة وضربة ، ليس منها شيء في دبره . وهذا أيضاً من أفراد البخاري . ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها ، أن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، أطلع على هذا العدد ، وغيره أطلع على أكثر من ذلك . أو أن هذه في قبله أصيبها قبل أن يقتل ، فلما صرع إلى الأرض ، ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعذ ابن عمر ما كان في قبله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل ، رضي الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ، ثم شماله ، ما رواه

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٠ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٦٢ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٢٧٩٨ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٦١ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٦٠ ) .

البخاري<sup>(١)</sup> ، ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا عمر بن علي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر قال : كان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين .

ورواه أيضاً<sup>(٢)</sup> في المناقب ، والنسائي من حديث يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن أبي خالد به . وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية . ثم رواه<sup>(٤)</sup> عن محمد بن المثنى ، عن يحيى ، عن إسماعيل ، حدّثني قيس ، سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت في يدي صفيحة يمانية . انفرد به البخاري . قال الحافظ أبو بكر البيهقي<sup>(٥)</sup> : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطر ، ثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحِيُّ ، ثنا سليمان بن حَزْب ، ثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَيْر قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكانت الأنصار تفقّهه ، فغشيه الناس ، فغشيته في من غشيه فقال : حدّثنا أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء ، وقال : « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ، ما كنت أرهّب أن تستعمل زيدا عليّ . قال : « امض ، فإنك لا تدري أيّ ذلك خير » . فانطلقوا فلبثوا ماشاء الله ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر ، فأمر فنودي : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ؛ إنهم انطلقوا فلقوا العدو ، فقتل زيد شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر ، فشُدَّ على القوم حتى قتل شهيداً - شهد له بالشهادة ، واستغفر له - ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمّر نفسه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره » . فمن يومئذ سمي خالد سيف الله .

ورواه النسائي<sup>(٦)</sup> من حديث عبد الله بن المبارك ، عن الأسود بن شيبان ، به نحوه . وفيه زيادة حسنة ، وهو أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لما اجتمع إليه الناس قال : « ثاب خبر ، ثاب خبر . . . » وذكر الحديث .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٣٧٠٩ ) و ( ٤٢٦٤ ) .

(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم ( ٣٧٠٩ ) وهو عند النسائي أيضاً في « السنن الكبرى » رقم ( ٨١٥٨ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٦٥ ) .

(٤) يعني البخاري وعنده رقم ( ٤٢٦٦ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٣٦٧ / ٤ ) .

(٦) في « السنن الكبرى » رقم ( ٨١٥٩ ) ، وهو حديث صحيح .

وقال الواقدي<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عُمَارَةَ بْنُ غَزِيَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ قَالَ : لَمَّا تَلَقَّى النَّاسُ بِمُوتَةَ ، جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَكَشَفَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى مَعْتَرِكِهِمْ ، فَقَالَ : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ ، فَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْمَوْتَ ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : الْآنَ حِينَ اسْتَحْكَمَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، تَحَبَّبَ إِلَيَّ الدُّنْيَا ؟ ! فَمَضَى قَدَمًا حَتَّى اسْتَشْهَدَ » . فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا لَهُ ، فَقَدْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ يَسْعَى » .

قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَمَّا قَتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ ، فَحَبَّبَ إِلَيْهِ الْحَيَاةَ ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْمَوْتَ ، وَمَنَّاهُ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : الْآنَ حِينَ اسْتَحْكَمَ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تُمَنِّينِي الدُّنْيَا ؟ ! ثُمَّ مَضَى قَدَمًا حَتَّى اسْتَشْهَدَ » . فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : « اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَهُوَ يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ مِنْ يَاقُوتٍ ، حَيْثُ يَشَاءُ مِنَ الْجَنَّةِ » . قَالَ : « ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَاسْتَشْهَدَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ مَعْتَرِضًا » . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْأَنْصَارِ ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا اعْتَرَضَهُ ؟ قَالَ : « لَمَّا أَصَابَتْهُ الْجِرَاحُ نَكَلَ ، فَعَاتَبَ نَفْسَهُ فَتَشَجَّعَ ، وَاسْتَشْهَدَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ » . فَسُرِّيَ عَنْ قَوْمِهِ .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْفَضِيلِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا أَخَذَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الرَّايَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ » .

قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : فَحَدَّثَنِي الْعَطَّافُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ : لَمَّا قَتَلَ ابْنُ رَوَاحَةَ مَسَاءً ، بَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ، غَدَا وَقَدْ جَعَلَ مَقْدَمَتَهُ سَاقَتَهُ ، وَسَاقَتَهُ مَقْدَمَتَهُ ، وَبِمِمْتِهِ مِيسِرَتَهُ . قَالَ : فَأَنْكَرُوا مَا كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ رَايَاتِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ، وَقَالُوا : قَدْ جَاءَهُمْ مَدَدٌ . فَرُعِبُوا وَانْكَشَفُوا مِنْهُمْ مِيزَانٌ . قَالَ : فَفَقَتَلُوا مَقْتَلَةً لَمْ يُقْتَلْهَا قَوْمٌ . وَهَذَا يُوَافِقُ مَا ذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، فِي « مَغَازِيهِ » ، فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ عَمْرَةَ الْحَدِيثِ : ثُمَّ صَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ بِهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى مُوتَةَ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَقَالَ : « إِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُهُمْ ، فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَمِيرُهُمْ » . فَاَنْطَلَقُوا ، حَتَّى لَقُوا ابْنَ أَبِي سَبْرَةَ الْغَسَّانِيَّ بِمُوتَةَ ، وَبِهَا جُمُوعٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ وَالرُّومِ ، بِهَا تَنُوحٌ وَبَهْرَاءٌ ، فَأَغْلَقَ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ دُونَ الْمُسْلِمِينَ الْحَصْنَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَالْتَقَوْا عَلَى

(١) انظر « المغازي » ( ٧٦١ / ٢ ) .

(٢) انظر « المغازي » ( ٧٦١ / ٢ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ٧٦٤ / ٢ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ٧٦٤ / ٢ ) .

رَدَعٌ<sup>(١)</sup> أحمر ، فاقْتتلوا قتالاً شديداً ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطَلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومي ، فهزم الله العدو ، وأظهر المسلمين . قال : وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى ، يعني سنة ثمان . قال موسى بن عقبة : وزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مرَّ عليَّ جعفر في الملائكة ، يطير كما يطرون ، له جناحان » . قال : وزعموا ، والله أعلم ، أنَّ يعلى بن أمية قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتك » . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كلَّه ووصفه لهم . فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره ، وإنَّ أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم » .

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق ، من أنَّ خالداً إنَّما حاشى بالقوم ، حتى تخلَّصوا من الروم وعرب النصارى فقط ، وموسى بن عقبة والواقديُّ مصرَّحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . رواه البخاريُّ<sup>(٢)</sup> ، وهذا هو الذي رجَّحه ومال إليه الحافظ البيهقيُّ<sup>(٣)</sup> بعد حكاية القولين ؛ لما ذكره من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقي ، وهو أن خالداً لمَّا أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين ، حتى خلَّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة ، فلمَّا أصبح وحول الجيش ميمنةً وميسرة ، ومقدمة وساقة ، كما ذكره الواقديُّ ، توهم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد ، هزموهم بإذن الله ، والله أعلم .

ولكن قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدَّثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لمَّا أقبل أصحاب مؤتة ، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، قال : ولقيهم الصَّبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصَّبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرَّار ، فررت في سبيل الله ؟! . فقال رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله تعالى » . وهذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وعندي ، أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظنَّ أن هذا لجمهور الجيش ، وإنَّما كان للذين فرَّوا حين التقى الجمعان ، وأما بقيَّتُهُم فلم يفرُّوا ، بل نصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ

(١) في (آ) و(ط) : « زرع » والتصحيح من « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٢١٥) والردغ : الطين والوحل الكثير .

(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .

(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

المسلمين وهو على المنبر ، في قوله : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . فما كان المسلمون ليسمّوهم فرّاراً بعد ذلك ، وإنما تلقّوهم ؛ إكراماً لهم وإعظاماً ، وإنما كان التأنيب وحثي التراب للذين فرّوا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا حسن ، ثنا زهير ، ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا . ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة ، وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « مَنْ القوم ؟ » قال : فقلنا : نحن الفرّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكّارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين » . قال : فأتيناه حتى قبلنا يده .

ثم رواه عن عُندَرٍ<sup>(٢)</sup> ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : كنّا في سرية ففررنا ، فأردنا أن نركب البحر ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، نحن الفرّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكّارون » .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه<sup>(٣)</sup> من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذي : حسن ، لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا إسحاق بن عيسى ، وأسود بن عامر قالا : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فلمّا لقينا العدوّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاخفينا ، ثم قلنا : لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه ، فلمّا لقيناه قلنا : نحن الفرّارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكّارون ، وأنا فئتكم » . قال الأسود : « وأنا فئة كلّ مسلم » .

وقال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، [ عن بعض آل الحارث بن هشام ، وهم أخواله ] أنّ أمّ سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ؟ قالت : ما يستطيع أن

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٧٠ / ٢ ) ، وإسناده ضعيف .

(٢) يعني الإمام أحمد في « المسند » ( ٨٦ / ٢ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) هو عند أبي داود رقم ( ٢٦٤٧ ) و ( ٥٢٢٣ ) والترمذي رقم ( ١٧١٦ ) وابن ماجه رقم ( ٣٧٠٤ ) ، ويزيد بن أبي زياد ، ضعيف .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ١١٠ / ٢ ) ، وإسناده ضعيف .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٨٢ / ٢ ) .



يخرج ، كلمًا خرج صاح به الناس : يا فُزار ، فررتم في سبيل الله ؟! حتى قعد في بيته ما يخرج . وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعل طائفة منهم فُزوا لمّا عابنوا كثرة جموع العدو ، وكانوا أكثر منهم بأضعاف مضاعفة ؛ فإنّ الصحابة ، رضي الله عنهم ، كانوا ثلاثة آلاف ، وكان العدو - على ما ذكره - مئتي ألف ، ومثل هذا يسوغ الفرار ، على ما قد تقرّر ، فلمّا فرّ هؤلاء ، ثبت باقيهم ، وفتح الله عليهم ، وتخلصوا من أيدي أولئك ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة من قبله .

ويؤيد ذلك [ أيضاً ويزيده قوة ويشهد له ] بالصحة ، ما رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا الوليد بن مسلم ، حدّثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعيّ قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين ، في غزوة مؤتة ، [ ورافقني ]<sup>(٢)</sup> مدديّ من اليمن ، ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المدديّ طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذته كهيئة الدّركة ، ومضينا فلقينا جموع الروم ، وفيهم رجل على فرس له أشقر ، عليه سرج مذهّب وسلاح مذهّب ، فجعل الروميّ يغري بالمسلمين ، وقعد له المدديّ خلف صخرة ، فمرّ به الروميّ فعرب فرسه ، فخرّ وعلاه ، فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلمّا فتح الله للمسلمين ، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه السلب . قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمت أنّ رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنّي استكثرت . فقلت : لتردّنه إليه أو لأعرّفنكها عند رسول الله ﷺ . فأبى أن يرده عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ ، فقصصت عليه قصة المدديّ وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد ، ردّ عليه ما أخذت منه » . قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ، ألم أف لك ؟! فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : « يا خالد ، لا تردّ عليه ، هل أنتم تاركو لي أمرائي ، لكم صفوة أمرهم ، وعليهم كدره » . قال الوليد : سألت ثوراً عن هذا الحديث ، فحدّثني عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عوف ، بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود<sup>(٣)</sup> ، من حديث جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، به نحوه .

وهذا يقتضي أنّهم غنموا منهم ، وسلبوا من أشrafهم ، وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدّم فيما رواه البخاري<sup>(٤)</sup> أن خالداً ، رضي الله عنه ، قال : اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٧ / ٦ ) .

(٢) في ( ط ) : « ووافقني » .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٧٥٣ ) وأبو داود رقم ( ٢٧١٩ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٦٦ ) .

صفيحة يمانية . وهذا يقضي أنهم أئخنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل ، والله أعلم .

وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقدي والبيهقي ، وحكاه ابن هشام<sup>(١)</sup> عن الزهري . قال البيهقي<sup>(٢)</sup> ، رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ، ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين ، وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ : « ثم أخذها خالد ، ففتح الله عليه » يدل على ظهورهم عليهم . والله أعلم . قلت : وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> أن قُطبة بن قتادة العذري ، وكان رأس ميمنة المسلمين ، حمل على مالك بن زافلة - قال ابن هشام : ويقال : رافلة . بالراء - وهو أمير أعراب النصارى ، فقتله ، وقال يفخر بذلك : [ من المتقارب ]

طعنُ ابن زافلة بن الإراش      برُمح مضى فيه ثم انحطم  
ضربت على جيده ضربة      فمال كما مال غصن السلم  
وسقنا نساء بني عمّه      غداة رقوقين سوق النعم

وهذا يؤيد ما نحن فيه ؛ لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل ، أن يفر أصحابه ، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم . وأمّا ابن اسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلص من أيدي الروم ، وسمّى هذا نصراً وفتحاً ؛ أي : باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو بهم ، وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادة أن يصطلموا بالكلية ، فلمّا تخلّصوا منهم وانحازوا عنهم ، كان هذا غاية المرام في هذا المقام ، وهذا محتمل ، لكنّه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح الله عليهم » .

والمقصود أن ابن اسحاق يستدل على ما ذهب إليه ، فقال : وقد قال - فيما كان من أمر الناس ، وأمر خالد بن الوليد ، ومخاشاته بالناس ، وانصرافه بهم - قيس بن المحسّر اليعمرّي ، يعتذر ممّا صنع يومئذ وصنع الناس : [ من الطويل ]

فوالله لا تنفك نفسي تلومني      على موقفني والخيل قابضة قبل  
وقفت بها لا مستجيراً فنافذاً      ولا مانعاً من كان حمّ له القتل  
على أنني آسيت نفسي بخالدٍ      ألا خالد في القوم ليس له مثل

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٨٣ / ٢ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٧٥ / ٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٨١ / ٢ ) .

وجاشت إليَّ النفسُ من نحو جعفرٍ بمؤتة إذ لا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ  
وَضَمَّ إلينا حُجْرَتَيْهِمْ كِلَيْهِمَا مُهَاجِرَةٌ لا مُشْرَكُونَ ولا عُزْلُ

قال ابن اسحاق<sup>(١)</sup> : فَبَيَّنَ قِيسُ ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ؛ أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّقَ انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : وأما الزهريُّ فقال ، فيما بلغنا عنه : أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة .

\*\*\*

### فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر ، عن أُمِّ عيسى الخُزَاعِيَّةِ ، عن أُمِّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدَّتِها أسماء بنت عُمَيْسٍ قالت : لَمَّا أُصِيبَ جعفر وأصحابه ، دخل عليَّ رسول الله ﷺ ، وقد دبغت أربعين مَنًّا ، وعجنت عجيني ، وغَسَلَتْ بَنِيَّ ودَهَنَتْهُمْ ونظفَتْهُمْ .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « ائتينيني ببني جعفر » . فأتيته بهم فشمَّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمِّي ، ما يُبْكِيكَ ، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم ، أُصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقمْتُ أَصِيح ، واجتمع إليَّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً ؛ فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> من حديث ابن اسحاق .

ورواه ابن ماجه<sup>(٤)</sup> من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أُمِّ عيسى ، عن أُمِّ عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنَّها أُمُّ جعفر وأُمُّ عون .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا سفيان ، ثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : لَمَّا جاء نعي جعفر حين قتل ، قال النبي ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد أتاهم أمر يشغلهم » . أو : « أتاهم ما يشغلهم » .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٠ ) .

(٣) في « المسند » ( ٦ / ٣٧٠ ) وإسناده ضعيف بطوله .

(٤) رواه ابن ماجه رقم ( ١٦١١ ) : وهو حديث حسن .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١ / ٢٠٥ ) وإسناده حسن ، له شواهد حسب جمع من العلماء .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه<sup>(١)</sup> من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن جعفر بن خالد بن سارة المَخْزُومِيَّ المَكِّيِّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، وقال الترمذي : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنِي عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ قال : لما أتى نعي جعفر ، عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحُزْنَ . قالت : فدخل عليه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن النساء عَنَيْنَا وَفَتَنَّا . قال : « ارجع إليهن فأسكنهن » . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك . قالت : وربما ضَرَّ التَّكْلُفُ ، يعني أهله . قالت : قال : « فاذهب فأسكنهن ، فإن أبين فاحثُ في أفواههنَّ التُّراب » . قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ، فوالله ما تركت نفسك ، وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ . قالت : وعرفت أنه لا يقدر [ على أن ] يحثي في أفواههنَّ التراب . انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه ، وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا قتيبة ، ثنا عبد الوهَّاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرني عَمْرَةَ قالت : سمعت عائشة تقول : لَمَّا قُتِلَ ابن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحَةَ ، جلس رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الحُزْنَ . قالت عائشة : وأنا أَطَّلَعُ من صائر الباب - شَقٌّ - فَأَتَاهُ رجل فقال : أي رسول الله ، إن نساء جعفر . وذكر بكاءهنَّ ، فأمره أن ينهأهنَّ . قالت : فذهب الرجل ، ثم أتى فقال : والله لقد غلبنا . فَرَعَمَتْ أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « فاحث في أفواههنَّ من التُّراب » . قالت عائشة ، رضي الله عنها : فقلت : أَرَعَمَ اللهُ أَنْفَكَ ، فوالله ما أنت تفعل ، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي<sup>(٤)</sup> من طُرُقٍ ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن عَمْرَةَ ، عنها .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً ، استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إِنْ قُتِلَ زيدٌ أو استشهد فأميركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدو ، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه ، وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٣٢) والترمذي رقم (٩٩٨) وابن ماجه رقم (١٦١٠) ، وهو حديث حسن .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٨١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٣) .

(٤) رواه مسلم رقم (٩٣٥) وأبو داود رقم (٣١٢٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٨٤٦) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/٢٠٤ ، ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، فإن خالد بن سارة والد جعفر مجهول الحال فقد روى عنه اثنان وذكره ابن حبان في الثقات ، لذلك قال ابن القطاف : لا تعرف حاله ولا أعلم له إلا حديثين . أما قول الحافظ ابن حجر في التقريب أنه « صدوق » ففيه نظر ، كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب » (١/٣٤٤) .

الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إِنَّ إخوانكم لقوا العدو ، وإنَّ زيدا أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ؛ خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه . قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » . قال : فجاء بنا كأننا أفرخ ، فقال : « ادعوا لي الحلاق » . فجاء بالحلاق ، فحلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب ، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي » . ثم أخذ بيدي فأشالها وقال : « اللهم اخلف جعفرأ في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » . قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا ، وجعلت تفرح له ، فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟! » ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائي في السير بتمامه من حديث وهب بن جرير ، به<sup>(١)</sup> . وهذا يقتضي أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ، ثم نهاهم عنه بعدها .

ولعلَّه معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، من حديث الحكم ، عن عبد الله بن شداد ، عن أسماء ، أن رسول الله ﷺ قال لها لما أصيب جعفر : « تسلي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت » . تفرد به أحمد . فيحتمل أنه أذن لها في التسلب ، وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا ؛ لشدة حزنها على جعفر أبي أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلب ، وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت ؛ مما يفعله المعتدات على أزواجهن ، من الإحداد المعتاد ، والله أعلم .

ويروى : « تسلي ثلاثاً » أي : تصبري ، ثلاثاً ، وهذا بخلاف الرواية الأخرى ، والله أعلم .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن طلحة ، ثنا الحَكَم بن عُتيبة ، عن عبد الله بن شداد ، عن أسماء بنت عُميس قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : « لا تُحدِّي بعد يومك هذا » فإنه من أفراد أحمد أيضاً ، وإسناده لا بأس به<sup>(٤)</sup> ، ولكنه مشكل إن حمل على ظاهره ؛ لأنه قد ثبت في « الصحيحين »<sup>(٥)</sup> أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » ، فإن كان مرواه الإمام أحمد

(١) رواه أبو داود رقم (٤١٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٠٤) وهو حديث صحيح .

(٢) في « المسند » (٤٣٨/٦) ، وهو حديث ضعيف .

(٣) في « المسند » (٣٦٩/٦) .

(٤) قال الإمام أحمد : إنه مخالف للأحاديث الصحيحة في الإحداد .

قال الحافظ ابن حجر : وهو مصير منه إلى أن يُعَلَّ بالشذوذ . انظر « فتح الباري » رقم (٥٣٣٤) .

(٥) رواه البخاري رقم (١٢٨٠) ومسلم رقم (١٤٨٦) .

محفوظاً ، فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم ، والله أعلم .

قلت : ورثت أسماء بنت عميس زوجها بقصيدة تقول فيها : [ من الطويل ]

فَالَيْتَ لَا تَنفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً      عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا  
فَلله عينا مَنْ رَأَى مثله فَتَى      أَكْرَرُ وَأَحْمَى فِي الْهَيَاجِ وَأَصْبَرَا

ثم لم تَنْشَبْ أَنْ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ، فخطبها أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، فتزوجها ، فأولم ، وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم علي بن أبي طالب ، فلما ذهب الناس استأذن علي أبو بكر ، رضي الله عنهما ، في أن يكلم أسماء من وراء الستر ، فأذن له ، فلما اقترب من الستر نفحه ريح طيبها ، فقال لها علي ، على وجه البسط : من القائلة في شعرها : [ من الطويل ]

فَالَيْتُ لَا تَنفَكُ نَفْسِي حَزِينَةً      عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن ، فإنك امرؤ فيك دُعابة ، فولدت للصديق محمد بن أبي بكر ، ولدت بالشجرة بين مكة والمدينة ، ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حجة الوداع ، فأمرها أن تغتسل وتُهَلَّ ، وسيأتي في موضعه ، ثم لما توفي الصديق ، تزوجها بعده علي بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً ، رضي الله عنه وعنهما وعنهم أجمعين .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَةَ بن الزبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر » . فأتي بعبد الله بن جعفر ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار ، فررت في سبيل الله ؟! قال : فيقول رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله » وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا أبو معاوية ، ثنا عاصم ، عن مُورِقِ العجلي ، عن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقِي بالصبيان من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٢ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ١ / ٢٠٣ ) .

قال : فحملني بين يديه . قال : ثم جيء بأحد ابني فاطمة ، إما حسنٌ وإما حسين ، فأردفه خلفه ، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه<sup>(١)</sup> من حديث عاصم [ الأحول ] عن موزق به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : [ ثنا روح ] ، ثنا ابن جريج ، ثنا جعفر بن خالد بن سارة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيته قثم وعبيد الله ابني العباس ونحن صبيان نلعب ، إذ مر النبي ﷺ على دابة فقال : « ارفعوا هذا إليّ » . [ فحملني أمامه وقال لقثم : « ارفعوا هذا إليّ » ] فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحبَّ إلى عباس من قثم ، فما استحي من عمِّه أن حمل قثم وتركه . قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً ، وقال كلما مسح : « اللهم اخلف جعفرأ في ولده » . قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استشهد . قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير ، قال : أجل .

ورواه النسائي في « اليوم والليلة »<sup>(٣)</sup> من حديث ابن جريج ، به .

وهذا كان بعد الفتح ؛ فإن العباس إنما قدم المدينة بعد الفتح .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا إسماعيل ، ثنا حبيب بن الشهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم . فحملنا وتركك .

هكذا رأيته في « المسند » ، وكأنه غلط في النسخة ، فإنه من مسند عبد الله بن جعفر ، فصوابه : قال : قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر : أتذكر إذ تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاري ، ومسلم<sup>(٥)</sup> من حديث حبيب بن الشهيد . وهذا يعدُّ من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح ، كما قدّمنا بيانه ، والله أعلم .

(١) رواه مسلم رقم ( ٢٤٢٨ ) وأبو داود رقم ( ٢٥٦٦ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٤٢٤٦ ) وابن ماجه رقم ( ٣٧٧٣ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٠٥ / ١ ) ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١٠٩٠٥ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٠٣ / ١ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٣٠٨٢ ) ومسلم رقم ( ٢٤٢٧ ) وقد جاء الحديث عند مسلم مقلوباً ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » في ذلك منبهاً : جعل - يعني مسلم - المستفهم عبد الله بن جعفر ، والقائل « فحملنا » عبد الله بن الزبير ، والذي في « صحيح البخاري » أصح .

## فصل

في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة ؛ زيد وجعفر وعبد الله ،

[ رضي الله عنهم ]

أما زيد بن حارثة<sup>(١)</sup> بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة الكلبي القضاعي ، مولى رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن أمه ذهبت تزور أهلها ، فأغارت عليهم خيل بلقين فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة بنت خويلد . وقيل : اشتراه رسول الله ﷺ لها ، فوهبته من رسول الله قبل النبوة ، فوجده أبوه ، فاختره المقام عند رسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبناه فكان يقال له : زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالي ، ونزل فيه آيات من القرآن ؛ منها قوله [ تعالى ] : ﴿ وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [ الأحزاب : ٤ ] . وقوله تعالى : ﴿ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [ الأحزاب : ٥ ] .

وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [ الأحزاب : ٤٠ ] .

وقوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [ الأحزاب : ٣٧ ] .

أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى ﴿ أنعم الله عليه ﴾ أي بالإسلام ، ﴿ وأنعمت عليه ﴾ أي بالعتيق ، وقد تكلّمنا عليها في « التفسير »<sup>(٢)</sup> .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمّ أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله ﷺ ، وزوّجه مولاته أم أيمن ، واسمها بركة ، فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له : الحبّ بن الحبّ . ثم زوّجه بابنة عمته زينب بنت جحش ، وأخى بينه وبين عمّه حمزة بن عبد المطلب ، وقدمه في الإمرة على ابن عمّه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة ، كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> ، والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة - وهذا لفظه - : ثنا محمد بن عبيد ،

(١) ترجمته في « الاستيعاب » ( ٤٧/٤ ) و« تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢٠٢/١ ) و« جامع الأصول » ( ١٠٥/١٤ ) و« أسد الغابة » ( ٢٨١/٢ ) و« الإصابة » ( ٥٦٣/١ ) و« سير أعلام النبلاء » ( ٢٢٠/١ ) و« شذرات الذهب » ( ١٢٦/١ ) بتحقيقي .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » ( ٣٧٧/٦ - ٣٧٩ - ٤١٩ - ٤٢٦ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٢٦/٦ ) وابن أبي شيبة في « المصنّف » رقم ( ١٨٨٢٤ ) .



عن وائل بن داود ، سمعت البهي<sup>(١)</sup> يُحَدِّثُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ : مَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فِي سِرِّيَةٍ إِلَّا أَمَرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَوْ بَقِيَ بَعْدَهُ لَاسْتَخْلَفَهُ .

ورواه النسائي<sup>(٢)</sup> ، عن أحمد بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الطنافسي ، به ، وهذا إسناد جيد قويٌّ على شرط الصحيح ، وهو غريب جداً ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا سليمان ، ثنا إسماعيل ، أخبرني ابن دينار ، عن ابن عمر ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمْرَتِهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنْ تَطَعَنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُتِمَ تَطَعَنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَإِيمَ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ بَعْدَهُ » .

وأخرجه في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> عن قُتَيْبَةَ ، عن إسماعيل - هو ابن جعفر بن أبي كثير المدني - عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر . . . فذكره .

ورواه البخاري<sup>(٥)</sup> من حديث موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه .

ورواه البزار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العُمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار<sup>(٦)</sup> : ثنا عمر بن إسماعيل [ بن مجالد ، حدثني أبي ] عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : لما أُصِيبَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، جِيءَ بِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، فَأُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فَأُخِّرَ ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ فُوقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « أَلَا قِي [ مِنْكَ ] الْيَوْمَ مَا لَقِيتَ مِنْكَ أَمْسَ » وهذا الحديث فيه غَرَابَةٌ ، والله أعلم .

وقد تقدم في « الصحيحين »<sup>(٧)</sup> أنه لما ذكر مُصَابِهِمْ وهو - عليه الصلاة والسلام - فوق المنبر ، جعل يقول : « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَهَا [ عَبْدُ اللَّهِ ] بَنَ رَوَاحَةَ [ فَأُصِيبَ ] ثُمَّ أَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » . قال : وَإِنْ عَيْنِيهِ لَتَذَرِفَانِ . وقال : « وَمَا يَسْرُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا » .

(١) وهو ( عبد الله مولى مصعب بن الزبير ) . انظر « خلاصة تذهيب تهذيب الكمال » للخزرجي ( ٣ / ٣٤٧ ) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٨١٨٢ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ١١٠ / ٢ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٦٦٢٧ ) ومسلم رقم ( ٢٤٢٦ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٤٦٨ ) .

(٦) كما في « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم ( ٢٦٧٥ ) وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد وهو متروك ، كما قال الحافظ في « التقريب » .

(٧) هو عند البخاري رقم ( ٤٢٦٢ ) وليس هو عند مسلم ، كما أوماً إليه المصنف سابقاً .

وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنة<sup>(١)</sup>

وقد قال حسان بن ثابت<sup>(٢)</sup> يرثي زيد بن حارثة وابن رَوَاحَةَ : [ من الخفيف ]

وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ
وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ	وَإِذْ كُنَّا فِي الْغَمِّ

وأما جعفر بن أبي طالب<sup>(٤)</sup> بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وكان أكبر من أخيه عليّ بعشر سنين ، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، أسلم جعفر قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وكانت له هنالك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدمنا ذلك في هجرة الحبشة ، والله الحمد . وقد قديم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري بأيهما أنا أسر ؛ أبقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر ؟ » وقام إليه واعتنقه وقبّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية : « أشبهت خلقي وخلقي » . فيقال : إنّه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدّم ذلك في موضعه . والله الحمد والمنّة . ولمّا بعثه إلى مؤتة جعله في الإمرة مصلياً - أي : ثانياً - لزيد بن حارثة ، ولمّا قتل وجدوا فيه بضعا وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كلّه مقبل غير مدبر ، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك اللواء ، فلمّا فقداهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إنّ رجلاً من الرّوم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضي الله عن جعفر ولعن قاتله . وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يُقطع له بالجنة ، وجاء في الأحاديث تسميته بذئ الجناحين .

(١) وقد خرجه المصنف من كتاب « دلائل النبوة » لليهقي .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ( ٢٩٥ / ١ ) مع بعض الخلاف اليسير .

(٣) الضريك : الفقير السيء الحال .

(٤) ترجمته في « الاستيعاب » ( ١٤٩ / ٢ ) و « تهذيب الأسماء واللغات » ( ١٤٨ / ١ ) و « جامع الأصول » ( ٢٤٦ / ١٣ )

بتحقيقه و « أسد الغابة » ( ٣٤١ / ١ ) و « الإصابة » ( ٨٥ / ١ ) و « سير أعلام النبلاء » ( ٢٠٦ / ١ ) و « شذرات

الذهب » ( ١٢٦ / ١ ) بتحقيقه .

وروى البخاري<sup>(١)</sup> ، عن ابن عمر أنه كان إذا سَلَّمَ على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذي الجَنَاحَيْنِ .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخطاب نفسه ، والصحيح ما في « الصحيح » عن ابن عمر .  
قالوا : لأن الله تعالى عَوَّضَهُ عن يديه بجَنَاحَيْنِ في الجَنَّةِ ، وقد تقدَّم بعض ما رُوي في ذلك .  
قال الحافظ أبو عيسى الترمذي<sup>(٢)</sup> : ثنا عليُّ بن حجر ، ثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جعفرًا يطير في الجنة مع الملائكة » .

وتقدَّم في حديث أنه ، رضي الله عنه ، قُتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة .  
وقال ابن الأثير في « الغابة »<sup>(٣)</sup> : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين سنة . قال : وقيل غير ذلك .  
قلت : وعلى ما قيل : إنه كان أسنَّ من عليٍّ بعشر سنين . يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ؛ لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة ، والله أعلم .  
وقد كان يقال لجعفر بعد قتله : الطَّيَّار . لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدحاً ، وكان لكرمه يُقال له : أبو المَسَاكِين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا عفَّان ، ثنا وهيب ، ثنا خالد ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب . وهذا إسناد جيّد إلى أبي هريرة ، وكأنه [ إنَّما ] يفضّله في الكرم ، فأما في الفضيلة الدِّينية ، فمعلوم أنَّ الصِّديق والفاروق بل وعثمان بن عفَّان أفضل منه ، وأما أخوه عليٌّ ، رضي الله عنهما ، فالظاهر أنَّهما متكافئان ، أو عليٌّ أفضل منه .

وإنَّما أراد أبو هريرة تفضيله في الكرم ، بدليل ما رواه البخاري<sup>(٥)</sup> ؛ ثنا أحمد ابن أبي بكر ، ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجُهَنِيُّ ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة أنَّ

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .

(٢) في « جامع » رقم (٣٧٦٣) ، وهو حديث حسن بشواهد ، من حديث ابن عمر ، وابن عباس وعلي بن أبي طالب ، والبراء ، وغيرهم .

(٣) يعني « أسد الغابة في معرفة الصحابة » وهو فيه (١/٣٤٤) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/٤١٣) .

(٥) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٨) .

الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة ، وإنِّي كنت ألزم رسول الله ﷺ بشبع بطني حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإنِّي كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي ؛ كي ينقلب [ بي ] فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكَّة التي ليس فيها شيء فنشقُّها فنلحق ما فيها . تفرد به البخاري .

وقال حسن [ بن ثابت ] يرثي جعفر<sup>(١)</sup> : [ من الكامل ]

ولقد بكيتُ وعَزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ	حبَّ النبيِّ على البريَّة كُلِّهَا
ولقد جَزَعْتُ وَقُلْتُ حين نُعِيتَ لي	مَن للجِلَادِ لدى العُقَابِ وظِلِّهَا
بالبليض حين تُسَلُّ من أَغْمَادِهَا	ضرباً وإنهال الرِّمَاحِ وعلَّهَا
بعد ابنِ فَاطِمَةَ المُبَارِكِ جعفرٍ	خيرِ البريَّة كُلِّهَا وأجلَّهَا
رُزْءاً وأَكْرَمَهَا جميعاً مَخْتِداً	وأعزَّهَا متظلماً وأذلَّهَا
للحقِّ حين يُنُوب غيرَ تَنَحُّلٍ	كَذِباً وأندَاهَا يَدَا وأقلَّهَا
فُحْشاً وأكثرها إذا ما يُجْتَدَى	فَضْلاً وأبذلَّهَا نَدَى وأبلَّهَا
بالعرفِ غيرَ مُحَمَّدٍ لا مثله	حَيٍّ مِن أحياء البريَّة كُلِّهَا

وأما ابن رَوَاحَةَ ، فهو عبد الله بن رَوَاحَةَ<sup>(٢)</sup> بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج أبو محمد - ويقال : أبو رَوَاحَةَ . ويقال : أبو عمر - الأنصاري الخزرجي ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رَوَاحَةَ ، أسلم قديماً وشهد العقبة ، وكان أحد النُّقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدرأ وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وكان يبعثه صلى الله عليه وسلم على خرصها كما قدَّمنا ، وشهد عمرة القضاء ، ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ - وقيل : بغرزا . يعني الرُّكَّاب - وهو يقول :

خَلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

الآيات ، كما تقدَّم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة ، كما تقدَّم ، وقد شجَّع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في

(١) الآيات في « ديوانه » ( ٣٢٣ / ١ ) مع بعض الخلاف اليسير .

(٢) ترجمته في « الاستيعاب » ( ٨٩٨ / ٣ ) و « تهذيب الأسماء واللغات » ( ٢٦٥ / ١ ) و « الإصابة » ( ٣٠٦ / ٢ ) و « سير

أعلام النبلاء » ( ٢٣٠ / ١ ) و « شذرات الذهب » ( ١٢٦ / ١ ) بتحقيقي .

ذلك ، وشجّع نفسه أيضاً حتى نزل بعدما قتل أصحابه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروي أنه لما أنشد النبي ﷺ شعره - حين ودّعه ، الذي يقول فيه : [ من البسيط ]

فثَبَّتَ اللهُ ما أَتاك من حسن تثبّت موسى ونصراً كالَّذي نُصروا -

قال رسول الله ﷺ : « وأنت فثَبَّتَكَ اللهُ » .

قال هشام بن عروة : فثَبَّتَهُ اللهُ حتى قتل شهيداً ودخل الجنة .

وروى حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أن عبد الله بن رَوَاحَةَ أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً على طوعية الله وطوعية رسوله » .

وقال البخاري في « صحيحه » (١) :

وقال معاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة .

وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك ، عن عبد الله بن رَوَاحَةَ بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد (٢) : حدّثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النُميري ، عن أنس قال : كان عبد الله بن رَوَاحَةَ إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن برّبنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ، ألا ترى ابن رَوَاحَةَ يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبي ﷺ : « يرحم الله ابن رَوَاحَةَ ، إنه يحبّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جداً .

وقال البيهقي : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو بكر ، أنبأ محمد بن أيوب ، أنبأ أحمد بن يونس ، ثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رَوَاحَةَ قال لصاحب [ له ] : تعال [ حتى ] نؤمن ساعة . قال : أولسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ، ولكننا نذكر الله فنزداد إيماناً .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالكائي ، من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سليم ، عن شريح بن عبيد ، أن عبد الله بن رَوَاحَةَ كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين ، وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول « شرح البخاري » . والله الحمد والمنة .

(١) في الباب قبل الحديث رقم (٨) في الإيمان : باب الإيمان وقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » تعليقاً ، ووصله أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٦/١١) و(٣٤٦/١٣) عن الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : اجلس بنا نؤمن ساعة ، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٤٨/١) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢٦٥/٣) ، وإسناده ضعيف .

وفي « صحيح [البخاري] »<sup>(١)</sup> عن أبي الدرداء قال : كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر في حرٍّ شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة . رضي الله عنه . وقد كان من شعراء الصّحابة المشهورين .

وممّا نقله البخاري<sup>(٢)</sup> من شعره قوله في رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> : [ من الطويل ]

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ      [ إِذَا ] انشَقَّ معروف من الفجر ساطعُ  
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ      إِذَا اسْتَقَلَّتْ بالمشرّكين المَصَاجِعُ  
أَتَى بِالْهُدَى بعد العمى فُقُوبُنَا      به مُوقِنَاتُ أَنْ مَا قَالَ واقعُ

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا عِمْرَانُ بن مَيْسَرَةَ ، ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر ، عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبلأه ، واكذا ، واكذا تعدّد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟!

ثنا قُتَيْبَةُ ، ثنا عَبَّازٌ ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة . . . بهذا ، فلمّا مات لم تبك عليه .

وقد قدّمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع ، رضي الله عنهم :

كفى حزناً أَنِّي رجعت وجعفر      وزيد وعبد الله في رَمَسِ أَقْبَرِ  
قضوا نحبهم لَمَّا مضوا لسيّلتهم      وخلففت للبلوى مع المتعبّرِ

وسيّأتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

## فصل

في ذكر من استشهد يوم مُؤتة من المسلمين<sup>(٥)</sup>

فمن المهاجرين : جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زيد بن حارثة [ الكلبي ] ومسعود بن الأسود بن

(١) صحيح البخاري رقم (١٩٤٥) ، ورواه مسلم في « صحيحه » أيضاً رقم (١١٢٢) .

(٢) في « صحيحه » رقم (١١٥٥) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (١٦٢) مع بعض الخلاف والتقديم والتأخير ، ومع بيت رابع هو :

وأعلم علماً ليس بالظن أنني إلى الله محشورٌ هناك وراجِعْ

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٧) و(٤٢٦٨) .

(٥) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص (٢٢٢) وقد زاد على ما ذكره المؤلف شهداء آخرين .

حارثة بن نضلة العدوي ، وَوَهَب بن سعد بن أبي سرح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار : عبد الله بن رَوَاحَة ، وعباد بن قيس الخزرجيَّان ، والحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة النجاري ، وسُرَاقَة بن عمرو بن عطية بن خنساء المازني ، أربعة نفر .

فمجموع من قتل من المسلمين يومئذ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق<sup>(١)</sup>

لكن قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وممن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكره ابن شهاب الزهري ، أبو كليب ، وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيَّان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو ، وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً<sup>(٣)</sup> ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً ، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ؛ أحدهما ، وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ، عدتها ثلاثة آلاف مقاتل ، وأخرى كافرة عدتها مئتا ألف مقاتل ؛ من الروم مئة ألف ، ومن نصارى العرب مئة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ، ثم مع هذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول : لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف ، وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية . فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها ؟! دع غيره من الأبطال والشجعان ، من حَمَلَةِ القرآن ، وقد تحكّموا في عبدة الصُّلبان ، عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان ، وفي كلِّ أوان . وهذا مما يدخل في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَانِ فَيَأْتِيَنَّكَ فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

\*\*\*

## حديث

### فيه فضيلة عظيمة لأمرأء هذه السرية

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، رضي الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرْعَة عبيد الله<sup>(٤)</sup> بن عبد الكريم الرازي - نصر الله وجهه - في كتابه

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٨ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٨ - ٣٨٩ ) .

(٣) وهو ما ذكره ابن حزم في « جوامع السيرة » .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « عبد الله » وهو خطأ ، والتصحيح من « شذرات الذهب » ( ٣ / ٢٧٨ ) بتحقيقي .

« دلائل النبوة » وهو كتاب جليل<sup>(١)</sup> - : ثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر .

( ح ) وحدثننا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، ثنا الوليد وعمرو - يعني ابن عبد الواحد - قال : ثنا ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول : أخبرني أبو أمامة الباهلي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان ، فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد . فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنا سنسهله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عواء أهل النار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم معلّقين بعراقيهم ، مشقّة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم » . فقال : « خابت اليهود والنصارى » . قال سليم : [ لا أدري ] أسمع من رسول الله ﷺ أم من رأيه « ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشدّ شيء انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً ، كأن ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم أشدّ [ شيء ] انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً ، كأن ريحهم المراحيض . قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون والزواني ، ثم انطلقا بي ، فإذا بنساء تنهّش ثديهنّ الحيات ، فقلت : ما بال هؤلاء ؟ قال : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي ، فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذراري المؤمنين . ثم أشرفا بي شرفاً ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بي شرفاً آخر ، فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام ، وهم ينتظرونك »<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

## فصل

### فيما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان مما بُكّي به أصحاب مؤتة قول حسان<sup>(٤)</sup> : [ من الطويل ]

تأويني ليلٌ بيثرب أعسرُ      وهم إذا ما نؤم الناس مسهرُ

(١) قلت : وهو مخطوط لم يطبع بعد فيما أعلم .

(٢) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » رقم ( ١٩٨٦ ) وعنه ابن حبان في « صحيحه » رقم ( ٧٤٩١ ) وإسناده صحيح . وذكره بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم ( ٧٦٦٧ ) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١ / ٧٦ - ٧٧ ) : « ورجاله رجال الصحيح » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٨٣ ) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ( ١ / ٩٨ ) مع بعض الخلاف في ألفاظها .



لذكرى حبيب هَجَّجَتْ لي عِبْرَةً  
بلى إنَّ فُقدانَ الحبيبِ بليَّةٌ  
رأيت خيارَ المسلمين تواردوا  
فلا يُبْعَدَنَّ اللهَ قَتلى تتابعوا  
وزيد وعبد الله حين تتابعوا  
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم  
أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم  
فَطَاعَنَ حَتَّى مَالٍ غيرِ موسِدٍ  
فَصَارَ مع المستشهدين ثَوَابُهُ  
وكنا نرى في جعفرٍ مِنْ محمدٍ  
وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ  
هُمْ جبل الإسلام والناس حولهم  
بهاليلٍ منهم جعفر وابن أمه  
وحمزة والعباس منهم ومنهم  
بهم تفرجُ اللاواء في كلِّ مَازِقٍ  
هُمْ أولياء الله أنزل حكمه

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه<sup>(١)</sup> : [ من الكامل ]

نام العيونُ ودمعُ عينك يهْمُلُ  
في ليلةٍ وردت عليَّ هُمُومُهَا  
واعتادني حُزْنٌ فَبِتَّ كأنني  
وكأنما بين الجوانحِ والحشا  
وَجَدَا على النفر الذين تتابعوا  
صلى الإله عليهم من فتيةٍ  
صبروا بِمُؤْتَةِ لئله نفوسهم  
فَمَضَوْا أمام المسلمين كأنهم  
إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائه

سَحَاً كما وكَفَ الطَّبَابُ الْمُخْضِلُ  
طَوْرًا أَحِنَّ وتارةً أتململُ  
بيناتٍ نعشٍ والسَّمَاءُ مُوَكَّلُ  
مِمَّا تَأْوِينِي شَهَابٌ مُدْخِلُ  
يوماً بِمُؤْتَةِ أسندوا لم ينقلوا  
وسقى عِظَامَهُمُ الغَمَامُ المسبلُ  
حَذَرَ الرَّدَى وَمَخَافَةً أَنْ يَنْكُلُوا  
فُنُقُ<sup>(٢)</sup> عليهن الحديد المرفلُ  
قَدَامَ أولهمن فنعم الأولُ

(١) الأبيات في « ديوانه » ص (٢٠٥-٢٠٦) .

(٢) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد فنيق .

حتى تفرجت الصفوف وجعفرُ      حيث التقى وعث الصفوف مجدلُ  
فتغير القمرُ المنيرُ لفقدهِ      والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادت تأفلُ  
قرمُ علا بنيانه من هاشم      فرعاً أشمَّ وسوددا ما ينقلُ  
قوم بهم عصمَ الإلهُ عبادهُ      وعليهم نَزَلَ الْكِتَابُ المنزلُ  
فضلوا المعاشرَ عزّةً وتكرماً      وتغمّدت أحلامهم من يجهلُ  
لا يطلقون إلى السّفاهِ حُبَاهُمُ      ويرى خطيئهمُ بحق يفصلُ  
بيض الوجوه ترى بطون أكفّهمُ      تندى إذا اعتذَرَ الزّمانُ المحلُ  
وبهذّيبهم رضي الإلهُ لِحَلْقِهِ      وبجدهم نُصِرَ النَّبِيُّ المرسلُ

\*\*\*

## بسم الله الرحمن الرحيم

### كتاب

## بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم

يدعوهم إلى الله ، عزَّ وَجَلَّ ، وإلى الدخول في الإسلام<sup>(١)</sup>

ذكر الواقدي<sup>(٢)</sup> أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجة ، بعد عمرة الحديبية .

وذكر البيهقي<sup>(٣)</sup> هذا الفصل في هذا الموضع ، بعد غزوة مؤتة ، والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية ؛ لقول أبي سفيان له رَقَلَ حين سألَه : هل يَغْدُرُ ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها .

وفي لفظ للبخاري<sup>(٤)</sup> : وذلك في المدة التي مادَّ<sup>(٥)</sup> فيها أبو سفيان رسول الله .

(١) لتمام الفائدة فيما يتصل برسائل رسول الله ﷺ لملوك الأمم وزعماء القبائل راجع كتاب « إعلام السائلين عن كتب

سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٦٤٤ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤ / ٣٧٦ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٧ ) .

(٥) أي : صالحهم إلى مدة استقرت بينهم . عن « جامع الأصول » ( ١١ / ٢٧٢ ) .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : كان ذلك ما بين الحُدَيْيَةِ ووفاته ، عليه الصلاة والسلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا ، وإن كان قول الواقدي محتملاً ، والله أعلم .

وقد روى مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن يوسف بن حَمَّاد المعنِيّ ، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى وقيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كلِّ جَبَّار ؛ يدعوهم إلى الله ، عز وجل ، وليس بالنجاشي الذي صَلَّى عليه .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزَّهْرِيُّ<sup>(٣)</sup> ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان ، مِنْ فِيهِ إِلَى فِيّ ، قال : كنا قوماً تُجَاراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلما كانت الهُدْنَةُ - هُدْنَةُ الحُدَيْيَةِ - بيننا وبين رسول الله ﷺ لم نأمن أن وجدنا أماناً ، فخرجتُ تاجراً إلى الشام مع رهطٍ من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حملني بضاعةً ، وكان وجه متجرنا من الشام غَزَّةً من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها ، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس ، فأخرجهم منها ، وردَّ عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه ، فلما أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بحمص من أرض الشام ، فخرج منها يمشي متشكراً إلى بيت المقدس ؛ ليصلي فيه ، تُبَسِّطُ لَهُ البسط ، وتطرح له عليها الرِّياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلَّى بها ، فأصبح ذات غداة وهو مهموم ، يقلِّب طرفه إلى السماء ، فقالت بطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُرِيت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهرٌ . فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود ، وهم تحت يدك وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع هذا في نفسك منهم ، فابعث في مملكتك كلَّها ، فلا يبقى يهوديٍّ إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فإنهم في ذلك من رأيهم يدبرونه ، إذ أتاهم رسول صاحب بُضْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فاسأله عنه . فلما انتهى إليه ، قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟ فسأله فقال : رجل من العرب من قريش ، خرج يزعم أنه نبيٌّ ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجتُ من بلادي وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختون ، فقال : هذا والله الذي قد أُرِيت ، لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلِّب لي الشام ظهراً لبطنٍ ، حتى تأتي برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٦٤٥ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٧٧٤ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٦٤٦ ) و « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٨١ ) .

قال أبو سفيان : فوالله إنني وأصحابي لبغزة ، إذ هجم علينا ، فسألنا : ممّن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً ، فلمّا انتهينا إليه ، قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعّم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف - يريد هرقل - قال : فلمّا انتهينا إليه قال : أيكم أمسّ به رحماً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال : فأجلسني بين يديه ثم أمر بأصحابي ، فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب فردوا عليه .

قال أبو سفيان : فلقد عرفت أنني لو كذبت ما ردوا عليّ ، ولكنّي كنت امرءاً سيّداً ، أتكرم وأستحي من الكذب ، وعرفت أنّ أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عنيّ ، ثم يتحدثوا به عنيّ بمكّة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم . فزهدتُ له شأنه ، وصغرت له أمره ، فوالله ما التفت إلى ذلك منّي ، وقال لي : أخبرني عما أسألك عنه من أمره . فقلت : سلني عما بدا لك ؟ فقال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : محضاً<sup>(١)</sup> ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله ، فهو يتشبه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرني هل كان له مُلك فاستلبتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداث والضعفاء والمساكين ، فأما أشرافهم وذوو الأسنان<sup>(٢)</sup> فلا . قال : فأخبرني عمّن يصحبه ، أيحبه ويلزمه ، أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : قلّ ما صحبه رجل ففارقه . قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سجال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجِد شيئاً أغره به إلا هي ، قلت : لا ، ونحن منه في مدّة ، ولا نأمن غدره فيها ، فوالله ما التفت إليّها مني . قال : فأعاد عليّ الحديث ، فقال : زعمتُ أنه [ من ] أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ، فقلت : لا . وسألتك هل كان له مُلك فاستلبتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ، فقلت : لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كلّ زمان ، وسألتك عمّن يتبعه ، أيحبه ويلزمه ، أم يقليه ويفارقه ، فزعمت أنه قلّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سجال ؛ يُدال عليكم وتداولون عليه ، وكذلك تكون حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أنه لا يغدر ، فلئن كنت صدقتني ، ليغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين ، ولوددت أنني عنده فأغسل عن قدميه . ثم قال : الحقّ بشأنك . قال : فقمت وأنا أضرب بإحدى يديّ على الأخرى ، وأقول : يا عباد الله ، لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة<sup>(٣)</sup> ! أصبح ملوك بني

(١) أي : خالص النسب . انظر « لسان العرب » ( محض ) .

(٢) أي : كبار السنّ .

(٣) أي : كبر شأنه وعظم واتسع ، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، لأن أبا كبشة الخزاعي ، واسمه وجز ، كان قد خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، وعبد الشّعريّ العبور ، وهو النجم المعروف في نجوم السماء ، فلما-

الأصفر<sup>(١)</sup> يخافونه في سلطانهم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدثني الزهري قال : حدثني أسقف من النصارى ، قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دحية بن خليفة على هرقل بكتاب رسول الله ﷺ فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد : فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن إثم الأكارين<sup>(٣)</sup> عليك » . قال : فلما انتهى إليه كتابه وقرأه ، أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته ، ثم كتب إلى رجل من أهل رومية ، كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ ، يخبره عما جاءه من رسول الله ﷺ ، فكتب إليه : إنه النبي الذي ينتظر لا شك فيه ، فاتبعه . فأمر بعظماء الروم ، فجمعوا له في دسكرة<sup>(٤)</sup> ملكه ، ثم أمر بها فأشرجت عليهم ، واطلع عليهم من علية له وهو منهم خائف ، فقال : يا معشر الروم ، إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخروا نخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم ، فخافهم وقال : ردوهم علي . فردوهم عليه ، فقال لهم : يا معشر الروم ، إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها ؛ لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فلقد رأيت منكم ما سرني . فوقعوا له سجداً ، ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا .

وقد روى البخاري قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أخر ، أحببنا أن نوردتها بسندها وحروفها من « الصحيح » ؛ ليعلم ما بين السياقين من التباين ، وما فيها من الفوائد .

قال البخاري قبل الإيمان من « صحيحه »<sup>(٥)</sup> : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ثنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ، أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مآداً فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء<sup>(٦)</sup> ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم

= خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأصنام شبهوه به ، وقيل : كان جد جد النبي ﷺ لأمه ، أرادوا : أنه نزع إليه في الشبه . عن « جامع الأصول » ( ٢٧٣ / ١١ ) .

(١) بنو الأصفر : هم الروم ، سموا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة . عن « جامع الأصول » ( ٢٧٣ / ١١ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٨٤ / ٤ ) .

(٣) الأكارون : الذين يحرقون الأرض . انظر « القاموس المحيط » ( أكر ) .

(٤) الدسكرة : بناء على هيئة القصر . انظر « النهاية » ( ١١٧ / ٢ ) .

(٥) رقم ( ٧ ) .

(٦) إيلياء : هي بيت المقدس . انظر « الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص ( ٦٨ ) .

ودعا بالترجمان فقال : أَيْكُمْ أَقْرَبُ نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبتني فكذبوه ، فوالله لولا أن يَأْثِرُوا عَنِّي كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أوَّل ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قطُّ قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدَّة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكِّنني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إِيَّاه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجالٌ ؛ ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آبائكم . ويأمرنا بالصلاة والصَّدق والعَفاف والصِّلَة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرُّسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يتأسَّى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ، فذكرت أن لا ، فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب مُلْكَ أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاهم ؟ فذكرت أن ضعفاهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتدُّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرُّسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصَّدق والعَفاف ، فإن كان ما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظنُّ أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه ، لتجشَّمت لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغسَّلتُ عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْيَةَ إلى عظيم بُصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرُّوم ، سَلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرَّتين ، فإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسيين<sup>(١)</sup> » ، و : ﴿ يَتَّاهَلُ

(١) أي : الفلاحين . انظر « جامع الأصول » ( ١١ / ٢٧٢ - ٢٧٣ ) .

الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران : ٦٤]

قال أبو سفيان : فلمّا قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصّخب ، وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ! إنه يخافه ملك بني الأصفر ! فما زلت موقناً أنّه سيظهر ، حتى أدخل الله عليّ الإسلام . قال : وكان ابن النّاطور - صاحب إيلياء وهرقل - سقفاً على نصارى الشام ، يُحدّث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقه : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حزّاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنّي رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم ، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان ، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلمّا استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا ؟ فنظروا إليه ، فحدثوه أنّه مختن . وسأله عن العرب ، فقال : هم يختنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه ، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبيّ ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم أطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرّشد ، وأن يثبت لكم ملككم ، فتبايعوا لهذا النبيّ . فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلمّا رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان قال : ردّوهم عليّ . وقال : إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ، ويونس ، ومعمر ، عن الزهريّ .

وقد رواه البخاريّ في مواضع كثيرة في « صحيحه » بألفاظ يطول استقصاؤها<sup>(٢)</sup> .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا ابن ماجه ، من طرق عن الزّهرريّ<sup>(٣)</sup> .

وقد تكلمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لـ « صحيح البخاريّ » بما فيه كفاية ، وذكرنا فيه من الفوائد والنكت المعنوية واللفظية ، والله الحمد والمنة .

(١) انظر نصّ الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص ( ٧٠ ) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) ومنها في الأرقام ( ٢٩٤١ ) و ( ٤٥٥٣ ) و ( ٢٨٠٤ ) و ( ٢٩٤١ ) و ( ٢٩٧٨ ) و ( ٦٢٦٠ ) وغيرها .

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٧٧٣ ) وأبو داود رقم ( ٥١٣٦ ) والترمذي رقم ( ٢٧١٧ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١١٠٦٤ ) .

وقال ابن لهيعة ، عن الأسود ، عن عُرْوَةَ قال<sup>(١)</sup> : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ ، فأراد أن يعلم ما يعلم من أمر رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه ، فأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً ، منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ، ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب ، وليس بنبي . قال : فأخبروني بأعلمكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عمّه ، وقد قاتله . فلمّا أخبروه ذلك ، أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان . فقال : هو ساحر كذاب . فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ، ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش . قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط . قال هرقل : هل كان حلاًفاً كذاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك . قال : لعله يطلب ملكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال : من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا . قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا ، إلا أن يغدر مدّته هذه . فقال هرقل : وما تخاف من مدّته هذه ؟ قال : إن قومي أمّدّوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر . فغضب أبو سفيان وقال : لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب - وهو يوم بدر - ثم غزوته مرّتين في بيوتهم ، بقر البطون ، ونجدع الأذان والفروج . فقال هرقل : أكاذباً تراه أم صادقاً ؟ فقال : بل هو كاذب . فقال : إن كان فيكم نبي ، فلا تقتلوه ، فإنّ أفعال الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غرابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ، ولا البخاري . وقد أورد موسى بن عقبة في « مغازيه » قريباً مما ذكره عُرْوَةُ بن الزبير ، والله أعلم .

وقال ابن جرير في « تاريخه »<sup>(٢)</sup> : ثنا ابن حُميد ، ثنا سلمة ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحيّة بن خليفة الكلبي حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ، ولكنني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف ، فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم مني ، وأجوز قولاً عندهم مني ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال : فجاء دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعو إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل ، نعرفه بصفته ، ونجده في كتابنا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٨٤ / ٤ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٥٠ / ٢ ) .



باسمه . ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثياباً بياضاً ، ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يامعشر الرُّوم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ، يدعونا فيه إلى الله ، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . قال : فلما رجع دحية إلى هرقل ، فأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ، فضغاطر والله كان أعظم عندهم ، وأجوز قولاً مني .

وقد روى الطبراني<sup>(١)</sup> من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن عبد الله بن شداد ، عن دحية الكلبي قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الرُّوم بكتاب ، فقلت : استأذنوا لرسول رسول الله ﷺ . فأتني قيصر فقبل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنه رسول الله . ففرعوا لذلك ، فقال : أدخله . فأدخلني عليه وعنده بطارقه ، فأعطيته الكتاب ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » . فنخر ابن أخ له أحمر أزرق سبط ، فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم ، فإنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحب الرُّوم ، ولم يكتب ملك الرُّوم . قال : فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ، ثم بعث إليّ ، فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه ، وكان صاحب أمرهم ، يصدرون عن رأيه وعن قوله ، فلما قرأ الكتاب قال الأسقف : هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى ، الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقف : أمّا أنا فإني مُصدِّقه ومتَّبِعُه . فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهب مُلكي وقتلني الرُّوم .

وبه قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية ؛ لما بلغه من أمر النبي ﷺ جمع الرُّوم فقال : يا معشر الرُّوم ، إنني عارض عليكم أموراً ، فانظروا فيما أردت بها . قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل ، نجده في كتابنا ، نعرفه بصفته التي وُصف لنا ، فهلّم فلنتَّبِعُه ، فتسلم لنا دينانا وآخرتنا . فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ، ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأقصاهم بلداً ؟! قال : فهلّم أعطيه الجزية كل سنة ، أكسر عني شوكته ، وأستريح من حربه بما أعطيه إياه . قالوا : نحن نعطي العرب الدّلّ والصغار بخرج يأخذونه منا ، ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمهم ملكاً ، وأمنعهم بلداً ؟! لا والله لا نفعل هذا أبداً . قال : فهلّم فلأصالحه على أن أعطيه أرض سورية ، ويدعني وأرض الشام . قال : وكانت أرض سورية ؛ فلسطين ، والأردن ، ودمشق ، وحمص ، ومادون

(١) في « المعجم الكبير » رقم ( ٤١٩٨ ) وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك ، ويحيى بن عبد الحميد الحِمَاني وهو ضعيف .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٥١ / ٢ ) .

الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدَّرب عندهم فهو الشام - فقالوا : نحن نعطيهِ أرض سورية وقد عرفتَ أنها سُرّة الشام ؟! لا نفعل هذا أبداً . فلما أبوا عليه قال : أما والله لتوذن أنكم قد ظفرتُم ، إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدَّرب ، استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليك يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية ، والله أعلم .

\*\*\*

## ذكر

### إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم بعث رسول الله ﷺ شُجاع بن وهب ، أخا بني أسد بن خزيمة ، إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني ، صاحب دمشق .

قال الواقدي<sup>(٢)</sup> : وكتب معه : « سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهدى وآمنَ به ، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريكَ له ؛ يبقى لك مُلكك »<sup>(٣)</sup> ، فقدم شُجاع بن وهب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إنني سأسير إليه .

\*\*\*

## ذكر

### بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفُرس

روى البخاري<sup>(٤)</sup> من حديث الليث ، عن يونس ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مرَّقه . قال : فحسبت أن ابن المُسيَّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمرِّقوا كلَّ مُمرِّقٍ .

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٦٥٢ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٢ / ٦٥٢ ) .

(٣) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص ( ١٠٦ - ١٠٨ ) بتحقيقي .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٧٢٦٤ ) .

وقال عبد الله بن وهب<sup>(١)</sup> ، عن يونس ، عن الزُّهري ، حدثني عبد الرحمن بن عبد القاري ، أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال : « أمّا بعد : فإنّي أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم ، فلا تختلفوا عليّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم » . فقال المهاجرون : يا رسول الله ، إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا . فبعث شجاع بن وهب إلى كسرى ؛ فأمر كسرى بإيوانه أن يزيّن ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع بن وهب ، فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه ، فقال شجاع بن وهب : لا ، حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناولته الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه ، فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » . قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه ، وصاح وغضب ومزّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشجاع بن وهب فأخرج ، فلمّا رأى ذلك قعد على راحلته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي على أيّ الطريقين أكون إذ أدّيت كتاب رسول الله ﷺ . قال : ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتمس فلم يوجد ، فطُلب إلى الحيرة فسبّق ، فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « مزّق كسرى ملّكهُ » .

وروى محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، عن عبد الله بن أبي بكر ، [ عن الزُّهري ] عن أبي سلمة ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى ، فلما قرأه مزّقه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال : « مزّق ملكه » .

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup> : ثنا أحمد بن حميد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس ، وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، وأمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإنّي أنا رسول الله إلى الناس كافة ؛ لأنذركم من كان حياً ، ويحقّ القول على الكافرين ، فإن تسلم تسلم ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك »<sup>(٤)</sup> قال : فلما قرأه شقّه ، وقال : يكتب إليّ بهذا وهو عبدي ؟! قال : ثم كتب كسرى إلى بازام ، وهو نائبه على اليمن ، أن أبعث إلى هذا الرجل

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٨٧ / ٤ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٥٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٥٤ / ٢ ) .

(٤) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون ص ( ٦٦ ) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت .

بالحجاز رجلين من عندك جلددين فليأتياني به . فبعث باذام قهرمانه ، وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : خُرخرة . وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لأبازويه : ائت بلاد هذا الرجل وكلمه وأتني بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف ، فسألوه عنه فقال : هو بالمدينة . واستبشر أهل الطائف - يعني وقريش بهما - وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض : أبشروا ، فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلّمه أبازويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك [ كسرى ] قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرّب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال : « ويلكما ! من أمركما بهذا ؟ ! » قالا : أمرنا ربنا . يعنيان كسرى ، فقال رسول الله ﷺ : « ولكنّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي » . ثم قال : « ارجعا حتى تأتياني غداً » . قال : وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، بأن الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ، في ليلة كذا وكذا ؛ من الليل ؛ سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟ ! إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » . ثم أعطى خُرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك ، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإنني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، وليكوننّ ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فإنه نبيّ مرسل ، وإن لم يكن فسرى فيه رأينا . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ، فإنني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ؛ لما كان استحلّ من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه ، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال : وقد قال باذويه لبازام : ما كلّمت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام : هل معه شُرط ؟ قال : لا .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> ، رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء ، لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة ، لست ساعات مضت منها .

(١) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٥٦ / ٢ ) .

قلت: وفي شعر بعضهم ما يُرشد أن قتله كان في شهر حَرَامٍ ، وهو قول بعض الشعراء : [ من الرمل ]  
 قَتَلُوا كَسْرَى بَلِيلٍ مُخْرِمًا      فَتَوَلَّى لَمْ يُمَتَّعْ بِكَفَنٍ

وقال بعض شعراء العرب : [ من النوافر ]

وَكِسْرَى إِذْ تَقَاسَمَهُ بَنُوهُ      بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسَمَ اللَّحَامُ  
 تَمَخَضَتِ الْمُنُونُ لَهُ بِيَوْمٍ      أَتَى وَلَكُلَّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

وروى الحافظ البيهقي<sup>(١)</sup> من حديث حَمَّاد بن سَلَمَةَ ، عن حُمَيْد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ اللَّيْلَةَ رَبَّكَ » . قال : وقيل له - يعني النبي ﷺ - : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ تَمْلِكُهُمْ امْرَأَةٌ » .

قال البيهقي<sup>(٢)</sup> : وروى في حديث دحية بن خليفة ، أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل عامل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعد صاحب صنعاء ، ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ لتكفينه أو لأفعلن بك . فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربّه الليلة » . فوجدوه كما قال .

قال<sup>(٣)</sup> : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبي نحو هذا .

ثم روى البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال : « إِنَّ فِي وَجْهِ سَعْدٍ خَبْرًا » . فقال : يا رسول الله ، هلك كسرى . فقال : « لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظاهر أنه لما أخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين - يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام - فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به ، عليه الصلاة والسلام ، وشاع في البلاد ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره ، عليه السلام ، وهكذا بنحو هذا التقدير . ذكره البيهقي ، رحمه الله .

ثم روى البيهقي<sup>(٥)</sup> من غير وجه ، عن الزُّهْرِيِّ ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بُعث له - أو قيض له - عارض يعرض عليه الحق ، فلم يفجأ كسرى إلا

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٩٠ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٩٠ - ٣٩١ ) .

(٣) يعني في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٩١ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٩١ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٣٩١ ) .

برجل يمشي وفي يده عصا ، فقال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، لا تكسرها . فولّى الرجل ، فلما ذهب ، أرسل كسرى إلى حجّابه فقال : من أذن لهذا الرجل عليّ ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد . فقال : كذبتُم . قال : فغضب عليهم وتهدّدهم ، ثم تركهم . قال : فلما كان رأس الحول ، أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، قال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم ، لا تكسرها . فلما انصرف عنه دعا حجّابه ، فقال لهم كالمرّة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل ، معه العصا ، فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها . فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعيّ : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهريّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بعده ، وإذا هَلَكَ قِصْر فلا قِصْر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » . أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث ابن عُيينة ، وأخرجاه<sup>(٢)</sup> من حديث الزُّهريّ ، به .

قال الشافعيّ : ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزّقه ، فقال رسول الله ﷺ : « تَمَزَّقَ مُلْكُهُ » . وحفظنا أن قِصْر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مَسْكٍ<sup>(٣)</sup> ، فقال رسول الله ﷺ : « ثَبَتَ مُلْكُهُ » .

قال الشافعيّ وغيره من العلماء<sup>(٤)</sup> : ولمّا كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة ، فأسلم منهن ، شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال : « إذا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بعده ، وإذا هَلَكَ قِصْر فلا قِصْر بعده » . قال : فباد مُلْك الأكَاسرة بالكُلِّيّة ، وزال مُلْكُ قِصْر عن الشام بالكُلِّيّة ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عَظَمُوا كتابه ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْك الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام ، وكانت العرب تُسمّي قِصْر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الرُّوم ، وكسرى لمن ملك الفُرس ، والنجاشيّ لمن ملك الحبشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ، ولهم أعلامٌ أجناس غير ذلك ؛ وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٢٩١٨ ) ( ٧٥ ) .

(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم ( ٣٦١٨ ) ومسلم وهو عنده رقم ( ٢٩١٨ ) ( ٧٥ ) .

(٣) الْمَسْكُ : الجلد . انظر « القاموس المحيط » ( مسك ) .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٣٩٤ / ٤ ) .

وروى مسلم<sup>(١)</sup> ، عن قُتَيْبَةَ وَغَيْرِهِ ، عَنْ أَبِي عَوَّانَةَ ، عَنْ سِمَاك ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كُنُوزَ كَسْرَى فِي الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ » .

وروى أسباط ، عَنْ سِمَاك ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مِثْلَ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup> ، وَزَادَ : وَكُنْتُ أَنَا وَأَبِي فِيهِمْ ، فَأَصْبَنَا مِنْ ذَلِكَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

\*\*\*

بعثه - ﷺ - [ إلى ] الْمُقَوْسِ صَاحِبِ مَدِينَةِ الإسْكَندَرِيَّةِ

وَأَسْمَهُ جُرَيْجِ بْنِ مَيْنَا الْقِبْطِيِّ

قَالَ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ صَاحِبِ الإسْكَندَرِيَّةِ ، فَمَضَى بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ ، فَقَبَّلَ الْكِتَابَ ، وَأَكْرَمَ حَاطِبًا وَأَحْسَنَ نَزْلَهُ ، وَسَرَّحَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَهْدَى لَهُ مَعَ حَاطِبِ كِسْوَةَ ، وَبَغْلَةً بِسَرَجِهَا ، وَجَارِيتَيْنِ ؛ إِحْدَاهُمَا أُمُّ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَوَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُحَمَّدِ بْنِ قَيْسِ الْعَبْدِيِّ . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ<sup>(٤)</sup>

ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ الإسْكَندَرِيَّةِ . قَالَ : فَجِئْتُهُ بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَنِي فِي مَنْزِلِهِ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ وَقَدْ جَمَعَ بِطَارِقَتِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ كَلَامٍ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَفْهَمَ عَنِّي . قَالَ : قُلْتَ : هَلُمَّ . قَالَ : أَخْبَرَنِي عَنْ صَاحِبِكَ ، أَلَيْسَ هُوَ نَبِيًّا ؟ قُلْتَ : بَلَى ، هُوَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : فَمَا لَهُ حَيْثُ كَانَ هَكَذَا ، لَمْ يَدْعُ عَلَى قَوْمِهِ حَيْثُ أَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى غَيْرِهَا ؟ قَالَ : فَقُلْتَ : عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، أَلَيْسَ تَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قُلْتَ : فَمَا لَهُ حَيْثُ أَخَذَهُ قَوْمُهُ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَصْلُبُوهُ ، أَلَّا يَكُونَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَهْلِكَهُمْ اللَّهُ حَتَّى رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ لِي : أَنْتَ حَكِيمٌ ، قَدْ جَاءَ مِنْ عِنْدِ حَكِيمٍ ، هَذِهِ هَدَايَا أَبْعَثَ بِهَا مَعَكَ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَأَرْسَلَ مَعَكَ بِبَذْرَقَةٍ يَبْذُرُ قَوْلَكَ إِلَى مَأْمَنِكَ . قَالَ : فَأَهْدَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ جَوَارٍ ، مِنْهُمْ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَاحِدَةٌ وَهَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي جَهْمِ بْنِ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيِّ ،

(١) فِي « صَحِيحِهِ » رَقْمُ ( ٢٩١٩ ) .

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ » ( ٣٨٩ / ٤ ) .

(٣) وَأَسْمَاهُ ( مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ ) . انْظُرْ تَرْجُمَتَهَا وَمَصَادِرَهَا فِي « جَامِعِ الْأَصُولِ » ( ٢٦٩ / ١٢ ) بِتَحْقِيقِي .

(٤) فِي « دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ » ( ٣٩٥ / ٤ ) .

وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري<sup>(١)</sup> ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوارٍ ؛ إحداهنَّ مارية أمُّ إبراهيم ، والأخرى سِيرين التي وهبها لحسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان<sup>(٣)</sup>

قلت : وكان في جملة الهدية غلام أسود خصي ، اسمه مأبور ، وخُفَّان ساذجان أسودان ، وبغلة بيضاء اسمها الدُّلدل ، وكان مأبور هذا خصياً ، ولم يعلموا بأمره بادية الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، ولا يعلمون بحقيقة الحال ، وأنه خصي ، حتى قال بعضهم : إنَّه الذي أمر رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بقتله ، فوجده خصياً فتركه ، والحديث في « صحيح مسلم »<sup>(٤)</sup>

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وبعث رسول الله ﷺ سَلَيْطَ بن عمرو بن عبد ودَّ ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى هَوْدَةَ بن عليٍّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرميَّ ، إلى المنذر بن ساوى ، أخي بني عبد القيس ، صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندي وعمَّار<sup>(٦)</sup> بن الجلندي الأزديين ، صاحبي عُمان .

\*\*\*

### غَزْوَةُ ذَاتِ السَّلَاسِلِ<sup>(٧)</sup>

ذكرها الحافظ البيهقي<sup>(٨)</sup> هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعُروة بن الزبير ، قالوا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بَلِيٍّ ، وعبد الله ، ومن يليهم من قُضَاعَةَ - قال عُروَةُ بن الزبير : بنو بَلِيٍّ أحوال العاص بن وائل - فلما صار إلى هناك خاف من كثرة

(١) وهو المشهور عند المؤرخين وأصحاب السير .

(٢) انظر « الذخائر والتحف » لابن الزبير ص (٦ - ٧) .

(٣) قال ابن الزبير في « الذخائر والتحف » ص (٧) : « وكانتا لهما شأن عظيم وجمال بارع ، لم يكن بمصر أحسن منهما » .

(٤) رقم ( ٢٧٧١ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » ( ٦٠٧ / ٢ ) .

(٦) المعروف في اسمهما ( جيفر وعبد ) .

(٧) انظر أخبارها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ » والثلاثة الخلفاء ( ٤٢١ / ٢ ) و « زاد المعاد » ( ٣ / ٣٤٠ )

و « السيرة النبوية الصحيحة » ( ٤٧١ / ٢ ) . وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » ( ٣ / ٣٤١ ) : « وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماء لجذام يقال له : السلسل ، قال : وبذلك سميت ذات السلاسل » .

(٨) انظر « دلائل النبوة » ( ٣٩٧ / ٤ ) .



عدوه ، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين ، فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأمر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح .

قال موسى بن عتبة : فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم ، وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مددٌ أمددته . فلما رأى ذلك أبو عبيدة - وكان رجلاً حسن الخلق لئى الشيمة - قال : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا » . وإنك إن عصيتني لأطعنك ، فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمر بن العاص .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَيْن التَّمِيمِي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بلي ، فبعثه رسول الله ﷺ [ إليهم ] يستألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له : السلاسل . وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل . قال : فلما كان عليه وخاف ، بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : « لا تختلفا » . فخرج أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنما جئت مدداً إلي . فقال له أبو عبيدة : لا ، ولكنني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلاً لئياً سهلاً ، هيئاً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : أنت مددي . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد قال لي : « لا تختلفا » . وإنك إن عصيتني أطعتك . فقال له عمرو : فإني أميرٌ عليك ، وإنما أنت مددٌ لي . قال : فدونك . فصلى عمرو [ بن العاص ] بالناس .

وقال الواقدي<sup>(٢)</sup> : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أن أبا عبيدة لما آب إلى عمرو بن العاص ، فصاروا خمسمئة ، فساروا الليل والنهار حتى وطىء بلاد بلي ودوخها ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلما سمعوا بك تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعذرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير ، فاقتتلوا ساعة ، وتراموا بالنبل ، ورمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهربوا ، وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرقوا ، ودوخ عمرو ما هناك ، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٩٩ / ٤ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠١ / ٤ ) .

وقال أبو داود<sup>(١)</sup> : ثنا ابن المثنى ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك . قال : فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « يا عمرو ، صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال : فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً .

ثنا<sup>(٢)</sup> محمد بن سلمة ، [ ثنا ابن وهب ، ] ثنا ابن لهيعة ، وعمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمران بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، أن عمرو بن العاص كان على سرية . فذكر الحديث بنحوه ، قال : فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم صلى بهم . فذكر نحوه ، ولم يذكر التيمم .

قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، وقال فيه : فتيّم .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : حدثني أفلح بن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيْش<sup>(٤)</sup> ، عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا ، احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، فإن اغتسلت مت . فدعا بماء فتوضأ ، وغسل فرجه وتيمّم ، ثم قام فصلى بهم ، فكان أوّل من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف : فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « عوف بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يا رسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ، ثم قال : « أخبرني » . [ فأخبرته ] بما كان من مسيرنا ، وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ، ومطاوعة أبي عبيدة ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » . قال : ثم أخبرته أن عمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماء ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته ، فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق ، إني لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . قال : فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يبلغنا أنه قال له شيئاً .

(١) في « سننه » رقم ( ٣٣٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٢) القائل أبو داود ، والحديث في « سننه » رقم ( ٣٣٥ ) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠١ / ٤ ) .

(٤) في ( آ ) و ( ط ) : « حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رُقَيْش » والتصحيح من « دلائل النبوة » و « تقريب التهذيب » لابن حجر العسقلاني .

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها ، وهم لا يقدرُونَ على أن يُعْضَوْها<sup>(٢)</sup> ، وكنت امرأً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عَشيراً<sup>(٣)</sup> على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشفرة ، فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي ، فاطْبَخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أتني لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما ، فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيَّان ما في بطونهما منه ، فلمَّا أن قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، فجنَّته وهو يصلي في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم ، بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحبُ الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع ، بل معضل .

قال الحافظ البيهقي<sup>(٤)</sup> : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن مالك بن هدم ، أظنُّه عن عوف بن مالك ، فذكر نحوه ، إلا أنَّه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه ، فأخبرته فقال : قد تعجلت أجرك . ولم يأكله . ثم حكى عن أبي عُبَيْدَةَ مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتمامه كنحو ما تقدَّم .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٥)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا عليُّ بن عاصم ، ثنا خالد الحذاء ، عن أبي عثمان النَّهْدِيِّ ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدثت نفسي أنَّه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده . قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه ، فقلت : يا رسول الله ، من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : إنِّي لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » . قلت : ثم من ؟ حتى عدَّده رهطاً ، قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٦٢٥ ) .

(٢) أي : يقسموها أعضاء .

(٣) أي : نصيباً .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٤ / ٤٠٥ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤ / ٤٠٠ ) .

وهذا الحديث مخرّج في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> من طريق خالد بن مهران الحذاء ، عن أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن بن ملّ ، حدثني عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أيّ الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « ثمّ عمر بن الخطاب » . فعذّ رجالاً ، وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية<sup>(٢)</sup> : قال عمرو : فسكتُ مخافة أن يجعلني في آخرهم .

\*\*\*

## سَريّةُ أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرّاحِ

إلى سيف البحر<sup>(٣)</sup>

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل ، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلاثمئة . قال جابر : وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجمع كلّه ، فكان مزودَي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ، فلم يكن يصيبنا إلا ثمرة تمر . قال : فقلت : وما تعني ثمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدوها حين فنيتم . قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فإذا حوت مثل الطرب . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثمانين عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ، ثم مرّت تحتها فلم تصبهما . أخرجاه في « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث مالك ، بنحوه .

وهو في « الصحيحين » أيضاً<sup>(٥)</sup> من طريق سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمئة راكب ، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد ، حتى أكلنا الخبط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط . قال : ونحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم ثلاثاً ، فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحر دابة يقال لها : العنبر . فأكلنا منها نصف شهر وادّهنا ، حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت . ثم ذكر قصة الضلع . فقلوه في الحديث : نرصد عيراً لقريش . دليل على أنّ هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ، والله أعلم .

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٢) و(٤٣٥٨) ومسلم رقم (٢٣٨٤) .

(٢) وهي عند البخاري رقم (٤٣٥٨) .

(٣) انظر خبرها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ » والثلاثة الخلفاء « للكلاعي » (٢/٤٢٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠) ومسلم رقم (١٩٣٥) (٢١) .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٣٦١) و(٥٤٩٤) ومسلم رقم (١٩٣٥) .

والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قيس بن سعد بن عبادة ، رضي الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(١)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، ثنا إسماعيل بن قتيبة ، ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا أبو خيثمة ، وهو زهير بن معاوية ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمر علينا أبا عبيدة ، نتلقى عبيراً لقريش ، وزودنا جرأباً<sup>(٢)</sup> من تمر ، لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة ثمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبي ، ثم نشرب عليها الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعصينا الخبط ، ثم نبثه بالماء فنأكله . قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر ، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم ؛ فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمئة حتى سمنا ، ولقد كنا نغرف من وقب عينه بالقلال الدهن ، ونقتطع منه الفدر كالثور ، أو كقدر الثور ، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه ، فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها ، فمرّ تحتها ، وتزودنا من لحمها وشائق ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه . ورواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس ، وأبو داود ، عن الثفيلي ، ثلاثهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي [ الكوفي ] عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، [ به ] .

قلت : ومقتضى [ أكثر ] هذه السيقات ، أن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقي ، رحمه الله ، فإنه أوردناها بعد مؤتة وقبل غزوة الفتح ، والله أعلم .

وقد ذكر البخاري<sup>(٣)</sup> بعد غزوة مؤتة سرية أسامة بن زيد إلى الحرقات<sup>(٤)</sup> من جهينة ، فقال : حدثنا عمرو بن محمد ، ثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، ثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة ، فصبّحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلتها ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال : « يا أسامة ، أقتلتها بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوّذاً . فما زال يكرّرها ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدّم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٠٨ / ٤ ) .

(٢) الجراب : المزود أو الوعاء . انظر « القاموس المحيط » ( جرب ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٦٩ ) .

(٤) انظر « مراصد الاطلاع » ( ٣٩٣ / ١ ) .

ثم روى البخاري<sup>(١)</sup> من حديث يزيد بن أبي عبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرة أبو بكر ، ومرة أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> هاهنا موت النجاشي - صاحب الحبشة - على الإسلام ، ونعي رسول الله ﷺ له إلى المسلمين ، وصلاته عليه<sup>(٣)</sup> ، فروى من طريق مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ نعى إلى الناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلّى ، فصَفَّ بهم وكَبَّر أربع تكبيرات . أخرجاه<sup>(٤)</sup> من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً<sup>(٥)</sup> من حديث الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة بنحوه .

وأخرجاه<sup>(٦)</sup> من حديث ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ » فصلّوا على أَصْحَمَةَ .

وقد تقدّمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ، والله الحمد .

قلت : والظاهر أن موت النجاشي كان قبل الفتح بكثير ؛ فإن في « صحيح مسلم » أنه لمّا كتب إلى ملوك الآفاق ، كتب إلى النجاشي ، وليس هو بالمسلم<sup>(٧)</sup> ، وزعم آخرون كالواقدي أنه هو ، والله أعلم . وروى الحافظ البيهقي<sup>(٨)</sup> من طريق مسلم بن خالد الزنجي ، عن موسى بن عقبة ، عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لمّا تزوج النبي ﷺ أمّ سلمة قال : « قد أهديتُ إلى النجاشي أواقي من مسكٍ وحلّة ، وإنّي لا أراه إلا قد مات ، ولا أرى الهدية إلا ستردّ عليّ ، فإن ردّت عليّ - أظنّه قال - قسمتها بينك » أو « فهي لك » . قال : فكان كما قاله رسول الله ﷺ ؛ مات النجاشي وردّت الهدية ، فلمّا ردّت عليه ، أعطى كلّ

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٧٠ ) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٤١٠ ) .

(٣) انظر « عمدة الأحكام » للمقدسي ص ( ١١٧ ) بتحقيقي ، ومراجعة والدي وأستاذي المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار الثقافة العربية بدمشق ، و« إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص ( ٥٧ - ٨٠ ) بتحقيقي .

(٤) رواه البخاري رقم ( ١٢٤٥ ) و ( ١٣٣٣ ) ومسلم رقم ( ٩٥١ ) ( ٦٢ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ١٣٢٧ ) و ( ١٣٢٨ ) ومسلم رقم ( ٩٥١ ) ( ٦٣ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ١٣٢٠ ) و ( ٣٨٧٧ ) ومسلم رقم ( ٩٥٢ ) ( ٦٥ ) .

(٧) قلت : ولكنه أسلم حين وصلته الرسالة وردّ عليها ردّاً حسناً كما هو مبين فيما ساقه ابن طولون من النصوص في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » ص ( ٥٥ - ٥٦ ) بتحقيقي ، والذي أرجحه هو أن الذي كتب له هو نفسه الذي صلى عليه ، ﷺ .

(٨) في « دلائل النبوة » ( ٤ / ٤١٢ ) .

امراً من نسائه أوقيةً من ذلك المسك ، وأعطى سائرهم أم سلمة ، وأعطاهما الحلة ، والله أعلم .

\*\*\*

## غَزْوَةُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ<sup>(١)</sup>

وكانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع ، فقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ الآية [ الحديد : ١٠ ] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [ النصر : ١-٣ ] .

وكان سبب الفتح بعد هُدنة الحُدَيِّية ما ذكره محمد بن إسحاق ، حدثني الزُّهْرِيُّ ، عن غَزْوَةِ بن الزَّبير ، عن المسور بن مَخْرَمَةَ ، ومروان بن الحكم ، أنهما حدثاه جميعاً قالا : كان في صلح الحُدَيِّية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خُزَاعَةُ وقالوا : نحن ندخل في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم . فمكثوا في تلك الهُدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بني بكر وثبوا على خُزَاعَةَ ليلاً ، بماء يقال له : الوتير . وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمد ، وهذا الليل وما يرانا أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح ، وقتلواهم معهم ، للضغن على رسول الله ﷺ ، وإن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خُزَاعَةَ وبني بكر بالوتير ، حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها : [ من الرجز ]

لا هُمَّ إني ناشدُ محمداً      حَلَفَ أَيْهَ وَأَيْنَا الْأَتْلَدَا  
قد كُتِمَ وُلْدًا وَكُنَا وَالِدَا      ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا  
فَانصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا<sup>(٢)</sup>      وَاذْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا  
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا      إِنْ سِيَمَ خَسَفَ وَجْهَهُ تَرَبَّدَا

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » ( ٢٢٣ / ٢ ) و « زاد المعاد » ( ٣ / ٣٤٧ ) و « الفصول في سيرة الرسول » ص ( ١٩٥ ) و « شذرات الذهب » ( ١٢٧ / ١ ) بتحقيقي و « صحيح السيرة النبوية » ( ٢ / ٤٧٣ ) .

(٢) أي : نصراً حاضراً .

في قَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِداً      إِنْ قَرِيشاً أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِداً  
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكِّداً      وجعلوا لي في كَدَاءٍ رُصِّداً  
وزعموا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَداً      فَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدِداً  
هُمْ يَتَّبِعُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّداً      وَقَتَّلُونَا رُكَّعاً وَسُجَّداً

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » . فما برح رسول الله ﷺ حتى مرَّت بنا عَنَانُهُ<sup>(١)</sup> في السماء ، فقال رسول الله ﷺ : « إِنْ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ » . وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وكتبهم مخرجه ، وسأل الله أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قَرِيشٍ خَبْرَهُ ، حتى يَبْغَتْهُمْ فِي بِلَادِهِمْ .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان السبب الذي هاجهم ، أَنَّ رجلاً من بني الحضرميِّ ، اسمه مالك بن عَبَّاد ، من خلفاء الأسود بن رزن خرج تاجراً ، فلمَّا توسط أرض خُرَاعَةَ ، عدوا عليه ، فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خُرَاعَةَ فقتلوه ، فعدت خُرَاعَةُ قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدُّلَيْيِّ - وهم منخر بني كنانة وأشرفهم ؛ سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوه بمعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدثني رجل من الدُّلَيْيِّ قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فبينما بنو بكر وخُرَاعَةُ على ذلك ، إِذْ حَجَزَ بَيْنَهُمُ الْإِسْلَامُ ، فلمَّا كان يوم الحُدَيْيَّةِ ، ودخل بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خُرَاعَةُ في عقد رسول الله ﷺ ، وكانت الهُدْنَةُ ، اغتنمها بنو الدُّلَيْيِّ من بني بكر ، وأرادوا أَنْ يَصِيبُوا مِنْ خِرَاعَةٍ ثَأْراً بِأُولَئِكَ النَّفَرِ ، فخرج نوفل بن معاوية الدُّلَيْيُّ في قومه ، وهو يومئذٍ سيدهم وقائدهم ، وليس كلُّ بني بكر تابعة ، فبيَّت خِرَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ - ماءٍ لَهُمْ - فَأَصَابُوا رَجُلًا مِنْهُمْ ، وَتَحَاوَزُوا وَاقْتَتَلُوا ، وَرَفَدَتْ قَرِيشُ بَنِي بَكْرٍ بِالسَّلَاحِ ، وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قَرِيشٍ مَنْ قَاتَلَ بِاللَّيْلِ مُسْتَخْفِياً ، حَتَّى حَازُوا خِرَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ ، فلمَّا انتهوا إِلَيْهِ ، قالت بنو بكر : [ يا نوفل ] إنا قد دخلنا الحرم ! إلهك إلهك . فقال كلمة عظيمة : لا إله اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتشرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! ولجأت خِرَاعَةُ إِلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ بِمَكَّةَ ، وَإِلَى دَارِ مَوْلَى لَهُمْ يَقَالُ لَهُ : رَافِعٌ .

(١) أي : سحابة .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٨٩ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٨٩ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٩٠ / ٢ ) .



وقد قال الأخزر بن لُعْطِ الدُّثَلِيِّ في ذلك<sup>(١)</sup> : [ من الطويل ]

ألا هل أتى قُصوى الأحابيش أننا رَدَدْنَا بني كعبٍ بأفوقٍ ناصلٍ  
حَبَسْنَاهُمْ في دارةِ العبدِ رافعٍ وعندَ بُدَيْلٍ مَحْبَسًا غيرَ طائلٍ  
بدارِ الذليلِ الآخذِ الضَّيمَ بعدما شَفَيْنَا النُّفوسَ مِنْهُمْ بالمناصلِ  
حَبَسْنَاهُمْ حتى إذا طَالَ يومهم نَذَبْنَهُمْ ذبحَ التَّيَّوسِ كأننا  
هم ظَلَمْنَا واعتَدُوا في مسيرهم أُسُوذُ تبارى فيهم بالقواصلِ  
كأنَّهم بِالْجِرْعِ إِذْ يَطْرُودُنْهُمْ وكانوا لدى الأنصابِ أوَّلَ قاتِلِ  
قَفَا ثورَ حَفَّانِ النِّعَامِ الجَوافلِ

قال : فأجابه بُدَيْلُ بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له : بُدَيْلُ بن أُمٍّ أَصْرَمُ ،

فقال : [ من الطويل ]

تعاقد قوم يفخرون ولم ندع لهم سِيَدًا يندوهم غير نافلٍ  
أمن خيفةِ القومِ الألى تزدريهم تجيز الوتير خائفًا غير آيلٍ  
وفي كلِّ يوم نحن نحبو حباءنا لعقلي ولا يُحِبِّي لنا في المعازلِ  
ونحن صبحنا بالتَّلَاعَةِ داركم بأسيفنا يسبقن لوم العواذلِ  
ونحن منعنا بين ييضر وعثود إلى خيف رضوى من مجرِّ القنابلِ  
ويوم الغميم قد تكفَّتْ ساعياً عيبس فجعنناه بجلد حلاحلٍ  
أأن أجمرت في بيتها أُمُّ بعضكم بجعموسها تنزون إن لم نُقاتلِ  
كذبتهم وبيتِ الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم في بلايلِ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبي سُفْيَانٍ قد جاءكم يشدُّ في العقدِ ويزيد في المدة » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأخبروه بما أصيب منهم ، ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين ، حتى لقوا أبا سُفْيَانٍ بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشدُّ العقدَ ويزيد في المدة ، وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلمَّا لقي أبو سُفْيَانٍ بُدَيْلاً قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظنُّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، فقال : سرت في

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٩٢ / ٢ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٧ / ٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٩٥ / ٢ ) .

خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : فعمد أبو سفيان إلى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً . ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني ؟ فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية ، والله لقد أصابك بعدي شرٌ . ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فكلّمه ، فلم يردّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلّمه ، فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ ! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذرّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وعندها حسن ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا عليّ ، إنك أمسّ القوم بي رحماً ، وأقربهم مني قرابةً ، وقد جئت في حاجة ، فلا أرجعنّ كما جئت بن خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تأمري بُنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بُنيّ ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحدٌ على النبي ﷺ . فقال : يا أبا الحسن ، إنني أرى الأمور قد اشتدت عليّ ، فانصحني ؟ قال : والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . فقال : أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنّ ، ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيّها الناس ، إنني قد أجرت بين الناس . ثم ركب بغيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلّمته ، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى العدو ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار عليّ بأمر صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني عنّا شيئاً أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت . قالوا : هل أجاز ذلك محمدٌ ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ! ما زادك الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنّا ما قلت . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

فائدة ذكرها السُّهيلي<sup>(١)</sup> ، تكلم على قول فاطمة في هذا الحديث : وما يُجيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ . على ما جاء في الحديث : « ويجير على المسلمين أديانهم » . قال : وجه الجمع بينهما ، بأن المراد بالحديث من يجير واحداً أو نفراً يسيراً ، وقول فاطمة فيمن يجير عدواً من غزو الإمام إياهم فليس له ذلك . قال : كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوفٌ على إجازة الإمام ، لقوله ﷺ

(١) انظر « الروض الأنف » ( ٨٥ / ٧ ) .

لأُمِّ هَانئٍ : « قد أجزنا من أجزت يا أُمِّ هَانئٍ » . قال : ويروى هذا عن عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « ويجبر عليهم أدناهم » . ما يقتضي دخول العبد والمرأة ، والله أعلم .

وقد روى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق حَمَّاد بن سَلَمَةَ ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قالت بنو كعب : [ من الرجز ]

لَاهُمَّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا      حَلَفَ أَيْنَا وَأَيْبِهِ الْآتِلَدَا  
فَانصِرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَغْتَدَا      وَاَدْعَ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة<sup>(٢)</sup> : ثم إن بني نفاثة من بني الدُّثُل أغاروا على بني كعب ، وهم في المدة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بني نفاثة ، وأعانتهم قريش بالسلح والرقيق ، واعتزلتهم بنو مدلج ، ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ، وفي بني الدُّثُل رجلان هما سيدهم ؛ سلم بن الأسود ، وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن مَن أعانهم صفوان بن أمية ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو ، فأغارت بنو الدُّثُل على بني عمرو ، وعامتهم - زعموا - نساءً وصبياناً وضعفاء الرجال ، فألجؤوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُذيل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا له الذي أصابهم ، وما كان من قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ارجعوا ففرقوا في البلدان » . وخرج أبو سفيان من مكة إلى رسول الله ﷺ ، وتخوف الذي كان ، فقال : يا محمد ، اشدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال رسول الله ﷺ : « ولذلك قدمت ؟ هل كان من حدث قبلكم ؟ » فقال : معاذ الله ، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نغير ولا نبدل . فخرج من عند رسول الله ﷺ فأتى أبا بكر فقال : جدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال أبو بكر : جوارى في جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذرَّ تقاتلكم لأعنتها عليكم . ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديداً فأخلفه الله ، وما كان منه متيناً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان : جزيت من ذي رحم شراً . ثم دخل على عثمان فكلّمه ، فقال عثمان : جوارى في جوار رسول الله ﷺ . ثم اتبع أشراف قريش يكلمهم ، فكلّمهم ، يقول : عقدنا في عقد رسول الله ﷺ . فلمّا يئس ممّا عندهم ، دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلّمها ، فقالت : إنما أنا امرأة ، وإنما ذلك

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٣ / ٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٩ / ٥ ) .

إلى رسول الله ﷺ . فقال لها : فأمرني أحد ابنك . فقالت : إنهما صبيان ، وليس مثلهما يجير . قال : فكلّمي علياً .

فقالت : أنت فكلّمه . فكلّم علياً ، فقال له : يا أبا سفيان ، إنه ليس أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها ، فأجر بين عشيرتك . قال : صدقت ، وأنا كذلك ، فخرج فصاح : ألا إنّي قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرنني أحدٌ . ثم دخل على النبي ﷺ فقال : يا محمد ، إنّي قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرنني أحدٌ ولا يردّ جوارِي . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟ ! » فخرج أبو سفيان على ذلك ، فزعموا - والله أعلم - أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان : « اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعون بنا إلا فجأة » . وقدم أبو سفيان مكة ، فقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله ، لقد أبى عليّ ، وقد تتبعت أصحابه ، فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أنّ عليّ بن أبي طالب قد قال لي : لم تلتمس جوار الناس على محمد ، ولا تجير أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقّها أن لا يُخفر جواره ؟ فقممت بالجوار ، ثم دخلت على محمد ، فذكرت له أنّي قد أجرت بين الناس ، وقلت : ما أظنُّ أن تُخفرنني . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟ ! » فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضا ، وجئنا بما لا يغني عنّا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك عليّ ، لعمر الله ما جوارك بجائز ، وإنّ إخفارك عليهم لهيّن . ثم دخل على امرأته فحدّثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم ، فما جئت بخير . قال : ورأى رسول الله ﷺ سحاباً فقال : « إنّ هذه السحاب لتبضّ بنصر بني كعب » . فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجّهاز ، وأمر عائشة أن تجهّزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة ، فوجد عندها حنطة تُنسف وتُنقّى ، فقال لها : يا بنيّة ، لماذا تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت ، فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بني الأصفر ؟ - وهم الرّوم - فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت . قال : فدخل رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال : « نعم » . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : « لا » . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : « لا » . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : « نعم » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، أليس بينك وبينهم مدّة ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » قال : وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب . وذكر القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة ، فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمى لنا شيئاً ، غير أنه قد أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمر بالجد والتهيؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها » . فتجهز الناس ، فقال حسان يعرض الناس ، ويذكر مصاب خزاعة<sup>(٣)</sup> : [ من الضرب ]

عناني ولم أشهد بيطحاء مكة	رجال بني كعب تحزُّ رقابها
بأيدي رجال لم يسألوا سيوفهم	وقتل كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعري هل تنال نصرتي	سهيل بن عمرو حرها وعقابها
وصفوان عود حز من شفر استه	فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يا بن أم مجالد	إذا احتلبت صرفاً وأعصل نابها
ولا تجزعوا منها فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

\*\*\*

### قصة حاطب بن أبي بلتعة

قال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب - وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » . فخرجا حتى أدركاها بالخليفة خليفة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها علي : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٢ / ٥ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٩٧ / ٢ ) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ( ٢٩٦ / ١ ) مع بعض الخلاف .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٣٩٨ / ٢ ) .

فلما رأت الجد منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، أما والله إنني لمؤمن بالله وبرسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ؛ فإن الرجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر . فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . وأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة برسلة ، وقد ذكر السهيلي<sup>(١)</sup> أنه كان في كتاب حاطب : إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم ، فإنه منجز له ما وعده . قال : وفي « تفسير ابن سلام »<sup>(٢)</sup> أن حاطباً كتب : إن محمداً قد نفر ؛ فإما إليكم وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر .

وقد قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا قتيبة ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني الحسن بن محمد ، أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع ، سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها » . فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالطعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجي الكتاب أو لنلقين الثياب . قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة . إلى ناس بمكة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال : « يا حاطب ، ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، لاتعجل علي ، إنني كنت امرأ ملصقاً في قريش - يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاء

(١) في « الروض الأنف » ( ٨٦ / ٧ ) .

(٢) ومؤلفه الإمام يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي البصري ثم الإفريقي ، وكان مفسراً ، فقيهاً ، عالماً بالحديث واللغة . أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم . و« تفسيره » الذي أشار إليه المؤلف مخطوط لم يطبع بعد ، ومنه أجزاء في تونس والقيروان ، مات سنة ( ٢٠٠ ) هـ . انظر ترجمته ومصادرها والتعليق عليها في « الأعلام » للزركلي ( ١٤٨ / ٨ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٢٧٤ ) .

بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « أما إنه قد صدقكم » . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله قد أطلع على من شهد بدرًا فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فأنزل الله السورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المنحنة : ١] .

وأخرجه بقية الجماعة<sup>(١)</sup> ، إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا حُجَيْنٌ ويونس قالوا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزُّبَيْر ، عن جابر بن عبد الله ، أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة يذكر أن رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فدلَّ رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب ، فأرسل إليها ، فأخذ كتابها من رأسها ، وقال : « يا حاطب ، أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إنني لم أفعله غشاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً ، قد علمت أن الله مظهر رسوله ، وملتزم له أمره ، غير أنني كنت عريراً<sup>(٣)</sup> بين ظهريهم ، وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ هذا عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال : « أتقتل رجلاً من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله قد أطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم » . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد ، وإسناده على شرط مسلم ، والله الحمد .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضي من شهر رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مرَّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين - وقال عروة بن الزُّبَيْر : كان معه اثنا عشر ألفاً .

وكذا قال الزهري وموسى بن عقبة - فسبغت سليم ، وبعضهم يقول : ألفت سليم - وألفت مزينة ،

(١) رواه مسلم رقم ( ٢٤٩٤ ) وأبو داود رقم ( ٢٦٥٠ ) والترمذي ( ٣٣٠٥ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١١٥٨٥ ) .

(٢) في « المسند » ( ٣ / ٣٥٠ ) .

(٣) أي دخيلاً غريباً ، ولم أكن من حميمهم .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٣٩٩ ) .

وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاري<sup>(١)</sup> ، عن محمود ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري نحوه .

وقد روى البيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهري ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان . قال : وسمعت سعيد بن المسيب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعدما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال : صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكديد - الماء الذي بين قديد وعسفان - أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاري ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنه لم يذكر التردد بين شعبان ورمضان .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ في رمضان ، فصام حتى بلغ عسفان ، ثم دعا بإناء فشرب نهراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح ، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكديد - ماء بين عسفان وأمج - فأفطر ، ودخل مكة مفطراً ، فكان الناس يرون أن آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : فقله : خرج لعشر من رمضان . مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق . ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن حامد بن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان .

ثم روى البيهقي<sup>(٥)</sup> من حديث أبي إسحاق الفزاري ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح ثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقي : وهذا الإدراج وهم ، إنما هو من كلام الزهري .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهري قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح - فتح

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٦) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١ / ٥ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٧٥ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٠ / ٥ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٣ / ٥ ) .



مكة - فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمانين سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر . فقال الزهري : وإنما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهري : فصبح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى « الصحيحين » من طريق عبد الرزاق ، والله أعلم .

وروى البيهقي<sup>(٢)</sup> من طريق سعيد بن عبد العزيز التتوخي ، عن عطية بن قيس ، عن قزعة بن يحيى ، عن أبي سعيد الخدري قال : آذنا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صوَّاماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس شرجين ؛ منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدو فيه ، أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدثني عطية بن قيس ، عمَّن حدثه ، عن أبي سعيد الخدري قال : آذنا رسول الله ﷺ بالرحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صوَّاماً حتى بلغنا الكديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزل تلقاء العدو ، أمرنا بالفطر ، فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهري من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضي أن مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقي<sup>(٤)</sup> ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٥)</sup> : ثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال :

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١ / ٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٤ / ٥ ) .

(٣) في « المسند » ( ٨٧ / ٣ ) وأصله في « صحيح مسلم » رقم ( ١١٢٠ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٤ / ٥ ) .

(٥) في « مسنده » رقم ( ١٦٦٧ ) .

خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم ، والناس معه مشاة وركباناً ، وذلك في شهر رمضان ، فقيل : يا رسول الله ، إنَّ الناس قد اشتدَّ عليهم الصوم ، وإنَّما ينظرون إليك كيف فعلت . فدعا رسول الله ﷺ بقدر فيه ماءً فرفعه ، فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أخبر النبي ﷺ أنَّ بعضهم صائمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أولئك العصاة » . وقد رواه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث الثَّقَفِيِّ والدَّرَّاورديّ ، عن جعفر بن محمد .

وروى الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني بُشَيْر بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان ، فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكديد دعا بماءٍ في قعب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنَّه قد أفطر ، فأفطر المسلمون . تفرد به أحمد .

\*\*\*

## فصل

في إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ  
وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ  
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي أخي أم سلمة أم المؤمنين  
وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ  
فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق . قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهريّ .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أبي أمية قد لقي رسول الله ﷺ أيضاً بِنَيْقِ الْعُقَاب فيما بين مكة والمدينة<sup>(٥)</sup> ، والتمسا الدُّخول عليه ، فكلَّمته أم سلمة

(١) في « صحيحه » رقم (١١١٤) .

(٢) في « المسند » ( ٢٦١ / ١ ) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٠ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠١ - ٤٠٠ / ٢ ) .

(٥) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص ( ٤١٩ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابنُ عمِّك ، وابن عمَّتِكَ وصهرُكَ . قال : « لا حاجة لي بهما ؛ أمّا ابن عمِّي فهتكَ عِرْضِي »<sup>(١)</sup> ، وأمّا ابن عمّتي فهو الذي قال لي بمكّة ما قال<sup>(٢)</sup> . قال : فلمّا خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنيّ له ، فقال : والله ليأذننّ لي أو لأخذنّ بيد بنيّ هذا ، ثم لنذهبنّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلمّا بلغ ذلك النبي ﷺ رَقَّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلتا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه ، واعتذر إليه ممّا كان مضى منه : [ من الطويل ]

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمَلُ رَايَةً      لَتَغْلِبَ خَيْلَ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ  
لَكَالْمُدْلَجِ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ      فِهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدِي  
هَدَانِي هَادٍ غَيْرِ نَفْسِي وَنَالَنِي      مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ  
أَصْدُ وَأَنَّى جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ      وَأُدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ  
هُمْ مَا هُمْ مِنْ لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمْ      وَإِنْ كَانَ ذَا رَأَى يُلَمُّ وَيَفْنَدُ  
أُرِيدُ لأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَائِطٍ      مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدِ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ  
فَقُلْ لثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا      وَقُلْ لثَقِيفٍ تِلْكَ غَيْرِي أَوْ عَدِي  
فَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِراً      وَمَا كَانَ عَنْ جَرٍّ لِسَانِي وَلَا يَدِي  
قِبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ      نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سِهَامٍ وَسَرْدُدٍ

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فزعموا أنّه حين أنشد رسول الله ﷺ :

..... ونالني      مع الله من طردت كلُّ مُطَرَّدٍ

ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال : « أنت طردتني كُلُّ مُطَرَّدٍ ! » .

\*\*\*

## فصل

ولمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى مَرِّ الظَّهْرَانِ<sup>(٤)</sup> ، نزل فيه فأقام ؛ كما روى البخاري عن يحيى بن بكير ،

- (١) لأنه كان يؤذي رسول الله - ﷺ - ويهجوّه .
- (٢) فهو الذي قال له ﷺ : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك . قاله السُّهيلي في « الروض الأنف » ( ٨٩ / ٧ ) بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل .
- (٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠١ / ٢ ) .
- (٤) مَرِّ الظَّهْرَانِ : موضع على مرحلة من مكة . انظر « مراصد الاطلاع » ( ١٢٥٧ / ٣ ) .

عن اللَّيْث ، ومسلم<sup>(١)</sup> عن أبي الطَّاهِر ، عن ابن وهب كلاهما ، عن يونس ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : كُنَّا مع رسول الله ﷺ بمرَّ الظَّهران نجتني الكبَّاث<sup>(٢)</sup> ، وإنَّ رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالأسود منه فإنَّه أطيب » . قالوا : يا رسول الله ، أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها ؟ » .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بكير ، عن سنان بن إسماعيل ، عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لمَّا فرغ أهل مُوتَةَ ورجعوا ، أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مَكَّة ، فلمَّا انتهى إلى مرَّ الظَّهران نزل بالعقبة ، فأرسل الجُنَّةَ يَجْتُنُون الكبَّاث ، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمر الأراك . قال : فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني . قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حَبَّة طَيِّبَةٍ قذفها فيه ، وكانوا ينظرون إلى دَقَّة ساقِي ابن مسعود وهو يرقى في الشَّجرة فيضحكون ، فقال رسول الله ﷺ : « تَعْجَبُونَ مِنْ دَقَّة سَاقِيهِ ؟ فوالذي نفسي بيده لهُمَا أَثْقَلُ في الميزان من أحد » .

وكان ابن مسعود ما اجتني من شيء ، جاء به وخياره فيه إلى رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك<sup>(٤)</sup> :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

وفي « الصَّحيحين »<sup>(٥)</sup> عن أنس قال : أنفجنا<sup>(٦)</sup> أرباباً ونحن بمرَّ [ الظَّهران ] فسعى القوم فلغبوا ، فأدركتها فأخذتها ، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بوركها أو فخذها فقبله .

وقال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقد عُصِّت الأخبار عن قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .

وذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة<sup>(٨)</sup> أنَّ رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلاً يقتصُّون

(١) في « صحيحه » رقم (٣٤٠٦) ومسلم رقم (٢٠٥٠) .

(٢) انظر فوائده في « زاد المعاد » ( ٣٣٥ / ٤ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٩ / ٥ ) .

(٤) هذا مثل من أمثال العرب الشهيرة . انظره مع مصادره في « معجم الأمثال العربية » ( ٣٦٥ / ١ ) لصديقي وزميلي الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٢٥٧٢ ) و ( ٥٤٨٩ ) و ( ٥٥٣٥ ) ومسلم رقم ( ١٩٥٣ ) .

(٦) أي : أثرنا . انظر « لسان العرب » ( نفع ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٠ / ٢ ) .

(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٦ / ٥ ) .

العيون ، وخُزَاعَة لا تدع أحداً يمضي وراءها ، فلمّا جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين ، وقام إليه عمر يجرّ في عنقه ، حتى أجاره العباس بن عبد المطلب ، وكان صاحباً لأبي سفيان .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال العباس حين نزل رسول الله ﷺ مرّ الظهران : قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الخطّابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قطّ ولا عسكرياً ! قال : يقول بُديل : هذه والله خُزَاعَة حمشتها الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خُزَاعَة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة . فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك ، فدى لك أبي وأمي ؟ قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ، فذاك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك . قال : فركب خلفي ورجع صاحبه - وقال عُرْوَة : بل ذهبنا إلى النبي ﷺ فأسلما ، وجعل يستخبرهما عن أهل مكة . وقال الزهري وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ [ قال ابن إسحاق : ] قال : فجئت به كلما مرت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عمّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ . حتى مرت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إليّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . [ وزعم عُرْوَة بن الزبير أن عمر وجأ<sup>(٢)</sup> في رقبة أبي سفيان ، وأراد قتله فمنعه منه العباس .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزهري أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمة جمالهم ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : وفد رسول الله ﷺ . فلقاهم العباس ، فدخل بهم على رسول الله ، فحدثهم عامّة الليل ، ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله ، فشهد حكيم وبديل ، وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك . ثم أسلم بعد الصبح ، ثم سأله أن يؤمّن قريشاً ، فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وكانت بأعلى مكة - ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن - وكانت بأسفل مكة - ومن أغلق بابها فهو آمن » .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٢ / ٢ ) .

(٢) وجأه باليد والسكين : ضربه . انظر « القاموس المحيط » ( وجأ ) .

قال العباس : [ ثم خرج [ عمر ] يشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقترحت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلاضرب عنقه . قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا ينجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر عمر في شأنه . قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن [ لو ] كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به » . قال : فذهبت به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد . قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أمّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق فأسلم . قال العباس : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « [ نعم ] من دخل دار أبي سفيان فهو آمن [ زاد عُرْوَة : ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ] » .

وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهري [ ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ] . فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ؛ حتى تمر به جنود الله فيراها » .

[ وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهري أن أبا سفيان وبُديلاً ، وحكيم بن حزام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحرم . فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ ، فعزله عن راية الأنصار ، وأعطاها الزبير بن العوام ، فدخل بها من أعلى مكة وعرزها بالحجون ، ودخل خالد من أسفل مكة ، فلقه بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد ] .

قال [العباس<sup>(١)</sup> : ] فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٢ / ٢ ) .

أحبسه . قال : ومَرَّت القبائل على راياتها ، كلما مَرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سُليم . فيقول : مالي ولسليم . ثم تمرُّ به القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نَفَدَت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلة إلا سألتني عنها ، فإذا أخبرته قال : مالي ولبني فلان . حتى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحَدَق من الحديد ، فقال : سبحان [ الله ] يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً . قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعلم إذا . قال : قلت : النِّجاء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عُتْبَة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحميت الدَّسم الأحمس ، قَبِّح من طليعة قوم . فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرَّنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وذكر عُزْرَة بن الزُّبَيْر أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليَّ . فقال له رسول الله ﷺ : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدَّقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني إذ أخرجتموني » . ثم شكى إليه قول سعد بن عبادَة حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُسْتَحَل الحُرمة . فقال رسول الله ﷺ : « كذب سعد ، بل هذا يوم يعظّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » .

وذكر عُزْرَة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى الناس يجنحون للصلاة ، وينتشرون في استعمال الطَّهارة خاف وقال للعباس : ما بالهم ؟ قال : إنهم سمعوا النِّداء ، فهم ينتشرون للصلاة . فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ، ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ! قال : نعم ، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهري<sup>(١)</sup> ، أنه لما توضَّأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكفَّفون ، فقال : يا عَبَّاس ، ما رأيت كالليلة ولا مُلْك كِسْرَى وقَيْصَرَ .

وقد روى الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٤٠ / ٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٣٢ / ٥ ) .

يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكائي ، عن ابن إسحاق منقطعة . فإله أعلم . على أنه قد روى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذكر القصة ، إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال أبو سفيان : وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » . قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » . قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا عبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يلتزمون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظَّهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ! فقال بديل بن ورقاء : نيران بني عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله ﷺ ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار ، قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » . فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله ﷺ ، تمرُّ كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرَّت كتيبة فقال : يا عباس ، من هذه ؟ قال : هذه غفار . قال : ما لي ولغفار . ثم مرَّت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرَّت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار ، عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذُّمار . ثم جاءت كتيبة ، وهي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : « ما قال ؟ » قال : كذا وكذا . فقال : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظَّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » . وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة : وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم ، قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم . قال : وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل رسول الله ﷺ من كدى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجالان ؛ حبيش بن الأشعر ، وكُرز بن جابر الفهري .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٣١ / ٥ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٨٠ ) .



وقال أبو داود<sup>(١)</sup> : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب ، فأسلم بمرّ الظهران ، فقال له العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان [رجل] يحبّ هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابَه فهو آمن » .

### صفة دخوله - ﷺ - مكة

ثبت في « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> من حديث مالك ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه ، جاءه رجل فقال : إن ابن خَطْلٍ<sup>(٣)</sup> متعلق بأستار الكعبة . فقال : « اقتلوه » . قال مالك : ولم يكن رسول الله ﷺ ، فيما نرى ، والله أعلم ، محرماً .

وقال أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا عفان ، ثنا حماد ، أنا أبو الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل [ يوم فتح ] مكة وعليه عمامة سوداء .

ورواه أهل السنن الأربعة<sup>(٥)</sup> ، من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم<sup>(٦)</sup> ، عن قتيبة ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمّار الدُهني ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، من غير إحرام<sup>(٧)</sup> .

وروى مسلم<sup>(٨)</sup> من حديث أبي أسامة ، عن مساور الوَرّاق ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه

(١) في « سننه » رقم ( ٣٠٢١ ) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٢٨٦ ) ومسلم رقم ( ١٣٥٧ ) وانظر « جامع الأصول » ( ٣٧٣ / ٨ ) .

(٣) ابن خَطْلٍ : هو عبد الله بن خَطْلٍ التيمي ، مشرك ، أمر النبي ﷺ ، بقتله يوم فتح مكة فقتل ، وله قصة . انظر ترجمته وقصته في « جامع الأصول » ( ٤٥٥ / ١٣ ) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار ابن الأثير ببيروت .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٦٣ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رواه أبو داود رقم ( ٤٠٧٦ ) والترمذي رقم ( ١٧٣٥ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٩٧٥٧ ) وابن ماجه رقم ( ٢٨٢٢ ) و ( ٣٥٨٥ ) .

(٦) في « صحيحه » رقم ( ١٣٥٨ ) .

(٧) جاء في « صحيح مسلم » : دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء . قال النووي : فيه جواز لباس الثياب السوداء وفي الرواية الأخرى : « خطب الناس وعليه عمامة سوداء » فيه جواز لباس الأسود في الخطبة ، وإن كان الأبيض أفضل منه ، كما ثبت في الحديث « خير ثيابكم البياض » وأما لباس الخطباء السواد في حال الخطبة ، فجائز ، ولكن الأفضل البياض ، وإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بياناً للجواز .

(٨) في « صحيحه » رقم ( ١٣٥٩ ) ( ٤٥٣ ) وليس لفظ « الحرقانية » عنده وإنما سبق إلى ذهن المؤلف رحمه الله من

قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ حَرَقَانِيَّةٌ سَوْدَاءٌ قَدْ أُرْخِيَ طَرَفِيهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ .  
وروى مسلم في « صحيحه » ، والترمذي والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، عن جَابِرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءٌ .  
وروى أهل السنن الأربعة<sup>(٢)</sup> من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عَمَّارِ الدُّهْنِيِّ ، عن أَبِي الزُّبَيْرِ ، عن جَابِرٍ قَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ دَخَلَ مَكَّةَ أَيْضٌ .  
وقال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ أَيْضٌ ، وَرَأَيْتُهُ سَوْدَاءً تُسَمَّى الْعُقَابَ ، وَكَانَتْ قِطْعَةً مِنْ مِرْطٍ مَرْحَلٍ .  
وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُزَّةٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُعَفَّلٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ « الْفَتْحِ » يَرْجِعُ . وَقَالَ<sup>(٥)</sup> : لَوْلَا أَنَّ يَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوْلِي لَرَجَّعْتُ كَمَا رَجَّعَ .  
[ وقال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّ [ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ] لَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي طُوًى ، وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مَعْتَجِراً بِشِقَّةٍ بَرْدٍ [ حَبْرَةٍ ] حُمْرَاءَ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيَضَعُ رَأْسَهُ تَوَاضِعاً لِلَّهِ ، حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ ، حَتَّى إِنْ عُثِنُوهُ لِيَكَادِ يَمْسُ وَاسِطَةُ الرَّحْلِ .  
وقال الحافظ البيهقي<sup>(٧)</sup> : أَنبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَنبَأَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثنا أحمد بن عليّ الأَبَّارُ ، ثنا عبد الله بن أبي بكر المَقْدَمِيُّ ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَذَقَّنَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ مَتَخْشِعاً .  
وقال<sup>(٨)</sup> : أَنبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، ثنا أبو بكر بن بالويه ، ثنا أحمد بن صاعد ، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، ثنا جعفر بن عون ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن أبي مسعود أَنَّ رَجُلًا كَلَّمَ

- = رواية النسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٩٧٥٩ ) والله أعلم .  
(١) رواه مسلم رقم ( ١٣٥٨ ) والترمذي رقم ( ١٦٧٩ ) والنسائي رقم ( ٢٨٦٦ ) .  
(٢) رواه أبو داود رقم ( ٢٥٩٢ ) والترمذي رقم ( ١٦٧٩ ) والنسائي رقم ( ٢٨٦٦ ) وابن ماجه رقم ( ٢٨١٧ ) ، وهو حديث حسن عند العلماء .  
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٦٨/٥ ) .  
(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٢٨١ ) .  
(٥) القائل ( معاوية بن قُزَّة ) راوي الحديث . وانظر « فتح الباري » ( ١٤/٨ ) .  
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٥/٢ ) .  
(٧) انظر « دلائل النبوة » ( ٦٨/٥ ) وهو عند الحاكم في « المستدرک » ( ٤٧/٣ ) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وفي إسناده عبد الله بن أبي بكر المَقْدَمِيُّ ، وهو ضعيف .  
(٨) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٦٩/٥ ) .

رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فأخذته الرعدة ، فقال : « هوّن عليك ، فإنّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس ، وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل بن أبي الحارث ، موصولاً .

ثم رواه<sup>(١)</sup> عن أبي زكريا المزكي ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل بن قيس ، مرسلًا ، قال : وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة ، في مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم ، بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل ، حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجد ، أي رُكّع ، يقولون : حِطّة . فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون : حنطة في شعرة .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا الهيثم بن خارجة ، ثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة ، وتابعه أبو أسامة وهيب : في كداء .

ثنا<sup>(٣)</sup> عبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء ، وهو أصح .

إن أراد أن المرسل أصح من المسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمد هي المذكورة في الروايتين ، وهي في أعلى مكة ، وكُدى مقصوراً في أسفل مكة ، وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدّم أنّه ، عليه السلام ، بعث خالد بن الوليد من أعلى مكة ، ودخل هو ، عليه السلام ، من أسفلها من كدى ، وهو في « صحيح البخاري » ، فالله أعلم .

وقد قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أنبأنا أبو الحسن بن عبدان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصّفّاء ، ثنا عبد الله بن [الصّقّر ، عن<sup>(٥)</sup> إبراهيم بن المنذر الحزامي ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لمّا دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل ، فتبسّم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر ، كيف قال حسان ؟ » فأنشده أبو بكر ، رضي الله عنه<sup>(٦)</sup> :

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٦٩/٥ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٢٩٠ ) .

(٣) القائل البخاري في « صحيحه » رقم ( ٤٢٩١ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » ( ٦٦/٥ ) .

(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « دلائل النبوة » .

(٦) البيتان في « ديوان حسان بن ثابت » ( ١٧/١ ) مع بعض الخلاف في ألفاظهما وهما الحادي عشر والثاني عشر من قصيدة مؤلفة من واحد وثلاثين بيتاً .

عَدِمْتُ بَنِيَّ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا    تَشِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَتْفِي كَدَاءً<sup>(١)</sup>  
يَنَازِعُنَ الْأَعْنَةَ مَسْرَجَاتٍ    يَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فقال رسول الله ﷺ : « ادْخُلُوهَا مِنْ حَيْثُ قَالَ حَسَّان » .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ : لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي طَوًى ، قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لَابْنَةِ لَهُ مِنْ أَصْغَرٍ وَلَدَهُ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ، أَظْهَرِي بِي عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ . قَالَتْ : وَقَدْ كُفَّ بَصْرَهُ . قَالَتْ : فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ، مَاذَا تَرِينَ ؟ قَالَتْ : أَرَى سَوَاداً مُجْتَمِعاً . قَالَ : تِلْكَ الْخَيْلُ . قَالَتْ : وَأَرَى رَجُلًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ السَّوَادِ مُقْبِلاً وَمُذْبِراً . قَالَ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ، ذَلِكَ الْوَازِعُ . يَعْنِي الَّذِي يَأْمُرُ الْخَيْلَ وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا . ثُمَّ قَالَتْ : قَدْ وَاللَّهِ انْتَشَرَ السَّوَادُ .

فقال : قَدْ وَاللَّهِ إِذَا دَفَعَتِ الْخَيْلُ ، فَاسْرِعِي بِي إِلَى بَيْتِي . فَانْحَطَّتْ بِهِ ، وَتَلَقَّاهُ الْخَيْلُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ . قَالَتْ : وَفِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ طَوْقٌ مِنْ وَرَقٍ ، فَتَلَقَّاهَا رَجُلٌ فَيَقْتَطِعُهُ مِنْ عُنُقِهَا . قَالَتْ : فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، أَتَى أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ ؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ . قَالَ : فَقَالَتْ : فَأَجْلِسْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « أَسْلَمَ » . فَأَسْلَمَ . قَالَتْ : وَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ رَأْسُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضاً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ » . ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ ، وَقَالَ : أَنْشُدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ طَوْقَ أُخْتِي . فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ ، قَالَتْ : فَقَالَ : أَيُّ أُخِيَّةٍ ، احْتَسِبِي طَوْقَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَقَلِيلٌ . يَعْنِي الصَّدِيقَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَى التَّعْيِينِ ؛ لِأَنَّ الْجَيْشَ فِيهِ كَثْرَةٌ ، وَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَلُوي عَلَى أَحَدٍ مَعَ انْتِشَارِ النَّاسِ ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَخَذَهُ تَأَوَّلَ أَنَّهُ مِنْ حَرْبِيٍّ ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> : ثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، ثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ ، ثَنَا بَحْرُ بْنُ نَصْرٍ ، ثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي ابْنُ جَرِيْجٍ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَخَذَ بِيَدِ أَبِي قُحَافَةَ ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمَّا وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « غَيِّرُوهُ وَلَا تَقَرَّبُوهُ سَوَاداً » .

قال [ ابن وهب ] : وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَنَأَ أَبَا بَكْرٍ بِإِسْلَامِ أَبِيهِ .

(١) في رواية هذا البيت إقواء .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٩٦ / ٥ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فحدثني عبد الله بن أبي نجيع ، أن رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى ، وكان الزبير على المجنبه اليسرى ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كداء .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجّه داخلاً قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلّ الحرمة . فسمعها رجل ، قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب ، فقال : [ يا رسول الله ، ] أسمع ما يقول سعد بن عباد ؟! ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ لعلّي : « أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق ، أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عباد حين مرّ به . وقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلّ الحرمة - يعني الكعبة - فقال النبي ﷺ : « بل هذا يوم تعظم فيه الكعبة » . وأمر بالراية - راية الأنصار - أن تؤخذ من سعد بن عباد كالتأديب له ، ويقال : إنها دُفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهري : دفعها إلى الزبير بن العوام . فالله أعلم .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، ثنا عبد الله بن السريّ الأنطاكي ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وحدثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عباد ، فجعل يهزّها ويقول : اليوم يوم الملحمة ، يوم تستحلّ الحرمة . قال : فشقّ ذلك على قريش وكبر في نفوسهم . قال : فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول<sup>(٣)</sup> : [ من الخفيف ]

يا نبيّ الهدى إليك لَجَا حَيْدُ	يُ قريشٍ ولاتَ حينَ لَجَاءِ
حين ضاقت عليهم سَعَةُ الأَر	ضٍ وَعَادَاهُمْ إِلَهُ السَّمَاءِ
[والتقت حلقتا البطانِ على القو	مٍ وَنُودُوا بالصَّيْلِمِ الصَّلْعَاءِ] <sup>(٤)</sup>
إن سعداً يريد قاصِمة الظُّه	رِ بأهل الحَجُونِ والبَطْحَاءِ
خَزَرْجِيّ لو يستطيعُ من الغي	ظٍ رَمَانَا بالثَّسْرِ والعَوَاءِ
فأنهينهُ فإنّه الأسدُ الأُسْدُ	وُدُ والليث والغُ في الدَّمَاءِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٦/٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٦/٢ ) .

(٣) الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع والثامن في « الروض الأنف » للسهيلي ( ٩٩/٧ - ١٠٠ ) ونسبها لضرار بن الخطاب .

(٤) هذا البيت لم يرد في ( آ ) و ( ط ) وأثبتته من « الروض الأنف » ( ١٠٠/٧ ) .

فلئن أقحم اللّواء ونادى يا حُمَاة اللّواء أهل اللّواء  
لتكوننَّ بالبطّاح قريشٌ بقعة القاع في أكفّ الإماء  
إنّه مُضَلَّتْ يُريد لها الرأى ي صُمُوتٌ كالحيّة الصّمَاء

قال : فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عباد ، ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد . قال : فيروى أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أحب أن لا يخيبها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحب أن لا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وذكر ابن أبي نجیح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللّيط أسفل مكة في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبه اليمنى ، وفيها : أسلم ، وسليم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وقبائل من قبائل العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، فضربت له هنالك قُبَّتُهُ .

وروى البخاري<sup>(٢)</sup> ، من حديث الزُّهري ، عن عليّ بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله ، أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رباع ؟ » . ثم قال : « لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن » .

ثم قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب ، ثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي سلمى عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « منزلنا - إن شاء الله ، إذا فتح الله - الخيف ، حيث تقاسموا على الكفر » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا يونس ، ثنا إبراهيم ، يعني ابن سعد ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « منزلنا غداً ، إن شاء الله ، بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » . ورواه البخاري<sup>(٥)</sup> من حديث إبراهيم بن سعد ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدثني عبد الله بن أبي نجیح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، كانوا قد جمعوا ناساً بالخدم ليقاتلوا ، وكان حماس بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر يُعدُّ سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٧/٢ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ١٥٨٨ ) و ( ٤٢٨٢ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٨٤ ) .

(٤) في « المسند » ( ٣٥٣/٢ ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٨٥ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٧/٢ ) .

تُعَدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله إنني لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم قال : [ من الرجز ]

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عِلَّةٌ هَذَا سِلَاحُ كَامِلٌ وَأَلَّةٌ  
وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ

قال : ثم شهد الخندمة<sup>(١)</sup> مع صفوان ، وعكرمة ، وسهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقذ ، وكانا في جيش خالد ، فشداه عنه ، فسلكا غير طريقه ، فقتلا جميعاً ، وكان قبل كرز قتل خنيس . قالوا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهني ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامراته : أغلقي عليّ بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال : [ من الرجز ]

إِنَّكَ لَوْ شِهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عَكْرِمَةُ  
وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمَوْتَمَةِ<sup>(٢)</sup> وَاسْتَقْبَلْتَهُمُ بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةُ  
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمَةٍ ضَرْباً فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً  
لَهُمْ نَهَيْتْ خَلْفَنَا وَهَمَّهُمَةَ لَمْ تَنْطَقِي فِي اللُّومِ أَدْنَى كَلِمَةٍ

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وتروى هذه الأبيات للرّعاش الهذلي .

قال : وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وقال الطبراني<sup>(٤)</sup> : ثنا علي بن سعيد الرازي ، ثنا أبو حسان الزياتي ، ثنا شعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرّم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حياله من السماء حرام ، وإنه لا يحل لأحد قبلي ، وإنما حلّ لي ساعة من نهار ، ثم عاد كما كان » . فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل . فقال : « قم يا فلان فأت خالد بن الوليد ، فقل له فليرفع يديه من القتل » . فأتاه الرجل فقال : إن النبي ﷺ

(١) الخندمة : جبل بمكة . انظر « مراصد الاطلاع » ( ٤٨٤ / ١ ) .

(٢) قال الخشني : الموتمة : هي التي قتل زوجها فبقي لها أيتام . « شرح غريب السيرة » ( ٧٨ / ٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٤٠٩ / ٢ ) .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » ( ١١٠٠٣ ) وفي « الأوسط » رقم ( ٣٨٧٨ ) وفي « سنده » شعيب بن صفوان الثقفي وهو ضعيف عند التفرد ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، ورواية شعيب بن صفوان عنه بعد الاختلاط .

يقول : اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين إنساناً ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أنهك عن القتل ؟ » فقال : جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرت عليه . فأرسل إليه : « ألم أمرك ؟ » قال : أردتُ أمراً ، وأراد الله أمراً ، فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبي ﷺ ، فما ردَّ عليه شيئاً .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سمّاهم ، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ؛ كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدَّ ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه ، فرَّ إلى عثمان ، وكان أخاه من الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له ، صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : « نعم » . فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأيي قد صمتُ فيقتله » . فقالوا : يا رسول الله ، هلا أومأت إلينا ؟ فقال : « إن النبي لا يقتل بالإشارة » .

وفي رواية : « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وقد حسن إسلامه بعد ذلك ، وولاه عمر بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح ، أو بعد انقضاء صلاتها في بيته ، كما سيأتي بيانه .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وعبد الله بن خطل ؛ رجل من بني تيم بن غالب - قلت : ويقال : إن اسمه عبد العزى بن خطل . ويحتمل أنه كان كذلك ، ثم لما أسلم سمّي عبد الله - ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدّقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ، ثم ارتدَّ مشركاً<sup>(٤)</sup> ، وكان له قِيتان ؛ فزَتَنِي وصاحبتهما ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قِيتيه ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الأسلمي ، وسعيد بن حُرَيْث المخزومي ، وقتلت إحدى قِيتيه ، واستؤمن للأخرى . قال : والحُوَيْرِث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ، ولما تحمّل العباس بفاطمة وأمّ كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة ، نخس بهما الحُوَيْرِث هذا الجمل الذي هما عليه ، فسقطتا إلى الأرض ، فلما أهدر دمه قتله علي بن أبي طالب . قال : ومِقْيَس بن صُبابَة ؛ لأنه قتل قاتل أخيه خطأ بعدما أخذ الدية ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له : نُمَيْلَة بن عبد الله . قال : وسارة

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٩ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٩ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٠٩ - ٤١٠ ) .

(٤) ولتمام الفائدة انظر « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » ( ٦١ / ٤ ) وتعليقي على « عمدة الأحكام » ص ( ١٥٧ ) .



مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ؛ لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحملت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، وكأنها عفي عنها أو هربت ثم أهدر دمها ، والله أعلم ، فهربت حتى استؤمن لها من رسول الله ﷺ فأمنها ، فعاشت إلى زمن عمر فأوطأها رجلُ فرساً فماتت . وذكر السهيلي<sup>(١)</sup> أن فرتنى أسلمت أيضاً .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، واستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه ، فذهبت في طلبه ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمّش الفقيه ، أنبأ أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، أنبأ أحمد بن يوسف السلمي ، ثنا أحمد بن المفضل ، ثنا أسباط بن نصر الهمداني ، قال : زعم السدي ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » . وهم عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث ، وعمّار بن ياسر ، فسبق سعيد عمّاراً ، وكان أشبّ الرجلين ، فقتله ، وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن ألّهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البرّ غيره ، اللهم إن لك عليّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه ، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا جدته عفوّاً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفّان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ، كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأي كفت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » .

ورواه أبو داود والنسائي<sup>(٤)</sup> من حديث أحمد بن المفضل به نحوه .

(١) انظر « الزّوض الأنف » ( ١١١ / ٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٠ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٥٩ / ٥ ) .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٢٦٨٣ ) والنسائي رقم ( ٤٠٧٨ ) ، وهو حديث صحيح .

وقال البيهقي<sup>(١)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصم ، أنبأنا أبو زرعة الدمشقي ، ثنا الحسن بن بشر الكوفي ، ثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أمّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مكة إلا أربعة ؛ عبد العزى بن خطل ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأمّ سارة .

فأمّا عبد العزى بن خطل فإنه قُتل وهو متعلّق بأستار الكعبة . قال : ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سرح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرّضاة ، فأتى به رسول الله ﷺ ليشفع له ، فلما بُصر به الأنصاريّ اشتغل على السيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ ، فجعل يتردّد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبي ﷺ يده فبايعه ، ثم قال للأنصاريّ : « قد انتظرتك أن توفي بنذرك » . قال : يا رسول الله ، هبتك ، أفلا أومضت إليّ ؟ قال : « إنه ليس للنبي أن يؤمض » .

وأما مقيس بن صبابه ، فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ، ثم ارتداده بعد ذلك . قال : وأما أمّ سارة فكانت مولاة لقريش ، فأتت النبي ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاه شيئاً ، ثم بعث معها رجلاً بكتاب إلى أهل مكة ، فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن مقيس بن صبابه قُتل أخوه هشام يوم بني المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنّه مشركاً ، فقدم مقيس مظهراً للإسلام ليطلب دية أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع إلى مكة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قُتل وهو بين الصفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقي<sup>(٣)</sup> شعره حين قتل قاتل أخيه ، وهو قوله : [ من الطويل ]

شفي النفس من <sup>(٤)</sup> قد بات بالقاع مسنداً	يضرّج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله	تلمّ وتنسني وطاء المضاجع
قتلت به فهراً وغرّمت عقله	سراة بني النّجار أرباب فارع
حللت به نذري وأدركت ثورتي	وكنت إلى الأوثان أول راجع

[ قلت : ] وقيل : إن القيتين اللتين أهدر دمهما كانتا لمقيس بن صبابه هذا ، وإن ابن عمه قتله بين

الصفا والمروة .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٦٠ / ٥ ) .

(٢) وهو عند البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٦١ / ٥ ) من طريقه .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢٩٣ / ٢ ) و« دلائل النبوة » ( ٦١ / ٥ ) .

(٤) في « السيرة النبوية » و« دلائل النبوة » : « أن » .

وقال بعضهم : قتل ابن خَطْل الزُّبَيْر بن العَوَّام ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي سَعِيد بن أَبِي هِنْد ، عَنْ أَبِي مَرْوة مولى عَقِيل بن أَبِي طَالِب ، أَنَّ أُمَّ هَانِئَةَ ابْنَةَ أَبِي طَالِب قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْلَى مَكَّةَ فَرَّ إِلَيَّ رَجُلَانِ مِنْ أَحْمَائِي مِنْ بَنِي مَخْزُوم .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : هُمَا الْحَارِث بن هِشَام ، وَزُهَيْر بن أَبِي أُمَيَّة بن الْمَغِيرَةِ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وَكَانَتْ عِنْد هَبِيرَةَ بن أَبِي وَهَبِ الْمَخْزُومِيَّ ، قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلَيَّ أَخِي عَلِيُّ بن أَبِي طَالِب فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَ لِهَمَّا . فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي ، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَوَجَدْتَهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ<sup>(٤)</sup> ، إِنَّ فِيهَا لِأَثَرِ الْعَجِينِ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتَرُهُ بِثُوبِهِ ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثُوبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَّ رَكَعَاتٍ مِنَ الضُّحَى ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : « مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِأُمَّ هَانِئَةَ ، مَا جَاءَ بِكَ ؟ » فَأَخْبَرْتَهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَبَرَ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : « قَدْ أَجْرْنَا مِنْ أَجْرَتِ وَأَمَّنَّا مِنْ أَمْنَتِ ، فَلَا يَقْتُلُهُمَا » .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثَنَا أَبُو الْوَلِيد ، ثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَمْرِو بن مَرْوة ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : مَا أَخْبَرْنَا أَحَدًا أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَصَلِّي الضُّحَى غَيْرَ أُمَّ هَانِئَةَ ، فَإِنَّهَا ذَكَرَتْ أَنَّهُ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ اغْتَسَلَ فِي بَيْتِهَا ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَّ رَكَعَاتٍ . قَالَتْ : وَلَمْ أَرَهُ صَلَّى أَحَفَّ مِنْهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٦)</sup> مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ ، عَنْ يَزِيد بن أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ سَعِيد بن أَبِي هِنْد ، أَنَّ أَبَا مَرْوة مولى عَقِيلٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّ هَانِئَةَ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا لَمَّا كَانَ عَامُ الْفَتْحِ ، فَرَّ إِلَيْهَا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَأَجَارْتُهُمَا ، قَالَتْ : فَدَخَلَ عَلِيٌّ فَقَالَ : أَقْتُلُهُمَا . فَلَمَّا سَمِعَتْهُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَانِي رَحَّبَ ، وَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ ؟ » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كُنْتُ أَمَّنْتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَحْمَائِي ، فَأَرَادَ عَلِيٌّ قَتْلَهُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَدْ أَجْرْنَا مِنْ أَجْرَتِ يَا أُمَّ هَانِئَةَ » .

ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانِيَّ رَكَعَاتٍ سَبْحَةَ الضُّحَى .

وفي رواية<sup>(٧)</sup> : أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتَرُهُ بِثُوبٍ ، فَقَالَ : « مِنْ هَذِهِ ؟ » قَالَتْ :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١١ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١١ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١١ / ٢ ) .

(٤) الجفنة : كالفصصة . انظر « مختار الصحاح » ( جفن ) .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٩٢ ) .

(٦) رقم ( ٣٣٦ ) ( ٧١ ) مختصراً في الحيض : باب تستر المغتسل بثوب ونحوه ، واللفظ الذي ساقه المؤلف فهو للبيهقي في « دلائل النبوة » ( ٨٠ / ٥ ) .

(٧) وهي بنحوها عند البخاري في « صحيحه » رقم ( ٣٥٧ ) وعند مسلم رقم ( ٣٣٦ ) ( ٨٢ ) .

أُمُّ هَانئ . قال : « مرحباً بأُمِّ هَانئ » . قالت : يا رسول الله ، زعم ابن أُمِّي عليُّ بن أبي طالب أنه قاتل رجلين قد أجزتاهما . فقال : « قَدْ أَجَزْنَا مِنْ أَجَرْتِ يَا أُمُّ هَانئ » . قالت : ثم صلى ثمانين ركعات ، وذلك ضحى . فظن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح . وجاء التصريح بأنه كان يسلم من كل ركعتين .

وهو يردُّ على السهيلي<sup>(١)</sup> وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة .

وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ، ثمانين ركعات ، يُسلم من كل ركعتين ، والله الحمد .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحَدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفَّ له الناس في المسجد .

وقال موسى بن عقبة<sup>(٣)</sup> : ثم سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ، ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلَعَ فيها ودعا بماء فشرب منها وتوضأ ، والناس يتندرون وضوءه ، والمشركون يتعجبون من ذلك ، ويقولون : ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به - يعني مثل هذا - وأخَّرَ المقام إلى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلُّ مأثرة أو دم أو مال يُدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين ، إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسُّوط والعصا ففيه الدية مغلظة ؛ مئة من الإبل ؛ أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ الآية كلها [ الحرات ١٣ ] . ثم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطُّلقاء » . ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ،

(١) انظر « الروض الأنف » ( ١٠٨ / ٧ ) والمقصود بقوله : « وغيره » الطبري كما جاء مبيناً عند السهيلي .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١١ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٤٥ / ٥ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٢ / ٢ ) ، وإسناده معضل . قال الحافظ العراقي في تخريجه : رواه ابن الجوزي في « الوفا » من طريق ابن أبي الدنيا ، وفيه ضعف .

فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعي له فقال : « هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا سفيان ، عن ابن جُدعان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكة ، وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسوط أو العصا فيه مئة من الإبل » . وقال مرة أخرى : « مغلظة فيها ، أربعون خليفة في بطونها أولادها ، ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى - وقال مرة : ومال - تحت قدمي هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت ، فإني أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » .

وهكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه<sup>(٢)</sup> من حديث علي بن زيد بن جُدعان ، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفاني ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم ، عليه السلام ، مصوراً في يده الأزام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ؟ ! » ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا سليمان ، أنبأ عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله ﷺ [عمر بن الخطاب] أن يمحوها ، فبلَّ عمر ثوباً ومحاها به ، فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء .

وقال البخاري<sup>(٥)</sup> : ثنا صدقة بن الفضل ، ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمئة نصب ، فجعل يطعن بها بعود في يده ، ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

وقد رواه مسلم<sup>(٦)</sup> من حديث ابن عيينة .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ١١ / ٢ ) ، إسناده ضعيف بطوله ، ولأوله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود رقم ( ٤٥٤٧ ) فهو به حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٤٥٤٩ ) وابن ماجه رقم ( ٢٦٢٨ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٣ / ٢ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٩٦ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٨٧ ) .

(٦) رقم ( ١٧٨١ ) في الجهاد والسير : باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

وروى البيهقي<sup>(١)</sup> ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم ، فأخذ قضيبه فجعل يهوي به إلى الصنم ، وهو يهوي ، حتى مرَّ عليها كلها .

ثم من طريق سويد ، عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ لمَّا دخل مَكَّة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً ، فأشار إلى كلِّ صنم بعضاً وقال : « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فكان لا يشير إلى صنمٍ إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه .

ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً ، فالذي قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمي ، ثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أزي قال : لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، جاءت عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها ، وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك نائلة ، أيسر أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : حدَّثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها ، وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي : [ من الوافر ]

وفي الأصنام معتبرٌ وعلمٌ لمن يرجو الثواب أو العقاباً

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٤)</sup> عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه ، وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله ﷺ قوس ، وهو أخذ بسيتها ، فلمَّا أتى على الصنم ، جعل يطعن في عينه ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فلمَّا فرغ من طوافه أتى الصفا ، فعلا عليه ، حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٧١ / ٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٧٥ / ٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٦ / ٢ ) .

(٤) رقم ( ١٧٨٠ ) .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا إسحاق بن منصور ، ثنا عبد الصمد ، ثنا أبي ، ثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة ، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة ، فأمر بها فأخرجت ، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، وفي أيديهما من الأزام ، فقال : « قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقسما بها قط » . ثم دخل البيت ، فكبر في نواحي البيت ، وخرج ولم يصل . تفرّد به البخاري دون مسلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوار ، فقام إلى كل سارية ، فدعا ولم يصل فيه . ورواه مسلم ، عن شيبان بن فروخ ، عن همام بن يحيى العوذني ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا هارون بن معروف ، ثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن بكيراً حدثه عن كريب ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمّا هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوراً ، فما باله يستقسم ؟ ! » .

وقد رواه البخاري والنسائي<sup>(٤)</sup> من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، أخبرني عثمان الجزري ، أنه سمع مقسماً يحدث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلّى ركعتين . تفرّد به أحمد . وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : ثنا إسماعيل ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ صلّى في البيت ركعتين .

قال البخاري<sup>(٧)</sup> : وقال الليث : ثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، مردفاً أسامة بن زيد ، [ ومعه بلال ] ، ومعه عثمان بن طلحة ، من الحجة ، حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبد الله بن عمر أول

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٨٨ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٣١١ / ١ ) ، ومسلم في « صحيحه » رقم ( ١٣٣١ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٧٧ / ١ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٣٥١ ) والنسائي في « السنن الكبرى » ( ٩٧٧٢ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٨٣ / ١ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٥٠ / ٢ ) ، وهو حديث صحيح .

(٧) رواه البخاري في « صحيحه » رقم ( ٤٢٨٩ ) تعليقاً ورقم ( ٢٩٨٨ ) موصولاً .

من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه . قال عبد الله : فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> ، عن هشيم ، ثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس ، وأسامة بن زيد ، وعثمان بن طلحة ، وبلال ، فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب ، فمكث فيه ما شاء الله ، ثم خرج . قال ابن عمر : فكان أول من لقيت منهم بلالاً ، فقلت : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ قال : هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في « صحيح البخاري » وغيره<sup>(٢)</sup> ، أنه ﷺ صلى في الكعبة تلقاء وجهة بابها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربي مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وحديثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لا تتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصا . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذي قلتم » . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله ، ما أطلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني والدي ، حدثني بعض آل جبير بن مطعم ، أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة أمر بلالاً ، فعلا على الكعبة على ظهرها ، فأذن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع<sup>(٤)</sup> هذا الأسود على ظهر الكعبة .

وقال عبد الرزاق<sup>(٥)</sup> ، عن معمر ، عن أيوب قال : قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعد ؟ فقال : دعه ، فإن يكن الله يكرهه ، فسيغيره .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ٢ ) ، وهو حديث صحيح ، لكن قوله : ومعه الفضل بن عباس شاذ .

(٢) هو عند البخاري رقم ( ٥٠٥ ) وعند أبي داود رقم ( ٢٠٢٣ ) وعند النسائي رقم ( ٧٤٨ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٣ / ٢ ) .

(٤) في « دلائل النبوة » للبيهقي : « قبل أن يرى » .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٧٩ / ٥ ) .



وقال يونس بن بكير وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين .

وقال محمد بن سعد<sup>(١)</sup> ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، أن أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً ، فقال في نفسه : لو جمعت لمحمد جمعاً ، فإنه ليحدث نفسه بذلك ، إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال : « إِذَا يُخْزِيكَ اللَّهُ » . قال : فرفع رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه ، فقال : ما أَيقَنْتُ أَنَّكَ نبيٌّ حتى الساعة .

قال البيهقي : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة ، أنبأنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرئ ، أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي ، ثنا محمد بن يوسف الفريابي ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السفر ، عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطؤون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال . فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إِذَا يُخْزِيكَ اللَّهُ » . فقال : أتوب إلى الله ، وأستغفر الله مما تفوّهْتُ به . ثم روى البيهقي ، من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشَّرْقِيّ ، عن محمد بن يحيى الذُّهليّ ، ثنا [ محمد ] بن موسى بن أعين الجزريّ ، ثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ، عن الزُّهريّ ، عن سعيد بن المسيّب قال : لَمَّا كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « قلت لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله » . فقال أبو سفيان : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولِي هذا أحد من الناس غير هند .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا إسحاق ، ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن بن مسلم ، عن مجاهد ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَا تَحُلْ لِأَحَدٍ بَعْدِي ، وَلَمْ تَحُلْ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ ، لَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا ، وَلَا يَعْضُدُ شَوْكُهَا ، وَلَا يَخْتَلِي خِلَاهَا ، وَلَا تَحُلْ لِقَطْعِهَا إِلَّا لِمَنْشَدٍ » . فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ؛ فإنه لا بدّ منه للقيّن والبيوت . فسكت ثم قال : « إِلَّا الْإِذْخَرَ ، فَإِنَّهُ حَلَالٌ » .

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٠٢ / ٥ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٣١٣ ) .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم - هو ابن مالك الجزري - عن عكرمة<sup>(١)</sup> ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبي ﷺ . تفرد به البخاري من الوجه الأول ، وهو مرسل ، ومن الوجه الثاني أيضاً .

وبهذا الحديث وأمثاله استدلل من ذهب إلى أن مكة فتحت عنوة ، وللوقعة التي كانت في الخندمة<sup>(٢)</sup> ، كما تقدم ، وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركون ، وهي ظاهرة في ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعي أنها فتحت صلحاً ؛ لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » . وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله تعالى .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا سعيد بن شرحبيل ، ثنا الليث ، عن المقبري ، عن أبي شريح العدوي ، أنه قال لعمر بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير ، أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ؛ إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكة حرّمها الله ولم يحرمها الناس ، لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم . وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب » . فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيد عاصياً ولا فاراً بدم ، ولا فاراً بخربة .

وروى البخاري أيضاً ومسلم<sup>(٤)</sup> ، عن قتيبة ، عن الليث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> أن رجلاً يقال له : ابن الأثويع . قتل رجلاً في الجاهلية من خزاعة يقال له : أحمر بأساً . فلمّا كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثويع وهو بمكة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأدينه » .

(١) يعني ( عكرمة البربري ) مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، مات سنة ( ١٠٤ ) وقيل ( ١٠٥ ) هـ . انظر « تقريب التهذيب » ص ( ٣٩٧ ) و « شذرات الذهب » ( ٣٢ / ٢ ) بتحقيقي .

(٢) الخندمة : جبل بمكة . انظر « مرصد الاطلاع » ( ٤٨٤ / ١ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٩٥ ) .

(٤) هو عند البخاري رقم ( ١٨٣٢ ) وعند مسلم رقم ( ١٣٥٤ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٤ / ٢ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحَدَّثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لَمَّا بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال : « إِنَّ خراشاً لَقَتَّال » .

وقال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحَدَّثني سعيد بن أبي سعيد المقبريُّ ، عن أبي شريح الخزاعيِّ العدويِّ قال : لَمَّا قدم عمرو بن الزَّبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلمَّا كان الغد من يوم الفتح ، عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال : « يا أيُّها الناس ، إن الله قد حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة ، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ، ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة ؛ غضباً على أهلها ، ألا تُمَّ قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إِنَّ رسول الله ﷺ قد قاتل فيها . فقولوا : إِنَّ الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يحلَّها لكم . يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظرين ؛ إن شاؤوا قدم قاتله ، وإن شاؤوا فعقله » . ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيُّها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالغ طاعة ، ولا مانع جزية . فقال أبو شريح : إني كنتُ شاهداً ، وكنتُ غائباً ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائباً ، وقد أبلغتكَ ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وبلغني أنَّ أوَّل قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْد بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوداه رسول الله ﷺ بمئة ناقة .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : لَمَّا فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال : « كُفُّوا السَّلاح ، إلا خُزَاعَةَ عن بني بكر » . فأذن لهم حتى صَلَّى العصر ، ثم قال : « كُفُّوا السَّلاح » . فلقي رجل من خُزَاعَةَ رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال - فرأيتُه وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال - : « إِنَّ أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية » . وذكر تمام الحديث ، وهذا غريب جداً .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٥ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ١٧٩ / ٢ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ١٧٩ / ٢ ) ، وإسناده حسن ، ولبعضه شواهد يصح بها .

وقد روى أهل السُّنَنِ<sup>(١)</sup> بعض هذا الحديث ، فأما ما فيه من أنه رَخَّصَ لُخْزَاعَةَ أَنْ تَأْخُذَ بِثَأْرِهَا مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِلَى الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ ، فلم أره إلا في هذا الحديث<sup>(٢)</sup> ، وكأنه - إن صحَّ - من باب الاختصاص لهم ممَّا كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن عبيد ، كلُّهم عن زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي ، عن الحارث بن مالك ابن البرصاء الخزاعي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : « لا تُغْزَى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة » .

ورواه الترمذي<sup>(٤)</sup> ، عن بُنْدَار ، عن يحيى بن سعيد القطان به ، وقال : حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً ، فلا إشكال ، وإن كان نفياً ، فقال البيهقي<sup>(٥)</sup> : معناه على كفر أهلها .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٦)</sup> من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبي ، عن عبد الله بن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدوي قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا يقتل قرشيٌّ صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة » . والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام<sup>(٧)</sup> : وبلغني أنَّ رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو وقد أهدت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أثرون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلمَّا فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » .

وهذا الذي علَّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في « مسنده »<sup>(٨)</sup> فقال : ثنا بهز وهاشم ، قالا : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، وقال هاشم : حدَّثني ثابت البناني ، ثنا عبد الله بن رباح ، قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام . قال : وكان أبو هريرة يكثر ما يدعوننا - قال هاشم : يكثر أن يدعوننا - إلى رحله . قال : فقلت :

(١) هو عند أبي داود رقم ( ٣٥٤٦ ) و ( ٤٥٦٢ ) و ( ٤٥٦٦ ) والترمذي رقم ( ١٣٩٠ ) و ( ١٥٨٥ ) والنسائي رقم ( ٢٥٣٩ ) و ( ٣٧٦٦ ) و ( ٤٨٦٦ ) وابن ماجه رقم ( ٢٦٥٥ ) .

(٢) قلت : بل ورد ذلك من حديث مجاهد عن ابن عمر ، رواه ابن حبان ( ٥٩٩٦ ) بإسناد حسن ، ويصلح أن يكون شاهداً للحديث الذي ذكره المؤلف ( بشار ) .

(٣) في « المسند » ( ٤١٢ / ٣ ) و ( ٣٤٣ / ٤ ) .

(٤) رواه الترمذي رقم ( ١٦١١ ) في السير : باب ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذه لا تغزى بعد اليوم » .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٧٥ / ٥ ) .

(٦) رقم ( ١٧٨٢ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٦ / ٢ ) .

(٨) ( ٥٣٨ / ٢ ) ، وهو حديث صحيح .

ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرت بطعام يصنع ، ولقيت أبا هريرة من العشاء . قال : قلت : يا أبا هريرة ، الدَّعوة عندي الليلة . قال : أستبقتني ؟! - قال هاشم : قلت : نعم - قال : فدعوتهم فهم عندي . قال : فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة . قال : أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة . قال : فبعث الزبير على إحدى المجنبتين ، وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحُسر ، وأخذوا بطن الوادي ، ورسول الله ﷺ في كتيبه . قال : وقد وبَّشت قريش أوباشها . قال : قالوا : نقدّم هؤلاء ، فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطيناه الذي سئلنا . قال أبو هريرة : فنظر فرآني فقال : « يا أبا هريرة » . فقلت : لبيك رسول الله . فقال : « اهتف لي بالأنصار ، ولا يأتيني إلا أنصاري » . فهتفت بهم ، فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ . قال : فقال رسول الله ﷺ : « أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : « احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفاء » . قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا ، فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجّه إلينا منهم شيئاً . قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله ، أبيت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم قال : فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال : فغلّق الناس أبوابهم . قال : وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت . قال : وفي يده قوس ؛ أخذ بسية القوس . قال : فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه . قال : فجعل يطعن بها في عينه ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل » . قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه . قال : والأنصار تحته . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدرسته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته . قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أقلتم : أما الرجل فأدرسته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما اسمي إذا ؟! كلا ، إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم » . قال : فأقبلوا إليه فيكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضنّ بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدّقانكم ويعذّرانكم » .

وقد رواه مسلم والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث سليمان بن المغيرة ، زاد النسائي : وسلام بن مسكين .

(١) رواه مسلم رقم ( ١٧٨٠ ) ( ٨٤ ) و ( ٨٥ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١١٢٩٨ ) من حديث سليمان بن المغيرة وسلام بن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً<sup>(١)</sup> من حديث حمّاد بن سلمة ، ثلاثهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاريّ نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وحَدَّثني - يعني بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوّح ، يعني الليثي ، أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدّث به نفسك ؟ » قال : لا شيء ، كنت أذكر الله .

قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : « استغفر الله » . ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شي أحبّ إليّ منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها فقالت : هلمّ إلى الحديث . فقال : لا . وانبعث فضالة يقول<sup>(٣)</sup> : [ من الكامل ]

قالت هَلَمْ إلى الحديث فقلت لا      يَأبى عليك الله والإسلام  
أو ما رأيت محمداً وقبيله      بالفتح يوم تكسّر الأصنام  
لرأيت دين الله أضحى بيّناً      والشرك يغشى وجهه الإظلام

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحَدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبيّ الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمنّه يا رسول الله ، صلّى الله عليك . فقال : « هو آمن » . فقال : يا رسول الله ، فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان ، فذاك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتكَ به ، قال : ويلك ! اعزّب عني فلا تكلمني . قال : أي صفوان ، فذاك أبي وأمي ، أفضل الناس وأبرّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عزّه عزّك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمّنتني . قال : « صدق » . قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، عن الزهريّ أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان ، وأمّ حكيم بنت الحارث بن

(١) رواه مسلم رقم ( ١٧٨٠ ) ( ٨٦ ) من حديث حمّاد بن سلمة .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٧/٢ ) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٧/٢ ) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٧/٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٨/٢ ) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .

هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل [أسلمتا] ، وقد ذهبت وراءه إلى اليمن ، فاسترجعته فأسلم ، فلما أسلما أقرهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثنني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسان ابن الزبير وهو بنجران بيت واحد ما زاد عليه : [من الكامل]

لا تَعْدَمَنْ رجلاً أحلك بُغْضُهُ      نجران في عيش أحدٍ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبير<sup>(٢)</sup> ، خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وقال حين أسلم : [من الخفيف]

يا رسول المليك إن لسانِي      راتِقٌ ما فتقْتُ إذ أنا بُورُ  
إذ أباري الشيطان في سنن الغد      سيٍّ ومن مال ميله مثبورُ  
أَمَنْ اللحم والعظام لرَبِّي      ثم قلبي الشهيد أنت النذيرُ  
إنني عنك زاجرٌ ثم حياً      من لؤيٍّ وكلهم مغرورُ

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقال عبد الله بن الزبير<sup>(٤)</sup> أيضاً حين أسلم : [من الكامل]

مَنْعَ الرُّقَادِ بلابلٌ وهمومٌ      والليل معتلجُ الرِّواقِ بهيمٌ  
مما أتاني أن أحمدَ لامي      فيه فبكُّ كأنني محمومٌ  
يا خير مَنْ حملت على أوصالها      عيرانةٌ سُرحُ اليدين غشومٌ  
إنني لمعتذر إليك من الذي      أسديتَ إذ أنا في الضلالِ أهيمٌ  
أيام تأمرني بأغوى خُطّةٍ      سهمٌ وتأمُرني بها مخزومٌ  
وأُمُدُّ أسباب الرّدى ويقودني      أمر الغواية وأمرهم مشؤومٌ  
فاليوم آمنَ بالنبِيِّ محمدٍ      قلبي ومخطئ هذه محرومٌ  
مضت العداوةُ وانقضت أسبابها      ودعت أواصر بيننا وحلومٌ  
فاغفر فدئ لك والداي كلاهما      زلّلي فإنك راحمٌ مرحومٌ  
وعليك من علم المليك علامةٌ      نورٌ أغرُّ وخاتم مختومٌ  
أعطاك بعد محبة برهانهُ      شرفاً وبرهانُ الإله عظيمٌ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٨/٢ ) .

(٢) الأبيات مع ثلاثة أبيات أخرى في « ديوان عبد الله بن الزبير » ص ( ٣٦ ) بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤١٩/٢ ) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص ( ٤٥ - ٤٦ ) .

ولقد شَهِدْتُ بأن دينكَ صادقٌ      حقٌّ وأنتُ في العبادِ جسيمٌ  
واللهُ يشهدُ أن أحمدَ مصطفىً      مستقبِلٌ في الصَّالِحِينَ كَرِيمٌ  
قَزَمَ علا بنيانُهُ من هاشم      فرغَ تمكَّنَ في الذُّرى وأرومُ

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ من أكبر أعداء الإسلام ، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين ، ثم مَنَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذَّبُّ عنه .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بني سليم سبعمئة ، ويقول بعضهم : ألف . ومن بني غِفَار أربعمئة ، ومن أسلم أربعمئة ، ومن سُزَيْنَةَ ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عُرْوَةُ والزُّهْرِيُّ وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حَسَّان بن ثابت<sup>(٤)</sup> : [ من الوافر ]

عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ      إِلَى عَذْرَاءٍ مَنَزَلُهَا خَلَاءُ  
دِيَارُ مَنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفْرُ      تُعَفِّيَهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ  
وَكَاثَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ      خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ  
فَدَغَ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٍ      يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ  
لَشَعْنَاءِ الَّتِي قَدْ تَيَمَّتْهُ      فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ  
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ      يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ  
إِذَا مَا الْأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا      فَهُنَّ لَطِيبُ الرِّاحِ الْفِدَاءُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢٠ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢١ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢١ ) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ( ١٧ / ١ - ١٨ ) مع بعض الخلاف في ألفاظها ، وبعضها في « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » ( ٢ / ١٥٣ ) بتحقيقي بالاشتراك مع مجموعة من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلامة الدكتور شاعر الفحَّام ، طبع دار الفكر بدمشق .



نُؤَلِّهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا  
وَنَشْرِبُهَا فَتَتْرُكُنَا مَلُوكًا  
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا  
يُنَازِعُنِ الْأَعْنَةَ مَصْغِيَاتٍ  
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّبَرَاتٍ  
فَإِمَّا تُعْرَضُوا عَنَّا اعْتَمِرْنَا  
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لَجِلَادِ يَوْمٍ  
وَجِيرِيلِ رَسُولِ اللَّهِ فِينَا  
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا  
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدَّقُوهُ  
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا  
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ  
فَنُحْكَمُ بِالْقَوَافِي مِنْ هَجَانَا  
أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي  
بِأَنْ سِيُوفِنَا تَرْكَتَكَ عَبْدًا  
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتَ عَنْهُ  
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ  
هَجَوْتُ مَبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا  
أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِزُّضِي  
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : قالها حَسَّانٌ قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجّه ؛ لما في أثناء هذه القصيدة مما يدلُّ على ذلك ، وأبو سُفْيَانَ المذكور في البيت هو أبو سُفْيَانَ بن الْحَارِثِ بن عبد المطلب .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : وبلغني عن الزُّهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطمن الخيل بالخمر ، تبسّم إلى أبي بكر ، رضي الله عنه .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢٤ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال أنس بن زُنيَم الدُّثَلِيّ ، يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعي - يعني لما جاء يستنصر عليهم ، كما تقدّم<sup>(٢)</sup> : [ من الطويل ]

أأنتَ الذي تُهدِي معدّاً بأمره      بل الله يهديهم وقال لك أشهد  
وما حَمَلْتُ من ناقة فوق رَحْلِها      أبرّ وأوفى ذمّة من محمد  
أحَثَّ على خير وأسبغ نائلاً      إذا راح كالسيف الصَّقِيل المُهَنَّد  
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله      وأعطى لرأس السَّابق المتجرّد  
تعلّم رسول الله أنك مُدركي      وأن وعيداً منك كالأخذ باليد  
تعلّم رسول الله أنك قادرٌ      على كلّ صرم متهمين ومنجد  
تعلّم بأنّ الرّكب ركب عويمر      هم الكاذبون المخلفو كلّ موعد  
وتبّوا رسول الله أني هجوته      فلا حملت سوطي إليّ إذا يدي  
سوى أنني قد قلت ويل أمّ فتيّة      أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد  
أصابهم من لم يكن لدمائهم      كفاء فعزّت عبرتي وتبلّدي  
وإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً      بعبد بن عبد الله وابنة مهود  
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا      جميعاً فإن لا تدمع العين أكمّد  
وسلمى وسلمى ليس حيّ كمثلته      وإخوته وهل ملوك كأعبد  
فإنّي لا ديناً فتقت ولا دماً      هرقت تبينّ عالم الحقّ واقصد

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح<sup>(٤)</sup> : [ من الوافر ]

نفى أهلَ الحَبَلَقِ<sup>(٥)</sup> كلّ فجٍّ      مزينه غدوة وبنو خفاف  
ضربناهم بمكّة يوم فتح الدِّ      بيّ الخير بالبيض الخفاف  
صَبَخْنَاهُمْ بسبع من سُلَيْم      وألفٍ من بني عثمان وافٍ  
نَطَا أَكْتَفَاهُمْ ضرباً وطعناً      ورشقا بالمرّيشة اللطاف  
ترى بين الصُّفوف لها حفيفاً      كما انصاع الفُواق من الرّصاف  
فرحنا والجياد تجول فيهم      بأرماح مقوّمه الثُّفاف

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢٤ - ٤٢٥ ) .

(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٢٥ ) .

(٤) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٥٩٥ ) .

(٥) قال الخشني : الحبلى : الغنم الصغار . انظر « شرح غريب السيرة النبوية » ( ٣ / ٨٧ ) .

فَأَبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا      وَأَبَاوَا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ  
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا      مَوَاتِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي  
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَاتَنَا فَهَمُّوا      غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِانْصِرَافِ

وقال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وقال عباس بن مزداس السلمي في فتح مكة<sup>(٢)</sup> : [ من الكامل ]

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحَ مُحَمَّدٍ      أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبَطَاحُ مُسَوِّمٌ  
نَصَرُوا الرَّسُولَ وَشَاهَدُوا آيَاتِهِ      وَشِعَارُهُمْ يَوْمَ اللَّقَاءِ مُقَدَّمٌ  
فِي مَنْزِلٍ ثَبَتَ بِهِ أَقْدَامُهُمْ      ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَتَمُ  
جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدٍ قَبْلَهَا      حَتَّى اسْتَقَامَ لَهَا الْحِجَازُ الْأَذْهَمُ  
اللَّهُ مَكَّنَّهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ      حُكْمَ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدُّ مِرْزَحَمٍ  
عُودَ الرِّيَاسَةِ شَامِخَ عِزِّنِيهِ      مَطْلَعُ نُعَرَ الْمَكَارِمِ خِضْرُمٍ

وذكر ابن هشام<sup>(٣)</sup> في سبب إسلام عباس بن مزداس ، أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له : ضِمَار . فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول : [ من

الكامل ]

قُلْ لِلْقِبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا      أَوْدَى ضِمَارٌ وَعَاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ  
إِنَّ الَّذِي وَرَثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى      بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي  
أَوْدَى ضِمَارٌ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً      قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال : فحرَّقَ عباس ضِمَاراً ، ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم .

وقد تقدَّمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجانِّ ، مع أمثالها وأشكالها ، والله الحمد والمِنَّة .

\*\*\*

بعثه - صَلَّى الله عليه وسلَّم - خالد بن الوليد بعد الفتح  
إلى بني جذيمة من كِنَانَة

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : فحدَّثني حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٢٦ / ٢ ) .

(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٢٦ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٢٧ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٢٨ / ٢ ) .

قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ؛ سليم بن منصور ومذليج بن مرة ، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح ، قال رجل منا - يقال له : جحدم - : ويلكم يا بني جذيمة ، إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد [ عند ذلك ] ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد »<sup>(٣)</sup> .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « هل أنكر عليه أحد ؟ » فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة ، فنههم خالد<sup>(٤)</sup> ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعته فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أمّا الأول يا رسول الله ، فابني عبد الله ، وأمّا الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : « يا علي ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » . فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه ليدي ميلعة الكلب<sup>(٦)</sup> ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٢٩ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٠ / ٢ ) .

(٣) ورواه بنحوه البخاري رقم ( ٤٣٣٩ ) في « المغازي » : باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، والنسائي في « المجتبى » ( ٢٣٧ / ٨ ) في آداب القضاء : باب الرد على الحاكم إذا قضى بغير الحق ، وأحمد في « المسند » ( ١٥١ / ٢ ) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وسيشير المؤلف إليه بعد قليل .

(٤) أي : فزجره . انظر « القاموس المحيط » ( نههم ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٢٩ / ٢ ) .

(٦) وهي عبارة عن إناء من خشب يشرب منه كلب الحراسة عند أصحاب الأغنام . وانظر « شرح غريب السيرة » للخشني ( ٩٠ / ٣ ) .

أعطاكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا نعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال : « أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ » . ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه ، حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقد قال بعض من يعذر خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : قال أبو عمرو المديني : لما أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صبأنا<sup>(٣)</sup> صبأنا ، وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني - أحسبه قال : - جذيمة . فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ؛ فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . وجعل خالد بهم أسراً وقتلاً<sup>(٤)</sup> . قال : ودفع إلى كل رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره . قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره . قال : فقدموا على النبي ﷺ فذكروا له صنيع خالد ، فقال النبي ﷺ ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين<sup>(٥)</sup> .

ورواه البخاري والنسائي<sup>(٦)</sup> من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق<sup>(٧)</sup> : وقد قال لهم جَحْدَمَ لَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِمْ خَالِدٌ : يَا بَنِي جَذِيمَةَ ، ضَاعَ الضَّرْبُ ، قَدْ كُنْتُ حَذَرْتُكُمْ مَا وَقَعْتُمْ فِيهِ .

قال ابن إسحاق<sup>(٨)</sup> : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما تأثرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن :

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٣٠ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٣١ ) .

(٣) قال ابن الأثير في « جامع الأصول » ( ٨ / ٤١٥ ) : « صبأ : إذا خرج من دين إلى دين غيره » .

(٤) أسراً وقتلاً ، بالنصب ، على أنه مفعول مطلق ، أي جعل يأسرهم أسراً ويقتلهم قتلاً .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢ / ١٥٠ - ١٥١ ) .

(٦) رواه البخاري رقم ( ٤٣٣٩ ) والنسائي في « المجتبى » ( ٨ / ٢٣٧ ) وانظر التعليق المتقدم ص ( ٨٣٦ ) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٣١ ) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٣١ ) .

كذبت ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحدٌ ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ، ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته » .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> قصة الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، عم خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبدعوف<sup>(٢)</sup> بن عبد الحارث بن زهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، وعقان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ، ورجوعهم ، ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له : خالد بن هشام . ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم فقاتلوه ، حتى قتل عوف والفاكه وأخذت أموالهما ، وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام ، وفرَّ منهم عقان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهَمَّت قريش بغزو بني جذيمة ، فبعثت بنو جذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم ، وودوا لهم القتيلين وأموالهما ، ووضعوا الحرب بينهم .

يعني فلهذا قال خالد بن الوليد لعبد الرحمن : إنما تأرت بأبيك . يعني حين قتلته بنو جذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثأر بعمه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكل منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يُقال هذا في وقت المخاصمة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر ، واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبأنا صبأنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ ، بل استمرَّ به أميراً ، وإن كان قد تبرأ منه في صنيعة ذلك ، وودى ما كان جناه خطأ في دم أو مالٍ ، ففيه دليل لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله ، والله أعلم ، ولهذا لم يعزله الصديق حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة ، وتأوَّل عليه ما تأوَّل حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله ؛ فإن في سيفه رهقاً . فقال الصديق : لا أعمد سيفاً سلَّه الله على المشركين<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدَّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣١ / ٢ ) .

(٢) مطبوع في « السيرة النبوية » لابن هشام الذي بين يدي و « الروض الأنف » ( ١٢٩ / ٧ ) : « وعوف بن عبد مناف » وهو خطأ ، والصواب ما في كتابنا هنا . وانظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص ( ١٣١ ) .

(٣) لتمام الفائدة راجع ما ذكره ابن العماد الحنبلي في هذه القصة في « شذرات الذهب » ( ١٣٥ / ١ - ١٣٦ ) بتحقيقي .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٣ / ٢ ) .

حَدَّرَدَ الْأَسْلَمِيَّ قَالَ : كُنْتُ يَوْمَئِذٍ فِي خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ فَتَى مِنْ بَنِي جَذِيمَةَ ، وَهُوَ فِي سَنِّي ، وَقَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ ، وَنِسْوَةِ مَجْتَمَعَاتٍ غَيْرِ بَعِيدٍ مِنْهُ : يَا فَتَى . فَقُلْتُ : مَا تَشَاءُ ؟ قَالَ : هَلْ أَنْتِ آخِذَةٌ بِهَذِهِ الرُّمَّةِ ، فَقَائِدِي إِلَى هَؤُلَاءِ النَّسْوَةِ حَتَّى أَقْضِيَ إِلَيْهِنَّ حَاجَةً ، ثُمَّ تَرُدَّنِي بَعْدَ ، فَتَصْنَعُوا بِي مَا بَدَأَ لَكُمْ ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ لَيْسَ بِي مَا طَلَبْتَ . فَأَخَذْتُ بِرُمَّتِهِ فَقَدْتَهُ بِهَا ، حَتَّى وَقَفْتَهُ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ : اسْلَمِي حُبَيْشَ عَلَى نَفْدِ الْعَيْشِ<sup>(١)</sup> : [ مِنْ الطَّوِيلِ ]

أَرَيْتُكَ إِذَا طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ	بَحْلِيَّةً أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ
أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ	تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ الشُّرَى وَالْوَدَائِقِ
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذَا أَهْلُنَا مَعًا	أَثِيْبِي بُوْدٌ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ
أَثِيْبِي بُوْدٌ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى	وَيُنَايَ الْأَمِيرَ بِالْحَبِيبِ الْمُفَارِقِ
فَلِئَنِّي لَا ضِيْعَةٌ سِرًّا أَمَانَةً	وَلَا رَاقَ عَيْنِي عَنْكَ بَعْدَكَ رَائِقُ
سِوَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ	عَنِ الْوَدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ <sup>(٢)</sup>

قَالَتْ : وَأَنْتِ فَحِيْتِ عَشْرًا ، وَتَسْعًا وَتَرَا ، وَثَمَانِيًا تَتْرَى<sup>(٣)</sup> .

قَالَ : ثُمَّ انْصَرَفَتْ بِهِ ، فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ<sup>(٤)</sup> : فَحَدَّثَنِي أَبُو فِرَاسٍ بْنُ أَبِي سُنْبُلَةَ الْأَسْلَمِيُّ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ ، عَمَّنْ كَانَ حَضَرَهَا مِنْهُمْ ، قَالُوا : فَقَامَتْ إِلَيْهِ حِينَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ فَأَكَبَتْ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَتْ تَقْبَلُهُ حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَهُ .

وَرَوَى الْحَافِظُ الْبَيْهَقِيُّ<sup>(٥)</sup> مِنْ طَرِيقِ الْحُمَيْدِيِّ ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوْفَلٍ بْنِ مُسَاحِقٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ مَزِينَةَ يَقُولُ لَهُ : ابْنُ عِصَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً قَالَ : « إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمْ مَوْذَنًا فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا » . قَالَ : فَبَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ وَأَمَرْنَا بِذَلِكَ ، فَخَرَجْنَا قَبْلَ تَهَامَةٍ ، فَأَدْرَكْنَا رَجُلًا يَسُوقُ بَظْعَانَيْنِ ، فَقُلْنَا لَهُ : أَسْلَمَ . فَقَالَ : وَمَا الْإِسْلَامُ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ بِهِ ، فَإِذَا هُوَ لَا يَعْرِفُهُ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ ، مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَقْتُلُكَ . فَقَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مِنْظَرِي حَتَّى أَدْرِكَ الظَّعَانَيْنِ ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ ، وَنَحْنُ مَدْرُكُوكَ . قَالَ : فَأَدْرِكَ الظَّعَانَيْنِ فَقَالَ : اسْلَمِي حُبَيْشَ قَبْلَ نَفَادِ الْعَيْشِ . فَقَالَتِ الْآخَرَى : اسْلَمَ عَشْرًا ، وَتَسْعًا وَتَرَا ، وَثَمَانِيًا تَتْرَى . ثُمَّ

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٣/٢ ) و « الروض الأنف » ( ١٣١/٧ ) وقال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتَين الآخرين منهما له .

(٢) « التوامق » : الحب ، وفي هذا البيت والذي قبله إقواء .

(٣) في رواية السهيلي في « الروض الأنف » بعض الخلاف عما هنا فراجع .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٤/٢ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ١١٦/٥ ) .

ذكر الشعر المتقدم إلى قوله : وينأى الأمير بالحبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدّمناه ، فضربنا عنقه . قال : فانحدرت الأخرى من هودجها ، فحنت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، ثنا محمد بن عليّ بن حرب المروزي ، ثنا عليّ بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحويّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا ، وفيهم رجل فقال لهم : إنني لست منهم ، إنني عشقت امرأة فلحقتها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . قال : فإذا امرأة أدماء طويلة ، فقال لها : اسلمي حُبّيش قبل نفاذ العيش . ثم ذكر البيتين بمعناهما . قال : فقالت : نعم فديتك . قال : فقدّموه فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه ، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَجِيمٌ ؟ » .

\*\*\*

### بعث خالد بن الوليد لهدم العُزَّى

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بيتاً بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومُضَر ، وكان سدنتها وحُجَّابُهَا من بني شيبان من بني سُليم حلفاء بني هاشم ، فلمّا سمع حاجبها السُّلميّ بمسير خالد بن الوليد إليها علّق سيفه عليها ، ثم اشتدّ في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

[ من الطويل ]

أيا عَزَّ شُدِّي شِدَّةَ لا شَوَى لها      على خالد ألقى القناع وشَمَّري  
أيا عَزَّ إن لم تقتلي المرءَ خالداً      فبؤئي بإثم عاجلٍ أو تنصّري

قال : فلمّا انتهى خالد إليها هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى الواقدي<sup>(٤)</sup> وغيره أنه لمّا قدمها خالد لخمس بقين من رمضان فهدمها ، ورجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « ما رأيت ؟ » قال : لم أر شيئاً ، فأمره بالرجوع ، فلمّا رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول ، فعلاها بالسيف وجعل يقول : [ من الرجز ]

(١) في « دلائل النبوة » ( ١١٧ / ٥ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦٥ / ٣ ) بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٦ / ٢ ) و « الروض الأنف » ( ١٣٤ / ٧ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ٨٧٣ / ٣ ) .



يا عَزَّ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ثم خَرَّبَ ذلك البيت الذي كانت فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال ، رضي الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعَبِّدُ أَبَدًا » .

وقال البيهقي<sup>(١)</sup> : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد بن علي ، ثنا أبو كُريب ، عن ابن فضيل ، عن الوليد بن جُميع ، عن أبي الطفيل قال : لَمَّا فَتَحَ رسول الله ﷺ مَكَّةَ بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العُزَّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاث سَمُرَات ، فقطع السَّمُرَات وَهَدَمَ البيت الذي كان عليها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : « ارجع فإنك لم تصنع شيئاً » . فرجع خالد ، فلمَّا نظرت إليه السَّدنة وهم حَجَّابُهَا ، أَمَعُوا هَرَبًا فِي الجبل وهم يقولون : يا عَزَّى خَبَلِيهِ ، يا عَزَّى عَوْرِيهِ ، وإلا فموتي برغم . قال : فأتاها خالد ، فإذا امرأة عُرْيَانَةٌ ناشرة شعرها ، تحثو التُّراب على رأسها ووجهها ، فعَمَّمَهَا بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي فأخبره ، فقال : « تلك العُزَّى » .

\*\*\*

## فصل

في مدة إقامته ، عليه السلام ، بمكة

لا خلاف أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أقام بقية شهر رمضان يَقْصُرُ الصَّلَاةَ وَيُفْطِرُ ، وهذا دليل من قال من العلماء : إن المسافرين إذا لم يجمع الإقامة فله أن يَقْصُرَ وَيُفْطِرَ إلى ثمانية عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر ، كما هو مقرر في موضعه .

قال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا أبو نعيم ، ثنا سُفيان .

( ح ) وَحَدَّثَنَا قَبِيصَةُ ، ثنا سُفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ عَشْرًا نَقْصُرُ الصَّلَاةَ .

وقد رواه بقية الجماعة<sup>(٣)</sup> من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرمي البصري ، عن أنس به نحوه .

(١) في « دلائل النبوة » ( ٧٧ / ٥ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٢٩٧ ) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) هو عند مسلم رقم ( ٦٩٣ ) وأبو داود رقم ( ١٢٣٣ ) والترمذي رقم ( ٥٤٩ ) والنسائي في « المجتبى » ( ١٢١ / ٣ ) وابن ماجه رقم ( ١٠٧٧ ) وانظر « جامع الأصول » ( ٧٠١ / ٥ ) .

ثم قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا عبدان ، ثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين .

ورواه البخاري أيضاً من وجه آخر - زاد البخاري : وحسين كلاهما - وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به<sup>(٢)</sup> . وفي لفظ لأبي داود : سبع عشرة .

وحدثنا<sup>(٣)</sup> أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة .

وقال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة ، فإذا زدنا أتممنا .

وقال أبو داود<sup>(٤)</sup> : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا ابن علية ، ثنا علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح ، فأقام ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين ، يقول : « يا أهل البلد ، صلوا أربعاً فإننا سافر » .

وهكذا رواه الترمذي<sup>(٥)</sup> من حديث علي بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ثم روى أبو داود<sup>(٦)</sup> من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق ، لم يذكروا ابن عباس .

وقال ابن إدريس<sup>(٧)</sup> ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعمرو بن شعيب ، وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

\*\*\*

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٢٩٨ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٠٨٠ ) وأبو داود رقم ( ١٢٣٠ ) والترمذي رقم ( ٥٤٩ ) وابن ماجه رقم ( ١٠٧٥ ) .

(٣) القائل ( الإمام البخاري ) رقم ( ٤٢٩٩ ) .

(٤) رقم ( ١٢٢٩ ) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف .

(٥) رواه الترمذي برقم ( ٥٤٥ ) بلفظ مختلف ، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ، ولكن له شواهد يقوى بها .

(٦) رقم ( ١٢٣١ ) وفي سنده ضعف .

(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي ( ٢٩٦ / ٣ ) .

## فصل

### فيما حكم به صلى الله عليه وسلم بمكة من الأحكام

قال البخاري<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ،  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

( ح ) وقال الليث<sup>(٢)</sup> : حَدَّثَنِي يُونُسُ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ :  
كَانَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عَهْدَ إِلَى أَخِيهِ سَعْدٍ أَنْ يَقْبِضَ ابْنَ وَلِيدَةَ زَمْعَةَ ، وَقَالَ عُتْبَةُ : إِنَّهُ ابْنِي . فَلَمَّا قَدِمَ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَةَ فِي الْفَتْحِ ، أَخَذَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ابْنَ وَلِيدَةَ زَمْعَةَ ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،  
وَأَقْبَلَ مَعَهُ عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ : هَذَا ابْنُ أَخِي ، عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّهُ ابْنُهُ ، فَقَالَ عَبْدُ بْنُ  
زَمْعَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَخِي ، هَذَا ابْنُ زَمْعَةَ وَلَدَ عَلَى فَرَّاشِهِ . فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى ابْنِ وَلِيدَةَ  
زَمْعَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَشْبَهَ النَّاسَ بِعُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هُوَ لَكَ ، هُوَ أَخَوُكَ يَا عَبْدُ بْنُ  
زَمْعَةَ ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَلَدَ عَلَى فَرَّاشِهِ » . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « احْتَجِبِي مِنْهُ يَا سُودَةُ » . لَمَّا رَأَى مِنْ شَبهِ  
عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ .

قال ابن شهاب ، قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن  
شهاب : وكان أبو هريرة يصرح بذلك .

وقد رواه البخاري أيضاً ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وابن  
ماجه من حديثه<sup>(٣)</sup> ، وانفرد البخاري بروايته له من حديث مالك ، عن الزهري .

ثم قال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنا يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني  
عروة بن الزبير ، أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد  
يستشفعون . قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها ، تلون وجه رسول الله ﷺ وقال : « أتكلمني في حدٍّ من  
حدود الله ؟ ! » فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلما كان العشي قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى  
على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أمّا بعد ، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف  
تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٣٠٣ ) .

(٢) ووصله الذهلي في « الزهريات » . قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » ( ٢٤ / ٨ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٢٢١٨ ) ومسلم ( ١٤٥٧ ) من طريق الليث عن الزهري به ، ليس بينهما يونس ، وأخرجه  
أبو داود ( ٢٢٧٣ ) وابن ماجه رقم ( ٢٠٠٤ ) من طريق ابن عينة عن الزهري ولم نقف عليه في الترمذي .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٠٤ ) .

سُرقت لقطعت يدها . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوَّجت ، قالت عائشة : فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ .

وقد رواه البخاري في موضع آخر ، ومسلم<sup>(١)</sup> من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزَّهْرِيّ ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٢)</sup> من حديث سبرة بن معبد الجُهْنِيّ قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهانا عنها . وفي رواية فقال : « ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفي رواية في « مسند أحمد » و« السنن » أن ذلك كان في حجة الوداع<sup>(٣)</sup> ، فالله أعلم .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(٤)</sup> عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن أبي العُميس ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رَخَّصَ لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ، ثم نهانا عنها .

قال البيهقي<sup>(٥)</sup> : وعام أوطاس هو عام الفتح ، فهو وحديث سبرة سواء . قلت : من أثبت النَّهْيَ عنها في غزوة خيبر قال : إنها أبيحت مرتين وحرِّمت مرتين ، وقد نصَّ على ذلك الشافعي وغيره . وقد قيل : إنها أبيحت وحرِّمت أكثر من مرتين ، فالله أعلم . وقيل : إنها حرِّمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح . وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة . فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت ، وهذا رواية عن الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> ، وقيل : بل لم تحرِّم مطلقاً ، وهي على الإباحة .

هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة ، وموضع تحرير ذلك في « الأحكام » .

\*\*\*

- (١) رواه البخاري رقم ( ٢٦٤٨ ) و ( ٦٨٠٠ ) ومسلم رقم ( ١٦٨٨ ) .
- (٢) رقم ( ١٤٠٦ ) ( ٢٢ ) وقد أطال الإمام ابن القيم الكلام حول هذا الموضوع بما لا مزيد عليه في كتابه العظيم « زاد المعاد في هدي خير العباد » ( ٤٠٣ / ٣ - ٤٠٧ ) فليراجع .
- (٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٠٤ / ٣ ) وأبو داود رقم ( ٢٠٧٢ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٥٥٤١ ) وابن ماجه ( ١٩٦٢ ) وهذه الرواية مخالفة لما قبلها ، فهي شاذة .
- (٤) رقم ( ١٤٠٥ ) ( ١٨ ) .
- (٥) في « دلائل النبوة » ( ٨٩ / ٥ ) .
- (٦) وقد سلف قول المؤلف رحمه الله في الكلام على غزوة خيبر ص ( ٤١٢ ) أنها رواية ضعيفة عن الإمام أحمد ولا تصح أيضاً عنه .

## فصل

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، ثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح . قال : جلس عند قرن مسقلة ، فبايع الناس على الإسلام والشهادة . قال : قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . تفرَّد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاءه الناس ؛ الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام ، فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة متنبئة متنكرة بحديثها ؛ لما كان من صنعها بحمزة ، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحديثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال : « بايعني على أن لا تشركن بالله شيئاً » . فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال . قال : « ولا تسرقن » . فقالت : والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ، وكان شاهداً لما تقول : أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حلٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « وإنك لهند بنت عتبة ؟ ! » قالت : نعم ، فاعف عما سلف ، عفا الله عنك . ثم قال : « ولا تزنين » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟ ! ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » . قالت : قد ربّيناهم صغاراً ، وقتلتهم ببدر كباراً ، فأنت وهم أعلم . فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب ، ثم قال : « ولا تأتين بهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن » .

فقالت : والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التَّجاوز أمثل . ثم قال : « ولا تعصيني » . فقالت : في معروف . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « بايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » . فبايعهن عمر ، وكان رسول الله ﷺ لا يصفح النساء ، ولا يمسُّ إلا امرأة أحلَّها الله له ، أو ذات محرم منه .

وثبت في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤١٥ / ٣ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٦١ / ٣ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٨٩١ ) و ( ٥٢٨٨ ) و ( ٧٢١٤ ) ومسلم رقم ( ١٨٦٦ ) .

وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول : « إنما قولني لامرأة واحدة كقولني لمئة امرأة »<sup>(١)</sup>

وفي « الصحيحين »<sup>(٢)</sup> عن عائشة ، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنِيَّ ، فهل عليَّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » .

وروى البيهقي<sup>(٣)</sup> ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو أهل خِباء - الشُّكُّ من ابن بكير - أحبَّ إليَّ من أن يذلُّوا من أهل أخبائك - أو خِباك - ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء - أو خِباء - أحبَّ إليَّ من أن يعزُّوا من أهل أخبائك - أو خِباك - . فقال رسول الله ﷺ : « وأيضاً والذي نفس محمد بيده » . قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال : « لا ، إلا بالمعروف » . ورواه البخاري<sup>(٤)</sup> ، عن يحيى بن بكير بنحوه ، وتقدَّم ما يتعلَّق بإسلام أبي سفيان .

وقال أبو داود<sup>(٥)</sup> : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . ورواه البخاري<sup>(٦)</sup> ، عن عثمان بن أبي شيبة ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، عن جرير .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : ثنا عفان ، ثنا وهيب ، ثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلي حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . تفرد به أحمد .

وقال البخاري<sup>(٨)</sup> : ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا الفضيل بن سليمان ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان النهدي ، عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبدٍ إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة ، فقال :

- (١) وهي عند الترمذي رقم ( ١٥٩٧ ) والنسائي ( ١٤٩/٧ ) وأحمد في « المسند » ( ٣٥٧/٦ ) وإسناده صحيح .
- (٢) رواه البخاري رقم ( ٢٢١١ ) و ( ٥٣٦٤ ) و ( ٧١٨٠ ) ومسلم رقم ( ١٧١٤ ) .
- (٣) في « دلائل النبوة » ( ١٠٠/٥ ) .
- (٤) في « صحيحه » رقم ( ٦٦٤١ ) .
- (٥) في « سننه » رقم ( ٢٤٨٠ ) .
- (٦) في « صحيحه » رقم ( ١٨٣٤ ) ، ومسلم في « صحيحه » رقم ( ١٣٥٣ ) .
- (٧) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٠١/٣ ) و ( ٤٦٥/٦ ) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
- (٨) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٠٧ ) و ( ٤٣٠٨ ) .

« مضت الهجرة لأهلها ، أبايعه على الإسلام والجهاد » . فلقيت أبا معبد فسألته ، فقال : صدق مجاشع . وقال خالد ، عن أبي عثمان عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجالد .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا عمرو بن خالد ، ثنا زهير ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان قال : حدّثني مجاشع قال : أتيت رسول الله ﷺ بأخي بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله ، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » . فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » . فلقيت أبا معبد بعد ، وكان أكبرهما سنًا ، فسألته ، فقال : صدق مجاشع .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام . فقال : لا هجرة ، ولكن جهاد ، انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت . وقال النضر : أنا شعبة ، أنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر ، فقال : لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - . . . مثله .

حدّثنا<sup>(٣)</sup> إسحاق بن يزيد ، ثنا يحيى بن حمزة ، حدّثني أبو عمرو الأوزاعي ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبر ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا إسحاق بن يزيد ، أنا يحيى بن حمزة ، أنا الأوزاعي ، عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير ، فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرّ أحدهم بدينه إلى الله ، عزّ وجلّ ، وإلى رسوله ﷺ ؛ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، فالمؤمن يعبد ربّه حيث يشاء ، ولكن جهاد ونيّة .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة - إما الكاملة أو مطلقاً - قد انقطعت بعد فتح مكة ؛ لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً ، وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبقى هجرة ، اللهم إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب ، وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ، ولكن هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاً من الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع ومرغّب فيه إلى يوم القيامة ، ولكن ليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح ، فتح مكة . قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ [ الحديد : ١٠ ] .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٠٥ ) و ( ٤٣٠٦ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٠٩ ) و ( ٤٣١٠ ) .

(٣) القائل هو الإمام البخاري ، والحديث في « صحيحه » رقم ( ٤٣١١ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٣١٢ ) .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البخري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه السورة الكريمة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّكُمْ كَانَتْ تَوَابًا ۖ ﴾ [النصر : ١ - ٣] . قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، وقال : « الناس حيز وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » . فقال له مروان : كذبت . وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رآيا ذلك قالوا : صدق . تفرّد به أحمد .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُئيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليربهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ؛ قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ ﴾ . فذلك علامة أجلك ؛ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّكُمْ كَانَتْ تَوَابًا ۖ ﴾ . قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرّد به البخاري .

وهكذا روي من غير وجه ، عن ابن عباس أنه فسّر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله . وبه قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

فأما الحديث الذي قال [ فيه ] الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا محمد بن فضيل ، ثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ ﴾ . قال رسول الله ﷺ : « نُعِيت إلي نفسي » . بأنه مقبوض في تلك السنة . تفرّد به الإمام أحمد ، وفي إسناد عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، وفيه ضعف ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وفي لفظه نكارة شديدة ، وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل ؛ فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها ، كما تقدّم بيانه ، وهذا لا خلاف فيه .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٢ / ٣ ) ، وإسناده ضعيف بطوله . ولبعض فقراته شواهد .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٩٧٠ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٧ / ١ ) .



وقد توفي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، بلا خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني<sup>(١)</sup> ، رحمه الله : ثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي ، ثنا أبي ، ثنا جعفر بن عون ، عن أبي العُميس ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ وفيه نكارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال ، والله أعلم .

وقد تكلمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية<sup>(٢)</sup> ، والله الحمد والمنة .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلمة - قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته - قال : كنا بماء ممر الناس ، وكان يمر بنا الرُّكبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا . فكننت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يغرى في صدري ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم . فلما قدم قال : جئتمكم والله من عند النبي حقاً ، قال : « صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنًا » . فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا مني ؛ لما كنت أتلقى من الرُّكبان ، فقدّموني بين أيديهم وأنا ابن ستٍّ أو سبع سنين ، وكانت عليّ بردة إذا سجدت تقلّصت عني . فقالت امرأة من الحيّ : ألا تغطّون عنا استقارئكم ؟ فاشتروا ، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص ، تفرد به البخاري دون مسلم .

\*\*\*

### غزوة هوازن يوم حنين

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ ﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » ( ٣٦٩ / ١٠ ) .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٥٢٩ / ٨ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٠٢ ) .

الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ | التوبة : ٢٥ - ٢٧ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه<sup>(١)</sup> أن خروج رسول الله ﷺ إلى هوازن بعد الفتح في خامس شوال سنة ثمان ، وزعم أن الفتح كان لعشر بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلة .

وهكذا روى عن ابن مسعود ، وبه قال عروة بن الربير ، واختاره ابن جرير في « تاريخه »<sup>(٢)</sup> .

وقال الواقدي<sup>(٣)</sup> : خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لست خلون من شوال ، فأنتهى إلى حنين في عاشره .

وقال أبو بكر الصديق : لن نُغَلَبَ اليوم من قلة ، فانهزموا ، فكان أول من انهزم بنو سليم ، ثم أهل مكة ، ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النصري ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر ، وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها ، ولم يحضرها من هوازن كعب وكلاب ، ولم يشهدا منهم أحد له اسم ، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم ، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصمة في شجار له يقاد به ، فلما نزل قال : بأيّ واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ضرر ، ولا سهل دهر ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار النساء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قالوا : هذا مالك . ودُعي له . قال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٧ / ٢ ) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » ( ٥٦ / ٣ ) .

(٣) انظر « المغازي » ( ٨٨٩ - ٨٩٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٧ / ٢ ) .

مالي أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجلٍ أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فأنقض به<sup>(١)</sup> . ثم قال : راعي ضأنٍ والله ، هل يردُّ المنهزم شيءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ؟ قال : لم يشهدا منهم أحدٌ . قال : غاب الحدُّ والجدُّ ، لو كان يوم غلاءٍ ورفعَةٍ لم تغب عنه كعبٌ وكلابٌ ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامرٍ ، وعوف بن عامرٍ . قال : ذاك الجدعان من عامرٍ لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئاً ، ثم قال دريدٌ لمالك بن عوفٍ : ارفعهم إلى متمنّع بلادهم وعلياً قومهم ، ثم ألق الصبيَّ على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك أفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . ثم قال مالكٌ : والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لا تكثرنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريدٍ فيها ذكرٌ أو رأيٌ - فقالوا : أطعنك . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهده ولم يفتني<sup>(٢)</sup> : [ من مجزوء الرجز ]

يا ليتني فيها جَذَعٌ      أحبُّ فيها وأَضَعُ

أقود وطفاء الزَّمْع      كأنها شاةٌ صَدَعُ

ثم قال مالكٌ للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدُّوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدَّثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدَّث أن مالك بن عوفٍ بعث عيوناً من رجاله ، فأتوه وقد تفرَّقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ، وما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلقي ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى . فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرٍ الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدرٍ ، فدخل فيهم

(١) أي : زجره .

(٢) البيتان في « السيرة النبوية » ( ٤٣٩ / ٢ ) و « الروض الأنف » ( ١٣٦ / ٧ ) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ دمشق » ( ٧٠ / ٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٩ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٣٩ / ٢ ) .

فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشركٌ فقال : « يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً » . فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : « بل عاريةً مضمونةً حتى نُؤدِّيها إليك » . قال : ليس بهذا بأسٌ . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فرعموا أن رسول الله ﷺ سألهم أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد .

وقد روى يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيبٍ والزهرى وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم وغيرهم ، قصة حنين ، فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدرع كما تقدم ، وفيه أن ابن حدرٍ لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذبه عمر بن الخطاب ، فقال له ابن أبي حدرٍ : لئن كذبتني يا عمر ، فربما كذبت بالحق . فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال : « قد كنت ضالاً فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عاريةً مضمونةً » . قال : فضاع بعضها ، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمها له ، فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup> من حديث يزيد بن هارون به ، وأخرجه النسائي من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً ، فذكره . ورواه من حديث هشيم ، عن حجاج ، عن عطاء أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . . . وساق الحديث .

وقال أبو داود<sup>(٣)</sup> : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أناسٍ من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال : « يا صفوان ، هل عندك من سلاح ؟ » قال : عارية أم غصباً ؟ قال : « لا ، بل عاريةً » . فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما هزم المشركون جمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان : « قد فقدنا من أدراعك

(١) في « مسنده » ( ٤٠٠ / ٣ ) و ( ٤٦٥ / ٦ ) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود في « سننه » رقم ( ٣٥٦٢ ) ، والنسائي في « سننه الكبرى » رقم ( ٥٧٧٩ ) من طريق يزيد بن هارون . والنسائي رقم ( ٥٧٨٠ ) من طريق إسرائيل . والنسائي أيضاً رقم ( ٥٧٧٨ ) من حديث هشيم . وينظر « تحفة الأشراف » للمزي ( الحديث ٤٩٤٥ ) .

(٣) في « سننه » رقم ( ٣٥٦٣ ) ، وهو حديث حسن .

أدراعاً ، فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يا رسول الله ، إن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ . وهذا مرسلٌ أيضاً .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عُرْوَةَ ، والزُّهْرِيُّ ، وموسى بن عقبة ، يكون مجموع الجيشين اللذين سار بهما إلى هوازن أربعة عشر ألفاً ؛ لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأضيف إليهم ألفان من الطُّلَقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوالٍ ، قال : واستخلف على أهل مَكَّة عَتَّاب بن أُسَيْد بن أَبِي العَيْص بن أُمَيَّة بن عبد شمس الأموي .

قلت : وكان عُمُرُهُ إذ ذاك قريباً من عشرين سنة . قال : ومضى رسول الله ﷺ يُريد لقاء هوازن . وذكر قصيدة العباس بن مرداس السلمي في ذلك ، منها قوله<sup>(٢)</sup> : [ من البسيط ]

أَبْلَغَ هَوَازِنَ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا	مَنِّي رِسَالَةٌ نُصَحَ فِيهِ تَبَيَّانُ
إِنِّي أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَاحِبَ حَكَمٍ	جِيشاً لَهُ فِي فِضَاءِ الْأَرْضِ أَرْكَانُ
فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخَوُكُمْ غَيْرُ تَارِكِكُمْ	وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللَّهِ غَسَّانُ
وَفِي عِضَادَتِهِ الْيَمْنَى بَنُو أَسَدٍ	وَالْأَجْرَبَانُ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ
تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الْأَرْضُ رَهْبَتَهُ	وَفِي مَقَدِّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ

قال ابن إسحاق : أَوْسٌ وَعُثْمَانُ قَبِيلَا مُزَيْنَةَ .

قال : وحدثني الزُّهْرِيُّ ، عن سنان بن أبي سنان الدُّثَلِيِّ ، عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية . قال : فسرنا معه إلى حنين . قال : وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها : ذات أنواط . يأتونها كل سنة فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرَةً خضراء عظيمة . قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، قلتُم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٤٠ ) .

(٢) الأبيات مع غيرها في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٤١ ) و « الروض الأنف » ( ٧ / ١٦٥ ) وهي مع أبيات غيرها في « ديوان العباس بن مرداس » ص ( ١٥٤ - ١٥٥ ) جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت .

موسى لموسى : ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] . إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم .

وقد روى هذا الحديث الترمذي ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، عن سفيان ، والنسائي ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، كلاهما عن الزهري ، كما رواه ابن إسحاق عنه . وقال الترمذي : حسنٌ صحيح<sup>(١)</sup> . ورواه ابن أبي حاتم في « تفسيره »<sup>(٢)</sup> من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، عن أبيه ، عن جدّه مرفوعاً .

وقال أبو داود<sup>(٣)</sup> : ثنا أبو توبة ، ثنا معاوية بن سلام ، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام ، عن السلولي أنه حدثه سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير<sup>(٤)</sup> حتى كان عشية ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فارس ، فقال : يا رسول الله ، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم وبنعمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » . ثم قال : « من يحرسنا الليلة » . قال أنس بن أبي مرثد : أنا يا رسول الله . قال : « فازكب » . فركب فرساً له ، وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا تُغَرَّن<sup>(٥)</sup> من قبلك الليلة » . فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسنا . فثوب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلي ، ويلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسكم » . فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله ﷺ : « هل نزلت الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلياً أو قاضي حاجة . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » .

وهكذا رواه النسائي<sup>(٦)</sup> ، عن محمد بن يحيى بن كثير الحراني ، عن أبي توبة الربيع بن نافع به .

- (١) رواه الترمذي رقم ( ٢١٨٠ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١١١٨٥ ) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .
- (٢) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » ( ١١٤ / ٣ ) .
- (٣) في « سننه » رقم ( ٢٥٠١ ) ، وهو حديث صحيح .
- (٤) أي : بالغوا فيه .
- (٥) أي : نؤتين .
- (٦) في « السنن الكبرى » رقم ( ٨٨٧٠ ) .

## فصل

في كيفية الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار

ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكير وغيره ، عن محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنِي عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوفٍ بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله إليها ، فأعدُّوا وتهيَّئوا في مضائق الوادي وأحناؤه ، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحطَّ بهم الوادي في عَمَاية الصبح ، فلَمَّا انحطَّ الناس ثارت في وجوههم الخيل فشَدَّت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحدٌ على أحدٍ ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلمُّوا إليَّ ، أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » . قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلَمَّا رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ، ومعه رهطٌ من أهل بيته ؛ عليُّ بن أبي طالب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس - وقيل : الفضيل بن أبي سفيان - وأيمن بن أمٍّ أيمن ، وأسامة بن زيد ، ومن الناس من يزيد فيهم قُثم بن العباس ، ورهطٌ من المهاجرين منهم ؛ أبو بكر وعمر ، والعباس آخذٌ بحَكَمَةِ بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها . قال : ورجلٌ من هوازن على جملٍ له أحمر ، بيده رايةٌ سوداء في رأس رمحٍ طويلٍ أمام هوازن ، وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبِعوه . قال : فبينما هو كذلك إذ هوى له عليُّ بن أبي طالبٍ ورجلٌ من الأنصار يريدانه . قال : فيأتي عليٌّ من خلفه فضرب عرقوبي الجميل ، فوقع على عجزه ، ووُثب الأنصاريُّ على الرجل فضربه ضربةً أطنَّ قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ .

ورواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن يعقوب بن إبراهيم الزُّهري ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذٍ [ مع رسول الله ﷺ ] ، وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذٌ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال : « من هذا ؟ » قال : ابن أمِّك يا رسول الله .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٢ / ٢ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٣٧٦ / ٣ ) ، وإسناده حسن .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٦ / ٢ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولمّا انهزم الناس تكلم رجالٌ من جفّة الأعراب بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان صخر بن حرب - وكان إسلامه بعدُ مدخولاً ، وكانت الأزلام معه يومئذٍ - : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية - يعني لأمّه - وهو مشركٌ في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت ، فضّ الله فاك ، فوالله لأن يرُبّي رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليّ من أن يرُبّي رجلٌ من هوازن .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدّثنا عفّان بن مسلم ، ثنا حمّاد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك أن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفاً يكثرّون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » . قال : فهزم الله المشركين ، ولم يضرب بسيفٍ ولم يطعن برمحٍ . قال : وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ : « من قتل كافراً فله سلبه » . قال : فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم . وقال أبو قتادة : يا رسول الله ، إني ضربت رجلاً على جبل العاتق وعليه درعٌ له ، فأجهضت عنه ، فانظر من أخذها . قال : فقام رجلٌ فقال : أنا أخذتها ، فأرضه منها وأعطنيها . قال : وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت ، فسكت رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله لا يفيئها الله على أسدٍ من أسد الله ويعطيكمها . فقال رسول الله ﷺ : « صدق عمر » . قال : ولقي أبو طلحة أمّ سليم ومعها خنجرٌ ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج به بطنه . فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أمّ سليم ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، اقتل من بعدنا من الطلقاء ؛ انهزموا بك . فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أمّ سليم » .

وقد روى مسلم<sup>(٣)</sup> منه قصة خنجر أمّ سليم ، وأبو داود<sup>(٤)</sup> قوله : « من قتل قتيلاً فله سلبه » . كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغربٌ ، والمشهور أن ذلك أبو بكر الصديق .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا أبي ، ثنا نافع أبو غالب ، شهد أنس بن مالك قال : فقال العلاء بن زياد العدويّ : يا أبا حمزة ، بسنّ أيّ الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٣ / ٢ ) .

(٢) في « مسنده » ( ٢٧٩ / ٣ ) ، وإسناده صحيح .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ١٨٠٩ ) .

(٤) في « سننه » رقم ( ٢٧١٨ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ١٥١ / ٣ ) ، وإسناده صحيح .



فتمَّت له ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنَّ أيَّ الرجال هو يومئذٍ ؟ قال : كأشبَّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غزوت معه يوم حنين ، فخرج المشركون بكرة ، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ، وفي المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدُقُّنا ويحطِّمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل ، فهزمهم الله فولَّوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح ، فجعل يُجاء بهم أسارى رجلاً رجلاً ، فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ : إن عليَّ نذراً ، لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطِّمنا لأضربنَّ عنقه . قال : فسكت رسول الله ﷺ ، وجيء بالرجل ، فلما رأى نبيَّ الله ﷺ قال : يا نبيَّ الله ، تبت إلى الله . قال : وأمسك نبيُّ الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره . قال : وجعل ينظر إلى النبي ﷺ ليأمره بقتله ، ويهاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى النبي ﷺ أنه لا يصنع شيئاً ببايعه ، فقال : يا نبيَّ الله ، نذري ؟! قال : « لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك » . فقال : يا رسول الله ، ألا أومأت إليَّ ؟ قال : « إنه ليس لنبيٍّ أن يوميء » تفرد به أحمد<sup>(١)</sup>

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> : حدَّثنا يزيد ، ثنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين : « اللهم إنك إن تشأ لا تعبد بعد اليوم » . إسناده ثلاثيٌّ على شرط الشيخين ، ولم يخرجهُ أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب - وسأله رجلٌ من قيس : أفرتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال : - لكنَّ رسول الله ﷺ لم يفرَّ ؛ كانت هَوَازن رماةً ، وإنا لمَّا حملنا عليهم انكشفوا ، فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلتنا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان أخذ بزمامها ، وهو يقول :

« أنا النبيُّ لا كذب »

ورواه البخاريُّ ، عن أبي الوليد ، عن شعبة به وقال : [من مجزوء الرجز]

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ »

قال البخاريُّ<sup>(٤)</sup> : وقال إسرائيل وزهير ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : ثم نزل عن بغلته .

ورواه مسلمٌ والنسائيُّ<sup>(٥)</sup> عن بندار . زاد مسلمٌ : وأبي موسى . كلاهما عن غندر به .

(١) قلت : روى أبو داود بعضه في سننه (رقم ٣١٩٤) الشطر الثاني منه عن داود بن معاذ عن عبد الوارث عن نافع أبي غالب ، به ، وزاد فيه صفة القيام في صلاة الجنازة على الرجل والمرأة .

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١٢١/٣) .

(٣) في «صحيحه» رقم (٤٣١٧) .

(٤) في «صحيحه» رقم (٤٣١٧) .

(٥) رواه مسلم رقم (١٧٧٦) (٨٠) والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٦٣٨) .

وروى مسلم<sup>(١)</sup> من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ »

اللهم نزل نصرك . قال البراء : ولقد كنا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ ، وإن الشجاع الذي يحاذي به .

وروى البيهقي<sup>(٢)</sup> من طرق أن رسول الله ﷺ قال يومئذ : « أنا ابن العواتك » .

وقال الطبراني<sup>(٣)</sup> : ثنا عباس بن الفضل الأسفاطي ، ثنا عمرو بن عوف الواسطي ، ثنا هشيم ، أنبأنا يحيى بن سعيد ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن سيابة بن عاصم السلمي أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين : « أنا ابن العواتك » .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ، فضربته من ورائه على جبل عاتقه بالسيف ، فقطعتُ الدرع ، وأقبل عليّ فضمني ضمةً وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت ، فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت : ما بال الناس ؟ فقال : أمر الله ، عز وجل . ثم رجعوا ، وجلس رسول الله ﷺ فقال : « من قتل قتيلًا له عليه بيئةٌ فله سلبه » . فقامت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله ، فقامت فقال : « ما لك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته ، فقال رجلٌ : صدق ، سلبه عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكر : لاها الله إذا لا يعمد إلى أسدٍ من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبي ﷺ : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعت به مخرفاً في بني سلمة ، فإنه لأول مالٍ تأثله في الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلا النسائي<sup>(٥)</sup> من حديث يحيى بن سعيد به .

(١) في « صحيحه » رقم ( ١٧٧٦ ) ( ٧٩ ) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ١٣٥ / ٥ ) .

(٣) في « المعجم الكبير » ( ٢٠١ / ٧ ) رقم ( ٦٧٢٤ ) والبيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٣٥ / ٥ - ١٣٦ ) وغيرهما ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهد .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٢١ ) .

(٥) رواه مسلم رقم ( ١٧١٥ ) وأبو داود رقم ( ٢٧١٧ ) والترمذي رقم ( ١٥٦٢ ) وابن ماجه رقم ( ٢٨٣٧ ) .

قال البخاري<sup>(١)</sup> : وقال الليث بن سعد : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ حَنْيْنٍ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَآخِرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُخْتَلِمُهُ مِنْ وَرَائِهِ لِيَقْتُلَهُ ، فَأَسْرَعْتُ إِلَى الَّذِي يُخْتَلِمُهُ ، فَرَفَعَ يَدَهُ لِيُضْرِبَنِي فَأَضْرَبُ يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا ، ثُمَّ أَخَذَنِي فَضَمَّنِي ضِمًّا شَدِيدًا حَتَّى تَخَوَّفْتُ ، ثُمَّ تَرَكَ فَتَحَلَّلَ ، فَدَفَعْتُهُ ثُمَّ قَتَلْتُهُ ، وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَانْهَزَمَتْ مَعَهُمْ ، فَإِذَا بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي النَّاسِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُ النَّاسِ ؟ قَالَ : أَمَرَ اللَّهُ . ثُمَّ تَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَقَامَ بَيْنَهُ عَلَى قَتِيلٍ فَلَهُ سَلْبُهُ » . فَقُمْتُ لِأَلْتَمِسَ بَيْنَهُ عَلَى قَتِيلِي ، فَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَشْهَدُ لِي ، فَجَلَسْتُ ، ثُمَّ بَدَأَ لِي فَذَكَرْتُ أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : سَلَّاحَ هَذَا الْقَتِيلِ الَّذِي يَذْكُرُ عِنْدِي ، فَأَرْضَهُ مِنِّي . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : كَلَّا ، لَا يُعْطِيهِ أَصْبِيعُ مِنْ قَرِيشٍ ، وَيَدْعُ أَسَدًا مِنْ أَسَدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَأَذَاهُ إِلَيَّ ، فَاشْتَرَيْتُ بِهِ خِرَافًا ، فَكَانَ أَوَّلُ مَالٍ تَأْتَلَّتُهُ . وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمُسْلِمٌ ، كِلَاهُمَا عَنْ قَتِيبَةَ ، عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ نَافِعِ أَبِي غَالِبٍ ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْقَاتِلَ لَذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَلَعَلَّهُ قَالَهُ مُتَابِعَةً لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَمُسَاعَدَةً وَمُوَافَقَةً لَهُ ، أَوْ قَدْ اشْتَبَهَ عَلَى الرَّاوي ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> : أَنبَأَنَا الْحَاكِمُ ، أَنبَأَنَا الْأَصَمُّ ، أَنبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ حَنْيْنٍ حِينَ رَأَى مِنَ النَّاسِ مَا رَأَى : « يَا عَبَّاسُ ، نَادِ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، يَا أَصْحَابَ الشَّجَرَةِ » . فَأَجَابُوهُ : لَيْتَكَ لَيْتَكَ . فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَذْهَبُ لِيُعْطِفَ بَعِيرَهُ ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقْذِفُ دَرْعَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَيَأْخُذُ سَيْفَهُ وَقَوْسَهُ ، ثُمَّ يَوْمُ الصَّوْتِ حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ مِائَةٌ ، فَاسْتَعْرَضَ النَّاسَ فَاقْتَتَلُوا ، وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ أَوَّلَ مَا كَانَتْ بِالْأَنْصَارِ ، ثُمَّ جُعِلَتْ آخِرًا بِالْخَزَرَجِ ، وَكَانُوا صُبْرًا عِنْدَ الْحَرْبِ ، وَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رُكَّابِهِ فَنَظَرَ إِلَى مُجْتَلِدِ الْقَوْمِ فَقَالَ : « الْآنَ حِمَى الْوُطَيْسِ » . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا رَجَعْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ إِلَّا وَالْأُسَارَى عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكْتَفُونَ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ ، وَانْهَزَمَ مِنْهُمْ مَنْ انْهَزَمَ ، وَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ .

وقال ابن لهيعة ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ ، عَنْ عُرْوَةَ ، وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ فِي « مَغَازِيهِ »<sup>(٣)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَأَقْرَبَ بِهَا عَيْنَهُ ، خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، لَمْ يَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا رُكْبَانًا وَمِشَاءً حَتَّى خَرَجَ النِّسَاءُ يَمْشِينَ عَلَى غَيْرِ دِينٍ نَظَّارًا يَنْظُرُونَ وَيَرْجُونَ الْغَنَائِمَ ، وَلَا

(١) فِي « صَحِيحِهِ » رَقْمٌ ( ٤٣٢٢ ) .

(٢) فِي « دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ » ( ١٢٩/٥ ) .

(٣) انْظُرْ « دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ » ( ١٢٩/٥ ) .

يكرهون مع ذلك أن تكون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا : وكان معه أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمة ، وهو مشرك لم يفرق بينهما . قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النَّصْرِيُّ ، ومعه دُرَيْد بن الصَّمَّة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذَّراري والنعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرٍ عينا ، فبات فيهم ، فسمع مالك بن عوف يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجل واحد ، واكسروا أعماد سيوفكم ، واجعلوا مواشيكم صفاً ونساءكم صفاً . فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان ، وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصف الناس بعضهم لبعض ، وركب رسول الله ﷺ بغلة له شهباء فاستقبل الصفوف ، فأمرهم وحضهم على القتال وبشرهم بالفتح إن صبروا ، فبينما هم كذلك حمل المشركون على المسلمين حملة رجل واحد ، فجال المسلمون جولة ، ثم ولّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس ، فقلت : مائة رجل . قالوا : ومَرَّ رجلٌ من قريش بصفوان بن أمية ، فقال : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشّرني بظهور الأعراب ! فوالله لربّ من قريش أحبُّ إليّ من ربّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك . قال موسى : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بني عبد الرحمن ، يا بني عبد الله ، يا بني عبيد الله . فقال : ظهر محمد . وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا : وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة ، فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول : « اللهم إني أنشدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » . ونادى أصحابه وذمّهم : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، الله الله ، الكثرة على نبيكم » . ويقال : حرّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج ، يا أصحاب سورة البقرة » . وأمر من أصحابه من ينادي بذلك . قالوا : وقبض قبضة من الحصباء ، فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلّها ، وقال : « شأهت الوجوه » . وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون . وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « الآن حمي الوطيس » . فهزم الله أعداءه من كلّ ناحية حصبهم منها ، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنمهم الله نساءهم وذرائعهم ، وفرّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف هو وأناس من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله رسوله ﷺ وإعزازه دينه . رواه البيهقي .

وقال ابن وهب<sup>(١)</sup> : أخبرني يونس ، عن الزُّهري ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجُدامي ، فلمّا التقى الناس ولّى المسلمون

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٣٧ / ٥ ) .

مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس : وأنا آخذُ بلجامها أكفُّها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذُ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أي عباس ، نادِ اصحاب السَّمرَةِ » . قال : فوالله لكأنما عطفَتْهم حين سمعوا صوتي عطْفَةُ البقرة على أولادها ، فقالوا : يا لبيكاه ، يا لبيكاه . قال : فاقْتتلوا هم والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار . ثم قُصِرَت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاوِل عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمي الوطيس » . ثم أخذ صَلَّى الله عليه وسلَّم حصياتٍ فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا وربَّ محمدٍ » . قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى - ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته ، فما زلت أرى حدَّهم قليلاً ، وأمرهم مدبراً .

ورواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهبٍ به نحوه . ورواه أيضاً ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ نحوه .

وروى مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث عكرمة بن عمارٍ ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حيناً ، فلما واجهنا العدوَّ تقدَّمت فأعلو ثِيَّةً فاستقبلني رجلٌ من المشركين فأرميه بسهمٍ ، وتوارى عني ، فما دريت ما صنع ، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلَّعوا من ثِيَّةٍ أخرى ، فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ ، فوَلَّى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً ، وعليَّ بردتان متزَّراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى ، قال : فاستطلق إزارِي فجمعتها جمعاً ومرت على النبي ﷺ وأنا منهزمٌ ، وهو على بغلته الشَّهباء ، فقال ﷺ : « لقد رأى ابن الأكوع فزعاً » . فلما غَشُوا رسولَ الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قُبْضةً من ترابٍ من الأرض واستقبل به وجوههم ، وقال : « شأهت الوجوه » . فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القُبْضة ، فولَّو مدبرين ، فهزمهم الله ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين .

وقال أبو داود الطيالسيُّ في « مسنده »<sup>(٣)</sup> : ثنا حمَّاد بن سَلَمَة ، عن يعلى بن عطاء ، عن عبد الله بن يسارٍ ، عن أبي عبد الرحمن الفهري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في حنينٍ ، فسرنا في يومٍ قَائِظٍ شديد الحرِّ ، فنزلنا تحت ظلال السَّمرِ ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي ، وركبت فرسي ، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فُسْطاطه ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرِّواح يا رسول الله ؟

(١) في « صحيحه » رقم ( ١٧٧٥ ) ( ٧٦ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ١٧٧٧ ) .

(٣) رقم ( ١٤٦٨ ) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ( ٢٨٦ / ٥ ) وهو حديث حسن ، يشهد له معنى حديث سلمة بن الأكوع الذي قبله وحديث العباس عند أحمد ( ٢٠٧ / ١ ) .

قال : « أجل » . ثم قال رسول الله ﷺ : « قم يا بلال » . فثار من تحت سُمْرَةٍ كأن ظِلَّهُ ظلُّ طائرٍ فقال : لبيك وسعديك ، وأنا فداؤك . فقال : « أسرج لي فرسي » . فأتاه بدَفَتَيْنِ من ليفٍ ليس فيهما أشرٌ ولا بطرٌ . قال : فركب فرسه فسرنا يومنا ، فلحقنا العدو ، وتشامت الخيلان ، فقاتلناهم فولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه ، وحدثني من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنةً من التراب ، فحشى بها وجوه العدو وقال : « شأهت الوجوه » . قال يعلى بن عطاء : فحدثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء ، كمرِّ الحديد على الطَّستِ الجديد ، فهزمهم الله عزو وجل .

ورواه أبو داود السَّجِسْتَانِيُّ في « سننه »<sup>(١)</sup> عن موسى بن إسماعيل ، عن حمَّاد بن سَلَمَةَ به نحوه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا عَقَّان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا الحارث بن حصيرة ، ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولَّى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قَدَمًا ، ولم نولِّهم الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة . قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قُدُمًا ، فحادث به بغلته ، فمال عن السَّرج ، فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني كفًّا من تراب » . فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » . فهتفت بهم ، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشُّهب ، وولَّى المشركون أدبارهم . تفرَّد به أحمد .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القَنْطَرِيُّ ، ثنا أبو قلابة ، ثنا أبو عاصم ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطَّائِفِيُّ ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاري ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر . قال : وأخذ رسول الله ﷺ كفًّا من حصي ، فرمى بها وجوهنا فانهزمنا .

ورواه البخاريُّ في « تاريخه »<sup>(٤)</sup> ولم ينسب عِيَاضًا .

وقال مسدَّد : ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا عوف ، ثنا عبد الرحمن مولى أمِّ بُرْثُن ، عمن شهد حُنيئاً

(١) رقم ( ٥٢٣٣ ) ، وهو حديث حسن ، كما في حديث أحمد الذي قبله .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٥٣ / ١ ) ، وفي إسناده ضعف .

(٣) في « دلائل النبوة » ( ١٤٢ / ٥ ) .

(٤) انظر « التاريخ الكبير » ( ١٩ / ٧ ) .

كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ والمسلمون ، لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيفونا بين يدي رسول الله ﷺ ، حتى إذا غشيناه ، فإذا بيننا وبينه رجالٌ حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه ، فارجعوا . فهزمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقي<sup>(١)</sup> .

وقال يعقوب بن سفيان<sup>(٢)</sup> : ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدثني محمد ابن عبد الله الشُّعَيْثِيُّ ، عن الحارث بن بدل النَّصْرِيِّ ، عن رجلٍ من قومه شهد ذلك يوم حنين ، وعمر بن سفيان الثَّقَفِيُّ قال : انهزم المسلمون يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباسٌ وأبو سفيان بن الحارث . قال : فقبض رسول الله ﷺ قبضةً من الحصباء ، فرمى بها في وجوههم . قال : فانهزمنا فما خيل إلينا إلا أن كل حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطلبنا . قال الثَّقَفِيُّ : فأعجزتُ على فرسي حتى دخلت الطائف . وروى يونس بن بُكير في « مغازيه »<sup>(٣)</sup> عن يوسف بن صُهَيْب عن عبد الله<sup>(٤)</sup> أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حنين إلا رجلٌ واحدٌ اسمه زيدٌ .

وروى البيهقي<sup>(٥)</sup> من طريق الكُدَيْمِيِّ ، ثنا موسى بن مسعود ، ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السُّوَّائِيِّ أنه قال : عند انكشافه انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار ، وأخذ رسول الله ﷺ قبضةً من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجوه » . فما أحدٌ يلقي أخاه إلا وهو يشكو قذئ في عينيه .

ثم روى<sup>(٦)</sup> من طريقين ، عن أبي حذيفة ، ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفي ، حدثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامر السُّوَّائِيِّ - وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد - قال : فنحن نسأله عن الرُّعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال : فكان يأخذ لنا بحصاة فيرمي بها في الطَّسْتِ فيطُرُّ . قال : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقي<sup>(٧)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس ، عن محمد بن بكير الحضرمي ، ثنا أيوب بن جابر ، عن صدقة بن

(١) في « دلائل النبوة » ( ١٤٣ / ٥ ) .

(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » ( ٣٢٧ / ١ ) .

(٣) وهو مرسل ، البزار في « كشف الأستار » رقم ( ١٨٢٨ ) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه موصولاً . قال البزار : لا نعلم رواه إلا بريدة ، ولا رواه عن عبد الله إلا يوسف بن صهيب ، وهو كوفي مشهور .

(٤) يعني عبد الله بن بريدة .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ١٤٣ / ٥ ) .

(٦) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٤٤ / ٥ ) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » ( ١٤٥ / ٥ ) .

سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول الله ، إني أرى خيلاً بُلُقاً . فقال : « يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافرٌ » . فضرب يده في صدري ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثالثة ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . قال : فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحدٌ من خلق الله أحبَّ إليَّ منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس ، وانهزام المسلمين ، ونداء العباس ، واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقي<sup>(١)</sup> : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله المزني ، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا هشام بن خالد ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عُرِّي ، ذكرت أبي وعمي ، وقتل عليٍّ وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري من رسول الله ﷺ . قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً ، عليه درعٌ بيضاء كأنها فضةٌ ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمُّه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابنُ عمِّه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أساوره سورةً بالسيف إذ رفع شواطئ من نار بيني وبينه ، كأنه برقٌ ، فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقري ، فالتفت رسول الله ﷺ وقال : « يا شيب [ يا شيب ] ادن مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان » . قال : فرفعت إليه بصري وهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري . فقال : « يا شيب ، قاتل الكُفَّار » .

وقال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري - وكان أبوه قد قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً . قال : فأدركت برسول الله ﷺ لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذاك وعلمت أنه ممنوع مني .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحدثني والذي إسحاق بن يسار ، عن حماد بن عمن ، عن جبير بن مطعم قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذ نظرتُ إلى مثل الجاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نملٌ منشورٌ قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشكُّ

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٤٥ / ٥ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٤ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٩ / ٢ ) .



أنها الملائكة . ورواه البيهقي ، عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق به . وزاد : فقال خديج بن العوجاء النصري - يعني في ذلك - : [ من الطويل ]

ولما دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ  
بمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءٍ لَوْ قَذَفُوا بِهَا  
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ  
إِذَا مَا لَقِينَا جَنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ  
رَأَيْنَا سَوَادًا مُنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْصَفَا  
شَمَارِيخَ مَنْ عَرَوْى إِذَا عَادَ صَفْصَفَا  
إِذَا مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا  
ثَمَانِينَ أَلْفًا وَاسْتَمَدُّوا بِخُنْدِفَا

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> من شعر مالك بن عوف النصري رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغى يرتجز ويقول : [ من الرجز ]

أَقْدِمُ مُحَاجٍ إِنَّهُ يَوْمٌ نُكْرُ  
إِذَا أُضِيعَ الصَّفُّ يَوْمًا وَالذُّبُرُ  
كَتَائِبٌ يَكُلُّ فِيهِنَّ الْبَصَرُ  
حِينَ يُذَمُّ الْمُسْتَكِينُ الْمُنْجِحُ  
لَهَا مِنَ الْجَوَفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِرُ  
وَتَغْلِبُ الْعَامِلُ فِيهَا مُنْكَسِرُ  
قَدْ نَفَذَ الضَّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرُ  
أَنْتِي فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرُ  
مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيُكْرُ  
ثُمَّ احْزَأَلْتُ زَمْرٌ بَعْدَ زَمْرُ  
قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرُ  
وَأَطْعَنُ النَّجْلَاءَ تَغْوِي وَتَهَرُ  
تَفْهَقُ تَارَاتٍ وَحِينَئِذٍ تَفْجِرُ  
يَا زَيْنُ يَا بَنَ هَمَّهُمْ أَيْنَ تَفِرُ  
قَدْ عَلِمَ الْبَيْضُ الطَّوِيلَاتُ الْخُمْرُ  
إِذْ تَخْرُجُ الْحَاضِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتْرِ

وذكر البيهقي<sup>(٢)</sup> من طريق يونس بن بكير ، عن أبي إسحاق أنه أنشد من شعر مالك أيضاً حين ولى أصحابه منهزمين ، وذلك قوله بعدما أسلم ، وقيل : هي لغيره : [ من البسيط ]

اذْكُرْ مَسِيرَهُمْ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ  
وَمَالِكُ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدُ  
حَتَّى لَقُوا النَّاسَ حِينَ الْبَاسِ يَقْدُمُهُمْ  
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَدًا  
حَتَّى تَنْزَلَ جَبْرِيلُ بِنَصْرِهِمْ  
مَنَا وَلَوْ غَيْرُ جَبْرِيلٍ يُقَاتِلُنَا  
وَقَدْ وَفَى عَمْرُ الْفَارُوقُ إِذْ هَزَمُوا  
وَمَالِكُ فَوْقَهُ الرِّايَاتُ تَخْتَفِقُ  
يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ  
عَلَيْهِمُ الْبَيْضُ وَالْأَبْدَانُ وَالْدَّرَقُ  
حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْغَسَقُ  
فَالْقَوْمُ مِنْهَزَمٌ مَنَا وَمُعْتَلِقُ  
لَمَنْعَتْنَا إِذَا أَسْيَافُنَا الْغُلُقُ  
بَطْعَنَةً بَلَّ مِنْهَا سَرْجَهُ الْعَلَقُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٧/٢ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ١٤٧/٥ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما هزم الله المشركين ، وأمكن الله ورسوله ﷺ منهم ، قالت امرأة من المسلمين : [ من الرجز ]

قد غلبت خيل الله خيل اللَّاتِ      واللهُ أَحَقُّ بِالثَّباتِ

قال ابن هشام : وقد أنشدني بعض أهل الرواية للشعر : [ من الرجز ]

غَلَبَتْ خَيْلَ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ      وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّباتِ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما انهزمت هوازن استحرَّ القتل من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، وكانت مع ذي الخمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال : « أبعد الله ، فإنه كان يبغي قريشاً » .

وذكر ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> ، عن يعقوب بن عتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلامٌ له نصرانيٌّ ، فجاء رجلٌ من الأنصار ليسلِّبه ، فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب ، يعلم الله أن ثقيفاً غُرِّل . قال المغيرة بن شعبة الثقفي : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل كذلك ، فذاك أبي وأمي ، إنما هو غلامٌ لنا نصرانيٌّ . ثم جعلتُ أكشف له القتلى فأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمِّه وقومُه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين ؛ رجلٌ من بني غيرة يقال له : وهبٌ . ورجلٌ من بني كُبة يقال له : الجلاح . فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : « قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيذة » . يعني الحارث بن أويس .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فقال العباس بن مِرْدَاسٍ<sup>(٦)</sup> يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه وذا الخمار وحبسه نفسه وقومه للموت : [ من الوافر ]

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ غَيْلانَ عَنِّي      وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٩ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٤٩ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٠ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٠ / ٢ ) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٠ / ٢ ) .

(٦) الأبيات في « ديوانه » ص ( ٦٨-٧١ ) .

وعروة إنما أهدى جواباً  
 بأنَّ محمداً عبداً رسولاً  
 وجدناه نبياً مثل موسى  
 وبئس الأمر أمر بني قسي  
 أضاعوا أمرهم ولكل قوم  
 فجئنا أسد غابات إليهم  
 نؤم الجمع جمع بني قسي  
 وأقسم لو هم مكثوا لسرنا  
 فكننا أسد لية ثم حتى  
 ويوم كان قبل لدى حنين  
 من الأيام لم تسمع كيوم  
 قتلنا في الغبار بني حطيظ  
 ولم يك ذو الخمار رئيس قوم  
 أقام بهم على سنن المنايا  
 فأفلت من نجا منهم جريضاً  
 ولا يغني الأمور أخو التواني  
 أحانهم وحنان وملكوه  
 بنو عوف تميح بهم جيداً  
 فلولاً قارب وبنو أبيه  
 ولكن الرئاسة عموها  
 أطاعوا قارباً ولهم جدود  
 فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا  
 فإن لم يسلموا فهم أذان  
 كما حكت بنو سعد وحرب  
 كأن بني معاوية بن بكر  
 فقلنا أسلموا إنا أخوكم  
 كأن القوم إذ جاؤوا إلينا

وقولاً غير قولكما يسير  
 لرب لا يضل ولا يجور  
 فكل فتى يخايره مخير  
 بوج إذ تقسمت الأمور  
 أمير والدوائر قد تدور  
 جنود الله ضاحية تسير  
 على حنق نكاد له نطير  
 إليهم بالجنود ولم يغوروا  
 أبخناها وأسلمت الثصور  
 فأقلع والدماء به تمور  
 ولم يسمع به قوم ذكور  
 على راياتها والخيل زور  
 لهم عقل يعاقب أو نكير  
 وقد بانت لمبصرها الأمور  
 وقتل منهم بشر كثير  
 ولا الغلق الضريرة الحصور  
 أمورهم وأفلت الضفور  
 أهين لها الفصافص والشعير  
 تقسمت المزارع والقصور  
 على يمين أشار به المشير  
 وأحلام إلى عز نصير  
 أنوف الناس ما سمر السмир  
 بحرب الله ليس لهم نصير  
 برهط بني غزية عنقفير  
 إلى الإسلام ضائنة تخور  
 وقد برأت من الإحن الصدور  
 من البغضاء بعد السلم عور

## فصل

ولما انهزمت هوازن وقف ملكهم مالك بن عوف النَّصْرِيُّ على ثِيَّةٍ مع طائفةٍ من أصحابه ، فقال :  
قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أخراكم .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فبلغني أن خيلاً طلعت ، ومالك وأصحابه على الثَّيَّةِ ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بواڈهم . فقال : هؤلاء بنو سُليم ، ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضي رماحهم أغفلاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى أصل الثَّيَّةِ سلكوا طريق بني سُليم ، ثم طلع فارسٌ ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل الباد ، واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسه بملاءة حمراء . قال : هذا الزبير بن العوام ، وأقسم باللات ليخالطنكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّيَّةِ أبصر القوم فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

\*\*\*

## فصل

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم ، فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجِعْرانة فتحبس هناك .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمرو الغِفاري .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وحَدَّثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مرَّ يومئذٍ بامرأةٍ قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون عليها ، فقال لبعض أصحابه : « أدرك خالدًا فقل له : إن رسول الله ﷺ ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأةً أو عسيفاً » . هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٦/٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٩/٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٧/٢ ) .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو ، ثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد ، حدثني المرقع بن صفيي ، عن جدّه رباح بن ربيع أخي حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، وعلى مقدّمته خالد بن الوليد ، فمرّ رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدّمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال : « ما كانت هذه لتقاتل » . فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : لا تقتلن ذرّية ولا عسيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه<sup>(٢)</sup> من حديث المرقع بن صفيي به نحوه .

\*\*\*

### سرية أوطاس<sup>(٣)</sup>

وكان سببها أن هوازن لما انهزمت ذهبت فرقة منهم ، فيهم الرئيس مالك بن عوف النصرى ، فلعجوا إلى الطائف فتحصّنوا بها ، وسارت فرقة فعمسكروا بمكان يقال له : أوطاس . فبعث إليهم رسول الله ﷺ سرية من أصحابه ، عليهم أبو عامر الأشعري ، فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة ، فحاصر أهل الطائف كما سيأتي .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ولما انهزم المشركون يوم حنين ، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعته خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا . قال : فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان السلمي - ويعرف بابن الدغنة<sup>(٥)</sup> ، وهي أمّه - دريد بن الصّمّة ، فأخذ بخطام جملة وهو يظنّ أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا دريد بن الصّمّة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي . ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلّحتك أمك ، خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ، فإني كذلك كنت

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٨٨ / ٣ ) ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٢٦٦٩ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٨٦٢٥ ) و ( ٨٦٢٦ ) وابن ماجه رقم ( ٢٨٤٢ ) ، وهو حديث حسن .

(٣) أوطاس : وإد في ديار هوازن . انظر « مراصد الاطلاع » ( ١٣٢ / ١ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٣ / ٢ ) .

(٥) ويقال : بفتح الدال ، وكسر الغين وتخفيف النون .

أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصَّمّة ، فربّ - والله - يوم منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة قال : لما ضربته فوق تكشّف ، فإذا عجانه وبطون فخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعة إلى أمّه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عمرة بنت دريد أباه ، فمن ذلك قولها : [ من البسيط ]

قالوا قتلنا دُرَيْداً قلتُ قد صدّقوا      فظللّ دمعِي على السَّرْبِالِ منحدرٌ<sup>(١)</sup>  
لولا الذي قهر الأقوام كلّهم      رأيتُ سُليماً وكعبٌ كيف تأتَمُرُ  
إذا لصّبَحَهم غِباً وظاهرةً      حيث استقرّت نواهم جَحْفَلٌ ذِفِرُ

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجّه قبل أوطاس أبا عامر الأشعريّ ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمى أبو عامر فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعريّ وهو ابن عمّه فقاتلهم ، ففتح الله عليه ، وهزمهم الله ، عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الأشعريّ بسهم ، فأصاب ركبته فقتله ، وقال : [ من الرجز ]

إن تسألوا عني فإني سلمة      ابنُ سَمَادِيرَ لمن توسّمة  
أضربُ بالسيفِ رؤوسَ المُسلمة

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه ، أن أبا عامر الأشعريّ لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ، ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامر ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد عليّ . فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ، فأسلم بعد ، فحسن إسلامه ، فكان النبي ﷺ إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامر » . قال : ورمى أبا عامر أخوان ؛ العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولّى الناس أبا موسى ، فحمل عليهما فقتلتهما ، فقال رجل من بني جشم يرثيهما : [ من المتقارب ]

وإن الرّزِيّة قتل العلاء      وأوفى جميعاً ولم يُسندا  
هما القاتلان أبا عامر      وقد كان ذا هبة أربدا

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « ينحدر » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٤ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٧ / ٢ ) .

هما تركاه لدى معركٍ كأنَّ على عطفه مُجَسِّدا  
فلم يرَ في الناس مثليهما أقلَّ عِثَاراً وأرمى يدا

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنينٍ بعث أبا عامرٍ على جيشٍ إلى أوطاسٍ ، فلقي دُرَيْدُ بن الصَّمَّةَ ، فقتل دُرَيْدٌ وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامرٍ ، فرمي أبو عامرٍ في ركبته ، رماه جُشَمِيُّ بسهمٍ فأثبته في ركبته . قال : فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمَّ ، من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رمانِي . فقصدت له فلحقته ، فلما رأيته ولَّى ، فاتَّبَعْتُهُ وجعلت أقول له : ألا تستحي ؟ ألا تثبت ؟ فكفَّ ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ، ثم قلت لأبي عامرٍ : قتل الله صاحبك . قال : فانزع هذا السهم . فنزعته فنزاه منه الماء . قال : يا بن أخي أقرئ رسول الله ﷺ السلام ، وقل له : استغفر لي . واستخلفني أبو عامرٍ على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات ، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سريرٍ مُرْمَلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثرَ رمال السَّرِيرِ بظهره وجنبه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامرٍ وقوله : قل له : استغفر لي . قال : فدعا بماء فتوضأ ، ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعبيد أبي عامرٍ » . ورأيت بياض إبطيه ، ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك » . أو « من الناس » . فقلت : ولي فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيسٍ ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » . قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى ، رضي الله عنهما .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> ، عن أبي كريـبٍ محمد بن العلاء وعبد الله بن بَرَّادٍ ، عن أبي أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان - هو الثوري - عن عثمان البتي ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيدٍ الخدري قال : أصبنا نساءً من سبي أوطاسٍ ولهن أزواجٌ ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواجٌ ، فسألنا النبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . قال : فاستحللنا بها فزوجهن .

وهكذا رواه الترمذي والنسائي<sup>(٤)</sup> من حديث عثمان البتي به .

وأخرجه مسلمٌ في « صحيحه »<sup>(٥)</sup> من حديث شعبة ، عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيدٍ الخدري .

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٣٢٣ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٢٤٩٨ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٧٢ / ٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه الترمذي رقم ( ١١٣٢ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١١٠٩٧ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رقم ( ١٤٥٦ ) ( ٣٥ ) .

وقد رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي<sup>(١)</sup> من حديث سعيد بن أبي عروبة - زاد مسلم - وشعبة - والترمذي<sup>(٢)</sup> من حديث همام بن يحيى ، ثلاثهم عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشمي ، عن أبي سعيد أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس لهن أزواج من أهل الشرك ، فكان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ﴾ .

وهذا لفظ أحمد بن حنبل ، فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشمي ، وهو ثقة ، وكأن هذا هو المحفوظ . والله أعلم .

وقد استدل جماعة من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها . روي ذلك عن ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصري ، وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بريرة ، حيث بيعت ثم خيرت في فسخ نكاحها أو بقاءه ، فلو كان بيعها طلاقاً لها لما خيرت ، وقد تقصينا الكلام على ذلك في « التفسير » بما فيه كفاية ، وسنذكره إن شاء الله في « الأحكام الكبير » . وقد استدل جماعة من السلف على إباحة الأمة المشتركة بهذا الحديث في سبايا أوطاس ، وخالفهم الجمهور ، وقالوا : هذه قضية عين ، فلعلهن أسلمن أو كنّ كتابيات ، وموضع تقرير ذلك في « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى .

\*\*\*

## فصل

### فيمن استشهد يوم حنين وسرية أوطاس

أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ ، وهو أيمن بن عبيد<sup>(٣)</sup> ، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد<sup>(٤)</sup> ؛ جمع به فرسه الذي يقال له : الجناح . فمات ، وسراقه بن مالك بن الحارث بن

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٨٤ / ٣ ) ومسلم رقم ( ١٤٥٦ ) ( ٣٣ ) و ( ٣٤ ) وأبو داود رقم ( ٢١٥٥ ) والنسائي رقم ( ٣٣٣٣ ) .

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٣٠١٦ ) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر ترجمته في « الإصابة » ( ٩٢ / ١ ) .

(٤) انظر ترجمته في « الإصابة » ( ٦٥٥ / ٣ ) .



عديّ الأنصاري<sup>(١)</sup> ، من بني العجلان ، وأبو عامر الأشعري<sup>(٢)</sup> ، أمير سرية أوطاس ، فهؤلاء أربعة ، رضي الله عنهم .

\*\*\*

## فصل

### فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُجَيْر بن زُهَيْر بن أَبِي سُلَمَى<sup>(٣)</sup> : [ من الكامل ]

لولا الإله وعبدُه وليتُم      حين استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جَبَانٍ  
بالجِرْع يومَ حَبَا لَنَا أَقْرَانَا      وسوابِخُ يكبُون للأَذْقَانِ  
من بين سَاعِ ثوبُه في كَفُه      ومقطَّـرٍ بسنابِكٍ ولَبَانِ  
واللهُ أَكْرَمْنَا وأظهرَ دِينَنَا      وأعزَّنَا بعبَادَةِ الرَّحْمَنِ  
واللهُ أَهْلَكَهُمْ وفرَّقَ جَمْعَهُمْ      وأذلَّهُمْ بِعبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشام : ويروي فيها بعض الرواة :

إِذ قَامَ عَمُّ نَبِيَّكُمْ وَوَلِيُّهُ      يَدْعُونَ يَا لَكْتِيَّةِ الْإِيمَانِ  
أَيُّنَ الَّذِينَ هُمْ أَجَابُوا رَبَّهُمْ      يومَ العُرَيْضِ وَيَتَعَةِ الرِّضْوَانِ

وقال عباس بن مرداس السُّلَمِيُّ<sup>(٤)</sup> : [ من الوافر ]

فإني والسَّوابِخُ يومَ جمعٍ      وما يَتْلُو الرُّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ  
لقد أَحْبَبْتُ مَا لَقِيتُ ثَقِيفُ      بَجْنِبِ الشَّعْبِ أَمْسٍ مِنَ الْعَذَابِ  
هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ      فقتلُهُمُ أَلَدٌ مِنَ الشَّرَابِ  
هزَمْنَا الْجَمْعَ جَمَعَ بَنِي قَسِيٍّ      وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بَيْنِي رِئَابِ

(١) انظر ترجمته في « الإصابة » ( ١٨/٢ ) وقيل في اسمه ( سُرَاقَة بن الحارث بن عدي ) كما في « تجريد أسماء الصحابة » ( ٢٠٩/١ ) و « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص ( ٢٠٧ ) و ( سُرَاقَة بن الحباب بن عدي ) كما في « الإصابة » لابن حجر ، وأما لفظ ( ابن مالك ) الذي ورد في الكتاب عندنا فيبدو أنه سبق قلم من المؤلف رحمه الله ، أو أنه مقحم في نسخ الكتاب من النسخ .

(٢) انظر ترجمته في « الإصابة » ( ١٢٣/٤ ) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٩/٢ ) و « الروض الأنف » ( ١٤٨/٧ ) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص ( ٤٧ - ٤٨ ) جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري .

وَصِرْماً مِنْ هَلَالٍ غَادَرْتَهُمْ  
 وَلَوْ لَا قَيْنَ جَمَعَ بَنِي كِلَابٍ  
 رَكْضَنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ  
 بِذِي لَجَبٍ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ  
 وقال عباس بن مرداس<sup>(١)</sup> أيضاً : [ من الكامل ]

يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ  
 إِنْ إِلَهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً  
 ثُمَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ  
 رَجُلًا بِهِ ذَرْبُ السَّلَاحِ كَأَنَّهُ  
 يَغْشَى ذَوِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا  
 أَنْبِيكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَكْرَهُ  
 طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً  
 يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكُفَاةِ وَلَوْ تَرَى  
 وَبَنُو سُلَيْمٍ مُعْنِقُونَ أَمَامَهُ  
 يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ  
 مَا يَزْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً  
 هَذَا مُشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا

وقال عباس بن مرداس<sup>(٢)</sup> أيضاً : [ من الطويل ]

عَفَا مَجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِعُ  
 دِيَارٍ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا  
 حُبِّيَّةُ الْوَتِّ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى  
 فَإِنْ تَبْتَغِي الْكُفَارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ  
 دَعَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ وَفَدٍ عَلِمْتُمْ  
 فَجِئْنَا بِالْفِ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ  
 نُبَايَعُهُ بِالْأَخْشَيْنِ وَإِنَّمَا

فَمِطْلَى أَرِيكِ قَدْ خَلَا فَالْمَصَانِعُ  
 رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّهْرِ لِلْحَيِّ جَامِعُ  
 لَبَيْنٌ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ  
 فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ  
 حُزَيْمَةُ وَالْمَرَارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ  
 لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ رَائِعُ  
 يَدَ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَيْنِ نُبَايَعُ

(١) الأبيات في « ديوانه » ص (١٢٢ - ١٢٣) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ص (١٠٧ - ١٠٩) .

فَجُسْنَا مع المَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنُوةً  
عَلَانِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا  
وَيَوْمَ حَنِينٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنُ  
صَبَرْنَا مع الضَّحَّاكِ لَا يَسْتَفْزِنَا  
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا  
عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سَفِيَانَ مُغْتَصِرٍ  
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى  
وَلَكِنْ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ  
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ أَمْرَنَا

وقال عباس<sup>(١)</sup> أيضاً : [ من الطويل ]

تَقَطَّعَ باقِي وَضَلَّ أُمَّ مُؤَمِّلٍ  
وَقَدْ حَلَفْتَ بِاللَّهِ لَا تَقْطَعُ الْقَوَى  
خُفَافَةً بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا  
فَإِنْ تَبَعَ الْكَفَارَ أُمَّ مُؤَمِّلٍ  
وَسَوْفَ يُبَيِّنُهَا الْخَيْرُ بَأَنَّنَا  
وَأَنَا مع الهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
بِفَتْيَانٍ صَدَقَ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةُ  
خُفَافٌ وَذُكْوَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالَهُمْ  
كَأَنَّ النِّسِيجَ الشُّهْبَ وَالْبَيْضَ مُلْبَسُ  
بَنَا عَزَّ دِينَ اللَّهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ  
بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِهَوَاءِنَا  
عَلَى شُخْصِ الْأَبْصَارِ تَحْسَبُ بَيْنَهَا  
غَدَاةً وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ  
بِمُعْتَرِكٍ لَا يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ  
بِيضٍ تُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا  
فَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلْحَبٍ

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَدَلَتْ يَتَّةً خُلْفَا  
فَمَا صَدَقْتَ فِيهِ وَلَا بَرَّتِ الْحُلْفَا  
وَتَخْتَلُّ فِي الْبَادِيْنَ وَجَرَةً فَالْعُرْفَا  
فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَائِبِهَا شُغْفَا  
أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبَّنَا حِلْفَا  
وَفِينَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرُ أَلْفَا  
أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا  
مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طَرَوْقِهَا كُلْفَا  
أَسْوَدًا تَلَاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا  
وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفَا  
عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَخْلِيْقِهَا خَطْفَا  
إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا  
لَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلًا وَلَا صَرْفَا  
لَنَا رَجْمَةٌ إِلَّا التَّذَامُرَ وَالنَّقْفَا  
وَنَقْطِفُ أَعْنَاقَ الْكُفَاةِ بِهَا قَطْفَا  
وَأَرْمِلُهُ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا لَهْفَا

(١) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص ( ١١٤ ) .

رضا الله ننوي لا رضا الناس نبتغي      والله ما يبدو جميعاً وما يخفى

قال عباس بن مرداس<sup>(١)</sup> أيضاً : [ من البسيط ]

ما بال عينك فيها عائر سهر  
عين تأوبها من شجوها أرق  
كأنه نظم دُر عند ناظمه  
يا بُعد منزل من تزجو مودته  
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد  
واذكر بلاء سليم في مواطنها  
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا  
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم  
إلا سوابح كالعقبان مقربة  
تدعى خفاف وعوف في جوانبها  
الضاربون جنود الشرك ضاحية  
حتى دفعنا وقتلاهم كأنهم  
ونحن يوم حنين كان مشهدنا  
إذ نركب الموت مخضراً بطائنه  
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا  
في مأزق من مجر الحرب كلكلها  
وقد صبرنا بأوطاس استتنا  
حتى تأوب أقوام منازلهم  
فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا

وقال عباس<sup>(٢)</sup> أيضاً : [ من الكامل ]

يا أيها الرجل الذي تهوي به  
إمّا أتيت على النبي فقل له  
وجناء مجمرة المناسم عزمس<sup>(٣)</sup>  
حقاً عليك إذا اطمأن المجلس

(١) الأبيات في « ديوانه » ص (٧٢ - ٧٤) .

(٢) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص (٨٧ - ٨٩) .

(٣) أي : شديدة .

يا خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطيَّ وَمَنْ مشى  
 إنا وفينا بالذي عاهدتنا  
 إذ سالَ مِنْ أَفْئاءِ بُهْثَةٍ كُلِّها  
 حتى صَبَحْنَا أَهْلَ مَكَّةَ فَنَلَقَا  
 مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ مِنْ سُلَيْمٍ فوقه  
 يَزُوي القناةَ إِذا تَجاسَرَ في الوَغَى  
 يَغشى الكتيبةَ مُغْلِماً وبكفه  
 وعلى حُنينٍ قد وَفَى مِنْ جَمْعِنَا  
 كانوا أُمّامَ المؤمنينَ دَرِيئَةً  
 نَمضي ويخرُسنا الإلهُ بحفظه  
 ولقد حُسِنّا بالمناقبِ مُحْسِناً  
 وغداةَ أوطاسٍ شَدَدْنَا شِدَّةً  
 تدعو هَوازِنُ بالإِخاوةِ بَيْنَنا  
 حتى تَرَكْنَا جَمْعَهُم وكأنه

وقال أيضاً<sup>(١)</sup> ، رضي الله عنه : [ من الطويل ]

فَمَنْ مُبْلَغُ الأَقْوامِ أَنْ مُحَمَّدًا  
 دعا رَبّه واستَنْصَرَ اللهَ وحده  
 سَرَيْنَا وواعَدْنَا قَدِيدًا مُحَمَّدًا  
 تَمارَوْا بنا في الفجرِ حتى تَبَيَّنوا  
 على الخيلِ مَشْدودًا عَلَيْنَا دُرُوعُنَا  
 فَإِنْ سَرَاةَ الحَيِّ إِنْ كُنْتَ سائِلًا  
 وجنْدٌ مِنَ الأنصارِ لا يَخْذُلُونَهُ  
 فَإِنْ تَكُ قد أَمَرْتَ في القومِ خالداً  
 بجُنْدٍ هداه الله أنْتَ أَمِيرُهُ

رسولَ الإلهِ راشداً حيثَ يَمَّمَا  
 فأصبحَ قد وَفَى إِلَيْهِ وَأُنْعَمَا  
 يَوْمُ بَنا أَمراً مِنَ الله مُحْكَمًا  
 مع الفجرِ فثِياناً وغاباً مُقَوِّمًا  
 ورَجُلًا كدُفَّاعِ الأَيِّ عَرْمَرَمًا  
 سُلَيْمٌ وفيهِم مِْنَهُم مَن تَسَلَّمَا  
 أطاعوا فما يَعْصُونَهُ ما تَكَلَّمَا  
 وقَدَّمَتَهُ فَإِنَّهُ قد تَقَدَّمَا  
 تُصِيبُ به في الحقِّ مَن كان أَظْلَمَا

(١) القونس : أعلى بيضة الحديد .

(٢) المدعس : الطعان .

(٣) العرنديس : الشديد .

(٤) أي : ( العباس بن مرداس ) والأبيات في « ديوانه » ص ( ١٤١ - ١٤٣ ) .

حَلَفْتُ يَمِيناً بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ      فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفاً مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمًا  
وقال نبيُّ المؤمنين تَقَدَّمُوا      وَحُبِّ إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ الْمُقَدَّمَا  
وَبُنَا بَنَهِي الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ      بِنَا الْخَوْفُ إِلَّا رَغْبَةً وَتَحَرُّمًا  
أَطْعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ      وَحَتَّى صَبَخْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلْمَلَمَا  
يَضِلُّ الْحِصَانُ الْأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسَطَهُ      وَلَا يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوِّمًا  
سَمَوْنَا لَهُمْ وَرَدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضَحَى      وَكُلُّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدْ أَحْجَمًا  
لَدُنْ غُدُوَةٍ حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً      حُنِينًا وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِعُهُ دَمًا  
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلِّ رَأْيَتٍ طِمْرَةً      وَفَارَسَهَا يَهْوِي وَرُمَحًا مُحْطَمًا  
وَقَدْ أَحْرَزْتَ مِنَّا هَوَازِنُ سَرْبَهَا      وَحُبِّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمًا

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداس السلمي ، رضي الله عنه ،  
وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً ، وقد  
حصل ما فيه كفايةً من ذلك . والله أعلم .

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة الطائف

قال عُرْوَةُ ، وموسى بن عُقْبَةَ عن الزهري<sup>(١)</sup> : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، وَحَاصِرَ الطَّائِفِ فِي  
شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وَلَمَّا قَدِمَ فَلَّ ثَقِيفَ الطَّائِفِ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا ، وَصَنَعُوا  
الصَّنَائِعَ لِلْقِتَالِ ، وَلَمْ يَشْهَدْ حُنَيْنًا وَلَا حِصَارَ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَلَا غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ ؛ كَانَا بِجُرَشٍ  
يَتَعَلَّمَانِ صِنْعَةَ الدَّبَابَاتِ<sup>(٣)</sup> ، وَالْمَجَانِيقِ وَالضُّبُورِ<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٦٥ / ٥ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٧٨ / ٢ ) .

(٣) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » ( ١٢٣ / ٣ ) بتحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة ، طبع دار البشير بعمّان :  
« الدَّبَابَاتُ : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها للأسوار لينقوبوها .

(٤) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » ( ١٢٣ / ٣ ) : « الضُّبُورُ : جلود يُغشى بها يُتقى بها في الحرب » .

قال : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين ، فقال كعب بن مالك<sup>(١)</sup> في ذلك : [من

الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ  
نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ  
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَرَوْهَا  
وَنَتَنَزِعُ الْعُرُوشَ بِيْطْنِ وَجٍّ  
وَيَأْتِيَكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْلٍ  
إِذَا نَزَلُوا بِسَاحَتِكُمْ سَمِعْتُمْ  
بَأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٍ  
كَأَمْثَالِ الْعَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا  
تَخَالُ جَدِيَّةَ الْأَبْطَالِ فِيهَا  
أَجَدَّهُمْ أَلِيسَ لَهُمْ نَصِيحُ  
يُخَبِّرُهُمْ بَأَنَا قَدْ جَمَعْنَا  
وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَخْفٍ  
رَئِيسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صُلْبًا  
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذَا حُكْمٍ وَعِلْمٍ  
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبًّا  
فَإِنْ تَلَقُّوا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلُ  
وَإِنْ تَأْبَؤْا نُجَاهَكُمْ وَنَضِيرُ  
نُجَالِدُ مَا بَقَيْنَا أَوْ تُنَبِّؤَا  
نُجَاهِدُ لَا بُدَّ لِي مَا لَقِينَا  
وَكَمْ مِنْ مَعْشَرٍ أَلْبَا عَلَيْنَا  
أَتَوْنَا لَا يَرَوْنَ لَهُمْ كِفَاءً  
بِكُلِّ مُهَنَّدٍ لَيْسَ صَقِيلٍ  
لَأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى  
وَتُنْسَى اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَوُدُّ  
فَأَمْسُوا قَدْ أَقْرُوا وَاطْمَأْنَأُوا

وخيبر ثم أجمنا الشيوخا  
قواطعهن دوساً أو ثقيفا  
بساحة داركم منا ألوفاً  
وتصبح دوزكم منكم خلوفاً  
يغادر خلفه جمعاً كثيفاً  
لها مما أناخ بها رجيفاً  
يزرن المضطلين بها الحثوفاً  
فيون الهند لم تضرب كتيفاً  
غداة الزحف جادياً مدوفاً  
من الأقوام كان بنا عريفاً  
عتاق الخيل والتجيب الطروفاً  
يحيط بسور حصنهم صفوفاً  
نقي القلب مضطرباً عروفاً  
وجلهم لم يكن نزقاً خفيفاً  
هو الرحمن كان بنا رؤوفاً  
ونجعلكم لنا عضداً وريفاً  
ولا يك أمرنا رعشاً ضعيفاً  
إلى الإسلام إذعانا مضيفاً  
أهلكننا التلاد أم الطريفاً  
صميم الجذم منهم والحليفاً  
فجدعنا المسمع والأنوفاً  
نسوقهم بها سوقاً عنيفاً  
يقوم الدين معتدلاً حنيفاً  
ونسلبها القلائد والشنوفاً  
ومن لا يمتنع يقبل خسوفاً

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عامر الثقفي - قلت<sup>(٢)</sup> : وقد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيف ، فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، وأبو عمر بن عبد البر ، وابن الأثير ، وغير واحد . وزعم المدائني أنه لم يسلم ، بل صار إلى بلاد الروم فتنصّر ومات بها - : [ من الطويل ]

فَمَنْ كَانَ يَبْغِينَا يَرِيدُ قِتَالَنَا      فَإِنَّا بَدَارِ مَعْلَمٍ لَا نَرِيْمُهَا  
وَجَدْنَا بِهَا الْآبَاءَ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى      وَكَانَتْ لَنَا أَطْوَاؤُهَا<sup>(٣)</sup> وَكُرُومُهَا  
وَقَدْ جَرَّبْنَا قَبْلُ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ      فَأَخْبَرَهَا ذُو رَأْيِهَا وَحَلِيمُهَا  
وَقَدْ عَلِمْتُ إِنْ قَالَتْ الْحَقُّ أَنَا      إِذَا مَا أَبَتْ صُعُرُ الْخُدُودِ نُقِيمُهَا  
نَقُومُهَا حَتَّى يَلِينَ شَرِيْسُهَا      وَيُعْرِفَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ ظَلُومُهَا  
عَلَيْنَا دِلَاصٌ مِنْ تُرَاثٍ مُحَرَّقٍ      كَلَوْنَ السَّمَاءِ زَيَّنَتْهَا نُجُومُهَا  
نُرفَعُهَا عَنَا بِيِضٍ صَوَارِمٍ      إِذَا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لَا نَسِيْمُهَا

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وقال شدّاد بن عارض الجُشمي في مسير رسول الله ﷺ إلى الطائف : [ من البسيط ]

لَا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنْ اللَّهُ مُهْلِكُهَا      وَكَيْفَ يُنْصَرُ مَنْ هُوَ لَيْسَ يَنْتَصِرُ  
إِنْ الَّتِي حُرِّقَتْ بِالسُّدِّ فَاشْتَعَلَتْ      وَلَمْ تُقَاتِلْ لَدَى أَحْجَارِهَا هَذَرُ  
إِنْ الرَّسُولَ مَتَى يَنْزِلُ بِلَادَكُمْ      يَظْعَنُ وَلَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا بَشَرُ

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : فسلك رسول الله ﷺ - يعني من حنين إلى الطائف - على نخلة اليمانية ، ثم على قَرْنٍ ، ثم على المُلَيْحِ ، ثم على بحرة الرُّغَاءِ من لِيَّةَ ، فابتنى بها مسجداً فصلّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عمرو بن شعيب أنه ، عليه السلام ، أقاد يومئذٍ ببخرة الرُّغَاءِ حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام ، رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلاً من هذيلٍ فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بليّة ، بحصن مالك بن عوفٍ فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريقٍ يقال لها : الضَّيِّقَةُ . فلما توجّه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها

- (١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٨١ ) .
- (٢) القائل هنا ( ابن كثير ) مؤلف الكتاب معقّباً على ابن إسحاق الذي أورد الأبيات التالية في « السيرة النبوية » ونقلها عنه المؤلف .
- (٣) الأطواء : الآبار .
- (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٨١ ) .
- (٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٤٨٢ ) .



فقال : « ما اسم هذه الطريق ؟ » ف قيل : الضِّيقَة . فقال : « بل هي اليُسرى » . ثم خرج منها على نَجَبٍ ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها : الصادرة . قريباً من مال رجلٍ من ثقيفٍ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : « إما أن تخرج إلينا وإما أن نُخرب عليك حائطك » . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه .

وقال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> ، عن إسماعيل بن أُمَيَّة ، عن بُجَيْر بن أبي بُجَيْر ، سمعت عبد الله بن عمرو ، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا قبر أبي رِغَالٍ ، وهو أبو ثقيفٍ ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدفع عنه ، فلما خرج أصابته النِّقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غُصْنٌ من ذهبٍ ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » . قال : فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن .

ورواه أبو داود<sup>(٢)</sup> ، عن يحيى بن معينٍ ، عن وهب بن جرير بن حازمٍ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث يزيد بن زُرَيْع عن روح بن القاسم ، عن إسماعيل به أمية به .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل ناسٌ من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، [ فكانت النُّبلُ تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أُصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل ]<sup>(٥)</sup> فتأخروا إلى موضع مسجده ، عليه الصلاة والسلام ، اليوم بالطائف الذي بنته ثقيفٌ بعد إسلامها ، بناه عمرو بن أمية بن وهبٍ ، وكانت فيه ساريةٌ لا تطلع عليها الشمس صبيحة كلِّ يومٍ إلا سُمع لها نقيضٌ فيما يذكرون . قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلةً .

قال ابن هشامٍ : ويقال : سبع عشرة ليلةً .

وقال عُروة ، وموسى بن عقبة عن الزهري<sup>(٦)</sup> : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السَّبي بالجِعرانة ، ومُلئت عُرُش مكة منهم ، ونزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلةً يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحدٌ منهم غير أبي بكرٍ بن مسروحٍ أخي زيادٍ لأمِّه ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وكثرت الجراح ، وقطعوا طائفةً من أعنابهم ليغيظوهم بها ، فقالت لهم ثقيف :

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٩٧/٦ ) .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٣٠٨٨ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٩٧/٦ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٢/٢ ) .

(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٢/٢ ) مصدر المؤلف .

(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٥٧/٥ ) .

لا تفسدوا الأموال ، فإنها لنا أو لكم . وقال عروة : أمر رسول الله ﷺ كل رجل من المسلمين أن يقطع خمس نخلات أو خمس حُبَلات ، وبعث منادياً ينادي : « من خرج إلينا فهو حرٌّ » . فافتحم إليه نفرٌ منهم ، فيهم أبو بكرة بن مسروح أخو زياد بن أبي سفيان لأُمّه ، فأعتقهم ودفع كل رجلٍ منهم إلى رجلٍ من المسلمين يعوله ويحمّله .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا يزيد ، ثنا حجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> أيضاً : ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ، ثنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ، فخرج إليه عبدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بكرة ، وكان رسول الله ﷺ يُعتق العبيد إذا خرجوا إليه .

وقال أحمد<sup>(٣)</sup> أيضاً : ثنا نصر بن باب ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حرٌّ » . فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ . هذا الحديث تفرد به أحمد ، ومداره على الحجاج بن أرطاة ، وهو ضعيفٌ ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كلَّ عبدٍ جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق ، حكماً شرعياً مطلقاً عاماً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ، ولو صحَّ الحديث لكان التشريع العامُّ أظهر ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل قتيلاً فَلَهُ سَلْبُهُ »<sup>(٤)</sup> .

وقد قال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> : حدَّثني عبد الله بن المكدّم الثقفي قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيقٌ من رقيقهم ؛ أبو بكرة وكان عبداً للحارث بن كلدة ، والمنبعث وكان اسمه المضطجع ، فسماه رسول الله ﷺ المنبعث ، ويَحْنَس ووردان ، في رهطٍ من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وفدُ أهل الطائف فأسلموا ، قالوا : يا رسول الله ، ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » . وردَّ على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه .

وقال البخاري<sup>(٦)</sup> : ثنا محمد بن بشار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا عثمان قال :

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٣٦ / ١ ) ، وهو حديث حسن ، يشهد له مرسل عبد الله بن المكدّم الذي بعده .

(٢) في « المسند » ( ٢٤٣ / ١ ) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدّم الذي بعده .

(٣) في « المسند » ( ٢٤٨ / ١ ) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدّم الذي بعده .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٣٢١ ) ومسلم رقم ( ١٧٥١ ) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ١٥٩ / ٥ ) .

(٦) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٢٦ ) ، ومسلم رقم ( ٦٣ ) .

سمعت سعداً - وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله - وأبا بكرة - وكان تسوّر حصن الطائف في أناسٍ ، فجاء إلى رسول الله ﷺ - قالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه ، فالجنة عليه حرام » . ورواه مسلمٌ من حديث عاصمٍ به .

قال البخاري<sup>(١)</sup> : وقال هشامٌ : أنبأنا معمرٌ ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النهدي ، قال : سمعت سعداً وأبا بكرة ، عن النبي ﷺ ، قال عاصمٌ : قلت : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما . قال : أجل ، أمّا أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأمّا الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة ، فضرب لهما قبتين ، فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : ورماهم بالمنجنيق ، فحدّثني من أثق به أن النبي ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفرأ من الصحابة دخلوا تحت دبابية ، ثم زحفوا ليخرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك الحديد مُحَمَّاةً ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فحينئذٍ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطّعون .

قال : وتقدّم أبو سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة ، فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلّماهم ، فأمنّوهما ، فدعوا نساءً من قريشٍ وبني كنانة ليخرجن إليهم - وهما يخافان عليهن السّباء إذا فتح الحصن - فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعودٍ : ألا أدلكما على خيرٍ مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعودٍ حيث قد علمتما - وكان رسول الله ﷺ نازلاً بوادي يقال له : العقيق . وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف - وليس بالطائف مالٌ أبعد رِشَاءً ولا أشدّ مؤونةً ولا أبعد عِمارةً منه ، وإن محمداً إن قطّعه لم يعمر أبداً ، فكلّماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم .

وقد روى الواقدي<sup>(٤)</sup> عن شيوخه نحو هذا ، وعنده أن سلمان الفارسيّ هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده ، وقيل : قدم به وبدبّابتين . فالله أعلم .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٢٧ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٢ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٤٨٢ / ٢ ) .

(٤) انظر « المغازي » ( ٩٢٩ / ٣ ) .

وقد أورد البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَةَ أن عيينة بن حصن استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام ، فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم ، وقال : لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار . في كلام طويل ، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ : « ما قلت لهم ؟ » قال : دعوتهم إلى الإسلام ، وأنذرتهم النار ، وذكرتهم بالجنة . فقال : « كذبت ، بل قلت لهم كذا وكذا » . فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقي<sup>(٢)</sup> عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكير ، عن هشام الدستوائي ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي نجيح السلمي ؛ وهو عمرو بن عبسة ، رضي الله عنه ، قال : حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بلغ بسهمٍ فله درجة في الجنة » . فبلغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعتُه يقول : « من رمى بسهم في سبيل الله ، فهو عدلٌ محررٌ ، ومن شاب شية في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيُّما رجلٍ أعتق رجلاً مسلماً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامه وقاءً ، كلَّ عظمٍ بعظمٍ ، وأيُّما امرأةٍ مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامها وقاءً كلَّ عظمٍ من عظامها من النار » .

ورواه أبو داود ، والترمذي وصحَّحه ، والنسائي<sup>(٣)</sup> ، من حديث قتادة به .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا الحميدي ، سمع سفيان ، ثنا هشام ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي مخنثٌ ، فسمعتُه يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرايت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخلنَّ هؤلاء عليكن » . قال ابن عيينة : وقال ابن جريج : المخنث هيت . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلمٌ من طريقٍ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه به<sup>(٥)</sup> وفي لفظٍ : وكانوا يرونه من غير أولي الإربة من الرجال . وفي لفظٍ : قال رسول الله ﷺ : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا ؟ ! لا يدخلنَّ عليكن هؤلاء » . يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخلٌ في قوله تعالى : ﴿ أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [النور : ٣١] . والمراد بالمخنث في عرف السلف الذي لا همّة له إلى النساء ، وليس المراد به الذي يؤتى ؛

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ١٦٣ / ٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ١٥٩ / ٢ ) .

(٣) رواه أبو داود رقم ( ٣٩٦٥ ) والترمذي رقم ( ١٦٣٨ ) والنسائي رقم ( ٣١٤٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٤٣٢٤ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٥٢٣٥ ) ومسلم رقم ( ٢١٨٠ ) .

إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دلَّ عليه الحديث<sup>(١)</sup> ، وكما قتله أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، ومعنى قوله : تقبل بأربع وتدبر بثمان . يعني بذلك عُكَنَ بطنها ، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ، ثم تصير كل واحدة ثنتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيف .

وهذا المخنث قد ذكر البخاري عن ابن جريج أن اسمه هيث ، وهذا هو المشهور .

لكن قال يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ مخنث يقال له : ماتع . يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ، ولا يرى أنه يفتن لشيء من أمور النساء مما يفتن إليه الرجال ، ولا يرى أن له في ذلك إرباً ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ، إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتن منكم بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان . فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفتن لهذا ؟ ! » الحديث ، ثم قال لنسائه : « لا يدخلن عليكم » . فحُجِبَ عن بيت رسول الله ﷺ .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا علي بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فثقل عليهم ، وقالوا : نذهب ولا نفتحه ؟ فقال : « اغدوا على القتال » . فغدوا ، فأصابهم جراح ، فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فأعجبهم ، فضحك النبي ﷺ . وقال سفيان مرة : فتبسّم .

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث سفيان بن عيينة به ، وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب<sup>(٥)</sup> .

واختلف في نسخ البخاري ؛ ففي نسخة كذلك ، وفي نسخة : عن عبد الله بن عمرو بن العاص . والله أعلم .

وقال الواقدي<sup>(٦)</sup> : حدّثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة ليلة من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدثلي فقال : « يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ؟ » . قال : يا رسول الله ، ثعلب في جحر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرّك .

(١) وهو قوله ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أحمد في « المسند » ( ٣٠٠ / ١ ) وأبو داود رقم ( ٤٤٦٢ ) والترمذي رقم ( ١٤٥٦ ) وابن ماجه ( ٢٥٦١ ) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ١٦٠ / ٥ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٢٥ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٧٧٨ ) .

(٥) لكن قال النووي في « شرح مسلم » : هكذا هو في نسخ « صحيح مسلم » : عن عبد الله بن عمرو ، بفتح العين وهو ابن عمرو بن العاص . وصوّبه الدارقطني من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(٦) انظر « المغازي » ( ٩٣٦ / ٣ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً : « يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قبةً مملوءةً زبدًا ، فنقرها ديكٌ ، ففراق ما فيها » . فقال أبو بكر ، رضي الله عنه : ما أظنُّ أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » . قال : ثم إن خويلة بنت حكيم السُّلمية ، وهي امرأة عثمان بن مظعونٍ قالت : يا رسول الله ، أعطني - إن فتح الله عليك الطائف - حليَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حليَّ الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيفٍ ، فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها : « وإن كان لم يؤذن في ثقيفٍ يا خويلة ؟ » . فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حديثٌ حدَّثتنيهِ خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : « قد قلته » . قال : أو ما أذن فيهم ؟ قال : « لا » . قال : أفلا أوذُن بالرحيل ؟ قال : « بلى » . فأذُن عمر بالرحيل ، فلما استقلَّ الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الحيَّ مقيمٌ . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مَجْدَةٌ كراماً . فقال له رجلٌ من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمدٌ الطائف ، فأصيب من ثقيفٍ جاريةً أطوها ، لعلها تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفاً مناكير<sup>(٢)</sup> .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود<sup>(٣)</sup> ، عن غزوة قصة خويلة بنت حكيم ، وقول رسول الله ﷺ ما قال ، وتأذين عمر بالرحيل ، قال : وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرحوا ظهرهم ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدهم واكفنا مؤنتهم » .

وروى الترمذي<sup>(٤)</sup> من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قالوا : يا رسول الله ، أحرقتنا نبال ثقيفٍ ، فادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفاً » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ<sup>(٥)</sup> .

وروى يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ وعبد الله بن المكدم ، عن أدركوأ من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلةً أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ،

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٤ / ٢ ) .

(٢) جمع منكر ، وهو الداهي الفطن .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٦٨ / ٥ ) .

(٤) رواه الترمذي رقم ( ٣٩٤٢ ) .

(٥) وفيه عننة أبي الزبير « فهو ضعيف » . لكن رواه أحمد في مسنده ( ٣٤٣ / ٣ ) من طريق عبد الرحمن بن سابط وأبي الزبير عن جابر مقتصرأ على قوله « اللهم اهد ثقيفاً ، وإسناده قوي ، فيتقوى به » .

(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٦٩ / ٥ ) .

ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة ، فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا . وسيأتي ذلك مفصلاً في رمضان من سنة تسع إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق<sup>(١)</sup>

فمن قريش ؛ سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعُزْفُطَة بن جنّاب ، حليفُ لبني أمية من الأسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكر الصديق ، رمي بسهم فتوفي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، من رمية رُمِيَهَا يومئذ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليفُ لبني عديّ ، والسائب بن الحارث بن قيس بن عديّ السهمي ، وأخوه عبد الله ، وجُليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليث .

ومن الأنصار ثم من الخزرج ؛ ثابت بن الجذع السلمي ، والحارث بن سهل بن أبي صغصعة المازني ، والمنذر بن عبد الله ، من بني ساعدة ، ومن الأوس ، رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذ اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بُجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حُنيئاً والطائف<sup>(٣)</sup> : [ من الكامل ]

كانت عُلالة يومَ بطنِ حُنيّ	وغداة أوطاسِ ويومَ الأبرقِ
جمعت بإغواءِ هوازِنُ جمعها	فتبدّوا كالطائرِ المتمزّقِ
لم يمنّوا منا مقاماً واحداً	إلا جدارهم وبطنَ الخندقِ
ولقد تعرّضنا لكيما يخرجوا	فاستخصنوا منا ببابٍ مغلّقِ
ترتدّ حسرانا إلى رجراجةٍ	شهباء تلمّع بالمنايا فيلقِ
ملمومة خضراء لو قذفوا بها	حِصناً لظلّ كأنه لم يُخلّقِ
مشي الضراء على الهراسِ كأننا	قدّر تفرّق في القيادِ وتلقّي
في كلّ سابعة إذا ما استحصّنت	كالنهي هبت ريحه المتفرّقِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٦ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٧ / ٢ ) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٧٩ / ٢ ) .

## جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نِعالَنَا مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ وَآلِ مُحَرِّقٍ

وقال أبو داود<sup>(١)</sup> : ثنا عمر بن الخطاب أبو حفص ، ثنا الفريابي ، ثنا أبان - قال عمر : هو ابن عبد الله بن أبي حازم - ، ثنا عثمان بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن جدّه صخر - هو ابن الغيلة الأحمسي - أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً ، فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيلٍ يُمدُّ النبي ﷺ ، فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمة لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وكتب إليه صخر : أما بعد ، فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله ، وأنا مقبلٌ بهم ، وهم في خيلٍ ، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعةً ، فدعا لأحمس عشر دعواتٍ : « اللهم بارك لأحمس في خيلها ورجالها » . وأتاه القوم ، فتكلم المغيرة بن شعبة فقال : يا رسول الله ، إن صخرأ أخذ عمّتي ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون . فدعاه فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دمائهم وأموالهم ، فادفع إلى المغيرة عمّته » . فدفعها إليه ، وسأل رسول الله ﷺ ماءً لبني سليم ، قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله ، أنزلنيه أنا وقومي . قال : « نعم » . فأنزله ، وأسلم - يعني السلميين - فأتوا صخرأ فسألوه أن يدفع إليهم الماء ، فأبى ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أسلمنا وأتينا صخرأ ليدفع إلينا ماءنا ، فأبى علينا . فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودمائهم ، فادفع إليهم ماءهم » . قال : نعم يا نبي الله . فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيّر عند ذلك حمرةً ؛ حياءً من أخذه الجارية وأخذه الماء . تفرد به أبو داود ، وفي إسناده اختلافٌ .

قلت : وكانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يؤخّر الفتح عامئذٍ ؛ لئلا يستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدّم أنه ﷺ لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى ، وإلى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربّه عز وجل ، وذلك بعد موت عمّه أبي طالب ، فردّوا عليه قوله وكذبوه ، فرجع مهموماً ، فلم يستفّق إلا عند قرن الثعالب ، فإذا هو بغمامة ، وإذا فيها جبريل ، فناده ملك الجبال فقال : يا محمد ، إن ربك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قول قومك لك ، وما ردّوا عليك ، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال رسول الله ﷺ : « بل أستأني بهم ؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبدّه وحده لا يشرك به شيئاً »<sup>(٢)</sup> . فناسب قوله : « بل أستأني بهم » ؛ أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم ، وأن يؤخّر الفتح ليقدموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٦٧) ، وفي إسناده ضعف ، كما أوماً إليه المصنف في آخر الحديث بقوله : وفي إسناده اختلاف .

(٢) رواه بنحوه البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم رقم (١٧٩٥) .



## فصل

في مرجعه ، عليه الصلاة والسلام ، عن الطائف  
وقِسْمَةِ غنائم هَوَازِن التي أصابها يوم حنينٍ قبل دخوله مكة  
معتمراً من الجعرانة

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا ، حتى نزل الجعرانة فيمن معه من المسلمين ، ومعه من هَوَازِن سبي كثير ، وقد قال له رجلٌ من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ، ادع عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم » . قال : ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدته .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فحدّثني عمرو بن شعيب - وفي رواية يونس بن بكير عنه قال : [حدثنا] عمرو بن شعيب - عن أبيه ، عن جدّه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحنين ، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم ، أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا من الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنّ ما في الحظائر من السبائ خالاتك [وعماتك] وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحننا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك ، رجونا عائدتهم وعطفهما ، وأنت يا رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

أُمنُنْ علينا رسول الله في كَرَمٍ	فإنك المرء نرجوه ونُدْخِرُ
أُمنُنْ على بَيْضَةٍ قد عاقها قَدَرٌ	مَمَزَقٍ شَمْلُها في دَهْرِها غَيْرُ
أَبَقَتْ لها الحربُ هُتَافاً على حَزَنِ	على قلوبهمُ الغَمَاءُ والغَمَرُ
إِنْ لَمْ تَدَارِكْهُمْ نَعْمَاءُ تَنْشُرْها	يا أرجح الناسِ حِلْماً حين يُخْتَبَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها	إِذْ فوك تَمْلُؤُهُ مِنْ مَحْضِها الدَّرَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها	وَإِذْ يَزِينُك ما تأتي وما تَذُرُ
لا تَجْعَلَنَّ كَمَنْ شالَتْ نَعَامَتُهُ	واستَبَقِ مِنّا فإنّا مَعْشَرُ زُهْرُ
إِنّا لَنَشْكُرُ آلاءَ وَإِنْ كُفِرَتْ	وعندنا بعدَ هذا اليومِ مُدْخَرُ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٨ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٨٨ / ٢ - ٤٩٠ ) .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « نساؤكم وأبناؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » . فقالوا : يا رسول الله ، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله ﷺ : « أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا . فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » . فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة : أمّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس السلمي : أمّا أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . قال : يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وهنتموني . فقال رسول الله ﷺ : « من أمسك منكم بحقه فله بكلّ إنسان ستُّ فرائض من أول فيء نصيبه » . فردوا إلى الناس نساءهم وأبناؤهم . ثم ركب رسول الله ﷺ وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه ، فقال : « يا أيها الناس ، ردوا عليّ ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » . ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال : « أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم ، فأدّوا الخياط والمخيّط ، فإنّ الغلول عارٌ وشنارٌ على أهل هذه البرة » . فجاء رجلٌ من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه لأخيّط بها برذعة بعير لي دبر . فقال رسول الله ﷺ : « أمّا حقي منها فلك » . فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها إلى هذا فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام ردّ إليهم سبيهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسار ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(١)</sup> من طريق الليث ، عن عقيل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوا أن يرّد إليهم أموالهم ونساءهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « معي من ترون ، وأحبُّ الحديث إليّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين ؛ إما السبي ، وإما المال ، وقد كنتُ استأنيت بكم » . وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبَيَّن لهم أن رسول الله ﷺ غير رادّ إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : إنا نختار سبيننا . فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين ، وإنني قد رأيت أن أرّد إليهم سبيهم ، فمن أحبّ منكم أن

(١) رواه البخاري رقم (٤٣١٨) .

يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظّه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل » . فقال الناس : قد طيّبنا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممّن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » . فرجع الناس ، فكلّمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه بأنهم قد طيّبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن . ولم يتعرّض البخاريّ لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمثبّت مقدّم على النافي ، فكيف الساكت ؟!

وقد روى البخاريّ<sup>(١)</sup> من حديث الزهريّ ، أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعم أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ، ومعه الناس مقفله من حنين ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى سمرّة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ ، ثم قال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » . تفرّد به البخاريّ .

وقال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وحدّثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعديّ ، أن رسول الله ﷺ أعطى عليّ بن أبي طالب جاريةً يقال لها : ربيعة بنت هلال بن حيّان بن عميرة . وأعطى عثمان بن عفان جاريةً يقال لها زينب بنت حيّان بن عمرو بن حيّان . وأعطى عمر جاريةً فوهبها لابنه عبد الله .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فحدّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمح ؛ ليصلحوها لي منها ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا . قلت : تلکم صاحبکم في بني جمح ، فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأمّا عيينة بن حصن فأخذ عجزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجزاً إني لأحسب لها في الحيّ نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها . فلما ردّ رسول الله ﷺ السبايا بستّ فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زهير بن صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهيد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا دُرّها بماكِد . فردّها بستّ فرائض . قال : فزعموا أن عيينة لقي الأقرع فشكى إليه بذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفاً وثيرة .

(١) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٩٠) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٩٠) .

قال الواقدي<sup>(١)</sup> : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة .

وقال سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً ممن شهد حيناً قال : والله إنني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقة لي ، وفي رجلي نعلٌ غليظةٌ ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، فقرع قدمي بالسوط ، وقال : « أوجعتني فتأخر عني » . فانصرفت ، فلما كان من الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني . قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقع . فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني ، فقرعت قدمك بالسوط ، فدعوتك لأعوضك منها » . فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم بعد القسمة ، كما دلَّ عليه هذا السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيب الذي أورده محمد بن إسحاق عنه ، عن أبيه ، عن جدِّه أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لمَّا ردَّ السبي وركب ، علق الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له : اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى سمره ، فخطفت رداءه فقال : « ردُّوا عليَّ ردائي أيها الناس ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً » . كما رواه البخاري<sup>(٢)</sup> ، عن جبير بن مطعم بنحوه .

وكأنهم خشوا أن يرَدَّ إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه قسمة ذلك ، فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة ، كما أمره الله ، عزَّ وجلَّ ، وأثر أناساً في القسمة ، وتألَّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعتب عليه أناسٌ من الأنصار حتى خطبهم ، وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله ؛ تطيباً لقلوبهم ، وتنقذ بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج ، كذي الخويصرة وأشباهه ، قبحه الله ، كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك ، وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدَّثنا عارمٌ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقول : ثنا السُّمَيْطُ السَّدُوسِيُّ ، عن أنس بن مالك قال : فتحنا مكة ، ثم إنَّا غزونا حيناً ، فجاء المشركون بأحسن صفوفٍ رأيت ، فصفت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم النعم . قال : ونحن بشرٌ كثيرٌ ، قد بلغنا ستة آلاف ، وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد . قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا . قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا ، وفرت الأعراب ومن نعلم من الناس .

(١) انظر « المغازي » ( ٩٤٩ / ٣ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٢٨٢١ ) و ( ٣١٤٨ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ١٥٧ / ٣ ) .

قال : فنادى رسول الله ﷺ : « يا للمهاجرين يا للمهاجرين ، يا للأنصار [ يا للأنصار ] » . قال أنس : هذا حديث عمّيه . قال : قلنا : لبيك يا رسول الله . قال : وتقدّم رسول الله ﷺ . قال : وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله . . قال : فقبضنا ذلك المال ، ثم انطلقنا إلى الطائف ، فحاصرناهم أربعين ليلة ، ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا ، فجعل رسول الله ﷺ يعطى الرجل المئة ، ويعطى الرجل المئة . قال : فتحدّث الأنصار بينها : أمّا من قاتله فيعطيه ، وأمّا من لم يقاتله فلا يعطيه ! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ، ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ، ثم قال : « لا يدخلنّ عليّ إلا أنصاريّ » أو « الأنصار » . قال : فدخلنا القبة حتى ملأناها . قال نبيّ الله ﷺ : « يا معشر الأنصار » - أو كما قال - « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله . قال : فرضوا . أو كما قال .

وهكذا رواه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث معتمر بن سليمان . وفيه من الغريب قوله : إنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف . وإنما كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله : إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة . وإنما حاصروها قريباً من شهر ، أو دون العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشام ، ثنا معمر ، عن الزهري ، حدّثني أنس بن مالك قال : قال ناسٌ من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوزان ، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! قال أنس بن مالك : فحدّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة آدم ، ولم يدعْ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : « ما حديث بلغني عنكم ؟ » . فقال فقهاء الأنصار : أمّا رؤساؤنا يا رسول الله ، فلم يقولوا شيئاً ، وأمّا ناسٌ منا حديثه أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله ﷺ : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبيّ إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا . فقال لهم النبي ﷺ : « فستجدون أثراً شديدةً ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض » . قال أنس : فلم يصبروا . تفرّد به البخاري من هذا الوجه .

(١) رواه مسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٦) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٣٣١) .

ثم رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> من حديث ابن عوف ، عن هشام بن زيد ، عن جدّه أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين التقى هوزان ، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا ، فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك ، لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، فأعطى الطلقاء والمهاجرين ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبة ، فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله ﷺ ؟ » . قالوا : بلى . فقال رسول الله ﷺ : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » .

وفي رواية للبخاري<sup>(٢)</sup> من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذرائعهم ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ؛ التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، وأصاب يومئذ غنائم كثيرة ، فقسم بين المهاجرين والطلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً . فقالت الأنصار : إذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . فبلغه ذلك ، فجمعهم في قبة فقال : « يا معشر الأنصار ، ما حديث بلغني ؟ » فسكتوا ، فقال : « يا معشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار » . قال هشام : قلت : يا أبا حمزة ، وأنت شاهد ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟

ثم رواه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup> أيضاً من حديث شعبة ، عن قتادة ، عن أنس قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهد بجاهلية ومصيبة ، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار » أو « شعب الأنصار » .

وأخرجاه<sup>(٤)</sup> أيضاً من حديث شعبة ، عن أبي التّياح يزيد بن حميد ، عن أنس بنحوه ، وفيه : فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا لتقطر من دمائهم ، والغنائم تقسم فيهم ! فخطبهم . وذكر نحو ما تقدم .

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٣) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٥) .

(٢) وهي عنده رقم (٤٣٣٧) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٣٤) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٣) .

(٤) يعني الشيخان ، وهو عند البخاري رقم (٤٣٣٢) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٤) .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا عفان ، ثنا حماد ، ثنا ثابت ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، سيوفنا تقطر من دمائهم ، وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فجمعهم في قبة له حتى فاضت ، فقال : « فيكم أحد من غيركم ؟ » قالوا : لا ، إلا ابن أختنا . قال : « ابن أخت القوم منهم » . ثم قال : « أقلتكم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشعار والناس الدثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : « الأنصار كرشي وعييتي ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم ، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار » . وقال حماد : أعطى مائة من الإبل ، فسمي كل واحد من هؤلاء . تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ؟ ألم آتكم أعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « أفلا تقولون : جئتنا خائفاً فأمنناك ، وطريداً فأويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنُّ علينا ولرسوله . وهذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرط « الصحيحين » ، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالك ، وقد روي عن غيره من الصحابة .

فقال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيب ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن عباد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم ، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضللاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وعالةً فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمراً . قال : « لو شئتم قلت : جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ، لسلك وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعارٌ والناس دثارٌ ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث عمرو بن يحيى المازني به .

وقال يونس بن بكير<sup>(٥)</sup> ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٤٦ / ٣ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ١٠٤ / ٣ و ١٠٥ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٣٠ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ١٠٦١ ) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ١٧٦ / ٥ ) .

ليبد ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين ، وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومه . فمشى سعد بن عباد إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » . قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فإذا اجتمعوا فأعلمني » فخرج سعد ، فصرخ فيهم ، فجمعهم في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين ، فأذن لهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له ، أتاه فقال : يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم . فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المئله ولسوله . قال : « أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم : جئتنا طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمنّاك ، ومخذولاً فنصرناك » . فقالوا : المئله ولسوله . فقال رسول الله ﷺ : « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعر وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله قسماً . ثم انصرف وتفرّقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن يحيى بن بكير ، عن الفضل بن مرزوق ، عن عطية بن سعيد العوفي ، عن أبي سعيد الخدري : قال رجل من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد كنت أحدثكم أنه لو قد استقامت الأمور قد أثر عليكم . قال : فردّوا عليه رداً عنيفاً . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم ، فقال لهم أشياء

(١) في « المسند » ( ٧٦ / ٣ ) ، وإسناده حسن .

(٢) في « المسند » ( ٨٩ / ٣ ) ، وإسناده ضعيف .



لا أحفظها ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » . وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يا رسول الله . ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدم . تفرّد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد بنحوه .

ورواه أحمد<sup>(٢)</sup> أيضاً عن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابر مختصراً .

وقال سفيان بن عيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروق ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاع بن رافع بن خديج ، عن جدّه رافع بن خديج ، أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من سبي حنين مئة من الإبل ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مئة ، وأعطى صفوان بن أمية مئة ، وأعطى عيينة بن حصن مئة ، وأعطى الأقرع بن حابس مئة ، وأعطى علقمة بن علاثة مئة ، وأعطى مالك بن عوف مئة ، وأعطى العباس بن مرداس دون المئة ، ولم يبلغ به أولئك ، فأنشأ يقول<sup>(٣)</sup> : [ من المتقارب ]

أتجعل نهبي ونهب العبيد	— بين عيينة والأقرع
فما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما	ومن تخفض اليوم لا يُرفع
وقد كنت في الحرب ذا تُدرأ	فلم أعط شيئاً ولم أُمْنَع

قال : فأتّم له رسول الله ﷺ مئة .

رواه مسلم<sup>(٤)</sup> من حديث ابن عيينة بنحوه ، وهذا لفظ البيهقي<sup>(٥)</sup> .

وفي رواية ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق : فقال : [ من المتقارب ]

كانت نهاباً تلافيتها	بكرّي على المهر في الأجرع
وإيقاظي الحي أن يرقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد	— بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذا تُدرأ	فلم أعط شيئاً ولم أُمْنَع
إلا أفائل أعطيتها	عديد قوائمها الأربع

(١) في « المسند » ( ٥٧ / ٣ ) ، وإسناده صحيح .

(٢) في « المسند » ( ٣٤٧ / ٣ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) بعض هذه الأبيات والتي بعدها في « ديوان العباس بن مرداس » ص ( ١١١ - ١١٢ ) بتقديم وتأخير .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٠٦٠ ) ( ١٣٧ ) .

(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ١٧٨ / ٥ ) ( ١٧٩ ) .

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمع  
ومَا كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يُرفع

قال عروة ، وموسى بن عقبة عن الزهري : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « أنت القائل : أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة ؟ » فقال أبو بكر : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعرٍ وما ينبغي لك . فقال : « كيف قال ؟ » . فأشده أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ : « هما سواء ، ما يضرُّك بأيُّهما بدأت » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اقطعوا عني لسانه » . فخشي بعض الناس أن يكون أراد المثلة به ، وإنما أراد النبي ﷺ العطية . قال : وعبيدُ فرسه .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حدَّثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبي ﷺ ، وهو نازلٌ بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلالٌ ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال : ألا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له : « أبشر » . فقال : قد أكثرت عليَّ من أبشر . فأقبل على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغضبان فقال : « ردَّ البشري فأقبلا أنتما » [ قالوا : قبلنا ] ثم دعا بقدر فيه ماءً ، فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال : « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » . فأخذ القدر ففعلا ، فنادت أم سلمة من وراء السُّتر أن أفضلا لأمكما . فأفضلا لها منه طائفةً . هكذا رواه .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> : حدَّثنا يحيى بن بكير ، ثنا مالكٌ ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالك قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجذبه جذبةً شديدةً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : مُر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذٍ مئةً من الإبل ، وهم : أبو سفيان صخر بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كَلْدَة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن عُلاثة ، والعلاء بن جارية الثَّقَفِي حليف بني زهرة ، والحارث بن هشام ، وجبير بن مطعم ، ومالك بن عوفٍ النَّصْرِي ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وعُيينة بن حصن ، وصفوان بن أمية ، والأقرع ابن حابس .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن قائلًا قال لرسول الله ﷺ من

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٨) .

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٤٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٤٩٢/٢) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٤٩٦/٢) .

أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة والأقرع مئة مئة ، وتركت جُعيل بن سراقَةَ الضَّمري ! فقال رسول الله ﷺ : « أما والذي نفس محمد بيده لَجُعيلٌ خيرٌ من طلاع الأرض ، كلُّهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألفتهما ليسلما ، ووكلت جُعيل بن سراقَةَ إلى إسلامه » .

ثم ذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> من أعطاه رسول الله ﷺ دون المئة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح<sup>(٢)</sup> عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين وهو أبغض الخلق إليّ ، حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليّ منه .

\*\*\*

## ذكر

### قدوم مالك بن عوف النصري على الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف « ما فعل ؟ » فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف . فقال ﷺ : « أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددتُ إليه أهله وماله وأعطيته مئة من الإبل » . فلمَّا بلغ ذلك مالكا أنسلَّ من ثقيف ، حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة - أو بمكة - فأسلم وحسن إسلامه ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مئة [ من الإبل ] ، فقال مالك بن عوف رضي الله عنه : [ من الكامل ]

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ	فِي النَّاسِ كُلُّهُمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى	وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدٍ
وَإِذَا الْكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْبَاءُهَا	بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرَبَ كُلَّ مَهْنَدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْتٌ عَلَى أَشْبَالِهِ	وَسَطَ الْهَبَاءِ خَادِرٌ فِي مَرَصِدٍ

قال : واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل ؛ ثُمالة وسَلِمة وفَهْمٌ ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرخٌ إلا أغار عليه ، حتى ضَيَّقَ عليهم .

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا جرير بن حازم ، ثنا الحسن ، حدَّثني عمرو بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٩٣ / ٢ ) .

(٢) الذي رواه مسلم رقم ( ٢٣١٣ ) والترمذي رقم ( ٦٦٣ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٤٩١ / ٢ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣١٤٥ ) .

تغلب ، رضي الله عنه ، قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين ، فكانهم عتبوا عليه ، فقال : « إني أعطي قوماً أخاف ظلمهم وجرعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب » . قال عمرو : فما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمر النعم . زاد أبو عاصم ، عن جرير ، سمعت الحسن ، ثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله ﷺ أتى بمال - أو سبي - فقسمه . . . بهذا .

وفي رواية للبخاري<sup>(١)</sup> قال : أتى رسول الله بمال - أو بشيء - فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد » . فذكر مثله سواءً . تفرد به البخاري .

وقد ذكر ابن هشام<sup>(٢)</sup> أن حسان بن ثابت<sup>(٣)</sup> ، رضي الله عنه ، قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخرهم عن الغنيمة : [ من البسيط ]

زَادَتْ هُمُومٌ فَمَاءُ الْعَيْنِ مَنَحْدِرُ	سَحَاءٌ إِذَا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دَرَرُ
وَجَدَا بِشَمَاءَ إِذْ شَمَاءَ بِهِكْنَةٌ	هَيْفَاءُ لَا ذَنْنٌ فِيهَا وَلَا خَوَرُ
دَعِ عَنْكَ شَمَاءَ إِذْ كَانَتْ مُوَدَّتُهَا	نَزْرًا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزْرُ
وَأَتِ الرَّسُولَ فَقُلْ يَا خَيْرَ مُؤْتَمِنٍ	لِلْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا عُدِدَ الْبَشْرُ
عَلَامٌ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهِيَ نَازِحَةٌ	قُدَّامَ قَوْمٍ هُمْ آوَا وَهُمْ نَصَرُوا
سَمَاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بَنَصَرَهُمْ	دِينَ الْهَدَى وَعَوَانَ الْحَرْبِ تَسْتَعُرُ
وَسَارِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْتَرَفُوا	لِلنَّائِبَاتِ وَمَا خَانُوا وَمَا ضَجَرُوا
وَالنَّاسُ أَلْبٌ عَلَيْنَا فَيْكَ لَيْسَ لَنَا	إِلَّا السَّيْفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَا وَزُرُ
نُجَالِدِ النَّاسَ لَا نَبْقِي عَلَى أَحَدٍ	وَلَا نَضِيعُ مَا تُوْحِي بِهِ السُّورُ
وَلَا تُهَرِّجُ جَنَاحَ الْحَرْبِ نَادَيْنَا	وَنَحْنُ حِينَ تَلْظَى نَارَهَا سُعُرُ
كَمَا رَدَدْنَا بَيْدِرٍ دُونَ مَا طَلَبُوا	أَهْلَ النَّفَاقِ وَفِينَا يَنْزِلُ الظَّفَرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ	إِذْ حَزَبْتَ بَطْرًا أَحْزَابَهَا مَضْرُ
فَمَا وَنِينَا وَمَا خَمْنَا وَمَا خَبَرُوا	مَنَا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَشَرُوا

\*\*\*

(١) في « صحيحه » رقم ( ٩٢٣ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٩٧ / ٢ ) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » ( ٢٦٥ / ١ ) مع بعض الاختلاف في ألفاظها .

## اعتراض بعض الجهلة من أهل الشقاق والتَّفاق على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا قبيصة ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجلٌ من الأنصار : ما أراد بها وجه الله . قال : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فتغيّر وجهه ، ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر » .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث الأعمش به .

ثم قال البخاري<sup>(٣)</sup> : ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ ناساً ؛ أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناساً ، فقال رجلٌ : ما أريد بهذه القسمة وجه الله . فقلت : لأخبرن النبي ﷺ . قال : « رحم الله موسى ، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر » .

وهكذا رواه<sup>(٤)</sup> من حديث منصور بن المعتمر به .

وفي رواية للبخاري<sup>(٥)</sup> : فقال رجلٌ : والله إن هذه لقسمةٌ ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله ﷺ . فأتيته فأخبرته ، فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ! رحم الله موسى ، قد أؤذي بأكثر من هذا فصبر » .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : وحدّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقاً نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التَّميميّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجلٌ من بني تميم يقال له : ذو الخويصرة . فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال له : يا محمد ، قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت . قال : فغضب النبي ﷺ فقال : « ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي فعند

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٣٣٥ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٠٦٢ ) ( ١٤١ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٣٦ ) .

(٤) يعني مسلم في « صحيحه » رقم ( ١٠٦٢ ) ( ١٤٠ ) .

(٥) وهي عنده رقم ( ٣١٥٠ ) .

(٦) في « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٩٦ / ٢ ) .

من يكون؟! « فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال : « لا ، دعوه فإنه سيكون له شيعَةٌ يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة ، ينظر في النّصل فلا يوجد شيءٌ ، ثم في القدح فلا يوجد شيءٌ ، ثم في الفؤاد فلا يوجد شيءٌ ، سبق الفرث والدم » .

وقال الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجلٌ بالجعرانة النبيّ ﷺ منصرفه من حنين ، وفي ثوب بلالٍ فضةٌ ، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس ، فقال : يا محمد ، اعدل . قال : « ويلك ! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدث الناس أنني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميّة » . رواه مسلم<sup>(١)</sup> ، عن محمد بن رمح ، عن الليث .

وقال أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا أبو عامر ، ثنا قرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنين ، إذ قام إليه رجلٌ فقال : اعدل . فقال : « لقد شقيت إن لم أعدل » . ورواه البخاري<sup>(٣)</sup> ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قرة بن خالد السدوسيّ به .

وفي « الصحيحين »<sup>(٤)</sup> من حديث الزهريّ ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجلٌ من بني تميم ، فقال : يا رسول الله ، اعدل . فقال رسول الله ﷺ : « ويلك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إن لم أعدل » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحُه - فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى قُذذه فلا يوجد فيه شيءٌ ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس » . قال أبو سعيد : فأشهد أنني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن عليّ بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت . ورواه مسلم<sup>(٥)</sup> أيضاً من حديث القاسم بن الفضل ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد به نحوه .

(١) في « صحيحه » رقم (١٠٦٣) .

(٢) في « المسند » (٣/٣٣٢) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٣٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٣٦١٠) ومسلم رقم (١٠٦٤) (١٤٨) .

(٥) رواه مسلم (١٠٦٥) (١٥٠) مختصراً .

## ذكر

## مَجِيءُ أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، إليه وهو بالجعرانة واسمها الشيماء

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وحدثني بعض بني سعد بن بكر أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن : « إن قدرتم على بجاد - رجل من بني سعد بن بكر - فلا يُفَلِّتْكُمْ » . وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ، أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، قال : فعنفوا عليها في السوق ، فقالت للمسلمين : تعلّموا والله إنني لأخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدّقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي - هو أبو وجزة - قال : فلما انتهي بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إنني أختك من الرضاعة . قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضّة عضضتها في ظهري وأنا متورّكتك . قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وخيرها وقال : « إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتّعك وترجعني إلى قومك فعلت » . قالت : بل تمتّعني وتردّني إلى قومي .

فمتّعها رسول الله ﷺ وردّها إلى قومها ، فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً يقال له : مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة .

وروى البيهقي<sup>(٢)</sup> من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جارية إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، أنا أختك ، أنا شيماء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقة ، فإن بك مني أثراً لا يبلى » . قال : فكشفت عن عضدها ، فقالت : نعم يا رسول الله ، وأنت صغير ، فعرضتني هذه العضّة . قال : فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ، ثم قال : « سلي تُعْطِي ، واشفعي تشفعي » .

وقال البيهقي<sup>(٣)</sup> : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو عمرو إسماعيل بن نُجَيْدِ السُّلَمِيّ ، ثنا أبو مسلم ، ثنا أبو عاصم ، ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمّي عُمارة بن ثوبان ، أن أبا الطُّفَيْل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عظم البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة . قال : فجاءته

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٤٥٨ / ٢ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ١٩٩ / ٥ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ١٩٩ / ٥ ) .

امراً فبسط لها رداءه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمُّه التي أرضعته . هذا حديثٌ غريبٌ ، ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضنه مع أمِّها حليلة السَّعدية ، وإن كان محفوظاً فقد عُمِّرت حليلة دهرأ ، فإنَّ من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنة ، وأقلُّ ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ، ثلاثون سنة ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديثٌ مرسلٌ ، فيه أن أبويه من الرضاعة قدما عليه ، والله أعلم بصحَّته ؛ قال أبو داود في « المراسيل » (١) : ثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدَّثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً ، فجاءه أبوه من الرضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعده عليه ، ثم أقبلت أمُّه ، فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرضاعة ، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه . وقد تقدم أن هوازن بكما لها متواليَّة برضاعته من بني سعد بن بكرٍ ، وهم شِرْذمةٌ من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صُرْدٍ : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر أمَّهاتك وخالاتك وحواضنك ، فامن علينا منَّ الله عليك ، وقال فيما قال : [ من البسيط ]

أُمن على نسوةٍ قد كُنْتَ تَرْضَعُهُنَّ إِذْ فُوكَ يَمْلُؤُهُنَّ مَحْضُهُنَّ دِرَر  
أُمن على نسوةٍ قد كنت ترضعها وَإِذْ يَزِينُكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواضله ﷺ عليهم قديماً وحديثاً ، خصوصاً وعموماً . وقد ذكر الواقدي (٢) ، عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل ، عن أبيه قال : كان النُّضير بن الحارث بن كَلْدَة من أحلم الناس ، فكان يقول : الحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام ، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الإخوة وبنو العمِّ . ثم ذكر عداوته للنبي ﷺ ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهو على دينهم بعدُ . قال : ونحن نريد إن كانت دائرةٌ على محمد أن نعين عليه ، فلم يمكناً ذلك ، فلما صار بالجعرانة ، فوالله إني لعلی ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ ، فقال : « أنْضِر » . قلت : لبيك . قال : « هذا خيرٌ مما أردت يوم حنينٍ مما حال الله بينك وبينه » . قال : فأقبلت إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضع » .

قلت : قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم زده ثباتاً » . قال النُّضير : فوالذي بعثه بالحقِّ لكَأَنَّ قلبي حَجَرٌ ثباتاً في الدِّين وتبصرةً بالحقِّ .

فقال رسول الله ﷺ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا » .

(١) لم أقف عليه في كتاب « المراسيل » ونسبه المزي في تحفة الأشراف (١٩١٤١) إلى سنن أبي داود حسب ، وهو في « سنن أبي داود رقم (٥١٤٥) ، وإسناده ضعيف .  
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٢٠٥/٥) .



## عُمْرَةُ الْجِعْرَانَةِ<sup>(١)</sup> فِي ذِي الْقَعْدَةِ

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : ثنا بهزٌ وعبد الصّمد ، المعنى ، قالوا : ثنا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى ، ثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالك قلت : كم حجَّ رسول الله ﷺ ؟ قال : حَجَّةٌ واحدةٌ ، واعتَمَرَ أربعَ مرارٍ ؛ عمرته زَمَنَ الحُدَيْبِيَّةِ ، وعُمُرَتُهُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وعُمُرَتُهُ مِنَ الْجِعْرَانَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، حيث قسم غنيمة حنينٍ ، وعمرته مع حَجَّتِهِ .

ورواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيُّ<sup>(٣)</sup> من طرق ، عن هَمَّامِ بْنِ يَحْيَى به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا أبو النَّضَر ، ثنا داود ، يعني العطار ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : اعتَمَرَ رسول الله ﷺ أربعَ عُمَرٍ ؛ عمرة الحُدَيْبِيَّةِ ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه<sup>(٥)</sup> من حديث داود بن عبد الرحمن العطار المكيِّ ، عن عمرو بن دينارٍ به ، وحَسَنَهُ الترمذيُّ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٦)</sup> : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ثنا حجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدّه ، هو عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتَمَرَ رسول الله ﷺ ثلاثَ عُمَرٍ ، كلُّ ذلك في ذِي الْقَعْدَةِ يَلْبِي حَتَّى يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ . غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَهَذِهِ الثَّلَاثُ عُمَرُ اللَّاتِي وَقَعَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مَا عَدَا عَمْرَتَهُ مَعَ حَجَّتِهِ ، فَإِنَّهَا وَقَعَتْ فِي ذِي الْحِجَّةِ مَعَ الْحِجَّةِ ، وَإِنْ أَرَادَ ابْتِدَاءَ الْإِحْرَامِ بِهِنَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فَلَعَلَّهُ لَمْ يُرَدَّ عَمْرَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ صُدِّعَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَفْعَلْهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قلت : وقد كان نافعٌ ومولاه ابن عمر يُنْكِرَانِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اعْتَمَرَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ بِالْكَلْبَةِ ، وَذَلِكَ فِيمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ<sup>(٧)</sup> : ثنا أَبُو النَّعْمَانِ ، ثنا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . انظر « مرصد الاطلاع » ( ١ / ٣٣٦ ) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٣ / ١٣٤ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ١٧٧٨ ) ومسلم رقم ( ١٢٥٣ ) وأبو داود رقم ( ١٩٩٤ ) والترمذي رقم ( ٨١٥ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ١ / ٣٢٦ ) .

(٥) رواه أبو داود رقم ( ١٩٩٣ ) والترمذي رقم ( ٨١٦ ) وابن ماجه رقم ( ٣٠٠٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٢ / ١٨٠ ) لكن التقييد بأنها في ذِي الْقَعْدَةِ جاء في الرواية التي بعدها في « المسند » من طريق هشيم عن الحجاج بن أرطاة . .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٣١٤٤ ) .

عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله ، إنه كان عليّ اعتكاف يوم في الجاهلية . فأمره أن يفني به . قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة . قال : فمن رسول الله ﷺ على سبي حنين فجعلوا يسعون في السكك ، فقال عمر : يا عبد الله ، انظر ما هذا ؟ قال : من رسول الله ﷺ على السبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافع : ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله .

وقد رواه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث أيوب السخيتاني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، به .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً ، عن أحمد بن عبد الصبّي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع قال : ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله ﷺ من الجعرانة ، فقال : لم يعتمر منها . وهذا غريب جداً عن ابن عمر ، وعن مولاه نافع في إنكارهما عمرة الجعرانة ، وقد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عروة ، عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله أن رسول الله ﷺ اعتمر في رجب ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب قط .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا ابن نمير ، ثنا الأعمش ، عن مجاهد قال : سأل عروة بن الزبير ابن عمر : في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال : في رجب . فسمعنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر عمرة إلا وقد شهدها ، وما اعتمر عمرة قط إلا في ذي القعدة .

وأخرجه البخاري ومسلم<sup>(٥)</sup> من حديث جرير ، عن منصور ، عن مجاهد به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائي<sup>(٦)</sup> أيضاً من حديث زهير ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجة الوداع .

(١) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٧) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢١٩) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١٤٣/٢) .

(٥) رواه البخاري رقم (١٧٧٦) ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢٢٠) .

(٦) رواه أبو داود رقم (١٩٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢١٨) .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد ، فإذا ابن عمر مستند إلى حُجرة عائشة وأناس يصلُّون الضُّحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ، ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعة . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن ، كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً ، إحداهن في رجب . قال : وسمعنا استنان عائشة في الحجرة . فقال لها عروة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً ، إحداهن في رجب . فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النبي ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجب قط .

وهكذا رواه الترمذي<sup>(٢)</sup> ، عن أحمد بن منيع ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصور به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : ثنا روح ، ثنا ابن جريج ، أخبرني مزاحم بن أبي مزاحم ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن مُخَرَّشٍ<sup>(٤)</sup> الكعبي ، أن رسول الله ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً حين أمسى معتمراً ، فدخل مكة ليلاً يقضي عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت ، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرف ، حتى جامع الطريق طريق المدينة بسرف . قال مُخَرَّشٌ : فلذلك خفيت عمرته على كثير من الناس .

ورواه الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج كذلك وهو من أفرادهِ .

والمقصود أن عُمرة الجعرانة ثابتة بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حُجة معه في مقابلة من أثبتها ، والله أعلم . ثم هم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقسم غنائم حنين .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في « معجمه الكبير »<sup>(٦)</sup> قائلاً : حدَّثنا الحسين بن إسحاق التستري ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن الحسن الأسدي ، ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن أبي الزبير ، عن عمير مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ١٥٥ / ٢ ) ، وإسناده صحيح .

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٩٣٧ ) .

(٣) في « المسند » ( ٤٢٧ / ٣ ) ، وإسناده حسن .

(٤) كذا في ( آ ) و ( ط ) : « مُخَرَّش » بالخاء المعجمة ، ورجَّح الحافظ بن حجر العسقلاني « مُخَرَّش » بالخاء المهملة انظر « تحرير تقريب التهذيب » ( ٣٥١ / ٣ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٢٦ / ٣ ) وهو أيضاً عند الترمذي رقم ( ٩٣٥ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ٣٨٤٦ ) وفي « المجتبى » رقم ( ٢٨٦٣ ) ، وإسناده حسن .

(٦) ( ٤٣١ / ١١ ) رقم ( ١٢٢٢٣ ) .

نزل الجِعْرَانَةُ فقسم بها الغنائم ، ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوالٍ ، فإنه غريبٌ جداً ، وفي إسناده نظرٌ ، والله أعلم .

وقال البخاري<sup>(١)</sup> : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا إسماعيل ، ثنا ابن جريج ، أخبرني عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزل عليه . قال : فبينما رسول الله ﷺ بالجِعْرَانَةِ وعليه ثوبٌ قد أظْلَمَ به ، معه فيه ناسٌ من أصحابه ، إذ جاءه أعرابيُّ عليه جَبَّةٌ متضمَّخٌ بطيبٍ ، فقال : [ يا رسول الله ، كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرةٍ في جَبَّةٍ بعدما تَضَمَّخَ بالطيب ؟ ] فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا النبي ﷺ محمراً الوجه يغطُّ كذلك ساعةً ، ثم سُري عنه ، فقال : « أين الذي يسألني عن العمرة أنفأ ؟ » فالتمس الرجل فأتى به ، قال : « أما الطَّيب الذي بك فاغسله ثلاث مراتٍ ، وأمَّا الجَبَّةُ فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجِّك » .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث ابن جريج ، وأخرجاه<sup>(٣)</sup> من وجهٍ آخر ، عن عطاء ، كلاهما عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : ثنا أبو أسامة ، أنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كداء من أعلى مكَّة ، ودخل في العمرة من كُدَيْ .

وقال أبو داود<sup>(٥)</sup> : ثنا موسى أبو سلمة ، ثنا حمادٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباسٍ ، أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة ، فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشوا أربعاً ، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود .

ورواه أيضاً ابن ماجه<sup>(٦)</sup> من حديث ابن خثيم ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباسٍ مختصراً .

وقال الإمام أحمد<sup>(٧)</sup> : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، حدَّثني حسن بن مسلم ، عن طاوسٍ ، أن ابن عباسٍ أخبره أن معاوية أخبره قال : قصَّرت عن رسول الله ﷺ بمشقصٍ أو قال : رأيتَه يقصِّر عنه بمشقصٍ عند المروة .

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٢٩ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ١١٨٠ ) .

(٣) رواه البخاري في « صحيحه » رقم ( ١٧٨٩ ) و ( ١٨٤٧ ) و ( ٤٩٨٥ ) ، ومسلم في « صحيحه » رقم ( ١١٨٠ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٠١ / ٦ و ٢٠٢ ) وهو عند البخاري رقم ( ١٥٧٨ ) ومسلم رقم ( ١١٨٠ ) ( ٦ ) و ( ٧ )

و ( ٩ ) و ( ١٠ ) .

(٥) رواه أبو داود رقم ( ١٨٨٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أبو داود رقم ( ١٨٩٠ ) وابن ماجه رقم ( ٢٩٥٣ ) ، وهو حديث صحيح .

(٧) رواه أحمد في « المسند » ( ٩٨ / ٤ ) .

وقد أخرجاه في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> من حديث ابن جريج به .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> أيضاً من حديث سفيان بن عُيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود ، والنسائي<sup>(٣)</sup> أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه به . وقال عبد الله بن الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا أبو أحمد الزبيري ، ثنا سفيان ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن معاوية قال : قصرتُ عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجه أن يكون في عمرة الجعرانة ، وذلك أن عمرة الحُدبية لم يدخل إلى مكة فيها ، بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ، ولم يبق بمكة من أهلها أحد حين دخل رسول الله ﷺ ، بل خرجوا منها ، وتغيّبوا عنها مدة مقامه ﷺ بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلل منها بالاتفاق . فتعيّن أن هذا التقصير الذي تعاطاه معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا ، والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق<sup>(٥)</sup> ، رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفئء فحبس بمجنّة بناحية مرّ الظهران .

قلت : الظاهر أنه ﷺ إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكة والمدينة .

قال ابن إسحاق<sup>(٦)</sup> : فلمّا فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن .

وذكر عروة ، وموسى بن عقبة<sup>(٧)</sup> أن رسول الله ﷺ خلف معاذاً مع عتاب بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلفهما بها حين رجع إلى المدينة .

(١) رواه البخاري رقم ( ١٧٣٠ ) مختصراً ، ومسلم رقم ( ١٢٤٦ ) بنحوه .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٢٤٦ ) ( ٢٠٩ ) .

(٣) رواه أبو داود رقم ( ١٨٠٣ ) والنسائي رقم ( ٢٩٨٨ ) .

(٤) وهو في « المسند » ( ٩٧ / ٤ ) وانظر « أطراف المسند » ( ٣٤٠ / ٥ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٠٠ / ٢ ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٠٠ / ٢ ) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٠١ / ٥ ) .

وقال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله ﷺ عتّاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهماً ، فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> درهماً كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في أول ذي الحجة .

قال ابن هشام : قدمها لست بقين من ذي القعدة . فيما قال أبو عمرو المديني .

قال ابن إسحاق : وحجّ الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ بالمسلمين تلك السنة عتّاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان . قال : وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسع .

\*\*\*

إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه ،  
وأبوه هو صاحب إحدى المعلقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ،  
وذكر قصيدته التي سمعها رسول الله ﷺ وهي : بانت سعاد

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ؛ ابن الزُّبَيْر ، وهُبيرة بن أبي وهب ، هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاك من الأرض . وكان كعب قد قال<sup>(٤)</sup> : [ من الطويل ]

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً      فويحك ممّا قلت ويحك هل لكَا  
فبيّن لنا إن كنت لست بفاعل      على أيّ شيء غير ذلك دلكَا  
على خلقٍ لم ألف يوماً أباً له      عليه وما تُلفي عليه أباً لكَا  
فإن أنت لم تفعل فلستُ بأسفٍ      ولا قائلٍ إمّا عثرت لعا لكَا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٠٠ / ٢ ) .

(٢) أي : بمعنى أعطاني .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٠١ / ٢ ) .

(٤) الأبيات في « شرح ديوانه » ص ( ٦ ) .

سقاك بها المأمون كأساً رويّةً فأنهلك المأمون منها وعلّكا

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغ عني بُجيراً رسالةً فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكَا  
شربت مع المأمون كأساً رويّةً فأنهلك المأمون منها وعلّكا  
وخالفت أسباب الهدى واتّبعته على أيّ شيء ويب غيرك دلّكا  
على خلقي لم تلف أمّاً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لكَا  
فإن أنت لم تفعل فلستُ بأسفٍ ولا قائلٍ إمّا عثرت لعا لكَا

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وبعث بها إلى بُجير ، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ ، فأنشده إيّاها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : سقاك بها المأمون : « صدق وإنه لكذوبٌ ، أنا المأمون » . ولما سمع : على خلقي لم تلف أمّاً ولا أباً عليه . قال : « أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمّه » . قال : ثم كتب بجيرٍ إلى كعب يقول له : [ من الطويل ]

مَنْ مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أخزَمُ  
إلى الله لا العزّى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء وتسلمُ  
لدى يومٍ لا ينجو وليس بمفلتٍ من الناس إلا طاهر القلب مسلمُ  
فدين زهيرٍ وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى عليّ محرّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوّه ، وقالوا : هو مقتولٌ . فلما لم يجد من شيء بدأ قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجلٍ - كانت بينه وبينه معرفة - من جُهيّنة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ، ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهيرٍ قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتكَ به ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فقال : إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجلٌ من الأنصار ، فقال :

(١) انظر « السيرة النبوية » ( ٢ / ٥٠٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٥٠٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٥٠٣ ) .

يا رسول الله ، دعني وعدوّ الله أضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً نازعاً » .  
قال : فغضب كعب بن زهير على هذا الحيّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم ؛ وذلك أنه لم يتكلّم فيه رجلٌ من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ : [ من البسيط ]

بانّت سُعادُ فقلبي اليوم متبولُ      متىّمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولُ  
وما سُعادُ غداةَ البين إذ برزت      إلا أغرُّ غَضِيضُ الطَّرفِ مكحولُ  
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت      كأنّه مُنهلٌ بالراح معلولُ  
شجّت بذى شيمٍ من ماء محنيةٍ      صافٍ بأبطحٍ أضحى وهو مشمولُ  
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه      من صوب غاديةٍ بيضٍ يعاليلُ  
فيا لها خلّةٌ لو أنّها صدّقتُ      بوعدها أو لو أنّ النّضحَ مقبولُ  
لكنّها خلّةٌ قد سيط من دمها      فجعّ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ  
فما تدوم على حالٍ تكون بها      كما تلوّن في أثوابها الغولُ  
وما تُمسك بالعهد الذي زعمت      إلا كما يُمسك الماء الغرايلُ  
فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت      إن الأمانيّ والأحلام تضليلُ  
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً      وما مواعيدها إلا الأباطيلُ  
أرجو وآمل أن يعجلن في أبدٍ      وما لهن إخال الدّهر تعجيلُ  
أُمتست سُعادُ بأرضٍ لا يبلغها      إلا العِتاق النّجيبات المراسيلُ  
ولن يبلغها إلا عُذافرةٌ      فيها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ  
من كل نضّاجة الذّفرى إذا عرقت      عُرضتها طامس الأعلام مجهولُ  
ترمي النّجاد بعيني مفردٍ لهقٍ      إذا توقّدت الحِزّان والميلُ  
ضخمٌ مقلّدها فعمّ مقيّدها      في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ  
حرفٌ أخوها أبوها من مُهجّنةٍ      وعمّها خالها قوداء شمليلُ  
يمشي القُرّاد عليها ثم يُزلقه      منها لَبانٌ وأقربٌ زهاليلُ  
عيرانةٌ قذفت بالنّحوض عن عُرضٍ      مرفقها عن بنات الزّور مفتولُ  
قنواءٍ في حرّتيها للبصير بها      عتقٌ مبيّنٌ وفي الخدّين تسهيلُ  
كأنّ ما فات عينيها ومذبحها      من خطمها ومن اللّحيين برطيلُ  
تُمرُّ مثل عسيب النخل ذا خُصلٍ      في غارزٍ لم تخوّنه الأحاليلُ



تهوي على سراتٍ وهي لاهيةٌ  
 [ سمر العجايات يتركن الحصا زيماً  
 يوماً يظلُّ به الحرباء مرتبئاً  
 وقال للقوم حاديههم وقد جعلت  
 ] كأنَّ أوب ذراعِيها وقد عرقت  
 أوبَ يدي فاقِدِ شمطاء مُعولةٍ  
 نَّواحةٌ رخوة الضَّبعين ليس لها  
 تفري اللَّبان بكفَّيها ومدرعها  
 تسعى الغُواة جنابيها وقولهم  
 وقال كلُّ صديقٍ كنت آملُهُ  
 فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم  
 كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامته  
 نبئت أن رسول الله أوعدني  
 مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ  
 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم  
 لقد أقوم مقاماً لو يقوم به  
 لظلُّ تُرعد من وجدٍ بوادره  
 حتى وضعتُ يميني ما أنازعه  
 فلهو أخوف عندي إذ أكلمه  
 من ضيغمٍ بضراء الأرض مخدره  
 يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما  
 إذا يساور قرنأ لا يحلُّ له  
 منه تظلُّ حمير الوحش نافرةً  
 ولا يزال بواديه أخو ثقةٍ  
 إن الرسول لنورٍ يستضاء به  
 في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم  
 زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كشفٌ  
 يمشون مشيَ الجمال الزُّهر يعصمهم

ذوابِلٍ وقهْنِ الأرض تحليلُ  
 لم يقهْنِ رؤوس الأكم تنغيلُ [   
 كأنَّ صاحبه بالشمس مملوُ  
 وُزق الجنادب يركضن الحصا قيلوا  
 وقد تَلَفَّع بالقُور العساquilُ ]  
 قامت فجأوبها نُكدُ مثاكيلُ  
 لما نعى بكرها الناعون معقولُ  
 مشقَّقٌ عن تراقِيها رعايلُ  
 إنَّك يا بن أبي سُلمى لمقتولُ  
 لا ألَهِينَّكَ إنَّي عنك مشغولُ  
 فكلُّ ما قدَّر الرحمن مفعولُ  
 يوماً على آلة حذباء محمولُ  
 والعفو عند رسول الله مأمولُ  
 قرآن فيه مواعِظٌ وتفصيلُ  
 أذنب ولو كثرت فيي الأقاويلُ  
 أرى وأسمع ما قد يسمع الفيلُ  
 إن لم يكن من رسول الله تنويلُ  
 في كفٍّ ذي نَقَماتٍ قوله القيلُ  
 وقيل إنَّك منسوبٌ ومسؤولُ  
 في بطن عثَر غيلٍ دونه غيلُ  
 لحمٌ من الناس معفورٌ خراويلُ  
 أن يترك القِرْن إلا وهو مفلولُ  
 ولا تَمْشَى بواديه الأراجيلُ  
 مضرَّج البزِّ والدَّرسان مأكولُ  
 مهنَّدٌ من سيوف الله مسلولُ  
 بطن مكة لَمَّا اسلموا زُولوا  
 عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ  
 ضربٌ إذا عرَّد السُّود التَّنايلُ

شَمُّ العرانيين أبطالاً لبوسهم      من نسج داود في الهيجا سرايل  
بيضٌ سوابغ قد شَكَتْ لها حلقٌ      كأنها حَلَقَ القفعاء مجدولٌ  
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم      قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا  
لا يقع الطَّعن إلا في نحورهم      وما لهم عن حياض الموت تهليلٌ

هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ، ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »<sup>(١)</sup> بإسناد متصل ، فقال : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسدي بهمدان ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، ثنا الحجَّاج ابن ذي الرُّقبة - بن عبد الرحمن - بن كعب بن زهير بن أبي سلمى ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : خرج كعبٌ وبجيرٌ ابنا زهيرٍ حتى أتيا أبرق العزَّاف ، فقال بجيرٌ لكعبٍ : اثبت في هذا المكان حتى آتي - هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فأستمع ما يقول . فثبت كعبٌ ، وخرج بجيرٌ ف جاء رسول الله ﷺ ، فعرض عليه الإسلام ، فبلغ ذلك كعباً فقال : [ من الطويل ]

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً      على أي شيء ويب غيرك دلكا  
على خُلُقٍ لم نلف أمّاً ولا أباً      عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا  
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّةٍ      وأنهلك المأمون منها وعلكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه ، وقال : « مَنْ لَقِيَ كعباً فليقتله » . فكتب بذلك بجيرٌ إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ، ويقول له : النجاء وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحدٌ يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فأسلم وأقبل . قال : فأسلم كعبٌ ، وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم ، متحلِّقون معه حلقةٌ خلف حلقةٍ ، يلتفت إلى هؤلاء مرةً فيحدثهم ، وإلى هؤلاء مرةً فيحدثهم . قال كعبٌ : فأنخت راحلتي بباب المسجد [ ثم دخلت المسجد ] فعرفت رسول الله ﷺ بالصِّفة ، فتخطيت حتى جلست إليه ، فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأَنَّك محمدٌ رسول الله ، الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قلت : كعب بن زهير . قال : « الذي يقول » . ثم التفت رسول الله ﷺ [ إلى أبي بكرٍ ] فقال : « كيف قال يا أبا بكرٍ ؟ » فأنشده أبو بكرٍ : [ من الطويل ]

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ      وأنهلك المأمور منها وعلكا

(١) ( ٢٠٧/٥ - ٢٠٩ ) وما بين الحاصرتين في النقل زيادة منه ، وفي إسنادها ضعف .

قال : يا رسول الله ، ما قلتُ هكذا . قال : « فكيف قلت ؟ » قال : قلت : [ من الطويل ]

سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رويّةٍ وأنهلك المأمونُ منها وعلّكا

فقال رسول الله ﷺ : « مأمونٌ والله » . ثم أنشده القصيدة كلّها حتى أتى على آخرها ، وهي هذه القصيدة : [ من البسيط ]

بانتُ سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ عندها لم يفد مكبولٌ

وقد تقدّم ما ذكرناه من الرّمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقيّ ، رحمهما الله عزّ وجلّ .

وذكر أبو عمر بن عبد البرّ في كتاب « الاستيعاب »<sup>(١)</sup> أنّ كعباً لمّا انتهى إلى قوله :

إنّ الرّسولَ لنورٌ يُستضاءُ بهٍ مهنّدٌ من سيوف الله مسلّولٌ

نُبئت أنّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمولٌ

قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا .

وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في « مغازيه »<sup>(٢)</sup> والله الحمد والمِنَّة .

قلت : ورد في بعض الروايات أنّ رسول الله ﷺ أعطاه بُردَتَهُ حين أنشده القصيدة . وقد نظم ذلك الصّرصريّ<sup>(٣)</sup> في بعض مدائحه .

وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة »<sup>(٤)</sup> قال : وهي البردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسنادٍ أرضيهِ ، فالله أعلم .

وقد روي أنّ رسول الله ﷺ قال له - لمّا قال : بانت سعاد - : « ومن سعاد ؟ » قال : زوجتي يا رسول الله ، قال : « لم تَبِنْ » ولكن لم يصحّ ذلك ، وكأنّه على ذلك توهم أنّ بإسلامه تبين امرأته ، والظاهر أنّه إنّما أراد البينونة الحسيّة لا الحكميّة ، والله تعالى أعلم .

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » ( ٣ / ١٣١٤ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٥ / ٢١١ ) .

(٣) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الصّرصري أبو زكريا ، الشيخ العلامة القدوة ، كان إليه المنتهى في معرفة اللغة وحسن الشعر ، وديوانه ومدائحه سائرة . قتله التتار سنة ( ٦٥٦ ) حين دخلوا بغداد بعد أن قاومهم وقتل منهم عدداً كبيراً . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » ( ٧ / ٤٩٣ - ٤٩٤ ) لابن العماد الحنبلي ، بتحقيقي .

(٤) انظر « أسد الغابة » ( ٤ / ٤٧٧ ) .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعبٌ - يعني في قصيدته - : إذا عرَدَ السود التَّنابيل . وإنما يريدنا معشر الأنصار ؛ لما كان صاحبنا صنع به ، وخصَّ المهاجرين من قريشٍ بِمدحته ؛ غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن : [ من الكامل ]

من سَرَّه كَرُمُ الحياة فلا يَزَلْ	في مِقْنَبٍ من صالحِي الأنصارِ
ورثوا المكارم كابرًا عن كابرٍ	إنَّ الخيار همُ بنو الأخيارِ
المكرهين السَّمَهرِيَّ بأذرعٍ	كسوالف الهنديِّ غير قصارِ
والنَّاظرين بأعينٍ حمرةٍ	كالجمر غير كليلَة الأبصارِ
والبائعين نفوسهم لنبيِّهم	للموت يوم تَعانقِي وكرارِ
والقائدين الناس عن أديانهم	بالمشرفيِّ وبالقنا الخطارِ
يتطهَّرون يرونه نُسكاً لهم	بدماء من علقوا من الكفارِ
دربوا كما دربت ببطن خفيَّةٍ	غلب الرِّقاب من الأسود ضواري
وإذا حللتَ ليمنعوك إليهمُ	أصبحت عند معاقل الأغفارِ
ضربوا عليَّ يوم بدرٍ ضربةً	دانت لوقعتها جميع نزارِ
لو يعلم الأقوام علمي كلَّه	فيهم لصدَّقني الذين أماري
قومٌ إذا خوت النجوم فإنهم	للطَّارقين النازلين مقاري

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : ويقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : « لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهلٌ » . فقال كعبٌ هذه الأبيات ، وهي في قصيدة له .

قال : وبلغني عن عليِّ بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدَّثني معن بن عيسى ، حدَّثني محمد بن عبد الرحمن الأوقص ، عن ابن جدعان ، فذكره ، وهو مرسلٌ .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر ، رحمه الله ، في كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب »<sup>(٤)</sup> بعد

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٤ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١١ / ٥ ) .

(٤) ( ١٣١٣ / ٣ ) .

ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهير إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر مقدماً في طبقة هو وأخوه بُجير ، وكعب أشعرهما ، وأبوهما زهير فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهير قوله : [ من البسيط ]

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر  
يسعى الفتى لأمر ليس يُدرَكها فالنفس واحدة والهم منتشر  
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ثم أورد له ابن عبد البر أشعاراً كثيرة يطول ذكرها ولم يؤرخ وفاته ، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب « الغابة في معرفة الصحابة »<sup>(١)</sup> ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة ، فالله أعلم .

وقال السهيلي<sup>(٢)</sup> : ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح رسول الله ﷺ : [ من البسيط ]

تجري به الناقة الأدماء معتجراً بالبُرد كالبدْر جلى ليلة الظلم  
ففي عطافيه أو أثناء بُردته ما يعلم الله من دين ومن كرم

\*\*\*

## فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان

## والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوال غزوة هوازن بحنين ، وبعدها كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالٍ بقين من ذي الحجة في سفرته هذه .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجُلندي<sup>(٤)</sup>

(١) انظر « أسد الغابة » ( ٣٠٤ / ٧ ) .

(٢) انظر « الروض الأنف » ( ٣٠٤ / ٧ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ٩٥ / ٣ ) .

(٤) انظر « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ص ( ٩٦ - ١٠٠ ) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب . قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان الكلابيّ في ذي القعدة ، فاستعازت منه ﷺ ، ففارقها ، وقيل : بل خيرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال : وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية ، فاشتدّت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته فذهب فبشّر به رسول الله ﷺ فأعطاه مملوكاً ، ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد ابن الجعد بن عوف بن مبدول . وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع . وقد قدّمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لخمس بقين من رمضان منها .

قال الواقديّ : وفيها كان هدم سواع الذي كانت تعبد هذيل برهاط ، هدمه عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، ولم يجد في خزانته شيئاً . وفيها هُدم مناة بالمشلل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيد الأشهليّ ، رضي الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير « سورة النجم »<sup>(١)</sup> عند قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ ﴾ [النجم : ٢٠-١٩] .

قلت : وقد ذكر البخاريّ بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبد ويسمونه الكعبة اليمانية مضاهيةً للكعبة التي بمكة ، ويسمّون التي بمكة الكعبة الشاميّة ، ولتلك الكعبة اليمانية .

فقال البخاريّ<sup>(٢)</sup> : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ » فقلت : بلى . فانطلقت في خمسين ومئة فارسٍ من أحمس ، وكانوا أصحاب خيلٍ ، وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده على صدري ، وقال : « اللهم ثبتّه واجعله هادياً مهدياً » . قال : فما وقعت عن فرسٍ بعدُ . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة ، فيه نصبٌ تعبد ، يقال له : الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرّقها في النار وكسرها . قال : فلما قدم جريرُ اليمن كان بها رجلٌ يستقسم بالأزلام ، ف قيل له : إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير ، فقال : لتكسرنّها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربنّ عنقك . فكسرها وشهد . ثم بعث جريرُ رجلاً من أحمس يكتي أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك ، قال : فلما

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٤٣٠ / ٧ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٥٧ ) .

أتى رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جملٌ أجرب .  
 قال : فبرك رسول الله ﷺ على خيل أحمرس ورجالها خمس مراتٍ .  
 ورواه مسلم<sup>(١)</sup> من طرقٍ متعددةٍ ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيس بن أبي حازمٍ ، عن جرير بن عبد الله البجليّ بنحوه .

\*\*\*

(١) رواه مسلم رقم ( ٢٤٧٦ ) ( ١٣٧ ) .

## سنة تسع من الهجرة

## ذكر

غزوة تبوك<sup>(١)</sup> في رجب منها

قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢٨] قَنِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ [التوبة : ٢٨-٢٩] .

روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والضحاك وغيرهم ، أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش : لينقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج ، وليذهبن ما كنا نصيب منها ، فعوضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله ﷺ على قتال الرُّوم ؛ لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق ؛ لقربهم إلى الإسلام وأهله .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَنِيلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الرُّوم عام تبوك - وكان ذلك في حرٍّ شديد وضيق من الحال - جلى للناس أمرها ودعا من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه ، فأوعب معه بشرٌ كثيرٌ ، كما سيأتي ، قريباً من ثلاثين ألفاً ، وتخلّف آخرون ، فعاتب الله من تخلّف منهم لغير عذرٍ من المنافقين والمقصرين ، ولامهم ووبّخهم وقرّعهم أشدَّ القرع ، وفضحهم أشدَّ الفضيحة ، وأنزل فيهم قرآناً يتلى ويبين أمرهم في

(١) انظر أخبارها في «الاكتفا بمغازي الرسول والثلاثة خلفا» و«الروض الأنف» (٣٠٤/٧) و«عيون الأثر» (٢٩٢/٢) و«زاد المعاد» (٤٦٠/٣) و«الفصول في سيرة الرسول» ص(٢١٠) و«شذرات الذهب» (١٢٨/١) بتحقيقي .



سورة « براءة » كما قد بيّنا ذلك مبسوطاً في « التفسير »<sup>(١)</sup> وأمر المؤمنين بالنّفر على كلّ حال . فقال تعالى : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ثم الآيات بعدها [ التوبة : ٤١ - ٤٢ ] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [ التوبة : ١٢٢ ] . فقيل : إن هذه ناسخة لتلك . وقيل : لا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب يعني من سنة تسع ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . فذكر الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلّ يحدث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض ، أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسرة من الناس وشدة من الحرّ وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشّحوص في الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يبينها للناس ، لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد إليه ليتأهب الناس لذلك أهبطه ، فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك ، للجدّ بن قيس أحد بني سلمة : « يا جدّ ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجل بأشدّ عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : « قد أذنت لك » . ففي الجدّ أنزل الله هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَتَذُنُ لِي وَلَا نَقِيَّتِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [ التوبة : ٤٩ ] .

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحرّ ، زهادة في الجهاد وشكاً في الحقّ وإرجافاً بالرسول ﷺ ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿ [ التوبة : ٨١ - ٨٢ ] .

قال ابن هشام<sup>(٣)</sup> : حدثني الثقة ، عمّن حدّثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٩٤ / ٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ( ٥١٥ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » ( ٥١٧ / ٢ ) .

إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدّه قال : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُويْلَم اليهوديِّ - وكان بيته عند جاسوم - يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُويْلَم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضّحّاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضّحّاك في ذلك :  
[ من الطويل ]

كَادَتْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ      يَشِيطُ بِهَا الضّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقٍ  
وَوَلَّتْ وَقَدْ طَبَّقَتْ كَبَسَ سَوَيْلَمٍ      أَنْوَأَ عَلَى رَجُلِي كَسِيرًا وَمَرْفَقِي  
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُوذُ لِمِثْلِهَا      أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقُ

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم إن رسول الله ﷺ جدّ في سفره وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله ، فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفّان نفقةً عظيمةً لم ينفق أحدٌ مثلها .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : فحدّثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العُسرة في غزوة تبوك ألف دينارٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ اَرْضْ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدّثنا هارون بن معروف ، ثنا ضمرة ، ثنا عبد الله بن شاذب ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عفّان إلى النبي ﷺ بألف دينارٍ في ثوبه حين جهّز النبي ﷺ جيش العسرة . قال : فصَبَّها في حجر النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ، ويقول : « مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ » .

ورواه الترمذي<sup>(٤)</sup> ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقع ، عن ضمرة به . وقال : حسنٌ غريبٌ .

وقاله عبد الله بن أحمد في « مسند » أبيه<sup>(٥)</sup> : حدّثني أبو موسى العزّي ، حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، حدّثني سكن بن المغيرة ، حدّثني الوليد بن أبي هشام ، عن فرقد أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن خبّاب السّلمي قال : خطب النبي ﷺ فحثّ على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفّان : عليّ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثّ ، فقال عثمان : عليّ مئة أخرى

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٧/٢ - ٥١٨ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٨/٢ ) .

(٣) في « المسند » ( ٦٣/٥ ) ، وإسناده حسن .

(٤) رواه الترمذي رقم ( ٣٧٠١ ) .

(٥) انظر « أطراف المسند » ( ٢٥٧/٤ ) .

بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يُحرّكها ، وأخرج عبد الصّمد يده ، كالمتعجب : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وهكذا رواه الترمذي<sup>(١)</sup> ، عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن سكن بن المغيرة أبي محمد مولى لآل عثمان به . وقال : غريبٌ من هذا الوجه .

ورواه البيهقي<sup>(٢)</sup> ، من طريق عمرو بن مرزوق ، عن سكن بن المغيرة به . وقال : ثلاث مرات ، وإنه التزم بثلاثمئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « ما ضرَّ عثمان بعدها » . أو قال : « بعد اليوم » .

وقال أبو داود الطيالسي<sup>(٣)</sup> : حدّثنا أبو عوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوران ، عن الأحنف بن قيس قال : سمعت عثمان بن عفّان يقول لسعد بن أبي وقاصٍ وعليّ والزبير وطلحة : أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من جهّز جيش العسرة غفر الله له » فجّهّزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقلاً . قالوا : اللهم نعم .

ورواه النسائي<sup>(٤)</sup> من حديث حصين به .

\*\*\*

## فصل

### فيمن تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أَُولُوا الطَّلَاقِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣٧٠٠ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١٤ / ٥ ) .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم ( ٨٢ ) بتحقيق الدكتور محمد عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطل في تخريجه فليراجع .

(٤) رواه النسائي رقم ( ٣٦٠٨ ) ، وهو حديث صحيح .

لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتُ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٦﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ [التوبة : ٨٦ - ٩٣] . قد تكلمنا على تفسير هذا كله في « التفسير »<sup>(١)</sup> بما فيه كفاية ، والله الحمد والمِنَّة .

والمقصود ذكر البكائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم ، حتى يصحبوه في غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظَّهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يكونون ؛ تأسفًا على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله ، والنَّفقة فيه .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكانوا سبعة من الأنصار وغيرهم ؛ فمن بني عمرو بن عوفٍ سالم بن عمير ، وعُلبة بن زيدٍ أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النَّجَّار ، وعمرو بن الحُمَام بن الجَمُوح أخو بني سلَمة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقولون : بل هو عبد الله بن عمرو المزني . وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية الفزاري .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النَّضريّ لقي أبا ليلى ، وعبد الله بن مغفلٍ وهما يبيكان ، فقال : ما يبيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحاً له فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع النبي ﷺ . زاد يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : وأما عُلبة بن زيدٍ فخرج من الليل ، فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به . ولم تجعل في يد رسولك ﷺ ما يحملني عليه ، وإنني أتصدّق على كلِّ مسلمٍ بكلِّ مظلمةٍ أصابني فيها ؛ في مالٍ أو جسدٍ أو عرضٍ . ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « أين المتصدّق هذه الليلة ؟ » فلم يقم أحدٌ ، ثم قال : « أين المتصدّق ؟ فليقم » . فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « أبشر ، فوالذي نفسي بيده ، لقد كُتبت في الزكاة المتقبلة » .

وقد أورد الحافظ البيهقي<sup>(٤)</sup> هاهنا حديث أبي موسى الأشعريّ ، فقال : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي ، حدّثنا أبو أسامة ، عن بُريد ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحُمَلاَن ، إذ هم معه في جيش العُسرة ، وهو في غزوة تبوك ، فقلت : يا نبيّ الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شيء » . ووافقه وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزيناً من منع

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » ( ١٣٥ / ٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٨ / ٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٨ / ٢ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢١٦ / ٥ ) .

رسول الله ، ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله ﷺ ، فلم ألبث إلا سُويعَةً إذ سمعت بلالاً ينادي : أين عبد الله بن قيس ؟ فأجبتة فقال : أجب ، رسول الله ﷺ يدعوك . فلَمَّا أتيت رسول الله ﷺ قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » . لست أبعرة ابتاعهنَّ حيثنَّ من سعدٍ ، فقال : « انطلق بهنَّ إلى أصحابك ، فقل : إن الله - أو قال : إن رسول الله - يحملكم على هؤلاء ، فاركبوهم » فقلتُ : إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ حين سألته لكم ، ومنعه لي في أول مرة ، ثم إعطاءه إياي بعد ذلك ، لا تظنُّوا أنَّي حدَّثتكم شيئاً لم يقله . فقالوا لي : والله إنَّك عندنا لمصدِّقٌ ولنفعِلنَّ ما أحببت . قال : فانطلق أبو موسى بنفِرٍ منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ﷺ من منعه إياهم ، ثم إعطاءه بعد ، فحدَّثوهم بما حدَّثهم به أبو موسى سواءً . وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ<sup>(١)</sup> جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة . وفي روايةٍ لهما<sup>(٢)</sup> ، عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله في رهطٍ من الأشعرِيِّين ليحملنا ، فقال : « والله ما أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه » . قال : ثم جيء رسولُ الله ﷺ بنهبٍ إيلٍ ، فأمر لنا بستٌ ذودٍ غرَّ الدُّرى ، فأخذناها ، ثم قلنا : تغفلنا رسول الله ﷺ يمينه ، والله لا يبارك لنا . فرجعنا له فقال : « ما أنا حملتكم ، ولكنَّ الله حملكم » . ثم قال : « إنِّي والله ، إن شاء الله ، لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خيرٌ وتحللتها » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأَتْ بهم النِّية حتى تخلفوا عن رسول الله ﷺ من غير شكٍّ ولا ارتيابٍ ؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعبٍ أخو بني سلَمة ، ومرارة بن ربعٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ ، وهلال بن أمية أخو بني واقفٍ ، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ، وكانوا نفر صدقٍ لا يُتهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسطة قريباً ، إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰهِ ﴾ [التوبة : ١١٨] .

وأما أبو خيثمة ، فإنَّه عاد وعزم على اللُّحوق برسول الله ﷺ ، كما سيأتي .

\*\*\*

(١) رواه البخاري رقم (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩) (٨) .

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٣٣) ومسلم (١٦٤٩) (٧) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٥١٩/٢) .

## فصل

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم استتب برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير ، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضرب عبد الله بن أبيّ عدو الله عسكره أسفل منه ، وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبيّ في طائفة من المنافقين وأهل الرّيب .

قال ابن هشام<sup>(٢)</sup> : واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري . قال : وذكر الدّراوردي أنه استخلف عليها عام تبوك سباع بن عُرْفطة .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : وخلف رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً له وتخفّفاً منه . فلما قالوا ذلك أخذ عليّ سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف ، فأخبره بما قالوا فقال : « كذبوا ولكنّي خلّفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيّ بعدي ؟ » فرجع عليّ ، ومضى رسول الله ﷺ في سفره .

ثم قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعليّ هذه المقالة .

وقد روى البخاري ومسلم<sup>(٥)</sup> هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطّيالسي في « مسنده »<sup>(٦)</sup> : حدّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : خلف رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ، أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي ؟ » وأخرجاه من طرق ، عن شعبة نحوه . وعلّق البخاري أيضاً من طريق أبي داود ، عن شعبة .

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢١٩/٥ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٩/٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥١٩/٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٠/٢ ) .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٣٧٠٦ ) ومسلم رقم ( ٢٤٠٤ ) .

(٦) رقم ( ٢٠٦ ) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطلال في تخريجه فليراجع .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ بَكِيرِ بْنِ مَسْمَارٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ وَخَلْفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَخَلَّفَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟ » وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup> ، عَنْ قُتَيْبَةَ ، زَادَ مُسْلِمٌ : وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بِهِ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثُمَّ إِنَّ أَبَا خَيْثَمَةَ رَجَعَ بَعْدَمَا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيَّاماً إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ لَهْمَا فِي حَائِطِهِ ، قَدْ رَشَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا ، وَبَرَّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً ، وَهَيَّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَاماً ، فَلَمَّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الضَّحِّ وَالرَّيْحِ وَالْحَرِّ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ فِي ظِلِّ بَارِدٍ وَطَعَامٍ مُهَيَّأً وَامْرَأَةٍ حَسَنَاءَ ، فِي مَالِهِ مَقِيمٌ ! مَا هَذَا بِالنَّصَفِ . وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتَّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهَيَّأَ زَاداً . ففعلتا ، ثُمَّ قَدَّمَ نَاضِحَهُ فَارْتَحَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَدْرَكَهُ حِينَ نَزَلَ تَبُوكَ ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيْثَمَةَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبٍ الْجَمَحِيُّ فِي الطَّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَرَاقَا ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعَمِيرِ بْنِ وَهَبٍ : إِنَّ لِي ذَنْباً فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْلَفَ عَنِّي حَتَّى آتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . ففعل حتى إذا دنا من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : « أُولَى لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ ! » . ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ الْخَبَرَ ، فَقَالَ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

وقد ذكر عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَمُوسَى بْنُ عُقْبَةَ قِصَّةَ أَبِي خَيْثَمَةَ بِنَحْوِ مِنْ سِيَاقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ وَأَبَسَطَ ، وَذَكَرَ أَنَّ خُرُوجَهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى تَبُوكَ كَانَ فِي زَمَنِ الْخَرِيفِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن هشام<sup>(٤)</sup> : وَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ قَيْسٍ ، فِي ذَلِكَ : [ مِنَ الطَّرِيلِ ]

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافِقُوا	أَتَيْتُ الَّتِي كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيَمَنِ يَدِي لِمُحَمَّدٍ	فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مُحَرَّمَا
تَرَكْتُ خَضِييًّا فِي الْعَرِيشِ وَصِرْمَةً	صَفَايَا كِرَامًا بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ الْمُنَافِقُ أَسْمَحْتُ	إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّمَا

(١) في « المسند » ( ١٨٥ / ١ ) .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم ( ٢٤٠٤ ) ، والتِّرْمِذِيُّ رقم ( ٣٧٢٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٠ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢١ / ٢ ) .

قال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود قال : لَمَّا سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان . فيقول : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . حتى قيل : يا رسول الله ، تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره . فقال : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . فتلوم أبو ذرٍّ بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازل ، ونظر ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذرٍّ » . فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذرٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . قال : فضرب الدهر من ضربه ، وسير أبو ذرٍّ إلى الرَبْذة ، فلما حضره الموت أوصى امرأته وعلامة فقال : إذا متُّ فاغسلاني وكفّناني من الليل ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركبٍ يمرُّون بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ . فلما مات فعلوا به كذلك ، فاطَّلَعَ ركبٌ ، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريرته ، فإذا ابن مسعودٍ في رهطٍ من أهل الكوفة فقال : ما هذا ؟ فقيل : جنازة أبي ذرٍّ . فاستهلَّ ابن مسعودٍ يبكي ، وقال : صدق رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فنزل فوليه بنفسه حتى أجنَّه . إسناده حسنٌ ، ولم يُخرَّجوه<sup>(١)</sup> .

قال الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجلان والثلاثة على بعيرٍ واحدٍ ، وخرجوا في حرٍّ شديدٍ ، فأصابهم في يومٍ عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرةً في النفقة وعسرةً في الظَّهر .

قال عبد الله بن وهبٍ : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلالٍ ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبيرٍ ، عن عبد الله بن عباسٍ أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدَّثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظٍ شديدٍ ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطشٌ حتى ظننَّا أن رقابنا ستقطع ، حتى إن كان أحدها ليذهب فيلتمس الرَّحْلَ فلا يرجع حتى يظنَّ أن رقبته ستقطع ، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره

(١) هذا اجتهاده رحمه الله في تحسين الحديث ، فالحديث إسناده ضعيف لضعف بريدة بن سفيان الأسلمي ، ضعفه البخاري والنسائي والجوزجاني وأبو حاتم الرازي ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال العقيلي : سئل أحمد عن حديثه فقال : بلية ! (كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب ١/١٦٨ ) ولعل هذا هو الذي دعاهم إلى عدم تخريجه . قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : وفي السيرة النبوية لابن إسحاق بسند ضعيف .

(٢) رواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٥/٢٢٧ ) ، وهو في « تفسير عبد الرزاق » مرسلًا .



فيعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا . فقال : « أتحب ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر . إسناده جيد ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق<sup>(١)</sup> ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه أن هذه القضية كانت وهم بالحجر ، وأنهم قالوا للرجل معهم منافق : ويحك ! هل بعد هذا من شيء ؟ ! فقال : سحابة مارة . وذكر أن ناقة رسول الله ﷺ ضلت ، فذهبوا في طلبها ، فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن حزم الأنصاري - وكان عنده - : « إن رجلاً قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبيٌّ ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة . وإنني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، هي في الوادي قد حبستها شجرة بزماتها » . فانطلقوا فجاؤوا بها فرجع عمارة إلى رحله ، فحدثهم عما جاء رسول الله ﷺ من خبر الرجل ، فقال رجلٌ ممن كان في رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللصيت ، وكان في رحل عمارة قبل أن يأتي ، فأقبل عمارة على زيدٍ يجأ في عنقه ويقول : إن في رحلي لداهية وأنا لا أدري ، اخرج عني يا عدو الله . فلا تصحبني . فقال بعض الناس : إن زيدا تاب . وقال بعضهم : لم يزل مصرّاً حتى هلك .

قال الحافظ البيهقي<sup>(٢)</sup> : وقد روي من حديث ابن مسعودٍ شبيهاً بقصة الراحلة . ثم روى من حديث الأعمش ، وقد رواه الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أو عن أبي سعيد الخدري - شك الأعمش - قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةً ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فتنحر نواضحنا ، فأكلنا وادّهنا . فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » . فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إن فعلت قلّ الظّهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفّ ذرة ، ويجيء الآخر بكفّ من التمر ، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » . فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله ، لا يلقي الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة » . ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> ، عن أبي كريب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش به .

(١) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٣١ / ٥ ) .

(٢) في « دلائل النبوة » ( ٢٣٢ / ٥ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ١١ / ٣ ) .

(٤) في « صحيحه » ( ٢٧ ) ( ٤٥ ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه الإمام أحمد<sup>(١)</sup> من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . ولم يذكر غزوة تبوك ، بل قال : كان في غزوة غزاها .

## ذكر

### مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك بمساكن ثمود وصرحتهم بالحجر

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مياهها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً » . هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا يعمر بن بشر ، حدثنا عبد الله - هو ابن المبارك - أخبرنا معمر ، عن الزُّهري ، أخبرني سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ لمَّا مرَّ بالحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ؛ أن يصيبكم ما أصابهم » . وتفتح بردائه وهو على الرَّحْل .

ورواه البخاري<sup>(٤)</sup> من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن معمر بإسناده نحوه .

وقال مالك<sup>(٥)</sup> ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، أن يصيبكم مثل ما أصابهم » . ورواه البخاري<sup>(٦)</sup> من حديث مالك ومن حديث سليمان بن بلال ، كلاهما عن عبد الله بن دينار .

ورواه مسلم<sup>(٧)</sup> من وجه آخر ، عن عبد الله بن دينار نحوه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٨)</sup> : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا صخر - هو ابن جويرية - عن نافع ، عن ابن عمر

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٢١ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢١ / ٢ ) .

(٣) في « المسند » ( ٦٦ / ٢ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٣٨٠ ) و ( ٤٤١٩ ) .

(٥) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » ( ٢٣٣ / ٥ ) .

(٦) رواه البخاري في « صحيحه » رقم ( ٤٣٣ ) و ( ٤٤٢٠ ) و ( ٤٧٠٢ ) من حديث مالك ، و ( ٣٣٧٨ ) من حديث سليمان بن بلال .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٢٩٨٠ ) .

(٨) في « المسند » ( ١١٧ / ٢ ) .

قال : نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » . وهذا الحديث إسناده على شرط « الصحيحين » من هذا الوجه ، ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup> من حديث أنس بن عياض أبي ضمرة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر به . قال البخاري : وتابعه أسامة ، عن نافع .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله ، عن نافع به .

وقال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مرَّ النبي ﷺ بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحة أهدم الله من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله » . قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : « هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » . إسناده صحيح ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماري ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنودي في الناس : الصلاة جامعة . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسكٌ بغيره وهو يقول : « ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم ؟ » فناداه رجلٌ منهم : نعجب منهم [ يا رسول الله ] . قال : « أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائنٌ بعدكم ، فاستقيموا وسددوا ، فإن الله لا يعاب بعبادكم شيئاً ، وسيأتي قومٌ لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً » . إسناده حسن ، ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بكير<sup>(٥)</sup> ، عن ابن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن العباس بن سهل بن سعيد الساعدي - أو عن العباس ، [ عن سهل ] بن سعيد ، الشكُّ مني - أن رسول الله ﷺ حين مرَّ

(١) رواه البخاري رقم ( ٣٣٧٩ ) ومسلم رقم ( ٢٩٨١ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ٢٩٨١ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٦ / ٣ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٣١ / ٤ ) ، وإسناده ضعيف .

(٥) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٤٠ / ٥ ) .

بالحجر ونزلها استقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ للناس : « لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له » . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له ؛ فأما الذي ذهب لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره ، فاحتلمته الريح حتى ألقته بجبلي طييء ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « ألم أنهيكم أن يخرج رجلٌ إلا ومعه صاحبٌ له ؟ » ثم دعا للذي أُصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ [ حين قدم ] من تبوك - وفي رواية زيادٍ ، عن ابن إسحاق أن طيئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة - قال ابن إسحاق : وقد حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ أن العباس بن سهلٍ سمى له الرجلين ، لكنه استكتمه إياهما ، فلم يحدثني بهما .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدَّثنا عفان ، حدَّثنا وهيب بن خالد ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعيد الساعدي ، عن أبي حميد الساعدي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأةٌ في حديقةٍ لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « احرصوا » . فحرص القوم وحرص رسول الله ﷺ عشرة أوسقٍ ، وقال رسول الله ﷺ للمرأة : « أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » . قال : فخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : « إنها ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقومنَّ فيها رجلٌ ، فمن كان له بعيرٌ فليوثق عقاله » . قال أبو حميد : فعقلناها ، فلما كان من الليل ، هبَّت علينا ريحٌ شديدةٌ ، فقام فيها رجلٌ فألقته في جبل طييء ، ثم جاء رسول الله ﷺ ملك أيلة ، فأهدى لرسول الله ﷺ بغلةً بيضاء ، وكساه رسول الله ﷺ برداً ، وكتب له ببحرهم ، ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى ، فقال للمرأة : « كم جاءت حديثك ؟ » قالت : عشرة أوسقٍ ، حرص رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « إني متعجلٌ ، فمن أحبَّ منكم أن يتعجلَ فليفعل » . قال : فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة ، قال : « هذه طابة » . فلما رأى أحدًا قال : « هذا أحدٌ ، يحبُّنا ونحبُّه ، ألا أخبركم بخيرٍ دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كلِّ دور الأنصار خيرٌ » .

وأخرجه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup> من غير وجهٍ عن عمرو بن يحيى به نحوه .

وقال الإمام مالك<sup>(٣)</sup> ، رحمه الله ، عن أبي الزبير ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبل

(١) في « المسند » ( ٤٢٤ / ٥ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٤٨١ ) و ( ١٨٧٢ ) و ( ٣١٦١ ) و ( ٣٧٩١ ) و ( ٤٤٢٢ ) ومسلم رقم ( ١٣٩٢ ) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » ( ١٤٣ / ١ - ١٤٤ ) .

أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء . قال : فأخّر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ، ثم خرج فصلّى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : « إنكم ستأتون غداً ، إن شاء الله ، عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي » . قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء ، فسألهما رسول الله ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » قالا : نعم . فسبّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً » .

وأخرجه مسلم<sup>(١)</sup> من حديث مالك به .

\*\*\*

## ذكر

خطبته ، عليه الصلاة والسلام ،

في تبوك إلى نخلة هناك

روى الإمام أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، ويونس بن محمد المؤدّب ، وحبّاج بن محمد ، ثلاثتهم عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسندٌ ظهره إلى نخلة فقال : « ألا أخبركم بخير الناس وشرّ الناس ؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه ، أو على ظهر بعيره ، أو على قدميه ، حتى يأتيه الموت ، وإن من شرّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه » . ورواه النسائي<sup>(٣)</sup> ، عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقي<sup>(٤)</sup> من طريق يعقوب بن محمد الزُّهري ، عن عبد العزيز بن عمران ، حدّثنا عبد الله بن مصعب بن منظور بن جميل بن سنان ، أخبرني أبي ، سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح ، قال :

(١) رواه مسلم رقم (٧٠٦) (١٠) في الفضائل : باب من معجزات النبي ﷺ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣٧/٣) و(٤١/٣) و(٥٧/٣) .

(٣) رواه النسائي رقم (٣١٠٦) وإسناده ضعيف .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢٤١/٥) .

«ألم أقل لك يا بلال : اكلاً لنا الفجر؟» فقال : يا رسول الله ، ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك . قال : فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيد ، ثم صلى وسار بقية يومه وليلته ، فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : «أيها الناس ، أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما أتبع ، وشرّ العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى ، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت ، وشرّ الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبُرًا ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجرًا ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، عز وجل ، وخير ما قر في القلوب اليقين ، والارتياح من الكفر ، والنيّاحة من عمل الجاهليّة ، والغلول من جثى جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشرّ المكاسب كسب الرّبا ، وشرّ المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمّه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشرّ الرّوايا روايا الكذب ، وكلّ ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألّ على الله يكذبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعف الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرّزية يعوّضه الله ، ومن يتبع السّمة يسمّع الله به . ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذب الله ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي . قالها ثلاثاً ، ثم قال : «أستغفر الله لي ولكم» . وهذا حديث غريب ، وفيه نكارة ، وفي إسناده ضعف ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وقال أبو داود<sup>(١)</sup> : ثنا أحمد بن سعيد الهمداني ، وسليمان بن داود قالا : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني معاوية ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاج ، فإذا رجل مقعد ، فسأله عن أمره فقال : سأحدثك حديثاً ، فلا تحدّث به ما سمعت أني حي ؛ إنّ رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلى نخلة فقال : « هذه قبلتنا » . ثم صلى إليها . قال : فأقبلت وأنا غلام أسعى ، حتى مررت بينه وبينها ، فقال : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » . قال : فما قمت عليها إلى يومي هذا .

ثم رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> من حديث سعيد بن عبد العزيز التّوخّي ، عن مولى ليزيد بن نمران ، عن يزيد بن

(١) رواه أبو داود رقم (٧٠٧) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم (٧٠٥) ، وإسناده ضعيف .

نمران قال : رأيت بتبوك مُقعداً فقال : مررت بين يدي رسول الله ﷺ وأنا على حمارٍ ، وهو يصلي ، فقال : « اللهم اقطع أثره » .

فما مشيت عليها بعدُ .

وفي رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره »<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

## ذكر

### الصَّلَاةُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ<sup>(٢)</sup>

#### إِنْ صَحَّ الْخَبَرُ فِي ذَلِكَ

روى البيهقي<sup>(٣)</sup> من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفي قال : سمعت أنس بن مالك قال : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونورٍ لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريل رسول الله فقال : « يا جبريل ، ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياء ونورٍ وشعاعٍ لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملكٍ يصلُّون عليه . قال : « وممَّ ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] بالليل والنهار ، وفي ممشاه وفي قيامه وعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فصلَّى عليه ثم رجع . وهذا الحديث فيه غرابةٌ شديدةٌ ونكارةٌ ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيد هذا ، وقد تكلموا فيه .

ثم قال البيهقي<sup>(٤)</sup> : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصَّفَّار ، حدَّثنا هشام بن علي ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدَّثنا محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس قال : جاء جبريل فقال : يا محمد ، مات معاوية بن مُعَاوِيَةَ الْمُزْنِي ، أفتحبُّ أن تصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه ، فلم يبق من شجرةٍ ولا أكمةٍ إلا تضعضعت له . قال : فصلَّى وخلفه صفَّان من الملائكة ، في كل صفٍّ سبعون ألف ملك . قال : قلت : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبه ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقرؤها قائماً وقاعداً ، وذاهباً وجائياً ، وعلى كلِّ حالٍ . قال عثمان :

(١) وهي عند أبي داود رقم ( ٧٠٦ ) وهي ضعيفة .

(٢) ترجمته في « تجريد أسماء الصحابة » ( ٨٣ / ٢ ) و « الإصابة في تمييز الصحابة » ( ٤٣٦ / ٣ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٤٥ / ٥ ) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٤٦ / ٥ ) .

فسألت أبي : أين كان النبي ﷺ ؟ قال : بغزوة تبوك بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلى عليه ، وهذا أيضاً منكرٌ من هذا الوجه .

\*\*\*

### قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك

قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ خَثِيمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ قَالَ : لَقِيتُ التَّنُوخِيَّ رَسُولَ هِرْقَلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَمَصٍ ، وَكَانَ جَاراً لِي شَيْخاً كَبِيراً قَدْ بَلَغَ الْفَنَدَ أَوْ قُرْبَ . فَقُلْتُ : أَلَا تَخْبِرُنِي عَنْ رِسَالَةِ هِرْقَلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى هِرْقَلٍ ؟ فَقَالَ : بَلَى ، قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَبُوكَ ، فَبَعَثَ دَحِيَةَ الْكَلْبِيِّ إِلَى هِرْقَلٍ ، فَلَمَّا جَاءَهُ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَعَا قَسْيِسِي الرُّومِ وَبِطَارِقَتَهَا ، ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الدَّارَ ، فَقَالَ : قَدْ نَزَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ ، وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيَّ يَدْعُونِي إِلَى ثَلَاثِ خَصَالٍ ؛ يَدْعُونِي إِلَى أَنْ أَتَّبِعَهُ عَلَى دِينِهِ ، أَوْ عَلَى أَنْ نَعْطِيَهُ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا وَالْأَرْضِ أَرْضُنَا ، أَوْ نَلْقَى إِلَيْهِ الْحَرْبَ ، وَاللَّهُ لَقَدْ عَرَفْتُمْ فِيمَا تَقْرَأُونَ مِنَ الْكُتُبِ لِيَأْخُذَنَّ [ مَا تَحْتَ قَدَمِي ] فَهَلُمَّ فَلْتَتَّبِعْهُ عَلَى دِينِهِ أَوْ نَعْطِهِ مَالَنَا عَلَى أَرْضِنَا . فَنَخْرُوا نَخْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ بَرَانِسِهِمْ ، وَقَالُوا : تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَنْذِرَ النَّصْرَانِيَّةَ أَوْ نَكُونَ عِبِيداً لِأَعْرَابِيِّ جَاءَ مِنَ الْحِجَازِ ؟ فَلَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنْ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ أَفْسَدُوا عَلَيْهِ الرُّومَ رَفَأَهُمْ وَلَمْ يَكِدْ ، وَقَالَ : إِنَّمَا قُلْتُ ذَلِكَ لَكُمْ لِأَعْلَمَ صَلَابَتَكُمْ عَلَى أَمْرِكُمْ . ثُمَّ دَعَا رَجُلًا مِنْ عَرَبٍ تُجِيبُ كَانَ عَلَى نَصَارَى الْعَرَبِ ، قَالَ : ادْعُ لِي رَجُلًا حَافِظًا لِلْحَدِيثِ عَرَبِيٍّ اللَّسَانَ أَبْعَثْهُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بِجَوَابِ كِتَابِهِ . فَجَاءَ بِي فَدَفَعَ إِلَيَّ هِرْقَلُ كِتَابًا ، فَقَالَ : اذْهَبْ بِكِتَابِي إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَمَا سَمِعْتَ مِنْ حَدِيثِهِ فَاحْفَظْ لِي مِنْهُ ثَلَاثَ خَصَالٍ ؛ انْظُرْ هَلْ يَذْكُرُ صَحِيفَتَهُ الَّتِي كَتَبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ، وَانْظُرْ إِذَا قَرَأَ كِتَابِي فَهَلْ يَذْكُرُ اللَّيْلَ ، وَانْظُرْ فَيُظْهِرُهُ هَلْ بِهِ شَيْءٌ يَرِيكَ . قَالَ : فَانْطَلَقْتُ بِكِتَابِهِ حَتَّى جِئْتُ تَبُوكَ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابَهُ مُحْتَبِئًا عَلَى الْمَاءِ ، فَقُلْتُ : أَيْنَ صَاحِبُكُمْ ؟ قِيلَ : هَا هُوَ ذَا . فَأَقْبَلْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَنَاولَتْهُ كِتَابِي ، فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ : « مِمَّنْ أَنْتَ ؟ » فَقُلْتُ : أَنَا أَخُو تَنُوخَ . قَالَ : « هَلْ لَكَ إِلَى الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ؟ » قُلْتُ : إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَعَلَى دِينِ قَوْمٍ ، لَا أَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ . فَضَحِكَ وَقَالَ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [ القصص : ٥٦ ] يَا أَخَا تَنُوخَ ، إِنِّي كَتَبْتُ بِكِتَابِي إِلَى كَسْرَى فَمَزَّقَهُ ، وَاللَّهُ مَمزَّقُهُ وَمَمزَّقُ مُلْكِهِ ، وَكَتَبْتُ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِصَحِيفَةٍ فَخَرَّقَهَا ، وَاللَّهُ مُخَرِّقُهُ ، وَمُخَرِّقُ مُلْكِهِ ، وَكَتَبْتُ إِلَى صَاحِبِكِ بِصَحِيفَةٍ فَأَمْسَكَهَا ، فَلَنْ يَزَالَ النَّاسُ يَجِدُونَ مِنْهُ بَأْسًا مَا دَامَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ . قُلْتُ :

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٤٤١ / ٣ - ٤٤٢ ) ، وإسناده ضعيف ، سعيد بن أبي راشد فيه جهالة .



هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي . فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية . فإذا في كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار ؟ ! » قال : فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي . فلما أن فرغ من قراءة كتابي ، قال : « إن لك حقاً وإنك رسول ، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها ، إننا سفر مرملون » . قال : فناده رجلاً من طائفة الناس ، قال : أنا أجوزه . ففتح رحله ، فإذا هو يأتي بحلة صقورية فوضعها في حجري ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لي : عثمان . ثم قال رسول الله : « أيكم ينزل هذا الرجل ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله فقال : « تعال يا أخا تنوخ » . فأقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه ، فحلّ حُبوته عن ظهره ، وقال : « هاهنا امض لما أمرت به » . فجُلت في ظهره ، فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحجمة الضخمة . هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به ، تفرد به الإمام أحمد .

\*\*\*

## ذكر

مصالحته ، عليه الصلاة والسلام ، ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح

وهو مخيم على تبوك قبل رجوعه

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رُؤبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم ، فكتب لِيُحَنَّة بن رُؤبة وأهل أيلة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله لِيُحَنَّة بن رُؤبة وأهل أيلة ، سُفْنهم وسيارتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوه ماءً يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر » .

زاد يونس بن بكير<sup>(٢)</sup> ، عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتاب جُهِيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٥٢٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٥ / ٢٤٨ ) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكتب لأهل جرباء وأذرح : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مئة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة ، وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » . قال : وأعطى النبي ﷺ أهل أيلة برده مع كتابه أماناً لهم . قال : فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاثمائة دينار .

\*\*\*

### بَعَثُهُ ، عليه الصلاة والسلام ، خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ؛ رجل من كندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله ﷺ لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، وباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له . وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له : حسان . فركب وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقّتهم خيل النبي ﷺ ، فأخذته وقتلوا أخاه ، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . قال : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : ثم إن خالد بن الوليد لما قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ حقن له دمه فصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من بني طيء - يقال له : بُجير بن بَجرة - في ذلك : [ من الوافر ]

تبارك سائق البقرات إنني رأيت الله يهدي كل هاد  
فمن يك حائداً عن ذي تبوك فإننا قد أمرنا بالجهاد

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٤٨/٥ - ٢٤٩ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٦/٢ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٦/٢ - ٥٢٧ ) .

وقد حكى البيهقي<sup>(١)</sup> أن رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر : لا يفضض الله فاك . فأنت عليه تسعون سنة ما تحرك له فيها ضررٌ ولا سنٌ .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، أن رسول الله ﷺ بعث خالداً مرجعه من تبوك في أربعمئة وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة . فذكر نحوه ما تقدم ، إلا أنه ماكره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنه قدم مع أكيدر إلى رسول الله ﷺ ثمانمئة من السبي ، وألف بعير ، وأربعمئة درع ، وأربعمئة رُمح ، وذكر أنه لما سمع عظيم أيلة يُحنّ بن روبة بقضية أكيدر دومة أقبل قادماً على رسول الله ﷺ ليصالحه ، فاجتمعا عند رسول الله ﷺ بتبوك ، فالله أعلم .

وروى يونس بن بكير<sup>(٢)</sup> ، عن سعد بن أوس ، عن بلال بن يحيى ، أن أبا بكر الصديق كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دومة الجندل ، فالله أعلم .

\*\*\*

## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلةً بتبوك لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة . قال : وكان في الطريق ماءً يخرج من وشلٍ ، يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بواٍ يقال له : وادي المشقق . فقال رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه » . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » ف قيل له : يا رسول الله ، فلانٌ وفلانٌ . فقال : « أو لم أنهم أن يستقوا منه حتى آتاه ؟ » ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حساً كحسّ الصّواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعنّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : وحَدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيت شُعلةً من نارٍ في ناحية

(١) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٥١ / ٥ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٥٣ / ٥ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٧ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٧ / ٢ ) .

العسكر ، فاتَّبعَها أنظر إليها . قال : فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرة ، وأبو بكرٍ وعمر يدليانه إليه ، وإذا هو يقول : « أدنيا إليَّ أخاكما » . فدلياه إليه ، فلمَّا هيَّأه لشقِّه قال : « اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه » . قال : يقول ابن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام<sup>(١)</sup> : إنّما سمِّي ذا البجادين ، لأنَّه كان يريد الإسلام ، فمنعه قومه وضيقوا عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجاذ ، وهو الكساء الغليظ ، فشقَّه باثنتين ، فأتزر بواحدة وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فسمِّي ذا البجادين .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وذكر ابن شهاب الزهريُّ ، عن ابن أكيمة الليثيِّ ، عن ابن أخي أبي رُهم الغفاريِّ ، أنّه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر ، وألقى الله عليَّ النُّعاس ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة النبيِّ ﷺ ، فيفزعني دنوُّها منه ؛ مخافة أن أصيب رجله في الغرز ، فطفقت أحوز راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، فزاحمت راحلتي راحلته ورجله في الغرز ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حسَّ » . فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . قال : « سر » . فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمَّن تخلف عنه من بني غفارٍ ، فأخبره به ، فقال وهو يسألني : « ما فعل النفر الحُمُر الطُّوال الثُّطاط الذين لا شعر في وجوههم ؟ » فحدَّثته بتخلُّفهم ، قال : « فما فعل النفر السُّود الجعاد القصار ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منَّا . قال : « بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شدَّخ » . فتذكَّرتهم في بني غفارٍ ، فلم أذكرهم ، حتى ذكرت أنَّهم رهطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهطٌ من أسلم حلفاء فينا . فقال رسول الله ﷺ : « ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بغيرٍ من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله ؟ إنّ أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلف عني ؛ المهاجرون والأنصار وغفارٌ وأسلم » .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لمَّا قفل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة ، همَّ جماعةٌ من المنافقين بالفتك به ، وأن يطرحوه من رأس عَقَبَةٍ في الطريق ، فأخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادي ، وصعد هو العقبة ، وسلکها معه أولئك النفر وقد تلبَّسوا ، وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسرٍ وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمارٌ آخذٌ بزمام الناقة ، وحذيفة يسوقها ، فبينما هم يسرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوه ، فغضب رسول الله ﷺ ، وأبصر حذيفة غضبه ، فرجع إليهم ومعه محجنٌ ، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنُّوا أن قد أظهر على

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٥٢٧/٢) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٥٢٨/٢) .

ما أضمره من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ ، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ، ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشيهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب ؟ » . قالا : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه ، وسمّاهم لهما ، واستكتمهما ذلك ، فقالا : يا رسول الله ، أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة ، إلا أنه ذكر أن النبي ﷺ إنما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده ، وهذا هو الأشبه ، والله أعلم ، ويشهد له قول أبي الدرداء لعلقمة صاحب ابن مسعود : أليس فيكم - يعني أهل الكوفة - صاحب السواد والوساد ؟ - يعني ابن مسعود - أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ؟ - يعني حذيفة - أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمد ﷺ ؟ - يعني عماراً . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنه قال لحذيفة : أقسمت عليك بالله ، أنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرئ بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مفشياً سر النبي ﷺ . قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلاً ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم وبما تمالؤوا عليه .

ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم ، قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَزَيْنَا لَوْ ﴾ [التوبة : ٧٤] . وروى البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به ، وعمارٌ يسوق الناقة - أو أنا أسوق وعمارٌ يقود به - حتى إذا كنا بالعقبة إذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها . قال : فأنبته رسول الله ﷺ ، فصرخ بهم فولوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « هل عرفت القوم ؟ » . قلنا : لا يا رسول الله ، قد كانوا متلثمين ، ولكننا قد عرفنا الركاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » . قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة ، فيلقوه منها » . قلنا : يا رسول الله ، أو لا تبعث إلى عشائهم ؛ حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تحدث العرب بينها أن محمداً قاتل بقوم ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » . ثم قال : « اللهم ارمهم بالدبيلة » . قلنا : يا رسول الله ، وما الدبيلة ؟ قال : « شهابٌ من نارٍ يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

وفي « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عباد قال : قلت لعمار : أرأيتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر عليّ ؛ رأيًا رأيتموه ، أم شيئًا عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئًا لم يعهده إلى الناس كافةً ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط » .

وفي رواية له<sup>(٢)</sup> من وجه آخر عن قتادة : « إن في أمتي اثني عشر منافقاً ، لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط ، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة ؛ سراج من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> : وروينا عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر ، أو خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله ﷺ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة أنهم قالوا : ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في « مسنده »<sup>(٤)</sup> قال : حدثنا يزيد - هو ابن هارون - أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جُمَيع ، عن أبي الطفيل قال : لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إنَّ رسول الله ﷺ أخذٌ بالعقبة ، فلا يأخذها أحدٌ . فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمارٌ ، إذ أقبل رهطٌ مثلثمون على الرّواحل ، فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرّواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : « قَدْ<sup>(٥)</sup> قَدْ » . حتى هبط رسول الله ﷺ ، فلمّا هبط نزل ورجع عمارٌ ، قال : « يا عَمَّار ، هل عرفت القوم ؟ » قال : قد عرفت عامة الرّواحل ، والقوم مثلثمون . قال : « هل تدري ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه » . قال : فسارَ عمارٌ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمارٌ : أشهد أن الاثني عشر الباقيين حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

\*\*\*

(١) رقم (٢٧٧٩) (٩) .

(٢) أي : للإمام مسلم وهي عنده رقم (٢٧٧٩) (١٠) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٢٦٢/٥) .

(٤) (٤٥٣/٥ - ٤٥٤) ، وإسناده حسن .

(٥) أي : أسرع .

## قصة مسجد الضرار

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدُ أُسُسُ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ مِصْرًا غَيْرَ مُبْدَحِينَ أَمْوَالَهُمْ لِلنَّاسِ لِيَقُومَ عَلَيْهِمُ الْمَوَازِينُ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ أَتَىٰ مَسْجِدَهُمْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ حَرَجٌ وَلَا نَمَسٌ لَهُمُ الْمَسْجِدُ وَالَّذِينَ يَبْنِيهِمْ لِشَدِيدِ قُرْآنِ النَّارِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَاسِلِينَ ﴿١٧﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٠٧ - ١١٠] .

وقد تكلّمنا على تفسير ما يتعلّق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية<sup>(١)</sup> ، والله الحمد .

وذكر ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله ، وكيفية أمر رسول الله ﷺ بخراجه مرجعه من تبوك قبل دخوله المدينة . ومضمون ذلك ؛ أن طائفة من المنافقين بنوا صورة مسجد قريباً من مسجد قباء ، وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه ؛ حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه ؛ وذلك أنه كان على جناح سفرٍ إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذي أوانٍ - مكانٍ بينه وبين المدينة ساعة - نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية . أما قوله : ﴿ ضِرَارًا ﴾ . فلأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء ، ﴿ وَكُفْرًا ﴾ بالله لا للإيمان به ، ﴿ وَتَفْرِيقًا ﴾ للجماعة عن مسجد قباء ، ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ وهو أبو عامر الراهب الفاسق ، قَبَّحَ الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبى عليه ، ذهب إلى أهل مكة فاستنفرهم ، فجاؤوا عامٍ أحدٍ ، فكان من أمرهم ما قدّمناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ؛ ليستنصره على رسول الله ﷺ ، وكان أبو عامرٍ على دين هرقل ممن تنصّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدّهم ويمنيهم ، وما يعدّهم الشيطان إلا غروراً ، فكانت مكاتباته ورساله تفد إليهم كلّ حين ، فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة ، وباطنه دار حربٍ ومقرٌّ لمن يفد من عند أبي عامر الراهب ، ومجمعٌ لمن هو على طريقتهم من المنافقين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾ . أي الذين بنوه ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ﴾ . أي ؛ إنما أردنا

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » ( ١٤٨ / ٤ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٢٩ / ٢ ) .

ببنائه الخير . قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ . ثم قال الله تعالى لرسوله : ﴿ لَا تَقْعُرْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ . فنهاه عن القيام فيه لثلا يقرّر أمره ، ثم أمره وحثه على القيام في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد قباء ، لما دل عليه السياق ، والأحاديث الواردة في الثناء على تطهير أهله مشيرة إليه ، وما ثبت في « صحيح مسلم »<sup>(١)</sup> من أنه مسجد رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدّم ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء أسس على التقوى من أول يوم ، فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت في الفضل منه وأقوى ، وقد أشبعنا القول في ذلك في « التفسير » والله الحمد .

والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بذي أوان ، دعا مالك بن الدخشم ومعن بن عديّ - أو أخاه عاصم بن عديّ - رضي الله عنهما ، فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرّقه بالنار ، فذهبا فحرّقه بالنار ، وتفرّق عنه أهله .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً وهم ؛ خذام بن خالد وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبد بن حنيف أخو سهل بن حنيف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجعّ وزيد ، ونبيل بن الحارث ، وبَحْرَجْ وهو إلى بني ضبيعة ، وبِجَاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت وهو إلى بني أمية .

قلت : وفي غزوة تبوك هذه صلّى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف صلاة الفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله ﷺ ذهب يتوضّأ ومعه المغيرة بن شعبة ، فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة ، فتقدّم عبد الرحمن بن عوف ، فلما سلّم الناس أعظموا ما وقع ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أحسنتم وأصبتم » وذلك فيما رواه البخاري<sup>(٣)</sup> ، رحمه الله ، قائلاً : حدّثنا .

### [ قدومه ﷺ المدينة ]

وقال البخاري<sup>(٤)</sup> : حدّثنا أحمد بن محمد ، حدّثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . فقالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة !؟ قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » . تفرد به من هذا الوجه .

- 
- (١) رقم ( ١٣٩٨ ) في الحج : باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .  
 (٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣٠ / ٢ ) .  
 (٣) روى البخاري منه قصة الوضوء فقط رقم ( ٤٤٢١ ) وروى مسلم تماماً رقم ( ٢٧٤ ) .  
 (٤) رواه البخاري رقم ( ٤٤٢٣ ) .



وقال البخاري<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ يَحْيَى ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِي حَمِيدٍ قَالَ : أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ : « هَذِهِ طَابَةُ ، وَهَذَا أَحَدٌ ؛ جَبَلٌ يَحْبُبُنَا وَنَحْبُهُ » .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> ، من حديث سليمان بن بلال به نحوه .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ : أَذْكَرَ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصَّبِيَّانِ نَتَلَقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ مُقَدِّمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ .

ورواه أبو داود والترمذي<sup>(٤)</sup> من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البيهقي<sup>(٥)</sup> : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرٍ بَنُ قَتَادَةَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ مَطَرٍ ، سَمِعْتُ أَبَا خَلِيفَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ عَائِشَةَ يَقُولُ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ<sup>(٦)</sup> ، جَعَلَ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ وَالْوَلَدُ يَقْلُنَ : [ مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ ]

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ  
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ

قال البيهقي<sup>(٧)</sup> : وَهَذَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاؤُنَا عِنْدَ مُقَدِّمِهِ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ ، لَا أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ عِنْدَ مُقَدِّمِهِ مِنْ تَبُوكَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، فَذَكَرْنَاهُ هَاهُنَا أَيْضًا .

قال البخاري<sup>(٨)</sup> ، رحمه الله :

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٤٢٢ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٣٩٢ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٤٢٧ ) .

(٤) رواه أبو داود رقم ( ٢٧٧٩ ) والترمذي رقم ( ١٧١٨ ) .

(٥) في « دلائل النبوة » ( ٢٦٦ / ٥ ) وهو ما ذهب إليه ابن القيم في « زاد المعاد » ( ٤٨١ / ٣ - ٤٨٢ ) وقال : « وبعض الرواة يهيم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيت الوداع إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمرُّ بها إلا إذا توجه إلى الشام ، فلما أشرف على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه » . وانظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزآبادي ص ( ٨٠ - ٨١ ) بتحقيق شيخنا العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

(٦) يعني من غزوة تبوك .

(٧) انظر « دلائل النبوة » ( ٢٦٦ / ٥ ) .

(٨) رواه البخاري رقم ( ٤٤١٨ ) .

## حديث كعب بن مالك رضي الله عنه

حدَّثنا يحيى بن بكير ، حدَّثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك ، قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها ، كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى غيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفازاً ، وعدواً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أهبة غزوتهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادرٌ عليه . فلم يزل يتمادي بي ، حتى اشتد بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن ارتحل فأدركهم - وليتني فعلت - فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم ، أحزنني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموضاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « ما فعل كعب ؟ » فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، ونظره في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بش ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب بن مالك ، قال : فلما بلغني أنه توجه قافلاً ، حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلم قادماً ، زاح عني الباطل ، وعرفت أنني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم

رسول الله ﷺ علانيتهم ، وباعبهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، عز وجل ، فجثته ، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب . ثم قال : « تعال » . فجثت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلقتك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقلت : بلى ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : « أمّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » . فقم ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العُمري ، وهلال بن أمية الواقفي . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأ فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرّك شفّته برّد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفّ نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس ، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمّي وأحبّ الناس إليّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ عليّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله هل تعلمني أحبّ الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عينا ، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار . قال : وبيننا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلّني على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه : أمّا بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعه ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيّمت بها التّور فسجرت بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقرّبها . وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحقّي بأهلك فتكوني عندهم ، حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال كعب :

فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ، ولكن لا يقربك » . قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ! قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا ، فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ، عز وجل ، قد ضاقت علي نفسي ، وضافت علي الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر . فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يمشروننا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إليّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم ، فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يمشرنني ، نزعت له ثوباً فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا برسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك » . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا ، بل من عند الله » . وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله : « أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك » . قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخير . فقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٧-١١٩] . فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد : قال الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُغَرِّضَنَّ عَنْهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٩٥-٩٦] . قال

كعبٌ : وكنا تخلّفنا أيّها الثلاثة عن أمرٍ أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فيبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ﴾ [التوبة : ١١٨] . ليس الذي ذكر الله مما خُلِفنا من الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

وهكذا رواه مسلم<sup>(١)</sup> ، من طريق الزهريّ بنحوه .

وهكذا رواه محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup> ، عن الزهريّ مثل سياق البخاريّ ، وقد سقناه في « التفسير »<sup>(٣)</sup> من « مسند الإمام أحمد »<sup>(٤)</sup> ، وفيه زياداتٌ يسيرة ، والله الحمد والمنة .

\*\*\*

## ذكر

### أقوام تخلّفوا من العصاة غير هؤلاء

قال عليّ بن طلحة الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] . قال : كانوا عشرة رهطٍ تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوعه أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ، وكان ممزّ النبي ﷺ إذا رجع من المسجد عليهم ، فلما مرّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحابٌ له ، تخلّفوا عنك ، حتى تطلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله ، عز وجل ، هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني ، وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين » . فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ... ﴾ . الآية . و ﴿ عَسَى ﴾ من الله واجبٌ ، فلما أنزلت ، أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاؤوا بأموالهم وقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدّق بها عنا ، واستغفر لنا . فقال : « ما أمرت أن آخذ أموالكم » . فأنزل الله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣ - ١٠٦] . وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا ، حتى نزل قوله تعالى :

(١) رقم (٢٧٦٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣١ / ٢ ) .

(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ١٦٥ / ٤ ) .

(٤) ( ٤٥٧ / ٣ - ٤٥٩ ) ، وإسناده صحيح .

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ... ﴾ إلى آخرها [ التوبة : ١١٧ - ١١٨ ] .

وكذا رواه عطية بن سعد العوفي ، عن ابن عباس بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيب ومجاهد ومحمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> قصة أبي لبابة وما كان من أمره يوم بني قريظة ، وربطه نفسه حتى تيب عليه ، ثم إنه تخلف عن غزوة تبوك ، فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كله صدقة ، فقال له رسول الله ﷺ : « يكفيك من ذلك الثلث » . قال مجاهد وابن إسحاق : وفيه نزل : ﴿ وَأَخْرُوجُوا يُذَوِّبَهُمْ ﴾ الآية . قال سعيد بن المسيب : ثم لم يُر منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيراً ، رضي الله عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على أنه كان كالزعيم لهم ، كما دلّ عليه سياق ابن عباس ، والله أعلم .

وروى البيهقي<sup>(٢)</sup> من طريق أبي أحمد الزبير عن سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن عياض بن عياض ، عن أبيه ، عن أبي مسعود قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « إِنَّ مِنْكُمْ مَنَافِقِينَ ، فَمَنْ سَمِيتُ فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » . حتى عدّ ستة وثلاثين ، ثم قال : « إِنْ فِيكُمْ - أَوْ إِنْ مِنْكُمْ - مَنَافِقِينَ فسلوا الله العافية » . قال : فمرّ عمر برجل متقنّع ، وقد كان بينه وبينه معرفة ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : بُعداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام ؛ مأمورون مأجورون كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم ، ومعدورون وهم الضعفاء والمرضى والمقلّون وهم البكاؤون ، وعصاة مذنبون وهم الثلاثة وأبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون .

\*\*\*

## ذكر

ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة منصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقي<sup>(٣)</sup> : حدّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا أبو البخترى عبد الله بن [ محمد بن ] شاكر ، حدّثنا زكريا بن يحيى ، حدّثنا عمّ أبي زحر بن

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢/ ٢٣٦ ) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » ( ٥/ ٢٨٣ ) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » ( ٥/ ٢٦٧ ) .

حصن ، عن جدّه حميد بن منهب قال : سمعت جدي خُريم بن أوس بن حارثة بن لام يقول : هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله ﷺ : « لا يفضض الله فاك » . فقال : [ من المنسرح ]

مِنْ قَبْلِهَا طَبَتْ فِي الظَّلَالِ وَفِي	مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرَ	أَنْتِ وَلَا مُضَفَّةٌ وَلَا عَلَقُ
بَلْ نُطْفَةٌ تَزَكَّبُ السَّفِينِ وَقَدْ	الْجَمِ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْغَرَقُ
تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ	إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حَتَّى احْتَوَى بَيْنَكَ الْمَهِيْمُ مِنْ	خِنْدِفٍ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطْقُ
وَأَنْتِ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتْ الْأَزْ	ضُ وَضَاءُ ثَبُورِكَ الْأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو	رِ وَسُبُلِ الرِّشَادِ نَخْتَرِقُ

ورواه البيهقي<sup>(١)</sup> من طريق أخرى ، عن أبي السُّكين زكريا بن يحيى الطائي ، وهو في جزء له مروي عنه .

قال البيهقي : وزاد : ثم قال رسول الله ﷺ : « هذه الحيرة البيضاء رُفعت لي ، وهذه الشِّماء بنت بَقِيلَةَ الْأَزْدِيَّةِ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءٍ مَعْتَجِرَةً بِخِمَارٍ أَسْوَدَ » . فقلت : يا رسول الله ، إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي ؟ قال : « هي لك » . قال : ثُمَّ كَانَتِ الرَّدَّةُ ، فَمَا ارْتَدَّ أَحَدٌ مِنْ طِيٍّ ، وَكُنَّا نَقَاتِلُ مَنْ يَلِينَا مِنَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَكُنَّا نَقَاتِلُ قَيْسًا وَفِيهَا عَيْنَةُ بَنِي حَصْنٍ ، وَكُنَّا نَقَاتِلُ بَنِي أَسَدٍ وَفِيهِمْ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَمْدَحُنَا ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ فِينَا : [ من الطويل ]

جَزَى اللَّهُ عَنَّا طِيًّا فِي دِيَارِهَا	بِمُعْتَرِكِ الْأَبْطَالِ خَيْرَ جَزَاءٍ
هُمْ أَهْلُ رَايَاتِ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى	إِذَا مَا الصَّبَا أَلَوْتَ بِكُلِّ خِبَاءٍ
هُمْ ضَرَبُوا قَيْسًا عَلَى الدِّينِ بَعْدَمَا	أَجَابُوا مُنَادِي ظَلَمَةٍ وَعَمَاءٍ

قال : ثم سار خالد إلى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ فسرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى ناحية البصرة ، فلقينا هرمز بكازمة في جيش هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحدٌ من الناس أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالدٌ ودعاه إلى البراز ، فبرز له فقتله خالدٌ ، وكتب بخبره إلى الصديق ، فنقله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ، وكانت الفرس إذا شَرُفَ فيها الرجل جعلت قلنسوته بمئة ألف درهم . قال : ثم أقبلنا على طريق الطَّفِّ إلى الحيرة ، فأول من تلقَّانا حين دخلناها الشِّماء بنت بَقِيلَةَ ، كما قال رسول الله ﷺ : « على بَغْلَةٍ شَهْبَاءٍ مَعْتَجِرَةً بِخِمَارٍ أَسْوَدَ » . فتعلَّقت بها وقلت : هذه وهبها لي

رسول الله ﷺ . فدعاني خالدٌ عليها بالبينة ، فأتيته بها ، وكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير الأنصاري ، فسلمها إليّ ، فنزل إليّ أخوها عبد المسيح يريد الصلح ، فقال : بعنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن عشر مئة درهم . فأعطاني ألف درهم ، وسلمتها إليه ، فقيل : لو قلت مئة ألفٍ لدفعها إليك . فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مئة .

\*\*\*

### قدوم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ

#### في رمضان من سنة تسع

تقدم أن رسول الله ﷺ لما ارتحل عن ثقيف سئل أن يدعو عليهم فدعا لهم بالهداية ، وقد تقدم أن رسول الله ﷺ حين أسلم مالك بن عوفٍ النَّصْرِيُّ أنعم عليه وأعطاه ، وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلاد ثقيف ويضيق عليهم ، حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام ، وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود ، عن صخر بن العيلة الأحمسي أنه لم يزل بثقيف حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله ﷺ ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله ﷺ له في ذلك .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف ، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، أتبع أثره عروة بن مسعود ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله - كما يتحدث قومه - : « إنهم قاتلوك » . وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع ؛ للذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبكارهم . وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، رجاء أن لا يخالفوه ؛ لمنزلته فيهم ، فلما أشرف على عليّة له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كلّ وجه فأصابه سهمٌ فقتله ، فيزعم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم يقال له : أوس ابن عوف . أخو بني سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بني عتابٍ يقال له : وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليّ ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفوني معهم . فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » . وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكر الصديق ، وتابعه أبو بكر البيهقي في ذلك وهذا بعيدٌ ، والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكر كما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣٧ / ٢ ) .



قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : ثم أقامت ثقيفٌ بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخي بني علاج ، فائتمروا بينهم ، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عُمير ، ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك ، وهم ؛ الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، وعثمان بن أبي العاص ، وأوس بن عوف أخو بني سالم ، ونمير بن خرشة بن ربيعة .

وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلاً ، فيهم كنانة بن عبد ياليل ، وهو رئيسهم ، وفيهم عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغر الوفد .

قال ابن إسحاق<sup>(٢)</sup> : فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة ، ألفوا المغيرة بن شعبه يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رآهم ذهب يشتد ليشر رسول الله ﷺ بقدمهم ، فلقه أبو بكر الصديق فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطاً ، ويكتبوا كتاباً في قومهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه . ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدمهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضربت عليهم قبة في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم ، وهو الذي كتب لهم كتابهم . قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية [وهي اللات] ثلاث سنين ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سأله شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة ليهدماها ، وسأله مع ذلك أن لا يصلوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، فقال : « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه » . فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءة .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يحشروا ولا يُعشروا ولا يُجَبُّوا ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣٨ / ٢ ) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٣٩ / ٢ ) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٨ / ٤ ) ، وفيه عن عنة الحسن البصري .

رسول الله ﷺ : « لكم أن لا تُحشروا ولا تُعشروا ، ولا يُستعمل عليكم غيركم ، ولا خير في دين لا ركوع فيه » . وقال عثمان بن أبي العاص : يا رسول الله ، علّمني القرآن واجعلني إمام قومي .

وقد رواه أبو داود<sup>(١)</sup> من حديث أبي داود الطيالسي ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد به .

وقال أبو داود<sup>(٢)</sup> : حدثنا الحسن بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبّه ، [ عن أبيه ] ، عن وهب قال : سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت ، قال : اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك : « سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا » .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان أحدثهم سنّاً - لأن الصديق قال : يا رسول الله ، إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن .

وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كانوا إذا أتوا رسول الله ﷺ خلفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله ﷺ فسأله عن العلم فاستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكر الصديق ، فلم يزل دأبه حتى فقه في الإسلام ، وأحبّه رسول الله ﷺ حبّاً شديداً .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيف أن قال : « يا عثمان ، تجوِّز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن مطرف ، عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله ، اجعلني إمام قومي . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم ، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذي<sup>(٦)</sup> من حديث حماد بن سلمة به .

(١) رواه أبو داود رقم ( ٣٠٢٦ ) ، وفيه عننة الحسن البصري .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٣٠٢٥ ) ، وإسناده حسن .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٤٠ / ٢ ) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٤١ / ٢ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١ / ٤ ) ، وإسناده حسن .

(٦) رواه أبو داود رقم ( ٥٣١ ) وليس الحديث عند الترمذي ، ورواه أيضاً النسائي في « المجتبى » رقم ( ٦٧٢ ) ،

وإسناده حسن .

ورواه ابن ماجه<sup>(١)</sup> ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن عليّة ، عن محمد بن إسحاق ، كما تقدم .

وروى أحمد<sup>(٢)</sup> ، عن عَفَّان ، عن وهيب ، وعن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن داود بن أبي عاصم ، عن عثمان بن أبي العاص أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إِذَا صَلَّيْتَ بِقَوْمٍ فَخَفَّفْ بِهِمْ » . حتى وَقَّتْ لي : ﴿ أَقْرَأُ بِأَسِيرِكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ . [ الملق : ١ ] . وأشباهها من القرآن .

وقال أحمد<sup>(٣)</sup> : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرّة ، سمعت سعيد بن المسيّب قال : حَدَّثَ عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال : « إِذَا أُمَمْتَ قَوْمًا فَخَفَّفْ بِهِمُ الصَّلَاةَ » . ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> ، عن محمد بن مثنى وبندار ، كلاهما عن محمد بن جعفر غندر به .

وقال أحمد<sup>(٥)</sup> : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدُ الزَّيْبَرِيُّ ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله ﷺ على الطائف ، فكان آخر ما عهدته إليّ أن قال : « خَفَّفْ عَنِ النَّاسِ الصَّلَاةَ » . تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد<sup>(٦)</sup> : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، أَخْبَرَنَا عمرو بن عثمان ، حَدَّثَنِي مُوسَى - هُوَ ابْنُ طَلْحَةَ - أَنَّ عثمان بن أبي العاص حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يُؤَمَّ قَوْمَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيَخَفَّفْ بِهِمْ ، فَإِنْ فِيهِمُ الضَّعِيفُ وَالْكَبِيرُ وَالْمَرِيضُ وَذَا الْحَاجَةِ ، فَإِذَا صَلَّيَ وَحْدَهُ فَلْيَصِلْ كَيْفَ شَاءَ » . ورواه مسلم<sup>(٧)</sup> من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد<sup>(٨)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ<sup>(٩)</sup> ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ ، سَمِعْتُ أَشْيَاخًا مِنْ ثَقِيفٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أَمَّ قَوْمُكَ ، وَإِذَا أُمَمْتَ قَوْمًا فَأَخَفَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَالْمَرِيضُ وَذَا الْحَاجَةِ » .

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ٩٨٧ ) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٨ / ٤ ) ، وإسناده صحيح .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١ / ٤ ) ، وإسناده صحيح .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ٤٦٨ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٨ / ٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٦) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٦ / ٤ ) وإسناده صحيح .

(٧) في « صحيحه » رقم ( ٤٦٨ ) .

(٨) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١ / ٤ ) ، وهو حديث صحيح .

(٩) في « المسند » : « محمد بن بكر » وفي « أطراف المسند » كما هنا .

وقال أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجريري ، عن أبي العلاء بن الشَّخِير ، أن عثمان قال : يا رسول الله ، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي . قال : « ذاك شيطانٌ يقال له : خنزبٌ . فإذا أنت حسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » . قال : ففعلت ذلك فأذهب الله عني .

ورواه مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث سعيد الجريري به .

وروى مالك وأحمد ومسلم وأهل السنن<sup>(٣)</sup> من طرق ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عثمان بن أبي العاص أنه شكَا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده ، فقال له : « ضع يدك على الذي تألم من جسدك ، وقل : بسم الله . ثلاثاً ، وقل سبع مراتٍ : أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر » .

وفي بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل أمر به أهلي وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه<sup>(٤)</sup> : حدثنا محمد بن بشار ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثني عيينة بن عبد الرحمن - وهو ابن جوشن - حدثني أبي ، عن عثمان بن أبي العاص قال : لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيئاً في صلاتي ، حتى ما أدري ما أصلي ، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « ابن أبي العاص ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله ، عرض لي شيئاً في صلاتي حتى ما أدري ما أصلي . قال : « ذاك الشيطان ، ادنه » . فدنوت منه ، فجلست على صدور قدمي . قال : فضرب صدري بيده وتفل في فمي ، وقال : « اخرج عدو الله » . ففعل ذلك ثلاث مراتٍ ، ثم قال : « الحق بعملك » . قال : فقال عثمان : فلعمري ما أحسبه خالطني بعد . تفرَّد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق<sup>(٥)</sup> : وحدثني عيسى بن عبد الله ، عن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي ، عن بعض وفدهم قال : كان بلالٌ يأتينا حين أسلمنا وصُمنّا مع رسول الله ﷺ ما بقي من شهر رمضان بفطورنا وسحورنا ، فيأتينا بالسحور ، فإننا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع . فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر لتأخير السحور . ويأتينا بفطرنّا ، وإننا لنقول : ما نرى الشمس ذهبت كلّها بعد . فيقول : ما جئكم حتى أكل رسول الله ﷺ . ثم يضع يده في الجفنة فيلقم منها .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٦ / ٤ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ٢٢٠٣ ) .

(٣) رواه الإمام مالك في « الموطأ » ( ٩٤٢ / ٢ ) ومسلم رقم ( ٢٢٠٢ ) وأبو داود رقم ( ٣٨٩١ ) والترمذي رقم ( ٢٠٨٠ ) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم ( ١٠٨٣٧ ) وابن ماجه رقم ( ٣٥٢٢ ) .

(٤) رواه ابن ماجه رقم ( ٣٥٤٨ ) ، وهو حديث صحيح .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٤٠ / ٢ ) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه<sup>(١)</sup> ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جدّه أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف . قال : فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبّة له ، كلّ ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قائماً على رجله ، حتى يراوح بين رجله من طول القيام فأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش ، ثم يقول : « لا أنسى وكنا مستضعفين مستذلين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ، ندال عليهم ويدالون علينا » . فلما كانت ليلةً أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنا الليلة . فقال : « إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أتمّه » . قال أوس : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل<sup>(٢)</sup> وحده ، لفظ أبي داود .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : فلما فرغوا من أمرهم وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذي الهزم ، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنو معتب دونه ؛ خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود . قال : وخرج نساء ثقيف حُسراً يكيّن عليها ، ويقلن : لتُكيّن دَفَاع ، أسلمها الرُّضَاع ، لم يحسنوا المِصَاع .

قال ابن إسحاق<sup>(٤)</sup> : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك إهلاكك . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وقال له : إن رسول الله قد أمرنا أن نقضي عن عروة بن مسعود وأخيه الأسود بن مسعود ، والد قارب بن الأسود ، دَيْنهما من مال الطاغية . فقضى ذلك عنهما . قلت : كان الأسود قد مات مشركاً ، ولكن أمر رسول الله بذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب بن الأسود ، رضي الله عنه .

وذكر موسى بن عقبة<sup>(٥)</sup> أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلاً ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد لسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنى والخمر ، فحرّم عليهم ذلك كلّهُ ، فسألوه عن الرِّبّة ما هو صانع

- (١) رواه أحمد في « المسند » ( ٩ / ٣٤٣ ) وأبو داود رقم ( ١٣٩٣ ) وابن ماجه رقم ( ١٣٤٥ ) ، وإسناده ضعيف .
- (٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » ( ٢ / ٢٥٩ ) : « الفصل من القرآن الكريم هو من سورة ﴿ ق ﴾ إلى آخر القرآن على الصحيح ، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين سورته بالبسملة » .
- (٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٥٤١ ) .
- (٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٢ / ٥٤٢ ) .
- (٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٥ / ٣٠٠ ) .

بها . قال : « اهدموها » . قالوا : هيهات ، لو تعلم الرّبة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا بن عبد ياليل ! ما أجهلك ! إنما الرّبة حَجَرٌ . فقالوا : إنا لم نأتك يا بن الخطاب . ثم قالوا : يا رسول الله ، تولّ أنت هدمها ، أما نحن فإننا لن نهدمها أبداً . فقال : « سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » . فكاتبوه على ذلك ، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاؤوا قومهم تلقّوهم ، فسألوهم ما وراءكم ؟ فأظهروا الحزن ، وأنهم إنما جاؤوا من عند رجلٍ فظٍّ غليظٍ ، قد ظهر بالسيف ، يحكم ما يريد وقد دوّخ العرب ، قد حرّم الربا والزنى والخمر ، وأمر بهدم الرّبة ، ففرت ثقيفٌ وقالوا : لا نطيع لهذا أبداً . قال : فأهبوا للقتال وأعدّوا السلاح . فمكثوا على ذلك يومين أو ثلاثة ، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأنابوا ، وقالوا : ارجعوا إليه ، فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه . قالوا : فإننا قد فعلنا ذلك ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه ، فافهموا مافي القضية واقبلوا عافية الله . قالوا : فلم كتمتمونا هذا أولاً ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان . فأسلموا مكانهم ، ومكثوا أياماً ، ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمر عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات ، وقد استكفّت ثقيفٌ رجالها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العواتق من الحجال ، ولا يرى عامة ثقيفٍ أنها مهدومةٌ ، ويظنون أنها ممتنعةٌ ، فقام المغيرة بن شعبة ، فأخذ الكرزين - يعني المغول - وقال لأصحابه : والله لأضحكنكم من ثقيفٍ .

فضرب بالكرزين ، ثم سقط يركض برجله ، فارتجّ أهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة ، قتله الرّبة . وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب . فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيفٍ إنما هي لكاع حجارة ومدّرٌ ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها ، وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوّوها بالأرض ، وجعل سادنها يقول : ليغضبَنَّ الأساس فليخسفنَّ بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها . فحفروه حتى أخرجوا ترابها ، وجمعوا ماءها وبنائها ، وبُهِتت عند ذلك ثقيفٌ ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على اعتزاز دينه ونصرة رسوله .

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ النبيِّ رسول الله إلى المؤمنين ؛ إن عضاه وجّ وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، وإن تعدّى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبيُّ محمداً ، وإنّ هذا أمر النبيِّ محمدٍ . وكتب خالد بن سعيدٍ بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمدٌ رسول الله ﷺ .

وقد قال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدثنا عبد الله بن الحارث - من أهل مكة مخزومي - حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان - وأثنى عليه خيراً - عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، [ عن أبيه ] قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من ليّة حتى إذا كنا عند السّدره وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حذوها ، فاستقبل نخباً ببصره ، يعني وادياً ، ووقف حتى اتّقف الناس كلّهم ، ثم قال : « إن صيد وجّ وعضاهه حرم محرّم لله » . وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً .

وقد رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفي ، وقد ذكره ابن حبان في « ثقافته »<sup>(٣)</sup> . وقال ابن معين<sup>(٤)</sup> : ليس به بأس . تكلم فيه بعضهم ، وقد ضعّف أحمد والبخاري وغيرهما هذا الحديث<sup>(٥)</sup> ، وصحّحه الشافعي وقال بمقتضاه ، والله أعلم .

\*\*\*

## ذكر

### موت عبد الله بن أبي

### قُبَحَة الله

قال محمد بن إسحاق<sup>(٦)</sup> : حدّثني الزُّهري عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله ﷺ : « أما والله إن كنت لأنّهاك عن حبّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فمّه ؟ وقال الواقدي<sup>(٧)</sup> ، مرض عبد الله بن أبي في ليالٍ بقين من شوال ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلةً ، فكان رسول الله ﷺ يعود فيه ، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه ، فقال : « قد نهيتك عن حبّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نفعه ؟ ثم قال : يا رسول الله ، ليس هذا بحين عتاب ! هو الموت ، [ فإن متّ ] فاحضّر غُسلِي ، وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفّني فيه ، وصلّ عليّ واستغفر لي . ففعل ذلك به رسول الله ﷺ . وروى

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ١٦٥ / ١ ) ، وإسناده ضعيف .

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٢٠٢٣ ) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « الثقات » ( ٣٣ / ٩ ) .

(٤) انظر « الجرح والتعديل » ( ٢٩٤ / ٧ ) .

(٥) انظر « التاريخ الكبير » ( ١٤٠ / ١ ) و « ميزان الاعتدال » ( ٣٩٣ / ٢ ) .

(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي ( ٢٨٥ / ٥ ) .

(٧) انظر « المغازي » ( ١٠٥٧ / ٣ ) .

البیهقي<sup>(١)</sup> من حديث سالم بن عجّلان ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباسٍ نحوه مما ذكره الواقدي ، فـالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهوية<sup>(٢)</sup> : قلت لأبي أسامة : أحدثكم عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ يصلي عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلي عليه وقد نهاك الله عنه ؟! فقال رسول الله ﷺ : « إن ربي خيرني فقال : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] . وسأزيد على السبعين » . فقال : إنه منافق أتصلي عليه ؟! فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [التوبة : ٨٤] فأقرّبه أبو أسامة ، وقال : نعم . وأخرجاه في « الصحيحين »<sup>(٣)</sup> من حديث أبي أسامة .

وفي رواية للبخاري وغيره<sup>(٤)</sup> : قال عمر ، رضي الله عنه : فقلت : يا رسول الله ، تصلي عليه وقد قال في يوم كذا : كذا وكذا ، وقال في يوم كذا : كذا وكذا ؟! فقال : « دعني يا عمر ، فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أنني إن زدت على السبعين غفر له لزدت » . ثم صلى عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نُقَمِّ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ . الآية . قال عمر : فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، يقول : أتى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أبي بعدما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج ، فوضعه على ركبته - أو فخذيه - ونفث عليه من ريقه ، وألبسه قميصه . فـالله أعلم .

وفي « صحيح البخاري »<sup>(٥)</sup> بهذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأة لما كان كسا العباس ، رضي الله عنه ، قميصاً حين قدم المدينة ، فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبي . وقد ذكر البيهقي هاهنا قصة ثعلبة بن حاطب ، وكيف افتتن بكثرة المال ، ومنعه الصدقة ، وقد حرّرنا ذلك في « التفسير »<sup>(٦)</sup> عند قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اِلٰهَ لَئِنْ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ . . . ﴾ الآية [التوبة : ٧٥] .

(١) في « دلائل النبوة » (٢٨٨/٥) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٢٨٧/٥) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٦٧٠) ومسلم رقم (٢٧٧٤) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٦٧١) وأحمد في « المسند » (١٦/١) .

(٥) رقم (١٣٥٠) و(٣٠٠٨) .

(٦) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (١٢٤/٤) .



## فصل

قال ابن إسحاق<sup>(١)</sup> : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .  
وقال حسّان بن ثابت<sup>(٢)</sup> ، رضي الله عنه ، يعدّد أيام الأنصار مع رسول الله ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه .

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسّان : [ من البسيط ]

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا      وَمَعَشَرًا إِنْ هُمْ عُمُوا وَإِنْ حُصِلُوا  
قَوْمٌ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ      مَعَ الرَّسُولِ فَمَا آلَوْا وَمَا خَذَلُوا  
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ      مِنْهُمْ وَلَمْ يَكُ فِي إِيْمَانِهِ دَخَلٌ  
وَيَوْمَ صَبَّحَهُمْ فِي الشَّعْبِ مِنْ أُحُدٍ      ضَرْبُ رَصِينٍ كَحَرِّ النَّارِ مُشْتَعِلٌ  
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتِثَارِ بِهِمْ      عَلَى الْجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا نَكَلُوا  
وَذَا الْعُشَيْرَةِ جَاسُوهَا بِخِيلِهِمْ      مَعَ الرَّسُولِ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ  
وَيَوْمَ وَذَانَ أَجَلَوْا أَهْلَهُ رَقَصًا      بِالْخَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزَنُ وَالْجَبَلُ  
وَلَيْلَةَ طَلَبُوا فِيهَا عَدُوَّهُمْ      وَاللَّهُ وَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا  
وَلَيْلَةَ بَحْنَيْنِ جَالَدُوا مَعَهُ      فِيهَا يَعْلُمُهُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ نَهَلُوا  
وَغَزْوَةً يَوْمَ نَجْدِ ثَمَّ كَانَ لَهُمْ      مَعَ الرَّسُولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّقْلُ  
وَغَزْوَةً الْقَاعِ فَرَقْنَا الْعَدُوَّ بِهِ      كَمَا تُفَرِّقُ دُونَ الْمَشْرَبِ الرَّسْلُ  
وَيَوْمَ بُوَيْعَ كَانُوا أَهْلَ بَيْعَتِهِ      عَلَى الْجِلَادِ فَآسَوْهُ وَمَا عَدَلُوا  
وَغَزْوَةَ الْفَتْحِ كَانُوا فِي سَرِيَّتِهِ      مُرَابِطِينَ فَمَا طَاشُوا وَمَا عَجَلُوا  
وَيَوْمَ خَيْرَ كَانُوا فِي كَتِيبَتِهِ      يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مُسْتَبْسِلٌ بَطْلُ  
بِالْبَيْضِ تُرْعَشُ فِي الْأَيْمَانِ عَارِيَةً      تَعُوجُ فِي الضَّرْبِ أَحْيَانًا وَتَعْتَدِلُ  
وَيَوْمَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ مُحْتَسِبًا      إِلَى تَبُوكَ وَهُمْ رَايَاتِهِ الْأَوَّلُ  
وَسَاسَةُ الْحَرْبِ إِنْ حَرَبٌ بَدَتْ لَهُمْ      حَتَّى بَدَا لَهُمُ الْإِقْبَالُ فَالْقَفْلُ  
أَوَّلُكَ الْقَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَهُمْ      قَوْمِي أَصِيرُ إِلَيْهِمْ حِينَ اتَّصِلُ  
مَاتُوا كِرَامًا وَلَمْ تُنْكَثْ عَهْدُهُمْ      وَقَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذْ قُتِلُوا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٥٤ / ٢ ) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » ( ٥٠٣-٥٠٢ / ١ ) .

## ذكر

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج سنة تسع<sup>(١)</sup>

ونزول سورة « براءة »

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ؛ ليقم للمسلمين حجهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجهم لم يصدوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهد مؤقت إلى أميد ، فلما خرج أبو بكر ، رضي الله عنه ، بمن معه من المسلمين ، وفصل عن المدينة ، أنزل عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ١ ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ إلى آخر القصة .

ثم شرع ابن إسحاق يتكلم على هذه الآيات ، وقد بسطنا الكلام عليها في « التفسير »<sup>(٢)</sup> والله الحمد والمنة .

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً ، رضي الله عنه ، بعد أبي بكر الصديق ، ليكون معه ، ويتولى علي بن أبي طالب إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ ؛ لكونه ابن عمه من عصبته .

قال ابن إسحاق<sup>(٣)</sup> : حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : لما نزلت « براءة » على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه ، ليقم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثت بها إلى أبي بكر . فقال : « لا يؤذي عني إلا رجل من أهل بيتي » . ثم دعا علي بن أبي طالب فقال : « اخرج بهذه القصة من صدر « براءة » وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : ألا إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته » . فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر قال : أميراً أو مأموراً ؟ فقال : بل مأموراً . ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في

(١) انظر « حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج » للرشيدي ص ( ٩٠ ) بتحقيق الدكتورة ليلي عبد اللطيف

أحمد ، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٤٤ / ٤ ) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام ( ٥٤٥ / ٢ ) .

الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ؛ ليرجع كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ ، فهو له إلى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشركٌ ، ولم يطف بالبيت عريانٌ ، ثم قدما على رسول الله ﷺ ، وهذا مرسلٌ من هذا الوجه .

وقد قال البخاري<sup>(١)</sup> : باب حج أبي بكر ، رضي الله عنه ، بالناس سنة تسع ، حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فليح ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن أبا بكر الصديق ، رضي الله عنه ، بعثه في الحجة التي أمره النبي عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس أن لا يحج بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفن بالبيت عريانٌ .

وقال البخاري<sup>(٢)</sup> في موضع آخر : حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر الصديق في تلك الحجة في المؤذنين ، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفن بالبيت عريانٌ . قال حميد : ثم أردف النبي ﷺ بعلي ، فأمره أن يؤذن بـ « براءة » . قال أبو هريرة : فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر بـ « براءة » أن لا يحج بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفن بالبيت عريانٌ .

وقال البخاري<sup>(٣)</sup> في كتاب الجهاد : حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر الصديق فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ؛ لا يحج بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ . ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، وإنما قيل : الأكبر . من أجل قول الناس : الحج الأصغر . فنبت أبو بكر إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحج عام حجة الوداع - الذي حج فيه رسول الله ﷺ - مشركٌ .

ورواه مسلم<sup>(٤)</sup> من طريق الزهري به نحوه .

وقال الإمام أحمد<sup>(٥)</sup> : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن محرر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ . فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال : كنا ننادي : إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمنٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فإن أجله - أو أمده - إلى أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من

(١) في « صحيحه » رقم ( ٤٣٦٣ ) .

(٢) في « صحيحه » رقم ( ٤٦٥٦ ) .

(٣) في « صحيحه » رقم ( ٣١٧٧ ) .

(٤) في « صحيحه » رقم ( ١٣٤٧ ) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » ( ٢٩٩ / ٢ ) .

المشركين ورسوله ، ولا يحجُّ هذا البيت بعد العام مشركاً . قال : فكنت أنادي حتى صجل صوتي . وهذا إسنادٌ جيدٌ لكن فيه نكارةٌ من جهة قول الراوي : إنَّ من كان له عهدٌ فأجله إلى أربعة أشهرٍ . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكنَّ الصحيح أن من كان له عهدٌ ، فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهرٍ ، ومن ليس له أمدٌ بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهرٍ ، بقي قسمٌ ثالثٌ وهو من له أمدٌ يتناهى إلى أقلَّ من أربعة أشهرٍ من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأوَّل فيكون أجله إلى مدته وإن قلَّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجل إلى أربعة أشهرٍ ؛ لأنه أولى ممن ليس له عهدٌ بالكلية ، والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(١)</sup> : حدَّثنا عفان ، ثنا حمَّاد ، عن سماك ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ بعث بـ « براءة » مع أبي بكرٍ ، فلمَّا بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي » . فبعث بها مع علي بن أبي طالب .

وقد رواه الترمذي<sup>(٢)</sup> من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسنٌ غريبٌ من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد<sup>(٣)</sup> ، عن لوَّين ، عن محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنشل ، عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ لما أردف أبا بكرٍ بعليٍّ فأخذ منه الكتاب بالجحفة ، رجع أبو بكرٍ فقال : يا رسول الله ، نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : « لا ، ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدِّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك » . وهذا ضعيف الإسناد ، ومثته فيه نكارةٌ ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد<sup>(٤)</sup> : حدَّثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثيعة - رجل من همدان - قال : سألنا عليّاً : بأيِّ شيءٍ بُعثت ؟ يوم بعثه رسول الله ﷺ مع أبي بكرٍ في الحجة ، قال : بأربع ؛ لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعده إلى مدته ، ولا يحجُّ المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا . وهكذا رواه الترمذي<sup>(٥)</sup> ، من حديث سفيان - هو ابن عُيينة - عن أبي إسحاق السَّبيعي ، عن زيد بن يُثيعة ، عن عليٍّ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ . ثم قال : وقد رواه شعبة ، عن أبي إسحاق فقال : عن زيد بن أثيل ، ورواه الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عليٍّ .

قلت : رواه ابن جرير<sup>(٦)</sup> ، من حديث معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليٍّ .

(١) رواه أحمد في « المسند » ( ٢١٢ / ٣ ) .

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٣٠٩٠ ) .

(٣) في « المسند » ( ١٥١ / ١ ) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ( ٧٩ / ١ ) .

(٥) في « جامعه » رقم ( ٣٠٩٢ ) .

(٦) انظر « تفسير الطبري » ( ٦٤ / ١٠ ) .

وقال ابن جرير<sup>(١)</sup> : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ وَهَبُ اللَّهِ بْنُ رَاشِدٍ ، أَخْبَرَنَا حَيَّوَةُ بْنُ شَرِيحٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو صَخْرٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مُعَاوِيَةَ الْبَجَلِيَّ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الصَّهْبَاءِ الْبَكْرِيَّ وَهُوَ يَقُولُ : سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ فَقَالَ : إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ يُقِيمُ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَبِعَثْنِي مَعَهُ بِأَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ « بَرَاءة » حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ ، فَخَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَلَمَّا قَضَى خُطْبَتَهُ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ : قُمْ يَا عَلِيُّ فَأَدِّ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُمْتُ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ آيَةً مِنْ « بَرَاءة » ، ثُمَّ صَدَرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَنًى ، فَرَمَيْتُ الْجَمْرَةَ ، وَنَحَرْتُ الْبَدَنَةَ ثُمَّ حَلَقْتُ رَأْسِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّ أَهْلَ الْجَمْعِ لَمْ يَكُونُوا حُضُورًا كُلُّهُمْ خُطْبَةُ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَطَفَقْتُ أَتَّبِعُ بِهَا الْفَسَاطِيطَ أَقْرُؤَهَا عَلَيْهِمْ . قَالَ عَلِيُّ : فَمَنْ ثَمَّ إِخَالَ حَسِبْتُمْ أَنَّهُ يَوْمَ النَّحْرِ ، أَلَا وَهُوَ يَوْمَ عَرَفَةَ .

وقد تَقَصَّيْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ فِي « التفسير »<sup>(٢)</sup> وَذَكَرْنَا أَسَانِيدَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ فِي ذَلِكَ مَبْسُوطًا بِمَا فِيهِ كَفَايَةٌ ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

قال الواقدي<sup>(٣)</sup> : وَقَدْ كَانَ خَرَجَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ مِنَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثُمِئَةً مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ بِخَمْسِ بَدَنَاتٍ ، وَبَعَثَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِشْرِينَ بَدَنَةً ، ثُمَّ أَرْدَفَهُ بَعْلِيَّ ، فَلَحِقَهُ بِالْعَرَجِ فَنَادَى بِـ « بَرَاءة » أَمَامَ الْمَوْسِمِ .

\*\*\*

## فصل

كان في هذه السنة - أعني في سنة تسع - من الأمور الحادثة غزوة تبوك في رجب منها كما تقدم بيانه . قال الواقدي<sup>(٤)</sup> : وَفِي رَجَبٍ مِنْهَا مَاتَ النَّجَاشِيُّ صَاحِبُ الْحَبْشَةِ وَنَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ . وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا - أَي مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - تَوَفَّيْتُ أُمَّ كُلْثُومَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٥)</sup> ، فَغَسَلْتُهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَقِيلَ : غَسَلَهَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِيْهِنَّ أُمُّ عَطِيَّةُ .

(١) انظر « تفسير الطبري » ( ٦٧ / ١٠ ) .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف ( ٤٤ / ٤ ) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » ( ١٢٢ / ٣ ) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » ( ١٢٢ / ٣ ) و « شذرات الذهب » ( ١٢٨ / ١ ) بتحقيقي .

(٥) انظر « شذرات الذهب » ( ١٢٨ / ١ ) .

قلت : وهذا ثابتٌ في « الصحيحين »<sup>(١)</sup> وثبت في الحديث أيضاً<sup>(٢)</sup> أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لما صَلَّى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحدٌ قارف الليلة أهله » . فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصاري ، رضي الله عنه ، ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام من كان يتولَّى ذلك ممن يتبرَّع بالحفر والدفن من الصحابة كأبي عبيدة ، وأبي طلحة ، ومن شابههم فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يُقارف أهله من هؤلاء » . إذ يبعد أن عثمان كان عنده غير أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، هذا بعيدٌ . والله أعلم .  
وفيها صالح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح وصاحب دومة الجندل كما تقدَّم إيضاح ذلك كله في مواضعه .  
وفيها هُدم مسجد الضُّرار الذي بناه جماعة المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب في الباطن فأمر به ، عليه الصلاة والسلام ، فحُرِّق .

وفي رمضان منها قدم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم ، ورجعوا إليهم بالأمان ، وكسرت اللات كما تقدَّم .  
وفيها توفي عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين<sup>(٣)</sup> ، لعنه الله ، في أواخرها .  
وقبله بأشهر توفي معاوية بن معاوية الليثي - أو المزني - وهو الذي صَلَّى عليه رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك إن صحَّ الخبر في ذلك<sup>(٤)</sup> .

وفيها حجَّ أبو بكر ، رضي الله عنه ، بالناس عن إذن رسول الله ﷺ له في ذلك<sup>(٥)</sup> .  
وفيها كان قدوم عامَّة وفود أحياء العرب ، ولذلك تُسمَّى سنة تسع : سنة الوفود ، وها نحن نَعِدُّ لذلك كتاباً برأسه اقتداءً بالبخاري وغيره .

[ تم الجزء الرابع من كتاب « البداية والنهاية » للإمام الحافظ المؤرِّخ ابن كثير الدمشقي رحمه الله حسب تقسيمنا له<sup>(٦)</sup> ، ويتلوه الجزء الخامس وأوله كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ ] .



(١) رواه البخاري رقم ( ١٢٥٣ ) و ( ١٢٥٤ ) و ( ١٢٦٣ ) ومسلم رقم ( ٩٣٩ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٢٨٥ ) .

(٣) انظر « شذرات الذهب » ( ١٢٨ / ١ ) .

(٤) وقد تقدم التعليق عليه ص ( ٦٦٨ ) .

(٥) وقد تقدم التعليق عليه ص ( ٦٩٥ ) .

(٦) وكان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه وتصحيح تجاربه في الثامن عشر من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٢ هـ ، والحمد لله على ما أنعم ووفق ، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه ، إنه تعالى خير مسؤول وأعظم معين ، والله أسأل أن يجزي خير الجزاء من أسهم في تدقيقه ومراجعته وتصحيح تجاربه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المحقق
٧	ذكر أحداث السنة الثانية من الهجرة النبوية :
٧	كتاب المغازي
١٥	ذكر أول المغازي ، وهي غزوة الأبواء ، ويقال لها : غزوة ودان
٢١	ذكر غزوة بواط من ناحية رضوى
٢٢	ذكر غزوة العُشيرة .....
٢٤	ذكر غزوة بدر الأولى
٢٥	ذكر سرية عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى
٣٠	ذكر تحويل القبلة من سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر
٣٤	ذكر فرض صوم شهر رمضان قبل غزوة بدر العظمى .....
٣٦	ذكر غزوة بدر العظمى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
٧٧	ذكر مقتل أبي البخري بن هشام .....
٧٨	ذكر مقتل أمية بن خلف .....
٨٠	ذكر مقتل أبي جهل لعنه الله
٨٦	ذكر رده عليه السلام عين قتادة .....
٨٨	ذكر طرح رؤوس الكفر في بئر يوم بدر .....
١٠٥	ذكر رجوعه ﷺ من بدر إلى المدينة .....
١٠٨	ذكر النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لعنهما الله .....
١١٠	ذكر فرح النجاشي ، رضي الله عنه ، بوقعة بدر
١١١	ذكر وصول خبر مصاب أهل بدر إلى أهاليهم بمكة .....
١١٤	ذكر بعث قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم .....
١٢١	ذكر من شهد بدرأ من المسلمين .....
١٤٠	ذكر فضل من شهد بدرأ من المسلمين
١٤٢	ذكر قدوم زينب بنت رسول الله ﷺ مهاجرة من مكة إلى المدينة .....
١٤٧	ذكر فيما قيل من الأشعار في غزوة بدر العظمى .....
١٥٨	ذكر غزوة بني سليم سنة ثنتين من الهجرة النبوية .....
١٥٨	ذكر غزوة السويق في ذي الحجة منها وفي غزوة قرقرة الكُدر .....

الصفحة	الموضوع
١٦٠	ذكر في دخول علي بن أبي طالب رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ
١٦٢	ذكر جمل من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة
١٦٤	أحداث سنة ثلاث من الهجرة :
١٦٥	ذكر غزوة الفرع من بحران وخبر يهود بني قينقاع من أهل المدينة
١٦٧	ذكر سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه
١٦٨	ذكر خبر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي
١٧٣	ذكر خبر غزوة أحد
١٨٣	ذكر خبر مقتل حمزة رضي الله عنه
١٩٩	ذكر ما لقي النبي من المشركين في غزوة أحد
٢١٢	ذكر دعاء النبي ﷺ بعد الوقعة يوم أحد
٢١٥	ذكر الصلاة على حمزة رضي الله عنه وقتلى أحد
٢٢٣	ذكر عدد الشهداء في وقعة أحد
٢٢٤	ذكر انصراف رسول الله ﷺ إلى المدينة عقب وقعة أحد
٢٢٧	ذكر خروج النبي ﷺ بأصحابه في إثر أبي سفيان
٢٣٢	ذكر ما تفاول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار
٢٤٢	ذكر آخر الكلام على وقعة أحد
٢٤٣	أحداث سنة أربع من الهجرة النبوية :
٢٤٤	ذكر غزوة الرّجيع
٢٥٢	ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري
٢٥٤	ذكر سرية بئر معونة
٢٥٨	ذكر غزوة بني النضير
٢٦٥	ذكر قصة عمرو بن سعدى القرظي
٢٦٦	ذكر غزوة بني لحيان
٢٦٨	ذكر غزوة ذات الرّقاع
٢٧٠	ذكر قصة غورث بن الحارث
٢٧٣	ذكر قصة الذي أصيبت امرأته في غزوة ذات الرّقاع
٢٧٣	ذكر قصة جمل جابر في غزوة ذات الرّقاع
٢٧٤	ذكر غزوة بدر الآخرة
٢٧٧	ذكر جمل من الحوادث الواقعة في سنة أربع من الهجرة
٢٨٠	أحداث سنة خمس من الهجرة النبوية :
٢٨٠	ذكر غزوة دومة الجندل
٢٨١	ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
٣٠٥	ذكر دعائه عليه السلام على الأحزاب



الصفحة	الموضوع
٣١٢	ذكر غزوة بني قريظة
٣٢٦	ذكر خبر وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه
٣٣٢	ذكر ما قيل من الأشعار في الخندق وبني قريظة
٣٣٩	ذكر مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله
٣٤٣	ذكر مقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي
٣٤٥	ذكر قصة عمرو بن العاص مع النجاشي وإسلامه
٣٤٧	ذكر زواج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان
٣٥٠	ذكر زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها
٣٥٢	ذكر نزول الحجاب صبيحة عرسها الذي ولي الله عقد نكاحه
٣٥٦	أحداث سنة ست من الهجرة النبوية :
٣٥٧	ذكر غزوة ذي قرد
٣٦٤	ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة
٣٧٠	ذكر قصة الإفك
٣٧٥	ذكر غزوة الحديبية
٣٨٦	ذكر سياق البخاري لعمرة الحديبية
٣٩١	ذكر السرايا والبعوث التي كانت في سنة ست من الهجرة
٣٩٤	ذكر ما وقع من الحوادث سنة ست من الهجرة
٣٩٦	أحداث سنة سبع من الهجرة النبوية :
٣٦٩	ذكر غزوة خيبر في أولها
٤١٥	ذكر قصة صفية بنت حيي بن أخطب النضرية رضي الله عنها
٤١٨	ذكر فتح حصون خيبر
٤٢٧	ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن انضم إليهم من أهل اليمن على رسول الله ﷺ وهو مخيم بخيبر
٤٣٢	ذكر قصة الشاه المسمومة
٤٤٠	ذكر من استشهد بخيبر من الصحابة رضوان الله عليهم
٤٤٠	ذكر خبر الحجاج بن علاط البهزي رضي الله عنه
٤٤٤	ذكر مروءة ﷺ بوادي القرى ومحاصرته قوماً من اليهود
٤٤٨	ذكر سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة
٤٤٨	ذكر سرية عمر بن الخطاب إلى تربة من أرض هوازن وراء مكة
٤٤٩	ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى يسير بن رزام اليهودي
٤٤٩	ذكر سرية أخرى مع بشير بن سعد
٤٥٢	ذكر سرية أبي حذرر إلى الغابة
٤٥٣	ذكر السرية التي قتل فيها محلم بن جثامة عامر بن الأضبط

الصفحة	الموضوع
٤٥٥	ذكر سرية عبد الله بن حذافة السهمي
٤٥٦	ذكر عمرة القضاء
٤٦٤	ذكر زواجه ﷺ بميمونة رضي الله عنها
٤٦٦	ذكر خروجه ﷺ من مكة بعد قضاء عمرته
٤٦٩	أحداث سنة ثمان من الهجرة النبوية :
٤٦٩	ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم
٤٧٢	ذكر إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه
٤٧٣	ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى نفر من هوازن
٤٧٤	ذكر سرية كعب بن عمير إلى بني قضاة من أرض الشام
٤٧٥	ذكر غزوة مؤتة
٤٩٣	ذكر فضل الأمراء الثلاثة زيد وجعفر وعبد الله رضي الله عنهم
٤٩٩	ذكر من استشهد يوم مؤتة من المسلمين
٥٠١	ذكر ما قيل من الأشعار في غزوة مؤتة
٥٠٣	ذكر بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق
٥١١	ذكر إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصاري الذين بالشام
٥١١	ذكر بعثه ﷺ إلى كسرى ملك الفرس
٥١٦	ذكر بعثه ﷺ إلى المقوقس صاحب مدينة الإسكندرية
٥١٧	ذكر غزوة ذات السلاسل
٥٢١	ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر
٥٢٤	ذكر غزوة الفتح الأعظم
٥٣٠	ذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة
٥٣٥	ذكر إسلام العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ونفر من الصحابة
٥٤٢	ذكر صفة دخوله ﷺ مكة
٥٦٨	ذكر بعثه ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة
٥٧٣	ذكر بعث خالد بن الوليد لهدم العزى
٥٧٤	ذكر مدة إقامته ﷺ بمكة
٥٧٦	ذكر ما حكم به ﷺ بمكة من الأحكام
٥٨٢	ذكر غزوة هوازن يوم حنين
٥٨٨	ذكر في كيفية وقعة حنين
٦٠٢	ذكر سرية أوطاس
٦٠٥	ذكر من استشهد يوم حنين وسرية أوطاس
٦٠٦	ذكر ما قيل من الأشعار في غزوة هوازن
٦١١	ذكر غزوة الطائف

الصفحة	الموضوع
٦٢٢	ذكر مرجعه ﷺ من غزوة الطائف
٦٣٢	ذكر قدوم مالك بن عوفٍ النصري على الرسول ﷺ
٦٣٤	ذكر اعتراض بعض الجهلة على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالاتفاق
٦٣٦	ذكر مجيء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة إليه وهو بالجعرانة
٦٣٨	ذكر عُمره الجعرانة في ذي القعدة
٦٤٣	ذكر إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه
٦٥٠	ذكر ما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمان من الهجرة والوفيات
٦٥٣	أحداث سنة تسع من الهجرة النبوية
٦٥٣	ذكر غزوة تبوك
٦٥٦	ذكر من تخلف معذوراً من البكائين وغيرهم
٦٥٩	ذكر أمور مختلفات وقعت في سنة تسع من الهجرة
٦٦٣	ذكر مروره ﷺ بمساكن ثمود في ذهابه إلى تبوك
٦٦٦	ذكر خطبته ﷺ في تبوك إلى نخلة هناك
٦٦٨	ذكر الصلاة على معاوية بن معاوية
٦٦٩	ذكر قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك
٦٧٠	ذكر مصالحته ﷺ ملك إيلة وغيره
٦٧١	ذكر بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة
٦٧٦	ذكر قصة مسجد الضرار
٦٧٧	ذكر قدومه ﷺ المدينة
٦٧٩	ذكر حديث كعب بن مالك رضي الله عنه
٦٨٢	ذكر أقوام تخلّفوا من العصاة
٦٨٣	ذكر ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة
٦٨٥	ذكر قدوم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ
٦٩٢	ذكر موت عبد الله بن أبي قُبّحه الله
٦٩٤	ذكر ما قيل في غزوة تبوك وأنها آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ
٦٩٥	ذكر بعثه ﷺ أبا بكر الصديق أميراً على الحج سنة تسع ونزول سورة براءة
٦٩٨	ذكر ما كان من الأمور الحادثة في سنة تسع للهجرة
٧٠٠	فهرس الموضوعات